

زَهْرُ الْأَلْبَابِ

وثمر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصرى، القيروانى، المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم

الدكتور زكى مبارك

حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه

محمد محي الدين عبد الحميد

الجزء الأول

دار الجيل

للطباعة والنشر والتوزيع والطباعة

بيروت - لبنان

ص. ب. ٨٧٤٧

الطبعة الرابعة

زفر الابرار

مقدمة الناشر

احياء التراث العربي، بتحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً وضبطه وشرح ما غمض من معانيه ومراجعة نصوصه الأصلية؛ مهمة جليلة ومسؤولية بالغة تصدى لها العديد من أكفأ وأخلص رجالات الأدب في عصرنا الحاضر، وفي طليعتهم الدكتور زكي مبارك .

. . إن تحقيق هذه الروائع الأدبية وشرحها رسالة سامية . . . وكذلك نشرها وتقديمها إلى القارئ العربي بالصورة اللائقة؛ رسالة يتصدى لملها الناشر الواعي لأهمية تراثنا العربي المقدّر لقيمته، الحريص على إغناء الثقافة العربية، والباذل لكل جهد مهمل عظيم في سبيل تقديم روائع القديم في أبهى وأحدث حلة تبويهاً وإخراجاً وطباعة .

بين روائع التراث العربي يتألق كتاب « زهر الآداب ، وثمر الألباب » كالدرة النادرة ، وقد زاد من قيمته جهداً لا يقارن به جهد بذله الأديب العملاق، الدكتور زكي مبارك في تحقيقه وضبطه وشرح نصوصه .

كتاب « جمع كل غريبة » . بل خزانة من خزائن الأدب العربي عامرة بأخبار الأدب والأدباء ، حافلة بألوان البلاغة والشعر والانشاء وبكل ما يصور بصدق العصر الذي عاش فيه مؤلفه أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني في القرن الخامس الهجري ، ويبين بوضوح العادات الاجتماعية التي كانت محمودة في عصره ؛ حتى أن دارس الآداب المهتم بذلك العصر ليكتفي بدراسة هذا الكتاب كمرجع رئيسي شامل .

لذلك العصر من حياة الأدب طابع خاص ، أظهر سماته إجادة الوصف ؛ وصف ما تقع عليه العين من مرئيات أو ما يجري في الخاطر من أفكار ، بل ووصف أهواء النفس ونزعاتها الوجدانية ، وصفاً مفصلاً مقصوداً ، حتى أصبح العصر غنياً إلى درجة مميزة بالتعابير الرائعة الناضجة في معظم أبواب الوصف . . يرافقها تنظيم كامل للأفكار ، مما يعود القارئ تذوق الاسلوب البديع ويحبب اليه النثر الجيد وأصوله الفنية .

إننا إذا قسنا أعمال أدباء ذلك للعصر بالمقاييس المصرية لانطبق عليها مفهوم النظرية الحديثة « الفن للفن » . . فقد عرفوا اللغة معرفة جيدة حتى وقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها ، فجمعوا شتاتها لتصبح طوع أفكارهم وأقلامهم في نتاج منسّق متكامل .

وان دار الجيل التي تعتر بما قدمت من كتب التراث . . كتاب « العمدة » لابن رشيّق تحقيق الاستاذ محيي الدين عبد الحميد ، ليزيدها اعتزازاً أن تقدم تباعاً مجموعة أعمال الدكتور زكي مبارك : النثر الفني ، الموازنة بين الشعراء ، التصوف الاسلامي ، المدائح النبوية ، الاخلاق عند الغزالي . . ودره هذه الأعمال هذا الكتاب الذي تقدمه الدار اليوم : زهر الآداب . . إنه دائرة معارف أدبية ، لا غنى للقارئ الأديب الباحث عن المعرفة والمتطلع الى التزديد من بحور الفنون الأدبية ، عن اقتنائه .

والله الموفق

دار الجيل

مقدمة الطبعة الأولى

الحُصْرَى القيروانى، أبو الحسن الحُصْرَى، طَرَف من أخباره، حياته الأدبية، داليتها ودالية شوقى، أبو إسحاق الحُصْرَى: شعره ونثره، طريقته فى التأليف، التعريف بزهر الآداب، إغفال المجون، تهذيب كتب المتقدمين، رأى الدكتور طه حسين، تهذيب زهر الآداب، تفصيله وضبطه وشرحه، قيمته الأدبية.

الحصرى، القيراونى

الحصرى — بضم الحاء المهملة، وسكون الصاد المهملة وبعدها راء مهملة — نسبة إلى الحُصْرَى أو بيعها، كما ذكر ابن خلكان — والقيراونى: نسبة إلى مدينة القيروان.

ويعرّفُ تاريخُ الآداب رجلين بهذا الاسم، أولهما:

أبو الحسن الحصرى

وأبو الحسن هذا هو: على بن عبد الغنى، الفهْرِى، المقرئ، الضرير، القيراونى، وقد كان — كما ذكر ابن بسام فى الذخيرة — بَجْرَ بَرَاة، ورأس صناعة، وزعيم جماعة.

طراً على الأندلس — كما قال ابن بسام أيضاً — فى منتصف المائة الخامسة من الهجرة، بعد خراب وطنه من القيروان، والأدبُ بأفق الأندلس يومئذٍ نافقُ السوق، معمور الطريق، فتهاداه ملوك الطوائف تهادى الرياض بالنسيم، وتنافسوا فيه تنافس الديار بالأنس المقيم.

ولكنه، فيما نقل، لم يطمئن هناك، فاحتمل على مُضَضِّ بَيْنَ زمانه،

وَبُعْدِ قَطْرِهِ ، ثُمَّ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مَدِينَةُ طَنْجَةَ بَعْدَ خَلْعِ مَاوِكَ الطَّوَائِفِ ، وَتَوَفَّى بِهَا
سَنَةَ ٤٨٨ هِجْرِيَّةً .

طرف من أخباره

ذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَقِيمًا بِمَدِينَةِ طَنْجَةَ أَرْسَلَ غَلَامَهُ إِلَى الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ
صَاحِبِ إِشْبِيلِيَّةٍ ، وَاسْمِهَا فِي بِلَادِهِمْ حِمَصٌ ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ لَمْ
يَخْفَلُ بِهِ ، فَقَالَ :

تَبَّهَ الرَّكْبَ الْمُجُوعَا وَ لَمْ الدَّهْرَ الفَجُوعَا^(١)
حِمَصُ الْجَنَّةِ قَالَتْ نَغْلَامِي : لَا رُجُوعَا
رَحِمَ اللَّهُ غَلَامِي مَاتَ فِي الْجَنَّةِ جُوعَا

وهذه الأبيات غاية في خفة الروح .

وَحُكِيَ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ بَعَثَ إِلَى أَبِي الْعَرَبِ الزَّيْدِيِّ خَمْسَمِائَةَ دِينَارًا ،
وَأَمْرَهُ أَنْ يَتَجَهَّزَ بِهَا وَيَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ . وَكَانَ بِجَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهُوَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَبَعَثَ
مُسَبِّحًا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْخُصْرِيِّ ، وَهُوَ بِالْقَيْرَوَانِ ، فَكَتَبَ أَبُو الْعَرَبِ :

لَا تَعْجَبَنَّ لِرَأْسِي كَيْفَ شَابَ أَسَى وَأَعْجَبْ لِأَسْوَدِ عَيْنِي كَيْفَ لَمْ يَشِبْ
الْبَحْرُ لِلرُّومِ لَا يَجْرِي السِّفِينُ بِهِ إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَالتَّبَرُّ لِلْعَرَبِ
وَكَتَبَ لَهُ الْخُصْرِيُّ :

أَمَّرْتَنِي بِرُكُوبِ الْبَحْرِ أَقْطَعُهُ غَيْرِي ، لَكَ الْخَيْرُ ، فَأَخْصُصْهُ بِذَا الدَّاءِ
مَا أَنْتَ نُوْحٌ فَتُنَجِّجْنِي سَفِينَتَهُ وَلَا الْمَسِيحُ أَنَا أَمْشِي عَلَى الْمَاءِ

حياته الأدبية

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِالْقِرَاءَاتِ وَطَرُقِهَا ، وَأَنَّهُ أَقْرَأَ النَّاسَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ

(١) فِي الطَّبْعَةِ السَّابِقَةِ « وَ لَمْ الدَّعْر » (م) .

بَسْبَتَةً وغيرها ، وأن له قصيدة نظمها في قراءات نافع ، عددُ أبياتها ٢٠٩ ، وأن له ديوان شعر ، وهو القائل :

أقول لهُ وقد حيا بكأسٍ لها من مسكٍ رقتِه ختامُ :
أمنُ لخدّيك يُعَصِّرُ؟ قال : كلا متى عَصِرَتْ من الورد المدامُ ؟

وأشهر قصائده تلك الدالية التي أفتنَّ في معارضتها الشعراء (١) ولندكرها هنا لقيمتها وأثرها في تاريخ الآداب العربية ، قال :

يا ليل الصب متى غدُهُ	أقيامُ الساعة موعدهُ
رقدَ الشَّارُ وأرقهُ	أسفُ للين يرُدُّه
فبكاهُ النجمُ ورق لهُ	ما يرعاه ويرصدُهُ
كلفُ بغزالٍ ذى هيفٍ	خوفُ الواشين يشرِّدُهُ
نصبتُ عيناى لهُ شركاُ	في النوم فعزَّ نصيدُهُ
وكفى عجباً أنى قنصُ	للسرب سباني أعيدُهُ
صمَّ للفتنة مُمتصبُ	أهواه ولا أتعبدهُ
صاحُ والحمر جنى فمه	سكرانُ اللحظ مُعربدهُ
ينضو من مقتلته سيفاً	وكان ناعساً يغمدهُ
فيريق دمَ العشاق به	والويل لمن يتقلدهُ
كلاً لا ذنب لمن قتلت	عيناه ولم تقتل يدهُ
يامن جحدتُ عيناه دمي	وعلى خديه توردهُ
خذاك قد اعترفا بدمي	فعلام جفونك تجحدهُ
إني لأعيدك من قتلي	وأظنك لا تتعمدهُ

(١) تجد هذه المعارضات في مجموعة صغيرة نشرها الأديب محي الدين افندي رضا

بالله هب المشتاق كرى ففعل خيالك يسعدُه
 ماضرك لو دوايت ضنى صب يدنيك وتبعده
 لم يبق هواك له رمقا فدمك عليه عوده
 وغدا يقضى أو بعد غد هل من نظر يزوده؟
 يا أهل الشوق لنا شرق بالدمع يفيض مورده
 يهوى المشتاق لقاءكم وضروف الدهر تبعده
 ما أحلى الوصل وأعذبه لولا الأيام تكده
 بالبين وبالهجران فيا لفؤادى كيف تجلده

ومن عارض هذه القصيدة من المتقدمين نجم الدين القمراوى إذ يقول :

قد ملّ مريضك عوده ورثى لأسيرك حسده
 لم يبق جفاك سوى نفس زفراة الشوق تصعده
 هاروت يعنن فن السحر إلى عينيك ويسده
 وإذا أعمدت اللحظ فتك فكيف وأنت تجرده
 كم سهّل خدك وجه رضا والحاجب منك يعقده
 ما أشرك فيك القلب فلم فى نار الهجر تحلده؟

وناصح الدين الأرجانى إذ يقول :

هل أنت بطولك مسعدُه ياليل فصبحك موعده
 لا كان قصير الليل فتى ميعاد منيته غده
 فى صدرى من كلف بكُم جند للشوق يحنده
 أعليل اللحظ وعلته منها المتائم عوده
 عينك لسفك دمي مجننا فالضدغ علام تجده
 ودمى لا يحسن محله فى الناس فلم تقلده
 لم أنس برامة موقفنا والشمل أطل تبدده

رَسَاءٌ قَدْ أَفْلَتَ مِنْ شَرَكَى
 وَالْبَيْنُ غَدَا يَتَصَيَّدُهُ
 سِرْبٌ قَدْ عَنَّ بَدَى سَلَمٌ
 وَغَدَا بِفَوَادَى أَغْيَدُهُ -
 وَتَطَاوَلُ يُتَّبِعُهُمْ نَظْرًا
 صَبٌّ قَدْ طَالَ تَبَلُّدُهُ
 حِرَانُ الْقَلْبِ مُتَّيْمُهُ
 وَأَبْرَعُ مَنْ عَارِضَهَا مِنَ الْمَعَاصِرِينَ
 وَفَخْرٌ مِصْرَ وَالشَّرْقُ أَمِيرُ الشَّعْرَاءِ أَحْمَدُ
 شَوْقِي (بِك) إِذْ يَقُولُ :

مُضْنَاكَ جَفَاءُ مَرَقْدُهُ
 حِرَانُ الْقَلْبِ مُعَذِّبُهُ
 أَوْدَى حُرْقًا إِلَّا رَمَقًا
 يُسْتَهْوَى الْوَرَقَ تَأَوُّهُهُ
 وَيُنَاجِي النَّجْمَ وَيَتَّبِعُهُ
 وَيُعَلِّمُ كُلَّ مَطْوِقَةٍ
 كَمْ مَدَّ لَطِيفَكَ مِنْ شَرَكَى
 فَعَسَاكَ بَعْضُ مُسْعِفِهِ
 الْحَسَنُ حَلَفْتُ «بِیُوسُفِهِ»
 قَدْ وَدَّ جَمَالَكَ أَوْ نَبَسًا
 وَتَمَّتْ كُلُّ مُقَطَّعَةٍ
 جَعَدْتُ عَيْنَاكَ زَكَى دَمِي
 قَدْ عَزَّ شَهْوَدِي إِذْ رَمَتَا
 وَهَمَّتْ بِجَيْدِكَ أَشْرَكُهُ
 وَهَزَزْتُ قَوْمَاكَ أَعْظَفُهُ
 وَبَكَاهُ وَرَحِمَ عُوْدُهُ
 مَقْرُوحُ الْجَفْنِ مُسْهَدُهُ
 يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتُنْفِدُهُ
 وَيَذِيبُ الصَّخْرَ تَتَهَدُّهُ (١)
 وَيُقِيمُ اللَّيْلَ وَيُقْعِدُهُ
 شَجَنًا فِي الدَّوْحِ تَرْدُدُهُ
 وَتَأَدَّبَ لَا يَتَصَيَّدُهُ
 وَلَعَلَّ خِيَالِكَ مُسْعِدُهُ
 وَ«السُّورَةُ» أَنْكَ مَفْرَدُهُ
 حَوْرَاهُ الْحَلْدَ وَامْرَدُهُ
 يَدَهَا لَوْ تُبْعَثُ تَشْهَدُهُ
 أَمْ كَذَلِكَ خَدُّكَ يَجْحَدُهُ
 فَأَشْرَتْ لِحْدَكَ أَشْهَدُهُ
 فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ أَصِيدُهُ
 فَنَبَا وَتَمَنَّعَ أُمَّلَدُهُ (٢)

(١) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة (٢) الأملد والأملود : العنص اللين الناعم

سببٌ لرضاك أمهدهُ ما بال الخصر يعقده
 بيني في الحب وبينك ما لا يقدر واشٍ يفسده
 ما بال العاذل يفتح لي باب الشلوان وأوصده
 ويقول: تكاد تُجنُّ به فأقول: وأوشك أعبده
 مولاي وروحي في يده قد ضيعها، سامت يده!
 ناقوسُ القلب يدقُّ له وحنايا الأضلع معبده
 حسادي فيه أعذرهم وأحقُّ بعذري حسده
 قسماً بثنايا لؤلؤها قسم الياقوت منصده
 ورضاب يوعد كثره مقتول العشق ومشهده
 وبخالٍ كاد يُحجُّ له لو كان يُقبَل أسوده
 وقوام يروى الغصنُ نهً نسباً والرمح يُفنده
 وبخصرٍ أوهن من جلدي وَعَوادي الهجر تبدده
 ماخنت هوائك ولاخطرت سلوى بالقلب تبرده

وإنما ذكرت حياة أبي الحسن الحضري ، وشيئاً من أخباره ، لأنني رأيت
 أكثر الناس يحسبونه صاحب زهر الآداب ، ولأنني أحب دائماً أن أقدم للقارئ
 ما يمتنع عقله ووجدانه من المعارف الأدبية ، لأية مناسبة ؛ ولأن أبا الحسن
 الحضري ابن خالة أبي إسحاق الحضري صاحب زهر الآداب ، وفي هذه القرابة
 ما يدعو للتبويه به في هذا المقام ، والظفر للقارئ على أي حال (١) .

(١) في كتاب « الموازنة بين الشعراء » فصل مسهب في الموازنة بين الحضري
 وشوقي ؛ فليرجع إليه القارئ إن شاء .

أبو إسحاق الحضري

أما أبو إسحاق الحضري فهو إبراهيم بن علي بن تميم، المتوفى سنة ٤٥٣ هجرية وقد عُني به كثير من كتّاب التراجم : فتكلم عنه ابن رَشِيْقٍ في الأَمْوِجِ ، وابن بَسَّام في الذخيرة ، والرَّشِيد بن الزبير في الجنان ، وابن خُلِكَان في وَفِيَّاتِ الأَعْيَانِ .

وقد كان شباب القيروان — فيما قالوا — يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه ، وكان لديهم من المُكْرَمِينَ .

شعره ونثره

أورد ابن رَشِيْقٍ من شعره هذين البيتين :

إني أَحِبُّكَ حُبًّا لَيْسَ يَبْلُغُهُ فَمَهُمْ ، وَلَا يَنْتَهِي وَصْفٌ إِلَى صِفَتِهِ
أَقْصَى نَهَايَةِ عِلْمِي فِيهِ مَعْرِفَتِي بِالْعَجْزِ مِنِّي عَنِ إِدْرَاكِ مَعْرِفَتِهِ

وأورد له ابن بَسَّام هذين البيتين :

أوردَ قَلْبِي الرَّدَى لَأَمْ عِذَارٍ بَدَا
أَسْوَدَ كَالْكَفْرِ فِي أَيْضًا مِثْلَ الْهُدَى

واختار له ياقوت هذه المقطوعة :

يا هَلْ بَكَيْتَ كَمَا بَكَتْ وَرُقُ الحَمَائِمِ فِي العُصُونِ
هتفت سُحَيْرًا ، وَالرَّبِي للقطر رافعة الجفونِ
فكانها صاغت عَلَى شَجْوِي شَجِي تَلِكِ اللِّحُونِ
ذَكَرْتَنِي عَهْدًا مَضَى لِلأَنْسِ مَنْقَطِعِ القَرِينِ
فتصرمت أَيامها وَكَانَها رَجْعُ الجُفُونِ

واختار له أيضاً :

كتمتُ هواك حتى عيل صبرى وأدنتى مكاتمتى لرمى
 ولم أقدر على إخفاء حال يحول بها الأسى دون الناسى
 وحبك مالك لخطى ولفظى وإظهارى وإضمارى وحسى
 فإن أنطقُ ففبك جميعُ نُطْقِي وإن أسكت ففبك حديث نفسى
 ولو نقلت إلينا من شعره طائفة صالحة لاستطعنا أن نعين منزلته بين الشعراء .
 أما نثره فمستملح ، ويغلب فيه السجعُ المقبول ، الخالص من شوائب الصنعة
 والتكلف ، والسجع فى الأصل حليلة وزينة ، وإنما يعاب عند العلوة والإغراق .
 وإليك أمودجاً مما جاء من نثره فى مقدمة كتابه ، قال :

« ولم أذهب فى هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث صعصعة
 ابن صوحان ، وخالد بن صفوان ، ونظائرها ؛ إذ كانت هذه (يريد الفقر الصغيرة)
 أجل لفظاً ، وأسهل حفظاً ، وهو كتاب يتصرف فيه الناظر من نثره ، إلى شعره ،
 ومطبوعه ، إلى مصنوعه ، ومحاورته ، إلى مفاخرته ، ومناقضته ، إلى مساجلته ،
 وخطابه المبهت ، إلى جوابه المسكت ، وتشبيهاته المصيبة ، إلى اختراعاته العريية ،
 وأوصافه الباهرة ، إلى أمثاله السائرة ، وجده المعجب ، إلى هزله المطرب ، وجزله
 الرائع ، إلى رقيقه البارع » .

وهذا كما ترى سجعٌ يجمع بين دقة الصنع ، ورقة الطبع ، فهو فى دقته
 مطبوع ، لا مصنوع .

طريقته فى التأليف

الأدبُ لا موضوع له ، كما يقول أستاذنا الجليل الشيخ سيد المرصفي ،
 وكذلك كان يفهمه أبو إسحاق الحصرى ، فهو لا يحفل بترتيب المسائل ،
 ولا بتبويب الموضوعات . وإنما يتصرف من الجد إلى الهزل ، ومن الأوصاف

إلى التشبيهات ، ومن الشعر إلى النثر ، ومن المطبوع إلى المصنوع ، وهذه الطريقة من أهم الطرق في التأليف ، وإن عابها مَنْ لا يفرق بين الموضوعات العلمية ، والموضوعات الأدبية .

ذكروا أنه ترك كتاباً اسمه « المصون في سر الهوى المكنون » في مجلد واحد ، فيه ملح وآداب ، أما كتابه الخالد فهو « زهر الآداب ، وثمر الألباب » وإنه ليسجع حتى في تسمية كتبه ، وكذلك كان يفعل في عهده المؤلفون .

التعريف بزهر الآداب

كان المتقدمون لا يصفون زهر الآداب إلا بأنه « جَمْعُ كُلِّ غَرِيْبَةٍ » وهو وصف صادق ، وإيذا كثرُ هنا بعض صفات هذا الكتاب ، وعلى الأخص الصفات التي تعين منهج مؤلفه ، وتميز اتجاه بعض الأفكار في العصر الذي عاش فيه .
وإنا لنجده :

أولاً : يهتم ببراعة المطلع ، وحسن الختام ، فيبدأ كتابه بهذه الجملة :
« الحمد لله الذي اختص الإنسان بفضيلة البيان ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، المرسل بالنور المبين ، والكتاب المستبين ، الذي تحدى الخلق أن يأتوا بمثله ، فعجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً »

ويختتمه بهذه العبارة :

« وقال ابن الأعرابي : أمدح بيت قاله المحدثون قول أبي نواس :
أخذت بجبلٍ من جبال محمدٍ أمنتُ به من طارقِ الخدَّانِ^(١) .
ثانياً : يُعنى عنايةً خاصةً بالكلام عن الصحابة والتابعين ، فينقل أخبارهم ، ويدون آثارهم ، وكانت هذه فيما يظهر عادة إسلامية ، في ذلك الحين .

(١) في بعض النسخ الخطية فصل في صفات الله — عزوجل — ختم به الكتاب وذلك توفيق في حسن الختام — هكذا ، وفي نسخة أن ختم الكتاب فصل في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم (م) .

ثالثاً: يجعل الكلام في المصيبة بأبناء النبوة باباً من أبواب الأدب؛ فينتقل هذه التعابير:

قد نُعِيَ سَلِيلٌ من سُلالة النبوة ، وفرع من شجرة الرسالة ، وعضو من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصيِّ والبتول .

تجدد في بيت الرسالة رُزءُ جدد المصائب ، واستعداد النوائب .
إنها المصيبة تحيقت جانب الوحي المنزل ، وذكَرت بموت النبي المرسل .
إلخ إلخ :

ويتصل بهذا عنايته بأوصاف الأشراف ، كقوله هذه العبارات :
« استقى عرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة ، وتهدأت أغصانه عن تَبعة الإمامة ، وتبججت أطرافه في عَرَصَة الشرف والسيادة ، وَتَفَقَّات بيضته من سُلالة الطهارة ، قد جذب القرآن بضُبعه ، وشقَّ الوحي عن بصره وسمعته » إلخ إلخ .

وهذا الاتجاه يدل على وجهة سياسية خاصة ، فصَلَّتْها بعض التفصيل في كتاب « الأخلاق عند الغزالي » وإلَّا فإن النبي يقول : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » بل الله يقول : « فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ » .
رابعاً : يُبْدِئُ الحُضْرَى وَيُعِيدُ في الكلام عن البلاغة والبلغاء ، والشعر والشعراء ، والإنشاء والمنشئين ، وكذلك كان أهلُ عصره يهتمون بدر النثر والشعر ، ونحن مَدِينُونَ لهم بما يتصل بهذا الباب من المعارف الأدبية .

خامساً : يذكر كثيراً من الآداب الاجتماعية التي كان يحمدها الناس لعهدده ، فيذكر ما يحمل في معاملة الملوك ، ويتحدث عن فضل الليل ، والحرص على الأدب ، وواجب النَّسَاح ، وما إلى ذلك مما يتصل بما على المرء من الواجبات . وما له من الحقوق .

إغفال المجون

وقد جرى أبو إسحاق الحصرى فى زهر الآداب على إغفال المَجُونِ ، فنحده
يقول عن راشد بن أرشد :

« وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره ، وصنّت الكتاب عن ذكره » .
وقد صرحت بإنكار هذا المهج فى « مدامع العشاق » وبينت هناك أن
حرص الحصرى على الأخلاق ضيّع علينا ما أعرّض عنه من الآثار الأدبية ،
وكنا فى حاجة إلى أن نعرف كل ما ترك الأولون !

وأحب أن يعلم القارئ أن المجون لون من ألوان الغذاء التى تحيا بها العقول ،
فكما أن الأجسام تحتاج فى تغذيتها إلى المواد المختلفة ، والعناصر المتنوعة : من
المالح ، والحلو ، والمرّ ، كذلك العقول تحتاج فى تغذيتها إلى المعارف المتباينة :
من جدّ القول وهزله ، وحلوّه ومرّه ، ولكنّ أكثر الناس لا يفقهون !

على أن الحصرى لم يُخلّ كتابه من المجون ، بل ومن فاحش المجون ،
وللقارئ أن يتتبع ما وقع من ذلك فى ألقاف الكتاب ليرى كيف غلب لمؤلف
على أمره ، فأباح ما لا يباح !

تهذيب كتب المتقدمين

يهتم كثير من علماء العصر بتهذيب كتب المتقدمين ، وهذا التهذيب ينحصر في حذف المجون وضم بعض الموضوعات إلى بعض ، وأنا أنكر هذا الأسلوب ، والعهد قريب بما كتبه أستاذنا الدكتور طه حسين في نقد مهذب الأغاني الذي أظهره الأستاذ الكبير محمد بك الخضري منذ أسابيع ، ويرجع أن يترك المعاصرون هذه الطريقة المنكرة ، بعد تلك الحملة التي أصابها صاحب حديث الأربعاء .

تهذيب زهر الآداب

ولقد رأيت أن أترك تلك الطريقة في تهذيب زهر الآداب ؛ لأن المؤلف لم يرد أن يكون كتابه ذا فصول وأبواب ، وإنما أراد أن يتصرف القارىء فيه من الشعر إلى النثر ، ومن الجد إلى الهزل ، إلى آخر ما قال .

وقد ظلّ بين يديّ نحو تسعة أشهر ، وأنا معتقل في سنة ١٩٢٠ ، فقرأته ، ثم قرأته ، وعُنيْتُ بضبطه ، وتصحيح ما وقع فيه من الأغلط ؛ ثم رأيت أن أفصله ، والتفصيل فيما أريد سو أن أضع عنواناً لكل موضوع ، وما أكثر ما في الكتاب من الموضوعات ؛ لأن المؤلف وضع قليلا من العناوين ، ثم أخذ يستطرد من معنى إلى معنى ، ومن غرض إلى غرض ، من غير أن يهتم بالترتيب والتبويب . وأرجو أن لا يجد القارىء في هذا الصنْع تشويها لعمل المؤلف فقد أبقيت الكتاب كما هو ، وأبقيت على عناوينه وأبوابه ، وقفّره وفصوله ، ووضعت ما أبدعت من العناوين في بُنْط خاص ، فإذا شاء القارىء أن يعرف كيف وضع الكتاب مؤلفه فليرفع فقط ما جدّ من العناوين .

أهمية هذا التفصيل

على أنتى مطمئن إلى ما صنعت ؛ فقد كان الكتاب متقاذف الأرجاء ، بسبب ما كثر فيه من الاستطراد ، فأصبح بفضل هذا التفصيل ، محدود الموضوعات ، بحيث يهتدى فيه القارىء إلى مئات المسائل الأدبية ، من غير أن يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب .

ولم أحجم عن تكرار العنوان الواحد حين يقتضى المقام ذلك ، وربما أضفت كلمة يتميز بها العنوان الجديد ^(١) .

الضبط والشرح

كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد الفريد ^(٢) ، من غير ضبط ولا شرح ، وكان يكفي أن يطبع الكتاب طبعةً أزهريّة ليصبح مثلاً فى المصح والتشويه ، ولتتقدّى فى قراءته العيون ، وتضل فى فهمه العقول ؛ فأنفتت من جهدى ومن وقتى ، فى تحقيق ما جناه مرّة السنين وعبث الجاهلين ، ما لا أمّن به على القارىء إلا وأنا آسفٌ محزون ؛ لأنى مدين لمن طبعوه أول مرة على أى حال ، أحسن الله جزاءهم ، وتجاوز عما رماهم به الزمن من ألوان الضعف والقصور .

فى الطبعة القديمة كثيرٌ من الأغلاط ، ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان الأدب بوم ظهرت قليل الأنصار ، وقد اعتمدت فى ضبط هذه الطبعة على مراجعة الأصول التى أخذ منها زهر الآداب ، وعلى ما أثق به من مختلف المعاجم والقواميس ، فإن استطاع القارىء أن يلفتنى إلى خطأ فاتنى إصلاحه ، فإنى بشكره خليق .

(١) قد اتخذنا خطة أخرى فى هذه الطبعة ستحدث عنها بعد (م)

(٢) وطبع نصفه مستقلاً فى المطبعة الوهبيّة ، بدون تأريخ (م)

أما الشرح فقد اجهدت في أن يكون غاية في الإيجاز ؛ لأن الإطناب في شرح الكتب الأدبية من جملة العيوب ، وقد تمر الصفحة بلا شرح ، حين تستغنى عن ذلك ؛ لأنني أمقت التكلف ، وأبغض المتكلفين .

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة أجزاء ، وكان المؤلف قسمه إلى ثلاثة ، وهي مسألة اعتبارية ؛ لأن الكتاب في الأصل مبني على التنقل والاستطراد .

قيمة زهر الآداب

كان المتقدمون يُمنون بدراسة الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والنوادر لأبي علي القالي ، وكانت هذه الكتب أصول الأدب عندهم كما ذكر ابن خلدون ، وعندى أن زهر الآداب أغزر مادة ، وأكبر قيمة من جميع تلك المصنّفات ؛ لأن ذوق الحُصْرى ذوق أدبى صِرْف ، أما أولئك فقد كانت أهواؤهم موزعة بين اللغة ، والرواية ، والنحو ، والتصريف .
 إن زهر الآداب دائرة معارف أدبية ، شاء الله أن تسلم من جنابة الليالى والحمد لله على أن كنت الموفق إلى إحياء هذا الأثر النفيس .

محمد زكى عبد السلام مبارك

٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥

مقدمة الطبعة الثانية

موضع زهر الآداب ، الوصف عند كتاب القرن الرابع ، نماذج من
التعابير الوصفية ، نظرية الفن للفن وقيمة الزخرف والصنعة ، الخصومات
الأدبية في القرن الرابع

رأى القارىء فى مقدمة الطبعة الأولى إشارات إلى الخصائص التى امتاز بها
زهر الآداب ، ونريد فى هذه الكلمة أن ننص على أن هذا الكتاب أريد به أن
يكون صورة للعصر الذى عاش فيه مؤلفه رحمه الله ، وإنه ليدكر أن أبا الفضل
العباس بن سليمان رحل إلى المشرق فى طلب الكتب « بإذلا فى ذلك ماله ،
مستعذبا فيه تعب ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف
طريفة ، وغرائب غريبة » ثم سأله أن يجمع له من مختارها كتابا يكتبى به عن
جملتها ، وأن يضيف إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قار به وقارنه وشابهه ومائله إلخ
فغاية الكتاب إذأ تخير ما طاب من ثمرات العقول فى أواخر القرن الرابع وأوائل
القرن الخامس .

ولندكر أولا أن الحصرى توفى سنة ٤٥٣ ، ولكنا نرجح أنه وَضَعَ زهر
الآداب قبل وفاته بأكثر من عشرين عاما ، فقد حدثنا فى أثناء كتابه أنه
يعاصر الثعالبي ؛ إذ قال « وأبو منصور يعيش إلى وقتنا هذا » حين أشار إلى مختار
ما كتبه الميكالى إليه . والثعالبي توفى سنة ٤٢٩ ؛ وإنما عيَّنا أواخر القرن الرابع
وأوائل القرن الخامس لأن الحصرى أشار إلى أن فيمن نقل عنهم من أدركه
بعمره ، أو لحقه أهل دهره . ولذلك العهد من حياة الأدب طابع خاص ، فصلت
خصائصه ومميزاته فى كتابى الذى وضعته بالفرنسية عن النثر فى القرن الرابع ،
وإنى لمشير هنا إلى بعض الجوانب البارزة فى أدب ذلك العصر ؛ ليكون القارىء

على بينة من الروح الذى استوحاه مؤلف زهر الآداب .

أظهر ميزة فى ذلك العصر هى إجادة الوصف ، فقد اهتم كُتّابه اهتماماً عظيماً بوصف ما وقعت عليه أعينهم أو جرى فى خواطرهم ، ولم يكن الوصفُ عندهم ، ما يأتى عفواً عند المناسبات الطارئة ، كما كان الحال فى أوائل العصر الإسلامى ، لا ، بل تعمّدوا استقصاء الموضوعات الوصفية : فأطالوا الحديث عن الأزهار ، والرياض ، والنبات ، والنسيم ، والرياح ، والليل ، والنجوم ، والجداول ، والغدران ، والأنهار ، والبحار ، والأحواض ، والقصور ، ومنازل اللهو ، ومجالس الشراب ، والنساء ، والغلمان ، والجوارى السود ، والقيان ، وآلات الطرب ، ومحاسن الشباب ، وأهوال الشيب ، والرعد والبرق ، والمطر والثلج ، والصحو ، والبلاغة والشعر والنثر ، والحليل ، والسيوف ، والنار ، والأفاعى . والثعابين ، والطيور ، والأطعمة ، والفواكه ، والسكاكين ، والكؤوس ، والخواتم ، والحلى ، والقلائد ، والحبار ، والأفلام ، والسفن ، والدواب ، والجيوش ، والأساطيل ، وأيام الصيف والشتاء والربيع .

وأطنبوا فى وصف المعانى الوجدانية ، كما أطنبوا فى وصف المراتب ، فتكلموا عن أهواء النفوس ونزعتها ، فوصفوا الحقد ، والبغض ، والكرم ، والتبل ، وعرضوا لما يقع لأهل المهن وللرؤساء من المنآت والعورات . كل ذلك بطريقة مقصودة تدل على أنه كان لهم برنامج خاص لم يعرفه أسلافهم . وهذا المذهب له عيوبه ومزاياه : فعمية أنه حملهم على التكلف والإسراف ، وحسنه أنه حملهم على تنظيم أفكارهم ، وترتيب أغراضهم ، فإن القارىء يرى لهم قوة فى تصوير المراتب والعنويات لا يراها لمن سبقوهم ، وذلك بفضل هذا الاتجاه الذى جعل فى عصرهم مدرسة وصفية لا تراها فى عصر الخلفاء ولا عهد بنى أمية ولا أوائل أيام بنى العباس .

ولا ننكر أن الكُتّاب السابقين أجادوا الوصف فى كثير من الموضوعات

ولكننا نقرر أن كَتَّاب القرن الرابع عمدوا إلى كل ما يقع عليه الحس ،
أو يجرى في الخاطر ، أو ينقده العقل ، فوصفوه وصفا مفضلا مقصوداً بطريقة
لم يفكر في مثلها المتقدمون .

وقد قدم لنا صاحب زهر الآداب شواهد كثيرة في مواطن متفرقة من كتابه
عن الأوصاف التي عُنى بها كَتَّابُ ذلك العصر . فلنثبت منها شيئا ليرى القارىء
صدق ما نراه من قصد رجال ذلك العهد إلى إجادة الوصف .

من ذلك قولهم في وصف الماء :

ماء كالزجاج الأزرق .

غدير كعين الشمس .

ماء كلسان الشمعة ، في صفاء الدمعة ، يسبح في الرضراض ، سبح النضناض .

ماء أزرق كعين السُّنور ، صاف كقضيبي البلور .

غدير ترقرقت فيه دموع السحائب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب .

وقولهم في وصف سكين :

« سكين كأن القدرَ سائتها ، أو الأجلَ سابقها ، مُرهفة الصدر ، مُمْنَطَقَة

الخصر ، يَجُولُ عليها فرند العتق ، ويموج فيها ماء الجوهر ، كأن المنية تبرق من

حدها ، والأجل يلمع من منتهى ، رُكِّبَتْ في نصاب آبنوس ، كأن الحدق نفضت

عليه صبغها ، وحب القلوب كسنته لباسها ، أخذ لها حديدتها الناصع يحظ من الروم ،

وضرب لها نصابها الحالك بسهم من الزنج ، فكانها ليل من تحت نهار ، أو حجر

أبدى سنا نار ، ذات غرار ماض ، وذباب قاض .

سكين أحسن من التلاق ، وأقطع من الفراق ، تفعل فعل الأعداء ، وتنفع

نفع الأصدقاء . »

وقولهم في وصف متكبر :

« قد أسكرته خمرة الكبر ، واستغرقت لذة التيه ، كأن كسرى حامل
غاشيته ، وقارون وكيل نفقته ، وبلقيس إحدى داياته ، وكان يوسف لم ينظر
إلا بطلعته ، وداود لم ينطق إلا بنغمته ، ولقمان لم يتكلم إلا بحكمته ، والشمس لم تطلع
إلا من جبينه ، والغمام لم يبدُ إلا من يمينه » .

وكان من أثر ذلك أن أصبح هذا العصر غنياً جداً بالتعابير الوصفية الرائعة
في أكثر أبواب الوصف . ومن ذا الذي يرتاب في جمال قولهم في وصف النثر
والنظم مما اختاره صاحب زهر الآداب :

نثر كنثر الورد ، ونظم كنظم العقد .

نثر كالسحر أو أدق ، ونظم كالماء أو أرق .

رسالة كالروضة الأنيقة ، وقصيدة كالحذرة الرشيقة .

نثر كما تفتح الزهر ، ونظم كما تنفس السحر .

وقولهم في أوصاف النساء :

هي روضة الحسين ، وضرة الشمس ، وبدر الأرض .

هي من وجهها في صباح شامس ، ومن شعرها في ليل دامس ، كأنها فلقة

قر على بُرج فضة .

بدر التَّم يضىء تحت نقابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها .

لها عنق كإبريق اللجين ، وسرة كمدهن العاج .

مطلع الشمس من وجهها ، ونبت الدر من فمها ، ومقط الورد من خدها ،

ومنبع السحر من طرفها ، ومبادئ الليل من شعرها ، ومغرس الفصن من قدها ،

ومهيل الرمل من ردفها . . . إلخ .

وقولهم في صفات الغلمان :

جاءنا في غلالة تتم على ما يسترد ، وتحنو مع رقبتها على ما يظهره .
الجنة مجتناة من قربه ، وماء الجمال يتفرق في خده ، ومحاسن الربيع بين
سحره ونحره ، والقمر فضلة من حسنه .
له طرة كالغسق ، على غرة كالفلق .
الحسن ما فوق أزراره ، والطيب ما تحت إزاره .
هو قمر في التصوير ، وشمس في التأثير .

وجه بماء الحسن مغسول ، وطرف بمزود السحر مكحول
شادن فآثره طرفه ، ساحر لفظه ، تكاد القلوب تأكله ، والعيون تشربه .
السحر في الحاظه ، والشهد في ألقاظه . . الخ .
ولقد ظلت هذه التعابير الوصفية منبعاً يستقى منه الكتاب إلى العصر
الحديث والنقاد في مصر أعجبوا بقول حافظ إبراهيم في وصف الصبياء :

خمرة قيل إنهم عصروها من خدود الملاح في يوم عرس
وهو خيال سبق إليه كتاب القرن الرابع ، وردده ابن خفاجة إذ قال :
وشربتها عذراء تحسب أنها معصورة من وجنتي عذراء

وقد ظن أستاذنا الدكتور طه حسين أن حافظ إبراهيم أول من ألمّ بهذا^(١)
الخيال فنقده وسفمه حين عرض لنقد ترجمة البؤساء . فليقل المعركة إذن إلى
ميدان القرن الرابع ، وإن كنت لا أدري كيف يعاف الشراب المعصور من
خدود الملاح .

وكذلك أعجب النقاد بقول السيد توفيق البكري في وصف النساء
« صدور كالإغريض ، أو صُدُور اليزاة البيض »

(١) الذي أذكّره أن أدباء مصر ذهبوا إلى أن حافظا ممتاز بذكر قيد « في
يوم عرس » فأما أصل التشبيه فما أحسب أنه غاب عنهم أن حافظا مسبوق به ، وإنما
خص يوم العرس لكثرة ما يغطي الحسان فيه وجوههن بالأصباغ وألوان التحاسين .
ولهذا مدخل في التشبيه (م) .

وهي عبارة مأخوذة من قول التعالبي في وصف آثار السرى الرفاء :
«كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف
الغزلان ، ونبهود العذارى الحسنان ، وعمزات الحدق الملاح»
وكذلك يمكن رد أكثر التعابير الوصفية التي يُعْرَم بها كتاب الصنعة في
العصر الحاضر من امثال الأساتذة : صادق عنبر ، ومحمد السباعي ، ومحمد هلال
وكان القرن الرابع يؤدي للقرن التي تلتها ما أخذها عن القرون التي سبقتها ،
فقد كان كتابه مولعين بحل الشعر لا يرون معنى بديعاً ، ولا حيلاً طريفاً إلا
اقتبسوه ، وأضافوه إلى ثروتهم الثرية

وقد أشاع كتاب القرن الرابع نظرية (الفن للفن) وإن لم يدركوا ما لهذه
النظرية من الأوضاع والتقاليد ؛ فقد عودوا القراء تذوق الكتابة البديعة ، وحببو
إليهم النثر المصنوع ، فأصبح المتأدبون يتأملون مواقع الألفاظ وقرار التراكيب ،
وصارت فنون البديع من تورية وجناس وطباق أصولاً فنية يجد القارئ لذة
ومُتعة حين يراها وقعت موقفاً حسناً وأصابت الغرض الذي وضعت له ، ولو كان
غرضاً لفظياً لا يتوقف عليه تمام المعنى المقصود

* * *

ولكن أليس لهذا الزخرف قيمة في فهم ذلك العصر؟ بلى ، إنه يدلنا على
أن أولئك الناس عرفوا لغتهم معرفة جيدة ، ووقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها ،
وكان همهم أن يرتبوا الألفاظ والمعاني والتعابير والأخيلة ، حتى استطاع كاتبهم أن
يحشر أرباب الصناعات في صعيد واحد ثم ينطقهم بأسرار البلاغة ، كل على
طريقته وبأسلوبه الذي يختاره في مقرهنته ومهد عمله . وما نحسب كتاب
القرن الأولى مثلاً كانوا يفكرون في جمع شتات اللغة لتصبح طوع أفكارهم
وأقلامهم ، وإنما كانوا قوماً يكتبون في سبيل الوصول إلى أغراضهم بالعبارة

الواضحة الموجزة التي يفهمها عامة الناس وخاصتهم . أما كتاب هذا القرن فقد أصبحوا في حاجة إلى صفة تقرأ لهم وتفهم عنهم ؛ إذ أصبح خيالهم قويا ، ولغتهم غنية ، لا يدرك أسرارها الجمهور ؛ فليس كل قارئ ولا كل سامع بمستطيع أن يتذوق تشبيه الخط الجميل بأزهار الربيع ، والألفاظ بقلائد النحر ، والمعاني بلا لىء ، ولا أن يدرك كيف تتمنى كل جارحة أن تكون أذنا تلتقط درر الكلام وجواهره ، أو عينا تجتلي مطالعه ومناظره ، أو لسانا يدرس محاسنه ومفاخره .

إذن فالصنعة التي عُرف بها كتاب القرن الرابع لها وجهان : وجه جميل يدل على حدقهم وبراعتهم ، ووجه آخر يدل على بعدهم من غاية البيان وهي الوضوح ، إذ كان الإغراق في الصنعة بابا من الغموض

ومن أهم الجوانب التي تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر الخصومات العنيفة التي قامت بين الكتاب ؛ فقد كانت بينهم مناوشات ومجادلات نشأت عن أطماعهم في الحياة المادية ، وكانوا يمثلون غالبا طوائف من الأفكار الدينية والسياسية يقومون في الدفاع عنها بما تقوم به الجرائد المغرضة في العصر الحاضر ، وكان لهم من القوة ما كان للشعراء ؛ فلم يكن بد من أن يتنافس أصحاب الملك في تقييدهم ، ولم يكن بد كذلك من أن يتنافس هؤلاء في الاستئثار بالحظوة عند الوزراء والرؤساء والملوك

وفي الرسالة التي كتبها بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان فقرات مرة تمثل ما كان عليه كتاب ذلك العصر من الطمع في المناصب الرسمية ومن ضعف الخلق عند الغنى ، ومن الثبل عند الفقر : « تنسيهم أيام اللدونة ، أوقات الخشونة ، وأزمان العذوبة ، ساعات الصعوبة » وقد كانوا كما قال : « ما اتسعت دورهم ، إلا ضاقت صدورهم ، ولا أوقدت نارهم إلا انطفأ نورهم ، ولا زاد ما لهم إلا »

معروفهم ، ولا وُرِمَتْ أكياسُهم إلا وُرِمَتْ أنوفهم ، ولا صلحت أحوالهم ، إلا فسدت أعمالهم ، ولا فاض جاههم ، إلا غاضت مياههم ، ولا لانت بُرودهم ، إلا صلبت خدودهم» (١)

وفي تلك المنافسات الشديدة ، وتلك الدسائس الملعونة ، التي كانت تقع بين الكتاب ، دليلٌ على جَسَعهم في حب الحياة ، وفهمهم لها فما ماديًا يتناسب مع تلك العبقريات الغنية التي ظهرت في فقرهم ورسائلهم وأبحاثهم ؛ فإنه من المؤلم أن تظل قوة الحد وبقظة الأثر ، وشدة العداوة ، في كل عصر من السَّماتِ الغالبة على كبار الكتاب ، ومن النادر أن تجد كاتبًا كريمًا يعطف على زملائه ، ويجب لهم الخير ، ويتمنى لهم السَّداد . وقدما أفرغت هذه الظاهرة عبد الحميد بن يحيى — وكان رجلاً نبيلًا — فكتب وصيته المعروفة يدعو بها الكتاب إلى التعاون ونبذ الأحقاد ، وفي أيامنا تُبعث تلك الشائيل من جديد ؛ فلا نجد كاتبًا في العالم العربي يحب لأخيه ما يجب لنفسه ، بحيث نظن أن شوب العبقرية يوحى بالطمع ، والاستبداد بالفضل ، والاستئثار بالجاه

وأهم الخصومات التي وقعت بين كتاب ذلك العصر خصومة الهمداني والحوارزمي ، وخصومة التوحيدى والصاحب بن عباد

أما خصومة الهمداني والحوارزمي فترجع إلى رغبة الهمداني في الظهور ، وطمعه في الافراد بالشهرة ، وأهم مصدر لهذه الخصومة الرسالة المطولة التي كتبها الهمداني في وصف المناظرة التي قامت بينه وبين الحوارزمي ، وهي رسالة مغرضة مملوءة بالتجامل والصَّغرة ، وليس فيها أفكار جدية تجعل خصومة بين عقليين ، إنما هي محاورات لفظية تدل على غلبة الزخرف وتمكنه في السيطرة على عقول أهل

ذلك الجليل . ولو أن الخوارزمي دون بدوره تلك المناظرة لرأينا وجهين في بسط ذلك الحادث الأدبي ، واستطعنا أن نستخلص من مقابلة النصين نفس الرجلين ، ولكن الهمداني تكلم وحده ؛ فعرفنا فقط مبلغ زهوه وكبريائه وطعمه في كبت كاتب كان يومئذ على رأس الكاتبين .

أما خصومة التوحيدى لابن عباد فترجع فيما ذكر كتاب التراجم إلى سبب مادي ، وذلك أن التوحيدى رَغِبَ في مال ابن عباد وجأهه ، فضاق عنه صدره هذا ، فكتب التوحيدى كتابه « أخلاق الوزيرين » وهو كتاب جارح كشف به عورات ابن العميد وابن عباد . ثم عاد إليهما بالتجريح أيضا في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » وأسلوبه في الهجاء أسلوب خطر فظيع ؛ إذ يخلق الحوادث والإشارات وينظفهما برسائل ومقطوعات تهوى بهما إلى الحضيض . ويعتبر التوحيدى من الوجهة الفنية رجلا خصب الذهن ، غنى اللغة ، وافر الحصول ، قوى الخيال .

وقد تنبه المتأدبون إلى تحامل التوحيدى وإسرافه في التعصب والتحامل وشاع الاعتقاد بأن كتابه « أخلاق الوزيرين » كتاب مشثوم ، لا يملكه أحد إلا انعكست أحواله ، ويذكر ابن خلكان أنه جرب هذا وجربه مَنْ يثق به^(١) فإذا صح هذا الوهم كان التوحيدى قد عوقب على بغيه وظاهه وبهتانه ؛ فقد أنظر صاحب بن عباد بعبارات مخجلة يندى لها وجه القارى ، وينفر منها الطبع والذوق ، وإن كانت وضعت بأسلوب شائق خلاب .

(١) ارجع إلى « وفيات الأعيان » ج ٢ ص ٢٧٠

تلك ، أيها القارئ ، كلمة وحيزة أقدم بها الطبعة الثانية ، راجيا أن تكون
كافية في وصف الاتجاهات الفنية والعقلية التي عمل في ظلها مؤلف زهر الآداب ،
وإني لأمل أن يكون في هذه الطبعة من آثار الجهد والحرص على الصواب بعض
ما يجب في خدمة الأدب العربي الذي أصبح إحيائه ونشره من أظهر محامد مصر
في العصر الحديث .

زكي مبارك

مصر الجديدة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اختصَّ الإنسانَ بفضيلةِ البيانِ ، وصلى الله على محمدٍ خاتمِ
النبيين ، المرسلِ بالنور المبين ، والكتابِ المستبين ، الذي محدَّى الخلقَ أن
يأتوا بمثله فعجزوا عنه ، وأقرّوا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ؛ فهذا كتابٌ اخترتُ فيه قطعةً كاملةً من البلاغات ؛ في الشعر
والخبر، والفصول والفقر^(١) ، مما حُسِنَ لفظُهُ ومعناه ، واستُبدِلَ بِفَحْوَاهُ على
مَفْرَاحِهِ^(٢) ، ولم يكن شاردًا حَوْشِيًّا^(٣) ، ولا ساقطًا سَوْقِيًّا^(٤) ، بل كان جميع مافيه ،
من ألفاظه ومعانيه ، كما قال البحترى^(٥) :

في نظامٍ من البلاغةِ ما شكَّ أمرؤُوهُ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ^(٦)
حُزْنَ مَسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنُّبِ ظُلْمَةِ التَّعْقِيدِ
وَرُكْنِ اللَّفْظِ الْقَرِيبِ فَأَدْرَكْنَ بِهِ غَايَةَ الْمَرَادِ الْبَعِيدِ

ولم أذهب في هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث صَعَصَعَةٍ

-
- (١) الفقر : جمع فقرة - بكسر الفاء وفتحها - وهي فصل أو بيت شعر ، وتقول :
ما أحسن فقر كلامه ، أى نكته ، وهي في الأصل حلى تصاغ على شكل فقر الظهر
 - (٢) مغزى الكلام : هو المراد منه ، وخفواه : هو ما يفهم منه ذلك المراد
 - (٣) الحوشى : الوحشى ، وقد وصف زهير بأنه كان لا يتتبع حوشى الكلام .
 - (٤) السوقى : نسبة إلى السوقة ، وهم عامة الناس
 - (٥) البحترى : شاعر مبدع من شعراء الدولة العباسية ، ولد في منبج - بين الفرات

وحلب - في سنة ٢٠٦ و توفي في سنة ٢٦٤

- (٦) الفريد : هو الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة ، فالدر فيها فريد .
والذهب مفرد ، بتشديد الراء .

ابن صُوحان^(١) ، وخالد بن صفوان^(٢) ، ونظائرهما ؛ إذ كانت هذه أجملَ لفظاً ، وأسهلَ حفظاً .

وهو كتابٌ يتصرف الناظرُ فيه من نثره إلى شعره ، ومطبوعه إلى مصنوعه ، ومحاورته إلى مفاخرته ، ومناقضته^(٣) إلى مساجلته^(٤) ، وخطابه للمبته^(٥) إلى جوابه المُسكت ، وتشبيهاته المُصيبة إلى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة ، وجدّه المعجب^(٦) إلى هزله المُطرب ، وجزله الرائع إلى رقيقه البارع .

منهج المؤلف
في الكتاب

وقد نرعتُ فيما جمعت عن ترتيب البيوت^(٧) ، وعن إبعاد الشكل عن شكله ، وإفراد الشيء من مثله ؛ فجعلتُ بعضه مُسلسلاً^(٨) ، وتركتُ بعضه مُرسلاً^(٩) ؛ ليحصل مُحرَّرَ النقدِ^(١٠) ، مُقدَّرَ السردِ^(١١) ؛ وقد أخذ بطرفي التاليف ، واشتمل على حاشيتي التصنيف ؛ وقد نعتُ المعنى ، فألحق الشكْلَ بنظائره ، وأعلّق الأولَ بآخره ، وتبقى منه بقية أفرقها في سائره^(١٢) ليسلمَ من التطويل المملِّ ، والتقصير المُخلِّ ، وتظهر في التجميع إفادةُ الاجتماع ؛ وفي التفريق لذادة

(١) صعصعة بن صوحان : خطيب بليغ من سادات عبدالميس . شهد صفين مع علي ، ونفاه المغيرة من الكوفة إلى الجزيرة أو إلى البحرين بأمر معاوية ، فمات فيها حوالي سنة ستين للهجرة (٢) خالد بن صفوان : كان من مشاهير الفصحاء وله أخبار مع عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، توفي نحو سنة ١١٥
(٣) ناقل الشاعر : ناقضه ، ورجل نقل بفتح فكسر وذو نقل بفتححتين ، إذا كان جليلاً مناقلاً (٤) المساجلة : المفاخرة (٥) المبهت : المحير (٦) المعجب : الذي يعجبك جماله (٧) البيوت كالأبيات : جمع بيت (٨) مسلسل : من السلسلة بفتح السين وهي وهي اتصال النى بالنى (٩) مرسل : غير مسلسل (١٠) النقد : الوزن (١١) السرد : النسخ ، والتحرير ، ومثله التقدير : الضبط (١٢) سائره : باقيه

الإمتاع ، فيكمل منه ما يُؤنقُ القلوبَ والأسماع^(١) ؛ إذ كان الخروجُ من جِدِّ إلى هَزَلٍ ، ومن حَزْنٍ إلى سَهْلٍ^(٢) أنْفَى للكلِّ^(٣) ، وأبعدَ من المللِ ؛ وقد قال إسماعيل بن القاسم [هو أبو العتاهية]^(٤) :

لا يُصْلِحُ النفسَ إذ كانت مُدَابِرَةً إلا التَّنْقُلُ من حالٍ إلى حالٍ^(٥)

الداعي لتأليف
الكتاب

وكان السببُ الذي دعاني إلى تأليفه ، وندبني إلى تصنيفه ، ما رأيته من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان — أطال الله مدته ، وأدام نعمته! — في الأدب^(٦) ، وإففاقِ عمره في الطلب وماله في الكتب ؛ وأن اجتهاده في ذلك حمّله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها ، وأغمضَ في طلبها^(٧) ، بإذلا في ذلك ماله ، مستعذبا فيه تعبهُ ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف طريفة ، وغرائب غريبة ، وسألني أن أجمعَ لها من مُختارها كتاباً يكتفي به عن جملتها ، وأضيفَ إلى ذلك من كلام المتقدمين مآقاربه وقارنه ، وشابهه ومائله ؛ فسارعتُ إلى مراده ، وأعنته على اجتهاده ، وألّفتُ له هذا الكتاب ، ليستغني به عن جميع كتب الآداب ؛ إذ كان موشحاً من بدائع البديع^(٨) ، وآلئ الميكالي ، وشهَى الخوارزمي ، وغرائب الصاحب ، ونفيس قابوس ، وشذور أبي منصور^(٩) بكلامٍ يمزجُ بأجزاء النفس لطافة ، وبالهاء رقة ، وبالهاء عذوبة .

- (١) يؤنق : يعجب (٢) الحزن : ما غلظ من الأرض ، ويقال به السهل (٣) الكلل : الإعياء ، ومثله الكلال (٤) ديوان أبي العتاهية ٢٢٣ ، وفيه « لن يصلح النفس إذ كانت مدبرة » وفي نسخة « إن كانت مصرفة » (م)
(٥) مدابرة : ذات سأم وملال ، والمدابرة في الأصل : الهزيمة (٦) في الأدب : متعلق بكلمة رغبة (٧) أغمض وغمض : ذهب ، وغمض السيف في اللحم : غاب (٨) موشح : مرصع (٩) البديع والميكالي والخوارزمي والصاحب وقابوس وأبو منصور : كل هؤلاء أعلام سيورد المؤلف طرفاً من مضمومهم ومنشورهم ، وهم من رجال القرن الرابع ، وسندكر تراجمهم حين يعود المؤلف إلى الحديث عن آثارهم الأدبية

وليس لي في تأليفه من الافتخار، أكثر من حُسن الاختيار؛ واختيار المرء
 قطعةً من عقله، تدلُّ على تحلُّفه أو فضله؛ ولا شكّ - إن شاء الله - في استجدادة
 ما استجدت، واستحسان ما أوّردت؛ إذ كان معلوماً أنه ما انجذبت نفسٌ،
 ولا اجتمع حسنٌ، ولا مال سرٌّ، ولا جال فيكّر، في أفضل من معي لطيفٍ، ظهر
 في لفظٍ شريفٍ؛ فكسّاه من حسن الموقع، قبولاً لا يدفع، وأبرزه يختالٌ من
 صفاء السبك [وبقاء السلك] وصحة الديباجة، وكثرة المائبة، في أجل
 حُلة، وأجلى حلية:

يستنبط الروح اللطيف نسيمةً أَرَجًا، ويؤكل بالضمير ويشرب^(١)
 وقد رغبتُ في التجاني عن المشهور، في جميع المذكور، من الأسلوب الذي
 ذهبتُ إليه، والنحو الذي عولتُ عليه؛ لأن أول ما يقرع الآذان، أدعى إلى
 الاستحسان، مما مجّته^(٢) النفوس طول تكراره، ولقظته^(٣) العقول لكثرة استمراره؛
 فوجدت ذلك يتعدّر ولا يتيسر، ويمتنع ولا يتسع^(٤)؛ ويوجب ترك ما ندر إذا اشتهر؛
 وهذا يوجب في التصنيف دخلاً^(٥)، ويكسب التأليف خالاً؛ فلم أعرض إلا عما
 أهانه الاستعمال، وأذّاله الابتدال^(٦)؛ والمعنى إذا استدعى القلوب إلى حِفْظه،
 ما ظهر من مُستحسن لفظه؛ من بارع عبارة^(٧)، وناصح استعارة، وعُدُوبةٍ مورد،
 وسهولة مقصد، وحسن تفصيل، وإصابة تمثيل؛ وتطابق أسماء، وتجانس أجزاء،
 وتمكّن ترتيب، ولطافة تهذيب، مع صحّة طبع وجودة إيضاح، يثقفه
 تقنيف القداح، ويصوره أفضل تصوير، ويقدره أكمل تقدير؛ فهو مشرق

(١) يستنبط: يستخرج (٢) مجّته: مقتبه (٣) لفظته: ريمته (٤) يتسع: يسهل
 (٥) الدخل والدخل: العيب، ونخلة مدخولة: عفتة الجوف (٦) أذّاله: أهانه
 (٧) من إضافة الصفة للموصوف، أي عبارة بارعة، وكذلك ما بعده

في جوانب السمع ، لا يُخلِّقه عَوْدُهُ عَلَى المُستعِيد (١) :

وهو المُشَيِّع بالمُسامع إن مَضَى وهو المُضَاعَف حُسْنُهُ إن كُرِّرَا .
وإن كنتُ قد استدركتُ على كثيرٍ من سبقني إلى مثل ما جَرَيْتُ إليه ،
واقْتَصَرْتُ في هذا الكتابِ عليه ، لِمُلْحِ أوردتها كَنَوَافِثِ السَّحْرِ (٢) ؛ وَقَفِرَ نَظْمُهَا
كَالْفَنَى بعدَ القَفْرِ ، من ألفاظِ أهلِ العَصْرِ ، في محلِّولِ النثرِ ، ومعقودِ الشعرِ ؛
وفيهم من أدركتهُ بَعْمُرَى ، أو لحقه أهلُ دَهْرِي ؛ ولهم من لطائفِ الابتداعِ ،
وتوليداتِ الاختراعِ ، أبكارٌ لم تَقَرَّعْهَا الأَسْمَاعُ (٣) ، يُضْبُو إليها القلبُ والطَّرْفُ ،
ويَقْطُرُ منها ماءُ المَلَّاحَةِ والطَّرْفِ ، وتمتزجُ بأجزاءِ النفسِ ، وتسترجعُ نَافِرَ الأُنْسِ ،
تَحَلَّاتٌ تَضَاعِيفُهُ ، ووَشَّحَتْ تَأْلِيفُهُ ، وطرزتُ دِيبَاجَهُ ، وِرْصَعَتْ تَاجَهُ ، ونَظَّمَتْ
عَقودَهُ ، وِرْقَمَتْ بُرُودَهُ ؛ فنورُها يَرِفُ ، ونورُها يَشِفُ ، في رِوضٍ من الكَلِمِ
مُوتِقٍ ، وروثِقٍ من الحِكمِ مشرِقٍ :

صفا ونَفَى عنه القَدَى فكانَهُ إذا ما استشَفَّته العيونُ مصَعَدٌ (٤)
فهو كما قلت :

بَدِيعُ نَشْرِ رَقِّ حَتَّى غَدَا يَجْرِي مع الرُّوحِ كما تجرِي
من مُذْهَبِ الوَشْيِ على وجهِهِ دِيبَاجَةٌ لَيْسَتْ مِنَ الشَّعْرِ (٥)
كَرْهَرَةَ الدُّنْيَا وقد أَقْبَلَتْ تَرُودُ في رَوَاقِهَا النَّضْرُ (٦)
أو كالنَّسِيمِ الغُضِّ غَبَّ الحَيَا يَحْتَالُ في أَرْدِيَةِ الفَجْرِ (٧)
ولعل في كثيرٍ مما تَرَكْتُ ، ما هو أجودُ من قليلٍ مما أدركتُ ؛ إذ كان اقتصاراً
من كلِّ على بَعْضِ ، ومن فَيُضِّ على بَرَضِ (٨) ؛ ولكنني اجتهدتُ في اختيارِ

(١) لا يخلِّقه : لا يذهب بجدته وروثقه (٢) الملح : جمع ملحَة ، وهي الكلمة
المستملحة المستعذبة . والنه افث : جمع نافثة ، وهي الساحرة (٣) افترع البكر : فض بكارتها

(٤) تصعد : ارتفع (٥) وشى مذهب : مطرز بالذهب

(٦) ترود : تحتال (٧) غب الحيا : عقب المطر (٨) فيض : كثير ، وبرض : قليل

ما وجدت ؛ وقد تدخل اللفظة في سماعه اللفظ، ويمرُّ البيت في خلال الأبيات،
وتعرض الحكاية في عرض الحكايات، يتمُّ بها المعنى المراد، وليست مما يُستَجاد،
ويبعث عليها قرط الضرورة إليها [في إصلاح خلل]؛ فهما تره من ذلك في هذا
الاختيار، فلا تعرض عنه بطرف الإنكار؛ وما أقل ذلك في جميع المسالك الجارية
في هذا الكتاب، الموسوم بـ «زهر الآداب، وثمر الأبواب» لكنني أردت أن أشارك
من يخرج من ضيق الاعتزاز، إلى فسحة الاعتذار:

ويسىء بالإحسان ظناً، لا كمن يأتيك وهو بشعره مفتون^(١)
والله المؤيد والمسدد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

[إنَّ من البيان لسِحراً]

روى عن عبد الله بن عباس - رضوان الله عليهما! - قال:

وقد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيرقان بن بدر وعمرو بن الأهم؛

فقال الزبيرقان: يا رسول الله! أناسيدُ تميم، والمطاعُ فيهم، والحجابُ منهم، آخذُ
لهم بحقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك - يعني عمراً.

فقال عمرو: أجل يا رسول الله؛ إنه مانعٌ لحوزته^(٢)، مطاعٌ في
عشيرته، شديد العارضة فيهم^(٣).

فقال الزبيرقان: أمّا إنه والله قد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدني شرفي!

فقال عمرو: أمّا لئن قال ما قال؛ فوالله ما علمته إلا ضيق العطن^(٤)، زمر

المروءة^(٥)، أحمق الأب، لثيم الخال، حديث الغني.

(١) هكذا حور المؤلف البيت، وهو لأبي تمام، ونصه في الأصل:

ويسىء بالإحسان ظناً لا كمن هو بانه وبشعره مفتون

(٢) حوزة الرجل: ما يحوزه ويملكه (٣) العارضة: البديهة وقوة الكلام

(٤) العطن: المناخ حول الورد، وضيق العطن: كناية عن البخل

(٥) زمر المروءة - بالراء - أي قليلها، وفي نسخة زمن: أي بالو

الزبيرقان بن
بدر وعمرو بن
الأهم بين يدي
رسول الله

فَرَأَى الْكِرَاهَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا اخْتَلَفَ قَوْلُهُ ؛
 قَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ رَضِيْتُ قَقَلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، وَغَضِبْتُ قَقَلْتُ أَقْبَحَ
 مَا عَلِمْتُ ، وَمَا كَذَبْتُ فِي الْأُولَى ، وَلَقَدْ صَدَّقْتُ فِي الثَّانِيَةِ !

قَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا ، وَإِنَّ مِنَ
 الشَّعْرِ لِحِكْمَةً . وَيُرْوَى لِحِكْمًا ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ .

وَالَّذِي رَوَى أَهْلُ الثَّبَاتِ ، مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَدِيمٌ رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ
 فُخْطَبَا ؛ فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا ؛ قَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ مِنَ
 الْبَيَانِ لِسِحْرًا ، أَوْ إِنْ مِنْ بَعْضِ الْبَيَانِ لِسِحْرًا ^(١) .

ترجمة عمرو
 ابن الأَهم

وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْمِ هُوَ : عَمْرُو بْنُ سِنَانِ بْنِ سُمَيٍّ [بْنِ سِنَانِ بْنِ خَالِدِ]
 ابْنِ مَنقَرِ ابْنِ عُبَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَالْحَارِثُ هُوَ : مُقَاعَسُ بْنُ عَمْرُو بْنِ كَعْبِ
 ابْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ . وَسُمِّيَ سِنَانُ الْأَهْمِ لِأَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمِ الْمَنقَرِيَّ
 سَيِّدَ أَهْلِ الْوَبَرِ ضَرَبَهُ بِقَوْسِهِ فَهَتَمَ فَاهُ . هَذَا قَوْلُ أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ
 ابْنِ قَتَيْبَةَ . وَقَالَ غَيْرُهُ : بَلْ هَتَمَ فُوهَ يَوْمَ الْكَلَابِ الثَّانِي ، وَهُوَ يَوْمٌ كَانَ
 لِبَنِي تَمِيمٍ عَلَى أَهْلِ الْبَيْنِ . وَكَانَ عَمْرُو يُلقَبُ الْمَكَجَّلَ لِجَمَالِهِ ، وَبَنُو الْأَهْمِ أَهْلُ
 بَيْتِ بِلَاغَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ . وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنِ الْأَهْمِ هُوَ جَدُّ خَالِدِ
 ابْنِ صَفْوَانَ وَشَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ . وَكَانَ يُقَالُ : الْخُطَابَةُ فِي آلِ عَمْرُو ، وَكَانَ شَعْرُهُ
 حُمْلًا مَنْشَرَةً عِنْدَ الْمُلُوكِ تَأْخُذُ مِنْهُ مَا شَاءَتْ . وَهُوَ الْقَائِلُ :

ذَرِينِي فَإِنَّ الْبَخْلَ يَا أُمَّ مَالِكٍ لِصَالِحِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ سَرُوقٌ
 لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا وَلَكِنْ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضْيِيقٌ ^(٢)

ترجمة الزبرقان
 ابن بدر

وَالزَّبْرَقَانُ : اسْمُهُ حُصَيْنُ بْنُ بَدْرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ [بْنِ الْحَارِثِ]

(١) أَنْظَرَ الْقِصَّةَ كَمَا رَوَاهَا أَوْلَا فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِيِّ (٦/١ بُولَاق) (م)

(٢) هَذَا الْبَيْتُ وَرَدَ أَيْضًا فِي آيَاتِ بَشَارِ التِّي مَطْلَعُهَا :

خَلِيلِي إِنْ الْعَسْرُ سَوْفَ يَفِيقُ وَإِنْ يَسَارًا فِي غَدِّ خَلْقِي

بِهَدَلَةَ بن عوف بن كعب بن سعيد . وسى الزَّبْرَقان لجماله ؛ والزَّبْرَقان : القمر [قبل تمامه] وقيل : لأنه كان يُزْبَرِقُ عمامته ، أي يصفرها في الحرب .
وكانوا يسمون الكلام الغريب « السَّحْرُ الحلال » ، ويقولون : اللفظ الجميل من إحدى النَّفَثَاتِ في العَقْدِ (١) .

وذكر بعضُ الرُّوَاةِ أنه لما اسْتُخْلِيفَ عمرُ بنُ عبد العزيز رضي الله عنه قدِمَ عليه وفودُ أهلِ كلِّ بلدٍ ؛ فتقدم إليه وفدُ أهلِ الحِجَازِ ، فأشْرَبَ منهم غلامٌ للكلام (٢) ، فقال عمر : يا غلام ! ليتكلمَ مَنْ هو أَسَنُّ منك ! فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ! إنما المرءُ بأضعفِ قلبه ولسانه ، فإذا منحَ اللهُ عبده لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاد له الاختيار ؛ ولو أن الأمور بالسَّنِّ لكان هاهنا مَنْ هو أحقُّ بمجلسك منك .

فقال عمر : صدقت ، تكلم ؛ فهذا السَّحْرُ الحلال ! فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة (٣) ، ولم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة ؛ لأننا قد آمنّا في أيامك ما خفنا ، وأدركنا ما طلبنا !

فسأل عمر عن سنِّ الغلام ، فقيل : عشر سنين .

وقد روى أن محمد بن كعب القرظي كان حاضراً ، فنظر وجه عمر قد تهلّل عند ثناء الغلام عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لا يغلبنَّ جهلُ القوم بك معرفتك بنفسك ؛ فإن قوماً خدعهم الثناء ، وغرهم الشكر ، فزلت أقدامهم ، فهووا في النار (٤) . أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقك بسالف هذه الأمة ؛ فبكي عمر حتى خيفَ عليه ، وقال : اللهم لا تخلنا من واعظ !

(١) النفثات : جمع نفثة ، وهي أن تتفل الساحرة بريقها على ما تعقده ، وفي

نسخة « النفثات » جمع نفائة وهي الساحرة نفسها (م) (٢) اشْرَبَ : تطلع

(٣) المرزك : الاستجداء وطلب النوال (٤) هووا : سقطوا ، من هوى يهوى على

وزن ضرب يضرب ، بخلاف هوى يهوى على وزن علم يعلم فإنه بمعنى أحب

عمر بن
عبد العزيز
غلام يتقدم
وقد قومه

وقد رُوي أن عمر قال للغلام: عِظْنِي، فقال هذا الكلام، وفيه زيادة بسيرة وتقصير.
وأخذ قولَ عمر: «هذا السحر الحلال» أبو تمام فقال يعاتب أبا سعيد
محمد بن يوسف الطائي:

إذا ما الحاجة انبَعَثَتْ يَدَاها جَعَلْتَ الْمَنْعَ مِنْكَ لَهَا عَقَالًا
فأين قصائدُ لي فيكَ تَأْبِي وتأنفُ أنْ أَهَانَ وَأَنْ أَذْأَلَا
هي السِّحْرُ الحلالُ الْمُجْتَلِيه ولم أرَ قَبْلَهَا سِحْرًا حَلَالًا

وكتب أبو الفضل بن العميد^(١) إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب ورد إليه من ابن العميد
لبعض إخوانه [فأحمده] :

وَصَلَّ مَا وَصَلْتَنِي بِهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، مِنْ كِتَابِكَ ، بَلْ نَعْمَتِكَ التَّامَّةُ ،
وَمُنَّتِكَ الْعَامَّةُ ؛ فَقَرَّرْتُ عَيْنِي بِوَرُودِهِ ، وَشَفِيتُ نَفْسِي بِوَفُودِهِ ، وَنَشَرْتُه فَحَكَي
نَسِيمَ الرِّيَاضِ غَبَّ الْمَطَرِ ، وَتَنَفَّسَ الْأَنْوَارِ^(٢) فِي السِّحْرِ ، وَتَأَمَّلْتُ مُفْتَتِحَهُ ، وَمَا
اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ لَطَائِفِ كَلِمِكَ ، وَبَدَائِعِ حِكْمِكَ ؛ فَنَوَّجْتُهُ قَدْ تَحَمَّلَ مِنْ فَنُونِ
الْبَرِّ عَنكَ ، وَضُرُوبِ الْفَضْلِ مِنْكَ ، جِدًّا وَهَزْلاً ، مَلَأَ عَيْنِي ، وَعَمَرَ قَلْبِي ، وَغَلَبَ
فِكْرِي ، وَبَهَّرَ لُبِّي ؛ فَبَقِيْتُ لَا أَدْرِي : أَسْمُوطُ ذَرٍّ خَصَّصْتَنِي بِهَا ، أَمْ عَقُودُ
جَوْهَرٍ مَنَحْتَنِيهَا ؟ كَمَا لَا أَدْرِي أَبْكَرًا زَفَقْتَهَا فِيهِ ، أَمْ رَوْضَةٌ جَهَّزْتَهَا مِنْهُ ؛
وَلَا أَدْرِي أَخْدُودًا ضُرِّجَتْ حَيَاءً ضَمَّنْتَهُ ؛ أَمْ نَجُومًا طَلَعَتْ عِشَاءً أَوْدَعْتَهُ ؛ وَلَا أَدْرِي
أَجْدُكَ أْبْلَغَ وَالْطَفِّ ، أَمْ هَزْلَكَ أَرْفَعُ وَأُظْرَفُ ؛ وَأَنَا أَوْكَلُ بِتَنْبُحِ مَا أَنْطَوَى
عَلَيْهِ نَفْسًا لَا تَرَى الْحِظَّ إِلَّا مَا اقْتَلَنَتْهُ مِنْهُ ، وَلَا تَعُدُّ الْفَضْلَ إِلَّا فِيمَا أَخَذَتْهُ عَنْهُ ،
وَأَمْتَعَتْ بِتَأَمُّلِهِ عَيْنًا لَا تَقْرَأُ إِلَّا بِمِثْلِهِ ، مِمَّا يَصُدُّرُ عَنِ يَدِكَ ، وَيَرِدُ مِنْ عِنْدِكَ ،
وَأَعْطِيهِ نَظْرًا لَا يَمْلَهُ ، وَطَرَفًا لَا يَطْرِفُ دُونَهُ ، وَأَجْعَلُهُ مِثْلًا أَرْتَسِمُهُ وَأَحْتَدِيهِ ،

(١) كان ابن العميد إمام الكتاب في عصره حتى قيل فيه «بدئت الكتابة بعبد الحميد ،
وختمت بابن العميد» . توفي سنة ٣٦٩ بعد أن تولى كثيرا من المناصب العالمة

(٢) الأنوار : جمع نور - بفتح النون - وهو نوار الزهر

وأمتع خلقى بروّاقه ، وأغذّى نفسى ببهجنه ، وأمزج قريحتي برقته ، وأشرح صدري بقراءته ، ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزاً ، وفي تعديد ما ذكرته متخلفاً ؛ لقد عرفت أنه ما سمعت به من السّحرِ الحلال .

من وصف
الكلام بالسحر

وقال بعض المحدثين يمدح كاتباً :

وَإِذَا جَرَى قَلَمٌ لَهُ فِي مُهْرَقٍ عَجَلَانِ فِي رَفَلَانِهِ وَوَجِيفِهِ (١)
نظمت مراشفه قلائدَ نظمتُ بنفيسِ جوهرٍ لفظه وشريفه

بِدُعَاً مِنَ السَّحْرِ الْحَلَالِ تَوَلَّدَتْ عَنْ ذَهْنٍ مَسْقُولِ الذِّكَاءِ مَشُوفِهِ (٢)
مثلاً لضاربه وزادَ مُسَافِرٍ جُعِلَتْ وَتَحْفَةَ قَادِمٍ لِأَلَيْفِهِ

وصف رجل
محبوب

وعلى ذكر قوله «وتحفة قادم» قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وصف رجل رجلاً فقال : كان والله سمحاً سهلاً ، كما بينه وبين القلوب نسب ، أو بينه وبين الحياة سبب ، إنما هو عيادة مريض ، وتحفة قادم ، وواسطة عقد .

عود إلى وصف
الكلام بالسحر

وأخذ بعضُ بنى العباسِ رجلاً طالبياً ، فهمَّ بعقوبته ، فقال الطالبى : والله لولا أن أفسد ديني بفساد دنياك لملكْت من لسانى أكثر مما ملكت من سوطك ، والله إن كلامى لَفَوْقَ الشعرِ ، ودون السّحرِ ، وإن أيسره ليثقبُ الخردل ، ويحطّ الجُنْدُل .

وقال على بن العباس (٣) يصفُ حديثَ امرأةٍ :

وَحَدِيثُهَا السَّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ (٤)
إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلِّلْ ، وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْحَدَّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزْ
شَرَكُ الْعُقُولِ ، وَنَزْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِمَطْمَئِنِّ ، وَعُقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِزِ (٥)

(١) المهرق بفتح الراء : الصحيفة ، والجمع مهارق — عجلان : مسرع — الرفلان :

السير في تبختر — والوجيف : السير السريع (٢) المشوف : المحلوه

(٣) هو ابن الرومى المتوفى سنة ٢٨٣ (٤) المتحرز : المتحفظ (٥) الشرك : الفخ — العقلة

العقال ، المستوفز : المستعجل — والشاعر يذكّر أن حديث هذه المرأة نزهة للمطمئن وعقال لمن يهيم بالانصراف .

ألمّ في بيته الآخر بقول الطائي :

كواعب أتراب لغيداء أصبحت وليس لها في الحسن شكلٌ ولا ترُب (١)

لها منظرٌ قيّد النواظر لم يزل يروح ويغدو في خفّارته الحُب (٢)

وأول من استثار هذا المعنى امرؤ القيس بن حُجر الكندي في قوله :

وقد أغندى والطير في وكنّاتها بمنجرد قيّد الأوابد هيكل (٣)

وقالت عليّة بنت المهدي :

اشرب على ذكر الغزال الأغيد الحلو الدلال

اشرب عليه وقل له : يا غلّ ألباب الرجال (٤)

عليّة بنت
المهدي أخت
الرشيد

وكانت عليّة لطيفة المعنى ، رقيقة الشعر ، حسنة مجارى الكلام ، ولها
أحسانٌ حسانٌ ، وعَلِقَتْ بغلام اسمه « رشأ » وفيه تقول :

أضحى القواد بزينا عبناً كثيباً مُتعباً

فَجَعَلَتْ زَيْنَبَ سُرَّةً وَكَتَمْتُ أَمراً مُعجِبا

[قولها : بزيب تريد برشأ] .

فُنمى الأمر إلى أخيها الرشيد ، فأبعده ، وفيل : قتله ، وعَلِقَتْ بعده بغلام
اسمه « طلّ » ، فقال لها الرشيد : والله لئن ذكّرته لأقتلنك ! فدخل عليها يوماً

(١) الكواعب : جمع كاعب ، وهي الفتاة تكعب ثديها : أي ، تتأ كالكعب ،
أتراب : خديبات ، وتاربت الفتاة : خادتها ، قال كثير :

تتارب بيضا إذا استلعبت كأمّ الأطباء ترف الكباتنا

وقد يراد بالأتراب الشبهات في السن والحسن — والغيداء : الناعمة

(٢) قيد النواظر : هوللنواظر كالقيد — الحفارة : الحماية (٣) الوكنات : جمع
وكنة ، وهي العش ، والمنجرد : الفرس سقط شعره من الضمور ، والأوابد : الوحوش
النافرة ، والهيكّل : الضخم (٤) الغلّ : هو الطوق يوضع في عنق الأسير

على حين غفلة وهي تقرأ : فإن لم يُصِبها وابلٌ فما نهى عنه أمير المؤمنين ، فضحك ،
وقال : ولا كلِّ هذا ، وهي القائلة :

يا عاذلي قد كنتُ قبلكِ عاذلاً حتى ابتليتُ فصرتُ صباً ذاهلاً
الحب أول ما يكون مجانةً فإذا تحكمتُ صار شغلاً شاغلاً^(١)
أرضى فيغضبُ قاتلي فتعجبوا يرضى القاتلُ ولا يرضى القاتلاً]

وهي القائلة :

وُضع الحبُّ على الجُور ، فلو أنصف المشوق فيه لَسُمِحَ^(٢)
[وقليلُ الحبِّ صرفاً خالصاً لك خير من كثير قد مرَّ جُ]
ليس يُستَحَسَنُ في نَعْتِ الهوى عاشق يُحسِنُ تأليفَ الحُجَجِ
وكانها ذهبت في الأول إلى قول العباس بن الأحنف :

أشبه الشعرية
بنت المهدي

وأحسنُ أيام الهوى يومك الذي تُروِّع بالهجران فيه وبالعتبِ
إذا لم يكن في الحبِّ سُخْطٌ ولا رضاءً فأين حلاواتُ الرسائلِ والكتبِ
وقد زاد النميري في هذا فقال :

رَاحَتِي فِي مَقَالَةِ الْعُدَالِ وَشِفَائِي فِي قِيلِهِمْ بَعْدَ قَالَ
لَا يَطِيبُ الْهَوَى وَلَا يَحْسُنُ الْحَبُّ لَصَبٍ إِلَّا بِخَمْسِ خِصَالٍ
بِسْمَاعِ الْأَذَى ، وَعَذَلِ نَصِيحٍ ، وَعِتابٍ ، وَهَجْرَةٍ ، وَتَقَالِ^(٣)
وقال بعض المحدثين :

لولا اطرادُ الصيدِ لم تُكْ لذةٌ فتطاردي لي في الوصالِ قليلاً^(٤)
هذا الشرابُ أخو الحياةِ ومالهُ من لذةٍ حتى يُصِيبَ غليلاً^(٥)

(١) المجانة : العبث (٢) سَمِحَ : قَبِحَ (٣) التقالِي : التباغض

(٤) اطراد الصيد : جريه (٥) الغليل : الظم الشديد

وقال آخر :

دَعِ الصَّبَّ يَصْلِيْ بِالْأَذَى مِنْ حَبِيْبِهِ فَإِنَّ الْأَذَى مِنْ تَحْبٍ سُرُورٍ^(١)
غُبَارُ قَطِيْعِ الشَّاءِ فِي عَيْنِ ذَنْبِهَا إِذَا مَا تَلَا آثَارَهُنَّ ذَرُورٍ^(٢)

وأُشْدُ الْأَصْمَعِيِّ [لجَمِيْلِ بْنِ مَعْمَرِ الْعَذْرِيِّ] (٣) :

لَا خَيْرَ فِي الْحَبِّ وَقَفًّا لَا تَحْرَكُهُ عَوَاضُ الْيَأْسِ أَوْ يَرْتَا حَهُ الطَّمْعُ
لَوْ كَانَ لِي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهَا جَزَعِي لَكُنْتُ أَمْلِكُ مَا آتَى وَمَا أَدَعُ
إِذَا دَعَا بِأَسْمِهَا دَاعٍ لِيَحْرَنْقِي كَادَتْ لَهُ شُعْبَةٌ مِنْ مُهْجَتِي تَقَعُ^(٤)

وهذا البيت كقول علي بن العباس الرومي :

لَا تُكْثِرَنَّ مَلَامَةَ الْعِشَاقِ فَكِفَاهُمْ بِالْوَجْدِ وَالْأَشْوَاقِ
إِنَّ الْبَلَاءَ يَطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ فَإِذَا تَضَاعَفَ كَانَ غَيْرَ مُطَاقِ
لَا تُطْفِئَنَّ جَوَى بَلَوِّمْ ؛ إِنَّهُ كَالرِّيْحِ تُغْرِئِي النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ
ويشبه بيتَ عليِّةِ الآخرِ بيتُ أنشدَ في شعرِ رُوِي لأبِي نَوَاسٍ ، ورواه
قوم لعنان جارية الناطفي^(٥) وهو :

حَلَوُ الْعِتَابِ يَهِيْجُهُ الْإِدْلَالُ لَمْ يَحْلُ إِلَّا بِالْعِتَابِ وَصَالُ
لَمْ يَهْوَ قَطُّ وَلَمْ يُسَمَّ بِعَاشِقٍ مَنْ كَانَ يَصْرَفُ وَجْهَهُ التَّعْدَالُ^(٦)

(١) يصلى : يحترق (٢) الذرور : هو الملح يذر على اللحم والفلفل يوضع على الثريد وهو كذلك الدواء في العين . والمراد أن غبار الشاء في عين الذئب هو كالتوابل توضع على الطعام

(٣) الأصمعي هو عبد الملك بن قريب ، ونسب إلى جده أصمع ، نشأ بالبصرة ، وأخذ عن فصحاء البادية ، واتصل بالرشيد ، وتوفي سنة ٣١٦ (٤) شعبة : قطعة

(٥) الناطفي : رجل من أهل بغداد ، وعنان : شاعرة ماجنة سمعها الرشيد فاشتراها بعد أن غالى بها سيدها ، ولها أخبار كثيرة مع أبي نواس توفيت في نحو سنة ٢٠٠

(٦) التعدال : اللوم ، ومثله العذل

وجميع أسباب الغرام يسيرة
تصف القضيب على الكتيب قناتها
ولرب لابسة فناع ملاحه
كست الحداثة ظرفها وجمالها
وكانها والكأس فوق بنائها
حتى إذا ما استأنست بجديثها
قلنا لها : إن صدقت أقوالها
قولي فليس تراك عين نميمة
وضمير ما اشتملت عليه ضلوعنا

وقد أخذ أبو الطيب المتنبي معنى «قيد الأوابد»، فقال يصف كلباً:
نيل المني وحكم نفس المرسل
كانه من عامه بالمقتل
وقال في بني حمدان:

متصعلكين على كثافة ملكهم
يتقبلون ظلال كل مطهم
أجل الظلم وربقة السرحان
وقال أعرابي يصف فرساً : إنه لدرك الطالب ، ومنجى الهارب ،

وقيد الرهان ، وزين الفناء .

ما قيل في معنى
«قيد الأوابد»

(١) يخال: يترقرق (٢) الجريال: الحجر، يريد الشاعر أن يصف تلك الحسناء
بعدم التحرز في الحديث وقد لعبت برأسها الصهباء .

(٣) التنفل: الثعلب، وفي النسخ القديمة (المثقل) وهو تصحيف (٤) بقراط: من
كبار الأطباء القدماء، والأكل: عرق في اليد (٥) متصعلك: متظاهر بالفقر، والكثافة:
الضخامة (٦) مطهم: مضمرة دقيق الجسم، والظلم: ذكر النعام، والريقة: الرباط،
والسرحان الذئب، والمعنى أنهم يتقبلون ظلال كل جواد في عدوه أجل الظلم وقيد الذئب

وقال بعض أهل العصر في وصف غلام : وَجْهَهُ قَيْدُ الْأَبْصَارِ ، وَأَمْدُ الْأَفْكَارِ ، ونهاية الاعتبار .

وقال أبو القاسم إسماعيل بن عباد^(١) :

وقد أُنْتَدِيَ لِلصَّيْدِ غَدْوَةً أَصِيدُ أَعَاجِلُ فِيهَا الْوَحْشَ وَالْوَحْشُ هُجْدُ^(٢)
 فَعَنَّتْ ظَبْيًا خَفْنَ تَحْتِي مَطْلَقَ الْيَدَيْنِ بِهِ أَيْدِي الْوَحُوشِ تَقِيدُ^(٣)
 فَأَدْرَكْتُهَا وَالسَيْفُ لَمَعَهُ بَارِقٌ وَلَمْ يُغْنِبَهَا إِحْضَارُهَا حِينَ تَجْهَدُ^(٤)
 وَقَدْ رُعْتَهَا إِذْ كَانَ شَعْرِي رَائِعًا وَطَرَفُ مَشِيبِي عَنْ عِدَارِي أَرْمَدُ^(٥)
 وَمَا بَلَغَتْ حَدَّ الثَّلَاثِينَ مُدَّتِي وَهَذَا طِرَازُ الشَّيْبِ فِيهِ يُمَدِّدُ^(٦)

ما يستملح
 مما قيل في
 حسن الحديث

وأبيات ابن الرومي من أجود ما قيل في حسن الحديث ، وقد توسع الشعراء في هذا الباب ، وكثر إحسانهم ، كما كثر افتنانهم ، وسأجرى شأواً في مختار ما قيل في ذلك ، وأعود إلى ما بدأت به .

قال القُطَامِيُّ - واسمه عُصَيْرُ بْنُ شَيْمٍ النُّغَلِيُّ^(٧) ، وسمى القُطَامِيَّ لقوله :

يَحْطُطُّهُنَّ جَانِبًا فِجَانِيَا حَطَّ الْقُطَامِيُّ الْقَطَا الْقَوَارِبَا^(٨)

وقال أبو عبيدة : ويقال للصقر قُطَامِيٌّ وَقَطَامِيٌّ :

وَفِي الْأُنْدُورِ غَمَامَاتٌ بَرَقْنَ لَنَا حَتَّى تَصِيدُنَا مِنْ كُلِّ مُصْطَادٍ
 يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي^(٩)

(١) هو صاحب بن عباد المشهور ، المتوفى ٣٨٥ (٢) الأصيد : من يرفع رأسه كبرا

(٣) عنت : عرضت ، ومطقت يدين : وصف للفرس بالسرعة

(٤) الإحضار : نوع من السير السريع ، وتجهد : تعب (٥) أرمد : كليل البصر ،

يريد أن الشيب لم يسم بصره إلى عذاره

(٦) الطراز : الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجياد

(٧) في النسخ القديمة (الثعلبي) وهو تحريف (٨) القوارب : طالبات الماء

(٩) يتقين : يخفن ، وباد : ظاهر .

- فهنَّ يَنْبِذَنَ مِنْ قَوْلِ يَصِيبَنَّ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي (١)
- وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ التَّمِيرِيُّ ، وَاسْمُهُ الْهَيْثَمُ بْنُ الرَّيِّعِ :
- وَخَيْرُكَ الْوَأَشُونُ أَنْ لَنْ أَحَبَّكُمْ بَلَى وَسُتُورَ اللَّهِ ذَاتِ الْحَارِمِ
- وَإِنْ دَمًا ، لَوْ تَعَلَّمِينَ ، جَنِينَتِهِ عَلَى الْحَى جَانِي مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمِ (٢)
- أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعَلَّمِينَهُ عِزَاءً بِكُمْ إِلَّا ابْتِلَاعَ الْعَلَاقِمِ (٣)
- حَيَاءٌ وَتُقْيَا أَنْ تَشِيْعَ نَيْمَةٌ بِنَاوَبِكُمْ ، أَفَ لِأَهْلِ النَّمَائِمِ (٤)
- أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَرْقَلْتُ إِلَيْهِ الْقَنَا بِالرَّاعِفَاتِ اللَّهَازِمِ (٥)
- وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا ظَلَّ مُسَلِّمًا كَغُرِّ الثَّنَائِيَا وَاضْحَاتِ الْمَلَاغِمِ (٦)
- إِذَا هَنَّ سَاقِطُنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى سُقُوطَ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ كَفِّ نَاطِمِ (٧)

(١) مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنَ الظَّمَانِ : كِنَايَةٌ عَنِ الْأَحْشَاءِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ حَدِيثَهُنَّ يَشْفِي الصَّبَّ الْمَغْرَمَ كَمَا يَطْفِئُ الْمَاءُ لَوْعَةَ الْغَلِيلِ !

(٢) «لَوْ تَعَلَّمِينَ» جَمَلَةٌ مَعْرُضَةٌ ، وَلَوْ هُنَا لَتَمَنَّى (٣) الْعَلَاقِمَ : جَمْعُ عَلَقِمٍ ، وَهُوَ الْخَنْظَلُ وَكُلُّ شَيْءٍ مَرٍ . وَرَوَايَةُ الْمُرْدُ :

أَصْدُ وَمَا الصَّدُّ الَّذِي تَعَلَّمِينَهُ شَفَاءٌ لَنَا إِلَّا اجْتِرَاعَ الْعَلَاقِمِ
وَالاجْتِرَاعُ : مَصْدَرُ اجْتَرَعَ الْمَاءَ أَيْ ابْتَلَعَهُ

(٤) تَقْيَا : خَوْفٌ ، وَرَوَايَةُ الْمُرْدِ بَقِيَا ، وَأَفَ لِأَهْلِ النَّمَائِمِ : تَبَاهَلُمُ !

(٥) أَرْقَلْتُ : أَسْرَعْتُ ، وَالرَّاعِفَاتُ وَالرَّوَاعِفُ : الرِّمَاحُ تَسِيلُ الرَّعَافَ - بَضْمُ الرَّاءِ - وَهُوَ الدَّمُ ، وَاللِّهَازِمُ : الْقَوَاطِعُ ، وَالْمُرْفِدُ لَهْذَمٌ عَلَى وَزْنِ جَعْفَرِ (٦) الْغُرِّ : الْبَيْضُ ، وَالْمَلَاغِمُ : هِيَ طَرَفُ الْأَنْفِ وَمَا حَوْلَهُ إِلَى الشَّفَتَيْنِ ، وَالْوَضُوحُ : الْبَيَاضُ وَالْإِشْرَاقُ ، وَظَلَّ : مِنْ قَوْلِهِمْ دَمٌ مَطْلُولٌ إِذَا مَضَى هَدْرًا . وَأَثْبَتَ هَذَا الْبَيْتَ فِي النُّسخِ الْقَدِيمَةِ هَكَذَا :

وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا ظَلَّ مُسَلِّمًا لَعَرِ الثَّنَائِيَا وَاضْحَاتِ الْمَلَاغِمِ

وَهُوَ تَحْرِيْفٌ . هَذَا وَرَوَايَةُ الْمُرْدِ «وَلَكِنْ لَعَمْرُ اللَّهِ» إِجْحٌ ، وَالْكَافُ فَاعِلٌ «ظَلَّ» فِي قَوْلِهِ «مَا ظَلَّ مُسَلِّمًا كَغُرِّ الثَّنَائِيَا» . (٧) وَقَعَ عَنِ الْمُرْدِ «سُقُوطَ حَصَى الْمَرْجَانِ» (م)

رَمَيْنَ فَأَنْفَذَنَ الْقُلُوبَ ، وَلَا تَرَى دَمًا مَاءً إِلَّا جَوَى فِي الْحِيَازِمِ ^(١)
وقال أيضاً :

حديثٌ - إذا لم تَخْشَ عَيْنًا - كأنه إذا ساقطته الشَّهْدُ أو هو أَطْيَبُ
لو أنك تستشفى به بعد سكرةٍ من الموت كادت سكرة الموت تذهب
إلى هذا ينظر قول الآخر وإن لم يكن منه :

أقول لأصحابي وهم يعذلونني ودمعُ جفوني دأَمُ العَبْرَاتِ
بذكر مَتَى نفسى فبلوا ، إذا دَنَا خروجى من الدنيا ، جُفُوفَ لهاي ^(٢)
وقال سديف مولى بنى هاشم يصفُ نساءً :

وإذا نطقنَ تَخَالُهِنَّ نَوَاطِمًا دُرًّا يُفَصِّلُ لَوْلُؤًا مَكْنُونًا
وإذا ابتسمنَ فإيهنَّ غمامةٌ أو أقحوان الرَّمْلِ بات مَعِينًا ^(٣)
وإذا طَرَفْنَ طرفنَ عن حَدَقِ المَهَا وَفَضَلْنَهِنَّ مَحَاجِرًا وَجُفُونًا ^(٤)
وكأنَّ أجيادَ الطباءِ تَمُدُّهَا وَخُصُورَهِنَّ لَطَافَةً وُلْدُونًا ^(٥)
وأصحُّ ما رأت العيونَ مَحَاجِرًا وَلَهْنًا أَمْرَضُ ما رأيت عيونًا ^(٦)

(١) أنفذن القلوب : من قولهم «رميته فأنفذته» إذا أنفذت فيه السهم . ورواية
المبرد «أفصدن القلوب» بمعنى أصبنا من قولهم أقصدت الرجل إذا طعنته فلم تخطيء مقاتله ،
ومأثر : سائل ، والحيازيم : جمع حيزوم ، وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر
(٢) اللهاة : اللحم المشرقة على الحلق ، وهذا البيتان من الشعر الرائع
(٣) الأقحوان : زهر أبيض تشبه به الثغور الناصع البياض ، والمعين :
المطور ، والمطر يزيد الزهر نضرة .

(٤) طرفن : حركن عيونهن ، والمها : الغزلان (٥) الأجياد : جمع جيد بكسر
الجيم - وهو العنق ، واللدون واللادونة - بضم اللام - الرقة

(٦) اللام في «لهن» لام الابتداء ، والمقصود بها التوكيد ، وفي هذا المعنى يقول جرير :
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا (م)

وَكَاثِمِينَ إِذَا نَهَضْنَ لِحَاجَةٍ
وَقَالَ الطَّائِي (٢) :

تُعْطِيكَ مَنْطِقَهَا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ
وَأَظُنُّ حَبْلَ وَصَالِهَا لِمُحِبِّهَا
أَخَذَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ هَانِي (٣) ، فَقَالَ يَمْدَحُ جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ ، لِأَنَّهُ قَلَبَهُ فَقَالَ :
قَدْ طَيَّبَ الْأَفْوَاهَ طَيْبُ ثَنَانِهِ
وَكَاثِمًا ضَرَبَ السَّمَاءَ سُرَادِقًا
أَرْضًا وَطَيَّبَتْ الدَّرَرَ رَضْرَاضًا بِهَا
لِحَجِّي عُدُوبَتَهُ بَيْرٌ بِشَعْرِهَا
أَوْهَى وَأَضْعَفَ قُوَّةً مِنْ حَضْرِهَا
مِنْ أَجْلِ ذَا نَجْدِ الثُّغُورِ عِدَابًا
بِالزَّابِ ، أَوْ رَفَعَ النُّجُومِ قِيبَابًا (٤)
وَالْمَسْكَ تَرْبًا وَالرِّيَاضَ جَنَابًا (٥)

(١) العقيدات : جمع عقدة ، وهي السفح والكتيب ، ويبرين : اسم مكان من
أصقاع البحرين ، يقول فيه أبو زياد الكلابي .

أراك إلى كَثبان يبرين صبة وهذا العمري لوقعت كتيب
وإن الكتيب الفرد من أيمن الحمي إلى ، وإن لم آته ، لحيب

(٢) نسبه شاذة إلى طيء ، وكلما ذكر « الطائي » فالمراد أبو تمام ، وهو شاعر
فحل من شعراء الدولة العباسية . ولد في جاسم - وهي قرية قريبة من دمشق في سنة ١٩٠
للهجرة ، ونقل صغيراً إلى مصر ، وأقام بهامدة يسقى الماء في جامع عمرو ، ثم رحل
إلى مقر الخلافة بعد أن نبغ في الشعر والأدب ، فاتصل بالمتعمم ووزيره محمد بن الزيات ،
ثم ولاة الحسن بن وهب بريد الموصل فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ . وله ديوان
(٣) محمد بن هاني : من أكبر شعراء الأندلس وأشهرهم . وكان يسمى
« متغبي الغرب » لجزالة شعره وقوة عارضته ، وهو صاحب الكافية المشهورة التي
يقول في مطلعها :

فَكَاتَ لِحَطِّكَ أُمَّ سَيْوْفِ أَيْيِكَ وَكُوُوسِ خَمْرِ أُمِّ مَرَاشِفِ فَيْيِكَ
تُوفِي فِي سَنَةِ ٣٦٢ ، بَعْدَ أَنْ جَابَ كَثِيرًا مِنَ الْأَقْطَارِ وَاتَّصَلَ بِكَثِيرٍ مِنَ الرُّؤَسَاءِ .
أَمَّا جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ فَمَدَّوْحُهُ فَقَدْ تُوُفِيَ فِي سَنَةِ ٣٦٤ .

(٤) الزاب : من أعمال أفريقية (٥) الرضراض : صغار الحصى

وقال الطائي :

بَسَطَتْ إِلَيْكَ بِنَانَةً أَسْرُوعاً تَصِفُ الْفِرَاقَ وَمُقَلَّةً يَنْبُوعاً^(١)
كَادَتْ لِعِرْفَانَ النَّوَى أَلْفَاظُهَا مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى تَكُونُ دُمُوعاً
ومن جيّد هذا المعنى وقديمه قولُ النابغة الذبياني^(٢) :

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ عَبَدَ الْإِلَهَ صَرُورَةً مُتَعَبِدٍ^(٣)
لَرْنَا لِلهَجْتِهَا وَطِيبِ حَدِيثِهَا وَخَالَهٗ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدْ
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرِ السَّلِيمِ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ^(٤)
ومن مشهور الكلام قولُ الآخر :

وَكَنتُ إِذَا مَازَرْتُ سَعْدَى بَارِضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تُطْوِي لِي وَيَدْنُو بَعِيدِهَا
مِنْ ائْتَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسِهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحَدُوتهُ لَوْ تُعِيدُهَا^(٥)
تَحَلَّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقِيْتَهَا وَتُرْمِي بِلَا جُرْمٍ عَلَيَّ حُقُودُهَا^(٦)
وقال بشار :

وَكَأَنَّ رَجْعَ حَدِيثِهَا قَطَعَ الرِّيَاضَ كَسِينِ زَهْرًا
حَوْرَاءَ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ سَقَتَكَ بِالْعَيْنِ خَمْرًا^(٧)
تُنْسِي الْعَوِيَّ مَعَادَهُ وَتَكُونُ لِلْحِكْمَاءِ ذِكْرًا
وَكَأَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَا بَ صَفًا وَوَاقِفٌ مِنْكَ قَطْرًا^(٨)

(١) الأسروع : دود أحمر الرأس تشبه به الأنامل المخضبة (٢) النابغة : شاعر

جاهلي صحب النعمان بن المنذر وأجاد القول في الاعتذار

(٣) الأشمط : من يخالط بياض شعره سواد ، وصرورة ، وصارورة ، وصرور :
لم يتزوج ، للواحد والجمع (٤) العود : جمع عائد ، والمراد أنها تنظر بتكسر وتثور
كما ينظر السقيم إلى وجوه العواد - والمخنوظ «نظر السقيم» وهو نسخة ، وكذلك هو
في ديوانه (م) (٥) الخفرات : من الخمر - بفتحتين - وهو الحياء .

(٦) تحلل : تتحلل وتذوب ، والأحقاد والحقود : جمع حقد ، والجرم : الذنب

(٧) حوراء : من الحور - بفتحتين - وهو شدة بياض العين مع شدة سواد

سوادها (٨) في الأصل «وافق فيه قطراً» والذي اثبتناه أوفق

وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يُنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا
وَتَحَالُ مَا جَمَعَتْ عَلَيْهِ ثِيَابَهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا^(١)

وسمع بشاره قول كثير بن عبد الرحمن^(٢) :

أَلَا إِمَّا لَيْلِي عَصَا خَيْرُ رَانَةٍ إِذَا عَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ
فَقَالَ : قَاتِلِ اللَّهَ أَبَا صَخْرٍ ! يَزْعُمُ أَنَّهَا عَصَا وَيَعْتَدِرُ بِأَنَّهَا خَيْرُ رَانَةٍ ، وَلَوْ قَالَ
عَصَا مُخٍّ ، أَوْ عَصَا زُبْدٍ ؛ لَكَانَ قَدْ هَجَّجَهَا مَعَ ذِكْرِ الْعَصَا ، هَلَا قَالَ كَمَا قُلْتَ
وَدَعَجَاءَ الْمَحَا جِرِ مِنْ مَعَدَّةٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا تَمْرُ الْجَنَانِ^(٣)
إِذَا قَامَتْ لِحَاجَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ رَانَ

وبعد قول كثير : « أَلَا إِمَّا لَيْلِي عَصَا خَيْرُ رَانَةٍ » :

تَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاعَفْتِكَ ، وَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ شَجِي فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ
وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللَّيَانَ فَإِنَّهَا لِأَخْرَجَ مِنْ خُلَانِهَا سَتَلِينَ
وَإِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِحُضُوبِ الْبِنَانِ يَمِينُ
وقال البحترى :

وَلَمَّا التَّقَيْنَا وَاللَّوَى مَوْعِدٌ لَنَا تَعَجَّبَ رَأَى الدَّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً
فَمَنْ لَوْلُو تَجْنِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ
وقال المتنبي :

أُمْنَعِمَةٌ بِالْعَوْدَةِ الظُّبَيْبَةُ الَّتِي بَغِيرَ وَاوَلِيَّ كَانَ نَائِلَهَا الْوَسْمِيُّ^(٤)
تَرَشَّفْتُ فَهَا هَا سِحْرَةٌ فَكَأَنِّي تَرَشَّفْتُ حَرًّا الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظُّلْمِ^(٥)

(١) يصف جسمها بأنه قطعة من الذهب والعرط .

(٢) هو كثير عزة المتوفى في سنة ١٠٥ (٣) دجعاء : حوراء .

(٤) الوسمي : المطر الأول ، والولي : المطر الذي يليه .

(٥) الظلم بفتح الظاء : الثغر ، قال كعب بن زهير :

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظِلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مِنْهَلٍ بِالرَّاحِ مَعْلُولٍ

وفي أساس البلاغة : الظلم كأنه ظلمة تركب متون الأسنان من شدة الصفاه

فتاةٌ تساوى عقدها وكلامها ومبسمها الدررى في النثر والنظم -
 عاد الحديث الأول - قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي :
 تحدثنا يوسف بن يعقوب قال : أخبرني جدّي قراءة عليه ، عن أبي داود ، عن
 محمد بن عبيد الله ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يرفعه إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : « إن من الشعر لحكماً ، وإن من البيان لسحراً » قال أبو القاسم :
 هكذا روينا الخبر ، وراجعت فيه الشيخ ، فقال : نعم ، هو : « إن من الشعر لحكماً »
 بضم الحاء وتسكين الكاف ، قال : ووجهه عندي إذا روى هكذا : إن من
 لشعر ما يلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه ؛ إصابة للمعنى ، وقصدًا للصواب
 في هذا يقول أبو تمام :

ولو لاسبيلٌ سنّها الشعرُ مادري بُغاةُ العلى من أين توثقني المكارم^(١)
 يرى حكمة ما فيه وهو فكاهةٌ ويرضى بما يقضى به وهو ظالمٌ
 انتهى كلام أبي القاسم .

الخطيئة
 وبنو أنف
 الناقة

وقد وجدنا في الشعر أبياتاً يُجرى على رسمها ، ويُتمضى على حكمها ؛ فقد كان
 بنو أنف الناقة إذا ذكروا أحدٌ عند أحد منهم أنف الناقة - فضلاً عن أن ينسبهم
 إليه - اشتد غضبهم عليه ؛ فما هو إلا أن قال الخطيئة^(٢) يمدحهم :
 سيرى أماماً فإن الأكثرين حصى والأطيين إذا ما يُنسبون أبا^(٣)

(١) البغاة : الطلاب . وفي الأصل « بغاة الندى » وما أثبتناه أدق .

(٢) هو جرول بن أوس ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، كان سليلط
 للسان لم يكده يسام من هجائه أحد ، وقد سجنه عمر بن الخطاب لذلك ، توفي
 نحو سنة ٣٠ .

(٣) سيرى : أمر من السير للمفردة المؤنثة ، وأمام - بضم الهمزة - مرخم أمامة
 وهو اسم امرأة ، والأكثرين حصى : أى أكثر الناس عدداً ، ومنه قول الأعشى :
 ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكثير (م)

قومٌ إذا عقدوا عقداً لجارهمُ شَدَّوا العِناجَ وشَدَّوا فوقَه الكَرَباً^(١)
 قومٌ همُ الأنفُ والأذُنُ غَيرُهُمُ ومن يَسُوَّى بِأنفِ الناقَةِ الذَّنْبُ
 فصار أحدهمُ إذا سئلَ عن اتِّسابه لم يَبْدَأْ إلا بِهِ

وأنفُ الناقَةِ : هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن زيد مناة بن تميم .
 وكان بنو العَجَلانَ يَفْخَرُونَ بهذا الاسم ، ويتشرفُونَ بهذا الوَسْمِ ؛ إذ كان
 عبدُ الله بن كعب جدَّهُمُ إنما سَمِيَ العَجَلانَ لتعجيله القَرَى للضيفان ؛ وذلك أن
 حياً من طيء نزلوا به ، فبعث إليهم بِقَرَاهمَ عبداً له ، وقال له : أعجَلْ عليهم ،
 ففعل العبدُ ، فأعتقه لعجلته ، فقال القوم : ما ينبغي أن يسمى إلا العَجَلان ؛ فسمى
 بذلك ؛ فكان شرفاً لهم ، حتى قال النجاشي ، واسمه قيس بن عمرو بن حرن
 ابن الحارث بن كعب يهجوهم :

بنو العجلان
والنجاشي
الحارثي

أولئك أحوالُ اللَّعينِ وأسرَةُ الهَجِينِ ورهطُ الواهِنِ المتذللِ^(٢)
 وما سُمِّي العَجَلانَ إلا لقولِهِ خَذِ القَعْبَ وأحلب أيها العبدوا عجل

فصار الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال : كعبي ، ويكنى عن العجلان
 وزعمت الرواة أن بني العجلان استعدوا^(٣) على النجاشي - لما قال هذا الشعر - عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه ، وقالوا : هَجَانَا ، قال : وما قال فيكم ؟ فأشدوه قوله :

إذا اللهُ عَادَى أهلَ لؤمٍ وورِقَةٍ فعَادَى بنِي العَجَلانِ رهطَ ابنِ مُقبِلِ
 فقال : إنَّ الله لا يُعَادَى مسلماً ، قالوا : فقد قال :

قَبِيلَةٌ لا يَغْدِرُونَ بِدِمَّةٍ ولا يَظَاهِمُونَ الناسَ حَبَّةَ خَرَدَلِ^(٤)

- (١) العناج : جبل الدلو وزمام الناقة . والكرب أيضاً : من جبال الدلو ، والمراد
 أنهم إذا عقدوا عقداً ربطوه بجبل بعد جبل ، وهذا كناية عن وثاقة العهد
 (٢) الأسرة والرهط بمعنى القوم ، والمهجين : غير الشريف ، والواهين : الضعيف
 (٣) استعانوا واستصروا (٤) قبيلة تصغير : قبيلة ، وفي الأصل قبيلته وهو تحريف ؛
 والمعنى أنهم لا يقدرُونَ لضعفهم على ظلم أحد .

فقال : وددت أن آل الخطاب كانوا كذلك ! قالوا : فقد قال :

تَعَاثُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لِحَوْمِهِمْ وَتَأْكُلُ مِنْ عَوْفِ بْنِ كَعْبٍ بِنَهْشَلٍ

فقال : كفى ضياعاً من تأكل الكلابُ لحمه ! قالوا : فقد قال :

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَةً إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ مَنَهْلٍ ^(١)

فقال : ذلك أضحى للماء ، وأقل للزحام ! قالوا : فقد قال :

وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِ خَذِ الْقَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ

فقال : سيّد القوم خادِمُهُمْ ! .

وكان عمر رضی الله عنه أعلم بما في هذا الشعر، ولكنه درأ الحدود بالشبهات ^(٢)

وهؤلاء بنو نعيم بن عامر بن صعصعة من القوم أحدُ جمرات العرب بنو نعيم وجرير

وأشرف بيوت قيس بن عيلان بن مضر . وجمرات العرب ثلاثة ؛ وإنما سُموا

بذلك لأنهم متوافرون في أنفسهم ، لم يدخلوا معهم غيرهم ؛ والتجدير في كلام العرب :

التجميع ، وهم : بنو نعيم بن عامر ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة بن أد . ففطنت

جمرتان ، وهما بنو ضبة لأنها حالفت الرباب ، وبنو الحارث لأنها حالفت مدحج ، جمرات العرب

و بقيت نعيم لم تحالف ؛ فهي على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم إذا قيل له :

مَنْ أَنْتَ ؟ قال : نيمري كما ترى ! إِدْلَالاً بِنَسْبِهِ ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير

ابن [عطية بن] الخَطَطِيِّ لِعُبَيْدِ بْنِ حُصَيْنِ الرَّاعِي أَحَدِ بَنِي نَيْمِرِ بْنِ عَامِرٍ :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَيْمِرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا

كعب و كلاب : ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ فصار الرجل منهم إذا قيل له :

مَنْ أَنْتَ ؟ يقول : عامري ، ويكنى عن نيمر .

ومرّت امرأة بقوم من بني نيمر، فأحدّوا النظر إليها ، فقال منهم قائل : والله

(١) يريد أنهم لا يستطيعون ورود الماء إلا إذا انصرف عنه الناس — وذلك

كناية عن ضعفهم وعدم قدرتهم على المزاخرة للوصول إلى الماء (م)

(٢) هذا الحديث رواه ابن رشيقي في العمدة بشيء من التفصيل فليراجع هناك .

إنها لرشحاء^(١)، فقالت: يا بني نمير، والله ما امتثلتم في واحدة من اثنتين، لا قول الله عز وجل: (قُلْ لِلَّهِ الْمُؤْمِنِينَ يَفْعُؤا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ولا قول الشاعر:

* فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ *

وساير شريك بن عبدالله النميري يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، فبرزت بغلة شريك^(٢)، فقال له يزيد: غَضَّ من لجامها، فقال: إنها مكتوبة أصاح الله الأمير! فضحك، وقال: ما ذهبت حيث أردت

وإنما عرض بقوله: « غَضَّ من لجامها » بقول جرير:

* فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ *

فعرض له شريك بقول ابن دارة:

لا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ وَاکْتَبَهَا بِأَسْتَارِ^(٣)

و بنو فزارة يرمون بآتيان الإبل، ولذلك قال الفرزدق ليزيد بن عبد الملك ابن هبيرة لما ولي عمر بن هبيرة^(٤) العراق:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنْتَ مَرَّةٌ
أَوْلَيْتَ الْعِرَاقَ وَرَأْفِدِيهِ
لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرِكِي قَلْوَصِ^(٥)
لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرِكِي قَلْوَصِ^(٦)

(١) رشحاء: كثيرة العرق، وذلك من عيوب النساء.

(٢) برزت: سبقت (٣) اكتبها: مأخوذ من الكتابة - بضم الكاف وسكون التاء - وهو سير يكتب به حياء الناقة لئلا ينزى عليها. وكتب الناقة يكتبها - بكسر التاء وضمها في المضارع - ختم حياءها.

(٤) عمر بن هبيرة الفزاري: أمير من الدهاة الشجعان، وولاه عمر بن عبدالعزيز الجزيرة، فأقام فيها إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك، فولاه إمارة العراق وخراسان، توفي نحو سنة ١٩٠ (٥) أخذ: مقطوع، ومقطوع يد القميص كناية عن السارق (٦) القلوص: الناقة، والحواف على وركي الناقة كناية عن الخوف عليها من أن يأتيها الفزاري!

تَفِيهَقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمَثْنَى وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْلَ الْحَبِيصِ^(١)
الرافدان : دجلة والفرات .

نميرى يجيب
جريرا

وقال بعض النميريين يجيبُ جريراً عن شعره :

نميرٌ جـمـرةُ العربِ التي لم تزل في الحرب تلتهب التهايا
وإني إذ أسبُّ بها كليباً فتحت عليهم للبخسفِ بابا
ولولا أن يقال هجاء نميراً ولم يسمع لشاعرهم جوا بابا
رغبنا عن هجاء بني كليب وكيف يشاتم الناس الكلابا

فما نفع نميراً ، ولا ضرر جريراً ، بل كان كما قال الفرزدق :

ما ضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتها أم بُلَّتْ حيث تناطَحَ البخرانِ

وقال أبو جعفر محمد بن منذر مولى بني صبير بن ربوع في هجائه لثقيف :

وسوف يزيدكم ضعةً هجائي كما وضع الهجاء بني نمير

وسمع الراعي^(٢) منشداً ينشد :

وعاوى عوى من غير شىء رميته

خرُوجِ بأفواه الرؤاة كأنها قرى هندوانى إذا هز صمما^(٤)

عنه ، وقال : لمن هذا؟ قيل : لجرير ، قال : لعن الله من يلومنى أن يغلبنى مثل هذا!

وقد بنى الشعر قوم بيتوتاً شريفة ، وهدم لآخرين أبنية منيفة :

فضل الشعر

وما هو إلا القول يسرى فتغندى له غررٌ فى أوجهٍ ومواسم^(٥)

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي^(٦) : سمعت أبا عمرو بن العلاء ورجل يقول :

(١) تفيق : عاش عيشة الترف ، والحبيص : طعام يعمل من التمر والسمن .

(٢) الراعي : هو عبيد بن حصين النميرى ، شاعر خلل كان يفضل الفرزدق على

فهجاء جرير ، واستمر بينهما العداة . توفى نحو سنة ٩٠

(٣) أنفاذ : جمع نفذ بفتحين ، وهو الشق تحذته الطعنة

(٤) الهندوانى : السيف ، والقرى : الشق والصدع ، وصمم : أصاب الفصل وقطعه

(٥) مواسم : جمع ميسم ، وأصله من الوسم ، وأراد به الكى (م)

(٦) كان من أبصر الناس بعلوم اللغة العربية توفى سنة ٣٠٩

إنما الشعر كالميسم^(١). فقال: وكيف يكون ذلك كذلك؟ والميسم يذهب بذهاب الجلد ويُدْرُسُ مع طول العهد، والشعريُّ بَقِيَ على الأبناء بعد الآباء، ما بقيت الأرض والسماء! وإلى هذا نحا الطائي في قوله:

وَأَنى رأيتُ الوَسْمَ في خُلُقِ الفتى هو الوَسْمُ لا ما كان في الشَّعْرِ والجلدِ
وقال عمر رحمة الله عليه: تعلموا الشعر؛ فإن فيه محاسنٌ تُبتغى، ومساوىءٌ تُتقى.
وقال أبو تمام:

مثلَ النَّظامِ إذا أَصابَ فَرِيدا	إنَّ القوافيَ والمِساءيَ لم تَبَزَلْ
في الشعرِ كانَ قلائدًا وعُقودا	هيَ جِوهرٌ نَثَرُ فإن أَلْفَتَهُ
يدعونَ هذا سُودَدًا مجدودا	من أجل ذلك كانت العربُ الألى
جُعِلَتْ لها مَرَرُ القصيدِ قِيودا ^(٢)	وتنَدُّ عندهمُ العِلاءُ إلا إذا

وقال علي بن الرومي:

أرى الشعر يُحْيِي النَّاسَ وَالْمَجْدَ بِالَّذِي تَبْقِيَهُ أَرْوَاحُهُ لَهُ عَطْرَاتُ
وَمَا الْمَجْدُ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدٌ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نَخْرَاتٍ (٣)

[شذور من كلام الرسول]

رجعت إلى ما قطعت ، مما هو أحق وأولى ، وأجل وأعلى ، وهو كلامُ رسول الله
صلى الله عليه وسلم الكريم النَجْرِي (٤) ، العظيم القَدْر ، الذي هو النهايةُ في البيان ،
والغايةُ في البرهان ، المشتمل على جوامع الكلم ، وبدائع الحكيم ، وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أُنَى مِنْ قَرِيْشٍ ، واسترضعت في سعد
ابن بكر! وليس بعضُ كلامه بأولى من بعض الاختيار ، ولا أحقَّ بالتقديم والإيثار ؛
ولكنني أورد ما تبسّر منه في أول هذا الكتاب استفتاحاً ، وتيمناً بذلك واستنجاحاً .

(١) الليسم : المكواة . (٢) المرر : جمع مرة - بكسر الميم - وهي إحكام الفتل ،
وتند : تنفر وتشرّد . (٣) معاهد : أراد الأطلال الدارسة ، والمقصود أن المجد
يفنى ويبلى بلاء الأطلال ما لم يدعمه الشعر . (م) (٤) النجر : الأصل .

وهذه شذوْرٌ من قوله صلى الله عليه وسلم الصريح الفصيح ، العزيز الوَجيز ،
المتضمّن بقليلٍ من المباني كثير المعاني :

قوله للأَنْصار : إنكم لتتقلّون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع .

وقوله عليه الصلاة والسلام : المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم
أدناهم ، وهم يدٌ على مَنْ سِوَاهم . الناسُ كإبلٍ مائةٌ لا تجدُ فيها راحلة . إياكم وخضراء
الدمن^(١) . كلُّ الصيْدِ في جَوْفِ الفِرا^(٢) - قاله لأبي سفيان صخر بن حرب - .
الناسُ معادن ، خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقهوا . المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضا . أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . المنتسب بما
لم يُعطَ كلابس ثوبَي زورٍ . المرأة كالضلع إن رُمّت قوامها كسرت^(٣) ، وإن
دَاريتها استمتعت بها . اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى . مَطْلُ الغنى ظمٌ .
يدُ الله مع الجماعة . الحياءُ شُعبةٌ من الإيمان . مثلُ أبي بكرٍ كالقطر ، أينما وقع
نفعٌ . لا تجعلوني في أعجاز كتبكم كقدح الراكب^(٤) . أربعةٌ من كنوز الجنة :
كتان الصّدقة والمرض والمصيبة والفاقة . جنة الرجل دارُهُ . الناس نيام فإذا
ماتوا انتبهوا . كفى بالسلامة داءً . إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعواهم
بأخلاقكم . ما قلّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى . كلُّ مُيسرٍ لما خُلِقَ له .
اليمين حنثٌ أو مندمة^(٥) . دَعُ ما يريبك إلى ما لا يريك . أنصُرْ أخاك ظالماً كان

(١) الدمن : جمع دمنة ، وهي مربوط الإبل والحيل ينبت فيها النبات فيكون رائع
الخصرة لكثرة الماء والسماد ، وخضراء الدمن : كناية عن المرأة الوسيمة تدرج من
بيت السوء .

(٢) الفِرا : حمار الوحش ، (كل الصيد في جوف الفِرا) مثل ، ومعناه أن من
قال الأمر العظيم كان خليفاً أن ينسى ما سواه مما ينال الناس .

(٣) القوام بالكسر : التقويم (٤) الأعجاز : الأواخر
(٥) الحنث بكسر الحاء : الذنب ، والمعنى أنك حين تقسم تقع بين الذنب والندم

أومظلوماً . احترسوا من الناس بسوء الظن . الذم توبة . انتظار الفرج
عبادة . نعم صومعة الرجل نيته . المستشار معان والمستشار مؤتمن . المرء كثير
بأخيه . إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلأؤها الاستغفار . اليوم الرهان
وغداً السباق ، والجنة الغاية . كل من في الدنيا ضيف ، وما في يديه عارية ،
والضيف مُرتحل ، والعارية مؤداة .

ومن جوامع كده عليه الصلاة والسلام مارواه أهل الصحيح عن علقمة بن
وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن
كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت
هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكناني : سمعت أهل العلم يقولون : هذا
الحديث ثلث الإسلام ، والثلث الثاني ما رواه النعمان بن بشير أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمورٌ مشتهيات ،
فمن تركها كان أوفى لدينه وعرضه ، ومن واقعها كان كالراتع حول الحمى ؛
ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه » (١) .

قال : و [الثلث] الثالث ما رواه مالك [عن] ابن شهاب عن علي
ابن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حُسن إسلام المرء
تركه ما لا يعنيه » .

(١) الحمى : الشيء المحمى المنوع ، والمحارم : جمع محرم بمعنى الحرام ، يعنى أن
المحرمات التي نهى الله ورسوله عنها تشبه الحمى ، فكما أنه لا يجرؤ أحد على الاقتراب
مما يحميه الملوك ينبغي ألا يقرب أحد شيئاً مما حرمه الله ، وفي رواية « فمن تركها
فقد استوثق لدينه وعرضه » (م)

وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعرَ وأثابَ عليه ، ونَدَبَ
حَسَّانَ بنَ ثابتٍ إليه^(١)، وقال : إن الله ليؤيِّده بروح القدس ما نافعَ عن نبيه^(٢) .
ولما انتهى شعرُ أبي سفيانَ بنِ الحارثِ بن عبد المطلبِ إلى النبي صلى الله
عليه وسلم شقَّ عليه^(٣) فدعا عبدَ الله بن رَواحة^(٤) فاستنشدهُ فأنشده فقال : أنت
شاعرٌ كريمٌ ، ثم دعا كعبَ بن مالك فاستنشده فأنشده ، فقال : أنت تُحسِنُ صِفَةَ
الحربِ ، ثم دعا بحسَّانَ بن ثابتٍ فقال : أجبْ عني ، فأخْرَجَ لسانه فضرب به
أرنبته^(٥) ؛ ثم قال : والذي بعثك بالحق ما أحبُّ أن لي به مَقُولًا في معدٍّ ؛
ولو أن لسانا فرى الشعرَ لفرَّاه^(٦) . ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يَمَسَّ من أبي سفيانَ ، فقال : وكيف ، وبينى وبينه الرَّحِمِ التي قد علمت ؟ فقال :
أَسَلُّكَ منه كما تُسَلُّ الشَّعْرَةَ من العجيين ! فقال : اذهب إلى أبي بكر ، وكان أعلمَ
الناسِ بأنسابِ قريش ، وسأترُ العرب ، وعنه أخذ جُبَيْرُ بن مُطْعِمِ علم النسب ،
فمضى حسانُ إليه فذكر له معايبه ، فقال حسانُ بن ثابت :

وإن سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
 وَمَنْ وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْهُمْ
 بَنُو بِنْتِ مَخْرُومٍ وَوَالِدِكَ الْعَبْدُ
 كَرَامٌ، وَلَمْ يَقْرُبْ عَجَائِزَكَ الْمَجْدُ (٧)
 وَلَكِنْ لَيْتِمُ لَا يَقُومُ لَهُ زَنْدٌ (٨)
 وَإِنَّ امْرَأً كَانَتْ سُمِّيَةَ أُمَّهُ
 وَسَمَاءٌ مَغْمُوزٌ إِذَا بَلَغَ الْجَهْدُ (٩)
 وَأَنْتَ زَيْنٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ
 كَمَا نَيْطَ خَلْفِ الرَّابِكِ الْقَدْحِ الْفَرْدُ (١٠)

- (١) ندب : دعا (٢) نافع : دافع (٣) شق عليه : عظم عليه (٤) عبد الله بن رواحة : صحابي يعد في الأمراء والشعراء الراجزين ، كان يكتب في الجاهلية ، شهد العقبة وبردرا وأحدا . واستخلفه النبي على المدينة في إحدى غزواته . توفي سنة ٨ .
- (٥) الأرنبة : طرف الأنف (٦) يفرى الشعر : يمحوه ، ومحو الشعر : كناية عن غاية الإيذاء (٧) العجائز : جمع عجوز (٨) الزند : موصل طرف الذراع في السكف (٩) الجهد : التعب . وبلوغه : شدته ، وهذا كناية عن السعي للمجد ، والمغموز : الحامل (١٠) زينم : دعى معلق بمن ليس منه ، ونيط بكسر النون : علق

فلما بلغ هذا الشعر أباسفيان قال : هذا كلامٌ لم يغب عنه ابنُ أبي قحافة^(١) يعني يبنى بنت مخزوم عبد الله وأباطالب والزبير بنى عبد المطلب بن هاشم [بن عبد مناف] ، أمُّهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وأخواتهم برة وأميمة والبيضاء ، وهى أم حكيم ، والبيضاء جدّة عثمان بن عفان أم أمه وقوله : « ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام » يعني أميمة وصفية أم الزبير بن العوام أمها هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة
 وقوله : « ولست كعباس ولا كابن أمه » أمُّ العباس : تيلة امرأة من النعمان ابن قاسط ، وأخوه لأمه ضرار بن عبد المطلب
 وقوله : « وإن امرأة كانت سمية أمه » سمية أم أبي سفيان ، وسمراء : أم أبيه وليس هذا موضع إطناب في رفع الأنساب .
 وكان عبدُ الأعلى بن عبد الرحمن الأموى عتبَّ على بعض ولد الحارث فقال له مُعرِّضاً بما قال حسان :

إِخَالٌ بِالْعَمِّ وَبِالْجُدِّ مَفْتَخِرًا بِالْقَدَحِ الْفَرْدِ^(٢)
 التَّهَجُّ بِجَسَّانٍ وَأَشْعَارِهِ فَإِنَّمَا أَدْعَى إِلَى الْمَجْدِ
 لَوْلَا سَيْوْفُ الْأَزْدِ لَمْ تَوْمَنُوا وَلَمْ تَقِيمُوا سُورَةَ الْحَمْدِ
 فتوعَّدوه ، فخافهم ، فقال :

بَنِي هَاشِمٍ عَفَوْا عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ وَإِن كَانَ ثَوْبِي حَشْوُ ثَنِيهِ مُجْرِمُ^(٣)
 لَكُمْ حَرَمُ الرَّحْمَنِ وَالْبَيْتِ وَالصَّفَا وَجَمْعُهُ وَمَا ضَمَّ الْخَطِيمُ وَزَمَزَمُ
 فَإِنْ قَلَسْتُمْ بَادَهْتَنَا بِعَظِيمَةٍ فَأَحْلَامُكُمْ مِنْهَا أَجْلٌ وَأَعْظَمُ

(١) ابن أبي قحافة : هو أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (م)

(٢) إخال - بكسر الهمزة - أظن ، والمعنى : أظنك مفتخراً بالقدر الفرد

(٣) حشو ثنیه : أراد لابس ثوبه ، كناية عن نفسه ، وهذا مثل قولهم « المجديبير

ترديه ، والوجود حشو ثوبيه » ونحو ذلك (م)

وأسلم أبو سفيان - رحمه الله ! - وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنينٍ ،
 وكان ممسكاً بَعَلْتَهُ حين فرَّ النَّاسُ ، وهو أحد الذين ثبتوا ، وهم - على ما ذكره
 أبو سفيان ابن الحارث
 أبو محمد عبد الملك بن هشام - أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، والعباس ، وأبو سفيان
 ابن الحارث ، وابنه الفضل ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن أم
 أيمن بن عبيد قتل يومئذ ، وبعضُ الناس يعدُّ فيهم قُتِمَ بن العباس ، ولا يعدُّ
 أباً سفيان ، وكان أبو سفيان من أشعر قريش ، وهو القائل :

لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ بَأْنَا نَحْنُ أَجْوَدُهُمْ حِصَانًا
 وَأَكْثَرُهُمْ ذُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا^(١)
 وَأَدْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا

ويروى أن ابن سيرين قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره
 قد شق ناقته بزمامها حتى وضعت رأسها عند مقدمة الرَّحْلِ إذ قال : يا كعبُ
 ابن مالك ! احْدُبْنَا ! فقال كعب :

قَضِينَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ حَقٍّ وَخَيْرٍ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفًا^(٢)
 نَخِيرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُنُّ : دَوْسًا أَوْ تَقِيْفًا

فقال عليه السلام : والذي نفسي بيده لى أشدُّ عليهم من رَشَقِ النَّبْلِ !
 ويقال : إن دَوْسًا أسلمت فرقًا^(٣) من كلمة كعب هذه^(٤) ، وقالوا : اذهبوا فخذوا
 لأنفسكم الأمان من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم !

وقتل النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث ، وكان ممن أسير يوم بدر ،
 النضر
 ابن الحارث

(١) سابغات : طويلة ضافية (٢) أجمنا : أرحنا (٣) فرقًا : خوفًا (٤) كان
 كعب بن مالك جيد الشعر ، حتى قال روح بن زنباع : أشجع بيت وصف به رجل
 ومه قول كعب :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا يوما ، ونلحقها إذا لم تلحق
 وكانت وفاته سنة ٥٥

وكان شديد العداوة لله ولرسوله ، وقتله على بن أبي طالب رضى الله عنه صبراً^(١)
 فعرضت النبي صلى الله عليه وسلم أخته قتيلة بنت الحارث - وفي بعض الروايات
 أن قتيلة أته فأنشدته :

يا راكباً إن الأئيل مظنة
 من صبح غادية وأنت موفق^(٢)
 أبلغ بها ميثاً بأن تحية
 ما إن تزال بها النجائب تعنق^(٣)
 منى إليه وعبرة مسفوحة
 جادت بوا كفيها وأخرى تخنق^(٤)
 هل يسمعي النضر إن ناديت
 إن كان يسمع ميت لا ينطق
 ظلت سيوفه بني أويه تنوشه
 لله أرحام هناك تشق^(٥)
 قسراً يقاد إلى المنية متعباً
 رسف المقيد وهو عان موثق^(٦)
 أمحمد ها أنت صنو كريمة
 في قومها والفحل فحل معرق^(٧)
 ما كان صرك لو مننت وربما
 من الفتي وهو المغيظ المحنق^(٨)
 فالنضر أقرب من قتلت قرابة
 وأحقهم إن كان عتق يعتق
 أو كنت قابل فدية فليقدن
 بأعز ما يغلي به من ينطق

فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لها ودمعت عيناه ، وقال
 لأبي بكر : لو كنت سمعت شعرها ما قتلته .

والنضر هذا هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن
 عبد الدار^(١) . قال الزبير بن بكار^(١٠) : وسمعت بعض أهل العلم يغمز في أبيات
 قتيلة بنت الحارث ويقول : إنها مصنوعة .

(١) صبراً : حبساً (٢) الأئيل : موضع بعينه قتل فيه النضر (م) (٣) تعنق : من
 العنق ، بفتحين ، وهو السير الخثيث (٤) الواكف : الدائم الجريان (٥) تنوشه : تناه
 بالطنن (٦) قسراً : قهراً ، والرسف : مشى المقيد ، عان : أسير ، موثق : مقيّد (٧) يروي
 «ولأنت ضيء» وصنو : ابن ، معرق : أصيل (٨) من : صفح ، والحنق : الملوء بالمغيظ .
 (٩) كان النضر حامل لواء المشركين يدر فأسره المسلمون وقتلوه بعد انصرافهم
 من الواقعة (١٠) ولد الزبير بن بكار بالمدينة وولى قضاء مكة فتوفى فيها سنة ٢٥٦

[من كلام أبي بكر رضى الله تعالى عنه]

رثاؤه
لرسول الله
صلى الله عليه
وسلم

ودخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى بِثَوْبٍ^(١) ، فكشَفَ عنه الثوبَ وقال : بأبى أَنْتَ وأمى ! طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة ، فعظمت عن الصفة ، وجلَّت عن البكاء ، وخصَّصَتْ حتى صرت مَسَلَاةً ، وعممت حتى صرنا فيك سواء . ولولا أن موتك كان اختياراً منك لجلدنا لموتك بالنفوس

ولولا أنك نهيت عن البكاء لأفقدنا عليك ماء الشؤون^(٢) . فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وإدناف^(٣) بتحالمان ولا يبرحان . اللهم فأبلغه عنا السلام ، أذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك ؛ فلولا ما خلفت من السكينة لم نُقِمَ لما خلفت من الوحشة ؛ اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا ، ثم خرج .

قوله رضى الله عنه : « لولا أن موتك كان اختياراً منك » إنمَّا يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم : لم يُقبَضْ نبيٌّ حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخَيَّرَ . قالت عائشة رضى الله عنها : سمعتهُ وقد شخَصَ بصره وهو يقول : فى الرفيق الأعلى ! فعلمت أنه خيَّرَ ، فقلت : لا يختارنا إذن ، وقلت : هو الذى كان يحدثنا . وهو صحيح . وكان أبو بكر لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرضه بالسنح^(٤) فتواترت إليه الرسلُ ، فأتى وقد ذهل الناس ، فكأوا كالخرس ، وتفرقت أحوالهم ، واضطربت أمورهم ، فكذب بعضهم بموته ، وصممت آخرون فما تكلموا إلا بعد [التنفير] ، وخالط آخرون فلا تروا^(٥) الكلامَ بغير بيان ، وحق لهم ذلك للرزية

(١) مسجى : مغطى (٢) الشؤون : عروق الدماغ (٣) الإدناف : المرض الثقيل

(٤) السنح - بضم السين وسكون النون - موضع قرب المدينة ، وكان به منزل أبى بكر

رضى الله عنه .

(٥) لا تروا : خلطوا .

العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التي هي بيضة العقر^(١) ، وبيضة الدهر ، ومدى المصائب ، ومنتهى النوائب ، فكل مصيبة بعدها جَلَلٌ عندها^(٢) ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : لَتُبْعَزَّ الْمُسْلِمِينَ فِي مَصَائِبِهِمُ الْمَصِيبَةُ بِي .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ممن كَذَّبَ بموته ، وقال : ما مات ، ولا يرجعته الله ، فليقطعنَّ أَيْدِي الْمُنَاقِقِينَ وَأَرْجَمَهُمْ ، يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ؛ وإنما واعدته ربه كما واعد موسى ، وهو يأتيكم .
وأما عثمان رضى الله عنه فكان ممن أُخْرِسَ ؛ فجعل لا يكلم أحداً ، فَيُؤْخَذُ يده وَيُجَاهَ به فينقاد .

حال الصحابة
عند ما بلغهم
موت الرسول

وأما على رضى الله عنه فَلَبِطَ بِالْأَرْضِ^(٣) فقعد ولم يَبْرَحِ البيت حتى دخل أبو بكر ، وهو في ذلك جَلَدَ الْعَقْلَ وَالْمَقَالَةَ^(٤) ، فأكبَّ عليه ، وكشف عن وجهه ومسح به ، وقبَّل جبينه ، وبكى بكاء شديداً ، وقال الكلام الذى قدَّمته . ولما خرج إلى الناس وهم في شديد غمِّراتهم ، وعظيم سكراتهم ، قام فخطب خطبة جُلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فيها : أشهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَأَشْرِيكَ لَهُ ، وَأَشهدُ أَنْ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأشهدُ أَنْ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ وَأَنَّ الدِّينَ كَمَا شَرَعَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالَ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ

خطبة أبي بكر
يوم موت
الرسول

(١) بيضة العقر : مثل للحادث الذى ينذر أن يتكرر ، وهى فى الأصل بيضة الدجاجة التى لا تبيض بعدها ، والذى فى الأصل « بيضة العصر » وهو تحريف .
(٢) جَلَلٌ : من أسماء الأضداد ، ويطلق على الأمر العظيم كما يطلق على الأمر الصغير ، ومن أمثلة إطلاقه على الأمر الخطير قول الشاعر :

قومى هم قتلوا أميم أحمى فإذا رميت يصيبني سهمى
فلئن عفوت لأعفون جلالاً ولئن ضربت لأوهن عظمى

والمراد هنا المعنى الثانى ، وهى الحقير من الأمور ؛ لأنه يقصد أن كل مصيبة تهون وتختقر بعد المصيبة الكبرى بموت الرسول (م) .

(٣) لبط بالأرض ، ولبط به : سقط من قيام كأعاصرع . والعبارة الثانية بصيغة المنعول (٤) جلد : ثابت .

الحق المبين . في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ؛ مَنْ كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات ، ومن كان يعبدُ الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت ، وإنَّ الله قد تقدَّم إليكم في أمره ، فلا تدعوه جزعاً ، وإنَّ الله قد اختار لِنبيه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه ، وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عَرَفَ ، ومن فرَّق بينهما أنكر ؛ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا يَشْفَلَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ ، وَيُفْتَنَّكُمْ عَنِ دِينِكُمْ ؛ فعاجلوه بالذي تعجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم .

فما فرغ من خطبته قال : يا عمر ! بلغني أنك تقول مامات نبيُّ الله ، أما علمت أنه قال في يوم كذا وكذا ، وفي يوم كذا وكذا : قال الله تبارك وتعالى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ؟ فقال عمر : والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قَبْلُ ؛ ما نزل بنا ، أشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الحديث كما حدث ، وأن الله حيٌّ لا يموت ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ! ثم جلس إلى جنب أبي بكر رحمه الله . قالت عائشة رضوان الله عليها : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نَجَّمَ النَّبِيُّ ^(١) . وارتدَّت العرب ، وكان المسلمون كالغنم الشاردة ، في اللبابة الماطرة ، فحمل أبي ماو حمله الجبال لهاضها ^(٢) فوالله إن اختلفوا في معظم إلا ذهب بحظه ورشده . وغدته . وكنت إذا نظرتُ إلى عمر علمتُ أنه إنما خلق للاسلام ، فكان والله أحوذياً نسيحاً وَحِدِهِ ^(٣) ، قد أعدَّ للأمور أقرانها .

رثاء فاطمة
الزهراء لأبيها
رسول الله

وحدث أبو بكر بن دريد عن عبد الأول بن يزيد قال : حدثني رجل في مجلس يزيد بن هارون ^(٤) بالبصرة قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) نجم : نشأ (٢) هاضها : دكها وحطمها (٣) أحوذى : حاذق قاهر للأمور لا يشذ عليه شيء - - ونسيح وحيد : لا نظير له ، كما ما نسيح على نول لم ينسج عليه سواه (م)
(٤) يزيد بن هارون : من حفاظ الحديث الثقات ، كان يهاجبه بالمؤمن توفي بواسط في سنة ٢٠٦

دُفِنَ ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم ، ورجعت فاطمة إلى بيتها ؛ فاجتمع إليها نساؤها ، فقالت :

أَغْبَرُ آفَاقُ السَّمَاءِ ، وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ، وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانُ (١)
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيْبَةٌ أَسْفًا عَلَيْهِ كَثِيْبَةُ الرَّجْفَانِ (٢)
فَلِيْبِكِهِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَعَرْبُهَا وَلِيْبِكِهِ مُضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانٍ
وَلِيْبِكِهِ الطُّورُ الْمَعْظَمُ جَوْهُهُ وَالْبَيْتُ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانُ
يَا خَاتِمَ الرِّسْلِ الْمُبَارِكِ ضَوْءُهُ صَلَّى عَلَيْكَ مَنْزِلُ الْقُرْآنِ (٣)

وكان أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - إذا أُثْنِيَ عَلَيْهِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ ، فَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَحْسَبُونَ ، وَاصْفِرْ لِي بِرَحْمَتِكَ مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَا تَوَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ .

عود إلى المختار
من كلام أبي بكر

وقال رحمه الله في بعض خطبه : إِنَّكُمْ فِي مَهَلٍ ، مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ، فَبَادِرُوا فِي مَهَلِ آجَالِكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَنْقَطَعَ آمَالِكُمْ ، فَتَرُدَّكُمْ إِلَى سُوءِ أَعْمَالِكُمْ .
وذكر أبو بكر الملوك فقال : إِنْ الْمَلِكُ إِذَا مَلَكَ زَهَّدَهُ اللهُ فِي مَالِهِ ، وَرَغَبَهُ فِي مَالٍ غَيْرِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِشْفَاقَ ؛ فَهُوَ يَسْخَطُ عَلَى الْكَثِيرِ ، وَيَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، جَدَلُ الظَّاهِرِ ، حَزِينِ الْبَاطِنِ ، حَتَّى إِذَا وَجِبَتْ نَفْسُهُ ، وَنَضَبَ عَمْرُهُ ، وَضَحَا ظِلُّهُ (٤) حَاسِبُهُ فَأَشَدَّ حَسَابِهِ وَأَقْلَ عَفْوِهِ .

وذكر أنه وصل إلى أبي بكر مالٌ من البحرين ، فسأوى فيه بين الناس . ففضبت الأنصار ، وقالوا له : فَضَلْنَا ! فقال أبو بكر : صَدَقْتُمْ ، إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أُنْضَلَ كُمْ صَارَ مَا عَمَلْتُمْ لَهُ لِلدُّنْيَا ، وَإِنْ صَبَرْتُمْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا ! فقالوا : وَاللَّهِ مَا عَمَلْنَا إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَانصرفوا ؛ فَفَرَّقِيَ أَبُو بَكْرٍ الْمَنْبِرَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى

(١) كورت : سقطت (٢) الرجفان : الإضطراب (٣) في نسخة « المبارك ضئوه »
أى الذى بارك الله نسله (م) والظاهر أن هذه الأبيات مصنوعة (٤) وجبت نفسه : فاضت روحه ، ونضب : نفذ - وضحا ظله : كناية عن أنه مات (م)

عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : يا معشر الأنصار ؛ إن شتمت أن تقولوا : إنا آويناكم في ظلالنا ، وشاطرناكم في أموالنا^(١) ، ونصرناكم بأنفسنا لقلتم ، وإن لكم من الفضل ما لا يُحصيه العدد ، وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي^(٢) :

جزى الله عنا جعفرًا حين أرلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت^(٣)
أبوا أن يملونا ولو أن أمننا تلاقى الذي يلقون منا أملت^(٤)
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفات وأظلت

فقر من كلامه رضى الله عنه : صنائع المعروف تقي مصارع السوء . الموت أهون مما بعدد ، وأشد مما قبله . ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة . ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي ، والنكث ، والمكر . إن الله قرآن وعده بوعيده ؛ ليكون العبد راغباً وراهباً .

ولما توفي رضى الله عنه وقفت عائشة على قبره ؛ فقالت : نضر الله وجهك رثاء عائشة
يا أبت ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدينا مُدلاً بإدبارك عنها ، أم المؤمنين
وللاخرة معزاً بإقبالك عليها ، ولئن كان أجلّ الحوادث بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعد بحسن
الصبر عنك حسن العوض منك ، وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر
فيك ، وأستفضيه بالاستغفار لك ، أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قتت بأمر
الدين ما وهى شعبه^(٥) وتفاقم صدعه^(٦) ، ورجفت جوانبه^(٧) ؛ فعليك

(١) آويناكم في ظلالنا : جعلناها لكم مأوى ، وشاطرناكم أموالنا : قاسمناكم فيها فأعطيناكم شطرها : أى نصفها (م) (٢) شاعر جاهلى من الشجعان ، كان من أوصف الشعراء للخيل ، عاشر التابعة الجعدى وزهير بن أبى سلمى ، ومات نحو سنة ١٣ ق هـ (٣) زلت : سقطت (٤) هذا البيت غاية الغايات فى وصف المواساة والبر الموصول (٥) وهى شعبه : تفرق شمله ، قال الطرماح * شت شعب الحى بعد التمام * (٦) تفاقم صدعه : اتسع كسره ، والصدغ فى الأصل : كسر الزجاجة (٧) رجفت : اضطربت

سلام الله توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك^(١)
وقال أبو بكر لبلال لما أُقتل أمية بن خلف وقد كان يسومه سوء العذاب
بمكة فيخرجه إلى الرمضاء^(٢) ، فيلقى عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام
فيعصمه الله من ذلك :

هَيناً زادك الرحمنُ خيراً فقد أدركتُ ثارك يا بلالُ
فلا نكسا وُجِدْتَ ولا جباناً غداة تنوشك الأسل الطوالُ^(٣)
إذا هاب الرجالُ ثبتت حتى تخلط أنت ما هاب الرجالُ
على مفض الكلوم بمشرفي جلاً أطراف متنيه الصقالُ^(٤)
[من كلام عمر]

وكتب عمرُ بن الخطاب - رضَى اللهُ عنه ! - إلى ابنه عبد الله :
أما بعد ؛ فإنه من اتقى الله وقاهُ ، ومن توكل عليه كفاهُ ، ومن شكر له
زادهُ ، ومن أقرضه جزاهُ ؛ فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه
لا عمل لمن لانية له ، ولا أجر لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خلق له .
ودخل عدى بن حاتم على عمر ، فسلم وعمر مشغول ، فقال : يا أمير المؤمنين !
أنا عدى بن حاتم ؛ فقال : ما عرفني بك ! آمنت إذ كفروا ، ووفيت إذ غدرُوا ،
وعرفت إذ أنكروا ، وأقبلت إذ أدبرُوا !

من عمر إلى
ابنه عبد الله

بين عمر وعدى
ابن حاتم الطائي

وقال رجل لعمر : من السيد ؟ قال : الجواد حين يُسأل ، الحليم حين
يُسْتَجْهَل ، الكريم المجالسة لمن جالسه . الحسن الخلق لمن جاوره .
وقال رضَى اللهُ عنه : ما كانت الدنيا همَّ رجلٍ قطُّ إلا لزم قلبه أربع خصال :

عمر يصف
السيد

(١) زارية : عابئة (٢) الرمضاء : هي الحجارة التي اشتد عليها وقع الشمس
فحمت ، قال الشاعر :

المستجير بعمر عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار
(٣) النكس : الرذل ، والأسل : الرماح (٤) الكلوم : الجروح ، والمشرفي : السيف

فَقَرُّ لَا يَدْرُكُ غِنَاهُ ، وَهَمٌّ لَا يَنْقُضِي مَدَاهُ ، وَشُعْلٌ لَا يَنْفَدُ أَوْلَاهُ ، وَأَمَلٌ لَا يَبْلُغُ مَنْتَهَاهُ .

فصول قصار من كلامه رضى الله عنه

مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ . أَشَقَى الْوُلَاةَ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ .
أَعْقَلُ النَّاسِ أَعْذَرُهُمُ لِلنَّاسِ . مَا الْحَمْرُ صِرْفًا ^(١) بَأَذْهَبَ لِعُقُولِ الرِّجَالِ مِنَ الطَّمَعِ .
لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا ، وَلَا بُغْضُكَ تَلْفًا . مُرْذِي القَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا ، وَلَا
يَتَجَاوَرُوا . قَلَّمَا أَدْبَرُ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ . أَشْكُو إِلَى اللَّهِ ضَعْفَ الْأَمِينِ ، وَخِيَانَةَ الْقَوِيِّ
تَكْثُرُوا مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ بَيْنَ تَرْزُقُونَ . لَوْ أَنَّ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ
بَعِيرَانِ مَا بَالَيْتَ أَيُّهُمَا أَرْكَبُ . مَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ كَانَ أَجْدَرَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ .

وقال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صوحان : صِفْ لِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ؛ وَصَفَ صَعْصَعَةُ
فَقَالَ : كَانَ عَالِمًا بِرَعِيَّتِهِ ، عَادِلًا فِي قَضِيَّتِهِ ، عَارِيًّا مِنَ الْكِبَرِ ، قَبُولًا لِلْعُدْرِ ، سَهْلًا
الْحِجَابِ ، مَصُونًا الْبَابِ ، مُتَحَرِّيًا لِلصَّوَابِ ، رَفِيقًا بِالضَّعِيفِ ، غَيْرَ مُحَابِّ
لِلْقَرِيبِ ، وَلَا جَافٍ لِلْغَرِيبِ .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حجَّ فلما كان بضجنان ^(٢) قال :
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، الْمَعْطَى مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ ، كُنْتُ فِي هَذَا الْوَادِي فِي
مِدْرَعَةٍ صُوفٍ أُرْعَى إِبِلَ الْخَطَّابِ ، وَكَانَ فِظًّا يُتَعَبِنِي إِذَا عَمَلْتُ ، وَيَضْرِبُنِي
إِذَا قَصَرْتُ ، وَقَدْ أَمْسَيْتَ اللَّيْلَةَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بِشَاشَتِهِ يَبْقَى الْإِلَهَ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَالِدُ ^(٣)
لَمْ تُنْعَمْ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَأَخْلَدَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادًا فَمَا خَلَدُوا
وَلَا سُلَيْمَانَ إِذْ تَجَرَّى الرِّيحُ لَهُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَهُمَا تَرَدُّ

(١) الحمير للصرف : الخالصة (٢) ضجنان : جبل قرب مكة .

(٣) يودى : يذهب .

عمر
يذكر ماضيه
وحاضره

أين الملوك التي كانت نوافلها من كل صوب إليها وافدٌ يَفِدُ^(١)
حوض هُنالك مورودٌ بلا كدر لا بدَّ من ورده يوماً كما وردوا
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم فتح مكة :

من شعر عمر
يوم فتح مكة

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد^(٢)
وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمرٍ من الغي فاسد
غداة أجال الخيل في عرصاتهما مسومةً بين الزبير وخالد^(٣)
فأمسى رسول الله قد عز نصرته وأمسى عداه من قتلٍ وشارد
يريد الزبير بن العوام^(٤) حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد
ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض^(٥).

ولما قتله أبو أولوءة غلام الغيرة بن شعبة ، قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو
ابن نفيل زوجته تراثيه :

زوج عمر تراثيه

عَيْنُ جُودِي بَعْبَرَةٌ وَنَحِيبٌ لَا تَمَلِي عَلَى الْأَمِينِ النَّحِيبِ
فَجَعَنْتِي الْمُنُونَ بِالْفَارِسِ الْمُعَلِّمِ يَوْمَ الْهِيَاجِ وَالشُّوَيْبِ^(٦)
عَصْمَةَ النَّاسِ وَالْمَعِينِ عَلَى الدَّهْرِ وَغَيْثُ الْحَرُومِ وَالْمَحْرُوبِ^(٧)
قُلْ لِأَهْلِ الضَّرَاءِ وَالْبُؤْسِ مَوْتُوا قَدْ سَقَتَهُ الْمُنُونُ كَأْسَ شَعُوبِ^(٨)
وقالت أيضاً تراثيه :

وَفَجَعَمَنِي فَيُرُوزُ لَا دَرَّ دَرُّهُ بِأَبْيَضَ تَالِ لِلْكِتَابِ مُنِيبِ

(١) النوافل: العطايا ، في نسخة «من كل أوب» والصوب ، ومثله الأوب : الجهة
(٢) حائد : مائل (٣) مسومة: وضعت عليها العلامات
(٤) الزبير بن العوام : أحد المبشرين بالجنة ، وأرل من سل سيفه في الإسلام ،
كان طويلاً جداً إذا ركب تخط رجلاه الأرض . توفي سنة ٣٦ .
(٥) توفي خالد بن الوليد سنة ٢١ .

(٦) الفارس المعلم : هو الذي علق عليه صوف ملون في الحرب ، والشويب: الدعاء
(٧) المحروب : السلوب (٨) شعوب : هي النية : لأنها تشعب الشمل وتبندد

رءوف على الأدنى غليظ على العداً أخى ثقة في النائبات نجيب
متى ما يُقَرُّ لا يكذب القول فعاهُ سريع إلى الخيرات غير قَطُوبِ

وعاتكة هذه : هي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر ، فأصابه سهمٌ في غزوة الطائف فمات منه ، فتزوجها عمر رضى الله عنه فقتل عنها ، فتزوجها الزبير ابن العوام فقتل عنها ؛ فكان على رضى الله عنه يقول : من أحبَّ الشهادة الحاضرة فليتزوج بعاتكة !

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه :

ما يَرَعُ اللهُ بالشَّطَّانِ ، أَكْثَرُ مما يَرَعُ بالقرآن (١) . سيجعلُ اللهُ بعدَ عُسْرِ يسراً ، وبعْدِ عِيٍّ بياناً ؛ وأتمَّ إلى إمامِ فعَّالٍ ، أحوجُّ منكم إلى إمامٍ قوَّالٍ ، قاله في أول خلافته وقد صعد المنبر وأرَّجَّج عليه (٢) .

وكتب إلى علي رضى الله عنه وهو محضور : أما بعد ، فقد بلغ السَّيْلُ الرُّبِّيَّ ، وجاوز الحزام الطَّبِيَّين (٣) ، وطمع في مَنْ كان لا يدفع عنه نفسه ، ولم يعجزك كلثيم ، ولم يغلبك كغلب (٤) ؛ فأقبل إلى ، معي كنت أو على ، على أى أمريك أحببت . فإن كنت ما كولا فكن أنت اكلى وإلا فأدركني ولما أمرق وهذا البيت للممرق العبدى ، وبه سمي الممرق ، واسمه شأس ، وإماتمته به عثمان رضى الله عنه ؛ وخذاق أهل النظر يدفعون هذا ، ويستشهدون على فساده بأحاديث تناقضه ليس هذا موضعها .

(١) يزع : يزرع ويردع (٢) أرَّجَّج عليه باب الكلام : أغلق .

(٣) الرُّبِّي : جمع زبية وهى الراية لا يعلوها ماء ، وبلوغ السيل الرُّبِّي كناية عن اشتداد الأمر ، والطبي - بالضم والكسر - حملات الضرع ، وبلوغ الحزام الطبيين كناية أيضاً عن الشدة (٤) مغلب : غلب كثيراً ، ولم يغلبك كغلب : يستعمل في المدح والذم .

قالوا : وكان عثمان رضى الله عنه أتقى لله أن يسعى فى أمره على ، وعلى أتقى لله أن يسعى فى أمر عثمان ، وهذا من قوله عليه السلام : أشقى الناس من قتله نبى أو قتل نبياً .

ومن كلام عثمان رضى الله عنه وأكرم نذله ، وقد تنكر له الناس : أمرٌ هؤلاء القوم رعاى غير ، تطأطأت لهم تطأطأ الدلاء وتلدت لهم تلدد المضطر ، رأيتهم ألحف إخواناً ، وأوهنى الباطل لهم شيطاناً . أجبرت المرسون رسنه ، وأبلغت الراعى مسعاته ، ففرقوا على فرقا ثلاثاً ، فصامت صمته أفذ من صول غيره ، وشاهد أعطانى شاهده ومنعنى غائبه ، ومتهافت فى فتنه زينت فى قلبه ، فأنا منهم بين السن لداد ، وقلوب شداد ، عذرى الله منهم ، ألا ينهى عالم جاهلاً ، ولا ينذر حلیم سفياً ؟ والله حسبي وحصبهم يوم لا ينظفون ، ولا يؤذن لهم فيعتدرون .

سئل الحكم بن هشام فقال : كان والله خيار الخيرة . أمير البررة ، قاتل الفجرة ، منصور النصره ، مخذول الخذلة ، مقتول القتلة .

ونظير البيت الذى أنشده قول صخر الجعد :

فإن كنت ما كولا فكن أنت أكلى فإن منايا القوم أكرم من بعض

قال المتوكل : أتيت بأسارى ، فسمعت امرأة منهم تقول :

أمير المؤمنين سما إلينا نمو الليث أخرج العريف

فإن نسلم فعون الله نرجو وإن قتل قاتلنا شريف

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لا يعرف لعثمان شعر ، وأنشده بعضهم :

غنى النفس يُغنى النفس حتى يكفها وإن عضها حتى يضر بها الفقر

وما عسرة - فاضبر لها إن تتابعت - بياقية إلا ستيبها يسر

وقول عثمان رضى الله عنه فيما روى : « ولم يغلبك كعلب » من قول

امرىء القيس :

فإنك لم يَفْخَرْ عليك كفاخر ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلبٍ
وقال أبو تمام وذكر الحمر :
وضَعِيفَةٌ إِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً قَتَلَتْ ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضُّعْفَاءِ
ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه

لا تَكُنْ مِنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بغير عمل ، ويؤخِّرُ التَّوْبَةَ لِطُولِ الأَمَلِ . ويقولُ
في الدنيا بقول الزاهدين ، ويعملُ فيها بعملِ الراغبين ، إن أُعْطِيَ منها لم يشبع ، وإن
مُنِحَ لم يَقْنَعْ ، يعجز عن شُكْرِ ما أُوتِيَ ، ويتنغى الزيادة فيما بقي ، يَنْهَى ولا يَنْتَهَى ،
ويأمر بما لا يَأْتِي ، يحبُّ الصالحين ولا يعملُ أعمالهم ، ويُبغِضُ المسيئين وهو منهم ؛
يكره الموتَ لكثرة ذنوبه ، ويقيمُ على ما يكره الموت له ، إن سقمَ ظِلًّا نادماً ، وإن
صحَّ مِنْ لَاهِيَا ، يُعْجَبُ بنفسه إذا عُوْفِيَ ، وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتَلِيَ ، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ ،
ولا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ ، ولا يَثِقُ مِنَ الرِّزْقِ بِمَا ضَمِنَ لَهُ ، ولا يَعْمَلُ مِنَ العَمَلِ
بِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ ، إن استغنى بَطِرَ وَفَتِنَ ، وإن افتقر قَنِطَ وَحَزِنَ ، فهو من الذَّنْبِ
والنعمة موقرٌ ^(١) ، يتنغى الزيادة ولا يشكر ، ويتكلف من الناس ما لم يؤمِّر ، ويُضِيعُ
من نفسه ما هو أكثر ، ويُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ ، ويقصر إذا عمل ، يخشى الموتَ ،
ولا يبادر القوتَ ، يستكثر من معصية غيره ما يستقلُّ أكثره من نفسه ؛ ويستكثرُ
من طاعته ما يستقله من غيره ، فهو على الناس طَاعِنٌ ، ولنفسه مداهنٌ ، اللُّغْوُ مع
الأغنياء أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكمُ عليها
لغيره ، وهو يُطَاعُ وَيَعْصَى ، ويستوفى ولا يُوفَى .

وسئِلَ رضى الله عنه عن مسألة فدخلَ مبادراً ، ثم خرج في حذاء ورداء ، وهو
يبتسم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إنك كنت إذا سئِلتَ عن مسألة كنت فيها
كالسَّكَةِ المُحْجَاةِ ^(٢) ! فقال : إني كنتُ حاقناً ولا رَأَى لِحَاقِنٍ ^(٣) ، ثم أنشأ يقول :

(١) موقر : مثل (٢) السكة : الحديدية (٣) الحاقن : هو الذى احتسب بوله

إذا المشكلاتُ تصدَّينَ لي كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا بِالنَّظَرِ
 وإن بَرَقَتْ في مَخِيلِ الصَّوَابِ بِعَمِيَاءٍ لَا تَجْتَلِيهَا الذِّكْرُ (١)
 بِمَنْعَةٍ بِأُمُورِ الْغُيُوبِ وَضَعْتَ عَلَيْهَا صَحِيحَ الْفِكْرِ
 لِسَانًا كَشَقِشْتَهُ الْأَرْحَبِيَّ أَوْ كَالْحَسَامِ الْيَمَانِيِّ الذَّاكِرِ (٢)
 وَقَلْبًا إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ الْعَيُونَ أَمْرًا عَلَيْهَا بَوَاهِي الدَّرْرِ (٣)
 وَلَسْتُ بِإِمْعَةٍ فِي الرِّجَالِ أُسَائِلُ عَنْ ذَا وَذَا مَا الْخَبْرُ (٤)
 وَلَكِنِّي ذَرَبُ الْأَصْغَرَيْنِ أَيُّنَ مَعَ مَا مَضَى مَا غَيْرُ (٥)

وقال معاوية رضى الله عنه لضرار الضدائى : يا ضرار ، صف لى عليا ، فقال :

أَعْفَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : لِنَصْفَنِي ، فَقَالَ : أَمَا إِذْ أذْنَتْ فَلَا بَدَّ مِنْ صِفَتِهِ :
 كَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الْمَدَى ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَقُولُ فَصْلًا (٦) ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ،
 يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا
 وَزَهْرَتِهَا ، وَيَسْتَأْنَسُ بِاللَّيْلِ وَظِلْمَتِهِ ، كَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ،
 يَقْلِبُ كَفَّةً ، وَيَخَاطِبُ نَفْسَهُ ، يَعْجِبُهُ مِنَ اللَّبَاسِ مَا قَصُرَ ، وَمِنَ الطَّعَامِ
 مَا خَشِنَ ، وَكَانَ فِينَا كَأَحَدِنَا ، يُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَيُنَبِّئُنَا إِذَا اسْتَنْبَأْنَاهُ ،
 وَنَحْنُ - مَعَ تَقْرِيْبِهِ إِيَّانَا ، وَقُرْبِهِ مِنَّا - لَانْكَادُ نَكْلِمُهُ لِهَيْبَتِهِ ، وَلَا نَبْتَدِئُهُ
 لِعَظَمَتِهِ ، يَعْظُمُ أَهْلَ الدِّينِ ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ، لَا يَطْمَعُ الْقَوَى فِي بَاطِلِهِ ،
 وَلَا يَيْئَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ ، وَأَشْهَدُ لِقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ ، وَقَدْ
 أَرَخَى اللَّيْلُ سُدُوءَهُ ، وَغَارَتْ نَجُومُهُ ، وَقَدْ مَثَلَ فِي مَحْرَابِهِ ، قَابِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ
 يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّلِيمِ (٧) ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، وَيَقُولُ : يَا دُنْيَا إِلَيْكَ

وصف ضرار
الصدائى لمعاوية
عليا

(١) مخيل : مظنون ، وهو السحاب تخاله باطراً لرعده وبرقه .

(٢) الأرحي : الجمل ، وشقشقتة : هديره . (٣) نسخة « استنطقته الغيوب » (م)

(٤) الإمعة : الرجل الذى لا خطر له - فهو يكون تابعا لغيره ولا يكون مستقلا (م)

(٥) ذرب الأصغرين : حديد القلب واللسان (٦) القول الفصل : هو الحق

(٧) السليم : اللدوغ . سمي بذلك تفاؤلا .

عَنِّي ! غُرِّي غَيْرِي ، أَلِي تَعَرَّضْتُ ، أُمِّ إِلَى تَشَوَّفَتْ ؟ هِيَهَات ! قَدْ بَايَدْتِكَ
ثَلَاثًا ، لَا رَجْعَةَ لِي عَلَيْكَ ؛ فَعَمْرُكَ قَصِيرٌ ، وَخَطْرُكَ حَقِيرٌ ، وَخَطْبُكَ
يَسِيرٌ ؛ آهٍ مِنْ قَلْبِ الزَّادِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ !

فبكى معاوية حتى أخضلت دموعه لحيته ؛ وقال : رَحِمَ اللهُ أبا الحسن !
فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حُزْنٌ مَنْ ذُحِ
وَاحِدُهَا فِي حَجْرِهَا !

وقال شليّ رضوان الله عليه : رَحِمَ اللهُ عبداً سمع فوعى ، ودعى إلى
الرشاد فدنا ، وأخذ بحُجْرَةِ هَادٍ فنجأ^(١) ، وراقب ربه ، وخاف ذنبه ، وقدم
خالصاً ، وعمل صالحاً ، واكتسب مذكوراً ، واجتنب محذوراً ، ورمى غرضاً ،
وكابر هواه ، وكذب مناه ، وحذر أجلاً ، ودأب عملاً ، وجعل الصبر
رغبة حياته ، والنقى عُدَّةَ وفاته ، يُظهِرُ دُونَ مَا يَكْتُمُ ، وَيَكْتُمِي بِأَقْلٍ مِمَّا
يَعْلَمُ ، لَزِمَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ ، وَالْحُجَّةَ الْبَيْضَاءَ ، وَاغْتَمَّ الْمَهْلَ ، وَبَادَرَ الْأَجَلَ ،
وَتَرَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .

ولما رجع رضى الله عنه من صفين ، فدخل أوائل الكوفة إذا قبرٌ ، على يرفى خباب
بن الأرت فقال : قَبْرُ مَنْ هَذَا ؟ فقبل : خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ^(٢) ، فوقف عليه ، وقال :
رَحِمَ اللهُ خَبَّابًا ! أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا ، وَابْتَلَى فِي
جِسْمِهِ أَحْوَالَ ، وَلَنْ يُضِيْعَ اللهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

ومضى فإذا هو بقبور ، فوقف عليها ، وقال : السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ عَلَى أَمَامِ الْقُبُورِ
الْمُوحِشَةِ ، وَالْحَالِ الْمُتَفَرِّةِ ، أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، وَبِكُمْ — عَمَّا
قَلِيلٍ — لَاحِقُونَ ؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَتَجَاوِزْ عَنَّا وَعَنْهُمْ بَعْفُوكَ ! طُوبَى

(١) الحجزة : الحزن ، وأخذ بحجرة فلان : استظهر به واستعان به (٢) خباب بن
الأرت : صحابي جليل ، استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه فصر ، إلى أن كانت
الهجرة ، توفي سنة ٣٧ .

لمن ذكّر المعاد ، وعَمِلَ للحساب ، وَقِنِعَ بالكفّاف . ثم التفت رضى الله عنه إلى أصحابه ، فقال : أما إنهم لو تكلموا لقالوا : وجدنا خير الزادِ التقوى .

وَدَمَّ رَجُلٌ الدنيا بِمَحْضَرَةٍ عَلَى رضى الله عنه ، فقال : دارُ صدق لمن على صف الدنيا صدقها ، ودارُ نجاة لمن فهم عنها ، ودارُ غنى لمن تزود منها ، مهبط وحنى الله ، ومُصَلَّى ملائكته ، ومَسْجِدُ أنبيائه ، ومَتَجَرُّ أوليائه ، رَبِحُوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمها ، وقد آذنت بيديها ، ونادت بِفراقها ، وذكَرَتْ بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ، ترغيباً وترهيباً ، فيأبىها اللذام لها ، المعلل نفسه بفرورها ، متى خدعتك الدنيا ؟ أم بماذا استدتمت إليك ^(١) ، أم بمصرع آبائك في البلى ؟ أم بمضجع أمهاتك فى الثرى ، كم مررت بكفيمك ، وكم علت بيديك ، تطلب له الشفاء ، وتستوصف الأطباء ، غداة لا ينفعه بكاؤك ، ولا يغنى دواؤك .

من قصار كلام على
فقر من كلامه رضى الله عنه : [البشاشة فح المودة . والصبر قبر المغبون . والغالب بالظلم مغلوب . والحجر المغصوب بالدار رهنٌ بخراجها . وما ظفر بن ظفرت به الأيام . فسالم تسلم] . رأى الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام ^(٢) . الناس أعداء ما جهلوا . بقية عمر المؤمن لا تمن لها ، يدرك بها ما أفات [ويحى ما أمات] .
نقل هذا الكلام بعض أهل العصر ، وهو أبو الفتح على بن محمد البستى ^(٣) .

(١) استدتمت إليك : فعلت ماتدمها عليه - وفى نسخة « استدنت إليك » (م)

(٢) مشهد الغلام : ما يشهده ويراه رأى العين (٣) على بن محمد ، ويقال ابن أحمد كما ذكر ياقوت فى معجم الشعراء - شاعر ، كاتب مات فى بخارى سنة ٤٠٠ هـ ، وفى أبى الفتح البستى يقول عمران بن موسى :

إذا قيل أى الأرض فى الناس زينة أجينا وقلنا : أبهج الأرض بستها
فلو أننى أدركت يوماً عميدها لزممت يد البستى دهرأ وبستها

بقية العمر عندى ما لها ثمن وإن غداً وهو محبوبٌ من الثمن
يستدرك المرء فيها ما أفات ويحسب ما أمات ويمتحو السوء بالحسن
الدنيا بالأموال ، والآخرة بالأعمال . لا تخافن إلا ذنبك ، ولا ترجون إلا
ربك . وجهوا آمالكم إلى من تحبه قلوبكم . الناس من خوف الذل في الذل .
من أيقن بالخلف جاد بالعطية . بقية السيف أنمى عدداً ، وأنجب ولداً - وقد
تبينت صحة ما قال في بنيه وبنى المهلب - إن من السكوت ما هو أبلغ من
الجواب . الصبر مطية لا تكبو ، وسيف لا ينبو^(١) . خبز المال ما أغناك ،
وخير منه ما كفك ، وخير إخوانك من أساك ، وخير منه من كفك شره .

وقال بعض أهل العصر ما يشاء كل هذا وهو أبو الحسن محمد بن أنسك البصرى :

عدياً في زماننا عن حديث الكارم

من كفى الناس شره فهو في جود حاتم

أبو الطيب :

إننا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال
إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدره عليه . قيمة كل

امرئ ما يحسن .

ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هذه الكلمة في كتاب البيان فقال : تعقيب للجاحظ
فلو لم تقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية ، كافية ،
ومجزية مغنية ؛ بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية ، غير مقصرة عن الغاية ؛
وأفضل الكلام ما كان قليلاً يغنيك عن كثيره ، ومعناه ظاهراً في لفظه ، وكان
الله قد ألبسه من ثياب الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة ، على حسب نيته
صاحبه ، وتقوى قائمه . فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع ،

(١) الكبوة : السقاية ، والنبوة : عدم الإصابة . ويقولون : لكل جواد كبوة ،
والكل سيف بروه .

بيداً من الاستكراه، منزهاً عن الاختلال، مَصُونًا عن التكلف؛ صَنَعَ في القلوب
صَنِيعَ الْغَيْثِ في التَّرَبُّةِ الْكَرِيمَةِ، ومتى فَصَلَّتْ الْكَلِمَةُ على هذه الشريطة،
وَنَفَذَتْ من قائلها على هذه الصفة، أَحَبَّهَا اللهُ عزوجل من التوفيق، ومنَحَهَا
من التأييد، مالا يمتنعُ من تعظيمها به صدورُ الجبارة، ولا يذهلُ عن فَهْمِهَا
معه عقولُ الجبهة^(١).

دعاء لعل
في الحروب

ومن دُعَايِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حروبه : اللَّهُمَّ أَنْتَ أَرْضَى لِلرَّضَى ، وَأَسْخَطَ
لِللَّسْخَطِ ، وَأَقْدَرَ على أَنْ تَغَيِّرَ مَا كَرِهْتَ ، وَأَعْلَمُ بما تَقْدِرُ ، لَا تُغْلِبْ على باطلٍ ،
ولا تعجز عن حقٍ ، وما أنت بغافل عما يعمل الظالمون .
وقال على رضى الله عنه :

من شعر على
رضى الله عنه

لَمِنْ رَايَةٍ سَوْدَاهُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمَهَا حُضَيْنُ تَقَدَّمَ
فيموردها في الصَّفِّ حتى تردها حياضُ المنايا تقطر الموت والدمًا
جزى الله قوما قاتلوا في لقاءهم لدى الروعِ قوماً ما أعزوا وأكرمًا
وأطيب أخباراً وأفضلَ شِيمَةً إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ تَغْمَغُمًا^(٢)

حُضَيْنِ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ : أَبُو سَاسَانَ الْحُضَيْنِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعَلَةَ
الرقاشي وكان صاحبَ رايته يومَ صَفَيْنَ .

ويروى عنه أنه قال بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها :

أرى عِلَلَ الدُّنْيَا على كَثِيرَةٍ وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عَليُّ
لكلِّ اجْتِمَاعٍ من خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَإِنَّ الَّذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلٌ
وإن افتقادي فاطمًا بعد أحمدٍ دَليلاً على ألا يدومَ خَليلاً

(١) انتهى المؤلف من الاستطراد الذي مضى فيه بمناسبة «قيمة كل امرئ ما يحسن»

ثم عاد إلى الكلام عن علي بن أبي طالب .

(٢) التغمغم : الصوت عند القتال .

ولما قَبِلَ عمرو بن عبد ود سقط فانكشفت عَوْرَتَهُ^(١) ، ففتَحَى عنه وقال :
 آلِي ابنُ عبد - حين شدَّ - أَلِيَّةٌ وحلفتُ فاستمعوا من الكذَّابِ^(٢)
 أَلَا بِفِرٍّ ولا يمللُ فالتقى أسَدَانِ يضطَرِّبانِ كلَّ ضِرَابِ^(٣)
 اليومَ يَمعنى الفِرارَ حفيظتى ومُصَمِّمٌ فى الرَّأسِ ليس بنابِ^(٤)
 أَعْرَضْتُ حينَ رأيتُهُ متقطِّراً كالجُدِّعِ بينَ دَكَدِكِ وروابى^(٥)
 وعفتُ عن أثوابه ولو أنى كنتَ المِقطرَ بزَنِ أثوابى^(٦)
 نصرَ الحجارةِ من سفاهةِ رأيه ونصرتُ دينَ محمدٍ بصوابِ^(٧)
 لا تحسبنَّ اللهَ خاذلَ دينه ونبيه يا مَعْشَرَ الأحزابِ
 فى أبيات غير هذه ، و بعضُ الرواة يَنْفِيها عن على رضى الله عنه .

وعمره هذا هو : ابن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، عمر بن ود
 وكان قد جَزَعَ المذاد ، وهو موضع حُفِرَ فيه الخندقُ يومَ الأحزابِ ، وفى ذلك
 يقول الشاعر :

عمر بن ود كان أولَ فارسِ جَزَعَ المذادَ وكان فارسَ يَلِيلِ^(٨)
 ولما صار مع المسلمين فى الخندقِ دعا [إلى] البراز ، وقال :

ولقد بَجِحتُ من النداءِ بجمعهم هل من مُبارِزِ^(٩)
 ووقفتُ إذ نكَلَّ الشجاءُ عِ بموقفِ البطلِ المناجِزِ^(١٠)

(١) عمرو بن عبدود : فارس قريش وشجاعها ، قتله على سنة ٥ للهجرة
 (٢) آلِي : أقسم ، والألِيَّةُ : اليمين (٣) يمللُ : يتقلب ، والضراب : المطاردة
 (٤) الحفيظة : الحمية والغضب عند حفظ الحرمة ، والمصمم : السيف لاينو
 (٥) متقطر : صريع ، والدَكَدِكُ : جمع دَكَدِكِ وهو الرمل المتلبد بالأرض
 (٦) بز : سلب . (٧) نصر الحجارة : كناية عن عبادة الأوثان . (٨) جزع المذاد :
 اجتازه ، والمذاد : الموضع الذى يذاد فيه عن النفس ، أى موضع الحرب ، ويليل : اسم
 واد فى بدر (٩) بع صوته : ضعف من كثرة النداء (١٠) نكل : نكص ،
 والمناجز : المبادر إلى القتال

إني كذلك لم أزل متسمرًا نحو الهزاهز^(١)

إنَّ السَّامَةَ وَالشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَى خَيْرُ الْفَرَاثِ^(٢)

فبذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : يا عمرو ! إنك عاهدت الله
لقريش ألا يدعوك أحدٌ إلى خلتين إلا أخذت إحداهما ، فقال : أجل ! قال :
فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك ، قال :
فإني أدعوك إلى المبارزة ، فقال : يا ابن أخي ما أحبُّ أن أقتلك ! قال علي :
لكنني والله أحبُّ أن أقتلك ، فحَمِيَ عمرو ، فاقتحم عن فرسه وعرقبه^(٣) ثم
أقبل إلى علي :

فَنَجَاوَلَا كَفَمَاتِينَ تَكَنَّفَتْ مَنَيْنِهِمَا رِيحًا صَبَاً وَشَمَالًا^(٤)

فِي مَوْقِفٍ كَادَتْ نَفُوسٌ كُتَاتِهِ تُبْتِزُ قَبْلَ تَوَرُّدِ الْآجَالِ^(٥)

وعلت بينهما غيرة سترتهما فلم يرع المسلمون إلا التكبير ؛ فعلهوا أن عليًا قتله .
ولما قُتِلَ عمرو جاءت أخته فقالت : مَنْ قَتَلَهُ ؟ فقيل : علي بن أبي طالب ،
فقال : كفء كريم ! ثم انصرفت وهي تقول :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَكُنْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبَدِ

لَكِنَّ قَاتِلَهُ مِنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ الْبَلَدِ

مِنْ هَاشِمٍ فِي ذُرَاهَا وَهِيَ صَاعِدَةٌ إِلَى السَّمَاءِ تُنَمِّتُ النَّاسَ بِالْحَسَدِ

قَوْمِ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَكَارِمُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِلَا أَمَدِ

يَا أُمَّ كَثُومِ بَكِّيهِ وَلَا تَدْعِي بِكَاءِ مُعْوَلَةٍ حَرَّرَى عَلِيَّ وَوَلَدِ

أم كثوم : بنت عمرو بن عبد ود . و « بيضة البلد » تمدحُ به العربُ

(١) الهزاهز : الشدائد والحروب لأنها تهزها الرجال (٢) الفرأث : الطباع ،
واحدتها غريزة . (٣) عرقبه : قطع عرقوبه (٤) تجاولا : تصاولا (٥) الكمأة :
الشجوان . واحدكم كمي ، وتبزز : تسلب ، وتورد الآجال : ورود حياض الموت ، يريد
أن الكمأة يموتون من الهيبة (م)

وَتَذَمُّ ؛ فَمَنْ مَدَّحَ بِهِ جَعَلَهُ أَصْلًا ، كَمَا أَنَّ الْبَيْضَةَ أَصْلُ الطَّائِرِ . وَمَنْ ذَمَّ بِهِ أَرَادَ أَنَّ لَا أَصْلَ لَهُ . قَالَ الرَّاعِي يَهْجُو عَدِيَّ بْنَ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيَّ (١) :

يَا مَنْ تَوَعَّدَنِي جَهْلًا بِكَثْرَتِهِ مَتَى تَهْدِنِي بِالْعَزِّ وَالْعَدَدِ
أَنْتَ أَمْرُؤُ نَالٍ مِنْ عِرْضِي وَعِزَّتِهِ كَعِزَّةِ الْعَيْرِ يَرَعَى تَلْعَةَ الْأَسَدِ (٢)
لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجْوَتِكُمْ يَا بْنَ الرَّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْتِي قَضَاعَةٌ أَنْ تَرْضَى لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نَزَارٍ ؛ فَأَتَمَّ بَيْضَةَ الْبَلَدِ

وقال أبو عبيدة : عاملة بن عدى بن الحارث بن مرة بن أد [بن زياد] عاملة قوم ابن يشجب ، يُطْعَمُنُ فِي نَسَبِهِ مِنْ قِحْطَانَ ، وَيُقَالُ : هُوَ عَامِلَةٌ بِنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ قَاسِطٍ عَدِيَّ بْنَ الرَّقَاعِ ابْنِ أَهْيَبٍ ؛ فَذَلِكَ قَالَ الرَّاعِي هَذَا . وَيُقَالُ : إِنْ جَنْدَلَ بْنَ الرَّاعِي قَالَهَا وَقَدْ قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي حَفْصَةَ الْأَمْوِيُّ فِي عَامِلَةٍ :

وَإِسْنَانُ نُبَالَى تَأْتِي عَامِلَةَ الَّتِي أَجَدَّ بَهَا مِنْ نَحْوِ بَصْرَى أَخْدَارُهَا
تَدَافَعَهَا الْأَحْيَاءُ حَتَّى كَانَهَا ثِيَابٌ بَدَأَ لِلْمَشْتَرِينَ عَوَارُهَا
قَذَفْنَا بِهَا لَمَّا نَأَتْ قَذَفَ حَاذِفٌ بِسُورٍ حَصَى خَفَّتْ عَلَيْهِ صِفَارُهَا
وَيُشَبَّهُ قَوْلُ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ » قَوْلَ عَنْتَرَةَ بْنِ شَدَادِ

العبسي :

هَلَّا سَأَلْتُ أَخِيْلَ يَابِنَةَ مَا لَكَ إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنِّي أَغْشَى الْوَعْغَى وَأَعَفَّ عِنْدَ الْمَغْمِ
وَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِي :
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكُرَيْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ (٣)

(١) عدى بن الرقاع : شاعر كبير ، كان مقدما عند بني أمية ، توفي سنة ٩٥ .
(٢) العير : الحمار ، وتلعة الأسد : الراية التي يحمها ، وليس للحمار عزة في تلعة الأسد ، وإنما هو مثال الهوان (٣) السلب : الغنيمة ، ويجمع على أسلاب

عزم المؤلف
على ضروب
من الاختيار

قد علقت بذيل ما أوردته ، وألحقت بطرف ماجردته ، من كلام سيد
الأولين والآخريين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار
الطيبين الطاهرين ، قطعةً من كلام الخلفاء الراشدين ، قدمتها أمام كلِّ كلام ،
لتقدمهم على الخلق ، وأخذهم بقصبي السبق^(١) ، وهم كما قال بعض المتكلمين
يصف قوما من الزهاد الواعظين . جَلَوْا بكلامهم الأبصار العلية ، وشحدوا
بمواظهم الأذهان السكيلة ، ونهبوا القلوب من رقدتها ، ونقلوها عن سوء
عادتها ، فشفّوا من داء القسوة ، وغباوة الغفلة ، وداووا من العي الفاضح ،
ونهبوا لنا الطريق الواضح . وآثرت أن ألحق بعد ذلك جملةً من سليم كلام
سائر الصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم أجمعين ، وأدرج في درج كلامهم
وأثناء نثرهم ونظمهم ، ما انفك عليه والتفت إليه ، وتعلق بأغصانه ،
وتشبث بأفئانه ، كما تقدّم ، وأخرج إلى صفات البلاغات ، وأخذ بعد ذلك في
نظم عقود الآداب ، ورقم برود الألباب .

من كل معنى يكاد الميث يفهمه حسنا ويعبده القرطاس والقلم

[من كلام الصحابة والتابعين]

من كلام معاوية قال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله : أفضّل ما أعطى الرجل العقل والحلم ؛
فإذا ذكر ذكرك ، وإذا أساء استغفر ، وإذا وعد أنجز .

وصف معاوية الوليد بن عتبة فقال : إنه لبعيد الغور ، ساكن الفور^(٢) ،
وإن العود من لحائه^(٣) ، والولد من آبائه ، والله إنه لنبات أصل لا يخلف ، ونجل

(١) السبق : هو السباق ، وأخذ قصب السبق : كناية عن الفوز

(٢) الغور : القعر من كل شيء ، وبعد الغور : كناية عن أصالة الرأي وعمق
التفكير ، والفور : الغضب ، ويقال : فلان ثار ثائرة ، وفار فأره ، إذا اشتد
غضبه . وبنو فلان تفور علينا قدرهم ، قال الشاعر :

تفور علينا قدرهم فندعمها ونفثوها عنا إذا حميها غلا

وسكون الفور : كناية عن الحلم (٣) اللحاء : القشر ، ومنه قولهم (لحاء الله)
أى قشره ، وإذا قشر الإنسان هلك !

فَحَلَّ لَا يَقْرَفُ (١) .

بين معاوية
ومصقلة بن
هبيرة

ومرض معاوية مرضاً شديداً فأَرْجَفَ (٢) به مصقلة بن هبيرة وساعده قومٌ على ذلك ، ثم تماثل وهم في إرجافهم (٣) ، فحمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه : « إنه يَجْمَعُ مَرَّاقًا من مَرَّاقِ العِرَاقِ (٤) فَيُرْجِفُونَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وقد حملتهُ إليه لِيَرَى رَأْيَهُ فِيهِ » .

فقدم مصقلة وجلس معاوية للناس ؛ فلما دخل عليه قال : اذُنْ مني ! فدنا منه ، فأخذهُ بيده فجذبه فسقط مصقلة ؛ فقال معاوية :

أَبْقِ الحِوَادِثُ من خَلِيْلِكَ مِثْلَ جَنْدَلَةِ المَرَاجِمِ (٥)

صُلْبًا إِذَا خَارَ الرِّجَالُ لُ أَيْلًا مَمْتَنِعَ الشِّكَاةِ (٦)

قد رامني الأعداء قبلك فامتنتُ عن المظالم

قال مصقلة : يا أمير المؤمنين ؛ قد أبقى الله منك ما هو أعظم من ذلك [بطشاً] و[حلماً] [راججاً] وكلاً ومرعى لأولياك ، وسماً ناقعاً لأعدائك ، كانت الجاهلية فكان أبوك سيداً للمشركين ، وأصبح الناس مسلمين ؛ وأنت أمير المؤمنين ، وقام .

فوصله معاوية ، وأذن له في الانصراف إلى الكوفة . فقيل له : كيف تَرَكَتَ معاوية ؟ فقال : زعمتم أنه لما به (٦) ، والله لقد غمزني غمزة كاد يخطئني ، وجذبتني جذبة كاد يكسر عضواً مني !

(١) لا يقرف : من القراف بالكسر وهو داء يقتل البعير ، يريد أنه قوى متين لا تقربه الأدواء

(٢) الإرجاف : الخوض في أخبار الفتن ، ومنه (والمرجعون في المدينة)

(٣) مرقاق : جمع مرق ، وهو الخارج على الجماعة

(٤) الجندلة : الصخرة (٥) الشكائم : جمع شكيمة ، وهي الحديدة المعترضة في فم

الفرس ، وفلان شديد الشكيمة : أنف أبي لا يتقاد

(٦) زعمتم أنه لما به : يريد زعمتم أنه ضعف لما به من السقم

ودخل الأحنفُ بنُ قيسٍ على معاوية وافداً لأهل البصرة ، ودخل معه
 النمر بن قُطبة ، وعلى النمر عبادة قَطَوَاتِيَّةٌ ^(١) ، وعلى الأحنفُ مِدْرَعَةٌ صوف
 وشملة ، فلما مثلا بين يدي معاوية اقتنحتمهما عينه ^(٢)؛ فقال النمر : يا أمير المؤمنين!
 إنَّ العبادة لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ فيها ! فأوماً إليه فجلس ، ثم أقبل على
 الأحنف فقال : ثم مه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أهلُ البصرة عدد يسير ، وعظمُ
 كسير ، مع تتابع من المحُول ^(٣) ، واتصالٍ من الذُّحول ^(٤) فالمكثِرُ فيها قد
 أطرق ، والمُقلُّ قد أمات ^(٥) ، وبلغ منه المُخنَّق ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير ،
 ويَجْبِرُ الكسير ، ويسهل العسير ، ويصْفَحُ غن الذُّحول ، ويُدَاوِي المحُول ، ويأمر
 بالعطَاء ؛ ليكشف البلاء ، ويُرِيْل الأواء ^(٦) . وإنَّ السيدَ من يعم ولا يَحْصُ
 ومن يدعو الجفلى ، ولا يدعُو النقرى ^(٧) إن أحسنَ إليه شكر ، وإن أسىءَ
 إليه غفر ، ثم يكون وراء ذلك لرعيته عماداً يدفَعُ عنها الملمات ، ويكشفُ
 عنهم المضلات .

بين معاوية
والأحنف بن
قيس

فقال له معاوية : ها هنا يا أبا بجر ! ثم تلا : (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ
 لِقَوْلٍ) .

ومن جميل المحاورات ما رواه المدائني ، قال : وقد أهل العراق على
 معاوية رحمه الله ، ومعهم زياد ، وفيهم الأحنف ، فقال زياد : يا أمير المؤمنين ؛
 أشخصت إليك أقواماً الرغبة ، وأقعدت عنك آخرين العذر ، فقد جعل الله
 تعالى في سعة فضلك ما يُجبرُ به المتخلف ، ويكافأ به الشاخص . فقال معاوية :

محاورة بين
معاوية وأهل
العراق

(١) نسبة إلى قطوان وهو موضع بالكوفة

(٢) اقتنح : احتقر (٣) المحول : جمع محل ، وهو الضيق (٤) الذحول : جمع

ذحل ، وهو الثأر (٥) أملك : من الإملاق ، وهو الفقر (٦) الأواء : الشدة

(٧) يدعو الجفلى : يدعو الجماعة ، والنقرى : دعوة الفرد . قال طرفة :

نحن في الأواء ندعو الجفلى لا ترى الأدب منا ينتقر

سرحباً بكم يا معشر العرب ، أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعتكم
الرحم ؛ إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم
بأن تخير لكم بلاداً تجتاز عليها المنازل ، حتى صفاكم من الأمم كما تصفى الفضة
البيضاء من خبثها ؛ فصونوا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم ،
فإن الحسن منكم أحسن إقربكم منه ، والقبیح منكم أقبح لبعدم عنه .
فقال الأحنف : والله يا أمير المؤمنين ، ما نعدم منكم قائلاً جزيلاً^(١)
ورأياً أصيلاً ، ووعداً جميلاً ؛ وإن أخاك زياداً لمتبع آثارك فينا ، فنستمع الله
بالأمير والمأمور ، فإنكم كما قال زهير ، فإنه ألقى على المدّاحين فصول القول :

وما يك من خير أتوه فإتما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل يُنبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل^(٢)

وهذان البيتان لزهير بن أبي سلمى المزني في قصيدة يقول فيها :

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأنديّة ينتأبها القول والفعل
على كثيرهم رزق من يعترهم وعند المقلدين الساحة والبذل
سعى بعدهم قوم لكنى يذركوهم فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا^(٣)

قال بعض أهل العلم بالمعاني : أعجب بقوله : « ولم يألوا » ؛ لأنه لما
ذكر السعى بعدهم ، والتخلف عن بلوغ مساعيهم ، جاز أن يتوهم السامع أن
ذلك لتقصير الطالبين في طلبهم ؛ فأخبر أنهم لم يألوا ، وأنهم كانوا غير مقصرين
وأنهم — مع الاحتجاج — في المتأخرين ؛ ثم لم يرخص بأن يجعل مجدهم طارفاً

(١) القائل الجزيل : الذي يقول جزل الكلام ، وهو العاقل الأصيل الرأي ،

وفي نسخة « نائل جزيلاً » (م)

(٢) الخطى : نسبة إلى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين وتنسب إليه الرماح ،

لأنها تباع به لأنه منبتها - والوشيح : عروق القصب (٣) لم يألوا : لم يقصروا .

فيهم ، ولا جديداً لديهم ، حتى جعله إرثاً عن الآباء ، يتوارثه سائرُ الأبناء ، ثم لم يَرْضَ أن يكونَ في الآباء حتى جعله موروثاً عن آبائهم ، وهذا لو تكلفه متكلف في المنشور دون الموزون لما كان له هذا الاقتدار مع هذا الاختصار .

منزلة شعر زهير ابن أبي سلمى وكانت قريشٌ معجبةً بشعر زهير ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا قد سمعنا كلامَ الخطباء والبلغاء ، وكلامَ ابن أبي سلمى ، فما سمعنا مثلَ كلامه من أحد ؛ فجعلوا ابنَ أبي سلمى نهايةً في التجويد ، كما ترى .

وذَكَرَ أن عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه قال : إن من أشعر شعرائكم زهيراً ، كان لا يُعَاظَلُ بين الكلام^(١) ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال .

وأخذ معنى قولِ زهير : * سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم * طَرِيحُ بن إسماعيل الثَّقَفِيُّ^(٢) ، فقال لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي السفاح :

قَدْ طَلَبَ النَّاسُ مَا بَلَغْتَ وَلَمْ يَأْتُوا فَمَا قَارَبُوا وَقَدْ جَهَدُوا^(٣)
فِهِمْ مُلُوكٌ مَا لَمْ يَرَوْكَ ، فَإِنْ لَاحَ لَهُمْ مِنْكَ بَارِقٌ خَدُّوا
تَعْرَهُمْ رِعْدَةٌ لَدَيْكَ كَمَا قُرُقِفَ تَحْتَ الدَّجْنَةِ الصَّرْدُ^(٤)
لَا خَوْفَ ظَلْمٍ وَلَا قَلِيَّ خُلُقٍ لَكِنْ جَلَالًا كَسَاكَهُ الصَّمَدُ^(٥)
مَا يُبْقِيكَ اللَّهُ لِلْأَنَامِ قَمًا يُفْقَدُ مِنَ الْعَالَمِينَ مَفْتَقَدُ^(٦)

وقال معاوية رحمه الله : المروءة : احتمال الجريرة^(٧) ، وإصلاحُ أمر العشيرة ؛ النبل والمروءة والنبلُ : الحلم عند الغضب ، والعموُّ عند المقدرة .

(١) يعاظل : يكرر ويردد . وفي الأصل « يفاصل » وهو تحريف

(٢) شاعر مجيد توفي نحو سنة ١٧٠ (٣) جهدوا : تعبوا

(٤) قرُقِفَ على صيغة المفعول : أرعد ، والدجنة : الظلمة ، والصد : الذي

يشكو قسوة البرد (٥) القلي : البغض (٦) ما في هذا البيت شرطية (٧) الجريرة :

الجناية ، واحتمال الجريرة : كناية عن دفع الندية لثلاثي يؤخذ الجاني بجنايته

فَقَرَّ مِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ تَبْذِيرًا قَطُّ إِلَّا وَإِلَى جَنْبِهِ حَقٌّ مُضَيِّعٌ . أَنْقَضَ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونَهُ . أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَقْرِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ . التَّسَلُّطُ عَلَى الْمَالِيكَ مِنْ لَوْثِ الْمَقْدَرَةِ وَسُوءِ الْمَمْلَكَةِ .

وقال يحيى بن خالد : مَا حَسَنَ أَدَبٍ رَجُلٍ إِلَّا سَاءَ أَدَبُ غِلْمَانِهِ (١) .

وقال معاوية : إِصْلَاحُ مَا فِي يَدِكَ أَسْلَمَ مِنْ طَلْبِ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ . غَضَبِي عَلَى مَنْ أَمْلَكَ ، وَمَا غَضَبِي عَلَى مَنْ لَا أَمْلَكَ ؟ .

ولما تَوَقَّى معاويةُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَاسْتُخْلِفَ يَزِيدُ ابْنَهُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ تَهْنِئَةٍ وَتَعْزِيَةٍ ، حَتَّى أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامِ السَّلُولِيُّ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى الرَّزِيَةِ ، وَبَارَكَ لَكَ فِي الْعَطِيَّةِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّعِيَّةِ ، فَقَدْ رُزِّتَ عَظِيمًا ، وَأُعْطِيتَ جَسِيمًا ، فَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ ، وَاصْبِرْ لَهُ عَلَى مَا رُزِّيتَ ؛ فَقَدْ فَقَدْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ ، وَمُنِحْتَ خِلَافَةَ اللَّهِ ؛ فَفَارَقْتَ جَلِيلًا ، وَوَهَبْتَ جَزِيلًا ؛ إِذْ قَضَى مُعَاوِيَةُ نَحْبَهُ ، فَفَرَّ اللَّهُ ذَنْبَهُ ؛ وَوَلَّيْتَ الرِّيَاسَةَ ، فَأَعْطَيْتَ السِّيَاسَةَ ؛ فَأَوْرَدَكَ اللَّهُ مَوَارِدَ السَّرُورِ ، وَوَفَّقَكَ لِصَالِحِ الْأُمُورِ ، وَأَنْشَدَ :

اصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ وَاشْكُرْ حِبَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ أَضْفَاكَ (٢)
لَارْزُءَ أَضْبَحَ فِي الْأَقْوَامِ نَعْلَمَهُ كَمَا رُزِّتَ وَلَا عُقْبِي كَعُقْبَاكَ
أَصْبَحْتَ وَإِلَى أَمْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَأَنْتَ تَرَعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرَعَاكَ
وَفِي مُعَاوِيَةَ الْبَاقِي لِنَاخَفُ إِذَا نُعِيتَ وَلَا نَسْمَعُ بِمَنْعَاكَ (٣)

يُرِيدُ أبا لَيْلَى مُعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدَ ، وَوَلَّى بَعْدَ أَبِيهِ شَهْرًا ، ثُمَّ انْخَلَعَ عَنِ الْأَمْرِ ، فَقَالَ الْقَائِلُ :

(١) يظهر أن هذه الكلمة وقعت استطرادا من المؤلف ، وإذ كان الغرض ذكر

فقر من كلام معاوية

(٢) الحباء : العطاء (٣) «لا» حرف دعاء ، ولذلك جزم بها الفعل إلحاقا بالناهية

* والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا *

الجمع بين التهنئة والتعزية
وأول مَنْ فَتَحَ الباب في الجمع بين تهنئة وتعزية عبد الله بن همام ، فَوَلَّجَهُ
الناس ، ومن جَيِّد ما قيل في ذلك قصيدةُ أبي تمام الطائي يمدح الوائقَ ويرثي
المعتصم يقول فيها :

إن أُضْبِحتْ هَضْبَاتُ قَدَسٍ أزالها قَدَرَ فما زالت هِضابُ شَمَامٍ^(١)
أَوْ يُفْتَقَدُ ذُو النونِ في الهَيْجَا فقد دَفَعَ الإلهُ لَنَا عن الصَّمَامِ
أَوْ كُنْتَ منا غاربا غَدُوا فقد رُحْنَا بأَسْمَى غَارِبٍ وَسَنَامٍ^(٢)
تلك الرزِيَّةُ لا رزِيَّةٌ مثلها والقَسْمُ ليس كسائرِ الأقسامِ^(٣)

وهذا المعنى كثير.

وكان معاوية رحمه الله قد تركَ قولَ الشعرِ في آخر عمره ، فنظر يوماً إلى
جاريةٍ في داره ذاتَ خَلْقٍ رائِعٍ ، فدعاها فوجدها يَكْرًا فافترعها ، وأنشأ يقول :

سُئِمْتَ غَوائِتي فَأَرَحْتُ حِلْمِي وفيَّ عَلى تَحْمَلِي اعْتِراضُ
عَلى أَنِي أُجِيبُ إِذا دَعَنِي ذَوَاتُ الدَّلِّ وَالْحَدَقِ المِراضُ

فقر لجماعة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم

ابن عباس : الرخصة من الله صدقة ، فلا تردُّوا صدقته^(٤) . لكل داخلٍ

هية فابدهوه بالتحية ، ولكل طاعم حشمة فابدهوه باليمين .

ابن مسعود رحمه الله : الدنيا كلها همومٌ ، فما كان منها في سرور فهو ربح .

عمرو بن العاص : مَنْ كَثُرَ إِخوانه كَثُرَ غُرْماؤه . وقال : أكرِّمُوا سفهاءكم ،

فإنهم يكفونكم العارَ والنارَ .

المغيرة بن شعبة : العيشُ في بقاءِ الحِشْمَةِ . في كل شيء سَرَفٌ إلا في المعروف .

(١) شمام : اسم جبل لباهلة (٢) الغارب : الكاهل (٣) القسم : النصيب
(٤) الرخصة : تسهيل الله للعبد فيما يخففه عليه كتقصير الصلاة ، وإباحة الفطر للمسافر

هذا كقول الحسن بن سهل^(١) — وقد أُنْفِقَ في دخول ابنته بُورَانِ عَلَى
المأمون أموالاً عظيمة — فقيل له : لا خيرَ في السَّرْفِ . قال : لا سَرَفَ في
الخير . فرد اللفظَ واستوفى المعنى :

معاذ بن جبل : الدِّينَ هَدَمَ الدِّينَ .

زياد : اَرْضَ من أخيك إذا وُلِّيَ ولايةً بَعْشَرُ وُدِّهَ قبلها .

مصعب بن الزبير^(٢) : التَّوَّاضَعُ من مصيد الشرف .

الأحنف بن قيس : من لم يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةٍ سَمِعَ كَلِمَاتٍ ! وقيل له : مَنْ السَّيِّدُ ؟
قال : الذي إذا أَقْبَلَ هَابُوهُ ، وإذا أَدْبَرَ عَابُوهُ . وله : سَرَكٌ مِنْ دِمِكٍ^(٣) . وله : مَنْ
تَسَرَّعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ . وله : الكَامِلُ مَنْ عُدَّتْ هَفْوَاتُهُ .
وقال يزيد بن محمد المهلب^(٤) :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرَضَى سَجَايَاهُ كُلَّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

الحسن البصرى : أَلَا تَسْتَحْيُونَ مِنْ طُولِ مَا لَا تَسْتَحْيُونَ ! ابْنُ آدَمَ رَاحِلٌ
إِلَى الآخِرَةِ كُلِّ يَوْمٍ مَرِحَةً . مَا أَنْصَفَكَ مَنْ كَلَّفَكَ إِجْلَالَهَ ، وَمَنْعَكَ مَا لَهُ . بَدَنٌ
لَا يَشْتَكِي مِثْلَ مَا لَا يَزْكِي . إِنْ أَمْرٌ أَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ أَبْحَى لَمُعْرِقٍ فِي الْمَوْقِي .
قال الطائي :

تَأْمَلْ رَوِيدًا هَلْ تَعُدُّنَّ سَالِمًا إِلَى آدَمِ أَوْ هَلْ تَعُدُّنَّ ابْنَ سَالِمٍ

وقال أبو نواس :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقٌ

(١) كان وزير المأمون، ومن أعلام زمانه، توفي سنة ٢٣٦ بعد أن تغير عقله بمرض
السوداء (٢) أحد الأبطال المشاهير، وله مواقف معروفة في التاريخ، توفي سنة ٧١
(٣) تصحفت هذه العبارة على كل من نشر هذا الكتاب من أدياء هذا العصر
قرواها « سرك من ذمك » وضبطوها على أن أولها فعل ماض من السرور وآخرها
فعل ماض من الدم، وأى سرور يدخل على من يسمع ذمه؟ وإنما هي كاضبطناها
والمراد الوصية بكتان السر (م)

(٤) كان يزيد بن محمد شاعر التوكل وقدرناه بعد وفاته أبلغ رثاء . توفي ببغداد سنة ٢٥٩

إذا أمتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
 وكان المأمون يقول: لو قيل للدنيا: صفي نفسك ما عدت هذا البيت؛
 وهو مأخوذ من قول مزاحم العقيلي:

قضين الهوى ثم ارتمتين قلوبنا بأشهم أعداء وهن صديق
 عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ما الجزع مما لبد منه؟ وما الطمع فيما لا يرغى؟
 لا تكن ممن يلعن إبليس في العلانية ويؤاليه في السر.

الشعبي: إني لأستحي من الحق إذا عرفته إلا أرجع إليه.

قطعة من كلام لبي بن علي بن أبي طالب أهل البيت رضي الله عنهم: [أهل
 الفضل والإحسان، وتلاوة القرآن، ونبعة الإيمان، وضوأم شهر رمضان] ولهم
 كلام يعرض في حلى البيان، وينقش في فص الزمان، ويحفظ على وجه الدهر،
 ويفضح قلائد الدر، ويخجل نور الشمس والبدر، ولم لا يطئون ذبول
 البلاغة، ويمجرون فضول البراعة، وأبوهم الرسول، وأثمهم البتول^(١)، وكلهم
 قد غدي بدر الحكم^(٢)، وربّي في حجر العلم:

وصف أهل
 البيت

ما منهم إلا مرّتي بالحجبي أو مبشر بالأخوذية مؤدم^(٣)

آخر:

تمته العرائن من هاشم إلى النسب الأصرح الأوضح^(٤)

(١) البتول: لقب مريم عليها السلام لأنها انقطعت عن الزواج وظلت عذراء، ثم

قيل لفاطمة البتول تشبيهاً بها في المزية عند الله

(٢) الحكم: بضم الحاء هو الحكمة، ومنه (وآتيناها الحكم صيا)

(٣) الأخوذية: الحذق والخفة، وهو مبشر بالأخوذية ومؤدم: يعني أن بشرته

وأدمه أي جلده حشى بالمهارة والنشاط (٤) العرائن: الأوائل

إلى نَبْعَةٍ فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ وَمَعْرِسُهَا فِي ذُرَى الْأَبْطَحِ (١)

وهم كما قال مسلم بن بلال العبدى — وقد قيل له : خطب جعفر بن سليمان خطبة لم يُرَ أحسن منها ، فلا يُدرى أوجه أحسن أم خطبته ؛ فقال : أولئك قوم بنور الخلافة يُشْرِقون ، وبلسان النبوة ينطقون ، وفيهم يقول القائل :

لو كان يُوجَدُ عَرَفٌ مَجْدٍ قَبْلَهُمْ لوجدته منهم على أميال (٢)
إن جثتهم أبصرت بين بيوتهم كرمًا يتيك مواقف التَّسَالِ
نور النبوة والمكارم فيهم متوقد في الشيب والأطفال (٣)

وسئل سعيد بن المسيب : من أبلغ الناس ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال السائل : إنما أعنى من دونه . فقال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه ، وإن ابن الزبير لحسن الكلام ، ولكن ليس على كلامه ملح . فقال له رجل : فأين أنت من عليّ وابنه ، وعباس وابنه ؟ فقال : إنما عيّنت من تقاربت أشكالهم ، وتدانّت أحوالهم ، وكانوا كسهم الجففة (٤) ، وبنوهاشم أعلام الأنام ، وحكّام الإسلام (٥) .

فصل لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

في ذكر قريش ، وبنى هاشم

قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف رأيها وذكائها ، وكيف سياستها وتدييرها ، وكيف إنجازها وتحجيرها (٦)

(١) الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى (٢) العرف بالفتح : الریح (٣) الشيب جمع أشيب (٤) الجمبة : السكّانة توضع فيها السهام والغشاب (٥) يلاحظ القارىء أن المؤلف لم يذكر ماسماه «قطعة من كلام لبنى على بن أبى طالب» وإهانتكم عن أهل البيت وما قيل فيهم ، ثم انتقل إلى الكلام عن قريش . ولكن سنرى كيف يعود إلى أبناء على بعد قليل (٦) فى نسخة «وتحسيرها» والمراد ما يقابل الإيجاز ، وهو الإطاب والغرض وصف قريش بأنها تجيد إطالة القول حين تشاء

وكيف رجاحة أحلامها إذا خفّ الحليم ، وحدهُ أذهانها إذا كَلَّ الحديد^(١)
 وكيف صبرُها عند اللقاء ، وثباتُها في اللاأواء^(٢) ، وكيف وفاؤها إذا استُحسِن
 الغدرُ ، وكيف جودُها إذا حَبَّ المال ، وكيف ذِكْرُها لأحاديثِ غدٍ
 وقلةُ صدودِها عن جهةِ القصدِ^(٣) ، وكيف إقرارُها بالحق ، وصبرُها عليه ،
 وكيف وصفُها له ، ودعاؤها إليه ، وكيف سماحةُ أخلاقها ، وصونُها لأعراقها ،
 وكيف وصلوا قديمهم بجدِثهم ، وطريفهم بتليدِهم ، وكيف أشبه علانيتهم سرهم
 وقولهم فعلهم . وهل سلامةُ صدرِ أحدهم إلا على قدر بُعْدِ غوره^(٤) ؟ وهل
 غفلته إلا في وزن صدق ظنه ، وهل ظنه إلا كيقين غيره ؟
 وقال عمر : إنك لا تنتفع بعقله حتى تنتفع بظنه .

قال أوس بن حجر^(٥)

الألمعي الذي يظنُّ لك الظنَّ كأنَّ قد رأى وقد سمعا

وقال آخر :

مليحٌ نجيحٌ أخو مازنٍ فصيحٌ يُحدثُ بالغائبِ

وقال بلعاء بن قيس :

وأبغى صوابِ الرأى أعلمُ أنه إذا طاشَ ظنُّ المرءِ طاشتَ مقاديرُهُ
 بل قد علم الناس كيف جاهلها وقوامها ، وكيف نماؤها وجاهؤها ، وكيف
 سرؤها ونجابتها^(٦) ، وكيف بيانها وجهارتها ، وكيف تفكيرها وبداهتها ،

(١) الحديد : القوى الذهن (٢) اللاأواء : الشدة

(٣) القصد : الغرض (٤) الغور : القعر من كل شيء . وفلان بعيد الغور : متعمق

النظر ، وهو بحر لا يدرك غوره ، وفي الأصل «بعد غدره» بالدال ، وأحسب أنه

تحريف (٥) أوس بن حجر : هو شاعر تميم في الجاهلية ، مات قبيل الإسلام ، وهو

صاحب العينية التي قيل في مطلعها إنه أشجى بيت ، وهو قوله :

أيها النفس أجلى جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

(٦) السرو : الشرف . والنجابة : كرم الحسب

فالعرب كالبَدَن وقريشٌ رُوْحُها ، وقريشٌ رُوْحٌ وبنو هاشم سرُّها ولُبُّها ،
وموضع غاية الدين والدينامها ، وبنو هاشمٌ مِلْحُ الأَرْضِ ، وزينة الدنيا ، وحلى
العالم ، والسَّنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولَبَابُ كلِّ جوهر كريم ، وسرُّ
كلِّ عُنْصُرٍ شريف ، والطينة البيضاء ، والمُغْرَسُ المبارك ، والنَّصاب الوثيق^(١) ،
ومعدن الفهم ، ونبوع العلم ، وثُمَّ لَانَ ذُو الهَضابِ فِي الحِلْمِ^(٢) ، والسيفُ الحُسام
فِي العَزِيمِ^(٣) مع الأناة والحُزْمِ ، والصفح عن الجرم ، والقصد عند المعرفة ،
والعفو بعد المقدرة ، وهم الأنفُ المقدم ، والسَّنام الأكرم ، وكالماء الذي
لا ينجسه شيء ، وكالشمس التي لا تخفى بكل مكان ، وكالذهب لا يُعْرَفُ
بالنقصان ، وكالنجم للحَيْرَانِ ، والبارد للظْمَانِ ، ومنهم الثَّقَلَانِ ، والشهيدان ،
والأطيبان ، والسُّبْطَانِ ، وأسد الله ، وذو الجَنَاحَيْنِ ، وذو قَرْنَيْنِها ، وسَيِّدُ
الوادي ، وساقِي الحُجَيْجِ ، وحَلِيمُ البَطْحَاءِ ، والبَحْرُ ، والحَبْرُ^(٤) ، والأنصار
أنصارهم ، والمهاجرون مَنْ هاجر إليهم أو معهم ، والصَّدِيقُ مَنْ صدقهم ،
والفاروق من فرَّق بين الحق والباطل فيهم ، والحواريُّ حواريِّهم ، وذو الشهادتَيْنِ
لأنه شهيد لهم ، ولا خيرَ إلا لهم أو فيهم أو معهم ، أو يُضَافُ إليهم ، وكيف
لا يكونون كذلك ومنهم رسولُ رب العالمين ، وإمامُ الأولين والآخرين ،
ونجيبُ المرسلين ، وخاتمُ النبيين ، الذي لم يَتَمَّ لِنَبِيِّ نُبُوَّةٌ إلا بعد التصديق
به ، والبشارة بمجيئه ، الذي عمَّ برسالته ما بين الخاقين ، وأظهره الله على الدين
كلَّهُ ولو كَرِهَ المُشْرِكُونَ؟

قال الحسن بن علي عليهما السلام لحبيب بن مسleme الفهري : رُبَّ مَسِيرٍ لِكَ

على السببط

وحبيب بن

مسleme الفهري

(١) النصاب : الأصل (٢) ثهلان : اسم جبل (٣) الحسام : القاطع

(٤) تلك ألقاب اختص بها فريق من أشرف قريش ، يرجع إليها من شاء في كتب

السير والغزوات

في غير طاعة الله ! قال : أَمَا مَسِيرِي إِلَى أَيْكَ فَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ ! قال : بلى !
أطعت فلانا على دنيا يسيرة ، ولعمري لئن كان قام بك في دنياك لقد تعدد بك
في دينك ، فلو أنك إذ فعلتَ شراً قلتَ خيراً كنتَ كمن قال الله عزَّ وجل :
(خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيئًا عسى الله أن يتوب عليهم) ولكنك كما قال :
(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

صفة الحسن بن
على السبط

وكان الحسن عليه السلام جواداً ، كريماً ، لا يرثُ سائلاً ، ولا يَقْطَعُ نائلاً ،
وأعطى شاعراً مالا كثيراً فقبل له : أَنْ تُعْطِيَ شاعراً يَعْصِي الرَّحْمَنُ ، | وَيَطِيعُ
الشَّيْطَانَ] ، ويقول البهتان ؟ فقال : إِنَّ خَيْرَ مَا بَدَلْتَ مِنْ مَالِكَ مَا وَقَّيْتَ بِهِ
عِرْضَكَ ، وَإِنَّ مِنْ ابْتِغَاءِ الْخَيْرِ انْتِغَاءَ الشَّرِّ .

وقد روى مثل ذلك عن الحسن رضي الله عنه ، وقيل : إِنَّ شاعراً مدحه
فأجزل ثوابه ، فلم يعل على ذلك ، فقال : أَرَأَيْ خِفْتُ أَنْ يَقُولَ : لست ابن فاطمة
الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي بن أبي طالب ! ولكني
خِفْتُ أَنْ يَقُولَ : لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا كعلي رضي الله عنه ؛
فِيُصَدِّقَ ، وَيُحْمَلَ عَنْهُ ، وَيَبْقَى مُخْلِداً فِي الْكُتُبِ ، مَحْفُوظاً عَلَى أَسْنَةِ الرِّوَاةِ . فقال
الشاعر : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَفُ بِالْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِنِّي .

محمد بن الحنفية
يرثي أخاه
الحسن بن علي

ولما توفى الحسن أدخله قبره الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس
رضي الله عنهم ، ثم وقف محمد بن علي قبره وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، وقال :
رَحِمَكَ اللَّهُ أبا محمد ! فلئن عزت حياتك ، لقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح
روح تضمته بدئك ؛ ولنعم الجسد جسد تضمته كفئك ، ولنعم الكفن كفن
تضمته لحدك ، وكيف لا تكون كذلك وأنت سليل الهدى ، وخامس أصحاب
الكساء ، وخلف أهل النقي ؟ جدك النبي المصطفى ، وأبوك علي المرتضى ،
وأُمُّكَ فاطمة الزهراء ، وعمك جعفر الطيار في جنة المأوى ، وغزيتك أكف
الحق ، ورُبِّيتَ فِي حِجْرِ الْإِسْلَامِ ، ورضعت ثدى الإيمان ، فطبت حياً وميتاً ؛

فلئن كانت الأنفُسُ غيرَ طَيِّبةٍ لفرأكَ ؛ إنها غيرُ شاكِّةٍ أنْ قد خيَّرَ لك ، وإنك وأخاك لبيدًا شَبَابِ أهلِ الجنَّةِ ، فعليك يا أبا محمد منا السلام .

وقام رجلٌ من ولد أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب على قَبْرِهِ ، فقال : رجل من ولد
 إنَّ أقدامكم قد نَمَلَتْ ، وإنَّ أعناقكم قد حَمَلَتْ إلى هذا القبرِ وليا من أولياء الحارث يرثي
 الله يُبَشِّرُ نبيَّ الله بمقدمه ، وتُفْتَحُ أبوابُ السماءِ لروحه ، وتبتهجُ الحورُ العِينُ الحسن بن علي
 بِلِقَائِهِ ^(١) ، ويأنسُ به سادةُ أهلِ الجنَّةِ من أمته ، ويوحسُّ أهلَ الحِجَابِ والدين
 فِقْدَهُ ، رحمة الله عليه ، وعنده تَحْتَسِبُ المصيبةُ به .

ألفاظ لأهل العصر في ذكر المصيبة بأبناء النبوة

قد نُعيَ سليلٌ من سُلالةِ النبوة ، وقرُعٌ من شجرةِ الرسالة ، وعُصُوٌّ من
 أعضاء الرسول ، وجزءٌ من أجزاء الوصيِّ والبَتُولِ ^(٢) . كتبت وليتني ما كتبت وأنا
 ناعي الفضل من أقطاره ، وداعي المجدِ إلى شقِّ ثوبِهِ وصدَّاره ، ونخبِرُ أنَّ شمس
 الكرمِ واجِبَةٌ ^(٣) والمآثر مودَّعةٌ ، وبقايا النبوة مرتفعةٌ ، وآمالُ الإمامةِ منقطعةٌ ،
 والدين منخذيٌّ واجمٌ ^(٤) ، وللتقوى دَمْعَانُ هامٍ وساجم . كتابي وقد شلتُ يمينُ
 الدهرِ ، وقُمِيتُ عينُ المجدِ ، وقصُرَ باعُ الفضلِ ، وكسِفَتِ شمسُ المساعي ، وخُسِفَ
 قمرُ المعالي ، وتجدَّدَ في بيتِ الرسالةِ رُزْءٌ جدَّدَ المصائبَ ، واستعاد التوائبَ ؛ كل
 هذا لفقْدِ من حطَّ الكرمُ برَبِّهِ ، ثم أدرج في بُرْدِهِ ، وامتزج المجدُ به ، فدفنَ
 بدفنِهِ ، إنها لمصيبةٌ عمَّتْ بيتَ الرسالةِ ، وغضَّتْ طرفَ الإمامةِ ، وتحيفتْ
 جانبَ ^(٥) الوَحْيِ المنزَّلِ ، وذكَّرتْ بموتِ النبي المرسل . كتبت والدهرُ ينعي مُهْجَتَهُ

(١) الحور العِين : لقب نساء أهل الجنَّة ، والحور : جمع حوراء ، من الحور
 بالتحريك وهو أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها ، أو هو اسوداد العين
 كلها مثل عيون الأطباء ، والعين : جمع عينا وهي الحلوة العينين

(٢) الوصي : هو علي بن أبي طالب ، والبتول : لقب فاطمة الزهراء (م)

(٣) وجبت الشمس : غابت (٤) واجم : مضرق عبوس (٥) تحيفت : انتقصت (م)

والحمد يُنْدُبُ بِهَجَّتِهِ ، ومهايط الوَحْيِ والرسالة تمنحني ظهورها أسفا ، وما في الإمامة والوصية والرسالة تُدْرِي دموعها لهفأ ؛ وذلك أن حادث قضاء الله استأثر بفرع النبوة ، وعنصر الدين والمروة .

[رجع إلى كلام أهل البيت]

بين الحسن بن علي وأخيه محمد ابن الحنفية
 وقع بين الحسن ومحمد بن الحنفية^(١) لحاء ، ومشي الناس بينهما بالنمائم ، فكتب إليه محمد بن الحنفية : أمّا بعد فإن أباي وأباك علي بن أبي طالب ؛ لا تفضلني فيه ولا أفضلك ، وأمي امرأة من بني حنيفة ، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو ملئت الأرض بمثل أمي لكانت أمك خيراً منها ؛ فإذا قرأت كتابي هذا فاقدّم حتى ترضاني ، فإنك أحق بالفضل مني .

خطبة للحسين بن علي
 وخطب الحسين بن علي رضوان الله عليهما غداة اليوم الذي استشهد فيه ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ؛ ثم قال : يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ؛ فإن الدنيا لو بقيت على أحد [أو بقي عليها أحد] لكانت الأنبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضاء ، [وأرضى] بالقضاء ؛ غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء ، فجديدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهر^(٢) ، منزل تلعة ، ودار قلعة^(٣) ؛ فزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون .

(١) محمد بن الحنفية : هو محمد بن علي ، أخو الحسن والحسين ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب إليها تميزا له عن أخويه . ولد في المدينة سنة ٢١ وتوفي بها سنة ٨٠
 (٢) مكفهر مغبر (٣) التلعة : ما ارتفع من الأرض ، وما انهبط منها ، فهي من الأضداد ، وهي كذلك مسيل الماء وما اتسع من فوهة الوادي ، وما نزل التلعة لا ثبات لها لأنها عرضة لهجات السيل ، ودار قلعة : أي انقلاع وذهاب . وفي الأصل « والمنزل تلعة والدار قلعة » وما أثبتناه أنسب .

وكان معاوية بن أبي سفيان عيّن بالمدينة يكتبُ إليه بما يكونُ من أمور بين معاوية الناس وقريش ، فكتب إليه : إنَّ الحسين بن عليٍّ أعتقَ جاريةً له وتزوَّجها ؛ فكتب معاوية إلى الحسين : من أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن عليٍّ . أمَّا بعد ، فإنه بلغني أنك تزوجتَ جاريتك ، وتركتَ أكفأك من قریش ، ممن تستنجبُه للولد ، وتمجد به في الصُّهر ، فلا لنفسك نظرت ، ولا لولدك انتقيت .

فكتب إليه الحسين بن علي : أمَّا بعد ، فقد بلغني كتابك ، وتعييرك إياي بأني تزوجتُ مولائي ، وتركتُ أكفأ من قریش ، فليس فوق رسول الله منتهى في شرف ، ولا غاية في نسب ؛ وإنما كانت ملك يميني ، خرجت عن يدي بأمر التمسُّ فيه ثواب الله تعالى ؛ ثم ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد رفع الله بالإسلام الخسيصة ، ووضع عنها به النقيصة ؛ فلا لومَ على امرئ مسلم إلا في أمرٍ مآثم ، وإنما اللومُ لومُ الجاهلية .
فما قرأ معاوية كتابه نبَّذهُ إلى يزيد فقرأه ، وقال : لشدَّ ما فخرَ عليك الحسين ! قال : لا ، ولكنها السنةُ بنى هاشم الحداد التي تفلقُ الصخرَ ، وتعرفُ من البحر !

والحسين - رضي الله عنه ! - هو القائل :

لعمرك إنني لأحبُّ داراً تحلُّ بها سُكينةُ والربابُ
أحبُّهما وأبذلُّ كلِّ مَالِي وليس لِلأئمِّ عِنْدِي عِتَابُ

من شعر
الحسين بن علي

سكينة: ابنته، والرباب: أمها، وهي بنت امرئ القيس [بن الجرول] الكلبيّة.
وفي سُكينة يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي كذباً عليها (١) :

(١) نشر نطبعة الثالثة من كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » فيه فصل مَطْبُور عن السيدة سكينة بنت الحسين وحياتها الأدبية والوجدانية وعلاقتها بعمر بن أبي ربيعة لترى أياك يكدب عليها كما يحدثنا صاحب زهر الآداب ؟

لابن أبي ربيعة
في سكنة بنت
الحسين

قالت سُكَيْنَةُ وَالدُمُوعُ ذَوَارِفُ
لَيْتَ الْمُغِيرِيَّ الَّذِي لَمْ أَجْزِهِ
كَانَتْ تَرُدُّ لَنَا أَلْمَنَى أَيْامَنَا
خَبَّرْتُ مَا قَالَتْ فَبِتُّ كَأَنَّمَا
أَسْكِينُ مَا مَاءَ الْفُرَاتِ وَطَيْبُهُ
بِأَلَدِّ مَنْكِ ، وَإِنْ نَأَيْتِ ، وَقَلَّمَا
إِنْ تَبَدَّلِي لِي نَائِلًا أَشْفِي بِهِ
وَعَصَيْتُ فَيْكَ أَقَارِبِي وَتَقَطَعْتُ
فَتَرَكْتَنِي لَا بِالْوَصَالِ مُتَمَعًا
فَقَعَدْتُ كَمَا هُرَيْبُ فِضْلَةَ مَائِهِ

تَجْرِي عَلَى الْخَدَيْنِ وَالْجَلْبَابِ
فِيمَا أَطَالَ تَصِيدِي وَطِلَابِي
إِذْ لَا نُلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَابِ
يُرْمَى الْحَشَى بِنَوَافِدِ النَّشَابِ
مِنِّي عَلَى ظَمًا وَقَدِّ شَرَابِ
تُرْعَى النِّسَاءُ أَمَانَةَ الْغِيَابِ
دَاءِ الْفَوَادِ فَقَدْ أَطَلَّتْ عَذَابِي
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عُرَى الْأَسْبَابِ
مِنْهُمْ ، وَلَا أَسْمَعُ نِيَّ بِشَوَابِ
فِي حَرِّ هَاجِرَةٍ لِلْمَعِ سَرَابِ

سكنة ترضى - وكانت سكنة من أجمل نساء زمانها وأعقلهن ، وكان مصعب بن الزبير قد جمعَ بينها وبين عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ؛ فلما قُتِلَ مصعب قالت سكنة :

فَإِنْ تَقْتُلُوهُ تَقْتُلُوا الْمَاجِدَ الَّذِي
وَقَبْلَكَ مَا خَاضَ الْحَسِينَ مَنِيَّةً
يَرَى الْمَوْتَ إِلَّا بِالسَّيْفِ حَرَامًا
إِلَى الْقَوْمِ حَتَّى أَوْرَدُوهُ حِمَامًا

لعلى بن الحسين وقال على بن الحسين (١) رحمه الله : لو كان الناسُ يعرفونَ جملةَ الخالِ في فضل الاستبانة ، وجملة الخالِ في فضل التبيين ، لأعربوا عن كل ما بتلججٍ في صدورهم ، ولو جَدُّوا من بَرْدِ اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى

(١) كان على بن الحسين مضرب المثل في الحلم والتقوى والسخاء . أحصى بعد موته عدد من كان يقوتهم سرا فإذا هم نحو مائة بيت . قال محمد بن إسحاق : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم وما كلمهم ، فلما مات على بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلًا إلى منازلهم . ولد أُنَابَةَ اللهُ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ٣٨ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٩٤ .

حالمهم ، على أن إدراك ذلك كان لا يعدمهم في الأيام القليلة المدّة ،
والفكرة القصيرة المدّة ، ولكنهم من بين مغمورٍ بالجهل ، ومفتونٍ
بالمعجب ، ومعدولٍ بالهوى عن باب الثبّت ، ومصروفٍ بسوء العادة عن
فضّل التعلم .

وقال رضى الله عنه : المرآة يُفسدُ الصداقة القديمة ، ويحلّ العقدة الوثيقة ،
وأقلّ مافيه أن تكون به المغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة .
ومن دعائه : اللهم ازفنى خوف الوعيد ، وسرور رجاء الموعود ، حتى لا أَرْجُو
إلا ما رَجَّيت ، ولا أخاف [إلا] ماخَوْفت .

وحجّ هشام بن عبد الملك ، أو الوليد أخوه ، فطاف بالبيت وأراد استلام
الحجر فلم يقدر ، فنُصب له منبرٌ فجلس عليه ؛ فبينما هو كذلك إذ أقبلَ على بن
الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في إزار ورداء ، وكان أحسن الناس
وجهاً ، وأعظمهم رأمةً ، وأكثَرهم خشوعاً ، وبين عينيه سجادة^(١) ، كأنها رُكبة
عنز ، وطاف بالبيت ، وأتى ليستلم الحجر ، فتنحى له الناسُ هيبةً وإجلالاً ،
فعاظ ذلك هشاماً ؛ فقال رجلٌ من أهل الشام : من الذى أكرمه الناسُ هذا
الإكرام ، وأعظموه هذا الإعظام ؟ فقال هشام : لأعرفه ، لثلاثيُعظّم في صدور
أهل الشام ؛ فقال الفرزدق وكان حاضراً :

هذا ابنُ خيرٍ عبادِ الله كلّمهم	هذا النقيُّ التقيُّ الطاهرُ العَلَمُ
هذا الذى تعرّفُ البطحاءُ وطأتهُ	والبيتُ يعرفهُ والحِلُّ والحَرَمُ
إذا رأته قريشٌ قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
يكادُ يمسِكُهُ عرفانُ راحتهِ	رُكنُ الحطيمِ إذا ما جاء يستلمُ ^(٢)

(١) المراد بالسجادة أثر السجود .

(٢) يريد أن ركن الحطيم يكاد يمسكه عرفان راحته ويقينه بأنها من سلالة الرسول

فِي كَفِّهِ خَيْرُ زَانٍ رِيحُهُ عَبِقٌ
 يُغِيصِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَبَعْتُهُ
 يُنَمَى إِلَى ذِرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ
 يَنْجَابُ نُورَ الْهُدَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ
 حَمَلٌ أَنْتَقَلَ أَقْوَامٌ إِذَا اقْتَرَحُوا
 هَذَا ابْنَ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ
 اللَّهُ فَضَّلَهُ قَدَمًا وَشَرَفَهُ
 مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
 عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْتَشَعَتْ
 كَلْتَنَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
 سَهْلٌ الْخَلِيقَةَ لِأَنْخَشَى بَوَادِرُهُ
 لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مَيْمُونٌ بَغْرَتِهِ
 مَا قَالُ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدُهُ
 مِنْ مَعْشَرِ حُبِّهِمْ دِينَ، وَبَعْضُهُمْ
 يُسْتَدْفَعُ السُّوءَ وَالْبَلْوَى بِحُبِّهِمْ
 مَقْدَمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقْوَى كَانُوا أُمَّتَهُمْ
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمْ

فِي كَفِّ أُرْوَعٍ فِي عَرِيْنِهِ شَمَمٌ^(١)
 فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ
 طَابَتْ عُنَاصِرُهُ وَالخَيْمُ وَالشِّيمُ^(٢)
 عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ^(٣)
 كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَمَمُ^(٤)
 حُلُو الشَّمَائِلِ تَحُلُو عِنْدَهُ نَعَمٌ
 بِحُدَّةِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
 جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
 وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَّمُ
 عَنْهَا الْغِيَابَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلْمُ^(٥)
 تَسْتَوَكْفَانُ وَلَا يَعْرِوهُمَا الْعُدْمُ^(٦)
 تَزِينُهُ الْأَثْنَانُ الْجِلْمُ وَالكَرَمُ
 رَحْبُ الْفَنَاءِ أَرِيْبٌ حِينَ يَعْتَزَمُ^(٧)
 لَوْلَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَأَهُ نَعَمٌ
 كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصِمٌ
 وَيَسْتَرْبُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعَمُ^(٨)
 فِي كُلِّ بَدءٍ وَمُخْتَوِمٌ بِهِ الْكَلِمُ
 أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ
 وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا

(١) أُرْوَعُ: ذَكَرَ الرُّوعُ، بِضَمِّ الرَّاءِ، وَهُوَ الْفُوَادُ. وَالْعَرَيْنُ: الْأَنْفُ، وَالشَّمَمُ: الْارْتِفَاعُ
 (٢) الْخَيْمُ: الْأَصْلُ (٣) يَنْمَى: يَنْسَبُ (٤) الْقَمَمُ وَالْقَتَامُ: الْغُبَارُ (٥) الْغِيَابَةُ: غِيَابَةُ
 الرُّشْدِ، وَالْإِمْلَاقُ: الْفَقْرُ (٦) تَسْتَوَكْفَانُ: تَجْرِيانِ، وَالْعُدْمُ بِضَمِّ الْعَيْنِ: الْفَقْرُ.
 (٧) الْأَرِيْبُ: وَافِرُ الْعَقْلِ (٨) يَسْتَرْبُ: يَصْلِحُ.

همُ النُيُوثُ إِذَا مَا أَرَمَتْهُ أَرَمَتْ
 الأُسْدُ أُسْدُ الشَّرِيِّ وَالْبَاسُ مُحْتَدِمٌ (١)
 يَأْتِي لَهُمْ أَنْ يَحِلَّ الدَّمُ سَاحَتِهِمْ
 خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالنَّدَى هُضْمٌ (٢)
 لَا يَنْقُصُ الْعَسْرُ بَسْطًا مَنْ أَكْفَهُمْ
 سَيِّانٌ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدَمُوا
 أَى الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
 لِأَوْلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نِعْمٌ (٣)
 مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّتَهُ
 فَالِدِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمُّ
 وَلَيْسَ قَوْلِكَ مِنْ هَذَا بَضَائِرِهِ
 الْعَرَبُ تُعْرِفُ مَنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ
 وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْحَزِينَ الْكِدَانِي وَفَدَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
 وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرَ فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

لَمَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي الْجُمُوعِ ضُجِّي
 وَقَدْ تَعَرَّضْتَ الْحُجَابُ وَالْخَلْدُمُ
 حَيْثُهُ بِسَلَامٍ وَهُوَ مُرْتَفِقٌ
 وَضَجَّةُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْبَابِ تَزْدَحِمُ (٤)
 فِي كَفِّهِ خَيْرِ زَانَ وَالْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ .

وَيُقَالُ : إِنَّمَا لِدَاوُدَ بْنِ سَلَمٍ فِي قَتْمِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ
 عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْأَخْطَلُ :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى التَّجَارِ بِمَسْمَحٍ
 هَرَّتْ عَوَازِلُهُ هَرِيرَ الْأَكْلَبِ (٥)
 لَدَى يُقْبَلُهُ النِّعِيمُ ، كَأَمَّا
 مُسِحَتْ تَرَائِبُهُ بِمَاءِ مُذْهَبِ (٦)
 لِبَاسِ أَرْدِيَةِ الْمَلُوكِ تَرَوْقُهُ
 مِنْ كُلِّ مَرْتَقَبِ عَيُونِ الرَّبْرِ (٧)
 يَنْظُرُونَ مِنْ خَلَلِ الشُّنُورِ إِذَا بَدَأَ
 نَظَرَ الْمَهْجَانَ إِلَى الْفَنِيقِ الْمُصْعَبِ (٨)

(١) الأزيمة : الشدة ، والشرى : جليل بهامة كثير السباع .

(٢) هضم : جمع هضم ، وهو كثير الإنفاق (٣) المراد بالأولية الآباء والأجداد

(٤) مرتفق : متكىء على مرقفه (٥) هرت : صاحت .

(٦) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، والمذهب : المزوج بالذهب .

(٧) الربرب : الطباء . والمراد بها النساء (٨) المصعب : الجمل الذى لم يركب .

والفنيق : المكرم . والمهجان : الإبل الأبيض .

للأخطل في قتم
 بن العباس

ويقال : بل قالها في علي بن الحسين اللعين المنقري ، وسمى اللعين لأن عمر سمعه يُنشد شعراً والناس يُصلون ، فقال : مَنْ هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم ^(١) ولُقِّبَهُ مَنْ شاء ، فقد أحسن ماشاد وأجاد وزاد ^(٢) .

لندي الرمة يمدح
بلال ابن أبي
بردة

وقال ذو الرمة في بلال بن أبي بُرْدَة بن أبي موسى الأشعري :
مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ عَيْنٌ بَارِئًا ^(٣)
فَمَا يَعْرِفُونَ الصَّحَّكَ إِلَّا تَبَسُّمًا وَلَا يَنْسُونَ الْقَوْلَ إِلَّا تَنَاجِيًا ^(٤)
وَمَا الْفُحْشَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ ، وَلَا الْخُنَا عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَا هِيََا
فَتَى السِّنِّ ، كَهَيْبَةِ الْحِلْمِ ، يُسْمَعُ قَوْلُهُ يُوزِنُ أَدْنَاهُ الْجِبَالَ الرَّوَّاسِيَا
وَمَنْ أَجُودَ مَا لِلْمُحَدِّثِينَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ فِي الْفَتْحِ
ابن خاقان :

للبحترى يمدح
الفتح ابن
خاقان

ولما حضرنا سُدَّةَ الإِذْنِ أُخْرَتِ رَجَالٌ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا دَاخِلُهُ
فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْبٍ إِلَى ذِي مِهَابَةٍ أَقَابِلُ بَدْرٍ لَتَمَّ حِينَ أَقَابِلُهُ
بَدَأَ لِي مَحْمُودُ السَّجِيَّةِ شَمْرَتْ سَرَائِيلُهُ عَنْهُ وَطَالَتْ حَمَائِلُهُ ^(٥)
كَأَنَّكَ انْتَصَبَ الرُّمْحُ الرُّدِّيُّ نَفَقَتْ أَنَابِيئُهُ وَاهْتَرَّتْ لِلطَّعْنِ عَامِلُهُ ^(٦)
وَكَالْبَدْرِ وَاقْتَنَهُ لَتَمَّ مُنْعُودُهُ وَتَمَّ سَنَاهُ وَاسْتَهَلَّتْ مَنَازِلُهُ
فَسَلَّمْتُ فَاغْتَاقَتْ جَنَائِي هَيْبَةً تَنَازَرُ عَنِّي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ ^(٧)

(١) اللعين المنقري : هو أبو الألكندر مبارك بن زمعة . وفي الأصل « اللعين استنقري » وهو تحريف (٢) يريد أن الشعر جيد بغض النظر عما ينسب إليه من الشعراء (٣) الكيروان بكسر الكاف جمع الكروان بفتحها مع سكون الواو . وهو طائر مغرد ، والبازي : الصقر (٤) ينسون : ينطقون .

(٥) السراييل : الثياب . والجمائل : جمع حمالة بالكسر . وهي علاقة السيف

(٦) عامل الرمح : صدره

(٧) اغتاق وعاق : منع ، والجنان : القلب .

إلى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا
لَدَيْهِ لِأُضْحَى حَاتِمٌ وَهُوَ عَادِلُهُ
فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وَأَنْتَنِي
إِلَى بِيْشْرِ أَنْسَتَنِي مَخَائِلُهُ (١)
دَنَوْتُ فَقَبَّلْتُ النَّدَى مِنْ يَدِ امْرِئٍ
جَمِيلٍ مَحِيَّاهُ سَبَاطٍ أَنْامِلُهُ (٢)
صَفَّتْ مِثْلَ مَا تَصْفُو الْمُدَامُ خِلَالَهُ
وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهُ

ووقعت حرب بالجزيرة بين بني تغلب، فتولى الإصلاح بينهم الفتوح بن خاقان فقال البحرى فيما تعلق بعضه بذكر الهيبة :

بني تغلبٍ أَعَزُّزُ عَلَى بَأْنٍ أَرَى
دِيَارِكُمْ أُمْسَتْ بِلَيْسٍ لَهَا أَهْلٌ (٣)
خَلَّتْ دِمْنَةٌ مِنْ سَاكِنِيهَا وَأَوْحَشَتْ
مِرَابِعُ مِنْ سَنَجَارٍ يَهْمِي بِهَا الْوَيْلُ (٤)
إِذَا مَا اتَّقَوْا يَوْمَ الْهِيَاجِ تَحَاجَزُوا
وَالْمَوْتُ فِيمَا بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلُ
كَفَى مِنَ الْأَحْيَاءِ لَأَقَى كَفِيَّةُ
وَمِثْلٌ مِنَ الْأَقْوَامِ زَاخَفُهُ مِثْلُ (٥)
إِذَا مَا أَخْجَرَ الرِّمَاحَ انْتَهَى لَهُ
أَخٌ لَا بَلِيدٌ فِي الطَّعَانِ وَلَا وَغْلُ (٦)
تَحَوُّطُهُمُ الْبَيْضُ الرِّقَاقُ ، وَضَمْرُ
عِتَاقٌ ، وَأَنْسَابٌ بِهَا يَدْرِكُ التَّنْبُلُ (٧)
بَطْعَنِي يَكْبُ الدَّارِعِينَ دِرَاكُهُ
وَضَرَبٌ كَمَا تَرَعُو الْخَزْمَةَ الْبُزْلُ (٨)
تَجَافَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ التِّي
عَلِمْتُ ، وَلِلْجَانِينَ فِي مِثْلِهَا الشُّكْلُ (٩)

(١) الخائل : جمع مخيلة ، وهى الدلالة (٢) سباط : طوال ، كناية عن الكرم

(٣) هذه القطعة من قصيدة جيدة طويلة مطلعها :

ضمان على عينيك أنى لا أسلو وأن فؤادى من جوى بك لا يخلو

(٤) سنجار : مدينة فى نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، والويل :

المطر الشديد ، ويهمى : ينسكب (٥) كفى : نظير ، زاخفه : نازله ، من الزحف .

وفى الأصل « راجعه » وهو تحريف (٦) الوغل : الضعيف النذل (٧) البيض :

الرقاق : السيوف المرهفة ، والضمير العتاق : الحيلول الضامرة الكريمة ، والتبل : الثأر

(٨) الدارعون : لا بسؤال الدروع ، ودراكه : تتابعه ، وترعو : تصيح ، والخزمة :

التي وضع فى شدقها الحرام ، والبزل : جمع بازل . وهو البعير يبلغ تسع سنين

(٩) الشكل : الفقد

- وكانت يدُ الفتح بن خاقان عندكم
ولولاهُ طَلَّتْ بِالْعُقُوقِ دِمَاؤَكُمْ
تَلَفَيْتَ يَا فَتْحُ الْأَرَقِمِ بَعْدَ مَا
وَهَبْتَ لَهُمْ بِالسَّلْمِ بَاقِي نَفْسِهِمْ
أَتَاكَ وَفُودُ الشُّكْرِ يُثْنُونَ بِالَّذِي
فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سُودَدًا
تَرَاءَوْكَ مِنْ أَقْصَى السَّمَاطِ فَتَصَرَّوْا
وَلَمَّا قَضَوْا صَدَرَ السَّلَامِ تَهَافَتُوا
إِذَا شَرَعُوا فِي خُطْبَةٍ قَطَعْتَهُمْ
إِذَا نَكَسُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَرَابَةِ
نَصَبْتَ لَهُمْ طَرْفًا حَدِيدًا ، وَمَمْطَقًا
وَسَلَّتْ سَخِيَمَاتِ الصُّدُورِ فَعَالَمَكَ الْـ
بِكَ التَّامُّ الشَّعْبُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ
فَمَا بَرِحُوا حَتَّى تَعَاطَتْ أَعْكَفَهُمْ
وَجَرَّوْا ذِيوَالِ الْعَصَبِ تَضْفُو ذِيوَالِهَا
- يَدَ الْعَيْثِ عِنْدَ الْأَرْضِ أُجْدِبَهَا الْحُلَّ (١)
فَلَا قَوَدٌ يُعْطَى الْأَذْكَ وَلَا عَقْلٌ (٢)
سَقَاهُمْ بِأَوْحَى سُمِّهِ الْأَرْقَمُ الصَّلَّ (٣)
وَقَدْ أَشْرَفُوا أَنْ يَسْتَنْمَهُمُ الْقَتْلُ (٤)
تَقَدَّمَ مِنْ نِعْمَاكَ عَنْدهُمْ قَبْلُ
مِنَ الْيَوْمِ ضَمَّتَهُمْ إِلَى بَابِكَ السُّبُلُ (٥)
خُطَاهُمْ ، وَقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وَهُمْ عَجَلُ (٦)
عَلَى يَدِ بَسَّامٍ سَجِيَّتُهُ الْبَدْلُ
جَلَالَةٌ طَلَّقَ الْوَجْهَ جَانِبَهُ سَهْلُ (٧)
وَمَا لَوْ بَلَّحَظِ خَلَّتْ أُنْهَمُ قَبْلُ (٨)
سَدِيدًا ، وَرَأَى أَيْمِثْلَ مَا انْتَضَى النَّصْلُ (٩)
كَرِيمٍ ، وَأَبْرَأَ غَلْهَا قَوْلِكَ الْفَصْلُ (١٠)
عَلَى حِينِ بُعْدِهِ مِنْهُ ، وَاجْتَمَعَ الشَّمْلُ (١١)
قِرَاكَ ، فَلَا ضِعْفَيْنِ لِدِيهِمْ وَلَا دَخَلَ (١٢)
عَطَاءِ كَرِيمٍ مَا تَكَأَدَهُ نُجْلُ (١٣)

(١) المحل: الجذب (٢) طلت: هدرت، والقود: القصاص، والعقل: الدية
(٣) أوحى: أسرع، والسلم الوحي: السريع، والأرقم الصل: الحية التي لا تنفع
فيها الرق (٤) شارفوا: قاربوا. وفي الأصل (اسرفوا) وهو تحريف (٥) السبل:
جمع سبيل، وهو الطريق، والبراديه الحاجة (٦) عجل: جمع أمجل وهو المسرع
(٧) طلق الوجه: وافر البشمر (٨) قبل: جمع أقبل، وهو الذي ينظر باحتراف
كأتما ينظر إلى أنفه (٩) النصل: السيف (١٠) السخيمات: جمع سخيمة،
وهي الحقة

(١١) التأم الشعب: اجتمع (١٢) القرى بكسر القاف: ما يتناوله الضيفان، والدحل:
الغل (١٣) تكأده: منه وشة. عليه (م)

وما عمَّهم عمرو بن غنم بنسبةٍ كما عمَّهم بالأمس نائلُك الجزل
فهما رأوا من غبطةٍ في اصطلاحهم فنك بها النعمى جرت ولك الفضل

عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط .

وللطائين [أبى تمام والبحترى] فى ذلك أشعار كثيرةٌ مختارة ، منها قول

البحترى يحذر عاقبة الحرب^(١) :

أما لربيعةِ الفرسِ انتهاءً عن الزلزاليِّ فيها والخروب^(٢)
وكانوا رقعوا أيامَ سلمٍ على تلك الضغائنِ والندوب^(٣)
إذا ما الجرحُ رمَّ على فسادٍ تبينَ فيه تفریطُ الطيبِ
رزِيَّةٌ هالكِ جَلبتَ رزايًا وخطباتٌ يكشفُ عن خطوبِ
يُشوقُ الجيبُ ثمَّ يجيئُ أمرُهُ يُصعَّرُ فيه تشقيقُ الجيوبِ
وقبرٍ عن أيامنِ برقعيمِـــــــد إذا هى ناحرتَ أفقَ الجنوبِ^(٤)
يســـــــحُ ترابهُ أبداً عليها عهاداً من مُراقٍ دَمِ صيبِ^(٥)
فهل لابنَى عديٍّ من رشيديٍّ يرُدُّ شريدَ حالهما العزيبِ^(٦)
أخافُ عليهما إمرارَ مرعى من الكلالِ الذى عُقباهُ توبى^(٧)
وأعلمُ أنَّ حربَهما خبالٌ على الداعى إليهما والمجيبِ
لعـــــــلَّ أبا العمرِّ يتلبيها يبعُدُ لهمَّ والصدرِ الرحيبِ^(٨)

(١) اختر المؤلف هذه القطعة من بائية البحترى التى مطلعها :

أمنك نأوب الطيف الطروب حبيب جاء يهدى من حبيب

(٢) ربيعة الفرس : أبو قبيلة . وهو ابن نزار بن معد بن عدنان

(٣) فى الأصل (وقعوا) والتصحيح عن الديوان والندوب : جمع ندب . وهو الجرح

(٤) برقعيد : بلدة الموصل ، وناحرت : قابلت ، وفى الأصل «فأخرت» وهو تخريف

(٥) العهاد : أمطار الربيع ، واحدها عهدة ، تقول : حديقه معهودة وبستان

(٦) العزيب : من العزوب وهو الغيبة والذهاب ، وفى الأصل (العريب) وهو

(٧) توبى : تهلاك . (٨) يتلبيها : يتبعها ، والحمم هما : معنى المهمة

فكم من سوؤدٍ قد بات يُعطى عطيةً مُكثِرٍ فيها مُطيبٍ
 أهتيمَ يابنَ عبدِ الله، دعوى مشيرٍ بالنصيحةِ أو مُهيبٍ (١)
 تناسَ ذنوبَ قومك إن حَفِظَ الذنوبَ إذا قدِمَ من الذنوبِ (٢)
 فَلَسَّهْمُ السَّيِّدِ أَحَبُّ غَيْبًا إلى الرامى من السهمِ المصيبِ (٣)
 متى أحرزتَ نصرَ بنى عبيدٍ إلى إخلاصِ وُدِّ بنى حبيبِ
 فقد أصبحتَ أغلبَ تغلبِيَّ على أيدي العشيِّرةِ والقلوبِ
 يناسب قوله :

* إذا ما الجرحُ رَمَّ على فسَادٍ *

قولُ أبي الطيبِ المتنبي لعلَى بنِ إبراهيمِ التنوخي أحدِ بنى القصيصِ :

فلا تفرُّركَ ألسنةُ موالٍ - تقلِّبنَ أفئدةً أعادِي (٤)
 وكنْ كالموتِ لا يرثِي لِبَاكِ - بكى منه، وَيَرَوِي وهو صَادٍ
 فَإِنَّ الْجُرْحَ يَنْغَرُّ بَعْدَ حِينٍ - إذا كانَ البناءُ عَلَى فَسَادٍ (٥)

وفي هذه القصيدة :

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُمُونَ - وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ
 وَقَدْ صُنَّتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ - فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادٍ

كَأَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَيْنِ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ مِنْ

طَرْفٍ خَفِيٍّ

وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا يَخْلُقُونَ مَنِيَّةً - مِنْ بَأْسِهِمْ كَانُوا بَنِي جَبْرِيلَا
 قَوْمٌ إِذَا احْمَرَّ الْمَجِيرُ مِنَ الْوَعْيِ - جَعَلُوا الْجَاهِمَ لِلسُّيُوفِ مَقْبِلَا (٦)

(١) مهيب: داعي (٢) في هذا البيت حكمة بالغة (٣) غبا : عاقبة

(٤) الموالى : جمع مولى وهو الصديق (٥) ينغر : يجيش بالدم

(٦) احمرار المجير - وهو وقت الظهر - كناية عن سيل الدماء فيه

وإنما أخذها [أبو الطيب] من قول منصور النيرى ، وذ كر سيفاً :
 ذَ كَرْتُمْ ، بَرَوْتُمْ الدَّمَ ، كأنما يعلو الرجال بأرجوانٍ نافعٍ (١)
 وترى مساقط شفرته كأنها ملىخ تبدد من وراء الدارِع
 وتراه مُعْتَمًا إذا جرّده (٢) بدم الرجال على الأديم النافع (٢)
 وكأن وقعته يجمجمة الفتى خدر المدامة أو نعاسُ الهاجع (٣)

أردت هذا البيت ، وقول النيرى :

* وَتَرَاهُ مُعْتَمًا إِذَا جَرَّدْتَهُ *

يشير إليه قول أبو الطيب ، وذ كر سيفاً :

يَبْسُ النَّجِيعُ عَلَيْهِ فَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ وَأَنَّمَا هُوَ مُعْتَمٌ (٤)
 رِيَانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْفَيْتَهُ لَجَرَى مِنَ الْمَهَجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ (٥)

وبنو عبيد ، وبنو حبيب - اللذان ذكرهما البحترى - هم : بنو عبيد
 ابن الحارث بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وحبيب بن الهجرس
 ابن تيم بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفيهم
 حبيب بن حرقة بن تغلب بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، فلا
 أدري أيهما أراد !

(١) سيف ذكر : من الذكرة بضم الدال وهى الحدة . والأرجوان : صبغ أحمر ،
 وفاقع : صفة ترادفها مبالغة . وكل ناصع اللون فاقع ، وأكثر ما يوصف به الأحمر والأصفر .
 (٢) معتم : جمد الدم عليه حتى صار له كالعمامة ، والناقع : الذى تروى بالدم .
 وفى الأصل (الفاقع) وهو تحريف (٣) يصف إمالة السيف للرؤوس ويشه فعله بفعل
 المدام والنعاس (٤) النجيع : الدم يتجمد

(٥) ريان : ممتلى بالرى ، وقذف : ألقى وطرح ورمى ، وبحر مزبد : يرمى

بالبزبد ، وذلك كناية عن كثرة ما يجرى فيه وعن شدة موجه (م)

أَسَيْتُ لَأَخْوَالِي رِبْعَةً أَنْ عَفَّتْ
بِكُرْهِىَ أَنْ بَأْتَتْ خَلَاءَ دِيَارِهَا
إِذَا افْتَرَقُوا مِنْ وَقْعَةٍ جَمَعْتَهُمْ
تَذَمُّ الْفَتَاةِ الرُّوْدِ شَيْمَةَ بَعْنِهَا
كَمِيَّةَ شَعْبٍ جَاهِلِيٍّ وَعِزَّةَ
وَفِرْسَانَ هَيْجَاءِ تَجْدِشِ صَدُورِهِمْ
تُقْتَلُ مِنْ وَتْرٍ أَعَزَّ نَفْسِهَا
إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تَقْطَعُ بَيْنَهَا
فَكَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ مَوْلَى حَيَاتِهَا
وقال أبو تمام :

لأبي تمام

مَهْلًا بِنِي مَالِكٍ لَا تَجْلِبُنَّ إِلَى
لَمْ يَأْ لِكُمْ مَالِكٌ صَفْحًا وَمَغْفِرَةً
أَخْرَجْتَمُوهُ بِكُرْدٍ مِنْ سَجِيَّتِهِ
أَوْ طَأْتَمُوهُ عَلَى جَمْرِ الْعُتُوقِ ، وَلَوْ
حَى الْأَرَاقِمِ ذُو لَوْلَ ابْنَةِ الرَّقَمِ (٧)
لَوْ كَانَ يَنْفَخُ قَيْنُ الْحَيِّ فِي فَحْمِ (٨)
وَالنَّارِ قَدْ تَلْتَضَى مِنْ نَاضِرِ السَّلْمِ (٩)
لَمْ يُخْرِجِ اللَّيْثُ لَمْ يُخْرِجِ مِنَ الْأَجْمِ (١٠)

- (١) أسيت : حزنت ، والمصايف : جمع مصيف ، وفي الأصل «مصانعها» وهو تحريف ، والتصحيح عن الديوان ، وأقوت : خلت .
(٢) المغاني : جمع مغني ، وهو المنزل الذي غنى به أهله : أى أقاموا .
(٣) يطل : يهدر (٤) الرود : الجميلة الوافرة الحياء (٥) الوتر : الثأر .
(٦) الشواجر : القواطع ، أو الروابط ، فهي من أسماء الأضداد .
(٧) الأرقام : حى من تغلب ، وابنة الرقم : الحية ، والدؤلول : السم ، يريد لا تقدموا السم بأنفسكم إلى حى الأرقام ليقتلوكم به (٨) القين : الحداد .
(٩) تلتضى : تستخرج ، والسلم : اسم شجر (١٠) الأجم : مأوى الأسد

ولا مناشدة القُرْبَى لغادركم
لا تجعلوا البغى ظهراً إنه جمل
وقال أيضاً :

مهلاً بنى عمرو بن غنم : إنكم
ما منكم إلا مُردى بالحجى
عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سهمكم لا يسهم^(٣)
خلقت ربيعة من لدن خلقت يدًا
تغزو فتغلب تغلب مثل اسمها
وستذكرون غداً صنائع مالك
مالى رأيتُ ثراكم ببسالة^(٤)
ما هذه القُرْبَى التى لا تُصطفى
حسد القراية للقراية قرحة^(٥)
تلکم قريش لم تكن آباؤها
حتى إذا بعث النبي محمد^(٦)
عزبت عقولهم ، وما من معشر
لما أقام الوحى بين ظهورهم
هدف الأسنة والقنا تتحطم^(٧)
أو مبشر بالأحوذية مؤدم^(٨)
عتاب بن سعد سهمكم لا يسهم^(٩)
جشم بن بكر كفها والمعصم^(١٠)
وتسيح غنم في البلاد فتغتم
إن جلَّ خطب أو تدويع مغرم^(١١)
مالى أرى أطوادكم تهدم^(١٢)
ما هذه الرحم التى لا ترحم
أعيت عوائدها وجرح أقدم^(١٣)
تهفوا ولا أحلامها تنقسم^(١٤)
فيهم غدت شحناؤهم تنضم^(١٥)
إلا وهم منه ألب وأحزم^(١٦)
ورأوا رسول الله أحمد منهم

(١) الهدف : الغرض (٢) مردى بالحجا : يتخذ رداء ، والأحوذية : الخفة والنشاط ، ومبشر بها ومؤدم : آخذ منها بشرته وأدمه ، ولأدم : الجلد (٣) لايسهم : لا يغلب (٤) من لدن : من منذ (٥) الصنائع : جمع صنيع وهو المعروف (٦) من معانى البسالة لهلاك ، ورأيت ثراكم ببسالة : أى فى بسالة - كذا ، والذى فى الديوان « مالى رأيت ثراكم ببسالة » يريد جافاً لا ييله ندى ؛ فليس يثبت شيئاً ، وهذا معنى جيد (م) .

(٧) يريد من العوائد النكسات التى تعود بها القروح (٨) لاتنقسم أحلامها : لاتتفرق آراؤها (٩) الشحناء : البغضاء (١٠) عزبت : غابت ، ألب : أعقل (٦ - زهر الآداب ١)

ومن الحزامة لو تكون حزامه^(١) ألا تؤخر من به تتقدم^(١)
ومالك هو: ابن طوق^(٢) بن مالك بن عتاب بن زُفَر بن مرة بن شريح
ابن عبد الله بن عمرو بن كلثوم بن مالك [بن عتاب] بن سعد بن [زهير
ابن] جُشم بن بكر [بن وائل] بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفيه
يقول دَعْبِل^(٣) يهجوهُ :

الناسُ كلُّهمُ يَعدُّو حاجتهِ من بين ذى فرَجٍ منها ومهمومٍ
ومالكٌ ظلٌّ مشغولاً بنسبتهِ يرُمُّ منها بناءً غيرَ مرْمومٍ^(٤)
يبنى بيوتاً خراباً لا أنيسَ بها ما بين طوق إلى عمرو ابن كلثوم
والتكثير من المعنى المُعترِض ، يزيح عن ثغرة العَرَض^(٥) ، لكنى أجرى
منه إلى حلبة الإجابة ، وأقصدُ قصدَ الإفادَةِ ، ثم أعود حيثُ أُريدُ :

وقال ابن الخياط المكي - واسمه عبد الله بن سالم - في باب الهيبة ، في مالك
ابن أنس^(٦) الفقيه ، رحمة الله عليه ؛ وقيل : إن هذا من قول ابن المبارك :

لابن الخياط
يدح الإمام
مالك بن أنس

(١) الحزامة : الحزم

(٢) كان مالك بن طوق من الفرسان ، وهو الذي بنى « رجة مالك » على
شاطيء الفرات ، وله مع هرون الرشيد موقف مشهور ، وهو صاحب التائبة
التي يقول فيها :

وما بي خوف أن أموت ، وإني لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من خشية تفتت

وتوفي سنة ٢٥٩

(٣) هو دعبل بن علي ، الحزاعي ، المتوفى سنة ٢٤٦ ، كان دعبل بذى اللسان
مولعا بالهجو والحط من أقدار الناس ، وكان يتعرض للشر والموت ، ولكنه عمر
طويلا مع تعرضه للخلفاء .

(٤) يرم : يصلح (٥) الثغرة : الطريق

(٦) هو الإمام مالك ، أحد الأئمة الأربعة ، المتوفى سنة ١٧٩

يَابَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً والسائلون نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ^(١)
أَدَبُ الْوَقَارِ، وَعِزُّ حِلْطَانِ التَّقَى، فهو الْمَهَيْبُ وليس ذَا سُلْطَانِ

وقول الفرزدق :

* يكادُ يمسكه عرفان راحته *

قد تجاذبه جماعة من الشعراء ؛ قال أشجع بن عمرو السلمي^(٢) لجعفر البرمكي : لأشجع السلمي
حَبْدًا أَنْتَ قَادِمًا تَرُدُّ الشَا مَ فَتَخْتَالُ بَيْنَ أَرْحُلِ عَيْرِكِ
إِنَّ أَرْضًا تَسْرِي لَهَا لَوَاسِطًا عت لسارت إليك من قبل سَيْرِكِ
وإليه أشار أبو تمام الطائي في قوله :

دِيمَةٌ سَمِحَّةٌ الْقِيَادِ سَكُوبُ مُسْتَفِيثٌ بِهَا الثَّرَى الْمَكْرُوبُ
لَوْ سَعَتْ بَقَعَةٌ لِإِعْظَامِ نُعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ
وفي هذه القصيدة في وصف الدَّيِّمَةِ ، ومدح محمد بن عبد الملك الزيات^(٣) :

(١) نواكس الأذقان : مطرقون إلى الأرض خشوعاً
(٢) كان أشجع السلمي شاعراً فحلاً يجيد المديح ، ولد في اليمامة ، ونشأ في البصرة ،
ومدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر بن يحيى ، فقربه من الرشيد .
ومن أبياته السائرة قوله :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعته ، وإذا غفا سلت عليه سيفوك الأحلام

وكانت وفاة أشجع نحو سنة ١٩٥
(٣) هو وزير العتصم والوائق ، وأحد مشاهير الكتاب والشعراء ، عرف حلو
الحياة ومرها ، وهو القائل في سجنه :

من له عهد بنوم يرشد الصب إليه
رحم الله رحماً دل عيني عليه
سهرت عيني ونامت عين من هنت لديه

وكانت وفاته سنة ٢٣٣

لَذَّةُ شَوْبُوبِهَا وَطَابَ فَلَوْ تَسَطَّعُ قَامَتْ فَعَانَقَتْهَا الْقُلُوبُ (١)
 فَهَوَّ مَاءٌ يُجْرَى وَمَاءٌ يَلِيهِ وَعَزَّالٍ تَنْشَا وَأُخْرَى تَصُوبُ (٢)
 أَيُّهَا الْغَيْثُ حَيٌّ أَهْلًا بِمَعْدَاكَ وَعِنْدَ الشَّرَى وَحِينَ تَوُوبُ (٣)
 لِأَبِي جَعْفَرٍ خَلِيقٍ تَحْكِيهِنَّ قَدْ يَشْبَهُ النَّجِيبَ النَّجِيبَ

بين أبي تمام وابن الزيات
 وأنشدها أبا جعفر بن الزيات ، فقال : يا أبا تمام ؛ والله إنك لتحلّي شعرك من جواهر لفظك وبدائع معانيك ، ما يزيد حسناً على بهي الجواهر في أجياد الكواعب ؛ وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة إلاّ يقصر عن شعرك في الموازنة . وكان بحضرة رجل من الفلاسفة ، فقال : هذا الفتى يموت شاباً ! فقيل له : من أين حكمت عليه بهذا ؟ فقال : رأيت فيه من الحدّة والذكاء والفتنة مع لطافة الحس ما علمت به أن النفس الروحانية تأكل عمره كما يأكل السيف المهندد غمده ! قال الصولي : مات وقد نيف على الثلاثين .

لأبي تمام في أبي دلف
 وقال في أبي دلف العجلي القاسم بن محمد بن عيسى (٤) :
 تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونَهَا إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِنِعْمَةِ طَالِبِ
 تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهْشُ عِرَاضَهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبِ (٥)

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .
 (٢) عزال : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء ، والمراد بها السحابة ، وتصوب : تنسكب
 (٣) تووب : ترجع (٤) أبو دلف : كان أمير الكرخ ، وسيد قومه ، وأحد قواد المأمون الشجاعان ، وللشعراء فيه مدائح كثيرة ، من أروعها هذا البيتان :

إنما الدنيا أبو دلف بين يديه ومحتضره
 فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وكانت وفاته سنة ٢٢٦ (٥) العراض : جمع عرصة ، وهي : ساحة الدار

وقال البُحترى :

لَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْئِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ

وقال أبو الطيب المنبني لبدر بن عمار :

طَرَبْتُ مَرًّا كَبْنَا فَنَحَلْنَا أَنَّهَا لَوْلَا حَيَاءُ عَاقِبَهَا رَقَصَتْ بِنَا
لَوْ تَعَمَلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا مَدَّتْ مُحْيِيَةَ إِلَيْكَ الْأَغْصَنَا

رجع ما انقطع

قال أعرابي لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين^(١) رضى الله عنه : هل رأيت
الله حين عَبَدْتَهُ ؟ فقال : لَمْ أَكُنْ لِأَعْبُدْ مَنْ لَمْ أَرَهُ ، قال : فكيف رأيتَهُ ؟
قال : لم تره الأبصارُ بمشاهدة العيان ، ورأتهُ القلوبُ بحقائق الإيمان ، لا يدرك
بالحواسِّ ، ولا يُشَبِّهه بالناس ، معروفٌ بالآيات ، منعوتٌ بالعلامات ، لا يجورُ
في القضايا ، ذلك الله الذى لا إلهَ إلا هو . فقال الأعرابي : الله أعلمُ حيثُ
يجعلُ رسالته .

قال الجاحظ : قال محمد بن علي : صلاحُ شأنِ الدنيا بخذافيرها في كلمتين ؛
لأنَّ صلاحَ شأنِ جميعِ الناسِ [في التعايشِ و] التعاشر وهو ملءُ مكيالٍ : ثلثاه
فطنة ، وثلثه تغافل .

قال الجاحظ : لم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ، ولا حظاً من الصلاح ؛
لأنَّ الإنسان لا يتغافلُ عن شيءٍ إلا وقد عرفه ووظن له ، قال الطائي :

ليس الغيبُ بسيدٍ في قومِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

وقال ابن الرومي لأبي محمد بن وهب بن عبيد الله بن سليمان :

تظَلَّ إِذَا نَامَتْ عَيُونُ ذَوَى الْعَمَى وَإِنْ حَدَّدُوا زُرْقًا إِلَيْكَ جَوَاحِظًا^(٢)

(١) ولد محمد بن علي بالمدينة سنة ٥٧ ودفن بها سنة ١١٤ . وكان مشهوراً بالعلم والتقى ، وله آراء في تفسير القرآن

(٢) جواخط : جمع جاحظة ، وهى : الناتئة الحدوة

تَعَاذِي لَهُمْ وَسَنَانَ ، بِلِ مَتَوَاسِنَا ، وَتَوَقِّظُهُمْ يَقْظَانِ بِلِ مَتِيَاظَا^(١)

[وأبو جعفر هذا هو الباقر] ، وكان أخوه زيد بن علي رضي الله عنه دينياً ، شجاعاً ، ناسكاً ، من أحسن بني هاشم عبارةً ، وأجملهم شارةً .

زيد بن علي
ابن الحسين

وكانت ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن يمنع أهل الكوفة من حضور زيد بن علي ؛ فإن له لساناً أقطع من ظبة سيف وأحد من شبا الأسنة^(٢) ، وأبلغ من السحر والكهانة^(٣) ، ومن كل نقت في عقدة .

وقيل لزيد بن علي : الصمت خير أم الكلام ؟ فقال : قبح الله المساكنة ، ما أفسدها للبيان ، وأجلبها للعي والحصر^(٤) ! والله للممارة أسرع في هدم العبي^(٥) من النار في يبس العرفج ، ومن السيل إلى الحدور^(٦) .

وقال له هشام بن عبد الملك : بلغني أنك تروم الخلافة وأنت لا تصلح لها لأنك ابن أمة ؟ قال زيد : فقد كان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ابن أمة ، وإسحاق ابن حرة ؛ فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم ! فقال له : قم ! فقال : إذا والله لا تراني إلا حيث تكروه ! فلما خرج من الدار قال : ما أحب أحد الحياة قط إلا ذلك ، فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعن هذا الكلام منك أحد ، وكان زيد كثيراً ما ينشد :

شردده الخوف وأزرى به كذاك من يكره حرّ الجلاذ^(٧)

منخرق الخفين يشكو الوجى تنكبه أطراف مرو حداد^(٨)

(١) متواسن : متناوم وليس بنائم ، ومتياظ : متظاهر باليقظة (٢) ظبة السيف : طرفه ، وكذلك شبا السنان (٣) الكهانة : نوع من فتنة الناس باسم البحث عن الغيب (٤) الحصر : عسر السكلام (٥) في الأصل «هدم الفتى» وهو تحريف (٦) الحدور : المنحدرات يجرى إليها الماء (٧) الجلاذ : الحرب .
(٨) المرو : الحجارة البيض الرقاق ، والحداد : جمع حديد .

قد كان في الموت له راحةً والموت حَمٌّ في رقاب العباد
وقد رُوِيَت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وقد
رُوِيَت لأخيه موسى .

قال عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد : حدثني رجل من بني هاشم قال : كنا
عند محمد بن علي بن الحسين ، وأخوه زيد جالس ، فدخل رجلٌ من أهل الكوفة
فقال له محمد بن علي : إنك لتزوي طرائفَ من نوادر الشعر ، فكيف قال
الأنصاري لأخيه ؟ فأنشده :

لَعَمْرُكَ ما إن أبو مالكٍ بوانٍ ولا بضعيفٍ قُواهُ
ولا بالذِّ له نازِعٌ يُعَادِي أَخَاهُ إِذَا ما نَهَاهُ
ولكنه غيرُ مخالفةٍ كريم الطباع حلوا نثاهُ^(١)
وإن سُدتَه سُدت مطوَاعةً ومهما وگت إليه گفاه

فوضع محمد يده على كَتِفَ زيد ، فقال : هذه صِفَتُكَ يا أخى ؛ رأعيذُك
بالله أن تكون قتيل أهل العراق !

وكانت بين جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي وبين زيد رضوان الله
عليهم منازعةً في وصية ، فكانا إذا تنازعا انشال الناسُ عليهما ليسمعا
محاورتهما ؛ فكان الرجلُ يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ، ويحفظُ
الآخرُ اللفظة من كلام زيد . فإذا انفصلا وتفرَّق الناسُ عنهما قال هذا
لصاحبه : قال في موضع كذا وكذا ، وقال الآخر : قال في موضع كذا وكذا ؛
فيكتبون ما قالوا ، ثم يتعلمونه كما يتعلم الواجب من الفرض ، والناذرُ من الشعر ،
والسائرُ من المثل ! وكانا أعجوبةَ دهرِهما وأحدوثةَ عصرهما .
ولما قتل زيدا يوسفُ بنُ عمر^(٢) وصلب جُثته بالكِناسة^(٣) وبعث برأسه

(١) النثا : الحديث عنه . يريد أنه لا يقال عنه غير الخير (م)

(٢) أحد الولاة في العصر الأموي ، كانت وفاته سنة ١٢٧ (٣) الكِناسة : محلة
بالكوفة يقول فيها الشاعر :

مع شَبَّة بن عقال ، وكَلَّف آل أبي طالب البراءة من زيد ، وقام خطبأؤهم بذلك : فساكن أولَ مَنْ قام عبدُ الله بن الحسن بن الحسين بن علي رحمة الله عليه فأوَجَزَ في كلامه ثم جلس ، وقام عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأظنَّب - وكان شاعراً خطيباً لَسِيناً ناسباً - فانصرف الناسُ وهم يقولون : ابن الطيارِ مِنْ أخطبِ الناسِ ، فقيل لعبدالله بن الحسن في ذلك : فقال : لو شئتُ أن أقولَ لقلت ، ولكن لم يكن مقامَ سرور ، وإنما كان مقامَ مُصيبة !

من كلام عبد الله
ابن الحسن بن
الحسين

وعبدُ الله هذا هو : أبو محمد وإبراهيم الخارِجِيُّ على أبي جعفر المنصور . وهو القائلُ لابنه محمد أو إبراهيم : أَيْ بُنْيَّ ! إني مُؤَدِّ حَقِّ الله في تأديبك . فذَّ إلى حَقِّ الله في الاستماعِ مني ؛ أَيْ بُنْيَّ ! كَيْفَ الأذَى ، وارفَضِ البِدَى (١)

واستمعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدشوك فيها نفسك إلى الكلام ، فإن القول ساعات يضُرُّ فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب . واحذرْ شورة الجاهل . وإن كان ناصحاً ، كما تحذرْ مشورة العاقل إذا كان غاشياً ؛ لأنه يُرَدِّدُكَ بِمَشُورَتِهِ ؛ واعلم يا بُنْيَّ أن رأيتُك إذا احتججت إليه وجدته نائمًا ، ووجدت هواك يقظان ، فأياك أن تستبدَّ برأيتك ؛ فإنه حينئذ هواك ؛ ولا تفعلْ فِعْلاً إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا تُرَدِّدُكَ ، وأن نتيجته لا تُجَنِّيْكَ عليك .

وهو القائل : إياك ومُعَاداة الرجال فإنك لن تعدم مكرَ حليمٍ ، أو مُعَاداة لئيمٍ . وكتب إلى صديق له : أوصيك بتقوى الله تعالى ، فإنَّ الله تعالى جعل لمن اتقاه

الخروج من حيث يكرهه ، والرزق من حيث لا يحتسب .

وعبدُ الله هو القائل :

يا أيها الراكب العادي لطيته يوم بالقوم أهل البادية الحرم
أبلغ قبائل عمرو إن أتيتهم أو كنت من دارهم يوماً على أم
إنا وجدنا فقروا في دياركم أهل الكناسة أهل اللؤم والعدم
(١) البدي : مقصور البذاء ، وهو خشن القول . ومن حتمه أن يكسب بالأدب (م)

أُنْسٌ حَرَاثَرٌ مَا هَمَّ مِنْ بَرِييَةٍ كَطَبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامٌ (١)
يُحْسِبُنَ مِنْ لَيْلِنِ الْحَدِيثِ دَوَانِيَا وَيَصْدَهُنَّ عَنِ الْخَنَاءِ الْإِسْلَامِ (٢)

قال: وهذا كما روى أن عبد الملك بن مروان استقبل عمر بن عبد الله بن أنس بن بريمة الخزومي، فقال له: قد علمت قريش أنك أطولها صبوة، وأبعدها توبة، ويحك! أملك في نساء قريش ما يكفيك من نساء بني عبد مناف (٣)؟ ربيعة ألت القائل:

نظرتُ إليها بِالْحَصَبِ مِنْ مِيٍّ وَلى نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّحُ عَارِمٌ (٤)
قُلتُ: أَصْبِيحُ أُمَ مِصَابِيحِ رَاهِبٍ بَدَتِ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أُمٌ أَنْتَ حَالِمٌ (٥)
بَعِيدَةٌ مَهْوَى القُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عِبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ (٦)
فقال: يا أمير المؤمنين، فإن بعد هذا:

طَلَبِنِ الهوى حَتَّى إِذَا مَا وَجَدَنهُ صَدَرَنَ وَهْنُ الْمَسَامَاتِ الْكِرَامِ (٧)
فاستحيا منه عبد الملك، وقضى خوائجه ووصله.

وقال آخر في هذا المعنى:

تَعَطَّلَنَّ إِلَّا مِنْ مَحَاسِنِ أَوْجِهِ فَهِنَّ حَوَالٍ فِي الصِّفَاتِ عَوَاطِلِ (٨)
كَوَأْسٍ عَوَارٍ صَامَمَاتٍ نَوَاطِقُ بَعْفِ الكَلَامِ بِاخِلَاتٍ بَوَازِلِ (٩)
بَرَزْنَ عَفَافًا وَاحْتَجَبْنَ تَسْتُرًا وَشَيْبَ مِجْقِ القَوْلِ مِنْهُنَّ بَاطِلِ (١٠)

(١) أنس: آنسات (٢) الخنا: الفحش، وفي نسخة «زوانيا».

(٣) كذا، وأعتقد أن صوابه «ما يكفك عن نساء بني عبد مناف» (م).

(٤) عارم بالراء المهمله: ظامع شرس وفي الأصل «عازم» بالزاي المعجمة، وأرجح أنه تحريف (٥) السجف بفتح السين أو كسرهما: الستر (٦) القرط: حلى يعلق في الأذن. وبعد مهوى القرط: كناية عن طول العنق (٧) صدرن: رجعن.

(٨) حوال: جمع حالية، والعواطل: جمع عاطل، وهي التي تعطلت من الحلى.

(٩) كوأس: جمع كاسية، والبعف: العفيف (١٠) شيب: مزج.

فدو الحلم مرتادٌ وذو الجهل طامعٌ وهنّ عن الفحشاءٍ حيدٌ نواكل (١)

وقال العديّل بن الفرّخ فيما يتطرف طرفاً من هذا المعنى :

لعبَ النعيمُ بهنّ في أطلاله حتى لبسَ زمانَ عَديشِ غافلٍ (٢)

يأخذن زينتَهُنَّ أحسنَ ما ترى فإذا عطّطنَ فهنَّ غيرُ عواطلِ

وإذا خبانَ خدودهنَّ أرِيذني حدّقَ ألها وأخذنَ ثنيلَ القتالِ (٣)

يرميننا لا يستترنَ بجنّةٍ إلا الصّبا وعلمنَ أينَ مقاتلي (٤)

يلبسنَ أرديّةَ الشّبابِ لأهلها ويجرّ باطلهنَّ ذيلَ الباطلِ

وتعرّضَ لعبدِ الله بن الحسنِ رَجُلٌ بما يكرهُ، فقال فيما أشدهُ ثعلبُ :

أظنّتَ سفاهةً من سفاهةِ رأيها أن أهجّوها لما هجّتني مُحاربٌ (٥)

فلا وأيهما إنّي بعشيرتي ونفسي عن ذلك المقام لراغب (٦)

وأشدّ هذين البيتين أبو العباس المبرّد لرجلٍ لم يسمه في رجلٍ يُعرفُ بابز

البعير، وقبلهما :

يقولون أبناءَ البعير وما لهم سنامٌ ولا في ذرّوةِ المجد غارِبٌ (٧)

وسائرَ عبدِ الله بن الحسنِ أبا العباس السّفاح بظَهْرِ مدينةِ الأنبار وهو

يُنظَرُ إلى بناءٍ قد بناه أبو العباس ويدور به ، فأشدّ عبدُ الله :

ألم ترَ جوشنا ما تبني بناءً نفقه لبي بقبيله

يوئملُ أن يعمرَ عمرَ نُوحٍ وأمرُ الله يحدثُ كلَّ لئيله

وكان أبو العباس له مُكرِماً ، ولحقّه معظماً ؛ فتبسّم مغضباً ، وقال : لو علمنا

للعديل
ابن الفرخ

بين عبد الله بن
الحسن ورجل
تعرض له بما
يكره

بين السّفاح
وعبد الله بن
الحسن

(١) حيد : جمع حيداء ، وهي التي تحيد عن مواطن التهم ، والنواكل : جمع

ناكلة ، وهي النافرة من الفحش .

(٢) الأطلال : جمع طلل ، وهو الدار ، والمراد أنهم نشأوا في مدارج النعيم ،

وفي نسخة « في أطلاله » (م) (٣) ألها : واحداها مهاة ، وهي الظبية

(٤) الجنّة : ما يتقى به المرء السهام (٥) محارب : اسم قبيلة (٦) رغبت

عن الشيء : زهدت فيه (٧) الغارب : الكاهل ، وذروة الشيء : أعلاه .

لا شترطنا حقَّ المسَايرة ! فقال عبدُ الله : بوادِرُ الخواطر ، وأغفال المسامح ؛ والله ماقلتها عن رَوِيَّة ، ولا عارضني فيها فكر ؛ وأنت أجلُّ من أقال ، وأولى من صَفَح ، قال : صدقت ؛ خذ في غير هذا .

المصور
وعبد الله
ابن الحسن

ولما قتل المنصورُ ابنه محمداً - وكان عبدُ الله في السجن - بعث برأسه إليه مع الربيع حاجبه ؛ فوضع بين يديه ، فقال : رحمك الله أبا القاسم فقد كنت من « الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ! ثم تمثل :

فَتَى كَانَ يَحْمِيهِ مِنَ الذَّلِّ سَيْفُهُ وَيَكْفِيهِ سِوَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
ثم التفت إلى الربيع فقال له : قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة ، ومن نعيمك مثلها ؛ والموعودُ الله تعالى ! قال الربيع : فما رأيت المنصور قطُّ أكثر انكساراً منه حين أبلغته الرسالة^(١) .

أخذ العباس بن الأحنف^(٢) هذا المعنى ، وقيل : عمارة بن عقيل بن بلال ابن جرير^(٣) فقال :

فَإِنْ تَلَحَّطِي حَالِي وَحَالِكَ مَرَّةً بنظرة عين عن هوى النفس تُنَجِّبُ
تَجِدِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً مِنْ بُؤْسِ عَيْشَتِي يمرُّ بيوم من نعيمك يُحَسِّبُ

بين المنصور
وامرأة محمد
ابن عبد الله
ابن الحسن

وساقتل المنصورُ محمدَ بن عبد الله اعترضته امرأةٌ معها صبيان ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا امرأةٌ محمد بن عبد الله ، وهذان ابناه ، أيتمهما سيفك ، وأضرعهما خوفك^(٤) . فناشدتُك الله يا أمير المؤمنين أن تُصعَّرَ لهما خدك ،

(١) كانت وفاة عبد الله بن الحسن في سجن المنصور سنة ١٤٥ .

(٢) العباس بن الأحنف : شاعر غزل رقيق الإحساس ، توفي سنة ١٩٢ .

(٣) عمارة بن عقيل : شاعر فصيح ، كان النجويون في البصرة يأخذون عنه اللغة ،

توفي سنة ٢٣٩ . (٤) أضرعه : أذله

أَوْ يَذَى عَنْهُمَا رِفْدُكَ^(١)؛ وَلَتَعَطِفُكَ عَلَيْهِمَا شَوَابِكُ النَّسَبِ، وَأَوَاصِرُ الرَّحِمِ^(٢)
فَالْتَفَتَ إِلَى الرَّبِيعِ، فَقَالَ: أَرَدْتُ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا، ثُمَّ قَالَ: كَذَا وَاللَّهِ أَحَبُّ
أَنْ تَكُونَ نِسَاءَ بَنِي هَاشِمٍ.

بين المنصور وجعفر الصادق وكان أهل المدينة لما ظهر محمد أجمعوا على حرب المنصور، ونصر محمد؛

فلما ظفر المنصور أحضر جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق، فقال له:
قد رأيت إطباق أهل المدينة على حربى، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يُغَوِّرُ
عيونهم^(٣)، وَيَجْمَرُ نَجْلَهُمْ^(٤). فقال له جعفر: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِنْ سَلِمَانَ
أَعْطِيَ فَشَكَرَ، وَإِنْ أَيُّوبَ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَإِنَّ يَوْسُفَ قَدَرَ فَغَفَرَ؛ فَاقْتَدِ بِأَيْتِهِمْ
شئت، وقد جعلك الله من نسل الذين يَعْفُونَ وَيَصْفَحُونَ، فقال أبو جعفر:
إِنَّ أَحَدًا لَا يَعْلَمُنَا الْحِلْمَ، وَلَا يَعْرِفُنَا الْعِلْمَ، وَإِنَّا قَلْتُ هَمَمْتُ، وَلَمْ تَرِنِي فَعَلْتُ؛
وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ قَدْرَتِي عَلَيْهِمْ تَمْنَعُنِي مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ.

وعزى جعفر بن محمد رجلاً، فقال: أَعْظَمُ نِعْمَةٍ فِي مَصِيبَةٍ جَلَبَتْ أَجْرًا

تعزيزية
لجعفر الصادق وَأَفْظَعُ مِصِيبَةٍ فِي نِعْمَةٍ أَكْسَبَتْ كُفْرًا
هذا كقول الطائي:

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَدْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوَائِمِ بِالنِّعَمِ
وكان جعفر بن محمد يقول: إِنِّي لِأَمْلِقُ أَحْيَانًا فَأُتَاجِرُ اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ فَيُرْبِحُنِي.

وقال جعفر رضى الله عنه: مَنْ تَخَلَّقَ بِالْخَلْقِ الْجَمِيلِ وَلَهُ خُلُقٌ سَوْءٌ أَصِيلٌ
فَتَخَلَّقُهُ لَا حِمْلَةَ زَائِلٍ، وَهُوَ إِلَى خُلُقِهِ الْأَوَّلِ آيِلٌ، كَطَلَى الذَّهَبَ عَلَى النَّحَاسِ
يَنْسَحِقُ وَتَظْهَرُ صَفْرَتُهُ لِلنَّاسِ.

من كلام
جعفر الصادق

وهذا كقول العرجي:

يَأْيِهَا الْمُتَحَلِّيَ غَيْرَ شِمْتِهِ وَمَنْ خَلَّاتَهُ الْإِقْصَارُ وَالْمَلَقُ^(٥)

(١) الرفد: العطاء (٢) الشوابك والأواصر: هي الروابط

(٣) يغور عيونهم: يطمسها ويذهب ماءها بالعين المهملة أو بالعين المهملة (م)،

وفي الأصل «نور» وهو تحريف. (٤) جمر النخلة تجميرا قطع جوارها.

(٥) المراد من الإقصار القصور والضعف، والملق: إظهار الودذلة وخضوعا.

ارجع إلى خلقك المعروف وارض به إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ ائْتَلِقُ (١)
 وكان يقول : ما تَوَسَّلَ إِلَى أَحَدٍ بِوَسِيلَةٍ هِيَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ يَدِي سَبَقَتْ مِنِّي
 إِلَيْهِ أَتَبِعُهَا أَخْتَهَا لِتَحْسَنَ رَبِّهَا وَحِفْظَهَا (٢) ؛ لِأَنَّ مَنَعَ الْأَوَّاهِ يَقْطَعُ لِسَانَ الْأَوَّاهِ .
 وقيل لجعفر رحمه الله : إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ لِلنَّصُورِ لَا يَلْبَسُ مَذْصَارَتَ إِلَيْهِ
 الْخِلَافَةَ إِلَّا الْخَشْنَ ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا الْجُشْبَ (٣) . فقال : يَا وَيْحَهُ ! مَعَ مَا مَسَكَنَّ
 لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَجُبِّي إِلَيْهِ مِنَ الْخُرَاجِ ! قَالُوا : إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بُخْلًا وَجَمْعًا لِلْمَالِ .
 فقال : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَمَهُ مِنْ دُنْيَاهُ مَا تَرَكَ لَهُ مِنْ دِينِهِ . انتهى .

قال : ومن دعاء جعفر رضى الله عنه : اللهم إنك بما أنت أهل له من العفو
 أولى بما أنا أهل له من العقوبة .

وكان عبدُ الله [بن معاوية بن عبد الله] بن جعفر عالمًا ، ناسبًا ، وكان من عبد الله
 ابن معاوية خطيبًا مفوهًا ، وشاعرًا مجيدًا ، وكتب إلى بعض إخوانه :
 أما بعد ، فقد عاقبني الشكُّ في أمرِك عن عزيمة الرأى فيك ، وذلك أنك
 ابتدأتني بلطفٍ عن غير خبيرة ؛ ثم أعقبته جفاءً عن غير جريرة ؛ فأطمعني أولك
 في إخوانك ، وأيأسني آخرك عن وفائك ؛ فلا أنا في غير الرجاء مجمعٌ لك
 أطراحًا ، ولا أنا في غدٍ وانتظاره منك على ثقة ؛ فسبحان من لو شاء كشف
 بياض الشكِّ في أمرِك عن عزيمة الرأى فيك ؛ فاجتمعنا على ائتلاف ، أو افترقنا
 على اختلاف ، والسلام .

وهو القائل :

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مُلْفَعًا فَكَشَفَهُ التَّمْحِيسُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا (٤)

(١) التخلق : تكلف المرء ما ليس فيه من حسن الخلق . (٢) رب الشيء : أصلحه

(٣) الجشب : هو الطعام القفار الذى لا إدام فيه (٤) ملفع : مغطى ، وتقول :

يافع الشجر بالخصمة - واصل الأصل « ملفعا » بقاءين (م) .

فأنت أخی ما لم تكن لی حاجةً
 کلانا غنیٌ عن أخیه حیاته
 فلا زادَ ما بینی و بینک بعد ما
 فعین الرضا عن کل عیبٍ کلیلةٌ
 والقائل أيضاً :

لسنا وإن أحسابنا کرمت
 نبني كما كانت أوائلنا
 يوماً على الأحساب تتکل
 تبني وفعل مثل ما فعلوا

وهذا كقول عامر بن الطفيل ، قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش :
 أشدني محمد الحسن بن الحرون لعامر بن الطفيل (١) :

تقول ابنة العمری : مالک بعد ما
 فقلت لها : همی الذی تعرفینه
 إن أغزُ زُبیداً أغزُ قوماً أعزةً
 وإن أغزُ حسی خشم فدمائهم
 فما أدرك الأوتارَ مثلُ محقِّ
 أراك صَحیحاً کالسليم المذب (٢)
 من الثأرِ فی حیّ زُبید وأرحب
 مرگبهم فی الحی خیر مرکب
 شفاءٌ وخیرُ الثأرِ للتأوب (٣)
 بأجرد طاوٍ کالعسیب المُشدب (٤)

عامر
 ابن الطفيل

(١) عامر بن الطفيل: أهدفتك العرب وشعرائهم في الجاهلية ، ولد ونشأ بنجد وكان يامر مناديا ينادي في عكاظ : هل من راجل فنحمله ، أو جائع فنطعمه ، أو خائف فنؤمنه ؟ أدرك الإسلام وهو شيخ ، فوفد على الرسول وهو في المدينة بعد فتح مكة يريد الغدر به ، ولكنه لم يجرؤ عليه ، ودعاه الرسول إلى الإسلام ، فاشترط أن يجعل له نصف نمار المدينة ، وأن يجعله ولي الأمر من بعده ، فردد النبي ، فرجع مغیظاً محقناً ، وسمعه أحدهم يقول : لأملأها خيلاً جرداً ، ورجالا مرداً ، ولأربطن بكل نخلة فرساً ! فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه سنة ١١ (٢) السليم : اللدوغ .

(٣) أصل التأوب : الذي يطرق ليلاً ، وأراد الثأر (م)

(٤) الطاوى : الضامر ، والأجرد : الحصان سقط شعره من الضمور ، والعسیب :

جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشف حوصها ، والمشدب : القلم . .

وَأَسْمَرَ حَطِيٍّ وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ وَرَغْفٍ دِلَاصٍ كَالغَدِيرِ الْمُثَوَّبِ^(١)
 وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدٍ عَامِرٍ وَفِي السَّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحِ الْمَهْدَبِ
 فَاسْمُ وَوَدَّتْنِي عَامِرٌ عَنِ وِرَاثَةٍ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأُمَّ وَلَا أَبِ
 وَلَكِنِّي أَحْمَى حَمَاهَا، وَأَتَقِي أَذَاهَا، وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكَبِ

وقال أيضاً يهنئ بعض الهاشميين بإملاك^(٢) : زاد الله في نعمته ، وبارك
 في قَواضِلِهِ ، وَجَمِيلِ نَوَافِلِهِ ؛ وَنَسَأَلُ اللَّهَ - الَّذِي قَسَمَ لَكُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنَ السَّرُورِ -
 أَنْ يُجَنِّبَكُمْ مَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَذُورِ ، وَيَجْعَلُ مَا أَحَدْتُهُ لَكُمْ زِينًا ، وَمَتَاعًا حَسَنًا ،
 وَرِشْدًا ثَابِتًا ، وَيَجْعَلُ سَبِيلَ مَا أَصْبَحْتَ عَلَيْهِ ، تَمَامًا لِصَالِحِ مَا سَمَوْتَ إِلَيْهِ ؛ مِنْ
 اجْتِمَاعِ الشَّمْلِ ، وَحُسْنِ مَوَاقِفَةِ الْأَهْلِ ؛ أَلَفَ اللَّهُ ذَلِكَ بِالصَّلَاحِ ، وَتَمَمَهُ بِالنَّجَاحِ ،
 وَمَدَّدَ لَكَ فِي ثَرْوَةِ الْعَدَدِ ، وَطَيْبَ الْوَلَدِ ، مَعَ الزِّيَادَةِ فِي الْمَالِ ، وَحُسْنِ السَّلَامَةِ فِي
 الْحَالِ ، وَقُرَّةِ الْعَيْنِ ، وَصَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ .

وهجا أبو عاصم محمد بن حمزة الأسلمي المدني الحسن بن زيد بن الحسين^(٣) بن علي
 ابن أبي طالب رحمة الله عليه ، فقال :

بين أبي عاصم
 الألمي الشاعر
 والحسن بن زيد

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ وَمَهْمَا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَمِيلُ
 وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يَرَى حَقُوقًا عَلَيْهِ لَغَيْرِهِ وَهُوَ الرَّسُولُ

فلما ولي الحسن المدينة أتاه متنكراً في زى الأعراب ، فقال :

سَتَأْتِي مِدْحَتِي الْحَسَنَ بْنَ زَيْدٍ وَتَشْهَدُ لِي بِصِفِّينَ الْقُبُورِ^(٤)
 قُبُورٌ لَمْ تَزَلْ مُدَّةً غَابَ عَنْهَا أَبُو حَسَنٍ تُعَادِيهَا الدَّهُورُ
 قُبُورٌ لَوْ بِأَحْمَدٍ أَوْ عَلِيٍّ يَلُودُ مُجْبِرُهَا حُمَيَّ الْمُجْبِرِ
 هَا أَبُوكَ مِنْ وَضَعًا فَضَّعُهُ وَأَنْتَ بَرَفَعٍ مَنْ رَفَعَا جَدِيرُ

(١) الأسمر الحطبي : هو الرمح ، والأبيض الباتر : السيف القاطع ، والزغف ،
 الدروع ، والدلاص : اللينة اللساء ، والغدير للشوب : النهر الممتلىء (٢) الإملاك : الزواج
 (٣) في نسخة «الحسن بن زيد بن الحسين» والذي تولى المدينة هو الحسن بن زيد
 ابن علي بن أبي طالب ؛ فكلمة «بن الحسن» زائدة (م) (٤) ضفين : موضع واقعة مشهورة

فقال : من أنت ؟ قال : أنا الأسلمي . قال : ادنُ حياك الله ! وبسط له رداءه ، وأجلسه عليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وكان الحسن بن زيد قد عوّد داود بن سلم مولى بني تميم أن يصله ، فلما مدح داود جعفر بن سليمان بن علي - وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ - أغضبه ذلك^(١) ، وقدم الحسن من حجج أو عمرة ، فدخل عليه داود بن سلم مهنتاً ، فقال : أنت القائل في جعفر بن سليمان بن علي :

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفر
وكان المنى في جعفر أن يؤمراً^(٢)
حوى المنبرين الطاهرين كليهما
إذا ما خطا عن منبر أم منبرا^(٣)
كان بنى حواء صفواً أمامه
فخَيْرٌ في أنسابهم فتخييراً

فقال داود : نعم ، جعلني الله فداك ، فكنتم خيرة اختياره ! وأنا القائل :
لعمرى لئن عاقبت أوجدت منعماً
بغفوا عن الجاني وإن كان مُعذراً^(٤)
لأنت بما قدمت أولى بمدحة
وأكرم فخراً إن فخرت وءنصرا
هو الغرة الزهراء من فرع هاشم
ويزيد الندى والسبط سبط محمد
وما نال منها جعفر غير مجلس
إذا ما نفاه العزل عنه تأخراً^(٥)
بحقكم نالوا ذراها وأصبحوا
يرون به عزاً عليكم ومظها
فعادله الحسن بن زيد إلى ما كان عليه ، ولم يزل يصله ويحسن إليه إلى أن مات .

(١) في الأصل «غصه ذلك» وهي عبارة جيدة (٢) يؤمر : يولى الإمارة
(٣) أم : قصد (٤) المعذر : ذوالعذر (٥) الغرة : في الجبين ، ولها جمال خاص
(٦) العزل : الضعف - وما أراه أراد غير العزل عن الولاية (م)

وقوله : « وإن كان مُعذراً » ، لأن جعفرأ أعطاه على آيياته الثلاثة ألفَ دينار .
ولما ولى الحسن بن زيد المدينة دخل عليه إبراهيمُ بن علي بن هرمة ، فقال
له الحسن : يا إبراهيم ؛ لستُ بمن باع لك دينه رجاء مدحك ، أو خوف ذمك ،
فقد رزقني الله تعالى بولادة نبيه صلى الله عليه وسلم المادح ، وجنّبتني المقابح ،
وإن من حقه عليّ ألا أغضى عليّ تقصير في حقّ وجب ؛ وأنا أقسم لئن أتيتُ
بك سكران لأضربنك حداً للخمر ، وحداً للسكر ؛ ولأزيدن لموضع حُرمتك
بي ، فليكن تركك لها لله عز وجل تُعَنّ عليه ، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم .
فنهض ابن هرمة ، وهو يقول :

نهاني ابنُ الرسولِ عن المُدامِ وأدبني بآداب الكرامِ
وقال ليّ أصطبر عنها ودعها لخوفِ الله لاخوفِ الأنامِ
وكيف تصبّري عنها وحيي لها حبٌّ تمكّن في عظامي
أرى طيفَ الخيالِ عليّ خُبناً وطيب العيش في خبث الحرامِ
وكان إبراهيم منهُوماً في الخمر ، وجلده خنيمٌ بن عراك^(١) صاحبُ شُرطة
المدينة لرباح بن عبد الله الحارثي في ولاية أبي العباس .

ولما وفد على أبي جعفر المنصور ومدحه استحسّن شعره ووصله ، وقال له :
سأل حاجتك ، قال : تكتب لي إلى عامل المدينة ألاّ يحدّني إذا أتيتُ بي سكران
فقال أبو جعفر : هذا حدٌّ من حدود الله تعالى لا يجوز أن أعطله ، قال : فاحتل
لي يا أمير المؤمنين ! فكتب إلى عامل المدينة : « من أتاك بـ ابن هرمة سكران
فاجلده مائة ، واجلد ابن هرمة ثمانين » .

فكان الشرط يمرّون به مطروحاً في سِكَكِ المدينة ، فيقولون : مَنْ يشتري
مائة بثمانين ؟!

وقال موسى بن عبد الله^(٢) بن علي بن أبي طالب :

(١) في نسخة « عثيم بن عراك » (م)

(٢) في نسخة « بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي » (م)

من شعر موسى
ابن عبد الله
الطالبي

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلَّ ما
إلى الله كلُّ الأمر في الخلق كلهم
تعودتُ مسَّ الضر حتى ألفتُهُ
ووسَّع صدرى للأذى الأنسُ بالأذى
وصيَّرتني يأسى من الناس راجياً
وموسى بن عبد الله هو القائل :

تولت بهجة الدنيا فكل جديدها خلق^(١)
وخان الناس كلُّهم فما أدري بمن أثقُ
رأيت معالم الخيرا ث سدت دونها الطرُق
فلا حسب ولا نسب ولا دين ولا خلق
فلست مُصدِّق الأقوام في شيء وإن صدقوا

وكان المنصورُ حبسه لخروجه عليه مع أخويه ، ثم ضرب به ألف سوطٍ ، فما
نطقَ بحرفٍ واحد ؛ فقال الربيع : عذرتُ هؤلاء الفساق في صبرهم ؛ فما بَالُ
هذا الفتى الذى نشأ فى النعمة والدعة ؟ فقال :

بعض أخبار
موسى

إني من القوم الذين يريدُهم جَلداً وصبراً قسوة السلطان
وولدت هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمعة موسى ، ولها ستون سنة ،
ولا يعلم امرأةٌ ولدت بنت ستين سنة إلا قرشية .

اجتاز على بن محمد العَلَوِيّ بالجسر بحدَثان^(٢) قتلَ عمر بن يحيى بن عبد الله
ابن الحسين ، وقاتلهُ الحسينُ بن إسماعيل هناك قد جرَّد رجلاً للقتل ، فلما رأت
أمُّ الرجل عليها سألته أن يشفع فيه ، فقال علىٌّ إلى الحسين فأنشده :

بين على بن
محمد العلوِيّ
والحسين بن
إسماعيل

(١) الخلق - ففتحتين - البالى .

(٢) حدَثان الأمر : أوله ، وهو بكسر الحاء وسكون الدال - والباء بمعنى فى (م)

قتلت أبرّ من ركب المطايا وجئتك أستلينك بالكلام
وعزّ على أن ألقاك إلّا وفيما بيننا حدّ الحسام
ولكنّ الجناح إذا أصيبت قوادمه يرف على الإكام^(١)

فقال له : وما حاجتك ؟ قال : العفو عن ابنِ هذه المرأة ! فتركه .

وسئل العباسُ بن الحسين عن رجلٍ ، فقال لجليسه : أطرب من الإبل على الخدّاء ، ومن التمل على الغنّاء .

وذكر العباس رجلاً فقال : ما الحجام على الأحرار ، وطول السقم في الأسفار ، وعظم الدين على الإقتار ، بأشدّ من لقائه .

وقال العباسُ بن الحسين للمأمون : يا أمير المؤمنين ؛ إن لساني ينطلق بمدحك غائباً ، وقد أحببتُ أن يتزّيدَ عندك حاضراً ، أفأذنُ لي يا أمير المؤمنين في الكلام ؟ فقال له : قل ؛ فوالله إنك لتقولُ فتُحسِن ، وتُخضِرُ قترين ، وتغيب فتوأمّن ، فقال : ما بعدَ هذا كلامٌ يا أمير المؤمنين ! أفأذنُ بالسكوت ؟ قال : إذا شئت .

وذكر رجلاً بليغاً فقال : ما شبّهتُ كلامه إلا بشعبان ينهال بين رمال ، وماء يتغلغل بين جبال .

وسمعَ المنتجع بن نبهان كلامَ العباس بن الحسين ، فقال : هذا كلامٌ يدلّ سائرُه على غابره^(٢) وأوله على آخره .

وسأل المأمونُ العباس بن الحسين عن رجلٍ ؟ فقال : رأيتُ له حِلماً وأناة ، ولم أسمعَ لحناً ولا إحالة^(٣) ؛ يحدّثك الحديثَ على مطاويه^(٤) ، ويُشيدك الشعرَ على مدارجه .

(١) القوادم : مقدم الريش ، ولا كذلك الخوافي ، والإكام : جمع أكمة .

(٢) سائرُه : باقيه ، وغابره : ماضيه (٣) الإحالة : التكلم بالحال

(٤) على مطاويه : على خفايه

وكان المأمون يقول: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ لَهْوًا بَلَ حَرَجٍ فَلْيَسْمَعْ كَلَامَ الْعَبَّاسِ
وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ مِنْ أَشْعَرِ الْمَاشِمِيِّينَ ؛ وَهُوَ يُعَدُّ فِي طَبَقَةِ إِبْرَاهِيمِ
ابن المهدي ، وهو القائل :

أَنَاحَ لَكَ الْهَوَى بِيضٌ حِسَانٌ سَيِّئَكَ بِالْعِيُونِ وَبِالشُّعُورِ ^(١)
نظرت إلى النحور فكادت تقضي وأولى لو نظرت إلى الخصور ^(٢)
وهو القائل أيضاً :

صَادَتْكَ مِنْ بَعْضِ الْقُصُورِ بِيضٌ نَوَاعِمٌ فِي الْخُدُورِ
حُورٌ تَحُورُ إِلَى صَبَا كَ بَاعَيْنِ مِنْهُنَّ حُورِ ^(٣)
وَكأَنَّمَا بَغُورُهُنَّ جَنَى الرُّضَابِ مِنَ الْخُورِ ^(٤)
يَصْبِغْنَ تَفَاحَ الْخُدُودِ دِ بَمَاءِ رُمانِ الصُّدُورِ

وهو : العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ، وأم عبيد الله جدة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب عم
محمد بن علي أبي الخلفاء .

وكان الرشيد والمأمون يُقَرَّبَانِ الْعَبَّاسَ غَايَةَ التَّقْرِيبِ ؛ لِنَسَبِهِ وَأَدَبِهِ ؛
قال أبو دلف : دخلتُ على الرشيد وهو في طارمة على طنفسة ^(٥) ومعه عليها شيخٌ
جميلُ المنظر ؛ فقال لي الرشيد : يا قاسم ؛ ما خَبَرُ أَرْضِكَ ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ،
خَرَابٌ يَبَّابٌ ، أَخْرَبَهَا الْأَكْرَادُ وَالْأَعْرَابُ . فقال قائل : هذا آفةُ الجبل ،
وهو أفسده ، فقلت : أنا أصلحه ، قال الرشيد : وكيف ذلك ؟ قلت : أفسدتهُ
وأنت عليٌّ وأصلحهُ وأنتَ معي ! قال الشيخُ : إن همته لترمي به من وراء سنه

(١) أناح : هيا ، وسينك : أسرنك (م) (٢) تقضى : تهلك .

(٣) تحور : تميل (٤) الرضاب : الريق

(٥) الطارمة : بيت من خشب كالقبة

مرمى بعيداً؛ فسألت عن الشيخ قليل: العباس بن الحسين، وكان أبو ذؤلف ذلك الوقت صغير السن.

بين موسى بن
جعفر والفضل
بن الربيع

ولقي موسى بن جعفر^(١) رضي الله عنه محمد بن الرشيد الأمين بالمدينة وموسى على بَغْلَةَ، فقال للفضل بن الربيع: عَاتِبَ هذا، فقال له الفضل: كيف لقيت أمير المؤمنين على هذه الدابة التي إن طَلَبْتَ عليها لم تَسْبِقْ، وإن طُلِبْتَ عليها تلحق، فقال: لست أحتاج أن أطلب، ولا إلى أن أطلب؛ ولكنها دابة تنحط عن خِيَلَاءِ الخليل، وترتفع عن ذِلَّةِ العَيْرِ^(٢)، وخير الأمور أوسطها.

علي بن موسى
الرضا

أصيب علي بن موسى بمصيبة، فصار إليه الحسن بن سهل، فقال: إنا لم نأتِكَ مُعَزِّينَ؛ بل جئناكَ مُقْتَدِينَ؛ فالجِدُّ لله الذي جعل حياتكم للناس رَحْمَةً، ومصائبكم لهم قَدْوَةً.

وكان علي بن موسى الرضا رحمه الله قد ولَّاه المأمون عَهْدَهُ، وعقد له الخلافة بعده، ونزع السواد عن بني العباس، وأمرهم بلباس الخضر^(٣)، ومات علي بن موسى في حياة المأمون بطوس، فشَقَّ [المأمون] قبر الرشيد ودُفِنَ فيه تبرًا كما به، وكان الرشيد قد مات بطوس فدفن هناك^(٤)؛ ولذلك قال دعبل بن علي الخزاعي: ارنع بطوس على قَبْرِ الزكيِّ بها إن كنت تربع من دين علي وطر^(٥) ما يرفع الرِّجس من قُربِ الزكي، ولا على الزكيِّ بقرب الرِّجس من ضَرَرِ هيهات كل امرئ. رهن بما كسبت له يدها فخذ من ذاك أو فذر

(١) كان موسى بن جعفر سيِّداً من سادات بني هاشم، وإماماً مقدماً في العلم والدين ولد في الأبواء - قرب المدينة - سنة ١٢٨ وتوفي في بغداد سنة ١٨٣ (٨) العير: الحمار
(٣) وكان لباس الخضر شعار أهل البيت، وكان من أثر نزع السواد عن بني العباس أن اضطرب العراق، وثار أهل بغداد، فخلعوا المأمون وهو بطوس وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي، فقصدهم المأمون بجيشه، فاخْتَبَأَ إبراهيم ثم استسلم وعفا عنه المأمون.
(٤) كانت وفاة علي بن موسى سنة ٢٠٣ (٥) ربع: أقام، والوتر: الحاجة

قبران في طوس : خَيْرُ الناسِ كلِّهم وقبر شرِّهم ، هذا من العِبَرِ
وكان دعبل مداحاً لأهل البيت ، كثير التعصُّب لهم ، والغلوِّ فيهم . وله
المرثية المشهورة ، وهي من جيد شعره ، وأولها :

مَدَارِسَ آيَاتٍ عَفَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَحْيٍ مُقْفَرٍ الْعَرَصَاتِ (١)
لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْحَيْفِ مِنْ مَنِيَّ وَبِالْبَيْتِ وَالتَّعْرِيفِ وَالجَمْرَاتِ
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ وَحِمْرَةَ وَالسَّجَّادِ ذِي النَّفِثَاتِ
قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَتْ أَهْلَهَا مَتَى عَهْدُهَا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ
وَأَيْنَ الْأُولَى شَطَطَتْ بِهِمْ غُرْبَةَ النَّوَى أَفَانِينَ فِي الْأَفَاقِ مُفْتَرَقَاتِ (٢)
أَحِبُّ قَصِيَّ الدَّارِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِمْ وَأَهْجُرُ فِيهِمْ أُسْرَتِي وَتِقَاتِي
وهي طويلة .

رثاء دعبل
لآل البيت

ولما دخل المأمون بغداد أخضر دعبلا بعد أن أعطاه الأمان ، وكان قد
هجمه وهجأ أباه ، فقال : يادعبل ، من الحضيض الأوهد ! فقال : يا أمير المؤمنين ،
قد عفوت عنن هو أشدُّ جُرْماً مِنِّي ! أراد المأمون قول دعبل يهجوهُ :

بين دعبل
والمأمون

إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُفْهِمُ قَتَلْتَ أَخَاكَ وَشَرَفْتِكَ بِمَقْعَدِ
شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طَوْلِ حُمُولِهِ . وَاسْتَنْذوكَ مِنَ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
يَفْتَحِرُّ عَلَيْهِ بِقَتْلِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمَيْمِنِينَ أَخَاهُ مُحَمَّدًا ،
وَطَاهِرِ مَوْلَى نُلْزَاعَةَ ، فَاسْتَشَدَّهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ النَّائِيَّةَ (٣) ، فَاسْتَعْفَاهُ ، فَقَالَ : لَا بَأْسَ
عَلَيْكَ ، وَقَدْ رَوَيْتَهَا ، وَإِنَّمَا أَحْبَبْتَ أَنْ أَسْمَعَهَا مِنْكَ ، فَاسْتَشَدَّ دَعْبِلُ ؛ فَلَمَّا
انتهى إلى قوله :

أَلَمْ تَرَ أَنِي مَذْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أَرْوَحُ وَأَعْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ

(١) العرصات : الساحات (٢) غربة النوى : بعده
(٣) في المطبوعات كلها « الثانية » وهو تحريف ما أثبتناه (م) .

أرى فيهم في غيرهم مُتَقَسِّمًا وأيديهم من فيهم صفرات^(١)
 إذا وتبروا مدوا إلى أهل وترهم أ كُفًّا عن الأوتار مُنْقَبَضَاتِ
 وآل رسول الله نُحِفُّ جُسُومَهُمْ وآل زياد غُلْظُ القَصَرَاتِ^(٢)
 بنات زياد في القصور مَصُونَةٌ وبنات رسول الله في الفلواتِ
 بكى المأمون، وجدده الأمان، وأحسن له الصلّة .

والشيء يستدعى ما قرع بابه، وجذب أهدابه^(٣)، قال سليمان بن قتيبة :
 لسلمان بن قتيبة برثي آل البيت
 مررت على أبيات آل محمد فلم أره أهدأ مني بها يوم حُلَّتِ^(٤)
 فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت من أهلها قد تخلت^(٥)
 وكانوا رجاء ثم عادوا رزيةً ألا عظمت تلك الرزايا وجلت^(٦)
 وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاب المسلمين فذلت^(٧)
 ويشبه قوله : « وكانوا رجاء ثم عادوا رزية » قول امرأة من العرب مرّت
 بالجسر بحثة جعفر بن يحيى البرمكي مصلوبا^(٨)؛ فقالت : لئن أصبحت نهاية في
 البلاء، لقد كنت غاية في الرجاء .

ألفاظ لأهل العصر في أوصاف الأشراف

لها في هذا الموضع موقع

فلان من شرفِ العنصر الكريم، ومعدن الشرف الصميم . أصله راسخ،

(١) صفرات : خاليات (٢) القصرات : أصول العنق، جمع قصرة بفتحين
 (٣) هكذا وقع هذا الكلام في النسخ التي بأيدينا والظاهر أنه سقطت بعض عبارات
 يراد بها التمهيد للضي في ذكر بعض الشواهد التي تتحدث عن بكاء أهل البيت .
 (٤) رواية الحماسة « فلم أره أهدأ مني بها يوم حُلَّتِ » (٥) رواية الحماسة « وإن أصبحت منهم برغمي
 تخلت » (٦) رواية الحماسة « وكانوا غيائنا » (٧) الطف : موضع قرب الكوفة، ورواية
 الحماسة : « ألا إن قتلى الطف من آل هاشم أذلت » (٨) جعفر بن يحيى : كان وزير
 الرشيد، يرم وينقض في الدولة ماشاء، إلى أن ثار الرشيد بالرامة قتلته فيمن قتل منهم،
 وكان جعفر فصيح النطق بليغ القول، ولد في بغداد سنة ١٥٠، وتوفي سنة ١٨٧

وفرع شامخ ، ومجددٌ باذخ^(١) ، وحَسَبٌ شادخ .

فلان كريمُ الطرفين ، شريفُ الجانبين ، قد رَكَّبَ اللهُ دَوْحَتَهُ فِي قَرَارَةِ
الْمَجْدِ ، وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ فِي مَحَلِّ الْفَضْلِ . أَصْلُ شَرِيفٍ ، وَعِرْقُ كَرِيمٍ ، وَمَغْرَسٌ
عَظِيمٌ ، وَمَغْرَزٌ صَمِيمٌ . الْمَجْدُ لِسَانُ أَوْصَافِهِ ، وَالشَّرْفُ نَسَبُ أُسْلَافِهِ . نَسَبٌ فَخْمٌ ،
وَشَرَفٌ ضَخْمٌ . يَسْتَوْفِي شَرَفَ الْأُرُومَةِ^(٢) بِكَرَمِ الْأُبُوَّةِ وَالْأُمُومَةِ ، وَشَرَفَ
الْخُلُوفِ وَالْعُمُومَةِ . مَا أَتَتْهُ الْحَاسِنُ عَنْ كَلَالَةِ^(٣) ، وَلَا ظَفَرَ بِالْهُدَى عَنْ ضَلَالَةِ ،
بَلْ تَنَاطَلَ الْمَجْدَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، وَأَخَذَ الْفَخْرَ عَنْ أَسِيرَةٍ وَمَنَابِرٍ :

شَرَفٌ تَنَقَّلَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرَّمْحِ أُنُبُوبًا عَلَى أُنُوبٍ^(٤)

اسْتَقَى عِرْقَهُ مِنْ مَنبَعِ النُّبُوَّةِ ، وَرَضَعَتْ شَجَرَتُهُ مِنْ ثَدْيِ الرِّسَالَةِ ، وَتَهَدَّلَتْ
أَغْصَانُهُ عَنْ نَبْعَةِ الْإِمَامَةِ ، وَتَبَحَّجَتْ أَطْرَافُهُ فِي عَرَصَةِ الشَّرْفِ وَالسِّيَادَةِ^(٥) ،
وَتَفَقَّاتْ بِيضَتُهُ عَنْ سُلَالَةِ الطَّهَارَةِ^(٦) ، قَدْ جَذَبَ الْقُرْآنُ بُضْبِعَهُ^(٧) وَشَقَّ الْوَحْيُ عَنْ
بَصَرِهِ وَسَمِعِهِ ، مَخْتَارًا مِنْ أَكْرَمِ الْمَنَاسِبِ ، مَمْتَحِّبًا مِنْ أَشْرَفِ الْعُنَاصِرِ ، مُرْتَضًى
مِنْ أَعْلَى الْمَحَادِدِ^(٨) ، مُؤَثَّرًا مِنْ أَعْظَمِ الْعِشَائِرِ ، قَدْ وَرِثَ الشَّرْفَ جَامِعًا عَنْ جَامِعٍ ،
وَشَهِدَ لَهُ نِدَاءَ الصَّوَامِعِ ، هُوَ مِنْ مُضَرٍّ فِي سُؤْيِدَاءِ قَلْبِهَا ، وَمِنْ هَاشِمٍ فِي سَوَادِ
طَرْفِهَا ، وَمِنْ الرِّسَالَةِ فِي مَهْبِطِ وَحْيِهَا ، وَمِنْ الْإِمَامَةِ فِي مَوْقِفِ عِزِّهَا ، يَنْزِعُ إِلَى
الْحَامِدِ بِنَفْسٍ وَعِرْقٍ ، وَيُنْحِنُ إِلَى الْمَكَارِمِ بِوَرَاثَةِ وَخَلْقٍ ؛ يَتَنَاسَبُ أَصْلُهُ وَقِرْعُهُ ،
وَيَتَنَاصَفُ نَجْرُهُ وَطَبْعُهُ ، وَهُوَ الطَّيِّبُ أَصْلُهُ وَقِرْعُهُ ، الزَّاكِي بَذْرُهُ وَزَرْعُهُ ، يَجْمَعُ

(١) شامخ وبادخ وشادخ : مترادفات بمعنى عال (٢) الأرومة : الأصل .

(٣) الكلالة : ما عدا الولد والوالد من الأقرباء (٤) الأنوب : القصة

(٥) تبحجت : تمكنت ، والعريضة : الساحة (٦) تفقات : تفتحت

(٧) جذب بضبعه : نوه به

(٨) المناسب : جمع منسب ، والعناصر : جمع عنصر ، والمحادد : جمع محدد ،

وكلها بمعنى الأصل (م)

إلى عزِّ النَّصاب، مَزِيَّةَ الآداب، لاغزو أن يجرى الجوادُ على عِرْقِهِ، وتلوح مخابيلُ
الليثِ في شَيْبِهِ، ويكون النجيبُ فَرْعاً مشيداً لأصله. له مع نباهة شرفِهِ، نزاهة
سَلَفِهِ، ومع كرم أرومته وحَزْمِهِ، مزيةُ أدبه وعلمه، لن تخلف ثمرة غَرْسِ ارتيادِ
لها من المنابت أزرُ كآها، ومن المغارس أطيبها وأغذاها وأتمها؛ قد جمع شرفَ
الأخلاق، إلى [شرفِ الأعراق، وكرمِ الآداب، إلى] أكرمِ الأنساب؛ له في المجد
أولٌ وآخر، وفي الكرم تليدٌ وطَارِفٌ، وفي الفضل حديثٌ وقديمٌ؛ لاغزو أن
يغمر فضله، وهو نجلُ الصَّيدِ الأكارم، أو يغزر علمه وهو فيضُ البحور الخضارم^(١)
دَوْحَةٌ رسب عِرْقُهَا، وسمِّقَ فَرْعُهَا^(٢)، وطاب عودُها، واعتدل عمودُها،
وتفَيَّأت ظلالُها، وتهدَّلت ثمارُها، وتفرَّعت أغصانُها، وبرد مقيَلُها. مجدُّ
يلحظ الجوزاء من عال، ويطولُ النجمُ كلَّ مَطَالٍ. شَرَفٌ تُضع له الأفلاكُ
خُدودَها وجِبَاهَها، وتلثمُ النجومُ أرضَه بأفواهِها وشِفَاهِها. نسبُ المجدِ به
عَرِيْقٌ، وَرَوْضٌ الشرفِ به أنيق. ولسانُ الثناء بفضله نَطوق. فَلَكُ المجدِ عليه
يَدُور، ويدُ العَلاَ إليه تُشير. محله شَاهِقٌ، ومجدُّه بَاسِقٌ.

(١) الخضارم: جمع خضرم بكسر الخاء والراء، وهو الواسع (٢) سمق: ارتفع

بدء الكتاب

الكلام في
حمد الله

قد تمَّ ما استفتحت به التأليف ، وجعلته مقدمة التصنيف ، مع ما اقترن به ،
وانصافَ إليه ، والنفَّ به ، وانعطفَ عليه ، ورأيتُ أن أبتدىءَ مقدّمات
البلاغات ، بغرر التحاميد وأوصافها^(١) ، وما يتعلقُ بآثارها وأطرافها .

وقد قال سهل بن هارون في أول كتاب عمله : يجب على كلِّ مبتدئٍ
مقالةً أن يبتدئَ بحمدِ الله قبل استفتاحها ، كما بُدئَ بالنعمة قبل استحقاقها .
ولأهل العصر : أولى ما ففر به الناطقُ منه^(٢) وافتتح به كليمه ، حمدُ الله
جلَّ ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه . حمدُ الله خيرُ ما ابتدئَ به القول وختمُ ،
وافتحَّ به الخطابُ ونتمَّ .

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله : إنَّ الله جلَّ ثناؤه لا يُمثَّلَ بنظير ،
ولا يُغلبُ بظهير^(٣) ، جلَّ عن موقع تحصيل أدوات البشر ، ولطُفَ عن الحافظ
خطرات الفكر ، لا يُحمدُ إلا بتوفيقٍ منه يقتضى حمداً ، فمتى تُحصي نِعماؤه ،
وتكافأ آلاؤه ؟ عجزَ أقصى الشكرِ عن أداء نعمته ، وتضاءل ما خلق في
سعة قدرته ؛ قدر فقَدَّر ، وحكم فأحكَم ؛ وجعل الدِّين جامعاً لشمْلِ
عباده ، والشرائع مناراً على سبيل طاعته ؛ يَدبُّها أهل اليقين به ، ويحمِّدُ
عنها أهلُ الشك فيه .

أخذ أبو العباس قوله : « ولا يحمدُ إلا بتوفيقٍ منه يقتضى حمداً » من قول
محمود بن الحسن الوراق :

إذا كانُ شكري نعمةَ الله نعمةً علىَّ له في مثلها يجبُ الشكرُ
فكيف بلوغُ الشكرِ إلا بفضلِهِ وإن طالت الأيام واتَّصلَ العمرُ

(١) كذا في المطبوعات كلها ، ولو كان « وأوصافها » لكان أطرف ، وإن لم
يتم به التسجيع على الشائع من طريقة المؤلف (م) (٢) فعر : فتح (٣) الظهير : المعين

إذا عمَّ بالسَّراءِ عمَّ سرورُها وإنَّ مَسَّ بالضراءِ أعقبها الأجرُ
فما منهما إلا له فيه نِعْمَةٌ تَضِيقُ بها الأوهامُ والبرُّ والبَحْرُ
وإنما أخذهُ محمود من قول أبي العتاهية :

أحمد الله فهو ألهمني الحمدَ على الحمد والمزيدُ لديهِ
كم زمانٍ بكيتُ فيه فلماً صرْتُ في غيره بكيتُ عليه
وقد اضطرت الروايةُ في هذين البيتين وقائلهما، وهذا البيت الثاني كثيرٌ (١)،
قال إبراهيم بن العباس :

كذلك أيامنا لاشكَّ نندُبُها إذا تقصَّتْ ونحنُ اليومُ نَشْكُوها
آخر :

وما مرَّ يومٌ أرتجى فيه راحةً فأفقدُهُ إلا بكيتُ على أمسٍ
ومحمود هو القائل أيضاً :

من شعر
محمود الوراق

تفصي الإلهَ وأنتَ تُظهِرُ حَبَّهُ هَذَا محالٌ في القياسِ بديعُ
لو كان حبُّكَ صادقاً لأطعتهُ إنَّ الحبَّ لمن أحبَّ منطبعُ
وكان كثيراً ما ينقلُ أخبارَ الماضينَ ، وحِكْمُ المتقدمينَ ، فيحلى بها
نظامه ، ويُرَيِّنُ بها كلامه ، وهو القائل :

إني وَهَبْتُ لظالمِي ظمِي وشكرتُ ذاكَ له على عِلْمِي
ورأيتُهُ أسدَى إلى يَدَا لَمَّا أبانَ بِجَهْلِهِ حِلْمِي
رَجَعَتْ إِسَاءَتُهُ عليه ، وَوَلِي فَضْلُ فِعَادِ مُضَاعَفِ الْجُرْمِ
فكأنما الإحْسَانُ كانَ لَهُ وأنا المَسِيءُ إِلَيْهِ في الزَّعْمِ
ما زال يَظْمِيُنِي وأرحمُهُ حتى رَتَيْتُ لَهُ من الظالمِ

(١) يريد أن الشعراء رددوا هذا المعنى كثيراً . ومن جيد ماصور به هذا المعنى
قول سعيد بن حميد :

لم أبلك من زمن ذممت صروفه إلا بكيت عليه حين يزول

وهو القائل :

أراني إذا ما ازددتُ مالا وثرورةً وخَيْراً إلى خَيْرٍ تزيذتُ في الشرِّ
فكيف بشُكرِ الله إن كنت إنما أقومُ مقامَ الشُّكرِ لله بالكُفْرِ
بأىِّ اعتذارٍ أوْ بأَيِّ حُجَّةٍ يقولُ الذي يدرى من الأمر ما أدرى
إذا كان وجهُ العُذرِ ليس بيِّنٍ فإنَّ أطراحَ العُذرِ خيزَ من العُذرِ

[البيان والبلاغة]

لابن المعتز
في فضل البيان

ولابن المعتز: البيان ترُجمَانُ القلوب ، وَصَيِّقَلُ العقول ، وَمُجَلِّي الشبهة ،
وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ،
وهو من سلطان الرُّسل الذي اتقأد به المصعب^(١) ، واستقام الأُصَيْدُ^(٢) ،
وهُت الكافر ، وسَلَّم الممتنع ، حتى أشب الحقُّ بأنصاره^(٣) ، وخَلَّارِبعُ الباطلِ
من عُمارة ؛ وخيرُ البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ؛ لِيُسْرَعَ إلى الفهم تلقية ،
وموجزاً ليخفَّ على اللفظ تعاطيه .

فضل القرآن
على سائر
الكلام

وفَضْلُ القرآن على سائر الكلام معروفٌ غيرٌ مجهول ، وظاهرٌ غيرٌ خفي ؛
يشهدُ بذلك عَجْزُ المتعاطين ، وَوَهْنُ المتكلفين^(٤) ، وتحيرُ الكذابين ، وهو المبلغُ
الذي لا يُبل ، والجديد الذي لا يُخلَقُ^(٥) ، والحق الصادع ، والنور الساطع ،
والماسح لظلم الضلال ، ولسانُ الصِّدقِ النافي للكذب ، ونذيرُ قَدَمته الرحمةُ
قبل الهلاك ، وناعى الدنيا المنقولة ، وبشِيرُ الآخرةِ المحلَّدة ، ومِفْتَاحُ الخير ، ودليلُ
الجنة . إن أوجز كان كافياً ، وإن أكثر كان مُذَكِّراً ، وإن أومأ^(٦) كان
مُفْهِماً ، وإن أطلال كان مُفهِماً ، وإن أمر فناجحاً ، وإن حكم فعادلاً ، وإن أخبر
فصادقاً ، وإن بين فشافياً ، سهلٌ على الفهم ، صعبٌ على المتعاطي^(٧) ، قريبُ المآخذ ،

(١) المصعب : الفحل الصعب القيادة . وفي الأصل «المتصعب» وأرجح أنه تحريف
(٢) الأُصيد : المائل العنق كبرا (٣) أشب : تجمع وقوى (٤) الوهن : الضعف (م)
(٥) لا يُخلَقُ : لا يبلى (٦) أومأ : أشار (٧) يريد بالتعاطى المتكلف مجاراته (م)

بعيد المرام ، سراج تستضيء به القلوب ، حلو إذا تذوقته العقول ، بحر العلوم ،
 وديوان الحكم ، وجوهر الكلم ، ونزهة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ،
 نزل به الروح الأمين على محمد خاتم النبيين : صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ،
 فخصم الباطل ، وصدع بالحق ، وتألف من النفرة ، وأخذ من الملكة . فوصل
 الله له النصر ، وأضرع به خد الكفر^(١) .

تفسير الرماني
 للبلاغة

قال علي بن عيسى الرماني^(٢) : البلاغة ما حطَّ التكلف عنه^(٣) ، وبني على النبيين ،
 وكانت الفائدة أغلب عليه من القافية ، بأن جمع مع ذلك سهولة الخرج ، مع قرب
 المتناول ؛ وعدو به اللفظ ، مع رشاقة المعنى ؛ وأن يكون حسن الابتداء كحسن
 الانتهاء ، وحسن الوصل ، كحسن القطع ، في المعنى والسمع ، وكانت كل كلمة
 قد وقعت في حقها ، وإلى جنب أختها ، حتى لا يقال : لو كان كذا في موضع
 كذا لكان أولى ! وحتى لا يكون فيه لفظ مختلف ، ولا معنى مستكره ؛
 ثم ألبس بهاء الحكمة ، ونور المعرفة ، وشرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، وكانت
 حلاوته في الصدر وجلالته في النفس تفتق الفهم ، وتنتثر دقائق الحكم ، وكان
 ظاهر النفع ، شريف القصد ، معتدل الوزن ، جميل المذهب ، كريم المطلب ،
 فصيحاً في معناه ، بيناً في فحواه ؛ وكل هذه الشروط قد حواها القرآن ، ولذلك
 عجز عن معارضته جميع الأنام .

(١) أضرع : أذل

(٢) وكان يعرف أيضاً بالإخشيدي ، وبالوراق ، وهو بالرماني أشهر - كما ذكر
 السيوطي في بغية الوعاة - كان إماماً في العربية علامة في الأدب في طبقة الفارسي والسيرافي
 وكان يمزج النحو بالمنطق حتى قال الفارسي : إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس
 معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما تقوله نحن فليس معه منه شيء . وكان معتزلياً بصيراً
 يعلم الكلام . ولد سنة ٢٧٦ وتوفي في ١١ جمادى الأولى سنة ٣٨٤

(٣) الضمير عائد على الكلام البليغ المفهوم من البيان

ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن

القرآن حَبْلُ اللَّهِ الممدود ، وَعَهْدُهُ المعهد ، وظلُّهُ العميم ، وصِرَاطُهُ المستقيم ، وَحُجَّتُهُ الكبرى ، ومجته الوُسْطَى ، وهو الواضح سبيلُهُ ، الراشدُ دليلُهُ ، الذى مَن استضاءَ بمصابيحه أَبْصَرَ ونَجَّى ، وَمَن أَعْرَضَ عنه ضَلَّ وهَوَى ؛ فضائل القرآن لا تُسْتَقْصَى فى أَلْفِ قَرْنٍ ، حجة الله وَعَهْدُهُ ، ووَعِيدُهُ ووَعْدُهُ ، به يعلمُ الجاهلُ ، ويعملُ العاْمِلُ ، ويتنبَّه السامى ، ويتذكَّرُ اللاهى ، بِشِيرِ الثواب ، وَتَذِيرِ العقاب ، وشفاهُ الصدور ، وَجَلَّاهُ الأُمُورِ ؛ من فضائله أنه يُقْرَأُ دائماً ، وَيُكْتَبُ ، وَيُمْلَى ، ولا يَمَلُّ . ما أهون الدنيا على مَنْ جعل القرآن [إمامه ، وتصور الموت أمامه ، طوبى لمن جعل القرآن] مصباحَ قلبه ، ومفتاح لُبِّه . من حق القرآن حِفْظُ ترتيبه ، وحسنُ ترتيله .

قال بعض الحكماء : الحكمة مَوْقِظَةٌ للقلوب من سِنَةِ (١) الغفلة ، وَمُنْقِذَةٌ للبصائر من سَكْرَةِ الخَيْرَةِ ، وَمُحْيِيَةٌ لها من مَوْتِ الجهالة ، وَمُسْتَخْرِجَةٌ لها من ضيقِ الضلالة ؛ والعلمُ دواءٌ للقلوب العليلية ، وَمِشْحَدٌ للأذهان الكليية (٢) ، ونورٌ فى الظلمة ، وَأَنْسٌ فى الوحشة ، وصاحبٌ فى الوحده ، وَسَمِيرٌ فى الخلوَّةِ ، ووصلةٌ فى المجلس ، ومادَّةٌ للعقل ، وتَلْقِيحٌ للفهم ، ونافٍ للعنى المزرى بأهل الأَحْسَابِ ، المقصِّرِ بذوى الألباب ؛ أنطق الله سبحانه أهله بالبيان الذى جعله صفةً لكلامه فى تنزيله ، وأيدَّ به رُسُلَهُ إيضاحاً للمشكلات ، وفضلاً بين الشبهات ؛ شَرَّفَ به الوضع ، وأعزَّ به الدليل ، وسوَّدَ به المُسُود ، من تحلَّى بغيره فهو معطلٌ ، ومن تَعَطَّلَ منه فهو مغفلٌ ، لا تُبْلِيهِ الأيام ، ولا تُخْتَرِمُهُ الدهور ، يتجددُ على الابتدال ، وَيَرَى كَوْعَى الإِنْفَاقِ ؛ اللهُ على مامنٍ به على عبادِهِ المَحمْدُ والشُّكْرُ .

(١) السنة - بكسر السين - أول النوم ، ومثله الوسن - بالتحريك (م)

(٢) الكليية : وصف من الكلال ، وهو الإعياء ، وأراد غير الماضية فيما تبحث ،

شبهها بالسكين التى لا تنفذ فى ضريتها (م)

[أقوال في البلاغة]

قيل لعمر بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغك الجنة ، وَعَدَلَكْ بِكَ عَنِ رَأْيِ عَمْرٍو بْنِ النَّارِ ، وَبَصَّرَكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبَ غَيْبِكَ . قال السائل : ليس هذا أريد ، عبيد في البلاغة قال : من لم يُحْسِنِ أَنْ يَسْكُتَ لم يُحْسِنِ أَنْ يَسْتَمِعَ ، ومن لم يُحْسِنِ الاستماعَ لم يُحْسِنِ القولَ ، قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ فِينَا بَلَاءٌ » أَي قَلَّةُ كَلَامٍ^(١) ؛ وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ، قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : كانوا يخافون من فِتْنَةِ القولِ ومن سَقَطَاتِ الكلامِ ما لا يخافون من فِتْنَةِ السكوتِ ، وَسَقَطَاتِ الصَّمْتِ ، قال : ليس هذا أريد ، قال عمرو : يا هذا ؛ فكأنك تريدُ تَحْمِيرَ اللفظِ^(٢) في حسن الإِفْهَامِ ، قال : نعم ، قال : إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَقُولِ الْمُكَلَّفِينَ ، وَتَخْفِيفِ الْمُؤُونَةِ عَنِ الْمَسْتَمِعِينَ ، وَتَرْزِيقِ تِلْكَ الْمَعَانِي فِي قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ ، بِالْأَلْفَاظِ الْمُسْتَحْسِنَةِ فِي الْأَذَانِ ، الْمَقْبُولَةِ فِي الْأَذْهَانِ ، رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ إِجَابَتِهِمْ ، وَتَقْيِ الشَّوَاغِلِ عَنِ قُلُوبِهِمْ ، بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ - كُنْتُ قَدْ أُوتِيتُ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ ، وَاسْتَوْجِبْتُ مِنَ اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ ، فَقِيلَ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ رُوحِ الْغِفَارِيِّ : مَنْ هَذَا الَّذِي صَبَرَ لَهُ عَمْرٌو هَذَا الصَّبْرَ ؟ قال : سألتُ عن ذلك أبا حفص الشمري ، فقال : ومن يَجْتَرِيءُ عليه هذه الجرأةُ إِلَّا حَفْصُ بْنُ سَالِمٍ ؟

من أخبار عمرو بن عبيد الخلق ، واعتزل مجلس الحسن البصرى ، وهو أول المعتزلة .

(١) وفي الأصل «فينا تلكا» وهو تحريف

(٢) تحمير اللفظ : تحسينه ، قالوا : «وكان مهامل يجبر شعره» - وفي نسخة

«تخير» بمعنى الاختيار (م)

ودخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر المنصور ، فقال : عِظْنِي ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ اللهَ أعطاك الدنيا بأسرها ، فأشترَ نفسك منه ببعضها ؛ يا أمير المؤمنين ؛ إن هذا الأمرَ لو كان باقياً لأحدٍ قبلك ما وصل إليك ، ألم ترَ كيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ! قال : فبكى المنصور حتى بَلَ ثوبه . ثم قال : حاجتكَ يا أبا عثمان ! وكان المنصور لَمَّا دخل عليه طرَحَ عليه طِيلَسَانًا ، فقال : يُرْفَعُ هذا الطيلسان عني ! فرفع ، فقال أبو جعفر : لا تدعُ إتياننا ! قال : نعم ، لا يعضني وإياك بلدٌ إلا دخلتُ إليك ، ولا بدتُ لي حاجة إلا سألتُك ، ولكن لا تُعْطِنِي حتى أسألك ، ولا تُدْعُنِي حتى آتيتك ، قال : إذا لآتينا أبداً ! وقد رُوي مثل هذا لابن السماك مع الرشيد

وقوله «لو كان هذا الأمر باقياً لأحدٍ قبلك ما وصل إليك» كقول ابن الرومي :

لعمرك ما الدنيا بدارٍ إقامةٍ إذا زال عن عَيْنِ البصيرِ غطاؤها
وكيف بقاء الناس فيها وإنما يُنال بأسبابِ الفناء بقاءها ؟

ووعظ شبيب بن شبة المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله لم يجعل فوقك أحداً ، فلا تجعلُ فوق شكره شكراً .

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده المهدي فقال له : هذا ابن أخيك المهدي ، ولي عهد المسلمين ، فقال : سَمِيَتْهُ اسماً لم يستحقَّ حمله ، ويفضى إليك الأمر وأنت عنه مشغول^(١)

وكان عمرو بن عبيد يقول : اللهم أغْنِنِي بالافتقارِ إليك ، ولا تُفْقِرْنِي بالاستغناء عنك .

وقال له المنصور : يا أبا عثمان ؛ أَعِنِّي بأصحابك : قال : يا أمير المؤمنين ؛ أَظْهِرِ الْحَقَّ يَتَّبِعُكَ أَهْلُهُ .

وقال عمر الشمري : كان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم ، وإن تكلم لم يكذ

(١) كذا في المطبوعات كلها ، ولعل أصل العبارة « ويفضى إليه الأمر وأنت عنه مشغول » يريد بالأمر الذي يصل إليه الخلافة ، ولن تصل إليه إلا وقد مات أبوه (م)

يُطِيلُ ؛ وكان يقول : لا خَيْرَ في التَّكَلُّمِ إِذَا كَانَ كَلَامُهُ لِمَنْ يَشْهَدُهُ دُونَ قَائِلِهِ ،
وَإِذَا طَالَ الْكَلَامُ عَرَضَتْ لِلتَّكَلُّمِ أَسْبَابُ التَّكَلُّفِ ، وَلَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ يَأْتِيكَ
بِهِ التَّكَلُّفُ (١) .

البلاغة عند
أهل الهند

قال معمر بن الأشعث : قلت لبهامة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء
الهند : ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهامة : عندما في ذلك صحيفة مكتوبة ،
ولكنني لا أحسن ترجمتها ، ولم أعالج هذه الصناعة ، فأثق من نفسي بالقيام
بخصائصها ، ولطيف معانيها . قال ابن الأشعث : فقلت بتلك الصحيفة الترجمة
فإذا فيها : أولُ البلاغة اجتماعُ آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابطاً
الجباش (٢) ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم - يد الأمة
بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام الشوكة ، ويكون في قواه فضلُ التصرف في
كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا يُنقح الألفاظ كل التنقيح ،
ولا يصفئها كل التصفية ، ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا ينعل ذلك حتى
يصادف حكماً ، أو فيلسوفاً عليماً ، ومن قد تعودَ حذفَ فضول الكلام ،
وإسقاطَ مشتركات الألفاظ ؛ وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ،
لا على جهة التصفح والاعتراض (٣) ، ووجه النظرُ والاستطراف .

البلاغة عند
ابن المقفع

قال إسحاق بن حسان بن قوهي : لم يفسر أحد البلاغة تفسير عبد الله
ابن المقفع إذ قال : البلاغة اسمٌ لمعانٍ تجزى في وجودٍ كثيرة ، فمنها ما يكون
في الاستماع ، ومنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها
ما يكون في الحديث ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون شعراً ،

(١) وكانت وفاة عمرو بن عبيد سنة ١٤٤

(٢) الجبّاش : الصدر ، ومثله الجبّوشوش بضم الجيم

(٣) التصفح : قلب الصفحات .

ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون خطباً ، ومنها ما يكون رسائل ؛ فغاية هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى ؛ والإيجاز هو البلاغة ، فأما الخطب فيما بين السامعين^(١) وفي إصلاح ذات البين ، فالإكثار في غير خطب^(٢) ، والإطالة في غير إملال ، ولكن ليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته (كأنه يقول فرّق بين صدر خطبة النكاح وخطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على مجزئه^(٣)) فإنه لاخير في كلام لا يدل على معنك ، ولا يشير إلى مغزالك ، وإلى العمود الذي إليه قصدت ، والغرض الذي إليه نزلت .

فقل له : فإن ملّ المستمع الإطالة التي ذكرت أنها أحقّ بذلك الموضع ؟ قال : إذا أعطيت كل مقام حقه ، ووقت بالذي يجب من سياسة الكلام ، وأرضيت من يعرف حقوق ذلك ، فلا تهم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ؛ فإنهما لا يرضيان بشيء ؛ فأما الجاهل فلست منه وليس منك ، ورضا جميع الناس شيء لا ينال .

[الإطالة والإيجاز]

وقد مدحوا الإطالة في مكانها ، كما مدحوا الإيجاز في مكانه . قال أبو داود [ابن جرير] في خطباء إباد :

يَرْمُونَ بِالْخَطْبِ الطَّوَالَ ، وَتَارَةً وَحَى الْمَلَا حِظِّ خَيْفَةَ الرِّقْبَاءِ^(٤)
قال أبو وجزة السعدي يصف كلام رجل :

(١) بين السامعين : الصفيين . (٢) الخطل : السخف
(٣) ما وضعناه بين قوس أثبتته المؤلف توضيحاً لكلام ابن المقفع
(٤) المراد من وحى الملاحظ إشارة العيون .

يَكْفِي قَلِيلُ كَلَامِهِ ، وَكَثِيرُهُ ثَبِتٌ ، إِذَا طَالَ النَّصَالُ ، مُصِيبٌ^(١) وَأَنْشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ^(٢) وَلَمْ يَسْمُ قَائِلَهُ ، وَهُوَ مَوْلِدٌ وَلَمْ يَنْقِصْهُ تَوْلِيدُهُ مِنْ حِظِّ الْقَدِيمِ شَيْئًا :

طَبِيبٌ بَدَأَ فَنُوفَ الْكَلَا مَ لَمْ يَعْنَى يَوْمًا وَلَمْ يَهْذِرُ
فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلطُّبَّالِ عَلَى الْمُنْزَرِ^(٣)
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمَقْلِّ عَلَى الْمُكْثِرِ
وَقَالَ آخِرُ يَصِفُ خَطِيبًا :

فَإِذَا تَكَلَّمَ خَلَّتْهُ مِتْكَمًا بِجَمِيعِ عِدَّةِ السُّنَنِ الْخَطْبَاءِ
فَكَأَنَّ آدَمَ كَانَ عَالِمَهُ الَّذِي قَدْ كَانَ عَالِمُهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ
وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ يَقُولُ : تَلْخِصِ الْمَعْنَى رِفْقًا ، وَالِاسْتَعَانَةَ بِالْغَرِيبِ عَجْزًا ،
وَالْتَشَدُّقَ فِي الْإِعْرَابِ نَقْصًا ، وَالنَّظْرُ فِي عَيُونِ النَّاسِ عَيًّْا ، وَمَسُّ اللَّحْيَةِ هَلْكَ ،
وَالخُرُوجُ عَمَّا بُنِيَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ إِسْهَابًا .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو رَجُلًا بِالْعِي :

مَلِيٌّ بِبُهْرٍ وَالتَّفَاتِ وَسَعْلَةٍ وَمَسْحَةِ عُثُونٍ وَفَتْلِ الْأَصَابِعِ^(٤)
وَوَصَفَ الْعَتَابِيَّ^(٥) رَجُلًا بَلِيغًا فَقَالَ : كَانَ يُظْهِرُ مَا تَخْضُ مِنَ الْحِجَّةِ ،

العتابي يصف
الرجل البليغ

(١) ثبت : مثبت (٢) كان المبرد إمام العربية ببغداد في زمانه ، وكان فصيحاً بليغاً مغوها صاحب نوادر وظرف ، وكان جميلاً ، لاسياً في صباه ، ولما صنف المازني كتاب الألف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه ، فأجابه بأحسن جواب ، فقال له : قم فأنت المبرد ، بكسر الراء ، أي المثبت للحق ، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء . ولد في سنة ٢١٠ وتوفي سنة ٢٨٥ (٣) المنزر : المقل .

(٤) البهر : تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء . والعثون : اللحية .

(٥) العتابي : هو كلثوم بن عمرو . أصله من الشام من أرض قنسرين ، صحب البرامكة ، ثم صحب طاهر بن الحسين وعلي بن هشام القائدين ، وكان حسن الاعتذار =

ويصورُّ الباطلَ في صورةِ الحقِّ، ويُفهِّمك الحاجةَ من غيرِ إعادةٍ ولا استعانةٍ .
 قيل له : وما الاستعانةُ ؟ قال : يقول عند مقاطع كلامه ياهنأة ، وأسمع ، وفهمت !
 وما أشبه ذلك . وهذا من أماراتِ العجزِ ، ودلائلِ الحصرِ ! وإنما ينقطعُ عليه
 كلامه فيحاولُ وصله بهذا ، فيكون أشدَّ لانتطاعه .

وكان أبوداود يقول : رأسُ الخطابةِ الطَّبَعُ ، وعمودها الدُّرْبَةُ ، وجناحها
 رِوَايَةُ الكلامِ ، وحلِّيها الإعرابُ ، وبهاؤها تَحْيِيرُ اللفظِ ؛ والمحبةُ مقرونةٌ
 بقلةِ الاستِكرَاهِ .

عدة الخطابة
 عند أبي داود

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : قال بعض جهابذة الألفاظ ، ونقاد
 المعاني : المعاني القائمةُ في صدور الناس ، المختلجة في نفوسهم ، والمتصورة في أذهانهم
 المتصلة بخواطرمهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورةٌ خفيةٌ ، وبعيدةٌ وحشيةٌ ،
 ومحموجةٌ مكنونةٌ ، وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرفُ الإنسانُ ضميرَ صاحبه ،
 ولا حاجةَ أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه والمعاون له على أمره ، وعلى
 ما لا يبلغه من حاجاتِ نفسه إلا بغيره ، وإنما يجي تلك المعاني ذِكْرُهُمْ لها ، وإخبارهم
 عنها ، واستعمالهم إياها .

منزلة اللفظ
 من المعنى عند
 الجاحظ

وهذه الخصالُ هي التي تقرَّبها من الفهم ، وتجلِّيها للعقل ، وتجعل الخفيَّ منها
 ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيدَ قريباً . وهي التي تلخِّصُ الملتبس ، وتحلُّ المنعقد ،
 وتجعل المهمل مقيّداً ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروفاً ، والوَحْشِيَّ مألوفاً ،
 [والغفل موسوماً^(١) ، والموسوم معلوماً] ؛ وعلى قَدْرِ وضوحِ الدلالة ، وصوابِ

== في رسائله وشعره ، يشبه في المحدثين بالنابغة في الجاهلية . ومن جيد شعره قوله في
 جعفر بن يحيى وقد كان بلغ الرشيد عنه ما أهدر به دمه غلظه جعفر :

ما زلت في غمرات الموت مطرحة يضيق عنى فسيح الرأى من حيلي
 فلم تزل دائماً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجل

وكانت وفاة العتابي سنة ٢٢٠

(١) الغفل : الذي لاعلامه له ، والموسوم : ذو العلامة ، من الوسم (م)

الإشارة ، وحُسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون ظهورُ المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أًبينَ وأنور ، كانت أنفع وأجمع في البيان . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله يمدحه ، ويدعو إليه ، ويحثُّ عليه ؛ بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم .

والبيان : اسمٌ لكل شيء كَشَفَ لك عن قناع المعنى ، وهَتَكَ لك الخُجُبَ دون الضمير ، حتى يُفِضِيَ السامعُ إلى حقيقته ، ويهجم على محصولة ، كأنَّ ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان ذلك الدليل ؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى القائلُ والسامعُ إنما هو الفهم والإفهام ؛ فبأى شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع .

ثم اعلم - حَفِظَكَ اللهُ ! - أن حُكْمَ المعاني خلافُ حُكْمِ الألفاظ ؛ لأنَّ المعاني مبسوطة إلى غير غاية ، وأسماء المعاني محصورة معدودة ، ومحصلة محدودة . وجميعُ أصنافِ الدلالات على المعاني من لفظٍ أو غيره خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللَّفْظ ، ثم الإشارة ، ثم القمد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نُصْبَةً . والنُصْبَةُ هي الحالُ الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصُرُ عن تلك الدلالات .

والكل واحدٌ من هذه الدلائل الخمسة صورةٌ بائنة^(١) من صورةٍ صاحبها ، وحِلْيَةٌ مخالفةٌ لِجِلْيَةِ أختها ؛ وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، وعن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السارِّ والضارِّ ، وعمَّا يكون منها لغواً بهزجاً^(٢) ، وساقطاً مطرَحاً .

(١) صورة بائنة : متميزة يظهر فرق ما بينها وبين صاحبها (م)

(٢) بهزج : ردي .

البيان عن
الجاحظ

الدلالات
على المعاني

وفي نحو قول أبي عثمان « إنَّ المعاني غير مقصورة ولا محصورة » يقول أبو تمام الطائي لأبي دُلْفَ القاسم بن عيسى العجليّ :
 ولو كان يَفْنَى الشعرُ أَفْنَتَهُ ما قَرَّتْ حِيَاضُكَ منه في العصورِ الذَّوَاهِبِ (١)
 ولكنه فيضُ العقولِ إذا انجَلَتْ سحائبُ منه أُعْقِبَتْ بسَحَابِ
 كما أشار إلى قول أوْس بن حَجْر الاسديّ :
 أقول بما صَبَّتْ على غمامتي وجهديّ في جبل العشيّرة أحطِبُ (٢)

* * *

وقال بعضُ البلغاء : في اللسان عشرُ خصالٍ (٣) محمودة ، أداةٌ يظهر بها البيان ، وشاهدٌ يخبر عن الضمير ، وحاكمٌ يفصل الخطاب ، وواعظٌ ينهَى عن القبيح ، وناطقٌ يردُّ الجواب ، وشافعٌ تُدرِك به الحاجة ، وواصفٌ تعرف به الأشياء ، ومُعَرِّبٌ يُشكِّر به الإحسان ، ومُعَرِّبٌ تذهب به الأخران ، وحامِدٌ يذهب الضغينة ومونقٌ يلهمي الأسماع .

وقال أبو العباس بن المعتز : لحظةُ القلب أسرعُ خطرةً من لحظةِ العين ، وأبعدُ مجالاً ، وهي الغائصةُ في أعماقِ أودِيَةِ الفكر ، والمتأملّةُ لوجودِ العواقب ، والجامعةُ بين ما غاب وحَصَرَ ، والميزانُ الشاهدُ على ما نفعَ وضرَّ ، والقلبُ كالمُملِي للكلامِ على اللسانِ إذا نطق ، واليدُ إذا كتبت ، والعاقلُ يكسو المعاني وشَى الكلامِ في قلبه ، ثم يُبيديها بالفاظِ كَوَاسٍ في أحسنِ زينة ، والجاهلُ يستعجلُ بإظهارِ المعاني قبلِ العنايةِ بتزيينِ معارضِها ، واستكمالِ محاسنها .

وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي : ما البيان ؟ قال : أن يكونَ الاسمُ يحيطُ بمعناكَ . ويكشِفُ عن مَعْرَاكَ ، ويخرجه من الشركة ، ولا يُستعانَ عليه .
 البيان
 عند جعفر بن
 يحيى البرمكي

(١) قرت : أخذت (٢) يحطب في جبل العشيّرة : أي يستعين بها كما يستعين الحاطب بالحبل . (٣) إذا عدت ما ذكره وجدته إحدى عشرة خصلة (م)

بالفكر، ويكون سليماً من التكلف، بعيداً من الصنعة، بريئاً من التعقيد، غنياً عن التأويل.

وذكر سهل بن هارون^(١) - وقيل ثمامة بن أشرس - جعفر بن يحيى فقال: قد جمّع في كلامه وبلاغته الهدى والتمهل^(٢) والجزالة والحلاوة، وكان يفهم إفاهما يُغنيه عن الإعادة للكلام. ولو كان يستغنى مستغن عن الإشارة بمنطقه لاستغنى عنها جعفر. كما استغنى عن الإعادة فإنه لا يتحبس^(٣) ولا يتوقف في منطقهِ ولا يتلجلج، ولا يتسعل، ولا يترقب لفظاً قد استدعاه من بُعد، ولا يتلمس معنى قد عصاه بعد طلبه له.

وقيل لبشار بن بُرد: بِمَ قَتَّ أَهْلَ عَمْرِكْ، وسبقت أَهْلَ عَصْرِكْ، في بشار بن برد حسن معاني الشعر، وتهذيب ألفاظه؟ فقال: لأنني لم أقبل كلَّ ما تُورِدُهُ عَلَيَّ قريحتي، ويناجيني به طبعي، ويبعثه فكري، ونظرت إلى مغارس الفطن، ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسيرت إليها بفهمٍ جيد، وغريزة قوية، فأحكمت سبورها، وانتقيت حرها، وكشفت عن حقائقها، واحترزت من متكلفها ولا والله ما ملك قيادي قطُّ الإعجابُ بشيء مما آتني به.

وكان بشار بن برد خطيباً، شاعراً، راجزاً، سجّاعاً، صاحب منشور ومزدوج، ويلقب بالمرعث لقوله:

(١) كان سهل بن هارون من الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار. وقعت آراؤه في الأدب وتدير الملك مفرقة في الكتب، ولم يصل إلينا من مؤلفاته الكثيرة شيء يستحق الذكر. وقد أطلعني المسيو مارسيه في باريس على مذكرات مهمة قيد فيها ما عثر عليه من آثار ذلك الكاتب البليغ. وكانت وفاة سهل ابن هارون في سنة ١٧٣ (٢) الهد: السرعة (٣) في الأصل (يتحسن) وهو تحريف

مَنْ لَطْبِي مُرَعَّثٍ سَاحِرِ الطَّرْفِ وَالنَّظَرِ^(١)
 قَالَ لِي لَنْ تَنَالَنِي قَلْتَ أَوْ يَغْلِبُ الْقَدْرَ

وليس هذا موضع استقصاء ذكره ، واختيار شعره ، وسأستقبل ذلك إن شاء الله .

[وصية أبي تمام للبحترى]

وقال الوليد بن عبيد البحترى : كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أُرُومُ الشَّعْرِ ، وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعِ ، وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى تَسْهِيلِ مَأْخِذِهِ ، وَوَجْوهِ اقْتِضَابِهِ ، حَتَّى قَصَدْتُ أَبَاتَامَ ، وَانْقَطَعَتْ فِيهِ إِلَيْهِ ، وَانْتَسَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ ؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ لِي : يَا أَبَا عُبَادَةَ ؛ تَحَيَّرَ الْأَوْقَاتَ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهَمُومِ ، صَفْرُ مِنْ الْغَمُومِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حِظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ ، وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ ، وَإِنْ أُرِدْتَ التَّشْبِيحَ فَاجْعَلِ اللَّفْظَ رَشِيقًا ، وَالْمَعْنَى رَقِيقًا ، وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ ، وَتَوَجَّعِ الْكَاثِبَةَ ، وَقَلِّقِ الْأَشْوَاقَ ، وَلَوْعَةَ الْفِرَاقِ ، فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيحِ سَيِّدِ ذِي أَيَادٍ فَاشْهَرِ مَنَاقِبَهُ ، وَأَظْهَرِ مَنَاسِبَهُ ، وَأَبْنِ مَعَالِمَهُ ، وَشَرَفِ مَقَامَهُ ، وَنَضَّدِ الْمَعَانِي^(٢) ، وَاحْذَرِ الْمَجْهُولَ مِنْهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينَ شِعْرَكَ بِالْأَلْفَاظِ الرَّدِيئَةِ ، وَلِتَسْكُنْ كَأَنَّكَ خِيَّاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَجْسَادِ . وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجْرُ فَاَرِحْ نَفْسَكَ ، وَلَا تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغٌ الْقَلْبِ ، وَاجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ الذَّرِيعَةَ^(٣) إِلَى حَسَنِ نَظْمِهِ ؛ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ

(١) مرعث : يلبس الرعثة - بالضم - وهي القرط .

(٢) نضد : بمن التنضيد ، وهو ضم بعض الشيء إلى بعض .

(٣) الذريعة : الوسيلة .

زعم المعين . وجملةُ الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله .

قال : فأعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة^(١) .

وقالوا : البليغ من يحوِّك الكلام على حسب الأمانى ، ويخيِّط الألفاظ على وصف البليغ قدود المعاني .

ولذكر الطائي الليل ذكر بعض أهل العصر - وهو أبو علي محمد بن الحسن ابن المظفر الحاتمي^(٢) - الليل فقال: فيه تجمُّ الأذهان^(٣) ، وتنقطع الأشغال ، ويصح النظر ، وتؤلّف الحكمة ، وتدرّ الخواطر ، ويتسع مجالُ القلب ، والليل أضواءً في مذاهب الفكر ، وأخفى لعمل البر ، وأعون على صدقة السر ، وأصح لتلاوة الذكر ، ومُدبرُ الأمور يختارون الليل على النهار ، فيما لم تصف فيه الأناة لرياضة التدبير وسياسة التقدير ، في دقّ الملم ، وإمضاء المهم ، وإنشاء الكتب ، وتصحيح المعاني ، وتقويم المباني ، وإظهار الحجج ، وإيضاح المنهج ، وإصابة نظم الكلام ، وتقريبه من الأفهام .

وقال بعض رؤساء الكتّاب : ليس الكتابُ في كل وقتٍ على غير

(١) ارجع إلى نقد هذه الوصية في كتاب (الموازنة بين الشعراء) .

(٢) كان الحاتمي حسن التصرف في الشعر ، يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة في النظم ، وكان من خصوم المتنبي ، وله في شعره عدة أبحاث . ومن جيد شعره قوله في وصف الثريا :

وليل أقمنا فيه نعمل كأسنا
ونجم الشثيا في السماء كأنه
إلى أن بدا للصبح في الليل عسكر
على حلة زرقاء جيب مدر
مات في شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٨
(٣) تجم : تستريح .

نسخة لم تُحرَّر بصواب ؛ لأنه ليس أحدٌ أولى بالأناة وبالروية من كاتب يعرض عقله ، وينشر بلاغته ؛ فينبغي له أن يعمل النسخ ويرويها ، ويقبل عفو القريحة ولا يستكرهها ، ويعمل على أن جميع الناس أعداء له ، عارفون بكتابه ، منتقدون عليه ، متفرغون إليه .

فضل الروية
والأناة

وقال آخر : إن لا ابتداء الكلام فتنه تروق ، وجدة تعجب ، فإذا سكنت القريحة ، وعدل التأمل ، وصفت النفس ، فليعد النظر ، وليكن قرأه بإحسانه ، مساوياً لعمه بإساءته ؛ فقد قالت الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي : نبايعك الساعة فقد رأينا ذلك ، فقال : دعوا الرأي حتى يبلغ أناته ، فإنه لا خير في الرأي الفطير ، والكلام القضيبي (١) .

وقال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله لعبد الله بن جعفر : ما عندك في كذا وكذا ؟ فقال : أريد أن أضقل عقلي بنومة القائلة (٢) ، ثم أروح فأقول بعدما عندي قال الشاعر :

إن الحديث تغرُّ القومَ جَلَوْنُهُ حتى يغيِّره بالوزنِ مضمارُ (٣)
فمعد ذلك تستكفي بلاغته أو يستمرُّ به عيٌّ وإكثارُ
وقالوا : كلُّ مجرٍ بالخلاءِ يسرُّ (٤) ، وقال أبو الطيب المتنبي :
وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلبَ الطعنَ وحده والنزالاً

وكان قلم بن المقفع يقف كثيراً ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن الكلام يزدهم في صدري ، فيقف قلبي لمتخير .

تخير ابن المقفع
ما رد عليه
من الكلام

(١) الرأي الفطير : الذي لم ينضج ، والكلام القضيبي : المرتجل (٢) نومة القائلة : نومة الظهيرة (٣) الجلوة : الزينة (٤) يريد أن الذي يجرى فرسه بالخلاء يسر بظفره حيث لا مناضل ، وهو مثل في التهكم .

وقالوا: الكِتَابُ يُتَصَفَّحُ أَكْثَرَ مِمَّا يُتَصَفَّحُ الْخِطَابُ؛ لِأَنَّ الْكَاتِبَ مُتَخَيِّرٌ،
وَالْمُخَاطَبَ مُضْطَرٌّ، وَمَنْ يَرِدُ عَلَيْهِ كِتَابُكَ فَلَيْسَ يَعْلَمُ أَسْرَعْتَ فِيهِ أَمْ أَبْطَأْتَ؛
وَإِنَّمَا يَنْظُرُ أَأْخِطَأْتَ أَمْ أَصَبْتَ؛ فَيَبْطِئُكَ غَيْرُ قَادِحٍ فِي إِصَابَتِكَ، كَمَا إِنْ إِسْرَاعَكَ
غَيْرُ مُعْطٍ عَلَى غَلَطِكَ.

ووصف بعضُ الكِتَابِ النسخ فقال: ينبغي أن يصحَّبه الفكر إلى استقرارها،
ثم تُستَبْرَأُ بإعادة النظر فيها بعد اختيارها^(١)، ويوسَّع بين سُطُورِها، ثم تحرر على
ثِقَةٍ بصحتها، وتُتأمل بعد التحرير حَرْفًا حَرْفًا إلى آخرها.

فقد كتب المأمون مُصْحَفًا اجتمع عليه؛ فكان أوله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحِيمِ، فأغفلوا
الرحمن؛ لأن العين لا تعتبرُ ذلك؛ ثقة أنه لا يُغْلَطُ فيه، حتى فطنَ المأمون له.
وقال محمد بن عبد الملك الزيَّات للحسن بن وهب: حرَّرت هذه النسخة وبكَّرُ
بها، فتصبَّح الحسن^(٢) فقال له: لم تصبَّحت؟ قال: حتى تصفحت!
وقال أحمد بن إسماعيل بطاحه: كان بعض العلماء الأعمياء ينظر في نسخته
بعد نفوذ كُتبه، فقال بعض الكتاب:

مُسْتَلْبُ اللَّبِّ غَوِيُّ الشَّبَابِ عَذْبُهُ الْمَهْجَرُ أَشَدُّ الْعَذَابِ
يُؤْمَلُ الصَّبْرُ وَأَتَى لَهُ بِهِ وَقَدْ مُكِّنَ مِنْهُ التَّصَابُ
كِنَاظِرٌ فِي نَسْخَةٍ يَبْتَعِي إِصْلَاحَهَا بَعْدَ نَفُوذِ الْكِنَابِ

أوصاف بليغة في البلاغات

على السنة أفوام من أهل الصناعات

قال بعضُ من وُلد عقائل هذا المنشور، وألَّف فواصل هذه الشذور: تجمَّع

(١) تستبرأ: تجفف - كذا وليس بمقصود، ولكن المراد معاودة النظر فيها ليتعرف
كاتبها ما فرط منه إن كان فيتداركه (م) (٢) تصبَّح: تأخر عن الحضور صباحاً.

قوم من أهل الصناعات، فوصفوا بلاغاتهم، من طريق صناعاتهم^(١) :
 فقال الجوهري : أحسنُ الكلامِ نظاماً ما ثبته يدُ الفكرة ، ونظمته الفِطنة ،
 ووُصِلَ جوهرُ معانيه في سموط^(٢) ألفاظه ، فاحتلمته نحوهُ الرواة .

وقال العطار : أطيّبُ الكلامِ ما عَجِنَ عَنبرُ ألفاظه بمسكِ معانيه ، ففاح
 نسيماً نَشَقِه ، وسطعت رائحة عبّقه ، فتعلقت به الرّواة ، وتعتّرت به السّراة .

وقال الصائغ : خيرُ الكلامِ ما أحمّيته بكبيرِ الفكرِ^(٣) ، وسبّكته بمشاعِلِ
 النّظر ، وخلّصته من خَبثِ الإطناب ، فبرز بروزَ الإبريز^(٤) ، في معنى وحيز .
 وقال الصيرفي^(٥) : خيرُ الكلامِ ما تقدّته يدُ البصيرة ، وجلّته عين الرويّة ،
 ووزنته بمعيارِ الفصاحة ، فلا نظريزيّفه^(٦) ، ولا سماعَ يبهْرِجُه^(٧)

وقال الحداد : أحسن الكلام ما نصبت عليه منفضة القريحة ، وأشعلت عليه
 نارَ البصيرة ، ثم أخرجته من فحم^(٨) الإخام ، ورقفته بفطيس الإفهام^(٩) .
 وقال النجار : خيرُ الكلام ما أحكمت نَجْرَ معناه بقُدومِ التقدير ، ونشّرتَه
 بمنشارِ التدبير ، فصار باباً لبيت البيان ، وعارضة لسقفِ اللسان .

وقال النجاد : أحسنُ الكلام ما لطفت رَفَارِفُ ألفاظه^(١٠) ، وحسنت مطّارِح

(١) هذا نوع من فن المقامات الذي ذاع في القرن الرابع بفضل أبي بكر بن دريد
 وبديع الزمان ، وقد ترجمت هذا الحديث إلى اللغة الفرنسية في كتابي .

La prose arabe au IV^e siècle de l'hegire

(٢) السموط : جمع سوط - بالكسر - وهو خيط النظم

(٣) الكير بالكسر : هو منفضة الحداد (٤) الإبريز : هو الذهب الخالص

(٥) الصيرفي : صراف الدراهم ، والجمع صيارفة ، وجاء في الشعر صياريف

(٦) زاف الدراهم وزيفها : حكم برداءتها (٧) يبهْرِجُه : يحكم بأنه بهرج ،

والبهرج : الباطل والردى (٨) الإخام : العجز عن البيان ، ومنه : شاعر

مفحم ، على صيغة المفعول (٩) الفطيس : المطرقة

(١٠) الرفارف : الأطراف ، مفرد هارفرف - وهي ثياب خضر تبسط (م)

معانيه، فتنزهت في زرابي محاسنه عيون الناظرين^(١)، وأصاحت لمارق^(٢) بهجته
أذان السامعين .

وقال الماتح : أبين الكلام ما علقت وذم ألفاظه بيكرة معانيه^(٣) ، ثم
أرسلته في قلب القطن^(٤) فتحت به سقاء يكشف الشهات ، واستنبتت به
معنى يروى من ظما المشكلات .

وقال الخياط : البلاغة قيص ؛ فجرّبانه البيان^(٥) ، وجيّه المعرفة ، وكّمّاه
الوجازة ، ودخّارِ يصه الإفهام^(٦) ، ودُرُوزد الحلاوة^(٧) ، ولايس جسدّه اللفظ ،
وروحه المعنى .

وقال الصباغ : أحسن الكلام ما لم تنض بهجة إيجازه^(٨) ، ولم تكشف
صبغة إيجازه ، قد صقلته يد الرويّة من كدود الإشكال . فرّاع كواعب
الآداب ، وألف عدّارى الألباب .

وقال الحايك : أحسن الكلام ما اتصّلت لحمه ألفاظه بسدى معانيه^(٩)
فخرج موفّاقاً مثيراً ، وموشى محبباً .

وقال البزاز^(١٠) : أحسن الكلام ما صدق رقم ألفاظه ، وحسن نشر معانيه
فلم يستعجم عنك نشر ، ولم يستبهم عليك طي .

وقال الرائض : خير الكلام ما لم يخرج عن حدّ التّخلّيع^(١١) ، إلى منزلة

(١) الزرابي : واجدها زربي - بالكسر ويضم - وهو كل ما بسط واتكى عليه

(٢) المارق : واحدها المارقة - بالتثنية - وهي الوسادة الصغيرة

(٣) الودم : الدنو (٤) القلب : البئر

(٥) الجربان : الطوق (٦) الدلّارِ يص : فتحات الأزرار

(٧) الدرّوز : الأطراف الرقاق (٨) لم تنض : لم تمح

(٩) اللحمة والسدى : ما يسدى ويلحم به الثوب (١٠) البزاز : بائع البز . بالفتح ،

وهو الثياب أو متاع البيت من الثياب (١١) التّخلّيع : هز المنكبين في المتى (م)

التَّقْرِيب^(١) إلا بعد الرياضة ، وكان كالمهز الذي أطمع أولُ رياضته في تمام ثقافته .
وقال الجمال : البليغُ من أخذَ بِخَطامِ كلامه ، فأناخه في مَبْرِكِ المعنى ، ثم
جعل الاختصار له عقلاً ، والإيجاز له مجالاً ، فلم يندد عن الآذان ، ولم يشذ
عن الأذهان .

وقال الحنث : خيرُ الكلام ما تَكَسَّرتْ أطرافُه ، وتَنَتَّتْ أعطافُه ، وكان
لفظه حُلَّةً ، ومعناه حليَّةً .

وقال الخمار : أبلغُ الكلام ما طَبَخْتَهُ مَرَّاجِلُ العلم ، وصَفَّاه رَاوُوقُ الفهم ،
وضَمَّتْه دِنَانُ الحكمة ، فتمشَّتْ في المفاصل عُدُوْبَتُهُ ، وفي الأفكار رِقَّتْهُ ، وفي
العنبر حِدَّتْهُ .

وقال الفقاعى : خيرُ الكلام ما رَوَّحَتْ أَلْفَاظُهُ غَبَاوَةَ الشُّكِّ ، ورفعت
رِقَّتْهُ فِظَاظَةَ الجَهْلِ ، فطاب حِسَاءُ فِطْنَتِهِ ، وعُدُّب مَعَسَّ جُرْعَتِهِ .

وقال الطيب : خيرُ الكلام ما إذا باشر [دواء] بيانه سَقَمَ الشُّبْهَةِ استطلقت
طبيعةُ الغباوة ؛ فشفَى من سوء التفهم ، وأورث صحة التوهم .

وقال الكحال : كما أن الرمدَ قَدَى الأَبْصارِ ، فكذا الشُّبْهَةُ قَدَى البصائرِ ،
فاكحلَّ عَيْنَ اللَكْنَةِ بِمِيزِ البِلاغةِ ، واجلُّ رَمَصَ العَفْلةِ^(٢) بِمِرْوَدِ اليقظةِ .

ثم قال : أجمعوا كلهم على أن أبلغ الكلام ما إذا أشرفت شمسه ، انكشف
لبسه ، وإذا صدقت أنواعه^(٣) اخضرت أحماؤه^(٤) .

فقر في وصف البلاغة لغير واحد

قال أعرابي : البلاغةُ التقرب من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة
بقليل على كثير .

(١) التقريب : ضرب من العدو ، أو هو أن يرفع الجواد يديه معا ويضعهما معا

(٢) الرمض : وسخ أبيض يجتمع في موق العين

(٣) الأنواء : جمع نوء ، وهو النجم مال للغروب ، والمراد به هنا المطر

(٤) الأحماء : جمع حمى ، وهو المكان يحميه الرجل ويمنعه

قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغةُ تقريرُ المعنى في الأفهام ، من أقرب وجود الكلام .

ابن المعتز : البلاغةُ البلوغُ إلى المعنى ولم يطل سَفَرُ الكلام .

سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول ، ورَوْضُ القلوب ، وقال : العقل رائدُ الروح ، والعلم رائدُ العقل ، والبيان ترجمان العلم .

إبراهيم بن الإمام : يكفي من البلاغة ألا يُؤتَى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يُؤتَى الناطق من سوء فهم السامع .

العتّابي : البلاغة مدُّ الكلام بمعانيه إذا قصر ، وحُسن التّأليف إذا طال .

أعرابي : البلاغة إيجاز في غير عَجْز ، وإطناب في غير حَظَل .

[وكتب إبراهيم بن المهدي إلى كاتب له ورآه يتبع وحشيّ الكلام : إياك وتتبع الوحشي طمعاً في نَيْلِ البلاغة ؛ فإن ذلك العيُّ الأكبر ، وعليك بما سهل مع تجنبك ألقاظ السفل .

وقال الصولي : وصف يحيى بن خالد رجلاً فقال : أخذ بزمام الكلام ، فتاده أسهل مقاد ، وساقه أجمل مساق ؛ فاسترجع به القلوب النافرة ، واستصرف به الأبصار الطامحة .

وسمع أعرابي كلامَ الحسن البصري رحمه الله ، فقال : والله إنه لفصيح إذا نطق ، نصيح إذا وعظ .

قال الجاحظ : ينبغي للكاتب أن يكون رقيقَ حواشي الكلام ، عذبَ ينابيع اللسان ؛ إذا حاور سدّد سهم الصواب إلى غرض المعنى ، لا يكلم الخاصة بكلام العامة ، ولا العامة بكلام الخاصة .

وقال أبو العباس المبرد : قال الحسن بن سهل لسالم الحراري : ما المنزلة التي إذ أنزل بها الكاتب كان كاتباً في قوله وفعله واستحقاقه ؟ قال : أن يكون مطبوعاً على المعرفة ، مُحْتَنِكاً بالتجربة ، عارفاً بجلال الكتاب وحرامه ، وبالدهور في تصرفها

وأحكامها ، وبالملوك في سيرها وأيامها ، وأجاس الخط ، وبإدابة الأقلام ، مع تشاكل اللفظ وقرب المأخذ . قال الحسن : فليس في الدنيا إذاً كاتب [.

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الإطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانهاز الفرصة ، وحسن الإشارة .

وقيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقال علي بن عيسى الرُّمَّاني : البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ .

ومن كلام أهل العصر ، في صفة البلاغة والبلغاء

[قال علي بن عيسى الرماني] : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل مجازده ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه .

أبلغ الكلام ما يؤنس مُسمِعَه ، ويؤنس مضيقَه .

البلغ من يحتنى من الألفاظ أنوارها^(١) ، ومن المعاني ثمارها .

ليست البلاغة أن يُطال عَنانُ القلم أو سِنانه ، أو يُبسَط رِهان القول ومِيدانه ، بل هي أن يبلغ أمد المراد بألفاظ أعْيان ، ومعان أفراد ، من حيث لا تزِيدُ على الحاجة ، ولا إخلالٌ يُفِضِي إلى الفاقة .

البلاغة ميدان لا يُقَطَع إلا بسوابق الأذهان ، ولا يُسَلَك إلا ببصائر البيان . فلان يعبث بالكلام ، ويقوده باللين زمام ، حتى كأنَّ الألفاظ تتَحَاسدُ في التسابق إلى خواطره ، والمعاني تتغايِرُ في الانثيال على أنامله .

هذا كقول أبي تمام الطائي :

تَغَايَرَ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرَتْ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيَهُ سَتَقْتَتِلُ

(١) الأنوار : جمع نور - بفتح النون وسكون الواو - وهو الزهر ، أو الأيض منه (م)

فلان مشرفى المشرق ، وصَيْرَفَى المنطق . البيانُ أَصغر صفاته ، والبلاغةُ
عَفْوُ خطراته . كأنما أوحى بالتوفيق إلى صدره ، وحسن الصواب بين
طَبَعه وفكره .

فلان يَحْزَمُ مَفَاصِلَ الكلام ، ويسبق فيها إلى دَرَكَ المرام ، كأنما جمع الكلام
حوْلَه حتى اتقى منه وانتخَب ، وتناول منه ما طَاب ، وترك بعد ذلك أَذْنَابًا
لا رءوسًا ، وأجسادًا لا نفوسًا .

فلان يَرْضَى بعَفْو الطَّبَع ، ويقنع بما خَفَّ على السمع ، ويُوْجِز فلا يُخِلُّ ؛
ويُطَنِّب فلا يُمِلُّ ، لله فلان أخذ بأزْمَةِ القول يقودها كيف أراد ، ويَجْذِبُهَا أَنَّى
شاء ، فلا تعصيه بين الصَّعب والذَّلُول ، ولا تسامه عند الحَزْونة والسهول ، كلامه
يشتدُّ مرَّةً حتى تقول الصَّخْرَ الأملس ، ويلين تارةً حتى تقول الماء أو أسلَس ،
يقول فيصُول ، ويُجِيب فيصِيب ، ويَكْتُئِبُ فيطْبُقُ المَفْصِل ، أو يُنَسِّقُ الدرَّ
المفصَّل ، ويرِدُ مَشَارِعَ الكلام وهي صَافِيَةٌ لم تُطْرَق ، وجامَّة لم تُرْتَقِ^(١) ،
خاطرُهُ البرقُ أو أَسْرَعُ لَمعًا ، والسَّيْفُ أو أَحَدُ قِطْعَا ، والماءُ أو أسلَس جَرِيًا ،
والفلكُ أو أَقْوَمُ هَدْيًا ؛ هو من يسهلُ الكلامُ على لفظه ، وتتراحمُ المعاني على
طَبَعِهِ ، فيتناول المرعى البعيدَ بقريب سَعْيِهِ ، ويستنبطُ المشرعَ العميقَ ببسيرِ
جَرِيهِ ، لسانُهُ يَفْلِقُ الصَّخُورَ ، ويفيضُ البحورَ ، ويُسْمِعُ الصَّمَّ ، ويستنزل
العُصْمَ^(٢) ، خطيبٌ لا تنالُهُ حُبْسَةٌ ، ولا ترتهنه لُكْنَةٌ ، ولا تتمشى في خطابه
رنةٌ ، ولا تتحيفُ بيانه عُجْمَةٌ ، ولا تعترضُ لسانه عُقْدَةٌ .

فلان رقيق الأسئلة ، عذب العذبة^(٣) لووضع لسانه على الشعر حلقه ، أو

(١) جامئة لم ترتق : ساكنة لم تعكر (٢) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل يعتصم
بالجبال (٣) المراد من الأسئلة والعذبة طرف اللسان

على الصَّخْرَ فَلَقَهُ ، أو على [الجر أحرقه ، أو على] الصَّفَا خرقه ^(١) ؛ قد أحسن
السَّفارة ، واستوفى العبارة ، وأدَّى الألفاظ ، واستغرق الأغراض ، وأصاب
شواكلَ المراد ^(٢) ، وطَبَّقَ مَفَاصِلَ السَّدَادِ ، وبسط لسانَ الخطاب ، ومدَّ أَطْنَابَ
الإطْناب ^(٣) ، وطلب الأمدَ في الإسهاب ، قالَ حتى قال الكلامُ : لو أعفيت !
وكتبَ حتى قالت الأَقلامُ : قد أحفيت ، قد اتَّسعَ له مَشْرَعُ الإطْناب ، وانفرجَ له
مَسَلِّكُ الإسهاب ، أرسلَ لسانَه في مِيدَانِه ، وأرخى له من عنانه ، قالَ وأطالَ ،
وجالَ في بَسْطِ الكلامِ كلِّ مجال ، إذا اسْحَنَفَرَ في الكلامِ طَفَحَ آدِيَه ، وسالَ
أَتِيَه ^(٤) ، واثالَ عليه الكلامَ كاثيَالِ الغمام ، واستجابَ له الخِطابُ كصَوْبِ
الرَّبَابِ ^(٥) . ألفاظٌ كغمزات الأَلْطَاظِ ، ومعانٍ كأنها فُكُّ عَانَ ^(٦) ! ألفاظٌ
كما نوَّرت الأشجار ، ومعانٍ كما تنفَّست الأشجار . ألفاظٌ قد استعارت حلاوةَ
العِتابِ بين الاحباب ، واستلَّنتْ كَتَشَكِّي المَشَاقِ يومَ الفراق . كلامٌ قريب
شَاسِعٌ ^(٧) ومُطْمَعٌ مانِعٌ ، كالشمس تُقَرِّبُ ضياءً ، وتبغِدُ علاءً ؛ أو كالماء
يَرِخُصُ موجوداً ، ويفلُو مفقوداً . كلامٌ لا تَمَجُّهُ الآذانُ ، ولا تُبْلِيهِ الأزمانُ ،
كالْبُشْرَى مسموعة ، أو أزهير الرياضِ مجموعة ، ومعانٍ كأنفاسَ الرياحِ ،
تَعْبِقُ بِالرَّيْحَانِ والراح .

كلامٌ سَهْلٌ متسلسل ، كالمدام بماء الغمام ، يقربُ إذنه على الأفهام .
كلامٌ كَبْرُودُ الشَّرَابِ على الأكبادِ الحِرَّارِ ، وُبُرُودُ الشَّبَابِ في خلعِ العِدَارِ .
كلامٌ كَثِيرُ العَيُونِ ، سَلِسُ المِتونِ ، رقيقُ الحواشِي ، سَهْلُ النواحِي .

(١) الصفا : الصخر (٢) الشواكل : جمع شاكلة ، وهي ما بين الأذن والصدغ

(٣) الأطناب : الجبال ، واحدها ظنب بضم تين ، نظير عنق وأعناق (م)

(٤) الآذَى : الموج ، والآئى : السيل ، واسحفر : اتسع - وأصل معناه مضى

مسرعاً (م) (٥) الرباب : السحاب . (٦) عان : أسير . (٧) شاسع : بعيد

كلامٌ هو السَّحْرُ الحلالُ ، والماء الزُّلالُ ، والبُرود والحَبَرُ ، والأمثال والعَبَرُ ،
والنعيم الحاضر ، والشباب النَّاصِرِ .

نظرت منه إلى صورة الظَّفِّ بِحَمَتًا ، وصورة البلاغة سَبِكا ونَحْتًا ، ألفاظًا
هي خُدَعُ الدهر ، وعُقْدُ السحر .

كلامٌ يسرُّ الحزون ، ويُسهِّلُ الحُزْنَ (١) ، ويعطل الدرَّ الحزون . كلامٌ بعيد
من الكَلْفِ ، نَقَى من الكَلْفِ (٢)

كلامٌ كما تنفس السَّحَرُ عن نسيمه ، وتبسم الدرُّ عن نظيمه . ألفاظٌ تأتَّقُ
الخاطر في تَذْهِيبِها ، ومعانٍ عُنِي الفهمُ بتهديبِها . ألفاظٌ حسبتها من رِقَّتْها منسوخة
في صحيفة الصَّبَا ، وظننتها من سلاستها مكتوبةً في نَحْوِ الهوى .

كلامٌ كالْبُشْرَى بالولد الكريم ، قُرِعَ به سَمْعُ الشيخ العقيم .

كلامٌ قُرِبَ حتى أطمع ، وبعُدَ حتى امتنع ، وقُرِبَ حتى صار قابَ قَوْسَيْنِ
أو أدنى ، ثم [سما و] علا حتى صار بالمنزل الأعلى . رقيق المزاج ، حُلُو السماع ،
نقى السَّبْكِ ، مقبول اللَّفْظِ . قرأت لفظًا جليًّا ، حَوَى معنَى خفيًّا ، وكلامًا
قريبًا ، رَمَى غرضًا بعيدًا . لو أَنَّ كلامًا أُذِيبَ به صَخْرٌ ، أو أُطْفِئَ به جَمْرٌ ،
أو عُوفِيَ به مريضٌ ، أو جُبِرَ به مَهِيضٌ (٣) لكان كلامه الذى يقودُ سامعيه إلى
السجود ، ويجرى فى القلوب كَجَرَى الماء فى العود . ألفاظُهُ أنوار ، ومعانيه
ثمار . كلامُهُ أنسُ المقيم الحاضر ، وزادُ الراحل المسافر . كلامُهُ يُصْنِى إليه المقبور ،
ويُنْتَفِضُ له العصفور . كلامٌ يقضى حقَّ البيان ، ويملك رِقَى الحُسنِ والإحسان ،
كلامٌ منه يحتنى الدرُّ ، وبه يُعْقَدُ السَّحْرُ ، وعنده يُعْتَبُ الدهرُ (٤) ، وله
يُنَشَّرُ حُ الصدر .

- (١) الحزون : جمع حزن — بفتح الحاء — وهو ماغلظ من الأرض .
(٢) الكلف : نمش فى الوجه ، لم تسلم منه صفحة القمر ! (٣) مهيض : مكسور
(٤) يعتب : يصفو ، من أعتب إذا ترضى وأزال أسباب العتب

ومن ألفاظهم في وصف النظم والنثر والشعر والشعراء

نثر كثير الورد ، نَظْمٌ كَنَظْمِ الْعِقْدِ . نثر كالسحر أو أدقُّ ، ونظمٌ كالماء أو أرقُّ . رسالة كالرؤفة الأنيقة ، وقصيدة كالحدرة الرشيقة . رسالة تقطر ظرفاً ، وقصيدة تميز بقاء الرياح لطفاً . نثره سحرُ البيان ، ونظمه قطعُ الجمان . نثرٌ كما تفتح الزهر ، ونظم كما تنفس السحر . نثرٌ ترقُّ نواحيه وحواسيه ، ونظمٌ تروقُ ألفاظه ومعانيه . نثرٌ كالحديقة تفتحت أحداق ورديها ، ونظمٌ كالتريدة توردت أسرارُ خدها^(١) . رسالة تضحك عن غرر وزهر ، وقصيدة تنطوى على حبر ودرر . لم ترضَ في برك ، بأخوات النثرة من نثرك ، حتى وصلتها بينات الشعري من شعرك^(٢) . كلامٌ كاهب نسيم السحر ، على صفحات الزهر ، ولذَّ طعم الكرمي بعد برح السهر^(٣) . وشعرٌ في نفسه شاعر ، تُوسم به المواسم والمشاعر . كلامٌ أنسى حلاوة الأولاد بحلاوته ، وطلاوة الربيع بطلاوته ، وشعرٌ من حلَّة الشباب مسروق ، ومن طينة الوصال مخلوق . قصيدة ، في فنّها فريدة ، هي عروسٌ كسوتها القوافي ، وحليتها المعاني . شعرٌ يترقرق فيه ماء الطبع ، ويرتفع له حجاب القلب والسمع . شعرٌ لا مزية إلا بمجاز أخطأته ، ولا فضيلة إلا بمجاز تحطته . شعرٌ رويته لما رأيته ، وحفظته لما لحظته . أبياتٌ لو جعلت خلعاً على الزمان لتحلّى بها مكثراً ، وتجلّى فيها فناجراً . شعرٌ راقني ، حتى شاقني ، فإنه مع قرب لفظه بعيد المرام ، ممرّ النظام^(٤) ، قوى الأسر^(٥) ، صافي البحر . نظمٌ قد أليس من البداوة فصاحتها ، وغشى من الحضارة سجاجتها^(٦) ؛ فإن

(١) الحريدة : الفتاة المخدرة
 (٢) النثرة : اسم كوكب ؛ وكذلك الشعري
 (٣) برح السهر : شدته
 (٤) ممر النظام : قويه محكمه (م)
 (٥) الأسر ، إحكام الحلقة
 (٦) السجاجة : استواء الصورة

شئت قلت عبيد ولبيد، وإن شئت حبيب والوليد^(١). قصيدته روضة تجتنى
بالأفكار، ونقل يتناول بالأسماع والأبصار^(٢)، ونقل العلم والأدب، ألد من نقل
لأكل والمشرب، وفاكهة الكلام، أطيّب من فاكهة الطعام. نظم كنظم
الجمان، وروض كالجمان، وأمن الفؤاد، وطيب الرقاد. قصيدة لم أر غيرها بكراً،
استوفت أقسام الحنكة، واستكملت أحكام الدرّبة^(٣)؛ فعملها روثق
الشباب، ولها قوة المذكيات الصلاب^(٤)؛ روح الشعر، وتاج الدهر، ومقدمة
عساكر السحر. كل بيت شعر خير من بيت تثر. شعر يحكم له بالإعجاز والتبريز،
ويشبهه في صفاء سبكه بالذهب الإبريز. شعر تاتلف القلوب على درره اثلافا،
وتصير الأذان له أصدافا. لله درّه ما أحلى شعره! وأنتى درّه، وأعلى قدره، وأعجب
أمره! قد أخذ برقاب القوافي، وملك ريق المعاني، فضله برهان حق، وشعره
لسان صدق. فلان يغرب بما يجلب، ويبدع فيما يصنع، حسن السبك،
محكم الرصف، بديع الوصف، مرغوب في شعره، متنافس في سحره. هو
ضارب في قداح الشعر بأعلى السهام، أخذ في عيون الفضل بأوفى الأقسام، شعاره
أشعاره، ودابه آدابه، هومن يبتدعه فيبتدع، طبعه يميل عليه، مالا يميل الاستماع
إليه. قرينة غير قرينة، وطبع غير طبع^(٥)، وخيم غير وخيم، لبيد عنده بليد،
وعبيد لديه من العبيد، والفرزدق عنده أقل من فرزدقة خمير^(٦)، وجرير يُقاد
إليه بجرير^(٧) قد نسج خللاً لا يُبلى جدتها الجديدان، ولا تزداد إلا حسناً على

(١) عبيد بن الأبرص: شاعر جاهلي وليد بن ربيعة العامري: شاعر محضرم،
وحبيب هو أبو تمام بن أوس الطائي. والوليد هو أبو عبادة الوليد البحتري: شاعران
من شعراء العصر العباسي (م). (٢) النمل: ما ينتقل به من أنواع الفواكه على الشراب

(٣) الحنكة: التجربة، والدربة: التمرين

(٤) المذكيات والمذاكي: الحبول بلغت سن القوة

(٥) غير طبع: غير لثيم، وهي من طبع السيف، على وزن علم، إذا ركبته

الصدأ الكثير (٦) الفرزدقة: القطعة من العجين (٧) الجرير: الحبل.

تردُّدِ الأزمان . نظمه قد نظم حاشيتي البرِّ والبحرِّ ، وأدركَ ناحيتي الشرقِ والغرب . أشعارُ قد وردتِ المياه ، وركبتِ الأفواه ، وسارت في البلاد ، ولم تسرْ بزأنا ، وطارت في الآفاقِ ، ولم تمشِ على ساق . شعره أشيرُ من الأمثال ، وأسرَى من الخيال ، سار مسيرَ الرياح ، وطار بغير جناح . أشعاره سارت مسيرَ الشمس ، وهبت هبوبَ الريح ، وطبقت نُحومَ الأرض ، وانتظمت الشرق إلى الغرب . قد كادت الأيامُ تنشدها ، والليالي تحفظها ، والجنّ تدرسها ، والطيور تتغنى بها . أبياتُ أسفرَ عنها طبع المجدِّ ، فعلمت كيف يتكسر الزهر على صفحات الحدائق ، وكيف يغرس الدرّ في رياض المهارق ^(١) . شعره قد أحسن خدمته بكمال فكره ، ووقف كيف شاء عند عالي أمره . شعره يُعلّق في كعبه المجد ، ويتوج به مفرقُ الدهر . جاءت القصيدة ومعها عزّة الملك ، وعليها رواء الصدق ، وفيها سيماء العلم ، وعندها لسانُ المجد ، ولها صيال الحق ، لا غرور إذا فاض بحرُّ العلم على لسان الشعر . أن ينتج مالا عين وقعت على مثله ولا أذن سمعت بشبهه . شعر يكتب في غرّة الدهر ، ويشرح في جبهة الشمس [والبدر] .

وهذه جملة من فصول أهل العصر تليق بهذا الموضوع

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي محمد خلاد الرامهرمزي القاضى
«وصل كتابك الذي وصلت جناحه بفنون صلّاتك وتفقدك ، وضروب برّك
وتعهدك ؛ فارتخت لكل ما أوّلت ، وابتهجت بجميع ما أهديت ، وأصفت
إحسانك في كل فصل إلى نظائره التي وكلت بها ذكري ، ووقفت عليها
شكري ، وتأملت النظم فلكني العجبُ به ، وبهرّني التعجب منه ، وقد
رمت أن أجرى على العادة في تشبيهه بمستحسن من زهر جنّي ، وحلّل وحلّي ،
وشذور الفرائد ، في نحو الخرائد .

من ابن العميد
إلى خلاد
الرامهرمزي

(١) المهارق: جمع مهرق - على صفة المفعول - وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها .

والعذارى غَدَوْنَ فِي الحلال البية ض وقد رُخِنَ فِي الخطوط السُّودِ
فلم أَرِدْ لشيءٍ عَدْلًا ، ولا أَرْضَى ما عَدَدْتُهُ له مثلاً ؛ والله يزيدك من فضله
ولا يُخْلِكُ من إحسانه ، ويلهمك من برِّ إخوانِكَ ما تتمم به صنيعك لديهم ،
ويُرَبِّبْ معه إحسانك إليهم .

وكتب أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب إلى أبي سعيد الشيبى :

« قد رأى شيخُ الدولتين كيف الكلفُ بسادتي من أهل ميكال - أيدهم من الصاحب
ابن عباد إلى الشيبى
الله - بين ودِّ أضمِّره على البعد ، وإيثارِ أظْهره على تراخي المزار ، وتقرِيظِ يميله على
المَلَوَانِ (١) ، ومَدْحِ أَنْطِقُ فيه بلسان الزَّمان ، حتى إن ذِكْرَهُمْ إذا جَرَى على
لساني اهتَزَّتْ له نَفْسِي ، وفضَّلَهُمْ إذا جرى على سَمْعِي انفرج له صَدْرِي ، فتلك
عصبةٌ خيرٌ فضلاً باهر ، وشرفها على شرف النماء زاهر ، وشجرةٌ طيبة أصلها
ثابت وفرعها في السماء [ناظر] ، والله يتمم أعدادها ، ولا يعدمني ودادها ،
وإذا كان إكباري لهم هذا إلا كبار فكل منتسب إلى جنبهم أثيرٌ لدى (٢) ، كثير في
يدى . وطراً على فلان منتسباً إلى جملتهم ، وحبذا الجملة ، ومُعْتَزِيّاً إلى
خدمتهم ، ونعمت الخدمة ، وفررناه عن طَبْعِ سَمْعِ (٣) ، ولَقَطِ عَذْبِ ، وصالته
نثرٍ بنظم ؛ فإن شاء قال : أنا الوليد ، وإن شاء قال : أنا عبد الجيد ؛ ولم أعظم بمن
خرَّجته تلك النعمة وتنتجته تلك السُدَّةُ أن يأخذ من كلِّ حسنة بعُرْوَةٍ ، ويقدم
في كل نارٍ بجدوة ؛ وآتسنا بالمقام مُدَّة ، أگدتها شوايف عِدَّة ، إلى أن تذگر
معاهد رأى فيها الدهرَ طلقاً ، والزمان غلاماً ، والفضل رهناً ، والإفضال إزاماً ؛
فحنَّ حنين الرَّكاب ، وركبَ عَزِيمِ الإياب (٤) .

فصل [من كتاب] كتبه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحد الميکالی إلى

(١) المَلَوَانِ : الليل والنهار (٢) أثير : عزيز (٣) فررناه : اخترناه ، والفر
في الأصل : اختبار أسنان الدابة ليعرف مبلغها من القوة (٤) العزيم : الجرى الشديد

أبي القاسم الداوودي جواباً عن كتاب له ورد عليه . وأبو الفضل رئيس فيسابور وأعمالها في وقتنا هذا^(١) ، وسنمرٌ من كلامه ونثره ونظامه ما يغني عن التنويه ، ويكفي عن التنبيه ، ويجلُّ عن التشبيه ، ويكون كما قال أبو الحسن الأخفش على بن سليمان : [استهدى إبراهيم بن المدبر] أبا العباس محمد بن يزيد جليساً يجمعُ إلى تأديب ولده الإمتاعَ يابئاسه ؛ فندبني لذلك ، وكتب إليّ معي : قد أنفذت إليك - أعزك الله - فلانا ، وجملة أمره أنه كما قال الشاعر :

إذا زُرتُ الملوكَ فإن حَسبي شفيعاً عندهم أن يَحْبُرُوني

وفصل أبي الفضل : وقتتُ على ما أتخفى به الشيخ : من نظمه الرائق

البديع ، وخطّه المزرِي بزهر الربيع ، مُوشحاً بغيرِ ألفاظه ، التي لو أُعيرت حَمِيمُهَا لَعَطَّتْ قلائدَ النحور ، وأبكارِ معانيه التي لو قُسمت حلاوتها لأعذبت مَوَارِدَ البحور ، فسرحتُ طرفي منها في رياضِ جادتها سحائبُ العلوم والحكم ، وهبَ عليها نسيمُ النضل والكرم ، وابتسمتُ عنها ثغورُ المعالي والهيم ، ولم أدر - وقد حيرتني أصنافها ، وبهرتني ثغورُها - وأوصافها ، حتى كسنتني اهتزازاً وإعجاباً ، وأنشأت بيني وبين التماسك سِتراً وحجاباً ، ولم أدر^(٢) أدهنتني لها نشوةً راح ، أم أزدهنتني نعمة ارتياح ، وانتظم عندي منها عقد نداء وقرير^(٣) ، أم قرع سمعي منها غناء مَعْبَدٍ وقرير^(٣) ، وكيفما كان فقد حوى رتبة الإعجاز والإبداع ، وأصبح نزهة القلوب والأسماع ، فما من جارحةٍ إلا وهي تؤذ لو كانت أذنا فلتلتقط درره وجواهره ، أو عيناً تجتلي مطالعه ومناظره ، أو لساناً يكدرس محاسنه ومفاخره .

من أبي الفضل
الميكالي إلى أبي
القاسم
الداوودي

وه فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي : « وصل

كتاب مولاي وسيدى ، أبدع الكتب هوادى وأعجازا^(٤) ، وأبرعها بلاغة

ومنه
إلى الثعالبي

(١) توفي أبو الفضل الميكالي سنة ٤٣٦ هـ ، وقد توفي مؤلف هذا الكتاب في سنة ٤٥٣ هـ (م)

(٢) هكذا . وكلمة « ولم أدر » تكرار هنا للتي سبقت (م) (٣) كذا ، ولعل

الأصل « عقد شر وقرير » (م) (٤) الهوادى والأعجاز : البدايات والنهايات

وإعجازاً ، فحسبت ألفاظه درَّ السحاب ، أو أصفى قطراً وديمة ، ومعانبه درَّ السحاب^(١) ، بل أوفى قدراً وقيمة . وتأملت الأبيات فوجدتها فائقة النظم والرصف ، عميقة النسيم والعرف ، فائزة بقداح الحسُن والظرف ، مالكة ليزم القلب والظرف ؛ ولا غرور أن يصدر مثلها عن ذلك الخاطر ، وهو هدف الفقر والنوادر ، وصدف الدرر والجواهر ، والله يُمتعه بما منحه من هذه الغرر والأوضاع ، كما أطلق فيه السنة الثناء والامتداح .

وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا [على طريق التخمين لا على حقيقة اليقين] وهو فريدُ دهره ، وقريعُ عصره ، ونسيجٌ وحده ، وله مصنفات في العلم والأدب ، تشهدُ له بأعلى الرتب ، وقد فرقت ما اخترته منها في هذا الكتاب ، مع ما تعلق بشاكلته من الخطاب^(٢) ؛ منها كتاب سماه « سحر البلاغة » قال في صدر هذا الكتاب : « أخرجتُ بعضه من غرر نجوم الأرض ، ونككت أعيان الفضل ، من بُلغاء العصر ، في النثر ، وحملت بعضه من نظم أمراء الشعر ، الذين أوردت ملح أشعارهم في كتابي المترجم بيتيمة الدهر ، فلفقت جميع ذلك وحررته ، وسقته ونسقته ، وأنفقت عليه مارزقته ، وعملت به كد الناظر ، وجهد الخاطر ، وتعب اليمين ، وعرق الجبين ، وتعمدتُ فيه لذة الجدة ، وروّنت الحداثة ، وحلاوة الطراوة ، ولم أشبهُ بشيء من كلام غير أهل العصر ، إلا في قلائل وقلائد من ألفاظ الجاحظ وابن المعتز ، تخلّلت أثناءه ، وتوشحت تضاعيفه ، ولم أخل كلماته - التي هي وسائط الآداب ، وصياقل الألباب ، وما تستمتعه أنفس

(١) السحاب : قلادة من القرنفل

(٢) كان الثعالبي فراءً يخطط جلود الثعالب ، فنسب إلى صناعته ، ثم أقبل على الأدب والتاريخ فنبغ ، وترك طائفة من المؤلفات القيمة أشهرها بيتيمة الدهر ، وكانت وفاته

الأدباء ، وتلذّ أعين الكتاب - من لفظ صحيح ، أو معنّى صريح ، أو تحنيس أنيس ، أو تشبيه بلاشبيه ، أو تمثيل بلا مثيل ولا عدل ، أو استعارة مُختارة ، أو طباق ، ذى روثق باق ؛ فمن رافقَ هذا الكتاب قَرُبَ تناوُلُه من الكتاب ، إذا وشوا ديباجةَ كلامهم بما يقتبسونه من نُورده ، وساحة قيادِه لأفراد الشعراء إذا رصّعوا عقودَ نظائهم بما يلتقطونه من شدُورده ، فأما المحاطبات والمحاورات ، فإنها تتبرّج بغيره من غرره ، وتتنوّج بدرة من دُرره .

وقد ذكر جملة من أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم ، وهم : الصايبان^(١) ، والخالديّان^(٢) ، وبيدع الزمان ، وأبو نصر بن المرزبان [وعلى بن عبدالعزيز القاضي ، وأبو محمد القاضي ، وأبو القاسم الزعفراني ، وأبو فراس الحمداني] ، وابن أبي العلاء الأصبهاني ، وأبو الطيب المنيني ، وأبو الفتح البستي ، وأبو الفضل الميكالي ، وشمس المعالي ، والصاحب بن عباد ، وجماعة يكثر بهم التعداد ، قد ذكرهم في كتابه ، فكل ما مرّ أو يمر من ذكر ألفاظ أهل العصر فمن كتابه نقلتُ ، وعليه عوّلت .

وفي أبي منصور يقول أبو الفتح علي بن محمد البستي :

قلبي رهين بنيسابور عند أخ ما مثله حين تستقرى البلاد أخ
له صحائف أخلاق مهذبة من الحجاج والعلا والظرف تنسخ
وأما الذين ذكر أسماءهم في كتابه فسأظهر من سرائر شعرهم الرصين ، وأجلو من جواهر نثرهم الثمين ، ما أخذ من البلاغة باليمين .

(١) هما إبراهيم بن هلال المتوفى سنة ٣٨٤ ، وهلال بن الحسن المتوفى سنة ٤٤٨
(٢) هما سعيد بن هاشم المتوفى سنة ٤٠٠ ، ومحمد بن هاشم المتوفى سنة ٣٨٠
وكان هذان الأخوان يعرفان بالخالديين ، وكانا يشتركان في نظم الأبيات أو القصيدة وتنسب إليهما معا ، أصلهما من الخالدية - من قرى الموصل - وكانا من خواص سيف الدولة بن حمدان ، ولهما مع أهل عصرهما أخبار كثيرة

من كتب
لأبي الفضل
الميكالي

فصل لأبي الفضل : وصل كتابُ الشيخِ المبشرِ من خبرِ سلامته التي هي غُرَّةُ الزمانِ البهيم^(١) ، وعذرِ الدهرِ المليم^(٢) ، بما أشرقت له آفاقُ الفضلِ والكرمِ ، وتمتَّ به نفائسُ الآلاءِ والنعمِ ، فسرَّحتُ طَرْفِي من محاسنِ ألفاظه ، في أنوارِ تَرُوقِ أزاهِرُها ، وقلائدِ ترُوعِ دُرُرُها وجواهرها ، ومَبَارِّ يسترقُّ الرِّقابَ باطِّها وظاهرها^(٣)

وله إلى أبي سعيد بن خلف الهمداني :

وصل كتابُك متحملاً من أخبارِ سلامتك ، وآثارِ نعمِ اللهِ بساحتك ، ما أَدَى روحَ البِرِّ ونسيمه ، وجمع فنونَ الفضلِ وتقاسيمه ، ومجددًا عندِي من عمرِ مواصلته ، ومعسولِ كلامه ومحاورته ، ماترك غُصنَ المَقَّةِ غُصًا تروقُ أوراقه^(٤) ، ووَجَّةَ الثِّقَةِ طَلَقًا يتهلَّلُ إشراقه ، فكم جنيت عنه من ثمرِ مَسْرَةِ كانت عوائقُ الأيامِ تحاذِرُ بنِيه ، وحويت به من عِلْقِ مِصْنَةِ قلما يجود الدهرُ بمثله لبنيه^(٥) .

وله فصل إلى بعض الحكام بجوين^(٦) :

وصل كتابُ الحاكمِ وقد وشَّحه بمحاسنِ فقره ، وتناجَّحَ فِكره ، من لفظِ شهيٍّ أعطته القلوبُ فضلَ المقاداة ، ومعنى سنيٍّ جاده صوبُ الإصابة والإجادة ، وبرٍّ هنيٍّ اتَّفقتُ على الاعترافِ بفضله ألسنةُ الثناءِ والشهادة ، فسرَّحتُ طَرْفِي فيما حواه من بدائعِ وطُرفِ ، قد جمعت في الحسنِ والإحسانِ بينِ واسطةِ وطُرفِ ، حتى لم تبقَ في البلاغةِ يتيمةٌ إلا جبرتها وتممتها .

وله إلى الأمير السيد أبيه يهنئه بالقدوم .

كتبت وأنا بمنزلة من ارتدَّ إليه شبابه بعد المشيب ، وارتدى برداءَ من العمر

(١) البهيم : المظلم

(٢) المليم : المذنب

(٣) مبار : جمع مبرة (٤) المقة : الحب (٥) العلق : الشيء النفيس

(٦) جوين : كورة كبيرة في خراسان

قَشِيب^(١) ، والحمد لله رب العالمين ، وصل كتاب مولاي مبشراً من خبر عَوْدِهِ إلى مقرِّ عزِّه وشرفه ، محروساً في حفظ الله وكفنه ، بما لم تزل الآمال تنتسّم روائحه ، وتترقب غادي صُنْعِ الله فيه ورائحه ، واثقة بأنَّ عادةَ الله الكريمة عند تَسَايِرِهِ وتُرُاقِيهِ ، وتلزم جنابه فلا تُفَارِقُهُ ، حتى تخرجه من غمرة الغماء خروجَ السيف من الغمدِ ، والبدر بعد السّرارِ^(٢) إلى الانجلاء ، فعددتُ يومَ وُروْدِهِ عيداً ، أعاد عيد السُّرُورِ جديداً ، وردَّ طَرْفَ الحسود كليلاً وقد كان حديداً ، ولم أشبهه في إهداء الرّوح والشفاء ، وتلافي الرّوح بعد أن أشقَى على المكروه كل الإشفاء^(٣) إلا بقميص يوسف حين تلقاه يعقوب عليه السلام من البشير ، وألقاه على وجهه فنظر بعين البصير ، فكم أوسعته لثماً واستلاماً ، والتقطت منه برّداً وسلاماً ، حتى لم تبق غلّة في الصدر إلا برّدتها ، ولا عُمة في النفس إلا طردتها ، ولا شريعة من الأنس إلا وردتها .

وله فصل من رسالة :

وكان فرطُ التعجب مرّةً وعظُمُ الإعجاب تارة يقفُ بي عند أول فصل من فصوله ، ويثبطني عن استيفاء غرره وحجوله ، ويؤهمني أن الحاسن ماحوته قلائدُه ، ونظّمته فرائدُه ؛ فليس في قوس إحسان وراءها منزع^(٤) ، ولا لاقتراح جنان فوقها مُتَطَلِّع ، حتى إذا جاوزته إلى لفته وتزيينه ، وأجلتُ فكري في نُكْتِهِ وعُيُونِهِ ، رأيتُ ما يُحَيِّرُ الطَّرْفَ ، ويُعْجِزُ الوَصْفَ ، وَيَعْلُو على الأول مَحَلًّا ومكاناً ، ويفوقه حسناً وإحساناً ، فارتعتُ كيف شئتُ في رياضه وحدائقه ، واقتبست نور الحكيم من مطالعه ومشاركه ، وسامت لمعانيه وألفاظه فضيلة السبق

(١) قشيب: جديد (٢) السرار- بكسر السين- آخر ليلة من الشهر، ولا يظهر فيها القمر (م) (٣) أشقى على المكروه: أشرف عليه (٤) منزع- على وزن منبر- السير الذي ينزع به ، ويقولون: لم يبق في قوس الصبر منزع ، يريدون أن الصبر لقدت أسبابه .

والبراعة ، وتلقيتها بواجبها من النسر والإذاعة ؛ فإنها جمعت إلى حُسن الإيجاز درجة الإعجاز ، وإلى فضيلة الإبداع جلاله الموقع في القلوب والأسماع .

وله من فصل :

وصل كتاب الشيخ فذشر عندي من حُلل إفضاله وإكرامه ، ومحاسن خطابه وكلامه ، ما لم أشبهه إلا بأنوار النجود^(١) ، وحبر البرود ، وقلائد العقود .

أبو منصور
التهالبي يصف
أبا الفضل
الميكالي

وذكر أبو منصور التهالبي الأمير أبا الفضل في كتاب ألفه ، فقال في بعض فصوله : مَنْ أراد أن يسمع سِرَّ النظم ، وسِحْرَ الشعر ، ورُقِيَةَ الدهر ، ويرى صَوْبَ العقل ، وذَوْبَ الظرف ، ونتيجة الفضل ؛ فليستشده ما أسفر عنه طبعُ مجده ، وأثمره على فكره ، من مُلحٍ تَمزجُ بالنفوس لِنفاسها ، وتشرَّب بالقلوب لسلاستها :

قوافٍ إذا ما رَوَّاهَا المشو ق هزَّتْ لَهَا الغايات القُدودا
كسَوْنِ عبيدٍ ثيابَ العبيد وأضحى لبيدٍ لسيها بليدا

وأيُّمُ الله ما مرَّ يومٌ أسعفني فيه الزمانُ بمواجهةٍ وجَّهه ، وأسعدني بالانتباس من نُوره والاعتراف من بحره ، فشاهدتِ نَمَارَ المجدِ والسؤودِ تَنْتَبِهُ من شمائله ، ورأيت فضائلَ الدهرِ عيالاً على فضائله ، وقرأتُ نسخةَ الفضلِ والكرمِ من أَلْحَاضِهِ ، وانتهبتُ فضائلَ الفوائدِ من أَلْفَاضِهِ ، إلاَّ تذكرتُ ما أنشدني أدام الله تأييده لابن الرُّومي :

لولا عجائبُ صنْعِ الله ما ثبتت تلك الفضائلُ في لَحْمٍ ولا عَصَبِ
وقول الطائي :

فلو صورَّتْ نَفْسَكَ لم تَزِدْهَا على ما فيكَ من كَرَمِ الطَّبَّاعِ

(١) النجود : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ، وفيه يوضع الزهر .

وقول كشاجم :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عَيْبٍ يُوقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ
وربعت بقول أبي الطيب :

فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ
ثم استعرت فيه بيان أبي إسحاق الصابي حيث يقول للصاحب « وَرَبَّتْهُ
الله أعمارها ، كما بلغه في البلاغة أنوارها »

اللهُ حَسْبِي فَيْكِ مِنْ كُلِّ مَا تَعَوَّدَ الْعَبْدُ عَلَى الْمَوْلَى
فَلَا تَزَلْ تَرْفُلُ فِي نِعْمَةٍ أَنْتَ بِهَا مِنْ غَيْرِكَ الْأَوْلَى

وقال في فصل منه : وما أنسَ لا أنسَ أيامي عنده بفيروزاباد إحدى قرَاه
برستاق جوين ، سقاها الله ما يحكى أخلاقَ صاحبها من سَيْلِ الْقَطْرِ ، فإنها
كانت - بطلعته البدرية ، وعشرته العطرية ، وآدابه العلوية ، وأفاضه اللؤلؤية
مع جلائل نعمه المذكورة ، ودقائق كرمه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ،
ومحاسن أقواله وأفعاله التي يعياها الواصفون - أمودجات من الجنة ، التي وعد
المتقون ، وإذا تذكرتها في المربع التي هي مراتع النواظر ، والمصانع التي هي
مطالع العيش الناضر ، والبساتين التي إذا أخذت بدائع زخارفها ، ونشرت
طرائف مطارفها ، طوى لها الديباج الخسرواني ، وثق معها الوشى الصنعاني ،
فلم تشبهه إلا بشيئه ، وآثار قلمه ، وأزهار كلمه ، تذكرت سحرًا وسيا ، وخبرًا
عميًا ، وارتياحًا مقميا ، وروحًا ورياحًا ورميا

عود إلى ذكر
فصول من كلام
الميكالي

وكثيراً ما أحيى للاخوان أنى استغرقت أربعة أشهر بحضرته ، وتوفرت
على خدمته ، ولازمت في أكثر أوقاتي عالي مجامسه ، وتعطرت [عند ركوبه]
بغبار موكبه ؛ فبالله يمينا كنت غنيا عنها لو خفت حينئذ فيها إني ما أنكرت
طرفاً من أخلاقه ؛ ولم أشاهد إلا مجدداً وشرفاً من أحواله . وما رأيتُهُ اغتَابَ

غائبًا ، أو سبَّ حاضِرًا ، أو حرَمَ سائلا ، أو خيَّبَ آملا ، أو أطاع سلطانَ
الغُضْبِ في الحَضَر ، أو تَسَلَّى بنار الضَّجَرِ في السَّفَر ، أو بطشَ بَطْشَ المتجَبَّر ؛
ولا وجدت الماترَ إلا ما يتعاطاه ، والماتمَ إلا ما يتخطاه .

وقال في فصل منه يصفه : وأما فنونُ الأدبِ فهو ابنُ بجدتها^(١) ، وأخو
جملتها ، وأبو عُذرتها^(٢) ، ومالكُ أزميتها ، وكأتما يُوحى إليه في الاستئثار بمحاسنها ،
والتفرُّد ببدائعها ، والله هو إذا غرس الدُرَّ في [أرض] القراطيس ، وطرَّزَ
بالظلامِ رداءَ النهار ، وألقت بِجَارٍ خواطره جواهرَ البلاغة على أنامله ، فهناك
الحُسنُ برُمته ، والحُسنُ بكليته .

وذكر عمر بن علي المطوعي في كتاب ألفه في^(٣) شعر أبي الفضل ومنشوره المطوعي بذكر
والشعراء ، فقال : رأيتُ أهل هذه الصناعة قد تشعبوا على طُرُق ، وانقسموا على
ثلاث فرق ، فمنهم من اكتسى كلامه شرف الاكتساب دون شرف الانتساب ثم يذكر اليك
كالمكتسبين من الشعراء بالمدايح ، المترشحين بها لأخذِ الجوائز والمناح ، وهم
الأكثر من أهل هذه الصناعة ؛ ومنهم من شرفَتْ بناتُ فكره عند أهل
العقول ، وجلبت لديهم فضائل القبول ، لشرفِ قائلها ، لا لكثرة عقائلها ، وكرم
واشيها ، لالرقة حواشيها ، كالعديد الكثير ، والجم الغفير ، من الخلفاء والأمراء
والجِلَّة والوزراء ؛ ومنهم من أخذ بمجمل الجُودَةِ من طَرَفِيهِ ، وجمع رداء الحُسنِ
من حاشيتَيْهِ ، كأمري ، القيس ابن حُجْر الكندي في المتقدمين ، وهو أميرُ الشعراء
غير مُنازع ، وسيدهم غير مُجادب ولا مدافع ، وعبد الله بن المعتز بالله أمير المؤمنين
في المولدين ، وهو أشعر أبناء الخِلافة الهاشمية ، وأبرعُ أنشاء الدولة العباسية ، ومن

(١) ابن بجدتها : هو الخير بها ، وتقول : فلان عالم يبجدة أمرك ، أي بحقيقته
(٢) أبوعذرتها . العذرة : البكارة ، وأبوعذرها : أول من اقتضاها ، كناية عن
التفوق في أمر من الأمور (٣) لعل كلمة « في » هذه مقحمة (م)

جلَّ كلامه في التشبيه ، عن أن يُمثَّلَ بنظيرٍ أو شبيهه ، وعَلَّتْ أشعاره في الأوصاف .
 عن أن تتعاطاها ألسنة الوُصَّافِ ؛ والأمير أبي فراس بن حمدان فارس البلاغة .
 ورجل الفصاحة ، ومن حكمت له شعراء العصر قاطبةً بالسيادة ، واعترفت لكلامه
 بالإحسان والإجادة ، حتى قال أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب : بُدِيَءَ
 الشعرُ بملكٍ وخُتِمَ بملكٍ ، يعني امرأ القيس وأبا فراس ؛ وهذه الطائفة أشهر
 الثلاثة تقدماً ، وأتتْها في مواطن الفَخْرِ ومواطن الشرفِ قَدَمًا ، وأسبق الشعراء
 في مَيْدَانِ البلاغة ، وأرجَحَهُم في ميدان البراعة ؛ فإنَّ الكلامَ الصادرَ عن الأعيان
 والصدور ، أقرُّ للعيون وأشقى للصدور ، فشرف القلائد بمن قَلَّدَها ، كما أن شرف
 العقائل بمن وَلَدَها :

وَحَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَمِيدُ
 وإذا اتفق من اجتمعت فيه هذه الشرائط ، وانتظمت عنده هاتيك المحاسن .
 كان خليقًا بأن تُخَلَّدَ في صحائف القلوبِ أشعاره ، وتُدَوَّنَ في ضمائر النفوس
 آثاره ، وتكتب على الأحداق والعيون أخباره ، وجديرًا بأن يختصَّ بسرعة
 المجال في المجالس ، وخِفةِ المدار في المدارس ، كالأمير الجليل السيد مولانا :
 أَبِي الْفَضْلِ مَنْ نَالَ السَّمَاءَ بِفَضْلِهِ وَمَنْ وَعَدَتُهُ نَفْسُهُ بِمَزِيدِ
 تَوَدُّ عَمُودُ الدَّرِّ لَوْ كُنَّ لَفِظَهُ فَيَنْظِمُهَا مِنْ تَوَائِمِ وَفَرِيدِ

وهذه مقطعات لأهل العصر في وصف البلاغة

قال أبو الفتح البستي :
 مدحتك فالناتمت قلائد لم يفز
 لأنك بحرٌ والمعاني لآلي
 وقال أيضاً :

ما إن سمعت بنواري له ثممر
 في الوقت يمتنع سمع المرء والبصرا

لأبي الفتح
 البستي

حتى أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ
فكان لفظك في لآلئِه زهراً
تسابقاً فأصاباً الفصد في طلقٍ
وقال أيضاً :

لَمَّا أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ
حكّت معانيه في أثناء أسطره
كأنه ألمٌ بقول الطائي :

يرى أقبح الأشياء أوبةً أملٍ
وأحسن من نورٍ تفتحه الصبا
وقال أبو الفتح البستي في أبي نصر أحمد بن علي الميكالي :

جمع الله في الأمير أبي نصرٍ
خصالاً تعلو بها الأقدار
راحةً برّةً وصدراً فضاءً
وذاك، تبدو له الأسرار^(٢)
خطه روضةً ، وأفاظه الأز
هار يضحكن ، والمعاني ثمارُ
وقال عمر بن علي المطوعي يمدحُ أبا الفضل الميكالي من قصيدة :

وإلى الأمير ابن الأمير المعلى
وطئت بي الوجناء وجنةً مهمه
كيا الأخط منه في أفق العلاء
كالبدر غير دوامه متكاملًا
بالفضل يُكنى وهو فيه كامنٌ
يا من إذا خطَّ الكتابَ يمينه
بجمال سُودده على الأمراء
متقاذف الإكناف والأرجاء^(٣)
فذاك يدير كواكب العلياء
كالبخر غير غدوبةٍ وصفاء
كارّي يكهن في زلال الماء
أهدى إلينا الوشي من صنعاء

للمطوعي
يمدح الميكالي

(١) في نسخة «عن كل بروفضل» (م) (٢) في نسخة «راحة ثرة» والراحة : اليد ،
والثرة : التي تفيض بالعباء (م) (٣) الوجناء : الناقة الصلبة ، من الوجين ، وهي
الأرض الغليظة ، والمهمه : الوادي المقفر ، ومتقاذف الإكناف : متباعد الأطراف
(١٠ - زهر الآداب ١)

لم تجرِ كَفْكَ في البياض مَوْقِعًا
قَرْنُومُ بَدَاهُ وَقَابِيَهُ مَا مِنْهُمَا
إِلَّا تَجَاتٌ عَنِ يَدِ بِيضَاءِ
فِي النِّظْمِ وَالْإِعْطَاءِ. إِلَّا الطَّائِي (١)

كَلَامُ الْأَمِيرِ النَّدْبِ فِي ثَمَنِ نِظْمِهِ
فَرَوَى مَتَى تَرَوَى بَدَائِعَ نِظْمِهِ
يَنْوُبُ عَنِ الْمَاءِ الزَّلَالِ لِمَنْ يَنْظُمُ (٢)
وَنَظْمًا إِذَا لَمْ تَرَوْهُ يَوْمَالَهُ نِظْمًا
وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضًا :

أَقُولُ وَقَدْ جَادَتْ جُفُونِي بِأَذْمَعِ
وَقَدْ عَلِمْتُ بِي لِلنِّزَاعِ نَوَازِعِ
كَأَنِّي قَدِ اسْتَمَعْتُ مِنْهُمْ مِنَ الشَّجَبِ
كَيْتَمِينَ مَعَانَاةَ الْعِنَاءِ عَلَى قَابِي
وَزَادَتْ مَعَالِيهِ ضَيْدٌ عَلَى الشَّهْبِ
وَرَاخَتِهِ تُرْبِي عَلَى عَدَدِ التُّرْبِ (٣)
كُنَائِهِ الْفِيضُ أَوْ لَفْظُهُ الْعَذْبُ
وَيَقْدَمُهَا بَرَقٌ كَصَارِمِهِ الْعَضْبِ (٤)
بِحَضْرَتِهِ تَنْتَابُهَا وَهُوَ كَالْقَطْبِ
وَقَالَ أَبُو مَنْصُورِ الثَّعَالِبِيِّ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْفَضْلِ :

لَكَ فِي الْفَضَائِلِ مَعْجَزَاتُ جَمَّةِ
بِحِرَانِ بَحْرٍ فِي الْبَلَاغَةِ شَابَةِ
أَبْدَأُ لَعِيرِكَ فِي الْوَرَى لَمْ تَجْمَعِ
شَعْرُ الْوَلِيدِ وَحُسْنُ لَفْظِ الْأَصْمَعِيِّ (٥)
كَالنُّورِ أَوْ كَالسَّحْرِ أَوْ كَالدَّرِّ أَوْ
كَالْوَشِيِّ فِي بُرْدٍ عَلَيْهِ مَوْشَعٌ (٦)
وَإِي الْكَرِيمِ بَعِيدَ قَفَرٍ مُدْقِعٌ (٧)

لِلثَّعَالِبِيِّ يَمْدَحُ
الْمِيكَالِي

(١) القرم : السيد ، والطائي في الكرم هو حاتم الطائي . وفي النظم أبو تمام

(٢) الندب : الشهم - وهو أيضا الحفيف في الحاجة . والتجيب (م)

(٣) ترابي : يزيد (٤) الصارم العضب : السيف القاطع (٥) الوليد : هو البحري

(٦) موشع : ذي رقوم وطرائق (٧) قفر مدقع : شديد . لصق صاحبه بالدقاء

وإذا تفتق نور شعرك ناضراً فالحسن بين مرصع ومصرع
أرجلت فرسان الكلام ورخت أفراس البديع وأنت أمجد مبدع
وتشت في فص الزمان بدائعاً تزرى بأثار الربيع المرع (١)

[وقال في وصف فرس أهداد إليه ممدوحه :

وللشعالي في
وصف فرس

يامهدى الطرف الجواد كأنما قد أنعوه بالرياح الأربع (٢)
لاشيء أسرع منه إلا خاطري في شكر نائلك اللطيف الموقع
ولأننى أنصفت في إكرامه جلال مهديه الكريم الأروع (٣)
أنظمته حب القلوب يحبه وجعلت مر بطة سواد المد مع
وخلعت ثم قطعت غير مضيق بزود الشباب لجله والبرقع

وكتب إليه في جواب كتاب ورد عليه :

للشعالي جواباً
على الميكالي

أنسيم الرياض حول الغدير ما رجته ريباً الحبيب الأثير (٤)
أم ورود البشير بالنجح من فك أسير أو يسر أمر عسير
في ملاء من الشباب جديد تحت أيك من التصابي نصير (٥)
أم كتاب الأمير سيدنا القر د: فياحبذا كتاب الأمير
وثمار الصدور ما أجتبه من سطور فيها شفاة الصدور
تممتها أنامل تفتق الأنوار والزهر في رياض السطور
كلمنى قد جتمعن في النعم الفمع مع الأمن من صروف الدهور
يا أبا الفضل وابنه وأخاه جل بديك من لطيف خير
شيم يرتضعن درر المعالي ويعبرن عن نسيم العبير

(١) المرع : المملو . بالكلا والعشب (٢) الطرف : الحصان

(٣) الأروع : الدكي الروع . بضم الراء . وهو الفؤاد

(٤) الأثير : العزيز (٥) الأيك : الشجر المثقف

وَسَجَايَا كَأَنَّهُنَّ لَدَى النُّشُورِ رُضَابُ الْحَيَا بِأَرْبَى مَشُورٍ^(١)
 وَمُحْيَا لَدَى الْمَلُوكِ مَحْيَا صَادِقِ الْبَشْرِ مُخْجِلٍ لِلْبُدُورِ
 فَأَجَابَهُ أَبُو الْفَضْلِ بِأَيَاتٍ يَقُولُ فِيهَا فِي صِفَةِ أَيَاتِهِ :

جواب الميكالي
 على آيات
 الثعالبي

وَهَدَى زُرْفَتُ إِلَى السَّمْعِ بَكْرٍ تَهَادَى فِي حَلِيَّةٍ وَشُدُورٍ^(٢)
 عَجِبَ النَّاسُ أَنْ بَدَتْ مِنْ سَوَادٍ فِي بِيَاضِ كَالْمِسْكِ فِي الْكَافُورِ
 نَظِمَتْ فِي بِلَاغَةٍ وَمَعَانٍ مِثْلَ نَظْمِ الْعُقُودِ فَوْقَ النَّحُورِ
 كَمْ تَذَكَّرْتُ عِنْدَهَا مِنْ عُهُودٍ لِلتَّلَاقِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ نَضِيرِ
 فَذَمَّمْتُ الزَّمَانَ إِذْ ضَنَّ عَنَا بِاجْتِمَاعِ يُضْمُ شَمْلَ السَّرُورِ
 وَلَئِنْ رَاعَيْنَا الزَّمَانَ بَيْنِي أَلْبَسَ الْأَنْسَ ذِلَّةَ الْمَهْجُورِ
 فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يُعِيدَ اجْتِمَاعًا فِي أَمَانٍ مِنْ حَادِثَاتِ الدَّهْورِ
 إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى رَدِّ مَا فَاتَا تَوَيْسِيرَ كُلِّ أَمْرٍ عَسِيرِ

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي في الوزير المهلبى :

قَالَ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الَّذِي قَدْ أَعْجَزَتْ كُلَّ الْوَرَى أَوْصَافُهُ
 لَكَ فِي الْمَجَالِسِ مَنْطِقُ يَشْفِي الْجَلْوَى وَيَسُوعُ فِي أُذُنِ الْأَدِيبِ سُلَافُهُ^(٣)
 وَكَأَنَّ لَفْظَكَ جَوْهَرَ مَتَخَلَّ وَكَأَنَّمَا آدَانَا أَصْدَافُهُ^(٤)

للصابي يمدح
 الوزير المهلبى

والمهلبى هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد
 ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وَزَرَ لِأَحْمَدَ بْنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِي ، وَكَانَتْ وَزَارَتُهُ سَنَةَ تِسْعٍ
 وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ مِنْ سَرَواتِ النَّاسِ وَأَدْبَائِهِمْ وَأَجْرَادِهِمْ وَأَعْقَابِهِمْ ؛
 وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي :

ترجمة الوزير
 المهلبى

(١) الأرى : العسل ، والمشور : المصق ، تقول : شار العسل واشتاره ، إذا ضاعفاه
 من الأقراص (٢) الهدى - على وزن غنى - هي العروس ، والشذور : قطع الذهب -
 واحدها شذرة (م) (٣) السلاف - بضم السين - في الأصل : الحجر (م)
 (٤) متخل - بالخاء المعجمة - مختار

نَعْمَ اللهُ كَالْوَحُوشِ فَمَا نَأَى لَفُ إِلَّا الْأَخِيرَ التَّسَاكَا

نَفَرَتْهَا آثَامُ قَوْمٍ وَصَيَّرَ نَ لَهَا الْبِرَّ وَالتَّقَى أَشْرَا كَا

وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً في البلاد ، على طريق الفقر والتصوف ، قال أبو علي الصوفي : كنت معه في بعض أوقاته ، أماشيته في إحدى طرفاته ، فضجِر لضيق الحال ، فقال :

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ فَمَا لِي بِهَذَا الْعَيْشِ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ

أَلَا رَحِمَ الْمَيِّمِينَ نَفْسٌ جَرٌّ تَصَدَّقَ بِالْوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ

ثم تصرف بما يُرْضِيهِ الدهر ، وبلغ المهلى مبلغه . قال أبو علي : دخلت البصرة فاجترت بسر من رأى ، وإذا أنا بناشطيات وحرافات وزيارب وطيّارات في عدّة وعدّد ، فسألتُ : لِمَنْ هَذَا ؟ فقيل : للوزير المهلبى ، وبعثوا لى صاحبي ؛ فوصلتُ إليه حتى رأيتهُ ، فكتبتُ إليه رقعة ، وتوصلت حتى دخلتُ فسأمت ، وجلستُ حتى خلا مجلسه ، فدفعتُ إليه الرقعة وفيها :

أَلَا قُلُوبٌ لِلْوَزِيرِ بِلَا اخْتِشَامٍ مَقَالٌ مُدَكَّرٌ مَا قَدَ تَسِيهِ

أَتَذَكَّرُ إِذْ تَقُولُ لَضَيْقِ عَيْشٍ « أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ »

فنظر إلى وقال : نعم ، ثم نهض وأنهضنى معه إلى مجلس الأُنس ، وجعل يُبَدِّأُ كِرْفَى مَا مَضَى ، وَيَذَكِّرُ لى كَيْفَ تَرَقَّتْ حَالُهُ ، وَقَدَّمَ الطَّعَامَ فَطَعَمْنَا ، وَأَقْبَلَ ثَلَاثَةَ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى رَأْسِ أَحَدِهِمْ ثَلَاثُ بَدَرٍ (١) ، وَمَعَ الْآخِرِ تَخَوُّتٌ وَثِيَابٌ ، وَمَعَ الْآخِرِ طَيْبٌ وَبُخُورٌ ، وَأَقْبَلَتْ بَغْلَةٌ رَائِعَةٌ بِسَرَّجٍ ثَقِيلٍ ؛ فَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ؛ تَفَضَّلْ بِقَبُولِ هَذَا ، وَلَا تَتَخَلَّفْ عَن حَاجَةِ تَعْرِضِ لَكَ ، فَشَكَرْتَهُ وَانصرفت ، فلما هممتُ بالخروج من الباب استردتني وأنشدنى بديها :

رَقَّ الزَّمَانُ لِفَاقَتِي وَرَمَى لَطُولَ تَحْرِيقِي

(١) البدر : جمع بدرة . وهى كيس الدنانير

وأنا لى ما أرتجى وأجارَ ممَّا أتقى
فلا أغفرَنَّ له الكثیرَ من الذنوبِ الشقیقِ
إلا جُنایتَه التی فعلَ المشیبَ بتمفْرِقِ (١)

منزلة العقل
وطريق رياضته

قال بعضُ العلماء : العقول لها صورٌ مثلُ صورِ الأجسام ، فإذا أنتَ لم تسلكْ
بها سبيلَ الأدبِ حارَتِ وضَلَّتْ ، وإن بعثتها في أوديتها كلتِ ومَلَّتْ ، فاسلكْ
بعقلك شِعَابَ المعاني (٢) والفهم ، واستنبِغِهِ بِالْجِأَمِ لِلْعِلْمِ (٣) ، وارْتَدِّ لعقلك أفضلَ
طبقاتِ الأدبِ ، وتَوَقَّ عليه آفةَ العَطَبِ ؛ فإنَّ العقلَ شاهدُك على الفضلِ ،
وحارسُك من الجهلِ .

واعلمْ أنَّ مغارسَ العقولِ كمغارسِ الأشجارِ ؛ فإذا طابتِ بِقَاعُ الأرضِ
للشجرِ زكَا ثَمَرُهَا ، وإذا كَرُمَتِ النفوسُ للعقولِ طابَ خَيْرُهَا ، فاعْمُرْ نَفْسَكَ
بِالْكُرْمِ ، تَسَلِّمْ مِنَ الْآفَةِ وَالسَّقَمِ .

واعلمْ أنَّ العقلَ [الحسنَ] في النفسِ اللثيمةِ ، بمنزلةِ الشجرةِ الكريمةِ في
الأرضِ الذميمةِ ، ينتفعُ بِثَمَرِهَا عَلَى خُبثِ الْمَغْرَسِ ؛ فَاجْتَنِبْ ثَمَرَ الْعُقُولِ وَإِنْ أَتَاكَ
مِنْ لِيثَامِ الْآنَفْسِ . [وقال النبي عليه السلام : « رَبِّ حَامِلِ قَفِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْعَى
لَهُ » . وقيل : رب حامل قفه غير قفيه ، ورب رمية من غير رام] .

الحكمة
وواجب العاقل
إزاءها

وقيل : الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، أَيْنَا وَجَدَهَا أَخَذَهَا . وسمعَ الشَّعْبِيُّ الْحِجَااجَ
ابنِ يوسفَ وهو على المنبرِ يقولُ : أمابعد ، فإنَّ اللهَ كتبَ على الدنيا الفناءَ ، وعلى
الآخِرَةِ البقاءَ ، فلا فناءَ لما كُتِبَ عليه البقاءُ ، ولا بقاءَ لما كُتِبَ عليه الفناءُ ،
فلا يغررَنَّكم شاهدُ الدنيا عن غائبِ الآخرةِ ، وَأَقْصِرُوا مِنَ الْأَمَلِ ، لِقِصَرِ الْأَجْلِ .

(١) وكانت وفاة نوزير التلهي سنة ٣٥٢ (٢) الشعاب: جمع شعب - بكسر الشين -
وهو الطريق في الجبل (٣) اجمام - بكسر الجيم - الراحة .

فقال: كلامٌ حكمةٍ خرَجَ من قلبِ خَرَابٍ، وأخرج المواجه فكتب

وقد روى ذلك عن سفيان الثوري .

وقد سُمع إبراهيم بن هشام وهو يُخطب على المنبر ويقول: إن يوماً أشاب

الصغير، وأسكر الكبير، ليوم شرّه مُستطير!

وصف الكتب

قال الجاحظ: الكذب وعاءٌ مليءٌ علماً، وظرفٌ حشِيٌّ ظرفاً، وبُستَانٌ يُعْمَلُ في رَدْنٍ^(١)، وروضةٌ تقلبُ في حجرٍ، ينطق عن الموتى، ويُترجمُ كلامَ الأحياء .

وقال: من صنَّف كتاباً فقد استهدف^(٢)؛ فإن أحسن فقد استعطف، وإن

أساء فقد استتدف^(٣) .

وقال: لا أعلم جاراً أبرّ، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوع، ولا معاماً أخضع، ولا صاحباً أظهر كفاية، وأقلّ حناية، ولا أقلّ إملالا وإبراما، ولا أقلّ خلائفاً وإجراما، ولا أقلّ غيبةً، ولا أبعد من عضية^(٤)، ولا أكثر أعجوبةً وتصرفاً، ولا أقلّ صلفاً وتكلفاً، ولا أبعد من مرء، ولا أترك إشغب، ولا أزهد في جدال، ولا أكف عن قتال، من كتاب . ولا أعلم قريناً أحسن مؤاناة، ولا أعجل مكافأة، ولا أحضر معونة، ولا أقلّ مئونة . ولا شجرة أطول عمراً، ولا أجمع أمراً، ولا أطيب ثمرة، ولا أقرب مُجتبى، ولا أسرع إدراكاً، ولا أوجد في غير إبن، من كتاب . ولا أعلم تشجافاً حدائثه سنة . وقرب ميلاده، ورخص ثمنه، وإمكان وجوده، يجمع من التداوير الحسنة، والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود الأخبار عن القرون الماضية . والبلاد المترامية، والأمثال السائرة، والأمم البائدة ما يُجمع الكذب .

(١) الردن: الكم (٢) استهدف: صير نفسه هدفاً للسهام النقد

(٣) استتدف: عرض نفسه للقدف (٤) العضية: الإفان وعهد الكذب

ودخل الرشيد على المأمون وهو ينظر في كتاب ، فقال : ما هذا ؟ فقال :
كتاب يشجذ الفكرة ، ويحسن العشرة . فقال : الحمد لله الذي رزقني من يرى
بعين قلبه أكثر مما يرى بعين جسمه .

أمون يصف
كتاب لأبيه
الرشيد

وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك ؟ فقال : هي إن
خلوت لذتي ، وإن اهتممت سلوتي ، وإن قلت : إن زهر البستان ، ونور
الجان ، يحلوان الأبصار ، ويمتعان بحسبهما الألفاظ ؛ فإن بستان الكتب
يحلو العقل ، ويشجذ الذهن ، ويحيي القلب ، ويقوى القريحة ، ويعين الطبيعة ،
ويبعث نتائج العقول ، ويستثير دقات القلوب ، ويمتدح في الخلوة ، ويؤنس في
الوحشة ، ويضحك بنوادره ، ويسر بغرائبه ، ويقيد ولا يستفيد ، ويعطي ولا
ياخذ ، وتصل لذته إلى القلب ، من غير سامة تدر كك ، ولا مشقة
تعرض لك .

مض العلماء
ف سروره
بالكتب

وقال أبو الطيب المتنبي :

وللسر متى موضع لا يناله
وللخود منى ساعة ، ثم ينمنا
وما العشق إلا غيرة وطاعة
وغير فوادى للغواي رمية
تركنا لأطراف القنا كل أذة
نصرفه للطعن فوق سواج
أعز مكان في الدنيا سراج ساج
نديم ، ولا يفضي إليه شراب
فلاة إلى غير اللقاء تجاب^(١)
يعرض قلب نفسه فيصاب
وغير بناني للرخاخ ركاب^(٢)
فليس لنا إلا بهن لعاب^(٣)
قد انقصت فيمن منه كعاب^(٤)
وخير جليس في الزمان كتاب

لأبي الطيب
المتنبي

(١) الخود : الفتاة الجميلة . وتجاب : تقطع (٢) رمية : فريسة ، والرخاخ : جمع
رخ . وهو من أدوات الشطرنج (٣) اللعاب : هو الملاعبة (٤) السواج : الخيول .
ولكعاب : أطراف القنا

فقر في الكتب

إنفاق الفضة على كتب الآداب ، يُخلفك عليه ذهاب الألباب . إن هذه الآداب شوارد ، فاجعلوا الكتب لها أزيمة . كتاب الرجل عنوان عقله ، ولسان فضله . ابن المعتز : من قرأ سطرًا من كتاب قد خط عليه فقد خان كاتبه ؛ لأن الخط يُحرز ماتحته .

بزرجمهر : الكتب أصداف الحكم ، تنشق عن جواهر الكلم
 بعض الكتاب : إعجاب الخط يمنع من استعجابه ، وشككه يؤمن من إشكاله .
 كان هذا الكاتب نجحاً إلى قول أبي تمام :
 ترى الحادث المستعجم الخطب معجماً لديه ، ومشكولاً إذا كان مشكلاً
 ما كتب قرء ، وما حفظ فرء . الخطوط المعجمة ، كالبرود المعلمة .
 وقال ابن المعتز يصف كتاباً :
 وذى نكت موسى نقتته وحاكته الأناملُ أي حوك
 بشكل يرفع الإشكال عنه كأن سطورَه أغصانُ شوك

جملة من أفاظ أهل المضر

في صفة الكتب وتهاديبها ، وما يتعلق بأسمائها ومعانيها

حضرة مولاي تجلُّ عن أن يُهدى إليها غير الكتب ، التي لا يترفع عنها كبير ، ولا يمتنع منها خفير ، وقد فكرت فيما أنفذت به مقيا للرسم في جملة الخدم ، وحافظ الاسم في غمار الحشم ، فلم أجد إلا الرق الذي سبق ملكه له ، والمال الذي منحه وخوله ، فعدلت إلى الأدب الذي تنفق سوقه بباب سيدنا ولا تكسد . وتهب ريحه بجانبه ولا تركد . وأنفذت كتابي هذا راجياً أن أشرف بقبوله ، ويوقع إلى بحصوله ؛ وأما وجب على ذوى الاختصاص لسيدنا إهداء ما جرت العادة بتسابق الأولياء إلى الاجتهاد في إهدائه^(١) ، وجب العدول في إقامة رسم الخدمة إلى اتباع

(١) في نسخة « بتسابق الأولياء إلى الاحتشاد في إهدائه » (م)

ما صدر عنه من الرخصة فيما تسهل كلفته ، وتجل عند ذوى الألباب قيمته ، وتحو
ثمرته : وهو عمُّ يُقْتَنَى ، وأدبٌ يُحْتَسَى .

قال أبو الحسن بن طباطبا القنوي :

لابن طباطبا

لَا تُشْكِرُنْ إِهْدَاءَنَا لَكَ مِنْطَقًا مِنْكَ اسْتَفْدَانًا حُسْنَهُ وَنِظَامَهُ
فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشُكْرٍ فَعَلَ مِنْ يَتَنَوَّعُ عَلَيْهِ وَحْيُهُ وَكَلَامُهُ
وأهدى أحمد بن يوسف^(١) إلى المأمون في يوم مهرجانٍ هديةً قيمتها ألف
ألف درهم ، وكتب :

لأحمد بن
يوسف

على العبد حقٌّ فهو لا بدَّ فاعاه وإن عظم المولى وجلَّت فضائله
ألمةً ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذا غنى وهو قبايله
وقال أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح
البيستي

لَا تُشْكِرُنْ إِذَا أَهْدَيْتَ نَحْوَكَ مِنْ عِلْمِكَ الْغَرَّ أَوْ آدَابِكَ التُّنْفَا
فَقِيمِ الْبِائِعِ قَدْ يَهْدِي لِمَا سَكِرَ بِرِسْمِ خِدْمَتِهِ مِنْ بَاغِهِ التُّحْفَا^(٢)

لأبي إسحاق
الصابي

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى عضد الدولة في هذا المعنى : العبيد تُلَاطِفُ
وَلَا تُكَاثِرُ الْمَوْلَى فِي هَدَايَاهَا ، وَالْمَوْلَى تَقْبَلُ الْمِسْوَرَ مِنْهَا قَبُولًا هُوَ مُحْسَبٌ فِي
عَطَايَاهَا . وَمَا كَانَ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّادًا - مَهْرًا عَلَى مَلُوكِ الْأَرْضِ فِي الْخِطْرِ
الَّذِي قَصَّرُوا عَنْهُ شَدِيدًا ، وَالسَّعَى الَّذِي وَقَفُوا مِنْهُ بَعِيدًا ، وَالْآدَابُ الَّتِي عَجَزُوا عَنْ
اسْتِعْلَامِهَا فَضْلًا عَنْ عُلْمِهَا ، وَالْأَدْوَاتُ الَّتِي نَبَكُوا^(٣) عَنْ اسْتِقْبَالِهَا فَضْلًا عَنْ فَهْمِهَا ،
وَجِبَ أَنْ يُعَدَّلَ عَنْ اخْتِيَارَاتِهِمْ فِيمَا تَحْطَى بِهِ الْجِسْمُ الْبَيْمِيَّةُ ، إِلَى اخْتِيَارِهِ

(١) أحمد بن يوسف : كاتب بايع كان يشغول ديوان الرسائل للمأمون ، وله أخبار كثيرة تدل على أنه كان مع مركزه في الدولة كثير العبث والخبون . شتمه رجل بين يدي المأمون فقال مخاطب المأمون : قد والله يأمر المؤمن بالبيع وأنه يسلم من ذنوب ما يأتى به . وسيعود صاحب ربح الآداب في الكلام عنه في مادة مواظب . كتابه سنة ٣١٣ هـ .
(٢) البائع : الطبيب (٣) نكل عن الشيء : من باب نكل ونكلت ونكلت .

فما تحطى به النفوس العلية ، وعمد ينفق في سوقهم العامية . إلى ما ينفق في سوقه الخاصة ، إفراداً لربنبتة العليا ، وغايته التصوى ، وتميزاً له عن لا يجرى معه في هذا المضمار ، ولا يتعلق منه بالعبارة : وقد حملت إلى الخزانة - عمرها الله - شيئاً من الدفاتر وآلة النجوم ، فإن رأى مولانا أن يتطول^(١) على عمده بالإذن في عرض ذلك عليه مشرفاً له وزائداً في إحسانه إليه فعلى إن شاء الله تعالى .

وأهدى أبو الطيب المتنبي إلى أبي الفضل بن العميد في يوم نوروز قصيدة من أبي نعب مدحه فيها^(٢) يقول في آخرها :

كثّر الفكرُ كيف هُدي كاتبيدي إلى ربها الرئيس عبادهُ
والذي عندنا من المائِ والخيلِ فَمِنَّهُ هِبَةُ وفِيادهُ
فبعثنا بأربعين مَهَارٍ كَأَنَّ مَهْرٍ مِيدَانَهُ إِشَادُهُ
فارتبطها فإِنَّ قَلْبًا تَمَاهَا مَرَبُطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ جِيَادُهُ

وفي هذه الكلمة يقول وقد احتفل فيها ، واجتهد في تجويد الفاظها ومعانيها . فعقب عليه أبو الفضل في مواضع وقف عليها فقال^(٣) :

هل نُعذِرُ إلى الهمام أبي الفضل قَبُولَ سَوَادِ عَيْنِي دُونَ
أَنَا مِنْ شِدَّةِ أَحْيَاءِ عَائِلٍ مَكْرُمَاتِ تَعْبَاهِ عَوْدِي
مَا كَفَانِي تَقْصِيرٌ مَا قُلْتُ فِيهِ عَنْ عِلَادَةٍ حَتَّى تَمَّامِ الْمَقَادِمِ

(١) يتطول : يتفضل (م) (٢) مطلع هذه القصيدة :

جاء نبروزنا وأنت مراده وورث نالذي أراد زناده

(٣) نيس الأمر كما ذكر المؤلف . وإنما لاحظ ابن العميد ملاحظته على المتنبي

بصيغة الرائية التي سبغ بها المؤلف بعد ذلك . فبدأ هذه الأبيات في
في تصاعيف الذاتية التي فصدتها تهئة ابن العميد يوم نوروز

(٤) انعله : من إضافة ضم المتعذر إلى مقبولة

ما تَعَوَّدْتُ أن أرى بكأبي الفضل ، وهذا الذي أتاهُ اعتيادُهُ
 غمَّرَتْني فوائدُ شاءَ منها أن يكونَ الكلامُ ممَّا أفادُهُ
 ما سمِعناُ بمن أحبَّ العطايا فاشتهدى أن يكونَ منها فؤادُهُ
 وقد كان مدحه بقصيدته التي أولها :

بادٍ هَوَاكَ صَبْرَتْ أُمٌ لَمْ تَضِيرَا وَبُكَاكَ إِنْ لَمْ يَجْرِدْ مَعَكَ أَوْ جَرَى
 وفيها معانٍ مخترعة ، وأبيات مبتدعة ، يقول فيها :

من مُبلِّغُ الأعرابِ أتَى بَعْدَهَا جالَسْتُ رَسْطاليسَ والإسْكَندرا
 ومَلتُ نَحْرَ عِشَارِها فأضافني من يَنْحَرُ البَدْرَ النُّضارَ لمن قَرَى (١)
 وسمعتُ بطلَيْمُوسَ دارسَ كُتبهِ مَتمَلِّكاً مَبتَدياً متَحَضِّراً (٢)
 ورأيتُ كلَّ الفاضلينَ كأنما رَدَّ الإلهُ نفوسَهُم والأعْصرا
 نُسِقُوا لنا نَسقَ الحِسابِ مَقْدِماً وأتى بِذلكَ إذ أتيتُ مُؤَخِّراً
 وفيها يقول :

فَدعَاكَ حُسْدُكَ الرِّيسَ وَأَمْسَكُوا ودعَاكَ خالِقَكَ الرِّيسَ الأَكْبَرَ
 خَلقتُ صِفاؤَكَ في العيونِ كِلامَهُ كَالخَطِّ يَمَلَأُ مِسمَعِي مِن أبْصرا
 أخذه من قول الطائي يصف قصائده :

بمُربِ يَراها مِن يَراها بِسمِعِهِ وَيَدنوُ إليها ذوا الحِجا وهو شاسِعٌ (٣)

[فقرر في وصف الكتب]

كتاب كَتَبَ لي أماناً من الدَّهرِ ، وهنَّاني في أيامِ العَمرِ . كتابٌ أوجب
 من الاعتدادِ فوق الأعدادِ ، وأودعَ بياضَ الودادِ سوادَ الفؤادِ . كتابٌ النظرُ فيه

(١) البدر : جمع بدرة ، وهي الكيس فيه عشرة آلاف دينار ، والنضار - بالضم -
 الذهب ، وقرى : أضاف (٢) متدياً : في أخلاق أهل البداوة (٣) شاسع : بعيد

نعيم مقيم ، والظفرُ به فتح عظيم . كتاب ارتحت لعَيَانِه ، واهتززت لعُنْوَانِه .
 كتاب هو من الكتب الميامين^(١) ، التي تأتي من قبل اليمين . كتاب عدده
 من حُجُول العُمَرِ وِغْرَرِه^(٢) ، واعتدَدْتِه من فُرُص العيش وِغُرَرِه^(٣) .
 كتابٌ هو أنفُس طالع ، وأكرم متطلع ، وأحسن واقع ، وأجلُّ
 متوقع . كتابٌ لو قُرِيَء على الحجارة لانفجرت ، أو على الكواكب
 لانتشرت . كتابٌ كِدْتُ أُبْلِيه طيًّا ونشراً ، وقبْلته ألفا ، ويدَ حامله
 عشرًا . كتابٌ نَسِيتُ لِحْسِنه الرُّوضِ والزَّهْر ، وغفرتُ للزَّمان ما تقدّم من
 ذنبه وما تأخر . كتابٌ أَمَلِيه هِزَّة المجدِ على بنانك ، ونطقُ به لسانُ الفِضْلِ
 عن لسانك . أنا أَلْتَقِطُ من كلِّ حَرْفٍ تَدِيرُهُ أَنَا مَلِكُ مُخْفَةِ ، وآخِذُ
 من كلِّ سطرٍ تتجشَّمُ تخطيطه نزهة . إذا قرأت من خطك حَرْفًا ، وجدتُ
 على قلبي خِيفًا^(٤) ، وإذا تأملت من كلامك لفظًا ، ازددتُ من أنسِي حَظًّا .
 كتاب كتب لي أمانًا من الزمان ، وتوقيعٌ وقع مِيَّ مَوْقِعِ المَاءِ من
 العطشان . كتاب هو تَعَلَّةُ المَسَافِرِ^(٥) ، وأنسَةَ المَسْتوحش ، وزبدة الوصال ،
 وعُقْلَةُ المُسْتَوْفِزِ^(٦) . كتاب هو رُقيَّة القلب السليم^(٧) ، وِغْرَّةُ العيش البهيم^(٨) .
 كتابٌ هو سَمَرٌ بلا سَهَرٍ ، وصَفْوٌ بلا كَدَرٍ . كتابٌ تمتعتُ منه بالنعيم
 الأبيض ، والعيش الأخضر ، واستلمته استلام الحجر الأسود^(٩) ، ووكلتُ
 طرفي من سَطُورِه بوشى مُهَلَّلٍ ، وتاج مُسَكَّلٍ ، وأودعتُ سمعي من محاسنه

(١) الميامين: جمع ميمون (٢) الحجول: جمع حجل، وهو بياض في القوائم يحمل به
 الخيول ، والغرر: جمع غرة، وهي بياض في الجهة (٣) غرر: جمع غرة بكسر الغين وهي
 الزرق ، وقد يحلو في الشباب (٤) الخف والخفة: الارتياح (٥) تعلقة المسافر:
 ما يتلوه به لقطع الوقت (٦) المستوفز: المتبهيء للوثوب (٧) السليم: الملدوغ
 (٨) البهيم: المظلم (٩) يريد أنه استلمه ميمنا باستلامه كما يتقرب الحاج إلى
 الله باستلام الحجر الاسود

من أنشأت سماع الأغاني من مطريات الغواني^(١). نشأت سحابة من لفظك ،
عَظِيمًا نِعْمَةً سَابِقَةً ، وَغَيْثًا حِكْمَةً بِالْعَمَّةِ ، سَقَتْ رَوْضَةَ الْقَلْبِ ، وَهَدَى
جَهْدَهَا يَدَ الْجُدْبِ^(٢) ؛ فَاهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ، وَاکْتَسَتْ مَا اكْتَسَبَتْ .
كتاب حبيبته ساقطاً إلى من السماء ، اهتزازاً لطلعه ، رابتها جأً بِحَسَنِ
موقعه ، تناولته كما يُتناول الكتابُ المرقومُ ، وَفَضَضْتُهُ كَمَا يُفَضُّ الرِّحِيقُ
الْمُخْتومُ^(٣) . كتابٌ كالمشترى شَرُفَ بِهِ الْمَسِيرَ ، وَقَمِيصُ يَوْسُفَ جَاءَ بِهِ
البشير . كتاب هو من الحسن ، رَوْضَةُ حَزْنٍ ، بِلِجْنَةِ عَدْنٍ ، وَفِي شَرْحِ
الْفَسِّ وَبَسْطِ الْأَنْسِ بَرْدُ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ ، وَقَمِيصُ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ
يعقوب . قد أهديت إلى محسن الدنيا مجموعة في ورقه ، ومباهج الحلى والخلل
محصورة في طبقه . كتاب الصقته بالقلب والكبد ، وشمته شمَّ الولد .
وَرَدَّ مِنْكَ الْمِسْكَ ذَكِيًّا ، وَالزَّهْرُ جَنِيًّا ، وَالْمَاءُ مَرِيًّا^(٤) ، وَالْعَيْشُ هَنِيًّا ،
وَالسَّحْرُ بَابِلِيًّا^(٥) . كتاب مطامع أهلة الأعياد ، وموقعه موقع نيل المراد .
كتاب وجدته قصير العمر ، كليالي الوصال بعد الهجر ، لم أبدأ به حتى
استكمل ، وقارب الآخر منه الأول . كتاب منتقض الأطراف ، منقطع
الأكتاف ، أبتزُّ الجوارح ، مضطرب الجوانح ، كتاب كأنه توقيع
متحرَّز ، أو تعريض متبرز^(٦) . كاد يلتقي طرفاه ، ويتقارب مُفْتَسِحُهُ
وَمُنْتَهَاؤُهُ . كتاب التقت طرفاه صغراً ، واحتمت حاشيتهما قصراً . ما أظنني

(١) الغواني : جمع غانية ، وأصلها المرأة التي استغنت بمجالها عن الزينة ، أو التي
استغنت ببيت أبيها عن الأزواج ، وأراد هنا القيان (م)
(٢) أجهدتها : أشقتها ، والجدب : القحل (٣) الرحيق المختوم : الخمر المعتقة التي لم
تفرض عن دنائها الأحكام (٤) مريء : هنيء . (٥) بابل : مدينه يناسب إليها السحر ،
وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم (م) (٦) متبرز : متعفف : ورجل برز ،
وامرأة برزة : عفيف وعفيفة ؛ وكلاهما يسكون ثوباً .

ابتدأته حتى ختمته ، ولا استفتحته حتى أتمته ، ولا لحتته حتى استوفيته ،
 ولا نشرته حتى طويته ، وأحسبني لو لم أجود ضبطه ، ولم ألزم يدي حفظه ،
 نظار حتى يختلط بالجو ، فلا أرى منه إلا هباءً منثوراً ، وهواءً منشوراً .
 كتاب حسبه يطير من يدي لخفته ، ويلطف عن حسي لقلته ، وعجبت
 كيف لم تحمله الرياح قبل وصوله إلى ، وكيف لم يختلط بهواء عند وصوله لدى .
 كتاب قص الاقتصار أجنحته ، فلم يدع له قوادم ولا خوافي ، وأخذ
 الاختصار جثته ، فلم يبق ألقاظاً ولا معاني . طلع كتابك كإيماء بطرف ،
 أو وحي بكف .

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز : استعرت من علي بن يحيى المنجم جزءاً فيه
 أخبار مئبد بخط حماد بن إسحاق الموصلي ، وكان وعدني به ، فبعث إلى بست
 ورفات لطاف ، فرددتها وكتبت إليه : « إن كنت أردت بقولك جزءاً الجزء
 الذي لا يتجزأ فقد أصبت ، وإن كنت أردت جزءاً فيه فائدة للقارى ، وممتعة
 للسامع ، فقد أحلت^(١) ؛ وقد ردّته عليك بعد أن طار الأخط
 عليه طيرة . »

فأجابني : إذا كان السفر عندك منجاةً فما أصنع^(٢) ؟

[المحادثة والمجالسة]

وقال أبو العباس : دخل رجل على الحسن بن سهل بعد أن تأخر عنه أياماً ،
 فقال : ما ينقضي يوم من عمرى لأراك فيه إلا علمت أنه مبنور القدر ، منحوس
 الخط ، مغبون الأيام .

فقال الحسن : هذا لأنك توصل إلى بحضورك سروراً لا تجد عند غيرك ،

(١) أحوال : تكلم بالحوال (٢) المنجاة: ما يظهر به من ورق أو ما .

وَأَتَلَسَّمْ مِنْ أَرْوَاحِ عِشْرَتِكَ مَا تَجِدُ الْحَوَاسِ بِهِ يُغَيِّبُهَا ، وَتَسْتَوْفِي مِنْهُ لَذَّتَهَا ،
فَنَفْسُكَ تَأَلَّفُ مَنِي مِثْلَ مَا آلَفَهُ مِنْكَ .

وكان يقال : محادثة الرِّجال تَلْقِيحُ الألباب^(١) .

وقال ابن الرومي :

وَلَقَدْ سَسَّيْتُ مَارِيَّ فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَبِيثُ
إِلَّا الْحَدِيثَ ؛ فَإِنَّهُ مِثْلُ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثُ

قال مخارق : لقيني أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم قبل نسكه ، فقال : أنا والله
صَبُّ بكَ ، وَلَوْ عَإِلَيْكَ ، مَعْمُورُ الْقَلْبِ^(٢) بِشُكْرِكَ ، وَاللِّسَانِ بِذِكْرِكَ ، مَتَشَوِّفٌ إِلَى
رُؤْيَيْتِكَ وَمَمَافِضَتِكَ ، وَقَدْ طَالَتِ الْأَيَّامُ عَلَى مَا أَعْدَيْتَهُ نَفْسِي مِنَ الْاجْتِمَاعِ مَعَكَ ،
وَمِنْ قِضَاءِ الْوَطْرِ مِنْكَ ؛ فَمَا عِنْدَكَ ؟ أَنَا الْفِدَاءُ لَكَ ! وَتَزَوَّرَنِي أَمْ أَزُورُكَ ؟

قلت : جعلني الله فداك ! ما يكون عند من هو منك بهذا الموضع وفي هذا
الحل إلا الانقياد إلى أمرك ، والسمع والطاعة لك ، ولولا أن أسى الأدب في
أمر بدأت فيه بالفضل لقلت : إن كثيرا ما ابتدأت به من القول يقل فيما عندي
من الشوق إليك ، والشغف بك ، دون ما حرّك هذا القول مني ، فوجبت لك به
المنة على ، وأنا بين يديك ، فأئن عِنَايَ إِلَى مَا أَرَدْتُ ، وَقَدْنِي كَيْفَ شِئْتُ ،
تجدني كما قال القائل :

مَا تَشْتَهِيهِ فَإِنِّي الْيَوْمَ فَاعِلُهُ وَالْقَلْبُ صَبُّ فَمَا جَشَمْتَهُ جِشْمًا
وَذَكَرَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ رَجُلًا ، فَقَالَ : لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهُ فَهَمًا جَلِيلًا ، وَلَا تَفْهَمًا دَقِيقًا
أَشَارَ إِلَيْهِ أَبُو تَمَّامٍ فَقَالَ :

وَكَنتَ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قَمُوعٍ تَعَرَّضَهُ صَفُوحٍ مِنْ مَوَلٍ
فَصَرْتُ أَذْلَ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ بِهِ فَفَرَّ إِلَى ذِهْنٍ جَلِيلٍ^(٣)

(١) التلقيح : ما تلحق به النخلة لشمر (٢) كذا . وأحسبه « معمور القلب » بعين

مبهمة (م) (٣) في ديوان أبي تمام (ص ٥٠٣) « به ففر إلى فهم جليل » (م)

وقال سعيد بن مسلم للمؤمن : لو لم أشكر الله تعالى إلا على حسن بين المؤمن وسعيد بن مسلم ما أبلاني من أمير المؤمنين من قصده إلى بحديثه ، وإشارته إلى بطرفه ؛ لقد كان في ذلك أعظم الرفعة ، وأرفع ما توجه الحرمة . فقال : يفعل أمير المؤمنين ذلك ؛ لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإفهام إذا حدثت وحسن الفهم إذا حدثت ما لا يجده عند أحد من مضي ، ولا يظن أنه يجده عند أحد ممن بقي ، فإنك لتستقصي حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتخبر بما كنت أغفلته منه .

وقال المتوكل لأبي العيناء : ما تحسن ؟ قال : أفهم وأفهم .
 وقال بعض الحكماء لتلميذه ، وقد ضرب الموسيقى : أفهمت ؟ قال : نعم ، قال : بل لم تفهم ؛ لأنني لا أرى عليك سرور الفهم ! وقد قيل : من نظر إلى الربيع وأنواره ، والروض وأصباغه ، ولم يبتهج كان عديم حس ، أو سقيم نفس .
 ومر أبو تمام بإبراهيم بن فارس ، فسمع جارية تغني بالفارسية ، أبو تمام يصف جارية تغني بالفارسية :
 فشأفه شجي الصوت ، فقال :

ومُسَمِّعَةٌ تروقُ السَّمْعَ حَسَنًا ولم تصمههُ ، لا يصمم صداها !
 لوت أوتارها فشجت وشاقت فلو يستطيعُ حامدُها فدأها
 ولم أفهم معانيها ، ولكن ورت كبدى فلم أجهل شداها
 فكنت كأنني أعمى معنئى يُحِبُّ الغانياتِ ولا يراها

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : قلت لأبي تمام : أخذت هذا المعنى من أحد ؟ قال : نعم ، أخذته من قول بشار بن برد :

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا
 قالوا : بمن لا ترى تهدي ؟ فقلت لهم : الأذن كالعين توفى القلب ما كانا
 وقال بشار أيضاً في هذا المعنى :

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي فأضحى به من حُبها أثر :

أَنْى وَلَمْ تَرَهَا تَهْدَى ! فَقُلْتَ لَهُمْ : إِنَّ الْفُؤَادَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْبَصَرُ
وقال :

يُرْهِدْنِي فِي حُبِّ عَبْدَةٍ مَعَشْرٍ قُلُوبُهُمْ فِيهَا مَخَالِفَةٌ قَلْبِي
فَقُلْتَ : دَعُوا قَلْبِي وَمَا اخْتَارَ وَارْتَضَى فَيَا قَلْبَ لَا بِالْعَيْنِ يُبْصِرُ ذُو النَّبِ
وَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى وَلَا تَسْمَعُ الْأَذْنَانِ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ

وقد قال أبو يعقوب الحريري في هذا المعنى ، وكان قد أعور ثم عمى ، وقيل :
إنها للخليل بن أحمد :

قَالَتْ أَنْهَرَأَبِي غَدَاةَ لَقِيْتَهَا يَا لِلرِّجَالِ لَصَبُوءَ الْعِمْيَانِ
فَأَجَبْتَهَا : نَفْسِي فِدَاؤُكَ إِيْمَا أُذُنِي وَعَيْنِي فِي الْهَوَى سَيَّانِ

وقريب من هذا قول الحكم بن قنبر
إِنْ كُنْتُ لَسْتُ مَعِيَ قَالِدُ كَرَمِنِكَ مَعِيَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ :
الْعَيْنُ تُبْصِرُ مَنْ تَهْوَى وَتَفْقِدُهُ يَرُوعَاكَ قَلْبِي وَإِنْ غُمِّيْتَ عَنِ بَصَرِي
وقال آخر :

أَمَّا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ الْهَوَى لَنْ غَبِثَ عَنِ عَيْنِي فَمَا غَبِثَ عَنِ قَلْبِي
تُرِيْنِيكَ عَيْنُ الْوَهْمِ حَتَّى كَانَتْ أَنَا حَيْثُ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قُرْبِي (١)

وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم :

لَنْ كَانَ عَنِ عَيْنِي أَحْمَدُ غَائِبًا فَمَا هُوَ عَنِ عَيْنِ الضَّمِيرِ بَغَائِبِ
لَهُ صُورَةٌ فِي الْقَلْبِ لَمْ يُقْصِهَا النَّوَى وَلَمْ تَتَخَطَّفْهَا أَكْفُ النَّوَابِ

(١) ومن هذا الباب قول أحمد بن يوسف :

تَطَاوَلَ بِاللِقَاءِ الْعَهْدِ مَنْ وَطَوَّلَ الْعَهْدِ قِدْحَ فِي الْقُلُوبِ
أَرَاكَ وَإِنْ نَأَيْتَ بَعْضَ قَلْبِي كَأَنَّكَ نَسَبَ عَيْنِي مِنْ قُرْبِ
فَهَلْ لِي فِي الرُّوْحِ إِلَى حَبِيبِ يَقْرُبُ بَعِينَهُ قُرْبَ الْحَبِيبِ

إذا ساءنى منه شُحوطُ مزاره وضائق بقلبي في نَوَاهِ مَذَاهِبي (١)

عظفتُ على شَخِصٍ له غير نازِحٍ مَحَلَّتُهُ بَيْنَ الْحَشَا وَالْتَرَائِبِ (٢)

وذَكَرَ أَبُو عَيْبَةَ كَيْسَانَ مُسْتَمْلِيَهُ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ، فَقَالَ : مَا قَهَمَ ، وَلَوْ كَيْسَانَ مُسْتَمْلِيَ أَبِي عَيْبَةَ فَهَمَ لَوْ هَمَّ (٣) . وَكَانَ كَيْسَانُ يُوصَفُ بِالْبَلَادَةِ وَالْفَغْلَةِ .

قال الجاحظ : كان يكتبُ غيرَ ما يسمع ، ويستغنى غيرَ ما يكتب ، ويقرأُ غيرَ ما يستغنى (٤) ، ويُتملى غيرَ ما يقرأ ، أملت عليه يوماً :

عجبتُ لمعشرٍ عدلوا بمعتمرِ أبا عمر

فكتب أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستغنى أبا زيد .

قال أبو عباد : للمحدث على جلسه ، السامع لحديثه ، أن يجمعَ له باله ، ويضغى إلى حديثه ، ويكتم عليه سرَّه ، ويبسط له عذره .

ما يجب
للمحدث على
جلسه

وقال : ينبغي للمحدث إذا أنكر عين السامع أن يستفهمه عن معنى حديثه ، فإن وجد قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وإن كان لاهياً عنه حرمةُ حُسنِ الإقبال عليه ، ونفعُ المؤانسة له ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير في حق المحدث .
وقال : نشأطُ المحدث على قدر فهم المستمع .

وكان عبد الله بن مسعود (٥) - رضى الله عنه ! - يقول : حدث الناس ما حدَّ جُوك بأسماعهم (٦) ، ولحظوك بأبصارهم ، فإذا رأيت منهم فتوراً فأمسك .

وقال أبو الفتح البستي :

إذا أحسست في لَفْظِي فتوراً وحفظي والبلاغة والبيان

(١) الشحوط : البعد (٢) النازح : البعيد (٣) وهم : غلط (٤) استغنى : سود

(٥) صحابي جليل ، كان من السابقين إلى الاسلام ، وكان أول من جهر بقراءة القرآن في مكة . وتولى بعد وفاة الرسول بيت مال الكوفة ، كان رضى الله عنه أكثر من التطيب . وكان من المتفوقين في رواية الحديث ، توفي سنة ٣٢

(٦) حدحوك بأسماعهم : وجهوها نحوك

فلا تَرْتَبْ بِفَهْمِي إِنَّ رَفْصِي عَلَى مَقْدَارِ إِيقَاعِ الزَّمَانِ
 وقال عامر بن عبد قيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ،
 وإذا خرجت من اللسان لم تُجَاوِزِ الْآذَانَ .

وقال الحسن — وقد سمع متكلمًا يَعْظُ فلم تَقَعْ مَوْعِظَتُهُ مِنْ قَلْبِهِ ولم يَرِقْ
 لها — : يا هذا ؛ إن بقلبك لشرًّا ، أو بقلبي !

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن اسماك لجاريته : كيف ترين ما أعْظُ
 الناس به ؟ قالت : هو حَسَنٌ ، إلا أنك تكررُه ، قال : إنما أُكْرِرُهُ لِيَفْهَمَهُ مَنْ
 لم يكن فَهَمَهُ ، قالت : إلى أن يفهمه البطء ، يَثْقُلُ عَلَى سَمْعِ الذَّكِيِّ .

واستُعِيدَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَدِيثًا فَقَالَ : لَوْلَا أَنِي أَخَافُ أَنْ أَغْضَّ مِنْ بَهَائِهِ ،
 وَأُرِيقَ مِنْ مَائِهِ ، وَأُخْلِقَ مِنْ جِدَّةِ ، لأَعَدْتُهُ .

وقال أبو تمام الطائي يصف قصائده :

مَنْزَهَةٌ عَنِ السَّرْقِ الْمُؤَدَّى مَكْرَمَةٌ عَنِ الْمَعَادِ
 أخذت البحتری فقال :

لا يعمل اللفظ المكرَّر فيه واللفظ المرْدَدُ
 والإطالة مملولة كما يُمِلُّ التكرير .

وقد قال الحسن بن سهل : الآدابُ عشرة ؛ فثلاثةٌ شهرجانية ، وثلاثةٌ
 أنوشروانية ، وثلاثةٌ عربية ، وواحدةٌ أرْبَتُ عليهن ؛ فأما الشهرجانية فضربُ العود .
 ولعب الشطرنج ، ولعب الصَّوَالِجِ . وأما الأنوشروانية فالطَّبْ ، والهندسة .
 والفروسية . وأما العربية فالشَّعْرُ ، والنَّسَبُ ، وأيام الناس . وأما الواحدة التي
 أرْبَتُ عليهنَّ : فمقطعات الحديث ، والسمر ، وما يتلقاه الناسُ بينهم في المجالس .

وكان يُقال : حُذِّدْ مِنَ الْعُلُومِ نَتْفِهَا ، وَمِنْ الْآدَابِ طَرْفَهَا .

وكان يُقال : مَقْطَعَاتُ الْأَدَبِ ، قِرَاصَاتُ الذَّهَبِ .

تكرار
الحديث

الآداب

لسمر وتنف
الأحاديث

وحضّر بشارُ بن بُرْدٍ مجلساً فقال : لا تجعلوا مجلسنا غنا ، ولا شعراً
كله ، ولا سمرّاً كله ، ولكن اتبهوه انتبهابا .

وقال الحسن رحمه الله : حدثوا هذه القلوب فإمها سريعة الدور ، وأقدعوا^(١)
هذه الأنفس فإنها طلعة^(٢) ؛ وإنكم إلا ترعوها^(٣) تنزع بكم إلى شرّ غاية .

وقال أزدشير بن بابك : إن للأذهان كلالا ، وللقلوب ملالا ، ففرقوا بين
الحكمتين يكن ذلك استجماما .

ويروى في حكمة آل داود : لا ينبغي للعاقل أن يُخْلِى نفسه من أربع :
عُدَّة لِمَعَادِهِ ، وصلاح لِمَعَاشِهِ ، وِفْكَرٌ يَقِفُ بِهِ عَلَى مَا يُصْلِحُهُ من فساده ،
ولذة في غير مُحَرَّم يستعينُ بها على الحالات الثلاث .
وما أحسن ما قال أبو الفتح بن كشاجم^(٤) :

عَجَبِي مِمَّنْ تَنَاهَتْ حَالُهُ	وكفاه الله ذِلَاتِ الطَلَبِ
كَيْفَ لَا يُقْسِمُ شَطْرِي عَمْرُدِ	بَيْنَ حَالَيْنِ نَعِيمٍ وَأَدَبٍ؟
سَاعَةٌ يُمْتَسِعُ فِيهَا نَفْسَهُ	مِنَ غَدَاءٍ وَشَرَابٍ مُنْتَخَبِ
وَدُنُوٌّ مِنْ دُمِّي هُنَّ لَهُ	حِينَ يَشْتاقُ إِلَى اللَّعْبِ لُعبِ ^(٥)
فَإِذَا مَا نَالَ مِنْ ذَا حَظِّهِ	فَحَدِيثٌ وَنَشِيدٌ وَكُتُبِ
مَرَّةً جِدًّا ، وَأُخْرَى رَاحَةً	فَإِذَا مَا غَسَقَ اللَّيْلُ انْتَصَبِ
فَقَضَى الدُّنْيَا نَهَارًا حَقًّا	وَقَضَى لِلَّهِ لَيْلًا مَا وَجَبِ

(١) من القدح . بالقاف ، وهو ازجر . وفي الأصل (أفدعوا) بالقاف ، وهو تحريف

(٢) طلعة : كثير التطلع (٣) يزع - بالزاي المعجمة - يزجر ، وفي الأصل (ترعوها)
بالراء المهملة وهو تحريف - وفي نسخة «تقدعوها» وفي أخرى «ترعوها» بزيادة
نون بين حرف المضارعة والزاي ، وفي أخرى «الإلتطيعوها» وهذه لا يصح المعنى عليها (م)

(٤) هو محمود بن محمد ، الشاعر الكاتب ، المتوفى سنة ٣٥٠ .

(٥) الدمى : جمع دمية . وهى الصورة توضع فى الحراب لتمثل الحور العين

تلك أقسام متى يعمل بها دَهْرُهُ يَسْعَدُو وَيَرشُدُو وَيُصِيبُ

وقال أبو العباس محمد بن يزيد : قَسَمَ كَسْرِي أَيامه فقال : يَصْلُحُ يَوْمُ
الرياح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويومُ المَطَرِ للشرب واللّهو ، ويوم الشمس
تقضاء الحوائج .

نظام كسرى
في حياته

قال الحسن بن خالويه^(١) : ما كان أعرفهم بسياسة دُنْيَانهم ، يعلمون ظاهراً
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم قد
جَزَأَ نهاره ثلاثة أجزاء : جُزءٌ لله ، وجُزءٌ لأهله ، وجُزءٌ لنفسه ، ثم جُزءٌ جزاء
بينه وبين الناس ؛ فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : أبلغوني
حاجة من لا يستطيع إبلاغى ؛ فإنه من أبلغ | ذا سلطان | حاجة من لا يستطيع
إبلاغها آمنه الله تعالى يومَ الفَرَجِ الأكبر .

رسول الله صلى
الله عليه وسلم
يجزى نهاره
على المصالح

| عَوَدَ إِلَى الإطالة والإيجاز |

وقال شبيب بن شيبه^(٢) : إن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الإطالة فقدّم
إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل ، قبل التقدّم من إحكام البلوغ في

(١) هو الحسين « لا الحسن كما ورد في الأصل » ابن أحمد ، إمام اللغة والعربية في
عصره ، طلب العلم في بغداد ، ثم سكن حلب واختص بسيف الدولة بن حمدان وأولاده ،
وهناك انتشر علمه وروايته . وكانت وفاته سنة ٣٧٠ . قال السيوطي في بقية الوعاة :
سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرتة ذات ليلة : هل تعرفون اسماً ممدوداً
وجمه مقصوراً؟ فقالوا : لا ، فقال لابن خالويه : مات قول أنت؟ فقال : أنا أعرف اسمين
قال : فماها؟ قال صحراء وصحارى ، وعذراء وعذارى . فلما كان بعد شهر من أصاب
حرفين آخرين هما صلفاء وصلافي وهى الأرض العليظة ، وخبراء وخبارى وهى أرض
فيها ندوة ، ثم بعد عشرين سنة وجد حرفاً خامساً . وهو سبتاء وسباتى وهى الأرض الحشنة
(٢) كان شبيب بن شيبه مشهوراً بالفصاحة والدهاء ، وكان ينادم خلفاء بني أمية

ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم . توفي سنة ١٧٠

شَرَفِ التَّجْوِيدِ ؛ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَعْدِلَ بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا ، فَقَلِيلٌ كَافٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرِ شَافٍ .

وكان جعفر بن يحيى يقول لكتابه : إن استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا .

وقال ثمامة بن أشرس : لم أر قط أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد ، وكان صاحبَ إيجازٍ .

وكان أبووائله إياسُ بن معاويةَ - على تقدُّمه في البلاغة ، وفضلِ عقله وعلمه - بالإكثر مَعِييًّا ، وإلى التطويل مَنسُوبًا ، وقال له عبد الله بن شبرمة : أنا وأنت لا تنفق ، أنت لا تشتهي أن تسكت ، وأنا لا أشتهي أن أسمع . وقيل له : ما فيك عيبٌ إلا كثرة كلامك . قال : أقتسمون صوابًا أم خطأ ؟ قالوا : بل صوابًا ، قال : فالزيادةُ في الخير خيرٌ .

قال الجاحظ : وليس كما قال ، بل للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن مقدار الاحتمال ، ودعا إلى الاستئصال والكلال ؛ فذلك هو الفضال^(١) والهدر والتخل والإسهاب الذي سمعت الخطباء يعينونه .

وذكر الأصمعي أن ابن هبيرة لما أراد إياسًا على القضاء قال : إني والله لا أضلح له ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأني دميم حديد ، ولأني عبي ، قال ابن هبيرة : أما الحدّة فإن السوط يُقوِّمك ؛ وأما العي فقد عبّرت عما تريد ؛ وأما الدمامة فإني لا أريد أن أحاسن بك .

ولم يصفه أحد بالعبي ، وإنما كان يُعابُ بالإكثر ، ولكنه أراد المدافعة عن نفسه والحديث ذو شجون^(٢) .

(١) الفضال ، على وزن كتاب ، المتبدل من قول أو غيره

(٢) شجون : ضروب

إياس بن
معاوية يحتج
للاطناب

الجاحظ يرد
عليه

ابن هبيرة
يريد إياسا
على القضاء

أبو العيناء قال أبو العيناء ، ذُكِرْتُ لبعض القِيَّانِ فمشقتني على السماع ، فلما رأته وبعض القيان استقبحتني ، فقلت :

وشاطرةٍ لما رأته تنكَّرتُ وقالت : قبيحٌ أخوانٌ ماله جسمٌ
فإن تُسكِّرِي مني أخوٍ لآفانِي أديبٌ أريبٌ لا عيٌّ ولا قدَمٌ^(١)

[فاتصل بها الشعر ،] فكتبتُ إلى : إنَّا لم نرد أن نُؤلِّيك ديوانَ الزمام !
وكان عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب إلى عدى بن أرطاة^(٢) : إن

قبلك رجلين من مُزينة — يعني بكر بن عبد الله ، وإياس بن معاوية — قولٌ
أحدهما قضاء البصرة ؛ فأحضرهما ، فقال بكر : والله ما أحسن القضاء ؛ فإن كنتُ
صادقاً فما تحلُّ توَّليتي ، وإن كنتُ كاذباً فذلك أوجبٌ لتركِي ، فقال إياس :
نكم وفتنموه على شفيرِ جهنم ، فافتدى منها بيمينٍ يكفرها ، ويستغفرُ الله تعالى
إنها ، فقال له عدى : أما إذ اهتديت لها فأنتَ أحقُّ بها ، فولاه .

ودخل إياس الشام وهو غلامٌ صغير ، فقدم خضماً له إلى بعض القضاة ،
وكان الخضمُّ شيخاً ، فصالَ عليه إياسُ بالكلام ، فقال له القاضي : خفضْ عليك
فإنه شيخٌ كبير ، قال : الحقُّ أكبر منه ، قال : اسكت ! قال : فمن ينطقُ بحجَّتِي ؟
قال : ما أراك تقولُ حقاً ، قال : لا إلهَ إلا الله ! فدخل القاضي على عبد الملك
فأخبره ؛ فقال : أفضِ حاجته الساعةَ وأخرِجه من الشام لا يُفسدِ أهلها^(٣) !

الحديث المملول وقال أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي^(٤) :

(١) القدم : العبي عن الكلام (٢) عدى بن أرطاة : أمير من أهل دمشق ، وولاه
عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ فاستمر إلى أن قتله معاوية ابن يزيد سنة ١٠٢ .
(٣) وكانت وفاة إياس سنة ١٢٢ (٤) كان الكندي فيلسوف العرب في عصره ،
وأحد أبناء الملوك من كندة ، نشأ في البصرة ، وانتقل إلى بغداد ، وكان من أعرف
الناس بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك . وقد ترجم عدد من كتبه إلى
اللاتينية ، وكانت وفاته نحو سنة ٢٦٠

كنتُ يوماً عند العباس بن خالد ، وكان ممن حَبَّبَ اللهُ إليه أن يتحدَّثَ ، فأخذ يُحدِّثُنِي ، ويتنقلُ من حديثٍ إلى حديثٍ ، وكنا في صحْنٍ له ، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا إلى موضعٍ آخر ، حتى صار الظلُّ فَيْئاً ؛ فإما أَكْثَرَ وَأَضَجَرَ ، ومِلتِ حُسْنَ الأدبِ في حُسْنِ الاستماعِ ، وذَكَرتُ قولَ الأوزاعي : إن حَسْنَ الاستماعِ قوَّةٌ للمحدِّثِ ، قلتُ له : إذا كنتُ وأنا أسمعُ قد عَمِيتُ بما لا كُفَّةَ عليَّ فيه ، فكيف أراك وأنتَ المتكلمُ ؟ فقال : إنَّ الكلامَ يَحُلُّ الفُضولَ اللَّزجةَ الغليظةَ التي تعرض في اللَّهواتِ وأصلِّ اللسانِ ومنايِبِ الأَسنانِ ، فوثبتُ وقلتُ : لا أراي معكَ اليومِ إلا « إِيَارَجِ الْفَيْقِرَا » ؛ فأنتَ تَتَفَرَّغُ عَنِّي ! فَاجْتَهِدْ في أنْ أَجْلِسَ فلم أَفْعَلْ .

قال أحمد بن الطيب : كنا مرَّةً عند بعضِ إخواننا ، فتكلَّمَ وأعجَبَ من نفسه البيانِ ، ومِنَّا حَسْنُ الاستماعِ ، حتى أَفْرَطَ ، فعرضَ لبعضِ مَنْ حَضَرَ مَلَلٌ ، فقال : إذا بارك اللهُ في الشئِ لم يَفِنْ ، وقد جعل اللهُ تعالى في حديثِ أختينا البركة ! .

ولعبد الله بن سالم الخياط في رجل كثير الكلام :
 لي صاحبٌ في حديثه البركة يزيدُ عند السكونِ والحركةِ
 لو قال لآ في قليلٍ أحرُّ فيها لردِّها بالحروفِ مُشْتَبِكِه
 ومن طرائفِ التَّطويلِ ما أنشأه البديع ، وسيمرُّ من كلامه ما هو آتقُ من
 زَهْرِ الرَّبيعِ .

[الملح]

قال الأصمعي : بالعلم وصلنا ، وبالملح نلنا ، وقال الأصمعي أيضاً : أشدَّتْ منزلةُ الملحِ
 محمد بن عمران قاضي المدينة ، وكان أعقلَ مَنْ رَأَيْتُهُ :
 يَأْيِهَا السَّائِلُ عَنْ مَنزِلِي نَزَلْتُ فِي الْخَانِ عَلَى نَفْسِي

يغدو على الخبز من خبز لا يقبل الرهن ولا ينسى^(١)
 آكل من كيسي ومن كسرتي حتى لقد أوجعني ضربتي
 فقال : اكتب لي هذه الآيات ، قلت : أصلحك الله ! هذا لا يشبهه منك ،
 وإنما يروى مثل هذا الأحداث ، فقال : اكتبها فالأشراف تُعجبهم الملح .
 وقد قال أبو الدرداء رحمه الله تعالى : إني لأستجيم نفسي ببعض الباطل ،
 ليكون أقوى لها على الحق .

[وقال ابن مسعود رحمه الله : القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فاطلبوا لها
 طرائف الحكمة] .

وقال ابن الماجشون : لقد كنّا بالمدينة وإن الرجل ليحدثني بالحديث من
 الفقه فيمليه عليّ ، ويذكر الخبر من الملح فأستعيده فلا يفعل ، ويقول : لأعطيك
 ملحى ، وأهّبك ظرفى وأدبى .

وقال ابن الماجشون : إني لأسمع بالكلمة المليحة ومالي إلا قميص واحد ؛
 فأذفعه إلى صاحبها ، وأستكسى الله عزّ وجلّ .

وقال الزبير بن بكار^(٢) : روى الغاضرى يُنارِعُ أشعبَ الطمع عند بعض
 الولاة ، ويقول : أصلح الله الأمير ! إن هذا يدخلُ علىّ في صناعتى ، ويطلبُ
 مشاركتى في بضاعتى ، وهيأته حياة قاضٍ ، والأمير يضحك ، وكانا جميعاً فرسى
 رهان ورضيعي لبان في بيأنيهما ؛ إلا أن الغاضرى [كان] لا يتخلق بالطمع
 تخلّق أشعب .

بعض ملح
 الغاضرى

وأى الغاضرى يوماً الحسن بن زيد فقال : جعلتُ فدّاك ! إني عصيت الله
 ورسوله ، قال : بس ما صنعت ! وكيف ذلك ؟ قال : لأن رسول الله صلى الله

(١) ينسى : ينسى ، من النسيئة وهي التأخير .

(٢) كان الزبير بن بكار عالماً بالأنساب وأخبار العرب ، وهو من أحفاد الزبير

ابن العوام ، ولد في المدينة ، وتولى قضاء مكة فتوفى فيها سنة ٢٥٦

عليه وسلم قال : لا يُفْلِحُ قومٌ ولو أمرهم امرأة ، وأنا أطعتُ امرأتى ، فاشتريتُ غلاماً فهرب .

قال الحسن : فاختر واحدةً من ثلاث : إن شئتَ فثمنُ الغلام ، قال : بأبي أنتَ ! فف عند هذه ولا تتجاوزها ! قال : أعرِضْ عليكِ الحصلتين ، قال : لا ، حسبي هذه .

وقد روى نحو هذا عن أشعب ، أنه قال له بعضُ إخوانه : لو صرتَ إلى العشيّة تنفرج ؟ قال : أخاف أن يجيء ثقيل ، قلت : ليس معنا ثالث ، فمضى معي ، فبدأ صلينا الظهر ودعوتُ بالطعام ، فإذا بدأقَّ يدقُّ الباب ، قال : ترى أن قد صرنا إلى مانكره ، قلت له : إنه صديق ، وفيه عشرُ خصال إن كرهتَ واحدةً منهن لم آذنْ له ، قال : هاتِ ، قلت : أولها أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التسمُّ لك ! قل له يدخل !

ورأى سفيان الثوري^(١) الغاضري وهو يضحكُ الناس ؛ فقال : يا شيخُ أو ماعمت أن لله يوماً يحسُرُ فيه المُبطلون ؟ فوجمَ الغاضري ، وما زال ذلك يُعرَفُ فيه حتى أتى الله عزَّ وجلَّ .

وأشعب الطَّمع هو أشعب بن جبَّير ، مولى عبد الله بن الزبير ، وكان أحلى أشعب المشهور بالناس . قال الزبير بن أبي بكر : كان أهلُ المدينة يقولون : تغَيَّرَ كلُّ شيءٍ إلا مَلَحَ أشعب ، وخُبِرَ أبي الغيث ، ومِشِيَّةُ بَرَّة^(٢) ؛ وكان أبو الغيث يعالج الخُبزَ بمِشِيَّة . وبرَّة بنت سعيد بن الأسود كانت من أجملِ النساء وأحسنهن مِشِيَّةً ، وأشعب يضربُ به المثلُ في الطَّمع ، وكان أشعبُ قد نشأ في حجر عائشة

(١) ولدسفيان الثوري في الكوفة سنة ٩٧ ، ونشأ نشأة أهل التقى والدين المولعين

برواية الحديث . وكانت وفاته بالبصرة سنة ١٦١ .

(٢) انظر جمال المشية وما قيل في ذلك من الشعر الجميل في كتاب (أذنان الجمال)

بنت عثمان - رحمة الله! - مع أبي الزناد^(١)، قال أشعب: فلم يرَ أن يعْلُو وأنْحَطَّ حتى بلَغْنَا الغَايَةَ .

وقال أشعب: أسألتني أُمِّي إلى بَرَّازٍ، فسألتني بعد سنة، أين بلَغْتَ؟ فقلت: في نصف العمل، قالت: وكيف؟ قلت: تعلمت النَّشْرَ وبقِيَ الطَّيِّ، قالت: أنت لا تفلح .

وسألتني صديقةٌ له خاتماً، فقالت: أذْ كَرُّكَ به، قال: أذْ كَرِّي أنك سألتني وَمَنَعْتِكِ!

وقيل له: كم كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر؟ قال: ثلثمائة عشر درهما! ثم تنسك في آخر عمره، وغزأ ومات على خيرٍ، رحمه الله تعالى! .

وقيل لأشعب: أرايتَ أطمع منك؟ قال: نعم، كلبه آكل فلان، رأيتُ رجلين يَمْضُغَانِ عَلِيسَا^(٢)، فتبعتهما فرسخين تظنُّ أنهما يأكلان شيئاً .

وأهدى رجلٌ من ولد عامر بن لؤي إلى إسماعيل الأعرج قالودجة وأشعبُ حاضر، فقال: كُؤلُ يا أشعب، فأكل منها؛ فقال: كيف ترأها؟ فقال: عليه الطلاق إن لم تكن عُمِلتَ قبل أن يُوحِيَ رَبُّكَ إلَى النَّحْلِ! أي: ليس فيها حلاوة^(٣).

وروى أبو هفان قال: دخل أبو نُوَاسٍ الحَسَنُ بن هانئ على يحيى بن خالد فقال له: أنشدني بعض ما قُلتَ، فأنشده:

إني أنا الرجلُ الحَكِيمُ بطبعه ويَزِيدُني علمي حِكَايَةَ مَنْ حَكَمِي
أَتَّبَعُ الظُّرْفَاءُ أكتبُ عنهم كما أحَدَّثتُ مَنْ أَحَبُّ فيضَحَكَا

ظرف
أبي نواس
وسرعة بديهيته

(١) أبو الزناد هو: عبد الله بن ذكوان القرشي المدني، كان من كبار المحدثين. وكان كثير الأتباع من طلاب الفقه والشعر والعربية، توفي بخاة بالمدينة سنة ١٣١

(٢) العاك: اللبان (٣) وكانت وفاة أشعب بالمدينة سنة ١٥٤

فقال له يحيى [بن خالد] : إن [أول] زَنَدِكَ لِيُورِي بِأَوَّلِ قَدْحَةٍ ، فقال ارتجالاً في معنى قول يحيى :

أما وَزَنَدُ أَبِي عَلِيٍّ إِنَّهُ زَنَدٌ إِذَا اسْتَوْرَيْتَ سَهْلَ قَدْحِكَ
 إِنَّ إِلَهَهُ لِعِلْمِهِ بَعْبَادَهُ قَدِصَّاعَ جَدِّكَ لِلسَّمَاكِ وَمَنْجَحَا
 تَأْتِي الصَّنَائِعَ هِمَّتِي وَقَرِيحَتِي مِنْ أَهْلِهَا وَتَعَافُ إِلَّا مَدْحَا

ووصف أبو عبد الله الجواز أبا نواس فقال : كان أظرفَ النَّاسِ منطلقاً ، وأغزَرهم أدباً ، وأقدرهم على الكلام ، وأسرعهم جواباً ، وأكثرهم حياءً ، وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النعمة والإشارة ، ملتف الأعضاء ، بين الطويل والقصير ، مسنون الوجه^(١) ، قائم الأنف ، حسن العينين والمضحك^(٢) ، حلو الصورة ، لطيف الكف والأطراف ؛ وكان فصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الألفاظ ، حلو الشمائل ، كثير النوادر ، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب ، رأوية للأشعار ، علامة بالأخبار ، كان كلامه شعرٌ موزون .

وأقبل أبو شراعة العبسي ، والجَمَّازُ في حديثه ، وكان أقبح الناس وجهاً ، وكانت يدُ أبي شراعة كأنها كربة نخل^(٣) ؛ فقال الجواز : فلو كانت أطرافه على أبي شراعة لَمَّ حُسْنُهُ ؛ فغضب أبو شراعه وانصرف يشتمه .

والجواز هو : أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر ، وكانوا ترجمة الجواز يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ مِنْ حَمِيرٍ ، نَالَهُمْ سِبَاءٌ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُمْ مَوَالِيهِ . وَسَلِمَ الْخَاسِرُ عَنْهُ^(٤) ، وكان الجواز من أحلى الناس حكاية ، وأكثرهم نادرة .

قال بعض جلساء المتوكل : كنا نكثر عند المتوكل ذِكْرَ الجواز حتى

(١) مسنون : مخروط (٢) المضحك : الفم (م) (٣) الكربة — بالتحريك — أصل السعفة (م) (٤) سلم الخاسر هو : سلم بن عمرو بن حماد المتوفى سنة ١٨٦ ، كان شاعراً ماجداً خيلاً . وسمى الخاسر لأنه باع مصحفها واشترى بشعنه طنبورا .

اشتاقه ، فكتبَ في حمله إليه ، فلما دخل أفتح ، فقال له المتوكل : تكلم
 فإني أريدُ أن أستبْرئَكَ ، فقال : بِحَيْضَةٍ أَوْ بِحَيْضَتَيْنِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فقال
 له الفتح (١) : قد كَلَّمْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤَلِّيكَ عَلَى الْقُرُودِ وَالسُّكَّالِ ! قال :
 أَفَلَسْتَ سَامِعًا مَطِيعًا ؟ فضحك المتوكل وأمر له بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ
 وَكَانَ لَا يُدْخِلُ بَيْتَهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ لَضِيقِهِ ؛ فَدَعَا ثَلَاثَةً ، لِجَاءَ سِتَّةٌ ،
 وَقَرَعُوا الْبَابَ ، وَوَقَفُوا عَلَى رِجْلِ رَجُلٍ فَعَدَّ أَرْجُلَهُمْ مِنْ خَلْفِ الْبَابِ ؛ فَلَمَّا
 حَصَلُوا عِنْدَهُ ، قَالَ : أَخْرِجُوا عَنِّي ، فَإِنَّمَا دَعَوْتُ نَاسًا وَلَمْ أَدْعُ كَرَكَبِي .

وقال الطائي في عمرو بن طوق التغلبي :

لأبي تمام يمدح
عمرو بن طوق

الجِدُّ شِمْتُهُ ، وَفِيهِ فَكَاهَةٌ سَجْحٌ وَلَا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ (٢)

شَرَسٌ ، وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ لِبِنِ خَلِيقَةٍ لِأَخِيرِ فِي الصَّهْبَاءِ مَا لَمْ تَقْطَبِ (٣)

وقال في الحسن بن وهب :

وله يمدح
الحسن بن
وهب

لِلَّهِ أَيَّامٌ خَطْبُنَا لِيْنَهَا فِي ظِلِّهِ بِالْخَنْدَرِيسِ السَّلْسَلِ (٤)

بِمَادِمَةِ نَعْمِ السَّمَاعِ خَفِيرُهَا لِأَخِيرِ فِي الْمَعْلُولِ غَيْرِ مَعْلَلِ (٥)

يَفْسِي عَلَيْهَا وَهُوَ يَجُؤُ مُقَلَّتِي بَارِ ، وَيَغْفَلُ وَهُوَ غَيْرُ مُغْفَلِ

لَا طَائِشٌ تَهْفُو خَلَاتُفُهُ ، وَلَا خَشِنُ الْوَقَارِ كَأَنَّهُ فِي مَحْفَلِ

فَكَيْهٌ يَجْمُ الْجِدَّ أَحْيَانًا ، وَقَدْ يُنْضَى وَيُهْزَلُ عَيْشٌ مَنْ لَمْ يَهْزَلِ

وقال فيه :

وَلَقَدْ رَأَيْتَكَ وَالْكَلامُ لِأَلِيٍّ تَوْمٌ فَبَكَرٌ فِي النُّظَامِ وَثَيْبٌ (٦)

وَكَأَنَّ قَسًّا فِي عُكَاظٍ يَخْطُبُ وَابْنَ الْمُقَفَّعِ فِي الْيَتِيمَةِ يُسْهَبُ (٧)

(١) الفتح : هو الفتح بن خاقان ، وزير المتوكل ونديعه ، وقتل معه في ليلة واحدة (م) (٢) سجع : سهل ، وفي الديوان (ص ١٣) « سجع » بالميم (م)

(٣) تقطب : تمزج (٤) الخندريس : الحمر (٥) المعلول : الذي يشرب العلل بفتحيتين ، وهو الشرب الثاني ، بخلاف النهل فهو الشرب الأول

(٦) توم : أشباه الدر (٧) اليتيمة : اسم كتاب لابن المقفع

وَكأنَ لَيْلَى الأُخَيْلِيَةِ تَتَدُبُّ وَكثِيرَ عَزَّةَ يَوْمَ بَينِ يَنْسِيبُ
يَكسُو الوِقارَ وَيَسْتخَفُّ موقِراً طَوِراً فَيَبِينُكَ سَامِعِيهِ وَيُطْرِبُ
وقال أبو الفتح البستي :

أفدِ طَبَعَكَ المَكْدُودَ بِالمِ رَاحَةً بِرَاحِ ، وَعَلَلَهُ بِشِءٍ مِنَ المَزْحِ
وَلَكِنْ إِذا أَعْطَيْتَهُ المَزْحَ فَلْيَكُنْ بِمَقْدارِ ما نَعْطِي الطِعامَ مِنَ المِلْحِ

[المزاح]

وما زال الأشراف يَمْزَحُونَ ، ويسمحون بما لا يَقْدَحُ في أديانهم ،
ولا يَغضُّ من مُرُوءِ أئِمِّهم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بعثت بالحنيفية السمحة .

وقال : إني لأَمْزَحُ ولا أَقولُ إلا حَقًّا .

وقيل لسعيد بن المسيب ^(١) : إنَّ قومًا من أهل العراق لا يَرَوْنَ إنشادَ الشعر
فقال : لَقَدْ نَسَكُوا نَسْكَاً أعْجَبِيًّا .

وقيل لابن سيرين : إنَّ قومًا يزعمون أن إنشادَ الشعر ينقض الوضوء ، فأنشد :

لقد أَصْبَحَتِ عِرْسُ الفِرْزَدِقِ نَاشِراً وَلوَرَضِيَتِ رَشْحَ أَسْتِهِ لاسْتَقَرَّتِ ^(١)
وقام يُصَلِّي ! وقيل : بل أنشد :

أُنَيْتُ أَنْ عَجُوزاً جِئْتُ أُحْطِبُهَا عَرُوقُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطَّوْلِ

[النسيب]

وقيل لأبي السائب المخزومي : أتري أحداً لا يَشْتَهِي النسيب ؟ فقال : أما من

يؤمن بالله واليوم الآخر فلا .

(١) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة : جمع بين الحديث والفقہ والزهد ، وكان يعيش
من التجارة بالزيت ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمي
راوية عمر ، وكانت وفاته سنة ٩٤

(٢) عرس الرجل — بكسر العين وسكون الراء — زوجه (م)

وروى مصعب بن عبد الله الزبيري^(١) عن عروة بن عبيد الله بن عروة الزبيري قال : كان عرووة بن أذينة^(٢) نازلاً في دار أبي بالعقيق ، فسمعته يُشَدُّ لنفسه :

إِنَّ التِّي زَعَمَتْ فَوَادِكَ مَلَّهَا خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقَتْ هَوَى لَهَا
فِيكَ الذِّي زَعَمَتْ بِهَا ، وَكَلَا كَمَا أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا يُونِغًا وَقَدْ ضَحَّيْتَ إِذْنًا لِأَظْلَمَهَا^(٣)
فَإِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةَ شَفَعِ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلِّهَا
بِيضَاءَ بَا كَرَّهَا النَّعِيمِ فَصَاعِهَا بِلِبَاقَةِ فَادِقِّهَا وَأَجْلَهَا^(٤)
لَمَّا عَرَضَتْ مُسَلِّمًا ، لِي حَاجَةٌ أَخْشَى صُعُوبَتَهَا ، وَأَرْجُو ذُلَّهَا^(٥)
مَنْعَتْ تَحْيِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا
فَدَنَا وَقَالَ : لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ فِي بَعْضِ رِقَبَتِهَا ، قُلْتُ : لَعَلَّهَا^(٦)

قال : فأتاني أبو السائب الخزومي فقلت له بعد الترحيب به : ألك حاجة .

(١) رواية أديب محدث ، وهو عم الزبير بن أبي بكر ، وكان شاعرا ، وكان أبوه عبد الله بن مصعب من أشرار الناس ، وكانت وفاة مصعب بن عبد الله في ٢ شوال سنة ٢٣٣ ، وفي الطبعة الثالثة من كتاب «حب ابن أبي ربيعة وشعره» بحث مفصل عن طريقة مصعب بن عبد الله في النقد ، ورأى الدكتور طه حسين فيه ، فليرجع إليه القارئ إن شاء (٢) هو عروة بن يحيى المتوفى سنة ١٣٠ ، كان شاعرا غزلا ، فضلا عن تقدمه في الفقه والحديث ، وهو القائل :

لَا أُرْكَبُ الْأَمْرَ تَزْرِي بِي عَوَاقِبُهُ وَلَا يِعَابُ بِهِ عَرْضِي وَلَا دِينِي

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنَى النَّفْسَ تَعْرِفُهُ وَمِنْ غَنَى فَقِيرٍ النَّفْسَ مَسْكِينِ

(٣) ضحيت : تأذت من الشمس ، وفي الأغاني قبل هذا البيت :

وَبَيْتَ بَيْنَ جَوَاعِي حُبِّ لَهَا لَوْ كَانَ تَحْتَ فِرَاشِهَا لِأَقْلَهَا

(٤) أدقها وأجلها : أدق المواضع التي يجب أن تكون دقيقة ، وأجل المواطن التي

يجب أن تكون جليلة ، فهي مثلا دقيقة الحصر ، وثيرة الردف .

(٥) ذلها : أراد سهولة قضائها وتذليلها (م)

(٦) رقبته — بكسر الراء وسكون القاف — هنا الحذر والخوف (م)

فقال : نعم أبياتٌ لعروةٌ بلغني أنك سمعته يُنشدُها ، فأنشده الأبيات ، فلما بلغت قوله :

* فدنا وقال لعلها معذورةٌ ... البيت *

طرب ، وقال : هذا والله الدائمُ الصَّباة ، الصادق العَهْد ، لا الذي يقول :

إن كان أهلك يمنعونك رَغْبَةً عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضْنُ وَأَرْغَبُ

لقد عدا هذا الأعرابي طَوْره ، واني لأرجو أن يغفر [الله] لصاحب هذه الأبيات لحسن الظنِّ بها ، وطلب العذر لها ؛ قال : فعرضت عليه الطعام فقال : لا والله ما كنت لأخلطُ بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل ، وانصرف .

وكان أبو السائب غزير الأدب ، كثير الطرب ، وله فكاهاتٌ مذكورة ، وأخبارٌ مشهورة ، وكان جدُّه يكنى أبا السائب أيضاً ، وكان خليطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا ذكره قال : نِعَمَ الخليط كان أبو السائب ! لا يُشارِي ولا يَمَارِي ^(١)

واسمُ أبي السائب عبدُ الله ، وكان أشرافُ أهلِ المدينة يستظرفونه ويقدمونه لشرفِ منصبه ، وحلاوة ظرفه .

وكان عروة بن أذينة - على زُهدِه ، وورَعِه ، وكثرةِ علمِه وفهمِه - رقيقَ الغزل كثيره ، وهو القائل :

إذا وجدتُ أوارَ الحبِّ في كِبدي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ القومِ أَتَرِدُ

هَبْنِي بَرَدْتُ ببردِ المَاءِ ظَاهِرَهُ فَمَنْ لِنَارِ عَلَى الأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ؟

وقد رَوَى هذانِ البيتانِ لغيره

(١) المشارة والمارة : العنف في المجادلة

ومرّت به سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب - رضی الله عنهم! -
فقلت له : أنت الذي تزعم أنك غير عاشق ، وأنت تقول^(١) :

قالت وأبثتُها سِرِّي فَبُحْتُ به قد كنتَ عندي تحبُّ السَّترَ فاستترِ
ألسنتَ تُبصرُ من حَوِي؟ فقلتُ له : غَطَّى هَوَاكِ وما ألتقى على بَصري
والله ما خرج هذا من قلبِ سليم ذلماً .

وروى الزبير عن رجل لم يسمه ، قال : قال لي أبو السائب : أنشدني
للأحوص^(٢) فأنشدته :

قالت - وقلت : تحرّحني وصلي
صاحبِ إذنٍ بعلِي؟ فقلت لها :
شيثان لا أدنو لوصلهما
أما الخليلُ فلستُ فاجِعُهُ
عوجاً كذا نذُكرُ لغانيةٍ
ونقلُ لها : فيمِ الصدودُ ولم
إن تُقبلي نقبلُ ونزلكم
أو تهجري تكدرُ معيشتنا
قالت : هذا والله الحبُّ حقاً ، لا الذي يقول :

وكنت إذا حيبُ رامَ هَجري وجدت وراي مُنفسحاً عريضاً

للأحوص .
في الغزل

(١) عبارة الأغاني «أنت الذي تزعم أنك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وأنتك
تقى؟ قال : نعم، قالت : أفأنت الذي تقول ، إلخ» (٢) الأحوص هو: عبدالله بن
محمد الأنصاري ، شاعر هجاء رقيق النسيب، كان معاصراً لجرير والفرزدق ، وهو من
سكان المدينة ، ونفاه الوليد بن عبد الملك إلى اليمن ، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر
عينه، وله أخبار كثيرة بين الجند والمجّون ، وكانت وفاته سنة ١٠٥ . (٣) ليس من
ضربي : ليس من طبعي وخلق (٤) عوجا معطيكم : قفا مطيكم أو ميلوا بها

ثم قال : اذْهَبْ ، فلا صَحَبِكَ اللهُ ، ولا وَسَّعَ عَلَيْكَ ^(١) !

وخرج أبو حازم يوماً يَرْمِي الجمار ، فإذا هو بامرأة حَاسِرٍ ^(٢) قد فَتَنَتْ ظرف أهل الناسَ بِجُسْنِ وجهها ، وألْهَمَهُمْ بِجمالها ، فقال لها : يا هذه ، إنك بِمَشْعَرٍ حَرَامٍ ، وقد فَتَنَتْ الناسَ وَشَغَلَتْهُمْ عن مَناسِكِهِمْ ، فاتقِ الله واستَتِرِي ؛ فَإِنَّ الله عز وجل يقول في كتابه العزيز : (وَلْيَضْرِبَنَّ بِجُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) ؛ فقالت : إني من اللاتي قيل فيهن :

أما طَتَّ كِساءَ الخَزْنِ عن حُرِّ وجهها وأرْحَتَ على المتنين بُرْدًا مهلهلا
من اللاء لم يَجْبِجُنَّ يَبْغِينِ حِسْبَةً ولكن لَيَقْتُلَنَّ البرىءَ المُعْقَلًا ^(٣)

الشعر للحارث بن خالد الخزومي . فقال أبو حازم لأصحابه : تعالوا نَدْعُ اللهُ لهذه الصورة الحسنة ألاَّ يعذبها اللهُ تعالى بالنار ! فجعل أبو حازم يَدْعُو وأصحابه يُؤْمِنُونَ ، فبلغ ذلك الشعبي ، فقال : ما أَرَقَّكُمْ يا أهلَ الحجاز وأظرفكم ! أما والله لو كان من قُرَى العراق لقال اعزبي عليك لعنة الله !

وكان أبو حازم من فضلاء التابعين ، وله مقامات جميلة من الملوك ، وكلامٌ محفوظ يدلُّ على فضله وعقله ، وهو القائل : كل عملٍ تَكَرَّرَهُ من أجله الموتُ فاتركه ، ولا يضرك متى متَّ . وكان يقول : ما أحببت أن يكون معك غذاً قدَّمه اليوم . وكان يقول : إنما بيني وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس فلا يجدون لذته ، وأنا وإياهم من غدٍ على وَجَلٍ ؛ وإنما هو اليوم ، فما عسى أن يكون اليوم ؟ وقال أبو العتاهية :

لأبي العتاهية

حتى متى نحنُ في الأيام نحسُّها وإِنما نحنُ فيها بين يومين
يومٌ تَوَلَّى ، ويومٌ نحنُ نأمله لعله أجَلُّ اليومين للحين ^(٤)

(١) الخطاب لقائل البيت الأخير (٢) امرأة حاسر وسافر : ليس على وجهها قناع
(٣) المعقل : الطيب القلب (٤) الحين — بفتح الحاء وسكون الياء — الهلاك

وروى الزبير بن أبي بكر قال : قدمت امرأة من هذيل المدينة ، وكانت جميلةً ، ومعها ابن لها صغير ، وهي أيم^(١) ، فخطبها الناسُ وأكثروا ، فقال فيها عبيدالله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

أَحِبُّكَ حُبًّا لَا يَحِبُّكَ مِثْلُهُ قَرِيبٌ وَلَا فِي الْعَالَمِينَ بَعِيدُ
أَحِبُّكَ حُبًّا لَوْ عَلِمَتْ بِبَعْضِهِ لَجَدَّتْ وَلَمْ يَصْعُبْ عَلَيْكَ شَدِيدُ
وَحَبُّكَ يَا أُمَّ الْعَلَاءِ مُنَيَّمِي شَهِيدِي أَبُو بَكْرٍ فَذَاكَ شَهِيدُ
وَيَعْلَمُ وَجَدْنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعُرْوَةُ مَا أَلْقَى بِكُمْ وَسَعِيدُ
وَيَعْلَمُ مَا أَخْفَى سَلِيمَانُ كَلَّهْ وَخَارِجَةٌ بِيَدِي لَنَا وَيَعِيدُ
مَتَى تَسْأَلِي عَمَّا أَقُولُ فَتَخْبِرِي فَلَلْحُبُّ عِنْدِي طَارِفٌ وَتَلِيدُ

لعبيد الله
ابن عبد الله
ابن عتبة

فقال له سعيد بن المسيب : قد أم^١ أن تسألنا ، ولو سألتنا ما شهدنا لك بزور . وكان عبيد الله أحدَ الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علمُ المدينة ، وقد ذكروهم عبيد الله في هذه الآيات ؛ وهم : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومي . والقاسم بن [محمد بن] أبي بكر الصديق ، وعروة بن الزبير ابن العوام ، وسعيد بن المسيب بن حزن ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد ابن ثابت الأنصاري .

فقهاء المدينة
السبعة

وقيل لعبيد الله : أتقول الشعر على شرفك ؟ فقال : لا بد للمصدر أن ينفث^(٢) ؛ وعبيد الله هو القائل :

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكِ فَلِيمِ وَالتَّامِ الْفُطُورِ^(٣)
تَغْلَغَلَ حُبٌّ عَنَّمَةٍ فِي فُؤَادِي فَبَادِيهِ مَعَ الْخَلْفَى يَسِيرُ
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ وَلَا حَزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

لعبيد الله
المسعودي أيضاً

(١) أيم : لزوج لها (٢) هدامثل ، والمصدر : المريض صدره ، وأصل النفث . نفل الريق ، ويقال « هذه نفثة مصدر » أيضاً (م) .
(٣) ليم والتأم معناهما واحد ، والفظور : جمع فطر - بالفتح - وهو الصدع .

أشبه
لقول السعودي

أخذه سلم بن عمرو الخاسر فقال :
سقتني بعينها الهوى وسقيتها
وقال أبو نواس :

فدبّ ديب الخمر في كل مفصل

لترداد اسمها فيها الأمام
مداخل لا تغلقها المدام^(١)

أحبّ اللوم فيها ليس إلا
ويدخل حبها في كل قلب

ومنه قول المتنبي :

نديم ، ولا يفضي إليه شراب

ولسر متى موضع لا يناله

وقال بعض الحديثين :

حتى حلت بحيث حل شرابي^(٢)
ما هكذا الأخباب للأخباب

مازلت تعويني وتطلب خلتي
ثم انصرفت بغير جرّم كان لي

ذبي محمد
ابن أبي أمية

أخذ أبو نواس قوله : « أحب اللوم فيها » . . . البيت من قول [أبي محمد]

ابن أبي أمية :

رسول أمين ، والنساء شهود
وذكر كرك من بين الحديث أريد
كأنى بطيء الفهم عنه بعيد

وحدثني عن مجلس كنت زينه
فقلت له ردّ الحديث الذي مضى
أناشده بالله إلا أعذته

وقول أبي نواس في البيت الأول كقوله :

ذبي نواس

فمزوجاً بتسمية الخيب
عليك ، إذا فعلت ، من الذنوب
وإن ضئت بمخوس النصيب
بغير تكلف ثمر القلوب

إذا غاديتني بصبح لوم
فإني لأعذ اللوم فيها
ولا أنا إن عمدت أرى جنانا
مقنعة بثوب الحسن ترعى

وفي جنان هذه يقول أبو نواس :

(١) لا تغلقها المدام : لا تغلق فيها . (٢) الخلة - بالضم - الصداقة والحبة (م)

ياذا الذى عن جنان ظلَّ يُخبرُنا
قالوا اشتكتك وقالت ما ابتليتُ به
بالله قلْ وأعدْ يا طيبَ الخبيرِ
أراه من حيث ما أقبلتُ فى أثرِ
ويرفع الطرفَ نحوى إن مررت به
وإن وقفت له كما يُكلمنى
حتى ليخجلنى من شدةِ النظرِ
فى الموضع الخلو لم ينطق من الحصرِ (١)
حتى لقد صار من همى ومن وطرى (٢)

وفى جنان أيضاً يقول أبو نواس، وكان بها صبياً، ولها محباً :

جنان تسبى ذُكرتُ بخير
وأن مودتى كذبٌ ومينٌ
وتزعم أنى رجلٌ خبيث
وأنى للذى تطوى بثوثٌ (٣)
وليس كذا، ولا ردُّ عليها،
ولكن اللؤلؤ هو النكوثُ
ولى قلبٌ يَنازِعنى إليها
وشوقٌ بين أضلاعى حثيث
رأتُ كلنى بها وقديمَ وجدى
فمَلتسى، كذا كان الحديثُ

[وكانت جنان مولاة لبعض الثقفين] .

وفى معنى قول ابن أبى أمية يقولُ العباسُ بن الأحنف :

وحدثنى ياسعد عنها فزدتنى
جنوناً فزدنى من حديثك ياسعدُ
وأهل المدينة أكثر الناس ظرفاً،
وأكثرهم طيباً، وأحلام مزاجاً،
وأشدُّهم اهتزازاً للسمع،
وحسن أدب عند الاستماع .
وقال عبد الله بن جعفر :
إن لى عند السماع هزة لو سُئلت
عندها لأعطيتُ، ولو قاتلت لأبليت .

شيم
أهل المدينة

وروى أبو العيناء قال : قال الأصمعى :
مررت بدار الزبير بالبصرة،
فإذا شيخٌ قديم من أهل المدينة
من ولد الزبير يكنى أبا ریحانة
جالس بالباب عليه شملةٌ
تسُرُّه، فسلمتُ عليه،
وجلستُ إليه؛ فبينما أنا كذلك
إذ طلعت علينا سويداء

طرب
أبى ریحانة

(١) الحصر : العى (٢) الوطر : الحاجة

(٣) بثوث : كثير البث لسره والتحدث عنه .

تحمل قربة ، فلما نظر إليها لم يتمالك أن قام إليها ، فقال لها : بالله غنى صوتاً .
فقال : إن موالى أعجلونى ، فقال : لا بدّ من ذلك ، قالت : أما والقربة على
كفى فلا ، قال : فانا أحملها ، فأخذ القربة منها ، فاندفعت تُغسى :

فَوَادِي أَسِيرَ لَا يُفَكُّ ، وَمُهَجَّتِي تَفِيضُ ، وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَطُولُ

وَلِي مُقَلَّةٌ قَرَحَى لَطُولَ اشْتِيَاقِهَا إِلَيْكَ ، وَأَجْفَانِي عَلَيْكَ مُهْمُولُ

فَدَيْتِكَ ، أَعْدَائِي كَثِيرٌ ، وَشُقَّتِي بَعِيدٌ ، وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلٌ (١)

فَطَرِبَ وَصَرَخَ صَرَخَةً ، وَضَرَبَ بِالْقَرْبَةِ إِلَى الْأَرْضِ فَشَقَّهَا ؛ فَقَامَتِ الْجَارِيَةُ
تَبْكِي ، وَقَالَتْ : مَا هَذَا يَجْزَأُنِي مِنْكَ ؛ أَسَعَفْتُكَ بِحَاجَتِكَ فَعَرَضْتَنِي لِمَا أَكْرَهُ
مِنْ مَوَالِي . قَالَ : لَا تَغْتَمِي فَإِنَّ الْمِصْيَبَةَ عَلَيَّ حَصَلَتْ ، وَنَزَعَ الشَّمْلَةَ وَوَضَعَ يَدًا
مِنْ خَلْفٍ وَيَدًا مِنْ قُدَّامٍ ، وَبَاعَ الشَّمْلَةَ وَابْتَاعَ لَهَا قَرْبَةً جَدِيدَةً ، وَقَعَدَ بِتِلْكَ
الْحَالِ ؛ فَاجْتَازَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ! - فَعَرَفَ
حَالَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا رِيحَانَةَ ! أَحْسَبُكَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : (فَمَا رَجَبَتْ
تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) . قَالَ : لَا يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَكِنِّي مِنَ الَّذِينَ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : (فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)
فَضْحَكَ ، وَأَمْرُهُ بِالْفِ دَرَاهِمٍ .

ومرّ بالأوقص الخزومي ، وهو قاضي المدينة ، سكران [وهو] يتغنى بليل ،
فأشرف عليه ، وقال : يا هذا ، شربت حرّاما ، وأيقظت نياما ، وغنيت خطأ ؛
خذه عنى ، وأصلح له الغناء .

وسمع سعيد بن المسيب منشداً ينشد :

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجْنَ مِنَ التَّعْنِيمِ مُعْتَمِرَاتٍ (٢)

ابن المسيب
يستمع إلى
منشد شعر

(١) فديتك : كنت فداء لك ، وشقتى بعيد : أى أن ما بينى وبين أهلى بعيد ،
والأشباع : الأنصار (م) .

(٢) السرب : القطيع من البقر والظباء ، والمراد به هنا جماعة من حسان النساء

مَرَزَنَ بَفِخٍ، ثُمَّ رُخْنَ عَشِيَّةً
 وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرَى أَعْرَضَتْ
 دَعَتْ نِسْوَةَ سُمِّ الْعَرَانِينَ بُزْلًا
 فَأَبْرَزْنَ لَهَا قَمِيحًا يَجْبِنُ دُونَهَا
 تَضَوَّعَ طَيِّبًا بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ
 يُحْبِئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى
 يُلَبِّسِينَ لِلرَّحْمَنِ مُؤْتَجِرَاتٍ (١)
 وَكَنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ
 نَوَاعِمَ، لَا شَعْمًا وَلَا غَبَرَاتٍ (٢)
 حَجَابًا مِنَ الْقَسَى وَالْحَبْرَاتِ (٣)
 بِهِ زَيْنِبٌ فِي نِسْوَةِ عَطْرَاتٍ
 وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ (٤)

فقال سعيد : هذا والله مما يلذّ استماعه ، ثم قال :

وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى وَسَعَتْ جَيْبَ دِرْعِهَا
 وَغَالَتْ بَيَانَ الْمَسْكِ وَخَفًا مَرَجَلَا
 وَقَامَتْ تَرَاءَى بَيْنَ جَمْعٍ فَأَفْتَنَتْ
 بَرُؤَيْتِهَا مِنْ رَاحٍ مِنْ عَرَافَاتٍ
 وَأَبَدَتْ بَنَانَ الْكَفِّ لِلجَمَرَاتِ
 عَلَى مِثْلِ بَدْرِ لَاحٍ فِي الظُّلَمَاتِ (٥)

قال : فكانوا يرون أنّ الشعرَ الثاني له ، والأول لحمد بن عبد الله بن تميم
 النقفى يقوله في زينب بنت يوسف أخت الحجاج ؛ [وطلبه الحجاج] حتى
 ظفّر به فقال : أنت القائل ما قلت ؟ قال : وهل قلت أصلح الله الأمير إلا :

يُحْبِئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى
 وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ
 قال له : كم كنتم إذ تقول :

* وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النَّمِيرَى أَعْرَضَتْ *

بين الحجاج
 والنميري

(١) فح : موضع بمكة (٢) العرائين : جمع عرين وهو الأنف ، وبزل : جمع بازل
 وهو البعير يبلغ تسع سنين فتكتمل قوته ، والمراد وصف هؤلاء النسوة بأنهن بلغن
 السن التي ينقلن فيها القلب من مكان إلى مكان .

(٣) القسى : نوع من اللباس ينسب إلى قرية مصرية بقرب العريش ، وأهو القزى
 فأبدلت الزاى .

(٤) الاعتجار : لبسة خاصة للمرأة (٥) وحف : أسود ، وهو صفة الشعر ،

ونرجل : المسيح .

قال : والله ما كنت إلا أنا وصاحب لي علي حمارٍ هزيل ! فضحك وعفاهه ،
وهو القائل :

لمحمد بن عبد الله
ابن عمير الثقفي

أَهَاجَتَكَ الطَّعَانُ يَوْمَ بَانُوا بَدَى الزُّيِّ الْجَمِيلِ مِنَ الْأُنَاثِ (١)
طَعَانٌ أَسْلَكَتُ فِي بَطْنِ قَوْ تَحْتِ إِذَا رَنْتُ أَى اخْتِشَاتِ
كُنَّ عَلَى الْمَوَادِجِ يَوْمَ بَانُوا نِمَاجًا تَرْتَعَى بَقْلَ الْبِرَاثِ (٢)
يَهَيِّجُكَ الْحَمَامُ إِذَا تَغَيَّ كَمَا سَجَعِ النَّوَادِبِ بِالْمُرَاثِي

[من أدب ابن المعتز]

وقال ابن المعتز : وَعَدُّ الدُّنْيَا إِلَى خَلْفِ ، وَبِقَاوِهَا إِلَى تَلْفِ ، وَبَعْدَ عَطَائِهَا
الْمَنْعِ ، وَبَعْدَ أَمَانِهَا الْفَجْعَ ، طَوَاحِ طَرَّاحَةَ ، أَسِيَّةَ جَرَّاحَةَ ، كَمِ رَاقِدٍ فِي ظِلِّهَا
قَدْ أَيْقَظَتْهُ ، وَوَاتِقٍ بِهَا قَدْ خَانَتْهُ ، حَتَّى يَلْفِظَ نَفْسَهُ ، وَيُودِعَ دُنْيَاهُ ، وَيَسْكُنَ
رَمْسَهُ ، وَيَنْقَطِعَ عَنِ أَمَلِهِ ، وَيُشْرِفَ عَلَى عَمَلِهِ ، وَقَدْ رَجَحَ الْمَوْتَ بِحَيَاتِهِ (٣) ، وَتَقَضَّ
قُوَى حَرَكَاتِهِ ، وَطَمَسَ الْبِلَى جَمَالَ بَهْجَتِهِ ، وَقَطَعَ نِظَامَ صُورَتِهِ ، وَصَارَ كَحِطَّاءٍ مِنْ
رَمَادٍ تَحْتَ صَفَائِحِ أَنْضَادِ (٤) ؛ وَقَدْ أَسْلَمَهُ الْأَحْيَابُ ، وَافْتَرَشَ التُّرَابَ ، فِي بَيْتِ
نَجْرَتِهِ الْمَعَاوِلِ (٥) ، وَفُرِشَتْ فِيهِ الْجُنَادِلُ ، مَا زَالَ مُضْطَرِّبًا فِي أَمَلِهِ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ
فِي أَجَلِهِ ، وَبَحَثَ الْأَيَّامُ ذِكْرَهُ ، وَاعْتَادَتِ الْأَلْحَاطُ فَقْدَهُ .

بين ابن المعتز
وأستاذه ثعلب

وكتب وهو معتقل إلى أستاذه أبي العباس أحمد بن يحيى
ثعلب (٦) يتشوقه :

مَا وَجَدُ صَادِرَ الْجِبَالِ مُوتِقٍ بِمَاءِ مَزْنٍ بَارِدٍ مُصَفَّقٍ (٧)

- (١) الطعان : جمع ظعنينة ، وهي المرأة في الهودج ، والأنث : متاع البيت .
(٢) البراث : الأرض السهلة . (٣) رحج : مال كما ترجح كفة الميزان (م) .
(٤) صفائح أنضاد : انصافح الحجارة العريضة ، وأنضاد : جمع تضد ، وهو المنحوت
باستواء (٥) العاول : جمع معول ، وهو آلة كالقنوم (٦) كان ثعلب من أصدق أهل
العربية لسانا ، وأبعدهم ذكرا ، وأثبتهم حفظا ، وكان في رأى البرد أعلم الكوفيين . توفي
في جمادى الآخرة سنة ٢٩١ (٧) مصفق : صففته الريح : أى لعبت به حتى لكأ أنه يصفق

بالريح لم يكدر ولم يرتق
بصخرة إن ترَ شمسًا تبرق
صريح غيث خالص لم يمدق
يا فاتحاً لكل باب مُعلق
إن قالَ هذا بهرج لم ينفق
إنّا على البعاد والنفق
لنلتق بالذكر إن لم نلتق

فأجابه : أخذت أطل الله بقاءك أول هذه الآيات مما أمليته عليك من قول جميل (٥) :

وما صاديّاتٌ مُحنّ يوماً وليلةً
كواعبُ لم يصدرون عنه لوجهة
يرين حباب الماء والموتُ دونه
بأكثر منى غلّةً وصباةً
على الماء يخشين العصى حوائى
ولا هنّ من برد الحياض دوانى
فهنّ لأصوات الشقاة روانى
إليك ، ولكن العدوّ عرانى
وأخذت آخرها من قول رؤبة بن العجاج (٦) :

(١) الأخلاف : الأثناء يفيض منها اللبن ، والدجن المطبق : هو السحاب المترام
(٢) ماد : مال (٣) لم يمدق : لم يمزج ، يشبه الغيث القوي بالخر الصرفة تصرع الشارين
(٤) الصيرفى : الرجل الحاذق فى تمييز النقود ، ويريد به هنا البصير بنقد القول
(٥) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذرى ، وهو شاعر أذاب قلبه بالحنين إلى معشوقته بثينة ، وكانت سكينه بنت الحسين تقدمه على الشعراء الغزلين ، لقوله :
يقولون : جاهد يا جميل بغزوة ، وأى جهاد غيرهن أريد ؟
لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتل عندهن شهيد
وكانت وفاته سنة ٨٢

(٦) راجز فصيح من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر مقامه بالبصرة ، ومات فى البادية سنة ١٤٥ فقال الخليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة .

إِنِّي وَإِنْ لَمْ تَرَنِي فَإِنِّي أَخْوَكُ وَالرَّاعِي إِذَا اسْتَرَعَيْتَنِي
أَرَاكَ بِالْوُدِّ وَإِنْ لَمْ تَرَنِي
قال : فاستخفني في ذلك ونسب إلى سوء الأدب .

بعض أخبار
ابن المعتز
والمختار من
قوله

وكان أبو العباس عبدُ الله بن المعتز في المنصب العالي من الشعر والنثر ، وفي
النهاية في إشراق ديباجة البيان ، والغاية من رقة حاشية اللسان . وكان كما قال
ابن المرزبان : إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النثر أتى بحلال السحر ،
وليس بعد ذى الرمة^(١) أكثر افتناناً وأكبر تصرفاً وإحساناً في التشبيه منه .
وإنما فرقت جملة ما اخترت من شعره ونثره في جملة هذا الكتاب ؛ لئلا أخرج
عما تقدم به التشرط في البسط ، وآتى هنا ببعض ما اختاره له ، قال :

وَفَتِيَانٍ سَرَوْا وَاللَّيْلُ دَاجٍ وَضَوْهُ الصَّبْحُ مَتَهُمُ الطَّلُوعُ
كَأَنَّ بَرَاتِهِمْ أَمْرًا جَيْشٍ عَلَى أَكْتَفِهِمْ صَدَأُ الدَّرُوعُ
وقال أيضاً :

فِي لَيْلَةٍ أَكَلُ الْحَاقُ هِلَالَهَا حَتَّى تَبْدَى مِثْلَ وَقْفِ الْعَاجِ^(٢)
وَالصَّبْحُ يَتَلَوُ الْمُشْتَرَى فَكَأَنَّهُ عُرْيَانٌ يَمْشِي فِي الدُّجَا بِسِرَاجِ^(٣)
وقال أيضاً يصف فرساً :

وَلَقَدْ غَنَدَوْتُ عَلَى ظَمِيرٍ سَاحِحٍ عَقَدْتُ سَنَابِكُهُ عَجَاجَةً قَسَطَلِي^(٤)

(١) ذو الرمة هو: غيلان بن عقبة، أحد فحول الشعر في عصره ، قال فيه أبو عمرو
ابن العلاء : «فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة» ولعل ذلك لأنه كان يكثر
من التشبيب وبكاء الأطلال، ولأن ديباجته كانت بدوية خالصة ، توفي بأصبهان سنة ١١٧
(٢) وقف العاج : هو القطعة من العاج يمسك بها الثوب كالدبوس ونحوه
(٣) الدجى : جمع دجية ، وهي الظلمة (٤) ظمر : حصان سريع الجرى كأنما هو
من طار : أى من مكان مرتفع ، وسنابك الجواد : حوافره ، والعجاجة : السحابة ،
والقسطل الغبار .

مثلهم لجم الحديد يبوكرها
 ومججل غير اليمين كأنه
 وقال :

قد أعتدي بقارح
 ينفي الحصى بحافر
 قد ضحكت غرته
 في موضع التقطيب^(٣)

وقال أيضاً :

ولقد وطئت الغيث يحملني
 خماع أطراف الصوار فما الأخرى عليه إذا جرى بأشد^(٤)
 يمشى فيعرض في العنان كما
 صدق المعشق ذو الدلال وصد
 فكأنه موج يذوب إذا
 أطلقتها فإذا حبست جمداً
 وقال أيضاً يصف سيفاً :

ولي صارم فيه المنايا كوامين
 ترى فوق متنيه الفرند كأنه
 ف يندتصى إلا لسفك دناء
 بقية غيم رقق دون سماء
 وقال يصف ناراً :

مُشَهَّرَةٌ لا يحجب النخل ضوءها
 يُفَرِّجُ أغصان الوقود اضطرأها
 كأن سيوفاً بين عيدانها تُجلى
 كاشفت الشقراء عن متنها جلاً^(٥)

(١) اللجم : جمع لجام ، والإسجل بالكسر : شجر يستاك به

(٢) القارح من ذى الحافر : ما طعن نابه ، وذلك في السنة التاسعة . والسوم

المعلم ، واليعيوب : السهل الجرى في بدوه

(٣) التقطيب : العبوس

(٤) الصوار : القطيع

(٥) الشقراء : فرس زهية بن جذعة ومنتها : ظهرها ، والجل بالضم انسرج (م)

للسرى الرفاء

وقال بعض أهل العصر ، وهو السرى الموصلى^(١) :

يوم رذاذُ مَمَّسِكَ الحُجْبِ يَضْحَكُ فِيهِ السَّرورُ من كَثَبِ^(٢)
 ومجلسِ أُسْبِلتِ ستائرُهُ على شَموسِ البهاءِ والحسبِ
 وقد جرتِ خيلُ راحنا خَبِيًّا في حَلِيهاً أو هَمَمِنَ بالِجَبِ^(٣)
 والتهمت نارنا فمَنظَرُها يُغْنِيكَ عن كلِّ مَنظَرٍ عَجَبِ
 إذا ارتمت بالشرارِ فاطَّردتِ على ذَرَاها مَطَّارِدُ اللَّهَبِ
 رأيتَ يا قـوتـةً مشبَكَةً تطيرُ عنها قُرَاصَةُ الذهبِ
 فانهض إلى المجلسِ الذي ابتست فيه رياضُ الجمالِ والأدبِ
 وقال بعض أهل العصر ، وهو أبو الفرج البيهقي^(٤) :

لأبي الفرج
البيهقي

فَحَمًّا قَدَمَ العِلامِ فَأَهْدَى في كَوائِنِهِ حَيَاةَ النُّفوسِ
 كانَ كالآبِنُوسِ غَيْرِ مَحَلِّي فعدا وهو مُذْهَبُ الآبِنُوسِ
 لقي النارَ في ثيابِ حِـ دَادِ فكستهُ مُصَبَّغَاتِ عَرُوسِ
 وقال أبو الفضل الميكالي :

لأبي الفضل
الميكالي

كأنَّ الشَّرارَ على نارِنا وقد راقَ مَنظَرُها كلَّ عَيْنِ
 سَحَّالَةٌ تَبِيرُ إذا ما علا فأبَّما هَوَى ففتاتِ اللُّجَينِ^(٥)

لابن المعتز

وقال ابن المعتز يصف سحابة :

(١) هو السرى الرفاء ، المتوفى ببغداد سنة ٣٦٦ . وسمى الرفاء لأنه كان في صباه يرفو الثياب ، وهو جيد الشعر ، كثير الولوج بالأوصاف والتشبيهات (٢) الرذاذ : منظر الضعيف . والكثب بالتحريك : القرب (٣) الحجب : ضرب من العدو ، وهو أن يتقل الفرس أيامه جميعا وأياسره جميعا ، أو أن يراوح بين يديه (٤) هو عبد الواحد بن نصر ، المتوفى سنة ٣٩٨ . كان من أهل نصيبين ، واتصل بسيف الدولة ، ودخل الموصل وبغداد ونادم الملوك والرؤساء (٥) السحالة : النخالة

وَمُوقِرَةٌ بِثِقَلِ الْمَاءِ جَاءَتْ تَهَادَى فَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّيَّاحِ (١)
 وَهَطْلًا مِثْلَ أَفْوَاهِ الْجِرَاحِ
 كَانَ سَمَاءَهَا لَمَّا تَجَلَّتْ خِلَالَ انْجُمِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ
 رِيَاضٌ بَنَفْسَجٍ حَضِلٍ ثَرَاهُ تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوْرُ الْأَفَاحِ (٢)
 وَقَالَ :

وَأُجَّةٌ لِلْمَنَايَا خُضَّتْ غَمْرَتُهَا بِصَارِمٍ ذَكَرٍ صَمَّامَةٍ خَدِمِ (٣)
 وَقَارِحٍ صَبَّغَ الْخِلْيَانَ دُهُمَّتَهُ بِشُهْبَةٍ كَاخْتِلَاطِ الصُّبْحِ بِالظُّلْمِ (٤)
 وَقَالَ :

وَلَيْلٌ كَكُحْلِ الْعَيْنِ خُضَّتْ ظِلَامَهُ بِأَزْرَقٍ لَمَاعٍ وَأَبْيَضَ صَارِمٍ
 وَمَضْبُورَةِ الْأَعْضَادِ حَرْفٍ كَأَنَّهَا تَصَافِحُ رَضَارِضِ الْحَصَى بِمَنَاسِمِ (٥)
 وَقَالَ يَصِفُ حَيَّةً :

نَعَتْ رِقْطَاءَ لَا تَحْيَا لَدَيْعَتُهَا لَوْ قَدَّهَا السَّيْفُ لَمْ يَلْعَقْ بِهِ بَلَلٌ (٦)
 تَلْقَى إِذَا انْسَلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا كَأَنَّهَا كَمُ دِرْعٍ قَدَّهُ بَطَلٌ
 وَقَالَ أَيْضًا :

وَأَسَارُ مَنِ الدَّهْرُ عَضِبًا مُهَنَّدًا يُفْلُ شَبَا حَظِّي ، وَقَلْبًا مَشِيْعًا (٧)
 وَرَأَى كَمْرَاةَ الصَّنَاعِ أَرَى بِهِ سِرَائِرَ غَيْبِ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ مَاسَعَى

(١) موقرة: مثقلة (٢) خضل: ندى (٣) خذم: قاطع (٤) قارح: الفارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الإبل، وهو الذى قوى يبلوغه تسع سنين، والخيلان: جمع خال وهو شامة فى البدن. والدهمة: السواد، والشهبة: لون بين السواد والبياض (٥) الأعضاد: جمع عضد، ومضبورة: محكمة الخلق مكثرة اللحم. وحرف: ضامرة. ورضاراض الحصى: صغارها، والمناسم: جمع منسم وهو خف البعير

(٦) رقطاء: منقطة - وانظر ديوانه (٤/١١٣) (٧) (٢)

(٧) أسار: أبقى، والشيع: الشجاع

أخذه من قول المنصور لابنه المهدي : لا تُبْرِمَنَّ أماً حتى تفكر فيه ؛ فإن
فِكْرَةَ العاقل مرآته ، تریه قبحه وحسنه .

ولما دُفِنَ المنصور وقف الربیعُ علی قبره فقال : رَحِمَكَ اللهُ يا أمير المؤمنين ،
وغفر لك ! فقد كان لك حَمِيٌّ من العقل لا يطيرُ به الجهل ، وكنت ترى باطنَ
الأمر بمرآةٍ من الرأى ، كما ترى ظاهره . ثم التفت إلى يحيى بن محمد أخى المنصور
فقال : هذا كما قال أبو دَهَبَلِ الجحى ^(١) :

عُقِمَ النساءُ فما يَلِدُنَّ شَبِيهَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقِمَ ^(٢)
وبعدہ ^(٣) :

متهللٌ بِنَعَمٍ ، بِلامْتَبَاعِدُ سَيَّانٍ مِنْهُ الوَفْرُ والعدم ^(٤)
نَزَرُ الكَلَامِ مِنَ الحياءِ تَحَالُهُ ضَمِنًا ، وليس بجسمه سَقَمٌ ^(٥)
أخذ البيت الأخير من قول ليل الأخيلىة ^(٦) :
لا تَقْرَبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ إِنَّ ظالماً يوماً وإن مظلوماً

(١) فى الأصل «أبو دعبل» وهو تحريف (٢) عقم: جمع عقيم، وهى المرأة العاقرة
وقبل هذا البيت كما فى الحماسة :

إن البيوت معادن فنجاره ذهب وكل بيوته ضحم
والنजार : الأصل (٣) هذا استطراد من المؤلف (٤) الوفروالعدم : الغنى والفقر
(٥) ضمن : مريض (٦) هى لىلى بنت عبدالله، اشتهرت بأخبارها مع توبة، وله
فيها شعر جميل ، وهى أشهر النساء الشواعر بعد الخنساء ، توفيت نحو سنة ٧٥
وأول هذه المقطوعة كما فى ديوان الحماسة :

يا أيها السدم الملوى رأسه ليقود من أهل الحجاز بريما
أتريد عمرو بن الخليع ودونه كعب ؟ إذن لوجدته مرءوما
إن الخليع ورهظه فى عامر كالقلب ألبس جوجواً وحزبما
السدُم : الفحل الهائج . والبريم : الجيش المؤلف من أخلاط الناس . والمرءوم :
المخوَّاط بالعطف ، والجوجوؤ : الصدر

قوم رِبَاطُ الخيل حَوْلَ بِيوتِهِمْ وَأَسِنَّةُ زَرْقٍ يُخَلِّنَ نُجُومًا
وممَزَّقَ عَنْهُ القميصَ تَحَالَهُ وَسَطَ البيوتِ من الحياءِ سَقِيمًا
حتى إِذَا رُفِعَ اللوَاهُ رَأَيْتَهُ يَوْمَ الهِجَابِ عَلَى الحَمِيسِ زَعِيمًا^(١)
وقال :

يُشَبِّهُونَ ملوكًا في تَجَلَّتْهُمْ وَطُولَ أَنْصِبَةِ الأَعْنَاقِ وَاللَّمَمِ^(٢)
إِذَا بَدَأَ المِسْكُ يُجْرِي فِي مَقَارِقِهِمْ رَاحُوا كَأَنَّهُمْ مُرَضَى من الكرمِ
وقال أبو علي الحاتمي : وما أحسن أبياتنا أنشدتها أبو عمر المطرز غلام ثعلب
يعترض في أثناءها هذا المعنى :

تَحَالَهُمْ لِلحلمِ صَمًّا عَنِ الخَلْبِ وَخُرُوسًا عَنِ الفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَاتُرِ^(٣)
وَمَرَضَى إِذَا لَاقَوْا حَيَاءً وَعِفَّةً وَعِنْدَ الحروبِ كَالليوثِ الخَوَادِرِ^(٤)
لهم عَزٌّ، إِنْصَافٌ وَذَلٌّ تَوَاضَعُ بِهِمْ وَلَهُمْ ذَلَّتْ رِقَابُ العِشْطَرِ
كَأَنَّ بِهِمْ وَصَمًّا يَخَافُونَ عَارَهُ وَليْسَ بِهِمْ إِلَّا اتِّقَاءُ المَعَايِرِ^(٥)
وَأَنْشِدُ :

أَحلامَ عَادٍ لَا يَخَافُ جَلِيسَهُمْ - وَإِنْ نَطَقَ العوراءُ - عَيْبَ لِسَانِ
إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يَخْشَ سِوَهُ اسْتِماعَهُمْ وَإِنْ حَدَّثُوا أَدَّوْا بِجُسْنِ بِيَانِ

- (١) اللوَاهُ: الراية، والحَمِيسُ: الجيش؛ لأنه خمس فرق: المقدمة، والقاب، والميمنة، والميسرة، والساقة. والزَعِيمُ: الرئيس
(٢) الأنصِبَةُ: جمع نصاب، وهو الأصل الذي ركب فيه العنق
(٣) التَهَاتُرُ: تبادل السباب الباطل (٤) الخَوَادِرُ: جمع خادر، وهو الليث يلزم
أجمته (٥) المَعَايِرُ: المعايير

وقال ابن المعتز :

وعاقِدِ زُنَّارٍ عَلَى غُصْنِ الْأَسِ
سَقَانِي عُقَارًا صَبَّ فِيهَا مِرْأَجَهَا

دقيق المَعَانِي مُخْطَفِ الْحَصْرِ مَيَّاسٍ^(١) لابن المعتز
فَأُضْحِكَ عَنْ نَعْرِ الْحَبَابِ فَمِ الْكَاسِ

وقال :

يَالَيْلَةَ نَسِيَ الزَّمَانُ بِهَا
فَاحِ الْمَسَاءِ بِيَدِهَا ، وَوَشَّتْ
ثُمَّ انْقَضَتْ وَالْقَلْبُ يَنْتَبِعُهَا

أَخْدَاتِهِ ، كُونِي بِلا فَجْرٍ
فِيهَا الصَّبَا بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ
فِي حَيْثُ مَاسَقَطَتْ مِنَ الدَّهْرِ^(٢)

وقال :

يَا رَبِّ إِخْوَانٍ صَحْبَتَهُمْ
لَوْ تَسْتَطِيعُ قُلُوبُهُمْ نَفَرَتْ

لَا يَمْلِكُونَ لِسَلْوَةٍ قَلْبًا
أَجْسَامَهُمْ فَتَعَانَقَتْ حُبًّا^(٣)

هذا كقول ابن الرومي :

أَعَانَتْهُ وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشْوُوقَةٌ
وَأَلْتَمَّ فَاهُ كَمَا تَزُولُ حَرَارِي

إِلَيْهِ ، وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانِي ؟ لابن الرومي
فِي شِدَّةِ مَا أَلْتَمَّ مِنَ الْهَيْمَانِ
لِيُرْوِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّفْتَانِ

سَوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانَ يَمْتَرِجَانِ
كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ

ومن مشوره : لا يزال الإخوانُ يسافرون في المودّة ، حتى يبلغوا الشّقة ، من ثرا ابن المعتز
فإذا بلغوها ألقوا عصا التّسيار ، واطمأنّت بهم الدار ، وأقبلت وفودُ النّصائح ،
وأمنت حبايا الضمائر ، فحلوا عقد التحفظ ، ونزعوا ملابس التخلّج .
وله : سار فلان في جيوش عليهم أردية السيوف ، وأقمصة الحديد ،

(١) الزنار : رباط يشد به الحصر - ومخطف الحصر : ضامره ، ومثله أخطف
ومخطوف (٢) هذا البيت غاية في روعة الخيال (٣) نفرت : سعت - والذي
في الديوان (١٢٦) فقدت * أجسادها وتعانقت حبا (م)

وكانَ رِمَاحَهُمْ قِرونُ الوُغُولِ^(١) ، وكانَ ذُرُوعَهُمْ زَبَدُ العِيولِ ، على خيَلِ
 تَأْكُلُ الأَرْضَ بِجِوَاهِهَا ، وَتَمُدُّ بِالنَّعَمِ سُرَادِقَهَا^(٢) ، قد نُشِرتْ في وجِوهِها
 غُرُورٌ كأنَّها صِخَائِفُ الرِّقِّ^(٣) ، وَأَمْسَكْها تَحمِيلٌ كأنَّه أسُورَةُ اللِّجِينِ^(٤) ، وفُرِّطَتْ
 مُذْرَأًا كأنَّها الشَّنْفُ^(٥) ، تَتَلَقَّفُ الأعداءَ أوائلُهُ ولم تَنْهَضْ أوَاخِرُهُ ، قد صَبَّ
 عَلَيْهِمُ وقارُ الصِّبرِ ، وهَبَّتْ مَعَهُمُ رِيحُ النَّصْرِ .

وله في عليل : آذَنَ اللهُ في شِفاثِكَ ، وَتَلَقَّى داءَكَ بِدِوائِكَ ، وَمَسَحَ بِيدِ
 العَاقِبَةِ عَلَيْكَ ، وَوَجَّهَ وَفَدَّ السَّلامَةَ إِلَيْكَ ، وَجَمَلَ عِلَّتَكَ ما حِيةً لِدُنُوبِكَ ،
 مِضاغِفَةً لِثِوابِكَ .

وكتب إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب^(٦) في يوم عيد : أَخَّرْتَنِي العِلمَةَ
 عن الوَزيزِ أَعْزَهُ اللهُ ، فَخَضِرْتَ بالدِعاءِ في كِ... بَوبَ عَني ، وَيَعْمُرُ ما أَخَلَّتْهُ
 العِوائِقُ مِنِّي ، وَأنا أَسأَلُ اللهُ تَعالَى أنْ يَجْعَلَ هَذا العِيدَ أَعْظَمَ الأعيادِ السالِفةِ
 بِرِكةً على الوَزيزِ ، وَدونَ الأعيادِ المُستَقبِلةِ فيما يُحِبُّ وَيُحِبُّ لَه ، وَيَقْبَلُ ما تَوسَلُ
 بِهِ إلى مَرَضاتِهِ ، وَيُضاغِفُ الإِحسانَ إِلَيْهِ ، على الإِحسانِ مِنْهُ ، وَيَمْتِنَهُ بِصِجْبَةِ
 النِّعْمَةِ وَلباسِ العَاقِبَةِ ، وَلا يُرِيهِ في مِسرَّةٍ نِقصاً ، وَلا يَقْطَعُ عَنْهُ مَزيداً ، وَيجْعلُنِي
 مِنْ كُلِّ سِوءٍ فِدَاءً ، وَيُصِرِّفُ عِيونَ العِبارِ عَنْهُ ، وَعَن حِظِّي مِنْهُ .

(١) الوغول : جمع وعل ، وهو التيس الجبلي . (٢) النقع : غبار الحرب

(٣) الرق ، بالفتح ويكسر : جلد رقيق يكتب فيه (٤) اللجين : الفضة

(٥) الشنف : بالفتح : القرط ، والعذر بضمين : جمع عذار

(٦) وزير من أكابر الكتاب ، استوزره المعتد على الله وأقره بهده المعتصد ،

واستمرت وزارته عشر سنين وخمسين يوماً ، وكانت وفاته سنة ٢٨٨ . وهو الذي قال

فيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين وزر للمعتصد :

أَبى دَهرِنا إِنْصافِنا في نِفاوسِنا وَأَنْصَفْنا فِيمَنْ نَحبُ وَنَكرِمْ

قَلَّتْ لَه : نِعاكَ فِهمِ أَمِها وَدَعِ أَمِنا ؛ إِنْ الأَمُّ مِقدم

وله إلى بعض الرؤساء : لَا تَشْنِ حُسْنَ الظَّفَرِ بِقُبْحِ الْإِنْتِقَامِ ، وَتَجَاوِزَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ لَمْ يَسْلُكْ مِنَ الْإِعْذَارِ طَرِيقًا^(١) حَتَّى اتَّخَذَ مِنْ رَجَاءِ عَفْوِكَ رَفِيقًا .

وله اعتذار إلى القاسم بن عبيد الله : تَرَفَّعَ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بُرِيئًا ، وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ ، وَأَلْتَمَسَ الْإِقَالَةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ ؛ لَتَزِدَادُ تَطَوُّلًا ، وَأَزْدَادُ تَدَلُّلًا ؛ وَأَنَا أُعِيدُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرْمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا ، وَأَحْرُسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يَحَاوِلُ إِفْسَادَهَا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ ، بِقَدْرِ وَدِّي لَكَ ؛ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ ، بِحَيْثُ اسْتَحَقُّ مِنْكَ .

وله إليه : لَوْ كَانَ فِي الصَّمْتِ مَوْضِعٌ يَسَعُ حَالِي لَخَفَّفْتَ عَنْ سَمْعِ الْوَزِيرِ وَنَظَرِهِ ، وَلَمْ أَشْغَلْ وَجْهًا مِنْ فِكْرِهِ ، وَمَا زَالَتِ الشُّكُوى ، تُعْرِبُ عَنْ لِسَانِ الْبَلْوَى ، وَمِنْ اخْتَلَّتْ حَالُهُ ، كَانَ فِي الصَّمْتِ هَذَا كُنْهُهُ ، وَقَدْ كَانَ الصَّبْرُ يَنْصُرُنِي عَلَى سِتْرِ أَمْرِي حَتَّى خَذَلَنِي .

وهذا كقول أحمد بن إسماعيل : فَصَاحَةُ الشُّكُوى ، عَلَى قَدْرِ الْبَلْوَى ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِالشَّاكِي انْقِبَاضٌ ، وَبِالنَّشْكُرِ إِلَيْهِ إِعْرَاضٌ .

[وصف الماء وما يتصل به]

وقد أحسن أبو العباس بن المعتز في صفة الماء في أرجوزته التي أنشدتها آنفًا ، لابن المعتز
يصف ماء
وقد قال في قصيدة له وذكر إبلاً :

فَتَبَدَّيْ لَهْنَ بِالنَّجْفِ الْمُدُّ بِرِ مَاءِ صَافِي الْجَمَامِ عَرِي^(٢)

(١) الإعذار : ابداء العذر ، وفي الأصل «الأقدار» وهو تحريف

(٢) النجف ، محر كة وهاء ، مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد ويكون في بطن الوادي وقد يكون بيطن من الأرض . والجمام : جمع جم ، وهو الماء الكثير ، والمرى : الهنيء

يتمشى على حصي يسلب الما
وإذا داخلته دُرَّةُ شمسٍ
قَدَاهُ قَمْتُهُ مَجْلِي^(١)
خِلْتَهُ كَسَّرَتْ عَلَيْهِ الخُلِيَّ

وقال^(٢):

وله أيضاً
بحن للدوية
ويصف ماء

لا مثل منزلة الدُّويرة منزل
بُؤْساً لدهرٍ غَيْرَتِكَ صروفهُ
لم يحلُّ للعينين بعدك منظرهُ
أى المعاهد منك أُنْدُبُ طيبهُ
أم يرَدُ ظلك ذى الفصون وذى الجنى
وكانما سطعت مجامرُ عنبر
وكانما حصنناه أرضك جَوْهَرُ
[وكانما أيدى الربيع ضحيه
وكان دِرْعاً مُفْرَغاً من فِضَّةٍ

لعاتكة المرية
في وصف ماء

وعشقت عاتكة المرية ابن عم لها فراودها عن نفسها فقالت :

فما طعم ماء أى ماء تقوله
بمنعرج من بطن وادٍ تقابلت
نفت جَرِيَّةِ الماء القذى عن متونه
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه
تحدّر عن غرّ طوال الذوائب
عليه رياح الصيف من كل جانب
فما إن به عيب تراه لشارب
تقى الله واستحياه بعض العواقب
وأشد الأصمعي قال : أنشدني أبو عمرو بن العلاء لجابر بن الأرق ، وقال :

هو أحسن ما قيل في معناه :

- (١) من حق العربية عليه أن يقول « فتمته مجلو » فإن فعله جلاء مجلوه (م) .
(٢) هذه الكافية من أروع ما قال ابن المعتز ، وقد ترجمتها إلى الفرنسية في كتابي

La prose arabe au ive siècle de l'hegire

- (٣) الدويرة : محلة ببغداد (٤) رواية الديوان (أم برد ظلك ذى العيون وذى
الحيا) والميثاء : اللينة (٥) فأرالمسك : ما محمد من دم الغزال (٦) ضحية : تصغير
ضحوة ، واتصابه على الظرفية الزمانية (م) (٧) مفرغ : مصبوب

أَيَا وَيُحَ تَنْفِسِي كَمَا التَّخْتُ لَوْحَةً (١) عَلَى شَرَبَةٍ مِنْ مَاءِ أَخْوَاضِ مَارِبِ (٢)
 بَقَايَا نَطَافٍ أَوْ دَعِ الْغَيْمِ صَفْوَهَا مَصْقَلَةٌ الْأَرْجَاءِ زُرُقِ الْمَشَارِبِ (٣)
 تَرَفَّرَقَ دَمْعُ الْمُنِّ فِيهِنَّ وَالتَّوَتَّ عَلَيْهِنَ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْغَرَائِبِ
 وَأَنْشَدَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِلْأَيْرِدِ الْيَرْبُوعِي ، وَرَوَيْتَ لِمُضَرَّسِ بْنِ رَبِيعِ
 الْأَسَدِيِّ :

فَأَلْتَقَتْ عَصَا التَّنْسِيَارِ عَنْهَا ، وَخَيَّمَتْ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ زُرُقِ مَحَافِرُهُ
 أَرَا لِقَدَى عَنْ مَائِهِ وَإِفِدُ الصَّبَا يَرُوحُ عَلَيْهِ نَاسِمًا وَيُبَاكِرُهُ

ولزهير

وأول من أتى بهذا زهير بن أبي سلمى في قوله :

فَلَمَّا وَرَدَنَّ الْمَاءَ زُرُقًا جَامُهُ وَضَعَنَّ عِصَى الْحَاضِرِ الْمُتَخَيَّمِ (٤)

وقال ابن الرومي :

وَمَاءٌ جَلَّتْ عَنْ حُرِّ صَفْحَتِهِ الْقَدَى مِنْ الرِّيحِ مُعْطَارُ الْأَصَابِلِ وَالْبُسْكَرُ
 بِهِ عَبَقٌ مِمَّا تَسَحَّبَ فَوْقَهُ نَسِيمُ الصَّبَا يَجْرِي عَلَى التَّوْرِ وَالزَّهْرُ

ولابن الرومي

[وصف الدور والقصور]

ويتعلق بهذا الباب قولُ البحتری يصف بركة الجعفري (٥) وهو قصر

للبحتری يصف
 بركة الجعفري

ابتناه المتوكل في سُرِّ مَنْ رَأَى :

(١) التخت : عطشت ، من قولهم لاحت العطش ولو حه إذا غيره ، وهو ملتاح ،
 وبه لوح شديد ، وبغير ملواح وإبل ملاويح : سريعة العطش
 (٢) مارب : هي بلاد الأزدي باليمن ، وهي غير مهموزة لأنها وردت كذلك في الخطوط
 الحميرية كما أخبرنا السيور نليني . وهذا لا ينافي أنها همزت في بعض الأشعار ، ولسد
 مارب وسيل العرم قصص طويلة ذكر بعضها في معجم البلدان .

(٣) النطاف والنطف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي قل أو كثر (٤) التخيم : المقيم
 (٥) الجعفري : اسم قصر بناه المتوكل قرب سامراء ، فلما انتقل إليه انتقل معه
 أهل سامراء حتى كادت تخلو ، وفي هذا القصر قتل المتوكل في شوال سنة ٢٤٧ ، وسميت
 البركة بركة لإقامة الماء فيها ، من برك البعير

يَا مَنْ رَأَى الْبِرْكَاتِ الْحَسَنَاءُ وَرَوَّقَهَا وَالْأَنْسَاءِ إِذَا لَاحَتْ مَعَانِيهَا^(١)
 مَا بَالُ دَجَلَةَ كَالْعَيْرَى تُنَافِسُهَا فِي الْحَسَنِ طَوْرًا وَأَطْوَارًا تُبَاهِيهَا!
 إِذَا عَمَّتْهَا الصَّبَا أَبَدَتْ لَهَا حُبُّكََا مِثْلَ الْجَوَاشِنِ مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا^(٢)
 فَحَاجِبُ الشَّمْسِ أحيانًا يُغَازِلُهَا وَرَيْقُ الْغَيْثِ أحيانًا يُبَاكِهَا^(٣)
 إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا لَيْسَ إِلا حَسِبْتَ سَمَاءَ رَكِبَتْ فِيهَا
 كَأَنَّمَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةٌ مِنَ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا
 تَنْصَبُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُمَجَّلَةٌ كَالخَلِيلِ خَارِجَةً مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا^(٤)
 كَأَنَّ جَنَّ سَلِيَانَ الَّذِينَ وَلُوا إِبدَاعَهَا فَأَدَقُّوا فِي مَعَانِيهَا
 فَلَوْ تَمَرَّتْ بِهَا بَلْقَيْسُ مِنْ عَرُضٍ قَالَتْ: هِيَ الصَّرْحُ تَمثِيلًا وَتَشْبِيهَا^(٥)
 [لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمُقْصُورَ غَايَتَهَا لُبْعَدٍ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا]
 يَعْمَنَ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مُجَنَّبَةٍ كَالطَّيْرِ تَنْشُرُ فِي جَوْ حَوَافِيهَا
 وَلَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْبِنَاءِ مَا أَنْفَقَهُ التَّوَكُّلُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ
 أَنْفَقَ فِي أُنْبِيئِهِ ثَلَاثَةَ أَلْفِ أَلْفٍ ، وَفِي أُنْبِيئِهِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ^(٦) :

(١) رواية الديوان « الحسناء رؤيتها »

(٢) الجواشن: جمع جوشن، وهو الدرع، وفي الأصل «من الجواشن» وهو

تحريف (٣) رواية الديوان «يضاحكها» وهي أنسب

(٤) الوفود: جمع وفد، وهو هنا تيار الماء (٥) عن عرض: من جانب، وفي

الأصل «معرضة» وقد آثرنا رواية الديوان.

(٦) شاعر فحل من معاصري أبي تمام والبحترى، وهو صاحب الرائية المشهورة

التي يقول في أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن المهوى من حيث أدرى ولا أدرى

أعدن لي الشوق القديم، ولم أكن سلوت، ولكن زدن جمر إلى جمر

اختص بالمتوكل، ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان، فأقام بهامدة، ورجل إلى

حلب، فقتله بقرها بعض بني كلب سنة ٢٤٩.

لعلى بن الجهم
يصف قصور
التوكل

وما زلتُ أسمعُ أنَّ الملو
وأعلمُ أنَّ عقولَ الرجا
صُحونٌ تسافرُ فيها العيونُ
وقبَّةٌ ملكٌ كأنَّ النجو
إذا أوقدتُ نارُها بالعراقِ
لها شُرُفاتُ كأنَّ الربيعِ
فهنَّ كمصطحباتٍ خرَجْنَ
نظمنَ القيسِيَّ كنظمِ الحلي
فمن بين عاقصَةٍ شرَّها
وللبحتري فيها شعرٌ كثيرٌ منه :

أرى التوكليَّة قد تعالتُ
قصور كالكوكب لا مِماتُ
وروض مثل بُردِ الوشَى فيه
غرائب من فنون النَّورِ فيها
تُضاحِكُها الضحى طوراً وطوراً
ولو لم يستهلَّ لها غمامُ
وقال أيضاً :

قد تمَّ حُسنُ الجعفرىّ ولم يكن
ليتمَّ إلا للخليفة جعفرىّ

- (١) تحسر : تكل ، والأفطار : النواحي والأرجاء (٢) الفصح : من أعياد النصارى
(٣) عونٌ : جمع عوان ، على وزن سجاب ، وهى التى كان لها زوج .
(٤) الزنار : رباط يشد به الحصر (٥) مصانعها : مبانيها ، وفى الديوان « محاسنها »
(٦) الحوذان والحزأى : من النباتات المزهرة (٧) فى الأصل « يضاحك نورها »
وقد آثرنا رواية الديوان (٨) ريق القطر : الغزير منه .

ملكٌ تَبَوَّأَ خَيْرَ دَارٍ أَنْشِثَتْ
 [في رأسٍ مشرفةٍ حَصَاهَا لُؤْلُؤٌ]
 مُحَضَّرَةٌ وَالغَيْثُ لَيْسَ بِسَاكِبٍ
 رَفَعَتْ بِمُنْحَرٍ وَالرِّيَّاحُ وَجَاوَرَتْ
 وَبَعْدَهُ :

وَرَفَعَتْ بُنْيَانَنَا كَأَنَّ زُهَاهُ
 عَلَّ عَلَى لَحْظِ الْعَيُونِ كَأَنَّمَا
 مَلَأَتْ جَوَانِبُهُ الْفُضَاءَ ، وَعَانَقَتْ
 وَتَسِيلُ دَجَلَةٌ تَحْتَهُ فَفَنَاءُ
 شَجَرٍ تُلَاعِبُهُ الرِّيَّاحُ فَتَنْثَى
 أَعْلَامُ رَضْوَى أَوْ شَوَاهِقِ ضَيْبِ (٣)
 يَنْظُرْنَ مِنْهُ إِلَى بِياضِ الْمَشْتَرَى (٤)
 شُرْفَاتِهِ قَطَعَ السَّحَابِ الْمَطْرِ
 مِنْ لُجَّةٍ فُرِشَتْ وَرَوْضِ أَخْضَرِ
 أَعْطَفَهُ فِي سَاحِحِ مَتَفَجَّرِ

أَخَذَ أَبُو بَكْرٍ الصَّنُوبَرِيُّ (٥) قَوْلَ الْبَحْتَرِيِّ فِي صِفَةِ الْبَرَكَةِ فَقَالَ يَصِفُ مَوْضِعًا :

سَقَى حَلْبًا سَافِكًا دَمْعُهُ
 مِيَادِينَهُ بُسْطُنَ الرِّيَاضِ
 تَرَى الرِّيحَ تَنْسِجُ مِنْ مَائِهِ
 كَأَنَّ الزَّجَاجَ عَلَيْهَا أَذِيبَ
 هِيَ الْجَوْ مِنْ رِقَّةٍ غَيْرَ أَنَّ
 وَقَدْ نَظَّمَ الزَّهْرُ نَظْمَ النُّجُومِ
 بَطِيءُ الرَّقْوَاءِ إِذَا مَاسَفَكَ (٦)
 وَسَاحَاتُهُ بَيْنَهُنَّ الْبَرَاكُ
 دُرُوعًا مُضَاعَفَةً أَوْ شَبَكَ
 وَمَاءَ الْأَجْنِينَ بِهَا قَدْ سُبِكَ
 مَكَانَ الطَّيُورِ يَطِيرُ السَّمَكَ
 فَفَتَرَقَ النَّظْمُ أَوْ مَشْتَبِكُ

للصنوبري
 يصف موضعا
 في حلب

(١) يشاب : يمزج (٢) الصيب : الكثير الانهمال ، ورواية الديوان :

ظهرت لخرق الشمال وجاورت ظلل الغمام الصائب المستغزر

(٣) رضوى وضير : جبلان ، وفي الأصل « شواهيق منبر » وهو تحريف

(٤) المشتري : اسم نجم . (٥) هو أحمد بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٣٣٤

(٦) الرقواء : السكون ، يقال : رقأ دمه ودمه ، ولا رقأت دمه فلان ، ولا

أرقأ الله عينه . ومن كلامهم : اليأس رقواء الدمع ، وقال ذو الرمة :

لئن قطع اليأس الحنين فإنه رقواء لتذراف الدموع السوافك

كما درج الماء مرَّ الصَّبَا ودبَّجَ وجهَ السماءِ الحُبُكُ
يُبَاهِينِ أعلامَ قَمَصِ القِيَانِ ونَقَشَ عَصَائِبَهَا وَالتَّكَاكُ
وأخذ قوله :

* إذا النُّجُومُ تراءتْ في جَوَانِبِهَا *

فقال :

ولما تعالَى البدرُ وامتدَّ ضوؤه بدجلة في تشرين في الطولِ والعرضِ
وقد قابل الماءَ المفضضَ نوره وبعضُ نُجومِ الليلِ يَقْفُو سَنًا بَعْضُ^(١)
توهَّم ذو العَيْنِ البصيرةُ أنه يرى باطنَ الأفلاكِ مِن ظَاهِرِ الأَرْضِ
ولأهلِ العصرِ في هذا النَّحْوِ كلامٌ كثير :

قال الأمير أبو الفضل الميكالي ، يصف بركة وقع عليها شعاع الشمس فألقته
على مَهْوٍ مَطْلٍ^(٢) عليها يقول :

أما ترى البركة الغراء قد لَبَسَتْ نوراً من الشمس في حافاتِها سَطْمًا
والمهْوُ من فوقها يُلهِيكَ منظرُهُ كأنه مُلْكٌ في دَسْتِهِ ارتفعًا
والماء من تحته ألقى الشعاع على أعلى سماواته فارتجَّ مُلتَمِّمًا
كأنه السيفُ مصقولًا تُقلِّبُهُ كَفُّ الكَمِيِّ إلى صَرَبِ الكَمِيِّ سَمِي^(٣)

وقال علي بن محمد الإيادي يمدح المعزَّ ويصف دار البحر بالمنصورية^(٤) :

ولما استطلَّ المَجْدُ واستولتِ البُني على النَّجْمِ واشتدَّ الرواقُ المروِّقُ^(٥)
بني قبةً للملك في وَسْطِ جَنَّةِ لها منظرٌ يُرْهِى به الطَّرْفُ مُوتِقُ
بمعشوقة الساعات ، أمَّا عِراضُها فَخُضْرٌ ، وأمَّا طيرُها فَهِيَ نُطَقُ^(٦)

(١) يقفو : يتبع ، والسنا : الضوء . (٢) المهو : الحصى الأبيض (م)

(٣) الكمي : الشجاع (٣) المنصورية : مدينة بقرب القيروان (٤) البني : جمع

بنية ، بالضم والكسر (٥) العراض : هي الباحات

لعلي بن محمد
الإيادي يصف
دار المنصورية

تحفَ بقَصْرِ ذِي قِصُورٍ كَأَنَّمَا
 لَهُ بَرَكَهٌ لِلْمَاءِ فَضَّائِهِ
 لَهَا جَدُولٌ يَنْصَبُ فِيهَا كَأَنَّهُ
 لَهَا مَحَلْسٌ قَدْ قَامَ فِي وَسْطِ مَائِهَا
 كَأَنَّ صِفَاءَ الْمَاءِ فِيهَا وَحُسْنَهُ
 إِذَا بَثَّ فِيهَا اللَّيْلُ أَشْخَاصَ نَجْمِهِ
 وَإِنْ صَاحَتْهَا الشَّمْسُ لَاحَتْ كَأَنَّمَا
 كَانَ شُرَافَاتِ الْمَقَاصِرِ حَوْلَهَا
 يَذُوبُ الْجَفَاءُ الْجَعْدُ عَنْ وَجْهِ مَائِهَا

وقال عبد الكريم بن إبراهيم :

لعبد الكريم
ابن إبراهيم
يصف موضعا

يَا رَبَّ فِتْيَانِ صِدْقِ رُحْتُ بَيْنَهُمْ
 مَرَضَى أَصَائِلَهَا حَسْرَى شَمَائِلَهَا
 مَعَاطِيَا شَمْسِ إِبْرِيْقٍ إِذَا مُرَجَّتْ
 عَنْ مَاحِلِ طَافِحِ الْمَاءِ مُعْتَلِجِ
 تَصْمُهُ الرِّيحُ أَحْيَانًا، وَتَفْرُقُهُ
 مِنْ مَأْخِضِ نَاضِرِ الْوَالِطِ يَلْحَقُهُ
 تَهْرُؤُ الرِّيحِ أَحْيَانًا فَيَمْنَحُهَا
 كَأَنَّ خَافَاتِهِ نُطْقَنَ مِنْ زَبَدِ

والشمس كالدِّفِّ المعشوقِ في الأفق
 ترويحُ النَّصْنِ المَطُورِ في الوَرَقِ
 تَقَلَّدَتْ عِقْدَ مَرْجَانٍ مِنَ النَّزَقِ
 كَأَنَّمَا نَفْسُهُ صِيغَتْ مِنَ الْخَدَقِ
 فِالْمَاءِ مَا بَيْنَ مَجْبُوسٍ وَمُنْطَلِقِ
 وَأَبْيَضٌ تَحْتَ قَيْظِي الضَّحَى يَقَقُ^(١)
 لِلزَّجْرِ خَفَقَ فَوَادِ الْعَاشِقِ الْقَيَاقِ
 مَنَاطِقًا رُصِّمَتْ مِنْ لَوْلُو نَسَقِ

(١) متاق : ملائح (٢) تحب، وتعنق : من الحب والعنق بفتحيتين وهما من أنواع السير (٣) القين : الحداد (٤) الحورنق : اسم قصر (٥) الصحصحنان : موضع بين حلب وتدمر ، والآل : السراب (٦) قيطي : منسوب إلى القيط وهو الحر الشديد . وفي الأصل « قبطي » وهو تحريف ، واليقق : الناصع البياض .

كَانَ قُبَيْتَهُ مِنْ سُنْدُسٍ نَمَطٍ حَسَنًا مَجْلُوءَةٌ اللَّبَّاتُ وَالْعُنُقُ
 إِذَا تَبَلَّجَ فَبَجْرٌ فَوْقَ زُرْقَتِهِ حَسْبَتُهُ فَرَسًا دِهَاءً فِي بَلَقٍ (١)
 أَوْ لَازُورْدًا جَرَى فِي مَتْنِهِ ذَهَبٌ فَلَاحٌ فِي شَارِقٍ مِنْ مَائِهِ شَرِقٌ
 عَشِيَّةٌ كَمَلَتْ حُسْنًا وَسَاعَدَهَا لَيْلٌ يُمَدِّدُ أَطْنَابًا عَلَى الْإْفُقِ
 تَجَلَّى بِغُرَّةٍ وَضَّاحَ الْجُبَيْنِ لَهُ مَا شَتَّتَ مِنْ كَرَمٍ وَافٍ وَمِنْ خُلُقِ

ألفاظ لأهل العصر في وصف الماء وما يتصل به

ماء كالزجاج الأزرق ، غدير كعين الشمس ، موارد كالمبارد ، وماء كلسان
 الشعمة ، في صفاء الدمعة ، يسبح في الرضراض ، سبج التضناض ، ماء أزرق
 كعين السنور (٢) ، صاف كقضيب البلور ، ماء إذا مسته يدُ النسيم حكى سلاسل
 الفضة ، ماء إذا صاحته راحة الريح ، لبس الدرع كالمسيح ، كأن الغدير بتراب
 الماء رداءً مُسندل ، بركة كأنها امرأة السماء ، بركة مفروزة بالخضرة ، كأنها
 مِرْآة مجلوة ، على ديباجة خضراء ، بركة ماء كأنها مِرْآة الصناع (٣) ، غدير
 ترقرقت فيه دموعُ السحاب ، وتواترت عليه أنفاسُ الرياح العرائب ، ماء زُرْق
 يجممه ، طامية أرجاؤه ، يَبْوَحُ بِأَسْرَارِهِ صَفَاؤُهُ ، وتلوحُ في قراره حَصْبَاؤُهُ ،
 ماء كأنما يفقده مَنْ يَشْهَدُهُ ، يتسلسل كالزرافين (٤) ، ويرضع أولاد الرِّياحين ،
 انحلَّ عقدُ السماء ، ووَهَى عقد الأَنْوَاءِ ، انحلَّ سلكُ القطر عن دُرِّ الْبَحْرِ ، أسعد
 السحابُ جفونَ العُشَّاقِ (٥) ، وأَكْفَ الأَجْوَادِ ، وانحلَّ حَيْظُ السَّمَاءِ ، وانقطع

(١) البلق : ارتفاع التحجيل إلى الفخذين (٢) السنور : القط .

(٣) الصناع : المرأة الماهرة فيما تصنع وكأنما يراد بها المرأة التي تهتم بزينة النساء

(٤) الزرافين : الآلات يرفع بها الماء ، فترى له عليها بريقاً ولعناً

(٥) أسعد : من الإسعاد ، وهو المشاركة في البكاء

شَرِيَانُ الغَمَامِ ، سحابة يتجلى عليها ماء البحر ، وتفضُّ علينا عقودَ الدرِّ ، سحابٌ
 حكى الحبَّ في انسكابِ دموعه ، والتهابِ أنفارٍ بين ضلوعه ، سحابة تحدو من الغيوم
 جمالاً ، وتمدُّ من الأمطارِ حبلاً ، سحابة ترسلُ الأمطارَ أمواجاً ، والأمواجُ
 أفواجاً ، تملكتِ عقد السماءِ بالديمةِ الهطلاءِ ، غيثٌ أجشٌ^(١) يروى الهصَابَ
 والآكامَ^(٢) ، ويحبي النباتَ والسَّوامَ^(٣) ، غيثٌ كغزارةِ فضلكِ ، وسلاسةِ طبعك ،
 وسلامةِ عقدك ، وصفاءِ وُدِّك ، وبلِّ كالنبلِ ، سحابة يضحكُ من بكائها الرِّوضُ ،
 وتَحضَّرُ من سوادها الأرضُ ، سحابة لا تجفُّ جفونها ولا يخفُّ أينها ، ديمة
 رَوَّتْ أديمَ الثرى ، ونهت عيونَ النَّورِ من الكرى ، سحابة ركبَتْ أعناقَ الرياحِ ،
 وسجَّتْ كَأفْواه الجراحِ ، مطرٌ كأفواه القربِ ، ووَحَل إلى الركبِ ، أنديّة من الله
 معها على البيوتِ بالثبوتِ ، وعلى السقوفِ بالوقوفِ ، أقبَل السَّيْلُ يَنْحَدِرُ انحداراً ،
 ويحملُ أحجاراً وأشجاراً ، كأن به جنة ، أو في أحشائه أجنّة .
 وبعض ما مر من هذه الألفاظ محلول نظام ما تقدم إنشاده .

ولهم في مقدمات المطر

لبست السماءُ جلبابها ، وسحبت السحابُ أذيالها ، قد احتجبت الشمسُ في
 سُرَادقِ القيمِ ، ولبس الجوُّ مُظَرَفه الأذكنَ ، باحت الرياحِ بأَسْرَارِ التَّدى ،
 وضربت خيمة الغمامِ ، ورش جيش النسيمِ ، وابتل جناحُ الهواءِ ، واغرورقت مُقَلَّةُ
 السماءِ ، وبشَّرَ النسيمُ بالندى ، واستعدت الأرضُ للقطرِ ، هبت شمائلُ الجنائبِ ،
 لتأليفِ شملِ السحائبِ . تألفت أشتاتُ الغيومِ ، وأسبلت الشُّورُ على النجومِ .

(١) أجش : ذو صوت (م) (٢) الآكام : جمع أكمة وهي التل .

(٣) السوام : جمع سائمة ، وهي الماشية (م)

وفي الرعد والبرق

قام خطيبُ الرَّعْدِ ، ونبضُ عِرْقِ الْبَرْقِ ، سحابة ارتجزت^(١) رَوَاعِدُهَا ، وأذهبت
ببروقها مطاردها ، نطقَ لسانُ الرعد ، وخفق قلبُ البرق ، فالرعدُ ذو صَخَبٍ ،
والبرقُ ذو لَهَبٍ ، ابتسم البرقُ عن قهقهة الرعد ، زارت أَسْدُ الرعد ، ولمعت سيوف
البرقِ ، رعدت [سيوفُ] الغمام ، وبرقت ، وانحلت عزَّالِي السَّمَاءِ فطبقت ،
هدرت رَوَاعِدُهَا ، وقربت أَبَاعِدُهَا ، وصدقت مَوَاعِدُهَا . كأن البرق قلبُ مَشُوقٍ ،
بين التهابِ وخُفُوقٍ .

ويتصل بهذه الأنحاء

ما حكاه عمر بن علي المطوعي قال : رأى الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله
ابن أحمد - أدام الله عزه! - أيام مُقَامِهِ بِجَوْينَ أن يطالع قريةً من قرى ضياعه تدعى
نجم على سبيل التنزه والتفرُّج ، فكنت في جملة مَنْ استصحبه إليها من
أصحابه ، واتفق أنا وصلنا والسماة مُصْحِيَّةٌ ، والجوُّ صافٍ لم يطرز ثوبه بعلم الغمام ،
والأفق فيرُوج لم يعبق به كافور السحاب ؛ فوقع الاختيار على ظلِّ شجرةٍ باسقة
الفروع^(٢) ، متسِّقة الأوراق والغصون ، قد سترت ما حوالَيْهَا من الأرض طولاً
وعرضاً ، فنزلنا تحتها مستظليين بِسَمَاوَةِ أَفْنَانِهَا^(٣) ، مستترين من وهج الشمس
بستارة أغصانها ، وأخذنا تتجاذبُ أذيال المذاكرة ، وتسالب أهداب المناشدة
والمحاورة ؛ فاشعرنا بالسماة إلا وقد أَرَعَدَتْ وأبرقت ، وأظلمت بعدما أشرقت ، ثم جادت
بمَطَرٍ كَأَفْوَاهِ الْقِرْبِ فَأَجَادَتْ ، وحكت أنامل الأجواد ومدامع العشاق^(٤) ، بل

(١) ارتجزت : أراد صوت (م) (٢) باسقه : عالية مرتفعة (م) .

(٣) السماوة : السماء وهو السقف - والأفنان : جمع فنن ، بالتحريك ، وهو

الغصن (م) (٤) الدامع : جمع مدمع ، وهو هنا مكان الدمع .

أَوْقَتْ عَلَيْهَا وَزَادَتْ، حَتَّى كَادَ غَيْثُهَا يَعُودُ عَيْنًا^(١)، وَهَمَّ وَبَلَّهَا أَنْ يَسْتَحِيلَ وَيَبْلَأَ
فَصَبَرْنَا عَلَى أَذَاهَا، وَقَلْنَا: سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَمَّا قَلِيلٍ تَقَشَّعُ، فَإِذَا نَحْنُ بِهَا قَدْ أَمَطَرْتَنَا
بَرْدًا كَالثَّقُورِ، لَكِنَّا مِنْ ثَعُورِ الْعَذَابِ، لَا مِنْ الثَّغُورِ الْعَذَابِ، فَأَيَّقْنَا بِالْبَلَاءِ،
وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ؛ فَمَا مَرَّتْ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ، حَتَّى سَمِعْنَا خَرِيرَ الْأَنْهَارِ،
وَرَأَيْنَا السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الرَّبِّيَّ^(٢)، وَالْمَاءُ قَدْ غَمَرَ الْقَيْعَانَ وَالرَّبِّيَّ^(٣)؛ فَبَادَرْنَا إِلَى
حِصْنِ الْقَرْيَةِ لِأَثْنِ مِنَ السَّيْلِ بِأَفْنِيَّتِهَا، وَعَائِدِينَ مِنَ الْقَطْرِ بِأَبْنِيَّتِهَا، وَأَثْوَابِنَا
قَدْ صَنَدَلْ كَافُورِيَّهَا مَاءَ الْوَبْلِ، وَغَلَّفَ طِرَازِيَّهَا طِينُ الْوَحْلِ، وَنَحْنُ نَحْمَدُ
اللَّهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ، وَإِنْ فَقَدْنَا بَيَاضَ الْأَكَامِ وَالْأُرْدَانَ، وَنَشْكُرُهُ
عَلَى سَلَامَةِ الْأَنْفُسِ وَالْأَرْوَاحِ، شُكْرَ التَّاجِرِ عَلَى بَقَاءِ رَأْسِ الْمَالِ إِذَا فُجِعَ
بِالْأَرْبَاحِ؛ فَبَيْنَمَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ فِي سَمَاءِ تَكْفٍ وَلَا تَكْفٍ^(٤)، وَتَبَكَى عَلَيْنَا إِلَى الصَّبَاحِ
بِأَدْمَعٍ هَوَامٍ^(٥)، وَأَرْبَعَةَ سَجَامٍ؛ فَمَا سُلَّ سَيْفُ الصَّبْحِ مِنْ غَمْدِ الظَّلَامِ،
وَصُرِفَ بَوْلُ إِلَى الصَّحْوِ عَامِلُ الْغَمَامِ، رَأَيْنَا صَوَابَ الرَّأْيِ أَنْ نُوسِعَ الْإِقَامَةَ بِهَا
رَفْضًا، وَتَتَخَذَ الْارْتِمَالَ عَنْهَا فَرُضًا؛ فَمَا زِلْنَا نَطْوِي الصَّحَارَى أَرْضًا فَأَرْضًا، إِلَى
أَنْ وَافِينَا الْمُسْتَقَرَّ رُكُضًا؛ فَمَا تَفَضُّنَا غُبَارَ ذَلِكَ الْمَسِيرِ، الَّذِي جَمَعْنَا فِي رُبُقَةِ
الْأَسِيرِ، وَأَفْضِينَا إِلَى سَاحَةِ التَّيْسِيرِ، بَعْدَ مَا أُصِيبْنَا بِالْأَمْرِ الْعَسِيرِ، وَتَذَاكُرْنَا
مَا لَقِينَا مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ، فِي قَطْعِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ وَطَى تِلْكَ الشُّقَّةَ، أَخَذَ الْأَمِيرُ
السَّيْدَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - الْقَلَمَ فَعَلَقَ هَذِهِ الْآيَاتِ ارْتِمَالًا:

دَهْتَنَا السَّمَاءُ غَدَاةَ السَّحَابِ بَغِيثٍ عَلَى أَفْقِهِ مُسْبِلٍ
فَجَاءَ بَرَعْدٍ لَهُ رَنَّةٌ كَرَنَةٌ تَكْلِيٌّ وَلَمْ تَكْلِيْ

(١) العيث: الفساد (٢) الربِّي جمع زبية، وهي الراية لا يعلوها ماء

(٣) القيعان: جمع قاع، والربِّي: جمع ربوة (٤) تكف: تسيل، وتكف: تمتع

(٥) هوام: جمع هامية، وسجام: جمع ساجة، أي ممطرة

وَمَنِّي بَوْبِلٍ عَدَا طَوْرَهُ فَعَادَ وَبَالًا عَى الْمُجَلِّ (١)
 وَأَشْرَفَ أَضْحَابُنَا مِنْ أَدَاهُ عَلَى لِحْطَرٍ هَائِلٍ مُغْضِلٍ
 فَمِنْ لَائِدٍ بِنَاءِ الْجِدَارِ وَأَوَّ إِلَى نَفَقٍ مُهْمَلٍ (٢)
 وَمِنْ مُسْتَجِيرٍ يُنَادَى: الْغَرِيقَ هُنَاكَ، وَمِنْ صَارِخٍ مُعْوِلٍ
 وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السَّقُوفِ بِدَمْعٍ مِنَ الْوَجْدِ لَمْ يَهْمِلِ
 كَأَنَّ حَرَامًا لَهَا أَنْ تَرَى يَبِيسًا مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يُبْلَلِ
 وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ فَأَدْبَرَ كُلٌّ عَنِ الْمَقْبَلِ
 يُقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ وَمَا يَلْقَى مِنْ صَخْرَةٍ بِمَحْمِلِ
 كَأَنَّ بِأَحْشَائِهِ إِذْ بَدَا أَجِنَّةَ حُبْلَى وَلَمْ تَحْمِلِ
 فَمِنْ عَامِرٍ رَدَّهُ غَامِرًا وَمِنْ مُعَلِّمٍ عَادَ كَالْمَجْمَلِ (٣)
 كَفَانَا بِلَيْتِهِ رَبُّنَا فَقَدْ وَجِبَ الشُّكْرُ لِلْمُغْضِلِ
 فَقُلُّ لِلسَّمَاءِ ارْعُدِي وَابْرُقِي فَإِنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ (٤)

أخذ المطوعى قوله: « فلما سلَّ سيفُ الصبحِ من غمِّدِ الظلامِ » من قول

أبي الفتح البستي:

رُبَّ لَيْلٍ أَعْمَدُ الْأَنْوَارِ إِلَّا نُورَ نَفْعٍ أَوْ مَذَامِ أَوْ نَذَامِ
 قَدْ نَعْمْنَا بِدِيَاجِيهِ إِلَى أَنْ مُسَلَّ سَيْفِ الصَّبْحِ مِنْ غَمِّدِ الظَّلَامِ

[وقال بعض أهل العصر، وهو أبو العباس الناشيء:]

خَلِيلِي هَلْ لِلْمُزْنِ مُقَلَّةٌ عَاشَتْ أَمْ النَّارُ فِي أَحْشَائِهَا وَهِيَ لَا تَنْدَرِي
 أَشَارَتْ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ فَأَصْبَحَتْ وَكَاللُّوْلُو الْمَشُورِ أَدْمَعُهَا تَجْرِي

لأبي الفتح
البستي

لأبي العباس
الناشيء

(١) المحمل: المجذب (٢) النفق: السرداب

(٣) غامر: خراب، ومعلم ومجمل: معلوم ومجهول

(٤) هذا البيت غاية في خفة الروح

سحاب حَكَتْ تُكَلِّي أُصِيبَتْ بِوَاحِدٍ
تَسْرِبِلٍ وَشَيْئاً مِنْ حُزُونٍ تَطْرَزَتْ
فَوْشِيٌّ بِلَا رَقْمٍ، وَرَقْمٌ بِلَا يَدٍ،
وَقَالَ آخَرُ:

أَرَقْتُ لِبَرْقٍ شَدِيدِ الْوَمِيزِ
كَأَنَّ تَأَلُّقَهُ فِي السَّمَاءِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ:

لَا بِنِ الْمُعْتَزِ

كَأَنَّ الرَّبَابَ الْجَلُونَ دُونَ سَحَابِهِ
إِذَا لَحِقَتْهُ خَيْفَةٌ مِنْ رَعُودِهِ
وَقَدْ قَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ:

لِحَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُؤِينَ السَّحَابِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ:

لَا بِنِ الْمُعْتَزِ أَيْضاً

بَاكِيَةٌ يَضْحَكُ فِيهَا بَرْقُهَا
رَأَيْتُ فِيهَا بَرْقُهَا مِنْذُ بَدَا
جَرَتْ بِهَا رِيحُ الصَّبَا حَتَّى بَدَا
تَحْسَبُهُ طَوْرًا إِذَا مَا انْصَدَعَتْ
وَتَارَةً تَحْسَبُهُ كَأَنَّهُ

مَوْصَلَةٌ بِالْأَرْضِ مَرْخَاةَ الطُّنْبِ
كَمِثْلِ طَرْفِ الْعَيْنِ أَوْ قَلْبِ يَجِبِ^(٣)
مِنْهَا لِيِ الْبَرْقُ كَأَمْثَالِ الشَّهْبِ^(٤)
أَحْشَاؤُهَا عَنْهُ شَجَاعًا يَضْطَرِبُ^(٥)
أَبْلَقُ مَالَ جُلُهُ حِينَ وَتَبِ^(٦)

(١) الرباب: السحاب، والجلون: الأسود

(٢) دوين: تصغير دون (٣) يجب: يضطرب (٤) رواية الديوان:

ثم حدث بها الصبا كأنها فيها من البرق كأمثال الشهب
(٥) الشجاع: الثعبان. ورواية الديوان:

إذا تعرى البرق فيها خلته بطن شجاع في كشيبي يضطرب

(٦) الأبلق: الجواد يرتفع تحجيله إلى الفخذين، والتحجيل: بياض في القوائم،

والجلل: ما يوضع على ظهر البعير والجواد

وتارةً تحسبه كأنه سلاسل مفصولة من الذهب
وقال الطائي :

يا سهمٌ للبرقِ الذي استطارا صار على رغم الدُّجى نهاراً
أض لنا ماء وكان ناراً^(١)

وينشد أصحاب المعاني :

نارٌ تجدد للعنين نضرتها والنار تفتح عيدانا فتحترق
وقال ابن المعتز يمدح الشرب في الصَّخْوِ ، ويذمه في المطر :

أنا لا أشتهى سماء كبطان الهمير والشرب تحتها في خراب^(٢)
بين سقفٍ قد صار منخل ماء وجدارٍ ملقى وتلُّ تراب
وبيوت يوقع الوكف فيهنَّ وإيقاعه بغير صواب^(٣)
إنما أشتهى الصُّبوح على وجه سماء مصقولة الجلباب
ونسيم من الصبا يتمشى فوق روضٍ ند جديد الشباب
وكان الشمس المضيئة دينا رُجيمته حدائد الضراب
في غداة وكأسها مثل شمسٍ طلعت في ملاءة من ثراب^(٤)
أوعروس قد ضمخت بخلقٍ فهي صفراء في قيص حباب
وغناء لا عذر للعود فيه بتندى الأوتار والضراب
ونقاء البساط من وضر الطيِّين ومسح الأقدام في كل باب
ونشاط الغلمان إن عرضت حاجاتنا في مجيهم والذهاب
وجفاف الريحان والرجس الغض بأيدي الخلان والأصحاب
لا تندى أنوفهم كلما حُيِّتْوا وبضفت ندى أنوف الكلاب

(١) آض : رجع وصار (٢) الشرب - بالفتح - جماعة الشاربين (م)

(٣) في الديوان (٥٣/٤) « وإيقاع الوكف غير صواب ». التوقيع : الضرب على
آله الغناء ، والوكف : إهمال المطر (م) (٤) هذا البيت ملفق من بيتين وهما كافي الديوان

في غداة قد تمتك يبرد الـ سماء في يومها وضو الشراب
من عقار في الكأس تشبه شمساً طلعت في غلالة من سراب (م)

لابن المعتز
يمدح الشراب
في الصحو

ذالك يوم^١ أراه غمًا وحنطًا من عطاء المهيمين الوهاب
وقال الصنوبري :

أنيس ظباء بوخش الضبا وصبغ حيا مثل صبغ الحيا
ويوم تكلله الشمس من صفاء الهوى وشفاء الهوا
بشمس الدنان وشمس الزبيان وشمس الجنان وشمس السما

وصف شدة
الشوق

وشديه بالأبيات التي كتبها تغلب إلى أبي العباس بن المعتز الجميل^(١) قول الآخر:
وما وجد مباح من الهيم خلئت عن الورد حتى جوفها يتصلصل^(٢)
تحوم وتغشاها العصى وحوولها أفاطيع أنعام تغل وتهل
بأكثر مني لوعة وصباية إلى الورد إلا أنتى أنجمل^(٣)
وقال أبو حية النيري :

كفى حزنا أنى أرى الماء معرضا لعينى ولكن لاسيل إلى الورد^(٤)
وما كنت أحشى أن تكون منيتى بكف أعز الناس كلهم عندى

لأبي حية
في هذا المعنى

[وصف رجل حازم لابن المقفع]

قال ابن المقفع : كان لى أخ أعظم الناس فى عينى^(٥) ، وكان رأس ما عظمه
فى عينى صغر الدنيا فى عينه ، وكان خارجاً من سلطان بطنه ، فلا يشتهى مالا

(١) قد مرت هذه الأبيات فى ص ١٨٦ (٢) اللواح : الناقة أصابها اللوح وهو
الظمأ الشديد ، والهيم : جمع هيماء ، وهى التى أصيبت بداء الهيام ، وهوشدة الظمأ
ويتصلصل : يصوت (٣) ومثل هذا أيضا قول الشريف الرضى :

وما حأتمات يلتفتن من الصدى إلى الماء قد موطن بالرشقان
إذا قيل هذا الماء لم يملكوا لها معاجا بأقران ولا بمشان
بأظها إلى الأحباب منى وفيهم غريم إذا رمت الديون لوانى
(٤) ومن هذا الباب قول الآخر :

إنى وإباك كالتماذى رأى نهلا ودونه هوة تخمى بها التلفا
يرى بعينه ماء عز مورده وليس بملك دون الماء منصرفا
(٥) عبارة اليتيمة : « إنى محمك عن مرحل كوز أعظم الناس فى عينى »

يُجد ، ولا يُكثِرُ إذا وجد ، وكان خارجاً من سُلطانِ فرَجِه ، فلا تدعوه إليه مؤثمة ، ولا يستخف له رأياً ولا بدناً . وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة . وكان خارجاً من سُلطانِ لسانه ، فلا يتكلمُ بما لا يعلم ، ولا يُماري في ما علم ، وكان خارجاً من سُلطانِ الجمالة ، فلا يتقدم^(١) أبداً إلا على إئمة بمنفعة ، وكان أكثر دهره صامتا ، فإذا قالَ بَرٌّ القائلين^(٢) ، وكان ضعيفا مستضعفا ، فإذا جاءَ الجدُّ^(٣) فهو اللئيمُ عاديا^(٤) . وكان لا يدخل في دَعْوَى ، ولا يُشارك في مِرَاء^(٥) ، ولا يُدلي بَحِجَّةٍ حتى يَرَى قاضيا فهِما^(٦) وشهودا عُدولا . وكان لا يلومُ أحداً فيما يكونُ العُدْرُ في مثله حتى يعلمَ ما عُدْرُهُ .

وكان لا يَشْكُو وجهه إلا عند مَنْ يَرجو عنده الثبُء ، ولا يستشيرُ صاحباً إلا أن يَرجوَ منه النصيحة . وكان لا يتبرم^(٧) ولا يتسخط ، ولا يتشكى ولا يتشهى ، ولا ينتقم من العدو ، ولا يفُعلُ عن الولي ، ولا يَحْصُ نفسه بشيء دون إخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته . فعليك بهذه الأخلاق إن أطقتها ، وإن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

وعلى ذكر قوله : « وإن قال بَرٌّ القائلين » قال ابن كنانة — واسمه محمد بن عبد الله ، ويكنى أبا يحيى — في إبراهيم بن أدهم^(٨) الزاهد :

رَأَيْتُكَ لَا تَرْضَى بِمَا دُونَهُ الرِّضَا وَقَدْ كَانَ يَرْضَى دُونَ ذَلِكَ ابْنَ أَدِّهَا

لابن كنانة
يصف ابن أدهم

(١) عبارة اليتيمة « فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة »

(٢) بز: غلب ، بالدال والزاي ، ومنه : من عزيز (٣) في الأصل « فإذا وجد الجد »

وهو محريف . وعبارة اليتيمة « فإذا جاء الجد » (٤) عاديا : منصوب على الحال

(٥) المراء : الجدال (٦) رواية اليتيمة « قاضيا عدلا » (٧) يتبرم : يتضجر

(٨) إبراهيم بن أدهم : شخصية قوية ترى أثرها في كتب الدين والأخلاق . كان

يعيش من عرق جبينه ، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم ، تعفف عن ميراث أبيه

واكتفى بحياة التمشف والحشونة ، وكان معروفا بالفصاحة والحرص على صواب القول ؛

فكان إذا حضر مجلس سفیان الثوري وهو يهظ أو جز سفیان في كلامه مخافة أن

يزل . وكانت وفاته نحو سنة ١٦١ .

وكان يرى الدنيا صغيراً عظيماً وكان لأمر الله فيها مَعْظماً
وأكثر ما تلقاه في الناس صامتا وإن قال بزَّ القائلين فأفحماً
يُشيعُ الغنى في الناس إن مسَّهُ الغنى وتلقى به البأساء عيسى بن مريمَا
أهان الهوى حتى تجنَّبه الهوى كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدماً

ألفاظ لأهل العصر في ذكر التقى والزهد

فلان عَذِبُ المشرب ، عَفَّ المَطْلَب ، نَقِيَ الساحة من المائِم ، بَرِيَ
الذمة من الجرائم ، إذا رضى لم يُقَلْ غير الصدق ، وإذا سَخِط لم يتجاوز جانب
الحق ، يرجعُ إلى نفسِ أمانة بالخير ، بعيدة من الشر ، مدلولة على سبيل البر :
أعرض عن زبرج الدنيا وخدعها ، وأقبل على اكتسابِ نعم الآخرة ومُتَمِعِهَا .
كفَّ كَفَّهُ عن زخرف الدنْيَا ، ونَضَّرَهَا ، وغَضَّ طَرَفَهُ عن متاعها وزهرتها :
وأعرض عنها وقد تعرَّضتْ له بزيتها ، وصدَّ عنها وقد تصدَّتْ له في حليتها .
فلانٌ ليس ممن يَقِفُ في ظِلِّ الطمع ، فيسِفُّ إلى حَضِيضِ الطبع (١) ، نَقِيَ
الصحيفة ، عَلِيٌّ عن الفضيحة ، عَفَّ الإزار ، طاهرٌ من الأوزار ، قد عاد لإصلاح
المعاد ، وإعداد الزاد .

وكان ابنُ المقفع من أشرف فارس ، وهو من حكماء زمانه ، وله مصنفات
كثيرة ، ورسائلٌ مختارة ؛ وكان مُحَجِّمًا عن قول الشعر ، وقيل له : لم لا تقول
الشعر ؟ فقال : الذي أَرْضاه لا يَحِيثُنِي ، والذي يحى لا أَرْضاه (٢) .

من أخبار
ابن المقفع

(١) الطبع - بفتح الباء - الحسة . وفي الأصل (التصنع) وهو تحريف .

(٢) ومع هذا فقد تيسرت له الإجابة ، حتى اختار له مؤلف الحماسة الأبيات الآتية

رزئنا أباعمرو ، ولاحى مثله فله ريب الحادثات بمن وقع
فإن تك قد فارقتنا وتركتنا ذوى خلة ما في انسداد لهاطمع
فقد جر نفعا فقدنا لك أننا أمنا على كل الرزايا من الجزع

أخذ هذا بعضهم فقال :

أَبَى الشَّعْرُ إِلَّا أَنْ يَنْقَى رَدِيئُهُ إِلَى ، وَيَأْتِي مِنْهُ مَا كَانَ مُحْكَمًا
فِياليتنى إذ لم أجد حَوْكَ وَشِيهِ ولم أكن من فُرْسَانِهِ كُنْتُ مُفْخَمًا^(١)
وكان ظريفًا في دينه^(٢) ، وذكر أنه مرَّ بيت النار فقال :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِي أَنْعَزَلُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفَوَادُ مَوْكَلُ^(٣)
أصبحت أمتحك الصدودَ ، وإنتى قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَا مُنِيلُ^(٤)

البيتان للأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري أخى
بنى عمرو بن عوف . وعاصم بن ثابت حَمِيَّ الدَّبْرِ^(٥) قتله بنو لحيان من هُدَيْل
يوم اَبْرَجِيع ، فأرادوا أَنْ يَبْعَثُوا بِرَأْسِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وكانت سِلافة بنتُ سعد نذرت
كَمْشَرِينَ فِي رَأْسِهِ الْخَمْرَ . وكان قتلَ بَعْضِ وَلَدِهَا مِنْ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَحَدِ
بنى عبد الدار يوم أحد . فلما أرادوا أَخَذَ رَأْسَهُ حَمْتَةُ الدَّبْرِ - وهى النحل - فلم
يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وجمعوا ويقولون : إِنْ الدَّبْرُ لَوْ قَدْ أَمْسَى صِرْنَا إِلَى حَشْوِ اسْتِهِ ،
فَمَا أَمْسُوا بِعَثَ اللَّهُ أَتِيًّا فَوَارَاهُ مِنْهُمْ^(٦) . وعاتكة التى ذكرهى عاتكة
بت يزيد بن معاوية .

[أَلْطَفَ تَعْرِيفُ ، وَأَدَقَ فَهْمُ]

وما دخل أبو جعفر المنصورُ المدينة قال للربيع : أُبَغِي رَجُلًا سَاقِلًا عَالِمًا
بِامْدِينَةِ لَيْتَنِي عَلَى دُورِهَا ؛ فَمَدَّ بَعْدَ عَهْدِي بَدْيَارَ قَوْمِي ؛ فَالْتَمَسَ لَهُ الرِّبِيعُ فَوَقَى

(١) منحوم : مغلوب (٢) يريد أنه كان متهمًا ؛ لأنه كان قبل إسلامه مجوسياً
عبد النار . توفي سنة ١٤٣ هـ (٣) أنعزل : أتخب . وفى الأصل (أنعزل) وهو تحريف
(٤) انظر ما كتب عن هذا الشعر فى كتاب البدائع تحت عنوان (الأدب الجديد)
(٥) الدبر - المتح - جماعة النحل والزنابير (٦) الأى - على وزن غنى - هو السيل

من عقل الناس وأعلمهم ، فكان لا يبتديء بإخبارٍ حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة ، وأجود بيان ، وأوفى معنى ، فأعجب المنصور به ، وأمر له بمال ، فتأخر عنه ، ودعتهُ الضرورة إلى استنجازه ، فاجتاز بيت عاتكة ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص : « يا بيت عاتكة الذي أتزل » . . . البيت ، فذكر المنصور في قوله ، وقال : لم يخالف عادته بابتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر ، وأقبل يردد القصيدة ويتصفحها بيتا بيتا حتى انتهى إلى قوله فيها :

وأراك تَقُولُ ما تقولُ وبعضهم مَذِقُ اللسان يقولُ ما لا يفعلُ (١)
 فقال ؛ ياربيع ، هل أوصأت إلى الرجل ما أمرنا له به ؟ فقال : أخرته عنه - لعلته ذكرها الربيع - فقال : عجزه له ، ضاعفاً ، وهذا اللفظ تعريض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور .

[الحسد والحساد]

ومن كلام ابن المقفع : الحاسد لا يزال زاراً على نعمة الله ولا يجدها مزاً إلا ، ومكدرها على نفسه ما به من النعمة فلا يجدها طعمها ، ولا يزال ساخطاً على من لا يترضاه ، ومتسخطاً لما [لا] ينال ، فهو كظوم هلوع جزوع ، ظالم أشبه شيء بظالم ، محروم الطلبة ، منقص العيشة ، دائم التسخط ، لا بما قسم له يقنع ، ولا على ما لم يقسم له يغلب ، والحسود يتقلب في فضل نعم الله مباشرة للسرور .
 مهملاً فيه إلى مدة لا يقدر الناس لها على قطع ولا انتقاص ، ولو صير الحاسد على ما به لكان خيراً له ؛ لأنه كلما أراد أن يظنيء نور الله أعلاه ويأبى الله إلا أن يقيم نوره ولو كره الكافرون .

لابن المقفع في
 صفة الحاسد

(١) مذاق اللسان : يمزج الجد بالهزل

قال الطائي :

لأني تمام في
فضل الحاسد
على المحسودللبحثري
في هذا المعنى .لِلْحَاسِدِ الثُّغْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ
طَوَيْتَ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدِ

لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَشَرُّهُ فَضِيلَةً
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ
أَخَذَهُ الْبِحْتَرَى قَال :وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ وَمَوْضِعَ نِعْمَةٍ
وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
لَا أُرْتَقِي صَدْرًا عَنْهَا وَلَا أُرِدُ^(١)

لابن الرومي

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرٌ لِأَمِّهِمْ
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي صَدُورِهِمْ
وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ لِصَاعِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ :وَلَا بَرَحَتْ أَنْفَاسُهُ تَتَّصَعَدُ^(٢)
وَيُغْضِي عَنْ اسْتِحْقَاقِكُمْ فَهوَ يُفَادُ^(٣)
لَأَطْفَأُ نَارًا فِي الْحَشَا تَتَوَقَّدُ
وَأَحْسَنَ مِنْ سِرْبَالِهَا الْمُتَجَرَّدُ^(٤)

لمعن بن زائدة

وَضَدًّا لَكُمْ لَا زَالَ يَسْفُلُ جَدُّهُ
يَرَى زَبْرَجَ الدُّنْيَا يُرْفُ إِلَيْكُمْ
وَلَوْ قَاسَ بِاسْتِحْقَاقِكُمْ مَا مُنِحْتُمْ
وَأَتَّقُ مِنْ عِقْدِ الْعَقِيلَةِ جِيدُهَا
وَقَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ :لَاعَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مَحْسُودِ
بِالْعِلْمِ وَالظَّرْفِ ، أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْجُودِإِنِّي حَسِدْتُ فَرَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي
مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فِضَائِلِهِ

(١) لا أرتقي صدرًا ولا أورد : لأصعد ولا أهبط ؛ فأنا كالشجي الدائم الذي لا سلامة لأعدائي منه . وهذه الأبيات غاية في جمال البيان (٢) الجد - بالفتح - الحظ (٣) يفاد : يحرق فؤاده .

(٤) يقول : إن جيد العقيلة أجمل من العقد الذي يظن أنه يزيه ، والتجرد - أي الجسم العريان - أجمل من السربال وهو القميص .

ألفاظ لأهل المصر في ذكر الحسد

دَبَّتْ عِقَابُ الحَسَدَةِ ، وكنتم أفَاعِيهِمْ بكلِّ مَرَّصِدٍ . فلان مَعْجُونٌ من طِينَةِ الحسدِ والمُنَافَسَةِ ، مضروبٌ في قلب الضَّيقِ والمناقشة . قد وكلَ بي لَحْظًا يَنْتَضِلُ بِأَسْهُمِ الحسدِ . فلان جَسَدٌ كُلُّهُ حَسَدٌ ، وعقد كُلُّهُ حِقْدٌ . الحاسدُ يَعْمَى عن محاسن الضَّبع ، بعين تُدْرِكُ حقائق القُبْحِ .

[التلطف في الطلب]

كتب محمد بن حماد يُعَرِّضُ في حاجةٍ له بيدي شعر إلى الواثق يقول :
 بين الواثق
 ومحمد بن حماد
 جذبت دَوَاعِي النَّفْسِ عن طلبِ المَنَى وقلت لها كُنِّي عن الطَّلَبِ المُزْرِي
 فَإِنَّ أُمَّـيـرَ المُؤْمِنِينَ بَكَفَهُ مَدَارُ رَحَى بِالرِّزْقِ دَائِبَةٌ تَجْرِي
 فوقع تحتها : جَذَبَكَ نَفْسَكَ عن امتثالها بالمسألةِ دعاني إلى صَوْنِكَ بِسَعَةِ
 فَضْلِي عَلَيْكَ ، فَخُذْ مَا طَلَبْتَ هَنِيئًا .

قال علي بن عبيدة : أتيت الحسن بن سهل بفم الصلح ؛ فأقمت بيابه ثلاثة
 أشهر لا أخطئ منه بطائل ، فكتبت إليه :
 بين الحسن بن
 سهل وعلي
 ابن عبيدة

مَدَحْتُ ابنَ سَهْلٍ ذَا الأيَادِي وَمَالَهُ بِذَلِكَ يَدٌ عِنْدِي وَلَا قَدَمٌ بَعْدُ
 وَمَا ذَنْبُهُ ، وَالنَّاسُ - إِلَّا أَقْلَهُمْ - عِيَالٌ لَهُ ، إِنْ كَانَ لَمْ يَكُ لِي جَدُّ
 سَأَمَحِدُهُ لِلنَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لَهُ فِي رَأْيٍ عَادَ لِي ذَلِكَ الحَمْدُ

فكتبت إلى : باب السلطان يحتاجُ إلى ثلاثِ خِلالٍ : عقلٌ وصَبْرٌ ومالٌ ،
 فقلت للواسطة : تؤدِّي غني؟ قال : نعم . قلت : تقول له : لو كان لي مال لا غناني
 عن الطلب إليك ، أو صَبْرٌ اصبرت عن الدُّلِّ بيابك ، أو عَقْلٌ لاستدلت به على
 البراهمة عن رِفْدِكَ ! فأمر لي بثلاثين ألفَ درهمٍ .

وقال علي بن عبيدة الرياحي يوماً ، وقد رأى جارية يهواها : لولا البقيا على الضمائر لبحننا بما نحنه السرائر ، لكن نيران الحب تتدارك بالإخفاء ، ولا تعاجل بالإبداء ؛ فإن دوامها مع إغلاق أبواب الكتمان ، وزوالها في فتح مصارع الإعلان .
وقد قال محمد بن يزيد الأموي :

لا وحيبك لا أصا فحج بالدمع مدمعا
من بكى حبه استرا ح وإن كان موجعا

ومن كلام علي بن عبيدة : اجعل أنسك آخر ما تبذل من ودك ، وضن الاسترسال منك ، حتى تجدله مستحقاً ؛ فإن الأنس لباس العرض ، وتخفة الثقة ، وحياء الأكفاء ، وشعار الخاصة ، فلا تخلق جدته إلا لمن يعرف قدر ما بذلت له منك .

وقال : لولا حركات من الابتهاج أجد حسنها عند رؤيتك في نفسي لا أعرف لها مثيلاً من مظانها إلا مؤانستك لي ، لأبقيت عليك من العناء ، وخففت عنك مؤونة اللقاء ؛ لكنني أجد من الزيادة بك عندي أكثر من قدر راحتك في تأخرك عني ، فأضيق عن احتمال الحسران بالوحدة منك .

وقال : لوجلي من طلوع الملالة بكر اللقاء أستخف التجاني مع شدة الشوق ، لتبقى جدة الحال عند من أحب دوامه لي ؛ ورد طرف الشوق باطنا أبسر من معاناة الجفاء مع الود ظاهراً .

وقال بعض المحدثين :

كم استراح إلى صبر فلم يرح
تركت قلبه من حزن فرقتكم
وقال أعرابي :

ذات العصى جادت عليك الهواضب^(١) ألا قل لدار بين أئمة الحمى

(١) الهواضب : السحب المواتر

بعض كلام علي
بن عبيدة
الرياحي

لبعض المحضين
من الشعراء
في الشوق

أَجَدَّكَ لَا آتِيكَ إِلَّا تَتَابَعَتْ دُمُوعٌ ، أَضَاعَتْ مَا حَفِظْتُ ، سَوَارِكِبُ
 دِيَارٌ تَسَمَّتُ الْمَنَى نَحْوَ أَرْضِهَا وَطَاوَعَنِي فِيهَا الْهُوَى وَالْحَبَائِبُ
 لِيَالِي لَا الْهَجْرَانُ مُحْتَكِمٌ بِهَا عَلَى وَصْلِ مَنْ أَهْوَى وَلَا الظَّنُّ كَاذِبٌ
 [الأدب في مجلس الحكم]

بين إبراهيم بن
 أدهم والطبيب
 ابن بختيشوع
 عند ابن
 أبي دؤاد

تنازع إبراهيم بن المهدي وابن بختيشوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد
 في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد ، فأرَبني عليه إبراهيم وأغلظَ له ، فأحفظ
 ذلك ابن أبي دؤاد ، فقال : يا إبراهيم ، إذا نازعت في مجلس الحكم بحضرتنا أمرنا
 فلا أعلن أنك رفعت عليه صوتنا ، ولا أشرت بيد ، وليكن قضدك أمماً^(١) .
 وريحك ساكنة ، وكلامك معتدلاً ، مع وفاء مجالس الخليفة حقوقها من التعظيم ،
 والتوقير ، والاستكانة ، والتوجه إلى الواجب : فإن ذلك أشكلُ بك ، وأشملُ
 لمذهبك في محنتك ، وعظيم خطرِك ، ولا تعجلن ، فرُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رِيثًا ، والله
 يعصمك من حطال القول والعمل ، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبيك من قبل .
 إن ربك حكيم عليم .

فقال إبراهيم : أصدحك الله تعالى : أمرت بسداد ، وحضضت على رشاد :
 ولستُ عائدًا لما يئملُ مرؤءتى عندك ، ويُسقطني من عينك ، ويخرجني من
 مقدار الواجب إلى الاعتذار ، فيأنا معتذراً إليك من هذه البادرة اعتذار مُقرراً
 بذنبي ، مُعترفٍ بِجُرْمِهِ ، ولا يزال الغضبُ يستفزني بمواده ، فيردني مثلك بجله ،
 وتلك عادَةُ الله عندك وعندنا منك ؛ وقد جعلتُ حقِّي من هذا العقار لابن بختيشوع ،
 فليت ذلك يكون واقياً بأرْش الجناية عليه^(٢) ؛ ولم يتنف مال أفاد موعظةً :
 وحسبنا الله ونعم الوكيل^(٣) .

(١) أمم : قريب

(١) الأرش : الدية (٢) هذا الحديث يمثل جانباً من الحظ الذي ظفر به أحمد
 ابن أبي دؤاد في عصره . وقد صحب هذا الرجل المأمون والمعتصم والواثق وعمل معهم
 جميعاً . توفي سنة ٢٤٠

[حكمة أردشير وحضه على العلم]

لما استوثق أمرُ أردشير بن بابك وجمع ملوك الطوائف . وتمَّ له ملكه ، جمع الناسَ فخطبهم خطبةً حضَّ فيها على الألفة والطاعة ، وحذَّروهم المعصية ومفارقة الجماعة ، وصفَّ الناسَ أربعة صفوفٍ ؛ فخرُّوا له سجدًا ، وتكلَّم متكلِّمهم فقال :

لازلت أيها الملك محبوباً من الله تعالى بعزِّ النصر ، ودرك الأمل ، ودوام العافية ، وتمام التعمه : وحسن المزيد ، ولازلت تتابعُ لديك المكرمات ، وتشفع إليك الدمامات^(١) حتى تبلغ الغاية التي يؤمنُ زوالها ، وتصل إلى دارالقرار التي أعدها الله تعالى لنظرائك من أهل الزلْفى عنده والمكانة منه ، ولازال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة النجوم والأنهار ، حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علوِّ قدرِك عليها ، ونفاذِ أمرِك فيها ، فقد أشرقَ علينا من ضياء نورِك ما عمنا عمومَ ضياء الصبح ، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتَّصل بأنفسنا اتصال النسيم ؛ فأصبحت قد جمع الله بك الأيدي بعد افتراقها ، وألَّف القلوب بعد توقد نيرانها ، ففضلك الذي لا يدركُ بوصف ، ولا يُحدُّ بنقْط .

فقال أردشير : طوبى للممدوح إذا كان للمدح مستحقاً ، وللداعي إذا كان للاجابة أهلاً .

وقيل لأردشير : أيها الملك الرفيع الذي حَلب العصور ، وجرب الدهور ، أى الكنوزِ أعظمُ قدرًا ؟ قال : العلم الذي خفَّ محمله ، فنقُلت مفارقتَه ، وكثرت مراقبته ، وخفى مكانه ، فأمن من السرِّقِ عليه ؛ فهو فى الملائمات ، وفى الوحدة أنيس ، يُرأسُ به الخسيس ، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك . قيل له : فالمال ؟ قال : ليس كذلك . محمله ثقيل ، والهَمُّ به طويل ؛ إن كنت فى ملاءمك الفكرُ فيه ، وإن كنت فى خلوة أتعبتك حراسته .

(١) الدمامات : جمع ذمام — بكسر الهمزة ، بزنة كتاب — وهو العهد ونحوه

[أخلاق الملوك]

قال الجاحظ : حدثني الفضل بن سهل قال : كانت رسلُ الملوك إذا جاءت بالهدايا يُجْعَلُ اختلافُهم إلى ، فتكون المؤامراتُ فيامعهم من ديواني ، فكنت أسأل رجلاً رجلاً منهم عن سيرِ ملوكهم ، وأخبار عظماهم ، فسألتُ رسولَ ملك الروم عن سيرة ملكهم ، فقال : بَدَلُ عُرْفِهِ ، وَجَرَّدَ سَيْفَهُ ، فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً ، لَا يَنْظُرُ جُنْدَهُ ، وَلَا يُخْرِجُ رَعِيَّتَهُ ؛ سَهْلُ النَّوَالِ ، حَزْنُ النَّكَالِ ، الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ ، مَعْقُودَانِ فِي يَدِهِ .

وصف ملك
الروم

قلت : فكيف حكمه ؟ فقال : يَرُدُّ الظُّلْمَ ، وَيُرَدِّعُ الظَّالِمَ ، وَيُعْطِي كُلَّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ ؛ فَالرَّعِيَّةُ اثْنَانِ : رَاضٍ ، وَمُعْتَبَطٌ .

قلت : فكيف هيبتهم له ؟ قال : يُتَنَصَّرُ فِي الْقُلُوبِ ، فَتَنْغَضِي لَهُ الْعْيُونَ .

قال : فنظر رسولُ ملك الحبشة إلى إضعفاني إليه ، وابتالي عليه ، فسأل الترجمان : مالذي يقوله الرومي ؟ قال : يَذْكُرُ ملكهم ، وَيَصِفُ سيرته ؛ فتكلم مع الترجمان بشيء ، فقال لي الترجمان : إنه يقول : إن ملكهم ذو أناة عند القدرة ، وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام ، قد كسا رعيته جميل رعيته ، وحوثهم عسف رعيته ؛ فهم يترءونه رأى الهلال خيالا ، ويخافونه مخافة الموت نكالا ، وسبهم عدله ، وردعتهم سطوته ، فلا تمتحنه مراحة ، ولا تؤمبه عفة ؛ إذا أعطى أوسع ، وإذا عاقب أوجع ؛ فالناس اثنان : راج وخائف ، فلا الراجي خائب الأمل ، ولا الخائف بعيد الأجل . قلت : فكيف هيبتهم له ؟ قال : لا ترفعُ إليه العيون أجفانها ، ولا تنبئه الأبصارُ إنسانها ، كأن رعيته قطاً رفرت عليها صقورٌ صوائد .

وصف ملك
الحبشة

فحدثتُ المأمون بهذين الحديثين فقال : كم قيمتهما عندك ؟ قلت : ألفا درهم .

قال : يا فضل ؛ إن قيمتهما عندي أكثرُ من الخلافة ، أما عرفت قول علي بن

أبي طالب كرم الله وجهه : قيمة كل امرئ ما يحسن . أفنعرِفُ أحداً من الخطباء البُلغاء يُحسِنُ أن يصفَ أحداً من خلفاء الله الراشدين المهديين بهذه الصفة ؟ قلت : لا . قال : فقد أمرتُ لهما بعشرين ألف دينار ، واجعل العذر مادة بيني وبينهما في الجائزة [على المعوز] ؛ فلو لا حقوق الإسلام وأهله لرأيتُ إعطاءها مافي بيت مال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه .

فضل أخت
ملك الخزر

وقال الجاحظ : حدثني حميد بن عطاء . قال : كنتُ عند الفضل بن سهل ، وعنده رسولُ ملك الخزر ، وهو يحدثنا عن أختٍ لملكهم ، قال : أصابتنا سنةً احتدم شواظها علينا بجر المصائب ، وصنوف الآفات ؛ ففرع الناسُ إلى الملك ، فلم يدر ما يجيبهم به ، فقالت أخته : أيها الملك ؛ إن الخوفَ لله خلق لا يخلقُ جديدةً ، وسببُ لا يمتن عزيزه ، وهو دالُّ الملكِ على استصلاح رعيته ، وزاجرُهُ عن استفسادها ، وقد فرغتُ إليك رعيتهُك بفضل العجزِ عن الانجاء إلى من لا تزيدُه الإساءة إلى خلقه عزا ، ولا ينقصه العودُ بالإحسان إليهم مُلكا ، وما أحدٌ أولى بحفظ الوصية من الموصي ، ولا بركوب الدلالة من الدال ، ولا بحسن الرعاية من الراعي . ولم تزل في نعمة لم تغبرها نعمة ، وفي رضا لم يكدره سُخط ، إلى أن جرى القدرُ بما عصى عنه البصر ، وذهل عنه الحذر ، فسلب الموهوب ، والواهب هو السالب ؛ فعدُ إليه بشكرِ النعم ، وعُدْ به من فطيعِ النقم ، فتى تنسه يَنسُك ، ولا تجعلنَّ الحياء من التذلل المعزَّ المذل سترًا بينك وبين رعيتهُك ، فتستحق مذمومَ العاقبة ؛ ولكن مؤثمٌ ونفسك بصرف القلوب إلى الإقرار له بكنه القدرة ، وبتذلل الألسن في الدعاء بمحضِ الشكرِ له ؛ فإن الملك ربما عاقب عبده ليرجمه عن سيئٍ فعلٍ إلى صالح عمل ، أو ليبيعه على دائبِ شكرٍ ليخرز به فضلَ أجر .

فأمرها الملك أن تقومَ فيهم فتذرم بهذا الكلام ، ففعلت ، فرجع القومُ وقد

علم الله منهم قبول الوعظ في الأمر والنهي ؛ فحال عليهم الخول وما مهم مفتقد
 نعمة كان سلبها ، وتواترت عليهم الزيادات بحمى الصنع ؛ فاعترف لها الملك
 بالفضل ، فقلدها الملك ؛ فاجتمعت الرعية لها على الطاعة في المكروه والمحجوب
 قال : وهذا وهم أعداء الله تعالى ، وضرائر نعمته ، ومستوجبو نعمته ، أعاد لهم
 بالشكر ما أرادوا ، وأعطاهم بالإقرار له بكنه قدرته ما تمنوا ، فكيف بمن جمعه على
 الشكر نوران اثنان : قرآن منزل ، ونبي مرسل ، لو صدقت النيات ، واجتمعت
 على الافتقار إليه الطلبات ؛ لكنهم أنكروا ما عرفوا ، وجهلوا ما عملوا ، فأنقلب
 جدمهم هزلا ، وسكوتهم خبلا .

قطعة صادرة من أقوال الملوك دالة على فضل كرمهم وبعدهم

غضب كسرى أنوشروان على بعض مرآزبته ، فقال : يُحطُّ عن مرتبته ،
 ولا يتقص من صلته ؛ فإن الملوك تؤدّب بالهجران ، ولا تعاقب بالحُرمان .
 واصطنع أنوشروان رجلا فقيل له : إنه لا قديم له . قال : اصطنأنا
 إياه شرفه .

قال معاوية رضى الله عنه : نحن الزمان ، من رفَعناه ارتفع ، ومن وضعناه
 اتضع . وكان يقول : إني لآنفُ من أن يكون في الأرض جهلٌ لا يسعُهُ حلمي ،
 ودنْبٌ لا يسعُهُ عقوى ، وحاجة لا يسعُها جُردى .

عبد الملك بن مروان - أفضلُ الناس من تواضع عن رِفعة ، وعفا عن قُدرة ؛
 وأنصف عن قُوّة .

زيد - استشفعوا لمن وراءكم ؛ فليس كلُّ أحدٍ يصلُ إلى السلطان ، ولا كلُّ
 من وصل إليه يَقدرُ على كلامه .

المهلب - عَجبتُ لمن يشتري الممالك بماله ، كيف لا يشتري الأحرار

بمعروفه ! وقد روى هذا لابن المبارك . وقال لبيه : يا بني ؛ أحسن ثيابكم ما كان على غيركم .

قال أبو تمام الطائي يَسْتَهْدِي فَرَوًّا ، وعَرَّضَ بقول المهلب :
 فهل أنت مُهْدِيهِ بِمَثَلِ شَكِيرَةٍ مِنْ الشُّكْرِ يَعْلُو مُصْعِدًا وَيَصُوبُ^(١)
 فأنتَ العَليمُ الطَّبَّ أَيْ وَصِيَّةٍ بِهَا كَانَ أَوْصَى فِي الثِّيَابِ المَهْلَبُ^(٢)
 يزيد بن المهلب — استكثروا من الحمد ؛ فإنَّ الذمَّ قَلَّ من ينجو منه .
 السفاح — ما أَقْبَحَ بنا أن تكون الدنيا لنا وأولياؤنا خالون من أثرها .
 المأمون — إنما تَطْلُبُ الدنيا لَتُمَلِّكَ ، فإذا مُلِكتَ فلتوهب . وقال : إنما
 يتكثَّرُ بالذهب والفضة من يَقْلانَ عنده .

الحسن بن سهل — الأطراف مَنَازِلُ الأشراف ؛ يتناولون ما يزيدون بالقُدرة ،
 وينتاجهم مَنْ يريدهم بالحاجة . وتعرض له رجل فقال له : من أنت ؟ قال : أنا
 الذي أحسنتَ إلىَّ يومَ كذا وكذا . فقال : مرحباً بمن تَوَسَّلَ إلينا بنا .
 ولما أراد المعتصم أن يشرَّفَ أشناس التركي بعقب فتح الخزمية أمر أصحاب
 المراتب بالترجُّل إليه ، فترجَّل إليه الحسنُ بن سهل ، فنظر إليه حاجبه يمشى ويتعثر
 في مَشْيِهِ ، فبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ إن الملوكَ شَرَفَتْنَا وشرفتنا بنا .

ومن كلام أهل العصر

للأمير شمس المعالي قابوس بن وَشْمَكِير^(٣) — مَنْ أَعَدَّتْهُ نِكَايَةُ الأيَّامِ أَقَامَتْهُ
 إِغَاثَةُ الكِرَامِ ؛ ومن ألبسه الليلُ ثوبَ ظلماته نزعَهُ النهارُ عنه بضيائه .

(١) شكيره : شعرة ، يريد أن هديتك لاتساوى شعرة من شكره ، ويعلو ويصوب :
 يرتفع وينخفض :

(٢) الطب — بالفتح — الماهر الحاذق بعمله ، وهو أيضا الفحل الحاذق بالضراب

(٣) له ترجمة في ابن خلكان (رقم ٥١٢ بتحقيقنا) وقيمة الدهر للشعالبي (م)

وله : ابتناه المناقب باحتمال المتاعب ، وإحرازُ الذِّكرِ الجليلِ بالسَّعيِ في
الخطبِ الجليلِ .

الصاحب بن عباد :

وقائلةٍ : لِمَ عَزَتِكَ الهُمومُ وَأَمْرُكَ مُمْتَلِئٌ فِي الأُمَّمِ ؟
فقلت : ذَرَيْنِي لِمَا أَشْتَكِي فَإِنَّ الهُمومَ بِقَدْرِ الهِمَمِ

أبو الطيب المتنبي :

أَفْضَلُ النِّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الهِمَمِ أَخْلَاهُمْ مِنَ الفِطَنِ
أبو الفتح البستي :

صَاحِبُ السُّلْطَانِ لِأَبْدَلِهِ مِنْ هُمومٍ تَعْتَرِيهِ وَغُمَمٍ
وَالَّذِي يَرُكِبُ بَحْرًا سَيَرَى قَحْمَ الأَهْوَالِ مِنْ بَعْدِ قَحْمِ (١)

ومن كلام الملوك الجاري مجرى الأمثال

أردشير - إذا رغبت الملوك عن العدلِ رغبت الرعيّة عن الطاعة .
أفريدون - الأيام صحائفُ آجالِكُم ، فخلدوها أحسنَ أعمالِكُم .
وقيل للإسكندر : ما بالُ تعظيمك لمؤدّبك أكثر من تعظيمك لأبيك ؟
قال : لأنّ أبي سببُ حياتي الفانية ومؤدّبي سببُ حياتي الباقية .
ودخل محمد بن زياد مؤدّب الواثق على الواثق ، فأظهر إكرامه ، وأكثرت
إعظامه ، فقيل له : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا أولُ من فتق لساني
بذِكْرِ اللهِ ، وأدنانِي من رحمة الله .
وأشير على الإسكندر بتبئيت الفرس (٢) ، فقال : لأجعل غلبتي سرقة . وقيل
له : لو تزوّجت بنت دارا ؟ فقال : لا تغلبني امرأة غلبت أباه .

(١) قحمة : جمع قحمة ، وهي الشدة (٢) التبئيت : الهجوم بغتة بالليل

أنوشروان - الملك إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلعه من قواعد بنيانه .

أبرويز - أطيع من [فوقك يطعمك من] دونك .
السفاح - إن من أذنى الناس ووضعاتهم من عد البخل حزماً ، والنفو ذلاً .
وكان يقول : إذا كان الحلم مفسدة كان العفو مفجزة ، والصبر حسن إلا على ما أوقع بالدين ، وأوهمى السلطان ؛ والأمة محمودة إلا عند إمكان الفرصة .
وقد قال ابن المعتز :

كم فرصة ذهبت فعادت غصة تشجى بطول تلهف وتندم^(١) ،
ولما عزم المنصور على الفتك بأبي مسلم فزع من ذلك عيسى بن موسى ،
فكتب إليه :

إذا كنت ذارأي فكن ذاتدبرٍ فإن فساد الرأي أن تتمحلاً
فأجابه المنصور :

إذا كنت ذارأي فكن ذاعزيمةٍ فإن فساد الرأي أن تتردداً
ولا تمهل الأعداء يوماً بغدوةٍ وبادرهم أن يملكوا مثلها غداً^(٢) ،
وهذا في موضعه كقول الإمام علي كرم الله وجهه : من فكر في العواقب
لم يشجع

وقال سعد بن ناشب فأفرط^(٣) .

- (١) الغصة : ما اعترض في إخلق ، وتشجى : تحدث الشجا وهو الغصة ، وغصبت ، بالكسر والفتح ، تغص ، بالفتح ، غصصا ، فأنت غاص وغصان .
(٢) في نسخة « ولا تمهل الأعداء يوماً بقدره » (م) .
(٣) وأول هذه القطعة :

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا
وأذهل عن دارى وأجعل هدمها لعرضى من باقى المذمة حاجبا

عليكم بدارى فهدموها ؛ فإيها^(١) تراث كريم لا يخاف العواقب^(٢)
 إذا همم التي بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانباً
 ولم يستشِر في رأيه غير نفسه ولم يرض إلا فأنم السيف صحباً
 سأغسل عنى العار بالسيف جالباً على قضاء الله ما كان جانياً
 ويصغرف عيني تلادى إذا اثنت يميني بإدراك الذى كنت ظانياً
 وكان سعد من مردة العرب وشياطين الإنس . وفيه يقول الشاعر :
 وكيف فُيق الدهر سعد بن ناشب وشيطانُه عند الأهنة ضرعاً
 كتب مروان بن محمد الجعدي إلى عبدالله بن علي بسأله حفظ حرمه . فقال
 له : الحق لنا في دمك ، وعلينا في حريمك .

وقال الرشيد لإسماعيل بن صبيح : إياك والدالة^(٣) فإنها نفس حرمه ، ومنها
 أتى البرامكة .

وقال المأمون : الملوك تحتمل كل شىء إلا ثلاثاً : إفساء السر ، والتفدح
 في الملك ، والتعرض للحرم .

المعتصم إذا نصير الهوى بطل الرأى .
 المنتصر - لذة العفو أطيب من لذة التشقى : وذلك أن لذة العفو يلحقها
 حمد العاقبة ، ولذة التشقى يلحقها ذم الندم .

(١) رواية الحماسة : « فإن تهدموا بالعدر دارى »

(٢) وبعد هذا البيت : روى صاحب الحماسة :

أخى غمرات لا يريد على الذى بهم به من مقطع الأمر صاحب
 إذا هم لم تردع عزيمة هم ولم بات ما يأتى من لأمر هائب
 فيا لوزام رشحوا بي مقدما إلى الموت خواصاً إليه الكتابيا

(٣) الدالة : ما تدل به على صديقك من خير قدمته . وفي الأصل (المنة) وهو تحريف

والمنتصر يقول عن تجربة ؛ لأنه قتل أباه المتوكل ، والأمرُ في ذلك أشهرُ من أن يُذكرَ ، ولكني أُلِمِعُ منه باليسير :

مقتل المتوكل
العباسي

كان المتوكلُ قد عَقَدَ لولده المنتصر والمعتز والمؤيد ولايةَ العهد ، ثم تَغَيَّرَ على المنتصر دون أخوينه ، وكان يسميه المنتظر ، ويقول له : أنتَ تَتَمَتَّى موتي ، وتنتظر وَوَقْتِي ! ويأمرُ الندماء أن يعيشوا به ، إلى أن أوغَرَ صدره ، وأقلَّ صبره ؛ فلما كانت ليلةَ الأربعاء ثلاثِ خَلاوَنَ من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين كان المتوكلُ يَشْرَبُ مع الفَتَحِ في قَصره المعروف بالجعفري ، ومعه جماعة من الندماء والمغنين ، وكان المنتصر معهم ، فلما انصرفت ثلاثُ ساعاتٍ من الليل قال لزرَّافَةَ التركي : ألا تَسْمَعُنِي ساعةً حتى أشكو إليك ما يمرُّ بي ؟ قال : بلى ، وجعل يماطله ويطاونه ، وغلَّقَ بَعا الشرائي الأبوابَ كلها إلا بابَ الماء ، ومنه دخل الذين قتلوه ، فَوَلَّ منْ ضربه باغر التركي ضربةً قطع بها حبلَ عاتقه ، وتلقاه الفَتَحُ بنفسه فأكبَّ عليه ، فقتلًا جميعاً ، وبويع المنتصر من ساعته ، وكانت مدَّةَ المنتصر في الخلافة مدةَ شيرويه ابن كسرى — حين قتل أباه — ستة أشهر .

إبراهيم بن
أحمد الأسدي
يرثي للمتوكل

وقال إبراهيم بن أحمد الأسدي يرثي المتوكل :

هكذا فلتكن منايا الكرام بين ناي وميزهر ومُدَامِ
بين كأسين أروتاه جميعاً كأس لذاته وكأس الحمام
يقظ في السرور حتى أتاه - قَدَّرَ اللهُ - حَتْفُهُ في المنام
والمدايا مراتب يتفاضلن وبالمرهفات موت الكرام
لم ير نفسه رسول المنايا بصنوف الأوجاع والأسقام
هابه مُعَلِنًا فدبَّ إليه في سُتُورِ الدُّجَى بحدِّ الحسام

أخذ هذا المعنى عبد الكريم بن إبراهيم التيمي ، فقال يرثي عيسى بن خلف لعبد الكريم صاحب خراج المغرب ، وكان قد تناول دواءً فمات بسببه :

التيمي يرثي
صاحب خراج
المغرب

منايا سدَّتْ الطَّرْقَ عنها ولم تدع لها من ثنانياً شأقي متطلماً

فلما رأت سُورَ المهابة دونها عليك ولما لم تجدُ فيك مَطْمَعًا
 ترقّت بأسبابِ لَطَافٍ ولم تكد تَوَاجِه موفور الجلالةِ أَرْوَعا
 فجاءتكَ في سِرِّ الدواءِ خَفِيَّةٌ على حينٍ لم تَحْذَرُ لداءِ تَوَقُّعا
 فلم أرَ مالا يُتقى مثلَ سَهْمِها ولا مثلها لم تَخْشَ كيدا فترجعا
 وقد رثاه البحرى ويزيد المهابى بمرثيتين من أجودِ ما قيل في معناها ، وكانا
 حاضرين ليلة قتلِهِ . فاخترني أحدهما في طيِّ الباب ، والآخر في قناة الشاذرِ وآن ؛
 فمن قصيدة البحرى :

تغَيَّرَ حُسْنُ الجَعْفَرِيِّ وَأُنْسُهُ وقوَّضَ بادِي الجَعْفَرِيِّ وحاضِرُهُ
 تَحَمَّلَ عَنْهُ ساكنوهُ فُجَاءَةً فأَصَتْ سِوَاءَ دُورِهِ ومقَابِرُهُ (١)
 ولم أَرِ مثلَ القَصْرِ إِذْ رِيعَ سِرْبُهُ وإِذْ ذَعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وجَاذِرُهُ (٢)
 وإِذْ صِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَتَكَتْ على عَجَلٍ أَشْتَارُهُ وسَتَارُهُ
 إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَّ لَنَا الأَمِيَّ وقد كان قبل اليوم يَبْهَجُ زائرُهُ
 فَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوْبَةٍ تَنْوِبُ ونَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَأَمْرُهُ (٣)
 تَخْفَى لَهُ مُغْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةِ وأولى لمن يَغْتَالُهُ لو يَجَاهِرُهُ
 صَرِيحٌ تَقَاضَاهُ السِّیُوفُ حُشاشَةً يَجُودُ بِهِنَّ والموتُ حُمْرُ أَظْلاِفِرُهُ
 حَرَامٌ عَلَى الرَّاحِ بَعْدَكَ أو أرى دَمًا بِدَمٍ يَجْرِي على الأَرْضِ مائِرُهُ
 وَهَلْ يُرْتَجَى أَنْ يَطْلُبَ الدَّمُ طَالِبٌ مَدَى الدَّهْرِ والموتورُ بالدمِ وَأَتْرُهُ (٤)
 فَلَا مَلَى الباقِي تَرَاثَ الَّذِي مَضَى ولا حَمَلَتْ ذاكَ الدِّعَاءَ مَنَابِرُهُ

للبحرى في رثاء
التوكل

(١) آصت: صارت (٢) الأطلاء: جمع طلاء، وهو ولد الظنة ، والجاذر: جمع
 جوذر، وهو ولد البقرة (٣) قبل هذا البيت :

فأين الحجاب الصعب حيث عنعت بهبتها أبوابه ومقاصره
 وأين عميد الناس — إلخ (٤) الموتور هو الوائر ؛ لأن الذي قتل التوكل هو ابنه

وهي طويلة^(١)، وكان أبو العباس ثعلب يقول فيها: ما قبلت هاشمية أحسن
منها، وقد صرح فيها تصريحاً من أذهلته المصائب عن تخوف العواقب .
وفد كان البحترى يرتاح في كثير من شعره إلى ذكره وذكر الفتح بن خاقان،
فمن ذلك قوله لبعض من يمدحه :

من شعر
البحترى

تداركني الإحسانُ منك ، ونالني
ودافعت عني حين لا الفتح يرتجى
على فاقية ذاك الندى والتطوُّلُ
لدفع الأذى عني ولا المتوكلُ
وقال :

مضى جعفرٌ والفتحُ بين مؤسِّدٍ
أأطلبُ أنصاراً على الدهر بعدما
وبين قتيل في الدماء مضرِّجٍ
توى منها في التراب أوسى وخزرجى^(٢)
وقال في غلام له :

عسى آيس من رجعة الوصل يوصلُ
أيا سكناً فات الفراق بنفسه
ودهره تولى بالأحبة يُقبلُ
وحال التعادى دونه والتزليلُ
ولم يخترم نفسى الحيام المعجلُ
وفارقنى شقماً له المتوكلُ
فأبلغ الدمع الذي كنت أرتجى
ولا فعل الوجد الذي خلت يفعلُ

وقال أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى في قصيدة أولها :

ليزيد بن محمد
المهلبى يرتى
المتوكل

لا وجد إلا أراه دون ما أجدُ
ولا كمن فقدت عيناي مفتقدُ

(١) ومن جيدها قوله :

أدافع عنه باليدى ، ولم يكن
ولو كان سيف ساعة الفتك في يدي
ليثنى الأعداى أعزل الليل حاسره
درى الفاتك العجلان كيف أساوره
أكان ولى العهد أضمر غدره
فمن عجب أن ولى العهد غادره
(٢) مات أوسه وخزرجه : مثل في فقد النصير لأن الأوس والحزرج يضرب بهما

المثل العالى في النصرة .

يقول فيها :

لا يَبْعَدَنَّ هَالِكُ كَانَتْ مَنِيتُهُ كما هَوَى من عَضَاهِ الزُّبِيَةِ الْأَسَدُ^(١)
 جَاءَتْ مَنِيتُهُ وَالْعَيْنُ هَادِيَةٌ هَلَا أَتَتْهُ لِلنَّايَا وَالقَنَا قُصْدُ^(٢)
 فُخْرٌ فَوْقَ سَرِيرِ الْمَالِكِ مُنْجَدِلًا لَمْ يَحْمِهِ مُلْكُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمْدُ
 لَا يَدْفَعُ النَّاسُ ضَيْمًا بَعْدَ لَيْلَتِهِمْ إِذْ لَا يُهْرُؤُ إِلَى الْجَانِي عَلَيْكَ يَدُ
 عَدَنُكَ أَسْيَافٌ مَنْ لَادُونَهُ أَحَدٌ وَليْسَ فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمَدُ
 إِذَا بَكَيْتُ فَإِنَّ الدَّمْعَ مُنْهَمِلٌ^(٣) وَإِنْ زُنَيْتُ فَإِنَّ الشَّعْرَ مُطَرِّدُ
 إِنَّا قَدَّ نَاكَ حَتَّى لَا اصْطَبَارَ لَنَا وَمَاتَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ فَمَا فَقَدُوا
 قَدَكُنْتُ أُسْرِفُ فِي مَالِي فَتُخْلِفُهُ فَعَلَّمْتَنِي اللَّيَالِي كَيْفَ أَقْتَصِدُ

وقال فيها يذكر الأتراك . ويحضر على اصطناع العرب :

لَمَّا اعْتَقَدْتُمْ أَنَا سَاءَ لَا حِفَاطَ لَهُمْ ضَعِمْ وَضِعْتُمْ مَنْ كَانَ يُعْتَقِدُ
 وَلَوْ جَعَلْتُمْ عَلَى الْأَحْرَارِ نِعْمَتَكُمْ حَتْمَكُمُ الذَّادَةَ الْمُنْسُوبَةَ الْحَشْدُ^(٣)
 قَوْمٌ هُمْ الْأَصْلُ وَالْأَسْمَاءُ تَجْمَعُكُمْ وَالذِّينَ وَالْمَجْدُ وَالْأَرْحَامُ وَالْبَلَدُ
 إِنْ الْعَبِيدَ إِذَا أَذَلَّتْهُمْ صَلَحُوا عَلَى الْهَوَانِ وَإِنْ أَكْرَمْتَهُمْ فَسَدُوا
 وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ النَّمِيرِيُّ^(٤) :

رَمَتْهُ فِتَاةٌ مِنْ رِبِيعَةَ عَامِرٍ نَوُومُ الصَّحْحَى فِي مَاتَمٍّ أَى مَاتَمٍّ^(٥)

لأبي حية
النميري

(١) العضاء : جمع عاضية ، وهي الحية تقتل لساعتها ، والزبية : تلمة الأسد

(٢) قصد : جمع قصد - على وزن كتف - أى متكسر .

(٣) الذادة : جمع ذائد وهو المدافع ، والحشد بضمين جمع حشد ، على وزن كتف ،

وهو من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة والمال (٤) هو الهيم بن ربيع
 المتوفى نحو سنة ١٦٠ (٥) رواية الحماسة «رمته أناة» والأناة : المرأة فيها قور عند القيام .

والماتم : كل مجتمع في حزن أو فرح ، أو هو خاص بالنساء . أو بالشباب من =

فقنن هاتق السرّ: نفديك لايرح
فألتق قناعاً دونه الشمس واتقت
وقالت فلما أفرغت في فواده
فأصبح لا يدري أفي طلعة الضحى
أخذ قوله: « فألتق قناعاً دونه الشمس » من قول النابغة الذبياني:
قامت ترأى بين سجنٍ كلةٍ
سقط النصف ولم ترد إسقاطه
كأشمس يوم طلوعها بالأسعد^(٢)
فتناولته واتقتنا باليسد

وقال أبو حية يرثي سلمة بن عياش:
كأنّ أباحفص فتى البأس لم يحب
إلى الغاية القصوى، ولم تهد فتيةً
ويعمل عناق العيس حتى كأنها

لأبي حية
الخيبري يرثي
سلمة بن عياش
به الليل والبيض القلاص النجائب
كراماً ونخطوه الخطوب النواب
إذا وضعت عنها العلالي المشاجب^(٣)

= النساء، ونؤوم: كثيرة النوم، ونؤوم الضحى كناية عن المرأة المترفة. وبعد هذا البيت كما في الحماسة:

جاء نحوط البان لا متتابع ولكن بسماذى وقار وميسم
والحوظ: العفن الرطيب، والميسم - بالكسر - أثر الحسن، ومثله الوسامة.
(١) مؤدى البيت الأخرين أنه نام في حمى تلك الفتاة، ولكن رواية الحماسة
تؤدى معنى يخالف هذا؛ إذ تذكر أنه رحل مزوداً بالحسرة، وذلك قوله:
وقالت فلما أفرغت في فواده وعينه منها السحر قلن له قم
فود بجذع الأنف لو أن صحبه تنادوا وقالوا في المناخ له نم
فراح وما يدري أفي ساعة الضحى تروح أم داج من الليل مظلم
والظاهر أن صاحب زهر الآداب كان يستعمل ذاكرته فتخونه في بعض الأحيان.
(٢) الكلة: الناموسية (٣) العيس: الجمال، والعلايا: الأمتعة، مفردها عليان،
بالكسر، والمشاجب: أعواد من خشب تعلق عليها الثياب، مفردها مشجب،
وفي نسخة « إذا وضعت عنها الولايا » والولايا: جمع ولية - بوزن عطية - وهي البرذعة.

بيد مثنى الممُّ يُنْسِي وماله
 يَرُومُ جسيات المِلا فيناها
 فإب يُنْسِي وَخَشًا بابهُ فَلرُبما
 يميون بساماً كانَّ جينسهُ
 وما غائب من غاب يُرْجى إياهُ
 سوى الله والعضبِ السريحي صاحب^(١)
 فتي في جسيات المكارم راغبُ
 تَوَاتَرُ أفواجاً إليه المواكب^(٢)
 هلالٌ بدأ وانجاب عنه السحابُ
 ولكنّه من ضَمَنَ اللّخدَ غائبُ

وزعم الصولي أن أبا حية إنما قالها في محمد بن سليمان بن علي بن عبيد الله بن العباس .
 وكان أبو حية جيد الطبع ، مألوف الكلام ، رقيق حواشي الشعر .

[مجنون بن عامر]

وسئل الأصمعي عن قيس بن الملوح المجنون ، فقال : لم يكن مجنوناً ، وإنما
 كانت به لؤثة كلوثة أبي حية^(٣) ، وهو القائل :

رمتني وسِترُ الله بيني وبينها
 رميمُ التي قالت لجلارات بيتها :
 ألا رُبَّ يومٍ لورمتني رميتها
 فيا عجباً من قاتلٍ لي أودهُ
 يرى الناسُ أني قد سلوتُ ، وإنتي
 وأنشدني إسحاق بن إبراهيم الموصلي في مثله ، ولم يسم قائله :
 هل الأدم كالآرام والزهر كالدمي
 معاودتي أيامهن الصوالح^(٤)
 عشية أحجار الكناسِ رميمُ
 ضمنتُ لكم الأ يزال يهيمُ
 ولكنّ عهدي بالنضال قديم
 أشاط دمي شخصٌ عليّ كريم^(٥)
 لمدنفُ أخناء الضلوع سقيم^(٥)

(١) السريحي : نسبة إلى سريح ، وهو قين كان مضرب المثل في صنع السيوف
 (٢) وحش : موحش لا أنيس به (٣) اللؤثة — بالضم — مس الجنون
 (٤) أشاط : أحرق (٥) المدنف : هو المريض تقل عليه المرض ، والأخناء : جمع أدماء
 حنو ، بالكسر والفتح ، وهو كل ما فيه اعوجاج من عظم البدن (٦) الأدم : جمع أدماء
 وهي السمراء ، والزهر : جمع زهراء وهي البيضاء . وفي الأصل (الدهر) وهو تحريف —
 و « كالآرام » متعلق بمحذوف حال من الأدم ، ومثله « كالدمي » وقوله « معاودتي »
 خبر مبتدأ (م)

زَمَانَ سِلَاحِي بَيْنَهُنَّ شَيْبَتِي لَهَا سَائِفٌ مِنْ حَسَنِينَ وَرَامِحٌ^(١)
فَأَقْسَمَنَّ لَا يَسْقِينِنِي قَطْرَ مِرْنَةٍ لِشَيْبِي وَلَوْ سَأَلْتُ بِهِنَ الْأَبَاطِحُ
وقال هارون بن علي بن يحيى المنجم: ^(٢)

هارون بن علي
ابن يحيى المنجم
في الشباب

الغائيات عهودهنَّ إلى انصرامٍ وانقِصَابِ
مَنْ شَابَ شَيْبَنَ لَهُ الْمَوَدَّةُ بِالْخَلْدِيمَةِ وَالْكَذَابِ^(٣)
فَانْعَمَ بِهِنَّ وَزَنْدُ سِنِّكَ فِي الشَّيْبَةِ غَيْرُ خَابِي^(٤)
مَا دُمْتَ فِي رَوْقِ الصَّبَا وَغَضُونَهُ الْخَضِرُ الرَّطَابِ^(٥)
فَأَفْخَرَ بِأَيَّامِ الصَّبَا وَأَخْلَعَ عِذَارَكَ فِي التَّصَابِي
وَاعْطَى الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ مَا دُمْتَ تَعْذِرُ بِالشَّبَابِ

لأشجع السلمي
في الشباب

وقال أشجع بن عمرو السلمي:
ومالٍ لَا أُعْطَى الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ
رَأَيْتُ اللَّيَالِي يَتَمَهِنُ شَيْبَتِي
فَإِنَّ بَنَاتِ الدَّهْرِ يَخْلُسْنَ لَدُنِّي
وقد حوَّلتُ حَالِي اللَّيَالِي وَأَسْرَجْتُ
وَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ
وقال آخر:

مَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَحِبَّ وَأَنْ يَحِبَّكَ مَنْ تُحِبُّهُ

فَقَرَّرْتُ تَتَّصِلُ بِهَذِهِ الْأَيَّامِ . فِي وَصْفِ الشَّبَابِ

أَطَاعَ الشَّبَابَ وَغَرَّتُهُ ، وَأَجَابَ الصَّبَا وَشَرَّتُهُ . جَرَّ إِزَارَةَ الصَّبَا ، وَأَذَالَ

(١) سائِفٌ : اسم الفاعل من «ساف يسيف» أي ضرب بالسيف ، ورامِحٌ :

اسم الفاعل من «رمح يرمح» أي ضرب بالرمح ، والكلام على الاستعارة (م)

(٢) هو منجم اشتهر بعلم الهيئة وعمل آلاتها ، توفي في بغداد سنة ٣٧٦

(٣) شبن : مزجن (٤) غير خاب : غير منطفيء ، ويقال خباله إذا سكن فور غضبه

(٥) روق الصبا : أوله ، وفي الأصول «ورق» تحريف جلبه ذكر النصوص (م) .

ذبول الهوى^(١)، ورَكْض^(٢) في ميدان التصابي، وجنى ثمرات الملاهي. هو في اقتبال شبابه، وحدائمه أترابه^(٣)، ورَيَّعَانُ عمره، وعُنْفوانُ أمره. هو في إبان شبابه واعتداله ورَيَّعَانُ إقباله واقتباله. بعثه على ذلك أَشْرُ الصبا، ولين العُضْنِ، وشرخُ الشبيبة وسكر الحدائمه. فَمَتَى السِّنْ، رطيب العُضْنِ، عمره في إقباله. ونشاطه في استقباله، وشبابه في اقتباله، وماؤده بحاله. فلان في حكم الأطفال، الذين لم يعضوا على نواجذ الرجال. هو في عُنْفوان شبيبة تخاف سقطاتها وهفواتها، ولا يؤمن جنيحاتها ونزواتها. هو في سُكْرِي الشباب والشراب. وبين نزوات الشبان. وتَزَعَاتِ الشيطان. شبابه أعمى عن الرشد، أعمى عن العذل، قد لَبَّى دَاعِي هَوَاهُ، وانغمس في لُجَّةِ صِبَاه. قد هَجَمَ بِسُكْرِ الحدائمه على سكرات الخواص. يَجْرِي إِلَى الصَّبَا جَرِي الصَّبَا. فلان غُفْلٌ من سمة التَّجْرِبَةِ، جَامِحٌ في عِدَارِ العَفَلَةِ، صَعْبُ الرَّأْسِ^(٤) على لجام العظة. هو من سلطان الصَّبَا في التَّوْبَةِ الأولى. قد خلع عِدَارَهُ وَمِقْوَدَهُ، وَأَلْقَى إِلَى البطالة بَاعَهُ وَيَدَهُ. هو بين حَمَارِ العِدَاةِ وسُكْرِ العَشْيِ^(٥) لا يعرف الصَّحْوَ، ولا يفارق اللهُو. فلان لا يفتيق، ولا يذكر التوفيق. هو بين غرر الشباب، وغرر الأحباب.

ويتعلق بهذه الألفاظ ألفاظ لهم في نجابة الشباب وترشحهم للمعالي قد جمع نَصَارَةَ الشباب إلى أئمة المشيب، وهو على حدوث ميلاده وقرب إنساده شيخ قَدْرٍ وَهَيْبَةٍ، وإن لم يكن شيخ سِنٍ وَشَيْبَةٍ. هو بين شباب مُقْتَبِلٍ، وعقل مُكْتَمِلٍ، قد نَسَّ بُرْدَ شبابه على عقل كهل، وَرَأَى جَزَلَ، وَمَنْطَقَ فَضْلِ. للدهرفيه بقاصد، وللأيام فيه مَوَاعِدُ، أرى له في فصل ضمان الأيام وودائع الحظوظ

(١) أذال : أهان (٢) ركض : جرى

(٣) الأتراب : المتساوون في السن . (٤) أحسبه « صعب المراس » (م)

(٥) الحمار بالضم - ما يعترى - الشارب من الأُم عند فقد الشرب

والأقسام ، تَبَاشِيرَ نَجْح ، وَحَايِلَ نَضْرٍ وَفَتْح . قد استكمل قوّة الفَضْلِ ، ولم يتكامل له سِنَّ الكَهْل . مازالت حَايِلُهُ وُلْدًا وَنَاشِئًا ، وَشَمَائِلُهُ صَبِيْرًا وَيَافِعًا ، نَوَاطِقَ بِالْحَسَنِ عَنْهُ وَضَوَامِنَ النُّجْحِ فِيهِ ! قد سما إلى مراتبِ أَعْيَانِ الرِّجَالِ ، التي لا تُدْرِكُ إِلَّا مَعَ الكَمَالِ وَالْاِكْتِهَالِ . مُحَدَّتْ عِزَّتُهُ ، قَبْلَ أَنْ حُلَّتْ تَمَامُهُ ، وَشُهِدَتْ مُكْرَمَاتُهُ ، قَبْلَ أَنْ تَدْرَجَ لِذَاتِهِ (١) .

للبحترى

وقال البحترى :

لا تنظرنَّ إلى العباس من صغر
إنَّ النجومَ نجومَ الأفقِ أصغرها
في السنِّ وانظر إلى المجد الذي شادَا
في العينِ أذهبها في الجوّ إصغادَا
وقال آخر :

رأيت العقلَ لم يكن اتهابًا
فلو أنَّ السنين تقسّمتهُ
ولم يُقسّم على قدرِ السنينا
حوَى الآباء أنصبه البنينا
وقال الفضل بن جعفر الكاتب :

للفضل بن جعفر
الكاتب

فإن خلفته السنُّ فالعقلُ بالغٌ
فقد كان يحيى أوتى الحكم قبله
به رتبة الكهلِ المؤهلِ للمجدِ
صبيًا وعيسى كلّم الناس في الهدِ

[مما قيل في أثر الأيام والليالي

وكان أبو حية كثير الرواية عن الفرزدق ، وعمر حتى التقى بابن مناذر فاستنشه شعره ، فأنشده أبو حية :

بين أبي حية
وابن مناذر

ألا حَى من أجل الحبيب المغانيا
إذا ما تقاضى المرء يومَ وليلةٍ
لبسنَ الليلى مما لبسنَ الليالي
تقاضاه شيء لا يملُّ التقاضيا
سوى العصا لو كنَّ يُبقين باقيا
حَتَّتِكَ الليالي بعدما كنت مرةً

(١) اللذات : جمع لذة وهو الترب بالكسر ، أى للمائل في السن وفي الأصل « اللذات » بالذال لمعجزة وهو تحريف - وندرج : مثنى ، وهو خاص بالنبي والشيخ ، ونسخة « تدج » - بتشديد الجيم ، وبغير راء - ومعناه تدب (م)

فقال ابن منذر: أو شعر هذا؟ فقال أبو حية: ما في شعري عيب، غير أنك تسمعه.

وفي هذه القصيدة يقول أبو حية:

ولما أبت إلا التواء بؤدّها وتكديرها الشرب الذي كان صافيا
شربت برنقي من هواها مكدر وكيف يعاف الرثق من كان صاديا^(١)
وقد قال عمرو بن قميئة^(٢) في معنى قول أبي حية:

لمرو بن قميئة

كانت قناتي لا تلين لغامز فألأنها الإصباح والإنساء
ودعوت ربي في السلامة جاهداً ليصحني فإذا السلامة داء
وقال التمر بن توبل^(٣):

للمر بن توبل

يودّ الفتى طول السلامة والبق فكيف يرى طول السلامة يفعل
يعود الفتى من بؤدّ حسن وصحة ينوء إذا رام القيام ويحمل^(٤)
وقد روى في الحديث الشريف: «كفى بالسلامة داء».

لمجد بن تور

وقد أحسن حميد بن ثور في قوله:
أرى بصري قد رأيتني بعد صحة وحسبك داء أن تصحّ وتساما

(١) ماء رنق - بفتح فسكون، وفيه لغة أخرى بفتح فكسر - أي غير صاف، وتقول: رنق الماء - بالتضعيف - أي كدره، وكأنه ذهب برونقه وحسنه، ويعاف: يكره (م).
(٢) شاعر جاهلي، نشأ بئبها، وأقام في الحيرة مدة، وخرج مع امرئ القيس حين توجه إلى قيصر، فمات في الطريق. وفيه يقول امرؤ القيس:

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

قلقت له: لا تبك عينك؛ إنما نحاول ملكاً أو نموت فعندرا

وقدمته العرب «عمرا الضائع» لموته في غربة وفي غير مطلب ولا أرب

(٣) شاعر مخضرم، من شعراء الطبقة الثانية في الجاهلية، أدرك الإسلام، وهو كبير السن، فوفد على الرسول، وكتب عنه كتاباً لقومه، وكان جواداً واسع القهرى كثير الأضياف (٤) ينوء: ينهض بتناقل وإعيا.

ولن يَلْبَثَ العُضْرَانِ يَوْمَ وُليَّةٍ إِذَا طَلَبْنَا أَن يَدْرِكَا مَا تَيْمَمَا
وهذان البيتان من قصيدة طويلة ، وهي أجود شعر حميد^(١) ، ومن أجود

ما فيها :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشُّوقَ إِلَّا حَامَةً دَعَتْ سَاقَ حَرِّ رِيحَةٍ وَتَرَنَّمَا
تَرُوحَ عَلَيْهِ وَهَلَا ثُمَّ تَفَنَّدِي مَوْلِيَةً تَبْغِي لَهُ الدَّهْرَ مَطْعَمًا
تُؤْمَلُ مِنْهُ مُؤْنَسًا لِإِنْفِرَادِهَا وَتَبْكِي عَلَيْهِ إِنْ زَقَا وَتَرَنَّمَا
كَأَنَّ عَلَى إِشْرَاقِهِ نَوْرَ خَمْرَةٍ إِذَا هُوَ مَدَّ الْجِيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا
فَلَمَّا كُنْسَى الرَّيْشَ الشَّحَامَ وَلَمْ تَجِدْهَا لَهَا مَعَهُ فِي سَاحَةِ الْحَيِّ مَجْنَمًا^(٢)
تَنَحَّتْ قَرِيبًا فَوْقَ غُصْنٍ تَدَأَّبَتْ بِهِ الرِّيحُ صِرْفًا أَيْ وَجْهَ تَيْمَمًا^(٣)
فَأَهْوَى لَهَا صَفْرُ مُسِفٍّ فَلَمْ يَدْعُ لَهَا وَلَدًا إِلَّا رِمَامًا وَأَعْظَمًا
فَأَوْفَتْ عَلَى غُصْنٍ ضَحِيًّا وَلَمْ تَدْعُ لِنَاحِيَةٍ فِي نَوْحِهَا مُتَلَوَّمًا
عَجِبْتُ لَهَا أَيْ يَكُونُ غِنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَفْغَرُ بِمَنْطِقِهَا فَمَا^(٤)
فَلَمْ أَرِ مِثْلَى شَاقِهِ صَوْتُ مِثْلِهَا وَلَا عَرِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْصَمَا

ومن حيث الهجاء قوله في هذه القصيدة يخاطب رجلين بعثما :

وقولا إذا جاوزتما أرضَ عامرٍ وجاوزتما الحيين نهذاً وخشمنا
تريمان من جرّم بن زيّان أنهم أبوا أن يريقوا في الهزاهزِ محجماً^(٥)

وما هجيت جرّم بأشدّ من هذا ، يريد أنهم لذتهم لم يتروا أحداً
فيطلبهم بدخل .

(١) من شعراء الإسلام ، أدرك عمر بن الخطاب ، وقال الشعر في أيامه ، وقد

أدرك الجاهلية أيضاً

(٢) السحام : الأسود ، والحجم : مكان الرقاد (٣) تدأبت : أتت من كل جانب كما

فعل الذئب (٤) تفغر : تفتح (٥) الهزاهز : الحروب ، والحجم : وعاء الحجامة والقصد

وقال الأصمعي : قيل لبعض الصالحين : كيف حالك ؛ قال : كيف حال من
يَفْنَى ببقائه ، وَيَسْتَم بِسلامته ، وَيُوتَى من مأمته
وقال محمود الوراق :

لمحمود الوراق

يُحِبُّ الفتي طولَ البقاءِ كأنَّهُ على ثقةٍ أن البقاءَ بقاءه
إذا ما طوى يوماً طوى اليومُ بعضَه وَيَطْوِيهِ - إن جَنَّ المساءَ - مساءه
زيادته في الجسمِ نقصُ حَيَاتِهِ وأنى على نقصِ الحياة نَماءه (١)
جديدان لا يَبْقَى الجميعُ عليهما ولا لهما بَعْدَ الجميعِ بقاءه
وقال المتنبي :

زيادةُ شَيْبٍ وَهِيَ نَقْصُ زِيادَتِي وَقُوَّةُ عَشْقٍ وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفُ
وبيت محمود الأخير كقول البحرى :

للمتنبي

أناةٌ أَيْهَا الفلكُ المَدَارُ أَنهَبَ ما تَصَرَّفَ أم جُبَارُ (٢)
سَتَفَنِي مِثْلَ ما تَفَنِي وَتَبَلَى كما تُبَلَى فَيُدْرِكُ مِنْكَ نارُ
تُنابُ النَّائباتُ إذا تَناهَتْ وَيَدْمُرُ في تَصَرُّفِهِ الدَّمَارُ
وما أهلُ المَنازِلِ غَيْرَ كَبِ مطاياهم رِواحُ وابتكارُ
ويقول فيها :

للبحرى

لنا في الدَّهرِ آمالٌ طوالٌ نُرَجِّبُها وَأعمارٌ قِصارُ
أما وأبى بنى حارِ بنِ كعبِ تَقْدِرُ الزمانَ بهم فساروا
أصابَ الدَّهْرُ دولةَ آلِ وَهَبِ وَنَالَ الليلُ مِنْهم والنهارُ
أعارهمُ رداءَ العَمْرِ حتى تَقاضاهمُ فَرَدُوا ما استعاروا
وقد كانوا وَأَوْجُهُمُ بَدُورُ لبصرِها وأيديهم بِنِجارُ (٣)

أخذ قوله : « سَتَفَنِي مِثْلَ ما تَفَنِي » أبو القاسم بن هاني فقال :

لابن هاني

تَفَنَى النجومُ الزَّهْرَ طالعةً وَالنَّيرانُ الشَّمْسَ والقمرُ

(١) الخاء : الزيادة (٢) حار : مهدر لا قود فيه

(٣) في ديوان البحرى « وأيديهم محور مختبط » والمختبط : هنا : السائر ليلا (م)

ولئن تبدت في مطالعها
ولئن سعى الفلك المدارُ بها
منظومة فلسوف تنتشر
فاسوف بسلمها وينفطر

وقد استقصى على بن العباس الرومي المعنى الأول فقال :

والدهرُ يُبلي الفتى من حيث يُنشئه
يغدوه في كلِّ آن وهو يأكله
يودى بحالِ فحالٍ من شبيته
حسبُ امرئٍ من خنى دهرٍ تطاوله
في هذنةِ الدهرِ كافٍ من وقائده
وقال أيضاً :

يأباني الحصنُ أرساده وشيده
انظر إلى الدهر هل فاتته بغيته
ومن تحصن منخوبا على وجل
أشكو إلى الله جهلاً قد أضربنا
وقال الطائي :

وإن تبين حيطان عليه فإتما
أولئك عقالاته لا معاقله

ودخل يحيى بن خالد على الرشيد وقد ابتدأت حاله في التغير ، فأخبر أنه مشغول ، فرجع ، فبعث إليه الرشيد : خُفنتي فأتهمتي ، فقال : إذا انقضت المدة كان الخُفُّ في الحياة ، والله ما انصرفت إلا تخفيفاً .

أحداد بن الرومي فقال وقد فصدته بعض الأطباء ، فزعم أن الفصد زاد في علته :
غظط الطيبُ على غلظةٍ مُوردٍ عجزت محالته عن الإصدار^(٦)

(١) ليلة القرب - بفتح القاف والراء جميعاً - أن تسير الليل كله لترد الماء عندك (م) .

(٢) نعب - بضم ففتح - جمع نعبة ، وهي الجرعة (م) . (٣) الكتب : جمع كنية ، وهو السير الذي تخرز به قربة الماء (م) .

(٤) شلو : جزء ، ومشجون : مشعوب ومكسور (٥) النون : الحوت (٦) المحالة :

الحيلة ، ومنه « المرء يعجز لا المحالة » ويخطئ ، من يقول : المرء يعجز لا محالة

لابن الرومي

(١) حتى تكَّرَ عليه ليلة القرب
(٢) ويختسي نعباً منه على نعب
(٣) تسرب الماء في مستأنف الكتب
وإن أجه فلم ينكب ولم ينسب
والعمر أقدح مبراة من الوصب

(٤) حريزاً يشوي من الأعداء مشجون
في مطمح السر أوفى مسبح النون
فإتما حصنه رجح لسجون
بل ليس جهلاً ولكن علم مسور

لابن تمام

والناسُ يَلْحَوْنَ الطيبَ، وإنما غَلَطَ الطيبُ إصابةَ المقدارِ

[وصف الثغور]

وقال أبو حَيَّةَ النيمري :

سَتَتَنِي بِكَأْسِ الحَبِّ صِرْفًا مَرَوِّقًا رِقَاقَ الثَنَائِيَا عَذْبَةَ المَرْتَنِيِّ (١)
 وَخُصَّاصَةً تَفْتَرُّ عَن مَنَشَقٍ كَنُورِ الأَفَاحِي طيبِ المَتَدَوِّقِ (٢)
 إِذَا امْتَضَتْ بَعْدَ امْتِنَاعِ مِنَ الضَّحَى أَنَايِبَ مِنَ عُودِ الأَرَاكِ المَخْلَقِ (٣)
 سَتَّتْ شُجْبَ السَّوَاكِ مَاءَ عَمَامَةٍ فَضِيضًا بِخَرْطُومِ الرِّحِيقِ المَرَوِّقِ (٤)

وَأُنشِدُ الثَّوْرِي :

تَرَى الدَّرَّ مَنشُورًا إِذَا مَا تَكَلَّمْتَ وَكَالدَّرِّ مَنظُومًا إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ -
 تُعَبِّدُ أَحْرَارَ القُلُوبِ بِدَلَّهَا وَتَمَلُّ عَيْنَ النَّاظِرِ المَتَوَسِّمِ -
 وَالبَيْتِ الأَوَّلِ مِنَ هَذَيْنِ كَقَوْلِ البَحْتَرِيِّ :

فَمَنْ لَوْلُو تَجَلَّوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلُو عِنْدَ الحَدِيثِ تُسَاقُطُهُ (٥)

وَقَدْ تَقَدَّمَ .

قَالَ أَبُو الفَرَجِ الرِّيَاشِيُّ : سَمِعْتُ الأَصْمَعِي يَقُولُ : أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الثَّغْرِ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ :

وَتَجَلُّو بِفَرَعٍ مِنَ أَرَاكِ كَأَنَّهُ مِنَ القَنْبَرِ المِهْنَدِيِّ وَالمِلْسَكِ يُصْبِحُ (٦)

(١) المَرْتَنِيُّ : العَيْنُ ، وَتَقُولُ : رَنَقَ النُّومُ فِي عَيْنَيْهِ خَالَطَهُمَا (٢) خُصَّاصَةً : ضَامِرَةٌ
 البَطْنِ ، وَالمَنَشَقُ : الثَّغْرُ ؛ لِأَنَّكَ تَمَنَشِقُ مِنْهُ نَكْهَتَهُ العِطْرَةَ ، وَالمَتَدَوِّقُ : هُوَ الرِّيْقُ
 لِأَنَّكَ لَدَى تَدْوِقِهِ (٣) المَخْلَقُ : المَدْهُونُ بِالمَخْلُوقِ ، وَهُوَ ضَرَبٌ مِنَ الطَّيْبِ
 (٤) الفَضِيضُ : مَا تَأَثَّرَ مِنَ المَاءِ (٥) قِيلَ هَذَا .

وَلَمَّا التَقِينَا وَالمَلُوءِي مَوْعِدَ لَنَا تَعَجَّبَ رَأْيِي الدَّرَّ حَسَنًا وَلا قِطْ

(٦) أَرَادَ بِفَرَعٍ مِنَ أَرَاكِ السَّوَاكِ تَجَلُّو بِهَ أُسْنَانِهَا ، وَكُنِيَ بِمَا وَصَفَ بِهِ السَّوَاكِ
 عَنِ طيبِ رَاحِمَةَ فِيهَا (م) .

لأبي حية
النيمري

لذي الرمة

دِرَى أَقْحُونَ وَاجِهَ اللَّيْلَ نَارَتْقَى
 هِجَانَ الثَّنَايَا مُعْرِبٌ لَوْ تَبَسَّمَتْ
 إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةِ الْمَتْرُوحِ
 لِأَخْرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصِحُ^(١)

ومن قديم هذا المعنى وجيده قولُ النابغة الذبياني في صفة المتجرِّدة امرأة

النعمان بن المنذر :

للنابغة الذبياني

تَجَلُّوْ بِقَادِمَتَيْ حَمَامَةٍ أَيْكَةٍ
 كَالْأَقْحُونَ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ
 بَرَدًا أُسِفَ لِثَنَائِهِ بِالْإِنْمَدِ^(٢)
 جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى
 زَعَمَ الْهَمَامُ بَانَ فَهَا بَارِدٌ
 عَذْبٌ مُقْبَلُهُ شَهِيُّ الْمَوْرِدِ
 زَعَمَ الْهَمَامُ وَلَمْ أذُقْهُ أَنَّهُ
 يَشْفَى بَرِيًّا رِيْقَهَا الْعَطَشَ الصَّدَى
 ومن قوله : « ولم أذقه » أخذ كل من أتى بهذا المعنى ، ففتقه الناس بعده ،

قال المتوكل الليثي :

للمتوكل الليثي

كَأَنَّ مُدَامَةَ صِهْبَاءٍ صِرْفًا
 تَعْبَلُ بِهَا الثَّنَايَا مِنْ سَلِيمِي
 تَرْتَرِقُ بَيْنَ رَاوُوقٍ وَدَنْ
 فِرَاسَةٌ مُقَلَّتِي وَصَحِيحُ ظَنِّي

وقال بشار :

لبشار بن برد

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُحْتَبَرِ
 قَدْ زُرْتِنَا مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً
 إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
 كُنْتِي وَلَا تَجْمَلِيهَا بَيْضَةَ الدِّيَكِ
 حَسْبِي بَرَايِحَةُ الْفَرْدُوسِ مِنْ فَيْكِ
 يَارَحْمَةَ اللَّهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا
 وقيل لبشار: يا أبا معاذ ، كم بين قولك ، وأنشد هذه الأبيات . وبين أن تقول :

إِنَّمَا عَظُمَ سُلَيْمِي خَلَّتِي
 وَإِذَا قُرْبٌ مِنْهَا بَصَلٌ
 قَصَبُ السُّكَّرِ لَا عَظْمَ الْجَمَلِ
 غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ

(١) هجان الثنايا : يريد أن ثناياها ناصعة البياض . من قولهم : إبل هجان ، أي

بيض كرام

(٢) الإنمد . الكحل

قال : إنما الشاعر المطبوع كالبحر : مرة يَقْدِفُ صَدْفَهُ ، ومرة يَقْدِفُ حَيْفَهُ (١) .

[تفضيل السواد]

وقد تناول هذا المعنى أبو الحسن علي بن العباس الرومي من أقرب تناول
هنا وكشفه بأوضح عبارة - في صفته لجارية أبي الفضل عبد الملك بن صالح
السوداء بعد أن استوفى جميع صفاتها ، كان قد اقترح عليه ، صفها :

وَصَفْتِ فِيهَا الَّذِي هَوَيْتَ عَلَى السُّومِ وَلَمْ تَخْتَسِرِي وَلَمْ تَنْدَقِي

إِلَّا بِأَخْبَارِكَ الَّتِي رُفِعَتْ مِنْكَ إِلَيْنَا عَنْ ظَلِيمَةِ الْبُرْقِ (٢)

حَاشَا لِسُودَاءٍ مَنْظَرٍ سَكَدَتْ ذِرَاكُهَا عَنِ مَخْتَبِرِ الْبِقَقِ (٣)

وهذه الأبيات من قصيدة له وصف فيها السواد ، واحتج بتفضيله على
البياض ، حتى أغلق فيه الباب بعده ، ومنع أن يقصد فيه أحد قصده ، إلا كان
مقصر السهم عن غرض الإحسان . وقد تبه على بن عبد الله بن العباس [المسيب
على] فضائلها ، وأجاد التشبيه ، وكشف عن وجوه الإبداع ، وضروب الاختراع
وقد مدح الناس السواد والسود فأكثرُوا ؛ فمن جيد ما قالوا فيه قول
أبي حفص الشطرنجي :

أَشْبَهَكَ الْمِسْكَ وَأَشْبَهْتَهُ قَائِمَةً فِي لَوْنِهِ قَاعِدَةً

لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمْ وَاحِدٌ أَنْكُمْ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ

فأخذ ابن الرومي هذا المعنى ، وأضاف إليه أشياء أخر توسعاً وافتقاراً ، فقال :
يذكرك المسك والقوالى والسك ذوات النسيم والعبق (٤)

لابن الرومي
في وصف
جارية

لأبي حفص
الشطرنجي

لابن الرومي

(١) يريد أن الشاعر المطبوع له سقطات ، ومن هنا كانت سقطات المتنبي مثلا
فاضحة ؛ لأن الإجابة المطلقة فوق طاقة الإنسان ، وقد يتردد هذا الحكم في كثير من
نواحي الحياة الإنسانية . (٢) البرق : جمع برقة - بالضم - وهي مكان تكثر
فيه الظباء (٣) يقق : ناصع البياض (٤) السك : نوع من الطيب - والعبق ،
بفتح العين والباء جميعا ، طيب الرائحة (م) .

وهذه الأشياء وإن كانت ناقصةً عن المسك، فهي ممدوحةٌ بالطيب، خير مستغنى عن ذكرها في التشبيه؛ فأما زيادته على جميع من تعاطى لمدح السواد فقوله: سوداء لم تنتسب إلى برص الشقير ولا كلفةً ولا بهق^(١) والأبيض الشديد البياض معيبٌ، وقد دلّ عليه قوله:

وَبَقِضُ مَا فَضَّلَ السَّوَادُ بِهِ وَالْحَقُّ ذُو سُؤْلٍ وَذُو نَفَقٍ
أَلَّا يُعِيبَ السَّوَادَ خُلُصَتَهُ وَقَدْ يُعَابُ انْبِيَاضُ الْبَهَقِ^(٢)

قوله: «الحق ذو سُؤْلٍ وَذُو نَفَقٍ» أراد أن الحق يتصرف في جهات، وضرب الصمود والنزول لذلك مثلاً؛ ثم قصد لوصف هذه السوداء بالكمال في الصفة؛ ومن عيب السودان أن كفتهم عابسة^(٣) متشققة، وأطرافهم ليست بناعمة لينة، وكذلك لا يزال الفلج في شفاههم، وهي الشقوق المذمومة الموجودة في أكثر السودان في أوساط الشفاه، وأيضاً فإن الأسود مهجو بمحبث العرق، فنفي هذه الصفات المذمومة الموجودة في أكثر السودان عنها، فقال:

لَيْسَتْ مِنَ الْعَبْسِ الْأَكْفَ وَالْأَفْلَحِ الشَّفَاهِ الْخَبَائِثِ الْعَرَقِ

ثم عالج بخاطره على وصف هذه السوداء بأضداد تلك الصفات المذمومة، فقال: في لين سمورة تخيرها إل فراه أولين جيّد الدلق^(٤) ومن بديع مدح السوداء قوله:

أَكْسَبَهَا الْحَبُّ أَنَّهَا صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ
فَانصَرَفَتْ نَحْوَهَا الضَّائِرُ وَالْأَبْصَارُ يَفْشَقْنَ أَيْمًا عَشَقِ
فَأخبر أن القلوب إنما أحببتها بالمجانسة التي بينها وبين حب القلوب من السواد، وكذلك الحدق.

(١) الكلفة: النمش يوجد في الوجه، والبرص والبهق معروفان

(٢) الحلركة: شدة السواد، ومنه قولهم: ظلام حالك (٣) عابسة: يابسة، وفضله

عبس — من باب فرح — أى يبس (م). (٤) الدلق: دوية كالسمورة

لأبي نواس

ومن جيد تشبيهات أبي نواس وقد نبه نديما لمصباح فأخبر عن حاله وقال :
 قمام والليل يُجملوهُ الصباحُ كما جَلَا التَّبَسُّمُ عن غُرِّ النَّيَّاتِ
 ولعل بن العباس عليه التقدم بقوله :

لابن الرومي
أبضا

يَفْتَرُّ ذَاكَ السَّوَادُ عَنِ يَبْقَى مِنْ ثَغْرَهَا كَاللَّيْلِ النَّسِقِ (١)
 كَأَنَّهَا وَالْمَسْرَاحُ يُصَحِّحُهَا لَيْلٌ تَعْرَى ذُجَاهُ عَنِ فَلَاقِ (٢)
 وفضل هذا الكلام على ذلك أن هذا قدّم لمعناه في التشبيه مقدمة أيّدته ،
 ووطأت له الآذان (٣) ، وأصغت الأنفهام إلى الاستحسان ، وهي قوله :

* يَفْتَرُّ ذَاكَ السَّوَادُ عَنِ يَبْقَى *

وفي هذه السوءاء يقول ، وقد سأله أبو الفضل الهاشمي أن يستغرق صفات
 محاسنها الظاهرة والباطنة ، فقال :

لَهَا حِرٌّ يَسْتَعِيرُ وَقَدَّتْهُ مِنْ قَلْبٍ صَبٍّ وَصَدْرُ ذِي حَنْقٍ (٤)
 كَأَنَّهَا حِرٌّ لِيخَابِرِهِ مَا أَلْهَبَتْ فِي حَشَاهُ مِنْ حَرِّقٍ
 يَزْدَادُ ضَيْقًا عَلَى الْمِرَاسِ كَمَا تَزْدَادُ ضَيْقًا أَنْشُوطَةُ الْوَهَقِ (٥)
 ثم فكّرَ فيما فكّرَ فيه النابغة ، وقد أمره التعمّنُ بوصف المتجرّدة ،
 فوصف ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها ، ثم كره أن يذكر من فضائلها ما لا
 يسوغ بمثله أن يذكر منها ، فردّ الإخبار عن تلك الفضائل إلى صاحبها ، وهو
 الملك ، فقال :

زَعَمَ أَلْهَمَامُ بَأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ عَذْبٌ إِذَا قَبِلْتَهُ قَلْتَ أَرْدَدِ
 فاحتذى علي بن العباس هذا ، فقال بعد ما سأله أن يستغرق في وصف
 فضائلها الظاهرة والباطنة :

خُذْهَا أَبَا الْفَضْلِ كَسُوءَ لِكَ مِنْ خَزْرِ الْأُمَادِحِ لَا مِنْ الْخِرْقِ

(١) نسق : متسق (٢) تعرى : تكشف (٣) وطأت : مهتت (٤) الحر - بكسر

الحاء - هو الفرج (٥) الوهق : الجبل يرمى في أنشوطه فتؤخذ به الدابة والإنسان

وصفت فيها التي هويت على الوهم ولم تختبر ولم. نذق
 إلا بأخبارك التي وقعت منك إلينا عن ظبية البرق
 حاشا لسوء منظر سكنت ذراك إلا عن مخبر يقين
 وهذا المعنى أو ما إليه النابغة إماء خفياً تذهب معرفته عن أكثر الناس ،
 ولو آثر النابغة ترك الاختصار ، وهم بكشف المعنى وإيضاحه ، ما زاد على هذا
 الكشف الذي كشفه ابن الرومي :

وأصحاب المعاني ينشدون للفرزدق :

للفرزدق

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح عليه ولم أبعث عليه البواكياً
 وفي بطنه من داريم ذو حفيظة لو أن المنايا أنسأته ليالياً^(١)
 ومعناه عندهم أنه رثى امرأة توفيت حاملاً ، فقال على بن العباس وقد وصف
 هذه المرأة السوداء :

لابن الرومي

أخلق بها أن تقوم عن ذكر كالسيف يفري مضاعف الخلق
 إن جفون السيوف أكثرها أسود والحق غير مختلق
 فهذه زيادة بينة ، وعبارة واضحة ، لم تحتج إلى تفاسير أصحاب المعاني ،
 وقال مما لم ينشده المتنبي :

غصن من الأبنوس ركب في مؤتررٍ معجبٍ ومنتطق
 يهتز من ناهديه في ثمرٍ ومن دواحي ذراه في ورق
 وهذا معنى قد بلغ قائله من الإجمادة ، فوق الإرادة ، وامتلأ أبو الفضل الهاشمي
 ما أشار به ابن الرومي ، فأولدها ، فأنجبت .

وفي معنى معنى قول الفرزدق قال الطائي وأحسن وذكروا لدين توأمين ماتا لعبد الله

ابن طاهر :

(١) الحفيظة : قوة الإباء - المنايا : جمع منية ، وهي الموت ، وأنسأته : أخرته (م)

إن تُرُزَ في طَرَفِ نهارٍ واحدٍ رُزَاينَ هاجاً لَوَعَةً وِبلَايلا
 فالثقلُ ليس مضاعفاً لمَطِيَّةٍ إلا إذا ما كانَ وهماً بازيلاً^(١)
 لهنى على تلك الشاهد منها لو أمهاتٍ حتى تكون شمائلا
 لقد أسكونهما جَبِي، وصباها جُحُكاً، وتلك الأريحيَّةُ نائلا
 إن الهلالَ إذا رأيتَ نماءهُ أيقنت أن سيكون بدرأً كاملا

وعلى ذكر التوأمين أفاظ لأهل المصر في التهنئة بتوأمين

تيسرت منحنانٍ في وطن ، وانتظمت موهبتان في قرَن^(٢) ، طلع في أفق
 الكمال نجماً سَعد ، وشهاباً عَزَّ ، وكوناً كَبَّا مَجْد ، فتأهلت بهما ربوعُ المحاسن ،
 ووُطئت لها أكنافُ المكارم ، واستشرفت إليهما صدورُ الأسرةِ والنَّابر . بلغنى
 خَبَرُ الوهبة المشفوعة بمثلها ، والنِّعمَةُ المقرونة ببدلها^(٣) في الفارسين المقبلين ،
 رضيعي العزِّ والرفعة ، وقريني المجدِ والنعمة ، فشملني من الاغتباط ما يُوجِبُه
 ازْدِواجُ البُشرى ، واقترانُ غادِيَةٍ^(٤) بأُخرى .
 والشئ يُذَكِّرُ بما قارب ناحيةً من أنحائه ، وجاذبَ حاشيةً من
 رِدَائِهِ^(٥) .

[شئ من الهجاء يشتمل على تضمين]

وقال بعض أهل المصر يهجو رجلاً وضمن قول النابغة :

* كالأفحوان غداةً غبَّ سَمَائِهِ *

(١) الوهم : الجمل الضخم القوى ، والبازل : المكتمل السن

(٢) القرن : الجبل المقنول من لحاء الشجر أو من الصوف

(٣) العدل - بالكسر - النظير .

(٤) الغادية : السحابة تُمطر غدوة ، وفي نسخة «عارقة» (م) .

(٥) هذه العبارة من كلام المؤلف ، لبيان موجب الاستطراد في الكلام عن التوأمين

وأزاحه عن بابه ؛ فجاء مليحاً في الطبع ، مقبولاً في السمع :

ياسائلي عن جعفر ، عهدِي بِهِ رَطَبَ العِجَانِ وَكَفَّهُ كَالجَلْمَدِ^(١)
كَالأَفْحُوَانِ غَدَاةً غِيبَ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي^(٢)

ومن مستحسن ما روى في هذا التضمين قول الآخر وضمن بيتاً لمهلل
ابن ربيعة :

وسائلة عن الحسن بن وهب وَعَمَّا فِيهِ مِنْ كَرِيمٍ وَخَيْرِ
قلت هو المهدب ، غيرَ أَنِي أَرَاهُ كَثِيرَ إِرخَاءِ السُّتُورِ
وأكثر ما يغنيهِ فَتَاهُ حُسَيْنٌ حِينَ يَخْلُو بِالسُّرُورِ
فلولا الريح أُسْمِعَ مِنْ بَحْرِجِرٍ صَلِيلَ البَيْضِ مُتَقَرِّعٍ بِالدُّكُورِ

وهذا البيت لمهلل مما يعدُّونه من أول كذب العرب ، وكانت قبل ذلك
لا تكذب في أشعارها^(٣) ، وكان بين الموضع الذي كانت فيه هذه الواقعة وهي
بالجزيرة وبين حُجْرٍ وهي قَصَبَةٌ باليمامة مسافةٌ بعيدة ، فأخرجَه هذا الشاعر بقوة
مُنْتَهَى ، ونفاذِ فِطْنَتِهِ ، إلى معنى آخر مستظرف في بابه . وهذا المذهبُ أحسنُ مذاهبِ

(١) العجان : الاست . والجلمد : الصخر (٢) هذا التضمين يذكر بقول
بعض المولدين :

تصدى إلى ابرى قلت له اتد وعيشك لو أبصرتَه وهو نائر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر
والأصل :

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

(٣) هذا ترديد للفكرة المشهورة من أن العرب في جاهليتهم كانوا لا يتجاوزون
الواقع حين يصفون ، وهذا فيما أرى غلو في تقدير أهل البادية ، والمعقول أن طبيعة
الناس تبيح المغالاة ، بلا تفريق بين الطبقات الاجتماعية

التضمين . ومن ملبح مافى هذا الباب تضمينات الحمدوني في طيلسان أحد بن حرب المهلبى ، وسيأتى ما اختاره من ذلك في غير هذا الموضع .

[عَوْدٌ إِلَى وَصْفِ الثُّغُورِ وَنِقَامِهَا]

وقد جاء في صفة الثغور والأفواه والرقيق شعرٌ كثير . قال جميل :

تمنيتُ منها نظرةً وهى واقفةٌ تُرِيكَ نَقِيًّا وَاِضْحَ الثُّغْرَ أَشْدَبًا^(١)
 كأنَّ عَرِيضًا من فضيض غمامية هزيمُ الذُّرَى تَمْرِي له الرِّيحُ هَيْدَبًا^(٢)
 يُصَفِّقُ بالمسكِ الذكى رُضابُهُ إِذَا النَّجْمُ من بعد الهدو تَصَوَّبًا^(٣)

لجميل بن معمر
العدري

وقال :

وكان طارقتها على علال الكرى والنجمُ بهنأ قد بدا لتغورِ
 يستأفُ ريحٌ مُداميةٌ معلولةٌ رُضابِ مسكٍ في ذكى العنبرِ

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخنزومي :

يَمِجُّ ذِكْيَ الْمِسْكِ منها مفلجٌ نَقِيَّ الثنايا دو غروب مؤشراً^(٤)
 يَرِفَ إِذَا تَفَتَّرَ عنه كأنه حَصَى بَرْدٍ أو أتحوان مُنَوَّرُ .

لعمر
ابن أبي ربيعة

وقال الهذلي :

وما صهباء صافيةً لضبٍ كلون الصِّرفِ مُنْجَابٌ قَدَاها
 تُشِجُّ بِنُطْفَةٍ من ماء مُزِنِ أحلته برضاضٍ عُرَاهَا
 بأطيبٍ مَشْرَعًا من طَعْمٍ فيها إِذَا ما طار عن سِنَّةٍ كَرَاهَا

للهدلي

(١) أشنب : من الشنب - بالتحريك - وهو رقة وبرد وعدوبة في الأسنان

(٢) العريض : القطعة من السحاب ، والفضيض : ماتاثر من المطر والماء ، والهزيم :

الصوت ، والذرى : الأعلى ، والهيدب : ذيل السحاب (٣) تصوب : أنحدر (٤) مؤشراً : من :

الأشرب - بالتحريك - وهو تحزير أطراف الثنايا ، والغروب : جمع غرب - بالفتح - وهو الرقيق

وقال آخر :

وشوقٌ عنها قِنَاعِ الخَزِّ عن بَرَدٍ
كأنه أَقْحَوَانٌ باتَ بَضْرِبُهُ
كأنَّ صِرْفًا كَمِيتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً
فُوها إِذَا مَا قَصَّتْ من نومها سِنَّةً
وقال الآخر :

هَبْجَانُ اللَّوْنِ وَاضِحَةٌ الهَيَّا
تَبْتَمُّ عن أَغْرَ له غُرُوبٌ
كأنَّ صَبِيبَ غَادِيَةٍ لَصِبٍ
على فيها إِذَا الجَوْزَاءُ عَالَتْ
وقال ابن المعتز :

يا نديمي أَشْرِبَا واسْقِيَانَا
واقْتَلَا هِي بِصِرْفِ عُقَارِ
إِن للمَكْرُوهِ لَذْعَةٌ شِرِّ
وامزجَا كَأْسِي بَرِيقَةِ أَلْسِي
من فَمٍ قد غُرِسَ الدَّرُّ فِيهِ
وقال ابن الرومي :

قد بَدَا الصَّبْحُ لَنَا واستَبَانَا^(٦)
واتركا الدَّهْرَ فمَاشَاءَ كانَا
فإِذَا دَامَ على المَرءِ هانَا
طاب للعِطشانِ وِرْدًا وِحانَا
يا رُبَّ رَيْقٍ باتَ بَدْرُ الدُّجَى
يَمَجُّهُ بَيْنَ ثَنائِيَا كَا
لابن الرومي

(١) الكسبي : قصر الأسنان . والتعل : زيادة سن أو دخول سن تحت سن .

(٢) كميبت اللون : فيها سواد وحمرة ، وشجت : مزجت ، وشنه : صبه متفرقا وبرده .

(٣) هبجان اللون : بيضاء ، وقطيع الصوت : هي التي يتكسر كلامها لرقته .

(٤) فرات : عذب (٥) الرعيل : جماعة النجوم (٦) رواية الديوان « لاتعلا

حنا واسقيانا » (٧) ناصح الريق : لم تتغير نكهته

يُرْوَى وَلَا يَنْهَاكُ عَنْ شَرِّهِ وَالْمَاءُ يُرْوِيكَ وَيَنْهَاكُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

لعبيد الله بن
عبد الله بن
طاهر

وإِذَا سَأَلْتُكَ رَشْفَ رَيْقِكَ قُلْتَ لِي: أَخَشَى عُقُوبَةَ مَالِكِ الْأَمْلَاقِ

مِنْ أَنْ أَكُونَ خَلِيفَةَ الْمِسْوَاكِ!

أَجْمُزُ عِنْدَكَ أَنْ يَكُونَ مُتِمًّا صَبَّ بِحَبِّكَ دُونَ عُودِ أَرَاكِ

وهذا المعنى يجاوز الإحصاء، ويفوت الاستقصاء؛ وكله مأخوذ من قول

امرى القيس:

كَانَ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ النِّعَامَ وَرِيحَ الْخَزَامِي وَنَشَرَ الْقَطْرَةَ (١)

لامرى القيس

يُقَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَجِرَ (٢)

فجمع ما فرقوه، وأخذه الجفري فقصر عنه:

كَانَ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ النِّعَامَ وَرِيحَ الْخَزَامِي وَذَوَّبَ الْعَسْلَ

للجفري

يُقَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا التَّجَمُّ وَسَطَ السَّمَاءَ اعْتَدَلَ

ويلحق بهذه المعاني من شعر أهل العصر قول أبي علي محمد بن الحسين بن

المظفر الحاتمي - وذكر خمرًا:

للحاتمي

مِنْ كَفِّ سَاقِ أَهْيَفِ حَرَكَاتِهِ قَتْنٌ تَقَنَّعَ بِالْمَلَاحَةِ وَاعْتَجَرَ (٣)

نَاولته كَأَسِي وَكَسْرُ جُفُونِهِ يُوحِي إِلَى أَنْ ارْتَقِبَهُمْ وَاضْطَبِرْ

فَتَنِي لَهَا أَقْلَامَ دُرِّ رَخْصَةٍ تَهْوِي إِلَى أَفْرَادِ دُرِّ ذِي أَشْرٍ (٤)

فَتَحَدَّرَتْ مِنْ كَأْسِهِ فِي تَغْرِهِ كَالشَّمْسِ تَغْرِبُ فِي هِلَالٍ مِنْ قمر

وأهدى أبو الفتح كشاجم لبعض القيان مسواكا وكتب إليها:

قَدْ بَعَثْنَا لَكَ تَجْلُو بِهِ وَاضِحًا كَاللُّوْلُو الرُّطْبِ أَعْرَبُ

لأبي الفتح
كشاجم

(١) القطر - بالضم - العود الذي يتبخر به (٢) المستحرج: الحران

(٣) اعتجر: من الاعتجار، وهو لبسة خاصة بالنساء والفلان (٤) رخصة: لينة

طَابَ مِنْهُ الْعَرَفُ حَتَّى خَلْتَهُ كَانَ مِنْ رَيْقِكَ يُسْقَى فِي الشَّجَرِ^(١)
 وَأَمَّا وَاللَّهِ لَوْ يَمْلِكُ مَا حَظَّهُ مِنْكَ لِأَثْنِي وَشَكَرَ
 لِيَتَنَى الْمَهْدَى فَيَرَوِي عَطَشِي بَرْدُ أَنْيَابِكَ فِي كُلِّ سَحَرٍ^(٢)
 [شعر عمر بن أبي ربيعة ، وشعر الحارث بن خالد]

وكان ذُكِرَ بحضرة ابن أبي عتيق شعرُ عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد الخزوميين ، فقال رجلٌ من وُلد خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة : صاحبنا الحارث أشعر ، فقال ابنُ أبي عتيق : دَعَّ قولك يا بنَ أخي ، فليسعيرِ ابنِ أبي ربيعة لَوَطَةُ بِالْقَلْبِ^(٣) ، وَعَنْقٌ بِالنَّفْسِ ، وَدَرَكٌ لِلْحَاجَةِ لَيْسَ لِشَعْرِ الحارث ؛ وما عَصِي اللهُ بِشَعْرِ قَطٍّ أَكْثَرَ مِمَّا عَصِيَ بِشَعْرِ ابنِ أبي ربيعة ، فَخُذْ عَنِّي مَا أَصِفُ لَكَ : أَشَعْرُ قَرِيشٍ مَنْ رَقَّ مَعْنَاهُ ، وَلَطْفٌ مَدْخَلُهُ ، وَسَهْلٌ مَخْرَجُهُ ، وَتَعَطَّفَتْ حَوَاشِيهِ ، وَأَنَارَتْ مَعَانِيهِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ صَاحِبِهِ ، فَقَالَ الَّذِي مِنْ وَلَدِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ : صَاحِبُنَا الَّذِي يَقُولُ :

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَارِ تَتَوَدَّهَا الْعُقْلُ^(٤)
 لَوْ بَدَّلْتَ أَعْلَى مَنَازِلِهَا سُمْلًا وَأَصْبَحَ سُمْلَهَا يَعْلُو
 فَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَيْرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحْلُ^(٥)
 لَعَرَفَتْ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلَتْ مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

فقال ابنُ أبي عتيق : يا بنَ أخي ، اسْتُرْ عَلَى صَاحِبِكَ ، وَلَا تَشَاهِدِ الْمُحَاضِرَ بِمَثَلِ هَذَا ، أَمَا تَطَيَّرَ الحارثُ عَلَيْهَا حِينَ قَلَبَ رُبْعَهَا فَيَجْعَلُ عَلَيْهِ سَافِلَهُ ، مَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا . ابنُ أبي ربيعة كان أَحْسَنَ النَّاسِ لِلرَّبِّعِ مَخَاطَبَةً وَأَجْمَلَ مَصَاحِبَةً إِذْ يَقُولُ :

(١) لا يطيب الريق في السحر إلا عند اكتمال القوة (٢) يتمنى لو أنه كان المسواك

(٣) لوطة بالقلب : علوق به (٤) العقل : جمع عقال (٥) الإقواء : خلاء الديار ،

سائلاً الرِّبْعَ جَابِلِيًّا وَقَوْلَا هِجْتَ شَوْقَالِي الْعَدَاةَ طَوِيلَا
 أَيْنَ أَهْلٌ حَلَّوْكَ إِذْ أَنْتَ مَسْرُورٌ رُبُّهُمْ أَهْلٌ أَرَأَيْكَ جَمِيلَا
 قَالَ: سَلِّوْا، وَأَمْعَنُوا، وَاسْتَقْلُوا وَبَكَرْهِي لَوْ اسْتَطَعْتُ سَيْلَا
 سَمُونًا وَمَا سَمْنُنَا مُقَامًا وَاسْتَحْبَبُوا دَهَانَةً وَسَهُولًا^(١)

وهنا حكاية تأخذُ بطرفِ الحديث ، دخل يزيد المدني على مولى لبعض أهل المدينة ، وهو جالسٌ على سريرٍ ممددٍ ، ورجلٌ من ولد أبي بكر الصديق وآخرٌ من ولد عمر - رضی الله عنهما ! - جالسان بين يديه على الأرض ؛ فلما رأى المولى مزيداً تجهمه ، وقال : يا مزيد ما أكثرَ سؤالك ! وأشدَّ إلتفانك ! جئتَ تسألني شيئاً ؟ قال : لا والله ، ولكنني أردتُ أن أسألك عن معنى قول الحارث بن خالد :

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غِدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَمَارِ تَتَوَدَّهَا الْعُقْلُ
 لَوْ بَدَّلْتَ أَعْلَىٰ مَنَازِلَهَا سُفْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلَهَا يَبْلُو

فلما رأيتك ورأيتُ هذين بين يديك عرفتُ معنى الذي قال . فقال : اعزُب في غيرِ حفظِ الله ! وَضَجَّكَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ .

وأخذ الحارثُ قوله :

لَعَرَفْتُ مَمْنَانَهَا بِمَا احْتَمَلَتْ مَنِ الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

من قول امرئ القيس ؛ قال علي بن الصباح وَرَأَىٰ بَنَ أَبِي مُحَمَّدٍ قَالَ لِي أَبُو مُحَمَّدٍ : أَعْرِفُ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ أَيْبَاتًا سَيْنِيَةَ قَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ فِي قَرُوحِهِ وَالْحَالَةَ الْمَسْمُومَةَ ، غَيْرَ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْلَاهَا :

(١) في الطبعة الثالثة من كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » شذرات مهمة عن الحارث بن خالد الخزومي ، الذي وقف شطرا من حياته وجاهه في مغازلة لحسان ، وأخباره مع عائشة بنت طلحة تعين مذاهبه في الحياة الوجدانية

* أَلِمَّا عَلَى الرَّبِيعِ الْقَدِيمِ بَعَسَسَا *

قلت : لا أعرف غيرها ، فقال : أنشدني جملة من الرواة :

لَمَنْ طَلَلْ دَرَسَتْ آيَهُ وَغَيْرَهُ سَالِفُ الْأَحْرُسِ^(١)
تَسْكِرُهُ الْعَيْنُ مِنْ حَادِثٍ وَيَعْرِفُهُ شَفَفُ الْأَنْفُسِ

لطريح التقفي

وقد أخذه طريح بن إسماعيل التقفي ، فقال :

تَسْتَخْبِرُ الدَّمْنَ الْقِفَارَ وَلَمْ تَكُنْ لَتَرَدَّ أَحْبَارًا عَلَى مُسْتَخْبِرٍ
فَظَلَّتْ تَحْكُمَ بَيْنَ قَلْبٍ عَارِفٍ مَعْنَى أَحْبَبْتَهُ وَطَرْفٍ مُنْكَرٍ

وقال الحسن بن وهب ، إشارة إلى هذا المعنى :

للحسن بن
وهب

أَبْلَيْتَ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ جِدَّتِهِ فَمَا تَكَادُ الْعَيُونُ تُبْصِرُهُ
كَأَنَّهُ رَسْمٌ مَنَزَلٌ خَلَقِي تَعْرِفُهُ الْعَيْنُ ثُمَّ تَنْكَرُهُ

وقال يحيى بن منصور الدهلي :

ليحيى بن
منصور الدهلي

أَمَّا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا نَبْرَى لَهُ تَذَكَّرُ طَيْفٍ مِنْ سُعَادٍ وَمَرْبَعٍ
أَخَادِعٍ مِنْ عِرْفَانِهِ الْعَيْنِ ؛ إِنَّهُ مَتَى تَعْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنِي تَدْمَعُ

وقال آخر :

هِيَ الدَّارُ الَّتِي تَعْرِفُ فِإِنْ لَمْ لَا تَعْرِفِ الدَّارَا
تَرَى مِنْهَا لِأَحْبَابِكَ أَعْلَامًا وَأَثَارَا
فِي يَدِي الْقَابُ عِرْفَانًا وَتَبْدَى الْعَيْنُ إِنْكَارَا

وقال أبو نواس ، وتعلق أول قوله بهذا المعنى ، وأنا أنشد الأبيات كلها لأبي نواس

لَمَّا أَحَبَّهَا ؛ إِذْ كَانَ الْغَرَضُ فِي هَذَا التَّصَرُّفِ هُوَ إِيرَادَةُ الْإِفَادَةِ :

أَلَا لَا أَرَى مِثْلَ امْتَرَى الْيَوْمِ فِي رَسْمِ تَغَضَّ بِهَ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهَمِي^(٢)
أَتَتْ صُورُ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَظَنِّي كَلَّا ظَنَّ وَعِلْمِي كَلَّا عِلْمِ

(١) الأحرس : الدهر (٢) رواية الديوان « مثل امترأى في رسم »

فَطِبُّ بِحَدِيثٍ مِنْ حَبِيبٍ مُسَاعِدٍ^(١) وَسَابِقِيَّةٍ بَيْنَ الْمَرَاهِقِ وَالْحُلْمِ^(٢)
 ضَعِيفَةٌ كَرَّ الطَّرْفِ تَحْسَبُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٌ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمِ
 يَفُوقُ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ تَفُوقِي الصَّبَاءِ مِنْ حَلَبِ الْكَرَمِ^(٣)
 وَإِنِّي لَأَتَى الْوَصْلَ مِنْ حَيْثُ يُبْتَغَى وَتَعْلَمُ قَوْسِي حِينَ أَنْزَعَ مِنْ أَرْمِي^(٤)

[شعر أبي نواس]

وَرَوَى أَبُو هَفَانَ قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادِ الْأَعْرَابِيِّ^(٥) يَطْعَنُ عَلَى
 أَبِي نَوَاسٍ ، وَيَعِيبُ شَعْرَهُ ، وَيَضَعُفَهُ ، وَيَسْتَلِينُهُ ؛ فَجَمَعَهُ مَعَ بَعْضِ رِوَاةِ شِعْرِ
 أَبِي نَوَاسٍ مَجْلِسُ الشَّيْخِ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ أَبِي نَوَاسٍ : أَتَعْرِفُ
 — أَعْرَاكَ اللَّهُ! — أَحْسَنَ مِنْ هَذَا؟ وَأَنْشَدَهُ : «ضَعِيفَةٌ كَرَّ الطَّرْفِ...» الْأَبْيَاتِ
 فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، فَلَمَّحَ هُوَ؟ قَالَ : لِلَّذِي يَقُولُ :

رَسْمُ الْكَرْمِيِّ بَيْنَ الْجَفُونِ مُحِيلٌ عَنِّي عَلَيْهِ بَكَاءُ عَلَيْكَ طَوِيلٌ
 يَا نَاطِرًا مَا أَقْدَمَتْ لِحْظَاتُهُ حَتَّى تَشْحَطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلٌ

فَطَرَبَ الشَّيْخُ ، وَقَالَ : وَيَنْحَكَ ! لِمَنْ هَذَا؟ فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَجُودَ مِنْهُ لِقَدِيمٍ

(١) رواية الديوان « من نديم موافق » (٢) بين المراهق والحلم: يريد أن سننها
 قاربت سن الاحتلام، وليست مع ذلك طفلة، فهي كما قال صاحب البدائع: « طفلة في
 النظر، وغادة في الخبر » (٣) تفوق مالي: تأكله، من قولهم «تفوق ناقته» حلبها،
 و«تفوق الفصيل اللبن» شربه (٤) رواية الديوان « وإني لأتني الأمر » وهي أدق
 (٥) هو ابن الأعرابي التوفى سنة ٢٣١. وكان نحويا عالما باللغة والشعر، ولم
 يكن أحد من الكوفيين أشبهه برواية برواية البصريين منه، وكان يزعم أن الأصمعي
 وأبا عبيدة لا يحسنان قليلا ولا كثيرا. فالثعلب: شاهدة ابن الأعرابي وكان يحضر
 مجلسه زهاء مئة إنسان كل يسأله أو يقرأ عليه ويحجب من غير كتاب، قال: ولزمته يضع
 عشرة سنة ما رأيت يده كتابا قط، وما أشك في أنه أملى على الناس ما يحمل على أجمال

ولا لحدّث ! فقال : لا أخبرك أو تكتبه ؛ فكتبه ، وكتب الأول ، فقال : للذي يقول :

رَكِبْ تَسَاقُوا عَلَى الْأَكْوَارِ بَيْنَهُمْ كَأْسَ الْكَرَى فَانْتَشَى لِلْسُقَى وَالسَّاقِ
كَأَنَّ أَرْؤُسَهُمُ وَالنَّوْمُ وَأَضْعُهَا عَلَى الْمَنَاكِبِ لَمْ تُخْلَقْ بِأَعْضَاقِ
سَارُوا فَلَمْ يَقْطَعُوا عَقْدًا لِرَاحِلَةٍ حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ قَبْلَ إِشْرَاقِ
مِنْ كُلِّ جَانِلَةِ الطَّرْفَيْنِ نَاجِيَةٍ مُسْتَقَدَّةٍ حَمَلَتْ أَوْصَالَ مُشْتَاقِ
فقال : لمن هذا؟ وكتبه . فقال : للذي تَدَمَّه ، وَتَعَيَّبَ شَعْرَهُ ، أْبَى عَلَى
الْحَكْمَى ! قال : اكْتُمُّ عَلَى ، فوالله لا أعود لذلك أبداً .

أخذ قوله : « كَأَنَّ أَرْؤُسَهُمُ وَالنَّوْمُ وَأَضْعُهَا » . أبو العباس بن المعتز ، فقال لابن المعتز
يصف شرباً :

كَأَنَّ أَبَارِيقَ اللَّحْيَيْنِ لَدَيْهِمْ ظِلَاءُ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَانَ رُؤُسُهُمْ مِنَ اللَّيْنِ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ عِظَامُ
البيت الأول من هذين من قول علقمة بن عبدة^(١) :

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرَفٍ مُفَدَّمٌ بِسَبَا الْكُتَّانِ مَلْثُومٌ^(٢)
أراد بسباب^(٣) ، فحذف . وقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله :

مسلم بن الوليد

إِبْرِيْقُنَا سَلَبَ الْفَزَالَةِ جِيْدَهَا وَحَكَى لِلدِّرِ بِمِقْلَتَيْهِ غَزَا
يَسْتَقِيكَ بِالْأَلْحَاطِ كَأْسَ صَبَابَةٍ وَيُدِيرُهَا مِنْ كَفِّهِ جِرِيَالًا^(٤)

(١) هو علقمة الفحل ، أحد معاصري امرئ القيس

(٢) مفدم : مسدود ، والفدام هو : السدادة ، والمثلثوم : الذي وضع عليه اللثام

وهو كالقدم (٣) السباب : جمع سبية ، وهي الجبل (٤) الجريال : الحجر

وأنشد الحارث بن خالد أبياته :

إني وما نَحْرُوا غَدَاةَ مَنِي

لسبد الله بن عمر ، فلما بلغ إلى قوله :

لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مَنِي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

قال له ابن عمر : قل إن شاء الله ، قال : إذا فسد الشعر يا أبا عبد الرحمن ،

فقال : لا خَيْرَ في شيء يُفسده إن شاء الله .

[تشبيب الحارث بن خالد]

وكان الحارث بن خالد أحد المجيدين في التشبيب ، ولم يكن يعتقد شيئاً من

ذلك ، وإنما يقوله تظرفاً وتخلعاً ؛ وكان أكثر شعره في عائشة بنت طلحة ، فلما

قُتِلَ عنها مُصَنَّبُ بن الزبير قيل له : لو خطبتها ! قال : إني لا أكره أن يتوهم

الناسُ عليَّ أني كنت معتقداً لما أقول فيها ، وهو القائل :

يا أمَّ عِمْرانَ ما زالتَ وما برحتُ بنا الصِّبابةُ حتى مسَّنا الشَّفَقُ^(١)

القلبُ تاقَ إليكم كئى يلافيكم كما يتوقُ إلى منجاةِهِ الفَرَقُ^(٢)

تُوفيك شيئاً قليلاً وهي خائفةٌ كما يمسُّ بظَهْرِ الحَيَّةِ الفَرَقُ^(٣)

أخذ هذا الطائي فحسَّته فقال :

تأبى على التَّصْرِيدِ إلا نائلاً إلا يكنُ ماءً قرأحاً يمدقُ^(٤)

نزرأ كما استكرهتَ عابر نَفْجَةٍ من فأرةِ نِسكِ التي لم تُفتقِ

وحجَّت عائشة بنتُ طلحة ، فوجَّه إليها يستأذنها في الزيارة ، فقالت : نحن

حرام ، فأخر ذلك حتى نحل ، فلما أحلت أدلجت ولم يعلم ، فكتب إليها :

ما ضرَّكم لو قاتمٌ سَدَدًا إنَّ المنيَّةَ عاجلٌ غَدُها^(٥)

ولها علينا نعمةٌ سلفتُ لنا على الأيام نَجَدُها

(١) الشفق : الحوف (٢) تاق : اشتاق (م) (٣) الفرق : الخائف (٤) التصريد .

التقليل ، وإسقاء مالا يروى (م) . (٥) سددا : يريد كلاماً مستقبلاً لا تغيره (م) .

لَو تَمَّتْ أَسْبَابُ نِعْمَتِهَا تَمَّتْ بِذَلِكَ عِنْدَنَا يَدُهَا
إِنِّي وَإِيَّاهَا كَفَّتِنِ بِالنَّارِ تَحْرِقُهُ وَيَعْبُدُهَا

[من أخبار ابن أبي عتيق وعائشة بنت طلحة]

وابنُ أبي عتيق هذا هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ،
رضي الله عنه ! وكان من أفاضل زمانه علماً وعفافاً ، وكان أخلى الناس فكاهةً ،
وأظرفهم مزاحاً ، وله أخبارٌ مستظرفة سيمرُّ منها ما يُستحسن إن شاء الله .

روى الزبير بن أبي بكر أنه دخل على عائشة — يعني بنت طلحة ، رضي الله
عنهما ! — وهي لمباها ؛ فقال : كيف أنت جُمِلتُ فذاك ؟ قالت : في الموت ، قال :
فلا إذاً ، إنما ظننت في الأمرُ فُسْحَةَ ، فضحكت ، وقالت : ماتدعُ مزحك بحال .

وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة القرشي :

ليت شعري هل أقولن لركب	بفلاةٍ هم لديمها خشوعُ
طالما عرستم فاستقلوا	حان من نجم الثريا طوعُ
إن همي قد نبي النوم عني	وحديث النفس مني يرؤعُ
قال لي فيها عتيقُ مقالاً	فجرت مما يقول الدموعُ
قال لي : ودع سليمي ودعها	فأجاب القلب : لا أستطيعُ
لا تلمني في اشتياقي إليها	وابنك لي مما تجن الضلوعُ

[مُثَل من التعريض]

قال أبو العباس محمد بن يزيد^(١) قوله : « حان من نجم الثريا طوع » كناية ، وإنما

(١) أبو العباس محمد بن يزيد ، هو المعروف بالبرد ، كان شيخ أهل النحو
والعربية ، وإليه انتهى علمهما بعد طبة أنى عمر الجرمي وأبي عثمان اللزني ، وقد أخذ
عنهما وعن أبي حاتم السجستاني وغيرهم ، ومات في شوال من سنة ٢٨٥ الهجرة (م)

يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت موصوفةً بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، فنقلها إلى مصر، وفي ذلك يقول عمر، وضرب لها المثل بالنجمين :

أيها المنكح الثرياً سهيلاً عمرَكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَمِيَانِ
هي شاميةٌ إذا ما استقلتُ وسهيلٌ إذا استقلَّ يَمَانِي

بين الثريا بنت علي والوليد بن عبد الملك
فات سهيل عنها، أو طلقها، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة دمشق تطلب في دين عليها، فبينما هي عند أم البنين ابنة عبد العزيز إذ دخل الوليدُ فقال: مَنْ هَذِهِ عِنْدَكَ؟ قالت: الثريا، جاءتك تطلبُ في دين ارتكبتها، فأقبل الوليد عليها، فقال: أتروين من شعرِ عمر بن أبي ربيعة شيئاً؟ قالت: نعم، أما إنه رحمه الله كان غفيفاً، غفيف الشعر، أروى له قوله:

مَا عَلَى الرَّسْمِ بِالْبَلْبَلِينَ لَوْ بَسَّيْنَ رَجَعَ السَّلَامِ أَوْ لَوْ أَجَابَا
فَأِنِّي قَصْرٌ ذِي الْعَشِيرَةِ بِالصَّا نَفِ أُمْسَى مِنَ الْأَنْبِيسِ يَبَابَا
وَمَا قَدْ أَرَى بِهِ حَتَّى صِدْقٍ ظَاهِرِي الْعَيْشِ نِعْمَةً وَشَبَابَا
وَحَسَانًا جَوَارِيَا خَفِرَاتٍ حَافِظَاتٍ عِنْدَ الْهَوَى الْأَحْسَابَا
لَا يُكْثَرْنَ بِالْحَدِيثِ وَلَا يَتَّبَعْنَ يَنْعَمْنَ بِالْبِهَامِ الظَّرَابَا^(١)

فلما خلا الوليد بام البنين قال: لله درُّ الثريا؛ أتدرين ما أردتُ بإنشادها ما أنشدت من شعر عمر؟ قالت: لا، قال: فأني لما عرضت لها بعمر عرضت بأن أمي أعرابية؛ وأم الوليد ولادة ابنة العباس بن جزء بن الحارث بن زهير العبسي، وهي أم سليمان، ولا تُعلم امرأة ولدت خليفتين في الإسلام غيرها، وغير الخيزران، وهي سببية من خرشنة، ولدت موسى الهادي وهارون الرشيد ابني محمد المهدي، وشاهسفرم بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز؛ فإنها

(١) الظراب: جمع ظرب - بزنة كتف - وهو الجبل المنبسط، أو الراية

ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد بن الوليد الناقص وإبراهيم بن الوليد المخلوع ؛
جلس في الخلافة بعد أخيه يزيد مدة يسيرة ، ثم جاء مروان بن محمد بن مروان
آخر ملوك بني أمية فخلعه ووُلِّي بعده .

وشبَّه بقول الثريا في باب التعريض أنه دخلت عَزَّةً على عبد الملك بن
مروان ، فقال لها : أنتِ عَزَّةٌ كثير؟ قالت : أنا أم بكر الضميرية ، قال لها :
يا عَزَّةُ ؟ هل تروين من شعر كثير شيئاً ؟ قالت : ما أعرفه ، ولكن سمعت
الرواة ينشدون له :

قَصَى كُلَّ ذِي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ وَعَزَّةٌ مَمْطُولٌ مُمَنَّى غَرِيمُهَا
قال : فتروين قوله :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها وَمَنْ ذَا الَّذِي يَاعِزُّ لَا يَتَنَبَّرُ
تفسير حالي والخليقة كالذي عَهَدْتِ وَلَمْ يُخَبِّرْ بِسِرِّكَ مُخَبِّرُ
قالت : ما سمعت هذا ، ولكن سمعتهم ينشدون :

كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضَتْ مِنْ الصَّمِّ لَوْ تَمَشَّى بِهَا الْعَصْمُ زَلَّتْ (١)
غَضُوبًا فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِجَحِيلَةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتْ (٢)

[بعض أخبار عمر بن أبي ربيعة وغزله]

قال : وكلُّ ما ذكركم ابنُ أبي ربيعة في شعره من عتيق ، أو أبي عتيق ، فإنما
هو ابنُ أبي عتيق ، وكان عمرُ بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وأسمُ أبي ربيعة حذيفة ،
ابن المغيرة بن عبد الله [بن عمر] بن مخزوم ، ويكنى أبا الخطاب ، أمه أم ولد
سبية من حضرموت ، ويقال من حمير ، ومن ثم أتاه الغزل ؛ لأنه يقال : « عَشِقْتُ
يَمَانِي ، وَدَلَّ حِجَازِي » . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

(١) كأنِّي أنادي صخرة : يريد أنها لا تجيب النداء ، والصم : جمع أصم أو صماء ،
والعصم : جمع أعصم ، وهو من الوعول والظباء ما في ذراعيه أو أحدها بياض
وسائره أسود (م) (٢) في الأغاني وغيره « صفوحا فما تلقاك إلا بجحيلة » (م) .

إن قلبي بالثلث تلّ عزازٍ مع ظبي من الظباء الجوازي^(١)
شادين لم ير العراق وفيه مع ظرف العراق دكّ الحجاز
وقال الطائي وذكر نفسه :

قد ثقفت منه الحجاز، وسهلت منه العراق، ورقفته المشرق^(٢)
وهجرت الثريا عمراً، فقال :

قال لي صاحبي ليعلم ما بي : أتحب القتل أخت الرباب؟
قلت: وجدى بها كوجدك بالما إذا ما قدرت برد الشراب
أزهقت أم نوقل إذ دعتهما مهجتي ، ما لقاتلي من متاب
أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب أتراب
وهي مكنونة تحدر منها في أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا: تحبها؟ قلت: بهراً عدد الرمل والحصى والتراب
ولما بلغ ابن أبي عتيق قوله :

من رسولي إلى الثريا؟ فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

قال: إياي أريد، وبي هتف ونوه، لا جرم لا ذقت طعاماً أو أشخص إليها،
وأصلح بينهما؛ قال مولى لبني تميم: فنهض ونهضت معه، ثم خرج إلى السوق إلى
الضمرتين، فأتى قوماً من بني الدليل بن بكر يكرون النجائب، فقال: بكم
تكرؤتنى راحلتين إلى مكة؟ قالوا: بكذا وكذا درهما، فقلت لبعض التجار:
استوضعوا شيئاً، فقال ابن أبي عتيق: ويحك! إن المكاس ليس من أخلاق
الناس^(٣). ثم ركب واحدة وركبت أخرى، وأجد السير، فقلت: ارفق بنفسك،

(١) الجولزي: هي الظباء التي تجترى بالعشب عن الماء

(٢) المشرق: خلاف باليمن (٣) المكاس: الشدة في الأخذ والعطاء

فقال : ويحك ! أبادر حَبْلَ الوصل أن يتَقَصَّبَا . وما أملك الدنيا إذا تمَّ الوصلُ بين عمر والثريا ! فقدمنا مكة وأتى بابَ الثريا ، فقالت : والله ما كنت لَنَازِوَارًا ، فقال : أجل ، ولكن جئتُ برسالة ، يقول لك ابن عمك عمر : ضِقتُ ذُرْعًا بهجرها والكتابِ . فلامه عمر ، فقال ابن أبي عتيق : إنما رأيتك مبادراً تَلْتَمِسُ رسولاً ، فحَفَفْتُ في حاجتك ، فإنما كان ثوابي أن أشكر .

ووصف ابن أبي عتيق لعمر امرأةً من قومه ، وذكر جمالاً رائعا ، وعقلاً فائقا ، فرآها عمر ، فشَبَّبَها ؛ ففضِبَ ابنُ أبي عتيق وقال : تشبُّبُ بامرأة من قومي ؟ فقال عمر :

لا تَلْمُنِي عتيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي إنَّ بِي يا عتيقُ ما قد كَفَّانِي
إن بِي مُضْمَرًا من الحب قد أبْلَى عِظَامِي مَخْنُونُهُ وِبرَانِي
لا تَلْمُنِي فَأَنْتَ زَيْلَتَهَا لِي
فقال ابن أبي عتيق :

أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

فقال عمر : هكذا ورَبَّ الكعبة قلت .

فقال ابن أبي عتيق : إن شَيْطَانَكَ ورَبَّ القَبْرِ بما ألمَ بِي !
وَحَجَّتْ رَمْلَةَ بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات ، فقال
عمر فيها :

أصبح القلبُ في الجبالِ رَهِينًا مُقْصَدًا يومَ فارَّقَ الظاعينا
ولقد قلت يوم مكة سِرًّا قبل وَشَكِّ من بينكم نولينَا
أنت أهوى العبادِ قَرَبًا وبعْدًا لو تَوَاتَيْنِ عاشقًا محزونَا
قاده الحَيْنُ يوم سرنا إلى الحجِّ جهارًا ولم يَحْفَ أن يَحِينَا
فإذا نَعْبَجَةٌ تراعى نِعَاجًا ومهًا نُجَلَّ النواظرِ عِينَا
فَسَبْتَنِي بِمَقْلَةٍ وَبِحَيْدٍ وبوجه يضيء للناظرينا

قلتُ من أتمُّ فصدَّتْ وقالتُ أميدُ سؤالك العالميين^(١)
قلتُ باللهِ ذِي الجلالةِ لما أن تبَلَّتِ الفؤادَ أن تصدقينا
أى من تجمَع الموائِمُ أنتمُ فأبيني لنا ولا تكذِّبنا
فراَت حِرْصِي الفِئساءُ ، فقالتُ أخبريه بعلم ما تكتمينا
نحن من ساكني العراق ، وكنا قبلها قاطنين مكة حينما
قد صدقناك إذ سألت فبن أنت عسى يجر شأن شؤونا
وزى أننا عرفناك بالذمت ظنوناً وما قتلنا يقيمنا
بسـ وادِ الثنيتين ونمت قد نراه لناظر مستبيننا
قولها : « وكنا قبلها قاطنين مكة حيناً » أرادت إذ كانت مكة خِزاعة .

صفقة أن
غبشان الذي
باع مفتاح
الكعبة
وكان آخر من نَبَدَ مفتاح الكعبة من خِزاعة أبوغُبشان ، فباعه من قَصَى زِقْ
خر ؛ فقيل في المثل : « أخسر صفقة من أبي غُبشان » . وكان أبوغُبشان
إذ باع المفتاح قَصِيًّا مريضاً قد يئس من نفسه ، فلما أبل من مرضه لانه قومه ،
وسألوه استرجاعه ، وذلك الذي هاج الحرب بين خِزاعة وقريش ، فظفر قَصَى
واستولى على مكة ، وجمع قريشاً بها ؛ ولذلك سمي مجمعاً ، قال مطرف الخِزاعي :
أبوكم قَصَى كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فِهْرِ
وقال الطائي :

ولما نَصَّأ ثوبَ الحياةِ وأوقعتْ به نائباتُ الدهرِ ما يتوقع
غدا ليس يذرى كيف يصنع مُعَدِّمٌ ذرى دَمَعه في خذِّه كيف يصنعُ
ولم أنس سَعَى الجودِ خَلْفَ سريرهِ بأ كُفِّ بَالٍ يستقلُّ ويظلعُ^(٢)
وتكبيرهُ خِمْساً عليه مَعاً لنا وإن كان تكبيرُ المصلين أربَعُ
وما كنتُ أدري يَعْلَمُ اللهُ قَبْلَها بأنَّ النَّدى في أهله يتشيعُ

(١) أميد سؤالك العالمين : أى هل أنت مقسمه بددا وتفارق على الناس بحيث
يعممهم جميعاً (٢) يستقل ويظلع : ينهض ويسقط

غَدَاؤًا فِي زَوَايَا نَعْشِهِ وَكَأَنَّمَا قَرِيشٌ قَرِيشٌ يَوْمَ مَاتَ مُجَمِّعٌ
وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي أَمْرِ قِصَى وَأَيُّ غُبْشَانَ :

أَبُو غُبْشَانَ أَظْلَمُ مِنْ قِصَى وَأَظْلَمُ مِنْ بَنِي فَهْرِ خِرَاعِهِ
فَلَا تَلْحَوْا قِصَى فِي شِرَاهُ وَلَوْمُوا شَيْخَكُمْ إِذْ كَانَ بَاعَهُ
وَكَانَ عَمْرُ أَسْوَدَ الثَّنِيثِينَ .

قال مولى ابن أبي عتيق بلال : أتيتُ الثريا مسلماً عليها ، فقالت : أنشدني
لعمري ، فأنشدتها :

* أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحَبَالِ رَهِينًا *

فقالت الثريا : إى والله ، لئن سلمت له لأردن من شأوه ، ولأثنين
عنانه ، ولأعرفنه نفسه ! فمررت فيها حتى انتهيت إلى قوله :

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أُمْبِدُّ سَوْءَ الْكَالِمِينَ

فقالت : أو قد أجابته بهذا ؟ أى وقت ؟ فلما انتهيت إلى قوله :

* وَتَرَى أَنَا عِرْفَانِكَ بِالْتَمَعْتِ *

قالت : جاءت النوكاءُ بأخيراً ما عندها في موقفٍ واحد^(١) .

وسأله أخوه الحارث - وهو المعروف بالقباع ، وكان من أفاضل أهل دهره - أن
يترك الشعر ، ورغب إليه في ذلك ، ووعظه ، فقال : أما ما دمت بمكة فلا
أقدر ، ولكنى أخرج إلى اليمن ، فخرج ؛ فلما سار إلى هناك لم تدعه نفسه وترك
الشعر ، فقال :

هِيهَاتَ مِنْ أُمَّةِ الْوَهَابِ مَنْزِلُنَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنٍ^(٢)
وَاحْتَلَّ أَهْلُكَ لُجَيَادًا ، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّذَكُّرُ أَوْ حِظٌّ مِنَ الْحَزَنِ
بَلْ مَا نَسِيتُ غَدَاةَ الْخُيْفِ مَوْقِفَهَا وَمَوْقِفِي ، وَرَكَالَنَا نَمَّ ذُو شَجَنِ

(١) النوكاء : الحقاء (٢) سيف البحر - بكسر السين - ساحله

وقولها للثريا وهي مطرقة^(١) والدمع منها على الخدين ذوسنن^(٢)
 بالله قولي له في غير معتبة ماذا أردت بطول المكث في اليمن
 إن كنت حاولت دنياً وظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن
 فلما بلغ الشعر الحارث قال : قد علمنا أنه لا يفنى^(٣).

بين ابن جريج
 ومعن بن أوس

وروى سفيان بن عيينة عن ابن جريج قال : لزمي دين مرة فضاقت^(٤)
 ساحتي وبلادي بي ، فتوجهت إلى معن بن زائدة باليمن ، فقال : ما أقدمك
 هذه البلدة ؟ قلت : دين طردني عن وطني . قال : يقضى دينك ، وترد إلى
 وطنك محبواً محبوراً ، قال : فأمت عنده ، ثم رأيت الناس يرحلون إلى الحج ،
 فحنت إلى مكة^(٥) ، وذكرت قول ابن أبي ربيعة ، وذكر الأبيات ... فأتيت باب
 معن ، فقلت للحاجب : استأذن لي على الأمير ، فلما دخلت عليه قال : إن
 لك لحادث خبير ! قلت : أستودع الله الأمير وأستحفظه عليه . قال : وما حاج
 هذا منك ؟ قلت : رأيت خروج الناس إلى الحج ، وذكرت قول عمر ؛ فحنت
 إلى مكة ، فقال : أنت وحنينك ، وإن كنت بفراقك ضنينا ، وسيبتعك
 ما تحتاج إليه ؛ فسر مصاحباً ، قال : فسرت إلى رحلي ، فأتبعني بمالٍ وثياب
 ومطايا ودواب ، وسرت إلى مكة من فوري .

عفة عمر

وكان عمر - على غزله ، وما يذكروه في شعره - عفيفاً . حدث المغيرة بن عبد الرحمن
 عن أبيه قال : دخلت مع أبي مكة ، فجاءه عمر ، فسلم عليه ، وأنا غلام شاب^(٦)
 وعلى جبة ، فجعل يأخذ بخصلة من شري فتمتد في يده ، ثم يرسلها فترجع ،
 فيقول : واشباباه ! فقال لي : يا ابن أخي ، قد سمعت قولي : « قلت لها وقالت لي » ؛
 وكل مملوك لي حر إن كنت قط كشفت عن فرج حرام ! قال : فقمتم وفي

(١) السنن : الطرائق (٢) ارجع إلى نقض هذا الرأي في كتاب « حب ابن
 أبي ربيعة وشعره » في الفصل الذي عنوانه « الجوانب الجدية في حياة ابن أبي ربيعة »

نَفْسِي مِنْ يَمِينِهِ شَيْءٌ ؛ فَسَأَلْتُ عَنْ رَقِيقِهِ ، فَقِيلَ لِي : أَمَا فِي هَذَا الْحَوْلِ فَسَبْعُونَ .

ويستحسن قول عمر في المساعدة :

وَخَلَّ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمَسْتَمِماً مُطِيعاً
أَطَافَ بِنَفْسِي فَانْهَيْتُ عَنْهَا وَقَلْتُ لَهُ : أَرَى أَمْراً شَنِيعاً
أَرَدْتُ رِشَادَهُ جَهْدِي ، فَلَمَّا أَبِي وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعاً

وهذا مأخوذ من قول دريد بن الصمة الجشمي^(١) :

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوِيِّ فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضِحّاً الْغَدِ
فَقُلْتُ لَهُمْ : ظَنُّوا بِالْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرَدِ^(٢)
فَمَا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتِهِمْ وَأَنْتِي غَيْرُ مُهْتَدِي
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزَايَةِ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ ، وَإِنْ تَرَشَّدُ غَزَايَةِ أَرَشُدُ

ومن جيد شعره :

يَقُولُونَ إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُ فِي الْهَوَى وَمَا بَالُ طَرَفِي عَفَا عَمَّا تَسَاقَطَتْ
عِشْيَةٌ لَا يَسْتَنْكِرُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا سَفَاهَ حِجِّي مِمَّنْ يُقَالُ لِيْب
وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكٍ أَوْ مَضَتْ لَهُ بَعَيْنِ الصَّبَا كَسَلَى الْقِيَامِ لَعُوبِ^(٣)
تَرَوِّحَ يَرَجُوْ أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُ فَا بَ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
وَمَا النَّسْكَُ أَسْلَانِي ، وَلَكِنْ لِلْهَوَى عَلَى الْعَيْنِ مَتَى وَالْفَوَادِ رَقِيبُ

ونظر عمر بن أبي ربيعة إلى فتى من قريش يكلم امرأة في الطواف ، فعاب ذلك عليه ، فذكر أنها ابنة عمه ، فقال : ذلك أشنع لأمرك ، قال : إني خطبتها

(١) أحد الشعراء الأبطال ، غزا نحو مئة غزوة ، ولم ينجب في واحدة منها ، عمر طويلاً حتى سقط حاجباه على عينيه ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين (٢) ظنوا ، هنا معناها تيقنوا . والمدجج : التام السلاح . والمسرد : الحكم الذئب . وهو صفة للدرع (٣) أو مضت له : سارفته النظر

إلى عمي ، وإنه زعم أنه لا يزوجني حتى أصدقها أربع مائة دينار ، وأنا غير قادر على ذلك ، وذكر من حاله وحبها ؛ فأتى عمرُ عمه ، فكلّمه في أمرها ، فقال : إنه مُمّلق ، فزوجه ، وساق عمرُ عنه المهر .

وكان عمر حين أسنّ حلف ألا يقول بيتا إلا أعتق رقبة ، فانصرف إلى منزله يحدث نفسه ، فجعلت جاريته تكلمه ولا يجيبها ؛ فقالت : إن لك لسانا ، وأراك تريد أن تقول شعرا ، فقال :

تقول وليدتي لما رأيتني	طربتُ : وكُنْتُ قد أقصرتُ حيناً
أراك اليوم قد أخذتِ أمراً	وهاج لك الهوى داءً دفيناً
وكنتِ زعمتِ أنك ذو عزاء	إذا ما شئتِ فارتقتِ القريناً
لعمرك هل رأيتِ لها سميّاً	فشاقتك أم لقيتِ لها خديناً
فقلتُ : شكا إلى أخٍ بحبِّ	كبهضِ زماننا إذ تعلّميناً
فقضّ عليّ ما يلقى بهندي	فذكر بعض ما كنا نسيناً
وذو الشوق القديم وإن تعزّى	مَشوق حين يلقى العاشقيناً
فكم من خلةٍ أعرضتُ عنها	لغير قليّ ، وكنتُ بها ضنيناً
أردتِ بعادها فصددتُ عنها	وإن جنّ الفؤادُ بها جنوناً
ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم .	

قال عثمان بن إبراهيم : حججتُ أنا وأصحابنا لنا ، فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة ، فرأينا عمر بن أبي ربيعة ، وقد نَسك وترك قول الشعر ، فقال بعضنا لبعض : هل لكم فيه ؟ فلئنا إليه ، وسامنا عليه ، وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا . فقال له بعضنا : أيعجبك قول الفرزدق :

سرتُ لعينك سأمي بعد مَففاها	فبتُ مُستلبيّاً من بعد مسرّاهَا
فقلتُ : أهلاً وسهلاً! من هداك لنا؟	إن كنتِ تمثالها أو كُنْتَ إياها
تأتي الرياح التي من نحو بلدكم	حتى تقول : دانتُ منا برياًها

وقد تراخت بهم عَنانَوِي قَذْفٌ هيهات مُصَبِّحَهَا مِنْ بَعْدِ مُسَاهَا (١)
 من أجلها أَعْنَى أَنْ يُبْلِقِنِي من نحو بِلَدَتِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا
 كَمَا أَقُولُ : افْتِرَاقٌ لِاجْتِمَاعِ لَهُ ، وَتَضْمِيرُ النَّفْسِ يُأَسِّئُ ثُمَّ تَسْلَاهَا
 وَلَوْ تَمَوْتُ لِرَاعَتِي وَقَلْتُ لَهَا : يَا بُوَيْسُ لِلدَّهْرِ لَيْتَ الدَّهْرَ أَبْقَاهَا

فلم يهش لذلك ! فقال الآخر : أيعجبك قول العذرى :

لَوْ حَزَّ بِالسَّيْفِ رَأْسِي فِي مَوَدَّتِهَا لَمَرَّ يَهْوَى سَرِيحًا نَجْوَاهَا رَأْسِي
 وَلَوْ بَلَى تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدِي لَكُنْتُ أُنْبَى وَمَا قَلْبِي لَكُمْ نَاسِي
 أَوْ يَقْبِضُ اللَّهُ رُوحِي صَارَ ذِكْرُكُمْ رُوحًا أَعِيشُ بِهِ مَا عَشْتُ فِي النَّاسِ
 لَوْلَا نَسِيمٌ لَذَكَرَاكُمْ يَرْوِحُنِي لَكُنْتُ مُحْتَرِقًا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي

فتحرك ثم قال : يَا وَيْحَهُ ! أبعده ما يحز رأسه يميل إليه ؟

ثم أنشأ يحدثنا ، فقال : أتاني خالد الدليل ، فقال : إن هندا وأترابها بموضع
 كذا وكذا من الصحراء أيام الربيع ، فقلت : كيف الخيلة ؟ فقال : تَتَلْتَمُ وَتَكْتَفِلُ (٢)
 كأنك طالبُ ضالَّةٍ ، ففعلت ، فدُفِعَتْ إِلَيْهِنَّ ، فقلن : يا أعرابي ، ماتطاب ؟ قلت :
 ضالَّةٌ لِي ، فقلن : قد كَلِمْتُ يَا أَعْرَابِي ، فَلَوْ جَلَسْتَ فَأَصَبْتَ مِنْ حَدِيثِنَا وَأَصْبْنَا مِنْ
 حَدِيثِكَ ، وَلَعَلَّكَ تَرُوحُ إِلَى وَجُودِ ضَالَّتِكَ ، فَنَزَلْتَ ؛ فَلَمَّا امْتَدَّ الْحَدِيثُ بِنَا حَسَرْتَ
 هِنْدٌ لثَامِي ، وَقَالَتْ : أَتُرَاكُ خَدَعْتَنَا ؟ نَحْنُ وَاللَّهِ خَدَعْنَاكَ ، وَبَعَثْنَا إِلَيْكَ خَالِدًا ،
 رَأَيْنَا خَلَاءً وَمَنْظَرًا فَأَرَدْنَاكَ ، وَنَظَرْتُ فِي دِرْعِي فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ ، فقلت :
 يَا أَبَا الْخَطَابِ ! قَالَ عَمْرٌ : قَلْتُ : لَيْتِيكَ ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبِّعَا بِيَطْنِ حَلِيَّاتِ دَوَارِسَ بَلْقَمَا (٣)

(١) نوى قذف : بعيدة

(٢) اكتفل : ركب فوق الكفل . بالكسر ، وهو شيء مستدير يتخذ من

خرق أو غيرها ويوضع على سنام البعير (٣) حليات : اسم موضع

إلى السرح من وادي الغمس بدلت
 فيخلن أو يخبرن بالعلم بعدما
 هندی وأترابٍ هندی إذ الهوى
 وإذا لا نطيعُ العاذلين ولا نرى
 وإذا نحنُ مثلُ الماءِ كانَ مزاجه
 تنوعتِ حتى عاودَ القلبَ خبيله
 قفلت لمطريهن بالحسن : إنما
 وأشریت فاستشرى وقد كان قد صحا
 لئن كان ما حدثتُ حقاً فأرى
 فقال : فقم فانظر، قفلت : وكيف لي
 فقال : اکتفل ثم التم فأت باغيا
 فأقبلتُ أهوى مثل ما قال صاحبي
 فلما توافقنا وسمتُ أقبلت
 تبالهن بالعرفان لمتا رأينى
 وقررتُ أسباب الهوى لمتيم
 فلما تنازعن الأحاديث قلن لي

معالمه وبلاءً ونكباء زغزعا^(١)
 نكأن فؤاداً كان قدماً موجعا^(٢)
 جميعٌ وإذا لم نخش أن يتصدعا
 لوأش لدينا يطلبُ الهجرَ مطمعا
 كما صفق الساقى الرحيق المشععا
 وحتى تدرت الحبيب المودعا
 ضررت، فهل تستطيعُ نفعاً فتنعما؟
 فؤاد بأمثال المها كان مولعا^(٣)
 كمثل الألى أطريت في الناس أربعا^(٤)
 أخافُ حديثاً أن يشاع فيشعنا
 فسلم ولا نكثُر بأن تورعا
 لموعده أبنى قلوفاً موقعا^(٥)
 وجوه زهاها الحسن أن تتقنا
 وقلن : امرؤ باغٍ أكل وأوضعا^(٥)
 يقيس ذراعا كلما قسن إضعبا
 أخفت علينا أن نغرّ ونخدعا

(١) الغمس : موضع قرب مكة في طريق الطائف، والنكباء : الريح التي تتكبد

عن مهاب الرياح، وريح زغزع : شديدة

(٢) نكأ الجرح : أصابه من جديد (٣) أشرته فاستشرى : هجته فهاج، وشرى

الشر، على وزن رضى، استطار . وشرى زيد : غضب ولج، ومثله استشرى، ومنه

الشرأة للخوارج، سوا بذلك للجاجتهم وإبعانهم في الخروج، لا لأنهم شروا أنفسهم

وباعوها في الطاعة كما وهم بعض الناس (٤) الإطراء : البالغة في الشاء

(٥) الموقع : البعير تكثر عليه آثار الدبر (٦) أكل راحلته وأوضعها : أتعها

فبالأمس أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِدًا
فَمَا جِئْنَا إِلَّا عَلَى وَفَى مَوْعِدٍ
رَأَيْنَا خَلَاءَ مِنْ عُيُونٍ وَمَنْظَرًا
وَقَلْنَ : كَرِيمٌ نَالَ وَصَلَ كِرَامٍ
إِلَيْكَ ، وَبَيْنَنَا لَهُ الْأَمْرَ أَجْمَعًا
عَلَى مَلَأَ مَنَّا خَرَجْنَا لَهُ مَعًا
دَمِيثَ الرَّبِيِّ سَهْلَ الْحِجَلَةَ مُرْعَاً (١)
فَحَقَّ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْ تَمْتَعًا
وَقَوْلُهُ : « وَجُوهَ زَهَاهَا الْحَسَنِ أَنْ تَنْقَعَا » يَقُولُ : هَذِهِ الْوُجُوهُ مُدَلَّةٌ بِجَاهِهَا
فَلَا تَخْتَمِرُ ، فَتَسْتَرُ شَيْئًا عَنِ النَّاطِرِينَ إِلَيْهَا . وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى الشَّمَاخُ بْنُ
ضِرَارٍ (٢) يَصِفُ نَاقَتَهُ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعُ مُدَلَّةٍ
بُعِيدَ الشَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تُعْذَرَ (٣)
مِنَ الْبَيْضِ أَعْطَافًا إِذَا انْتَصَلَتْ دَعَتْ
فِرَاسَ بْنِ غَنَمٍ أَوْ لَقِيْطَ بْنَ يَمْعُرَا
بِهَا شَرَقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبِرٍ
أَطَارَتْ مِنَ الْحَسَنِ الرَّدَاءَ الْحَبْرَا

[مَنْ لَا تَرَى سِتْرَ الْوَجْهِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَاحْتِجَاجَهَا لِذَلِكَ]

قَالَ : وَكَانَتْ عَائِشَةُ بَدَتْ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ لَا تَسْتُرُ وَجْهَهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ
عَلَى مُضْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ لَهَا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَسَمِعَنِي بِمِيسَمِ جَمَالٍ ،
فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ ، وَاللَّهِ مَا بِي وَصَمَةٌ اسْتُرْتُ لَهَا .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّوْحِيُّ يَصِفُ قَيْنَةَ :

لَمْ يَمْتَصِّمْ عَوْدُهَا بِزَامِرَةٍ
وَلَا انْضَوَى وَجْهَهَا إِلَى السِّتْرِ
وَقَدْ رَدَّدَ مَعْنَى قَوْلِهِ : « لَمْ يَمْتَصِّمْ عَوْدُهَا بِزَامِرَةٍ » فَقَالَ : يَصِفُ بَرْعَةَ

الْكَبِيرَةَ :

غَنَتْ فَلَمْ تَحْجُجْ إِلَى زَامِرٍ
هَلْ تَحْجُجُ الشَّمْسُ إِلَى شَمْعِهِ

(١) دميث : سهل ، والمرع : الخصب

(٢) هو مقل بن ضرار ، المتوفى سنة ٢٢ ، كان أرجز الناس على البدنية ، شهد

القادسية ، وتوفى في غزوة موقان (٣) في نسخة « ذراعا مدلة » (م)

كأنما غنت لشمس الضحى كأنما رنة مسموعها
 كأنها قد أطلعت طلعه كأنها قد أطلعت طلعه
 يجتمع الظرف جلاساها والحسن والإحسان في بقعه
 طفلة على من حصلت عنده فبعض تطفيل الفتى رفعه (١)
 ربيع غيث فانتجع روضه فلن يُعاب الحر بالنجعه (٢)

[ستر الرأس لإخفاء الصلع]

وكان ابن الرومي لا يزال معتمًا ، وكان يفضض إذا سُئل عن ذلك ، وسأله
 بعض الرؤساء : لِمَ تَعْتَمُ ؟ فقال بديها :

يأتيها السائل لأخبره عني لِمَ لا أراك مُعْتَجِرًا
 أستر شيئًا لو كان يمكني تعريفه السائلين ما سترًا
 وقد بين العلة التي أوجبت اهتمامه في قوله :

تعمت إحصاناً لرأسي برهة من القرّ يوماً والحرور إذا سقع
 فلما دهي طول التعمم لمتي وأودي بها بعد الإطالة والفرع
 عزمت على لبس العمامة حيلة لتستر ما جرّت على من الصلع
 فيالك من جانٍ على جناية جعلت إليه من جنائته الفرع
 وأعجب شيء كان دأى جعلته دوائى على عمد وأعجب بأن نفع

وهذا كقولها ، وإن لم يكن في معناه ، وقد رأيت من ينسبه إلى كشاجم :

طربت إلى المرأة فروّعتني طوالح مبيتين أمتا بي
 فأما شيبة ففرّعت منها إلى المقرّاض حبا للتصا بي

(١) التطفيل: غشيان الوليمة من غير دعوة

(٢) النجعة: الارتمال في سبيل الكلاء

وأما شَيْبَةُ فَصَفَحَتْ عَنْهَا
فَأَعْجِبُ بِالذَّلِيلِ عَلَى مَشِيهِ
وَهُوَ الْقَاتِلُ فِي صِفَةِ رَجُلٍ أَصْلَعُ :
يَجْذِبُ مِنْ نَقْرَتِهِ طُرَّةً
فَوْجُهُ يَأْخُذُ مِنْ رَأْسِهِ
إِلَى مَدَى يَقْصُرُ عَنْ مِيلِهِ
أَخَذَ نَهَارَ الصَّيْفِ مِنْ لَيْلِهِ
وقال أعرابي :

قد ترك الدهرُ صفاتي صَفْصَفًا
فصار رأسي جبهةً إلى القفا^(١)
* كأنه قد كان ربمًا فعنا *

[من كلام الأعراب]

قال أعرابيٌّ لسليمان بن عبد الملك : إني أكلك يا أمير المؤمنين بكلام
فاتحمله ، فإن وراءه إن قبلته ماتحبه ، قال : ها ته يا أعرابي ؛ فنحن نجودُ بسعة
الاحتمال على من لا نأمن غيبته ، ولا نرجو نصيحته ، وأنت للمأمون غيبا ، الناصح
جيبا^(٢) . قال : فإني سأطلقُ لساني بما خرست عنه اللسن ، تأديةً لحق الله
تعالى ؛ إنه قد اكتشفك رجالٌ أساءوا الاختيارَ لأنفسهم ، وابتاعوا دُنْيَاكَ مدينتهم ،
ورضاك بسخطِ ربهم ، وخافوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حربٌ
للاخرة ، وسلمٌ للدنيا ، فلا تأمنهم على ما أتمنك الله عليه ؛ فإنهم لم يألوا
الأمانة تضييعا ، والأمة كسفا وخسفا ، وأنت مسئول عما اجترموا ، وليسوا
مسئولين عما اجترمت ؛ فلا تَصْلِحْ دنياهم بفساد آخرتك ؛ فإن أعظم الناس
عند الله غبناً من باع آخرته بدُنْيَا غيره .

فقال سليمان : أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك ، قال :
أجل يا أمير المؤمنين ، لك لأعليك .

(١) الصفاة : الصخرة ، والمراد بها حال المرء (٢) نصح الجيب : كناية عن

وصف المطر
لاعرابي

وروى العتبي عن أبيه عن مولى لعمر بن حريث قال : شخصت إلى سليمان
ابن عبد الملك ، فقيل لي : إنك تردُّ على أفصح العرب ، وسيألك عن المطر ، فانظر
ما تجيبه ، فقالت : ما عندي من الجواب إلا ما عند العامة ، فقيل لي : ما ذلك
بمُتَّعِعه ، فلقيني أعرابي فقالت : هل لك في درهمين ؟ فقال : إني والله محتاج
إليهما ، حريصٌ عليهما ، فما شأنك ؟ فقالت : لو سألك سائل عن هذا المطر
بمَ كنت تجيبه ؟ قال : أو يعنيا بهذا أحد ؟ قلت : نعم ، سأئلك ! قال : أتعبياً
أن تقول : أصابتنا سماء ، عمد لها الثرى ، واتصل بها العرى ، وقامت منها
القدر ، وأتتك في مثل وجار الضبع ، فكتبتُ الكلام ، وأعطيتُ درهمين :
فكان هجيراً أي على الراحلة^(١) ؛ فإذا نزلت أقبلت عليه وأمثل نفسي كأنني
واقف بين يديه ، وقد سلمت عليه بالخلافة وهو يسألني عن المطر !

فلما اتهمتُ إليه سألني فاقصصتُ الكلام ، فكسر إحدى عينيه ، وقال :
إني لأسمع كلاماً ما أنت بأبي عذرتَه^(٢) . قلت : صدقت ! وحياتك يا أمير المؤمنين
اشتريتُه بدرهمين ! فاستغرب ضحكاً ، ثم أحسنَ صلتِي .

وقال أعرابي يمدح رجلاً :

حليمٌ مع التقوى ، شجاعٌ مع الجدا
ويجداً أموراً لو تصيقتُ غيره
شديدٌ مناطِ القلبِ في الموقف الذي
فتى هو من غير التخلق ما جد
وقال بعض المحدثين يمدح :

أعرابي
تمدح رجلاً

ند حين لا يندى السحاب سكوبُ
لمت خفاتاً أو لكاد يدوبُ
به لقلوب العالمين وجيبُ
ومن غير تأديب الرجال أديبُ

(١) كان هجيراً على الراحلة : أي لم يزل يكرره وهو سائر

(٢) ليس بأبي عذرتَه : ليس صاحبه . والعذرة : البكارة ، وهو أبو عذرة هذا

الكلام : أي أول من افتض بكارتَه . يعني أنه مبدعه

فَتِي يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَيَجْعَلُ دُونَ الْعُذْرِ فَضْلَ التَّكْرِمِ
 أَغْرُ مَتَى تَقْصِدُ بِهِ فَضْلَ حَظِهِ تُصِيبُ وَمَتَى تَطْلُبُ بِهِ الْغَنَمَ تَغْنَمُ-
 عَلَى رَأْيِهِ يَنْضَمُّ مُنْصَدِعُ الصَّفَا وَبِنَحْلِ مَنْ عَقَدَ الْعُرَى كُلَّ مُبْرَمِ
 لَهُ عَزْمَةٌ أَغْنَى مِنَ الْجَيْشِ فِي الْوَعَى وَخَطْرَةٌ رَأَى كَالْحُسَامِ الْمَصْمِ-

جملة من كلام أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني ^(١) بديع الزمان

وهذا اسمٌ وافق مُسَمَّاهُ ، ولفظٌ طابقَ مَعْنَاهُ ، وكلامٌ غَضُّ المَكاسِرِ ،
 أَرِنِقُ الجِوَاهِرِ ، يَكادُ الهِوَاءُ يَسْرِقُهُ لُطْفًا ، والهوى يَمُشِقُهُ ظَرْفًا

ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي ^(٢) أغرب بأربعين حديثاً، وذكر كيف استوحى
 أنه استنبطها من ينابيع صدره ، واستنخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار صنع المقامات
 والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر ، في معارض أعجمية ، وألفاظ حوشية ، فجاء
 أكثر ما أظهر تنبؤ عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حجبها الأسماع ، وتوسع فيها ؛
 إذ صرف ألفاظها ومعانيها ، في وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها
 بأربعائة مقامة في الكدبية ، تذوب ظرفاً ، وتقطر حسناً ، لامناسبة بين
 المقامتين لفظاً ولا معنى ، وعطف مساجلتها ، ووقف مناقلتها ، بين رجلين سمى
 أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الإسكندري ، وجعلهما يتهديان الدر ،
 ويتنافسان السحر ، في معانٍ تضحكُ الحزين ، وتحركُ الرصين ، يتطلع منها
 كل طريفة ، ويوقف منها على كل لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ،

(١) هو أشهر كتاب القرن الرابع ، وأيقاهم أثراً . كانت وفاته سنة ٣٩٨ وسيتحدث
 عنه صاحب زهر الآداب في مواطن متفرقة (٢) ابن دريد هو محمد بن الحسن
 « لا الحسين كما ورد في الأصل » المتوفى سنة ٣٢١ ، كان فها وصفوه أعلم الشعراء
 وأشعر العلماء

وخصَّ أحدهما بالرواية؛ وسأذكر منها ما لا يُحِلُّ طولُه بالشرط المقنود، ولا ينافي حصولُه الفرضَ المقصود^(١).

كتب إلى أبي نصر أحمد بن علي الميكالي :

كتابي - أعز الله الأمير! - وبودى أن أكونه، فأسعد به دونه، ولكنَّ الحريصَ محروم، لو بلغ الرزق فاه، لولاه قفاه. فرَّق الله بين الأيام، تفريقها بين الكرام، وألمها أن تورد بعقل، وتصدر بتميز، وما ذلك على الله بعزيز، وأنا في مفاتحة الأمير، بين ثقة تعد، ويد تترعد، ولم لا يكون ذلك؟ والبحر وإن لم أره، فقد سمعتُ خبره، ومن رأى من السيف أثره، فقد عين أكثره، والليث وإن لم ألقه، فلم أجهل خلقه، وما وراء ذلك من تاليد أضلِّ وحسب، وطارف فضل وأدب، وبُعد همة وصيت، فمعلوم تشهد به الدفاتر، والخبر المتواتر، وتنطق به الأشعار، كما تصدق به الآثار، والعين أقلُّ الحواس إدراكا، والأذن أكثرها استمساكا، وإن بعدت الدار فلا ضير؛ إن أيسر البعدين بُعد الدارين، وخير القرين قرب القلبين.

وكتب إليه في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة :

الأمر القاضل، والشيخ الرئيس، رفيع مناصب الهمة، بعيد منال الحرمة، وفسيح مجال الفضل، رحيب منخرق الجود، رطيب مكسر العود

كتاب
من البديع
لأبي نصر
الميكالي

ومن البديع
إلى الميكالي أيضا

(١) مؤدى هذا الكلام أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات، وأنه حتى ابن دريد في أحاديثه؛ وقد استغللت هذا النص في كتابي الذي وضعته بالفرنسية عن النثر في القرن الرابع. وقد دهش المسيو مارسيه لهذه الفكرة، وعجب كيف اتفق الناس إلى اليوم على أن البديع هو منشىء فن المقامات، ولكنى من جانب آخر أذكر أنى لم أزمثل هذا الكلام في غير زهر الآداب، ولا أزال أتلس له مصدراً آخر، وم أعتز على شىء إلى اليوم، ويزيد في الدهشة أن صاحب زهر الآداب يروى السألة على أنها مقبولة معروفة لم تسمى بنقض ولا تكذيب، وقد نقلها عنه ياقوب في معجم الأدياء

فَوَ نَظَمْتَ الثَّرْبَا وَالشَّعْرَيْنِ قَرِيضَا
 وَكَاهِلِ الْأَرْضِ ضَرْبَا وَشَعْبَرَ ضَوْىَ عَرُوضَا
 وَصُنْعَتُ لِلدَّرِ ضِدًّا وَلِلْهَوَاءِ نَقِيضَا
 بَلْ لَوْ جَلَوْتُ عَلَيْهِ سُودَ النَوَائِبِ بِيضَا
 أَوْ ادَّعَيْتُ الثَّرِيًّا لِأَخْصِيهِ حَضِيضَا
 وَالْبَحْرَ عِنْدَ هَاهُ يَوْمَ الْعَطَاءِ مَفِيضَا

لما كنت إلا في ذمة القصور ، وجانب التقصير ، فكيف وأنا قاعدُ الحالة في
 المدح ، قاصرُ الآلة عن الشرح؟ ولكنى أقول : التناء مُنْجِحٌ أُنَى سلك ، والسخرى
 جوده بما ملك ، وإن لم تكن غرّةً لأئحةً فَلَمْحَةٌ دَالَّةٌ ، وإن لم يكن صداءُ
 فاء^(١) ، وإن لم يكن خمر فخلّ ، وإن لم يُصِبْهَا وابل فَطَلّ ، وبذلُ الموجود غاية
 الجود ، وبعض الجهاد آخر المجهود ، وماش خير من لاش^(٢) ، ووجودها قلّ
 خيرٌ من عدم ما جلّ . وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب ، وجهد المقل
 خيرٌ من عذر الخل ، وحمار أيس خيرٌ من فرس ليس^(٣) ، وكوخ في العيان
 خيرٌ من قصر في الوهم . وزيت^(٤) خير من ليش ، وما كان أجود من لو كان ، وقد
 قيل : عصفور في الكف أجودٌ من كركى في الجو ، ولأن^(٥) تقطف خيرٌ من أن
 تقف ، ومن لم يجد الجيم رعى الهشيم^(٦) ، ومن لم يحسن صهيلا نهق ، ومن لم يجد
 ماء تيمم ؛ والأمير الرئيس - أدام الله نعماءه - لا ينظر في قوافي صنيعته إلى ركاكة
 ألفاظها ، وبعْدَ أغراضها ، ولكن إلى كثرة جذرها^(٧) ، وثقل مهرها ، وقِلَّة

(١) صداء : ماء يضرب به المثل في الحلاوة ، ويقال : ماء ولا كصداء

(٢) لاش : لاشيء ، ويقال له ماش ، وهي عبارة مولدة

(٣) الأيس : القهر ، يريد أن حمار الضرورة خير من الفرس المعدم

(٤) زيت : هي هكذا بالزاي في الأصول عامة ، وأنا أخسبه «ذيت» بالذال ، وهي

من الألفاظ التي يكفى بها فيقال «كيت وذيت» (م) . (٥) تقطف : تسير بيظه (م) .

(٦) الجيم : التبت العزيز ، والهشيم : اليابس (٧) الجذر : ما تكافأ به المغنية

كفتها ، وإنتى منذ فارقتِ قَصَبَةَ جرجان ، ووطئتِ عَتَبَةَ خراسان ، ما زفقتها
إلا إليه ، ولا وَقَفْتُهَا إلا عليه ، هذا على تمرغى فى أعطافِ الحنن ، وضرورتى
إلى أبناء الزمن ، وإن كان الأمير الرئيس يرفعُ لكل لفظٍ حجابَ سمعه ، ويُفَسِّحُ
لكل شعرٍ فناءَ طبعه ، فهناك من النثر ما ترى ، ومن النظم ما يترى :

أدْهِقِ الكاسَ فَعَرَفُ الفَجْرِ قد كادَ يَبُوحُ
فهو للناسِ صباحٌ ولذى الرأى صَبُوحُ
والذى يمرحُ بى فى حَلْبَةِ اللّهُو جُوحُ
فاسقنيها والأمانى لها عَرَفُ يَفُوحُ
إنَّ للأيامِ أسرا رأبها سوف تَبُوحُ
لا يغرِّكُ جسمٌ صادقُ الحسِّ وروحُ
إنما نحن إلى الآ جال نَعْدُو وروحُ
ويك هذا العمر تَبْرِيحُ وهذا الروح رِيحُ
بينما أنتَ صحيحُ الجسمِ إذ أنتَ طَرِيحُ
فاسقنيها مثل ما يلفظه الديك الذبيح
قبل أن يضرب فى الدَّهْرِ بى القِدْحُ السَّنِيحُ^(١)
إنما الدَّهْرُ غَرُورٌ ولمن أضعى نصيحُ
ولسان الدَّهْرِ بالوعظِ لواعيه فصيحُ
نستبيح الدَّهْرَ والأيامَ منا تستبيحُ
نحن لاهون وآجالُ المنايا لا تريحُ
يا غلامُ الكأسِ فالياً س من الناس مُرِيحُ
ضاع ما نحويه من أنفسنا وهو مبيحُ

(١) هكذا ، وهو فى الرسائل « السفيح » بالفاء ، وهو صواب ملامم البعنى
المراد ، والسفيح : أحد ثلاثة أقداح من أقداح اليسر ليست تريح شيئاً ، وثانيتها
بسمى الوغد ، وثالثتها يسمى المنيح (م) .

وقنوعا فقام الذَّل بالمرء قبيح
 أنا يا دهر بأبنا نك شِقِّ وسَطِيحٌ^(١)
 وبأبكار القوافي لا على كُفٍّ شَجِيحٌ
 يا بني ميكال والجو دُ لِعِلَّاتِي نُرِيحُ
 شرفاً إن مجال الأفضل فيكمُ نَفْسِيحُ
 وعلى قدر سَنَّا الممدوح يَأْتِيكَ المديحُ
 فهناك الشرف الأرفع والطَّرْفُ الظَّمُوحُ
 والنَّدَى والخُلُقُ الطاهر والخُلُقُ^(١) الصَّيِّحُ
 مرتقى مجدٍ يحار الطَّرْفُ فيه ويطيحُ
 أيُّهَذَا الكرم المائل والخُلُقُ السَّجِيحُ^(٢)
 كان هذا الجود ميثاً عادَه متك المسيح

هذه - أطال الله بقاء الأمير! - هدية الوقت، وغفوة الساعة، وفَيْضُ البديهة،
 ومسارقة القلم، ومسابقة اليد للغم، وجمرات الحدة، وثمرات المدّة، ومجاراة الخاطر
 للناظر، ومباراة الطَّبَعِ للسمع، ومجازبة الجنان للبيان، والشعر إذا لم تقدمه رويّة،
 ولم تنضجه تبيّة، لم يفتح له السمع بابه، ولم يرفع له القلب حجابَه، وإذا لبس الأمير
 هذه على علاتها رجوت أن يكون بعدها ماهو أفتن وأحسن وأرضن، فرأيه أيده
 الله في الوقوف عليها موقفاً إن شاء الله.

وله إليه معاتبه:

كتاب عتب
 من البديع إن
 الميكالي

لَبِنُ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّرَنِي أُنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ
 الأمير القاضل الشيخ الرئيس، أطال الله بقاءه إلى آخر الدعاء، في حال برّه
 وجفائه مُتَفَضِّلٌ، وفي يومئذٍ إاده وإذ نأته مُتَطَوَّلٌ. وهنئذاه من حمانا ما يُحِلُّهُ،

(١) شق وسطيح: كاهنان من كهان الجاهلية كانوا يضربون بهما المثل في معرفة الغيب (٢) الخلق السجيج: السهل.

ومن عُرَانَا مَا يَحُلُّهُ ، ومن أَعْرَاضِنَا مَا يَسْتَحِلُّهُ ؛ بلغنى أَنَّهُ — أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ! — استزاد صتيعته ، وكنت أظنني مجنونا عليه ، مُسَاءً إِلَيْهِ ، فإذا أَنَأَفَى قِرَارَةَ الذَّنْبِ ، وبمَثَابَةِ العُتْبِ ، وليت شعري أَىِّ مَحْضُورٍ فِي العِشْرَةِ حَضَرْتَهُ ، أو مَفْرُوضٍ مِنْ الخِدْمَةِ رَفَضْتُهُ ، أو وَاجِبٍ فِي الزِيَارَةِ أَهْمَلْتُهُ ؟ وهَلْ كُنْتُ إِلَّا ضَيْفًا أَهْدَاهُ بَلَدٌ شَاسِعٌ ، وَأَدَاءٌ أَمَلٌ وَاسِعٌ ، وَحَدَاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قَلَّ ، وَهَدَاهُ رَأْيٌ وَإِنْ ضَلَّ ، ثُمَّ لَمْ يُبَلِّغْني إِلَّا فِي آلِ مِيكَالَ رَحْلَهُ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ حَبْلَهُ ، وَلَمْ يَنْظِمْ إِلَّا فِيهِمْ شِعْرَهُ ، وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ شُكْرَهُ ؛ ثُمَّ مَا بَعُدَتْ صَحْبَةُ إِلَّا دَنَتْ مَهَانَةٌ ، وَلَا زَادَتْ حُرْمَةٌ إِلَّا نَقَصَتْ صِيَانَةٌ ، وَلَا تَضَاعَفَتْ مِنْهُ إِلَّا تَرَاجَعَتْ مَنَزِلَةٌ ، وَلَمْ تَزَلِ الضَّعْفَةُ بِنَاحَتِي صَارَ وَابِلُ الإِعْظَامِ قَطْرَةً ، وَعَادَ قَيْصُ القِيَامِ صُدْرَةً ، وَذَلِكَ التَّقَرُّبُ أَرْوَرَارًا ، وَطَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارًا ، وَالْإِهْتِرَازُ إِيْمَاءٌ ، وَالْعِبَارَةُ إِشَارَةٌ ؛ وَحِينَ عَاتَبْتَهُ أَمَلٌ إِعْتَابُهُ ، وَكَاتَبْتَهُ أَنْتَظِرُ جَوَابَهُ ، وَسَأَلْتُهُ أَرْجُوهُ إِجَابَهُ ، أَجَابَ بِالسُّكُوتِ ، وَأَعْتَبَ بِالقُنُوتِ ، فَمَا زِدْتِ إِلَّا لَهُ وَلاَهُ ، وَعَلَيْهِ نِنَاءٌ ؛ لَا جَرَمَ إِنِّي اليَوْمَ أَيْبُضُ وَجْهِ العَمِيدِ ، وَاضِحٌ مَحْجَّةِ الوُدِّ ، طَوِيلُ عِنَانِ القَوْلِ ، رَفِيعُ حِكْمَةِ العُدْرِ ؛ وَقَدْ حَمَلْتِ فَلَآنًا مِنَ الرِّسَالَةِ مَا تَجَافَى عَنْهُ القَلَمُ ؛ وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ يُنْعِمُ بِالإِضْغَاءِ لِمَا يُوْرِدُهُ مَوْفَقًا إِنْ شَاءَ اللهُ .

وله إليه في هذا الباب :

أَنَأَفَى خِدْمَةِ الأَمِيرِ الرَّئِيسِ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَهُ! — مَتَرَجِّحٌ بَيْنَ أَنْ أَشْرِبَهَا رِيقَةَ وَلَا أُسَيِّفُهَا ، وَأَجْلُجُ مِنْهَا مُضْفَةً وَلَا أُجِيزُهَا ، وَبَيْنَ أَنْ أُطَوِّبَهَا عَلَى عَرِّهَا ، وَلَا أَرْتَضِعُ أَخْلَافَ دَرِّهَا .

كتاب عتاب
من البديع إلى
الميكاليد أيضا

فَلَا تَفْسِي تَطَاوَعِي لِرَفْضِي وَلَا هِمِّي تُوْطِنِي لِنُفْضِي
وَبَقِيَ أَنْ أَقْرُصَهُ بِأَنَامِلِ العُتْبِ ، وَأَخْشَمَهُ بِأَلْحَاطِ العَدْلِ ، وَأَعْرِفُهُ أُنَى مَا أَطْوَى مَسَافَةَ مَزَارٍ إِلَّا مَتَجَشِّمًا ، وَلَا أَطَاعَتَبَةَ دَارٍ إِلَّا مَتَبَرِّمًا ؛ وَلَسْتُ كَمَنْ يَنْسُطُ يَدَهُ مُسْتَجْدِيًا ، أَوْ يَنْقُلُ قَدَمَهُ مُسْتَعْدِيًا ؛ فَإِنْ كَانَ الأَمِيرُ الرَّئِيسُ — أَيَّدَهُ اللهُ! — يَسْرَحُ طُرْفَهُ مِنِّي فِي طَامِحٍ أَوْ طَامِغٍ ، فَلْيُعِدْ لِلْفِرَاسَةِ نَظْرًا .

فما الفقْرُ من أرضِ العشيْرةِ سَأَفِي إِلَيْكَ ، وَلَكِنَّا بِقُرْبَاكَ نَنْجَحُ
وَأَجِدُنِي كَمَا اسْتَفْرَنْيَ الشُّوقُ إِلَى تِلْكَ الْمَحَاسِنِ ، أَطِيرُ إِلَيْهَا بِمَجْنَحَيْنِ عَجَلًا ،
وَأَرْجِعُ بَعْرًا جَاوِينَ خَجَلًا ، وَلَوْلَا أَنَّ الرِّضَا بِذَلِكَ ضَرَبُ مَنْ سَقُوطُ الْهَمَّةِ ، وَأَنَّ
الْعِتَابَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْخِدْمَةِ ، لَصُنْتُ مَجْلِسَهُ عَنِ قَلْبِي ، كَمَا أَصُونَهُ عَنِ قَدَمِي ،
وَمِلْتُ إِلَى أَرْضِ الدَّعَاءِ فَهُوَ أَنْجَعُ ، وَإِلَى جَانِبِ الثَّنَاءِ فَهُوَ أَوْسَعُ ، وَسَأَفْعَلُ
لِنَخْفِ مَوْئِنِي ، وَلَا تَثْقُلْ وَطْأَتِي

إِذَا مَا عَتَبْتُ فَلَمْ تُعْتَبِ وَهَنْتُ عَلَيْكَ فَلَمْ تُعْنَبِ ^(١)
سَلَوْتُ ، وَلَوْ كَانَ مَاءَ الْحَيَاةِ لَعَفْتُ الْوَرُودَ وَلَمْ أَشْرَبِ

قطعة من مفردات الأبيات لأهل العصر في معان شتى

تجري مجرى الأمثال

لأبي فراس

أبو فراس الحمداني :

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِهِ الْمَكَايِبِ

وله :

عَفَا فُكَّ عِيٌّ ، إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى إِذَا عَفَّ عَنْ لَذَائِهِ وَهُوَ قَادِرٌ ^(٢)

للمتنبي

وقال المتنبي :

كُلُّ حِلْمٍ أَيْ بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لِأَحْيٍ إِلَيْهَا اللَّثَامُ

وله :

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

(١) أعتبه : أزال عتبه (٢) كذا ، وأحسبه « عفاك عجز » (م)

وله :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ
فهي الشهادة لي باني كاملٍ

وله :

لا يُعجبني مضيماً حُسنُ برّته
وهل تروقُ دفيناً جودُ الكفنِ ؟

وله :

من أطاق التماسَ شئٍ وغلاباً
واغتصاباً لم يلتئم منه سؤالا

وله :

والظلمُ من شيمِ النفوسِ ، فإن تجدِ
ذا عِفَّةٍ فلعلِّه لا يظلمُ

وله :

ماذا لقيتُ من الدنيا وأعجبه
أني بما أنا بكٍ منه مخسودُ

وله :

ذِكْرُ النُفَى عُمُرُهُ الثَّانِي ، وَحَاجَتُهُ
وَالنَّبِيُّ أَكْثَرُ المَحْدَثِينَ افْتِنَانًا وَإِحْسَانًا فِي الإِغْرَابِ بِهَذَا البَابِ ؛ وَالاسْتِقْصَاءُ

يُخْرَجُ عَنِ الشَّرْطِ الكِتَابِ .

وقال السري الموصلی :

للسري الرفاء

خذوا من العيشِ فالأعمارُ فائتةٌ
والدهرُ مُنصرَمٌ والعيشُ مُنقرَضُ

وله :

فإنك كلما استودعتَ سرّاً
أممٌ من النسيمِ على الرِّياضِ

وقال أبو إسحاق الصابي :

للصابي

الضبُّ والنونُ قد يُرْجَى التقاؤُهُما
وليس يُرْجَى التقاءُ اللبِّ والذَّهَبِ (١)

وقال ابن نباتة :

لابن نباتة

مثلٌ خلعتُ على الزمانِ زِداءً
عوزُ الدِّرَاهِمِ آفةُ الأَجْوادِ

(١) الضب : من حيوان الصحراء ، والنون : الحوت ، من حيوان الماء ،
واللب : العقل (م) .

وله :

يهـوى الشتاء مبرِّدٌ ومُقَصِّرٌ
حمة الشتاء طيبة الإنسان

للسلامي

وقال أبو الحسن السَّلامِي :

تَبَسَّطْنَا عَلَى اللَّذَّاتِ لَمَّا
رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذُّنُوبِ

لابن لنكك

وقال ابن لنكك البصري :

وماذا أُرْجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكَدَّرَتْ
ولو قد صَفَّتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَأْمٍ

للمأموني

وقال أبو طالب المأموني :

لِي فِي ضَمِيرِ الدَّهْرِ سِرٌّ كَامِنٌ
لَا بَدَّ أَنْ نَسْتَلَّهُ الْإِوَادُ

لابن العميد

وقال أبو الفضل بن العميد :

الرَّأْيُ يَصْدَأُ كَالْحُسَامِ لِعَارِضٍ
يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَقَّ لَهُ التَّنْكِيزُ

لأبي الفتح

وقال أبو الفتح :

بَطِرْتُمْ فِطْرَتَكُمْ وَالصَّارِجُ مِنْ عَصَى
وَتَقْوِيمُ عَيْدِ الْهُونِ بِالْهُونِ رَادِعٌ

ابن العميد

وله .

إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ آمَالَهُ
فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَهَا مُقْتَرَحٌ

لابن عباد

وقال صاحب إسماعيل بن عباد :

إِنْ أُمَّ الصَّقَرِ فِي الْوَدِّ
دِ لِمِقْلَاةٍ تَزُورُ

وله :

مَنْ لَمْ يَعُدْنَا إِذَا مَرَّضْنَا
إِنْ مَاتَ لَمْ نَشْهَدْ الْجَنَائِدَ

وله :

حِفْظُ اللِّسَانِ رَاحَةُ الْإِنْسَانِ
فَاخْفَظْهُ حِفْظَ الشُّكْرِ لِاحْسَانِ

للناشي

وقال إسماعيل الناشي :

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّجَارِبَ عُدَّةٌ
لِحَانَتِ ثِقَاتِ النَّاسِ حَتَّى التَّحَارِبِ

وقال أبو الفتح البستي :

لا تَرَجُ شَيْئًا خَالصًا نَفْعُهُ فالعَيْثُ لا يَخْلُو من العَيْثِ (١)

وله :

ولم أرَ مثل الشكر جَنَّةَ غارسٍ ولا مثل حُسْنِ الصبرِ جُبَّةَ لابسٍ

وله :

وطول مُقامِ الماءِ في مستقرِّهِ يُقْبِرُهُ رِيحًا ولونًا ومَطْعَمًا

وله :

ما استقامت قنَاةُ رَأْيِي إِلَّا بعد ما عَوَّجَ المَشِيبُ قَنَاتِي

وقال أبو الفضل الميكالي :

هو الشوك لا يُعْطِيكَ وافِرَ منَّةٍ يدَ الدهرِ إِلَّا حينَ تَضْرِبُهُ جَلْدًا

وله :

ذو الفضل لا يَسْلَمُ من قَدْحٍ وإنْ غَدَا أَقوامَ من قِدْحِ

وقال شمس المعالي :

وفي السماء نجومٌ ما لها عَدَدٌ وليس يُكْسَفُ إِلَّا الشمسُ والقمرُ

هذا مأخوذ من قول البطائي :

إن الرياحَ إذا ما استعصفت قَصَفَتْ عيدانَ نَجْدٍ فلم يعبَأَنَّ بالرَّثَمِ

بناتُ نعشٍ ونعشٍ لا كُوفَ لها والشمسُ والبدرُ منها الدهزُ في الرَّقْمِ

وقال أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي :

الهجرُ أرواحُ من وَضَلِ على حَذَرٍ والموتُ أَطْيَبُ من عَيْشٍ على غَرَرِ

وقال أبو بكر الخوارزمي :

لا تَغْرَنُكَ هذه الأوجهُ الفُورُ فَيَأْرَبُ حَيَّةٌ في رِياضِ

للميكالي

الشمس المعالي

للجرجاني

للخوارزمي

(١) العيث — بالعين المهملة — الإفساد (م) (٢) الرتم : نبت ضعيف

[من تُبْطِرُهُ النِّعْمَةُ لَمْ يُؤْسَفْ عَلَى زَوَالِهَا عَنْهُ]

قال أبو العيناء : كان عيسى بن فرخان شاه يتيه على في ولايته الوزارة ، بين أبي العيناء
فلما صُرف رَهْبَنِي ، فلقيني فسلم على فأخفى . فقلت لعلامي : من هذا ؟ قال : وابن فرخان
أبو موسى ؛ فدنوتُ منه وقلت : أعزك الله ، والله لقد كنتُ أقنعُ بإيمانك دون
بيانك ، و بلحظك دون لفظك ، فالحمدُ لله على ما آتت إليه حالك ، فلئن كانت
أخطأتُ فيك النعمة ، فلقد أصابت فيك النعمة ، ولئن كانت الدنيا أبدتُ مقابحها
بالإقبال عليك ، لقد أظهرتُ محاسنها بالانصرافِ عنك ، والله المنة إذ أغنانا عن
الكذبِ عليك ، ونزهنا عن قول الزورِ فيك ، فقد والله أسأتَ حملَ النعم ،
وما شكرتَ حقَ المنعم ، فقيل له : يا أبا عبد الله ؛ لقد بلغت في السبِّ ،
فما كان الذنب ؟ قال : سألتُه حاجةً أقل من قيمته ، فردَّ عنها بأقبح من خلقته .

وقال علي بن العباس الرومي لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل لما نكبه الموفق
بين أبي الرومي وأبي الصقر
ابن أحمد وألم في بعض قوله بقول أبي العيناء :

لا زالَ يومك عِبرَةً لعدك	وبكتَ بشجوةٍ عين ذى حسدك
فلئن نُكِبْتَ لطلما نُكِبْتَ	بك همةٌ لجأتُ إلى سَدِّك
لو تسجد الأمام ما سجدتُ	إلا ليومٍ فتَّ في عَضدك
يا نِعمَةً ولت غَضارُها	ما كان أقبحَ حَسَنها بيديك
فلقد غَدَتُ بَرْدًا على كبدِي	لما غَدَتُ حَرًّا على كبدِك
ورأيتُ نِعمَى اللهِ زائدةً	لما استبانَ التَّقص في عددِك
ولقد تَمَّتْ كلُّ صاعقةٍ	لو أنها صُبَّتْ على كَتَدِك ^(١)
لم يَبْقَ لي مما بَرَى جسدِي	إلا بقاءَ الرُّوحِ في جَسَدِك

(١) الكند: مجتمع الكتفين

وله فيه أهـاج كثيرة لما نك ، منها قوله :

خَفَضَ أبا الصَّقْرِ فكم طائرٍ خَرَّ صَرِيحاً بَعْدَ تَحْلِيْقِ
رُوجَتَ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ كُفَاهَا فَصَانَهَا اللهُ بِتَطْلِيْقِ
لَا قُدْسَتْ نَعْمَى تَسْرِبَلَتَهَا كَمْ حِجَّةٍ فِيهَا لِزِنْدِيْقِ^(١)

وكان أبو الصقر لما ولي الوزارة مدحه ابن الرومي بقصيدته النونية التي أولها :

أَجْنِيْنِكَ الْوَرْدُ أَغْصَانُ وَكُثْبَانُ فِيهِنَّ نَوْعَانُ تَفَاحٌ وَرِمَانُ
وَفَوْقَ ذِيْنِكَ أَعْنَابٌ مُهْدَلَةٌ سَوْدٌ لَهْنَ مِنْ الطَّامَاءِ أَلْوَانُ
وَتَحْتِ هَاتِيْكَ عُنَابٌ تَلُوْحٌ بِهِ أَطْرَافُهُنَّ قُلُوْبُ الْقَوْمِ قِنْوَانُ
غُصُوْنٌ بَانَ عَلَيْهَا الزَّهْرُ فَأَكْهَةٌ وَمَا الْفَوَاكِهِ مَأْ يَحْمِلُ الْبَانُ
وَتَرْجَسُ بَاتِ سَارَى الْطَلِّ يَضْرِبُهُ وَأَقْحُوَانٌ مُنِيْرُ اللَّوْنِ رِيَّانُ
أَلْفَنْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ حَسْنٌ فَهِنَّ فَأَكْهَةٌ شَتَّى وَرِيْمْحَانُ
ثَمَارٌ صِدْقٍ إِذَا عَايَنْتِ ظَاهِرَهَا لَكِنَهَا حِيْنَ تَبْلُو الطَّعْمَ خُطْبَانُ^(٢)
وَلَا يَدْمَنْ عَلَى عَهْدٍ لِمُعْتَقِدٍ وَالغَانِيَاتُ كَمَا شُبَّهْنَ بَسْتَانَ
يَمِيْلُ طَوْرًا بِجَمَلٍ ثَمَّ يَعدُّهُ وَيَكْتَسِي ثَمَّ يُلْفَى وَهُوَ عُرْيَانُ
وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ مَائَتِيْ بَيْتٍ ، مَرَّ لَهُ فِيهَا إِحْسَانٌ كَثِيْرٌ ، فَأَنْشَدَهَا أبا الصَّقْرَ ،

فما سمع قوله :

قَالُوا أَبُو الصَّقْرِ مِنْ شَيْبَانَ قَلْتِ لَهْمُ كَلَّا لِعَمْرِيْ وَلَكِنْ مِنْهُ شَيْبَانَ
قَالَ : هَجَانِي ، قِيلَ لَهُ : إِنْ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَدْحِ ؛ أَلَا تَسْمَعُ مَا بَعْدَهُ :
وَكَمِ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ ذُرِّيْ شَرَفٍ كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللهِ عَدْنَانُ

(١) يريد أن النعم التي تسربلها هذا الرجل وليس لها بأهل ، مما تقوى به حجة الزنادقة في جحود الإله ؛ لأنه لو كان هناك عدالة إلهية لحيل بين اللئام وجميع الطيبات (٢) الخطبان : نبات مر ، يضرب به المثل ، فيقال : أمر من نقيع الخطبان ، وهو بضم الحاء المعجمة

مدحة
لابن الرومي
في أبي الصقر

قال : أنا بشيان لا شيبان بي . فقيل له فقد قال :

ولم أقصر بشيبان التي باعتُ بها المبالغ أعراقٌ وأغصانُ
لله شيبان قوم لا يشوبهم رَوْعٌ إذا الروع شأبت منه ولدانُ
فقال : لا والله لا أُثيبه على هذا الشعر ، وقد هجاني .

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : كنتُ يوماً عند عبيد الله بن عبد الله
ابن طاهر ، وقد ذكروا قصيدة ابن الرومي هذه التونية ، فقال : هذه دارُ البطيخ ،
فاقرأوا تشبيهاً تعاموا ذلك ! فضحك جميع من حضر .

وفي هذه القصيدة يقول من المختار في النسب :

ياربَّ حُسَانَةٍ مِنْهُمْ قَدْ فَعَلْتُ سُوءًا ، وَقَدْ يَفْعَلُ الْأَسْوَاءُ إِحْسَانُ
تَشْكِي الْمَحَبِّ وَتَلْفِي الدَّعْرِ شَاكِيَةً كَالْقَوْسِ تُصْعِي الرَّمَايَا وَهِيَ مِرْنَانٌ (١)

وهذا كقوله في قصيدة يَصِفُ فيها قوس البندق :

لَهَا رَنَةٌ أَوْلَىٰ بِهَا مِنْ تَصْيِيهِ وَأَجْدَرُ بِالْإِعْوَالِ مَنْ كَانَ مُوجِعًا

يقول فيها :

لَا تَلْدَحِيَانِي وَإِيَّاهَا عَلَىٰ ضَرَعِي
إِنِّي مَلَكَتُ فَبِي الرُّقِّ مَسْكَنَةٌ
لِي مُدْنَاتٌ وَجَنَةٌ رِيًّا بِمَشْرِبِهَا
وَزَهْوُهَا ، لِحَجٍّ مَفْتُونٌ وَقَتَانُ
وَمُدَّتْ فَلَهَا بِالْمُلْكِ طُفْيَانُ
مِنْ عَبْرَتِي وَفَمٍّ مَا عِشْتُ ظَمَانُ

وفيها في مدح بني شيبان :

قَوْمٌ سَمَّاحَتُهُمْ غَيْثٌ ، وَنَجْدَتُهُمْ
تَلْقَاهُمْ وَرِمَاحُ الْخَطِّ حَوْلَهُمْ
صَانُوا النُّفُوسَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَابْتَدَلُوا
غَوْثٌ ، وَآرَاؤُهُمْ فِي الْخُطْبِ شُهْبَانُ
كَالْأَسَدِ أَلْبَسَهَا الْأَجَامَ خَفَانٌ (٢)
مِنْهُمْ فِي سُبُلِ الْعِلْيَاءِ مَا صَانُوا

(١) تشكى المحب : محمله بظلمها على الشكاية ، والرمايا: جمع رمية بمعنى مرمية ،
وتصمى : تقتل وتبيد (٢) خفان - بفتح الحاء العجمة - أجمة في سواد الكوفة

يَوْمًا بُنْعَى ، ولو مَثُوا لَمَا مَاتُوا (١)

النعسون وما مَثُوا على أَحَدٍ

يقول فيها في أبي الصقر :

عن المفاداة . تَقْصِيرٌ وَتُقْصَانٌ
ومالهم من حَبِيرِ الشَّعْرِ أَكْفَانٌ
ولئن سألت يَدَيْهِ فَهُوَ نَشْوَانٌ
مُسْتَحْكِمٌ فَهُوَ صَاحٍ وَهُوَ سَكْرَانٌ
كأنه الناس طُرًّا وهو إنسانٌ

يَفْدِيهِ مَنْ فِيهِ عَن مِقْدَارِ فِدْيَتِهِ
قَوْمٌ كَأَنَّهُمْ مَوْتَى إِذَا مُدِحُوا
صَاحِي الطَّبَاعِ إِذَا سَابَتْ هَوَاجِسُهُ
يُضْحِيهِ ذَهَنٌ وَيَأْتِي صَحْوَهُ كَرَمٌ
فَرْدٌ جَمِيعٌ يَرَاهُ كُلُّ ذِي بَصَرٍ

وهذا كقول أبي الطيب :

رَدَّ إِلَاهُ نَفْسَهُمْ وَالْأَعْصَرَ
وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا

وَلَقَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا

وقد تقدم .

وقال :

فَإِنَّكَ مَاءُ الْوَرْدِ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ
وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِعَتْ وَاحِدٌ فَرْدٌ

فَإِنَّ يَكُ سَيَّارُ بَنِي مَكْرَمٍ انْقَضَى
مَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ

وقال البحتري :

لدى المجد، حتى عد ألف بواحد

ولم أرَ أمثال الرجالِ تفاوتاً

ومدحه وعاتبه بقصائد كثيرة فما أنجحت ، فمن ذلك قوله في قصيدة طويلة

لابن الرومي يمدحه :

ماراد في مثلها طَرْفٌ وَلَا سَرْحًا (٢)
كَلِّلُوا الرَّطْبَ لَوْ رَقْرَقَتْهُ سَفْحًا

فِي وَجْهِهِ رَوْضَةٌ لِلْحَسَنِ مَوْثِقَةٌ
طَلُّ الْحِيَاءِ عَلَيْهَا سَاقِطٌ أَبَدًا

في أبي الصقر
أيضاً

(١) مان : كذب ، والاسم المين ، بالفتح (٢) راد وارتاد معناهما واحد

أنا الزعيم لمكحولٍ بغيرته
 مهملأتى الناس من طولٍ ومن كرم
 يُعطي المزارحَ ويعطي الجدَّ حقهما
 وافي عطاردَ والمرَّيحَ مؤلده
 إن قال : لا ، قالها للأمرية بها
 في كفه قلمٌ ناهيك من قلمٍ
 يمحُو ويثبت أرزاقَ العبادِ به
 كأنما القلمُ الملوَى في يده
 لما تبسّمَ عنك المجدُّ قلت له
 أثنى عليك بنعائك التي عظمت
 أمطرَ بذاك جناني تكسُّه زهراً
 أنشدتها على متوالى الاختيار ، وكذلك أجرى في كثير من الأشعار .
 وقال يعاتبه ويستبطئه :

عقيدَ الندى ، أطلق مدائحَ جمَّةً
 وكنت متى تشد مديحا ظلمته
 عدرتك لو كانت سماءً تقشعت
 ولكنها سقيا حرمت رويها
 وأكلأء معروفٍ حرمت مريبها
 عرضت لأورادى وبحرْمك زاخره
 فلو لم ترد أذواد غَيْرِي غماره
 حبايسَ حسرى قدأبت أن تسرحا
 يرى لك أهجى ما يرى لك أمدا
 سحائبها أو كان روضاً تصوحا
 وعارِضها ملقٍ كلالكل جُنحا^(٣)
 وقد عاد منها السهل والحزن مسرحاً
 فمما أوردنَ الوردَ الفَيْنَ ضحضحاً
 لقلتُ : سَرابٌ بالمِتانِ توَضحاً^(٤)

(١) وحى : كتب ، قال رؤبة « لقد ركان وحاه الواحى » (٢) النغل

والقلح : فساد الأسنان (٣) الكلالكل : الصدور، وجنح : جمع جانح ، وهو المائل

(٤) الأذواد . جمع ذود ، وهو من الإبل من الثلاثة إلى العشرة ، وفي المثل

« الذود إلى الذود إبل » ووقع في نسخة « أورداد » وفي أخرى « أزواد » وكلاهما تحريف (م)

وله إليه أيضاً

ممالك محالاً أحد فيه مشرباً
 مديحي عصا موسى ، وذلك أنتي
 سأمذح بعض الباحثين لعنه
 فيا ليت شعري إن ضربت به الصفا
 كتلك التي أبدت ثرى الأرض يابساً
 ملكت فأسجج يا أبا الصقر إنه
 وماضرع إلى أحد هذه الصراعة ، ولا في طوقه هذا الاحتمال ؛ وهذه الأبيات
 الأخيرة إنما ولد أكثرها من قول أبي تمام الطائي لمحمد بن عبد الملك الزيات :
 فلو حاردت شول عذرت لقاحها
 ولكن حرمت الدر والصرع حافل
 أكبرنا عطفاً علينا ؛ فإننا
 ما ظمنا رزح وأتم مناهل
 وفيه يقول :

هذا مفاى يا نبي وائل
 من مستجيركم عائد
 أنسب فيه الدهر أظفاره
 وعضه بالناب والناجد
 فأصعبوا منه أخاً حرمة
 لاذ بكم منه مع اللائد
 فما أرى الدهر على حوزره
 يخرج من حكمم النافذ
 وقال أيضاً

يأيها السيد الذي هنت أنصار أمواله ولم يهين
 فأضحت في يد الضعيف ودي القموه والباقل^(١) واللسن
 غبرى - على أنتي مؤملك الأقدم - سائل بذاك واستحين
 مادح عشرين حجة كملاً محرومها عنك غير مضطعن
 فضلك أو عدلك الذي اتنم الله عليه أجل مؤتمن
 إن كنت في الشعر ناقداً فطنا فلتعطني حق حصه الهطن
 وإن أكن فيه ساقطاً زمناً فلتعطني حق حصه الزمن

(١) الباقل : المنسوب إلى باقل ، وهو مضرب المثل في العي (م)

سم بي ديوانك الذي عدلت جدواهُ بين الصحيح والضمين^(١)
 كثير بشخصي من استطعت من الناس فإن لم أزنك لم أشن
 ما حق من لأن صدره لك بالود لقاء بجانب خشن
 وقال أبو العباس الرومي لرجل مدحه في كلمة :

لابن الرومي

أبعدَ لقاءَ دونك كلَّ قفرٍ يلدقُ الشخصُ فيه أن يُلاقى
 وإعمالى إليك به المطايا وقد ضربَ الظلامُ له رواقا
 ورفضى النومَ إلا أن ترانى أعانقُ واسطَ الكورِ اعتناقاً
 تسوقُ بنا الهداةُ فليس تدرى أسوقاً كان ذلك أم سيقا
 أصادفُ درّةَ المعروفِ شكري لديك ولا أدوق لها ذواقاً^(٢)
 يقول فيها :

غدا يعلو الجياد وكان يعلو - إذا ما استقره - السبت الرقا^(٣)
 أعنتها للشسوع فإن عراها حقاء الكد أنقلها طراقاً^(٤)
 فزوج بعد قفرٍ منه نعى أرانى الله هبحتها الطلاقاً

[ترجمة أبي العيناء وطرف من أحباره]

قال أبو القاسم على بن حمزة بن شمردل : حدثني أبي قال : سألت أبا العيناء
 عن نسبه ، فقال : أنا محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، وأصل قومي
 من بني حنيفة من أهل اليمامة ، ولحقهم سبلاء في أيام المنصور ؛ فلما صار ياسر
 في قيده أعتقه ، فولأونا لبني هاشم ؛ وكان أبو العيناء ضيرير البصر ؛ ويقال :
 إن جده الأكبر لقي على بن أبي طالب - رضى الله عنه ! - فأساء مخاطبته ؛ فدعا
 عليه وعلى ولده بالعمى ، فكل من عمى منهم صحيح اللبس !

(١) الضمن - على وزن كتف - المريض (٢) شكري - على وزن سكري - ملانة
 (٣) استقره : طلب الفاره القوي من الخيل ، والسبتك - بكسر السين المهملة -
 جلود البقر ، يريد أنه كان يركب الخيل من الدواب .
 (٤) الطراق : جمع طرق ، وهو كل ما يحصف به النعل (م)

قال الصولى : حدثني أبو العيناء ، قال : لما أُدخِلْتُ على التوكلِ فدعوتُ له وكلمته استحسن كلامي ، وقال لى : بلغني أن فيك شراً ! قلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ إن يكن الشرُّ ذِكرَ المحسنِ بإحسانه والمسيءِ بإساءته فقد زكَّى الله تعالى وذمَّ ، فقال فى التزكية : (نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) ، وقال فى الذم : (هَمَّازٍ مَشَاءَ بِنَمِيمٍ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُيْمٍ) . وقال الشاعر :

إذا أنا لم أمدح على الخير أهله ولم أذم الجبس اللئيم المذمما^(١)
فقيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لى الله المسامع والفما ؟
وإن كان الشر كفعل العقرب التى تلتسع السنى والدى بطبع لا بتميز فقد
صان الله عبدك عن ذلك !

فقال لى : بلغني أنك رافضى ، قلتُ : يا أمير المؤمنين ، وكيف أكون رافضياً و بلدى البصرة ومنشئى فى مسجد جامعها ، وأستاذى الأصمعى ، وليس يخلو القوم أن يكونوا أرادوا الدين أو الدنيا ؛ فإن كانوا أرادوا الدين فقد أجمع الناس على تقديم من أخرؤا ، وتأخير من قدموا ، وإن كانوا أرادوا الدنيا فأنت وأباؤك أمراء المؤمنين ، لا دين إلا بك ، ولا دنياً إلا معك .

قال : كيف ترى دارى هذه ؟ قال : قلت : رأيت الناس بنوا دورهم فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك .

فقال لى : ما تقول فى عبيد الله بن يحيى ؟ قلت : نِعَمَ الْعَبْدُ لَللَّهِ وَلَكَ ؛ مَقَسَمٌ بَيْنَ طَاعَتِهِ وَخِدْمَتِكَ ، يُوَثِّرُ رِضَاكَ عَلَى كُلِّ فَائِدَةٍ ، وَمَا عَادَ بِصَلَاحِ مَلِكٍ عَلَى كُلِّ لَذَةٍ

قال : فما تقول فى صاحب البريد ميمون بن إبراهيم ؟ - وكان قد علم أنى

(١) الجبس : هو الدنىء الجبان ، ويجمع على أجباس ، قال :

ماض إذا أجباس بعد الكرى تناحت أزواج أحلامها

واحدٌ عليه بتعصير وقع منه في أمرى - فقلت : يا أمير المؤمنين ، يدُ تسرق واستُ
تضرب ! وهو مثل اليهودى سرق نصف جزيتته ، فله إقدامٌ بما أدى ، وإحجام
بما أبقى ، إساءته طبيعة ، وإحسانه تكلف !

قال : قد أردتُك لمجالستي ، قلت : لا أطيق ذاك ، وما أقول ذلك جهلاً
بمالي في هذا المجلس من الشرفِ ، ولكنى محجوب ، والمحجوب تختلف عليه
الإشارة ، ويخفى عليه الإيحاء ، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك راضٍ
أو بكلام راضٍ ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، قال : صدقت ،
ولكن تلمزنا ، قلت : لزوم القرص الواجب اللازم ، فوصلني بعشرة آلاف درهم .
ولأني العيناء مع المتوكل مجالس أدخل الرواة بعضها في بعض ، وسأورد
مستظرفها إن شاء الله :

قال له المتوكل يوماً : يا أبا العيناء ؛ لا شكَّثِ الوقعةَ في الناس ، قال :
إن لي في بصري لشغلاً عن الوقعة فيهم ، قال : ذلك أشدَّ لحيفك في أهل العافية !
وقال له يوماً : هل رأيتَ طاليباً حسنَ الوجهِ قطُّ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ،
أرأيتَ أحداً قطُّ سألَ ضريراً عن هذا ؟ قال : لم تكن ضريراً فيما تقدم ، وإنما
سألتُك عما سلف ، قال : نعم ، رأيتُ منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيتُ
أجل منه ، قال المتوكل : تجده كان مؤجراً ، وتجدك كنت قواداً عليه !
فقال أبو العيناء : وفرغت لهذا يا أمير المؤمنين ، أترأى أدعُ موالىً على كُثرتهم ،
وأقودُ على الغرباء ؟ قال : اسكت يا مأمون ؟ قال : موالى القوم منهم ! قال المتوكل :
أردتُ أن أشتفى به منهم فاشتفى لهم منى .

وكان أبو العيناء أحدَ الناسِ خاطراً ، وأحضرهم نادرة ، وأسرعهم جواباً ،
وأبلغهم خطاباً .

المتوكل أول من
أظهر الانهماك

على شهوته

والمتوكل أول من أظهر من خلفاء بني العباس الانهماك على شهوته ، وكان أصحابه يتسخفون ويستخفون بحضرته ، وكان يهأثر المجلساء ، ويفاخِر الرؤساء ، على شهوته

وهو مع ذلك من قلوب الناس مُحَبَّب ، وإليهم مُقَرَّب ؛ إذ أمت ما أحياء
الواثق من إظهار الاعتزال ، وإقامة سوق الجدال .

قال محمد بن مكرم الكاتب : مَنْ زعم أن عبد الحميد أكتب من أبي
العيناء إذا أحسن بكرم ، أو شرع في طمع ، فقد ظلم .

منزلة أبي العيناء
في الكتابة

كتب إلى أبي عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد ، وهما يُطالَبان
بمال يبيعان له ما يَمْنِكانيه من عَقَارٍ وَأَثَرٍ وَعَبْدٍ وَأَمَةٍ ، وقد أعطى بخادم أسود
لعبيد الله خمسون ديناراً :

قد علمت - أصلحك الله ! - أن الكريم المنكوب أجراً على الأحرار من
اللئيم الموفور ؛ لأن اللئيم يزيد مع النعمة لوئماً ، والكريم لا يزيد مع المخنة إلا
كرماً ، هذا مُتَكِل على رازقه ، وهذا يُسِيء الظنَّ بخالقه ، وعبدك إلى ملك «كافور»
فقيرٌ ، وثمنه على ما اتصل بي يسير ؛ لأنه بخدمته السلطان يعرفني الرؤساء والإخوان ؛
ولست بواجبٍ ذلك في غيره من الغلمان ؛ فإن سمحت به فتلك عادتُك ، وإن أمرت
بأخذ ثمنه فإلك مادتي ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالنعمة نكبتك . فأمرله به .
وسمع ابن مكرم رجلاً يقول : من ذهب بصره قلت حيلته ، قال : ما أغفلك
عن أبي العيناء !

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان : أنا - أعزك الله تعالى ! -
ووالدي وعيالي زرْعٌ من زرعِكَ ، إن سقيته راعٍ وزَكَ ، وإن جفوتَه ذُبيلٌ
وذوِي ؛ وقد مستى منك جفَاءٌ بعد برٍّ ، وإغفالٌ بعد تعاهُدٍ ، حتى تكلم عدوٌّ ،
وسميت حاسدٌ ، ولعبت بي ظنونُ رجالٍ كنتُ لهم لاعباً ، وهم مجرِّساً^(١) ، والله
در أبي الأسود في قوله :

عن أبي العيناء
لعبيد الله بن
سليمان

لا تُهِنِّي بعد إذ أكرمتني وشديداً عادةً مُتَزَعَةً
فوق في رفته : أنا - أسعدك الله ! - على الخال التي عهدت ، ومثلي إليك كما

(١) كنت لهم مجرِّساً : أي كنت أكثر التسميع بهم (م)

عامت ، وليس من أنساناه أهملناه ، ولا من آخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ، واقتسام زماننا ، وكان من حَقِّك علينا أن تذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أمرَك ؛ وقد وقعت لك برزق شهرين ؛ لتريح غلَّتكَ ، وتعرفني مبلغ استحقاقك ، لِأُطْلَقَ لَكَ باقَى أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام .

وكان إذا خرج من داره يقول : اللهم إني أعودُ بك من الرِّكبِ والرُّكبِ ، والآجرِ والخشبِ ، والروايا والقربِ .

قطعة من خطابه وجوابه :

من أجوبة
أبي العيَّاش

دخل على أبي الصقر بعد ما تأخر عنه ، فقال : ما أخركَ عنا ؟ قال : سُرقَ حمارى ، قال : وكيف سُرقَ ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك ! قال : فلم تأتنا على غيرِه ؟ قال : قعدتُ عن الشراء قلة يسارى ، وكرهتُ ذلَّة المكارى ، ومِنه العوارى وزجه رجل بالجرس على حماره ، فضرب يديه على أذنى الحمار ، وقال : يا فتى ، قلْ للحمار الذى قوَّك يقول : الطريق !

ودخل على إبراهيم بن المدبر ، وعنده الفضل بن اليزيدى ، وهو يلقى على ابنه مسائل من النحو ، فقال : فى أى باب هذا ؟ قال : فى باب الفاعل والمفعول به ، قال : هذا بابى وباب الوالدة حفظها الله ! فغضب الفضل وانصرف ؛ وكان البحرى حاضراً فكتب بعد ذلك بقصيدته إلى إبراهيم بن المدبر التى أولها :

ذَكَرْتَنِيكَ رَوْحَةَ لِّلشُّمُولِ أَوْقَدْتُ لَوْعَتِي وَهَاجَتْ غَلِيلِي
أى شىء أهلك عن سر من را و ظلَّ للعيش فيها ظليل^(١)
وفىها يقول :

أَقْتَصَاراً عَلَى أَحَادِيثِ فَضْلِ وَهُوَ مُسْتَكْرَهُ كَثِيرِ الْفُضُولِ
فَعَلَامِ اصْطِفِيَتْ مُنْكَسَفِ الْبَا لِ مَعَادِ الْمِخْرَاقِ نَزْرَ الْقَبُولِ^(٢)

(١) سر من راء : هى مدينة سر من رأى

(٢) فى ديوان البحرى « فعلام اصطفت منكشف الباء » (م)

إن تزره تجده أخلق من شيب العواى ومن تعفى الطول
 مسرجاً ملجماً وما متع الصبج ادلاجاً للشخذ والتطفيل^(١)
 غير أن المعلمين على حاً ل قليلو التميز ضعف العقول
 فإذا ما تذاكر الناس معنى من متبن الأشعار والمجهول
 قال: هذا لنا ونحن كشفنا غيبه للسؤال والمسئول
 ضرب الأصمعي فيهم أم الأحمر أم ألقوا بأير الخليل^(٢)
 جل ما عنده التردد في الفا على من والديو والمفعول

تعزية أبي العيناء

وعزى بعض الأمراء، فقال: أيها الأمير؛ كان العزاء لك لا بك، والفناء
 لبعض الأمراء لنا لا لك، وإذا كنت البقية فالرزية عطية، والتعزية تهنية.

وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق، فقال: لو كان في زمن بني إسرائيل
 سؤاله عن مالك بن طوق
 ووزل ذبح البقرة ما ذبح غيره! قيل: فأخوه عمر؟ قال: كسرأب ببيعة
 يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

سؤاله عن

موسى بن

عيد الملك

وكان موسى بن عبد الملك قد اغتال نجاج بن سلمة في شراب شر به عنده،
 فقال المتوكل بعد ذلك لأبي العيناء: ماتقول في نجاج بن سلمة؟ قال: ما قال الله
 تعالى: فوكزه موسى ففضى عليه! فاتصل ذلك بموسى، فلقى الوزير عبيد الله
 ابن يحيى ابن خاقان، فقال: أيها الوزير، أردت قتلي فلم تجد إلى ذلك سبيلاً
 إلا بإدخال أبي العيناء إلى أمير المؤمنين مع عداوته لي؛ فعاتب عبيد الله
 أبا العيناء في ذلك، فقال: والله ما استعدبت الوقعة فيه حتى دمت سريره
 لك؛ فأمسك عنه.

ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال: كيف كنت بعد؟ قال:
 في أحوال مختلفة، خيرها رؤيتك وشرها غيبتك، فقال: قد والله اشتقتك!

(١) متع الصبح: ظهر، والشخذ والتطفيل: التسول والسؤال

(٢) الأحمر: هو خلف الأحمر

قال : إِنْما يَشْتاقُ العَبْدُ ؛ لِأنه يَتَعَذَّرُ عليه لِقائَهُ مولاة ، وأما السَّيِّدُ فمَتى أَرادَ عَبدَهُ دَعاه .

وقال له المتوكل : مَنْ أَسْحَى مَنْ رَأيتَ ؟ قال : ابنُ أبي دُواد ، قال المتوكل : تأتي إلى رجل رفضته فتنسبه إلى السخاء ؟ قال : إنَّ الصِّدقَ يا أميرَ المؤمنين ليس في موضعٍ من المواضعِ أُنْفَقَ منه في مجلسك ؛ وإنَّ الناسَ يغلطون فيمن يَنسُبونَه إلى الجود ؛ لأنَّ سخاءَ البرامكة منسوبٌ إلى الرشيد ، وسخاءَ الفضل والحسن ابني سَهْلٍ منسوبٌ إلى المأمون ، وجودُ ابنِ أبي دُواد منسوبٌ إلى المعتصم ؛ فإذا نَسَبَ الناسُ الفَتَحَ وعبيد الله ابني يحيى إلى السخاءِ فذلك سَخاؤُكَ يا أميرَ المؤمنين ، قال : صدقت ؛ فمن أُنْجِلُ من رأيتَ ؟ قال : موسى بن عبد الملك ، قال : وما رأيتَ من بُخْلِهِ ؟ قال : رأيتُه يخدم القريب كما يخدم البعيد ، ويَعْتَذِرُ من الإحسان كما يَعتَذِرُ من الإساءة ، فقال له : قد وَرَقَعَتَ فيه عندي مرتين ، وما أحبُّ لك ذلك ؛ فألقَهُ واعتذر إليه ، ولا يعلم أنَّ وجهت بك ، قال : يا أميرَ المؤمنين ، من يستكتمني بحضرة ألف ؟ قال : لن تخاف ، قال : على الاحتراس من الخوف .

فصار إلى موسى فاعتذر كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبه ، وافترقا عن صلح ؛ فلقبه بعد ذلك بالجعفرى ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد اصطلحنا ، فمالك لا تأتينا ؟ قال : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ؟ فقال موسى : ما أرانا إلا كما كنا .

وقال له المتوكل : إبراهيم بن نوح النصراني وَاِجِدُّهُ عليك ، قال : ولن تَرْضَى عنكَ اليهودُ ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ! قال : إن جماعة من الكتاب يلوونك ! فقال :

إِذا رَضِيتَ عَنِّي كِرَامُ عَشيرتي فلا زال غَضَباناً عَلَيَّ لِثامها
قال المتوكل له : أكان أبوك في البلاغة مثلك ؟ قال : لو رأى أمير المؤمنين
أنى لراى عبداً له لا يرضانى عبداً له .

وقيل لأبي العيناء : إن المتوكل قال : لولا أنه ضرير البصر لنادمتُه ، فقال :
 إن أعفاني من رؤيَةِ الأهلّة ، وقراءة نَقْشِ الفصوص ، فأنا أصْلِحُ للمنادمة .
 ولقيه رجلٌ من إخوانه في السَّحَر ، فجعل يُعجَبُ من بُكُورِهِ ، فقال :
 أراك تشاركني في الفعل وتُفردُنِي بالتعجّب !

ووقف به رجلٌ من العامّة فأحسَّ به ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : رجلٌ من
 بني آدم ! قال : مرحباً بك ، أطال الله بقاءك ! وبقيت في الدنيا ، ماظننتُ هذا
 النّسل إلاّ قد انقطع !

ودخل على عبيد الله بن سليمان فقال : أقرّب مني يا أبا عبد الله ، فقال :
 أعزّ الله الوزير ، تقريّبُ الأولياء ، وحرمانُ الأعداء ، قال : تقريّبك غنمٌ ،
 وحرمانك ظلمٌ ؛ وأنا ناظرٌ في أمرك نظراً يُصلِحُ من حالك إن شاء الله .
 وقال له يوماً : اعذرني فإنّي مشغول ، فقال له : إذا فرغت من شغلك لم
 نَحْتَجُ إليك ، وأنشده :

فلا تَعْتَدِرْ بالشُّغْلِ عَنَّا ؛ فَإِنَّمَا تُنَاطُ بِكَ الأَمَلُ مَا تَصَلَّ الشُّغْلُ
 ثم قال : ياستيدي قد عذرتك ، فإنه لا يَصْلِحُ لشُكْرِكَ مَنْ لا يَصْلِحُ لِعُذْرِكَ .
 وأقبل إليه يوماً فقال : من أين يا أبا عبد الله ؟ قال : من مَطَارِحِ الجِئَامِ !
 وقال له مرة : نحن في العطلة مرّ حومون ، وفي الوزارة محرومون ، وفي القيامة
 كلُّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ .

وسار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد ، فقيل : هو مشغولٌ يَصِلُ ، قال : لكلِّ
 جديدٍ لَذَّةٌ ! وكان صاعده نصرانياً قبل الوزارة .

ودخل إلى عبيد الله بن سليمان ، فشكا إليه حاله ، فقال : أليسَ قد كتبنا
 لك إلى إبراهيم بن المدبر ؟ فقال : كتبتَ إلى رجلٍ قد قصّرَ من همّته طولُ
 الفقر ، وذُلُّ الأُسْرِ ، ومعاناةُ حِجْنِ الدَّهْرِ ، فأخفقتَه في طَلْبِي ! قال : أنتَ
 اخترتَه ؟ قال : وما لي - أعزّ الله الوزير - في ذلك ؟ قد اختار موسى قومه سبعين

جلا، فما كان منهم رشيد، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً، فرجع إلى المشركين مرتداً، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى حاكماً فحكّم عليه!

[إبراهيم بن المدبر]

وكان إبراهيم بن المدبر أسره صاحب الزنج بالبصرة وحبسه؛ فاحتال حتى نقب السجّين وهرب، فلذلك ذكر أبو العيّن ذلّ الأسر، وكان قد ضرب في وجهه ضرباً بَقِيَ أثرها إلى أن مات؛ ولذلك قال البحرى:

<p>ومُبَيَّنَةٌ شَهْرَ الْمَنَازِلِ وَسَمَّهَا كَانَتْ بِوَجْهِكَ دُونَ عَرَضِكَ إِذْ رَأَوَا وَلَمَّا أُسِرْتَ فَمَا الْإِسَارُ عَلَى أَمْرِي نَامَ الْمُضَلُّ عَنْ سُرَاكٍ وَلَمْ تَخَفْ فَرَكِبْتَهَا هَوَلاً مَتَى تُخَبِّرُ بِهَا مَا رَاعَهُمْ إِلَّا اسْتِرَاقَكَ مُضَلَّتَا تَحْمِي أَعْيِلِمَةً وَطَائِشَةً أَخْطَى قَدْ كَانَ يَوْمَ نَدَى بَطُولِكَ بَاهِراً ذِكْرٌ مِنَ الْبَأْسِ اسْتَعَدْتَ إِلَى الَّذِي وَوَحِيدَةٌ أَنْتَ انْفَرَدْتَ بِفَضْلِهَا</p>	<p>وَإِخْلِيلُ تَكْبُؤِ فِي الْعِجَاجِ الْكَابِي أَنَّ الْوُجُوهَ تُصَانُ بِالْأَحْسَابِ نَصَرَ الْإِسَارَ عَلَى الْفِرَارِ بِعَابِ^(١) عَيْنَ الرَّقِيبِ وَقَسْوَةَ الْبَوَابِ يَقْلُ الْجَبَانَ: أُتَيْتُ غَيْرَ صَوَابِ فِي مِثْلِ بُرْدِ الْأَرْقَمِ الْمُنْسَابِ^(٢) تَصِلُ التَّلَفَّتْ خَشِيَةَ الطَّلَابِ حَتَّى أَضْفَتُ إِلَيْهِ يَوْمَ ضِرَابِ^(٣) أُعْطِيتُ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ لَوْلَاكَ مَا كُتِبَتْ عَلَى الْكُتَّابِ</p>
--	---

[حديث صاحب الزنج، ودعواه، وبطلانها]

قال أبو بكر الصولى: حدثني محمد بن أبي الأزهر، وقد ذاكرته خبر علي صاحب الزنج، قال: ادعى أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي

(١) العاب: العيب (٢) المصلت: السيف، والأرقم: الحية

(٣) الضراب: الطعان

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فنظرت مولده ومولد محمد ابن أحمد الذي ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين ، وكان محمد بن أحمد ولد اسمه علي مات بعد هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان . ثم رجع عن هذا النسب فادعى أنه علي بن محمد بن عبد الرحيم بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان ابن زيد بن علي .

قال أبو عبيدة محمد بن علي بن حمزة : ولم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب ولا غيره ؛ لأنه قتل ابن ثمانى عشرة سنةً ولا ولد له .

قال بشر بن محمد بن السري بن عبد الرحمن بن رحيب : هو ابن عم أبي لَحَا علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ، ورحيب رجل من العجم من أهل ورتين من ضياع الري ، وهو القائل لبني العباس :

بني عمنا إنا وأنتم أنامل	تضمنها من راحتيها عقودها
بني عمنا وليتم الترك أمرنا	ونحن قديماً أصلها وعمودها
فإبال عجم الترك تقسم فيئناً	ونحن لديها في البلاد شهودها
فأقسم لاذقت القراح وإن أذق	فبلغة عيش أو يباد عميدها ^(١)

وقال أيضاً :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى قُصُورِ بَغْدَا	دَ وَمَا قَدْ حَوَّتُهُ مِنْ كُلِّ عَاصِ
وَحُورِ هُنَاكَ تَشْرَبُ جَهْرًا	وَرَجَالِ عَلَى الْمَعَاصِي حِرَاصِ
لَسْتُ بِأَبْنِ الْفَوَاطِمِ الزُّهْرِ إِنْ لَمْ	أَقْحِمِ الْخَيْلَ بَيْنَ تِلْكَ الْعَرَاصِ

وله في هذا المعنى شعر كثير قد ناقضه البغداديون ، وكانت مدته حين نجم إلى أن قتل أربع عشرة سنة ، وجملة من قتل ألف ألف وخمسمائة ألف .

(١) البلغة - بضم الباء وسكون اللام - ما يبلغ به

[عَوْدٌ إِلَى سَحَابِ الْعَيْنَاءِ]

وذكر أبو العيناء رجلاً ، فقال : ضحكك كاللبكاء ، وتودد كالعزاء ، ونوادر كندب الموتى !

وكان يهاتر ابن مكرم كثيراً ، وكتب إليه ابن مكرم يوماً : قد ابتعثت لك غلاماً من بني ناشر ، ثم من بني ناعظ ، ثم من بني نهيد . فكتب إليه : فأتنا بما تمهدنا إن كنت من الصادقين .

وولد لأبي العيناء ولد ، فأتى ابن مكرم فسلم عليه ، ووضع حجراً بين يديه وانصرف ، فأحس به ، فقال : من وضع هذا ؟ فقيل : ابن مكرم ، قال : لعنه الله ! إنما عرض بقول النبي صلى الله عليه وسلم : الولد للفراس وللعاهر الحجر .

وقال لابن مكرم ، وقد قدم من سفر : مالك لم تهدي إلينا هدية ؟ قال : لم أت بشيء ، وإنما قدمت في خوف . قال : لو قدمت في خوف لخلقت رُوحك !

وأتى إلى باب إبراهيم بن رباح ، فحُجِب ، فقال : إذا شغل بكأس يمانه وبحر يُسراه ، وانتسب إلى أب لا يعرف أباه ، لا يخفَل بحجاب من أتابه .

وقدم إليه أبو عيسى بن التوكل سكباجة ، فجعل لا تقع يده إلا على عظم : فقال : جعلت فداك ! هذه قدر أو قبر ؟

ودعا ضريراً ليعشيه ، فلم يدع شيئاً إلا أكله ، فقال : يا هذا ، دعوتك رحمةً فتركتني رحمة .

قد تم — بحول الله وقوته ، وحسن دعوته — الجزء الأول من كتاب « زهر الآداب ، وثمر الألباب » لأبن إسحاق الحصري ، وويله — إن شاء الله تعالى — الجزء الثاني ، مفتتحة بقول المصنف « ألفاظ لأهل العصر في صفات الطعام ومقدماته ، وموائد وآلاته » نسأل الله — جلت قدرته ! — أن يعين على إكمله ، إنه ولي ذلك .

فهرست الجزء الأول

من كتاب زهر الآداب

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٥٩	جواب علي شعر جرير		مقدمة الطبعة الأولى
٥٩	فضل الشعر		مقدمة الطبعة الثانية
٦٠	شدور من كلام الرسول	٣٠	مقدمة المؤلف
٦٣	شعراء الرسول	٤٠	إن من البيان لسحرا
٦٥	أبو سفيان بن الحارث	٤٠	عمرو بن الأهمم والزرقان بن بدر
٦٥	شعر كعب بن مالك		بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٦٥	قصة النضر بن الحارث	٤١	ترجمة عمرو بن الأهمم
٦٧	رثاء أبي بكر لرسول الله		— ترجمة الزرقان بن بدر
٦٧	مناقب أبي بكر	٤٢	غلام يتكلم في حضرة عمر بن عبدالعزيز
٦٨	خطبة أبي بكر يوم مات الرسول	٤٣	كتاب من ابن العميد لبعض إخوانه
٦٩	رثاء فاطمة الزهراء لأبيها رسول الله	٤٤	السحر الحلال
٧٠	عود إلى المختار من كلام أبي بكر	٤٤	وصف رجل محبوب
٧١	رثاء عائشة أم المؤمنين لأبيها	٤٥	عليه بنت المهدي
٧٢	عمر بن الخطاب	٤٨	قيد الأوابد
٧٤	بكاء عمر	٤٧	عود إلى حلاوة الحديث
٧٥	عائكة بنت زيد	٥٥	الشعر والبيان
٧٥	عثمان بن عفان	٥٥	تفسير حديث وضبطه
٧٨	علي بن أبي طالب		— الحظيئة وبنو أنف النافه
٨٢	عمرو بن عبدود	٥٦	بنو العجلان والنجاشي
٨٤	بيضة البلد	٥٦	حكومة عمر في الشعر
٨٥	هوان قبيلة عاملة	٥٧	جمرات العرب
٨٦	كلام الصحابة والتابعين	٥٧	انتقام امرأة
٨٦	آثار معاوية	٥٨	تعريض قادح

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
عبد الله بن معاوية	١٢٥	الأخف بن قيس ومعاوية	٨٨
الحسن بن زيد	١٢٧	شعر زهير	٩٠
إبراهيم بن هرمة	١٢٩	التهنئة والتعزية	٩١
موسى بن عبد الله	١٣٠	أهل البيت	٩٤
بين علي بن محمد العلوي والحسين بن إسماعيل	١٣٠	وصف قريش وبنى هاشم	٩٥
العباس بن الحسين الهاشمي	١٣١	الحسن بن علي وحبيب بن مسلمة	٩٧
موسى بن جعفر	١٣٣	المصيبة بأبناء النبوة	٩٩
علي بن موسى	١٣٣	بين الحسن ومحمد بن الحنفية	١٠٠
دعبل بن علي يرثي آل البيت	١٣٤	الدنيا في رأي الحسين	١٠٠
أوصاف الأشراف	١٣٤	معاوية والحسين	١٠١
الابتداء بحمد الله	١٣٨	ابن أبي ربيعة وسكينة بنت الحسين	١٠٢
من شعر محمود الوراق	١٣٩	علي بن الحسين زين العابدين	١٠٢
البيان والبلاغة	١٤٠	قصيدة الفرزدق في علي بن الحسين	١٠٣
فضل القرآن على سائر الكلام	١٤٠	لندي الرمة يمدح بلال بن أبي بردة	١٠٦
ماهية البلاغة لابن الرمانى	١٤١	— للبحترى يمدح الفتح بن خاقان	—
ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن	١٤٢	عاقبة الحرب	١٠٩
أقوال في البلاغة	١٤٣	للبحترى في قتال الأقارب	١١٢
عمرو بن عبيد	١٤٣	لأبي تمام في المعنى	١١٢
البلاغة عند أهل الهند	١٤٥	لابن الحياض يمدح مالك بن أنس	١١٤
البلاغة في رأي ابن المقفع	١٤٥	لأشجع السلمي	١١٥
الإطالة والإيجاز	١٤٦	— من شعر أبي تمام	—
المعاني والألفاظ	١٤٨	محمد بن علي بن الحسين الباقر	١١٧
بشار بن برد	١٥١	مصراع زيد بن علي	١١٨
وصية أبي تمام للبحترى	١٥٢	عبد الله بن الحسن	١٢٠
فضل الليل للحائمي	١٥٣	بين عبد الملك بن مروان وعمر بن أبي ربيعة	١٢١
فضل التروى والأناة	١٥٤	تلغيد بن الفرخ	١٢٢
واجب النساخ	١٥٥	عود إلى عبد الله بن الحسن	١٢٢
صور مختلفة للبلاغة	١٥٥	امرأة محمد بن عبد الله	١٢٣
		جعفر بن محمد	١٢٤

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
٢٠٠ فطنة إياس بن معاوية وفوة لسنه		١٦٠ صفة البلاغة والبلغاء	
٢٠٠ الفرار من الحديث المملول		١٦٤ وصف النثر والشعر	
٢٠١ طرف أدبية		١٦٥ كتاب لابن العميد	
٢٠٢ ملح الغاضرى		١٦٧ كتاب للصاحب بن عباد	
٢٠٣ ملح أشعب		١٦٨ أبو الفضل الميكالى	
٢٠٤ أبو نواس		١٦٩ أبو منصور الثعالبي	
٢٠٥ الجماز		١٧١ رسائل الميكالى	
٢٠٦ أبو تمام يمدح عمرو بن طوق		١٧٣ وصف أبى الفضل الميكالى	
— ويمدح الحسن بن وهب		١٧٦ وصف البلاغة	
٢٠٧ رواية الشعر والنسيب		١٧٦ لأبى الفتح البستي	
٢٠٨ عروة بن أدينة		١٧٧ للطوعى يمدح الميكالى	
١٧٧ أبو السائب الخزومى		١٧٨ للثعالبي يمدح الميكالى	
٢٠٩ عود إلى عروة بن أدينة		١٧٩ للثعالبي فى وصف فرس	
٢١٠ حب الأحوص		١٧٩ للثعالبي يمجيب الميكالى	
٢١١ ظرف أهل الحجاز ورقمهم		١٨٠ للميكالى يمجيب الثعالبي	
١٧٩ أبو حازم		١٨٠ الوزير المهلبى	
٢١٢ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة		١٨١ الحكمة ضالة المؤمن	
١٨٠ فقهاء المدينة السبعة		١٨٢ وصف الكتاب للجاحظ	
٢١٣ لأبى نواس		١٨٥ تهادى الكتب	
١٨١ لأبى محمد بن أبى أمية		١٨٨ أوصاف الكتب	
٢١٤ ظرف أهل المدينة		١٩٣ المحادثة والمجالسة	
٢١٦ لتشبيب بأخت الحجاج		١٩٣ الفهم والإفهام	
١٨٥ وصف الدنيا لابن المعتز		١٩٥ واجب الجائس	
٢١٨ بين ابن المعتز وثلعب		١٩٦ الحديث المعاد	
٢١٩ شعر ابن المعتز		١٩٦ أنواع الأدب	
٢٢٠ وصف النار للبيضاء		١٩٨ تقسيم الأبياء	
٢٢١ عود إلى شعر ابن المعتز		١٩٩ إياس بن معاوية يحتج للاطناب	
١٦١ رثاء المنصور		— الجاحظ يرد عليه	
٢٢٣ وصاب الرجال		— ابن هبيرة يريد إياسا على القضاء	
٢٢٥ نثر ابن المعتز		٢٠٠ أبو العيناء وقينة	

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
كلام الخلفاء	٢٥٨	يصف الماء وما يتصل به	٢٢٧
مقتل المتوكل	٢٥٦	كفة الجعفرى للبحترى	٢٢٩
وفاء البحترى	٢٦٠	١٩٩ فصور المتوكل لابن الجهم	
رثاء المتوكل للسهبلى	٢٦١	٢٣١ وصف موضع للبحترى	
أبو حية النميرى	٢٦٢	٢٣٢ صنوبرى يصف موضعاً فى حلب	
وصف الشباب لهارون بن يحيى	٢٣٣	٢٣٣ ليكالى يصف بركة	
قصر فى وصف الشباب	٢٦٥	— لعلى بن محمد الإيادى يصف داراً بالمصورية	
بين ابن مناذر وأبى حية النميرى	٢٦٧	٢٣٥ الماء والغدران	
أعباء الكهولة لعمرو بن قميثة	٢٣٦	٢٣٧ وصف الرعد والبرق	
للنهر بن تولب	٢٦٨	٢٤١ الشرب فى الصحو	
من شعر حميد بن ثور	٢٦٩	٢٤٢ وصف شدة الشوق	
لمحمود الوراق	٢٧٠	٢١٠ وصف رجل حازم لابن المقفع	
— للمتنى		٢٤٣ إبراهيم بن أدهم	
— للبحترى		٢٤٤ وصف التقي والزهد لابن كناسة	
— لابن هانى		٢١٢ من أخبار ابن المقفع	
لابن الرومى	٢٧١	٢٤٥ ترجمة الأصوص	
— لأبى تمام		٢١٣ فهم المنصور	
وصف الثغر	٢٧٧	٢٤٦ بلية الحسد لابن المقفع	
وصف الجوارى السود	٢٧٤	٢٤٧ ألسنة الحساد	
التهنئة بنوأمين	٢٧٥	٢١٦ وصف الحسد	
وصف الأفواه	٢٨٠	٢٤٨ التلطف فى الطلب	
شعر أبى نواس	٢٨٦	٢٤٩ من كلام على بن عبيدة الريخانى	
طرفة أديبة	٢٨٧	٢٥٠ بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن أبى دواد وبختيشوع الطيب	
تظريف الحارث بن خالد	٢٨٨	٢٥١ أردشير بن بابك	
من أخبار عائشة بنت طلحة	٢٥٧	٢٥٢ أخلاق الملوك	
مثل من التعريض	٢٨٩	٢٥٣ أخت ملك الحزر	
الثريا بنت على	٢٩٠	٢٥٤ أقوال الملوك والحكام	
عزة كثير	٢٩١	٢٥٧ همة سعد بن ناشب	
ظرف ابن أبى عتيق	٢٩٢		
كمثل الشيطان	٢٩٣		

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
أبيات مختارة في معان شتى	٣١١	رملة بنت عبد الله	٢٦١
أبو العيناء	٢٨٣	صفقة أبي غبشان الذي باع مفتاح	٢٩٤
بين أبي الصقر وابن الرومي	٣١٥	الكعبة بزق خمر	
ترجمة أبي العيناء، وطرف من أخباره	٣٢١	عفة ابن أبي ربيعة	٢٩٥
أحاديثه مع التوكل	٣٢٢	بين ابن جريج ومعن بن أوس	٢٩٦
التوكل أول من أظهر الانكباب	٣٢٣	عائشة بنت طلحة	٣٠١
على الشهوات من العباسيين ..		نمامة ابن الرومي	٣٠٢
منزلة أبي العيناء في الكتابة	٣٢٤	سليمان بن عبد الملك وأعرابي	٣٠٣
— من أبي العيناء لعبيد الله بن سليمان		وصف رجل ماجد	٣٠٤
نوادره، وفكاهاته، وأجوبته	٣٢٥	البديع الهمداني، وكيف استوحى	٣٠٥
إبراهيم بن المدبر	٣٢٦	صنع المقامات	
صاحب الزنج	٣٢٧	كتابه إلى أبي نصر الميكالي	٣٠٦
عود إلى ملح أبي العيناء	٣٣٠	عتابه للميكالي	٣٠٩

تمت فهرس الجزء الأول من « زهر الآداب » والحمد لله أولاً وآخراً
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

زَهْرُ الْأَنْبَاءِ

زَهْرُ الْأَلْبَابِ

وثمر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني ، التوفي في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم

الدكتور زكي مبارك

الجزء الثاني

دار الجيل

للنشر والتوزيع والطباعة

بيروت - لبنان

ص. ب. ٨٧٢٧

الطبعة الرابعة

ألفاظ لأهل العصر في صفات الطعام

ومقدماته ، وموائده ، وآلاته

أَفْرِشْ طَعَامَكَ اسْمَ اللَّهِ ، وَأَلْحِفْهُ حَمْدَ اللَّهِ . لَا يَطِيبُ حُضُورَ الْخِوَانِ ،
إِلَّا مَعَ الْإِخْوَانِ . الْبِخْلُ بِالطَّعَامِ ، مِنْ أَخْلَاقِ الطَّعَامِ . الْكَرِيمُ لَا يَحْضُرُ ، تَقْدِيمَ
مَا يَحْضُرُ . قَدِ قَامَتْ خُطْبَاهُ الْقُدُورِ . قُدُورٌ أَبْكَارٌ ، بِخَوَاتِمِ النَّارِ . قَدْرٌ طَارَ
عَرَفُهَا ، وَطَابَ غَرَفُهَا . دَهْمَاءُ تَهْدِرُ كَالْفَتَنِيقِ ^(١) ، وَتَفُوحٌ كَالسِّنِّ الْفَتِيقِ .
مَائِدَةٌ كِدَارَةُ الْبَدْرِ ، تَبَاعَدُ بَيْنَ أَنْفَاسِ الْجَلَّاسِ . مَائِدَةٌ مِثْلُ عُرُوسٍ . مَائِدَةٌ
لَطِيفَةٌ ، مَحْفُوفَةٌ بِكُلِّ طَرِيفَةٍ . مَائِدَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى بَدَائِعِ الْمَائِدَاتِ كَوَلَاتٍ ، وَغَرَائِبِ
الطَّيِّبَاتِ . مَائِدَةٌ كَأَنَّهَا عَمَلُهَا صُنَاعٌ صُنَاعٌ ، تَجْمَعُ بَيْنَ أَنْوَارِ ^(٢) الرَّبِيعِ ،
وَتَمَارِ الْخَرِيفِ .

وقال الجمار : جاءنا فلان بمائدة كأنها زمن البرامكة على العفأة !
وذم آخر رجلا فقال : لا يَحْضُرُ مَائِدَتَهُ إِلَّا أَكْرَمُ الْخَلْقِ وَالْأَمَهْمُ - يريد
الملائكة والذباب .

وقال ابن الجرجان لرجل دعاه وأخر الطعام :

قَدْ جُنَّ أَصْحَابُكَ مِنْ جُوعِهِمْ فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الْمَائِدَةِ

ولبعض أهل العصر يذم رجلا :

خِوَانٌ لَا يُبْلِغُ بِهِ ضُيُوفٌ وَعَرِضٌ مِثْلُ مَنَدِيلِ الْخِوَانِ

رُغْفَانٌ كَالْبَدُورِ الْمُنْطَقَةِ بِالتَّجُومِ . حَمَلٌ ذَهَبِيٌّ الدَّمَارُ ، فِضِّيٌّ الشَّعَارُ . أَطِيبُ
مَا يَكُونُ الْحَمَلُ ، إِذَا حَلَّتْ الشَّمْسُ الْحَمَلَ ^(٣) . جَدَى كَأَنَّهَا نَدَفٌ عَلَى جَبِينِهِ الْقَزَّ .
زَيْرُبَاجَةٌ ، هِيَ الْمَائِدَةُ دِيبَاجَةٌ ، تَشْفِي السَّقَامَ ، وَلَوْهَا لَوْنُ السَّقِيمِ . سِكْبَاجَةٌ تَفْتَقُ

(١) الفتيق : الفحل الهائج (٢) في الأصل « أنواع » وهو تحريف .

(٣) الحمل الأول : الصغير أولاد الضأن ، والحمل الثاني : برج في السماء (م)

الشهوة ، واسفيدباجة تُغذّي القرم^(١) ، وطبَاهِجَة يُتَفَسِّكُه بها ، وخَيِص يَحْتَم
 بخير. طبَاهِجَة من شرط الملوك ، كأَعْرَافِ الديوك ، وقَلِيَّة كالعود المَطْرِي. مغمومة
 تفرج غمَّ الجائع . هريسة نَفِيسَة ، كأنها خيوط قَرَمِشْتَبِكَة ، كأن المرءى^(٢) عليها
 مَعْصَرَة الْمَسْك على سبيكة الفضة . أرزة مَلْبُونَة ، في السكر مدفونة . شواء شراش^(٣)
 وفالودج رَجْرَاج^(٤) . طبَاهِجَة تغذى ، وفالودجة تعزى ، واسفيدباجة تصفع قفأ
 الجوع^(٥) . لا فِرَاشَ للنيذ ، كالحمل الحنيد^(٦) . دجاجة سميطة ، لها من الفضة
 جسم ، ومن الذهب قشرة . دجاجة دينارية ثمنًا ولونا .

وهذا محلول من قول علي بن العباس الرومي يصف طعاماً آكله عند أبي بكر
 لابن الرومي
 في وصف طعام
 الباطناني :

وَسَمِيطَةٌ صَفْرَاءُ دِينَارِيَّةٌ	ثُمَّنًا وَلَوْ نَا زَفَهَا لَكَ حَزْوُرٌ ^(٧)
عَظُمْتَ فَكَادَتْ أَنْ تَكُونَ أَوْزَةً	وَعَلْتَ فَكَادَ إِهَابُنَا يَنْفَطِرُ
طَفَقَتْ تَجُودُ بِذَوْبِهَا حِجْوَذَابَةٌ	فَأَتَى لِبَابِ اللَّوزِ فِيهَا السُّكْرُ
ظَلْنَا نَقْشَ جِلْدِهَا عَنِ لَحْمِهَا	فَكَانَ تَبْرًا عَنِ جُبْنِ يُقَشَّرُ
وَتَقَلَّمَتْهَا قَبْلَ ذَلِكَ ثَرَائِدٌ	مِثْلَ الرِّيَاضِ بِمِثْلِ ذَلِكَ تُصَدَّرُ
وَمَرَقَاتُ كُلُّهُنَّ مَزْخَرَفٌ	بِالْبَيْضِ مِنْهَا مُلْبَسٌ وَمُدَثَّرُ
وَأَتَتْ قَطَائِفٌ بَعْدَ ذَلِكَ لَطَائِفٌ	تَرْضَى اللَّهَاءُ بِهَا وَيَرْضَى الْخَنْجَرُ
ضَحِكَ الْوَجْوهُ مِنَ الطَّبْرُودِ فَوْقَهَا	دَمَعُ الْعِيَانِ مِنَ الدَّهَانِ يُعَصَّرُ

(١) في نسخة « تغزو القرم » والقرم : شديد الشهوة إلى أكل اللحم (م)

(٢) المرءى : ضرب من الإدام (م)

(٣) الشواء : اللحم المشوى ، وشراش : سمين (م) (٤) من كلام أبي بكر الخوارزمي

(٥) تلك أسماء الأطعمة التي كان يعرفها العرب لعهد الدولة العباسية ، وأكثرها

أسماء فارسية تعيب عنا مسمياتها الآن ؛ لأن للأطعمة اليوم أسماء جديدة أكثرها
 تركية وفرنسية (٦) الحنيد : المشوى (م) (٧) الحزور : السريع إلى إكرام الضيف .

قال البديع : حدثني عيسى بن هشام قال : اشتَهيتُ الأَزَادَ ، وَأَنَا بَعْدَ إِذٍ (١) ،
 وليس معي عَقْدٌ ، عَلَى نَقْدٍ (٢) ، فخرجتُ أَنْتَهَزُ مَحَالَّهُ ، حَتَّى أَهْلَيْتُ الكَرخَ (٣) ؛
 فإِذَا أَنَا بِسَوَادِيٍّ يَحْدُو بِالْجُهْدِ حِمَارَهُ ، وَيُطَرِّفُ بِالْعَقْدِ إِزَارَهُ (٤) ؛ فقلتُ :
 خَفَرْنَا وَاللَّهِ بَصِيدٍ ، وَحَيَاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ ! مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ ؟ وَمَتَى
 وَافَيْتَ ، فَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ . فقال السَّوَادِيُّ : لستُ بِأَبِي زَيْدٍ ، وَإِنَّمَا أَبُو عُبَيْدٍ !
 فقلتُ : نعم لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ ، وَأَبْعَدَ النَّسِيَانَ ، أَنَسَانِي طُولُ الْعَهْدِ بِكَ ،
 كَيْفَ أَبُوكَ ، أَشَابُ كَعْمَهْدِي ، أَمْ شَابَ بَعْدِي ؟ (٥) قَالَ : قد نَبَتِ الْمَرْعَى
 عَلَى دِمْنَتِهِ (٦) ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ ، فقلتُ : إِنَّ اللَّهَ ، وَلَا قُوَّةَ
 إِلَّا بِاللَّهِ ، وَمَدَدَتِ يَدَ الْبِدَارِ ، إِلَى الصَّدَارِ (٧) أُرِيدُ تَمْزِيْقَهُ ، وَأُحَاوِلُ تَخْرِيقَهُ (٨)
 فقبض السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمُعِهِ (٩) ؛ وَقَالَ : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ لِأَمْرِ قَتِهِ ، فقلتُ :
 فهِلْمِ إِلَى الْبَيْتِ نَصِبْ غَدَاءً ، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شِوَاءً ؛ وَالسُّوقُ أَقْرَبُ ، وَطَعَامُهُ

مقامة
 لبديع الزمان
 فيها وصف طعام

- (١) الأَزَادُ : من أجود أنواع التمر ، وبغداد : هي بغداد
- (٢) ليس معي عقد على نقد : أى ليس معي نقود يعقد عليها الكيس والثوب
- (٣) المحال : جمع محل ، والكرخ : من الجانب الغربي من بغداد
- (٤) السَّوَادِيُّ : الرجل من قرى العراق ، نسبة إلى السواد ، وسمى العراق سواداً
 لا كتساء أرضه بالخضرة ، ومعنى «يطرف بالعقد إزاره» أى يرد أحد طرفيه إلى الآخر
- (٥) كعمهدى : أى كعمهدى به حين عرفته
- (٦) الدمنة : آثار الديار ، ولا يثبت الربيع على الدمنة إلا حين يبعد عهدها
 بالخراب ، يريد أن أباه مات منذ زمن طويل .
- (٧) البدار : المسارعة ، والصدار : قيص صغير يلى البدن
- (٨) يريد أنه هم بتمزيق ثوبه من الحزن
- (٩) جمع الكف - بضم الجيم - قبضته

أطيب ، فاستنزته ^(١) حمة القرم ، وعطفته عطفة النهم ، وطمع ، ولم يعلم أنه وقع ، ثم أتيت شواءً يتقاطر شواؤه عرقاً ، ويتسائل جودابه مرقاً ^(٢) ، فقلت : أبرز لأبي زيد من هذا الشواء ، ثم زن له من تلك الخلواء ، واختر من تلك الأطباق ، ونضد عليها أوراق الرقاق ، وشيئا من ماء السمّاق ^(٣) ؛ ليأكله أبو زيد هنياً . فأنحى الشواء بساطوره ^(٤) ، على زُبدة تنوره ، فجعلها كالكحل سحقا ، وكالطحين دقا ، ثم جلس وجلست ، ولا نبس ولا نبست ، حتى استوفيناها ، وقلت لصاحب الخلواء : زن لأبي زيد من اللوزينج رطلين ^(٥) ، فإنه أجرى في الخلوقة ، وأسرى في العروق ، وليكن ليلي العمر ، يومى النشر ^(٦) ، رقيق القشر ، كثيف الحشو ، لؤلؤى الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصمغ ، قبل المضغ ، ليأكله أبو زيد هنياً . فوزنه ، ثم قعد وقعدت ، وجرد وجردت ^(٧) . واستوفيناها ، ثم قلت : يا أبا زيد ، ما أحوجنا إلى ماء يشعشع بالثلج ، ليقمع هذه الصّارة ^(٨) ، ويفقأ هذه اللّقم الحارة ^(٩) ؛ اجلس أبا زيد حتى آتيك بسقاء ، يُحيينا بشربة من ماء ، ثم خرجت ، وجلست بحيث أراد ولا يرانى ، أنظر ما يُصنع به . فلما أبطأت عليه قام السّوادى إلى حماره ، فاعتلق الشّواء بإزاره .

(١) الحمة : إبرة العقرب يلسع بها من يلمسه ، والقرم : شدة الشهوة إلى اللحم

(٢) الجوداب : خبز يوضع في التنورة ومعه طائر أو لحم

(٣) السمّاق : حب أحمر صغير شديد الحموضة ، شجره يشبه الرمان

(٤) الساطور : آلة يقطع بها الجزار اللحم

(٥) اللوزينج : نوع من الخلواء يصنع من نوع من الخبز يسقى بدهن اللوز ،

ويحشى بالجوز .

(٦) ليلي العمر : صنع من ليلته ، ويومى النشر : نشر في يومه

(٧) جرد وجردت : يريد أن كلا منهما جرد يده من ثيابه استعداداً للمائدة

(٨) الصّارة العطش

(٩) يفقأ : يسكن

وقال : أين ثمن ما أكلت ؟ قال : ما أكلته إلا ضيفا ! قال الشّواء : هاك وآك
متى دعوناك ؟ زين يا أبا القحبة عشرين ، وإلا أكلت ثلاثا وتسعين ! فجعل
السوادى يبكي ويمسح دموعه بأردانه ، ويحُلُّ عُقْدَهُ بِأَسْنَانِهِ ، ويقول : كم قلت
لذلك القُرَيْد ، أنا أبو عبيد ، وهو يقول : أنت أبو زيد ! ؟ فأنشدت :

اعمل لِرِزْقِكَ كُلَّ آلَةٍ لَا تَقْعُدَنَّ بِدُلِّ حَالِهِ
وَانْهَضْ بِكُلِّ عَزِيمَةٍ فَالمرءُ يَعْجُزُ لَا الْمَحَالَةَ^(١)

لعلى بن يحيى
المنجم

ومن مליح ما قيل في التطفائف قول على بن يحيى بن أبي منصور المنجم :
قُطَائِفٌ قَدْ حُشِيَتْ بِاللَّوْزِ وَالسُّكَّرِ الْمَادِي حَشْوَ الْمَوْزِ^(٢)
يَسِجُ فِي آذَى^(٣) دُهْنِ الْجَوْزِ سُرِرْتُ لِمَا وَقَعْتُ فِي حَوْزِي
سرور عباسٍ بِقُرْبِ فَوْزِ^(٤)

ومن ألفاظ أهل العصر في الحلواء : فالوذج بلباب البر ، ولُعَابِ النَّجْلِ ،
كَأَنَّ اللّوْزَ فِيهِ كَوَاكِبُ دُرٍّ ، فِي سَمَاءِ عَقِيقٍ .

لابن الرومي
يصف اللوزينج

ولم يقل أحد في صفة اللوزينج أحسن من قول ابن الرومي :
لَا يُحِطِّتِي مِنْكَ لَوْزِينِجٌ إِذَا بَدَأَ أَعْجَبَ أَوْ عَجَبَا
لَوْشَاءُ أَنْ يَذْهَبَ فِي صَخْرَةٍ لَسَهَّلَ الطَّيْبُ لَهُ مَذْهَبَا
لَمْ تَعْلِقِ الشَّهْوَةُ أَبْوَابَهَا إِلَّا أَبَتْ زُلْفَاهُ أَنْ يُحْجَبَا
يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دَوْرًا تَرَى الدُّهْنَ لَهُ لَوْلَبَا^(٥)

(١) قد ترجمنا هذه المقامة الطريفة إلى الفرنسية في كتابنا

La prose Arabe au IV siècle de l'Hégire

(٢) المادى : العسل

(٣) الآذى : الموج

(٤) فوز : هي معشوقة العباس بن الأحنف

(٥) اللولب : استدارة الماء

عَاوَنَ فِيهِ مَنظَرٌ مَخْرَبًا
 مُسْتَكْتَفٍ الْحُشْوِ وَلَكِنَّهُ
 كَأَنَّمَا قَدَّتْ جَلَابِيهُهُ
 يُخَالُ مِنْ رِقَّةٍ خِرْشَاءِهِ (٣)
 لَوْ أَنَّهُ صُورَ مِنْ خُبْرِهِ
 مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ يَوَدُّ الْفَتَى
 مَدْهُونَةَ زَرْقَاءٍ مَدْفُونَةٍ (٦)
 قِرَّةَ عَيْنٍ (٧) وَفَمَّ حُسْنَتَ
 دَيْفٍ لَهُ اللَّوْزُ ؛ فَمَا مَرَّةً
 وَانْتَقَدَ الشُّكْرَ نُقَادُهُ
 فَلَا إِذَا الْعَيْنُ رَأَتْهُ نَبَتْ
 لَا تُنْكِرُوا الْإِدْلَالَ مِنْ وَامِقٍ
 مُسْتَحْسِنٌ سَاعِدٌ مُسْتَعْدَبًا
 أَرْقٌ جِلْدًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا (١)
 مِنْ نَقْطَةِ الْقَطْرِ إِذَا حَبَبًا (٢)
 شَارِكٌ فِي الْأَجْنَحَةِ الْجُنْدُبَا (٤)
 تَغَرُّ لَكَانَ الْوَاضِحَ الْأَشْنَبَا (٥)
 أَنْ يَجْعَلَ الْكَفَّ لَهَا مَرْكَبًا
 صَهْبَاءَ تَحْكِي الْأَزْرَقَ الْأَشْهَبَا
 وَطَيَّبَتْ حَتَّى صَبَا مِنْ صَبَا
 مَرَّتْ عَلَى الذَائِقِ إِلَّا أَبِي (٨)
 وَشَاوَرُوا فِي نَقْدِهِ الْمَذْهَبَا
 وَلَا إِذَا الضَّرْسُ عَلَاهُ نَبَا
 وَجَهَ تَلَقَّاءُكُمْ الْمُطَلَبَا

هذه الأبيات يقولها في قصيدة طويلة يمدح فيها أبا العباس أحمد بن محمد
 ابن عبد الله بن بشر المرثدي ، ويهنيه بابن ولده ، وأولها :

شمسٌ وبدرٌ ولداً كوكباً أقسمتُ باللهِ لقد أنجبنا
 قال أبو عثمان سعيد بن محمد الناجم : دخلت على أبي الحسن وهو يعمل هذه

(١) رواية الديوان « أرق قشرا »

(٢) حب : صار ذا حب ، بالتحريك . ورواية الديوان « من أعين القطر

الذي قبا » وفي رواية أخرى « طبا »

(٣) الخرشاء : الجلدة الرقيقة (٤) الجندب : الجراد

(٥) الأشنب : من الشنب - بالتحريك - وهو رقة وبرد وعدوبة في الأسنان

(٦) كذا في الأصل . وفي الديوان « مدفونة » (٧) رواية الديوان « ملذعين »

(٨) يريد أن صانع اللوزينج كان يختبر اللوزليطرح منه ما يجذفيه مرارة

القصيد ، فقلت : لو تَفَاءَتْ فيها لأبى العباس بسبعة من الولد ؛ لأن أبا العباس منكوساً سابعاً ، لجاء المعنى ظرفياً ، فقال :

وقد تَفَاءَتْ له زاجراً كُنَيْتَه ، لا زاجراً ثَمَلْبَا
إِنِّي تَأَمَلْتُ له كُنَيْتَةً إِذَا بَدَأَ مَمْلُوبُهَا أَعْجَبَا
يَصُوغُهَا الْعَكْسُ أَبَا سَابِعٍ لَا كَذَّبَ اللَّهُ وَلَا خَيْبَا
بَلْ ذَاكَ قَالَ ضَامِنٌ سَبْعَةً مِثْلَ الصَّقُورِ اسْتَشْرَفَتْ مَرَقِبَا
يَأْتُونَ مِنْ صُلْبِ فِتْيٍ مَا جَدِ
وَقَدْ أَنَا مِنْهُمْ وَاحِدٌ
فِي مُدَّةٍ تَغْمُرُهَا نِعْمَةٌ
حَتَّى نَرَاهُ جَالِسًا بَيْنَهُمْ
كَالْبَدْرِ وَافِي الْأَرْضِ مِنْ نُورِهِ
وَلَيْشُكْرِ النَّاجِمِ عَنْ هَذِهِ
سَدَى وَأَلْحَمْتُ أَخِي لَمْ أزلْ
أَشْكُرُ مَا أَسْدَى وَمَا سَبَا

وكان ابن الرومي منبوماً في المآكل ، وهي التي قتلتُهُ ، وكان مُعْجَباً بهم ابن الرومي بالسّمك ، فوعده أبو العباس المرثدي أن يبعث إليه كل يوم بوظيفة لا تَنقَطِعُ ، ووجه السمك فبعث إليه يوم سَبْتٍ ، ثم قطعه ، فقال :

مَا لِحَيْتَانِنَا جَفْتِنَا وَأَنْى أَحْلَفَ الزَّائِرُونَ مَنْتَظِرِيهِمْ
جَاءَ فِي السَّبْتِ زُورُهُمْ فَأَتَيْنَا مِنْ حِفَاطٍ عَلَيْهِ مَا يَكْفِيهِمْ (٣)

(١) الترتب - على وزن قنفذ وجندب - الشيء المقيم الثابت

(٢) رضوى وكبكب : جبلان (م) (٣) احتبى : جمع بين ظهره وساقه بعمامة ونحوها . وهي جلسة معروفة عند أشرف العرب - كذا ، والصواب « فاجتبي » بالجيم - أى اختار واجتبي (م) (٤) الزور : الضيف

وجعلناه يوم عيد عظيم
وأراهم مُصمِّينَ على الهَجْرِ فَلِمَ يُسَخِّطُونَ مَنْ يُرْضِيهِمْ
قد سَبَّتنا وما أَتَّنا وكانوا يوم لا يَسْتَبْتُونَ لا تَأْتِيهِمْ

فاتصل ذلك بالناجم ، فكتب إلى ابن الرومي :

من الناجم إلى
ابن الرومي

أبا حسن أنتَ مَنْ لا ترا لُ تَحْمَدُ في الفَضْلِ رُجْحَانَهُ
فكم تُحْسِنُ الظنَّ بالمرثدِيِّ وقد قَلَّ اللهُ إِحْسَانَهُ
ألم تَدْرِ أَنْ الفتي كالسَّرَابِ إِذَا وَعَدَ الوَعْدَ إِخْوَانَهُ
فبِحَجْرِ السَّرَابِ يَقُوتُ الطَّلُوبُ فَقُلْ في طَلابِكَ حَيَاتَانَهُ

وخرج ابن الرومي إلى بعض المنزهات وقصدوا كرمًا رازقيًا ، فشرى

لابن الرومي

هناك عامَّةً يومهم ، وكانوا يتهمونهم في شعره ، فقالوا : إن كان ما تُنشدنا لك
فقل في هذا شيئًا ، فقال : لا تريموا حتى أقول فيه ، وأنشدهم لوقته :

يصف العنب
الرازقي

ورازقيٌّ مُخْطَفِ الخِصُورِ كأنه تَحَازِنُ البُلُورِ
قد ضُمَّتْ مِسْكَاً إلى الشُّطُورِ وفي الأعلى ماء وَرْدٍ جُورِيٍّ (١)
بلا فَرِيدٍ وبلا شُدُورِ له مَذاقُ العَسَلِ المَشُورِ (٢)
وَبَرْدُ مَسِّ الخِصْرِ المَقْرُورِ وَنَكْهَةُ المِسْكِ مع الكافُورِ (٣)
ورقة الماء على الصُّدُورِ باكَرُتُهُ وَالطَّيْرُ في الوُكُورِ
بِفَتْيَةٍ من وَادِ المنصُورِ أملاً للعينِ من البُدُورِ
حتى أَتَيْنَا خَيْمَةَ النَّاطُورِ قبل ارتفاعِ الشمسِ للذُّرُورِ (٤)

(١) جورى : نسبة إلى جور ، وهى مدينة فيروزاباد

(٢) من «شارالعسل يشوره» أى جناه

(٣) من الخصر - بالتحريك - وهو البرد ، والقر - بالضم - ومعناه البرد أيضا

(٤) الذرور : الطلوع ، والناطور : حافظ الكرم والنخل

فانحط كالطَّأوي من الصُّقور
والحرُّ عَبْدُ الحَلْبِ المشطورِ
مملوءةٌ من عَسَلٍ محصورِ
ثمَّ جَلَسْنَا جِلْسَةَ الحَبورِ
أبيض مثل المَهْرَقِ المنشورِ
يَنسَابُ مثل الحَيَّةِ المذعورِ
ناهيك للعقود من ظُهورِ
وكل ما يُقضى مِنَ الأُمورِ
تَعَلَّةٌ من يَوْمِنَا المنظورِ
ومُتَعَةٌ من مُتَعِ العُرورِ

ألفاظ تناسب هذا النحو لأهل العصر في صفات الفواكه والثمار

كَرَمٌ نُسَلِفُه الماء القَرَّاح، وَيَقْضِينَا أَمْهَاتِ الرَّاح. عنقود كالثَرِيَّةِ، وَعِنَبٌ
كمخازن البَلُّور، وضروب الثُّور، وأوعية السرور. أمهات الرحيق، في مخازن
العقيق. نَخْلٌ نُسَلِفُه الماء، ويقضينا العسل. رُطْبٌ كأنها شُهْدَةٌ بالعقيق مُتَقَعَةٌ،
وبالعقيان مُتَقَعَةٌ. رُمَّانٌ كأنه صُرَّرَ الياقوت الأحمر. سَفَرَجَلٌ يَجْمَعُ طَبِيباً، ومنظراً
حسناً عجيباً، كأنه زَيْبِرٌ^(٥) الخرز الأغر، على الديباح الأصفر. تَفَّاحٌ تَفَّاحٌ^(٦)،
يجمع وَصْفَ العاشق الوَجِل، والمعشوق الخَجِل، له نَسِيمُ العبير، وطَعْمُ السكر،
رسولُ الحب، وشبيه الحبيب. تَيْنٌ كأنه سُفْرٌ مضمومة على عَسَلٍ. مشمش
كأنه الشَّهْدُ في بِيَادِقِ الذهب.

(١) جمع أحور (٢) الحبور: السرور، ومسجور: مملوء

(٣) المهرق: الصحيفة (٤) السباط: الصف

(٥) الزبير - بكسر الزاي وسكون الهمزة وكسر الباء الموحدة - هو ما يظهر من

درز اثوب (٦) ينفخ بالرأحة العطرة

[بعض ما جاء في وصف الليل]

قال بعضُ الرواة : أنشدت أعرابيا قولَ جرير بن عطية بن الخَطَفي :

أبدلَّ الليلُ لآتسرى كواكبهُ أم طالَ حتى حسبت النجمَ حيرانا

لأعرابي في صف ليل لقاء من قولي ، وأنشدني : فقال : هذا حسنٌ في معناه ، وأعوذ بالله من مثله ؛ ولكني أنشدك في ضده

وليلٍ لم يُقصره رقادٌ وقصر طوله وصلُّ الحبيبِ
نعيمُ الحبِّ أورق فيه حتى تناولنا جناهُ من قريبِ
بمجلس لذّةٍ لم تقو فيه على شكوى ولا عدل الذنوبِ
بخيلنا أن نقطعه بلفظٍ فترجمت العيونُ عن القلوبِ

لأعرابي يصف وفاءه لصحبه فقلت له : زدني ، فما رأيت أظرف منك شعراً ؛ فقال : أمّا هذا الباب فحسبك ، ولكن أنشدك من غيره :

وكنت إذا علقْتُ حبالَ قومٍ وصحبهمُ وشيئتي الوفاء
فأحسن حين يُحسنُ محسنوم وأجنب الإساءة إن أساءوا
أشاء سوى مشيئتهم فأتي مشيئتهم وأترك ما أشاء

لجرير يصف يوم صيد فلما بلغت إلى قوله : قال الأصمعي : قرأتُ على أبي مُخَذَّرِ خلف بن حيان الأحمري شعرَ جرير ،

ويوم كإيهام القطة محببٌ إلى صباهُ غالبٌ لي بآطلهُ
رُزِقنا به الصَّيدُ العزيز ولم نكن كمن نبلهُ محرومةٌ وحباثلهُ
فيالك يومٌ خيرُهُ قبل شرِّه تغيّب واشيه وأقصر عاذلهُ

فقال خلف : ويحه ! فما ينفعه خيرٌ يؤول إلى شرٍّ ؟ فقلت له : كذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء ، فقال لي : وكذا قال جرير ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا ما سمع ، قلت : فكيف كان يجبُ أن يكون ؟ قال : الأجود أن

يقول : خيرُهُ دون شرِّه ، فأروِه كذلك ، فقد كانت الرواة قديماً تُصَلِّحُ أشعارَ الأوائل ، فقلت : والله لا أرويه بعدها إلاّ كذا .

لإبراهيم بن
العباس يصف
قصر الليل

ومن أجود ما قيل في قصرِ الليل قول إبراهيم بن العباس :

وليلةٍ من الليالي العُرِّ قابلتُ فيها بَدْرَها بِيَدْرِ
لم تَكُ غَيرَ شفقٍ وفَجْرِ حتى تَقَضَّتْ وهى بِكُرِّ الدَّهْرِ

للأصبهاني
يصف يوم لهُو

وقال محمد بن أحمد الأصبهاني فيما يتعلق بهذا المعنى وإن كان في ذكر النهار :

كيف يُرْجى لِمَلَّتِي هُدُوٌّ ورُقَادِي لَطَرْفِ عَيْنِي عَدُوٌّ
بِأَبِي مَنْ نَعِمْتُ مِنْهُ بِيَوْمٍ لم يَزَلْ للسرورِ فِيهِ نَمُوٌّ
يَوْمَ لهُوٍ قَدِ التَّقَى طَرْفَاهُ فَكَأَنَّ العَشِيَّ فِيهِ عَدُوٌّ
إِذْ لَشَخْصِ الرَّقِيبِ فِيهِ مَنَاءٌ ولبَدْرِ السَّمَاءِ مِنِّي دُؤُوٌّ

وقال ابن المعتز :

لابن المعتز
يصف ليل
سرور

يارب ليلٍ سَحَرَهُ كَلَهُ مَفْتَضِحَ البَدْرِ عَلِيلِ النَّسِيمِ
تَلْتَقُطُ الأَنْفَاسُ بَرْدَ النَّدَى فِيهِ فَمَهْدِيهِ لِجَرِّ الهُمُومِ
لَا أَعْرِفُ الإِصْبَاحَ لَمَّا بَدَا فِي ضَوْئِهِ إِلاَّ بِسُكْرِ النَّدِيمِ
لَبَسْتُ فِيهِ بِالتَّذَاذِ الهَوَى وَلَذَّةِ الرِّيحِ ثِيَابَ النِّعَمِ

(١) وصف منبج

بين الرشيد
وعبد الملك بن
صالح

أخذ قوله : « سَحَرَكْهُ » من قول عبد الملك بن صالح بن عليّ ، وقد قال له الرشيد لما دخل منبج : أهذا منزلك^(٢) ؟ قال : هولاك ، ولي بك يا أمير المؤمنين ، قال : كيف بناؤه ؟ قال : دون منازل أهلي ، وفوق منازل الناس ، قال :

(١) بلد قديم ينسب إليه كثير من الشعراء أشهرهم البحتری وأبو فراس

(٢) رواية ياقوت : « أهذا البلد منزلك ؟ »

وكيف ذلك وقد رُك فوق أقدارهم؟ قال: ذلك خلق أمير المؤمنين أناسي به ،
وأقفوا أثره ، وأخذوا حذوه ، قال: فكيف طيب منبج؟ قال: عذبة الماء ،
قليلة الأذواء ، قال: فكيف ليئها؟ قال: سحر كله (١) ؟
وأخذ هذا الطائي فقال :

لأبي تمام

أيامنا مصقولة أطرافها بك ، والليالي كلها أسحارُ

ولأهل العصر ، قال أبو علي محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمي :
يارب ليل سرور خيلته قصرًا كعارض البرق في أفق الدجاجة
قد كاد يعثر أولاه بأخيره وكاد يسبق منه فجره الشفقا
كأتما طرفاه طرف انفق الجفنان منه على الإطباق وأفترقا

للحاتمي

ألفاظ في هذا المعنى لأهل العصر

ليلة من حسنات الدهر ، هواؤها صحيح ، ونسيمها عليل . ليلة كبريد
الشباب ، وبرد الشراب . ليلة من ليالي الشباب ، فضية الأديم ، مسكية
النسيم . ليلة هي لمة العمر ، وغرّة الدهر . ليلة مسكية الأديم ، كافورية النجوم .
ليلة رقد الدهر عنها ، وطلعت سعودها ، وغابت عذالها . ليلة كالمسك منظرها
ومخبئها . ليلة هي باكورة العمر ، وبكر الدهر . ليلة ظلماتها أنوار ، وطوال
أوقاتها قصر .

(١) زاد ياقوت في معجم البلدان «قال: صدقت، إنها طيبة، قال: بل طابت بأمر
المؤمنين، وأين يذهب بها عن الطيب؟ وهي برة حمراء، وسنبلة صفراء، وشجرة خضراء، في
فيف فبح، بين قيصوم وشيح؟» فقال الرشيد: هذا الكلام والله أحسن من الدر النظيم

[سعيد بن هريم ، وصِلتُهُ بالفضل بن سهل]

كان سببُ اتصال سعيد بن هريم بِذِي الرِّياسَتينِ الفَضْلِ (١) - وسمي ذا الرِّياسَتينِ لأنه جمع بين رياسة القلم ورياسة التدبير للمأمون - أنه دخل عليه يوماً ، فقال : « الأَجَلُ آفَةُ الأَمَلِ ، والمعروفُ ذُخْرُ الأَبَدِ ، والبرُّ غنيمَةُ الحَازِمِ ، والتفريطُ مصيبةُ أُخَى القَدْرَةِ ، وإنا لم نَصُنْ وجوهنا عن سؤالك ، فصُنْ وجهك عن رَدِّنا ، وَضَعْنَا من إِحسانك بِحيث وَضَعْنَا أَنفُسَنَا من تَأْميلك » .

فأمر أن يُكْتَبَ كلامه ، وسماه سعيداً الناطق ، ووصله للمأمون (٢) فخصَّ به .

فلحقته في بعض الأوقات جَفْوَةٌ من الفضل ، فكتب إليه : « يا حَافِظَ مَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ عِنْدَهُ ، وَيَا ذَا كَرَمٍ مَنْ نَسِيَ نَصِيْبِهِ مِنْهُ ، لَيْسَ كِتَابِي إِذَا كَتَبْتُ اسْتِبْطَاءً ، وَمَا إِمْسَاكِي إِذَا أَمْسَكْتُ اسْتِغْنَاءً ؛ فَكَتَبْتُ مَذْكَراً لِأَمْسْتَقْصِراً فَعَمَلَك »

فوصله وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ

وقد رُوِيَ بَعْضُ هَذَا الكَلَامِ الْمُنْسُوبِ إِلَى سَعِيدِ بْنِ هَرِيمِ لِأَبِي حَفْصِ الْكِرْمَانِيِّ مَعَ ذِي الرِّياسَتَيْنِ .

ويقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي :

للتيمى يمدح
الفضل بن سهل

لَعَمْرُكَ مَا الأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
وَإِنْ عَظَمُوا لِلْفَضْلِ إِلاَّ صَنَائِعُ
تَرَى عُظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشَعًا
إِذَا مَا بَدَأَ ، وَالْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ
تَوَاضَعَ لَمَّا زَادَهُ اللهُ رِفْعَةً
وَكُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ

وقال إبراهيم بن العباس :

لإبراهيم بن
العباس يمدح
الفضل

الفضل بن سهل يدا
تقاصر عنها المشل

(١) هو الفضل بن سهل ، ولد سنة ١٥٤ في سرخس ، وتوفي بهاسنة ٢٠٢ ، اتصل بالمأمون في صباه ، وأسلم على يده سنة ١٩٠ ، وصحبه قبل أن يلي الخلافة ، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً . وقد مات قتيلاً في الحمام وهو في سرخس . وقيل : إن المأمون أعان على قتله ليخلص من سلطانه (٢) كذا ، ولعله « ووصله بالمأمون » (م)

فَبَاطِنُهَا لِلنَّدى وَظَاهِرُهَا لِلقَبْلِ
وَبَسَطَتْهَا لِلغنى وَسَطَوَتْهَا لِلأجلِ

أخذه ابن الرومي فقال لإبراهيم بن المدبر:

أصْبَحْتُ بين ضَرَاةٍ وَتَجْمَلٍ وَالسَّرَّةِ بينهما يموتُ هزِيلًا
فأمَدِدْ إلى يَدَا تَعَوِّدَ بَطْنُهَا بَدَلِ النِّوَالِ وَظَهْرُهَا التَّقْيِيلَا

وقال يمدح عبيدالله بن عبدالله بن طاهر، وزاد في هذا المعنى تشبيها ظريفاً:

مَقْبَلُ ظَهْرِ الكَفِّ وَهَابُ بَطْنِهَا لَهَا رَاحَةٌ فِيهَا الحَطِيمُ وَزَمْرَمُ
فَفَاطِرُهَا لِلنَّاسِ رُكْنٌ مَقْبَلٌ وَباطِنُهَا عَيْنٌ مِنَ العُرْفِ عَيْلِمٌ (١)

وكان ذو الرياستين يَقْبَلُ صوابَ القائلين بما في قُوَّتِهِ من صَفَاءِ الغريزة ،

وَجُودَةَ النَّحِيْزَةِ (٢) فهو كما قال أبو الطيب :

مَلِكٌ مُنْشِدُ القَرِيضِ نَدِيْهِ يَضَعُ الثَّوبَ فِي يَدَيْ بَرَزَارِ

وكانت مخايلُ فضاه ، ودلائلُ عقله ، ظهرت ليحيى بن خالد وهو على دين

المجوسية ، فقال له : أَسْلِمُ أَجْدَ السَّبِيلِ إِلَى اصْطِنَاعِكَ ، قال : فأسلم على يدِ

المأمون ، ولم يزل في جَنَبَتِهِ (٣) ، إلى أن رقى إلى رُتْبَتِهِ .

وذكره يحيى عند الرشيد فأجمل الثناء ، فأمر بإحضاره ، فلما رآه أُفْجِحِمَ ؛ فنظَرَ

الرشيد إلى يحيى كما استفتحهم ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من أدلّ دليل على

فَرَاهَةِ المملوك أن تَمْلِكَ هَيْبَةَ مَولاهُ لسانَه وقلْبَه ، فقال الرشيد : لئن كنت

سكتَ لَكَ تقولَ هذا فقد أَحْسَنْتَ ، ولئن كان هذا شيئاً اعتراك عند الحَصْرِ

لقد أَجَدْتَ ؛ وزاد في إكرامه وتقريبه ، وجعل لا يسأله بعد ذلك عن شيء إلا

أجابَه بِأفْصَحِ لسانِ ، وأجود بَيانِ .

لابن الرومي
يمدح إبراهيم
ابن المدبر

لابن الرومي
يمدح ابن طاهر

من ترجمة
الفضل بن سهل

(١) عيلم : كثيرة الماء ، والعيلم أيضاً : البحر

(٢) النحيزة : الطبيعة

(٣) جنبته جا: نبه (م) .

قال سهل بن هارون : ومما حُفِظَ من كلام ذى الرياستين مما رأينا تَحَايِدَهُ
 فى السكتب ؛ لِيُوَثِّقَ بِهِ ، وَيُنْتَفِعَ بِمَقُولِ حِكْمَتِهِ ، قَوْلُهُ : مَنْ تَرَكَ حَقًّا فَقَدْ غَبِنَ
 حَقًّا ، وَمَنْ قَضَى حَقًّا فَقَدْ أَحْرَزَ غَنَمًا ، وَمَنْ أَتَى فَضْلًا فَقَدْ أَوْجَبَ شُكْرًا ،
 وَمَنْ أَحْسَنَ تَوَكُّلًا لَمْ يَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ صُنْعًا ، وَمَنْ تَرَكَ لِلَّهِ شَيْئًا لَمْ يَجِدْ لِمَا تَرَكَ
 فَقْدًا ، وَمَنِ اتَّمَسَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ حَمْدًا عَادَ ذَلِكَ عَلَى مُلْتَمِسِهِ ذِمًّا ، وَمَنْ طَلَبَ
 بِخِلَافِ الْحَقِّ لَهُ دَرَكًا عَادَ مَا أَدْرَكَ مِنْ ذَلِكَ لَهُ مُوَبَقًا^(١) ؛ وَذَلِكَ أَوْجَبَ الْفَلَاحَ
 لِلْمُحْسِنِينَ ، وَجَعَلَ سُوءَ الْعَاقِبَةِ لِلْمُسِيئِينَ الْمُقْصِرِينَ .

وَوَقَّعَ فى رُقْعَةٍ سَاعٍ : نَحْنُ نَرَى قَبُولَ السَّعَايَةِ شَرًّا مِنْهَا ؛ لِأَنَّ السَّعَايَةَ
 دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ وَأُخْبِرَ بِهِ كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ ؛
 فَاتَّقُوا السَّاعِيَ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فى سَعَايَتِهِ صَادِقًا لَكَانَ فى صِدْقِهِ آثَمًا ؛ إِذْ لَمْ يَحْفَظْ
 الْجُرْمَةَ ، وَلَمْ يَسْتِرِ الْعَوْرَةَ .

والشئ يُقَرَّنُ مَعِ جِنْسِهِ : كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ،
 وَكَانَ وَالِيًا عَلَى أَرْمِينِيَةِ لِلرَّشِيدِ : إِنْ قَوْمًا صَارُوا إِلَى سَبِيلِ النَّصْحِ فَذَكُرُوا ضِيَاعًا
 بِأَرْمِينِيَةِ قَدْ عَفَتْ وَدَرَسَتْ^(٢) ، يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى السُّلْطَانِ مَالٌ عَظِيمٌ ، وَإِنِى وَقَفْتُ
 عَنِ الْمَطَالِبَةِ حَتَّى أَعْرِفَ رَأْيَكَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ : قَرَأْتُ هَذِهِ الرُّقْعَةَ الْمَذْمُومَةَ ، وَفَهَّمْتُهَا ، وَسَوَّقْتُ السَّعَايَةَ
 بِحَمْدِ اللَّهِ فى أَيَّامِنَا كَأَسَدَةٍ ، وَالسَّنَةَ السُّعَايَةَ فى أَيَّامِنَا كَعِلِيَّةٍ خَاسِئَةٍ ؛ فَإِذَا قَرَأْتَ
 كِتَابِي هَذَا فَاجْهَلِ النَّاسَ عَلَى قَانُونِكَ ، وَخُذْهُمْ بِمَا فى دِيوَانِكَ ؛ فَإِنَّا لَمْ نُوَلِّكَ
 النَّاحِيَةَ ، لِتَتَّبِعَ الرُّسُومَ الْعَافِيَةَ ، وَلَا لِأَحْيَاءِ الْأَعْلَامِ الدَّائِرَةَ ، وَجَنَّبْنِي وَتَجَنَّبْ
 بَيْتَ جَرِيرٍ يَخَاطِبُ الْفَرَزْدَقَ :

(١) الدرك - بالتحريك - اللحاق ، والموبق : المهلك (م)

(٢) عفت ودرست : كلاهما بمعنى ذهبت معالمها (م)

وَكُنْتَ إِذَا حَلَّتْ بَدَارِ فَوْءٍ رَحَّتْ بِخَزِيَةٍ وَتَرَكَتَ عَارًا
وَأَجْرَ أُمُورِكَ عَلَى مَا يَكْسِبُ الدُّعَاءَ لَنَا لَا عَلَيْنَا ، وَعَلِمَ أَنَّهَا مَدَّةٌ تَنْتَهِي ،
وَأَيَّامٌ تَنْقُضِي ، فَإِمَّا ذِكْرٌ جَمِيلٌ ، وَإِمَّا خِزْيٌ طَوِيلٌ .

رجل يريد أن
ينصح المهدي

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْمَهْدِيِّ: عِنْدِي نَصِيحَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ: لِمَنْ نَصِيحَتِكَ
هَذِهِ؟ لَنَا ، أَمْ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَمْ لِنَفْسِكَ؟ قَالَ: لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(١) ، قَالَ:
لَيْسَ السَّاعِي بِأَعْظَمَ عَوْرَةً وَلَا أَقْبَحَ حَالًا مِنْ قَبْلِ سِعَايَتِهِ ، وَلَا تَخْلُو مِنْ أَنْ
تَكُونَ حَاسِدَ نِعْمَةٍ ، فَلَا تَشْفِي عَيْظُكَ ، أَوْ عَدُوًّا فَلَا نَعَاقِبُ لَكَ عَدُوًّا! ثُمَّ
أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: لَا يَنْصَحُ لَنَا نَا صِحُّ الْإِبْمَا فِيهِ لِلَّهِ رِضًا ، وَلِلْمُسْلِمِينَ صَلَاحًا؛
فَإِنَّمَا لَنَا الْأَبْدَانُ وَلَيْسَ لَنَا الْقُلُوبُ؛ وَمَنْ اسْتَتَرَ عَنَّا لَمْ نَكْشِفْهُ ، وَمَنْ بَادَانَا طَلَبْنَا
تَوْبَتَهُ ، وَمَنْ أَخْطَأَ أَقْلَنَا عَثْرَتَهُ؛ فَإِنِّي أَرَى التَّأْدِيبَ بِالصَّفْحِ أَبْلَغَ مِنْهُ بِالْعُقُوبَةِ ،
وَالسَّلَامَةَ مَعَ الْعَفْوِ أَكْثَرَ مِنْهَا مَعَ الْمَعَاجِلَةِ ، وَالْقُلُوبَ لَا تَبْقَى لِوَالٍ لَا يَنْعَطِفُ إِذَا
اسْتَعَطِفَ ، وَلَا يَعْفُو إِذَا قَدَرَ ، وَلَا يَغْفِرُ إِذَا ظَفَرَ ، وَلَا يَرْحَمُ إِذَا اسْتَرْحَمَ .

وَوَقَعَ ذُو الرِّيَاسَتِينَ إِلَى تَمِيمِ بْنِ خَزِيمَةَ: الْأُمُورُ بِتَمَامِهَا ، وَالْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا ،
وَالصَّنَائِعُ بِاسْتِدَامَتِهَا ، وَإِلَى الْغَايَةِ يَجْرِي الْجَوَادُ؛ فَهَنَّاكَ كَشَفْتَ الْخُبْرَةَ قِنَاعَ
الشَّكِّ؛ فَحَمْدُ السَّابِقِ ، وَذَمُّ السَّاقِطِ

بعض توقعات
الفضل بن سهل

وذو الرياستين هو القائل :

أَنْصِيْتُ أَحْرَفَ «لَا» مِمَّا لَفَّظْتُ بِهَا فُحْوَلِي رَحَلَهَا عَنَّا إِلَى نَعَمٍ
أَوْ صَيَّرِيهَا إِلَيْهَا مِنْكَ مَنَعَةً إِنْ كُنْتَ حَاطَلْتَ فِيهَا خِيفَةَ الْكَلِمِ^(٢)

(١) لَمْ تَرَفِي الْأَصْلَ ذِكْرًا لِلنَّصِيحَةِ . وَالظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِ الْمَهْدِيِّ أَنَّ ذَلِكَ «النَّاصِحُ»
ذَكَرَ أَصْحَابَ الْمَهْدِيِّ بِسَوْءٍ؛ فَقَالَ الْمَهْدِيُّ: لَيْسَ السَّاعِي الْح . فَيَلِاحِظُ الْقَارِيءُ
تِلْكَ الْجُمْلَةَ الَّتِي ضَاعَتْ لِيُظْهِرَ لَهُ رِبْطَ الْكَلَامِ . قُلْتُ: لَيْسَ هَذَا بِلَازِمٍ ، بَلْ يَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ الْمَهْدِيُّ قَدْ قَطَعَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى بِمَا أُجَابَ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ (م)

(٢) الضَّمِيرُ فِي صَيَّرِيهَا «يَعُودُ إِلَى «لَا» وَفِي «إِلَيْهَا» يَعُودُ إِلَى «نَعَمٍ» وَكَأَنَّهُ
قَالَ: صَيَّرِي لَا إِلَى نَعَمٍ (م)

قَسَّمْ عَلَيْنَا فَعَارَضْنَا قِيَاسَكُمْ يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ
ولما قتل ذو الرياستين دخل المأمونُ على أمه فقال: لا تجزعي فإني أبئك
بعد ابنك. فقالت: أفلا أبكي على ابنِ أكَسْبِنِي ابناً مِثْلَكَ؟

[بعض أوصاف الخيل]

ووصف ابن القريّة^(١) فرساً أهداه الحجاجُ إلى عبد الملك بن مروان فقال: لابن القريّة
حَسَنُ الْقَدِّ ، أَسِيلُ الْخَدِّ ، يسبق الطَّرْفَ ، ويستغْرِقُ الوَصْفَ .
وأهدى عبد الله بن طاهر إلى المأمون فرساً وكتب إليه: قد بعثتُ إلى
أمير المؤمنين بفرسٍ يلحق الأرانب في الصَّعداء ، ويجاوزُ الظُّباءَ في الاستواء ،
ويسبق في الحُدُورِ جَرَى المَاءِ ، فهو كما قال تَابُطُ شَرًّا :

وَيَسْبِقُ وَفَدَّ الرِّيحَ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدِّهِ الْمَتَدَارِكِ
وقال رجل لبعض النخاسين: اشتر لي فرساً جيّد التَّمِيصِ ، حَسَنَ
القُصُوصِ ، وثيق القَصَبِ ، نقيّ العَصَبِ ، يُشِيرُ بِأُذُنَيْهِ ، وَيَنْدِسُ بِرِجْلَيْهِ^(٢) ،
كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لُجَّةٍ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حَدُورِ .

جمع محمد بن الحسين^(٣) هَذَيْنِ الكَلَامَيْنِ وزاد فقال يصف فرساً: هُوَ حَسَنُ
التَّمِيصِ ، جَيِّدُ الْقُصُوصِ ، وَثِيقُ الْقَصَبِ ، نَقِيٌّ الْعَصَبِ ، يُبْصِرُ بِأُذُنَيْهِ ،
وَيَتَبَوَّعُ بِيَدَيْهِ^(٤) ؛ وَيُدْخِلُ بِرِجْلَيْهِ ، كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لُجَّةٍ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حَدُورِ ،
يَنَاهِبُ الْمَشَى قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَبِلِحْقِ الْأَرَانِبِ فِي الصَّعْدَاءِ ، وَبِجَاوِزِ جَوَارِي
الظُّبَاءِ فِي الْأَسْتَوَاءِ ، وَيَسْبِقُ فِي الْحَدُورِ جَرَى الْمَاءِ ، إِنْ عَطَفَ جَارَ ، وَإِنْ أُرْسِلَ
طَارَ ، وَإِنْ كَلَّفَ السَّيْرَ أَمَّعَنَ وَسَارَ ، وَإِنْ حُبَسَ صَفَنَ^(٥) ، وَإِنْ اسْتَوْقَفَ فَظَنَ ،
وَإِنْ رَعَى أَبْنُ^(٦) ؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ تَابُطُ شَرًّا ، وَذَكَرَ الْبَيْتَ .

لمحمد بن
الحسن بن
الحرون

(١) هو أيوب بن زيد للتوفى سنة ٨٤ هـ (٢) يندس - يضرب (٣) سماه النويري
في نهاية الأرب (٦٩/١٠) محمد بن الحسن بن الحرون (م) (٤) التبوع: إبعاد خطو الفرس
في جريه (٥) صفن الفرس: قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة (٦) ابن: ترقب

آيات لتأبط

شرا

وأول هذه الآيات :

وإني لمهْدٍ من تَنَائِي قَقَاصِدٌ
 أهزُّ به في نَدْوَةِ الحَيِّ عِطْفَهُ
 قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلمُؤَلِّمِ بِصِيبِهِ
 يَظَلُّ بِمَوَاطِةٍ وَيُؤَسِّى بِعَاطِرِهَا
 وَيَسْبِقُ وَفَدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي
 إِذَا خَاطَ عَيْنِيه كَرَى النُّومِ لَمْ يَزَلْ
 إِذَا طَلَعَتْ أُولَى العَدُوِّ فَانْفَرُهُ
 وَيَجْعَلُ عَيْنِيه رَيْبِيَّةَ قَلْبِهِ
 إِذَا هَزَّهُ فِي عَظَمِ قِرْنٍ تَهَلَّتْ
 يَرى الوَحْشَةَ الأَنْسِ الأَنْسِ وَيَهْتَدِي

به لابن عم الصدق شمس بن مالك
 كما هزَّ عطفِي بالهجانِ الأوارِكِ (١)
 كثيرُ الهوى شتُ النَّوَى والمَسَالِكِ
 جَجِيشًا وَيَعْرَوْرِي ظُهُورَ المِهَالِكِ (٢)
 بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدَةِ المِتْدَارِكِ
 لَهُ كَالِيٌّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانِ فَاتِكِ (٣)
 إِلَى سَلَّةٍ مِنْ صَارِمِ العَرَبِ بَانِكِ
 إِلَى ضَرْبَةٍ مِنْ حَدِّ أَخْفِ صَائِكِ (٤)
 نَوَاجِدُ أَقْوَاهِ المَنَايَا الضَّوَّاحِكِ
 بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ (٥)

عقبة بن سنان
 يصف خيلا
 أهداها عمرو
 ابن العاص
 لمعاوية

وأهدى عمرو بن العاص إلى معاوية ثلاثين فرسا من سوابق خيل مصر ،
 فعرضت عليه ، وعنده عقبة بن سنان بن يزيد الحارثي ، فقال له معاوية : كيف
 ترى هدايانا يا أبا سعيد ؟ فإن أخاك عمرا قد أظنَّب في وصفها ، فقال : أراها
 يا أمير المؤمنين على ما وصف ، وإنها لمُخَيَّلَةٌ (٦) بكلِّ خير ؛ إنها لسائِيَةُ العُيُونِ ،
 لاحقة البطون ، مصغية الآذان ، قبَاءُ الأَسنان (٧) ، ضِحَامُ الرُّكَبَاتِ ، مشرفات

(١) الندوة : المجتمع ، والهجان : الإبل الكريمة ، والأوارك : راعية الأراك
 (٢) الموماة : الفائزة ينعدم فيها الماء ، وججيش : منفرد ، ويعروري : يركب
 على العري ، يريد أنه يركب ظهور المهالك بلا سرج وهو تعبير بدوي
 (٣) الكليء : الحافظ ، والشيحان : الحازم ، يريد أن قلبه يقظ وإن نامت
 عينه ، وفي الأصل « سبحان »

(٤) الربيثة : الرقيب ، والصائك : القاطع ، وفي الأصل « صابك »
 (٥) أم النجوم الشوابك : هي الشمس (٦) مخيلة : مبشرة (٧) قباء : لها صرير

الحجبات^(١)، رِحَابِ الْمَنَاخِرِ، صِلَابُ الْخَوَافِرِ، وَقَعُهَا تَحْلِيلٌ، وَرَفَعَهَا تَعْلِيلٌ^(٢)
فهذه إن مُطْلَبَتِ سَبَقَتْ، وَإِنْ طَلَبَتْ لَحِقَتْ. قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: أَصْرَفَهَا إِلَى
رَحْلِكَ؛ فَإِنَّ بِنَا غِنَاهَا غَنَى، وَبِفَتْيَانِكَ إِلَيْهَا حَاجَةٌ.

لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ

وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ:

وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَعُودُ حَيْلِنَا إِذَا مَا التَّقِينَا أَنْ تَحْمِيدَ وَتَنْفِرَا
وَنُنْكَرُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَلْوَانَ حَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسِبَ الْجُونَ أَشْقَرَا^(٣)
فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ تَرُدَّهَا صِحَاحًا، وَلَا مُسْتَنْكَرًا أَنْ تُعَقَّا

بَعْضُ الْعَرَبِ

وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةَ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ^(٤)
فَدَعَوْا: نِزَالِ! فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلِ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

لِأَعْرَابِي

وَوَصَفَ أَعْرَابِي فَرَسًا فَقَالَ: لَمَّا أُرْسِلْتَ الْخَيْلَ جَاءُوا بِشَيْطَانٍ فِي أَشْطَانِ^(٥)،
فَأَرْسَلُوهُ، فَلَمَعَ لَمَعُ الْبَرْقِ، وَاسْتَهْلَّ اسْتَهْلَالَ الْوَدْقِ^(٦)، فَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ
الَّذِي يَقَعُ عَيْنُهُ مِنْ بُعْدِهِ عَلَيْهِ.

لِأَعْرَابِي

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ: عِنْدَهُ فَرَسٌ طَوِيلٌ الْعِدَارِ، أَمِينٌ الْعِثَارِ؛
فَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَهُ عَلَيْهِ ظَنَنْتُهُ بَازِيَا عَلَى مَرَبَأٍ، عَلَيْهِ رُمْحٌ طَوِيلٌ يَقْصُرُ بِهِ الْأَجَالَ.
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ فِي هَذَا التَّنَابُغِ:

لَقَيْنَاهُمْ بِأَرْمَاحِ طَوَالٍ تُبَشِّرُهُمْ بِأَعْمَارٍ قِصَارِ

(١) جمع حجية - بالتحريك - وهي من الفرس ما أشرف على صفاق البطن من وركيه (٢) التحليل والتعليل: من حركات الخيل

(٣) الجون: الأسود (٤) الأوظفة: جمع وظيف، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها، والهيكل: الفرس الطويل

(٥) الأشطان: جمع شطن - بالتحريك - وهو الحبال (٦) الودق: المطر

أعرابي يصف خيله بنى يربوع نَقَعُ^(١) ، كأن هَوَادِيهَا أَعْلَامٌ ، وَأَذَانُهَا أَقْلَامٌ ، وَفِرْسَانُهَا أُسُودٌ آجَامٌ^(٢) .
ووصف أعرابي خيلا لبنى يربوع فقال : خَرَجَتْ عَلَيْنَا خَيْلٌ مِنْ مُسْتَطِيرِ

ولما أنشد العماني الرشيد يصف فرسا :

كَأَنَّ أذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّسًا

ولحن ، ففهم ذلك أكثر من حضر ؛ فقال الرشيد : اجعل مكان « كَأَنَّ »
تَحَالٌ ، فَعَجَبُوا لِسُرْعَةِ تَهْدِيهِ .

وللطائيين في هذا النوع أشعار كثيرة منعت من اختيارها كثرة أشتهاها ؛
لأنى تمام يصف فرسا وسأئشد بعض ذلك ، قال أبو تمام :

ما مُقَرَّبٌ^(٣) يَحْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ مِلَانَ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلْهُوقٍ^(٤)
بِحَوَافِرِ حُفْرٍ وَصَلَّتْ أَصْلَتُ^(٥) وَأَشَاعِرِ شُعْرِ^(٦) وَخَلَقَ أَخْلَقِي
ذُو أَوْلَقٍ تَحْتِ الْعِجَاجِ ، وَإِنَّمَا مِنْ صِحَّةِ إِفْرَاطِ ذَاكَ الْأَوْلَقِ^(٧)
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَلْبَسْتُهُ مِنْ سُنْدُسٍ بُرْدًا وَمِنْ إِسْتَبْرَقِ
إِمْلِيَسَةَ إِمْلِيدَةَ لَوْ عُلِّقَتْ فِي صَهْبُوتِيهِ الْعَيْنُ لَمْ تَتَعَلَّقِ^(٨)
مُسَوِّدَ شَطْرِ مِثْلِ مَا سَوِّدَ الدَّجِي مَبِيضُ شَطْرِ كَابِيضَاضِ الْمُهْرِقِ^(٩)

(١) النقع : غبار الحرب

(٢) الآجام : جمع أجمة - بفتحات - وهي مسكن الأسود (م)

(٣) المقرب والمقربة - على صيغة المفعول - الفرس التي تدنى وتقرب لكلا يطرقها

فحل لثيم (٤) التلهوق : بريق البياض في الفرس (٥) الصلت : اجئين الواضح

(٦) الأشاعر : جمع أشعر ، وهو ما استدار بالحافر من منتهى الجلد

(٧) الأولق : الجنون (٨) الصهوة : موضع السرج من الفرس ، والشاعر

يصف الفرس بأنه إمليسة إمليدة أى ناعم الملمس براق .

(٩) المهرق : الصحيفة

وقال أبو عبادة :

للبحترى يصف
فرسا

وأغرَّ في الزَّمنِ البهيمَ مُحجَّلٍ
وَأفَى الضُّلوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ
يهوى كَهَوَاتِ الْعُقَابِ إِذَارَاتُ
متوحَّشٍ بَدَقِيقتينِ كَأَنَّمَا
كالرَّاحِ النَّشْوَانِ أَكْثَرُ مَشِيهِ
ويظنَّ رِيْعَانَ الشَّبابِ يَرَوْعُهُ
هَزَجِ الصَّهِيلِ كَانَ فِي نَبْرَاتِهِ
تُتَوَهَّمُ الْجَوْزَاهُ فِي أَرْسَائِهِ
صَافِي الأَدِيمِ كَأَنَّمَا عُيِنَتْ لَهُ
وكَأَنَّمَا كَسَى الخُدُودَ نَوَاعِمًا
وكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَلَيْهِ صِبْغَهَا
قد رَحَّتْ مِنْهُ عَلَى أَغْرٍ مُحجَّلٍ (١)
يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَى مُعِمِّ مُحْوَلٍ
صِيدًا وَيَنْتَصِبُ انْتِصَابَ الأَجْدَلِ (٢)
ثُرْيَانٍ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلٍ (٣)
عَرَضَ عَلَى السَّنَنِ البَعِيدِ الأَطْوَلِ
مِنْ نَشْوَةٍ أَوْ جِنَّةٍ أَوْ أَفْكَلٍ (٤)
نَعْمَاتٍ مَعْبَدَةٍ فِي التَّثْقِيلِ الأَوَّلِ
والبَدْرِ غُرَّةٌ وَجْهَهُ التَّمَهَّلِ
بِصَفَاءِ نُقْبَتِهِ مَدَاوِكُ صَيَقَلٍ (٥)
مَعَهَا تَلَاحِظَهَا بِلَخْظٍ يَخْجَلِ
صَهْبَاءَهُ لِلبَرْدَانِ (٦) أَوْ قَطْرُ بِلِ (٧)

- (١) البهيم : المظلم ، والغرة والتحجيل : بياض في الجهة والقوائم ، والأغر المحجل هو الفرس ، وهو مجازاً الرجل الكريم
(٢) الاجدال : الصقر (٣) الدقيقتان : صفة للساقين (٤) الأفكل : الرعدة
(٥) المداوك : جمع مدوك ، وهو المصقلة بكسر الميم فهما ، يقال : داك الصيقل السيف وسنه بالمدوك . وأخذنا في الدوك وهو تسوية الحلية وتزيينها
(٦) البردان ، بالتحريك ، اسم لعدة أما كن ، والمراد به هنا الموضع الذي كان بهذا الاسم قرب بغداد ، وكان مشهوراً بالتمر ، وفيه يقول جحظة :
ادفع ورود الهم عنك بقهوة مخزونة في حانة الخمار
جازت مدى الأعمار ؛ ففي كأنها عند المذاق تزيد في الأعمار
يسعى بها خنث الجفون منم في خده ماء النضارة جار
في رقة البردان بين مزارع محفوفة ببنفسج وبهار
بلد يشبه صيفه بخريفه رطب الأصائل بارد الأسحار
(٧) قطربل بضم فسكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة ولام ، اسم قرية

مَلَكَ العيونَ ؛ فَإِنِ بَدَأَ أُعْطِيَنَهُ نَظَرَ المُحِبِّ إلى الحبيبِ المُقبِلِ
وقال إسحاق بن خلف النـروانى لأبى دُلفَ ، وكان له فرسٌ أدهمٌ

يسميه غرابا :

إسحاق بن
خلف يصف
فرس أبي دلف

لو يستطيعُ شَكَاَ إليكَ لَهُ الفمُ
خَطُّ يَنْمِقُهُ الحُسامُ المُخْذَمُ^(١)
حتى يُفوتَ الریحَ وهو مُقدَّمُ
واللونُ أدهمٌ حينَ صَرَجهَ الدَّمُ
وكانهُ بِعُرىِ المجرَّةِ مُلجَمُ
كم كم تجرعه المنون ويسلمُ
من كل منبت شعرة من جلده
ما تدركُ الأرواحُ أدنى جريه
رجعته أطرافُ الأسننة أشقرا
وكأتما عقد النجوم بطرفه

وقال أبو الطيب :

جَفَتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطِقَ قَوْمِهَا
وأطعمهم والشهبُ في صور الدَّهْمِ

وقال أبو الفتح كشاجم :

إذ لاح في السرج المحل الأدهمُ
ليخص بالديباج إلا الأكرمُ
وكذا الظلامُ تثيرُ فيه الأنجمُ
وكأتما هو بالثريا ملجمُ
قد راح تحت الصبح ليلٌ مظلم
ديباج ألوان الجياد ، ولم يكن
ضحك الأجبين على سواد أديمه
فكأنه بينات نعشٍ ملببٌ

لأبي الفتح
كشاجم

قلت : هذا من قول ابن المعتز :

ألا فاسقياني والظلامُ مقوضٌ
ونجمُ الدجى تحت المغارب ير كضٌ

لابن المعتز

= بين بغداد وعكبر ينسب إليها الحمر . وكانت لها أخبار كثيرة تتسع لكتاب في عدة مجلدات كما قال ياقوت ، إذ كانت ملعبا للاهين من شعراء الحمر والمجون

(١) المخدم : القاطع

لأبي الفتح
أيضاً

كَأَنَّ الثَّرِيَاءَ فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ :
مَنْ شَكَّ فِي فَضْلِ الْكُمَيْتِ فَبَيْنَهُ
فِي مَنْظَرٍ مُسْتَحْسَنٍ مَحْمُودَةٍ
مَاءٌ تَدْفُقُ طَاعَةً وَسَّلَاسَةً
وَإِذَا عَطَفْتَ بِهِ عَلَى نَاوِرِدِهِ
وَصَفَّ الْخُلُوقَ أَدِيمَهُ فَكَأَنَّمَا
قَصَرَتْ قِلَادَةُ نَجْرِهِ وَعِذَارِهِ
وَكَأَنَّمَا هَادِيهِ جِدْعٌ مُشْرِفٌ
يَرِدُ الضَّحَاضِحَ غَيْرِثَانِي سُنْدِكِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ لِلْخَيْلِ نِسْبَةَ خَلْقِهِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَنَايِبُ سُمْرٍ مِّنْ قَنَا اَلْخَطِّ ذُؤَبِلُ
فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ
قَوْلُهُ : « ظَالِمِينَ » مِنْ أَبْدَعِ حَشْوٍ جَرَى فِي بَيْتٍ ، وَكَأَنَّ ابْنَ الْمُعْتَزِ أَشَارَ
إِلَى قَوْلِ أَعْرَابِي مَوْلِدٍ :

وَإِذَا هَاجَ شَوْقِي مِنْ مَعَاهِدِهَا ذِكْرٌ (٤)
لَكَ الضَّرْبُ ، فَاصْبِرْ ، إِنْ عَادَ تَكَ الصَّبْرُ (٥)

لأبي المعز أيضاً

أَرَا جَعْتِي فِدَاكَ بِأَعْوَجِي
كَقَدْحِ النَّبْعِ فِي الرَّيْشِ اللَّوَامِ (٦)

(١) الخلق : نوع من الطيب (٢) هاديته : صدره (٣) الضحاضح : بقايا الماء
(٤) العود : البعير (٥) ذلفاء : اسم امرأة ، يريد أن حب السرعة إلى لقاءها هو
السبب في ضرب راحلته (م) (٥) الأعوجي : الفرس الكريم ، منسوب إلى أعوج ،
واللوام : الحكم

بأدهم كالظلام أغرَّ يَجْلُو
تَرَى أَحْجَالَهُ يَصْعَدْنَ فِيهِ
بغرته دياجير الظلام
صعود البرق في جو الغمام
وقال أيضاً :

قد أغتدي والضُّحُ كالمشيب
بقارحٍ مُسومٍ يعبوب
في أفقٍ مثل مدالك الطيب
أو آسة أوفت على قضب
ذى أذن كخوصة العسيب^(١)
أسرع من ماء إلى تصويب
يسبق شأو النظر الرحيب
ومن رجوع لحظة المرهب^(٢)
وقال :

رُبَّ رَكْبٍ عرَّسوا ثم هبوا
وعدونا بأعنة خييل
نحو إسراجٍ وشد رحال
زيتها غرر ضاحكات
تأكل الأرض بأيدي عجال
كبدور في وجوه ليال
وقال علي بن محمد الأيادي :

مسح الظلام بعرفه يده
وقال الناشء أبو العباس عبد الله بن محمد :

اعلى الايادي

لأبي العباس
الناشء

أحوى عليه مسامح من ليطة
فكانه متلفع قبطية
شهب تسيل على نواشر ساقه^(٣)
وبياضه كالضبح في إشراقه
صافي الأديم كريمة أنسابه
أخلاقه عين على أعراقه
أثناؤها مشدودة بنطاقه

(١) القارح : الفرس القوى ، ومسوم : وضعت عليه السومة ، وهي العلامة ،
واليعبوب : الفرس السريع الطويل ، والعسيب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة
والذي لم يثبت عليه الخوص من السعف
(٢) تصويب : أخدار (٣) الليطة - بكسر اللام - قشر القصبه والقوس والقناة

كتب أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي إلى الأمير أبي
الفضل عبد الله بن أحمد بن ميكال ، وقد زاره الأمير في داره :

لا زال مجدك للسمك رسيلا وعلو جدك بالخلود كفيلا^(١)
يا غرة الزمن البهيم إذا غدا أهل العلاء لزمانهم تحجيلا
بإزائراً مدت سحائب طوله ظللاً على من الجمال ظليلا
وأنت بصوب جواهر من لفظه حتى انتظمن لفرقي إكليلا
بأبي وغير أبي هلال نوره يستعجل التسيح والتهليلا
نقشت حوافر طرفه في عرصتي نقشاً مجوت رسومه تقيلا
ولو استطعت فرشت مسقط خطوه بعيون عين لا ترى التكجيلا
ونثرت روعي بعدما ملكت يدي وخررت بين يدي هواه قتيلا

وقال أبو القاسم بن هاني يصف خيل المعز :

له المقربات الجرد يُنعلمها دماً إذا فرعت هام الكرامة السائبك
يريق عليها اللؤلؤ الرطب ماءه ويسبك فيها ذائب التبريسايبك
صقيلات أجسام البروق كأنما أمرت عليها بالشموس المداوك

وقال يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون :

تهلل مصقول النواحي كأنه إذا جال ماله الحسن فيه غريق
من البهم ورد اللون شيب بكمته كما شيب بالمسك الفتيق خلو^(٢)
فلوميز منه كل لون بذاته جرى سبج منه وذاب عقيق^(٣)

وقال في قصيدة يمدح بها أبا الفرج الشيباني :

فتقت لكم ريح الجلال بعنبر وأمدكم فلق الصباح المسفر

(١) رسيل : قرين (٢) البهم : جمع بهم ، وهو الأسود ، وشيب : خلط

(٣) السبج : السواد ، والعقيق : أراد الأحمر

لابن هاني
يصف خيل
المعز

ولابن هاني
أيضاً

وجنيتم ثممر الوقاع يانعا
 أبني العوالي السمهرية والسيو
 من منكم الملك المطاع كأنه
 القائد الخليل العتاق شوازيبا
 شعث النواصي حسرة آذانها
 تنبو سنا بكهن عن عقر الثرى
 في فنية صدا الحديد عيبرهم
 لا يأكل السرحان شلو عقيرهم

بالتصر من ورق الحديد الأخضر
 ف المشرفية والعديد الأكثر
 تحت السوانغ تبع في حخير
 خزرا إلى لحظ السنان الأخضر (١)
 قب الأياطل داميات الأنسر (٢)
 فيطان في خد العزيز الأصغر (٣)
 وخلو فهم علق النجيع الأحمر (٤)
 مما عليه من القنا المتكسر (٥)

وقال في قصيدة يمدح بها إبراهيم بن جعفر بن علي :

فخر لطف أعوجى أنت في
 يبيدي لعزك نخوة ، فكأنه
 هاد على الخليل العتاق ، كأنه
 صهواته والحسن والتطهيم (٦)
 ملك تدين له الملوك عظيم
 بين الدجنة والصباح صريم (٧)

(١) شوازيب : جمع شازب ، وهو الفرس الضامر ، والخزر : جمع أخزر ، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه

(٢) الأياطل : جمع أياطل وهو الخصر ، وقب : جمع أقب وقباء من القبب بالتحريك وهو دقة الخصر وضمور البطن ، والأنسر : جمع نسر ، وهو ما ارتفع في باطن حافر الفرس من أعلاه .

(٣) الأصغر : الذي يصغر خده ويميله عن النظر إلى الناس تهاونا وكبرا

(٤) النجيع : دم الجوف ، والعلق : الدم الغليظ ، والخلو : الطيب

(٥) المرحان : الذئب ، والشلو : العضو والجسد

(٦) التطهيم : الحسن ، يقال : جواد مطهم ، ورجل مطهم ، وامرأة في خلقها تطهيم

(٧) العتاق : الخيل الجياد ، والدجنة : الظلمة ، والصريم : المنقطع ، وأصله

الرملة المنصرمة من الرمال . والمراد أن لونه وسط بين السواد والبياض فهو كبيت

سَامِي الْقَدَالِ بِمِسْمَعِيهِ عِيَافَةً^(١) تَحْتَ الدَّجِي وَاطْرَفِهِ تَنْجِيمٌ^(١)
 أُذُنٌ مُؤَلَّلَةٌ ، وَقَلْبٌ أَصْمَعٌ^(٢) وَحَشًّا أَقْبٌ ، وَكَلْكَلٌ مَلُومٌ^(٢)
 فَالطَّوْدُ مِنْ صَهَوَاتِهِ مُتَزَلِّزٌ^(٣) وَالجَيْشُ مِنْ أَنْفَاسِهِ مَهْزُومٌ^(٣)
 خَرَقَ الْعَيُونَ فَفَضَّلَ عَنْهَا لَوْنَهُ^(٤) وَصَفَا قَلْبُنَا مَا عَلَيْهِ أَدِيمٌ^(٤)
 فَكَأَنَّمَا جَدَّتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ^(٥) وَاجْبَابَ عَنْهُ عَارِضٌ مَرَّ كَرِيمٌ^(٥)
 وَكَأَنَّمَا نُحِرَتْ عَلَيْهِ بَوَارِقٌ^(٦) وَكَأَنَّمَا كُسِفَتْ عَلَيْهِ نُجُومٌ^(٦)
 وَكَأَنَّكَ ابْنُ الْمُنْذِرِ النِّعْمَانُ فَوْ^(٧) قِ سِرَاتِهِ ، وَكَأَنَّهُ الْيَحْمُومُ^(٧)

لعلى بن محمد
الإيادي

وقال علي بن محمد الإيادي يصف فرس أبي عبد الله جعفر بن أبي القاسم القائم:
 وَأَقْبٌ مِنْ لِحْقِ الْجِيَادِ ، كَأَنَّهُ^(٥) قَصْرُهُ تَبَاعَدَ رُكْنُهُ مِنْ رُكْنِهِ^(٥)
 لَدَيْتُ قَوَائِمَهُ عَصَابَ فِضَّةٍ^(٦) وَغَدَّتْ بِسُمُرٍ صَفَا الْمَسِيلِ وَدُكْنِهِ^(٦)
 وَكَأَنَّمَا انْفَجَرَ الصَّبَاحُ بِوَجْهِهِ^(٦) حُسْنًا ، أَوْ اخْتَبَسَ الظَّلَامُ بِمَتْنِهِ^(٦)
 قَيْدُ الْعَيُونَ إِذَا بَصُرْنَ بِشَخْصِهِ^(٧) وَرَضَا الْقُلُوبَ إِذَا اصْطَلَمِينَ بَضْعِنِهِ^(٧)
 مُنْسَيِّطِرٌ بِالرَّاكِبِينَ ، كَأَنَّهُ^(٧) بَازٍ تَرُوحُ بِهِ الْجُنُوبَ لَوْ كُنْهِ^(٧)

(١) القدال : معقد العذار من الفرس خلف الناصية ، والعيافة : زجر الطير وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتسعد أو تتشأم ، والعائف : المتسكهن بالطير أو غيرها ، والتنجيم : النظر في النجوم بحسب مواقعيتها وسيرها ، والمراد أن أذن هذا الجواد تدلانه على مواقع الخير والشر في الظلام

(٢) مؤللة : من قولهم «أل الفرس» إذا نصب أذنيه وحددهما ، والقلب الأصمع : هو الذكي التيقظ ، والأقب : الضامر ، والكلكل : الصدر ، ومن الفرس ما بين محزومه إلى مامس الأرض منه إذا ربح.

(٣) العارض : السحاب المنعترض في الأفق ، والمركوم : المتراكم الذي جمع بعضه

فوق بعض . (٤) اليحوم : علم على فرس النعمان بن المنذر (م)

(٥) أقب : ضامر دقيق ، ولحق : ضمير (م) (٦) متنة : ظهره (م)

(٧) الوكن : العش ومثله الوكنة .

يستوقف اللحظات في خطراته
حلو الصهيل تحال في لهواته
متجبر يذني بعنق نجاره
ذو نخوة شمخت به عن نده
وكأنه فلك إذا حرركته
قد راح يحمل جعفر بن محمد

بكال خلقتِه ودقة حُسِنِه
حادٍ يصوغُ بدائعاً من لحنه (١)
إشرافُ كاهله ودقةُ أذنه (٢)
وشمامة طمحت به عن قرنه (٣)
جارٍ على سهلِ البلادِ وحرنه
تحملُ النسيمِ لوابلٍ من مزنه

وما أحسن ما قال أبو الطيب المتنبى :

لأبي الطيب
المتنبى

ويومٍ كالأونِ العاشقينَ كمنته
وعيني إلى أذني أغرَّ كأنه
له فضلةٌ عن جسمه في إهابه
شتقتُ به الظاماءَ ، أذني عنانه
وأصرعُ أيَّ الوحشِ قفئته به
وما الخيلُ إلا كالصديقِ قليلةٌ
إذا لم تشاهدْ غيرَ حُسنِ شياتها

أراقبُ فيه الشمسَ أيانَ تغربُ (٤)
من الليلِ باقٍ بين عينيه كوكبُ (٥)
تجىءُ على صدرٍ رحيبٍ وتذهبُ (٦)
فيظني ، وأرخبه مراراً فيلعبُ (٧)
وأنزلُ عنه مثله حينَ أركبُ (٨)
وإن كثرتُ في بين من لا يُجربُ
وأعضائها فالحسنُ عنك مُغيبُ (٩)

(١) اللهوات : مجارى الحلق

(٢) عنق النجار : كرم العنصر (٣) الند ، ومثله القرن : النظر

(٤) كمنته : أى كنت فيه واستترت (٥) أغر : من الغرة وهى البياض فى جهة الفرس

(٦) الإهاب : الجلد ، وهو يصف الفرس بعرض الصدر وسعة الجلد لتسهيل عليه

سرعة العدو

(٧) العنان : اللجام

(٨) قفئته : اتبعته ، ومثله : منصوب على الحالية من الضعيفى (عنه). يريد وصف

الحصان بدوام النشاط فهو عند النزول مثله عند الركوب

(٩) الشيات : الألوان

وينخرط في سلكِ هذا المعنى مقامة^(١) من مقامات الإسكندري في الكدبية^(٢) مما أنشأه بديعُ الزمان وأمله في شهور سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائة .
مقامة بديع
الزمان في
وصف فرس
قال البديع :

حدثنا عيسى بن هشام قال : حضرنا مجلسَ سيف الدولة يوماً وقد عُرِضَ عليه فرسٌ * متى ماترَقَّ العين فيه تَسَهَّلَ^(٣) * فلحظتُهُ الجماعة ؛ فقال سيف الدولة : أيكم أحسنَ صفته ، جعلته صِلته ؛ فكلُّ جَهدٍ جَهدَه ، وبذل ما عنده ؛ فقال أحدُ خدمِهِ : أصلحَ اللهُ الأمير ! رأيتُ بالأمس رجلاً يَطأُ الفصاحةَ بِنَعْلَيْهِ^(٤) ، وَتَقِفُ الأبصارُ عليه ، يُسَلِّي الناسَ ، ويشفي اليباسَ ، ولو أمر الأميرُ بإحضاره ، لفضلهم بِحِضَارِهِ^(٥) .

فقال سيفُ الدولة : علىَّ به في هيئته ، فصار الخدمُ في طلبه ، فجاءوا للوقف به ، ولم يُعلموه لأى حالٍ دُعِيَ به ، ثمَّ قُرَّبَ واستُدنى ، وهو في طَمْرَيْنِ قد أكل الدهرُ عليهما وشرب^(٦) ، وحين حضر السَّماطَ ، لثَمَّ البساطَ ، ووقف . فقال سيف الدولة : بلغتنا عنك عارضة^(٧) ، فأعرضها في هذا الفرس ووصفه . فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ! كيف به قبلَ ركوبه ووُثوبه ، وكشفِ عيوبه [وغُيوبه] ؟ فقال : اركبهُ ، فركبه وأجرأه ، ثم قال : أصلحَ اللهُ الأمير ! هو طويل الأذنين ،

(١) هذه المقامة شرحها مؤلف زهر الآداب فليعد القارىء إلى شرحه في الصحيفة التي تلى المقامة ، وليكتف منا بما نراه من الشرح القليل (وانظر مقامات البديع ١٥٠ بيروت) (٢) الكدبية : قسوة الدهر ، والمراد هنا الاستجداء (٣) يبروت (٤) يريد أن أعلاه وأدناه مستويان في الحسن ، وهذا التعبير مأخوذ من معلقة امرئ القيس

(٥) كناية عن اقتيادها له (٥) الحضار - بالكسر - أصله جودة السير وسرعته

(٦) الطمران : ثوبان باليان (٧) العارضة : سرعة البديهة

قليل الاتنين، واسع المرآث^(١)، تين الثلاث، غليظ الأكرع^(٢)، غامض الأربع، شديد النفس، لطيف الخنس، ضيق القلت^(٣)، رقيق الست، حديد السمع، غليظ السبع، رقيق اللسان^(٤)، عريض الثمان، شديد الضلع^(٥)، قصير التسع، واسع السخر^(٦)، بعيد العشر، يأخذ بالسابع، ويطلق بالرايح، ويطلع بلائح، ويضحك عن قارح، يحز وجه الكديد^(٧)، بمداق الحديد، يحضر كالبحر إذا ماج، والسيل إذا هاج.

قال سيف الدولة: لك الفرس مباركاً فيه. فقال: لازلت تأخذ الأنفاس، وتمنح الأفراس، ثم انصرف، وتبعته، وقلت: لك على ما يليق بهذا الفرس من خلة إن فسرت ما وصفت، فقال: سل عما أحيت

فقلت: ماعنى قولك: بعيد العشر؟ فقال: بعيد النظر، والخطو، وأعلى الجنين^(٨)، وما بين الوقبين والجاعرتين، وما بين الغرابين، والمنخرين، وما بين الرجلين، وما بين النقرة والصفاق، وبعيد القامة في السباق.

فقلت: لا فض فوك! فما معنى قولك: قصير التسع؟ قال: هاك: قصير الشعرة، قصير الأطرة، قصير العسيب، قصير القضيب، قصير العضدين، قصير الرُسغين، قصير النساء، قصير الظهر، قصير الوظيف.

فقلت: لله أنت! فمات معنى قولك: عريض الثمان؟ قال: عريض الجبهة، عريض الصهوة، عريض الكتف، عريض الجنب، عريض الورك، عريض العصب، عريض البلدة، عريض صفحة العنق.

فقلت: أحسنت، فما معنى قولك: غليظ السبع؟ قال: غليظ الذراع،

(١) اللراث: خوران الفرس، وهو المبعر (٢) الأكرع: جمع كراع، وهو مادون الكعب (٣) القلت: النقرة في رأس الورك (٤) في المقامات «دقيق اللسان» (م) (٥) وفيها «مديد الضلع» (م) (٦) وفيها «واسع الشجر» وفي نسخة «واسع النحر» (م) (٧) الكديد: الأرض الغليظة، وفي المقامات «وجه الجديد» (م) (٨) بعد أعلى الجنين كناية عن متانة الخلق

غليظ الحزيم ، غليظ العكوة ، غليظ الشوى ، غليظ الرنغ ، غليظ الفخذين ، غليظ الجبال^(١) .

فقلت : لله درك ! فما معنى قولك : رقيق الست ؟ فقال : رقيق الجفن ، رقيق السالفة ، رقيق الجحفة ، رقيق الأديم ، رقيق أعلى الأذنين ، رقيق العرضين^(٢) .

فقلت : أجدت ، فما معنى قولك : لطيف الخمس ؟ قال : لطيف الزور ، لطيف النسر ، لطيف الجبة ، لطيف العجاية ، لطيف الركة .

فقلت : حياك الله ! فما معنى قولك : غامض الأربع ؟ قال : غامض أعلى الكتفين ، غامض المرفقين ، غامض الججاجين ، غامض الشطى .

قلت : فما معنى قولك : لئن الثلاث ؟ قال : لئن المرذعتين ، لئن العرف ، لئن العنان

قلت : فما معنى قولك : قليل الأثنين ؟ قال : قليل لحم الوجه ، قليل لحم المتنين .

قلت : فمن أين نبت هذا العلم ؟ قال : من الثغور الأموية ، وبلاد الإسكندرية .

فقلت له : أنت مع هذا الفضل ، تعرض وجهك لهذا البذل ؟! فأناشأ يقول :

ساحف زمانك جيداً فالدهر جيدٌ سخيف
دع الحمية سياً وعش بخير وريف
وقل لعبدك هذا يحيى لنا برغيف

سقط عنا تفسيره في « لئن الثلاث »^(٣) ، وأكثر هذا التفسير يحتاج إلى

(١) الجبال : جمع جبل ، والمراد بها هنا العروق ، وهكذا وقع هذا « اللفظ »

وسيكرره المؤلف في شرح ألفاظ هذه المقامة : ووقع في أصل المقامات (١٥٥ بيروت « غليظ الحاذ » والحاذ : الظهر ، أو موضع اللبد من الفرس (م)

(٢) في المقامات « العرضين » بالعين المهملة (م)

(٣) قول المؤلف : « سقط عنا تفسيره في لئن الثلاث » يدل على أن المقامة التي

أثبتها لم يكن فيها تفسير « لئن الثلاث » ولكن النص الموجود فيه تسييراً ذلك ،

فمن المرجح إذن أن يكون بعض النساخ أضاف هذا التفسير إلى المقامة نقلًا عن

إحدى نسخ المقامات ، وقد فات ذلك الناسخ أن يشير إلى أن المؤلف نقل عن نسخة لم يكن فيها تفسير « لئن الثلاث »

تفسير، ولم يُردّ بما أُورد إفهام العوامّ ، والبلاغة لمحّة دالة ، و بلاغة النثر أخت بلاغة الشعر ؛ وقد قال البحترى :

والشعر لمح تكفى إشارته وليس بالهذر طوّلت خطبته

وسأقول في شرحه بكلام وجيز زيادة في الإفادة : الوَقْبَان : نُقْرَتَانِ فَوْقَ الْعَيْنَيْنِ . وَالْجَاعِرَتَانِ مِنَ الْفَرَسِ : مَوْضِعُ الرَّقْمَيْنِ مِنَ الْحِمَارِ ، وَهِيَ مَمْتَهَى ضَرْبِهِ بَدَنَبِهِ إِذَا حَرَّ كِه . وَالغَرَابَانِ : النَّائِثَانِ مِنْ أَعْلَى الْوَرَكَيْنِ ، وَذَكَرَ النَّقْبَةَ هُنَا ، وَهُوَ الَّذِي يُعْرَفُ بِالْمَنْقَبِ ، وَهُوَ مِنَ الشَّرَّةِ حَيْثُ يَنْقَبُ الْبَيْطَارُ . وَالصَّفَاقُ : الْخَاصِرَةُ ، وَقَدْ قِيلَ : جِلْدُ الْبَطْنِ كُلِّهِ صَفَاقٌ ، وَالَّذِي أَرَادَهُ الْخَاصِرَةَ . وَأَرَادَ بِبُعْدِ الْقَامَةِ فِي السِّبَاقِ امْتِدَادَهُ إِذَا جَرَى مَعَ الْأَرْضِ . وَالْأُطْرَةَ هُنَا : طَرَفَ الْأَبْهَرِ ، وَهِيَ خَفِظَةٌ غَلِيظَةٌ . وَالْأَبْهَرُ : عِرْقٌ يَسْتَبْضِنُ الظَّهْرَ ، فَيَتَّصِلُ بِالْقَلْبِ ، وَقِيلَ : هُوَ الْأَخْلُ . وَالْعَسِيبُ : عَظْمُ الذَّنْبِ . وَالرُّسْعُ مِنَ الْفَرَسِ : مَوْضِعُ الْقَيْدِ . وَالنَّسَا : عِرْقٌ مُسْتَبْطِنٌ الْفَخْذَيْنِ ، وَقَصْرُهُ مَحْمُودٌ فِي جَرِي الْفَرَسِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْمَحُ بِالْمَشْيِ . وَالْوَضِيفُ لِكُلِّ ذِي أَرْبَعٍ : مَا فَوْقَ الرُّسْعِ إِلَى السَّاقِ . وَالصَّهْوَةُ : الظَّهْرُ . وَالْبَلْدَةُ : مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ . وَالْعُكْوَةُ : مَغْرَزُ الذَّنْبِ . وَالشَّوَى : الْأَطْرَافُ . وَالْحِبَالُ : حِبَالُ الْعَاتِقِ وَالظَّهْرِ . وَالْبَحْفَلَةُ مِنْ ذَوَاتِ الْحَافِرِ : كَالشَّفَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ . وَالغُرْضَانُ مِنَ الْفَرَسِ : مَا انْحَدَرَ مِنْ قَصَبَةِ الْأَنْفِ مِنْ جَانِبَيْهَا . وَالزُّورُ : الصَّدْرُ . وَالنَّسْرُ فِي الْحَافِرِ : لِحْمَةٌ يَابِسَةٌ أَسْفَلَهُ يَشْبَهُهَا الشَّعْرَاءُ بِالنَّوَى . وَالجُبَّةُ : الَّتِي فِيهَا الْحَوْشِبُ . وَالْحَوْشِبُ : حَشْوُ الْحَافِرِ . وَالْعُجَايَةُ : عَصَبٌ فِي قَوَائِمِ الْفَرَسِ وَالْبَعِيرِ مَرَكَّبٌ فِيهِ فَصُوصٌ مِنْ عِظَامٍ كَأَمْثَالِ الْكِعَابِ تَكُونُ عِنْدَ الرَّسْعِ . وَالْحِجَاجَانُ : الْعِظَامَانُ الْمُطِيفَانِ بِالْعَيْنِ . وَالشَّطَى : عَظْمٌ لَاصِقٌ بِالذَّرَاعِ . وَالْمَتْنَانُ : جَانِبَا الظَّهْرِ ؛ وَسَقَطَ عَنَّا تَفْسِيرُ الثَّلَاثِ مِنْ نَفْسِ الْمَقَامَةِ (١) .

(١) تلك الثلاث هي « لين المردغتين » والمردغة : ما بين العنق إلى الترقوة ، ثم « لين العرف » وهو الشعر الغزير النابت على عنق الفرس ، ثم « لين العنان » وهو سير اللجام ، ولين العنان : كناية عن طاعة الجواد

[قولهم في الوعد ومنزلة إنجازه]

قال الجاحظ : قال أبو القاسم بن معن السعودي لعيسى بن موسى : أيها الأمير ؛ ما انتفعتُ بك مُنذُ عرفتك ، ولا إلى خيرٍ وصلتُ منك منذَ صَحَبْتُكَ ، فقال : ولم ؟ ألم أكلّمُ لك أميرَ المؤمنين في كذا وكذا ؟ قال : بلى ! فهل استنجزتَ ما وُعدتَ ، وعاودتَ ما ابتدأتَ ؟ فقال : حالتُ دون ذلك أمورٌ قاطعة ، وأحوالٌ عاذرة . قال : أيها الأمير ، فما زدتني على أن نبهتَ الهمَّ من رَقَدته ، وأثرتَ الحزنَ من رُبضته ، إنَّ الوعدَ إذا لم يصحبه إنجازٌ يحقِّقه كان كلفظٍ لا معنى له ، وجسمٍ لا روحَ فيه .

وكلم منصورُ بنُ زيادٍ يحيى بنَ خالدٍ في حاجةٍ لرجلٍ ، فقال : عِدّه قِصَاءً ها . بين منصور بن زياد ويحيى بن خالد قال : قلت : أصلحك الله ! وما يدعوك إلى العِدّة مع وجود القدرة ؟ فقال : هذا قولٌ من لا يعرفُ موضعَ الصنائع من القلوب ، إنَّ الحاجةَ إذا لم يتقدّمها موعِدٌ ينتظر به نُجْحُها لم تتجاذبِ الأنفسُ سرورها ؛ إنَّ الوعدَ تطعمُ والإنجازَ طعامٌ ؛ وليس من فاجأه طعامٌ كمن وجدَ رائحته ، وتمطّق به ، وتطعمه ثم طعمه ؛ فدعِ الحاجةَ تُختمْ بالوعدِ ؛ ليكونَ بها عند المصطنعِ حُسنُ موقعٍ ، ولُطفُ محلٍّ .

ووعده المهديُّ عيسى بنَ دأبٍ جاريةً ، ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن مُصعبُ الزبيرى معرّضاً يقول مضرّسُ الأسدي :

فلا تياسنَ من صالحٍ أن تنالهُ وإن كانَ قدماً بين أيدي تبادره

فضحك المهديُّ ، وقال : ادفعوا إلى عبد الله فلانة ، لجاريةٍ أخرى ؛ فقال عبد الله بن مصعب :

أنجز خَيْرُ الناسِ قبيلَ وعده أراح من مظلٍ وطولِ كده

فقال ابن دأب : ما قلت شيئاً ، هلا قلت :

حَلَاوَةٌ الْفَضْلُ بَوَعْدٍ يُنَجِّزُ لَا خَيْرَ فِي الْعُرْفِ كَنَهَبٍ يُنْهَزُ
فَقَالَ الْمَهْدِيُّ :

الْوَعْدُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ إِذَا تَقَدَّمَ ضَمَانُ

وقد قال أبو قابوس النصراني يمدح يحيى بن خالد :
رَأَيْتُ يُحْيِي ، أَمَّمَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ ، يَأْتِي الَّذِي لَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ
يَنْتَسِي الَّذِي كَانَ مِنْ مَعْرُوفِهِ أَبَدًا إِلَى الرَّجَالِ ، وَلَا يَنْتَسِي الَّذِي بَعْدُ
وقال أبو الطيب التنبلي :

لأبي قابوس
يمدح يحيى بن
خالد

لأبي الطيب
التنبلي

قَوْمٌ بُلُوغُ الْغُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنٌ نُحُورِ الْكِبَاةِ لَا الْحُلْمُ
كَأَمَّا يُوَلِّدُ النَّدَى مَعَهُمْ لَا صِفْرٌ عَادِرٌ وَلَا هَرَمٌ
إِذَا تَوَلَّوْا عِدَاوَةً كَشَفَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا
تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتِدَادَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا^(١)

ودخل أبو علي البصير على الفضل بن يحيى ، فأنشده :

وَصِفَ الصَّدُّ لَمَنْ أَهْوَى فَصَدُّهُ وَبَدَا يَمْرُحُ بِالْهَجْرِ . فَجَدُّهُ
مَالَهُ يَعْدِلُ عَنِّي وَجْهَهُ وَهُوَ لَا يَعْدِلُهُ عِنْدِي أَحَدٌ
لَا تَرِيدُوا غِرَّةَ الْفَضْلِ ، وَمَنْ يَطْلُبُ الْفِرَّةَ فِي خَيْسِ الْأَسَدِ^(٢)
مَلِكٌ نَدَفَعُ مَا نَخَشَى بِهِ وَبِهِ نُصَلِّحُ مَنَّا مَا فَسَدَ
يُنَجِّزُ النَّاسُ إِذَا مَا وَعَدُوا وَإِذَا مَا أُجْزِيَ الْفَضْلُ وَعَدَّ

لأبي علي البصير
في الفضل
بن يحيى

وقال ابن الرومي في هذا المعنى :

لابن الرومي

لَهُ مَوَاعِدُ بِالْخَيْرَاتِ بَادِرَةٌ لَكِنَّا تَسْبِقُ الْمِعَادَ بِالصَّفَدِ^(٣)
يُعْطِيكَ فِي الْيَوْمِ حَقَّ الْيَوْمِ مَبْتَدَأًا وَلَا يُضَيِّعُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَقَّ غَدٍ

(١) الاعتداد : الاهتمام ، وفي طبعة بولاق « اعدادهم »

(٢) خيس الأسد : عرينه (٣) الصفد : العطاء

[من عرف قدر النعمة استدامها]

خطب سليمان بن عبد الملك فقال : أيها الناس ، مَنْ لم يعلم أبوابَ مدخله في الكرامة ، وجهل طريقته التي وقعت به على النعمة كان بعرضِ رجوع إلى دار هوان ، وانقلابٍ بفادحِ خسران .

بين سليمان بن
عبد الملك وأبي
وائله حاجبه

فقام إليه أبووائله السدوسي ، وهو حاجبه ، فقال : يا أمير المؤمنين كنا كما قال الله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) ، ثم صرنا كما قال زهير :

يَدُ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ تَنَاوَلَتْهُمْ بِإِحْسَانٍ فَيَسِ لَهَا مُزِيلُ
لَأَنَّ الْخَيْرَ أَجْمَعُ فِي يَدَيْهِ وَرَبِّي بِالْجِزَاءِ لَهُ كَفِيلُ

فقال سليمان : هذه والله المعرفة بقدر النعمة ، والعلم بما يجب للمنعم .

وروى يونس بن المختار في دار المأمون ، ومرتبته في أعلى مراتب بني العباس ، قاعداً على الأرض ، فقال الحاجب : ارتفع يا أبا المعلى إلى مرتبتك ، قال : قد رفعني الله إليها بأمر المؤمنين ، وليس لي عملٌ يبي بها ، فلم لأكرمها عن القعود عنها^(١) إلى أن يتهيأ لي الشكر عليها ؟ فبلغ الكلام المأمون ؛ فقال : هذا والله غاية الشكر ، وبمثلته تدرّ النعم .

يونس بن
المختار وحاجب
المأمون

وقال رجل للمعلى بن أيوب ، وقد رفعه المعتصم إلى مرتبة أهل بيته : ما يزيدك التقريب إلا تباعداً . فقال : يا هذا ؛ إني أصون تقريبه إياي بتباعدي منه ؛ لئلا تفسد حرمتي عنده بقلّة الشكر على نعمته .

بين رجل
والمعلى بن
أيوب

ولما استعان المنصور بالحارث بن حسان قال له : يا حارث ؛ إني قد مكنتك من حُسن رأيي فيك ، فاحفظه بتركِ إغفال ما يجب عليك ! قال : يا أمير حسان

بين المنصور
والحارث بن
حسان

المؤمنين ، مَنْ أَعْقَلَ سَبَبَ حُلُولِ النِّعْمَةِ ، وَلَهَا عَنِ الْحَالِ الَّتِي أَصَارَتْهُ إِلَيْهَا ،
استصحبَ اليأسَ من نَيْلِ مِثْلِهَا ، وانقطعَ رجاؤُهُ من الزيادةِ فيها ، فقال
أبو جعفر : مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ دَامَتْ النِّعْمَةُ لَهُ ، وَبَقِيَ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ .

ولما قال للمأمونُ لعبد الله بن طاهر عند قدومه من مصر : ما سررتني اللهُ
مند وليتُ الخِلافةَ بشيءٍ عَظُمَ مَوْقِعُهُ عِنْدِي ، بعد جميلِ عافيةِ اللهِ ، هو أكثرُ
من سروري بقدومك ، فقال عبدُ اللهِ : إِيذَنْ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَفْرِيقِ
أَمْوَالِي مِنْ طَارِفٍ وَتَالِدٍ . قال : ولم ؟ قال : شكراً على هذه الكلمة ؛ وإلا
قَصَّرَ بِي الْحَيَاءُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فقال المأمونُ لِمَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِهِ وَقَوَّادِهِ : مَا شِئْتُ مِنَ الْخِلافةِ يَنِيَّ لِعَبْدِ اللهِ بِيَعُضَ شُكْرِهِ .

بين المأمون
وعبد الله بن
طاهر

وقال أبو نواس :

لأبي نواس
في المعنى

قد قلتُ للعباسِ معتذراً
أنتَ امرؤٌ جَلَلْتَنِي نِعْمًا
عن ضعفِ شكريهِ ومُعْتَرِفًا
أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا (١)
فإليكَ مني اليسومُ تَقْدِمَةٌ
تَلْقَاكَ بِالْتَّصْرِيحِ مَنْكَشَفًا
لانسدينَ إلى عارِفَةٍ
حتى أقومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا

عارضه الناشئ واعترض معناه ، فقال :

للناشئ يعارض
أبا نواس

إِنْ أَنْتَ لَمْ تُحَدِّثْ إِلَيَّ يَدًا
لَمْ أَحْظَ مِنْكَ بِنَائِلٍ أَبَدًا
حتى أقومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا
وَرَجَعْتُ بِالْجُرْمَانِ مُنْصَرَفًا

وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

ماقنا أن نعودَ أُنْكَ أَوْلِيَّتْ أُمُورًا يَضِيقُ عَنْهَا الْجِزَاءُ
عَمَرْتَنَا مِنْكَ الْأَيْدِي اللُّوَاتِي مَا لِمِعْشَارِهَا لَدَيْنَا كِفَاءُ

(١) جللتني نعمًا : يريد غمرتني بها ، وأوهت : أضعفت (م)

فَهَانَا عَنْكَ الْحَيَاءُ طَوِيلًا ثُمَّ قَدْ رَدَدْنَا إِلَيْكَ الْحَيَاءَ
 وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ قَرُبْتَ التَّنَائِي وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ بَرَزْتَ الْجَفَاءَ
 غَيْرَ أَنَا أَنْضَاءَ شُكْرٍ أُرِيحَتْ وَقَدِيمَا أُرِيحَتْ الْأَنْضَاءُ^(١)

ألفاظ لأهل العصر

في المعجز عن الشكر لتكاثر الإناعام والبر

عندى من برّه ما ملك الاعتذار بأزمته ، وقبض السنة أمراء الكلام
 وأئمة . عندى له مبار^(٢) أعجزنى شكرها ، كما أعوزنى حضرها . شكره
 شأوه بعيد لا تبلغه أشواطى ، ولا أتلاقى التفريط فى حقه بإفراطى . إحسانه
 يُعيد العرب عجباً ، والفصحاء بكما . قد زحمتى من مكارمه ما يحصر عنه
 المبين ، ويصحبه العى وبس القرين^(٣) .

وقال أعرابى :

رهنت يدي بالعجز عن شكر برّه وما فوق شكرى للشكور مزيد
 ولو كان شيئاً يستطاعُ استطعته ولكنّ ما لا يستطاعُ شديد
 وقال يحيى بن أكرم : كنتُ عند المأمون ، فأتى برجل ترعدُ فرائضه^(٤) ؛
 فلما مثل بين يديه قال المأمون : كفرت نعمتى ، ولم تشكر معروفى ، فقال :
 يا أمير المؤمنين ؛ وأين يقعُ شكرى فى جنبِ ما أنعم اللهُ بك علىّ ، فنظر إلى
 المأمون وقال متمثلاً :

ولو كان يستغنى عن الشكر ما جدّه لرفعة قدرٍ أو علوِّ مكان
 لما أمر الله العبادَ بشكره فقال : اشكروا لى أيها الثقلان

(١) الأنضاء : المهازيل - واحدها نضو بكسر النون وسكون الضاد (م)

(٢) جمع مبرة (٣) نسخة بولاق « ويز القرين » وهو تحريف

(٤) الفرائص : أوداج العنق

ثم التفت إلى الرجل فقال : هلا قلت كما قال أصرم بن حميد :

ملكت حمدي حتى إنني رجُلٌ كُلي بكل ثناء فيك مشتغلٌ
خولت شكري لما خولت من نعمٍ فحُرُّ شكري لما خولتني خولٌ^(١)

لأبي الفتح
البيسي

وقال أبو الفتح البيسي :
لئن عجزت عن شكرٍ برك قوتي وأقوى الوري عن شكرٍ برك عاجزٍ
فإن ثنائي واعتقادي وطاقتي لأفلاكٍ ما أوليتها مرا كزٍ
وقال أبو القاسم الزعفراني :

لي لسانٌ كأنه لي مُعادي ليس يُنبئ عن كُنه ما في فؤادي
حكم الله لي عليه فلو أنصف قلبي عرفت قدرَ ودادي
وقال إسماعيل بن القاسم ، أبو العتاهية ، يمدحُ عمر بن العلاء :

بين أبي العتاهية
وعمر بن
العلاء

إني أمنتُ من الزمان ورَّيبه لما علقْتُ من الأمير حَبالاً
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله لحدوا له حُرَّ الوجوهِ نعالاً
ما كان هذا الجود حتى كنت يا عمر ، ولو يوماً تزولُ لزالا
إنَّ المطايا تشتكك لأمَّها قطعتُ إليك سباً وربَّ مالا
فإذا وردن بنا وردن مُخفَّةً وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا

وهي قصيدة سهلة الطبع ، سلسلة النظام ، قريبة المتناول .

وروي أن عمر بن العلاء وصله عليها بسبعين ألف درهم ، فسدته الشعراء ،
وقالوا : لنا بباب الأمير أعوامٌ نتخذُم الآمالَ ، ما وصلنا إلى بعض هذا ! فاتصل ذلك
به ، فأمر بإحضارهم ، فقال : بلغني الذي قُلتُم ؛ وإن أحدكم يأتي فيمدحني بالقصيدة
يشبب فيها فلا يصلُ إلى المدح حتى تذهب آذةُ حلاوته ، ورائقُ طلاوته ؛

(١) خولتني : أعطيتني وملكتني (م) - والحول : حاشية من العبيد والإماء
للوأحد والجمع والمذكر والمؤنث

وإنَّ أبا العتاهية أتى فشبب بأبيات يسيرة ، ثم قال : إنَّ اللطايا تشتكيك لأنها ...
وأنشد الأبيات . وكان أبو العتاهية لما مدحه بهذا الشعر تأخر عنه بره قليلا ،
فكتب إليه يستبطئه :

أصابت علينا جودك العينُ يا عمرُ
أصابتك عينٌ في سخائك صلبةٌ
سنزقيك بالأشعارِ حتى تملها
وقال :

يأبْنَ العلاءَ ويأبْنَ القرمَ مرداسِ
أثني عليك ولي حالٌ تكذبني
حتى إذا قيل : ما أولاك من صفدٍ
فأمر حاجبه أن يدفع إليه المال ، وقال : لا تدخله عليَّ ، فإني أستحي منه .
وذكر بعض الرواة أن المهدي خرج متصيِّداً ، فسمع رجلا يتغنى من القصيدة
التي مرَّت منها الأبيات في عمر بن العلاء آنفا :

يا مَنْ تفرَّدَ بالجمالِ فما ترى
أكثرت في قولي عليك من الرُّقى
فأبيتَ إلاَّ جفوةً وقطيعةً
باللهِ قولي إنَّ سالتكِ واصدُ في
أم لا ، فميمَ جفوتني وظلمتني
كم لأم لو كنت أسمعُ قوله

- (١) النشر : جمع نشرة بالضمه ، وهي الرقية يداوى بها المريض والمجنون .
(٢) القرم - بالفتح - الفحل .
(٣) الصفد - بالتحريك - العطاء .

فقال المهديّ: عَلَيَّ بِهِ، فجاءه، فقال: لِمَنْ هَذَا الشَّعْر؟ قال: لِإِسْمَاعِيلَ.
ابن القاسم أبي العتاهية، قال: لِمَنْ يَقُولُهُ؟ قال: لِعُتْبَةَ جَارِيَةِ الْمَهْدِيِّ، قَالَ:
كَذَّبْتَ، لَوْ كَانَتْ جَارِيَتِي لَوَهَّبْتُهَا لَهُ، وَكَانَتْ عُتْبَةَ لَرِيظَةَ بِنْتِ أَبِي الْعَبَّاسِ
السَّفَّاحِ، وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِهَا كُلِّ مَبْلَغٍ، وَكُلَّ ذَلِكَ فِيمَا زَعَمَ
الرَّوَاةُ تَصْنَعُ، وَتَخْلُقُ؛ لِيُذَكَّرَ بِذَلِكَ.

[من أخبار أبي العتاهية]

قال يزيد [بن] حوراء المغني: كَلَّمَنِي أَبُو الْعَتَاهِيَةِ أَنْ أُكَلِّمَ الْمَهْدِيَّ فِي عُتْبَةَ؛
فقلت: إِنَّ الْكَلَامَ لَا يُمْكِنُنِي، وَلَكِنْ قُلْ شِعْرًا أُغْنِيهِ إِيَّاهُ، فَقَالَ:

نَفْسِي بَشِيءٌ مِنَ الدُّنْيَا مُعَلَّقَةٌ اللَّهُ وَالْقَاسِمُ الْمَهْدِيُّ يُكْفِيهَا
إِنِّي لِأَيَّاسٌ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمَعُنِي فِيهَا احْتِقَارُكَ لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
فَعَمَلْتُ فِيهِ لِحَنًا وَغَنِيئَتُهُ الْمَهْدِيُّ؛ فَقَالَ: لِمَنْ هَذَا؟ فَأَخْبَرْتَهُ خَيْرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ،
فَقَالَ: نَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ، فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ؛ فَكَتَبَ أَشْهْرًا، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ:
هَلْ حَدَّثْتَ خَيْرَ؟ فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ: غَنَّهُ بِهَذَا الشَّعْر:

لَيْتَ شِعْرِي مَا عِنْدَكُمْ لَيْتَ شِعْرِي إِنَّمَا أُخَرَّ الْجَوَابُ لِأَمْرٍ
مَا جَوَابٌ أَوْلَى بِكُلِّ جَمِيلٍ مِنْ جَوَابٍ يُرَدُّ مِنْ بَعْدِ شَهْرٍ
قَالَ يَزِيدُ: فَغَنَيْتُ بِهِ الْمَهْدِيَّ، فَقَالَ: عَلَيَّ بِعُتْبَةَ، فَأَحْضَرْتُ، فَقَالَ: إِنَّ
أَبَا الْعَتَاهِيَةَ كَلَّمَنِي فِيكَ، وَعِنْدِي لَكَ وَلَهُ مَا تَجَبَّانُ؛ فَقَالَتْ لَهُ: قَدْ عَلِمَ مَوْلَايَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَوْجَبَهُ مِنْ حَقِّ مَوْلَاتِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَذْكَرَ لَهَا ذَلِكَ؛ قَالَ:
فَاعْمَلِي؛ فَأَعَامَلَتْ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ بِمَا جَرَى، وَمَضَتْ الْأَيَّامُ؛ فَسَأَلَنِي مَعَاوِدَةَ الْمَهْدِيُّ،
فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ عَرَفْتُ الطَّرِيقَ فَقُلْ مَا شِئْتَ حَتَّى أُغْنِيَهُ، فَقَالَ:

أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَا لَهُ عَنَّقُ إِلَيْكَ يَخْبُئُ بِي وَرَسِيمٌ^(١)

(١) العنق والرسم: من أنواع السير السريع.

وأملتُ نحو سماءِ صوبِكِ ناطِرِي
 أرعى مَحَابِلَ بَرَقِهَا وَأشِيمُ^(١)
 ولقد تَنَسَّمْتُ الرِّيحَ لِحَاجَتِي
 وإذا لها من رَاحَتِيكَ نَسِيمُ
 ولربما استيأست ثم أقولُ : لا
 إنَّ الذي ضَمَّنَ النِّجَاحَ كَرِيمُ

فغنيتها بالشعر ، فقال : عَلَى بَعْتَبَةَ ، فَأَتَتْ ؛ فقال : ما صنعت ؟ قالت : ذكرت ذلك لمولاتي فَأَبَتْهُ وَكَرِهَتْهُ ، فليفعلُ أميرُ المؤمنين ما يريد ، فقال : ما كنتُ لأفعل شيئاً تَكْرَهُهُ ، فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك ، فقال :

قَطَّعْتَ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ
 وَأَرَحْتَ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ تَرْحَالِ
 ما كانِ اشْأَمَ إِذْ رَجَاؤُكَ قَادِنِي
 وَبَنَاتُ وَعَدُكَ يَعْتَلِجْنَ بِنَالِي
 وَلئن طَمِعْتُ لَرُبِّ بَرَقِ حُلْبِ
 مَالَتْ بِذِي طَمَعٍ وَلَمَعَةِ آلِ^(٢)
 وقد نُقِلَتْ هذه الحكاية على غير هذا الوجه ، والله أعلم بالحقِّ في ذلك .

المهدى يضرب
 أبا العتاهية
 مائة سوط

وضرب المهدي أبا العتاهية مائة سوط لقوله :

أَلَا إِنَّ ظَبِيًّا لِلْخَلِيفَةِ صَادِنِي
 وَمَالِي عَلَى ظَنِّي الْخَلِيفَةَ مِنْ عَدَوِي

وقال : أبا يَتَمَرَسُ^(٣) ، وَلِحَرْمِي يَتَعَرَّضُ ، وَبِنِسَائِي يَعْثُ ؟ وَنَفْسَاهُ

إلى الكوفة .

وفي ضربه يقول أبو دُهَّان :

لَوْلَا الَّذِي أَحَدَّثَ الْخَلِيفَةَ لِلْعَشَّاقِ مِنْ ضَرْبِهِمْ إِذَا عَشَقُوا
 لَبُحْتُ بِاسْمِ الَّذِي أَحَبُّ ، وَلَسَكُنِّي امْرُؤٌ قَدْ ثَنَانِي الْفَرَقُ^(٤)

(١) أشيم : أنظر .

(٢) البرق الحلب : ما لامطر فيه ، والآل : السراب .

(٣) يقال : تمرس بالشيء وامترس ، إذا احتك به .

(٤) الفرق - بالتحرريك - الحوف - وثناني : صرفني ومال بي عما أريد (م) .

وكان أبو العتاهية بالكوفة لما نفي يذُكرُ عتبة ، ويكنى باسمها ، فمن ذلك قوله :

من شعره
في عتبة

قل لمن لستُ أسمى بأبي أنت وأمي
بأبي أنت لقد أصبحت من أكبر همي
ولقد قلت لأهلي إذ أذاب الحبُّ لحمي
وأرادوا لي طيباً فاكتموا مني بعلمي :
من يكن يجهلُ ما ألتقي فإنَّ الحبَّ سُفهي
إنَّ رُوحِي لبغدا دَ ، وفي الكوفةِ جسْمِي

وقوله :

أمسى ببغداد ظني لستُ أذُكرُهُ
إنَّ الحبَّ إذا شطتْ منازلهُ
يأربُ ليلٍ طويلٍ بتُّ أرقبهُ
حتى أضاء عمودُ الصُّبحِ فانفجرا
ما كنتُ أحسبُ إلاَّ مُذُ عرفتكم
أنَّ المضاجعَ مما تُنبتُ الإبرا
وَاللَّيْلُ أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ الْحِسَابِ عَلَيَّ
عَيْنِ الشَّجِيِّ إِذَا مَا نَوْمُهُ نَفَرَا

ولما قدمت عتبة ببغداد قدم معها أبو العتاهية، وتلطف حتى اتصل بالرشيد في خلافة أبيه المهدي ؛ وتمكَّن منه ، وبلغ المهدي خبره ، فأحضره ؛ فقال : يا أبا أس؛ أنت مستقتل ، وسأله عن حاله ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

بين المهدي
وأبي العتاهية

أنتَ المُقَابِلُ والمُسدَا بر في المناسِبِ والمُعَدِيدِ
بَيْنَ العُمُومَةِ والخُشُوعِ لَةِ والأُبُوعِ والجُدُودِ
فَإِذَا انْتَمَيْتَ إِلَى أَبِيكَ فَانْتَ فِي المَجْدِ المَشِيدِ
وَإِذَا انْتَمَى خَالٌ فَكَأَنَّ خَالَ بَأَكْرَمٍ مِنْ يَزِيدِ

يريد يزيد بن منصور ؛ وكانت أم المهدي أم موسى بنت منصور الحميري
وأنشده :

عِلْمَ الْعَالَمِ أَنَّ الْمَنَايَا سَامِعَاتُ لَكَ فِيمَنْ عَصَاكَ
فَإِذَا وَجَّهْتَهَا نَحْوَ طَاغِي رَجَعَتْ تَرَعُفٌ مِنْهُ قَنَّاكَ^(١)
وَلَوْ أَنَّ الرِّيحَ بَارَتْكَ يَوْمًا فِي سَمَاحٍ قَصَّرَتْ عَنْ نَدَاكَ

وأنشده:

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تَجَرَّرُ أَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا
وَلَوْلَمْ تُطْعِمِهِ بَنَاتُ الْقُلُوبِ لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا

فقال له المهدي: إن شئت أدبناك بضربٍ وجيع؛ لإقدامك على ما نهيت عنه،
وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزةً على مدحك لنا. وإن شئت عفوًا عنك فقط.
فقال: بل يُضيف أمير المؤمنين إلى كريم عفوه جميل معروفه؛ ومكرُمتان
أكثر من واحدة، وأمير المؤمنين أولى من شفع نعمته وأتم كرمه. فأمر له
بثلاثين ألف درهم وعفاً عنه.

ولما قدم الرشيدُ الرَّقَّةَ أظهر أبو العتاهية الزَّهد والتَّصوف وترك الغزل، فأمره الرشيد بحبسه
الرشيد أن يتغزل، فأبى، فحبسه، فغنى بقوله:

خَلِيلٌ مَالِي لَا تَزَالُ مَضْرَّتِي تَكُونُ عَلَى الْأَقْدَارِ حَمًّا مِنَ الْحَتْمِ
كَفَاكَ بِحَقِّ اللَّهِ مَا قَدْ ظَلَمْتَنِي فَهَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الظَّمِ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جِسْمِي وَقُوَّتِي أَلَا مُسْعِدٌ حَتَّى أَنْوَحَ عَلَى جِسْمِي

(١) ترعف: أراد به تسيل دما.

فأمر بإحضاره وقال : بالأمس ينهك أمير المؤمنين المهدي عن الغزل ،
فتأبى إلا لجأجا ومَحْكا ؛ واليوم أمرك بالقول فتأبى جُرْأة على وإقداما ، فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ إن الحسنات يُذهبن السيئات ، كنت أقول الغزل ولى شباب
وجدة ، وبى حراك وقوة ، وأنا اليوم شيخٌ ضعيف لا يحسن بمثلى تصاب ؛
فردّه إلى حبسه ؛ فكتب إليه :

أنا اليوم لى ، والحمد لله ، أشهر
تذكر ، أمين الله ، حتى وحرمتي
ليالى تُدنى منك بالقرب مجلسي
فمن لى بالعين التي كنت مرة
يروح على الغم منك ويذكر
وما كنت توليني ، لعلك تذكر
ووجهك من ماء البشاشة يقطر
إلى بها من سالف الدهر تنظر
فبعث إليه : لا بأس عليك ؛ فقال :

كان الخلق ركب فيه رُوح
أمين الله إن الحبس بأس
له جسد وأنت عليه رأس
وقد وقعت : ليس عليك بأس

فأخرجه .

أخذ البيت الأول من هذين على بن جبلة وزاد فيه ، فقال لأبي غانم الطوسي :

دجلة تسقى وأبو غانم
والخلق جسم ، وإمام المهدي
يُطعم من تسقى من الناس
رأس ، وأنت العين في الرأس

وكان عمر بن العلاء ممدحا ، وفيه يقول بشار بن برد :

إذا أيقظتك حروب العدي
دعاني إلى عمرٍ جوده
فتنبه لها عمراً ممّ نم
وقول العشيرة بخرٍ خصم

بشار يمدح
عمر بن العلاء

ولولا الذي ذكروا لم أكن لأمدح ربحانة قبل شم
فتي لا يبيت على دمنة ولا يشرب الماء إلا بدم^(١)

لأبي سعد
الخرزمي

أخذ هذا البيت أبو سعيد الخزرمي^(٢)، فقال :

وما ير يدون ، لولا الجبن ، من رجل
لا يضرب الماء إلا من قلب ديم^(٣)
بالليل مشتمل بالجمر مُكْتَحَل
ولا يبيت له جارٌ على وجَل

وقال أبو الطيب :

تعوّد ألا تُقضم الحبّ خيله
ولا ترد الغدران إلا وماؤها
إذا الهام لم ترّفع جنوب العلائق^(٤)
من الدم كالريّحان تحت الشقائق^(٥)

لأبي الطيب
المتنبي

وقال أبو القاسم بن هانيء :

(١) الدمنة هنا معناها الحقد الثابت .

(٢) كان أستاذنا المرحوم الشيخ سيد المرصفي أملانا أنه « أبو سعد » بدليل
قول من هجاء :

إن أبا سعد فتى ماجد يعرف بالكنية لا الوالد
ينشد في حى معد أبا ضل عن المنشود والناشد
فرحمة الله على مسلم يرد مفقوداً على فاقد

(٣) القلب : البئر .

(٤) القضم : أكل اليابس ، والهام : الرؤوس ، والعلائق : جمع علاقة وهي ما
يتعلق به الشيء ، والمراد الخالي . قال ابن جنى : سألت أبا الطيب عن معنى هذا البيت ،
فقال : الفرس إذا علقت عليه المخلاة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم يأكل
نخيله أبدأ إذا أعطيت عليها جعلته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرة ما هناك منها .
(٥) الغدران : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل ؛ وفي الأصل
« الغربان » ، والشقائق : جمع شقيق ، وهو زهر أحمر

مَنْ لَمْ يَرَ الْمِيدَانَ لَمْ يَرَ مَعْرَكَاً أَشْيَاءَ ، وَيَوْمًا بِالْأَسْنَةِ أَكْهَبًا^(١)
 وَكُتَابًا تُرَدِّي غَوَارِبَهَا الْعِدَى وَفَوَارِسًا تَعْدُو صَوَالِجَهَا الظَّبَا
 لَا يورِدُونَ الْمَاءَ سُنْبُكَ سَابِحٍ أَوْ يَكْتَسِي بِدَمِ الْفَوَارِسِ طُحْلِبًا^(٢)

[رجع إلى عمر بن العلاء]

قال : وبلغ عمر بن العلاء أن أبا العتاهية عاتبه عليه في هنات نالها منه في مجلس ، وكان كثير الاقطاع إليه ، فتخلف عنه ، فساء ذلك عمر ، فكتب إليه : قد بلغني الذي كان من تجنبك فيما استخفك به سوء الأدب عن علم حقيقة مني ، فصرت متردداً من العنى في يلاميع الشبهة^(٣) ؛ ولو كان معك من علمك دافع إلى لقائي لكشفت لك مؤرد الأمر ومصدره ، لترجع إلى الصلة ، فتقال أو تأتي إلا الصريمة فتضرم ؛ وقد قال الأول :

بين عمر بن
العلاء وأبي
العتاهية

مُسْتَعْتَبٌ أَبْدَى عَلَى الظنِّ عَتْبَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْحَفِظَاتِ غَلِيلُ

كَشَفْتُ لَهُ عُدْرًا فَأَبْصَرَ وَجْهَهُ فَعَادَ إِلَى الْإِنْصَافِ وَهُوَ ذَلِيلُ

فأجابه أبو العتاهية : لم أجز بعنبي الحقيقة إلى الشبهة ، ولم أجد سعة مع عظيم قدرتك إلى حمل اللأمة ، فقصر بي الخوف من سخطك ، على ترك معاتبتك ؛ لأن المعاتبه لا تجتنى إلا من المساوي ، ولو رغبت عن الصلة إلى القطيعة لتقاضيتك ذلك عن طول الصُّحبة ، وسالف المدَّة ، وأنا أقول :

رَضِيْتُ بِبَعْضِ الذُّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ وَلَيْسَ لِمِثْلِي بِالْمُلُوكِ يَدَانِ

وَكَنتُ امْرَأً أَحْشَى الْعِقَابَ وَأَتَّقِي مَعْبَةَ مَا تَجْنِي يَدِي وَلِسَانِي

فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَضْمَنُ تَوْبَتِي فَإِنِّي امْرُؤٌ أَوْفِي بِكُلِّ ضَمَانِ

فتراجعا إلى أحسن ما كانا عليه

(١) أشب : مختلط ، وأكهب : مظلم

(٢) الطحلب : خضرة تعلق الماء المزمين

(٣) اليلاميع : جمع يلع ، وهو البرق الخلب والسراب ، ويشبهه الكذاب

وإنما ألم أبو العتاهية في قوله « إن المطايا تشتكيك ... وما يليه » بقول أبي الحُجْنَاءِ نَصِيبِ الأَكْبَرِ :

فعاجوا فأنثوا بالذي أنتَ أهله ولوسكتوا أنثتَ عليك الحَقَائِبُ
وقال أبو الطيب في أبي العشار الحمداني :

للمتنبي

تُنْشِدُ أَثْوَابَنَا مَدَامْحَهُ بِالسُّنِّ مَالَهِنَّ أَفْوَاهُ
إِذَا مَرَّرْنَا عَلَى الْأَصَمِّ بِهَا أَعْنَتَهُ عَن مِسْمَعِيهِ عَيْنَاهُ
وهذا المعنى من النُّصْبَةِ ^(١) الدالة بذاتها التي ذكرتها عن الجاحظ في أقسام البيان .

وقال بعضُ الخطباء : أشهد أن في السموات والأرض آياتٍ ودلالاتٍ ،
وشواهد قاطماتٍ ؛ كلُّ يُوْدِي عنك الحجَّة ، ويشهد لك بالرؤية .
ونظيرُ هذا قولُ أبي العتاهية ، وروى أنه جلس في دكان وراق ، وأخذ
كتاباً فكتب على ظهره :

لأبي العتاهية

فواعجاباً كيف يُعْصَى المَلِيكَ أَمْ كَيْفَ يَجْعَدُهُ الجَا حِدُ
وللهِ في كلِّ تحريكَةٍ وتَسْكِينَةٍ في الوَرَى شَاهِدُ
وفي كلِّ شَيْءٍ له آيَةٌ تَدُلُّ على أَنَّهُ وَاحِدُ

وانصرف ، فاجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات ، فقال : لمن هذا ؟ لأبي نواس
فلو ددتها لي بجميع شعري ، فقليل : لإسماعيل بن القاسم ، فوقع تحتها :

سبحان مَنْ خَلَقَ الخُلُقَ من ضَعِيفٍ مَهِينِ
فصَاغَهُ من قَرَارٍ إلى قَرَارٍ مَكِينِ
يَحْبُـوْلُ شَيْئاً فشيئاً في الحُجْبِ دونَ العيونِ ^(٢)
حتى بَدَتْ حَرَكَاتُ مخلوقَةٍ من سُكُونِ

(١) النُّصْبَةُ : ما ينصب من العلامات لتدل على معان جرى العرف بدلالاتها عليها (م)

(٢) يحول : يتحول من حال إلى حال أخرى (م)

وقال الفضل بن عيسى الرقاشي : سَلِ الْأَرْضَ مِنْ غَرَسِ أَشْجَارِكَ ، وَشَقَّ
أَنْهَارِكَ ، وَجَنَى ثَمَارِكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حَوَارَا ، أَجَابَتْكَ عَتَبَارًا .

وهذا شبيه بقول عدى بن زيد ، وقد نزل النعمان بن المنذر تحت سَرَحَةَ (١) ؛
فقال : أْتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ السَّرْحَةَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ قَالَ : وَمَا تَقُولُ ؟ قَالَ : تَقُولُ :
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنْخَوْا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْحَمْرَ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ
ثُمَّ أَضْحَوْا لِعِبِّ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ
. وَيُرْوَى « عَكْفَ الدَّهْرِ بِهِمْ فَنَوَوْا (٢) » . فَتَكَدَّرَ حَالُ النُّمَّانِ وَمَا كَانَ
فِيهِ مِنْ لَذَّةٍ .

ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة الحال

لوسكت الشَّاكِرُ لِنَطَقَتِ الْمَائِثُ . لَوْ صَمَّتِ الْمُخَاطِبُ لِأَثْنَتِ الْحَقَائِبُ ،
وَلَشَهِدَتْ شَوَاهِدُ حَالِهِ عَلَى صِدْقِ مَقَالِهِ . إِنْ جَعَدَتْ مَا أَوْلَانِيهِ ، وَكَفَرَتْ
مَا أَعْطَانِيهِ ، نَطَقَتْ آثَارُ أَيَادِيهِ عَلَى ، وَلَمَعَتْ أَعْلَامُ عَوَارِفِهِ (٣) لَدَى .

ولأبي الفضل الميكالي من رسالته : وردَ فلانٌ فتعاطى من شُكْرِهِ عَلَى نَعْمِهِ
التي ألبسه جملها ، وأسحبه أذيالها ، ما لو لم يتحدث به ناشراً ومُثْنِيًا ، ومُعِيدًا
ومُجْبِرِيًا ، لِأَثْنَتِ بِهِ حَالِهِ ، وشهدت به رِجَالُهُ ، حتى لقد امتلأت بذكره
الحافلُ ، وسارت بجبره الرُّكبانُ والقوافلُ ، وصارت الألسنة على الشكر والثناء
لسانًا ، والجماعة على النَّشْرِ والدعاء أنصارًا وأعوانًا ، على أنه وإن بالغ في هذا
الباب ، وجاوز حدَّ الإكثار والإسهاب ، نهايته القصورُ دون واجبه ، والسقوطُ
عن أدنى درجاته ومراتبه .

أبي الفضل
الميكالي

(١) السرحة : الشجرة العظيمة ، أو هي كل شجرة لاشوك لها (م) ، وقد تطلق
مجازاً على المرأة (٢) كذا ، ولا يستقيم وزنه ، ولو كان «عكف الدهر بهم ثم نووا» لم
(٣) العوارف : جمع عارفة ، وهي النعمة (م)

لأن الفتحة
البتى

ومما يقتن لهم بهذا المعنى من ذِكْرِ الشكر : قال أبو الفتح البستي : الحرُّ نَحْلُ الشكر ، إن أجنأه المره من خيره شكراً أجنأه من برّه شهداً .

غيره : الشكر ترجمانُ النيّة ، ولسانُ الطويّة ، وشاهدُ الإخلاص ، وعنوان الاختصاص . الشكرُ نَسِيمُ النِّعمِ ، وهو السببُ إلى الزيادة ، والطريقُ إلى السعادة . الشكرُ قَيْدُ النِّعمَةِ ، ومفتاحُ المزيد ، وثمنُ الجنة . مَنْ شَكَرَ قليلاً ، استحقَّ جزيلاً . شُكْرُ المولى ، هو الأوّلَى . الشكرُ قَيْدُ النِّعمِ وشِكاؤها . وعِقالها ، وهو شبيهه بالوخش التي لا تقيم مع الإيماش ، ولا تريم^(١) مع الإيناس . مَوْقِعُ الشكرِ من النعمة مَوْقِعُ القِرَى من الضيف ، إن وجدته لم يرم^(١) ، وإن فقدته لم يُقيم . الشكرُ غرسٌ إذا أودع سمع الكريم أثمر الزيادة ، وحفظ العادة . الشكرُ تعرّض للمزيد السائغ ، والنعم السوائغ . شُكْرُهُ شكرُ الأسير من أطلقه ، والمملوك من أعتقه . أثنى عليه ثناء الرّوض الممحل ، على الغيث المسبل . أثنى عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر . أثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الرّلال البارد . شُكْرُهُ شكرُ الأرض للديم^(٢) ، وزهيز لهرم . بسطَ لسان الثناء والدعاء ، وبلغ عنان الشكرِ عنان السماء . شَكَرَهُ شكراً ترتاح له المكارم ، وتهتزّ له المواسم . لأشكرته شكراً تشيع أنواعه ، وتنبسطُ أنواعه^(٣) ، ويلاذ ذكره وسماعه . شُكْرٌ ملاء القلب واللسان ، كشكر حسان لآل غسان . أطلال عنان الشكر ، وفسح مجاله ، ورفع أعمدته ، ومدّ أروقتّه . شُكْرٌ كأفناس الأحياب ، أو أفناس الأسحار ، أو أفناس الرّياض غبّ القطار .

[من أخبار نصيب وشعره]

رجع ما انقطع :

كان سببُ قولِ نصيب :

(١) لا تريم : لا تنطلق ولا تذهب ولا تفارق (م)

(٢) الديم : جمع ديمة - بكسر الدال - وهي السجاية التي يدوم مطرها (م)

(٣) الأبويع : جمع باع ، وهو مسافة ما بين أطراف أصابع يديك حين تبسطهما

موازيين لصدرك (م) .

* فَعَاجُوا فَأَتْنَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ * *

أنه كان مع الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك، فقال سليمان بن عبد الملك : يا فرزدق؛ مَنْ أَسْعَرَ النَّاسَ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ، قال : لماذا؟ قال بقولي :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَهَا تَرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرَوًا وَسَرَتْ نَكْبَاءٌ وَهِيَ تَلْفَهُمْ إِلَى شُعْبِ الْأَكْوَادِ الْحَقَائِبِ^(١)
إِذَا آتَسُوا نَارًا يَقُولُونَ : لَيْتَهَا ، وَقَدْ حَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبِ

يريد أباه - وهو غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع - فأعرض عنه سليمان كالمغضب ؛ لأنه إنما أراد أن يُنشد مدحاً فيه ؛ ففهم نصيب مراده ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد قلتُ أبياتاً على هذا الروي ليست بدونها ، فقال : ها هيها ؛ فأنشأ نصيب يقول :

أَقُولُ لِرَكِبٍ قَافِلِينَ لَقِيمَتِهِمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبٍ^(٢)
فَقَدْ أَخْبَرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ أَنِّي لَمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِبٍ^(٣)
فَعَاجُوا فَأَتْنَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
فَقَالُوا : تَرَكْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي الْعُرْفِ رَاكِبُ
وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيٌّ فِعَالُهُ كَفَعْلِكَ أَوْ لِلْفَعْلِ مِنْكَ يَقَارِبُ
لَقُلْنَا : لَهُ شِبْهُهُ ، وَلَكِنْ تَعَذَّرْتُ سِوَاكَ عَنِ الْمُسْتَشْفِعِينَ الْمَطَالِبُ
هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكُوَاكِبُ حَوْلُهُ وَهَلْ تُشْبِهُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ الْكُوَاكِبُ

فقال سليمان : أحسنت ، والنفت إلى الفرزدق ، فقال : كيف تسمع يا أبا فراس؟

قال : هو أشعر أهل جلدته ، قال : وأهل جلدتك ؛ فخرج الفرزدق وهو يقول :

(١) النكباء : هي الريح التي تميل عن مهاب الرياح ، والأكوار : جمع كوار : بالضم وهو الرجل ، والحقائب : جمع حقيبة ، وهي الرفادة في مؤخر القتب وكل ما شد في مؤخر رحل أو قتب .

(٢) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ووقفا :

منسوب تقديراً على أنه ظرف مكان ، أي لقيمتهم في هذا الموضع (م)

(٣) حفطي «قفوا خبروني» وهو أدق (م)

وخيّر الشعر أكرمهم رجالاً وشرّ الشعر ما قال العبيدُ

[من المديح]

قال أبو العباس محمد بن يزيد : وهذا بابٌ في المدح حسن متجاوز مُبتدع لم يُسبق إليه .

قول نصيب : « من أهل ودان » . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ذكر محمد ابن كناسه والزيدى أنّ نصيباً من أهل ودان ، وكان عبداً لرجل من بني كنانة هو وأهل بيته ، وزعم أبو هفان أنه عبداً لعبد العزيز بن مروان ، وكان نصيب شديد السواد ، وهو القائل :

كسيتُ - ولم أملك - سواداً ، وتحتهُ
فما ضرَّ أثوابي سوادى ، وإنتى
قيصٌ من القوهي^(١) بيضٌ بناثقه
لكالمسك لايسلّو عن المسك ذاتهُ

لسجيم

وقال سجيم عبد بنى الحسحاس :

أشعارُ عبد بنى الحسحاس قمن له
إن كنتُ عبداً فنفسى حرّة كرمًا
عند الفخار مقام الأصل والورق
أو أسود اللون إني أبيض الخلق

وقال أبو الطيب المتنبي لكافور الإخشيدي :

إنما الجلدُ ملبسٌ وابيضاضُ الخلق
خَيْرٌ من ابيضاضِ القباء
وقال نصيب لبعض ملوك بنى أمية : إن لى بنات نفضت عليهن من سوادى ،

فتقال : ما أحسن ما تلطفت لهن ! وأمر له بصلة .

وكان أبو تمام حبيب بن أوس لما مدح أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات بقصيدته التى أولها :

لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَنَفْعَلَا
وَنَذْكُرَ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ وَتَفَضَّلَا

وهى من أحسن شعره ، وقّع له على ظهرها :

رَأَيْتِكَ سَمَحَ الْبَيْعِ سَهْلًا ، وَإِنَّمَا
يُغَالَى إِذَا مَاضَ بِالشَّيْءِ بَاطِعُهُ

(١) القوهي : ثياب بيض تنسب إلى قوهستان . والبنائق : الجيوب ، مفردها بنيقة

بين أبي تمام
وابن الزيات

للمتنبي

فأما إذا هانت بضائعُ بَيْعِهِ فيوشك أن تبقى عليه بضائعه
هو الماء إن أجمته طاب وزده ويفسد منه أن تباح مِشَارِعُهُ
فأجابه بقصيدة طويلة ، واحتج عليه واعتذر إليه في مدحه لغيره ؛ فقال في
بعض ذلك :

أما القوافي فقد حصنتُ غرَّتَها فإيُّ صَبَابٍ دَمٌ منها ولا سَلَبُ
مَنَعْتُ إِلَّا مِنْ الْأَكْفَاءِ أَيْمَهَا وَكَانَ مِنْكَ عَلَيْهَا الْعُظْفُ وَالْحَدَبُ
ولو عضلتَ عن الْأَكْفَاءِ أَيْمَهَا ولم يكنْ لَكَ في إظهارها أَرْبُ (١)
كانت بناتٍ نصيبٍ حين ضنَّ بها على آلِوَالِيٍّ ولم تحفلْ بها العَرَبُ
وقد قيل إن أبا تمام أجابه بقوله :

أبا جعفر إن كنتُ أصبحتُ شاعرا أُسَامِحُ في بَيْعِي له من أبايَعُهُ
فقد كنتُ قبلي شاعراً تاجراً بِهِ تَسَاهَلُ من عادتْ عليك مَنَافِعُهُ
فصيرتَ وزيراً والوزارة مَكْرَعُهُ يَفْصَحُ بِهِ بعد اللَّذَاذَةِ كَارِعُهُ (٢)
وكم من وزيرٍ قد رأينا مُسَلِّطاً فعادَ وقد سُودَّتْ عليه مَطَالِعُهُ
ولله قَوْسٌ لا تطيشُ سِهَامُهَا ولله سيفٌ لا تفلُّ مَقَاطِعُهُ

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : ويقال إن هذه الأبيات منحولة لحبيب ،
وليس مثل أبي جعفر في جلالة قدره واصطناعه لحبيب يُعَامَلُ بمثل هذا الجواب ،

(١) عضل المرأة: منعها عن الزواج ظلماً ، والأيم : من لا زوج لها ، بكرراً أو ثيباً .
ومن لا امرأة له ، وتأييم : مكث زماناً لم يتزوج .

(٢) المكرع : المكان الذي تشرب منه الدواب ، وكان كذلك لأن الحيوان
لا يكاد يشرب إلا بإدخال أكارعه فيه ، والسكرع - بالضم - هو ما دون الكعب
في الدابة وما دون الركبة من الإنسان ، وكرع في الماء : أدخل فيه أكارعه بالخوض
فيه ليشرب .

ولا يَنْتَهَى جَهْلُ حَبِيبٍ أَنْ يَقَابِلَ مَأْمُولَهُ وَمَنْ يَرْتَجِي جَلِيلَ الْفَائِدَةِ مِنْهُ
بهذه الأبياب .

وقد قيل : بل قالها ، ولم ينشدها أحداً ؛ وإنما ظهرت بعد موته .

وكان ابنُ الزيات كما قال شاعراً ، ومدح الحسن بن سهل في وزارته للأُمون ؛
وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فقال :

لَمْ أَمْتَدِحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ لَكِنْ لِيُتَلَبَّسَنِي التَّجْحِيلَ وَالْفَرَارَا
مَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي رَجُلٌ لَا أَقْرَبُ الْوِرْدَ حَتَّى أَعْرِفَ الصَّدْرَا

قال الصولي : وكان السببُ الذي أوجد^(١) أبا جعفر على أبي ممام حتى

قال « لقد رأيتك سهَّلَ البيع - الأبيات » قولَ أبي تمام قصيدته المشهورة في
ابن أبي دُوَادٍ التي أولها :

سَقَى عَهْدَ الْحَمَى سَبَلُ الْعِهَادِ وَرُوِيَ حَاضِرَ مِنْهُ وَبَادِ^(٢)

نَزَحَتْ بِهِ رَكِيٌّ الدَّمْعِ لَمَّا رَأَيْتَ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ^(٣)

يقول فيها في مدحه :

هُمُ عَظَمُ الْأَثَافِي مِنْ نَزَارٍ وَأَهْلُ الْهَضْبِ مِنْهَا وَالنَّجَادِ^(٤)

مُعْرَسٌ كُلُّ مُعْضَلَةٍ وَخَطْبٍ وَمَنْبِتٌ كُلُّ مَكْرَمَةٍ وَآدِ^(٥)

(١) أوجده : أثار موجدته ، وهي الغضب

(٢) العهاد : أمطار الربيع ، والواحدة عهدة .

(٣) الركي والركايا : الآبار ، والمفرد ركية ، وارتكى على صديقه : نول عليه ،

والعتاد : العدة ، والعتيد : المعد الحاضر .

(٤) الأثافي : جمع أنفية ، وهي الحجر أو الجبل .

(٥) المعرس : موضع التعريس وهو النزول لئلا ، والآد والأيد : القوة ، وآد

يشيد أيذا : اشتد وقوى .

إذا حَدَّثُ القَبَائِلِ سَاجِلُوهُمُ فَإِنَّهُمُ بَنُو المَجْدِ التَّلَادِ (١)
 تُفَرِّجُ عَنْهُمُ الغَمَرَاتِ بِيضٌ (٢) جِلَادٌ تَحْتَ قَسْطَلَةِ الجِلَادِ (٣)
 وَحِشْوِ حَوَادِثِ الأَيَامِ مِنْهُمُ مِعَاقِلِ مِطْرَدٍ وَبَنُو طِرَادِ (٣)
 لَهُمُ جَهْلُ السَّبَاعِ إِذَا المَنْبَايَا تَمَشَّتْ فِي الوَغَى وَحُلُومُ عَادِ
 لَقَدْ أُنْسَتْ سُلُوسَى كُلِّ دَهْرٍ مَحَاسِنُ أَحْمَدَ بنِ أَبِي دُوَادِ
 مَتَى تَحَلَّلُ بِهِ تَحَلَّلُ جَنَابَا رَضِيعًا لِسَوَارِي وَالعَوَادِي (٤)
 وَمَا اشْتَبَهَتْ سَبِيلُ المَجْدِ إِلَّا هَذَاكَ لِقَبِيلَةِ المَعْرُوفِ هَادِ
 وَمَا سَافَرْتُ فِي الآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدَوَاكِ رَاحِلَتِي وَرَادِي
 مَقِيمٌ الظَّنُّ عِنْدَكَ وَالأَمَانِي وَإِنْ قَلِقْتُ رَكَبِي فِي البِلَادِ
 وَهَذِهِ النِّسْكَتُ (٥) الَّتِي أَحَقَّدْتُ أَبَا جَعْفَرَ ، وَأَعْتَبْتَهُ عَلَيَّ أَبِي تَمَامِ ، وَفِي هَذِهِ
 القَصِيدَةُ يَقُولُ مَعْتَذِرًا إِلَيْهِ فِي الَّذِي قُرِفَ (٦) بِهِ عِنْدَهُ مِنْ هِجَاءِ مَضْرٍ :
 أَتَانِي عَارُ الأَنْبَاءِ تَسْرِي عِقَارِبُهُ بِدَاهِيَةِ نَادِ (٧)
 نَثَا خَبْرًا كَأَنَّ القَلْبَ مِنْهُ يُجْرُّهُ بِهِ عَلَيَّ شَوَاكِ القِتَادِ
 بَأَنِّي نَلْتُ مِنْ مَضْرٍ وَخَبَّتْ إِلَيْكَ شَكِيَّتِي خَبَبَ الجَوَادِ

(١) التلاد : جمع تليد ، وهو المجد القديم .

(٢) الغمرات : جمع غمرة وهي الشدة ، والبيض الجلاد : هي السيوف القوية ،

وقسطة الجلاد : شدة الحرب .

(٣) الطراد : القتال ، قال الزمخشري في الأساس : « وطارد قرنه ، وتطاردا ،
 وبينهما طراد ومطاردة ، وهي حمل أحدهما على صاحبه ومقاتلته وإن لم يكن ثم طرد ،
 كما قيل للمحاربة جلاذ ومجالدة وإن لم يكن ثم مسابقة » .

(٤) السواري : جمع سارية وهي السحابة تمطر ليلا ، والعوادي : جمع غادية وهي

السحابة تمطر نهاراً .

(٥) المراد بالنسكت الإشارات .

(٦) وقع في كافة المطبوعات « في الذي قرب به » تحريف ما أنبتاه (م)

(٧) ناد : شديدة الأذى .

وما رُبِعِ القطيعة لي برُبِعٍ
ولا نادى الأذى مني بنادٍ
وأين يجوز عن قصدٍ لساني
وقلبي راوِجٌ برضاك غادٍ
ومما كانت الحكماء قالت:
لسانُ المرء من خدامِ الفؤادِ
وقد ما كنتُ معسولَ القوافي
ومأدومَ المعاني بالسدادِ

[من أخبار ابن أبي دُواد]

وكان ابن أبي دُواد غالباً في التعصّب لإياد وإلحاقها بنزار، على مذهب نُسّاب العلْدَنانين . قال : وكلُّ من بالعراق من إياد دخلوا في النّخع ، وإليهم يُنسبون ؛ ومن كان بالشام فلم^(١) على نسبهم في نزار ، وابن أبي دُواد يرمي بالدعوة ؛ والتكثير من أخباره يُخرِجُ إلى ما أخافه من تطويل التصرّف ، في مملول التكلف . وكان ابن أبي دُواد عالماً بضروب العلم والأدب ، متصرّفاً في صناعة الجدال ، على مذهب أهل الاعتزال ، وكانت العداوة بينه وبين ابن الزيّات بينة ، والنفاسة في الرياسة بينهما متمكّنة ، وقال له بعض الشعراء :

أَكَلَّ أبا دُوادٍ مِنْ إيادٍ فكلُّ أبا ذؤيبٍ من هُدَيلٍ

قال مسلم : ماتاه إلاّ وضيع ، ولا فاخر إلا سقيط ، ولا تعصّب إلاّ دَخيل . وقال مدني لرجل : ممن أنت ؟ فقال : من قريش ، والحمد لله ، قال : بأبي أنت !

التحميد هاهنا ريبية ! واسم أبي دُواد دُعَمي ، قال أبو اليقظان : وهم من قبيلة يقال لها بنو زهرة إخوة بني جدان ، وقد ذكره الطائي في قوله :

والغيث من زهرٍ سحابة رَأفةٍ والركنُ من شيبانٍ طَوْدُ حَديدٍ

ذكر شيبان ، لأن خالد بن يزيد الشيباني شفع له عند ابن أبي دُواد فيما ينساق الحديث إليه من موجدته عليه .

قال محمود الوراق : كنتُ جالساً بطرفِ الجسر مع أصحاب لي ، فررتُ بنا أبو تمام ، فجلس إلينا ، فقال له رجل منا : يا أبا تمام ، أيُّ رجلٍ أنتَ لو لم تكن من اليمّين ! قال : ما أحبُّ أني بغيرِ الموضع الذي اختاره الله لي ، فَمِمَّنْ^(٢) تحبُّ أن

(١) هكذا ، وأحسبه « فهم على نسبهم - إلخ » (م)

(٢) في جميع المطبوعات « فمن تحب - إلخ » (م)

غلوه في التعصّب
إياد

علمه وعداوته
لابن الزيات

أصله

أ كَوْنٌ؟ قَالَ: مِنْ مُضَرٍّ، قَالَ: إِنَّمَا شَرُمْتُ مُضَرَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 وَلَهُ لَا ذَلِكَ مَا قَيْسُوا بِمَلُوكِنَا وَأَدْوَانِنَا، وَفِينَا كَذَاً، وَمِنَّا كَذَاً - يَفْخَرُ؛ وَذَكَرَ
 أَشْيَاءَ عَابَ بِهَا مُضَرَ، وَنَمِي الْخَبْرُ إِلَى ابْنِ أَبِي دُوَادٍ وَزَيْدٍ فِيهِ، فَقَالَ: مَا أُحِبُّ
 أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ، فَقَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ بِقَصِيدَةِ أُولَئِكَ:

غضبه على
 في عام م
 رصاد عنه

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادٍ فِي طُلُوعِ الْإِتِهَامِ وَالْإِنْبَادِ
 يَقُولُ فِيهَا:

بَعْدَ أَنْ أَصَلْتَ الْوُشَاةَ سِيُوفًا قَطَعْتَ فِي وَهْيٍ غَيْرِ حِدَادِ
 فَنَفَى عَنْكَ زُخْرَفَ الْقَوْلِ سَمْعٌ لَمْ يَكُنْ فَرَضُهُ لَغَيْرِ السَّدَادِ
 ضَرَبَ الْحِلْمُ وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ دُونَ عُورِ الْكَلَامِ بِالْأَسْدَادِ
 مَلَأَتْكَ الْأَحْسَابُ أَيَّ حَيَاةٍ وَحَيَاةً أَرْمَتْ وَحَيَّةً وَادِ
 عَاتِقٌ مُعْتَقٌ مِنَ الرِّقِّ إِلَّا مِنْ مُقَاسَاةٍ مَعْرَمٍ أَوْ نِجَادِ
 لِلْحَمَلَاتِ وَالْحَمَائِلِ فِيهِ كَلْحُوبِ الْمَوَارِدِ الْأَعْدَادِ^(١)

فَارَضَى عَنْهُ حَتَّى تَشْفَعَ إِلَيْهِ بِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدِ الشَّيْبَانِيِّ، فَقَالَ

فِي قَصِيدَةٍ:

أَسْرَى طَرِيدًا لِلْحَيَاءِ مِنَ التِّي زَعَمُوا، وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ بِطَرِيدِ^(٢)
 كُنْتُ الرَّبِيعَ، أَمَامَهُ وَوَرَاءَهُ قَمَرُ الْقَبَائِلِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدِ
 وَغَدًا تَبَيَّنَ مَا بَرَاءَةَ سَاحَتِي لَوْ قَدْ نَفَضْتَ تَهَامِي وَنَجُودِي
 اللَّهُ دَرُكُ أَيُّ بَابٍ مُلَمَّةٍ لَمْ يُرْمَ فِيهِ إِلَيْكَ بِالْإِقْلِيدِ^(٣)

(١) الأعداد: جمع عد بالكسر وهو الماء الجاري الذي لا ينقطع، واللحوب: الموضوع. والمعنى أن عاتق الممدوح تظهر فيه آثار الحملات والحمايل ظهور قنوات الماء الذي لا ينقطع (٢) الذي في الديوان « وليس لرهبه بطريد » (م)
 (٣) الإقليد: الفناح، وكذلك المقلاد والمقلد

لما أظلمتني غمامك أصبحتُ
 تلك الشهودُ علىّ وهي شهودي
 من بعد ما ظننوا بأن سيكون لي
 يومٌ بزعمهم كيوم عبيد
 يريد عبيد بن الأبرص الأسدي ، وكان النعمان بن المنذر تقيه يوم
 بوئسه قتلته .

وكان ابن أبي دؤاد كريماً فصيحاً جزّلاً . قال أبو العينا : كن عند ابن أبي
 دؤاد ومعنا محمود الورّاق وجماعةٌ من أهل الأدب والعلم ؛ فجاءه رسول إيتاخ
 فقال : إن الحاجب أبا منصور يقرأ على القاضي السلام ، ويقول : القاضي يتعنى (١)
 ويحيى في الأوقات ؛ وقد تفاقم الأمرُ بينه وبين كاتب أمير المؤمنين ، يريد ابن
 الزيات ، فصار يضربنا عند قصده القاضي ، وما أحبّ أن يتعنى إليّ لهذا السبب ؛
 إذ كنت لا أصل إلى مكافأته . فقال : أحببوه عن رسالته ، فلم ندر ما نقول ،
 ونظر بعضنا إلى بعض ، فقال : أما عندكم جواب ! قلنا : القاضي - أعزه الله ،
 أعلمُ بجوابه منا ، فقال للرسول : اقرأ عليه السلام ، وقل له : ما أتيتك متكرراً
 بك من قلة ، ولا متعزّزاً بك من ذلّة ، ولا طالباً منك رتبة ، ولا شاكياً
 إليك كرتبة ، ولكنك رجلٌ ساعدك زمان ، وحرّكك سلطان ، ولا علم
 يؤلف ، ولا أصل يُعرّف ؛ فإن جئتك فبسلطانك ، وإن تركتك فلنفسك !
 فعجبنا من جوابه .

[من برّاعة خالد بن عبد الله القسري]

صعد خالد بن عبد الله القسري المنبر يوم الجمعة ، فخطب وهو إذ ذاك أمير
 على مكة ، فذكر الحجاج فأحمد طاعته ، وأثنى عليه خيراً ، فلما كان في الجمعة
 الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم الحجاج وذكرك

عيوبه ، وإظهار البراءة منه ، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان مَلَكًا من الملائكة ، وكان يُظهِر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له بذلك فضلا ، وكان الله تعالى قد علم من غِشِّه ما خَفِيَ عن الملائكة ، فلما أراد الله فضيحتَه ابتلاه^(١) بالسجود لآدم ؛ فظهر لهم ما كان يُخْفِيه عنهم فلعنوه ؛ وإن الحجاج كان يُظهِر من طاعة أمير المؤمنين ما كُنَّا نرى له بذلك فضلا ، وكان الله عزَّ وجلَّ أطلعَ أميرَ المؤمنين من غِلِّه وخُبْنِه على ما خَفِيَ عنا ، فلما أراد الله فضيحتَه أجرى ذلك على يدي أمير المؤمنين ، فآلَعُنوه ، لعنه الله . ثم نزل .

وكان أبو تمام قد مدح الأفشين التركي، واسمه خيدر^(٢) بن كآوس، وكان من أجل قواد المعتصم، وأبلى في أمر بابك الخرمي بلاءً حمده له؛ فلما سخط المعتصم عليه لما نسب إليه من سوء السيرة، وقبح السريرة، وأنه يخطب درجة بابك، ويريد التحصن بموضع يخلع فيه يده عن الطاعة، وأظهر القاضي أحمد بن أبي دواد عليه أنه على غير الإسلام، قال أبو تمام معندرا للمعتصم من تقديمه واجتباؤه، ولنفسه من مدحه وإطرائه :

أبو تمام يعتذر
للمعتصم عن
سابق مدحه
للأفشين

ما كان لولا فحشُ غدره خيدر
هذا الرسول وكان صفوة ربه
قد خصَّ من أهل النفاق عصابةً
واختار من سعدٍ لعين بنى أبي
حتى استضاء بشعلة الشور التي
ثم ذكر في هذه القصيدة أن قتل الأفشين لبابك لم يكن بصدق بصيرة،
ولا لصحة سريرة، فقال :

ليكون في الإسلام عامُ فجارٍ
من خيرٍ بادٍ في الأنام وقارٍ
وهم أشدُّ أذى من الكفار
سرح لعمر الله غير خيار
رفعت له سترًا من الأستار

(١) ابتلاه : اختبره . (٢) في بعض الأصول «خيدر» وفي بعضها «حيدر» (م)

والهاشمون المستقاة طعنهم — عن كَرِّ بِلَاءَ بَأَثَقَلِ الْاَوْزَارِ
فشفاهم المختارُ منه ولم يكن في دينه المختارُ بالمختارِ

[المنافقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم]

أما من ذُكِرَ من أهل النفاق، فقد كانوا يظهرون غيرَ ما يُسرُّون، حتى
أطلع الله نبيَّه عليه السلام على أخبارهم، ونشَرَ له مَطْوِيَّ أسرارهم.

عبد الله بن
أبي سرح

وأما ابنُ أبي سرح فهو عبدُ الله بن سعد بن أبي سرح بن الحسام بن الحارث بن
حبيب بن خزيمة بن نصر بن مالك [بن حسيل] بن عامر بن لؤي، أسلم قبل الفتح،
واستكتبه النبي عليه السلام؛ فكان يكتبُ موضعَ «الغفور الرحيم» العزيزِ
الحكيم، وأشبه ذلك؛ فأطلع الله عليه النبي عليه السلام، فهرب إلى مكة
مرتدًّا؛ وأنزل فيه: (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله). فأهدر النبي صلى الله عليه
وسلم يوم الفتح دمَّه، فهرب من مكة، فاستأمن له عثمانُ رضى الله عنه؛ فأمنه
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وهو أخو عثمان من الرضاة، وأسلم فحسن
إسلامه، وولَّى مصر سنة أربع وعشرين، فأقام عليها إلى أن حُصر عثمان، ومات
بقيسارية الشام، ولم يدخل في شيء من الفتن الحجازية في ذلك الوقت.

المختار بن أبي
عبيد الحارثي

وأما المختارُ الذي ذكره فهو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير
ابن عوف بن عقدة بن عروة بن عوف بن قسي وهو ثقيف؛ وكانت لأبيه في
الإسلام آثارٌ جميلة، وأختُ المختار صفيية بنت أبي عبيد زوجُ ابن عمر، والمختار
هو كذاب ثقيف الذي جاء فيه الحديث، وكان يزعمُ أنه يُوحى إليه في قتلة
الحسين؛ فقتلهم بكل موضع، وقتل عبيد الله بن زياد، وله أسجاع يصنعها،
والفاظ يتدعها، ويزعم أنها تنزل عليه، وتوحى إليه.

وقيل للأحنف بن قيس: إن المختار يزعم أنه يُوحى إليه! فقال: صدق،
وتلا: (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ). وأخباره كثيرة ليس هذا موضعها.

بين أمية بن
خالد وعبد الله
بن الأهم

لما هزم أمية بن خالد بن أسيد لم يدرِ الناس كيف يقولون له، فدخل
عبد الله بن الأهم عليه، فقال: الحمد لله الذي نظر لئسا أيها الأمير عليك،

ولم ينظرُ لك علينا ، فقد تعرَّضت للشهادة بجهديكَ ، إلا أن الله علم حاجةَ أهل الإسلام إليك ، فأبقاك لهم بخذلان مَنْ معك . فصدر الناسُ عن كلامه .

ويتعلق بهذه المقامة فصل في غرائب التكتاب

كتب حمدون بن نهران إلى عاملٍ عُزِلَ عن عمله :

من حمدون
بن نهران لعامل
عزل عن عمله

بلغني أعزك الله أنصرفك عن عملك ، ورجوعك إلى منزلك ؛ فسُررت بذلك ، ولم أستفطعهُ وأجزع له ؛ لعلمي بأنَّ قدرك أجلُّ وأعلى من أن يرفعك عملٌ تتولاه ، أو يضعك عزلٌ عنه ؛ ووالله لو لم تختَر الانصراف وتُرد الاعتزال لكان في إطفِ تدبيرك ، وثقوب رويتك ، وحُسن تَأْتِيكَ ، ما تُزِيل به السبب الداعي إلى عزلك ، والباعث على صرْفِكَ ؛ ونحن إلى أن نهنتك بهذه الحال أولى بنامن أن نعزيك ؛ إذ أردت الانصراف فأوتيته ، وأحببت الاعتزال فأعطيته ، فبارك الله لك في مُنْقَلَبِكَ ، وهنَّاك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها .

وكتب ابن مكرم إلى نصراني أسلم :

من ابن مكرم
لنصراني أسلم

أما بعد فالحمد لله الذي وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، وظهر من الارتباب قلبك ، وما زالت تخائبك ممثلة لنا حقيقه ما وهب اللهُ فيك ، حتى كأنك لم ترن بالإسلام مؤسوماً ، وإن كنت على غيره مقبماً ، وكنا مؤمليين لما صرت إليه ، مشفقين مما كنت عليه ، حتى إذا كاد إشفاقنا أن يستغلي رجاءنا أنت السعادة بما لم ترن الأنفسُ تعدُّ منك ؛ فأسأل الله الذي أضاء لك سبيل رُشدك أن يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيتك في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً ، ويقيتكَ عذاب النار .

قال بعضُ الكتاب : من الحق ما يُستحسن ترُّكه ، ويستهجَنُ عمله ، وقد يقع من ذلك فيما يُحبه الشرع ، ويكرهه الأدياء ؛ وكثيرٌ ممن يغلبُ على طبعه هذا المعنى يراد سموُّ نفس ، وعلوُّ همة . حتى رأينا من لا يحضر ترويح

بعض ما
يستحسن تركه
وإن كان حالاً

كريمته ، ويوتى أمرها غير نفسه ، ورأينا من يجاوز ذلك إلى ألا يُنكح مستنكحها ، وزاد به العلو إلى ترك ما ذكره أولى ؛ وكنا عرفنا حال إنسان تزوجت أمه ؛ فعظم لذلك همه ، وانفرد عن أودائه ، وتوارى عن أصفائه ؛ حياء من لقائهم ، وكرها لتهنئتهم له أو عزائمهم ، واضطرتته الوحشة إلى قصد من ظن به منهم المسككة في تحامى خطابه فيما اجتنب لأجله خلّائه ، وفارق بسببه إخوانه ، وتخيّل ذلك المتصوّد أنه إنما لجأ إليه ليسلّيه ؛ فأفاض معه فيما قدّر أنه قصد له من المعنى الذى جعله وحيداً خوف المفاوضة .

ثم مضت الأيام واختلف الحال ، ورجع إلى العشرة وأبناء المودة ؛ فكان عنده من لم يخاطبه أخطى ، وفي نفسه أوفى ، وعلى قلبه أخفّ ، وفي نفسه أشفّ ، ونعم على ذلك الصديق وعتب ؛ إذ لكلّ من الناس - إلا من طاب محتدّه وطال سوّده - حال من الإنف والرغبة تحسن المساوى ، ثم حال من الملل والزّهادة تقبّح الحاسن ؛ واعتذر المتكفّف من التسلية بما لم يلزمه ، ولم يرده صفئه ، فإنه فعل ما أوجبه الأخوة ، وحقوق الخلطة ، وأسباب العشرة ، وانبساط المفاوضة ؛ ودبت عقارب الظنون والشايبه ، إلى أن خرجا بالملاحاة إلى المعاداة ؛ فلما وقع بعض الناس بينهما من معاودة الحسنى ، ومراجعة الأولى ؛ جاهر هذا الماقت بقرع سينّ الأسف على تخيّل النهى والوقار من المقوت ، وظاهر المقوت بتفريع الماقت ، بتزويج أمّه الذى تجشم من كلامه فيه فضلاً ، وتكلف من خطابه عليه ما من حسرة خلّاً ؛ فأفضى الأمر بينهما إلى الأوتار ، وطلب الثّار .

فإن اضطرت إلى القول فى هذا المعنى أحدٌ بأمر قاهر من السلطان ، أو حوادث الأزمان ، أو تطارح الإخوان ، فليقل وليكنّب ما مثلنا إن لم يجد منه بداً : أنت - بفضل الله عليك وإحسان تبصيره إليك - من أهل الدين ، وخصوص اليقين ، فكما لا تتبع الشهوة فى محظور تبويه ، فكذا لا تتبع الأنفة فى مباح تحظره ؛ وقد اتّصل بنا اختارده الله والقضاء لذات الحقّ عليك ، المنسوبة - بعد نسبك إليها - إليك ،

ما يقال لمن
تزوجت أمه

مما كرهه إياؤك الدُّنيوى لك ولها ، [وَرَضِيَهُ الحلالُ الدينى له ولها] ، فنحن نغزىك عن فائت محبوبك ، ونهنتك فى الخيرة فى اختيار القدر لك ، ونسأل الله أن يجعلها أبداً معك فيما رضيت وكرهت ، وأبيت وأتيت .

فهذا ونحوه أصوبُ وأسلم ، إن اضطررت إليه ، وتركه أحسن وأحزم ، إن ملكت رأيك فيه ؛ والتلطفُ للسكينة عما يُستهجن ولا يستحسن التواجه به من أحسن الأشياء وأسدها .

من أبى الفضل بن العميد لمن تزوجت أمه وكتب أبو الفضل بن العميد فى بابه: الحمد لله الذى كشف عنا سترَ الخيرة . وهدانا لسترِ العورة ، وجدعَ بما شرع من الحلال أنفَ الغيرة ، ومنعَ من عضلِ الأمهات ، كما منع من وأدِ البنات ، استنزأً للنفوس الأبية ، عن حمية الجاهلية . ثم عرض للجزيل من الأجر من استسلم لمواقع قضائه ؛ وعوض جزيل الثواب لمن صبر على نازلِ بلائه ؛ وهنالك الله ، الذى شرح للفقوى صدرك ، ووسع فى البلى صبرك ، ما ألهمك من التسليم بمشيئته ، والرضا بقضيته ، ووقفك له من قضاء الواجب فى أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ؛ وجعل الله تعالى حده^(١) ما تجرعتَه من أنف^(٢) ، وكظمتَه من أسف ، معدوداً يعظمُ الله عليه أجرك ، ويُجزلُ به ذُخرك ؛ وقرن بالحاضر من امتعاضك لفعالها المنتظر من ارتماضك لدَفنها^(٣) ، وعوضك من أسيرة فرسها أعواد نغشها ؛ وجعل ما يُنعمُ به عليك من بعدها من نعمة مُعرِّى من نعمة ، وما يوليك بعد قبضها من منحة مبرأ من محنة .

(١) الحد : البأس ، ومثله الحد .

(٢) الأنف والأنفة : الحمية .

(٣) الارتماض : الحزن .

ألفاظ لأهل العصر في التهامي بالبنات

هنا الله سيدي ورَدَ الكريمة عليه ، وثمر بها أعداد النسل الطيب لديه ؛
وجعلها مؤذنةً بإخوة بررة ، يعمرون أندية الفضل ، ويعبرون^(١) بقتية الدهر .
اتصل بي خبر المولودة ، كرم الله غرمتها وأنبتتها نباتاً حسناً ، وما كان من
تغيرك بعد اتصاح الخبر ، وإنكارك ما اختاره الله لك في سابق القدر ، وقد
علمت أمهن أقرب من القاب ، وأن الله تعالى بدأ بهن في الترتيب ، فقال جل
من قائل : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) . وما سماه
هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أخرى . أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ،
وأمُ الأبناء ، وجالبة الأصهار ، وأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ،
ونجباء يتلاحقون .

فلو كان النساء كمثل هدى لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيت لاسم الشمس غيب ولا التذكير فخر للهلال

والله يعرفك البركة في مطلعها ، والسعادة في موقعها ، فادرع اغتباطا ،
واستأنف نشاطا . الدنيا مؤنثة ، والرجال يخدمونها . والنفار مؤنثة ، والذكور
يعبدونها . والأرض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية . والسماء
مؤنثة ، وقد خلقت بالكواكب ، وزينت بالنجوم الثواقب . والنفس مؤنثة ،
وهي قوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام
ولا عرف الأنام . والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ؛ فهناك
الله ما أوليت ، وأوزعك شكر ما أعطيت ، وأطال الله بقاءك ما عرف
النسل والولد ، وما بقى العصر والأبد ؛ إنه فعال لما يشاء .

(١) يعبرون : ييقون (م) .

[بعض ما لا يُمدح النساء به]

والتصرف في النساء ضيق النطاق ، شديد الخناق ، وأكثر ما يُمدح به

الرجال ذم لهم ، ووَصَّم عليهم ، قال ابن الرومي :

ما لِلْحِسَانِ مَسِيئَاتٍ بِنَا ، وَلَنَا إِلَى الْمَسِيئَاتِ طَوْلَ الدَّهْرِ تَحَنُّانُ
فَإِنْ يَبْحَثَنَّ بَعْدَ قُلْنِ : مَعْدِرَةٌ
لَا تُلْزَمُ الذِّكْرَ ، إِنَّا لَمْ نُسَمِّ بِهِ
فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَيْنَا أَنْ شِيمَتِهِمْ
وَأَنْ مِنْهُمْ وِفَاءٌ لَا نَقُومُ لَهُ
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ السَّنْبِي :

بِنَفْسِي الْخِيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْمَةٍ
مَلَامٌ فَلَوْلَا الْبُخْلُ وَالْخَوْفُ عِنْدَهُ
وَقَوْلُهُ لِي : بَعْدَنَا الْقُمْضَ تَطْعَمُ
لَقَلْنَا أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمَسْلَمُ

ألا ترى أن الجود ، والوفاء بالعهود ، والشجاعة والفتن ، وما جرى في
هذا السن ، من فضائل الرجال ، لو مُدِح النساء به لكان نقصاً عليهن ،
وذمًا لهن ؟

ولمدح النساء أبواب تفرقت في الكتاب :

أشدد رجل زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور :

أزْبَيْدَةُ بِنْتُ جَعْفَرٍ لَطُوبَى لَزَائِرِكَ الْمَتَابِ
تُعْطِينَ مِنْ رِجْلَيْكَ مَا تُعْطَى الْأَكْفُ مِنَ الرَّغَابِ

فوثب إليه الخدم يضر بونه ، فمنعهم من ذلك ، وقالت : أراد خيراً وأخطأ ،
وهو أحب إلينا من أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم « شمالك أندي من يمين غيرك »
فظن أنه إذا قال هكذا كان أبلغ ، أعطوه ما أمل ، وعرفوه ما جهل .

وقال كثير :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هو ما مسح

رجل يمدح
زبيدة أم
الأمين

لكثير عزة

وشدّت على حُذْبِ الْمَطَايَا رِحَالَنَا
أَحَدْنَا بِأُطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَبْنَانَا
تَقَمْنَا قُلُوبَنَا بِالْأَحَادِيثِ وَاشْتَقَمْنَا
وَلَمْ نَحْشُرْ رَبِّبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَلَا يَعْلَمُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحٌ
وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِي الْمَطِيَّ الْأَبَاطِحُ
بِذَلِكَ صُدُورٌ مُنْضِجَاتٌ قَرَائِحُ (١)
وَلَا رَاعِنَا مِنْهُ سَنِيحٌ وَبَارِحٌ

وقال :

ولكثيراً أيضاً

تَفَرَّقَ الْأَفُّ الْحَجِيجِ عَلَى مَنِيٍّ
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ سَأَلْتُ بَطْنَ نَخْلَةٍ
فَلَمْ أَرَ دَاراً مِثْلَهَا دَارَ غِبْطَةٍ
أَقْوَلُ مَقِيماً رَاضِياً بِمَكَانِهِ
فَأَصْبَحَ لِاتْلَقِي خَبَاءَ عَيْدَتِهِ
فَشَاقُوكَ لِمَا وَجَّهُوا كُلَّ وَجْهَةٍ
وَسَتَّتَهُمْ شَحْطُ النَّوَى مَشَى أَرْبَعُ
وَأَخْرُ مِنْهُمْ جَارِعٌ ظَهَرَ تَضْرُعُ
وَلَهُوَ إِذَا التَفَّ الْحَجِيجُ بِمَجْمَعٍ
وَأَكْثَرَ جَارِراً ظَاعِناً لَمْ يُودَّعِ
بِمَضْرَبِهِ أَوْ تَادَهُ لَمْ تُنَزَّعِ
فَبَانُوا وَخَلَّوْا عَنْ مَنَازِلٍ يَبْلَقِعُ

عزة تفضل
الأحوص على
كثير

ودخل كثير على عزة يوماً ، فقالت : ما ينبغي أن تأذن لك في الجلوس ،
فقال : ولم ذلك ؟ قالت : لأنني رأيت الأحوص ألين جانبياً عند الغواني منك في
شعره ، وأصرع خدّاً للنساء ، وأنه الذي يقول :

يَأْيِسُ اللَّائِي فِيهَا لِأَصْرِمِهَا
أَكْثَرُ فَلَسْتُ مُطَاعاً إِذْ وَشِنَيْتَ بِهَا
وَيَعْجِبُنِي قَوْلُهُ :

أُدُورٌ وَلَوْ لَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ
وَمَا كُنْتُ زَوَّاراً ، وَلَكِنْ ذَا الْهُوَى
لَقَدْ مَنَعَتْ مَعْرِفَهَا أُمَّ جَعْفَرٍ
بِأَبْيَاتِكُمْ مَا دَرْتُ حَيْثُ أَدُورُ
إِذَا لَمْ يُرْزَلْ لِابْتَدَأْ أَنْ سَيُزُورُ
وَإِنِّي إِلَى مَعْرِفِهَا لِنَفْسِي

(١) تقع : روى ، ومنضجات قرأه : أنضجها الحزن وقرحها

ويعجبني قوله :

كم من دنى لها قد كنت أتبعه
لا أستطيع نزعاً عن محبتها
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني
وزادني رغبة في الحب أن منعت ،
ولو صحا القلبُ عنها كان لي تبعاً
أو يصنع الحبُّ بي فوق الذي صنعا
حتى إذا قلتُ هذا صادقُ نزعاً
أشهى إلى المرء من دُنياه ما منعاً
وقوله :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
وما العيش إلا ما تكدت وتشمي
وإني لأهواها وأهوى لقاءها
علاقة حبِّ حُجٍّ في سنن الصبا
فكن حجراً من يابس الصخر جليداً
وإن لام فيه ذو الشنان وفندا
كما يشتهي الصادي الشراب المبرد
فأبلى ، وما يزداد إلا تجدداً
هذان البيتان أحقهما العتيبي وغيره بشعر الأحوص ، وأنشدها أبو بكر بن
دريد لأعرابي ، فقال كثير : قد والله أجاد فما استقبحت من قولي ؟ قالت :
قولك :

وكنت إذا ما حثت أجلن مجلسي
يُحاذِرُن مني غيره قد عرفها
تراهن إلا أن يخالسن نظرة
كواظم لا ينطقن إلا منحورة
وكن إذا ما قلن شيئاً يسره
وقولك :

وَدِدْتُ وَبَيْتِ اللَّهِ أَنْكُ بَكْرَةٌ هِجَانٌ ، وَأَنْي مُصْعَبٌ ثُمَّ تَهْرُبُ (١)

(١) هجان : بياض ، والمصعب : الفحل ، ورواية صاحب الموهج :

ألا ليتنا باعز كنا لذي غنى بهيزن نزعى في الخلاء ونعزب

كَلَانَا بِهِ عُرْتُ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَرَبَاءُ تُعَدِّي وَأَجْرِبُ^(١)
 نَكُونُ لَدِي مَالٍ كَثِيرٍ مَغْفَلٍ فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ
 إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا فَمَا نَنْفَكُ نُؤْذَى وَنُضْرَبُ^(٢)
 وَيَحْكُ ! لَقَدْ أُرِدْتَ بِي الشَّقَاءَ ، أَمَا وَجَدْتَ أَمْنِيَةً أَوْ طَأْمًا مِنْ هَذِهِ ؟ فُخْرَجْ
 خَجَلًا .

[من الأمانى]

لأبي صخر
الهدلى

وَقَدْ تَمَّتْ بِمَثَلِ هَذِهِ الْأَمْنِيَةِ الْفَرَزْدَقُ . وَأَغْرَبَ مِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي صَخْرٍ الْهَدَلِيِّ :
 تَمَنَيْتُ مِنْ حُبِّي عَلَيْهِ أَنَّنَا عَلَى رَمَثٍ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفَرُ^(٣)
 عَلَى دَائِمٍ لَا يَعْزِبُ الْفَلَكَ مَوْجُهُ وَمِنْ دُونِنَا الْأَهْوَالُ وَاللَّجَجُ الْخُضْرُ
 فَتَقْضَى هَمُّ النَّفْسِ فِي غَيْرِ رِقْبَةٍ وَيُغْرَقُ مَنْ نَحَشَى نَيْمَتَهُ الْبَحْرُ
 وَقِيلَ : الْأَمَلُ رَفِيقٌ مُؤْنِسٌ ؛ إِنْ لَمْ يُبَلِّغْكَ فَقَدْ أَهْلَاكَ .

وقال مسلم بن الوليد .

وَأَكْثَرُ أَفْعَالِ اللَّيَالِي إِسَاءَةٌ وَأَكْثَرُ مَا تَلْقَى الْأَمَانِي كَوَازِبًا
 وَقَالَ آخَرُ :

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَخْدًا
 أَمَانِيٍّ مِنْ لَيْلِي حِسَانٌ كَأَمَّا سَقَتْنِي بِهَا لَيْلِي عَلَى ظَلَمٍ بَرْدًا
 وَقَالَ آخَرُ

رَفَعْتُ عَنْ الدُّنْيَا الْمُنَى غَيْرِ حَبِهَا فَلَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلَا أُسْتَزِيدُهَا
 وَقِيلَ لِأَعْرَابِي : مَا أَمْتَعْتَ لِدَاتِ الدُّنْيَا ؟ فَقَالَ : مِمَّا حَبَّ الْحُبِّ ، وَمِمَّا حَادَثَهُ الصَّدِيقُ ،

(١) العر - بالفتح ويضم - الجرب

(٢) رواية صاحب الموشح :

إذا ما وردنا منها صاح أهله إذا ما وردنا منها صاح أهله

(٣) الرمث بالتحريك خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب في البحر

وأمانى تقطع بها أيامك ، وأنشد :

عَلَّيْنِي بِوَعْدِ وَأَمَلِي مَا حَيَّتْ بِهِ
وَدَعَيْتِي أَفْزُ مِنْكَ بِنَجْوَى تَطْلُبُهُ
فَعَسَى يَعْزُ الزَّمَانُ بِخَطِي فَيَذْتَبُهُ
[بعض أخبار كثير وعزة]

حق كثير

وكان كثير بن عبد الرحمن بن أبي جُعة الخزاعي — ويعرف بعزة ، على حدة خاطره ، وجودة شعره — أحمق الناس .

دخل عليه نفرٌ من قريش وهو عليل يهزون به ، قال بعضهم : فقلت له : كيف تجددك ؟ قال : بخير ، هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ فقلت : نعم ، سمعتمهم يقولون : إنك الدجال . فقال : والله لئن قلت ذلك إني لأجدُ في عيني اليمنى ضعةً منذ أيام .

كان راضياً

وكان راضياً يدين بالرجعة ، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، والروافض يزعمون أنه دخل في شعب باليمن في أربعين من أصحابه ، ولا بد من ظهوره ، وفي ذلك يقول :

أَلَا إِنَّ الْأَمَّةَ مِنْ مَقْرِيشٍ
عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةَ مِنْ بَنِيهِ
وَسَبَطُ سَبَطُ إِيمَانٍ وَبِرٍّ
وَسَبَطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى
وَأَلَا الْحَقُّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءٌ
هُمُ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
وَسَبَطُ غَيْبَتُهُ كَرِّ بَلَاءُ
يَقُودُ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللُّوَاءُ
وَمَاءُ
وكان خلفاءُ بني أمية يعلمون ذلك منه ، ويلبسونه عليه .

بين كثير
وعبد الملك
بن مروان

دخل يوما على عبد الملك بن مروان فقال : نشدتك بحق علي بن أبي طالب ، هل رأيت أعشق منك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو سألتني بحقك لأخبرتك ، نعم ، بينا أنا أسيرُ في بعض الفلوات إذا أنا برجل قد نصب حباباً له ، فقلت له :

ما أَجْسَكَ ها هنا؟ قال: أهلكني وأهلى الجوع، فنصبت حَبَائِلِي لِأَصِيبَ لَهْمٍ
ولنفسى ما يكفيننا سحابة يَوْمِنَا، قلت: رأيت إن أقتُ معك فأصَبْنَا صيدا
أَتَجْعَلُ لِي منه جزءاً؟ قال: نعم، فيينا نحن كذلك إذ وَقَعَتْ ظِيئَةٌ، فخرجنَا
مُبْتَدِرِينَ، فأسرع إليها فحلَّها وأطلقها؛ فقلت: ما حملك على هذا؟ قال:
دخلتني لها رِقَّةٌ لَشَبَّهَها بِلَيْلِي، وأنشأ يقول:

أيا شِبَهَ لَيْلِي لا تُرَاعِي فَإِنِّي لك اليوم من وَحْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ
أقول وقد أطلقتها من وَثاقها لأنتِ - اللَّيلى - ما حَيَّتْ طليقُ
وروى الكلبي وابن دَابُّ أنه لما حَلَّها قال:

أذهبي في كِلَآءَةِ الرَّحْمَنِ أنتِ منى في ذِمَّةٍ وَأَمَانِ
لا تُخَافِي بَأْسَ تُهَاجِي بِسوءِ ما تَفَنَّى الحَمَامِ في الأَغْصَانِ
ترهيبني والجدُّ منك لِلْيَلِي والحشأ والبغام والعينان؟

وقال قيس بن الملوِّح:

راحوا يَصِيدُونَ الطُّبَاءَ وإِنِّي لأرى تَصَـيِّدُها على حَرَامِ
أَشْبَهَنَ مِنْكَ محاجراً وسوالفاً فأرى على لها بِذاك ذِمَامِ
أعزُّ على بَأْسَ أروع شبيهاً أو أن يذُقنَ على يَدَيَّ حِمَامِ
ومن جيد شعر كثير:

وكانت لِقَطْعِ الحَبْلِ بيني وبينها وكانت لِقَطْعِ الحَبْلِ بيني وبينها
فقلتُ لها: يا عَزُّ كلُّ مُصِيبَةٍ فقلتُ لها: يا عَزُّ كلُّ مُصِيبَةٍ
ولم يَلِقَ إنسانٌ من الحبِّ مَيِّعَةً ولم يَلِقَ إنسانٌ من الحبِّ مَيِّعَةً
أباحَتْ حَمِيَّ لم يَرَعَهُ الناسُ قبلها أباحَتْ حَمِيَّ لم يَرَعَهُ الناسُ قبلها
هنيئاً مريئاً غيرَ داءِ مُخَامِرِ هنيئاً مريئاً غيرَ داءِ مُخَامِرِ
أسيئى بنا أو أحسنى لا مَلوْمَةٌ أسيئى بنا أو أحسنى لا مَلوْمَةٌ
ووالله ما قاربتُ إلا تباعدتُ ووالله ما قاربتُ إلا تباعدتُ

لقيس بن
الملوح

من جيد
شعر كثير

وما مرَّ من يومٍ عليَّ كيومها
فياعجباً للقلبِ كيف اعترافهُ
وإني وتهياحى بعزةٍ بعدما
لكالمترجى ظلَّ الغمامة ، كلما
وإن عظمت أيام أخرى وجلت
وللنفس لما وطئت كيف دلت
تخلّيتُ مما بيننا وتخلّت
تبوأ منها للمقبل اضمحلت
وكان كثير قصيرا دميما ، ولذلك قال :

كان كثير
قصير دميما

فإن أكُ معروقَ العظامِ فإنني إذا ما ورنت القومَ بالقومِ وازن^(١)
ودخل كثير على عبد الملك بن مروان في أول خلافته ، فقال : أنت كثير ؟
فقال : نعم ، فاقنحه ، وقال : تسمع بالمعيدي لا أن تراه^(٢) ! فقال :
يا أمير المؤمنين ، كلُّ إنسان عند محله رَحْبُ الفناء ، شامخُ البناء ، عالي
السَّماء ، وأنشد يقول :

تري الرجل النحيفَ فتزدريه
ويُعجبك الطيرُ إذا تراه
بُعْثُ الطير أطولها رقاباً
خشاشُ الطير أكثرها فراحاً
وفي أتوايه أسدٌ هصُورُ
فِيخلف ظنك الرجلُ الطيرُ^(٣)
ولم تطلُّ البُزاة ولا الصقورُ^(٤)
وأُمُّ الباز مقلّاةٌ زورُ^(٥)

(١) قبل هذا البيت

رأت رجلاً أودى السقام بجسمه فلم يبق إلا منطق وجناجن
وبعده :

وإني لما استودعتني من أمانة إذا ضاع الأسرار يا عز دافن
(٢) رواية القائل : « أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه »
(٣) رجل طير : له هيئة حسنة
(٤) البعث : شرار الطير

(٥) خشاش الطير : هي العصافير ونحوها ، والمقلّاة : التي لا يحيا لها ولد ، والنزور :

قليلة الأولاد

ضِعَافُ الْأَسَدِ أَكْثَرُهَا زَيْبًا
 وَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ
 وَأَصْرَمَهَا الْأَوَاتِي لَا تَزِيرُ
 فَلَئِمَّ يَسْتَعْنُ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
 يَنْوُخُ ثُمَّ يُضْرَبُ بِالْمِرَاوِي
 فَلَا عُرْفَ لَهُ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ
 وَيَصْرَعُهُ عَلَى الْجَنْبِ الصَّغِيرُ^(١)
 وَلَكِنْ زَيْنُهُمْ حَسَبٌ وَخَيْرُ^(٢)
 فَمَا عَظَمَ الرَّجَالُ لَهُمْ بَزِينَ
 فَقَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ! مَا أَطْوَلَ لِسَانَهُ ، وَأَمَدَ عِنَانَهُ ، وَأَوْسَعَ جَنَانَهُ ؛ إِنِّي
 لِأَحْسِبُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ^(٣) .

[قولهم في الطول والتقصير]

وَأَشَدُّ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ لِشَاعِرٍ قَدِيمٍ :
 وَعَاذَلَهُ هَبَّتْ بَلِيلٌ تَلُومُنِي
 وَقَوْلٌ: اتُّدَلَايْدُ عَكَ النَّاسِ مُمْلِقًا
 لَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَنِّي
 وَأَنِّي لَا أَخْزِي إِذَا قِيلَ مُمْلِقٌ
 فَلَا تَتَّبِعِي النَّفْسَ الْغَوِيَّةَ وَانظُرِي
 وَلَا تَذْهَبِي عَيْنَاكَ فِي كُلِّ شَرْمَحٍ
 عَسَى أَنْ تَمَنِّي عِرْسُهُ أَنِّي لَهَا
 وَلَمْ يَغْتَمِرْنِي قَبْلَ ذَلِكَ عَذُولُ^(٤)
 وَتُزْرِي بَيْنَ يَابَنِ الْكِرَامِ تَعُولُ
 وَطَارِقُ لَيْلٍ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ
 كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الْكِرَامِ قَلِيلُ
 سَخِيٌّ ، وَأَخْزِي أَنْ يُقَالَ بِجَيْلُ
 إِلَى عُنْصُرِ الْأَحْسَابِ كَيْفَ يَقُولُ
 لَهُ قَصَبٌ جُوفُ الْعِظَامِ أُسَيْلُ^(٥)
 بِهِ ، حِينَ يَشْتَدُّ الزَّمَانُ ، بِدَيْلُ

(١) رواية القالي : « وينحره على التراب الصغير »

(٢) رواية القالي « كرم وخير »

(٣) روايه القالي « فقال عبد الملك : لله دره ! ما أفصح لسانه ، وأضبط جنانه ،

طول عنانه ! والله اني لأظنه كما وصف نفسه » .

(٤) اغتمره يغتمره : عده غمرا - بالضم ويفتح - وهو من لم يجرب الأمور

(٥) الشرمح : الرجل الطويل .

إذا كنت في القوم الطوال فطقتهم^(١) بعارفة حتى يقال طويل^(٢)
 ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم تزن حسن الجسوم عقول
 فكان رأينا من فروع طويلة تموت إذا لم تحمين أصول
 فالأب يكون جسمي طويلاً فإنتى له بالفعال الصالحات وصول
 ولم أرَ كالمعروف: أمّا مذاقهُ فخلو، وأمّا وجههُ فجميل
 وقال ابن الرومي:

لابن الرومي

ونصيف من الرجال نحيف راجح الوزن عند وزن الرجال
 في أناس أوتوا حُلومَ العَصَافِيرِ فلم تُغْنِهِمْ جُسُومُ البِغَالِ
 أخذه من قول حسان بن ثابت، وقال له بنو الديان الحارثيون: قد
 ونحن نَطُولُ بأحسامنا على العرب حتى قلت:

دَعُوا التَّحَاجُؤَ وَاْمَشُوا مِشْيَةَ سُجُجًا إِنَّ الرِّجَالَ ذَوُو قَدٍّ وَتَدٍّ كَبِيرٍ
 لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عِظَمٍ جِسْمِ البِغَالِ وَأَحْلَامِ العِصَافِيرِ
 فتركنا لا نرى أجسامنا شيئاً

والعربُ تمدح الطول، وتثنى عليه، وقال عنتر بن شداد:

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ يُحَدِّي نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بَتَوَامٍ

لعنتره العبسي

قوله « ليس بتوأم » يريد ليس ممن زوحم في الرحم فضعف، كمال قال
 الشعبي، وقد دخل على عبد الملك بن مروان، فجعل ينظر إليه، وكان الشعبي
 قد ولد توأمًا مع أخيه، فكان نحيفًا، فقال: يا أمير المؤمنين، إني زوحت
 الرحم، وقال:

(١) رواية القالي « فضلهم »

(٢) العارفة: السكرمة، وفسرها أبو بكر ابن الأنباري بالنفس الصابرة

(٣) التحاجؤ: فتح الصدر عند المشي تيمنا وكبرياء

ولما التقى الصفان واختلف القنا
تبيّن لي أن القهامة ذلة
وقال أبو نواس :

لأبي نواس

وكنا إذا ما الحائن الجدد غره
تردّي له الفضل بن يحيى بن خالد
أمام خميس أرجسوان كأنه
ومن هذا البيت أخذ أبو الطيب المتنبي قوله :

وملومة زرد ثوبها ولكنّه بالقتنا مضمّل

[عود إلى أخبار كثير عزة]

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان وهو عليل ، وأهله يتمنون أن
يتبسم ، فقال : لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوتُ الله أن يصرف
مايك إليّ ، ولكني أسأل الله أيها الأمير العافية لك ولي في كنفك ؛ فضحك
وأمر له بمال فخرح وهو يقول :

ونعودُ سيّدنا وسيّد غيرنا ليت التشكوى كان بالعواد

لو كان تُقبلُ فديةٌ لفديته بالمصطفى من طارفي وتلادري

قال محمد بن سلام الجمحي : قال أبي : ذا كرتُ مروان بن أبي حفصة شعرًا

جرير والفرزدق وكثير ، فذهب إلى تقديم كثير ، وجعل يُطريه ويقول : هو
أمدحهم للخلفاء ، فقلت : أمّن جودة مدحه للخلفاء قوله لعبد الملك بن مروان :

ترى ابن أبي العاصي وقد صفتُ دونه ثمانون ألفاً قد توافقت كموها

يقلّب عيني حية بمفازة إذا أمكنته شدة لا يقيلها

فقال هذا للخليفة ودونه ثمانون ألفاً ، وجعله يقلّب عيني حية .

نقد سلام
الجمحي بعض
شعر كثير

وقوله :

وإن أمير المؤمنين هو الذي غزا كامنات الودّ مني فناها
زعم أن أمير المؤمنين استعطفه حتى غزا كامنات صدره .

وقوله لعبد العزيز بن مروان :

وما زالت رفاك تسأل ضيفي وتخرج من مكانها ضيائي
ويترقبني لك الخلوون حتى أجابك حية تحت الحجاب
زعم أن عبد العزيز ترصاه ، واحتال له ورقاه ، حتى أجابه ؛ أكذا تمدح
الملوك ؟ فأسكتته (١) .

فصول قصار

من كان له من نفسه واعظ ، كان من الله عليه حافظ . العبد حرٌّ إذا قنع ،
والحرُّ عبدٌ إذا طمع . الأمانى تحذعك ، وعند الحقائق تدعك . إذا كان
الطمعُ هلاكاً ، كان اليأسُ إدراكاً . ليس يعدُّ حكياً ، من لم يكن لنفسه خصياً . تعزَّ
عن الشيء إذا منعتَه ، بقلة ما يصببك إذا مُدحتَه . تجمرع مَضض الصبر تطفىء
نار الضر . الحكمة حفظُ ما كلفت ، وتركُ ما كفيت . الصبرُ عن محارم الله ،
أيسر من الصبر على عذاب الله .

شدور لأهل الصر في معانٍ شتى

قطعة من كلام الأمير قابوس بن وشمكير شمس المعالي في أثناء رسائله :
بزئد الشفيق توري نار النجاح ، ومن كف المفيض يُنظر فوز القيداح ،

من كلام
قابوس بن
وشمكير

(١) راجع ما أخذه الرواة على كثير في الصفحات ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ من
كتاب الموشح ؛ فإن ما هنا قد اقتبس من هناك

الوسائل أقدم ذوى الحاجات ، والشفاعات مفاتيحُ الطَّلِبَات . العفو عن الجرم من موجب الكرم ، وقَبُولُ المَعْدِرَةِ من محاسن الشِّيم . وبالتقوادم والحوافى قُوَّةُ النجاح ، وبالأسنة والعوَالى عمل الرماح . الدنيا دار تغير وخذاع ، وملتقى ساعةٍ لوداع ، والناس مُتَصَرِّفون بين كل ورد وصدْر ، وصائرون خَبْرًا بعد أثر . غايَةُ كل متحرِّك إلى سكون ، ونهايةُ كل متكون أَلَّا يكون ، وآخر الأحياء فناءً ، وانفراج على الأموات عَنَاء ، وإذا كان ذلك كذلك ، فليَمِ التهالك على الهالك ؟ . حشُوُ الدهر أحزان وهوم ، وصَفْوُهُ من غير كدر معدوم . إذا سمح الدهر بالحَبَاء ، فأبشُر بوشكِ الاقتضاء ، وإذا أعار ، فأحسبه قد أعار . الدهر طمان حلومرّ ، والأيام ضربان عُسرٌ ويسر . لكل شيء غاية ومنتهى ، وانقطاع وإن بلغ المدى . تَرَكَ الجواب ، داعيةُ الارتياب ، والحاجة إلى الاقتضاء ، كسوف في وجه الرجاء . همُّ المنتظر للجواب ثقيل ، والمدى فيه وإن كان قصيراً طويلاً . التنجيب إذا جرى لم يشقّ غباره ، وإذا سرى لم تلحق آثاره . ومن أين للضباب صَوْبُ السحاب ، وللغرب هُوِيُّ العقاب ، وهيهات أن تكتسب الأرض اطفافة الهواء ، ويصير البدر كالشمس في الضياء .

* * *

للشعالي يصف
شمس المعالي

وقد ترجم عن شمس المعالي أبو منصور الشعالي في كتاب ألفه له ؛ قال في أوله : أمّا على أثر حمدِ الله الذى هو أوّلُ كتابه ، وآخرُ دعوى ساكنى دارِ ثَوَابِهِ ، والصلاةِ على خَيْرَتِهِ من بَرِيَّتِهِ ، وعلى الصَّفْوَةِ من ذَرِيَّتِهِ ، فإنَّ خَيْرَ الكلامِ ما شغلَ بِحُدْمَةٍ مَنْ جمعَ اللهُ له عِزَّةَ الْمَلِكِ إلى بَسْطَةِ الْعِلْمِ ، ونورَ الْحِكْمَةِ إلى نَفْوذِ الْحُكْمِ ، وجَعَلَهُ مِمِّزًا على ملوكِ الْعَصْرِ ، ومدبِّرِي الأَرْضِ ووِلاةِ الأَمْرِ ، بخصائص من العدلِ ، وجلائل من الفضلِ ، ودقائق من الكَرَمِ الْمُحْضِ ، لا يدخلُ أيسرُها تحت العادات ، ولا يُدْرِكُ أَقْلُهَا بالعبارات ؛ ومحاسنُ [سِيرِ] الأنام^(١) ، تحرُّسُها أَسِنَّةُ الأَقْلَامِ ، وتدرسُها أَسِنَّةُ اللَّيَالِي والأَيامِ ، وهذه صفةٌ تُغْنِي

(١) في الأصول كلها « ومحاسن سير الأيام » تحريف، ما أثبتناه (م)

عن تشبيه الموصوف باختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إياها ، واستثنائه على جميع الملوك بها ، وإلمه بامعها بديهة السماع أنها للأمير ، شمس المعالي ، خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه لائحة ، وعن غيره نأفرة ؛ إذ هو - بمعانية الآثار ، وشهادة الأخيار ، وإجماع الأولياء ، واتفاق الأعداء - كافلُ المجد ، وكافي الخلق ، ووحدُ الدهر ، وغرّة الدنيا ، ومفزع الوري ، وحسنه العالم ، ونكتة الفلك الدائر ؛ فبلغه الله أقصى نهاية العمر ، كما بلغه أقصى غاية الفخر ؛ وسلكه أزمنة الأمر ، كلما ملكه أعنة الفضل ؛ وأدام حُسن النظر للعباد والبلاد ، بإدامة أيامه التي هي أعْيادُ الدهر ، ومواسمُ الأمن والأمن ، ومطالع الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً ونموّاً ، كما زاده في الشرف علواً ، حتى تكون السعاداتُ وقد بابه ، والبشائرُ قري سَمِعِهِ ، والمسارَ غِذاءً نفسه ، ويتراعى به الإقبالُ إلى حيث لا يبلغه أمل ، ولا يقطعُه أجل .

نَحَافِي قَوْلِهِ « وَهَذِهِ صِفَةٌ تُغْنِي عَنِ الْمَوْصُوفِ » إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ يَرْثِي أُخْتَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخِي يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبِي كِنَايَةً بِهِمَا عَنِ أَشْرَفِ النَّسَبِ
أَجَلٌ قَدْرَكَ أَنْ تُسَمِّيَ مُؤَثَّثَةً وَمَنْ دَعَاكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ

وفي شمس المعالي يقول الأمير أبو الفضل الميكالي :

لَا تَعْصِيَنَّ شَمْسَ الْعَلَا قَابُوسَا فَمَنْ عَصَى قَابُوسَ لَا قِيَّ بَوْسَا
وَلَهُ يَقُولُ بِدَيْعِ الزَّمَانِ فِي قَصِيدَةٍ نَظَمَهَا فِي تَضَاعِيفِ رِسَالَةِ مَوْشِحَةَ :
إِنَّ مَنْ كُنْتَ مِنْ مُنَاهُ بِمَرَأَى وَتَعْدَاكَ سَيِّئُ الْاِقْتِرَاحِ
بَيْنَ بَشَرٍ يَرُدُّ غَائِضَ جَاهِي وَقَبُولٍ يُعِيدُ رِيشَ جَنَاحِي

مدائح في شمس
المعالي ابن
وشمكير

وبساطٍ وِرْدَتْ مُشْرِعَةُ الْأُنْسِ بِهٍ وَاذْرَعَتْ بُرْدَ النِّجَاحِ
 فَاقْضِ أَوْ طَارًا التَّقْتُ وَالْمَعَالِي فِي نِظَامٍ مِنَ النَّهْيِ وَتَصَاحِ
 مَلِكٍ دُونَهُ تَقَطَّعَ أَبْصَارُ اللَّيَالِي يَوْمًا نَدَى وَكِفَاحِ
 مَلِكٍ لَوْ يَشَاءُ مَدَّ عَلَى النَّجْمِ رِوَاقًا وَرَدَّ وَقَدَّ الرِّيَّاحِ
 تَارَةً فِي خُشُونَةِ الدَّهْرِ تَلَقَّا هُوَ وَطُورًا فِي حُسْنِ ذَاتِ الْوِشَاحِ
 مَلِكٍ كَلَّمَا بَدَأَ نَفَقَ الْأَفْلاكُ عَجَبًا بِهِ وَفَرَطَ اِرْتِيَّاحِ
 هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ الْمَعَالِي طُرُقُ الْجَدِّ غَيْرُ طُرُقِ الْمَزَاجِ
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، كَتَبْتُهَا عَلَى طَرِيقِ الْاِخْتِيَارِ .

[من رسائل بديع الزمان]

رقعة لبديع الزمان إلى شمس المعالي ، وقد ورد حضرته :

لَمْ تَزَلِ الْأَمَالُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ شَمْسِ الْمَعَالِي ، وَأَدَامَ سُلْطَانَهُ - تَعِدُنِي
 هَذَا الْيَوْمَ ، وَالْأَيَّامُ تَمَطَّلُنِي بِالْأَسْنَةِ صَرُوفِهَا ، عَلَى اِخْتِلَافِ صُنُوفِهَا ، بَيْنَ حُلُوفِ
 اسْتَرْقَنِي ، وَمَرًّا اسْتَخَفَّنِي ، وَشَرَّ صَارَ إِلَيَّ ، وَخَيْرٌ صِرْتُ إِلَيْهِ ، وَأَنَا فِي خِلَالِ
 هَذِهِ الْأَحْوَالِ أَذْرَعُ الْآفَاقَ فَأَكُونُ طُورًا مُشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الْأَقْصَى ، وَطُورًا
 مَغْرِبًا لِلْمَغْرَبِ ، وَلَا مَطْمَحَ إِلَّا حَضْرَتُهُ الرَّفِيعَةَ ، وَسُدَّتْهُ الْمَرْبِعَةَ ، وَلَا وَسِيلَةَ إِلَّا
 الْمُنْزِعَ السَّاسِعَ ، وَالْأَمَلَ الْوَاسِعَ ؛ وَقَدْ صِرْتُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ مَوْلَانَا - بَيْنَ
 أَنْيَابِ النَّوَائِبِ ، وَتَجَشَّعْتُ هَوْلَ الْمَوَارِدِ ، وَرَكِبْتُ أَكْتَفَاءَ الْمَكَارِهِ ، وَرَضَعْتُ
 أَخْلَافَ الْعَوَائِقِ ، وَمَسَحْتُ أَطْرَافَ الْمَرَاحِلِ ، حَتَّى حَضَرْتُ الْحَضْرَةَ الْبَهِيَّةَ
 أَوْ كِدْتُ ، وَبَلَغْتُ الْأُمْنِيَةَ أَوْ زِدْتُ ، وَلِلْأَمِيرِ السَّيِّدِ فِي الْإِصْغَاءِ إِلَى الْمَجْدِ ،
 وَالسُّطْرِ مِنْ عِنَانِ الْفَضْلِ ، بِتَمَكِّينَ خَادِمِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ يَلْقَاهُ بِقَدَمِهِ ، وَالْبَسَاطِ
 يَأْتِيهِمْ بِفَمِهِ ، تَفَضُّلُهُ : فَهُوَ الرَّأْيُ الْعَالِيُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وله إلى بعض الرؤساء وقد وعد بحضور مجلسه بالغداة وأمره أن يزف إليه
 ما أنشأه ، فبعث به وكتب إليه :

مَرْحَبًا بِسَلَامِ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَلَا كَلِمَةَ حَبِيبِ

بَطَّلَعْتِهِ ؛ وقد وَصَلَتْ ثَمِيَّتُهُ فَشَكَرْتَهَا ، وَعِدَّتُهُ الْجَمِيلَةَ بِالْحَضُورِ غَدَا فَانْتَضَرَّتْهَا ؛
 ودَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَطْوِيَ سَاعَاتِ النَّهَارِ ، وَيَرْجِ الشَّمْسَ فِي الْمَغَارِ ، وَيُقَرِّبَ مَسَافَةَ
 الْفَلَكَ الدَّوَّارِ ، وَيَرْفَعَ الْبَرَكَةَ مِنْ سِيرِهِ ، وَيَجْهزَ الْحَرَكَةَ إِلَى دَوْرِهِ ؛ وَيُسِرَّنِي بِوَقْدِ
 الظَّلَامِ وَقَدْ نَزَلَ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ إِلَّا رَيْثًا رَحَلْ ؛ وقد بَعَثْتُ بِمَا طَلَبْتُ سَمْعًا لِأَسْرِهِ
 وِطَاعَةٍ ، وَالنَّسْخَةَ أَسْقَمُ مِنْ أَجْفَانِ الْعَضْبَانِ ، وَالشَّيْخَ سَيِّدِي — أَدَامَ اللَّهُ
 عَزَّه — يُرِيهِ كَيْفَ قَلَمِهِ فِي إِصْلَاحِهَا ، وَحَبِّدَا هُوَ فِي غَدٍ ، وَقَدْ طَلَعَ كَالصَّبْحِ إِذَا
 سَطَعَ ، وَالْبَرْقِ إِذَا مَع :

يا مَرْحَبًا بِغَدٍ يَا أَهْلًا بِهِ إِنْ كَانَ لِلْمَأْمُورِ الْأَحْبَبَةِ فِي غَدٍ

وله إِلَى أَبِي الطَّيِّبِ سَهْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَهُ بِأَبِي إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلِ بْنِ أَحْمَدَ :
 لَوْ كَانَ لِلْكَرْمِ عَنْ جَنَابِ الشَّيْخِ مُنْصَرَفٌ لِأَنْصَرَفْتُ ، أَوْ لِلْأَمَلِ مُنْخَرَفٌ إِلَى
 سِوَاهِ لَا تُنْخَرَفْتُ ، أَوْ لِلتُّجُّحِ بَابٌ سِوَاهِ لَوَلَّجْتُ ، أَوْ لِلْفَضْلِ خَاطِبٌ غَيْرُهُ لَزَوَّجْتُ ،
 وَلَكِنْ أَبِي اللَّهِ أَنْ يُعْقِدَ إِلَّا عَلَيْهِ الْخَنْصَرُ ، أَوْ يَتَحَلَّى إِلَّا بِفَوَاضِلِ الدَّهْرِ ، وَلَا يَزَالُ
 كَذَا يَتَسَمَّى الْمَجْدُ بِسِمَّتِهِ ، وَيَجْذِبُ الْعِلَاءَ بِهَمَّتِهِ ، وَيُسْعِدُ الدِّينَ بِنَظَرِهِ ، وَالدُّنْيَا
 بِجَمَالِهِ ، وَغُلَامُهُ أَنْوَالُ اسْتِعَارِ الدَّهْرِ لِسَانًا ، وَاتَّخَذَ الرِّيحَ تَرْجَمَانًا ، لِيُشِيمَ إِنْعَامَهُ حَقَّ
 الْإِشَاعَةِ ، لَقَصُرَتْ بِهِ يَدُ الْإِسْطَاعَةِ ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ يَلْبَسَ مَكَارِمَهُ صَافِيَةً سَابِغَةً ،
 وَيَرِدَ مِشَارِعَهُ صَافِيَةً سَائِغَةً ، وَيَجِيلَ الْجَزَاءَ عَلَى يَدِ قُصُورِ ، وَالشُّكْرَ عَلَى لِسَانِ
 قَصِيرٍ ؛ ثُمَّ إِنَّ حَاجَاتِي ، إِذَا لَمْ يَعْرِ مِنْ قَلَانِدِ الْمَجْدِ نَجْرُهَا ، وَلَمْ يَعْطَلْ مِنْ حَلِي
 الْمَجْدِ صَدْرُهَا ، كَبَرِ مَهْرُهَا ، وَعَزَّ كَفْوُهَا ، وَلَمْ أَجِدْ لَهَا إِلَّا وَاحِدًا أَخْضَرَ الْجِلْدَةَ
 فِي بَيْتِ الْعَرَبِ ، أَوْ مَاجِدًا يَمَلُّ الدَّلْوُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ ^(١) . وَهَذِهِ حَاجَةٌ أَنَا أَزْفِيهَا
 إِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ حَرَّصَ اللَّهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَسْوَقَهَا مَنْظُومَةً مِنَ الصَّدْرِ إِلَى الْعِجْزِ ،
 كَمَا يَسَاقُ الْمَاءُ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ^(٢) ؛ وَأَنَا مِنْ مَفْتَحِ الْيَوْمِ إِلَى مَحْتَمِهِ ، وَمَنْ

(١) الكرب - بفتحين - الحبل يلي الماء .

(٢) الجرز - بضمين - الأرض لاتنبت شيئاً .

قَرَنَ النَّهَارَ إِلَى قَدَمِهِ ، قَاعِدَ كَالْكُرْكِيِّ^(١) ، أَوِ الدِّيكِ الهِنْدِيِّ ، فِي هَذَا الأَذْحَى^(٢) ،
يَمْرُؤُ بِنِ أَوَّلُو الحَلِي والحَلَل ، وَيَجْتَازُ ذَوُو الحَلِيلِ والحَوْلِ^(٣) ، وَمَا أَنَا وَالنَّظْرَ إِلَى مَا لَا
يَكْلِينِي ، وَالسُّؤَالَ عَمَّا لَا يَفِينِنِي ، وَالْيَوْمَ ، لَمَّا افْتَضْنَا عُذْرَةَ الصَّبَاحِ ، مَلَأْتُ
جَفُونِي مِنْ مَنْظَرٍ مَا أَحْوَجُهُ إِلَى عَيْبٍ يَصْرِفُ عَيْنَ كِمَالِهِ ، عَنْ جَمَالِهِ ، فَقُلْتُ لِمَنْ
حَضَرَ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَخَذُوا يَجْرُ كُونَ الرَّهْوسِ اسْتَظْرَافًا لِحَالِي ، وَيَتَغَامِرُونَ تَعَجُّبًا
مِنْ سؤَالِي ، وَقَالُوا : هَذَا الشَّيْخُ الفَاضِلُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَقُلْتُ :
حَرَسَ اللهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَدَامَ غَيْبَتَهُ ؛ فَكَيْفَ الوَصُولُ إِلَى خِدْمَتِهِ ، وَأَتَى مَا أُنِي
مَعْرِفَتِهِ ؟ قَالُوا : إِنْ الشَّيْخُ الإِمَامُ - أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ - يَضْرِبُ فِي مَوَدَّتِهِ بِالقِدْحِ
المُعَلَّى ، وَيَأْخُذُ فِي مَعْرِفَتِهِ بِالحِظِّ الأَعْلَى ، فَإِنْ رَأَى الشَّيْخَ - أَطَالَ اللهُ بَقَاةً - أَنْ
تُجْعَلَ عِنَايَتُهُ حَرْفَ الصَّلَاةِ ، وَتَفْضَلَهُ لَامَ المَعْرِفَةِ ، فَعَلَّ ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

[مِنْ أَخْبَارِ البَرَامِكَةِ]

قال الرشيد ليحيى بن خالد : يا أبت ، إني أردتُ أن أجعل الخاتم الذي في
يد الفضل إلى جعفر ، وقد احتشمت منه فاكفنيه .

فكتب إليه يحيى : قد أمر أمير المؤمنين - أعلى الله أمره - أن يحوّل
الخاتم من يمينك إلى شمالك .

فأجاب الفضل : قد سمعتُ ما قاله أمير المؤمنين في أخي ، وقد اطّلت على
أمره ، وما انقلبتُ عنى نعمةٌ صارت إليه ، ولأعزّبت^(٤) عنى رتبةٌ طلعتُ عليه .
فقال جعفر : لله أخي ! ما أنفَسَ نفسه ، وأبَيَّنَ دلائلَ الفضل عليه ،
وأقوى مُنَّةَ العَقلِ فيه ، وأوسعَ في البلاغةِ ذرْعَهُ ، وأرحبَ بها جناحَهُ . يُوجِبُ
على نفسه ما يجب له ، وَيَحْمِلُ بِكِرْمِهِ فَوْقَ طاقتهِ .

(١) الكركي : طائر يقرب من الوز ، أبت الذنب ، رمادي اللون ، يأوى
إلى الماء أحيانا (م) (٢) الأذحي : المكان الذي تبيض النعام فيه من الرمل .

(٣) الحيل : أرادبه الخيلاء ، والحول - بالتحريك - الخدم والعييد والإماء (م)

(٤) كذا ، وعزبت معناه بعدت ، وأحسبه « غربت » لمقابله . يطلعت (م)

وَذُكِرَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فِي مَجْلِسِ ثُمَامَةَ بْنِ أَشْرَسِ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا
 مِنْ خَلْقِ اللَّهِ كَانَ أَبْسَطَ لِسَانًا، وَلَا أَلْحَنَ بَحْجَةً، وَلَا أَقْدَرَ عَلَى كَلَامٍ، بِنَظْمٍ
 حَسَنٍ، وَالْفَاطِطِ عَذْبَةً، وَمَنْطِقٍ فَصِيحًا، مِنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى، كَانَ لَا يَتَوَقَّفُ،
 وَلَا يَتَحَبَّسُ، وَلَا يَصِلُ كَلَامَهُ بِحَشْوٍ مِنَ الْكَلَامِ، وَلَا يُعِيدُ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى،
 وَلَا يَخْرُجُ مِنْ فَنٍّ إِلَى غَيْرِهِ، حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَ مَا فِيهِ؛ وَكَانَ لَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا حَكَاهُ،
 وَلَا يَحْكِي شَيْئًا إِلَّا كَانَ أَكْثَرُ مِنْهُ، وَلَا يَمُرُّ بِذَهْنِهِ شَيْءٌ إِلَّا حَفِظَهُ، وَكَانَ
 إِذَا شَاءَ أَضْحَكَ الثُّكَلَى، وَأَذْهَلَ الرَّاهِدَ، وَخَشَّنَ قَلْبَ الْعَابِدِ.

ثمامة بن أشرس
 يصف جعفر
 بن يحيى

قُلْتُ: فَكَيْفَ كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ؟ قَالَ: كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْخَبْرِ الْبَاهِرِ،
 وَالشَّعْرِ النَّادِرِ، وَالْمَثَلِ السَّائِرِ، وَالْفَصَاحَةِ النَّامَةِ، وَاللِّسَانِ الْبَسِيطِ.

قَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ، وَذَكَرَ يَحْيَى بْنَ خَالِدِ بْنِ وَابْنِهِ جَعْفَرًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَ
 الْكَلَامُ مُتَّصِرًا دُرًّا، وَيُؤَلِّقِيهِ الْمَنْطِقُ جَوْهَرًا، لَكَانَ كَلَامَهُمَا، وَالْمَنْتَقَى مِنْ
 أَلْفَاظِهِمَا. وَلَقَدْ غَبَرَتْ مَعَهُمَا، وَأَدْرَكَتْ طَبَقَةَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي أَيَّامِهِمَا، وَهَمْ يَرَوْنَ
 الْبِلَاغَةَ لَمْ تُسْتَكْمَلْ إِلَّا فِيهِمَا، وَلَمْ تَكُنْ مَقْصُورَةً إِلَّا عَلَيْهِمَا، وَلَا انْقَادَتْ
 إِلَّا لِهِمَا. وَإِنِّهِمَا لِلْبَابِ الْكَرِيمِ، عَتَقَ مَنْظَرٍ، وَجُودَةَ مَخْبَرٍ، وَسَهْوَةَ لَفْظٍ،
 وَجَزَالَةَ مَنْطِقٍ، وَنِزَاهَةَ نَفْسٍ، وَكِبَالَ خِصَالٍ؛ حَتَّى لَوْ فَاخَرْتَ الدُّنْيَا بِقَلِيلِ أَيَّامِهِمَا،
 وَالْمَأْتُورِ مِنْ خِصَائِصِهَا جَمِيعَ أَيَّامٍ مِنْ سِوَاهُمَا مِنْ لَيْدُنْ أَدَمَ إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فِي
 الصُّورِ، وَيُبْعَثَ أَهْلُ الْقُبُورِ— حَاشَا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ الْكِرَامِ، وَسَلَفِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ—
 لَمَا بَاهَتَ إِلَّا بِهِمَا، وَلَا عَوَّلَتْ فِي الْفَخْرِ إِلَّا عَلَيْهِمَا، وَلَقَدْ كَانَا— مَعَ تَهْدِيبِ
 أَخْلَاقِهِمَا، وَمَعْسُورِ مَذَاقِهِمَا، وَسَنَا إِشْرَاقِهِمَا، وَكِبَالَ الْخَيْرِ فِيهِمَا— فِي مُحَاسِنِ
 الْمَأْمُونِ كَالنَّقْطَةِ فِي الْبَحْرِ، وَالنُّجُودِ فِي الْقَفْرِ.

سهل بن هارون
 يصف يحيى
 وابنه جعفر

وَوَقَّعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى لِرَجُلٍ اعْتَذَرَ عِنْدَهُ مِنْ ذَنْبٍ: قَدْ قَدِمْتُ طَاعَتُكَ،
 وَظَهَرَتْ نَصِيحَتُكَ، وَلَا تَغْلِبْ سَيِّئَةَ حَسَنَتَيْنِ.

توقيع لجعفر
 ابن يحيى

وَوَقَعَ - وقد قرأ كتاباً فاستحسن خطه - الخطُّ خَيْطُ الحِكْمَةِ ، يُنظَّمُ فيه منشورها ، ويفصَّل فيه شدورها .

واختصم رجلان بحضرته ، فقال لأحدهما : أنت خَلِيٌّ ، وهذا شَجِيحِي ؛ فكلامك يَجْرِي على بَرْدِ العافية ، وجوابه يَجْرِي على حَرِّ المصيبة .

بين جعفر بن يحيى ومروان ابن أبي حفصة

ودخل مروان بن أبي حفصة على جعفر بن يحيى فأنشده :
أَبْرَفَاتِرْ جُوجُ الحَيَادُ الحَاقَةُ أبو الفضل سَبَّاقُ الأضَاصِمِ جَعْفَرُ
وزيرٌ إِذْ انبأ الخِلافةَ حَادِثٌ أَشار بما عنه الخِلافةَ تَصَدَّرُ
فقال جعفر : أَنشدني مرثيتك في مَعْنِ بن زائدة ، فَأَنشَدَهُ :

أَقَمْنَا بِالْيَمَامَةِ أَوْ نَسِينَا مَقَامًا مَا تُرِيدُ بِهِ زَوَالًا
وَقَلْنَا : أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَانَوَالًا ؟
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ - عِيَالًا

حتى فرغ من القصيدة ، وجعفر يُرْسِلُ دموعه على خديه ، فقال : هل أُنَابِكِ على هذه المرثية أحدٌ من أهلِ بيته وولده ؟ قال : لا ، قال : فلو كان معن حيًّا ، ثم سمعها منك ، كم كان يُثيبك عليها ؟ قال : أربعمائة دينار ، قال : فإنَّا كُنَّا نظنُّ أنه لا يَرْضَى لك بذلك ، وقد أمرنا لك عن معن - رحمه الله - بالضعف مما ظننته ، وزدناك مثل ذلك ؛ فاقبض من الخازن ألفاً وستمائة دينار قبل أن تخرج ، فقال مروان - يذكر جعفرًا وما سمح به عن معن - :

نَفَخْتَ مُكَافِئًا عَن جُودِ مَعْنٍ لَنَا إِفِيمًا تَجُودُ بِهِ سِحَالًا
فَعَجَلْتَ العَطِيَّةَ يَابِئَ يَحْيَى لَنَا إِدِيهَ وَلَمْ تُرِدِ المِطَالَا
فَكَافَأَ عَن صَدَى مَعْنِ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَدَلْتَ نَوَالَا
بَنَى لَكَ حَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي المَكَارِمِ لَنْ يُبَالَا
كَأَنَّ البَرْمَكِيَّ لِكُلِّ مَالٍ تَجُودُ بِهِ يَدَاهُ يُفِيدُ مَالًا (١)

(١) يفيد هنا : بمعنى يأخذ ، لا بمعنى يعطي (م)

أخذ هذا من قول زهير :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَأَلْتَهُ

وهذا البيت لزهير من قصيدة يقول فيها :

من قصيدة
لزهير بن أبي
سلي

وَذِي نِعْمَةٍ تَمَّتْمَتَهَا وَشَكَرْتَهَا وَخَصَمٌ يَكَادُ يَغْلِبُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
دَفَعْتُ مَعْرُوفٍ مِنَ الْحَقِّ صَائِبٍ إِذَا مَا أَوْسَلَ الْقَائِلِينَ مَفَاصِلُهُ
وَذِي خَطَلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَمَا يُبْلِمُ بِهِ فَهَوَ قَائِلُهُ
عَبَّأْتُ لَهُ حُلْمًا ، وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ
وَأَبْيَضَ قِيَاضَ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُؤْتَفِيهِ مَا تُعِيبُ نَوَافِلُهُ (١)
عَدَوْتُ عَلَيْهِ غَدْوَةً فَرَأَيْتُهُ قُعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ
يُقَدِّينَتُهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَلْمَنُهُ وَأَعْيَا فَمَا يَدْرِينُ أَيْنَ مَخَابِلَتُهُ
فَأَعْرَضَنْ عَنْهُ عَنِ كَرِيمٍ مُرَزَّأٍ جُجُوحٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ
أَخِي نِقْمَةٌ لَا يُذْهِبُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُذْهِبُ الْمَالُ نَائِلُهُ

قال أبو الفرج قدامة بن جعفر ، في معنى أبيات زهير الأولى : لما كانت

تعلق عليها
قدامة بن جعفر

فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا بمن طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك ، إنما هي العقل والعفة والعدل والشجاعة ، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا ، وبماسواها مخطئا ؛ وقد قال زهير :

أَخِي نِقْمَةٌ لَا يُتَيَّفُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ
فوصفه بالعفة لقلته إمعانه في الذات ، وأنه لا يُنْفِدُ فِيهَا مَالَهُ ، وبالسَّخَاءِ لإهلاك ماله في النوال ، وانحرافه إلى ذلك عن الذات ، وذلك هو العدل ، ثم قال :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَأَلْتَهُ

(١) العتفون : طالبو عطاياه ، وما تعيب نوافله : ما تأخر عطاياه (م)

فزاد في وصفِ السخاءِ بأنه يَهْشَنُ ولا يلحقه مضضٌ ولا تَكَرُّهُ لِنِعْمَتِهِ
ثم قال :

فَمَنْ مِثْلُ مُحِضِنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارِ ضَمِيمٍ أَوْ لِأَمْرِ يُجَاوِلُهُ
فَأَتَى فِي هَذَا الْبَيْتِ بِالْوَصْفِ مِنْ جِهَةِ الشَّجَاعَةِ وَالْعَقْلِ ؛ فَاسْتَوْفَى ضُرُوبَ
الْمُدْحِ الْأَرْبَعَةَ ، الَّتِي هِيَ فِضَائِلُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَزَادَ الْوَفَاءَ ، وَإِنْ كَانَ
دَاخِلًا فِي الْأَرْبَعَةِ ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُ وَجْهَ دُخُولِهِ فِيهَا حَيْثُ قَالَ « أَخِي
ثِقَةٌ » فَوَصَفَهُ بِالْوَفَاءِ ؛ وَالْوَفَاءُ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْفِضَائِلِ الَّتِي قَدْ مَنَاهَا .
وَقَدْ يَتَفَنَّى الشُّعْرَاءُ فَيَعِدُّونَ أَنْوَاعَ الْفِضَائِلِ الْأَرْبَعِ وَأَقْسَامَهَا ، وَكُلُّ ذَلِكَ
دَاخِلٌ فِي جَمَلَتِهَا ؛ مِثْلُ أَنْ يَذْكُرُوا ثِقَابَةَ الْمَعْرِفَةِ ، وَالْحَيَاءِ ، وَالْبَيَانِ ، وَالسِّيَاسَةِ ،
وَالصَّدْعَ بِالْحِجَّةِ ، وَالْعِلْمَ ، وَالْحِلْمَ عَنِ سَفَاهَةِ الْجَهْلَةِ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي
هَذَا الْجُرْيُ ، وَهُوَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَقْلِ . وَكَذَلِكَ كَرِهَ الْقِنَاعَةَ ، وَقَلَّةَ الشَّرِّهِ ،
وِطْهَارَةَ الْإِزَارِ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ أَقْسَامِ الْعَفَّةِ . وَكَذَلِكَ كَرِهَ الْحِمَايَةَ ، وَالْأَخْذَ
بِالنَّارِ ، وَالْمُدْفَاعَ ، وَالنَّكَايَةَ ، وَالْمَهَابَةَ ، وَقَتْلَ الْأَقْرَانِ ، وَالسِّيْرَ فِي الْمَهَامِهِ
وَالْقِفَارِ ؛ وَمَا يَشَاءُ كُلُّ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِنْ أَقْسَامِ الشَّجَاعَةِ ؛ وَكَذَلِكَ كَرِهَ السَّمَاحَةَ ،
وَالتَّغَابُنَ ، وَالانْظِلَامَ ، وَالتَّبَرُّعَ بِالنَّائِلِ ، وَإِجَابَةَ السَّائِلِ ، وَقِرَى الْأَصْيَافِ ؛
وَمَا جَانَسَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ، وَهُوَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَدْلِ .

فَأَمَّا تَرْكِيْبُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فَتَحَدَّثُ مِنْهَا سِتَّةُ أَقْسَامٍ : يَحْدُثُ مِنْ تَرْكِيْبِ
الْعَقْلِ مَعَ الشَّجَاعَةِ : الصَّبْرُ عَلَى الْمَمَاتِ ، وَنَوَازِلِ الْخَطُوبِ ، وَالْوَفَاءُ بِالْوَعُودِ . وَعَنْ
تَرْكِيْبِ الْعَقْلِ مَعَ السَّخَاءِ : إِنْجَازُ الْوَعْدِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيْبِ الْعَقْلِ مَعَ
الْعَفَّةِ : التَّنَزُّهُ وَالرَّغْبَةَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ ، وَالِاقْتِصَارَ عَلَى أَدْنَى مَعِيْشَةٍ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَعَنْ
تَرْكِيْبِ الشَّجَاعَةِ مَعَ السَّخَاءِ : الْإِخْلَافَ ، وَالِإِتْلَافَ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيْبِ
الشَّجَاعَةِ مَعَ الْعَفَّةِ : إِنْكَارُ الْفَوَاحِشِ ، وَالغَيْرَةُ عَلَى الْحُرْمِ . وَمِنْ السَّخَاءِ مَعَ الْعَفَّةِ :

الإسعاف بالقوت ، والإيثار على النفس ، وما شاكل ذلك . وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع وَسَطٌ بين طرفين مذمومين (١)

وقد قال أبو جعفر محمد بن منذر لما حجَّ الرشيد مع البرامكة :

لمحمد بن منذر
في البرامكة

أنا بنو الأملاك من آل برمكٍ فيا طيبَ أخبارٍ ، ويا حُسنَ منظرٍ
لهم رحلةٌ في كلِّ عامٍ إلى العدا وأخرى إلى البيتِ العتيقِ المشهرِ
فتظلم بغدادٌ ، ويحلولنا الدجى بمكة ما حجَّ - واثلاثة أقمِرِ
إذا نزلوا بطحاء مكة أشرفت بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفرِ
فما خلقت إلا الجودِ أكرمهم وأقدمهم إلا لأعوادٍ منبرِ
إذا راض يحيى الأمرَ دلت صعباهُ وحسبتك من راعٍ له ومدبرِ
ترى الناسَ إجلالاً له وكأنهم غرائقُ ماءٍ تحت بازٍ مُصرَصِرِ (٢)

[مُثَلٌ مِنَ التَّجْنِيسِ]

قطعة من شعر الأمير أبي الفضل الميكالى فى طرف اخذ بطرف من التجنيس مستطرف فى ضروب من الغزل ، قال :

لأبى الفضل
الميكالى

لقد راعنى بدرُ الدجى بضدوده ووكلَ أجنانى برعى كواكبهِ
فيا جزعى ، مهلاً عساهُ يعودُ لى ويا كبدي، صبراً على ما كواكبهِ
وقال :

مواعيدُهُ فى الفضل أحلامُ نائمٍ أشبهها بالفقرِ أو بسرابهِ
فمن لى بوجهٍ لو تحيّر فى الدجى أخو سفرٍ فى ليلٍ غمٍ سرى بهِ

(١) راجع الباب السابع من كتاب « الأخلاق عند الغزالي » لتفهم هذا الحديث

(٢) الغرائق : جمع غرنوق ، وهو طير مائى أسود ، والبازى : الصقر

وقال :

صَلِّ مَجْبًا أَعْيَاهُ وَصَفُّهُ هَوَاهُ
كَلِمَا رَاقَهُ سِوَاكَ تَصَدَّتْ
فَصَّنَاهُ يَنْوُبُ عَنْ تَرْجَانِهِ
مُقَلَّتَاهُ بَدَمَعِهِ تَرْجَانِهِ

وقال :

يَا ذَا الَّذِي أَرْسَلَ مِنْ طَرْفِهِ
شَفَاهُ نَفْسِي مِنْكَ تَحْمِيشَةً
عَلَى سَيْفًا قَدْتَنِي لَوْ فَرَا
تَغْرِسُ فِي خَدِّكَ نَيْلُ فَرَا

وقال :

يَا مُبْتَلَى بَضْنَاهُ يَرْجُو رَحْمَةً
[أَوْصَاكَ سِحْرُ جَفُونِهِ بِتَسْمُدِ
مِنْ مَالِكٍ يَشْفِيهِ مِنْ أَوْصَابِهِ
وَتَبَلُّدٍ ، فَقَبِلْتَ مَا أَوْصَى بِهِ]
أَضْبِرْ عَلَيَّ مَمَضِّ الْهَوَى فَلَربَمَا
تَحَلُّوْ مَرَارَةً صَبْرِهِ أَوْصَابِهِ

وقال :

كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَسْتَهْدِي وَصَالًا
أَلَا لَيْتَ الْجَوَابَ يَكُونُ خَيْرًا
فَعَلَّلَنِي بَوَعْدٍ فِي الْجَوَابِ
فِيظْفُ مَا أَحَاطَ مِنَ الْجَوَى بِي

وقال :

إِنْ كُنْتَ تَأَنَسُ بِالْحَبِيبِ وَقُرْبِهِ
إِنَّ الرَّقِيبَ إِذَا صَبَرْتَ لِحُكْمِهِ
فَاضْبِرْ عَلَيَّ حُكْمَ الرَّقِيبِ وَدَارِهِ
بَوَاكَ فِي مَثْوَى الْحَبِيبِ وَدَارِهِ

وقال :

شَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا الْإِي فَقَالَ لِي :
فَلَوْ كَانَ حَقًّا مَا ادَّعَيْتَ مِنَ الْهَوَى
رُؤَيْدًا ، فَنَفِي حُكْمِ الْهَوَى أَنْتَ مَوْتَلِي (١)
لَقَلَّ بِمَا تَلْقَى إِذَا أَنْ تَمُوتَ لِي

وقال :

نَوَى لِي بَعْدَ إِكْثَارِ السُّؤَالِ
فَلَمَّا رُمْتُ ، إِنجَازًا لَوْعَدِي
وَكَانَ الْقَرَبُ مِنْهُ شَفَاءَ نَفْسِي
حَبِيبٌ أَنْ يُسَامِحَ بِالنَّوَالِ
عَلَيْهِ أَبِي الْوَفَاءِ بِمَا نَوَى لِي
فَقَدِ قَضَتْ النُّوَابُ بِالنَّوَى لِي

(١) أَنْتَ مَوْتَلِي : مُتَصَرِّ (م)

وقال :

سقياً لدهرٍ مضى والوصلُ يجمَعُنَا
وَمِنْ نُحْكِي عِنَاقَا شَكْلَ تَنْوِينِ
فَصِرْتُ إِذْ عَلِمْتُ كَفَى حَبَائِلِكُمْ
فَسَهْمُهُمْ هَجْرَكَ تَرْمِي ثُمَّ تَنْوِينِي

وقال :

صَدَفَ الْحَيْبُ بَوْضَلَهُ
وَنَثَرَ لَوْلُو أَدْمَعُ
خَفَا رُقَادِي إِذْ صَدَفُ
أُضْحَى لَهَا جَفْنِي صَدَفُ

وقال :

يَا مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ غَيْرَ مَهْدَبٍ
وَيَسُومُنِي التَّعْذِيبَ فِي تَهْدِيهِ
لَوْ أَنَّ كُلَّ النَّاسِ فِيكَ مُسَاعِدِي
لَعَجَزْتَ عَنِ تَهْدِيبِ مَا تَهْدِي بِهِ

وقال :

أَرَادَ أَنْ يُخْفِيَ هَوَاهُ وَقَدْ
وَكَيْفَ يُخْفِيَ دَاءَهُ مُدْنَفُ
نَمَّ بِمَا تُخْفِي أَسَارِيرُهُ
قَدْ ذَابَ مِنْ فَرْطِ الْأَسَى رِيرُهُ (١)

وقال :

وَسَهْفُهُ تَهْفُو بِلَبِّ الْمَرْءِ مِنْهُ شَمَائِلُ
فَالرَّدْفُ دِعْصُ هَائِلُ وَالْقَدُّ غُصْنُ مَائِلُ
وَالخِدَّةُ نَوْرُ شَقَائِقِ تَنْشَقُّ عَنْهُ خَمَائِلُ
وَالعَرْفُ نَشْرُ حَدَائِقِ تَمَّتْ بِهِنَّ شَمَائِلُ
وَالطَّرْفُ سَيْفُ مَالِهِ إِلَّا العِدَارُ حَمَائِلُ

ولأبي الفتح البستي في هذا المذهب :

إِنْ لِي فِي الهَوَى لِسَانًا كَتُومًا
غَيْرَ أُنَى أَخَافُ دَمْعِي عَلَيْهِ
وَجَنَانًا يُخْفِي حَرِيقَ جَوَاهُ
سَتْرَاهُ يُفْشِي الَّذِي سَتْرَاهُ

لأبي الفتح
البستي

ولأبي الفتح البستي في مذهب هذا البيت الأخير:

نَاظِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاظِرَاهُ أُوْدَعَانِي أُمَّتٌ بِمَا أُوْدَعَانِي

وله:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِعَرْفِ كَمَا أَمِرْتُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
وَلِيْنِ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ الْأَنَامِ فَسْتَحْسِنُ مِنْ ذَوِي الْجَاهِ لِيْنِ

وله:

إِلَى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَاكَ دَمِي
فَمَا أَنْفَكُ مِنْ نَدَمِي وَليْسَ بِنَافِعِي نَدَمِي

وله:

إِنْ هَرَّ أَقْلَامُهُ يَوْمًا لِيُعْمَلَهَا أَنْسَاكَ كُلَّ كَمِي هَرَّ عَامِلُهُ
وَإِنْ أَقْرَّ عَلَى رَقٍّ أَنْامِلُهُ أَقْرَّ بِالرَّقِّ كِتَابُ الْأَنَامِ لَهُ
وَقَالَ لِمَنْ اسْتَدْعَاهُ إِلَى مَوَدَّتِهِ:

فَدَيْتُكَ قَلَّ الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ وَقَلَّ الْخَلِيلُ الْخَلْفِيُّ الْوَفِيُّ
وَلِي رَاغِبٌ فِيكَ إِمَّا وَفِيَّتِ فَهَلْ رَاغِبٌ أَنْتَ فِي أَنْ تَفِي
وَاللَّامِرُ أَبِي الْفَضْلِ:

أَهْلًا بَطْنِي حَوَاهُ قَفْرُ كَجَنَّةٍ قَدَحَوَتْ نَعِيمًا
طَرَقَتْهُ لَا أَهَابُ سَوْءًا أَبَاخْنِي حَبَّةَ الْحَرِيمِ
فَجَادَ مَنْ فِيهِ لِي بَرَايِحُ تَنْفِي حَرِيْقًا بِهِ قَدِيمًا
أَفْدَى حَرِيْقًا أَبَا حَرِيْمًا لَا بَلَّ حَرِيْمًا أَبَا حَرِيْمًا

وله:

مَنْ لِي بِشَمْلِ الْمَنَى وَالْأَنْسِ أَجْمَعَةَ بِشَادِنِ حَلٍّ فِيهِ الْحَسَنِ أَجْمَعَةَ

ما زال يُعْرِضُ عن وَصْلِي وَأَخْدَعُهُ
فَالآنَ قَدْ لَانَ بَعْدَ الصَّدِّ أَخْدَعُهُ (١)

وقال :

بِأَبِي غَزَلٍ نَامَ عَن وَصْبِي بِهِ
يَالَيْتَهُ يَرِنِي عَلَى وَلَهِي بِهِ
وله في هذا الباب من غير هذا النمط يصف غلاماً مخموراً خمش وجهه :
هَبْهُ تَغْيِيرَ حَائِلًا عَنْ عَهْدِهِ
وَرَمَى فُوَادِي بِالصَّدُودِ فَارْءَجَا
مَا بَالُ نَرْجِسِهِ تَحَوَّلَ وَرْدَةً
وَالوَرْدُ فِي خَدَيْهِ عَادَ بِنَفْسِجَا
وله في هذا المعنى :

وَرِيمٍ عَلَى الشُّكْرِ خَمَشْتُهُ
فَأَصْبَحَ نَرْجِسُهُ وَرْدَةً
بِقَرَضٍ بَعَارِضِهِ أَثْرًا
وَوَرْدَةٌ خَدَيْهِ نَيْلُورًا

وقال في وصف العذار :

ظَبِّي كَسَارُ أَسِّ الشَّبَابِ بَعَارِضٍ
فَكَأَنَّمَا أَهْدَى لِعَارِضٍ خَدَّه
نَمَّ الْعِدَارُ بِحَافَتَيْهِ فَلَاخًا
شَعْرِي ظَلَامًا وَاسْتِعَاضَ صَبَاحًا

وقال في غلام افتصد :

وَمُهْنَهْفٍ غَرَسَ الْجَمَا
فَصَدَّ الطَّيِّبُ ذِرَاعَهُ
لُحْدَهُ رَوْضًا مَرِيحًا
فَجَرَى لَهُ دَمْعِي ذَرِيحًا
وَأَمْسَنِي وَقَعُ الْحَدِيدِ
بِعِرْقِهِ أَلْمًا وَجَمِيعًا
فَأَرَيْتَهُ مِنْ عَابِرِي
مَا سَالَ مِنْ دَمِهِ نَجِيمًا

فَقَرُّ فِي ذِكْرِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ

العلماء ورثة الأنبياء . والعلماء أعلام الإسلام . العلماء في الأرض كالنجوم

في السماء .

(١) الأخدع : عرق ، وهو شعبة من الوريد

ابن المعتز - العلماء غزباء ، لكثرة الجهل . وله : العلمُ جمالٌ لا يخفى ، ونَسَبَ لا يُجْفَى . وله : زَلَّةُ العالمِ كانبِكَسارِ سفينةٍ تَفْرُقُ وَيَفْرُقُ معها حَاقِقٌ كثيرٌ .

غيره -- إذا زلَّ العالمُ ، زَلَّ بزلَّتِه عالمٌ . غيره : الملوِكُ حُكَّامٌ على الناسِ ، والعلماءُ حكامٌ على الملوِكِ . من لم يَحْتَمِلْ ذلَّ التعلُّمِ ساعةً ، بقى في ذلِّ الجهلِ أبداً .
مَاصِيِنَ العِلْمِ بِمَثَلِ بَدَلِهِ لِأَهْلِهِ . من كَتَمَ علماً فَكَأَنَّهُ جاهِلُهُ .

العِلْمُ يَمْنَعُ أَهْلَهُ * أَنْ يَمْنَعُوهُ أَهْلَهُ (١)

ابو الفتح كشاجم :

لا تَمْنَعِ العِلْمُ امراً والعِلْمُ يَمْنَعُ جانِبَهُ
أما العَجَبُ فليس يَفْهَمُ لُطْفَهُ وَغَرَابَتَهُ
وتكون حاضرةُ الفوا تَدُ عِنْدَهُ كَالغائِبَةِ
وأخو الخِصَافَةِ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يَنَالَ مَطالِبَهُ
فبِحَقِّهِ أُعْطِيَتْهُ مِنْ فَضْلِ عِلْمِكَ وَاجِبِهِ

ومن رَقَّ وَجْهُهُ عِنْدَ السُّؤالِ ، رَقَّ عِلْمُهُ عِنْدَ الرِّجالِ . عِلْمٌ بلا عَمَلٍ ، كَشَجَرَةٍ بلا ثَمَرٍ . كما لا يُنْبِتُ المَطَرُ الكَثِيرُ الصَّخْرَ ، كذلك لا يَنْفَعُ البَلِيدُ كَثْرَةَ التَّعلُّمِ . من تَرَفَّعَ بعِلْمِهِ وَضَعَهُ اللهُ بِعَمَلِهِ . الجاهِلُ صَغيرٌ وَإِنْ كانَ كَبيراً ، وَالعالمُ كَبيرٌ وَإِنْ كانَ صَغيراً . من أَكْثَرَ مَذاكِرَةَ العِلْمِ ، لم يَنْسَ ما عِلْمٌ ، وَاسْتِفاذَ ما لم يَعِلْمِ .
ابن المعتز : المتواضعُ في طِلابِ العِلْمِ أَكْثَرُهُمُ عِلْماً ، كما أَنَّ المِكانَ المُنخَفِضَ أَكْثَرَ البِقاعِ ماءً . إذا عَلِمْتَ فلا تَذْكَرُ مَنْ دُونَكَ مِنَ الجِهاْلِ ، وإذا كُرُ مَنْ فَوْقَكَ مِنَ العِلْمِ . النارُ لا يُنْقِضُها ما أُخِذَ مِنْها ، وَلِكنْ يُنْقِضُها أَلَّا تُجَدَّ حَطْباً ، كذلك العِلْمُ لا يُفْنِيهِ الاقْتِباسُ مِنْهُ ، وَقَدُّ الحاملينَ لَهُ سَببُ عَدَمِهِ .

(١) هذا بيت من الشعر يروى أن الشافعي كتب به إلى محمد بن الحسن

الشيبياني ، وكان قد استعار منه كتاباً فتأخر عن إعادته ، وقبله قوله :

فقل لمن لم تر عين من رآه مثله (م)

مات خزانة الأموال وهم أحياء ، وعاش خزان العلم وهم أموات . مثل علم لا ينفع
ككنز لا ينفق منه . أزهّد الناس في عالم حيراته .

وقيل للصّلت بن عطاء ، وكان مقدّماً عند البرامكة : كيف غلبت عليهم وعندهم
من هو آدب منك؟ قال : ليس للقرباء طرفاة الغرباء ، وكنت امرأ بعيد الدار ،
نأى المزار ، غريب الاسم ، قليل الجرم ، كثير الالتواء ، شحيحاً بالإملاء ؛
فرغبهم في رغبتي عنهم ، وزهدني فيهم رغبهم في .

علم لا يعزُّ معك الوادي ، لا يعمر بك النادي . لو سكت من لا يعلم لسقط
الاختلاف . إذا ازدحم الجواب خفي الصواب . الغلط تحت اللغط . خرق الإجماع
خرق . المحجوج بكل شيء ينطق

استعارات فقهية تليق بهذا المسكان

بين أبي تمام
وابن أبي دواد

دخل أبو تمام الطائي على أحمد بن أبي دؤاد في مجلس حكمه ، وأنشده أبياتاً
يستعطر نائله ، وينشر فضائله ، فقال : سيأتيك ثوابها يا أبا تمام ، ثم اشتغل
بتوقعات في يده ؛ فأحفظ ذلك أبا تمام ، فقال : احضر أيدك الله فإنك غائب ،
واجتمع فإنك مفترق ، ثم أنشده :

إن حراماً قبول مدحتنا وترك ما نرتجى من الصّد
كما الدنانير والدرهم في الصّرف حرام إلا يداً بيد
فأمر بتوفير حباته ، وتعجيل عطائه .

بين طاهر بن
عبد الله وابن
في تمام

ولما ولي طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان دخل الشعراء يهثوثونه ، وفيهم
تمام بن أبي تمام فأنشده :

هناك ربّ الناس هنا كما
قرت بما أعطيت إذا الحجى
مامن جزيل الملك اعطا كما
والباس والإنعام عينا كما
أشرفت الأرض بما نلتها
وأورق العود مجدوا كما

فاستضعف الجماعة شعره ، وقالوا : يا بعد ما بينه وبين أبيه ! فقال طاهر

لبعض الشعراء : أجه ، فقال :

حيّاك ربُّ الناس حيّاكا إن الذي أمّلتَ أخطاكا
فقلتَ قولاً فيه ما زانهُ ولو رأى مدحا لآساكا
فهاك إن شئتَ بها مدحةً مثل الذي أعطيتَ أعطاكَا

فقال تمام : أعز الله الأمير ، وإنَّ الشَّعْرَ بالشَّعْرِ رَبًّا ، فاجعل بينهما صنجا
من الدراهم ، حتى يحلَّ لي ولك ! فضحك وقال : إلا يكن معه شعْرُ أبيه ، فمعه
ظرف أبيه ؛ أعطوه ثلاثة آلاف درهم ! فقال عبد الله بن إسحاق : لو^(١) لم يعط
إلا لقول أبيه في الأمير أبي العباس - رحمه الله - يريد عبد الله بن طاهر :
يقولُ في قَوْمِ صَحْبِي وقد أخذتُ منّا الشَّرِيَّ وخَطَا المَهْرِيَّةِ القُودِ :
أمطلع الشمس تبغى أن تؤمِّمَ بنا ؟ فقلتُ : كلا ، ولكن مطلع الجودِ
فقال : ويعطى بهذا ثلاثة آلاف .

[ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان ، وسببها]

وكان سببُ ولاية طاهر خراسان بعد أبيه ما حدث به أبو العيناء قال :
كنا عند أحمد بن أبي دواد ، فجاء الخبر أن الكتبَ وردت على الواثق من خراسان
بوفاة عبد الله بن طاهر ، وأن الواثق يُعزِّي عنه ، وأنه قد ولي مكانه خراسان إسحاق
ابن إبراهيم ، وكان عدواً له لانخراطه في سبكِ ابن الزيات ؛ فلبس ثيابَه ومضى ،
وقال : لا تبرحوا حتى أعود إليكم ؛ فلبث قليلا ، ثم عاد إلينا فحدثنا أنه دخل على
الواثق فعزاه عن عبد الله وجلس ، قال : فقال لي الواثق : قد ولينا إسحاق
خراسان ، فما عندك ؟ قلت : وفق الله أمير المؤمنين ولائذمه . قال : قل ما عندك
في هذا . قلت : أمرٌ قد أمضى ، فما عسيت أن أقول فيه . قال : لتفعلن . فقلت :
يا أمير المؤمنين ، خراسان منذ ثلاثين سنة في يد طاهر وابنه ، وكلُّ من بها
صنائعهم ، وقد خلفَ عبد الله عشرَ بنين أكثرهم رجال ، وجميع جيش خراسان
(١) جواب لو هذه محذوف ، وتقدير الكلام : لو لم يعط إلا لقول أبيه لكان ذلك سائغا (م)

لهم عبيدٌ أوموالٍ أوصنائع ، وسيقولون : أما كان فينا مُصْطَنعٌ ؟ وكان يجب أن
يجرّبنا أميرُ المؤمنين ، فإن وفينا بما كان بفي به أبونا وجدنا ، وإلا استبدل منا
بعد عذرٍ فينا ؛ ويقدم خراسانَ إسحاقُ وهو رجلٌ غريبٌ فينا فسه هؤلاء ،
ويتعصبُ أهلها لهم ؛ فينتفض ما أبرم ، وبفسد ما أصلح

قال : صدقت يا أبا عبد الله ، والرأى ما قلت ، اكتبوا بعهد طاهر بن عبد الله
على خراسان . فكتبت كتبُ طاهر ، وخرقت كتبُ إسحاق ، فخرجت الزنج
تطيرُ بها ، ثم لقيني إسحاقُ داخلا ، فقلت : يا أبا الحسن ، لا عدمت عداوةَ رجلٍ
أزال عنك ولايةَ خراسان بكلمة .

بين ابن الرومي وابن ثوابه ومدح ابن الرومي أبا العباس بن ثوابه ، فعارضه أخوه أبو الحسن بقصيدة
يمدح أخاه بها ، فقال ابن الرومي :

أَلَيْسَ الْقَوَائِي بِنَاتِ الْفَتَى إِذَا صَوْرَةُ الْحَقِّ لَمْ تُسْمَخِ
فَلَا تَقْبَلَنَّ أَمَادِيحَهُ حَرَامٌ نِكَاحُ بِنَاتِ الْأَخِ

ولما أنشد أبو تمام قصيدته في المعتصم : * السيفُ أصدقُ أبناءِ من الكتب *
قال له : لقد جَلَوْتَ عروسك يا أبا تمام فأحسنت جلاءها . قال : يا أمير المؤمنين ،
والله لو كانت من الحورِ العينِ لكان حُسْنُ إصغائك إليها من أوفى مُهورِها .

لأبي الفضل
الميكالي

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :
أَقُولُ لِشَادِنِ فِي الْحُسْنِ أَضْحَى يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الْكَمِيِّ
مَلَكْتَ الْحُسْنَ أَجْمَعَ فِي قَوَامِ فَادَ زَكَاتَ مَنْظَرِكِ الْبَهِيِّ
وَذَلِكَ أَنْ تَجُودَ لِمُسْتَهَامِ بَرِيْقٍ مِنْ مُقْبَلِكِ الشَّهِيِّ
فَقَالَ : أَبُو حَنِيفَةَ لِي إِمَامٌ فَعَنْدِي لِزَكَاتِ عَلَى الصَّبِيِّ

وربما أنشد هذه الأبيات على قافية أخرى فقال :

أَقُولُ لِشَادِنِ فِي الْحُسْنِ فَرْدٍ يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الْجَلِيدِ

ملكته الحسن أجمع في قوام
وذلك أن تجودَ لمستهام
فقال : أبو حنيفة لي إمامٌ
وقال :

بِنَفْسِي غَزَالٌ صَارَ لِلْحُسْنِ قِبْلَةً
دَعَانِي الْهَوَى فِيهِ فَلَيْتُ طَائِعًا
فَطَرَفِي بِالتَّسْهِيدِ وَالدَّمْعِ قَارِنٌ
وقال أبو الفتح كشاجم :

وَالهَجْرُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْخَبِيرِ
فَلَمْ يَزَلْ خَدَّهَا رُكْنًا أَطُوفُ بِهِ

وينضاف إلى هذا النظم قطعة من رسالة طويلة كتبها بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان :

كتابي أطل الله بقاء الشيخ وأنا سالم ، والحمد لله رب العالمين ، كيف تقلبُ بديع الزمان
الهمداني
الشيخ في درع العافية ، وأحواله تلك الناحية ؛ فإني بيعه مُنْعَصُ شِرْعَةِ الْعَيْشِ ،
مقصود أجنحة الأُنس . ورد كتابه المشتملُ من خبر سلامته ، على ما أرغب إلى
الله في إدامته ، وسكنتُ إليه بعد انزعاجي لتأخره ؛ وقد كان رَسَمَ أَنْ أَعْرِفَهُ
سببَ خروجه من جرجان ، ووُقُوعِي بِحُرَّاسَانَ ، وسببَ غَضَبِ السُّلْطَانِ ؛ وقد
كانت القصة ألي لما وردتُ من ذلك السلطان حضرته ، التي هي كَعْبَةُ الْحَتَّاجِ ،
لا كَعْبَةُ الْحَجَّاجِ ، ومستقرُّ الكرم ، لامشعر الحرم ، وقبلة الصَّلَاتِ ، لا قبلة
الصَّلَاةِ ، ومُنَى الضَّيْفِ ، لا مَنَى الْخَيْفِ ، وجدتُ بها نَدْمَاءَ مِنْ نَبَاتِ الْعَامِ (١) ، اجتمعوا

(١) من نبات العام : يريد أنهم حديثو العهد

قيضة كلب^(١) على تليفيق خطب ، أزعجني عن ذلك الفناء ، وأشرف بي على الفناء ، لولا ما تدارك الله بجميل صنعه ، وحسن دفعه ؛ ولا أعلم كيف احتالوا ، ولا ما الذي قالوا ؛ وبالجملة غيروا رأى السلطان ، وأشار على إخواني ، بفراقه مكاني ، وبقيت لا أعلم أئمةً أضرب أم شامة ، ونجداً أقصد أم تهامة !

ولو كنت في سلمى أجا وشعابها لكان لي حججاج على دليل

وقد علم الشيخ أن ذلك السلطان سماه إذا تعيم لم يرج صحوه ، وماله إذا تغير لم يشرب صفوه ، وملك إذا سخط لم ينتظر عفوه ، وليس بين رضاه والسخط عوجة ، كما ليس بين غضبه والسيف فرجة ، وليس من وراء سُخْطه مجاز ، كما ليس بين الحياة والموت معه حجاز ؛ فهو سيّد يُغضبه الجرم الخفي ، ولا يُرضيه العذر الجلي ؛ وتكفيه الجنابة وهي إرجاف ، ثم لا تشفيه العقوبة وهي إجحاف ، حتى إنه ليرى الذنب وهو أضيّق من ظل الرمح ، ويعسى عن العذر وهو أبين من عمود الصُّبْح ؛ وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ، ويحجب عن هذه العذر وله برهان ؛ وذو يدين يبسط إحداها إلى السفك والسفح ، ويقبض الأخرى عن العفو والصفح ؛ ودو عينين يفتح إحداها إلى الجرم ، ويغمض الأخرى عن الحلم ، فزحه بين القدِّ والقطع ، وجده بين السيف والنّطع ، ومراده بين الظهور والكمون ، وأمره بين الكاف والنون ؛ ثم لا يعرف من العقاب ، غير ضرب الرقاب ، ولا يهتدى من التائب إلا لإزالة النعم ، ولا يعلم من التأديب غير إراقة الدم ، ولا يحتمل الهنة على حجم الذرة ، ودقة الشعرة ، ولا يحلم عن الهفوة ، كوزن الهبوة ، ولا يُغضى عن السقطة ، كجرم النقطة ؛ ثم إن النقم بين لفظه وقلمه ، والأرض تحت يده وقدمه ، لا يلقاه الولي إلا بقمه ، ولا العدو إلا بدمه ؛ والأرواح بين حبسه وإطلاقه ، كما أنّ الأجسام بين حله ووثاقه ؛ فنظرت فإذا أنا بين

(١) قيضة كلب: القيضة بالكسر هي العظم، والمراد تحقيرهم بوصفهم بعظام الكلب

جودين : إيمان أجود بيأسى ، وإمان أن أجود برأسى ؛ وبين رُكوبين : إيمان
 للمفازة ، وإيمان لجنازة ؛ وبين طريقين : إيمان للفرجة ، وإيمان للتربة ؛ وبين فراقين : إيمان
 أن أفارق أرضي ، أو أفارق عرضي ؛ وبين راحلتين : إيمان ظهور الجمال ، وإيمان
 أعناق الرجال ؛ فاخترت السماح بالوطن ، على السماح بالبدن ؛ وأنشدت :
 إذا لم يكن إلا للنية مر كَبُّ فلا رأى للمحمول إلا ركوبها
 ولَد ما ذكر من « كعبة [الاحتجاج] ، لا كعبة [الاحتجاج] » ، من قول أبي تمام :
 بيتان حجَّهما الأنام ؛ فهذه حجَّ الغني ، وتلكم للمعتمد

[أبو عليّ البصير وشيء من أدبه]

وشتم بعض الطالبين أبا عليّ الفضل بن جعفر البصير ، فقال أبو عليّ : والله
 مانعياً عن جوابك ، ولا تعجز عن مسألك ؛ ولكننا نكون خيراً لنسبك منك ، وأبي عليّ البصير
 ونحفظ منه ما أضعت ؛ فاشكر توفيزنا ما وفرنا منك ، ولا يفرّك بالجهل علينا
 حملنا عنك .

وسأل أبو عليّ البصير بعض الرؤساء حاجةً ولقيه ؛ فاعتذر إليه سن تأخرها ؛
 فقال أبو عليّ : في شكر ماتقدم من إحسانك شاغل من استبطاء ما تأخر منه .
 وأبو عليّ أحد من جمع له حظّ البلاغة في الموزون والمنثور ، وهو القائل :

ألمت بنا يوم الرحيل اختلاسةً فأضرم نيران الهوى النظر الخلس
 تأبت قليلا وهي ترعد خيفةً كما تنأى حين تعادل الشمس
 فخطبها صمتي بما أنا مضميرٌ وأنبتت حتى ليس يُسمع لي حس
 وولت كما ولي الشباب إطية طوت دونها كشحاً على يأسها النفس

وقال يصف بلاغة الفتح بن خاقان وشعره :

سمعنا بأشعار الملوك ؛ فكلمها إذا عضّ متنديه الثفاف تأوداً
 سوى مارأينا لامرئ القيس ؛ إننا نراه - متى لم يشعر الفتح - أو حدا

أقام زماناً يَسْمَعُ القَوْلَ صامتاً ونحسبه إن رام أ كَدَى وأصْلدا
 [فلهـالمتطاه راكباً ذلّ صعبه وسار فأضحى قد أغار وأنجدًا]

والفتح بن خاقان يقول :

من شعر
 لفتح بن خاقان
 كتاب إلى
 عبيدالله بن يحيى

وإني وإياها لكأخمر، والفـتى متى يستطع منها الزيادة يزدد
 إذا ازددتُ منها زاد وجدى بقرُ بها فكيف احتراسي من هوى متجدد
 وكتب إلى أبي الحسن عبيدالله بن يحيى : وإن أمير المؤمنين لما استنخلصك
 لنفسه ، وائتمنك على رعيتته ؛ فنطق بلسانك ، وأخذ وأعطى بيدك ، وأورد
 وأصدر عن رأيك ، وكان تفويضه إليك بعد امتحانه إياك ، وتسليطه الحق على
 الهوى فيك ، و بعد أن مثل بينك وبين الذين سمو المرّبتك ، وجرّوا إلى غايتك ،
 فأسقطهم مضأوك ، وخفّوا في ميزانك ، ولم يزدك - أكرمك الله - رفعة وتشريفاً
 إلاّ أزددت له هبةً وتعظيماً ، ولا تسليطاً وتمكيناً ، إلاّ زدت نفسك عن الدنيا
 عزوفاً وتنزيهاً ، ولا تقريباً واختصاصاً ، إلاّ ازددت بالعمامة رافةً وعليها حداباً ،
 لا يخرجك فرطُ النصح له عن النظر لرعيته ، ولا يثأرُ حقه عن الأخذ بحقها
 عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمين ما هو عليه ، ولا يشغلك مُعانة كبار
 الأمور عن تفقّد صغارها ، ولا الجُدُّ في صلاح ما يصلحُ منها عن النظر في عواقبها ؛
 تمضي ما كان الرشدُ في إمضائه ، وتُرْجى ما كان الجزمُ في إرجائه ، وتبدلُ
 ما كان الفضلُ في بدله ، وتمنعُ ما كانت المصلحةُ في منعه ، وتلين في غير
 تكبر ، وتمحصّ في خير ميل ، وتعمُّ في غير تصنع ، لا يشقى بك الحقُّ وإن كان
 عدواً ، ولا يَسعدُ بك المبطلُ وإن كان ولياً ؛ فالسلطان يعتدُّ لك من الغناء
 والكفاية ، والذنبُ والحياطة ، والنصح والأمانة ، والعفة والنراهة ، والنصب فيما
 أدّى إلى الراحة ، بما يراك معه - حيث انتهى إحسانه إليك - مستوجبا للزيادة
 وكافة الرعية - إلا من غمطَ منهم النعمة - مُشنون عليك بحسن السيرة ، ويمن
 النقيبة ، ويعدّون من ما أشرك أنك لم تُدحض لأحدٍ حجةً ؛ ولم تدفع حقاً

لشبهة؛ وهذا يسيرٌ من كثير، لو قصدنا التفصيله، لأنفدنا الزمان قبل تحصيله، ثم كان قصدنا الوقوف دون الغاية منه

وله إلى عبيد الله بن يحيى: يقطعني عن الأخذِ بحظي من لقائك، وتعريفك كتاب آخر إلى ما أنا عليه عن شكرٍ إنعامك، وإفرادي إياك بالتأميل دون غيرك، نخلفي عن منزلة الخاصة، ورغبتني عن الحلول محل العامة، وأنى لستُ معتاداً للخدمة ولا للملازمة، ولا قوياً على المغاداة والمرآحة؛ فلا يمتنعك ارتفاع قدرك، وعلو أمرك، وما تعانیه من جلائل الأحوال الشاغلة، من أن تتطوّل بتجديد ذكرى، والإصغاء إلى من يحضك على وضلى وبري، ويرغبك في إسداء حُسنِ الصنيعة عندي.

وله إليه آخر فصلٍ من كتاب: وأنا أسأل الله أنذی رحِمَ العبادَ بك، على حين افتقارٍ منهم إليك، أن يُعيدهم من فُقدك، ولا يُعيدهم إلى المكاره التي استنفذتهم منها بيدك.

[بعض ما يبعث على الرحيل]

ولقي رجلٌ رجلاً خارجاً من مصر يريد المغرب، فقال: يا أخي؛ أتتبعُ القطرَ، وتدعُ مجرى السيول؟ فقال: أخرجني من مصر حقُّ مُضَاع، وشحُّ مُطَاع، وإقتار البكريم، وحركة اللثيم، وتعبير الصديق، بين السعة والضيق، والمهرب إلى النزرِ بالعرز، خيرٌ من طلب الوافرِ بذُرِّ العجزِ.

[من الوصايا لمن اعتزم السفر]

وأوصى بعضُ الحكماء صديقاً له، وقد أرادَ سفرًا، فقال: إنك تدخلُ بلدًا لا يعرفُك أهلُه؛ فتمسكُ بوصيتي تنفق بها فيه: عليك بحُسنِ الشائل فإنها تدلُّ على الحرية؛ ونقاءِ الأطراف فإنها تشهد بالموكبة؛ ونظافة البرّة فإنها تنبئ عن النشء في النعمة؛ وطيب الرائحة فإنها تظهر المروءة، والأدب الجميل فإنه يكسب المحبة، وليكن عقلك دون دينك، وقولك دون فعلك، ولباسك دون

قَدْرِكَ ، وَالزَّمِ الْحَيَاءَ وَالْإِنْفَةَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْغَضَاظَةِ اجْتَنَبْتَ الْحَسَاةَ ، وَإِنْ أَنْفَتَ عَنِ الْعَلْبَةِ ، لَمْ يَتَقَدَّمْكَ نَظِيرٌ فِي مَرْتَبَةٍ .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يُوصِي آخرَ أرادَ سفراً ؛ فقال : آثرَ بعملك معادَكَ ، ولا تدعِ لشهوتِكَ رشادَكَ ، وليكنْ عقلُكَ وزيرَكَ الذي يدعوكُ إلى الهدى ، ويحبُّكَ من الردى ، واحبسْ هواكُ عن الفواحش ، وأطلقه في المكارم ؛ فإنك تهرُّ بذلك سلفَكَ ، وتشيّد به شرفَكَ .

وأوصت أعرابية ابنها في سفر ، فقالت : يا بني ؛ إنك تجاورُ الغرباء ، وترحلُ عن الأصدقاء ، ولعلَّكَ لا تلقى غيرَ الأعداء ؛ فخاطبِ الناسَ بحمائلِ البشر ، واتقِ اللهَ في العلانية والسرى .

وقال بعضُ الملوكِ لحكيمٍ وقد أرادَ سفراً ؛ ففنى على أشياء من حكمتك أعملُ بها في سفرى ؛ فقال :

اجعلْ تأنيكُ أمامَ عَجَلتِكَ ، وحلمَكَ رسولَ شدتِكَ ، وعفوكُ مالكَ قدرتكِ ، وأنا ضامنٌ لك قلوبَ رعيتِكَ ، مالم تُخرِجْهم بالشدّةِ عليهم ، أو تُبْطِرْهم بالإحسانِ إليهم .

وقال أبان بن تغلب : شهدت أعرابيةً تُوصي ولداً لها أرادَ سفراً وهي تقول :
أى بنى ! اجلسْ أمْنَحْكَ وصيتي ، وباللّهِ توفيقُكَ ، قال أبان : فوقفْت مستمعاً
لكلامها ، مستحسناً لوصيتها ، فإذا هي تقول : أى بنى ! إياك والنميمة ، فإنها
ترزَعُ الضغينة ، وتفرّقُ بينَ المحبين ، وإياك والتعرضُ للعيوبِ فتتخذُ غرضاً ،
وخليقٌ ألاّ يذُبُّ الغرضُ على كثرةِ السهامِ ؛ وقمّا اعتورتِ السهامُ غرضاً إلاّ
كلمتهُ ، حتى يهبي ما اشتدَّ من قوته ؛ وإياك والجدودَ بدينك ، والبخلَ بمالك ؛
وإذا هزرت فأهز زكريما يلين لِمَهزرتك ؛ ولا تهزُز اللثيم فإنه صخرة لا ينفجرُ
ماؤها ، ومثلُ بنفسك مثال ما استحسنْت من غيرك فاعمل به ، وما استبجحت من
غيرك فاجتنبه ؛ فإن المرءَ لا يرى عيبَ نفسه ؛ ومن كانت مودته بشره ، وخالفَ
منه ذلك فعله ، كان صديقه منه على مثلِ الريح في تصرّفها .

ثم أمسكت ، فدنوتُ منها ، فقلت لها : بالله يا أعرابية ، إلا ما زدته في الوصية ؛ قالت : أو قد أعجبك كلامُ العرب يا حَصْرَى ؟ قلت : نعم ! قالت : القَدْرُ أقبح ما تعامل به الناسُ بينهم ، ومن جمع الحِلْمَ والسخاء فقد أجاد الحِلْمَةَ رِيْطَهَا وَسِرِّبَالَهَا .

فقر في مدح السفر

أبو القاسم بن عباد الصاحب : الخبر المنقول أن المقبوضَ غريباً شهيداً . وفي الحديث : سافروا تَعْنَمُوا . السفرُ أحدُ أسباب العيش التي بها قوامه ، وعليها نظامه . إن الله لم يجمعَ منافع الدنيا في الأرض ؛ بل فرقها وأحوجَ بعضها إلى بعض . المسافرُ يسمعُ العجائب ، ويكسبُ التجاربَ ، ويَجْلِبُ المكاسبَ . الأسفارُ مما تزِيدُك علماً بقدرة الله وحِكمته ، وتدعوُك إلى شكر نعمته . ليس بينك وبين بلدٍ نَسَبٌ ؛ فخيرُ البلاد ما حملك . السفرُ يُسْفِرُ عن أخلاق الرجال . أو حشَّ أهْلَكَ إذا كان في إيجاشهم أنسك ، واهجرُ وطنك إذا نبتَ عنه نفسك . ربما أسفرَ السفرَ عن الظفر ، وتعذَّرَ في الوطن قضاء الوطر ، وأنشد :

ليس ارتحالكَ تزَنَادُ الغنى سفرًا بلِ المَقَامِ على خَسْفٍ هو السفرُ
وهذا كقول الطائي :

وما القفرُ بالبيدِ الفضاء ، بلِ التي نبتَ بي وفيها ساساً كُنُوها هي القفرُ
أخذه المتنبي فقال :

إذا ترَحَّلتَ عن قومٍ وقد قدرُوا ألا تُفَارِقَهُمْ فالرَّاحِلونَ همُ

نقيض ذلك في ذم السفر والغربة

في الحديث إن المسافرَ وماله لَمَلَى ، قلت : إلا ما وقى الله ، أى على هلاك . شيئان لا يعرفهما إلا من ابتلى بهما : السفرُ الشاسع ، والبناءُ الواسع . السفرُ والسَّقْمُ والقتالُ ثلاثٌ متقاربة ؛ فالسفرُ سفينة الأذى ، والسَّقْمُ حريقُ الجسد ،

والقتالُ مَنْبِتُ المنايا . إذا كنتَ في غير بلدك فلا تنسَ نصيبك من الذَّل . الغربةُ كُرْبَةٌ . النُّقْلَةُ مَثَلَةٌ . الغريبُ كالغرسِ الذي زایل أَرْضَهُ ، وَقَدَّ شِرْبَهُ ؛ فهو ذَاوٍ لَا يُشْمِرُ ، وذابلٌ لَا يَنْضُرُ . الغريبُ كَالْوَحْشِ النَّائِيِ عَن وَطْنِهِ ؛ فهو لكل سَبْعٍ فَرَيْسَةٌ ، ولكل رَاِمٍ رَمِيَةٌ ؛ وَأَنْشُد :

لَقُرْبُ الدارِ فِي الإِقْتَارِ خَيْرٌ مِنْ العَيْشِ المَوْسَعِ فِي اغْتِرَابِ

وقال أبو الفتح البُستِي :

لا يعدم المرء شيئاً يستعينُ بهِ ومنعه بين أهليهِ وأصحابهِ
ومن نأى عنهمُ قلتُ مَهَابَتَهُ كالليثِ يحقرُ لِمَا غَابَ عَن غَايِهِ

[العزل والإبعاد والحجب بعد التقريب والمؤانسة]

كتب أبو عبيد الله إلى المهدي بعد عَزَلِهِ إِيَّاهُ عَن الدَوَاوِينِ : لَمْ يُنْكَرِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَالِي فِي قُرْبِ المُوَانَسَةِ وَخُصُوصِ الخِلْمَةِ ، وَحَالِي عِنْدَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي قِيَامِي بِوَأَجِبِ خِدْمَتِهِ ، الَّتِي أَدْتَنِي مِنْ نِعْمَتِهِ ، فَلَمْ أَبْدَلْ - أَعَزَّ اللهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - حَالَ التَّبْعِيدِ ، وَيَقْرَبُ فِي مَحَلِّ الإِقْصَاءِ ، وَمَا يَعْلَمُ اللهُ مِنِّي فِيمَا قَلْتُ إِلَّا مَا عَالَمَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ رَأَى أَنَّ كَرَمَهُ اللهُ أَنْ يُعَارِضَ قَوْلِي بِعَالَمِهِ بَدْءًا وَعَاقِبَةً فَعَلَّ إِنْ شَاءَ اللهُ . فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ شَهِدَ بِتَصْدِيقِهِ قَلْبَهُ ، فَقَالَ : ظَلَمْنَا أَبَا عُبَيْدِ اللهِ ، فَيُرَدُّ إِلَى حَالِهِ ، وَيُعْلَمُ مَا تَجَدَّدَ لَهُ مِنْ حُسْنِ رَأْيِي فِيهِ .

بين المهدي
وأبي عبيد الله

ولمَّا أَمَرَ المَأْمُونُ أَنْ يُحْجَبَ عَنْهُ الفَضْلُ بْنُ الرِّبِيعِ لِسَبَبِ تَأَلَّمِ قَلْبِهِ مِنْهُ كَتَبَ إِلَيْهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! لَمْ يُنْسِنِي التَّقْرِيبُ حَالِي أَيَّامَ التَّبْعِيدِ ، وَلَا أَغْفَلْتَنِي المُوَانَسَةَ عَن شُكْرِ الإِبْتِدَاءِ ؛ فَعَلَى أَيِّ الحَالِينَ أَبْعَدُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُنَحِّقُنِي ذِمُّ التَّقْصِيرِ فِي وَاجِبِ خِدْمَتِهِ ؟ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْدَلُ شَهُودِي عَلَى الصَّدِّقِ فِيمَا وَصَفْتَ ؛ فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَكُنْ شَهَادَتِي فَعَلَّ إِنْ شَاءَ اللهُ .

بين المأمون
والفضل بن
الربيع

وقال أبو جعفر المنصور لأبي مسلم حين أزمع قتله : هل كنتَ قبل قيامك بدولتنا جائزاً الأمرِ على عبدين ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين . قال : فلمَ لمَ تعرِّض

بين المنصور
وأبي مسلم
الخراساني

حَالِيْ عُسْرَتِكَ وَمَهَانَتِكَ عَلَى أَيَامِنَا ، وَتَعْرِفْ لَنَا مَا يَعْرِفُ غَيْرُكَ مِنْ إِجْلَالِنَا وَإِعْظَامِنَا ، حَتَّى لَا يِنْزَاعَكَ الْحَيْنَ عِنَانَ الطَّمَأْنِينَةِ ؟ قَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : وَلَكِنَّ الزَّمَانَ وَإِسَاءَتَهُ قَلْبًا مَا كَانَ مِنْ حُسْنِ صَنِيعَتِي ، قَالَ : فَلَا مَرْغُوبَ فِيكَ ، وَلَا مَأْسُوفَ عَلَيْكَ ، وَفِي اللَّهِ خَلْفٌ مِنْكَ ! وَأَمْرٌ بِقَتْلِهِ (١)

جملة من شعر أبي الفتح كشاجم في الأوصاف

- من قوله في
وصف أجزاء
من القرآن
الكريم

قال يصف أجزاء من القرآن :

مَنْ يَتَّبِ خَشِيَةَ الْعِقَابِ فِإِنِّي تَبْتُ أَنْسًا بِهِذِهِ الْأَجْزَاءِ
بَعَثْتَنِي عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالنَّسْكَ وَمَا خَلْتَنِي مِنَ الْقِرَاءِ
حِينَ جَاءَتْ تَرَوْقَنِي بِاعْتِدَالٍ مِنْ قُدُودٍ وَصِيغَةٍ وَاسْتَوَاءِ
سَبْعَةٍ أَشْبَهَتْ لِي السَّبْعَةَ الْأَنْجُمَ ذَاتَ الْأَنْوَارِ وَالْأَضْوَاءِ (٢)
كُسِيتَ مِنْ أَدِيمِهَا الْحَالِكِ اللَّوْنِ (٣) غِشَاءً أَحْبَبَ بِهِ مِنْ غِشَاءِ
مُشْبِهًا صِبْغَةَ الشَّبَابِ وَلَمَّا تِ الْعِذَارَى وَلِئْسَةَ الْخَطْبَاءِ
وَرَأَتْ أَنَّهَا تَحْسُنُ بِالضِدِّ فَتَاهَتْ بِحَلِيَّةٍ بِيضَاءِ
فَهِيَ مَسْوَدَةٌ الظُّهُورِ ، وَفِيهَا نَوْرٌ حَقٌّ يَجْلُودُ جِي الظَّلْمَاءِ
مَطْبَقَاتٍ عَلَى صَحَائِفَ كَالرَّيِّطِ طُتْخِيْرُنَّ مِنْ مُسُوكِ الظَّلْمَاءِ (٤)
وَكَأَنَّ الْخَطُوطَ فِيهَا رِيَاضٌ شَاكِرَاتٌ صَنِيعَةَ الْأَنْوَاءِ
وَكَأَنَّ الْبِيْضَ وَالنَّقْطَ الشُّو دَ عَيْبِرٌ رَشَشْتُهُ فِي مَلَاءِ
وَكَأَنَّ الْعُشُورَ وَالذَّهَبَ السَّاطِعَ فِيهَا كَوَاكِبٌ فِي سَمَاءِ

(١) انظر واجبات الملوك في كتاب « الأخلاق عند الغزالي »

(٢) رواية الديوان :

سبعة شبهت بها الأنجم السبعة ذات الأنوار والأضواء.

(٣) رواية الديوان « الجون »

(٤) المسوك : جمع مسك - بالفتح - وهو الجلد . ورواية الديوان « متون »

وهي مشكولةٌ بعدة أشكالٍ ومقروءةٌ على أنحاء
 فإذا شئتَ كان حمزةٌ فيها وإذا شئتَ كان فيها الكسائي
 خضرةٌ في خلالٍ حمرٍ وصفٍ بين تلك الأضعاف والأثناء
 مثل ما أثر الدبيبُ من الذرِّ على جلدٍ بضعةً عذراء^(١)
 ضمنتُ محكم الكتاب كتاب الله ذي المكرمات والآلاء
 فحقيقٌ على أن أتلو القرآنَ فيهنَّ مُصبِحِي ومَسَائِي

وقال يصفُ التخت الذي يُضربُ عليه حسابُ الهند :

وقلِّمِ مدادُهُ ترابٌ في صُحفٍ سُطورُها حسابُ
 يكثرُ فيها المحوُّ والإضرابُ من غير أن يسود الكتابُ
 حتى يبين الحقُّ والصوابُ وليس إعجامٌ ولا إعرابُ

فيه ولا شكٌ ولا ارتيابُ

من قوله
 في وصف
 تخت حساب

وقال يصفُ بركاراً استهداه :^(٢)

جُدلى ببركارك الذي صنعتُ فيه بداً قَيْنِهِ^(٣) الأعاجيبا
 ملهتُمُ الشعبَيْنِ^(٤) معتدلاً ما شينَ من جانبٍ ولا عيبا
 شخصان في شكلٍ واحدٍ قدرا ورُكبا بالعقولِ تركيبا
 أشبه شيئين في اشتكاهما^(٥) بصاحبٍ لا يزالُ مصحوبا
 أو توق مساره وعيب عن نواظر الذمِّ اقدين تغيبا
 فعينُ من يجتليهِ يحسبه في قالب الإعتدالِ مَضُوباً
 قد ضَمَّ قُطْرِيهِ^(٦) مُحْكَمًا لهما ضَمَّ مُحِبًّا إِلَيْهِ محبوبا
 يزداد حِرْصاً عليه مُبصره ما زاده بالبنانِ تَقْلِيبا

من قوله
 يصف بركارا

(١) رواية الديوان « غضة غيداء » (٢) هو الرجل

(٣) رواية الديوان « القين » - والقين : الحداد ، أو كل صانع (م)

(٤) رواية الديوان « الشفرتين » (٥) رواية الديوان « اتلا فهما »

(٦) في الديوان « شطريه »

ذو مِلَّةٍ بَصْرَتِهِ مَذْهَبُهُ (١) لَمْ تَأَلَّهُ رِقَّةً وَتَهْمٌ ذَيْبًا
 يَنْظُرُ فِيهَا إِلَى الصَّوَابِ فَمَا بِهَا يَنْزَالُ الصَّوَابُ مَطْلُوبًا
 لَوْلَا مَا صَحَّ خَطُّ دَائِرَةٍ (٢) وَلَا وَجَدْنَا الْحِسَابَ مَحْسُوبًا
 [الْحَقُّ فِيهِ فَإِنْ عَدَلْتُ إِلَى سِوَاهُ كَانَ الْحِسَابُ تَقْرِيبًا]
 لَوْ عَيْنُ إِقْلِيدِسٍ بِهِ بَصُرَتْ خَرَّ لَهُ بِالسُّجُودِ مَكْبُوبًا
 فَابْعَثَهُ وَاجْتَنِبْهُ لِي بِسُطْرَةٍ تُلْفِ الْهُوَى بِالْتَّنَاءِ مَجْنُوبًا
 وَقَالَ يَصِفُ بَيْكَاتَا (٣):

من قوله
 يصف بيكاتا

رُوحٌ مِنَ الْمَاءِ فِي جِسْمٍ مِنَ الشَّجَرِ مُوَلَّدٌ بِلَطِيفِ الْحِسِّ وَالنَّظَرِ
 مُسْتَعْبِرٌ لَمْ يَغِيبْ عَنْ طَرْفِهِ سَكِينٌ وَلَمْ يَبْتَ مِنْ ذَوِي ضِعْنٍ عَلَى حَذَرِ
 لَهُ عَلَى الظَّهْرِ أَجْفَانٌ مَحْجَرَةٌ وَمَقَالَةٌ ذَمُّهَا جَارٍ عَلَى قَدَرِ
 تُنْشَأُ لَهُ حَرَكَاتٌ مِنْ أَسَافِهِ كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ
 وَفِي أَعَالِيهِ حِسَابٌ يُفْصَلُهُ لِلنَّاطِرِينَ بِلَا ذَهْنٍ وَلَا فِكْرِ
 إِذَا بَكَى دَارَ فِي أَحْسَانِهِ فَلَكُ خَافِي الْمَسِيرِ وَإِنْ لَمْ يَبْكُ لَمْ يَدْرِ
 مُتَرْجِمٌ عَنْ مَوَاقِيتٍ يَخْبُرُنَا بِهَا فَيُوجَدُ فِيهَا صَادِقُ الْخَبْرِ
 تُقْضَى بِهِ الْحَسْبُ فِي وَقْتِ الْوَجُوبِ وَإِنْ غَطَّى عَلَى الشَّمْسِ سِتْرَ الْعَيْمِ وَالْمَطَرِ
 وَإِنْ سَهَرَتْ لِأَوْقَاتٍ تُؤَرِّقُنِي عَرَفْتُ مَقْدَارَ مَا أَلْقَى مِنَ السَّهْرِ
 مُحَدِّدٌ كُلَّ مِيقَاتٍ تَخَيَّرَهُ ذَوْوُ التَّخْيِيرِ لِلْأَسْفَارِ وَالْحَضَرِ
 وَمُخْرَجٌ لَكَ بِالْأَجْزَاءِ أَلْطَفَهَا مِنْ النَّهَارِ وَقَوْسُ اللَّيْلِ وَالسَّحَرِ
 نَتِيجَةُ الْعِلْمِ وَالتَّفَكِيرِ صُورَتُهُ يَاحِبِّذَا أَبْدِعِ الْأَفْكَارَ فِي الصُّورِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مَنْسَبَةٌ » ، وَالتَّصْحِيحُ عَنِ الدِّيَوَانِ .

(٢) فِي الدِّيَوَانِ « شَكْلُ دَائِرَةٍ » .

(٣) رَوَى صَاحِبُ نَهَايَةِ الْأَرْبِ هَذِهِ الْقِطْعَةَ (١٥٥ / ١) وَذَكَرَ أَنَّهُ يَصِفُ فِيهَا طَرَجَهَارَةَ ، وَقَالَ : هِيَ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي تَعْرِفُ بِهَا السَّاعَاتُ ، وَالْأَبْيَاتُ نَفْسَهَا تَدُلُّ عَلَى مَا قَالَهُ النُّوَيْرِيُّ (م)

من قوله يصف
اسطرلابا

وقال يصف اسطرلابا :

ومستدير كجرم البدر مسطوح
ضُلب يدَارُ على قُطبٍ يثبته
ملء البنان وقد أوفت صفائحهُ
تُلقى به السبعة الأفلاك مُحَدِّقَةً
تُنبيك عن طامح الأبراج هيثه
وإن مضت ساعة أو بعض ثانية
وإن تعرض في وقت يُقدره
مميز في قياسات الضلوع به
له على الظهر عينا حكمة بهما
وفي الدواوين من أشكاله حكم
لا يستقل لما فيه بمعرفة
حتى ترى الغيب فيه وهو مُنلقُ الأبوابِ
نتيجة الذهن والتفكير صورهُ
عن كل رافعة الأشكال مصفوح
تمنالُ طرف بشكر الحذق مكبوح
على الأقاليم من أقطارها الفيح^(١)
بالماء والنار والأرضين والريح
بالشمس طورا ، وطورا بالمصايح
عرفت ذاك بعلم فيه مشروح
لك التشككُ جلأه بتصحيح
بين المشائم منها والمناجيح
يحوي الضياء وتنجيه من اللوح
تنقح العقل فيها أي تنقيح
إلا الحصيف اللطيف الحس والروح
أبوابِ عن سواءٍ جد مفتوح
ذو العقولِ الصحيحاتِ المراجيح

وكان أبو شجاع فناخسرو عضد الدولة قد نكب أبا إسحاق الصابي ،
على تقدمه في الكتابة ، ومكانه في البلاغة ، واستصفي أمواله من غير إيقاع
به في نفسه ، فأهدى إليه في يوم مهرجان اسطرلابا في دور الدرهم ،
وبيعت معه وكتب إليه :

أهدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا
في مهرجانٍ عظيمٍ أنت تُعليه

بشعر

(١) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح أو فيحاء .

لكنَّ عبدك إبراهيم حين رأى سُمُوَّ قَدْرِكَ عن شيء يُسَامِيهِ
لم يَرْضَ بالأرضِ يُهْدِيهَا إِلَيْكَ ، فقد أهدى لك الفلكَ الأعلى بما فيه

[من أوصاف النساء]

لابن الرومي

وقولُ أبي الفتح : « ملء البنان البيت » نظيرُ قولِ علي
ابن العباس الرومي يصف هن امرأة^(١) :

يَسَعُ السبعةُ الأقاليمَ طُرًّا وهو في أصبعين من إقليم
كضميرِ الفؤادِ يَلْتَمِسُ الدنيا وتحويه دَفْتًا حَيْرُوم

لبعض الشعراء
يصف القلم

وإنما أخذه ابن الرومي من قول بعض الشعراء يذكر كاتباً

في كفه أحرَسَ ذُو مَنْطِقٍ بقافه واللام والميم

شَبْرٌ إذا قيسَ ، ولكنه في فعله مثل الأقاليم

مُحَدَّفُ الرَّأْسِ وَمُسْوَدُّهُ كإبرة الرَّوْقِ من الرِّيم^(٢)

قلب المعنى ليس
من السرقة

وهذا البيت الأخير مقلوب من قول عدى بن الرقاع العاملي ، وقد وصف

قرن ريم ، وشبهه بقلم عليه مداد ، وذكرة ظبية .

تُرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

وقلبُ المعنى إذا تمكن الشاعرُ من إخفائه لا يُجْرِي مُجْرَى السَّرْقَةِ .

وقد ترى تكثيرَ الشعراءِ من تشبيه أوراك النسوانِ بالرَّمْلِ والكُثبانِ ،

قال الشاعر :

لشاعر يصف

نساءً بالعبالة

والسمن

وَبِيضُ نَضِيرَاتِ الوجوهِ كأنما تَأَزَّرْنَ دُونَ الأزْرِ مَلَاتِ عَالِجٍ

خِدَالِ الشَّوَى لا تحتشى غير خلة لها إذا الرُّسْحُ لم يصبِرَنَّ دُونَ المَنَافِجِ^(٣)

(١) الهن : الفرج . (٢) روق الريم : قرن الظبي .

(٣) خدال الشوى : ممتلئة الأطراف ، والرسح : جمع رسحاء ، وهى قليلة لحم

العجز والفخذين ، والمنافع : حشايا توضع فوق الأرداف .

يَذْرَنَ مُرُوطَ الْخَزِّ مَلَأَى كَانِهَا قِصَارٌ وَإِنْ طَالَتْ بِأَيْدِي النَّوَاسِحِ
وهذا المعنى متداول متناقل في الجاهلية والإسلام ، فأغرب ذو الرمة في
قلبه وأحسن ، فقال يصف رملا :

ورمل كأوراك العذارى قطعتهُ وقد جَلَّتْهُ الْمُظْلَمَاتُ الْخُنَادِسُ
وكذلك مدحهم ضُمُورَ الْكَشْحِ ، وجولان الوُشْحِ ، وصُمُوتِ الْقَلْبِ
والخلخال ، وامتناع الخِدامِ مِنَ الْمَجَالِ ؛ قال خالد بن يزيد بن معاوية ، وذَكَرَ
رملة بنت الزبير بن العوام :

لخالد بن يزيد
معاوية

تَجُولُ خَلَاحِيلُ النِّسَاءِ ، وَلَا أَرَى
لِرَمْلَةٍ خَلَاحِلًا يَجُولُ وَلَا قَلْبًا^(١)
أَحِبُّ بَنِي الْعَوَامِ طُرًّا لِحَبِهَا
وَمِنْ أَجْلِهَا أَحْبَبْتُ أَحْوَالَهَا كَلْبًا
وقال النابغة :

للنابغة

عَلَى أَنْ حَجَّجَلَيْهَا وَإِنْ قَلْبٌ أَوْسَعَا
صُمُوتَانِ مِنْ مَلءٍ وَقَلَّةٍ مِنْطَقِ
وقال الطائي :

لأبي تمام الطائي

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ
قَنَا الْخَطِّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ
مِنْ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاحِيلَ صَيَّرَتْ
لَهَا وَشَحًّا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاحِلُ^(٢)
وقال ابن زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيُّ :

لابن أبي زُرْعَةَ
الدَّمَشْقِيُّ

اسْتَسْكَمْتُ خَلَاحِلَهَا وَمَشَّتْ
تَحْتَ الظَّلَامِ بِهِ فَمَا نَطَقَا
حَتَّى إِذَا رِيحُ الصَّبَا نَسَمَتْ
مَلَأَ الْعَبِيرُ بِسَيْرِهَا الطَّرْقَا

وقال المتنبي :

للمتنبي

وَخَصِرٍ تَثْبُتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ
كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقًا
قَابَ هَذَا كُلَّهُ أَبُو عَثْمَانَ النَّاجِمُ ، فَقَالَ يَهْجُو قَيْنَةَ :

(٢) الوشح - بضمين - جمع وشاح

(١) القلب - بالضم - السوار .

لأبي عثمان
الناجم

مَثَلٌ فِي عَنكَبُوتٍ
وَوُشْحَهَا كَطَمَّ صُمُوتٌ

مَسَلُوةُ الكَلِّ غَيْرَ بَطْنٍ
حُجْبُولِهَا الدَّهْرَ فِي اضْطِخَابٍ
وقال أبو عثمان بمدح قَيْنَةَ :

مَحْسَنَةٌ فِي كُلِّ أَلْحَانِهَا
لَا كَالَّتِي تَحْسَنُ فِي النَّدْرَةِ

ثم قلبه في هجاء ، فقال :

عَجِبْتُ مِنْهَا وَيَجْهَى كَيْفَ لَا
تُخْطِئُ بِالْإِحْسَانِ فِي النَّدْرَةِ

لمحمد بن مناذر
يهجو خالد بن
طليق

وهذا مأخوذٌ من قول محمد بن مناذر يهجو خالد بن طليق ، وكان قد تقلد

قضاء البصرة :

يَا عَجَبًا مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا
كَانَ قِضَاةَ النَّاسِ فِيمَا مَضَى
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَهَذَا عَذَابٌ

وهذا أيضاً من قلب الهجاء مديحاً ، والمديح هجاء ؛ كما قال مسلم بن الوليد

لمسلم بن الوليد

يهجو قوما :

قَبِحتْ مَنَاطِرُهُمْ فَمِنْ خَبَرْتَهُمْ
حَسَنَتْ مَنَاطِرُهُمْ بِقُبْحِ الخَبَرِ
قلبه أبو الطيب المتنبي فقال :

للمتنبي

وَأَسْتَكْثِرُ الأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ

لأبي تمام

وقال أبو تمام :

عَبَأُ الكَمِينِ لَهُ فَضْلٌ لِحِينِهِ
وَكِينُهُ الخَفِيُّ عَلَيْهِ كَمِينُ
قلبه البحتري فقال :

للبحتري

لَا يَبْأَسُ المَرءُ أَنْ يَنْجِيَهُ
مَا يَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهُ عَظْبُهُ

لأبي تمام

وقال أبو تمام :

وَحَشِيَّةٌ تَرْمِي القَاوِبَ إِذَا غَدَتُ

للبحتري

قلبه البحتري فقال :

عَلَى أُنْتَى أَخْشَى عَلَى دَارِ أَمْنِهَا
فَوَارِسٌ يَصْطَادُ الفَوَارِسَ صَيْدُهَا

لأبي تمام

وقال أبو تمام :
 يُسْنَأُ النَيْثُ وَهُوَ جَدُّ حَبِيبٍ رَبَّ حَزْمٍ فِي بَغْضَةِ المَوْقِ
 قلبه البحتري فقال :

للبحترى

يَسْرُنِي الشَّيْءُ قَدْ يَسُوءُكُمْ نَوَّةَ يَوْمًا بِخَامِلٍ لِقْبِهِ
 قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : المعنى في المصراع الأول أبين منه في
 الثاني ؛ ألا ترى أنه لو قال : إنه ليسوءك الشيء قد يسر ، كان مثل ذلك المعنى
 مستويا ، إلا أنه قلبه لحاجته .

لابن الرومي

قال ابن الرومي يهجو مغنية :

قِينَةَ مَلْعُونَةٍ مِنْ أَجْلِهَا رَفَضَ اللَّهُوَ مَعًا مَنْ رَفَضَهُ
 فَإِذَا عَنَّتْ تَرَى فِي حَلَقِهَا كُلَّ عِرْقٍ مِثْلَ يَبْتِ الأَرْضَهُ
 فقلبه ابن المعتز فقال يصف أرضه أكلت له كتابا .

لابن المعتز

تَدْنِي أَنَابِيْبَ لَهَا فِيهَا سَبَلٌ مِثْلُ العِرْقِ لَا تَرَى فِيهَا خَلَلٌ
 وهذا كثير يُكْتَفَى مِنْهُ بِالسَّيْرِ .

[من المعاني مالا ينقلب]

ومن المعاني مالا ينقلب : ألا ترى أنك تقول : نام القوم حتى كأنهم موى ، ولا يحسن
 أن تقول : ماتوا حتى كأنهم نيام ؛ وقد أخذ على أبي نواس قوله يصف داراً وقف بها :
 كأنها إذ خرست جارمٌ بين يدي تفنيده مطرقٌ
 قالوا : إنما يجب أن يشبه الجارم إذا عدلوه فسكت وانقطعت حجته بالدار
 الخالية التي لا تحيب .

بعض ما أخذ
على أبي نواس

وأخذوا عليه قوله :

كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ حَصْنِهِمْ مَعْصِرَاتُ عَلَى أَرْسَانِ قَصَارٍ
 وقد تبعه أبو تمام الطائي فقال في الأفسين لما أحرق :
 مَا زَالَ سِرُّ الكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حَتَّى اصْطَلَى سِرَّ الزَّنَادِ الوَارِي
 نَارٌ يَسَاوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ كَمَا عَصَفَتْ شِقِّ إِزَازِ

طارَتْ لَهُ شُعْلٌ يَهْدِمُ لِفَجْهَها
فَصَلَّنَ مِنْهُ كُلَّ مَجْمَعِ مَفْصِلِ
أَرْكَانَهُ هَدْمًا بَغِيرِ غَبَارِ
وَفَعَلْنَ فاقِرَةً بِكُلِّ قَفَّارِ
صَلَّى لَهَا حَيًّا، وَكَانَ وَقُودَهَا
وَكِذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ فِي الدُّنْيَا هُمْ
أَرَدَتْ الْبَيْتَ الثَّانِي، قَالُوا: وَإِنَّمَا تَشْبَهُ الثِّيَابُ الْمُعْصِفَةَ بِالنَّارِ؛ فَهَذَا وَمَا شَبَّهَهُ
لَا يَتَوَازَنُ انْعِكَاسَهُ، وَتَتَضَادُّ قَضَايَاهُ؛ وَإِنَّمَا يَصْحَقُ الْقَلْبُ فِيمَا يَتَحَقَّقُ تَضَادُّهُ أَوْ يَتَقَارَبُ.

قطعة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم

قال أبو الفتح البستي:

لأبي الفتح
البستي

قَدْ غَضَّ مِنْ أَمَلِي أَنْى أَرَى عَمَلِي
وَأَتْنِي رَاحِلٌ عَمَّا أَحَاوَلُهُ
أَقْوَى مِنَ الْمَشْتَرَى فِي أَوَّلِ الْحَلِ
كَأَنْتِي أَسْتَدِرُّ الْخَطَّ مِنْ زُحَلِ
وَقَالَ:

إِذَا غَدَا مَلِكٌ بِاللَّهْوِ مُشْتَغَلًا
أَلَمْ تَرَ الشَّمْسَ فِي الْمِيزَانِ هَابِطَةً
فَأَحْكَمَ عَلَى مُلْكِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ
لِمَا غَدَا بَرَجَ نَجْمِ اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ
وَقَالَ:

وَقَدْ تُدْنِي الْمُلُوكُ لَدَى رِضَاها
كَمَا الْمَرِيخُ فِي الثَّلَاثِ يُعْطَى
وَتُبْعِدُ حِينَ تَحْتَقِدُ احْتِقَادًا
وَفِي التَّرْبِيعِ يَسْلُبُ مَا أَفَادًا
وَقَالَ:

أَلَا فَتَقُوا بِي فَإِنِّي كَمَا
فَمَا كَوَكْبِي رَاجِعًا فِي الْوَفَاءِ
تَمَدَّحْتَ فَلَيْمَتَحْنُ مِنْ يُحِبُّ
وَلَا بُرْجُ قَلْبِي بِالْمُنْقَلَبِ (١)
وَقَالَ:

لَئِنْ كَسَفُونَا بِأَلَا عِلَّةِ
فَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءُ مَنْ دُونَهُ
وَفَارَزَتْ قِدَاحُهُمُ بِالظَّفَرِ
كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسُ جِرْمُ الْقَمَرِ

(١) في الأصول «ولا يرح فوي» بالحاء المهملة، وما أثبتناه موافق لما في يتيمة الدهر (م)

وقال :

شَرَفُ الوَغْدِ بوغد مثله
ومثل ما فيه بزيفٍ وحلل
ودليل الصدق فيما قُلتُهُ
شرفُ المَرِيخِ في بيت زُحَل

وقال :

قل للذي غرته عِزَّةٌ مُدْكَه
حتى أَخَلَ بطاعةِ النَّصحاءِ
شرفُ الملوِكِ بعلهم وبرايمهم
وكذلك أَوْجُ الشمسِ في الجوزاءِ

وقال :

وقد يفسدُ المرءُ بعد الصِّلاحِ
كما السَّعدُ يَقْبَلُ طبعِ النُّحوسِ
فسادُ الأماكنِ ، والشَّرُّ يُعْدِي
إذا كان في موضعٍ شَيرٍ سَعْدِ

وقال :

ما أنسُ ظمَانٍ بماءٍ باردٍ
إلا كأنِّي بكتابٍ واردٍ
من بَعْدِ طوْلِ العَهْدِ بالمواردِ
من سيدٍ كَمَحْضِ النَّجَارِ ماجِدِ
* كأنما استملاه من عَطاردِ *

وقال :

يامعشرَ الكُتَّابِ لا تتعرضوا
إن الكواكبَ كُنَّ في أشرافِها
لرياسةٍ ، وتصاغروا ، وتَخَادَمُوا
إلا عطارِدَ حينَ صُورِ آدَمُ

وقال :

دعاني إلى بيتِهِ سَيِّدُ
فلازمتُ بيتي ولاطفتُهُ
له أنلُتُ الأشرَفُ الأُطْرَفُ
عطارِدُ نَجْمِي ، ولا شكَّ أن
بعذرٍ هو الأُطْرَفُ الأُطْرَفُ
عطارِدَ في بيتِهِ أَشْرَفُ

وقال :

لئن تنقلتُ من دارٍ إلى دارٍ
فالحُرُّ حُرٌّ عَزِيْزُ النفسِ حيثُ تَوَى
وصيرتُ بعد ثَوَاءِ رَهْنِ أسْفارِ
والشَّمْسُ في كلِّ رُجْ ذَاتُ أنوارِ

وقال :

لئن صدع الدهرُ المشتتُ شملنا
فلننجم من بعد الرجوع استقامة
وقال لمحبوس :

حُبِسْتُ ومن بعد الكسوفِ تَبَلَّجُ
فلا تعتقدُ للحبسِ غمًّا ووحشةً
وقال أيضاً :

يامن تولى المشتري تديرة
وقال :

لا تفرعن من كل شيء مُفزع
وقال يرثي أبا القاسم الصاحب :

فقدناه لما تمَّ واعتمَّ بالملأ
وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن درست لأبي الفضل الميكالي :

لابن درست

إذا ما غاب وجهُ البدرِ عنا
فإن رجعت نجومُ السعدِ يوماً
وقال مسكويه الخالدي :

لمسكويه

لا يعجبناك حسنُ القمرِ تنزله
لوزيدت الشمسُ في أبراجها مائة
وقال أبو بكر الخوارزمي :

للخوارزمي

رأيتك إن أسبرت خيتمَ عندنا
فما أنت إلا البدر : إن قلَّ ضوءه

للسولي

وهذا كقول إبراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات :
أسدُّ ضارٍ إذا مانعته
وأبُّ برٍّ إذا ما قدرا
يعرف الأبعد إن أترى، ولا
يعرف الأدي إذا ما افتقرا

وقال ابن المعتز :

إذا ما أراد الحاسدون انهدامه بناه إله غالب العز قاهره
وماذا يريد الحاسدون من امرىء تزينهم أخلاقه وما ثره
إذا ما هو استغنى اهتدى لافتقارهم ولا تهتدى يوماً إليهم مفارقة
وكانوا كرام كوكبا يبصاقه فرد عليهم وبله ومواطره

وهذا البيت كما قال بعض العرب في إحدى الروايات :

رمانى بأمرٍ كنتُ منه ووالدي برياً ومن جال الطوى رمانى
الجول والجال : الناحية ، والطوى : البئر ؛ يريد رمانى بما عاد عليه ، والرواية
المشهوره : ومن أجل الطوى ، فعلى هذا تسقط المناسبة بينه وبين قول ابن المعتز .

[الأصمعى وبعض الأعراب]

قال بعض الرواة : كنا مع أبي نصر راوية الأصمعى في رياض من المذاكرة
نَجْتَنِي ثَمَارَهَا ، وَنَجْتَلِي أَنْوَارَهَا ، إِلَى أَنْ أَفْضُنَا فِي ذِكْرِ أَبِي سَعِيدِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
قُرَيْبِ الْأَصْمَعِيِّ ؛ فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ الْأَصْمَعِيَّ ! إِنَّهُ لَمَعْدِنُ حِكْمٍ ، وَبَحْرُ عِلْمٍ ،
غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ تَرْقُطْ مِثْلَ أَعْرَابِي وَقَفَ بِنَا فَسَلِّمْ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ الْأَصْمَعِيُّ ؟ فَقَالَ :
أَنَا ذَاكَ ، فَقَالَ : أَتَأَذِنُونَ بِالْجُلُوسِ ؟ فَأَذِنَّا لَهُ ، وَعَجِبْنَا مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ مَعَ جَفَاءِ
أَدَبِ الْأَعْرَابِ .

قال : يا أصمعى ، أنت الذى يزعم هؤلاء النفر أنك أثقبتهم معرفة بالشعر
والعربية ، وحكايات الأعراب ؟ قال الأصمعى : فيهم من هو أعلم منى ، ومن
هو دونى ، قال : تنشدوننى من بعض شعر أهل الحضرة حتى أقيسه على شعر
أصحابنا ؟ فأنشده شعراً لرجل امتدح به مسامة بن عبد الملك :

أَمْسَلَمَ أَنْتَ الْبَحْرُ إِنْ جَاءَ وَارِدٌ وليث إذا ما الحرب طار عقابها
وأنت كسيف الهند وإنى إن غدت حوادث من حرب يعب عباها
وما خلقت أكرامة فى امرىءه ولا غاية إلا إليك ما بها

كَأَنَّكَ دِيَّانٌ عَلَيْهَا مُوَكَّلٌ بِهَا، وَعَلَى كَفَيْكَ يَجْرِي حِصَابُهَا
إِلَيْكَ رَحَلْنَا الْعَيْسَ إِذْ لَمْ نَجِدْهَا أَخَا ثِقَةَ يُرْجَى لَدَيْهِ ثَوَابُهَا

قال : فنبسم الأعرابي ، وهز رأسه ، فظننا أن ذلك لاستحسانه الشعر ، ثم قال : يا أصمى ؛ هذا شعر مهلهل خلق النسيج ، خطوه أكثر من صوابه ، يعطى عيوبه حسن الروى ، ورواية المشد ؛ يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد ، والأسد أنجز شتيم المنظر^(١) ، ورماطرده شرذمة من إماننا ، وتلاعب به صبياننا ، ويشبهونه بالبحر ، والبحر صفت على من ركب ، مرث على من شر به ، وبالسيف وربما خان فى الحقيقة ، ونبا عند الضريبة ! الأأنشدتى كما قال صبى من حيننا ! قال الأصمى : وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده :

إِذَا سَأَلْتَ الْوَرَىٰ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ لَمْ يُعْزَرَ إِكْرَامُهَا إِلَّا إِلَىٰ الْمَوْلِ
فَتَىٰ جَوَادٌ أَذَابَ الْمَالَ نَائِلُهُ فَالنَّيْلُ بِشُكْرٍ مِنْهُ كَثْرَةُ النَّيْلِ
الْمَوْتُ يُكْرَهُ أَنْ يَلْقَىٰ مَنِيَّتَهُ فِي كَرِّهِ عِنْدَ لَفِّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ
وَزَا حَمَّ الشَّمْسِ أَبْقَىٰ الشَّمْسَ كَاسِفَةً أَوْ زَا حَمَّ الصَّمِّ أَجْلَاهَا إِلَىٰ الْمَيْلِ
أَمْضَىٰ مِنَ النَّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَجْرَىٰ مِنَ السَّيْلِ
لَا يَسْتَرْجِحُ إِلَىٰ الدُّنْيَا وَزَيْدِهَا وَلَا تَرَاهُ إِلَيْهَا سَاحِبَ الدَّيْلِ
يَقْصُرُ الْمَجْدُ عَنْهُ فِي مَكَارِمِهِ كَمَا يَقْصُرُ عَنْ أَعْمَالِهِ قَوْلِي !

قال أبو نصر : فأبهتتنا والله ما سمعنا من قوله ، قال : فتأنى الأعرابي ، ثم قال للأصمى : ألا تشدنى شعراً ترتاح إليه النفس ، ويسكن إليه القلب ؟ فأنشده لابن الرقاق العاملى :

وَنَاعِمَةٌ تَجْلُو بِعُودِ أَرَاكِيٍّ مُؤَشِّرَةٌ يَسْبِي الْمَعَانِقَ طَيْبُهَا
كَأَنَّ بِهَا خَيْرًا بِمَاءِ غَمَامَةٍ إِذَا ارْتَشِفَتْ بَعْدَ الرِّقَادِ غُرُوبُهَا
أَرَاكَ إِلَىٰ نَجْدٍ تَحِينُ ، وَإِنَّمَا مَنَىٰ كُلُّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا

(١) شتيم المنظر : كريمة .

فتبسم الأعرابي وقال : يا أصمعي ، ما هذا بدون الأول ، ولا فوقيه ،
 ألا أنشدتني كما قلت ؟ قال الأصمعي : وما قلت ؟ جعلت فداك ! فأشدد :

تعلقتُها بكرةً ، وعلقت حبها فقلبي عن كلِّ الوريِّ فارغٌ بكرةً
 إذا احتجبت لم يكفك البدرُ ضوءها وتكفيك ضوء البدر إن حجب البدرُ
 وما الصبرُ عنها ، إن صبرت ، وجدته جميلاً ، وهل في مثلها يحسن الصبرُ ؟
 [وحسبك من خريفوتك ريقها ووالله ما من ريقها حسبك الخمرُ]
 ولو أن جلد الذر لا لمس جلدُها لكان لمس الذر في جلدِها أثرُ
 ولو لم يكن للبدْرِ ضدًّا جمالها وتفضله في حُسْنِها لصفا البدرُ

قال أبو نصر : قال لنا الأصمعي : اكتبوا ما سمعتم ولو بأطراف المدى في
 رِقاق الأكبَاد ! .

قال : وأقام عندنا شهراً ، فجمع له الأصمعيُّ خمسمائة دينار ، وكان يتعاهدنا
 في الحين بعد الحين ، حتى مات الأصمعي وتفرق أصحابنا !

فقرَّ من كلام الأعراب في ضروب مختلفة .

قال الجاحظ : ليس في الأرضِ كلامٌ هو أمتع ، ولا أنفع ، ولا آتق ،
 ولا ألد في الأسماع ، ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا أفتق للسان ،
 ولا أجود تقويماً للبيان ، من طولِ استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء .

قال ابن المقفع ، وقد جرى ذِكْرُ الشعرِ وفضيلته : أي حكمة تكون أبلغ ،
 أو أحسن ، أو أغرب ، أو أعجب ، من غلام بدوي لم ير ريفاً ، ولم يشبع من
 طعام ؛ يستوحش من الكلام ، ويفزع من البشر ، ويأوي إلى القفرِّ والبرابيع
 والظباء ، وقد خالط الغيلان ، وأنس بالجان ؛ فإذا قال الشعر وصف ما لم يره ،

ولم يغذَّ به^(١) ولم يعرفه ، ثم يذكر محاسن الأخلاق ومساوئها ، ويمدح ويهجو ، ويذم ويعاتب ، ويشبب ويقول ما يكتبُ عنه ، ويروى له ، ويبقى عليه .
وقال بعض الأعراب :

وإني لأهدى بالأوانس كالدمى وإني بأطراف القنأ للعب^(٢)
وإني على ما كان من عنجهمتي ولوثة أعرابيتي لأديب^(٣)
كأن الأدب غريبٌ من الأعراب ، فافتخر بما عنده منه .

وقال الطائي في فطنتهم ، يستعطف مالك بن طوق على قومه بني تغلب :
لأرقه الحضر اللطيف غذتهم وتباعدا عن فطنة الأعراب
فإذا كشفتهم وجدت لديهم كرم النفوس وقلة الآداب
ووصف أعرابي رجلا فقال : هو أطهر من الماء ، وأرق طباعا من الهواء ،
وأمضى من السيل ، وأهدى من النجم .
ووصف أعرابي رجلا فقال : ذاك والله من ينفع سامة ، ويتوآصف حمله ،
ولا يستمرأ ظلمه .

وقال أعرابي : جلستُ إلى قومٍ من أهل بغداد فأريتُ أرجح من
أحلامهم ، ولا أطيئ من أرقامهم .
وذكر أعرابي من بني كلاب رجلا فقال : كان والله العهم منه ذا أذنين ،
والجواب ذا لسانين ؛ ولم أرَ أحداً أرتقَ لخللِ رأى ، ولا ابعد مسافة روية ،
ومراد طرفٍ منه ؛ إنما كان يرمى بهمة حيث أشار إليه الكرم ، وما زال
يتحسنى مرارة أخلاق الإخوان ، ويستقيهم عنوبة أخلاقه .
وذكر أعرابي رجلا فقال : والله لكان القلوب والألسن رِيضتْ له ،
فما تعقد إلا على ودّه ، ولا تنطق إلا بحمده .

(١) في طبعة بولاق «ولم يعده» . (٢) لأهدى : لأعرف ، أى أشد معرفة (م)

(٣) العنجهية واللوثة : الكبر والحق .

وقال أعرابي : أقيح أعمال المقدرين الانتقام ، وما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر .

قال الأصمعي : وخطبنا أعرابي بالبادية ، فقال : أيها الناس : إن الدنيا دارٌ مفرّة ، والآخرة دار مقرّة ؛ فخذوا من مفرّكم لمقرّكم ، ولا تهتكوا أستاذكم عند من لا تخفى عليه أسراركم .

قال المعافر بن نعيم : وقتتُ أنا ومعبد بن طوق العنبري على مجلس لبني العنبري ، وأنا على ناقة وهو على حمار ، فقاموا فبدهوني فسلموا عليّ ؛ ثم انكفأوا على معبد ، فقبض يده عنهم ؛ وقال : لا ، ولا كرامة ! بدأتم بالصغير قبل الكبير ، وبالملوئي قبل العربيّ ، وبالمنفحم قبل الشاعر ، فأسكت القوم ، فأنبرى إليه غلام ، فقال : بدأنا بالكاتب قبل الأُمّي ، وبالماجر قبل الأعرابي ، وبراكبِ الراحلة قبل راكب الحمار .

ووصف أعرابي قومه فقال : لُيُوثُ حَرْبٍ ، وُعُيُوثُ جَدْبٍ ، إن قاتلوا أبلّوا ، وإن بذلوا أَعْنَوْا .

ووصف أعرابي قوماً فقال : إذا اصطَفُوا سَفَرَتَ بينهم السهام ، وإذا تصافَحُوا بالسيوف فَعَرَمَهُ الحِمامُ .

وُسئِلَ أعرابيٌّ عن صديق له ، فقال : صَفَرَتَ عِيَابُ الوَدِّ بيني وبينه بعد امتلائها^(١) ، واكفهرت وجوهٌ كانت بمائها .

وقال الأصمعي : وسمعت أعرابياً يقول : إنَّ الأمالَ قَطَعَتْ أعناقَ الرجالِ ، كالسرابِ غَرَّ مَنْ رآه ، وأخلف من رَجَاه ، وَمَنْ كانَ اللَّيْلُ والنَّهارُ مَطِيئَتِهِ أسرعاً السير والبلوغ به .

والمرءُ يفرح بالأيامِ يَقطَعُهَا وكلُّ يومٍ مَضَى يَدُنِي مِنَ الاجلِ

وذكر أعرابي مصيبة نأته ، فقال : إنها والله مصيبة جعلت سودَ الرؤوس
بيضا ، وبيض الوجوه سودا ، وهونت المصائب ، وشيدت الذرائب
وهذا كقول عبدالله بن الزبير الأسدي :

رَمَى الْجِدْثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ سَمْدَنْ لَهُ سُمُودَا^(١)
فَرَدَّ شَمُورَهْنَ الشُّودَ بِيضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبِيضَ سُودَا
وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ بَكَاءَ هِنْدٍ وَرَمْلَةَ إِذْ تَصُكَّانِ الْخُدُودَا
بَكَيْتَ بُكَاءَ مُعْوَلَةٍ حَزِينٍ أَصَابَ الدَّهْرُ وَاحِدَهَا الْفَقِيدَا^(٢)

ونظيرُ هذا التطابق بين السواد والبياض ، وإن لم يكن من هذا المعنى ، قول
ابن الرومي :

يَا بِيضَ الْمَشِيبِ سَوَّدْتَ وَجْهِي عِنْدَ بِيضِ الْوَجْهِ سُودِ الْقُرُونِ
فَلَعْمَرْتُ لِأَخْفِينِكَ جَهْدِي عَنِ عِيَانِي وَعَنِ عِيَانِ الْعِيُونِ
وَلَعْمَرِي لِأَمْنَعِكَ أَنْ تَصْحَكَ فِي رَأْسِ آسَفٍ مَحْزُونِ
بِسَوَادٍ فِيهِ ابْيَاضٌ لَوْجِي وَسَوَادٌ لَوْجِكَ الْمَلْعُونِ

سأل أعرابيان رجلا ، فخرمها ، فقال أحدهما لصاحبه : نزلت والله نواذير غير
مطمور ، وأتيت رجلا بك غير مسرور ، فلم تدرك ماسألت ، ولا نلت ماأملت ؛
فارتحل بندم ، أو أقم على عدم .

قال الأصمعي : وسمعت أعرابيا يقول : غفلنا ولم يغفل الدهرُ عنا ، فلم نتعظ
بغيرنا حتى وعظ غيرنا بنا ، فقد أدركت السعادة من تنبه ، وأدركت الشقاوة
من غفل ، وكفى بالتجربة واعظا

وقال أعرابي لرجل : أشكر للنعم عليك ، وأنعم على الشاكر لك ،
تستوجب من ربك زيادته ، ومن أخيك مناصحته .

(١) سمدن له : تلوت له رؤوسهن - وسمد : قام متحجرا (م)

(٢) رواية الحماسة « رأيت بكاء معولة حزين » (م)

ومدح أعرابي رجلاً فقال: ذلك والله فسيحُ الأدب، مُسْتَخَكِمِ السبب،
من أتى أقطاره أتيته تُذنى عليه بكرمِ فعال، وحُسنِ مقال.

وذمَّ أعرابي رجلاً فقال: أفسد آخرته بصلاح دُنياه، ففارق ما أضلح غيرَ
راجعٍ إليه، وقدم على ما أفسد غيرَ منتقلٍ عنه، ولو صدق رجلٌ نفسه ما كذبتُه،
ولو ألقى زمامه أو طأه راحلته.

وقال أعرابي: خرجت حين انحدرت أيدي النجوم، وشالَّت أرجلها، فما
زلتُ أصدع الليلَ حتى انصدع الفجر.

وقال أعرابي:

وقد تعاللتُ ذمَّيـلِ العنـسِ بالسَّوْطِ في دَيْمُومَةٍ كالترسِ^(١)
إذ عرَّجَ الليلُ بُرُوجَ الشَّمسِ

ومن مליح الاستعارة في نحو هذا قولُ الحسن بن وهب: شربت البارحة
على وجهِ الجوزاء؛ فلما انتبه الفجرُ نمت، فماعتقت حتى لحفني قميصُ الشَّمسِ.
وقال أعرابي لصاحبه في شيء ذكره: قل إن شاء الله، فإنها ترضي الربَّ،
وتسخطُ الشيطان، وتذهب الحنثُ^(٢)، وتقضي الحاجة.

وروى العتبيُّ عن أبيه قال: سمعت أعرابياً يقول لأخيه في معاتبة جرَّت بينهما:
أما والله لرُبَّ يومٍ كنتنور الطاهي، رقاص بالحمامة، قد رميتُ نفسي في أجيجِ
سُمومِه، أختَمِلُ منه ما أكره لما أحب.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: وأحسب العتبي صنع هذا الكلام، وأخذه
من قول بشار:

ويومٍ كنتنورِ الإماءِ سجَّرهُ
وأوقدَنَ فيه الجزلَ حتى تضرَّما
رميتُ بنفسي في أجيجِ سُمومِه
وبالعيسِ حتى بضَّ منخرها دَما

(١) تعاللت: أعطيت أقصى ما عندك من السير، والديمومة: الصحراء الواسعة
البعيدة الأطراف (م).

(٢) يعني أنك إذا حلقت وقلت «إن شاء الله» ثم لم تفعل ما حلقت عليه لم يحنث (م)

أخذ هذا المعنى بعض أصحاب أبي العباس ثعلب فقال يهجو المبرد :

ويوم كنتنور الطهارة سَجَرْتُهُ على أنه منه أحرَّ وأوقدُ

ظلمت به عند المبردِ جالساً فما زلت في ألفاظه أتبرِّدُ

قال الأصمعي : حجَّت أعرابيةٌ ومعها ابنٌ لها ، فأصيبت به ، فلما دُفِن قامت على قبره ، وهي مَوْجَعَةٌ فقالت : والله يا بنى لقد غَدَوْتُكَ رضيعاً ، وقد تُتِكَ سريعاً ، وكأنه لم يكن بين الحالين مدةً أُنذُ بعيشك فيها ، فأصبحت بعد النَّصَارَةِ والغصَّارَةِ وروثي الحياة والتَّسَمِّ في طيب روائحها ، تحت أطباق الثَّرى جَسَداً هامداً ، ورُقَاتنا سحيقاً ، وصعيداً جُرُزا ؛ أى بنى ! لقد سَحَبْتَ الدنيا عليك أذيال الفناء ، وأسكنتك دارَ البلى ، ورمتني بعدك نكبةَ الرَّدَى ، أى بنى ! لقد أسفر لي وجه الدنيا عن صباح دَاجٍ ظلامه .

ثم قالت : أى ربِّ ومنك العدل ، ومن خَلَقَ الجُورَ ، وهَبَّتْه لى قُرَّةَ عين ، فلم تُنَمِّني به كثيراً ، بل سابتنى وشيكا ؛ ثم أمرتني بالصبر ، ووعدتني عليه الأجر ، فصدقت وعدك ، ورضيت قضاءك ، فرحم الله من ترحم على من استودعته الرِّدْمَ ، ووسدته الثَّرى ؛ اللهم ارحم غربته ، وأنس وحشته ، واستر عورته ، يوم تُكشَفُ الهنات والسَّوآت .

فلما أرادت الرجوعَ إلى أهلها وقفت على قبره ، فقالت ! أى بنى ! إني قد تزوَّدت لسفري ، فليت شعري ما زادك لبُعدِ طريقك ، ويوم معادك ؟ اللهم إني أسألك له الرضا برضائى عنه . ثم قالت : استودعْتُكَ مَنْ استودعنيك فى أَحْسَانِي جَنِيناً ؛ وأكُلُ الوالدات ! ما أمضَّ حرارةَ قلوبهن ، وأقلق مضاجعهن ، وأطولَ لياهن ، وأقصرَ نهارهن ، وأقلَّ أنسهن ، وأشدَّ وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن من الأحزان .

لم تنزل تقول هدا ونحوه حتى أبكت كلَّ مَنْ سَمِعَهَا . وحمدت الله عز وجل واسترجعتُ وصلت ركعات عند قبره وانطلقت .

وأشدُّ النَّفْلُ الضَّيُّ لَامْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ تَرَى ابْنًا لَهَا :

يَا عَمْرُو ، مَا لِي عِنْدَكَ مِنْ صَبْرٍ
 اللَّهُ يَا عَمْرُو ، وَأَيُّ فِئْتِي
 أَخْشَوُ التَّرَابَ عَلَى مَفَارِقِهِ
 حِينَ اسْتَوَى وَعَلَا الشَّبَابُ بِهِ
 وَرَجَا أَقَارِبُهُ مَنَافِعُهُ
 وَأَهْمَهُ هَمِّي فَسَاوَرَهُ
 تَعْدُو بِهِ شِقْرَاهُ سَامِيَةً
 ثَبَتَ الْجَنَانَ بِهِ ، وَيَقْدَمُهَا
 رَبِّيئْتُهُ دَهْرًا أُفْتَقَهُ
 حَتَّى إِذَا التَّامِيلُ أَمَكْنِي
 وَجَعَلْتُ مِنْ شَعْفَى أَثْقَلَهُ
 أَدْعُ لِلزَّرَاعِ وَالْحِصُونِ بِهِ
 مَا زَلْتُ أَضْعِدُهُ وَأُحْدِرُهُ
 هَرَبًا بِهِ وَالْمَوْتَ يَطْلُبُهُ
 حَتَّى دَفَعْتُ بِهِ لِمَضْرَعِهِ
 مَا كَانَ إِلَّا أَنْ هَجَعْتُ لَهُ
 وَرَمَى الْكَرَى رَأْسِي وَمَالَ بِهِ

يَا عَمْرُو يَا أَسْتَفَى عَلَى عَمْرُو .
 كَفَنْتَ يَوْمَ وَضِعْتَ فِي الْقَبْرِ ؟
 وَعَلَى غَضَارَةِ وَجْهِهِ النَّصْرُ (١)
 وَبَدَا مُنِيرَ الْوَجْهِ كَالْبَدْرِ
 وَرَأَوْا شَمَائِلَ سَيْدِ عَمْرُو (٢)
 وَغَدَاَ مَعَ الْغَادِيْنَ فِي السَّفَرِ
 مَرَطَى الْجِرَاءِ شَدِيدَةُ الْأَسْرِ (٣)
 فَلَيْحٌ يَقْلِبُ مُقْلَتِي صَقْرِي (٤)
 فِي الْيُسْرِ أَغْدُوهُ فِي الْعُسْرِ
 فِيهِ قَبِيلٌ تَلَا حُقِيَ الشَّعْرُ
 فِي الْأَرْضِ بَيْنَ تَنَائِفِ غَيْرِ (٥)
 وَأَحِلَّهُ فِي الْمَهْمَةِ الْقَفْرِ
 مِنْ قَفْرٍ مَوْمَأَةٍ إِلَى قَفْرٍ (٦)
 حَيْثُ انْتَوَيْتُ بِهِ وَلَا أَدْرِي (٧)
 سَوَاقَ الْمَعِيزِ تَسَاقَ لِلْعَتْرِ (٨)
 وَرَمَى فَاغْنِي مَطْعَ الْفَجْرِ
 رَمَسٌ يُسَاوِرُ مِنْهُ كَالشُّكْرِ

(١) المفارق : مواضع فرق الشعر من الرأس . (٢) عمر : جزيل العطاء .

(٣) مرطى : سريعة ، والأسر : القوة . (٤) فليح : حليف النصر .

(٥) التنايف : جمع تنوفة ، وهي الصحراء - والغبر : جمع غبراء ، وأراد المظلمة (م)

(٦) القفر : بالضم : الجانب . (٧) انتويت : قصدت .

(٨) العتر : اسم نبات أو شجر صغير - لا ، بل العتر هنا الذئب (م)

إِذْ رَاعَى صَوْتَهُ هَيْبَتُ بِهِ
 وَإِذَا مَنِئْتُهُ تَسَاوَرُهُ
 وَإِذَا لَهُ عَلَقٌ وَحَشْرَجَةٌ
 وَالْمَوْتُ يُقْبِضُهُ وَيَبْسِطُهُ
 فِدَاعًا لِأَنْصَرَهُ وَكُنْتُ لَهُ
 فَمَجَزْتُ عَنْهُ وَهِيَ زَاهِقَةٌ
 فَمَضَى وَأَيُّ فَتَى فُجِعْتُ بِهِ
 لَوْ قِيلَ تَفْدِيهِ بِذَلِكَ لَهُ
 أَوْ كُنْتُ مُقْتَدِرًا عَلَى عُمرِي
 قَدْ كُنْتُ ذَا فَقْرٍ لَهُ ، فَعَدَا
 لَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ مَتَّعَنِي
 مُبْنِيَتٌ عَلَيْكَ مُنْبَى ، أَحْوَجُ مَا
 لَا يَبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا عُمَرُ
 هُدَى سَبِيلِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 أَوْلَا تَرَاهُمْ فِي دِيَارِهِمْ
 وَالْمَوْتُ يُورِدُهُمْ مَوَارِدَهُمْ

وقال أعرابي يمدح رجلا :

يُمْدُ نِجَادِ السِّيفِ حَتَّى كَأَنَّهُ
 وَيُدْلُجُ فِي حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ
 إِذَا اعْتَمَ بِالْبُرْدِ الْبِمَانِي حَسْبَتُهُ
 يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرِّجَالِ فَضِيلَةً
 بِأَعْلَى سَنَامِي فَالِجٍ يَتَطَوَّحُ
 وَيُورِي كَرِيمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ
 هَلَالًا بَدَا فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ
 وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحٌ مَنْ يَتَمَدَّحُ

وأشد ابن أبي طاهر لأعرابي :

وقبلى أبكى كل من كان ذاهوى
وهن على الأطلال من كل جانب
مُزبَرَجَةُ الأعناق نمر ظهورها
ترى طرُزاً بين الخوافى كأنها
ومن قطع الياقوت صيغت عيونها
خواضب بالعناء منها الأصابع

ومن جيد ما قيل في الحمام قول ابن الرومي :

وقفت بمطراب العشيات والضحى
فطلت أسخ الدمع منى وأسجُمُ
حليفة شجور هاج مابي وما بها
تباريح شوق يشتكيها المتيمُ
فباح به فوها وأخفته عنها
وباحت به عيني وكتمه الفمُ

ودخل أعرابي على الرشيد، فأشده أرجوزة مدحه بها ، وإسماعيل بن صبيح

يكتب كتاباً بين يديه - وكان من أحسن الناس خطاً ، وأسرعهم يداً - فقال

الرشيد للأعرابي : صف الكاتب فقال :

رقيق حواشي العلم حين تبوره
يريك الهوينى والأمور تطير^(٢)
له قلماً بؤسى ونعمى كلاهما
سحابتة في الحالتين درورُ
يناجيك عما في ضميرك خطه
ويفتح باب التضح وهو عسيرُ

فقال الرشيد : قد وجب لك يا أعرابي عليه حق ، كما وجب لك علينا

يا غلام ؛ ادفع له دية الحر ، فقال إسماعيل : وعلى عبدك دية العبد .

وقال أعرابي من بنى عقيل :

أحن إلى أرض الحجاز، وحاجتى
خيام بنجد دونها الطرف يقصرُ
وما نظرى نحو الحجاز بنافعى
فتيلا ، ولكنى على ذاك أنظرُ

(١) البلاقع : جمع بلقع ، وهى الخالية التى لا أنيس بها (م)

(٢) تبوره ، تخبره وتبلوه (م) .

أفي كل يوم نظرة ثم غيرة متى يستريح القلب إنا مجاور
لعينيك مجرى ماؤها يتحدّر حزين وإما نازح يتذكّر
وقال أعرابي :

وإني لأغضي مقلتي على القدي وإني لأدعو الله والأمر ضيق
وكم من فتى ضاقت عليه وجوهه وأصاب لها من دعوة الله مخرجاً
وقال آخر :

ذكريك ذكري هائم بك تنهني وليست بذكري ساعة بعد ساعة
إليك أمانيه وإن لم يكن وصل ولكنها موصولة مالها فضل
وقال آخر :

أريتك إن شطت بك العام بية أترعين ما استودعت أم أنت كالذي
وعالك مضطاف الحمي ومرايعة ألا إن حسياً دونه قلة الحمي
إذا ما نأى هانت عليك ودائعه مني النفس لو كانت تنال شرايعة^(١)

أخذت أزد العتيك شاعراً من قيس بن ثعلبة اسمه المعدل في دم، فأثاه
البيهس بن ربيعة فمله، وأمره أن ينجو بنفسه، وأسلم نفسه مكانه، فقال له
المعدل : أخيرك بين أن أمدحك أو أمدح قومك ؛ فأختار مدح قومه فقال :

جزى الله فتيان العتيك، وإن نأت في الدار عنهم، خير ما كان جازياً
هم خلطوني بالنفوس وأحسنوا الصحابة لما حُم ما كان آتياً
متاعهم فوضى فضا في رحالهم ولا تحسنون الشر إلا تبادياً
كان دنائراً على قسمايهم إذا الموت في الأبطال كان تحامياً

وذكرت الرواة أن المهلب بن أبي صفرة عرض جنده بخراسان، فعرض جيش

(١) الحسي - بالفتح - السهل فيه ماء قليل، والشرائع : جمع شريعة، وهي

مكان ورود الماء (م)

بكر بن وائل، فمر به العذّل فقال: هذا العذّل القيسى الذى يقول، وأنشد الأبيات، فقالوا: أيها الأمير؛ احسبه علينا، فانطلق مائة منهم، فجاءوا بمائة وصيف ووصيفة، فقالوا: أعطه هذا وليعذرنا.

قوله « كأنّ دنانيراً على قسماهم » نظير قول أبي العباس الأعمى :
 ليت شعري من أين راحة المسك وما إن إخال بالخييف إنسى؟
 حين غابت بنو أمية عنه والبهليل من بنى عبد شمس
 خطباء على المنابر، فرسنا ن عليها، وقالة غير خرس
 في حـ لوم إذا اللوم استفرزت ووجوه مثل الدنانير ملس
 [بعض أخبار أبي نواس]

ولما خلع المأمون أخاه محمد بن زبيدة ووجه بطاهر بن الحسين لمحاربه، كان يعمل كتباً يعيوب أخيه تُقرأ على المنابر بخراسان؛ فكان مما عابه به أن قال: إنه استخلص رجلاً شاعراً ماجناً كافراً، يقال له الحسن بن هانىء، واستخلصه ليشرّب معه الخمر، ويرتكب المآثم، ويهتك المحارم، وهو الذى يقول:
 ألا فاستقنى خمرًا وقل لى هى الخمر ولا تستقنى سرًا إذا أمكن الجهر
 وبج باسم من تهوى ودعنى عن الكنى فلا خير فى اللذات من دونها ستر
 ويذكر أهل العراق فيقول: أهل فسوق وخمور، وماخور وخجور؛ ويقوم رجل بين يديه فيشيد أشعاراً على نواس فى الجون؛ فاتصل ذلك بابن زبيدة؛ فنهى الحسن عن الخمر، وحسبه ابن أبي الفضل بن الربيع؛ ثم كلمه فيه الفضل، فأخرجه بعد أن أخذ عليه ألا يشرب خمرًا، ولا يقول فيها شعراً، فقال:

ماون يد فى الناس واحدة كثير أبو العباس مولاها
 نام الثقات على مضاجعهم وشركى إلى نفسى فأحيهاها
 قد كنت حنك، ثم كسى من أن أحانك، حوفك الله
 فعنوت عنى عنو مقتدر وحيث له ثم فأغماها

المأمون يعير
 أخاه الأمين
 بصحبة أبي
 نواس

ومن قوله في ترك الشراب :

أَيْهِيَ الرَّاحِمَانَ بِاللَّوْمِ لَوْ مَا
نَأْنِي بِاللَّامِ فِيهَا إِمَامٌ
فَأَصْرِفَاها إِلَى سِوَايَ ؛ فَإِنِّي
جُلُّ حَظِي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ
فَكَأَنِّي وَمَا أُزِيئُ مِنْهَا
[كَلَّ عَنْ حَمَلِهِ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ]

القَعْدِيَّةُ : فرقة من الخوارج ، يأمرون بالخروج ولا يخرجون ؛ وزعم المبرد أنه لم يُسَبَقْ إلى هذا المعنى .

وقال :

عَيْنَ الْخَلِيفَةِ بِي مَوَكَّلَةٌ
صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ ، وَأَرَى
وَلْتَنِ وَعَدْتِكَ تَرَكَهَا عِدَّةً
سَلَبُوا قِنَاعَ الدَّنِّ عَنْ رَمَقِي
فَتَنَفَسَتْ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجَتْ

عَقَدَ الْحِذَارُ بَطْرَفَهَا طَرْفِي
دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفِي
إِنِّي عَلَيْكَ لَخَائِفٌ خُلْفِي
حَى الْحَيَاةِ مُشَارِفُ الْحَتْفِ
كَتَنَفَسَ الرَّيْحَانُ فِي الْأَنْفِ

* * *

أخذ قوله : « ولتن وعدتك تركها عدة » الحسن بن علي بن وكيع فقال :

مَتَى وَعَدْتِكَ فِي تَرْكِ الصَّبَا عِدَّةً
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّتْ عَسَاكِرُهُ
وَجَدَّ فِي أَثْرِ الْجَوْزَاءِ يَطْلُبُهَا
كَصَوْلِجَانِ لُجَيْنٍ فِي يَدَيِّ مَلِكٍ
قَمَّمْ بِنَا نَضْطَبِيحَ صَفْرَاءَ صَافِيَةً
عَرُوسُ كَرِيمٍ أَنْتِ تَحْتَالُ فِي حُلِّيِّ

فَاشْهَدْ عَلَى عِدَّتِي بِالزُّورِ وَالْبَكْدِبِ
وَأَقْبَلِ الصَّبْحُ فِي جَيْشٍ لَهُ لُجْبِ
فِي الْجَوْ رَكْضًا هِلَالٌ دَائِمُ الطَّلَبِ
أَدْنَاهُ مِنْ كَرَّةٍ صَيِّغَتْ مِنَ الذَّهَبِ
كَالنَّارِ لِكَبْهَا نَائِزٌ بِلا لَهَبِ
صُفْرِي عَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مِنَ الْحَبِّ

وقال أبو الفضل الميكالي في اقتران الهلال بالزهرة :

أُمَامَتِي الزُّهْرَةَ قَدْ لَاحَتْ لَنَا تَحْتَ هَلَالٍ لَوْ نُهُ يَحْكِي اللَّهَبَ
كَكَرَّةٍ مِنْ فِصَّةٍ مَجْلُوءَةٍ وَافَى عَلَيْهَا صَوْلَجَانٌ مِنْ ذَهَبٍ
وعلى قول أبي نواس :

صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ ، وَأَرَى دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفِ
كُتِبَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ الْمُعْتَزِ إِلَى أَبِي الطَّيِّبِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ النَّمِيرِيِّ :
يَأْيَهَا الْجَانِي وَيَسْتَجْفِي لَيْسَ تَجَنَّبُكَ مِنَ الظَّرْفِ
إِنَّكَ فِي الشُّوقِ إِلَيْنَا كَمَنْ بُوئِمِنْ بِاللَّهِ عَلَى حَرْفِ
نَحَوْتُ آثَارَكَ مِنْ وَدَّانَا غَيْرَ أَسَاطِيرِكَ فِي الصُّحُفِ
فَإِنْ تَحَامَلْتَ لَنَا زَوْرَةً يَوْمًا تَحَامَلْتَ عَلَى صَعْفِ

وحدث أبو عمر الزاهد قال : ذلك بعضُ الزهاد المرأين جَبَهْتَهُ بِثَوْمٍ
وعصبتها ، ونام ليُصْبِحَ بِهَا كَأَثَرِ السُّجُودِ ، فَأَحْرَفَتِ الْعَصَابَةَ إِلَى صُدْغِهِ ، فَأَخَذَ
الْأَثَرَ هُنَاكَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : مَا هَذَا يَا أَبْتَ ؟ فَقَالَ : أَصْبَحَ أَبُوكَ مِنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ
على حرف !

ضرب من
الرياء

وقال أبو نواس في الباب الأول :

عَنَّا بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلِينَا وَاسْتَقْنَا نُفْطِكَ الثَّنَاءَ الثَّمِينَا
مِنْ سُلَافٍ كَأَمَّا كُلُّ شَيْءٍ يَتَمَنَّى مَخْيِرٌ أَنْ يَكُونَ
أَكَلَ الدَّهْرُ مَا نَجَسَ مِنْهَا وَتَبَقَّى لِبَابِهِمَا الْمَكْنُونَا
فَإِذَا مَا اجْتَلَيْتَهُمَا فَهَبَا يَمْنَعُ الْكَفَّ مَا يُبْدِحُ الْعِيُونَا
ثُمَّ شَجَّتْ فَاسْتَضْحَكَتْ عَنْ لَالٍ لَوْ تَجَمَّعْنَ فِي يَدٍ لَأَقْتُنِينَا
فِي كَثُوسٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ دَائِرَاتٌ تُرْوَجُّهَا أَيْدِينَا
طَالَعَاتٌ مَعَ السُّقَاةِ عَلِينَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

من خمرات
أبي نواس

لو ترى الشرب حولها من بعيد
وغزال يديرها بينان
كلما شئت عاني برضاب
ذاك عيش، لودام لي، غير أني
قلت قوماً من قرّة يصطلوناً^(١)
ناعمت يزيدها الغمز لينا
يتزك القلب للسرور قرينا
عفته مكرهاً وخفت الأmina
وقال :

أعذل أعيت الإمام وأعتبا
وقلت لساقيا: أجزها فلم أكن
فجوزها عنى سلافاً ترى لها
إذا عب فيها شارب القوم خلته
ترى حيثما كانت من البيت مشرقاً
يدور بهارطب البنان ترى له
سقام ومناي بعينيه منية
وأعزبت عما في الضمير وأعربا
ليأبي أمير المؤمنين وأشربا
لدى الشرف الأعلى شعاعاً مطنّباً
يقبل في داج من الليل كوكبا
ومالم تكن فيه من البيت مغربا
على مستدار الحد صدغاً معقربا
فكانت إلى قلبي الدّ وأطيبا

قال الحسين بن الضحاك الخليع : أنشدت أبا نواس قولي :

وشاطري اللسان مختاق التكريه شاب المجون بالنسك
فلما بلغت فيه :

كأنما نضب كأسه قمر
نعر نعرّة منكراً ، فقلت : مالك ، فقد رعتني ؟ قال : هذا المعنى أنا
أحق به منك ؛ ولكن سترى لمن يروى ! ثم أنشد بعد أيام :
إذا عب فيها شارب القوم خلته
يقبل في داج من الليل كوكبا
فقلت : هذه مطالبة^(٢) يا أبا علي ! فقال : أتظن أنه يروى لك معنى مليح
وأنا في الحياة ؟

وقال ابن الرومي فكان أحسن منهما

ومهتف كملت محاسنه حتى تجاوز منية النفس

(١) القرّة : البرد الشديد ، ويصطلون : يتدفنون بالنار (م) .

(٢) كذا ، ولعلها «مغالبة» (م) . (٩ — زهر الآداب ٢)

تَصْبُو الكؤوس إلى مَرَّاشِفِهِ وَتَضِجُ في يده من الحَبْسِ
أَبصَرْتُهَا والكأسُ بَيْنَ فَمِّ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنَامِلِ خَمْسِ
فَكَأَنَّمَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَمْرٌ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ
وقال أبو الفتح كشاجم :

وسحاب يجرُّ في الأرض ذَيْلِي مُطْرَفِ زَرَّةٍ على الأرض زَرًّا^(١)
بَرَقَهُ لَمَحَةٌ ، وَلَكِنَّ لَهُ رَعْدٌ بَطِيءٌ يَكْسُو السَّمِيعَ وَقَرَأَ
كَخَلِيٍّ مَنَافِقٍ لِلَّذِي يَهْوَاهُ يَبْكِي جَهْرًا وَيَضْحَكُ سِرًّا
قَد سَقَتْنِي المُدَامَ فِيهَا فَنَاءٌ سَحَرْتَنِي وَليْسَ تُحْسِنُ سِحْرًا
فَإِذَا مَا رَأَيْتَهَا تَشْرَبُ الرَّاحَ أَرْتِي شَمْسًا تُقْبَلُ بَدْرًا

[من أخبار بشار]

وإنما احتذى أبو نواس في هذه الأشعار التي وصف فيها ترك الشراب وطاعته
لأمر الأمين مثال بشار بن برود ، وصب على قلبه ؛ وذلك أن بشاراً لما قال :

احتذاء
أبي نواس
على مثاله

لا يُؤَيِّسُنِكَ مِنْ مَخْبَأَةٍ قَوْلٌ تَغْلَظُهُ وَإِنْ جَرَحًا
عُشْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسِرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحًا

بلغ ذلك المهدي فغاظه ؛ وقال : يَحْرَضُ النِّسَاءَ على الفجور ، وَيَسْتَهْلُ
السَّبِيلَ إِلَيْهِ ! فقال له خاله يزيد بن منصور الحميري : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَد قَتَنَ
النِّسَاءَ بِشَعْرِهِ ، وَأَيُّ امْرَأَةٍ لَا تَصْبُو إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ :

عَجِبْتُ فَطْمَةً مِنْ نَعْتِي لَهَا هَلْ يُجِيدُ النِّعْتَ مَكْفُوفُ النَّظَرِ
بِنْتُ عَشْرِ وَثَلَاثٍ قَسَمْتُ بَيْنَ غَضْنٍ وَكَيْبٍ وَقَمَرِ
دُرَّةٍ بَحْرِيَّةٍ مَكْنُونَةٌ مَازَهَا التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدَّرَزِ
أَذْرَتِ الدَّمْعَ وَقَالَتْ : وَيَلْتِي مِنْ وَلُوعِ الكِفِّ رِغَابُ الخَطَرِ
أُمِّي بَدَّدَ هَذَا لَعْبِي وَوِشَاحِي حَلَّهُ حَتَّى أَنْتَثَرَ

(١) اللطرف - بضم الليم وفتح الراء محففة - رداء من أخزله أعلام (م)

فَدَعَيْنِي مَعَهُ يَا أُمَّتِي
أَقْبَلْتَنِي فِي خَلْوَةٍ تَضْرِبُهَا
عَلَّنَا فِي خَلْوَةٍ تَقْضِي الْوَطْرَ
وَاعْتَرَاهَا كَجَنُونٍ مَسْتَعْرِزٍ
بِأَبِي وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ
دَمْعَ عَيْنِ غَسَلِ الْكُحْلِ قَطْرَ
أَيُّهَا النَّوَامُ هُبُوا وَنَحْكُمُ
وَسَلُونِي الْيَوْمَ مَا طَعَمَ السَّهْرَ
فَأَمْرَهُ الْمَهْدَى الْأَيُّ يَنْغَزِلُ ، فَقَالَ أَشْعَارًا فِي ذَلِكَ ، مِنْهَا :

المهدي يأمر
بشارا بترك
الغزل

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ
لَمَعْتُ إِلَى تَسْوِمِي
مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ
تَوْبُ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهُ
وَاللَّهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ
مَا إِنْ غَدَرْتُ وَلَا نَوَيْتُهُ
أَمْسَكْتُ عَنْكَ ، وَرَبَّمَا
عَرَضَ الْبَلَاءُ وَمَا ابْتَغَيْتُهُ
إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَبَى
وَإِذَا أَبِي شَيْئًا أَيْتُهُ
وَيَشُوقُنِي بَيْتُ الْحَيْبِ إِذَا غَدَوْتُ ، وَأَيْنَ بَيْتُهُ
قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ فَصَبَرْتُ عَنْهُ وَمَا قَلَيْتُهُ (١)
وَنَهَانِي الْمَلِكُ الْهَمَاءُ
مِنْ عَنِ النِّسَاءِ فَمَا عَصَيْتُهُ
بَلْ قَدْ وَفَيْتُ وَلَمْ أُضِغْ
عَهْدًا ، وَلَا رَأْيًا رَأَيْتُهُ

وقال أيضاً :

وَاللَّهِ لَوْلَا رِضَا الْخَلِيفَةِ مَا
قَدَعَشْتُ بَيْنَ النَّدْمَانِ وَالرَّاحِ وَالْأُ
ثَمَّ نَهَانِي الْمَهْدَى فَانصرفتُ
أَعْطَيْتُ ضَيْمًا عَلِيًّا فِي شَجَنِ
مِزْهَرٍ فِي ظِلِّ مَجْلِسِ حَسَنِ
نَفْسِي ، مُصْنَعِ الْمَوْفِقِ اللَّقِينِ

وقال :

أَفْنَيْتُ عَمْرِي وَتَقَضَى الشَّبَابُ
فَالآنَ شَفَعْتُ إِمَامَ الْمَهْدَى
لَهُوتٍ حَتَّى رَاعَنِي دَاعِيًا
لِيَبِيكَ لِيَبِيكَ ! هَجَرْتُ الصَّبَا
بَيْنَ الْحَمِيَّةِ وَالْجَوَارِي الْعِدَابُ
وَرَبَّمَا طَبْتُ لِحَبِّ وَطَابُ
صَوْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَجَابُ
وَنَامَ عُدَالِي وَمَاتَ الْعِتَابُ

(١) قليته : كرهته ، ويقال «قلوته» أيضاً ؛ فالفعل يأى واوى (م) .

أبصرت رُشدِي وتركتُ المنَى وربما ذلّتْ لهنَّ الرَّقَابُ
في كلمة طويلة يقول فيها :

ياحامد القول ، ولم يَبْلُهُ سبقتَ بالسَّيْلِ مَسَاكَ السَّحَابِ (١)
الفعْلُ أَوْلَى بِنَاءِ الْفَتَى ما جاءه من خطأ أو صَوَابِ
دعْ قولَ وَاءٍ وانتظرْ فِعْلَهُ يُبْثِنِي عَلَى اللَّقْحَةِ مَا فِي الْحِلَابِ (٢)
إذا غدا المهديُّ في جُنْدِهِ وراحَ في آلِ الرِّسُولِ الْغِضَابِ
بدا لك المعروفُ في وجهه كالظلمِ يَجْرِي فِي الثَّنَايَا الْعِدَابِ (٣)
ومن شعر بشار في الغزل :

من شعر بشار
في الغزل

أيها الساقيان صُبًّا شَرَابِي واسقياني من ريقِ بِيضَاءِ رُودِ (٤)
إنَّ دَائِي الصَّدَى ، وإنَّ شَفَائِي شَرِبَةٌ مِنْ رُضَابِ تَغْرِ بَرُودِ
عندها الصبرُ عن لقائي ، وعندى زَفَرَاتٌ يَا كُنْ قَلْبَ الْجَلِيدِ
ولها مَبْسَمٌ كَغُرِّ الْأَقَاحِي وحديثٌ كَالْوَشْيِ وَشَيْ الْبُرُودِ
نزلتْ في السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت : نَلَقَاكَ بَعْدَ لَيْالٍ والليالي يُبَيِّنُ كُلَّ جَدِيدِ
لا أبالي مَنْ ضَنَّ عَنِي بَوْصَلِي إنْ قَضَى اللَّهُ مِنْكَ لِي يَوْمَ جُودِ
وقال :

تُلَقِّي بِتَسْبِيحَةٍ مِنْ حَسَنِ مَا خَلَقْتَ وتستنفِزُ حَسَا الرَّأْيِ يَارْ عَادِ
كَأَمَّا صُوِّرَتْ مِنْ مَاءٍ لَوْلُؤَةٌ فكلُّ جَارِحَةٍ وَجْهٌ بِمِرْصَادِ
وقال :

وهبتْ له على السواك ريقاً فطابَ له بطيبِ ثَنِيَّتِكَ

- (١) المساك - بزنة السحاب - الموضع الذي يمسك فيه الماء (م)
(٢) واء ، من الوأى وهو الوعد - واللقحة ، بالكسر ، الناقة الملوب ، والحلاب :
الوعاء الذي يحلب فيه اللبن ، يريد أن اللبن الذي يكون في الحلاب يدل على مقدار ما تحلبه
الناقة ؛ فيكون هو الذي يثني عليها (م)
(٣) الظلم - بالفتح - الريق (م)
(٤) الرود - بالضم - الناعمة الحسنة (م)

أَقْبَلَهُ عَلَى الذِّكْرِ كَأَنِّي أَقْبَلُ فِيهِ فَالْكَ وَمَقْلَتِكَ^(١)
وقال :

لَا أُسْتَطِيعُ الْهَوَىٰ وَهَجَرْتَهَا قَلْبِي ضَعِيفٌ وَقَلْبُهَا حَجْرٌ
كَأَنَّ وَجْدِي بِهَا وَقَدْ حَجَبْتَ فِي الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَالْحَشَا سَكْرٌ
وَأَنْشَدَهُ أَبُو تَمَامٍ ، وَكَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ شِعْرًا أَغْزَلَ مِنْهُ :

زُوِّدِنَا بِأَعْبَدَ قَبْلِ الْفِرَاقِ بِنِّتْلَاقٍ ، وَكَيْفَ لِي بِالْتَّلَاقِ^(٢)
أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهَى سِحْرَ غَيْبِكَ وَأَخْشَى مَصَارِعَ الْعِشَاقِ
أُمَّتِي مِنْ بَنِي عَقِيلِ بْنِ كَعْبٍ مَوْضِعَ السَّلْكِ فِي طَلَا الْأَعْنَاقِ
وقال :

لَقَدْ عَشَمْتُ أذْنِي كَلَامًا سَمِعْتُهُ رَخِيًا ، وَقَلْبِي لِلْمَلِيحَةِ أَعْشَقُ
وَلَوْ عَايَنُوهَا لَمْ يَلُومُوا عَلَى الْبُكْلِ كَرِيمًا سَقَاهُ الْخَمْرَ بَدْرٌ مُخَلَّقٌ
وَكَيفَ تَنَاسَى مَنْ كَانَ حَدِيثُهُ بِأَذْنِي وَإِنْ عَنَيْتُ قُرْطٌ مُعَلَّقٌ
وقال :

وَقَدْ كُنْتُ فِي ذَاكَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى أَزَارُ وَيَدْعُونِي الْهَوَىٰ فَأَزُورُ
فَإِنِ فَاتَنِي إِفٌّ ظَلَمْتُ كَأَنَّمَا يُدِيرُ حَيَاتِي فِي يَدَيْهِ مُدِيرٌ
وَمُرْتَجَّةَ الْأَرْدَافِ مَهْضُومَةَ الْحَشَا تَمُورٌ بِسِحْرِ عَيْنِهَا وَتَدُورُ
إِذَا نَظَرْتَ صَبَّتْ عَلَيْكَ صَبَابَةٌ وَكَادَتْ قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَطِيرُ
خَلُوتُ بِهَا لِأَيِّخْلَصُ الْمَاءَ بَيْنَنَا إِلَى الصُّبْحِ دُونِي حَاجِبٌ وَسُتُورُ
ومن هذا أخذ على بن الجهم قوله :

لعلى بن الجهم

صَلِّينِي وَحَبْلُ الْوَصْلِ لَمْ يَتَشَعَّبْ وَلَا تَهْجَرِي أَفْذِيكَ بِالْأَمِّ وَالْأَبِ
رَعَى اللَّهُ دَهْرًا ضَمَّنَا بَعْدَ فُرْقَةٍ وَأَذْنِي فُؤَادًا مِنْ فُؤَادِ مُعَذِّبِ

(١) من هنا أخذ ابن زيدون وأبدع وأجاد :

يدني خيالك حين شط به النوى وهم أكاد به أقبل فالك
(٢) كذا ، وربما كان « مخلق » بالخاء معجمة : أى مضمخ بالخلق .

عناقاً وضماً والتزاماً كأنما يرى جسداً نأ جسم روح مركب
قَبْتِنَا وإنا لو تَرَأَقَ زَجَاجَةٌ من الخُمُرِ فيما بيننا لم تَسْرَبْ
وشعره في هذا المعنى كثير .

متر الشعر بشار
ومقداره

وروى أنه قال : أنا أشعرُ الناسِ ؛ لأنَّ لي اثني عشر ألفَ قصيدة ، فلو اختير
من كل قصيدة بيتٌ لاستنדרه ، ومن ندرت له اثنا عشر ألف بيت فهو أشعرُ الناسِ (١) ؛
وقد نثرتُ نَظْمَه في أضعاف الكتاب استدعاءً لنشاط القارئ وكرهه في إملاله .
وكان بشارُ أرقَّ المحدثين ديباجةً كلام ، وُسِّمى أبا المحدثين ؛ لأنه فَتَقَ بهم
أكمام المعاني ، ونهَجَ لهم سبيل البديع ، فاتَّبَعوه ؛ وكان ابن الرومي يُقدِّمه ،
ويزعمُ أنه أشعرُ من تقدَّم وتأخَّر .

ولاؤه

وهو يتعلق في شعره بولاء عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ،
ويفتخرُ بالمشورية . قال له المهدي : فيمن تَعْتَزِي ؟ قال : أمَّا اللسان فعربي ،
بأما الأصل فكما قلت في شعري ! قال : وما قلت ؟ فأنشده :

وُنَبِّتُ قوماً لهم إحنةٌ يقولون من ذا وكُنْتُ العَلَمُ
ألا أيها السائلُ جاهلاً ليعرِّفني أنا إلفُ الكَرَمِ (٢)
نمت في المكارمِ بي عامرٌ فرُوعِي وأصلي قُرَيْشُ العَجَمِ
وإني لأغني مقامَ الفتى وأصبي الفتاةَ فلا تَعْتَصِمِ

البيت الأول من هذه الأبيات ينظرُ إلى قول جميل :

إذا مارأوني طالعاً من ثنيةٍ يقولون من هذا وقد عرَّفوني

(١) كان المسيو مرسيه أخبرني وأنا في باريس أنه توجد نسخة من ديوان بشار
عند أحد أدباء تونس ، قلت من يملك تلك النسخة يتفضل بنشرها لأننا في أشد الظمأ
إلى مجموعة كاملة من شعر بشار الذي عده القديما إمام شعراء البديع - أقول : قد
بدأ ينشر هذه النسخة في مصر ، وقد ظهر منها الجزء الأول مطبوعاً طبعاً أنيقاً في
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (م)

(٢) حفظي «أنا أنف الكرم» ولها وجه وجيه (م) .

وفي هذه القصيدة يقول بشار :

وبيضاء يضحكُ ماءُ الشبا
دوار العذارى إذا زُرْنَهَا
يَرُخْنَ فَيَمَسَحْنَ أَرْكَانَهَا
كما يَمَسُحُ الحَجَرَ المُسْتَلِمَ
أصفراء ليس الفتى صخرَةً
ولكنه نُصِبَ هَمٌّ وَغَمٌّ
صَبِيتَ هَوَاكُ عَلَى قَلْبِهِ
فضاق وأعلن ما قد كَتَمَ

ويقال : إنه مولى لأم الظباء السدوسية ، ولذلك قال أبو حذيفة واصل بن
عطاء الغزالي رئيس المعتزلة لما هجاه بشار : أما لهذا الأعمى الملحد المشف المكنى
بأبي معاذ من يفتله ؟ والله لولا أن الغيلة من سجايا الغالية ، لبعثت إليه من
يبيع بطنه في جوف منزله ، ولا يكون إلا سدوسياً ، أو عقيلياً .

شيء من خبر
واصل بن عطاء
المعتزلي

وكان واصل بن عطاء أحد أعاجيب الدنيا ؛ لأنه كان ألغ في الرأ ، فأسقطها
من جميع كلامه وخطبه ؛ إذ كان إمام مذهب ، وداعى نحلة ، وكان محتاجاً إلى
جودة البيان ، وفصاحة اللسان . قال الجاحظ : فانظر كثرة ترداد الرأ في
هذا الكلام وكيف أسقطها ؟ قال : الأعمى ، ولم يقل الضير ، وقال : الملحد ، ولم يقل
الكافر ، وقال : المشف ، ولم يقل المرث ، وقال : المكنى : بأبي معاذ ، ولم يقل
بشاراً ولا ابن برد ، وقال : الغالية ، ولم يقل المغيرية ، ولا المنصورية ، وهم الذين
أراد ، وقال : لبعثت ، ولم يقل لأرسلت ، وقال : يبيع ، ولم يقل يبتقر ، وقال : في جوف
منزله ، ولم يقل في داره ، وأراد بذكر عقيل وسدوس ما ذكر من اعتزائه إليهم .

وزعم الجاحظ أن بشاراً كان يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأمة ؛
وأنشد له أشعاراً صوب بها رأى إبليس في تقديم النار على الطين ، منها قوله :
الأرض مظلمة ، والنار مشرقة
والنار معبودة منذ كانت النار
وقال داود بن رزين : أتينا بشاراً ، فأذن لنا والمائدة بين يديه ، فلم يدعنا إلى
الطعام ، ثم جلسنا فحضر الظهر والعصر والمغرب فلم يصل ، ودعا بطست فبال

بمحضرتنا ، قلنا له : أنت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء أنكرناها ، قال : ماهي؟
قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا ، قال : إنما أذنت لئلا نكأوا ، ولو لم
نرُد ذلك لم نأذن لكم ، قلنا له : ودعوت بالطست ونحن حضور ، قال : أنا
مكفوف ، وأتم مأمورون بغض الأبصار دوني ، قلنا : وحضرت الصلاة فلم تصل!
قال : الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة ! هذا وهو القائل :

كيف يبكي لمحبس في طولٍ من سيفضي لمحس يومٍ طويل
إن في البعث والحساب لشغلا عن وقوف برسم دار محيل
وقال :

ذُكرتُ بها عيشاً فقلت لصاحبي : كأن لم يكن ما كان حين يزول
وما حاجتي لو ساعد الدهر بالمُنى كعاب عليها لؤلؤ وشكول
بدا لي أن الدهر يقدح في الصفا وأن بقائي إن حبيت قليل
فعيش خائفاً للموت أو غير خائفٍ على كل نفسٍ للحمام دليل
خليلك ما قدمت من عمل التقي وليس لأيام المنون خليل

وكان بشارٌ حاضرَ الجواب ، سجعاً ، خطيباً ، صاحبَ منثور ومزدوج
ورجز ورسائل مختارة على كثير من الكلام ، ودخل على عقبة بن مسلم بن قتيبة ،
فأنشده مديحاً وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزة ، ثم أقبل على بشار فقال :
هذا طرازٌ لا تحسنه يا أبا معاذ ! فقال : والله لأنا أرجز منك ومن أبيك ! ثم غدا
على عقبة من الغد ، فأنشده أرجوزته :

ياطلل الحى بذات الصمد بالله خبر كيف كنت بعدى
يقول فيها :

صدت بجدٍّ وجلت عن حدٍّ ثم انثنت كالنفس المرتد
وصاحب كالدمل الممد حملته في رقة من جلدي
حتى اغتدى غير فقيد فقد وما درى مارغبتي من زهدى

بين بشار
وعقبة بن رؤبة
ابن العجاج

وهذا كقول الآخر :

يَدُونَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ وَلَا يَدْفَعُ الْمَوْتَ النَّفُوسُ الشَّجَاحُ
وفيها يقول :

الْحَرَّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ
أَسْلَمَ وَحَيَّتَ أَبَا الْمِلْدِّ مِفْتَاحَ بَابِ الْحَدِّثِ الْمُنْسَدِّ
وَالْبَسَ طِرَازِي غَيْرَ مُسْتَرَدِّ لِلَّهِ أَيُّمُكَ فِي مَعَدِّ
وهي طويلة ، فأجزَلَ صلته ، فلما سمع ابن زُوبة ما فيها من الغريب قال :
أنا وأبي وجدِّي فتحنا الغريبَ للناس ، وإني نخلِيق أن أسدّه عليهم ، فقال
بشار : ارحمهم رحمة الله ! قال : تستخفّ بي ، وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟
قال : إذا أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً !
فضحك كلٌّ من حضر .

ودخل على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري ، فأنشده قصيدة ، فلما
أتمها قال له يزيد : ما صناعتك يا شيخ ؟ قال : أمقُبُ اللؤلؤ ، فقال له المهدي :
أتهزأ بجالي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، فما يكون جوابي لمن يرى شيخاً أعمى
يُنشدُ شعراً فيسأله عن صناعته ؟

وقال جوارى المهدي للمهدي : لو أذنت لبشار يدخلُ إلينا يؤانسنا ويُشِدنا
فهو محبوب البصر ، لا غيره عليك منه ، وأمره فدخل إليهن واستظرفنه ،
وقلن له : وددنا والله يا أبا معاذ أنك أبونا حتى لا نفارقك ، قال : ونحن على دين
كسرى^(١) ! فأمر المهدي ألا يدخل عليهن .

وكان المتنبي نظر إلى هذا فقال :

يَا أُخْتَ مَعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى لِأَخُوكِ نَمَّ أَرَقُّ مِنْكَ وَأَرْحَمُ
يَرْتُوْهُ إِلَيْكَ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ أَنَّ الْجُوسَ تَصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ

(١) كان كسرى مجوسياً يستبيح زواج البنات والأخوات (م) .

[كلمات مأثورة]

قال علي بن عبيدة الريحاني : المودّة تعاطفُ القلوب ، واثتلافُ الأرواح ، وحنين النفوس إلى مثابة السرائر ، والاسترواحُ بالمستكنّات في الغرائز ، ووحشة الأشخاص عندتبايُن اللقاء ، وظاهر السرور بكثرة التزوار ، وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون اتفاقُ الخصال .

وقال : العتابُ حدثقُ المتحايين ، وثمارُ الأوداء ، ودليل الظنّ ، وحرركات الشوق ، وراحةُ الواجد ، ولسانُ المشفق .

قال بعض الكتاب : العتابُ علامةُ الوفاء ، وحاصةُ الجفَاء ، وسلاحُ الأَكفَاء .

وقال علي بن عبيدة : التجنّي رسولُ القطيعة ، وداعى القلي ، وسبب السلوة ، وأوّل التجافي ، ومنزل التهاجر .

وقال : الصدقُ ربيعُ القلب ، وزكاةُ الخلقِ ، وثمرّة المروءة ، وشعاعُ الضمير وعن جلاله القدر عبارته ، وإلى اعتدالِ وزنِ العقل يُنسبُ صاحبه ، وشهادتهُ قاطعةٌ في الاختلاف ، وإليه ترجع الحكومات .

وقال : الكذبُ شعارُ الخيانة ، وتحريفُ العلم ، وخواطرُ الزور ، وتسويلُ أضغاثِ النفس ، واعوجاجُ التركيب ، واختلافُ البنية ، وعن خمولِ الذكر ما يكون صاحبه .

وعلى بن عبيدة كثيرُ الإغارة ، على ما كان غيرُهُ قد استنارَه .

فقر في الكذب لغير واحد

بعض الفلاسفة : الكذّاب والميِّتُ سواء ؛ لأن فضيلة الحَيِّ النطقُ ، فإذا لم يُوثق بكلامه فقد بطلت حياته .

الحسن بن سهل : الكذّاب لِيصَّ ؛ لأن اللصَّ يسرقُ مالك ، والكذّاب يسرقُ عقلك ، ولاتأمن من كذب لك أن يكذب عليك ، ومن اغتاب غيرك عندك

فلا تَأْمَنُ أَنْ يَغْتَابَكَ عِنْدَ غَيْرِكَ .

قال إبراهيم بن العباس في هذا النحو .

إِنِّي مَتَى أَحْقِدُ بِحَقِّكَ لَا أَضْرُبُ بِهِ سِوَاكَ
وَمَتَى أَطْعَمْتُكَ فِي أَخِيكَ أَطْعَمْتُ فَيْكَ غَدًا أَخَاكَ
حَتَّى أَرَى مُتَقَسِّمًا يَوْمِي لَدَا ، وَغَدًا لِدَاكَ
حَسَبُ الْكَاذِبِ بِعَقْلِهِ سَقَمًا وَبِقَلْبِهِ خِصَمًا

ابن المعتز : علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف ، وقال :

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي الْمِيْعَادِ مُتَمِّمُهُ

وقال : اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإن اضطرت إليه فلا تصدقه ، ولا تعلمه
أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه . يعترى حديث الكذاب
من الاختلاف ما لا يعترى الجبان من الارتعاد عند الحرب . لا تصح للكذاب
رؤيا ؛ لأنه يُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ فِي الْيَقِظَةِ بِمَا لَمْ يَرَ ، فتريه في النوم ما لا يكون ، وأنشد :
لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَاتَتِهِ أَوْ عَادَةِ السُّوءِ ، أَوْ مِنْ قِبَلَةِ الْأَدَبِ
وَأَهْلِ الْعَصْرِ : فَلَانٌ مُنْفَعِسٌ فِي عَيْبِهِ ، يَكْذِبُ لِذِيهِ عَلَى جَيْبِهِ ، يَقُولُ بَهْتًا ،
وَزُورًا بِحُجَّتًا ، قَدْ مَلَأَ قَلْبَهُ رَيْنًا ، وَقَوْلُهُ مَيْنًا ؛ يَدِينُ بِالْكَذِبِ مَذْهَبًا ، وَيَسْتَشِيرُ
الزور مركبًا . أقاويل يتمشى الزور في مناكبها ، ويبرز البهتان في مذاهبها .

وقال أعرابي لابنه وسمعه يكذب : يَا بَنِي ، عَجِبْتُ مِنْ الْكَذَّابِ الْمُشِيدِ
بِكَذْبِهِ ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى عَيْبِهِ ، وَيَنْعَرِضُ لِلْعُقَابِ مِنْ رَبِّهِ ؛ فَالْأَثَامُ لَهُ عَادَةٌ ،
وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ مُتَضَادَّةٌ ، إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ ، وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُوَفَّقْ ؛ فَهُوَ
الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ ، وَالِدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ . فما صح من صدقه
نُسِبَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَمَا صَحَّ مِنْ كَذْبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ ، فَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

حَسَبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْمَهَا نَهَ بَعْضُ مَا يَحْكِي عَلَيْهِ
مَا إِنْ سَمِعْتَ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نَسَبَتْ إِلَيْهِ

[جزاء الشكر]

بين الحسن بن سهل والمأمون

كتب الحسن بن سهل إلى المأمون ، بعد أن زُفَّت إليه بوران وتوهم القوادُ أن هذا التزويج قد أنسى الحسن حاله قبل ذلك : قد تولى أمير المؤمنين من تعظيم عبده في قبول أمته شيئاً لا يتسمع له الشكرُ عنه إلا بمعونة أمير المؤمنين ، أدام الله عزّه ، في إخراج توقيعه بزيين حالي في العامة والخاصة ، بما يراه فيه صواباً إن شاء الله .

فخرج التوقيع : الحسن بن سهل زمام على ما جمع أمور الخاصة ، وكنف أسباب العامة ، وأحاط بالنفقات ، ونفذ بالولاية ، وإليه الخراج والبريد واختيار القضاة ، جزاء معرفته بالحال التي قرّبتّه منا ، وإثابة لشكره إيانا على ما أولينا .

[من خطب النكاح]

خطبة للمأمون

قال يحيى بن أكرم : أراد المأمون أن يزوّج ابنته من الرضا فقال : يا يحيى ؛ تكلم ، فأجلبته أن أقول : أنكحت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال : الحمد لله الذي تصاغرّت الأمور بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً برؤيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره .

أما بعد ، فإن الله قد جعل النكاح ديناً ، ورَضِيَهُ حُكماً ، وأنزله وحياً ؛ ليكون سبب المناسبة ؛ ألا وإني قد زوّجت ابنة المأمون من علي بن موسى ، وأمهرتها بأربعمائة درهم ، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاءً إلى ما درّج إليه السلف ، والحمد لله رب العالمين .

ما يستحب من الخاطب والخطوب إليه

قال الأصمعي : كانوا يستحبون من الخاطب إلى الرجل حُرْمته الإطالة ؛ لتدلّ على الرغبة ، ومن الخطوب إليه الإيجاز ، ليدلّ على الإجابة .

وخطب رجل من بني أمية إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، فأطال ؛ فقال عمر :

الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ؛ أما بعد فإن
الرجبة منك دعوتك إلينا ، والرجبة منا فيك أجابت ، وقد زوجناك على كتاب
الله : إمساكٌ بمعروف ، أو تسريحٌ بإحسان .

وخطب رجل إلى قوم فأتى بمن مخطب له ، فاستفتح بحمد الله وأطال ، وصلى
على النبي عليه السلام وأطال ، ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقتصر
ذكر القرون حتى صجر من حضر ، والتفت إلى الخاطب ، فقال : ما اسمك
أعزك الله ؟ فقال : والله قد أنسيت اسمي من طول خطبتك ، وهى طالق إن
تزوجتها بهذه الخطبة ؛ فضحك القوم ، وعقدوا فى مجلس آخر .

[الكتب والأقلام والخط]

وقال ابن المعتز : الكتاب والرجح الأبواب ، جرى على الحجاب ، مفهم
لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ، به يشخص المشتاق ، إذا أفعده الفراق ، والقلم مجهر
لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يميل الاستزادة ، ويسكت واقفاً ، وينطق
سائراً ، على أرض بياضاً مظلم ، وسوادها مضيء ، وكأنه يقبل بساط سلطان
أويفتح نوار بستان .

وهذا كقوله فى القاسم بن عبيد الله ، قال الصولى : ما عرض القاسم بن عبيد
الله ليخلف أباه : قال ابن المعتز :

قلم ما أراه أم فك يحرى بما شاء قاسمٌ ويسيرُ
خاشعٌ فى يديه يليمٌ قرطاً ساء كما قبل البساط شكورُ
ولطيف المعنى جليلٌ نحيفٌ وكبير الأفعال وهو صغيرُ
كم منايا وكم عطايا وكم حشوفٍ وعيش تضم تلك السطورُ
نقشت بالدرجا نهارا فما أدرى أخط فيهن أم تصويرُ
هكذا من أبوه مثل عبيد الله ينمى إلى العلاء ويصيرُ
عظمت منة الإله عليه فهناك الوزير وهو الوزيرُ

وله فى القاسم
بن عبيد الله

لبعض البلغاء

وقال بعض البلغاء : صورة الخط في الأبصار سواد ، وفي البصائر بياض .

وقال أبو الطيب المتنبي :

لمتنبي

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجْبِيُّ وَالْحَجْبِيُّ
وَهَذَا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ التَّنْثُرُ
وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكَادُ بَيُوتُهُ
إِذَا كَتَبْتَ يَبْيِضُ مِنْ نُورِهَا الْخَبْرُ

وقال ابن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب :

لابن المعتز

عَلِيمٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ ، كَأَنَّهُ
بِمَخْتَلَسَاتِ الظَّنِّ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى
إِذَا أَخَذَ الْقِرطَاسَ خَلَّتْ يَمِينُهُ
يُفْتَحُ نُورًا أَوْ يُنْظَمُ جَوْهَرًا

فاخر صاحب سيف صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أقتل بلا غرر ،
وأنت تقتل على خطر . فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف ، إن تم مراده
وإلا فإلى السيف معاده ؛ أما سمعت قول أبي تمام :

مفاخرة بين
صاحب سيف
وصاحب قلم

السيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
بِيضُ الصَّفَاحِ لَأَسْوَدُ الصِّحَافِ فِي
فِي حَدِّهِ الْخَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
مُتَوَهِّجِينَ جَلَاءَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

للمتنبي

وقال أبو الطيب :

مَا زِلْتُ أَضْحَكُ إِنْ لِي كَمَا نَظَرْتُ
أَسِيرَهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أَشَاهِدُهَا
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي
ا كْتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ
إِلَى مَنْ احْتَضَّتْ أَخْفَأُهَا بَدَمِ
وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِقَّةَ الصَّمَمِ
الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ

هذا مقلوب من قول علي بن العباس النوبختي ، وقد رواه أبو القاسم الزجاجي

لابن الرومي ، وإنما وهم لاتفاق الأسمين :

لننوبختي

إِن يَخْدُمِ الْقَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ
فَالْمَوْتُ - وَالْمَوْتُ لِأَشْيٍ يُغَالِبُهُ -
لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الأُمُّ
أَنْ السَّيْفُ لَهَا - مَذَّ أَرْهَفَتْ - خَدَمَ
بِذَا قَضَى اللَّهُ لِلأَقْلَامِ مَذَّ بُرِيَتْ

لابن الرومي

وقال ابن الرومي :

لَمَعَتْكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ
بِأَخْوَفَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ
ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
أَدَاةُ الْمِنْيَةِ فِي جَانِبِهِ
فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْبَةُ الرَّاهِبِ
سِنَانُ الْمِنْيَةِ فِي جَانِبِ
وَحَدُّ الْمِنْيَةِ فِي جَانِبِ
أَلَمْ تَرَ فِي صَدْرِهِ كَالسِّنَانِ
وَفِي الرَّذْفِ كَالرُّهْفِ الْقَاصِبِ

للبيسقي

وقال أبو الفتح البيسقي :

إِذَا أَقْسَمَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ
وَعَدَّوهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرْمَ
كُنِيَ قَلَمُ الْكِتَابِ مَجْدًا وَرَفْعَةً
مَدَى الدَّهْرِ أَنْ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
وَقَدْ قِيلَ : صَرِيرُ الْأَقْلَامِ ، أَشَدُّ مِنْ صَلِيلِ الْحُسَامِ .

لطلحة بن

عيد الله

قال الصولي : أنشدني طلحة بن عبيد الله :

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ
بِأَنَا مَلِي يَحْمِلُنَ شَخْتَا مَرْهَفًا^(١)
مُقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمَفْصَلًا
وَمَوْصِلًا وَمَشْتَتَاً وَمَوْئِلًا
تَرَكَ الْعِدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاؤَهَا
وَقَلَّاعَهَا قَلَمًا هُنَالِكَ رُجْفًا
كَالْحِيَةِ الرَّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ
يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلْفِظًا
يُرْمَى بِهِ قَلَمًا يَمِجُّ لُعَابَهُ
فَيَعُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمَنْقَطًا

لمحمود

الأصبهاني

وقال محمود بن أحمد الأصبهاني :

أُخْرَسُ يُنْبِيكَ بِإِطْرَاقِهِ
عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
يُبْذِرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً
يُبْدِي بِهَا السَّرَّ وَمَا يَدْرِي
كَعَاشِقٍ أُخْفِيَ هَوَاهُ وَقَدْ
نَمَّتْ عَلَيْهِ عِبْرَةٌ تَجْرِي
تُبْصِرُهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ
عُرْيَانٌ يَكْسُو النَّاسَ أَوْ يُعْرِي
يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ
أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ

(١) المهاريق : الصحائف البيضاء ، واحدها مهريق - بزنة مكرم - والشخت :

الضامر الدقيق من غير هزال (م) .

أُخْرِقَ لَوْلَمْ تَبْرِهِ لَمْ يَكُنْ
كَالْبَحْرِ إِذْ يَجْرِي ، وَكَاللَّيْلِ إِذْ
يَرْتَشِقُ أَقْوَامًا وَمَا يَبْرِي ،
يَغْشَى ، وَكَالصَّارِمِ إِذْ يَفْرِي

وقال أحمد بن جرار :

لأحمد بن جرار

أَهْيَفُ مَمْسُوقٌ بِتَحْرِيكِهِ
لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَدُّهُ
تَرَى بَسِيطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ
كَأَنَّمَا يَسْحَبُ فِي إِثْرِهِ
يَحِلُّ عَقْدَ السَّرِّ إِعْلَانُ
مِنْ رِيْقَةِ الْكُرْسُفِ رِيَّانُ
شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجُحَّانُ
ذَيْلًا مِنَ الْحِكْمَةِ سَحْبَانُ
لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْهَدَى

ومن أجود ما قيل في صفة القلم قول أبي تمام لمحمد بن عبد الملك الزيات :

لأبي تمام

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَابِهِ
لَهُ رِيْقَةٌ طُلُّ وَ لَكِنَّ وَقَعَهَا
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ
لَهُ الْخِلَاطُ الْوَالِدُ لَوْلَا تَجْبِيهَا
تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُسْلِيِّ وَالْفَاصِلُ
بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلُ
وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلُ
لَمَّا اخْتَلَفَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ
وَقَالَ الْأَمِيرُ تَمِيمُ بْنُ الْمَعزِ :

لتميم بن المعز
الفاطمي

وَذِي عَجَبٍ مِنْ طَوْلِ صَبْرِي عَلَى الْبِزْيِ
يَقُولُونَ : مَا تَشْكُو؟ قُلْتُ : مَتَى شَكَا
وَإِنِّ امْرَأٌ يَشْكُو إِلَى غَيْرِ نَافِعٍ
عَذَابِي أَنْ أَشْكُو إِلَى النَّاسِ أَنْتِي
وَيَمْنَعُنِي الشُّكْوَى إِلَى اللَّهِ عَالِمِهِ
سَأَسْكُتُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا ، فَإِنِّي

وقال :

يَا دَهْرُ مَا أَقْسَاكَ مِنْ مَتَلُونَ
أَتَرُوحُ لِلنَّكْسِ الْجَهُولِ مَهْدًا
فِي حَالَتِكَ ، وَمَا أَفْلَكَ مُنْصِفًا
وَعَلَى اللَّيْبِ الْحَرِّ سَيْفًا مُرْهَفًا؟

وإذا صفوت كدُرت ، شيمة باخلٍ ،
لا أرتضيك ، وإن كرمت ؛ لأنني
أدري بأنك لا تدومُ على الصفا
زمنٌ إذا أعطى استردَّ عطاءهُ
وإذا استقام بدَّاله فتحرفاً
ما قام خيرك يا زمانُ بشره
أولى بنا ما قلَّ منك وما كفى

[الصدق في النصيحة]

وكان أحمدُ بنُ يوسف منصرفاً عن غسان بن عباد ، وجرتَ بينهما هنأت
بمحصرة المأمون ، فقال يوماً بمحصرة خاصة أصحابه : أخبروني عن غسان بن عباد ؛
فإني أريده لأمرٍ جسيم ؛ وكان قد عزم على تقليده السنن مكان بشر بن داود ؛
فتكلم كلُّ فريق بما عنده في مدحه ؛ فقال أحمد بن يوسف : هو يا أمير المؤمنين
رجلٌ محاسنه أكثر من مساويه ، لا يتطرفُ به أمرٌ إلاَّ تقدّم فيه ، ومهما
تخوف عليه فإنه إن يأتى أمرًا يعتذر منه ؛ لأنه قسم أيامه بين أفعال الفضل ؛
فجعل لكلِّ خلق نوبة ، إذا نظرت في أمره لم تدرِ أي حالته أعجب ؛ أما هداة
إليه عقَّله أم ما اكتسبه بأدبه ؟

فقال له المأمون : لقد مدحته على سوء رأيك فيه ! قال : لأنني في أمير المؤمنين
كما قال الشاعر :

كفى ثنا لِمَا أسديت أنى نصيحتك في الصديق وفي عدائي
وأنى حين تندبني لأمرٍ يكون هواك أغلب من هوائى

قال الصولي : وقد روى هذا لغير أحمد ، ولعلَّ أحمد استعاره ؛ فأعجب المأمون
ذلك منه ، وشكره غسان بن عباد له ، وتأكَّدت الحالُ بينهما .

وكان أحمدُ بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجم عالي الطبقة من ترجمة أحمد
ابن يوسف ومنزلته في
الكتاب ، ووزر للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد ، وكان أول ما ارتفع به أحمد أن
البلاغة

المخلوع محمد بن الرشيد لما قتل أمر طاهر بن الحسين الكتاب أن يكتبوا إلى المأمون؛ فأطالوا، فقتل طاهر، : أريد أخصر من هذا؛ فوصف له أحمد بن يوسف وموضعه من البلاغة، فأحضره لذلك، فكتب: أما بعد فإن كان المخلوع قسيم أمير المؤمنين في النسب والرحمة، فقد فرّق بينهما حكم الكتاب في الولاية والخدمة، بمفارقة عصمة الدين، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين؛ لقول الله عز وجل فيما اقتص [علينا] من نبي نوح وابنه: (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح)، ولا طاعة لأحد في معصية الله، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله؛ وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابق وعده، والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين معلوم حقه، الكائد له فيمن ختر عهده، ونقض عهده، حتى ردّ به الأئمة بعد فرقتها، وجمع به الأمة بعد شتاتها، وأضأ بها أعلام الدين بعد دُرُوبها؛ وقد بعثت إليك بالنديا وهي رأس المخلوع، وبالآخرة وهي البردة والقضيب؛ والحمد لله الآخذ لأمر المؤمنين حقه، الراجع إليه تراث آباءه الراشدين.

وكان أحمد بن أبي خالد كثيراً ما يصف أحمد للمأمون ويحثه عليه، فأمره المأمون بإحضاره، فلما وقف بين يديه قال: الحمد لله يا أمير المؤمنين النهي استخصك فيما استحفظك من دينه، وقدّك من خلافته، بسوانغ نعمه، وفضائل قسيمه، وعرفك من تيسير كل عسير حاولك عليه متمرد، حتى ذل لك ما جعله تكلّة لما حبّاك به من موارد أموره بنجح مصادرها، حمداً نامياً زائداً لا ينقطع أولاه، ولا ينقضى أخراه، وأنا أسأل الله يا أمير المؤمنين من إتمام بلائه لديك، ومينّه عليك، وكفائته ما ولأك واسترعاك، وتحصين ما حاز لك، والتمكين من بلاد عدوك، ما يمنع به بيضة الإسلام، ويعزّ بك أهله، ويبيع بك حبي الشرك، ويجمع لك متبين الأئمة، وينجز بك في أهل العناد والصلالة وعده؛ إنه سميع الدعاء، فعال لما يشاء.

فقال المأمون: أحسنت، بورك عليك فاطمنا وساكتاً! ثم قال بعد أن
 بلاه واختبره: يا عجبا لأحمد بن يوسف! كيف استطاع أن يكتم نفسه!
 وكتب إلى المأمون يستجدي لزوجته على بابه: إن داعي نداءك، ومنادي
 جده وذك، جمعاً بينك الوفود، يرجون نائلك المتباعد، فمنهم من يمت بحرمته،
 ومنهم من يندلي بسالف خدمة، وقد أجهف بهم المقام؛ فإن رأى أمير المؤمنين
 أن ينصهم بسببه، ويحقق ظنهم بطوله، فصل.
 فوقع المأمون في عرض كتابه:

الخير متبع، وأموال الملوك مظان لطلاب الحاجات؛ فاكتب أسماءهم،
 وبين مرتبة كل واحد منهم، ليصير إليه على قدر استحقاقه؛ ولا تكدرن
 معروفنا بالمطل والحجاب؛ فقد قال الشاعر:

فإنك لن ترى طرفاً محرراً كإصاق به طرف الهوان
 ولم تجلب مودة ذي وفاء بمثل الوء أو بذل اللسان

قال أحمد بن يوسف: أمرني المأمون أن أكتب في زيادة قناديل شهر
 رمضان؛ فأعيا علي، ولم أجد مثلاً أحتدي عليه؛ فبت منموماً، فأتاني آت
 في النوم فقال: اكتب: فإن فيها إضاءة للمتهجدين، ونقياً لمكان الرّيب،
 وأنساً للسائلة، وتنزيهاً لبيوت الله من وحشة الظلم، فأخبرت بذلك المأمون،
 فاستظرفه، وأمر أن تمضي السكتب عليه.

وأهدى إلى المأمون في يوم نوروز طبق جزع عليه ميل من ذهب، فيه اسمه
 منقوش، وكتب إليه:

هذا يوم جرت فيه العادة، بإلطف العبيد السادة، وقد بعثت إلى أمير
 المؤمنين طبق جزع فيه ميل.

فلما قرأ المأمون الرقعة قال: أ جاءت هدية أحمد بن يوسف؟ قالوا: نعم.
 قال: هي في داري أم داري فيها؟ فلما فرغ المندبل استظرف الهدية واسترح مهديها.

وأهدى إلى إبراهيم بن المهدي هدية وكتب إليه : الثقةُ بك قد سهلت
السبيلَ إليك ، فأهديتُ هديةً من لا يَحْتَسِمُ إلى من لا يَفْتَنِمُ .
وكتب إلى بنى سعيد بن سلم : لولا أن الله عز وجل ختم نبوته بمحمد
صلى الله عليه وسلم ، وكتبه بالقرآن ، لنزل فيكم نبيّ نِقْمَةً ، وأنزل فيكم
قرآنَ غَدْرٍ ؛ وما عسيت أن أقولَ في قومٍ محاسنهم مساوى الشُّقْلِ ،
ومساويهم فضائحُ الأم ، وألسنتهم معقولة بالنعى ، وأيديهم معقودة بالبخل ، وهم
كما قال الشاعر :

لا يكبرون وإن طالت حياتهمُ ولا تبيد مخازيرهم وإن بادوا
وغنى مُعَنَّ بِمحضرة أحمد بن يوسف ولم يكن مُحسنا ، فلم يُنصِتوا له ، وتحدّثوا
مع غنائه ، فغضب المعنى ؛ فقال أحمد بن يوسف : أنت عافاك الله تحمّل الأسماع
ثقلا ، والقلوب مملآ ، والأعين قباحة ، والأنف نتانة ، ثم تقول : اسمعوا منى ،
وأنصتوا إلى ! هذا إذا كانت أفهامنا مقلّة ، وآذاننا صدّية ، فإما رضيت بالعفو
منا ، وإلا قت مذموماً عنا .

ألفاظ لأهل المصر في ذم المغنين

يترنّم فيُتَعَبُ ولا يُطْرِب . إذا غنّى عَنّى ، وإذا أدّى أدّى .
يميت الطرب ، ويحيى الكرب . ضربه يُوجب ضربه . من عجائب
غنائه أنه يُورِد الشتاء في الصيف . ماروى قطّ في دارٍ مرتين . وحضر
جحظة مجلساً فيه على بن بسام ، ففترق القومُ الحادّة ، فقال جحظة : فما لى لم
تعطونى مخدّة ؟ فقال على بن بسام : غنّ فالحدادّ كلها إليك تصير ! وفيه يقول
ابن بسام :

يا مَنْ هَجَوْنَا فغنّانا أنت ، وبيت الله ، أهجانا
سيان إن غنّى لنا جحظة أو مرّ مجنون فزنانا

وكان خالد يُستبرد ، فبعث بعض الظرفاء غلامه يشتري له خمسة أرطال
 ثلج ، فاتاه بخالد وقال : يا مولاي ، طلبت خمسة أرطال ، وهذا خل !
 وتغنى بحضرة محمود ، فقال : ويحك ! دعنا نغرق !
 وقال بعض المحدثين في قريس المغنى :

ألا فاستقى قدحاً وافراً يُعِينُ عَلَى الْبَلْغَمِ الْهَائِجِ
 أَكَلْنَا قَرِيْسًا وَعَتَى قَرِيْسٍ فَتَحْنُ عَلَى شَرَفِ الْفَالِجِ
 ولقى أبو العباس المبرد برد الخيار المغنى في يوم تلج بالجر ، فقال : أنت
 للمبرد وأنا برد الخيار ، واليوم كما ترى ، اعبر بنا لا يهلك الناس بالفالج بسببنا
 وقال ابن عباد صاحب في مغن يعرف بابن عذاب :
 أقول قولاً بلا احتشام يعقله كل من يعميه
 ابن عذاب إذا تغنى فإني منه في أيه

[عود إلى أحمد بن يوسف]

ومن شعر أحمد بن يوسف :
 ضَمِيرٌ وَجِدٌ بِقَلْبٍ صَبَّ تَرَجَمَ دَمْعِي بِهِ فَشَاعَا
 فَصَارَ دَمْعِي لِسَانَ وَجْدِي ضَمِيعَ سِرِّي بِهِ فَذَاعَا
 لَوْلَا دَمْعِي وَفَرَطُ حَبِّي مَا كَانَ سِرِّي كَذَا مُضَاعَا
 وقال :

وعامل بالفجور يأمر بالبر كهادٍ يخوض في الظلم
 أو كطبيب قد شفه سقم وهو يدأوى من ذلك السقم
 يا واعظ الناس غير متعظ ثوبك طهر أولاً فلا تلم

وقال :

إذا ما التقينا والعيون نواظرة فألسننا حرب وأبصارنا سلم

وقال في الجزن :

كثيرٌ هموم القلبِ حتى كأنما
عليه سرورُ العالمين حرامٌ
إذا قيلَ ما أضناك! أسبَلَ دَمْعُهُ
فأخبر ما يلقي وليس كلامٌ

وقال :

كريمٌ له نفسٌ يَلِينُ بِلِينِهَا
يُروِّعُ عَن سُلْطَانِهِ سُنَنَ الْكَبِيرِ
إذا ذكَّرْتَهُ نَفْسَهُ عَظُمَ قَدْرُهَا
دَعَا إِلَى تَسْكِينِهَا عَظْمَ الْقَدْرِ
ووقع في كتاب رجل يحثه على استتمام صنائعه عنده : مستتم الصنعة من
عدل زيتها ، وأقام أودها ، صيانة لمروفه ، ونصرة رأيه ؛ فإن أول المعروف
مستخف ، وآخره مستثقل ، يكاد أول الصنعة يكون للهوى ، وآخرها للرأى ،
ولذلك قيل : رب الصنعة أشد من ابتدائها^(١) .

وكان أبو العتاهية له صديقاً^(٢) قيل ارتفاع حاله ، فأحس منه في حين وزارته
تعبيراً ، فكتب إليه :

أمنت إذا استغنيت من سورة الفقر
فصرت ترى الإخوان بالنظر الشرير
أبا جعفر إن الشريف يهينه
تتأيه دون الأخلاء بالوفير
فإن تهت يوماً بالذي نلت من غنى
فإن غفاني بالتجمل والصبر
ألم تر أن الفقر يرُجى له الغنى
وأن الغنى يُحشى عليه من الفقر

وروى أبو بكر يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال : حجب أحمد بن

يوسف أبا العتاهية ، ثم عاد ، فقيل : هو نائم ، فكتب إليه :

لئن عدتُ بعد اليوم إني لظالمٌ
سأصرف وجهي حيث تُبغى للمكارمُ
متى يظفر الغادى إليك بحاجةٍ
ونصفك محبوب ونصفك نائمٌ

(١) الرب : التعهد بالإصلاح .

(٢) في المطبوعات كلها « له صديق » بالرفع ، وليس بشيء (م) .

وقال :

في عداد الموتى وفي ساكني الدنيا أبو جعفر أخي وخليتي
ميت مات وهو في ورق العيش مقيم في ظل عيش ظليل
لم يميت مينة الوفاة ، ولكن مات عن كل صالح وجميل
وخاصم أحمد بن يوسف رجلا بين يدي المأمون ، وكان صغارا المأمون إليه ^(١)
على أحمد ، فظن لذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه يستملي من عينيك
ما يلقاني به ، ويستبين بحركته ما تحنه له ^(٢) ، وبلوغ إرادتك أحب إلي من
بلوغ أمني ، ولذة إجابتك أمتع عندي من لذة ظفري ؛ وقد تركت له ما نازعني
فيه ، وسممت له ما طالبني به . فاستحسن ذلك المأمون .

ومن كلام أحمد بن يوسف : مجالسة البغضاء تُثيرُ الهموم ، وتجلب
الغوم ، وتؤلم القلب ، وتقذح في النشاط ، وتطوى الانبساط .

ألفاظ لأهل العصر في صفات التقلد

فلان ثقيل الطلعة ، بغيض التفصيل والجُملة ، باردُ السكون والحركة ؛
قد خرج عن حد الاعتدال ، وذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال . يحكى
ثقل الحديث المعاد ، ويمشي في القلوب والأكباد ، ولا أدري كيف لم تحمل
الأمانة أرض حمله ؟ وكيف احتاجت إلى الجبال بعد ما أفلته ؟ كأن وجهه
أيام المسائب ، وليالي النوائب ، وكأنما قربه فقد الحباب ، وسوء العواقب .
وكانما وصله عدم الحياة ، وموت الفجأة ، وكانما هجره قوة اللثة ، وريح الجنة .
يا عجب من جسم كالخيال ، وروح كالجبال . كأنه ثقل الدين ، على وجمع
العين . هو ثقيل السكون ، بغيض الحركة ، كثير الشؤم ، قليل البركة . هو
بين الجفن والعين قذاة ، وبين الأخمص والنعل حصاة . ما هو إلا غداة
الفراق ، وكتاب الطلاق ، وموت الحبيب ، وطلوع الرقيب . ما هو إلا أرباء

(١) صغاه إليه : ميلاه (م) . (٢) تجنه لي : تكتمه وتخفيه (م) .

لاتدورُ في صفر ، والكابوسُ في وقتِ السحر ، وأثقلُ من خراجِ بلاغلة ،
ودواءِ بلاغلة ، وأبغضُ من مثلٍ غيرِ سائر ، وأجمعُ للعيوبِ من بغلةِ أبي
دلامة ، وحمارِ طيار ، وطيلسانِ ابنِ حرب ، وأيرأبي حكيمة ، وأنشد :

مشى فدعا من ثقله الحوتُ ربُّه وقال : إلهي زِيدَتِ الأَرْضُ ثَمَانِيَةَ ^(١)
وَأَنْشَد :

تحمل منه الأرضُ أضعافَ ما يحمله الحوتُ من الأرضِ ^(١)
وَأَنْشَد :

مَشَّمِلٍ بِالْبُغْضِ لَا تَنْدَنِي إِلَيْهِ لَحْظًا مُقَلَّةَ الرَّامِقِ
يَظَلُّ فِي مَجْلِسِنَا قَاعِدًا أَثْقَلُ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقِ
وقال الحمدوني :

سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا صَدَقْتَ وَعِلْمِي بِأَنَّكَ لَا تَصَدُقُ
أَتُبْغِضُ نَفْسَكَ مِنْ ثِقَلِهَا وَإِلَّا فَأَنْتَ إِذَا أَحْمَقُ

وكتب أبو عبد الرحمن العطوي إلى بعض إخوانه :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُرْسِلْ وَجِئْتَ فَلَمْ أَصِلْ مَلَأْتُ بَعْدُ مِنْكَ سَمْعَ لَيْبِ
أَتَيْتُكَ مُشْتَقًا فَلَمْ أَرِ حَاجِبًا وَلَا صَاحِبًا إِلَّا بَوَّجَهُ قَطُوبِ
كَأَنِّي غَرِيمٌ مُقْتَضٍ ، أَوْ كَأَنِّي طُلُوعٌ رَقِيبٍ أَوْ نَهْوِضٌ حَبِيبِ

وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يستقلُّ جليسا اسمه زنباع ، فقال له رجل
يوما : ما الزنبعة في كلام العرب ؟ قال : التناقل ، ولذلك سُمِّيَ جليسا زنباعا .

وقد كثر الناس في الثقلاء ، وأنا أستحسن قول جحظة ، وإن كان غيره
قد تقدّمه في مثله :

(١) إشارة إلى الحرافة التي تزعم أن الأرض يحملها حوت !

يا لفظة البنى بموت الخليل
يا شربة اليارج يا أجرة الـ
يا طلعة الشمس يا منزلاً
يا نهضة المحبوب عن غضبة
يا كتاباً جاء من مخلف
يا بكرة الشكلى إلى حفرة
يا وثبة الحافظ مستعجلاً
يا طبيباً قد أتى باكراً
يا شوكة في قدم رخصة
يا عشرة المجدوم في رحله
يا ردة الحاجب عن قسوة

يا وقفة التوديع بين الحمول
منزل يا وجه العذول الثميل
أقفر من بعد الأيس الحول
يا نعمة قد آذنت بالرحيل
للوعد مملوءاً بعذر طويل
مستودع فيها عزيز الشكول
بصرفه القينات عند الأصيل
على أخى سقم بماء البقول
ليس إلى إخراجها من سبيل
ويا صعود السعز عند المعيل
ونكسة من بعد برء العليل

من ترجمة
جحظة البرمكي
ومن شعره

وجحظة هذا هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن
برمك، وقال أبو الحسن علي بن محمد بن مقلة الوزير: سألت جحظة من لقبه بهذا
اللقب؟ فقال: ابن المعتز، لقيني يوماً، فقال لي: ما حيوان إن نكسوه أنا آلة
للعراكب البحرية، فقلت: علق، إذا نكس صار قلعاً، قال: أحسنت يا جحظة؛
فلزمني هذا اللقب، وكان ناتي العينين جداً، قبيح الوجه، ولذلك قال ابن الرومي:

نبئت جحظة يستعير جحوظه
من فيل شطرنج ومن سرطان
يارحمي لمناديه تحاوا
ألم العيون للذة الأذان
وكان طيب الغناء، ممتد النفس، حسن المسموع؛ إلا أنه كان ثقيل اليد
في الضرب؛ وكان حلو النادرة، كثير الحكاية، صالح الشعر؛ ولا تزال تندرله
لأبيات الجيدة، وهو القائل:

جانبت أطيب لذتي وشرابي
وهجرت بعدك عامداً أصحابي

فإذا كتبتُ لسكى أُرزَه ناظري
 إن كنت تتكر ذلتي وتذللني
 فانظر إلى بدني الذي موتهه
 في حُسن لفظك لم تجدُ بيحواب
 وتُحولَ جسني وامتدادَ عذابي
 للناظرين بكثرة الأثواب
 وقال :

وإذا جفاني صاحبٌ
 وتركته مثلَ القُبُورِ
 لم أستجز ما عشتُ قَطْعَه
 رَأُورها في كُلِّ جُمْعَه

وقال :

صاقت على وجهه الرأي في نفر
 أقلب الطرفَ تصعيداً ومنهدراً
 يلقون بالجد والكفران إحسانى
 فما أقابل إنساناً يأنسانى
 وقال :

لقد مات إخواني الصالحون
 إذا أقبل الصبحُ ولَّى السرور
 فإلى صديقٍ ومالى عماد
 وإن أقبل الليلُ ولَّى الرقاد

وقال يهجو رجلاً :

لا تمدلوني إن هجرتُ طعامه
 فمتى أكلتُ قتلته من بخله
 خوفاً على نفسي من المأكول
 ومتى قتلتُ قتلتُ بالمقتول

ومن حكاياته ما حدثني خالد الكاتبُ قال : جاءني يوماً رسولُ إبراهيم
 ابن المهدي، فصرت إليه، فرأيتُ رجلاً أسوداً على فرُشٍ قد غاص فيها، فاستجسني
 وقال : أنشدني من شعرك، فأنشدته :

رأت منه عيني منظرين كما رأت
 عشية حيانى بورد كأنه
 ونازعني كأساً كأن حبابها
 وراح وفعلُ الراح في حرّ كاته
 من الشمس والبدر المنير على الأرض
 حدودٌ أضيقتُ بعضهن إلى بعض
 دموعي لما صدت عن مقلتي عُمضي
 كفعل نسيم الريح بالفضن الفضّ

فرحف حتى صار في ثلثي الفرش ، وقال : يا فتى ، شبهوا الخلود بالورد ،
وأنت شبهت الورد بالخلود ، زدني فأنشده :

عابتُ نفسي في هوا لكَ ظمُّ أجدها تَبِيلُ
وأطعتُ داعيها إليك فلم أطع من يَعْدُلُ
لا والذي جعل الوجُو هُ الحَسَنِ وَجْهِك مَمَثُلُ
لا قلتُ إن الصبرَ غفك من التَّصَابِي أَجْمَلُ

فرحف حتى انحدر عن الفرش ثم قال لي : زدني ، فأنشده :

عِشْ فَجَبِيكَ سَرِيحاً قَاتِلِي وَالضِّيَّ إِن لَمْ تَصِلْنِي وَاصِلِي
ظَفَرَ الحَبِّ بَقَلْبِ دَنِيفِ فِيكَ وَالسُّقْمُ بِجِسْمِ نَاحِلِ
فهما بين اِكتئابِ وَضَنِي تَرَكَانِي كالتَّضْيِيبِ الذَّابِلِ
وبكى العاذِلُ لِي من رَحْمَةٍ فبِكَانِي لِبِكَاءِ العَاذِلِ

ففرط طرباً وقال : يا يَلْبِقُ ؛ كم معك لفتقتنا ؟ قال : ثمانمائة وخمسون ديناراً .

قال : أقسمها بيني وبين خالد ، فدفعت إلي نصفها

وأشد جحظة أو غيره ولم يسمِ قائله :

لا يبعد الله إخواناً لنا سلفوا أفناهم حَدَثَانِ الدَّهْرِ والأَبْدِ
نَمِدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ من بَقِيَّتِنَا ولا يُوْرِبُ إلينا مِنْهُمْ أَحَدُ

[السكاكين]

بين المأمون
وأحمد بن
يوسف

وكان أحمد بن يوسف جالساً بين يدي المأمون ، فسأل المأمون عن السكاكين
فناوله أحمد السكين ، وقد أمسك بنصابها ، وأشار إليه بالحد ، فنظر إليه المأمون
نظراً مُنْكَرٍ ؛ فقال : لعل أمير المؤمنين أنكر على أَخَذِي النَّصَاب ؛ وإشارتي إليه
بالحد ؛ وإيما تفاءلت بذلك أن يكون له الحدُّ على أعدائه ، فعجب المأمون من
سُرْعَةِ فطنته ، ولطيف جوابه .

وقال بعضُ الكتاب : السكين مسُّ الأقلام يشحذها إذا كُلت ، ويصقلها إذا نبت ، ويُطْلَقُها إذا وقفت ، ويلبّسها إذا شعثت ، وأحسنها ما عرضَ صدره ، وأزهدَ حدّه ، ولم يفصل على القبضة نصابه .

وقال أبو الفتح كشاجم يرمى سكيناً سرقت له :

يا قاتل الله كتابَ الدواوين	ما يستحلون من أخذِ السكاكينِ
لقد دهاني لطيفٌ منهم ختلٌ	في ذات حدٍ كحدِّ السيفِ مسنونٍ
فأفقرت بعد عمران بموقعها	منها دواةٌ فتى بالكتبِ مَقْتُونِ
تبكى على مديّةِ أودي الزمانُ بها	كانت على جائرِ الأقلامِ تُعَدِينِي
كانت تقدمُ أقالمي وتندحتُها	نحتاً وتسخطها برّياً فترضيني
وأضحك الطرس والقرطاس عن حللي	ينوب للعين من نورِ البساتينِ
فإن قشرت بها سوداء من صُحُفِي	عادت كبعضِ خدودِ الخردِ العينِ
جزعُ النصابِ لطيفات شعأرُها	محسّات بأصنافِ التّحاسينِ
هيفاء مرهفةٌ بيضاء مذهبَةٌ	قال الإلهُ لها سبحانه : كوني
لكن مقطّى أُنسى شامتاً جديلاً	وكان في ذلّةٍ منها وفي هونِ
فصين حتى يضاها في صيانتها	جاهي لصونيه عمن لا يدانيني
ولستُ عنها بسالٍ ماحييتُ ، ولا	بواجِدٍ عَوْضاً منها يُسليني
ولو يردُّ فداءً ما فجعْتُ بهِ	منها فديناه بالدينا وبالدينِ

ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين

سكين كأنَّ القدرَ ساقها ، أو الأجل سابقها ، مُرَهْفَةٌ الصِّدْرِ ، مُخَطَّطَةٌ الخَضْرُ ، يَجُولُ عليها فِرْنَدُ العِتْقِ ، ويموج فيها ماء الجواهر ؛ كأنَّ المنية تبرق من حدّها ، والأجل يلمع من منبتها ، ركبت في نصابِ ابنوس ، كأنَّ الحدقَ ففضت

عليه صِبْغَهَا ، وَحَبَّ الْقُلُوبِ كَسْتَهُ لِبَاسِهَا . أَخَذَهَا حديدَهَا النَّاصِحَ بِحِطَّةٍ مِنْ
الرُّومِ ، وَضَرَبَ لَهَا نِصَابَهَا الْحَالِكِ بِسَهْمٍ مِنَ الزَّيْجِ ، فَكَانَهَا لَيْلٌ مِنْ تَحْتِ نَهَارٍ ،
أَوْ مَجْمَرٌ أَبَدِي سَنَا نَارٍ ، ذَاتَ غِرَارٍ مَاضٍ ، وَذُبَابٌ قَاضٍ . سَكِينٌ ذَاتُ مَنَسَرٍ
بَازِيٍّ ، وَجَوْهَرٌ هَوَائِيٌّ ، وَنِصَابٌ زَنْجِيٌّ ، إِنْ أَرْضِيَتْ أَوْلَتْ مَتْنًا كَالدَّهَانِ ، وَإِنْ
أَسْخِطَتْ انْتَقَتْ بِنَابِ الْأَفْعَوَانِ . سَكِينٌ أَحْسَنُ مِنَ التَّلَاقِ ، وَأَقْطَعُ مِنَ الْفِرَاقِ ،
تَفْعَلُ فِعْلَ الْأَعْدَاءِ ، وَتَنْفَعُ نَفْعَ الْأَصْدِقَاءِ . هِيَ أَمْضَى مِنَ الْقَضَاءِ ، وَأَنْفَدُ مِنْ
الْقَدْرِ الْمَتَّاحِ ، وَأَقْطَعُ مِنْ ظُبَّةِ السَّيْفِ الْحُسَامِ ، وَأَلْعُ مِنَ الْبَرْقِ فِي الْغَيَامِ . جَمَعَتْ
حُسْنَ الْمَنْظَرِ ، وَكَرَمَ الْمَخْبِرِ ، وَتَمَلَّكَتْ عِنَانَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ ، وَلَمْ يُجَوِّجَهَا عَتَقُ
الْجَوْهَرِ إِلَى إِمَاءِ الْحَجَرِ (١)

[السَّمَرُ وَالْمَنَادِمَةُ]

قال محمد بن أنس للقاسم بن صبيح : مَا زِلْنَا فِي سَمَرٍ نَصِلُ فِصُولَهُ بِتَشْوِيقِكَ ،
فَيَذْهَبُ ذِكْرُكَ مَلَلِ السَّامِرِ ، وَنَعْسَةَ السَّاهِرِ . فَقَالَ الْقَاسِمُ : مِثْلُكَ ذَكَرَ صَدِيقِي
فَاطِرَاهُ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَأَرْضَاهُ ، وَلَوْ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي كُنْتُ أَحَدَكُمْ ، مَسْرُورًا بِمَا بِهِ
سُرُورَتِي ، مُفِيضًا فِيهَا فِيهِ أَفْضَتِي .

قال بعضُ الظرفاءِ : شَرَطُ الْمَنَادِمَةِ قِلَّةُ الْخِلَافِ ، وَالْمَعَامِلَةُ بِالْإِنْصَافِ ،
وَالْمَسَاحَةُ فِي الشَّرَابِ ، وَالتَّغَافُلُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ ، وَإِدَامَانُ الرِّضَا ، وَاطِّرَاحُ مَا مَعَى ،
وَإِسْقَاطُ التَّحِيَّاتِ ، وَاجْتِنَابُ اقْتِرَاحِ الْأَصْوَاتِ ، وَأَكْلُ مَا حَضَرَ ، وَإِحْضَارُ
مَا تَبَسَّرَ ، وَسَمَرُ الْعَيْبِ ، وَحِفْظُ الْغَيْبِ .

وقد أحسن أبو عبد الرحمن العطوي في قوله :

حَقُوقُ الْكَاسِ وَالنَّدْمَانُ خَمْسٌ فَأَوْلَاهُمَا التَّرْيِيزُ بِالْوَقَارِ
وِثَائِهِمَا مَسَامِحَةُ النَّدَامَى فَكَمْ حَمَّتِ السَّمَاحَةُ مِنْ ذِمَارِ
وِثَالِهَا ، وَإِنْ كُنْتَ ابْنَ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مَحْتَدًا ، تَرَكَ الْفَخَّارِ

(١) إِمَاءٌ : مُصَدَّرٌ «أَمْبِي السَّلَاحِ» أَي أَحَدُهُ ، وَإِضَافَةٌ إِلَى الْحَجَرِ مِنْ إِضَافَةِ
الْمُصَدَّرِ لِفَعَالِهِ ، وَالْحَجَرُ : أَرَادَ بِهِ الْمَسِينُ (م)

وربما ولله دمان حق سوى حق القراة والجرار
 إذا حدثته فاكس الحديث الذي حدثته توب اختصار
 فاحث التبيد بمثل حسن الأغاني والأحاديث القصار
 وخامسة يدل بها أخوها على كرم الطبيعة والنجار
 حديث الأمس نساء جميعاً فإن اللذب فيه للمقار
 ومن حكمت كاسك فيه فحكمت له بإقالة عند العثار
 وقال حسان بن ثابت :

نوليها الملامة إن آمننا إذا ما كان ممت أو حلالاً^(١)

بين اليزيدي والمأمون وشرب اليزيدي عند المأمون فلما أخذت منه الكأس أقبل يعتز عليه بتعليمه إياه ، وأساء مخاطبته ؛ فلما أفاق من سُكره عُرِف ماجرى ، فليس أ كفانه ، ووقف بين يدي المأمون فأنشده :

أنا المذنبُ الخطاءُ والعموُ واسعٌ ولو لم يكن ذنبٌ لما عُرِفُ العفوُ
 تَمَلَّتْ فَأَبَدَتْ مَنَى الكاسُ بعضَ ما كَرِهَتْ وما إن يستوى السُّكْرُ والصَّخْوُ
 ولا سيما إن كنتُ عند خليفةٍ وفي مجلسٍ ما إن يجوز به العفوُ
 فإن تَعَفُّ عني أُلْفِ خَطْوِيَ واسعاً وإلا يكن عَفْوٌ فقد قَصُرَ الخَطْوُ
 فقال المأمون : لا تتريبَ عليك ، فالنبيذُ بساطٌ يُطَوَى بما عليه .

بين كوران والشريف لرضى بين أحمد بن جدار وعمر ابن ايوب وشرب كوران المغنى عند الشريف الرضى ، فافتقد رداءه ، وزعم أنه سُرق . فقال له الشريف : ويحك ! مَنْ تَتَّهَمُ منا ؟ أما علمت أن النبيذِ بساط يُطَوَى بما عليه ؟ قال : انشروا هذا البساط حتى آخذ رداً واطوره إلى يوم القيامة ! وكان أبو جعفر أحمد بن جدار كاتب العباس بن أحمد بن طولون ينقل أخبار أبي حفص عمر بن أيوب كاتب أحمد بن طولون على الشراب إلى العباس ، فصار إليه أبو حفص فقال : يا أبا جعفر ؛ إنما مجلس المدام مجلس حُرمة ، وداعية أنس ،

(١) المغث : الشر والقتال ، واللحاء : الملاحاة ، وهو قول ما يلام عليه

ومسرح لبانة ، ومذادهم ، ومزّاع لهو ، ومعهد سرور ، وإنما توسطته عند من لا يشهم غيبه ، ولا يخشى عتبه ، وقد اتصل بي ما تُنهبه إلى أميرنا أبي الفضل أعز الله أمره ، من أخبار مجالستي ، فلا تفعل ، وأنشده :

ولقد قلت للأخلاء يوماً قول ساعٍ بالنضح لوسمعه
إنما مجلس المدام بساطٌ للمودات بينهم وضعوه
فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا من نعيم ولفقه رفعوه
وهم أخرياه ، إن كان منهم حافظٌ ، ما أتوه أن يمنعوه

فاعتذر ابن جدار وحلف ما فعل ، وقام من مجلسه .

وأنشد أبو حفص :

كم من أخٍ أوجستُ منه سجيةً فأنستُ بعدَ وداده برفاقه
لم أحمد الأيام منه خليقةً فتركته مستمتعاً بخلاقه

عول أبو حفص في أكثر كلامه على نقل كلام أبي العباس الناشيء في

الشراب ، والأبيات التي أنشد أولاً له .

أبو القاسم صاحب : قدماً حِلّتْ أوزارُ الشكرِ ، على ظهور الخمر ،
وطوى بساطُ الشراب ، على مافيه من خطأ أو صواب . متابعة العقار ، تعذر في
خلع العذار ، وتُفنى عن الاعتذار . متابعة الأبطال ، تبطل سورة الأبطال ،
وتدعُ الشيوخ كالأطفال .

كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى بعض الجلالة يستدعيه :
من إسحاق
الموصلي إلى
بعض الجلالة
يَوْمُنَا يَوْمٌ لَيْتَ الحواشي ، وطيء النواحي ؛ وماؤنا قد أقبلت ، ورددت بالخير
وبرقت ، وأنت قطبُ السرور ، ونظام الأمور ؛ فلا تُفردنا فنقل ، ولا تنفرد
عنا فنذل .

وكتب بعض أهل العصر - وهو السري الموصلي - إلى أخ له يستدعيه إلى

مؤانسته :

للسرى الموصلى

خِلَالِكَ، مَا خْتَلَّ الصَّدِيقُ، سَحَابُ
 وَأَنْتَ شَقِيقُ الرُّوحِ تُؤَثِّرُ وَصَلِيًّا
 وَنَحْنُ خِلَالِ الْقَصْفِ وَالْعَزْفِ نَجْتِي
 وَعِنْدِي لَكَ الرِّيحَانُ زَيْنَ بَسَاطُهُ
 وَجَيْشُ كَمَا انْجَرَّتْ ذُيُولُ غَلَّارِلِ
 وَقَدْ أُطْلِقَتْ فِيهِ الشَّمَائِلُ، وَانْتَتِ
 وَحَافِظَةُ مَاءِ الْحَيَاةِ لِفَتْيَةِ
 نُسْرَ بِلْهَا أَخْفَى اللَّبَاسِ، وَإِنَّمَا
 عَلَى جَسَدٍ مِثْلِ الزَّبْرِ جَدٍ لَمْ تَزَلْ
 إِذَا اسْتَوَدَعْتَ حُرَّ اللَّجَيْنِ سَبَائِكَ
 وَفَوْقَ رَعُوسِ الْقَوْمِ غَيْمٌ مَعْلَقٌ
 بِوَارِقِهِ خَمْرُ الْكُتُوسِ وَرَعْدُهُ
 وَلَا عَائِقُ يَنْبَغِي عِنَانِكَ عَنْ هَوَى
 فَبَادِرٍ؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ صَافٍ مِنَ الْقَدَى،

وقال ابن المعتز

لابن المعتز

تَدَمَّى عَلَيْهِ أَوْ دَاجِ إِبْرِيْقِ
 بَرَقَ ابْتِسَامٍ وَرَعْدُ نَصْفِيْقِ
 وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ يَصِفُ طِيْلًا :

للحسن بن محمد
الكايب

يَاحِبْدًا يَوْمَنَا نَلْهُو بِمُلْهِيَةِ
 قَدْ شَدَّ هَذَا إِلَى هَذَا كَأَنَّهُمَا
 نَظَلُّ نَظْمَ خَدْيِهِ إِذَا ضَرَبَتْ
 فَتَسْمُ الصَّوْتِ مِنْهُ حِينَ تَضْرِبُهُ
 تَلْهَى بِشَيْءٍ لَهُ رَأْسَانِ فِي جَسَدِ
 مِنْ شِدَّةِ الشَّدِّ مَقْرُونَانِ فِي صَفْدِ (١)
 بِكُلِّ طَاقَتِهَا لَطْمًا بِلَا حَرْدِ (٢)
 كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ مَاضِعَى أَسَدِ

(١) الصفد — بفتح الصاد والفاء جميعا — القيد والوثاق (م)

(٢) الحرد — بفتح الحاء والراء جميعا — الغضب (م)

ومن أفاضهم في الاستدعاء

نحن في مجلسٍ قد أبت راحه أن تصفو لنا أو تتناولها يُمنَّاك ، وأقسم غناؤه
لاطاب أو تعيه أذناك ، فأما حدود نارنجيه فقد احمرَّت خجلاً لإبطائك ، وعيون
نرجسه قد حدقت تأميراً للقائك ، فحياتي عليك إلا تعجَّلت ، وما تمَّهلت .
نحن بغيتك كعقد تعييت واسطته ، وشبابٍ قد أخلقت جدته ؛ وإذ قد
غابت شمسُ السماء عنا ، فلا بد أن تدنو الأرض منا . أنت من ينتظم به شمل
الطرب ، وبلقائه يُبلغ كلُّ أرب . طرُّ إلينا طيران السهم ، واطلع علينا
طلوع النجم . ثب إلينا وثوب العزال ، واطلع علينا طلوع الهلال ، في غرة
شوال . كن إلينا أسرع من السهم إلى ممره ، والماء إلى مقره . جشم إلينا
قدمك ، واخلع علينا كرمك ، وإن رأيت أن تحضرنا لتتصل الواسطة بالعقد ،
ومحصل قهر بك في جنة الخلد ، وتسهم لنا في قر بك الذي هو قوت النفس ،
ومادة الأُنس .

ولهم في استدعاء الشراب

قد تألف لي شملُ إخوانٍ كاد يفترق لعوز المشروب ، واعتدنا فضلك
المعهود ، ووردنا بحرك المورد ، وأنا ومن ساحني الدهرُ بزيارته من إخواني
وأوليائك وقوفٌ بحيث يقف بنا اختيارك من النشاط والفتور ، ويرتضيه لنا
إيثارك من الهمم والسرور ، والأمرُ في ذلك إليك ، والاعتمادُ في جمع شمل
السررة عليك ؛ فإن رأيت أن تكلني إلى أولى الظنن بك فعلت . أطفُ
المن موقعا ، وأجلها في النفوس موعداً ، ماعمر أوطان السررة ، وطرده عوارض
الهمم والفكرة ، وجمع شمل المودة والألفة . قد انتظمت في رُققة لي في سبط
الثريا ، فإن لم تحفظ علينا النظام بإهداء المدام عُدنا كينات نَعش ، والسلام .
فرايك في إرواء غلتنا بما ينقعها ، والطول على جماعتنا بما يجمعها .

ولهـم في الكناية عن الشراب

قد نَشِطَ لتناول ما يستمد البِشْرَ، ويشرح الصَّدْرَ . قد استمطر سحابة الأُنْسِ ، واستندرتْ حُلُوبَةُ السرور ، وقدَحَ زَنْدَ اللّهُو ، فهو يَمْرِي دِمَاءَ العناقيد ، وَيَفْصِدُ عروقَ الدِّنانِ ، وَيَنْظُمُ عَهْدَ النَّدْمَانِ .

من الحسن
بن سهل إلى
الحسن بن
وهب

كتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب وقد اصطحب في يوم دَجَنٍ لم يمطر : أما ترى تكافؤ هذا الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب المطر وبعده ، كأنه قول كثير :

وإني وَهَيْأِي بعزّة بعدما تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ
لكالمربجي ظِلَّ الغمامة ، كلما تَبَوَّأُ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضمحلَّتْ

وما أَصْبَحَتْ أُمْنِيَّتِي إِلَّا فِي لِقَائِكَ ، فليت حِجَابَ النَّأْيِ هُتِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ !
رُفَعَتِي هذه وقد دارت زجاجاتٌ أوقعتْ بعقلي ولم تتَحَيَّفْهُ ، وبعثت نشاطا
حرّاً كني للكتاب ؛ فرأيتك في إمطارى سروراً بسارٍ خَبْرِكَ ؛ إذ حُرِمْتَ السرور
بمطر هذا اليوم ، موقفاً إن شاء الله .

من الحسن
بن وهب إلى
الحسن بن
سهل

وكتب الحسن بن وهب : وصل كتابُ الامير أبيده الله وفعي طاعيم ویدی عاملة ؛ ولذلك تأخر الجواب قليلا ، وقد رأيت تكافؤ إحسان هذا اليوم وإساءته ، وما استوجب ذنبا استحق به دماً ؛ لأنه إذا أشمس حكي حُسْنِكَ وضيائك ، وإن أمطر حكي جودك وسخائك ، وإن غام أشبه ظلك وفناءك ، وسؤالُ الامير عنى نعمة من نعم الله عز وجل أعنى بها آثارَ الزمان السيء عندي ؛ وأنا كما يُحِبُّ الأميرُ صرف الله الحوادث عنه ، وعن حَظِّي منه .

وذمّ رجلٌ رجلاً فقال : دعواته ولأثم ، وأفدأحه بحاجم ، وكنوسه
مخابر ، ونوادره بواذر .

لکشاجم وقال أبو الفتح كشاجم : كان عندي بعض المجان من النيذيين ، فسمعتي

وأنا أحمدُ اللهَ جلَّ ذِكْرُهُ في وسطِ الطعامِ لشيءٍ خطرَ بيالي من بِنِعْمِ اللهِ التي لا تُحصى، فنهض وقال: أَعْطَى اللهُ عَهْدًا إِنْ عَاوَدْتُ! وما معنى التحميد هنا؟ كأنك تُعَلِّمُنَا أَنَا قَدْ شَبِعْنَا. ثم مال إلى الدواة والقرطاس، وكتب ارتجالاً:

وَحَمْدُ اللهِ يَحْسُنُ كُلَّ وَقْتٍ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي أَوْلَى الطَّعَامِ
لَأَنَّكَ تُحْسِنُ الْأَضْيَافَ فِيهِ وَتَأْمُرُهُمْ بِإِسْرَاعِ الْقِيَامِ
وَتُوذِّنُهُمْ، وَمَا شَبِعُوا، بِشَبْعٍ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْكِرَامِ

وكتب المرعي إلى بعض إخوانه وقد ترك النبيذ:

إِنْ كُنْتُ تُبِتَ عَنْ الصَّهْبَاءِ تَشْرِبُهَا نُسْكَأَ فَمَا تُبِتَ عَنْ بَرٍّ وَإِحْسَانِ
تُبِّ رَاشِدًا، وَاسْقِنَا مِنْهَا، وَإِنْ عَدَلُوا فَمَا فَعَلْتَ نَقْلَ مَا تَابَ إِخْوَانِي

وقال بعض النبيذيين، وقد ترك الشرب:

تَحَامُونِي لِتَرْكِي شَرْبِ رَاحٍ أَقَمْتُ مَكَانَهَا الْمَاءَ الْقَرَّاحَا
وَمَا انْفَرَدُوا بِهَا دُونِي لِفَضْلِ إِذَا مَا كُنْتُ أَكْثَرَهُمْ مِرَاحَا
وَأَرْفَعَهُمْ عَلَى وَتِ وَصَنَجٍ وَأَطْرَفُهُمْ وَأَطْرَفَهُمْ مِرَاحَا
إِذَا شَفُوا الْجِيوبَ شَقَقْتُ جِنِّي وَإِنْ صَاحُوا عَلَوْتُهُمْ صِيَاحَا

فقر للنبيذيين

ما جِشَّتْ الدُّنْيَا بِأَطْرَفٍ مِنَ النَّبِيذِ، مَا لِلْعُقَارِ وَالْوَقَارِ. إنما العيشُ مع الطَّيِّسِ، الرَّاحِ تَرِياقِ سَمِّ الْهَمِّ. النبيذُ سترٌ فانظرُ مع مَنْ تهتكه. اشرب النبيذَ ما استبشعته، فإذا استطبَّته فدعه. لولا أَنَّ الحَمُورَ يَعْلَمُ قِصَّةَ لَقَدَمِ وَصِيَّتِهِ. الصَّاحِي بَيْنَ السَّكَارَى كَالْحَيِّ بَيْنَ الْمَوْتَى: يَضْحَكُ مِنْ عَقْلِهِمْ، وَيَأْكُلُ مِنْ نَفْلِهِمْ. أَحَقُّ مَا يَكُونُ السَّكْرَانُ إِذَا تَعَاوَلَا. التَّبَدُّلُ عَلَى النَّبِيذِ ظَرْفٌ، وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ سُخْفٌ، حَدَّ السَّكْرَانِ أَنْ تَغْرُبَ الْهَمُومُ، وَيُظْهِرَ السَّرَّ الْمَكْتُومُ.

وقال الحسن بن وهب لرجل رآه يعبس عند الشراب : ما نُصَقَّتْهَا ، تَمَحَّكُ
 فِي وَجْهِكَ ، وَتَعْبِسُ فِي وَجْهِهَا .

وقال الطائي :

إِذَا ذَاقَهَا ، وَهِيَ الْحَيَاةُ ، رَأَيْتَهُ يُعْبَسُ تَعْبِيسَ الْمَقْدَمِ لِلْقَتْلِ

وقد أحسن الشيخ صدر الدين حيث قال :

وَأَنْ أَقْطَبَ وَجْهِي حِينَ تَبَسُّمِي فَعِنْدَ بَسْطِ الْمَوَالِي يَحْفَظُ الْأَدْبُ
 وَتَرَكَ رَجُلٌ النَّيِّدَ ، قَقِيلَ لَهُ : لَمْ تَرَكَتَهُ ، وَهُوَ رَسُولُ السَّرُورِ إِلَى الْقَلْبِ ؟
 قَالَ : وَلَكِنَّهُ رَسُولٌ بَأْسٌ يُبْعَثُ إِلَى الْجَوْفِ فَيَذْهَبُ إِلَى الرَّأْسِ .

وقيل لبعضهم : ما أصبكت بالخمير ! فقال : إنها تُسْرَجُ فِي يَدِي بنورها ، وفي قلبي بسرورها
 كأنَّ النَّاشِيءَ نَظَرَ إِيَّيَ هَذَا الْكَلَامِ فَقَالَ :

رَاحٌ إِذَا عَلَتِ الْأَكْفَ كَثُوبُهَا فَكَأَنَّهَا مِنْ دُونِهَا فِي الرَّاحِ (١)
 وَكَأَنَّهَا الْكَاسَاتُ مِمَّا حَوْلَهَا مِنْ نَوْرِهَا يَسْبِخُنَ فِي ضَحَضَاحِ (٢)
 لَوْ بُثَّ فِي عَسَقِ الظَّلَامِ ضِيَاؤُهَا طَلَعَ الْمَسَاءَ بَغْرَةَ الْإِصْبَاحِ
 نَفَضَتْ عَلَى الْأَجْسَامِ نَاصِعَ لَوْنِهَا وَسَرَتْ بِلَذَّتِهَا إِلَى الْأَرْوَاحِ
 الْبَيْتِ الْأَوَّلِ كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

يُخْفِي الزَّجَاجَةَ ضَوْءُهَا ، فَكَأَنَّهَا فِي الْكُفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِيَاءِ (٣)
 وَلِلنَّاشِيءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَمُدَامَةٌ يَخْفَى النَّهَارُ لِنُورِهَا وَتَذَلُّ أَوْ كُنَافُ الدُّجَا لَضِيَاءِهَا
 صُبَّتْ وَأَخَذَقَ نَوْرُهَا بَرْجَاجِهَا فَكَأَنَّهَا جُعِلَتْ إِيَاءُهَا إِيَاءُهَا
 وَتَرَى إِذَا صُبَّتْ بَدَتْ فِي كَاسِهَا مِتْقَاصِرَ الْأَرْجَاءِ عَنْ أَرْجَائِهَا
 وَتَكَادُ أَنْ مُزِجَتْ لِرَفْقَةِ لَوْنِهَا تَمْتَّازُ عِنْدَ مَزَاجِهَا مِنْ مَائِهَا
 صَفْرَاءُ تُضْحِي الشَّمْسُ ، إِنْ قِيَسَتْ بِهَا فِي ضَوْئِهَا ، كَاللَّيْلِ ، فِي أَضْوَائِهَا

(١) الراح ، هنا : الكف (م) . (٢) الضحضاح : الماء القليل (م) .

(٣) الذي في الديوان « يخفي الزجاجة لونها » (م) .

وَإِذَا تَصَفَّحْتَ الْمَوَاءَ رَأَيْتَهُ
تَرَدَّادٌ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَاعِ بِقَدْرِ مَا
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ مِنْ تَوْلَدِ بُرَّتِهَا
كَدِرِ الْأَدِيمَةِ عِنْدَ حُسْنِ صِفَائِهَا
نُودِي بِهِ الْأَيَّامُ مِنْ أَجْزَائِهَا
مِنْ سُقْمِهَا، وَدَوَائِهَا مِنْ دَائِهَا
وَقَالَ :

إِنْ رُمْتَ وَضَفَ الرَّاحِ فَأَتِ بِمَا
هِيَ مَاءٌ يَاقُوتٍ، وَإِنْ مُزِجْتَ
فَكَأَنَّهَا وَجِبَابُهَا ذَهَبٌ
فِيهَا مِنَ الْأَوْصَافِ مِنْ قُرْبِ
فِي كَأَنَّهَا بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
كَلَّمْتَهُ بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ
وَلَأَهْلَ الْعَصْرِ : الدُّنْيَا مَعْشُوقَةٌ رِيْقُهَا الرَّاحُ . أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ ابْنِ
الرُّومِيِّ فِي صَاعِدِ بْنِ مَخْلَدٍ :

فَتَى هَاجَرَ الدُّنْيَا وَحَرَّمَ رِيْقَهَا وَهَلْ رِيْقُهَا إِلَّا الرَّحِيقُ الْمَوْرَدُ
وَلَوْ طَمِعْتَ فِي عَطْفِهِ وَوَصَّالِهِ أَبَاحَتْهُ مِنْهَا مَرَّ شَفَا لَا يُصْرَدُ
الْحُمْرُ أَشْبَهُ شَيْءًا بِالدُّنْيَا ؛ لِاجْتِمَاعِ اللَّذَاتِ وَالْمِرَارَةِ فِيهَا . الْحُمْرُ مَصْبَاحُ السُّرُورِ ،
وَلَسْكَنُهَا مِفْتَاحُ السُّرُورِ . لِكُلِّ شَيْءٍ سُرٌّ ، وَسِرُّ الرَّاحِ السُّرُورُ . لَا يَطِيبُ الْمُدَّامُ
الصَّافِي ، إِلَّا مَعَ النَّدِيمِ الْمُصَافِي .

وَمِنْ أَلْفَاظِهِمْ فِي صِفَاتِ مَجَالِسِ الْأَنْسِ وَآلَاتِ اللَّهِ وَذَكَرَ الْحُمْرُ
مَجْلِسُ رَاحِهِ يَاقُوتٍ ، وَنُورُهُ وَرْدٌ ، وَنَارُ نَجْمِهِ ذَهَبٌ ، وَنَرِجِسُهُ دِينَارٌ وَدَرَمٌ ،
يَحْمِلُهُمَا زَبَرْجَدٌ . عِنْدَنَا أُتْرُجُجٌ كَأَنَّهُ مِنْ خَلْقِكَ خَلِيقٌ ، وَمِنْ سَمَائِكَ ^(١) سُرُقٌ ،
وَنَارُ نَجْمِ كِكْرَاتٍ مِنْ سَفَنِ ذَهَبٍ ^(٢) ، أَوْ نَدَى أَبْكَارِ خُلُقْتِ . مَجْلِسُ أَخَذَتْ
فِيهِ الْأَوْتَارُ تَتَجَاوَبُ ، وَالْأَقْدَاحُ تَتَنَاوَبُ . أَعْلَامُ الْأَنْسِ خَافِقَةٌ ، وَالسُّنُّ الْمَلَاهِي

(١) الشائيل : السجاياء والطباع ، واحدها شمال (م) .
(٢) سفن : جلد سمك خشن يسفن به الخشب حتى تنذهب عنه آثار المبراة ،
شبه ما يسمى اليوم « سفرة » (م) .

ناطقة . ونحن بين بدور ، وكاسات تدور ، وبروق راح ، وشموس أقداح . قد
نشأت غمامة الند ، على بساط الورد . مجلس قد تفتحت فيه عيون النرجس ،
وقاحت مجامير الأترج ، وفتقت فارات النارج ، ونظمت ألسن العيدان ،
وقامت خطباء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، وطلعت كواكب الندمان ،
وامتدت سماء الند . مجلس من رآه حسب الجنان قد اضطفت عيونها ، فجعلت
في قدر من الأرض ، وتخيّرت فصوصها ، فنقلت إلى مجلس الأنس واللهو .
قد فضّ اللهو ختامه ، ونشر الأنس أعلامه . قد هبت للأنس ريح برقها الراح ،
ومحباها الأقداح ، ورعوها الأوتار ، ورياضها الأقمار . قد فرغنا للهو والدهر
عنا في شغل .

جُلُّ هذا من قول بعض أهل العصر :

كم جوى مثله رسمٌ مثل ودِّم قد طلّ أثناء طلل
ولال كلل الخلد بها لعب البين بربات الكلل
حبذا عيش الليالي باللوى لو تجافى الدهرُ عنا وغفل
إذ فرغنا فيه للهو وقد باتت الأقدارُ عنا في شغل
وأدرنا ذهباً في لهب كلما أحمَدَ بالماء اشتغل

قد اقتعدنا غارب الأنس ، وجريتنا في ميدان اللهو . عمدنا إلى أقداح
اللهو فأجلناها ، ولسراكب السرور فامتطيناها . قد امتطينا غوارب
السرور بالأقداح . مُدامة تورديج الورد ، وتحكى نار إبراهيم في
اللون والبرد ، ولست أدرى أشقى أم عقيق ، أم رحيق أم حريق . راح
كان الديوك صبّت أحداقها فيها . راح كأنما اشتقت من الروح والراحة .

قال ابن الرومي :

والله ما ندرى لإيةِ علّةٍ يدعونها في الراح باسم الراح
ألريحها أم روحها تحنت الحشى أم لارتياح نديمها المزناح

راحٌ كالنارِ والنورِ والنورِ ، أضفى من البلور ، ومن دمعِ المهجور . روح
 نورها من الكأسِ جسم ، كأنها شمسٌ في غلالةِ سرابٍ . شرابٌ أكادُ أقولُ :
 هو أضفى من مودتي لك ، ومن نعمِ اللهِ عندي فيك ، وأطيبُ من إسعافِ
 الزمانِ بلقائك . مُدامةٌ قد سبكَ الدهرُ تَبْرَها فصفاً . داسٌ كأنها نورٌ ضميرُهُ
 نارٌ . راحٌ كياقوتةٍ في دُرَّةٍ ، أضفى من ماءِ السماء ، ودمعِ العاشقةِ المرهأءِ (١) ،
 أحسن من الدنيا المُقبِلة ، والنعمِ المكلمة . أحسن من العافية في البدن ، وأطيب
 من الحياة في السرور . أرقٌ من نسيمِ الصبَا ، وعهدِ الصبَا . أرقٌ من دمعِ
 محبٍ ، وشكوى صبٍ . أرقٌ من دموعِ العشاقِ ، مرَّتْها لوعةُ الفراقِ .
 مُزجٌ نارُ الرّاحِ بنورِ الماءِ . راحٌ كأنها معصورةٌ من وجنةِ الشمسِ ، في
 كأسٍ كأنها مخروطةٌ من فِلَقَةِ البَدْرِ . كأسها ملءُ اليدِ ، وريحها ملءُ البَلَدِ ،
 تصبُّ على الليلِ ثوبَ النهارِ ، كأنها في الكأسِ معنى دقيقٌ في ذَهْنٍ لطيفِ .
 كأنَّ الرّاحَ من خدِّه معصورةٌ ، وملاحهُ الصورةُ عليها مقصورةٌ . وهذا من
 قولِ الطائي * كأنها من خدِّه تُعصرُ * وقال عبد السلام بن رَغَبانِ الملقبِ
 بديك الجن الشاعر المشهور :

معتقةٌ من كَفِّ ظنبي كأنما تناوَلها من خدِّه فأدارَها
 تمسَّت الصَّهْبَاءُ في عِظامِهِمْ ، وترَقَّتْ إلى هَامِهِمْ ، وماستُ في أعْطافِهِمْ ،
 ومالتُ بأطرافِهِمْ . سارتُ فيهِم الكُثُوسُ ، ونالتُ مِنْهُم سَوْرَةُ الخَنْدَرِيسِ (٢) .
 شربت عقولَهُمْ ، وملكتُ قلوبَهُمْ .

وقال أبو نُوَاسٍ ، وهو أستاذُ الناسِ في هذا الشأنِ :

صِفَةُ الطولِ بِلَاغَةُ القَدَمِ فاجعل صفاتك لا بِنَةِ الكَرِيمِ
 تصفُ الطولَ على السماعِ بها أفدُهُ العِيانِ كِتابَتِ العِلمِ

(١) مرهأء : بيضاء . (٢) الخندريس ، والصهباء : من أسماء الخمر .

وإذا وصفت الشيء متبعا لم تخلُ من غلطٍ ومن وهمٍ

وقال :

الكأس أهواها وإن رزأت صفراء مجدها مرآزٍ بها
ذخرتُ لآدمَ قبل خلقته فاعذر أخاك فإنه رجلٌ
بُلغَ المعاشِ وقللتُ فضلي^(١) جلتُ عن النظراءِ والمثلِ
فتقدمته بخطوة القبلِ مرنتُ مسامعهُ على العذلِ

وقال :

فتسليتُ بشرِبِ عُقارٍ فتناساها الجديدان حتى
وافترعنا مرةً الطعمِ بها واحتسبنا من رحيقِ عتيق
لم يُحِفها مِبزلُ القومِ حتى أو كعرقِ السامِ تنشقَّ منه
نشأتُ في حِجرِ أمِّ الزمانِ هي أنصافِ شطورِ الدنانِ
نزقُ البكرِ ولينِ العوانِ وشديدِ كاملِ في ليانِ
نجمتُ مثلَ نجومِ السنانِ شُعبٌ مثلِ انفراجِ البنانِ

وقال :

وخدين لذاتٍ معلل صاحب قال: أُنغني المصباح، قلتُ له: أتتدُّ
فسكبت منها في الزجاجِ شربةً وهذا كقوله :

يقتاتُ منه فكاهةً ومزاحا حسبي وحسبُك ضوءُها مصباحا
كانت له حتى الصباح صباحاً

وخمارٍ أُنحِتُ عليه ليلا فترجم والسكرى في مُقلتيه
أبن لي كيف صرت إلى حريمي فلائصَ قد تعبين من السفار^(٢)
كمخمورٍ شكا ألم الخمارِ وجفنُ الليلِ مكتحلُ بقارِ

(١) بلغ المعاش : مواد الرزق، واحدها بلغة ، بالضم (م) .

(٢) القلائص : جمع قلوص ، وهي الناقة الفتية ، يريد ألقى عنده عصا السفر ،

وفي الديوان « حططت عليه » وفيه « قدونين » (م) .

رَأَيْتُ الصَّبْحَ مِنْ خَلَلِ الدِّيَارِ
وَمَا صَبَحٌ سِوَى ضَوْءِ الْعُقَارِ
فَعَادَ اللَّيْلُ مَسْدُولَ الْإِزَارِ

خَبَلًا، وَتُوذِنُ رُوحَهُ بِرَوَاحِ
سَكْرًا، وَأَسْلَمَ رُوحَهُ لِلرَّاحِ

مِسْكًَا تَضَوَّعَ فِي الْإِنَاءِ عَتِيقًا
كَفُّ النَّدِيمِ قِنَاعَهَا مَشْقُوقًا
فَكَأَنَّهُ سَبَّحَ أُعْيِدَ عَقِيقًا

حَوَاشِيهَا مَا مَجَّ مِنْ رِيْقَةِ الْعِنَبِ
تَرْبُوعَ مَاءِ الدَّرِّ فِي سُبُكِ الدَّهَبِ
غَزَالٌ بِحَنَاءِ الزَّجَاجَةِ مَخْتَصِبٌ

لِفَاتٍ، وَلَا جِسْمٌ يَبَاشِرُهُ لَمَسُ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ مَا تَذَكَّرُ النَّفْسُ

عُقَارًا كَمَثَلِ النَّارِ حَمْرَاءَ قَرَفَا
تَدَقُّ يَا قُوتًا وَدُرًّا مُجَوَّفَا
وَحَاتِ سَنَاهَا بَارِقًا قَدْ تَكَشَفَا

فَقُلْتُ لَهُ : تَرَفَّقْ بِي ؛ فَإِنِّي
فَكَانَ جَوَابُهُ أَنْ قَالَ : كَلَّا
وَقَامَ إِلَى الدَّنَانِ فَسَدَّ فَاهَا
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

مَا زَالَ يَشْرِبُهَا وَتُشْرَبُ عَقْلُهُ
حَتَّى أَنْتَنِي مَتَوَسِّدًا بِيَمِينِهِ
وَقَالَ الصُّنُوبِيُّ وَذَكَرَ شَرَبًا^(١) :

نَازَعْتَهُمْ كَأَسَا تَخَالُ نَسِيمَهَا
شَقَّتْ قِنَاعَ الْفَجْرِ لَمَّا غَادَرَتْ
صَبِغَتْ سَوَادَ دَجَاهُ حَمْرَةَ لَوْنِهَا
وَقَالَ أَبُو الشَّيْخِ :

وَكَأْسٌ كَسَا السَّاقِ لَنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ
كَأَنَّ اطْرَادَ الْمَاءِ فِي جَنَابَتِهَا
سَقَانِي بِهَا، وَاللَّيْلُ قَدْ شَابَ رَأْسُهُ،
وَقَالَ أَبُو عَدَى الْكَاتِبِ :

لَيْسَ لَهَا حَدٌّ تُحِيطُ بِوَصْفِهِ
وَلَكِنَّهُ كَالْبَرْقِ أَوْ مَضٍّ مَاضِيًا
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَلِفَاسِقِيْنِيهَا قَدِمَسَى الصَّبْحَ فِي الدُّجَى
فَنَاولَنِي كَأَسًا أَضَاءَتْ بَنَانُهُ
وَلَمَّا أُرِينَاهَا الْمَزَاجَ تَسَعَّرَتْ

(١) الشرب - بالفتح - هم الفوم يشربون .

يطوف بها ظنبي من الإنس شادين يقلب طرفاً فاسقَ اللحظِ مدّنفًا
 عليم بأسرار الحبين حاذق بتسليم عينيه إذا ما تخوفا
 فظل يُناجيني يُقلب طرفه بأطيب من نجوى الأمانى والألفا
 وقال :

ألا عَجُّ على دار السرورِ فسلم وقل : أين لذاتي وأين تكلمي؟
 وقل : ما حلت بالعين بعدك لذة سواك ، وإن لم تعلمي ذلك فاعلمي
 وصفراء من صبغ المزاج برأسها ، إذا مزجت ، إكليل دُرٍّ منظم
 قطعت بها عمر الدجى وشربتها ظلامية الأحشاء نورية الدّم

[من رسائل بديع الزمان الهمذاني]

كتب أبو الفضل بديع الزمان إلى أبي عدنان بن محمد الضبي^(١) يعزيه عن

بعض أقاربه :

إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ حوادته أناحَ بأخرينا
 فقل للشامتين بنا أفيقوا سيمتقي الشامتون كما لقينا

أحسن ما في الدهرِ عمومُه بالنوائب ، وخصوصه بالرغائب ، فهو يدعو
 الجفلى^(٢) إذا شاء ، ويخصُّ بالنعمة إذا شاء ، فليفكر الشامت ؛ فإن كان أفلت ، فله
 أن يشمت ، ولينظر الإنسان في الدهر وضروفه ، والموتِ وصنوفه ، من فاتحة أمره ،
 إلى خاتمة عمره ؛ هل يجد لنفسه ، أثرًا في نفسه ؛ أم لتدييره ، عونًا على تصويره ،
 أم لعمله ، تقديمًا لأمله ، أم لحيله ، تأخيرًا لأجله ؛ كلا ، بل هو العبدُ لم يكن شيئًا
 مذكورًا ؛ خلق مقهورًا ، ورزق مقدورًا ، فهو يحيا جبرًا ، ويهلك صبرًا ،
 وليتأمل المرء كيف كان قبلا ؛ فإن كان العدم أصلًا ، والوجود فضلًا ، فليعلم

(١) الذي في الرسائل (ص ٢١٢ بيروت) « إلى أبي عامر عدنان بن عامر

الضبي » وفي العبارات قليل من الاختلاف عما هنا (م) .

(٢) الجفلى - بفتح الجيم والفاء واللام - الدعوة العامة التي لا يخص بها واحد

دون آخر ، والدعوة الخاصة يقال لها « النقرى » بفتحات أيضا (م) .

تمت
 إلى أبي عدنان
 محمد الضبي

الموتِ عَدْلًا ؛ فالعاقل من رَقَعَ من جوانب الدهر ماساء بما سرّ، ليذهب ما نَفَعَ بما ضرّ؛ فإن أحبّ الأيْحَنَ فليُنظَرِ يَمَنَةً، هل يرى إلا مِحْنَةً، ثم ليعطف بِسِرَّةٍ، هل يرى إلا حَسْرَةً؟ ومثلُ الشيخِ الرئيسِ - أطال اللهُ بقاءه! - من فِطْنٍ لهذه الأَسْرارِ، وعَرَفَ هذه الديارَ، فأعدَّ لنعيمها صَدْرًا لا يملؤه فرحًا، ولبؤسها قَلْبًا لا يطيره تَرَحًا؛ وصحب البريةَ برأى من يعلم أن للمتعة حدًّا، وللعاريةَ رَدًّا، ولقد نُعيَ إلى أبو قبيصة قدس الله رُوحه، وبرّد ضريحه، فعُرِضت على آمالي قُعودًا، وأمانى سودًا، وبكيت، والسخى جوده بما يملك، وضحكت، وشرّ الشدائد ما يُضْحِكُ، وعضضت الأصبع حتى أدْمَيْتُهُ، وذمّت الموت حتى تَمَنَيْتُهُ؛ والموتُ أطال الله بقاء الشيخ الرئيس خَطْبٌ قد عَظُمَ حتى هان، وأمر قد خشن حتى لَانَ، وُنكِرُ قد عمَّ حتى عادَ عُرْفًا؛ والدنيا قد تنكّرت حتى صار الموت أخفَّ خطوبها، وقد خبثت حتى صار أقلَّ عيوبها، ولعل هذا السهم قد صاب آخر ما في كِنَانَتِهَا، وأنكأ ما في خزانَتِهَا، ونحنُ معاشرَ التَّبَعِ نتعلمُ الأدبَ من أخلاقه، والجَمِيلَ من أفعاله، فلا نَحْتَمِ على الجَمِيلِ وهو الصبر، ولا نرغبُه في الجزيل وهو الأجر؛ فَلْيَبْرَ فِيهِمَا رَأْيَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ .

كتاب منه
لبعض إخوانه

وله إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب كتبه يهنئه بمرض أبي بكر الخوارزمي وكانت بينهما مُقَارَعَةٌ، ومنازعة، ومنافرة، ومهاترة؛ ولهما مجالس مستظرفة قهره البدیعُ فيها وبهره، وبكته حتى أشكته، ليس هذا موضعها، لكنني أذكر بعد هذه الرسالة بعضَ مكاتبات جرتَ بينهما؛ إذ كان ما لها من الابتداء والجواب آخذاً بوصلِ الحكمةِ وَفَضْلِ الخُطابِ :

الحرُّ أطال الله بقاءك - لا سيما إذا عرف الدهرَ معرفتي، ووصف أحواله صفتي - إذا نظر علم أن نِعَمَ الدهرِ ما دامت معدومة فهي أمانى، وإن وُجِدَتْ فهي عَوَارِي، وأنَّ مِحْنَ الأيامِ وإن طالَت فستنفد، وإن لم تُصب فكانت قد، فكيف يشمت بالمِحْنَةِ مَنْ لا يَأْمَنُهَا فِي نَفْسِهِ، ولا يَعْدُمُهَا فِي جَنَسِهِ، والشامت

إن أفلتَ فليس يُقوت ، وإن لم يمتْ فسيموت ؛ وما أقبَحَ الشّامة ، بمن أمين
الإمامة ، فكيف بمن يتوقّعها بعد كل لحظة ، وعقب كل لفظة ، والدّهْرُ
غرثان طعمه الخيار^(١) ، وظمان شربُه الأحرار ، فهل يشمت المرء بأنياب آكله ،
أم يُسترُّ العاقل بسلاح قاتله ؟ وهذا الفاضل شفاه الله وإن ظاهرناه بالعداوة قليلا ،
فقد باطنأه وُدًا جميلا ، والحُرُّ عند الحمية لا يصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ،
وعند الشدائد تذهب الأحقاد . فلا تتصور حالتى إلا بصورتها من التوجُّع
لعلته ، والتحرُّن لمرضته ، وقاهُ واللهُ المكروه ، ووقانى سماع الحذور فيه ، بمنه
وحوله ، ولطفه وطوله .

قال البديع في سياقة أخباره مع أبى بكر الخوارزمي :

أولها أنا ووطننا خرّاسان ، فما اخترنا إلا نيسابور داراً ، وإلا جوار السادة
جوارا ، لا جرم أنا حططنا بها الرّحل ، ومددنا عليها الطنب ، وقديما كنا
نسمعُ بحديث هذا الفاضل فنتشوقه ، وبخبره على الغيب فنتعشقه ، ونقدّر أنا
إذا ووطننا أرضه ، ووردنا بلدّه ، يخرج لنا في العشرة عن القشرة ، وفي المودة
عن الجلدة ، فقد كانت كلمة الغربة جمعتنا ، ولحمة الأدب نظمتنا ، وقد قال
شاعر القوم غير مدافع^(٢) :

أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

فأختلف ذلك الظن كل الإخلاف ، واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف ،
وكان قد اتفق علينا في الطريق من العرب اتفاق ، لم يوجبه استحقاق ، من بزة
بزوها ، وفضة فضوها ، وذهب ذهبوا به ، ووردنا نيسابور براحة ، ألقى من

(١) غرثان : جوعان ، والطعم : المطعوم (م)

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي (م)

الراحة ، وَكِسٍ أَخْلَى مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ^(١) ، وزى أَوْحَشَ مِنْ طَلْعَةِ الْمَعْلَمِ ، بل
اطلاعة الرقيب ، فما حَلَلْنَا إِلَّا قِصْبَةَ جِوَارِهِ ، ولا وَطِئْنَا إِلَّا عَتَبَةَ دَارِهِ ؛ وهنا
بعد رُقْعَةٍ قَدَّمْنَاهَا ، وأحوالِ أُنْسٍ نَظَمْنَاهَا -

ونسخة الرقعة : أنا بقرب الأستاذ أطل الله بقاءه كما طرب البشوان مالت
به الحميرُ ، ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلبلة القطرُ ، ومن الامتزاز بولائه
كما التقت الصهباء والبارد العذبُ ، ومن الابتهاج لمزازه كما اهتزت تحت البارح
الغصنُ الرطبُ ، فكيف نشاطُ الأستاذ سيدي لصديقٍ طراً إليه مما بين
قصبتي العراق وخراسان ، بل عتبتى نيسابور وجرجان ؟ وكيف اهتزازه لضيف :

رثَ الشائلُ مَخْلَقَ الْأَنْوَابِ بَكَرَتْ عَلَيْهِ مُغَيَّرَةُ الْأَعْرَابِ
وهو - أيدَه اللهُ ! - وليُّ إنعامه ، بإنفاذ غلامه ، إلى مستقرِّي ، لأفضي إليه
بما عندي - إن شاء الله -

فها أخذتنا عينه سقانا الدردي من أوَّلِ دَنَه ، وأجنانا سوءَ
العشرة من با كورة فنه ، من طرفٍ نظَرَ بِشَطْرِهِ ، وقيامٍ دَفَعَ فِي صَدْرِهِ ،
وصديقٍ استهان بقدره ، وضيفٍ استخفَّ بأمره ؛ لكننا أقطعناه جانب
أخلاقه ، ووليناها خُطَّةَ نفاقه ؛ فواصلناه إذ جانب ، وقاربناه إذ جاذب ،
وشربناه على كدورته ، ولبسناه على خشوته ، ورددنا الأمر في ذلك إلى زِي
استغته ، ولباس استرثه ، وكاتبناه نستمدُّ وداده ، ونستلين قياده ، ونُقيمُ مناداه ،
بما هذه نسخته :

الأستاذ أبو بكر ، والله يطيل بقاءه ، أزرى بضيفه أن وجده يضربُ إليه
أباطَ القلَّة ، في أطهار الغربة ، فأعمل في رُتبتِهِ أعمالَ المصارفة ، وفي الاهتزاز
إليه أصناف المضايقه ، من إيماء بنصفِ الطرف ، وإشارة بشطرِ الكف ،

(١) الحمار هنا يقال : هو الحيوان المعروف ، وخلو جوفه كناية عن كونه لا
يتنفع منه بشيء ، وقيل : الحمار رجل من عاد ، وجوفه : واد كان يحمله وكان ذا ماء
وشجر ، فكفر بنعم الله عليه ، فأهلكه الله وأقفر واديه (م) .

ودَفَع في صدر القيام عن التمام ، ومَضَع للكلام ، وتكَلَّف لردِّ السلام ؛ وقد
 قبلت ترتيبه صَعْرًا ، واحتملته وزرا ، واحتضنته نكراً ، وتأبطنه شراً ، ولم آله
 عُدراً ؛ فإن المرءَ بالمال وثياب الجمال ، ولست مع هذه الحال وفي الاسمال ، أتقرز
 من صفِّ النعال ، فلو صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، لقلت : إنَّ بؤادينا
 ناعية صباح ، وراغية رَواح ، وناسا يجرون المَطَارِف ، ولا ينعون المعارف :
 وفيهم مقاماتُ حِسانَ وجوههم وأنديّة يَنتابُها القولُ والفِعْلُ

فلو طوّحت بأبي بكر - أيده الله - إليهم مطارحُ القُرْبَةِ ، لوجد منزل
 البشرِ رحبياً ، ومحطّ الرّخْلِ قريبا ، ووجه المضيفِ حَسِيباً ؛ فرأى الأستاذ
 أبي بكر أيده الله في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه وُدٌّ ، والمرّ الذي يَتَلَوُّهُ
 شَهِد ، موفقٌ إن شاء الله .

فأجاب بما نسخته : وصلت رُقعةُ سيدي ورئيسي أطلال الله بقاه إلى آخر
 السِّكْبَاجِ^(١) ، وعرفت ما تصنّته من حَسَنِ خطابه ، وموؤلم عتابه ، وصرفت
 ذلك منه إلى الضَّجْرَةِ التي لا يخلو منها مَنْ مَسَّه عُسر أو نَبَّاه دَهر ؛ والحمد لله
 الذي جعلني موضعَ أنسه ، ومظنّةَ مشتكى ماني نفسه ، أما ماشكاه سيدي ورئيسي
 مِنْ مضايقتي إياه في القيام ، فقد وفيته حقّه - أيده الله - سلاماً وقياماً ، على
 قَدْرِ ماقدَرْت عليه ، ووصلت إليه ، ولم أَرْفَعْ عليه إلا السيدَ أبا البركات [العلوي]
 أدام الله عزه ، وما كنتُ لأرفع أحداً على مَنْ أبوه الرسول ، وأُمّه البتول ، وشاهداه
 التوراة والإنجيل ، وناصراه التأويل والتنزيل ، والبشير به جبريل وميكائيل ؛
 فأما القوم الذين صدر عنهم سيدي فكما وصف : حسن عشرة ، وسداد طريقة ،
 رجال تفصيل وجملة ، ولقد جاوَزْتهم فأحمدت المراد ، ونلت المراد :

(١) السكباج : طعام يتخذ من اللحم والحل والمرق . والمراد هنا ألوان العتاب
 الذي قدمه (م) .

فإن كنت قد فارقت نجداً وأهلهُ فما عهد نجدٍ عندنا بذيهم
والله يعلم نيتي للأحرار^(١) كافة، ولسيدي من بينهم خاصة؛ فإن أعاني الدهرُ
على ما في نفسي بلغتُ له ما في النية، وجاوزتُ به مسافةَ القدرِ والأمنية، وإن
قطع على طريقِ عزمي بالمعارضة، وسوء المناقضة، صرفتُ عياني عن طريق
الاختيار، بيد الاضطرار.

فما النفسُ إلا نطفة بقرارةٍ إذا لم تُكدرْ كان صفواً غديرها^(٢)
وبعد، فبخذا عتابُ سيدي إذا استوجبنا عتاباً، واقترفنا ذنباً؛ فأما أن
يسلفنا العربةَ فنحن نضوئُه عز ذلك، ونضون أنفسنا عن احتماله، واست
أسومه أن يقول: (استغفرُ لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين)، ولكن أسأله أن
يقول: (لا تُتْرِبَ عليكم اليومَ يغفر الله لكم وهو أرحمُ الراحمين).
فحين وَرَدَ الجواب وعينُ العذرِ رَمِدَةً تركناه بعمره، وطوينا على غره،
وعمدنا إلى ذِكْرِهِ فسحوناه، ومن صحيفتنا محوناه، وصيرنا إلى اسمه فأخذناه
ونبذناه، وتنكبنا خطته، وتجنبنا خطته^(٣)، فلا طرنا إليه، ولا صرنا به، ومضى
على ذلك الأسبوع، ودبت الأيام، ودَرَجت الليالي، وتطاوت المدة، وتصرَّم
الشهر، وصيرنا لا نُعِيرُ الأسماعَ ذِكْرَهُ، ولا نودعُ الصدورَ حديثه؛ وجعل
هذا الفاضل يستزيد، ويستعيد، بألفاظ تقطعها الأسماع من لسانه، وتؤديها إلى،
وكلمات تحفظها الألسنة من فمه، وتعيدها على؛ فكاتبناه بما هذه نسخته:

أنا أريدُ من الأستاذ سيدي - أطال الله بقاءه - شريعةً ودّه وإن لم تصفُ،
وألبسُ خلعة برّه وإن لم تصفُ، وقصاراي أن أكيه صاعاً عن مدٍّ؛ فإني وإن
كنتُ في الأدب دعيّ النسب، ضيق المضطرب، سيء المنقلب، أمتُّ إلى
عشرة أهله بنية، وأنزع إلى خدمة أصحابه بطريقة، ولكن بقي أن يكون
الخليطُ مُنصفاً في الوداد، إذا زرت زاراً، وإن عدتُ عاد، وسيدي - أبقاه الله -

(١) في الرسائل (ص ٣٤ بيروت) «للاخوان كافة» (م).

(٢) في الرسائل «كان صفواً ومعينها» (م). (٣) في الرسائل «وتجنبنا خطته» (م).

ناقشني في القبول أولاً^(١)، وصارمني في الإقبال آخراً؛ فأما حديث الاستقبال، وأمر الإنزال والأنزال^(٢)، فنطاق الطمع ضيق عنه، غير متسع لتوقعه منه، وبعد فكلفة الفضل بيّنة، وفروض الودّ متعيّنة، وأرض العشرة ليّنة، وطرقها هيّنة، فلم اختار قعود التّعالى مركباً، وصعود التّغالي مذهباً؛ وهلاً ذاد الطير عن شجر العشرة، وذاق الحلو من ثمرها؛ فقد علم الله أن شوقي إليه قد قدّ الفؤاد بزحاً إلى برح، ونكاه قرحاً إلى قرح، ولكنها مرة مرّة، ونفس حرّة، لم تقدّ بالإعظام، ولم تلق إلا بالإجلال والإكرام، وإذا استعفاني من معاتبته، فأعفى نفسه من كلف الفضل يتجشّمها، فليس الأغصص الشوق أنجرعها، وحلل الصبر أتدرعها، ولم أعره من نفسي، وأنا لو أعرت جناحي طائر لما طيرت إلا إليه، ولا وقعت إلا عليه:

أحبك يا شمسَ النهار وبدوّهُ وإن لأمني فيك السها والفرأقيدُ

وذاك لأنّ الفضلَ عندك باهرٌ وليس لأنّ العيشَ عندك باردُ

فلما وردت عليه الرقعة حشد تلاميذه وخدمته، وجشم للإيجاب قدمه^(٣)؛ وطلّع علينا مع الفجر طلوعه، ونظمتنا حاشيتنا دار الأمير أبي الطيب؛ فقلنا: الآن تشرق الحشمة وتنور، ونُنجدُ في العشرة ونُعور، وقصدناه شاكرين لما أتاه، وانتظرنا عادة برّه، وتوقعنا مادة فضله؛ فكان خلّباً شمناء، وآلاً وردّناه^(٤)، وصرفنا في تأخره وتأخرنا عنه إلى ما قاله ابن المعتز:

إنّا على البعاد والتفرّق لنلتقي بالذكر إن لم نلتقي

وأشدنا قول ابن عسرنّا^(٥):

أحبك في البتول وفي أيها ولكني أحبّك من بعيدِ

(١) في الرسائل «ناقشني في الحساب القبول أولاً وصارمني في الإقبال ثانياً» (م).

(٢) الإنزال - بكسر الهمزة - مصدر أنزله، والأنزال - بالفتح - جمع نزل، وهو ما يقدم للضيف (م).

(٣) في الرسائل «وجشم الإيجاب قدمه» (م).

(٤) الحلب - بزنة سكر - البرق الذي لا يعقبه مطر، والآل: السراب (م).

(٥) في الرسائل ذكر بعد هذه العبارة البيتين السابقين اللذين أولهما «أحبك

وبقينا نلتقي خيالا ، وتقع بالذكر وصالا ، حتى جعلت عواصفه تهب ،
وعقار به تدب .

والجلس طويلٌ جدًّا .

قلت : إن كنتُ خرجتُ طولَ هذا الكلام عن ضبط الشرط ، فلعلِّي
أُسامح فيه لفضله ، وعدم مثله ، وهو وإن كان في باب الاتصال ، فهو بتقدير
الانفصال ، لقيام كلِّ رسالةٍ بذاتها ، وانفرادها بصفاتِها .

وكتب إلى رئيس هراة عدنان بن محمد يصف ما جرى بينه وبين الخوارزمي :
كتاب منه لرئيس هراة
ما أؤم هذا الفاضل على بساط شرِّ طواه ، وموقد حَرَبٍ اجتواه ، ولكني
أؤمه على مانواه ؛ ثم لم يتبع هواه ، ورامه ، ثم لم يبلغ آثامه ، وأقول : قد ضرب
فأين الإجماع ؟ وأبذر فأين الإيقاع ؟ وهذه بوارقه ، فأين صواعقه ؟ وذلك وعيده ،
فأين عديده ؟ وتلك بنوده ، فأين جنوده ؟ وأنشد :

* هذى معاهده فأين عهدوه ؟ *

وما أهول رَعَدَه ، لو أمطر بعده ! اللهم لأكفران ، ولعن الله الشيطان ،
فإنه أشفق لغريب أن يظهر عوارَه ، وإن طارَ طواره (١) ، وإن كان قصد هذا
القصد فقد أساء إلى نفسه من حيث أحسن إلى ، وأجحفَ بفضله من حيث أبقى
عليّ ، وأؤم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يرؤضه ، وشجعتني
على لقائه ، بعد ما برعتني (٢) بإيمانه ، فبينما كنت أنشد :

* إن جنبي على الفراش لناب *

إذ أنشدت :

* طاب لي وطاب فيه شرابي *

(١) العوار - بزنة سحاب - العيب ، والطوار - بزنة سحاب أيضاً - الحوم
حول الشيء .

(٢) برعتني : غلبني ، والإيماء : الإشارة .

و بينا أنا أقول :

* ما قلبي كأنه ليس مني *

إذ قلت :

* أين من كان مُوعداً لي بأني *

فلو أن هذا الفاضل قضى حقنا بالزيارة عند قدومنا أو الاستزارة ، لكان في الضرب أحسن ، وفي طريق المعاشرة أذهب . لا ، ولكنه وعد بالمباراة أولاً ، وهددنا بالمسائل ثانياً ، وأخلف بالتخلف ثالثاً ؛ فأبلغ وجدى إليه ، وأعرض شوقى عليه ، وقل له إن كنت ندمت على النضال ، فلا تندم على الإفضال ، فإن طويتناحيث الجهاد ، قانسرتناحيث الوداد ، وإن لم تلقنا في باب المكاشرة ، فأتنا من باب المعاشرة . وله إلى الإمام أبي الطيب سهل بن محمد : قد كان الشيخ يعدني عن هذه الحضرة عداتٍ أشم لها الأنف ، لا ذهاباً بتلك القواضل عنها ، لكن استحالة من هذا الزمان أن يجود بها ؛ فحين أسرفت على الحضرة ماجت إلى أمواج الشرف منها ، وخلص إلى نسيم الكرم عنها ، وأتحفني على رسم الإجلال بمركوب شامخ ، ومركب ذهب سابغ ، وجنيب^(١) شرف زائد؛ وسرت بحمد الله محفوظاً بأعيان الكتاب ، وعيون الرجال ، حتى شافهت بساط العز ، مستقبلاً ملك الشرق أدام الله علوه ، فجذب بضبعي عن أرض الخدمة ، إلى جوار وليّ النعمة ، حرس الله مكانه ، فاهتز اهتزازات سمة الإكرام ، وتجاوز ارمم الإعظام إلى القيام ، فقبلت من يمناه مفتاح الأرزاق ، وفتاح الآفاق ، ولحقت منه بقباب العقاب^(٢) ، وخاطبني بمخاطبات نشدت بها ضالة الكرام ، وهلم جراً إلى ماتبعها من جميل الإنزال ، وسني الأجزال^(٣) .

كتاب منه
للإمام سهل
ابن محمد

(١) أصل الجنيب : الفرس تجنبه مع الذي تركبه لتركبه إذا تعب المركوب ، وفي الرسائل « وحين شرف زائد » (م) .

(٢) قاب العقاب : هو يبيضه الذي يضرب به المثل في عزة المنال .

(٣) الأجزال : النعم الجزيلة ، وسنها : شريفها ، وانظر ص ٤٨٠ هامشة ٢ .

وطرأت من الشيخ العميد على شخص يسعه الخاتم، ولا يسعه العالم، ويهتز
عند المكارم كالغصن، ويثبت عند الشدائد كالرُكن، وسلطان يحلم حلم السيف
مُعَمِّداً، ويغضب مجرّداً، فهو عند الكرم لئبٌ كصَفْحَتِهِ، وعند السياسة خشنٌ
كشَفْرَتِهِ، وملاك يَأْتِي الكرم تَبَّةً، والفضل سَجِيَّةً، ويفعل الشرَّ ككُلْفَةِ
أَوْخِطِيَّةٍ، فهو ضرورٌ بآلاته، نفوعٌ بذاته، عطارِدٌ قَلْمُهُ ودَوَاتُهُ، والمريح
سَيْفُهُ وقَنَاتُهُ؛ عَيْبُهُ أَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ، فيصرف عَيْنَ الكَمَالِ عن معاليه .

وصادفت من الشيخ الموفق أيده الله ملكاً يُشَاهِدُ عِيَاناً، وجبلاً قد سُمِّيَ
إِنْسَاناً، وحسناً قد مُلِيَ، إِحْسَاناً، وأَسَدًا قد لُقِّبَ سُلْطَانًا، وَبَجْرًا قد أَمْسَكَ
عِنَانًا، وحطّطت رَحْلِي بفناء الأمير الفاضل أبي جعفر أدام الله عزّه، فوجدت
حكماً في ماله أَفْذً من حكمه، وقسَمِي من غِنَاهُ أَوْفَرَ من قَسَمِهِ، وَأَسْمِي في
ذاتِ يَدِهِ مَقْدَمًا على اسْمِهِ، وبِيَدِي إلى خزانته أُسْرَعُ من يَدِهِ، وإن قصدت أن أُفْرِدَ
أَكْلَ مَدْحًا، وأعبر الجملة شرحاً، أَطَلْتُ، فهِلْمُ جَرًّا إلى ما افتتحت الكتاب لأجله .
ورد للخوارزمي كتاب يتقلّب فيه على جنبِ الحردِ، ويتقلّى على جَمْرِ الضَجَرِ،
يتأوّه من سُحَارِ الخجلِ، ويتعشّرُ في أَذْيَالِ الكَلَلِ، ويذكر أنَّ الخاصة قد
لمت لأينا كان^(١) الفلج، فقلت: است البائن أعلم، والخوارزمي أعرف، والأخبار
لنظاهرة [أعدل، والآثار الظاهرة] أَصْدَقُ، وحلّبة السباق أحكم، وما مضى
بيننا أشهد، والعودُ إن نشط أحمد، ومتى استزاد زدنا، وإن عادت العقرب
عُدْنَا، وله عندي إذا ما شاء، كلُّ ما شاء!

وهي طويّلة فيها هَنَاتٌ ضنّتُ الكتابَ عنها، وقد أعادَ البديع معنى قوله في
صدر حكايته مع الخوارزمي، فقال في رقعة كتبها إلى سعيد الإسماعيلي، وقد
وقفت به الضرورة على تلك الصورة من سلب العرب ماله:

كتابي، بل رُقْعَتِي، أطل الله بقاء الشيخ، وقد بكرت على مُغْبِرَةٍ
للإسماعيلي

(١) الفلج: الظفر والغلبة على قرنه .

الأعراب، كهلهل، وربيعة بن مُكَدَّم، وعتيبة بن الحارث بن هشام، وأنا أحمد الله إلى الشيخ الفاضل، وأدثم الدهر؛ فما ترك لي من فضّه إلا فضّها، ولا ذهب إلا ذهب به، ولا علق إلا علقه^(١)، ولا عقار إلا عقره، ولا ضيعة إلا أضعها، ولا مال إلا مال إليه، ولا سبد إلا استبدّ به، ولا لبد إلا لبد فيه، ولا بزّة إلا بزّها^(٢)، ولا عارية إلا ارتجعها، ولا ودّيعه إلا انتزعها، ولا خلمة إلا خلعها، وأنا داخل نيسابور ولا حلية إلا الجلدة، ولا بُرد إلا القشرة، والله ولي الخلف يعجّله، والفرج يسهّله، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وليس البديع بأبي عذرة هذا الخطاب، وسترى نظير هذا المعنى في هذا الكتاب.

ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح الإسكندري

قال: حدّثني عيسى بن هشام قال: كنت في بعض بلاد بني فزارة مرتحلاً نجبية، وقائداً جنّيبية، يسبحان سبحاً، وأنا أهيم بالوطن، فلا الليل يثنيني بوعيده، ولا البعد يثنيني بيده، وظلمت أخبط ورق النهار، بعصا التسيار، وأحوض بطن الليل، بجوافر الخيل، فبينما أنا في ليلة يضلُّ بها الغطاء^(٤)، ولا يُبصر بها الوطواط، أسبح ولا سانح إلا السبع، ولا بارح إلا الضبع، إذ عن لي راكب تامّ الآلات، يطوى منشور القلوات، فأخذني منه ما يأخذ الأعرال من شاكي السلاح، لكنني تجلّدت فقلت: أرضك لا أم لك! فدونك شرط الحداد، وخرط القتاد، وخصم ضخم، وحمية أزدية، وأنا سلم إن شئت، وحرّب إن أردت، من أنت؟ قال: سالماً أصبت، قلت: خيراً أجبته، قلت: فمن أنت؟ قال: نصيح إن شاورت، فصيح إن حاوَرْت، ودون اسمي

مقامة الفزارية
للبيدع

(١) العلق - بالكسر - الشيء النفيس الذي يضمن به، وعلقه: أي أخذه (م)

(٢) بزها: سلبها وغلب عليها (م) (٣) الذي في المقامات «ولا البعد يوليني بيده» (م)

(٤) الغطاء - بزنة سحاب - القطا، وهو مضرب المثل في الهداية.

لثام ، لا تُمِيطُه الأعلام . قلت : فما الطَّعْمَةُ ؟ قال : أجوب جُوبَ البلاد ،
حتى أقع على جَفَنَةِ جَوَاد ، ولي فؤاد يَحْدُمُه لسان ، وبيان يَرُوقُه بَنَان ،
وقصاراي كريمٌ ينفُض إلى حَقِيْبَتِه ، ويخفِّف لي جَنِيْبَتِه ، كابن حِرَّة طلع إلى
بالأمس ، طُلوع الشمس ^(١) ، وغرب عنى بغروبها ؛ لكنه غاب ولم يَغِبْ تَدْكارُهُ ،
وودَّع وشيَّعَتِي آثارُهُ ، ولا يَنْبُتُكَ عَنْهَا أَقْرَبُ مِنْهَا ، وأوماً إلى ما كان يَلْبَسُه ،
فقلت : شحاذ ورب الكعبه أخذ ، له في الصَّنْعَةِ نَفَازٌ ، بل هو فيها أستاذ ،
ولا بد أن تَرَشَّحَ له وتَسِحَّ عليه ، وقلت له : يافتى ، قد أجليت عبارتك ، فأين
شعرك من كلامك ؟ فقال : وأين كلامي من شعري ! ثم استمدَّ غريزته ، ورفع
عقيرته ، بصوت ملاً الوادي ، وأنشأ يقول :

وأروغ أهداه لي الليلُ والفَلَا وخَمَسُ تَمَسُّ الأَرْضُ لَكِن كَلَا وَلَا ^(٢)
عَرَضْتُ على نارِ المكارمِ عُوْدَهُ فَكَانَ مُعَمًّا في السوابقِ مُخُوْلَا
وخادَعْتُهُ عن ماله فخدَعْتُهُ وسَاهَلْتُهُ في بَرِّهِ فَتَسَهَّلَا
ولما تجالينا وأحمدَ مَنْطِقِي بَلَانِي في نَظْمِ القريضِ بِأَبَلَا ^(٣)
فما هَزَّ إلا صارمًا حينَ هَزَّنِي ولم يَلْقَنِي إلا إلى السَّبْقِ أُوْلَا
فلم أَرَهُ إلا أغرَّ حَجَبًا وما تَحْتَهُ إلا أغرَّ حَجَبَلَا

فقلت : على رِسْلِكَ يافتى ، ولك مما يصحبنى حكك . فقال : الجنيبة ،
قلت : إن ^(٤) وما عليها . ثم قبضت بجمعي عليه ، وقلت : لا والله الذي ألهمها
لَمَسًا ، وشقها من واحدة خَمَسًا ، لا تُزِيلُنَا أو نَعْلَمَ عِلْمَكَ ، فحَدَّر لثامه عن وجهه ،
فإذا والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري ، فما لبثت أن قلت :
توشَّحتَ أبا الفتح بهذا السيفِ مُخْتَالَا

(١) طلوع الشمس ، هنا : منتصب على الظرفية ، وليس مفعولا مطلقاً ، ويدل
له ما ذكره بعده (م) (٢) كلا ولا : يريد في غاية السرعة كسرعة النطق بلفظلا (م)
(٣) بلاني : اختبرني (م) (٤) أن ، هنا : بمعنى نعم .

وما تصنعُ بالسيفِ إذا لم تكُ قتلاً؟
[فضعُ ما أنتِ حليتِ به سيفكُ خلخالاً]

[من طرف الأدب]

وعلى ذكر قوله : « إنَّ وما عليها » ال أبو عبيدة : وقد عبدُ الله بن الزبير
بن الزبير بن العوام وشاعر
الأسدي على عبد الله بن الزبير بن العوام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ بيني وبينك
رحماً من قبل فلانة الكاهلية ؛ هي أختنا ، وقد ولدتم ، وأنا ابنُ فلان ؛
فلانة عمتي . فقال ابنُ الزبير : هذا كما ذكرت ، وإن فكّرت في هذا أصبت ،
الناسُ كلهم يرجعون إلى أب واحد ، وأم واحدة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ نفقتي قد ذهبت . قال : ما كنتِ ضمنت لأهلك
أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم . قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ناقتي قد نقيت
ودبرت^(١) . فقال له : أنجد بها يبرُد خفها ، وارقعها بسبت ، واخصفها بهلب^(٢) ،
وسر عليها البر يدين . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما جئتُك مستحماً ، ولم آتِك مستوصفاً^(٣)

لعن اللهُ ناقةً حملتني إليك . قال ابنُ الزبير : إنَّ ورا كبتها ! فخرج وهو يقول :

أرى الحاجاتِ عند أبي خبيبٍ نكدن ، ولأُميَّة في البلادِ

من الاعياصِ أو من آلِ حربٍ أغرَّ كعرةَ الفرسِ الجوادِ

ومالي حين أقطع ذاتِ عرقٍ إلى ابنِ الكاهلية من معاد^(٤)

وقلت لصحبتى أدنوا ركابي أفارقُ بطنَ مكة في سوادِ

فبلغ شعره هذا عبد الله بن الزبير ، فقال : لو علم أن لي أمًّا أحسن من^(٥) عمته

الكاهلية لنسبني إليها ، وكان ابنُ الزبير يكنى أبا بكر وأباً خبيب .

(١) نقيت : رق خفها ، ودبرت : أصابتها قرحة (م) .

(٢) السبت : الجلد المدبوغ ، والهلب : الشعر ، أو شعر الخنزير خاصة (م) .

(٣) مستحماً : طالباً أن تحملني بأن تعطيني ركوبة ، ومستوصفاً : أي طالباً

منك أن تصف الدواء (م) . (٤) في كل المطبوعات « من مفاد » تطبيع (م) .

(٥) في كل المطبوعات « أحسن » تطبيع (م) .

قال الصولي: أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزياد فرساً أشهب أحمر،
كان عنده مكيها، وكان به ضنينا، فقال يرثيه

قالوا: جزعت، فقلت: إن مصيبةً جلت ريتها، وضاق المذهب^(١)
قال أبو بكر: هكذا أنشدني ابن المعتز على أن (إن أتعى نعم، وأنشد النحويون:
قالوا: كبرت، فقلت: إن، وربما ذكركم كبير شباباً فتطرباً

* * *

كيف العزاء وقد مضى لسبيله
دب الوشاة فباعدوه، وربما
لله يوم غدوت فيه ظاعناً
نفسى مقسمة أقام فريقةها
الآن إذ كملت أداتك كلها
وغدوت طنان اللجام كأنما
وكان سرحك، إذ عملاك، غمامة
أنسك؟ لا زالت إذا منسية
أضمرت منك اليأس حين رأيتني
يا صاحبي مثل ذا من أمره
إن تسعدا فصيعة مشكورة
عوجاً فقولا: مرحبا، وتزودا
منع الرقاد جوى تضمه الحصى

[المزاح]

قال الحجاج بن يوسف لابن القريية: ما زالت الحكماء تكره المزاح،
تنهى عنه، فقال: المزاح من أدنى منزلته إلى أقصاها عشرة أبواب: المزاح
له فرح، وآخره ترح. المزاح نقائص السفهاء، كالسعر نقائص الشعراء. والمزاح

(١) تقدير الكلام « فقلت: نعم، هذه مصيبة عظمت رزيتها - إلخ » (م)

يُوغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ ، وَيَنْقُرُ الرَّفِيقَ . وَالْمَزَاحُ يُبْدِي السَّرَّاءَ ؛ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ الْمَعَايِرَ .
وَالْمَزَاحُ يُسْقِطُ الْمَرُوَّةَ ، وَيُبْدِي الْخَنِي . لَمْ يَجْرَ الْمَزَاحُ خَيْرًا ، وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .
الغالب بالمزاح وآثر ، والمغلوب به ثأر . والمزاح يجلب الشتم صغيره والحرب
كبيره ، وليس بعد الحرب إلا عفو بعد قدرة .

فقال الحجاج : حسبك ، الموت خير من عفو معه قدرة .

وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان فقال : يُدَشِّقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ

الْحَرْدَلِ ، وَيُفْرَغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمَرْجَلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا
كَنتَ أَمْرَحَ !

خالد

ابن صفوان

يبين مساوي

المزاح

للوراق في هذا

المعنى

أخذ هذا المعنى محمود بن الحسين الوراق فقال :

تَلَقَى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ : كَنتَ مَازِحًا وَمُلَاعِبًا هِيَهَاتَ نَارُكَ فِي الْحَشَى تَتَسَعَّرُ !
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَكَانَ جَهْلَكَ غَالِبًا . أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَضْفَرُ

فقر في هذا النحو لأهل العصر وغيرهم

الْمَزَاحَةُ تَذْهَبُ بِالْمُهَابَةِ ، وَتُورِثُ الضَّغِينَةَ . الْإِفْرَاطُ فِي الْمَزَاحِ مُجُونٌ ، وَالِاقْتِصَادُ
فِيهِ ظَرْفٌ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنْهُ نَدَامَةٌ . أَوْ كَدُّ أَسْبَابِ الْقَطِيعَةِ الْمِرَاءِ وَالْمَزَاحِ .

لابن العنز

لابن القرية

ابن المعتز - من أكثر مزاحه لم يخجل من استخفاف به أو حقد عليه .
قال أيوب بن القرية : الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ، وفاجر ؛ فالعاقل

الَّذِينَ شَرِيعَتُهُ ، وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ ، وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ ؛ إِنْ سُئِلَ أَجَابَ ، وَإِنْ
نَطِقَ أَصَابَ ، وَإِنْ سَمِعَ الْعِلْمَ وَعَى ، وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى . وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ
عَجِلَ ، وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ (١) ، وَإِنْ اسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ نَزَلَ ، فَإِنْ حَمَلَ عَلَى الْقَبِيحِ
حَمَلَ . وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَإِنْ ائْتَمَنَتْهُ خَانَكَ ، وَإِنْ حَدَّثَتْهُ شَانَكَ ، وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ لَمْ
يَرَعَكَ ، وَإِنْ اسْتَكْتَمَ لَمْ يَكْتُمْ ، وَإِنْ عَلَّمَ لَمْ يَعْلَمْ ، وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ ، وَإِنْ فُتِّهَ لَمْ يَفْقَهْ .

[الطيرة والزجر]

في التفاؤل
لأبي حية
النخري

قال أبو حية النخري :

جَرَى يَوْمَ رُحْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا
فَهَابَ رِجَالُهُ مِنْهُمْ فَتَعَيَّفُوا
عُقَابُهُ بِأَعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَمَا
وَقَالُوا : حَمَامَاتُ ، فَحَمَمَ لِقَاؤُهَا
وَقَالَ صَحَابِي : هُدُودٌ فَوْقَ بَانَةِ ،
وَقَالُوا : دَمٌ ، دَامَتْ مَوَائِقُ بَيْنَنَا
لَعَيْنَاكَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَسْرَعُ وَكَفًا
وَنَسْوَةَ شَحْشَاحٍ غَيُورٍ يَخْفَنُهُ
يَقْلَنُ ، وَمَا يَدْرِينِ أُنَى سَمِعْتُهُ
أَهَذَا الَّذِي غَنَى بِسَمَاءٍ مَوْهِنًا
إِذَا مَا تَعَنَّى أَنْ مِنْ بَعْدِ زَفْرَةٍ
وَقَائِلَةٌ : يَا دَهْمَ وَيَحْكُ ! إِنَّهُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَجْرَحُ الْجِلْدَ قَدْ بَدَا

وهذا من غريب الزجر مليح التفاؤل .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : أنشدني أعرابي في قصيدة ذى الرمة التي

مما ينسب
لدى الرمة

ولهذا :

أَلَا يَا اسْتَهَى يَا دَارِمَى عَلَى الْبَلَى
وَلَا زَالَ مِنْهَا بِجَرَ عَائِكَ الْقَطْرُ
يَبْتِينَ لَمْ يَرَوْهَا الرِّوَاةُ فِي دِيْوَانِهِ ، وَهِيَ :
رَأَيْتُ غَرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضِيَّةٍ
مِنَ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبِتْ لَهَا وَرَقٌ خَضْرُ
فَقُلْتُ : غَرَابٌ لِاغْتِرَابٍ ، وَقَضِيَّةٌ
لِقَضْبِ النَّوَى هَذِي الْعِيَاةُ وَالزَّجْرُ

(١) لعله «على ما به من غنة» فقد وردت في الأمازي ٦٩/١ «على غنة في صوته»

وقال آخر :

دعاصِرْدُ يَوْمًا عَلَى غُصْنٍ بَانَةٍ وصاح بذات البين منها غُرَابُهَا
فقلت: أَنْتَصْرِيْدُ وَشَحَطُ وَغُرْبَةٌ؟ فهذا لعمري نَائِبُهَا وَأَغْرَابُهَا

وقد أ كثر العرب من ذكر الطيرة ، والرَّجْرِ ، وكانت تقتدى بذلك وتجرى على حكمه ، حتى ورد النهي في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

عادة الجاهلية
والنهي عنها

لا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ ، وقد قال الأول :

لعمرك ما تَدْرِي الصَّوَارِبُ بِالْحَصَى وَلَا زَا جِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ

وقال ضابي بن الحارث البرجمي :

وما عاجلات الطير، تُدْنِي مِنَ الْفَقَى نجاحاً ولا عن رَيْثَمِنَ نَجِيبٍ^(١)
ولا خيرَ فيمن لا يوطنُ نفسه على نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ
ورُبَّ أُمُورٍ لَا تَصِيرُكَ ضَيْرَةً وللقلب من مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ

وقال الحكيم بن زيد الأسدي :

للحكيم
ابن زيد

ولا أنا ممن يَزْجُرُ الطيرَ همهُ أصاح غرابُ أم تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ
ولا السامحات البارحات عَشِيَّةً أمرَ سَلِيمِ الْقَرْنِ أَمْ مَرَّ أَعْصَبُ

وقال شاعر قديم :

لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ بُغَا الخبير تَعْقَادُ التَّمَامِ

ولا التَّشَاؤُمُ بِالْعَطَا

فلقد عَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا س وَلَا التَّيَامُنُ بِالْمَقَامِ

فإذا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا

وكذاك لا خَيْرَ وَلَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمِ^(٢)

قد خُطَّ ذَلِكَ فِي الرَّبُّو

ر الْأَوَّلِيَّاتِ الْقَدَامِ

(١) وقع في نسخة «تدرى من الفقى» و «ولا عن ريثمن نجيب» تحريف (م)

(٢) الواقى: الصرد، والحاتم: الغراب (م).

ولقد أحسن ابن كناسة في رثاء ولده يحيى ، أنشده أبو العباس ثعلب :
 تيممت فيه الفأل حتى رُزئتُهُ ولم أدْرِ أنْ الفأل فيه يَفيلُ
 فسميته يَحْيَى لِيَحْيَا ؛ فلم يكن إلى ردِّ أمرِ الله فيه سبيلُ
 وروى المدائني قال : خرج كثير من الحجاز يريد مصر ، فلما قُربَ منها نزل
 بمنزل ، فإذا هو بغراب على شجرة بَانٍ يَنْتِفِ ريشه وَيَنْعَبُ ؛ فأسرع الرحيل ،
 ومضى لوجهه ؛ فلقى رجلاً من بني نَهْدٍ ، فقال : يا أخا الحجاز ؛ مالي أراك
 كاسِفَ اللون ؟ قال : ما علمت إلا خيراً ، قال : فهل رأيت في طريقك شيئاً
 أنكرته ؟ قال : لا والله إلا في منزلي هذا ، فإني رأيتُ غراباً يَنْتِفِ ريشه على
 بانه وَيَنْعَبُ . قال : أما إنك تطلب حاجةً لا تدركها .

بين كثير
ورجل نهدي

فقدم مصر والناسُ منصرفون من جنازة عزة ، فقال :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانهٍ يُنتِفِ أعلى ريشه ويطايرُهُ
 فقلت - ولو أني أشاء زجرتهُ بنفسى - للنهدى : هل أنت زاجره ؟
 فقال : غراب لاغتراب من النوى وفي البانِ بينٌ من حبيب تجاوره
 فما أعيفَ النهدي ، لأدرَ دَرُّهُ ! وأزجره للطير ، لا عزَّ ناصره
 ثم أتى قبر عزة فأناخ به ساعة ثم رحل ، وهو يقول :

أقولُ ونضوى واقفٌ عند رأسها عَلَيْكَ سلامُ الله والعينُ تَسْفَحُ
 فهذا فراق الحق لأن تزيرني بلادك فتلاه الذراعين صيدح^(١)
 وقد كنت أبكي من فراقك حيةً وأنت لعمري اليوم أنأى وأنزح

وقال جرير :

بَانَ الخليلُ برامتين فودَّعوا أوكَلَمَّا نعبوا لبين تجزَعُ
 إن السَّواحِ بالضحى هيَّجَنِي في دارِ زَيْدَبَ والحمامُ الوُقَعُ
 لجرير

وقال عوف الراهب خلاف هذا :

غلط الذين رأيتهم بجهالةٍ يَلْحَوْنَ كلَّهم غراباً يَنْعَقُ

لعوف الراهب

(١) قتلاء الذراعين : قويهما ، وصيدح : فرس شدد الصوت (م) .

ما الذنبُ إلاّ للأباعر؛ إنها مما بُسِتَ جميعهم ويفرّق
 إنَّ الغرابَ يُمْنِه تَدْنُو النَّوَى وتُسْتَتُّ الشَّمْلَ الجَمِيعَ الأَيْنُقُ
 وقد تبعه في هذا المذهب أبو الشيص فقال :

لأبي الشيص

ما فرّق الأحبابَ بعُد الله إلاّ الإبلُ
 والناس يَلْحَوْنَ غُرَا بَ البينِ لَمَّا جهلوا
 وما على ظَهْر غُرَا بَ البينِ تَطْوَى الرَّحْلُ
 ولا إذا صاح غُرَا بٌ في الديار احتملوا
 وما غرابُ البينِ إلّا ناقةٌ أو جملُ

وما أملح ما قال القائل :

زعموا بأنّ مطيهم عَوْنُ النَّوَى والمؤذِنَاتُ بفرقةِ الأحبابِ
 ولو أنها حَتَفِي لَمَّا أَبغَضَتْهَا ولها بهم سببٌ من الأسبابِ

وكان علي بن العباس الرومي مُفْرِطَ الطَّيْرَةِ ، شديد الغلوِّ فيها . قال علي بن
 عبد الله بن المسيب : وكان يحتجُّ لها ، ويقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان
 يُحِبُّ الفأل ، وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ ؛ أفتراه كان يتفاعل بالشيء ، ولا يتطيّر من ضده ؟
 ويقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ برجل وهو يَرِحْلُ ناقةً ويقول :
 يا ملعونة ، فقال . لا يَصْحَبُنَا ملعون ، وإن علياً رضى الله عنه كان لا يَغْزُو غَزَاةَ
 والقمرُ في العقر ، ويزعم أن الطيرة موجودةٌ في الطباع فأمةٌ فيها ، وأن بعض
 الناس هي في طباعهم أظهر منها في بعض ، وأن الأكثر في الناس إذا لقي ما يكرهه
 قال : على وجه من أصبحت اليوم ؟ .

بن الرومي
 كان شديد
 الطيرة

فدخل علينا يوم مهرجان سنة ثمان وسبعين وقد أهدى إلى عدة من جوارى
 القيان ، وكانت فيهن صبيةٌ حَوْلَاءُ ، وعجوزٌ في إحدى عينها نكتة ، فتطيّر من
 ذلك ، ولم يُظهِرْ لى أمره ، وأقام باقى يومه ؛ فلما كان بعد مدة بسيرة سقطت ابنة لى

من بعض السطوح ، وجفاه القاسم بن عبيد الله ، فجعل سبب ذلك المعنيين المغنيتين ،
وكتب إلى :

أيها الْمُتَحَنِّفِي بِحَوْلٍ وَعُورٍ أين كانت عنك الوجوه الحسانُ
قد لَعَمْرِي رَكِبْتَ أَمْرًا مَهِينًا ساءنى فيك أيها الخُلصَانُ
فَتَحَكَّ المَهْرَجَانُ بِالْحَوْلِ وَالثُّورِ رِ ارانا ما أَعَقَبَ المَهْرَجَانُ
كان من ذاك فَمَدُّكَ ابْنَتَكَ الْخُرَّةَ مصبوغةً بها الا كِفَانُ
وَتَجَانِفِي مَوْمَلٍ لِي جَلِيلٍ لِح فِيه الجفاه والهَجْرَانُ
وعزیز علیّ تقریع حَلِّ لا يَدَانِيه عندي الخِلَانُ
غير أنى رأيت إذكارة الحز م وإشعاره شِعَارًا يُصَانُ
لا تهاونَ بطيرة أيها النظار وأعلم بأنها عُنْوَانُ
قف إذا طيرة تَلَقَّتْكَ وانظُرْ واستمع ثم ما يقول الزَّمانُ
قلما غاب من أمورك عنوا ن مبین وللزَّمانِ لِسَانُ
لا تكن بالهوى تكذب بالأخبار حتى تهين مالا يُهَيَانُ
لا يَفُذُّكَ الهوى إلى نصره الاخبار حتى يقدم البرهانُ
إن عُقْبِي الهوى هُوِيٌّ ، وَعُقْبِي طول تلك المهوونات هَوَانُ
لا تصدق عن الدينين إلا بحديث يلوح فيه البيانُ
خبر الله أن مشامة كانت لقومٍ وخبر القرآنُ
أفزور الحديث تقبل أم ما قاله ذو الجلال والفرقانُ ؟
أرى من يرى البشيرُ بشيرا يَمْتَرِي في النذير يا وَسْئَانُ
فدع الهزل والتضحك بالطيرة والنصح مُثْمَنٌ مَجَّانُ

وقد فرَّق حُذَاقُ أهل النظر في المقال ، بين الطيرة والقال ، فقالوا : الطيرة
كانت العرب ترجعُ إلى ما تمضيها ، وتجري على تقضيها ، وكان الذي يهْمُ بهم
إذا ما رأى ما يتطير منه رجع عنه ؛ وفي ذلك ما يصرف عن الإحالة على المقادير

الجارية بيد مُمضئها ، النازلة على حكم قاضيها ، والقأل لا يرد المرید عما يريد إنما يقوى مُنته ، ويسر مهجته ؛ ونس هذا موضع تطويل ، في إيراد الدليل .

وفي جفاء القاسم بن عميد الله إياه يقول معاتباً :

من ابن الرومی
للقاسم بن
عميد الله

ألم ترني أفرضتكَ الودَّ طانعا
لعمري لقد صورت أبيض مسرفاً
فيا ويح مولاك استغاث مسرب
ولولا اعتقادي أنك الخير كله
وإني وإن دارت عليّ دوائر
وما زلت عرافاً إذا زاد السبي
وهذا البيت كقول الآخر
وإني للماء المخالط للقدى

ولم تر قبلي مُعسراً قطّ أقرضاً
فلم لا تُريني وجه نعاك أبيضاً
فأشرق فاستشفى شفاء فأفرضاً^(١)
لأرمتُ توديعاً ، قضى الله ما قضى
لأعرض عن صدّ عني وأعرضاً
بجثّ وعيافا إذا الماء عرماً^(٢)

إذا كثرت وُرادهُ لعُيوفُ

وفي ابنة المسيبي يقول ابن الرومی يعزّيه :

ابن الرومی
يرى ابنة المسيبي

أخا تقى أعزّز عليّ بنكبة
صبت ، وما للمرء من حكم ربه
وقدمات من لا يخلف الدهر مثله
تعزيت عن أثمرتك حياته
لأن اختيال الدهر في ابن وفي ابنة
تعذر أن نعتاض من أمهاتنا

مناك بها صرف القضاء المقدّر
محيّد ، وأمر الله أعلى وأقبر
عليك من الأسلاف والحقّ يبهّر
ووشك التعزّي عن ثمارك أجدر
يسير وكره الدهر شيخيك أعسر
وآبائنا ، والنسل لا يتعذر

(١) أفرض : شرب من المشرع ، والمشرع يسمى الفرضة (م) .

(٢) عرّض الماء : جثّ وطحلب .

فلا تهلكن حُرْنَا على ابنة جنةٍ مضت وهي عند الله تحيا وتُحْبِرُ
 لعلّ الذي أعطاك ستر حياتها كساها من اللحد الذي هو أسْتَرُ
 فكم من أخي حرية قد رأيتهُ بنار ذوى الأصهار يكوى ويُضْهِرُ
 فلا تنهم لله فيها ولايةً ولا نظراً فالله للعبد أنظُرُ
 وأنت، وإن أبصرت رشك مرةً فذو النظر الأعلى برشك أبصُرُ

وله يعزى على
 بن يحيى في ابنته

ومن مליح تعازيه عن أبنّة قوله لعلّ بن يحيى المنجم :

لا تبعدنّ كريمةً أودعتها صهراً من الأصهار لا يخزيكا
 إني لأرْجُو أن يكونَ صداقها من جنة الفردوس ما يرضيكا
 لا تياسنّ لها فقد زوجتها كفوا وضمنت الصّدّاقَ مليكا

[الرغبة في موت البنات]

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لعبيد الله بن
 عبد الله بن طاهر

لكل أبي بنت يرجى بقاؤها ثلاثة أصهار إذا ذكر الصّهرُ
 هيت يغطيها، وبعل يّصونها، وقبر يوارئها، وخيرها القبرُ
 وقال عقيل بن ^(١) علفّة وكان أغير العرب .

لعقيل بن علفّة

إني وإن سيق إلى المهرُ ألفٌ وعُبدانٌ وذوودٌ عشرُ

أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

ومنه أخذ عبيد الله ، قال أبو العباس محمد بن يزيد اللبّرد : دخل علينا

ابن خلف
 البهراني

ابن خلف البهراني فأنشدنا :

لولا أُمَيمةٌ لم أجزع من العدم ولم أجب في الليالي حنّيس الظلم
 وزادني رغبة في العيش معرقى أن اليتيمة تحفوها ذوو الرّحم
 أحاذرُ الفقر يوماً أن يلمّ بها فيهلك السّتر عن لحمٍ على وضم

(١) في المطبوعات «عقيل بن علفمة» تحريف ، وعلفة بوزن سكرة (م) .

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً والموت أكرم نزال على الحرم
 وكانت أميمة بنت أخته ، وكان قد تبناها ، ثم غابت غيبة ، فسألناه
 عنها ، فأنشد :

أمت أميمة مغموراً بها الرّجْمُ لدى صعيدٍ عليه الثُّرْبُ مُرْتَكِمُ
 يا شِقَّةَ النفس ، إنَّ النفسَ والهةُ حرّى عليك ، ودَمَعُ العينِ مُنْسَجِمُ
 قد كنت أخشى عليها أن يؤخرها عنى الحِمامِ فيبدي وجهها العُدْمُ
 فالآن نمت فلا همٌّ يُورِّقُنِي تهذا العيونُ إذا ما أوّدت الحرمُ
 فالآن نمت ، فلا همٌّ يُورِّقُنِي بعد الهدوء ؛ ولا وَجْدٌ ولا حُلْمُ
 للموت عندي أيادٍ لست أنكرها أحيا سروراً وبى مما أتى ألمُ

[عَوْدٌ إِلَى تَطْيِيرِ ابْنِ الرُّومِيِّ]

بين ابن الرومي وأبي الحسن الأخفش

عاد ذكر ابن الرومي - وكان أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش غلام
 أبي العباس المبرد في عصر ابن الرومي شاباً مترفاً ، ومليحاً مستظرفاً ، وكان يعبت
 به ، فيأتيه بسحر ؛ فيقرع الباب ، فيقال له : من ؟ فيقول : قولوا لأبي الحسن
 مرة بن حنظلة ، فيتطير لقوله ، و يقيم الأيام لا يخرج من داره ، وذلك كان سبب
 هجائه إياه ، فمن أول ما عاتبه به :

قولوا لنحوينا أبي حسن إن حسامى متى صرّبت مَضَى
 وإن نبلى إذا هممت بأن أرْمِي نَصَلْتُهَا بِجَمْرِ غَضَا
 لا تحسبن الهجاء يحفل بالرفع ولا خَفَضِ خافضٍ خَفَضَا
 ولا تحلّ عودتي ككباديتي سَأْسَمِطُ السَّمَّ من أبي الخَضَا
 أعرف في الأشقياء بي رجلا لا يَتَمَهَى أو يصير لي غَرَضَا
 يُلِيح لي صَفْحَةَ السلامة والسلم ويخفي في قلبه مَرَضَا

أضحى مغيضاً على أن غضب الله له عليه ، ونزلت منه رضا
 وليس تجدي عليه موعظتي إن قدر الله حينه وقضى
 كأنى بالشقى معتذرا إن القوافي أدقنه المصنفاً
 ينشدني العهد يوم ذلك وألعمد خضاب إذا له قبضاً^(١)
 لا يأمنن السفية بأدرتي فإنني عارض لمن عرّضا
 عندي له السوط إن تلوم في الـ ير وعندى اللجام إن ركضاً^(٢)
 أسمعت إنباضتي أبا حسن والصفح لاشك نصح من محضاً^(٣)
 وهو معاني من السهاد فلا يحمل فيمسي فراشه قفضاً^(٤)
 أقسمت بالله لا غفرت له إن واحد من عروقه نبضاً
 فاعتذر إليه ، وتشفع عنده بجماعة من أهل بغداد - وكان الأخفش أكثر
 الناس إخوانا - فقبل عذره ، ومدحه بقصيدته التي يقول فيها :

ذُكِرَ الأخفش القديمُ قفلنا : إن للأخفش الحديث لفضلاً
 وإذا ما حكمت - والروم قومي - في كلام مُعَرَّب كنتُ عدلاً
 أنا بين الخصوم فيه غريبٌ لا أرى الزور للمحابة أهلاً
 ومتى قلت باطلا لم ألقب فيلسوفا ولم أسم هرقلاً

* * *

الأخفش القديم هو أبو الخطاب ، وكان أستاذ سيبويه ، وهو من المتقدمين
 في النحو ، ويُعرف بالأخفش الكبير ، وكان في عصر سيبويه [أيضاً] أبو الحسن
 سعيد بن مسعدة ، وهو الأخفش الصغير ، وهو الذي قال : كان سيبويه يعرض
 ما وضع من النحو على ، ويرى أني أعلم منه ، وكان في وقته ذلك أعلم مني .

(١) في نسخة « وللعهد خضاب أذاله ففضاً » (م)

(٢) تلوم : تمهل وتمسك ، وركض : أسرع (م) (٣) إنباضتي : أراد صوتي (م)

(٤) القفض التراب أو صغار الحصى ، والمراد أنه لا يتمكن من النوم (م) .

تم عاد علي بن سليمان إلى أذاه ، واتصل به أن رجلا عرض عليه قصيدة
من شعره فطعن عليها ، فقال قصيدته التي يقول فيها :

أعتقتُ عبدِي في القريضِ معا عبدةَ والفحل من بني عبدة
إن أنا لم أرمُ بالإساءة مَنْ زاعَ عن القصد أو أبلَى سدده
قلت لمن قال لي عرضت على الـ أخفش ما قلته فما حمده
قصرت بالشعر حين تعرضه على مبين العمى إذا انتقده
أنشدته مَنْطِقِي ليشهده فغاب عنه عمي وما شهده
ما بلغت بي الخطوب رتبة مَنْ تفهمُ عنه الكلابُ والقردَه
ولا أنا المفهم البهائم والـ سليمانُ قاهرُ المرده
فإن يقل إنني حفظت فكالسد فتر جهلاً بكل ما اعتقده
سأسمع الناسَ ذمَّهُ أبداً ما سمع اللهُ حمدَ مَنْ حمده

عبدة بن الطيب، وعلقمة بن عبدة الفحل، وكانا شاعرين مجيدين ، وقال علقمة
ابن عبدة لرجل ورأى آخر يعتذرُ إليه وهو معبّس في وجهه : إذا اعتذر إليك المعتذر
فتلقه بوجه مُشرق ، و بشر مطلق ؛ ليتبسّط المتذلل ، ويؤمّن المتنصّل .
ولابن الرومي في الأخفش إغشأ صُنْتُ الكتاب عنه :

قال علي بن إبراهيم كاتب مسروق البلخي : كنت بداري جالسا فإذا حجارة
من آثار تطير ابن الرومي سقطت بالقرب مني ، فبادرتُ هاربا ، وأمرتُ الغلام بالصعود إلى السطح ، والنظر إلى
كل ناحية ؛ من أين تأتينا الحجارة ، فقال : امرأةٌ من دارِ ابن الرومي الشاعر !
قد تشوّفتُ وقالت : اتقوا الله فينا ، واسقونا جرّة من ماء ، وإلا هلكنا ، فقد
مات مَنْ عندنا عطشا .

فتقدمتُ إلى امرأةٍ عندنا ذات عقل ومعرفة بأن تصعد إليهما وتخطبهما ،
فعلتُ وبادرتُ بالحجرة ، وأتبعتهن شيئا من الماء كقول ؛ ثم عادت إلى فقالت :

ذَكَرَتِ الْمَرْأَةَ أَنَّ الْبَابَ عَلَيْهَا مُقْفَلٌ مِنْ ثَلَاثٍ بِسَبَبِ طَيْرَةِ ابْنِ الرَّومِيِّ ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ يَلْبَسُ ثِيَابَهُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَتَعَوَّذُ ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى الْبَابِ ، وَالْمِفْتَاحُ مَعَهُ ،
فِيَضَعُ عَيْنَهُ عَلَى تَقَبٍ فِي خَشَبِ الْبَابِ ، فَتَقَعُ عَيْنُهُ عَلَى جَارٍ لَهُ كَانَ نَازِلًا بِإِزَائِهِ ،
وَكَانَ أَحَدَبٌ يَقْعُدُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى بَابِهِ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ رَجَعَ وَخَلَعَ ثِيَابَهُ ، وَقَالَ :
لَا يَفْتَحُ أَحَدٌ الْبَابَ .

فَعَجِبْتُ لِحَدِيثِهَا ، وَبَعَثْتُ بِخَادِمٍ كَانَ يَعْرِفُهُ ، فَأَمَرْتُهُ بِأَنْ يَجْلِسَ بِإِزَائِهِ
- وَكَانَتِ الْعَيْنُ تَمِيلُ إِلَيْهِ - وَتَقَدَّمَتْ إِلَى بَعْضِ أَعْوَانِي أَنْ يَدْعُوَ الْجَارَ الْأَحَدَبَ ؛
فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدِي أُرْسِلْتُ وَرَاءَ غَلَامِي ؛ لِيَنْهَضَ إِلَى ابْنِ الرَّومِيِّ ، وَيَسْتَدْعِيهِ الْحَاضِرَ ؛
فَإِنِّي لَجَالِسٌ وَمَعِيَ الْأَحَدَبُ إِذْ وَافَى أَبُو حَذِيفَةَ الطَّرْسُوسِيَّ وَمَعَهُ بَرْدَعَةُ الْمَوْسُوسُ
صَاحِبُ الْمُعْتَصِدِ ، وَدَخَلَ ابْنُ الرَّومِيِّ ، فَلَمَّا تَخَطَّى عَتَبَةَ بَابِ الصَّخْنِ عَثَرَ فَاتَّقَطَعَ
شِيعُ نَعْلِهِ ، فَدَخَلَ مَذْعُورًا ؛ وَكَانَ إِذَا فَاجَأَهُ النَّاطِرُ رَأَى مِنْهُ مَنْظَرًا يَدُلُّ عَلَى
تَغْيِيرِ حَالٍ ؛ فَدَخَلَ وَهُوَ لَا يَرَى جَارَهُ اللَّتَطَّيْرَ مِنْهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ،
أَيَكُونُ شَيْءٌ فِي خُرُوجِكَ أَحْسَنَ مِنْ مَخَاطَبَتِكَ لِلخَادِمِ ، وَنَظْرِكَ إِلَى وَجْهِهِ الْجَمِيلِ ؟
فَقَالَ : وَقَدْ لَحَقَنِي مَا رَأَيْتُ مِنَ الْعَثْرَةِ ، لِأَنِّي فَكَّرْتُ أَنْ بِهِ عَاهَةٌ ! وَهِيَ قَطْعُ
انْتِيَمِيهِ ، قَالَ بَرْدَعَةُ : وَشَيْخُنَا يَتَطَّيْرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَيُفِرُّطُ ، قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟
قُلْتُ : عَلَى بْنِ الْعَبَّاسِ ، قَالَ : الشَّاعِرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَأَنْشَدَهُ :

وَمَا رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُؤْذِنُ صَرَفُهُ بِنَفَرِيْقٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَبَائِبِ
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّنْتُهَا عَلَى رَكُوبِ جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوَابِ
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلَى جَوْرِ حُكْمِهَا فَأَيَّامُهُ مَخْفُوفَةٌ بِالْمِصَابِ
فَخَذْتُ خُلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ وَكُنْ حَذِرًا مِنْ كَامِنَاتِ الْعَوَاقِبِ
وَدَعُ عَنْكَ ذِكْرَ الْفَالِ وَالزَّجْرِ وَاطَّرَحَ تَطَّيْرَ جَارٍ أَوْ تَفَاوُلَ صَاحِبِ

فَبَقِيَ ابْنُ الرَّومِيِّ بَاهِتًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّهُ شَغَلَ قَلْبَهُ بِحِفْظِ مَا أَنْشَدَهُ ، ثُمَّ
قَامَ أَبُو حَذِيفَةَ وَبَرْدَعَةُ مَعَهُ ، فَخَلَفَ ابْنُ الرَّومِيِّ لَا يَتَطَّيْرُ أَبَدًا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ

غيره ، وأوماً إلى جاره ، فقلت : وهذا الفكر أيضاً من التطير ، فأمسك ، وعجب من جودة الشعر ومعناه ، وحسن مأتاه ، فقلت له : ليتنا كتبناه ؟ قال : اكتبه فقد حفظته ، وأملاه عليّ .

من ابن الرومي إلى ابن ثوابه في التطير
ومن شدة حذره ، وعظيم تطيره ، قوله لأبي العباس بن ثوابه ، وقد ندبه إلى الخروج إليه وركوب دجلة :

لَكَ الْخَلِيزُ ، تَحْذِيرِي سُرُورَ الْمُحَاطِبِ
مَنْ الشَّوْكَ يَزْهَدُ فِي الثَّمَارِ الْأَطَايِبِ
إِلَى ، وَأَغْرَانِي بَرَفِضِ الْمَطَالِبِ
رَهْبَتْ أَعْتَسَافِ الْأَرْضِ ذَاتِ الْمَنَاكِبِ
عَلَى مِنَ التَّغْرِيرِ بَعْدَ التَّجَارِبِ
لَقَيْتُ مِنَ الْبَحْرِ ابْتِضَاضَ الذَّوَابِ
شَفِغْتُ لِبُغْضِهَا بِحُبِّ الْمَجَادِبِ
تَلَاعَبُ دَهْرٍ جَدَّ بِي كَالْمَلَاعِبِ
بِرَحْلِي أَتَاهَا بِالغَيْوِثِ السَّوَاكِبِ
تَمَائِلَ صَاحِبِهَا تَمَائِلَ شَارِبِ
مَمِيلَ غَرِيقِ الثَّوْبِ لَهْفَانَ لَاغِبِ
وَفِي سَهَرٍ يَسْتَعْرِقُ اللَّيْلَ وَاصِبِ
مِنَ الْوَكْفِ تَحْتَ الْمُدْجِنَاتِ الْهُوَاصِبِ
تَصِيرُ نَوَاحِيهِ صَرِيرَ الْجِنَادِبِ
كَمَا انْقَضَ صَفَرُ الدَّجْنِ فَوْقَ الْأَرَانِبِ
بِسَوْطِي عَذَابِ جَامِدٍ بَعْدَ ذَائِبِ
رَهِينُ بَسَافٍ تَارَةً وَبِحَاصِبِ

حَضَضْتُ عَلَى حَطِييِ لِنَارِي فَلَا تَدَعُ
وَمَنْ يَلْقَ مَا لَقَيْتُ فِي كُلِّ مُجْتَنِي
أَذَاقْتَنِي الْأَسْفَارُ مَا كَرِهَ الْغَنِي
وَمِنْ نَكْبَةٍ لَا قَيْمَهَا بَعْدَ نَكْبَةٍ
فَصَبْرِي عَلَى الْإِقْتَارِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا
لَقَيْتُ مِنَ الْبَرِّ التَّبَارِيحَ بَعْدَمَا
سُقِيتُ عَلَى رِيٍّ بِهِ أَلْفَ مَطْرَةٍ
وَلَمْ أَبْغَهَا ، بَلْ سَاقَهَا لِمَكِيدَتِي
أَبَى أَنْ يُغِيثَ الْأَرْضَ حَتَّى إِذَا رَمَتْ
سَقَى الْأَرْضَ مِنْ أَجْلِي فَأَضَحَّتْ مَزَلَّةً
فَمِلْتُ إِلَى خَانَ مُرْتَّ بْنَاؤُهُ
فَمَا زِلْتُ فِي جَوْعٍ وَخَوْفٍ وَوَحْشَةٍ
يُورْفِي سَقْفُ كَأَنِّي تَحْتَهُ
يَظَلُّ إِذَا مَا الطَّيْنُ أَثْقَلَ مَتْنَهُ
وَكَمْ خَانَ سَفَرٍ خَانَ فَأَنْقَضَ فَوْقَهُمْ
وَمَا زَالَ ضَاحِي الْبَرِّ يَضْرِبُ أَهْلَهُ
فَإِنْ فَاتَهُ قَطْرٌ وَنَاجُ فَإِنَّهُ

فذاك بلاه البرِّ عندى شاتياً
 ألا ربّ نارٍ بالفضاء اضطلّيتها
 فدع عنك ذِكرَ البرِّ إني رأيتُهُ
 وما زال يبيغيني الخُتوفَ مُوارِباً
 فطوراً يُغاديني بِلصٍّ مُصلتٍ
 وأمّا بلاه البحرِ عندى فإنه
 ولو تاب عتلى لم أدعْ ذِكرَ بعضِهِ
 ولم لا ولو أقيتُ فيه وصخرةً
 ولم أتعلّمْ قطُّ من ذى سباحةٍ
 وأيسرُ إشفاقى من الماء أننى
 وأخشى الردى منه على كلِّ شاربٍ
 أخذه من قول أبى نُؤاس وقد رأى التماسح بمصرَ أخذَ رجلاً :
 أضمرتُ للنيل هجرانا ومقليةً
 فمن رأى النيل رأى العين عن كُتبٍ
 مُذْقيلَ لى إنما التماسحُ فى النيلِ
 فما رأى النيل إلا فى البراقيلِ (٣)

رجع

أظللُّ إذا هزته ريحٌ ولا لآتُ
 كأنى أرى فيهنّ فرسانَ بهمةٍ
 فإن قلت لى قد يُركبُ اليمُّ طامياً
 له الشمسُ أمواجاً طوالَ الغواربِ
 يليحون نحوى بالسيوفِ القواضبِ (٤)
 ودجلةُ عند اليمِّ بعضُ المذانبِ (٥)

(٢) واقب : مستكن (م)

(٤) يليحون : يشيرون

(١) الضح - بكسر الضاد - الشمس

(٣) البراقيل : أوانى الشرب

(٥) المذانب : القنوات

فلا عُدْرَ فِيهَا لِامْرِيءٍ هَابَ مِثْلَهَا وَفِي اللُّجَّةِ الخَضْرَاءِ عُدْرَةٌ لَهَا نَبِ
 لِدِجَالَةٍ حَبٌ لَيْسَ لِلَّيْمِ؛ إِنْهَا تَرَاءَى بِحِلْمٍ تَحْتَهُ جَهْلٌ وَائِبِ
 تَطَامِنُ حَتَّى تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَتَغْضَبُ مِنْ مَرْحِ الرِّيَّاحِ اللُّوَاعِبِ
 وَلِلَّيْمِ إِنْذَارٌ بَقَوْصِ مُتُونِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ آذِيَةِ الْمُتْرَاكِبِ (١)

وهي طويلة، وفيها مرة كفاية تنبي عنه وتدلّ عليه، ولو مدت أطناب الاختيار
 لتتبع هذا النحو من شعره نلجرت عن غرض الكتاب .

[من مליح العيافة والزجر]

ومن مليح العيافة والزجر ما رواه الصّولي ، قال : كان لأبي نواس إخوانٌ
 وبعض أصحابه لا يُفارقهم ، فاجتمعوا يوماً في موضع أخفوه عنه ، ووجهوا إليه برسولٍ معه ظهرٌ
 قرطاس أبيض ، لم يكتبوا فيه شيئاً ، فخرّموه بزير (٢) ، وختموه بقار ، وتقدموا إلى
 رسولهم ليرمى بالكتاب من وراء الباب ؛ فلما رآه استعلم خبرهم ، وعلم أنه من
 قعليهم ، فتعرّف موضعهم وأمازمهم ، فأتاهم فأنشدهم :

وجدتُ كتابكم لما أتاني يمرُّ بسائح الطيرِ الجوّاري
 نظرتُ إليه مخزوماً بزيرٍ على ظهرٍ ، ومختوماً بقارٍ
 فقلتُ : الزيرُ مُلهيةٌ ولهُوٌ وخبّتُ القارَ من دَنِّ العفّارِ
 وخبّتُ الظهرَ أهيفَ قرطقيّاً يحيلُ العقلَ منه باخوّرارٍ (٣)
 فهيمتُ إليكم طرباً وشوقاً فما أخطأتُ داركمُ بدارِ
 فكيف تروني وترون وجدي ألسْتُ من الفلاسفة الكبارِ ؟
 وقال الطائي :

لأبي تمام

أنضععت عبراتُ عينيك أن دعتُ ورقاءُ حين تضععت الإظلامُ (٤)

(١) الأذى : الموج

(٢) الزير : الوتر

(٣) القرطقي : الذي يلبس القرطق ، وهو ضرب من رقيق اللباس

(٤) في الديوان (٢٧٩) « أتحدت عبرات عينك »

لا تنسجن لها؛ فإن بُكَّاءها ضحكٌ، وإن بكاءك استغرامٌ
هنَّ الحمامُ وإن كسرت عيافةً من حائهنَّ فإنهنَّ حمامٌ

وروى يموت ابن المزرع قال: كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعرٌ فلم أحمد بن المدبر
يرضَ شعره قال لغلامه: أمضِ به إلى المسجد الجامع فلا تفارقهُ حتى يُصلى
مائة ركعة، ثم خَلِّهِ؛ فتحاماه الشعراءُ، إلا الأفراد الجيدين؛ فجاءه أبو عبد الله
الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجل، فاستأذنه في الشيد، فقال: قد
عرفت الشرط؟ قال: نعم، وأنشده:

أردنا في أبي حسن مديحاً كما بالمدح يُنتجعُ الولايةُ
فقلنا: أكرمُ الثقلين طراً ومن كفاء دجلة والفراتُ
فقالوا: يقبل المدحات لكن جوائزهُ عليهنَّ الصلاةُ
فقلت لهم: وما تُغني صلاتي عيالي! إنما الشأنُ الزكاةُ
[فأما إذ أبي إلا صلاتي وعاقبتني الموم الشاغلُ]
فيأمر لي بكسر الصاد منها فتصبح لي الصلاةُ هي الصلاتُ

فضحك واستظرفه، وقال: من أين أخذت هذا؟ قال: من قول
أبي تمام الطائي:

هنَّ الحمامُ فإن كسرت عيافةً من حائهنَّ فإنهنَّ حمامٌ
فأحسن صلته.

لأبي الفضل
الميكالي في أهل
مرو

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي لقوم من أهل مرو واخلعوا عن طاعته:
يارا كبا أضحى يخبُّ بعنسه ليومٌ مرو على الطريق المهيع
أبلغ بها قوماً أثاروا فتنةً ظلت لها الأكبَادُ رهنَ تقطع
إذ أقدموا ظمماً على سُلطانهم بالعدرِ واخلعِ الدميم المفضع
وبحلَّ عقدِ لوائه وإباحةً لجنابه وحريمه المتمتع

ابلغهم أنى اتخذت لفعالهم
 أما اللواء وحاله فمخبر
 والخلع يخبر أن ستخلع عنهم ال
 والغدرينبي أن تغادر في الوغى
 والفرقتان فشاهد معنهما
 فتسموا لمقاتلي وتأهبوا
 فالله ليس بغافل عن أمركم
 فألاً ، له في القوم أسوأ موقع
 عن حل عقد بينهم مستجمع
 أرواح بالقتل الأشد الأشنع
 أشلاؤهم لنسوره والأضبع
 بتفرق لجميعهم وتصدع
 بدميم بغيركم لشر المصراع
 حتى تحل بكم عقوبة موجع

قال أبو عثمان الجاحظ : سمعت النظام ، وذكر عبد الوهاب الثقفي ، قال :
 هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبرء بعد سقم ، ومن خضب بعد جذب ، وغنى
 بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب ، وفرج المكروب ، ومن الوصال الدائم ،
 والشباب الناعم .

الثقفي يصف
 رجلاً يرتاح
 إليه

[ابن أبي دواد يعفو عن الجاحظ]

وكان الجاحظ مائلاً عن ابن أبي دواد إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما
 نكب محمد بن عبد الملك ، أدخل الجاحظ على ابن أبي دواد مقيداً ، فقال له أحمد :
 والله ما أعظمك إلا متناسياً للنعمة ، كفوراً للصنعة ، معدداً للمساوى ، وما فتني
 باستصلاحك لك ، ولكن الأيام لا تصلح منك ؛ لفساد طويتك ، ورداءة
 دحيلتك ، وسوء اختيارك ، وتغالب طباعك .

ابن أبي دواد
 والجاحظ

فقال الجاحظ : خفف عليك ، أصلحك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمر
 على خير من أن يكون لي عليك ، ولأن أسيء وتحسن أحسن في الأخذ ونة
 من أن أحسن نفسيء ، ولأن تعفوني على حال قدرتك على أجمل بك من
 الانتقام مني ، فعفا عنه (١) .

[عتبة بن أبي سفيان وأعرابي]

قال سعد مولى عتبة بن أبي سفيان : خطب عتبة الناس في الموسم سنة إحدى وأربعين ، والناس إذ ذاك حديثو عهدٍ بالفتنة ؛ فقال : قد ولينا هذا المقام الذي يُضَاعَفُ فيه لله حسن الأجر ، وللمسيء الوزر ؛ ونحن على سبيل قصد ، فلا تمدُّوا الأعناقَ إلى غيرنا ؛ فإنها تُتَقَطَعُ دوننا ؛ فربَّ ستمنَّ أمراً حَفَنَهُ في أمنيته ؛ فاقبلوا منا العافية ما قبلناها منكم ^(١) ؛ وأنا أسأل الله أن يُعِينَ كلاً على كلِّ .

فناداه أعرابيٌّ من ناحية المسجد : أيها الخليفة ، فقال : لستُ به ولم تُبْعِدْ ، قال : يا أخاه ، قال : سمعتُ فقل ، فقال : والله لانَّ تحسنوا وقد أسأنا خيرٌ من أن تسيئوا وقد أحسننا ، فإن كان الإحسان منكم فما أولاً كم بإتمامه ، وإن كان منّا فما أولاً كم بمكافأتنا عليه ، وأنا رجلٌ من بني عامر بن صعصعة يمتُّ بالعمومة ويختصُّ بالخوولة ، كَبُرَ عِيَالُهُ ، ووَطِئَهُ زَمَانُهُ ، [وبه فقر] وفيه أجر ، وعنده سُكْرٌ .

فقال له عتبة : أستغفر الله منك ، وأستعين به عليك ، وقد أمرتُ لك بغناك ، فليت إسراعي إليك يقوم بإبطائي عنك !

[بين الجاحظ وابن الزيات]

قال الجاحظ : تشاغت مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بشربِ النبيذ أياماً ، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته ، فأخبر باتصالِ شغلي مع الحسن بن وهب ، فتنكر لي ، وتلوَّنَ عليّ ؛ فكتبتُ إليه رقعة نسختها : أعاذك الله من سوءِ الغضب ، وعصمك من سرفِ الهوى ، وصرف ما أعارك من القوة إلى حبِّ الإنصاف ، ورجح في قلبك إبطار الاناة ، فقد خفتُ — أيديك الله ! —

(١) زاد في الأمامي (١/٢٣٦) «وأياكم ولوا ؛ فإنها أتعبت من كان قبلكم ، ولن

أن أكون عندك من المنسولين إلى نَزَقِ السفهاء ، ومُجَانِبَةِ سُبُلِ الحكماء ،
وبعدُ ، فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وإن امرأاً أمسى وأصبح سالماً من الناس إلا ما جنى لسَعِيدُ
وقال الآخر:

ومن دعا الناس إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ

فإن كنتُ اجترأتُ عليك — أصلحك الله! — فلم اجترئُ إلا لأنَّ دوامَ
تغافلِكَ عنى شبيهٌ بالإهمال ، الذى يُورِثُ الإغفال ، والعمو المتتابع يؤمنُ من
المكافأة ، ولذلك قال عُيَيْنَةُ بنِ حِصْنِ بنِ حذيفة لعُثمانَ رحمه الله : عمر كان خيراً لى
منك ، أرهبني فأتقاني ، وأعطاني فأغتناني ، فإن كنت لا تهبُّ عقابي — أيدك الله! —
لخدمَةِ فَعْبِهِ لأَياديك عندي ؛ فإنَّ النعمة تشفع في الثَّغْمَةِ ، وإلا تفعل ذلك
لذلك فعدُّ إلى حُسْنِ العادة ، وإلا فافعل ذلك لحُسْنِ الأحدثِثة ؛ وإلا فات
ما أنتَ أهله من العفو دون ما أنا أهله من استحقاق العقوبة ، فسبجان من
جعلك تعفو عن المتعمد ، وتتجافى عن عقابِ المُصِرِّ ، حتى إذا صرت الى من
هَفْوَتِهِ ذِكْرٌ ، وذَنْبُهُ نسيان ، ومن لا يعرف الشكرَ إلا لك ، والإنعامَ إلا منك
هجمت عليه بالعقوبة . واعلم — أيدك الله! — أن شَيْنَ غَضَبِكَ على كَرِيْمٍ
صَفْحِكَ عنى ، وأن موتَ ذِكْرِي مع انقطاع سببى منك كحياةِ ذِكْرِكَ مع اتصال
سببى بك ، واعلم أن لك فطنة عليم ، وغفلة كَرِيمٍ ، والسلام .

[من كلام علي — رضى الله عنه! — فى أعجب ما فى الإنسان]

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : أعجب ما فى الإنسان قلبه ، وله
مواد من الحكمة ، وأصداد من خلافها ؛ فإن سَنَحَ له الرجاء أدلَّهُ الطمع ، وإن
هاجه الطَّمَعُ أهلكه الحِرْصُ ، وإن مَلَكَه اليأسُ قَتَلَهُ الأسَفُ ، وإن عرض له
الغضب اشتدَّ به العَيْظُ ، وإن أسعد بالرضا نَسِيَ التحفظ ، وإن أتاه الخوفُ

شغله الحذر ، وإن اتسع له الأمن استلبته الغرّة ، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع ، وإن استفاد مالا أطعاه الغنى ، وإن عضته فاقة بلغ به البلاء ، وإن جهد به الجوع قعد به الضعف ، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة ، فكلُّ تقصيرٍ مُضِرٌّ ، وكلُّ إفراطٍ له قاتلٌ .

* * *

لعبد الرحمن
بن حسان

البيت الذى أنشده الجاحظ لعبد الرحمن بن حسان فى أبيات يقول فيها :
متى ما يرمى الناسُ الغنىَّ وجارهُ فقيروهُ يقولوا : عاجزٌ وجليدُ
وليس الغنى والفقيرُ من حيلةِ الفتى ولكنَّ أحاطَ قسَمَتُ وجدودُ
وإن امرأُ يمسى ويصبحُ سالماً من الناسِ إلا ما جنى لسعيد
والبيت الذى أنشده بعده لمحمد بن حازم الباهلى فى أبياتٍ يقول فيها :

لمحمد بن حازم
الباهلى

إن كنت لا ترهبُ ذمى لما تعلم من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى إذنا منصتنا فيك لمسمعِ خنى القائل (١)
فسامعُ الشرِّ شريكٌ له ومُطعمُ الماكولِ كالآكلِ
مقالةُ السوءِ إلى أهلها أسرعُ من مُنحدرِ سائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمه دمه بالحق وبالباطلِ
فلا تهجُ ، إن كنتَ ذا إربةٍ ، حربُ أخى التجربةِ الغافلِ
فإنَّ ذا العقلِ إذا هجته هجته به ذا خيلِ خابلِ
تبصرُ فى عاجلِ شداته عليك غيبُ الضررِ الآجلِ

للجاحظ فى
ابن الزيات

وفى ابن الزيات يقول الجاحظ :
بدأ حين أترى لإخوانه فقلل منهم شبة العدم
وأبصر كيف انتقالُ الزمانِ فبادرَ بالعرفِ قبل الندم

[الجاحظ ورجل من البرامكة فى مرضه]

قال بعضُ البرامكة : كنتُ أتقلدُ السندَ ، فاتصل بى أنى صرُفتُ عنها ،

(١) حفظى « فاخش سكوتى إذنا منصت » (م)

وكنت كسبت ثلاثين ألف دينار، فَخَفْتُ أَنْ يَفْجَأَنِي الصَّارِفُ ، وَيُسْعَى إِلَيْهِ بِالْمَالِ، فَصُعْتُهُ عَشْرَةُ آلَافِ إِهْلِيلِجَةٍ^(١) فِي كُلِّ إِهْلِيلِجَةٍ ثَلَاثَةُ مِثَالِ، وَجَعَلْتَهَا فِي رَحْلِي، وَلَمْ أَبْعُدْ أَنْ جَاءَ الصَّارِفُ؛ فَرَكِبْتُ الْبَحْرَ، وَانْمَحَدْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ؛ فَخَبِرْتُ أَنْ بِهَا الْجَاهِظُ، وَأَنَّهُ عَلِيلٌ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ، فَأَفْضَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِ لَطِيفٍ، فَفَرَعْتُهُ، فَخَرَجْتُ إِلَى خَادِمٍ صَفْرَاءُ، فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتِ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ غَرِيبٌ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى الشَّيْخِ فَيُسَرَّ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، فَأَدَّتْ مَا قُلْتُ، وَكَانَتْ الْمَسَافَةُ قَرِيبَةً لَصَغْرِ الدَّهْلِيْزِ وَالْحِجْرَةِ، فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ: قَوْلِي لَهُ: وَمَا تَصْنَعُ بِشَقِّ مَائِلٍ، وَلَعَابِ سَائِلٍ، وَلَوْنِ حَائِلٍ؟ فَأَخْبَرْتَنِي، فَقُلْتُ: لَا بَدَّ مِنْ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ قَدْ اجْتَازَ بِالْبَصْرَةِ، فَسَمِعَ بِي وَبِعَلْتِي، فَقَالَ: أَرَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ؛ لِأَقُولُ: قَدْ رَأَيْتَ الْجَاهِظَ .

فَدَخَلْتُ فَسَأَلْتُ فَرْدًا جَمِيلًا وَاسْتَدْنَانِي، وَقَالَ: مَنْ تَكُونُ؟ أَعَزَّكَ اللَّهُ! فَانْتَسَبْتُ لَهُ، فَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ وَقَوْمَكَ الْأَسْخِيَاءَ الْأَجْوَادَ، الْكِرَامَ الْأَمْجَادَ، لَقَدْ كَانَتْ أَيَامُهُمْ رَوْضَ الْأَزْمِنَةِ، وَلَقَدْ انْجَبَرُ بِهِمْ خَلْقٌ، فَسَقِيًّا لَهُمْ وَرَعِيًّا؛ فَدَعَوْتُ لَهُ، وَقُلْتُ: أَنَا أَسْأَلُ الشَّيْخَ أَنْ يُنْشِدَنِي شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ أَذْكَرُهُ بِهِ، فَأَنْشَدَنِي:

لئن قَدَّمْتُ قَبْلِي رِجَالٌ فَطَلَمَا مَشَيْتُ عَلَى رَسْلِي فَكُنْتُ الْمَقْدَمًا^(١)
ولكنَّ هَذَا الدَّهْرَ تَأْتِي ضُرُوفُهُ فَتُبْرِمُ مَنَقُوضًا، وَتَنْقُضُ مُبْرِمًا

ثمَّ نَهَضْتُ، فَلَمَّا قَارَبْتُ الدَّهْلِيْزَ صَاحَ بِي فَقَالَ: يَا فَتَى؛ أَرَأَيْتَ مَفْلُوجًا يَنْفَعُهُ الْإِهْلِيلِجُ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَأَنَا يَنْفَعُنِي الْإِهْلِيلِجُ الَّذِي مَعَكَ، فَأَنْفِذْ إِلَيَّ مِنْهُ، فَقُلْتُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَخَرَجْتُ مُفْرَطَ التَّعْجِيبِ مِنْ وَقُوعِهِ عَلَى خَبْرِي، حَتَّى كَأَنَّ بَعْضَ أَحْبَابِي كَاتِبَهُ بِخَبْرِي حِينَ صُعُتُهُ، فَأَنْفَذْتُ إِلَيْهِ مِائَةَ إِهْلِيلِجَةٍ .

(١) الإهليلج: ثمر قريب الشكل من البلح، والواحدة بهاء، يريد أنه صاغ

الذهب على شكل الإهليلج (م)

المقامة الجاحظية

مقامة من إنشاء البديع تتعلق بذكر الجاحظ [

قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : جمعتني مع رُفِقة وُلَيْمة ، وأجبتُ إليها للحديث المأثور فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لودُعيتُ إلى كِرَاعٍ لأجبتُ ، ولو أهدىَ إلى ذراعٍ لقبلتُ » ، فأفضى بنا المسيرُ إلى دارٍ قد فرش بساطها ، وبسطت أمتاطها ، ومدت سَمَاطها ، وقومٍ قد أخذوا الوقت بين آسٍ مخضود ، وورودٍ منضود ، وودنٍ مَفْصود ، ونأى وعود ؛ فصرنا إليهم وصاروا إلينا ، ثم عكفنا على خِوَانٍ قد ملئت حياضه ، ونوررت رِياضه ، واصطفت جفانه ، واختلفت ألوانه ؛ فمن حالك يازائه ناصع ، ومن قانٍ في تلقائه فاقع ، ومعنا على الطعام رجلٌ تسافرُ يده على الخِوَانِ ، وتسنفرُ بين الألوان ، وتأخذ وجوه الرُغفان ، وتفقأ عيون الجفان ، وترعى أرض الجيران^(١) ؛ يزحم اللقمة باللقمة ، ويهزيمُ المضعفة بالمضعفة ، وهو مع ذلك ساكت لا يئيبس ، ونحن في الحديث نجري معه حتى وقف بنا على ذِكْرِ الجاحظ وخطابته ، ووصف ابن المقفع وذراته ، ووافق أول الحديث آخر الخِوَانِ ، وزلنا عن ذلك المكان ، فقال الرجلُ : أين أنتم من الحديث الذي فيه كنتم ، فأخذنا في وصف الجاحظ ولسنه ، وحسن سنه في الفصاحة وسننه فيما عرفناه ؛ فقال : يا قوم ؛ لكل عمل رجال ، ولكل مقام مقال ، ولكل دار سُكَّان ، ولكل زمان جاحظ ، ولو انتقدتم ، لبطل ما اعتقدتم ، فكلُّ كشرٍ له عن ناب الإنكار ، وشمٌّ بأنفِ الإكبار ، وصحكتُ إليه ، لأجلب ما لديه ، وقلت : أؤدنا وزدنا ، فقال : إنَّ الجاحظَ في أحدِ شقي البلاغة يَقْطِفُ ؛ وفي الآخر يَقِفُ ، والبلغُ من لم يُقصر نظمه عن نثره ، ولم يُزررِ كلامه بشعره ، فهل ترؤون

(١) في المقامات « تجول في القصة ، كالرخ في الرقعة » - والرخ : قطعة في لعبة

الشطرنج تسير يمينا وشمالا وخلفا وأماما من أول الرقعة إلى آخرها (م)

للجاحظ شعرا رائعا؟ قلنا: لا، قال: فهموا إلى كلامه؛ فهو بعيد الإشارات،
 قريب العبارات، قليل الاستعارات، منقاد لعريان الكلام يستعمله، نفور
 من معتاصه يهمله، فهل سمعتم له بكلمة غير مسنوعة، أو لفظة غير مصنوعة؟
 فقلت: لا، فقال: هل تحب أن تسمع من الكلام ما يخفف عن منكبيك،
 ويقيم على ما في يديك؟ فقلت: إي والله، قال: فأطلق لي عن خنصرِكَ ما يعين
 على شكرِكَ، فأنته ردائي، فقال:

لعمُرُ الذي ألقى إلى ثيابهُ لقد كسبت تلك الثيابُ به مجدا
 وقد قمرتهُ راحة الجودِ بوزةً فما ضربتُ ودحاً ولا نصبتُ نرداً
 أعيدُ نظراً يا مَنْ كَسَانِي ثيابهُ ولا تدعِ الأيامَ تهدي مني هداً
 وقل للآلى إن أسفروا أسفروا ضحى وإن طلعا في غمةٍ طلعا ورداً
 صلوا رحمِ العلياً وبلوا لهاها فخيرُ الندى ما سحَّ وابلُه نقداً

قال عيسى بن هشام: فارتاحت الجماعة إليه، واثالت الصلاتُ عليه،

وقلت لما تآانسنا: من أين مطلع هذا البدر؟ فقال:

إسكندرية داري لو قرء فيها قراري
 لكن ليلى بنجد وبالبحار نهاري

[من كلام الملوك]

من كلام
 أردشير
 ابن بابك

تظلمت رعيّة أردشير بن بابك إليه في سنة مُجْدِبَةٍ لعجزهم عن الخراج،
 وسألته أن يخففه عنهم؛ فكتب لهم ما نسخته: من أردشير المزيد بالبهاء، ابن
 الملوك العطاء، إلى الفقهاء الذين هم حفظة البيضة، والكتّاب الذين هم ساسة
 المملكة، وذوى الحرث الذين هم عمرة البلاد، أما بعد، فإنّا نحمدُ الله تعالى
 حمدَ الصالحين، وقد وضعنا عن رعيّتنا بفضل رأفتنا إتاوتنا الموظفة عليهم سنتنا
 هذه، ونحن كاتبون مع ذلك تمليمهم بوصية تنفع الكل: لا تستشعروا الحقد

لثَلَا يَغْلِبَ عَلَيْكُمُ الْعَدُوَّةُ ، وَلَا تَحْبُوا الْاِحْتِكَارَ لِثَلَا يَشْمَلِكُمُ الْقَحْطُ ، وَكُونُوا
لِلْعُرْبَاءِ مُؤْمِنِينَ ، لِتُؤْوُوا غَدَا فِي الْمَعَادِ ، وَتَرْوَجُوا فِي الْقِرَابَةِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ لِلرَّحِمِ ،
وَأَثْبَتُ لِلنَّسَبِ ، وَلَا تَعُدُّوا هَذِهِ الدُّنْيَا شَيْئًا فَإِنَّهَا لَا تُبْقَى عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا تَرَفُضُوهَا
مَعَ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الْآخِرَةَ لَا تُنَالُ إِلَّا بِهَا .

من كلام
بزرجمهر

وَقِيلَ لِبِزْرِجْمَهْرٍ : أَيُّ الْاِكْتِسَابِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ كَنْزَانِ
لَا يَنْفَدَانِ ، وَسِرَّاجَانِ لَا يُطْفَأَانِ ، وَحُلَّتَانِ لَا تَبْلَيَانِ ؛ مَنْ نَاهِمَا نَالَ أَسْبَابَ
الرِّشَادِ وَعَرَفَ طَرِيقَ الْمَعَادِ ، وَعَاشَ رَفِيعًا بَيْنَ الْعِبَادِ .

من كلام
أنوشروان

وَقَالَ أَنْوَشْرَوَانُ لِبِزْرِجْمَهْرٍ لَمَّا ظَفَرَ بِهِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَ نِيَّ بَكَ ، قَالَ لَهُ :
فَكَافَيْتُهُ بِمَا يَجِبُ كَمَا أَعْطَاكَ مَا تَحِبُّ . قَالَ : وَمِمَّ أَكْفَيْتُهُ يَا فَاسِقُ ؟ قَالَ :
بِالْعَفْوِ عَمَّنْ أَظْفَرَكَ بِهِ الْيَوْمَ كَمَا تَحِبُّ أَنْ يَعْفُوَ عَنْكَ غَدًا ..

وَنَظِيرُ هَذَا الْكَلَامِ قَدْ تَقَدَّمَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَقِيلَ لِكَسْرِيِّ : أَيُّ الْمُلُوكِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الَّذِي إِذَا جَاوَزَتْهُ وَجَدْتَهُ عَلِيمًا ،
وَإِذَا خَبَرْتَهُ وَجَدْتَهُ حَكِيمًا ، وَإِذَا أَغْضَبَكَ كَانَ حَلِيمًا ، وَإِذَا ظَفَرَكَ كَانَ كَرِيمًا ،
وَإِذَا اسْتَمْتَحَ مِنْكَ جَسِيًا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى ، وَإِنْ كَانَ الْوَعْدَ عَظِيمًا ، وَإِذَا شَكِيَ
إِلَيْهِ وَجَدَ رَحِيمًا .

[من رسائل الميكالي]

كتاب منه
للشعالي

كُتِبَ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ إِلَى أَبِي مَنْصُورِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
إِسْمَاعِيلِ النَّعَالِيِّ : كِتَابِي وَأَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ شَوْقًا لَوْ عَالَجَهُ الْأَعْرَابِيُّ لِمَا صَبَّأَ إِلَى
رَمْلِ عَالِجٍ ، أَوْ كَابَدَهُ الْخَلِئِيُّ لَا نَنْتَنِي عَلَى كَيْدِ ذَاتِ حُرْقٍ وَلَوْ أَعِجَ ؛ وَأَذْمُ زَمَانًا
يَفْرُقُ فَلَا يَحْسُنُ جَمْعًا ، وَيَخْرُقُ فَلَا يَنْوِي رَقْعًا ، وَيُوجِعُ الْقَلْبَ بِتَفْرِيقِ شَمَلٍ
ذَوِي الْوَدَادِ ، ثُمَّ يَبِخُلُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَشْفِي الصُّدُورَ وَالْأَكْبَادَ ؛ قَاسِيَ الْقَلْبِ فَلَا

يلينُ لاستعطاف ، جأر الحُكْمِ فلا يميلُ إلى إنصاف ، وكم أستعدي على صرْفه
وأستنجِد ، وأتلظي غيظا عليه وأنشد :

متى وعسى يئنى الزمان عِناهُ بعثرة حالِ والزَّمانُ عَثورُ
فتُدركُ آمالٌ وتُفْضى مآربٌ وتحدثُ من بعد الأمورُ أمورُ

وكلاً ، فما على الدهر عتب ، ولا له على أهله ذنب ؛ وإنما هي أقدار تجزى
كما شاء مجرّيها ، وتنفذ كإسمهَام إلى مرّامِها ؛ فهي تدورُ بالمكروه والمحجوب ،
على الحُكْمِ المَدور والمكتوب ، لا على شهوات النفوس وإرادات القلوب ؛
وإذا أراد الله تعالى أذن في تقريب البعيد النازح ، وتسهيل الصَّعب الجامح ،
فيعود الأُنسُ بلبقاءك الإخوان كأنتم ما لم يزل معهوداً ، ويجدد لهذا كِرةً والمؤانسة
رسوماً وعهوداً ؛ إنه الملئى به ، والقادرُ عليه .

وله إلى أبيه : ولو ملكْتُ عِنانَ اختيارى ، وأسعفتى ببعض ما أقترحه
القدَرُ الجارى ، لما غبْتُ عن حضرته - آنسها الله ! - ساعةً من دهرى ، كما الأعدَّ
ساعاتِ بُعدي عنها وإخلائي لبابها من أيام عمرى ؛ ولكنى أبدأ ما مثلاً بها
في زمرة الخدم والعبيد ، جامعاً بها بين حاشيتى العز المديد ، والشرف العتيد ؛
لا سيما في هذا الوقت وقد أشرقت البلاد بنور طلعتها التي هي في ظلمة الدهر صباح ،
وعز مطالعته التي فيها لصدور ذوى الشنأ شجاً ولزند الآمال اقتداح ، ومعاودة
ظلمة التي أضحت الشمس من حساده ، والزمان من عدد ساكنيه وعتاده ،
إلا أن الحريص - كما علمه مولانا - يُخلى عن أعذب موارد ، وممنوع بالعوائق
عن أكرم مطالعه ومقاصده .

كتاب منه
إلى أبيه

وله يستفتح مكاتبة بعض إخوانه :

أنا وإن لم تتقدم بينى وبينه المكاتبة ، وعادة المساجلة والمفاوضة ، من فرط
جرصى على افتتاحها وتعاطيها ، واعتراض العوائق دون المراد والغرض فيها ، فإن

كتاب منه
يستفتح به
مكاتبة أخ

قلبي بودّه مَمُور ، وضميرى على مُصَافَاتِهِ مقصور ، فاعتدأهُ لفضائله التى أصح فيها أو حدى العنان ، وزاحم فيها مَنكِب العنان^(١) ، واستأثر فيها بالغرر والواضاح ، ما أوفى بها على غرّة الصباح ، حتى تشاهدت بها ضائر القلوب ، وتهدت أنبأها ألسنة البعيد والقريب ، اعتداد من يجمعُ بالاعتداد لها بين شهادة قلبه ولسانه ، ومن ينظم فى إجلال قدرها صفقة إسراره وإعلانه ، فهو يتنسمُ الريح إذا هبت من ناحيته شوقاً ونزاعاً ، ويستلمى الوارد والصادر خبر سلامته انصياحاً بالود إليه وانقطاعاً .

فقر
من كلامه

شذور من كلامه فى أثناء رسائل شتى : أياديه التى غمرتنى سجالها ، واتسع عندى مجالها ، وأعيأ شكرى عفوها وانثيالها ، تناولت فيها المني دانية القطوف ، واجتليت أنوار العيش مأمونة الكسوف ، ليس يكادُ يبرد غليل شوقى وحنينى ، أو ترجع نافرة انسى وسكونى ، أو تخلو من الاهتمام والفكرة فيه خواطرى وظنونى ، إلا بالتقاء يدنو أمده ، ويقرب موعدُه ، وتعلو على الفراق يده ، فنعاود العيش طلقاً غزيراً ، ونجتنى ثمر المني غصاً نضيراً ، ونجتلى وجه الزمان مُشْرِقاً منيراً . فوائده لها عندى أثر الغمام أو أنفع ، ومحلّ السماء أو أرفع . حالى فى مفارقة حَضْرته حالى بنات الماء قد نضب عنها الغدير ، ونبات الأرض^(٢) أخطأها النوء المطير . لطفى على دهر الحداثة إذ غصنُ شبابى غصنُ وريق ، ونقلُ شرابى عضُ وريق . كلامٌ أحلى من ريق النحل ، وأصفى من ريق الوابل . من تسود قبل وقته وآلته ، فقد تعرض لَمَقْتِهِ وإذالته . نظمه له :

إن من يلمس الصّد ر بلا وقتٍ وآله

لحقيق أن يلقى كل مَقْتٍ وإذاله

الشكلُ للكاتب ، كالحلى للكعب . لو كان الشبابُ فِضةً لكان الشيبُ له حَبْثاً . النعمة عروسٌ مَهْرُها الشكر ، وثوبُ صَوْنُهُ الدُّشْر . الخضابُ تذكرةُ الشباب . لانتقاسُ المهاوى بالمرآتى ، ولا الأقدام بالترآقى ، ولا البحور بالسواقى .

(١) العنان بكسر العين : أصله ما تقاد به الدابة ، وفتح العين : السحاب (م) .

(٢) فى المطبوعات كلها « ونبات الأرض » (م) .

كم أبلاني من عُرفٍ جزيل لا يُبلي الدهرُ جدّةَ ردائه ، وقضاني من دين
تأميل لا يَقضي الشكرُ حقَّ نعمائه . الشكرُ للنعمة نتاج ، والكفران لها رتاج ،
وكما زدت النعمة شكراً ، زادت طيباً ونشراً .

قطعة من شعره في تجنيس القوافي

قال في أبيه :

مبدعاً في شمائل الجودِ خيماً ما اهتدينا لأخذه واقتباسه^(١)
فهو فظٌّ بالمسألِ وقت نداءه وجوادٌ بالعفو في وقتِ باسه^(٢)
وقال فيه :

إذا ما جادَ بالأموالِ ثني ولم تُدرِكهُ في الجودِ الندامةُ
وإن هَجَسَتْ خواطرُهُ بجمع لربِّ حوادثٍ قال الندي مه^(٣)
وقال فيه :

ولما تنازعَ صَرفُ الزمانِ فزَعْنَا إلى سيدِ نابه
إذا كَشَرَ الدهرُ عن نابه كَشَفْنَا الحوادثِ عَنَابِه
وقال فيه :

إن نابنا خَطَبُ فآراؤه تغنى عن الجيشِ وتسريبه
وإن دَجَا ليلٌ بدا نوره للركبِ نَجْمًا فهو يسرى به
وقال يفتخر :

وكم حاسدٍ لي أنبى فأنثني لِعَضَّةِ نَفْسِ شَجَاهَا شَجَاهَا
ومن أين يَسْمُو لَنَيْلِ العُلا وما بثَّ مالا ولا رآشَ جَاهَا
ومنها قوله :

وسائلةٌ تُسألُ عن فمالي وعمّا حازَ في الدنيا جَمالي

(١) الخيم - بكسر الخاء - السجية والطبع (م).

(٢) الندي : الجود والكرم ، ومه : اسم فعل معناه اكفف (م).

وفي سُئِلَ المكارم ليجَّ مَالِي
فمَالِي تَارِكًا ذَا النَهْجِ مَالِي
فمَالِي والنَّجَارُ فَأَلْجَمَالِي

فقلت: إلى المعالي حَنَّ قَلْبِي
وللعلياء نَهْجٌ مُسْتَقِيمٌ
إذا أُسْرَجْتُ فِي فِخْرٍ سَمَائِي

وقال في نوع من هذا الجنس:

من المجد يسرى فوق جُمُجْمَةِ النَّسْرِ
فإنَّا من العلياء نَجْرِي على نَجْرٍ (١)
فبالمال نَشْرِي رايحَ الحَمْدِ والنَّشْرِ

ومن يَسْرِ فوق الأرض يطلبُ غَايَةً
ومن يَخْتَلِفُ في العالمين نِجَارُهُ
ومن يَتَجَرُّ في المال يَكْسِبُ رِجْمُهُ

وعلى نحو هذا الحدو يقول أبو الفتح البستي:

لأبي الفتح
البستي

أبا العباس لا تحسب بأبي
ولي طبع كسئسأل المجاري
إذا ما أكتب الأديوار زناداً
فلي زنادٌ على الأديوار واري

وقال أبو الفتح البستي أيضاً:

بسيِّفِ الدولة اتَّسَقَتْ أُمُورُهُ
سَمَا وَحَمِي بنِي سَامٍ وَحَامٍ
رأيناها مُبَدَّدةَ النِّظَامِ
فليس كمثلِه سَامٍ وَحَامٍ

[أدب الحاجب]

بين ملك
وحاجبه

قال بعضُ الملوكِ لحاجبه: إنك عيني التي أنظرُ بها، وجنتي التي أستنم
إليها؛ وقد وليتُك بأبي، فإنراك صانعاً برعيَّتِي؟

قال: أنظرُ إليهم بعينك، وأحملهم على قدرِ منازلهم عندك، وأضعهم لك
في إبطائهم عن بابك ولزومهم خدمتك مواضع استحقاقهم، وأرتبهم حيث
جعلهم ترتيبك، وأحسنُ إبلاغك عنهم، وإبلاغهم عنك.

(١) النجر: الأصل، ومثله النجار، بزنة الـكـتاب.

قال: قد وَفَيْتَ بما عليك قولاً، إن وَفَيْتَ به فعلاً؛ والله وليّ كفايتك

ومعوتك .

وصية المهدي
للفضل
ابن الربيع

قال المهدي لفضل بن الربيع: إني قد وُلِّيتُكَ سِتْرَ وجهي وكَشَفَهُ، فلا تجعل الستر بيني وبين خواصِّي سبباً لَضَعْفِهِمْ بِقُبْحِ رَدِّكَ، وعبُوسِ وَجْهِكَ؟ وقدّم أبناء الدعوة؛ فإنهم أوّلَى بالتقديم، وثنّ بالاولياء، واجعل للعامة وقتاً إذا دخلوا أعجَلْتَهُمْ ضَيْقَهُ عن التلبّث، وصرّفهم عن التمسّك .

للحسن بن سهل

وقال الحسن بن سهل: إذا كان الملك محتججاً عن الرعية، ولم ينزل الوزير نفسه منزلةً تكون وسائلُ الناس إليه أنفسهم واستحقاقهم دون الشفاعات والحرمات، حتى يختصّ الفاضل دون المفضول، ويرتّب الناس على أقدارهم وأوزانهم ومعرفتهم، امتزج التديير، واختلّت الأمور، ولم يميّز بين الصدور والاعجاز، والنواصي والأذنان، وكان الناس فَوْضَى، ووهت أسبابُ الملأ، وانتفضت مرأئره، وشاعت سرأره، وإن أقرب ما أرجو به صلاح ما أتولاه استماعي من المنتسبين بأنفسهم، المتوسلين بأفهامهم، المتوصلين بكفائتهم، وإبتدالُ نفسى لهم، وصبرى عليهم، وتصفحى ما توسلوا به وانتحلوه: من العقول والآداب، والحماية والكفاية . فمن ثبت له دعواه أنزلته تلك المنزلة، ولم أتحيّفه حقّه، ولا نقضته حظّه، ومن قصّر عما ادعى كانت منزلته منزلة المقصرين، ولم أخيب أهله من مقدار ما يستحقّه .

لبعض البلغاء

وقال بعضُ البلغاء: إذا أسدَل الوالى على نفسه سِتْرَ الحِجَاب، وهى عمودُ تدييره؛ واسترخت عليه حمائلُ الحزيم، وازدلفت إليه وفودُ الذمّ، وتولّى عنه رشد الرّاجي، ونال أمره خللُ الانتشار، وآفة الإهمال، وتسرع إليه العائبون بلواذع ألسنتهم ودبيب قوارضهم .

بين سعيد بن
عبد الملك وعبيد
الله بن سليمان

وحجّب سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان فكتب إليه: بررتُ إلى بابك - أعزك الله - عند ما حدث من أمرك، فلم يُقضَ لقاؤك، وعلمت أن

ثَقَّتْكَ بِمَا عِنْدِي، قَدْ مَثَلَتْ لَكَ حَالِي مِنَ السَّرُورِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدَكَ ، وَأَرْتَكِ
مَوْضِعِي مِنَ الْاِعْتِدَادِ بِكُلِّ مَا خَصَّكَ وَوَصَلَ إِلَيْكَ ، فَوَكَلْتُ الْعُذْرَ إِلَى ذَلِكَ .
ثُمَّ إِنَّا نَأْتِيكَ مَثِيمِينَ بَطْلَعَتِكَ ، مُشْتَاقِينَ إِلَى رُؤْيَتِكَ ، فَيُحْجِبُنَا عَنْكَ مُلَاحَظُ .
وَهُوَ كَمَا عَلِمْتَ زَنِيمَ الصَّنِيعَةِ ، لَيْثِمَ الطَّبِيعَةِ ، يُحْجِبُ عَنْكَ الْكِرَامَ ، وَيَأْذَنُ
عَلَيْكَ لِلثَّامِ ، كَلِمًا نَجَمَتْ لَهُ يَدٌ بِيضَاءَ ، أَتَمَعَهَا يَدَا سُودَاءَ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ - أَعَزَّكَ
اللَّهُ - أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْ بَابِ مَكَارِمِكَ فَعَلْتَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

لأبي السمط
بن أبي حفصة

وقال أبو السمط بن أبي حفصة :
فَتَى لَا يُبَالِي الْمُدْلِجُونَ بِنُورِهِ
إِلَى بَابِهِ إِلَّا تُضِيءَ السُّكُوكِبُ
لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ خَيْرٍ يُعِينُهُ
وَلَيْسَ لَهُ عَنِ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ (١)
أَخَذَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ قَوْلِ جَدِّهِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ الْأَكْبَرِ :

لمروان بن
أبي حفصة

إِلَى الْمُصْطَفَى الْمَهْدِيِّ خَاضَتْ رِكَابُنَا
دُجَى اللَّيْلِ يُخْبِطُنَ السَّرِيحَ الْمَخْدَمًا (٢)
يَكُونُ لَهَا نُورُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
دَلِيلًا بِهِ تَسْرِي إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمًا

لإدريس بن
أبي حفصة

وقال إدريس بن أبي حفصة ، وَذَكَرَ إِبْلًا :
هَـأُ أَمَامِكَ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ
وَمِنْ رَجَائِكَ فِي أَعْنَاقِهَا حَادِي
لَهَا أَحَادِيثٌ مِنْ ذِكْرِكَ تَشْغَلُهَا
عَنِ الرُّتُوعِ وَتُلْمِئُهَا عَنِ الزَّادِ

لعمر بن
شأس الأسدى

وَأَصْلُهُ قَوْلُ عَمْرٍو بْنِ شَأْسِ الْأَسْدِيِّ :
إِذَا نَحْنُ أَدْجَلْنَا وَأَنْتَ أَمَامُنَا
كُنْ لِمَطَايِبِنَا بِوَجْهِكَ هَادِيَا
أَلَيْسَ يَزِيدُ الْعَيْسَ حَقْفَةَ أَذْرُعِ ،
وَإِنْ كُنَّ حَسْرَى ، أَنْ تَكُونَ أَمَامِيَا (٣)
وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَصْرِ :

وَلَيْلٌ وَصَلْنَا بَيْنَ قُطْرَيْهِ بِالسَّرِيِّ
وَقَدْ جَدَّ شَوْقٌ مُطْمِعٌ فِي وَصَالِكِ

(١) حفظى * له حاجب عن كل أمر يعيبه * وهو كذلك في كتب البلاغة (م)

(٢) الخدم : ذا الخدمة ، وهو سير يشد في رسغ البعير (م)

(٣) حسرى : متعبات .

أَعْدَنَ الطَّرِيقَ النَّهْجَ وَعَرَّ الْمَسَالِكَ^(١)
وَأَسْفَرَ مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدٍ حَالِكٍ
وَقَدْ نَشِبَتْ فِينَا أَكْفَهُ الْمِهَالِكِ
وَإِنْ كُنْتَ لِمَا تُحْطِرُنِي بِبَالِكِ

أُرَبَّتْ عَلَيْنَا مِنْ دُجَاهِ حَنَادِسٍ
فَنَادَيْتُ يَا أَسْمَاءَ ، بِاسْمِكَ ، فَانْجَلَّتْ
بِنَا أَنْتَ مِنْ هَادٍ نَجْوَنَا بِذِكْرِهِ
مَتَحْنِكَ إِخْلَاصِي وَأَصْفِيَّتِكَ الْهُوِي
وقال القطامي :

للقطامي

دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ عَنْهُ دَيَاجِرُهُ
لَذِكْرِكُمْ أَمْ يَسْجُرُ اللَّيْلَ سَاجِرُهُ

ذَكَرْتُكُمْ لَيْلًا فَنَوَّرَ ذِكْرُكُمْ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَضْوَاءَ مُسْجِرٍ
وقال القيني :

للقيني

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ تَأْقِبُهُ

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ
نَجْمٌ سَمَاءٍ كَمَا انْقَضَ كَوْكَبٌ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ
وقال الخطيئة :

للخطيئة

كَأَضَاءِ نَجْمٍ لَيْلٍ لِسَّارِي
مِنَ الْأَيَّامِ مُظْلَمَةٌ أَضَاءُهَا

نَمَشَى عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابِ أَضْأَانِ لَنَا
وَقَدْ رَدَّدَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ :
هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ إِذَا أَلَمْتُ

وكلام القاسم بن حنبل المدني من هذا ، حيث يقول :

لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُهَا
وَمَكْرُمَةٌ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ
وَمَنْ كَرَّمَ الْعَشِيرَةَ حَيْثُ شَاءُهَا

مِنَ الْبَيْضِ الْوُجُوهِ بَنِي سِنَانٍ
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ
هُمْ حَارَوا مِنْ الشَّرَفِ الْمَعْلِيِّ
وقال بعض المتقدمين :

لقاسم بن حنبل
المدني

كَفَوَّا خَابِطَ الظَّلَامِ فَقَدَّ الْمَصَابِحَ
فَكَمْ شَمَّ مِنْ أَسَى جِرَاحٍ وَجَارِحِ

إِذَا أَشْرَقَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ وَجُوهُهُمْ
وَإِنْ نَابَ خَطْبٌ أَوْ أَلَّتْ مُلِمَةٌ
وقال أبو بديل الوضاح بن محمد التيمي في المستعين :

(١) أربت : زادت وازتمت ، والدجى : جمع دجية ، وهى الظلام ، والحنادس :

الظلمات ، واحدها حندس (م) .

للوّضاح التيمي

فغطى بها ما بين سهلٍ وقرَدَدٍ (١)
به حلّ مِراثُ النبيِّ محمدٍ
رأينا بنصف الليل نورَ ضحى غدٍ
سلوكا من الجزع الذي لم يسر د
وإلا يكنّ فالنورُ من وجهِ أحدٍ

وقائلة والليلُ قد نشرَ الدجى
أرى بارقا يمدو من الجوسقِ الذي
أضاءت له الآفاقُ حتى كأنما
فضلَ عذاري الحى ينظمن تحته
فقلت : هو البدرُ الذى تعرفونه

[حث الاشتياق]

لعمر بن
أبي ربيعة

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة في معنى قول عمرو بن شأس في حث
لاشتياق :

تراها على الأعقاب بالقوم تنكصُ
بهنّ - فما بالوا - ، تجول مقلصُ
فأعينها مما تكلف تشخصُ
إذا ازداد قرب الدار والبعد ينقصُ

عليّ ما بال المطايا كأنما
قد أتعب الحادي سراهنّ ، وانحنى
قد قطعت أعناقهنّ صبايةً
زدن بنا قرباً فيزداد شوقنا
وقال بعض الرجاز ، وذكر إبلا :

لم يدلج الليلة فيمن أدلجاً

إن لها لسائقاً خدلجاً (٢)

مما أنشده
إسحاق الموصلى

يريد امرأة يحبها فيحتمه ما يجده من الشوق على إجهاد مطاياها بالسوق . كما
شد إسحاق الموصلى :

وليس ينسأكم إن حلّ أو ساراً
حتى يبيع بعمر القرب أعماراً
والقرب يلهب في أحشائه ناراً

صَبَّ يَحْتُ مطاياهُ بذكركم
لو يستطيع طوى الأيام نحوكم
يرجو النجاة من البلوى بقر بكم

هذا البيت يناسب أبيات ابن أبي ربيعة . يقول : كلما دنا ازداد حرصاً

اللقاء .

(١) القردد : ما ارتفع من الأرض ، والجمع قراديد .

(٢) خدلج : ممتلىء الذراعين والساقين .

وشخص إسحاق الموصلى إلى الواثق بسر من رأى ، وأهله ببغداد ، فتصيد
الواثق وهو معه إلى نواحي كُبراء ، فلما قرب من بغداد قال :
طربت إلى الأصبينية الصغار وهاجك منهم قُربُ المزار
وكل مسافر يزاد شوقاً إذا دنت الديار من الديار
ولحنه وغناه الواثق ، فاستحسنة وأطربه ، فصرفه إلى بغداد على ما أحب
وكان إسحاق قال أولاً :

وكل مسافر يشفق يوماً إذا دنت الديار من الديار
فعاابوا قوله « يوماً » ، وقالوا : هى لفظة قاتمة فى هذا الموضع ، لم تخل
بمركرها ، ولا لها هنا موقع . قال : فضعوا مكانها مثلها لا خيراً منها . فما استطاعوا
ذلك ، فغيرها إلى ما أنشدت أولاً .

وقال أبو نواس :

لأبى نواس

أما الديار فقلما لبثوا بها بين اشتياق العيس والركبان
وضعوا سياط الشوق فوق رقابها حتى طلعت بها على الأوطان
وقال مخلد بن بكار الموصلى :
أقول لنضو أفند السير نيتها^(١) ولم يبق منها غير عظم مجلد
خدى بى ابتلاك الله بالشوق والهوى وشاقك تحنان الحمام المغرد^(٢)
فمرت سريعاً خوف دعوة عاشق تشق بى المومة فى كل فدفد^(٣)
فلما وئت فى السير ثنيت دعوتى فكانت لها سوطاً إلى ضحوة الغد

لمخلد بن بكار
الموصلى

وكان مخلد حلو الطبع ، وهو القائل يمدح رجلاً :

يطلع النجم على صعده فإذا واجه نحرأ أفلا
مغشراً إن ظميت أرماحهم أوردوهن مجاجات الطلى

(١) التى : الشحم - والنضو ، بكسر النون وسكون الضاد ، الذى نال منه الهزال
من الإبل (م) .
(٢) خدى : فعل أمر من الخد ، وهو السير السريع . (٣) الفدفد : الصحراء .

تَحْسُنُ الْأَلْوَانُ مِنْهُمْ فِي الْوَعَى حِينَ تَسْتَنْكِرُ لِلرُّعْبِ الْحَلِي
 سُخْطَ عَبْدِ اللَّهِ يَدْنِي الْأَجْلَا وَرِضَاهُ يَتَعَدَّى الْأَمَلَا
 يُعْشِبُ الصَّدْدُ إِذَا سَامَهُ وَإِذَا حَارَبَ رَوْضًا أَمْحَلَا
 [مَلِكٌ لَوْ نُشِرَتْ آلاؤُهُ وَأَيَادِيهِ عَلَى اللَّيْلِ انْجَلَى]
 حَلَّ بِالْبَأْسِ ابْنُ عَمْرٍو مِنْزَلًا طَالَ حَتَّى قَصُرَتْ فِيهِ الْعُلَا
 حَطَّ رَحْلِي فِي ذَرَاةِ جُودِهِ وَتَمَشَّى فِي نَدَاهُ الْخَيْرِي (١)

[جَوْدَةُ الْخَطِّ]

صفة الخط
الجيد

سُئِلَ بَعْضُ الْكُتَّابِ عَنِ الْخَطِّ : مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجُودَةِ ؟ فَقَالَ :
 إِذَا اعْتَدَلَتْ أَقْسَامُهُ ، وَطَالَتْ أَلْفُهُ وَلَا مَهْ ، وَاسْتَقَامَتْ سَطُورُهُ ، وَضَاهَى صَعُودُهُ
 حُدُورُهُ ، وَتَفْتَحَتْ عَيْونُهُ ، وَلَمْ تَشْتَبِهْ رَأُوهُ وَنُونُهُ ، وَأَشْرَقَ قِرْطَاسُهُ ، وَأَظْلَمَتْ
 أُنْقَاسُهُ ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ أَجْنَاسُهُ ، وَأَسْرَعَ إِلَى الْعَيْونِ تَصَوُّرُهُ ، وَإِلَى الْعُقُولِ تَمَثُّرُهُ ،
 وَقَدَّرَتْ فِصُولُهُ ، وَانْدَجَجَتْ وَصُولُهُ ، وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ ، وَخَرَجَ مِنْ نَمَطِ
 الْوَرَّاقِينَ ، وَبَدَدَانَ عَنِ تَصْنَعِ الْمَحْرَرِينَ (٢) ، وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامَ النِّسْبَةِ وَالْحَلِيَّةِ ، كَانَ
 حِينَئِذٍ كَمَا قَالَ صَاحِبُ هَذَا الْوَصْفِ فِي صِفَةِ خَطِّ :

إِذَا مَا تَجَلَّالَ قِرْطَاسُهُ وَسَاوَرَهُ الْقَلَمُ الْأَرْقَشُ
 تَضَمَّنَ مِنْ خَطِّهِ حُلَةً كَنَقَشِ الدَّنَانِيرِ ، بَلْ أَنْقَشُ
 حُرُوفَ تَعْيِيدٍ لَعِينِ الْكَلِيلِ نَشَاطًا وَيَقْرُوهَا الْأَخْفَشُ

وراق يصف
عيشه

قَالَ أَبُو هَفَّانَ : سَأَلْتُ وَرَّاقًا عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : عَيْشِي أَضْيِيقُ مِنْ مِجْبَرَةٍ ،
 وَجِسْمِي أَدَقُّ مِنْ مِسْطَرَةٍ ، وَجَاهِي أَرْقُ مِنْهُ الزَّجَاجُ ، وَوَجْهِي عِنْدَ النَّاسِ أَشَدُّ
 سَوَادًا مِنَ الْخَبْرِ بِالزَّجَاجِ ، وَحِظِي أَخْفَى مِنْ شِقِّ الْقَلَمِ ، وَيَدَايَ أَضْعَفُ مِنْ قِصْبَةِ
 وَطْعَامِي أَمْرٌ مِنَ الْعَفْصِ ؛ وَشَرَّابِي أَحَرُّ مِنَ الْخَبْرِ (٣) ، وَسَوْءُ الْحَالِ أَلْزَمُ لِي مِنَ
 الصَّمْغِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : عَبَّرْتَ عَنْ بِلَاءِ بِلَاءِ !

(١) الخيزلي : مشية فيها ثناقل . (٢) في نسخة «المحدرين» (م) .
 (٣) كذا ، وفي ديوان المعاني (ص ٨٢) «أسود من الخبر» وهي أحسن (م) .

وقال الحدوني :

ثِنْتَانِ مِنْ أَدْوَاتِ الْعِلْمِ قَدْ ثِنْتَانَا
عِنَانَ شَأْوِي عَمَارُتُ مِنْ هِمَمِي
أَمَّا الدَّوَاةُ فَأَدُمِي جَرْمُهَا جَسَدِي
وَقَلَمُ الحِطِّ تَحْرِيفٌ مِنَ القَلَمِ
وَحَبَّرْتُ لِي صُحُفَ الحَرْفِ مِخْبَرَةً
تَدُودٌ عَنِّي سَوَامَ المَالِ والنَّعَمِ
وَالْعِلْمُ يَعْلَمُ أَنِي حِينَ آخِذُهُ
لِعَصْمِي نَافِرٌ خَلُوهُ مِنَ العِصْمِ
وللحدوني في الحرفة أشعار مستظرفة ، وكان مليح الافتنان ، حلو التصرف ؛
وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ، وحمدويه جدّه ، وهو صاحب الزنادقة في
أيام الرشيد ، والحدوني القائل :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ
فَنَحْنُ مِنْ نَظَارَةِ الدُّنْيَا
نَرْمُقُهَا مِنْ كَثَبِ حَسْرَةٍ
كَأَنَّا لَفْظٌ بِلَا مَعْنَى

وقال :

قَدْ قُلْتُ إِذْ خَرَجُوا لِكِي يَسْتَمْطِرُوا:
لَا تَقْنَطُوا وَاسْتَمْطِرُوا بَيْتِي أَبِي
لَوْ فِي حَزْرَانٍ هَمَمْتُ بَعْسَهَا
غَطَى ضِيَاءَ الشَّمْسِ جَوْهُ سَحَابِ
فَكَأَنَّهَا العَبَّاسُ يُسْتَسْقَى بِهِ
عُمَرُ فَيُرِيهِمْ دُعَاءَ مُجَابِ (١)

[حرفة الأدب]

وقال آخر في المعنى الأول :

لبعض الشعراء

لَمَّا أُجِدَّتْ حُرُوفُ الحِطِّ حَرَّ فَنِي
عَنْ كُلِّ حِطٍّ وَجَاءَتْ حِرْفَةُ الأَدَبِ
أَقْوَتُ مَنَازِلُ مَالِي حِينَ وَطَنَهَا
نَحْيًا سَفَطُ الأَقْلَامِ وَالكُتُبِ
وقال يعقوب الخريمي :

للخريمي

مَا أزدَدْتُ فِي أَدْبِي حَرْفًا أَسْرَهُ
إِلَّا تَزِيدَتْ حَرْفًا تَحْتَهُ سُومُ
كَذَلِكَ مِنْ يَدَّعَى حِدْقًا بَصْنَعْتَهُ
أَنِّي تَوَجَّهَ فِيهَا فَهَوَ حَجْرُومُ

(١) احتبس المطر بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى ، فاستسقى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بالعباس بن عبدالمطلب ، فسقاهم الله تعالى .

ولما قتل المعتذر أبا العباس بن المعتز، وزعم أنه مات حَتَفَ أنفه، قال علي بن العلى بن بسام محمد بن بسام :

للهِ درُكٌ مِنْ مَيِّتٍ بِمَضِيَّةٍ نَاهِيكَ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَابِ وَالْحَسَبِ
مَا فِيهِ لَوْ لَا لَيْتَ فَيَنْقِصُهُ وَإِنَّمَا أَدْرَكْتَهُ حِرْفَةُ الْأَدَبِ

[رزق الحمقى والعقلاء]

قال ابن الرومى : لابن الرومى

يَا لَيْتَ أَهْلَ الْبَيْتِ إِذْ حُرِمُوا عَصِمُوا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْفِتَنِ
لَكِنَّهُمْ حُرِمُوا وَمَا عَصِمُوا فَقَلُوبُهُمْ مَرَضَى مِنَ الْحَزَنِ
وَهُمْ أَطْبُّ عَلَى بَلِيَّتِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ بِمَضَاةِ الشَّجَنِ (١)

وقال جعفر بن محمد : إن الله وسع أرزاقَ الحمقى ليعتبر العقلاء ، ويعلموا أن الدنيا لا يُنالُ ما فيها بعقلٍ ولا حيلة ؛ ألا إن كسب المال بالخط ، وحفظه بالعقل .

قال إبراهيم بن سيار النظام : الذهب لئيم ؛ لأنَّ الشكل يصيرُ إلى شكليه ، وهو عند اللئام أكثرُ منه عند الكرام . قال المتنبي - وأخذ هذا المعنى :

وَشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهُنَا بِدُنْيَانَا الطَّعَامُ

وكان النظام له نظرٌ بوجوه التصرف ، وكان السلطان يصِلُهُ بالكثير ، وكان محظوظا ؛ فإذا اجتمع له مالٌ حبسَ لنفسه بلغة ، وفرَّقَ الباقي في أبواب المعروف ؛ فقيل له في ذلك ، فقال : من حقِّ المالِ علىَّ أن أطلبه من معدنه ، وأصيب به الفرصة عند أهله ؛ ومن حقِّي عليه أن يقيني سوءَ نفسه ، ويصونَ عرضي

(١) المضاة : وجع المصيبة ، والشجن - بالتحريك - الحزن (م)

بابتدائه ، ولا يفعل ذلك إلا بأن أسمح به ؛ ألا ترى ذا الغنى ؛ ما أذومَ نصَبِه (١) ، وأقلِّ راحته ، وأخسَّ من ماله حَظَّه ، وأشدَّ من الأيام حذرَه ، وأغرَى الدهرَ بثَلْبِه ونَقَصِه ، ثم هو بين سلطان يرعاه ، وذوى حقوق يسبونه ، وأكفاء ينافسونه ، وولد يريدون فرآقه ، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء ، ومن أ كفائه الحسد ، ومن أعدائه البغى ، ومن ذوى الحقوقِ الذمَّ ، ومن الولدِ المالَ ، وذو البلغة قنعَ فدام له السرور ، ورفض الدنيا فسلمَ من المحذور ، ورَضِيَ بالكفاف فتتكبته الحقوق . :

[أفكار الوراقين]

وصف الوراق

قال الصولى أنشدنى محمد بن أحمد بن إسحاق :

أدُمى البكا جفنى والمآقِ فظلتُ ذَاهِمٌ وذا احتِراقِ
 ما إن أرى فى الأرض والآفاقِ أذنى ولا أشقى من الوراقِ
 إذا أتى فى القميصِ الأخلاقِ رأيتَه مطيرة العُشَّاقِ (٢)
 يفرح بالأقلام والأوراق كقرحةِ الجندى بالأرزاقِ

وقال بعض الوراقين :

إذا كنتُ بالليلِ لا أكتبُ وطول النهار أنا العبُ
 فغسوراً يبطلنى ما كَلُّ وطوراً يبطلنى مشربُ
 فإن دامَ هذا على ما أرى فبیتى أوّل ما يخرَبُ

وقيل لوراق : ما تشتهى؟ فقال : قلماً مسافاً ، وجبراً برافاً ، وجلوداً رقاقا . وكل امرئ فأمניתه على ما يطابقُ غريزته ، ووافقُ نَحِيْزته (٣) .

(١) النصب : التعب ، وزنا ومعنى (م) .

(٢) القميص : جمع قميص ، والأخلاق : جمع خلق - بالتحريك - وهو البالى (م) .

(٣) الغريزة والنحيزة : الطبيعة والسجية .

[أطيب اللذات عند الشعراء]

لذات امرئ القيس : ما أطيب لذات الدنيا ؟ قال : بيضاء رُعبوبة^(١) ، بالحسن مكبوبة ، بالشحْم مكروبة^(٢) ، بالمسك مَشْبُوبَة .

لذات الأعشى وسئل الأعشى عن ذلك ، فقال : صَهْبَاءُ صافية^(٣) ، تَمْرُجُهَا ساقية ، من صَوْبِ غادية^(٤) .

لذات طرفه وسئل طرفه عن ذلك ، فقال : مركب وطي ، وثوبٌ بهي ، ومطعم شهى .
لذات أبي دلف قال العكوك : فحدثت بهذا أبادلف ، فقال :

أطيبُ الطيبات قتلُ الأعادي واختيالٌ على مُتُونِ الجيادِ
ورسولٌ يأتي بوعدِ حبيبٍ وحبيبٌ يأتي بلا ميعادِ
وحدثت بذلك حميدا الطوسي ، فقال :

لذات حميد الطوسي فلولاً ثلاث هنَّ من لذةِ الفتى ، وجدك ، لم أخفلُ متى قام عودِي
فمن سبقُ العاذلاتِ بشربةٍ كُميت ، متى ما تُعل بالماء تزبد^(٥)
وكرى إذا نادى المضافُ مُحنباً كسيد الغضا ذى السورةِ المتورد^(٦)
وتقصيرُ يومِ الدجنِ ، والدجنُ مُعجبٌ بهيكنةٍ تحت الخبَاءِ المعمد^(٧)
الشعر لطرفة بن العبد .

(١) رعبوبة : حلوة ناعمة حسنة ، وفي نسخة « بالحسين مكتوبة » (م) .

(٢) مكروبة : ممتلئة (م) (٣) الصهباء : الخمر (م)

(٤) الغادية : السحابة (م) (٥) الكميت - بالتصغير - الخمر ، وتزبد :

تعلوها الرغوة (م) .

(٦) المضاف : البأس الذي أحيط به ، والمحنب : أراد به الفرس الشديد .

(٧) الدجن : الغيم ، والهيكنة : الخفيفة الروح الطيبة الرائحة من النساء ، والخباء :

أراد الخيمة ، والمعمد : ذى الأعمدة (م) .

لذات يزيد
ابن عبد الله

وحدثت بذلك يزيد بن عبد الله ، فقال : ما أدري ما قالوا ، ولكني أقول :
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنَا بِعَيْشِهِ نَفَعَهُ
فَكَانَ أَسَدَهُمْ .

من شعر
الأضبط بن
قريع

والبيت للأضبط بن قريع ، أنشده أبو العباس ثعلب ، قال : وبلغني أن هذه
الآيات قيلت قبل الإسلام بدهرٍ طويل :

لكل ضيقٍ من الأمورِ سَعَهُ والصَّيْحُ وَالْمُسْنَى لَا فَلَاحَ مَعَهُ (١)
مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مَصَابِكُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ وَزَعَهُ
أَذُودٌ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي يَا قَوْمَ ، مَنْ عَاذِرِي مِنَ الْخُدَعَةِ ؟
حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَتْ عَمَائِتُهُ أَقْبَلَ يَلْحَى وَغِيَّهُ فَجَعَمَهُ (٢)
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ
وَيَقْطَعُ الثَّوْبَ غَيْرُ لَابِسِهِ وَيَلْبَسُ الثَّوْبَ غَيْرُ مَنْ قَطَعَهُ
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّ عَيْنَا بِعَيْشِهِ نَفَعَهُ
وَصَلَّ حَبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ ، وَأَقْصِ الْقَرِيبِ إِنْ قَطَعَهُ
وَلَا تَعَادِ الْفَقِيرَ عَمَّا أَنْ تَرَكَهُ يَوْمًا وَالدهرُ قَدْ رَفَعَهُ (٣)
هذا البيت شبيه بما روى عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يستنشدني قول اليهودى :

ارْفَعِ ضَعْفِكَ لَا يَجْرُبُكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا فَتُدْرِكُهُ الْعِوَاقِبُ قَدْ نَمَّا (٤)
يَجْرُبُكَ ، أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ ، وَإِنْ مَنْ أَنْتَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَنْ جَزَى
فَأَنْشَدَهُ ، فَيَقُولُ : إِنْ فِطْنٌ لَهَا :

(١) في الأمالي (١٠٧/١) « لكل هم من الهموم سعه » (م)

(٢) عمائته : ضلالاته ، ويلحى : يلوم أشد اللوم (م)

(٣) يرويه النجاة « لا تهين الفقير علك أن - إلخ » (م)

(٤) لا يجربك ضعفه : يريد أنه قد يرجع الضعف إليك ويتعشى هو (م)

وكان الأضبط سيد بنى سعد، وكانوا يشتمونه ويؤذونه، فانتقل إلى حيٍّ من العرب فوجدهم يؤذون سادتهم، فقال: حينما أوجه ألق سعداً! فذهبت مثلاً قال الطائي:

فلا تحسبن هندا لها الغدرُ وحدها سجيةً نفسٍ، كلُّ غانيةٍ هندُ
[وصف الحابر والأفلام]

لبعض الكتاب
يصف محبرة

قال بعضُ الكتابِ يصفُ محبرةً :
ولقد مضيتُ إلى الحدِّثِ أنفًا
وإذا ظبأه الإنسُ تكتبُ كلَّ ما
يتجادبون الحبرَ من مَلُومةٍ
من خالصِ البلورِ غيرَ لونها
إنْ نكسوها لم تسِلْ، ومليكتها
ومتى أمالوها لرشفِ رُضابها
وكانها قلبي يَضُنُّ بسِرِّه
يَمْتاحُها ماضِي الشبابةِ مُدَلِّقٌ
رجلاهُ رأسُ عندهِ آكِنَه
وكانه والحبرُ يَحْضِبُ رأسه
لم لا الأَحظه بعينِ جلاله
وقال أبو الفتح كشاجم :

لأبي الفتح
كشاجم

مِحْبَرَةٌ جَادَ لِي بِهَا فَمَرُّ
جوهره خَصَنِي بِحُورَةٍ
بيضاءٍ والحبرُ في قراراتها
مثل بياضِ العيونِ زِينَهُ
مَسْتَحْسَنُ الخَلْقِ مَرَّ نَضَى الخَلْقِ
نَاطَتْ لَهُ المَكْرَمَاتِ فِي عُنُقِي
أَسْوَدُ كالمِسْكِ جَدِّ مُنْفَتِقِ
مُسَوِّدٌ ما شَابَهُ مِنَ الخَلْدِ

(١) مَلُومة : مستديرة (م) (٢) السبيج : الحرز الأسود (م)
(٣) أصل المتح نزع الماء من البئر، والشبابة : حد كل شيء، والمذلق : المحدث،
أوراد القلم (م)

كَأَنَّمَا جَبْرُهَا إِذَا تَنَزَّرَتْ أَقْلَامُنَا ظَلَمَهُ عَلَى الْوَرَقِ
 كَحُلِّ مَرْتَةِ الْعُيُونِ مِنْ مَقْلٍ نُجَلِّي فَأَوْقَتْ بِهِ عَلَى يَقَقِ (١)
 خَرَسَاءَ لَكِنَّهَا تَكُونُ لَنَا عَوْنًا عَلَى عِلْمِ أَفْصَحِ النَّطْقِ
 وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ : الْقَلَمُ أَمْرُهُ ، مَا لَمْ يَكْتَسِبْ بِإِثْمِ الدَّوَاةِ (٢) .

وكتب إبراهيم بن العباس كتاباً فأراد نحو حرف فلم يجد منديلاً ، فحاه بكلمته ،
 فقيل له في ذلك ، فقال : المالُ فرَعٌ ، والعلمُ أصلٌ ؛ وإنما بلغنا هذه الحال ، واعتقدنا
 هذه الأموال (٣) بهذا القلم والمداد ، ثم قال :

إِذَا مَا الْفِكْرُ أَضْمَرَ حُسْنَ لَفْظٍ وَأَدَّاهُ الضَّمِيرُ إِلَى الْعِيَانِ
 وَوَشَّاهُ وَتَمَنَّمَهُ مُسَدِّدٌ فَصِيحٌ بِالْمَقَالِ وَبِاللِّسَانِ
 رَأَيْتَ حُلَى الْبَيَانِ مَنْوَرَاتٍ تَضَاحَكُ بَيْنَهَا صُورُ الْمَعَانِي

ألفاظ لأهل العصر في أوصاف آلات الكتابة والدوي والأقلام

الدواة من أنفع الأدوات ، وهي للكتابة عتاد ، وللخاطر زناد ، غدير لا يردُّه
 غَيْرُ الْأَفْهَامِ ، ولا يمتح بغير أرشية الأقلام (٤) ، دواة أنيقة الصنعة ، رشيقة
 الصبغة ، مسكية الجلد ، كافورية الحليمة . غدير تفيض ينابيع الحكمة من أقطاره ،
 وتنشأ سحْبُ البلاغة من قراره . دواة تُداوي مَرَضَ عَفَاتِكَ ، وتُدوي قُلُوبَ
 عِدَاتِكَ ، على مَرَفَعِ يُوْذِنُ بِدَوَامِ رِفْعَتِكَ ، وارتفاعِ النوائب عن ساحتك ،
 ومدادٍ كسواد العين ، وسويداء القلب ، وجناح الغراب ، ولعاب الليل ، وأوانٍ
 دُهْمِ الْخَلِيلِ . وهذا من قول ابن الرومي :

جِبْرُ أَبِي حَفْصٍ لُعَابُ اللَّيْلِ كَأَنَّهُ أَلْوَانُ دُهْمِ الْخَلِيلِ

- (١) مرتة العيون : استخرجته ، والمقل : جمع مقلة ، وهي العين ، والنجل :
 جمع نجلاء ، وهي الواحمة ، واليقق - بالتحريك - الأبيض (م)
 (٢) الأمره : وصف من المره - بالتحريك - وهو خلو العين من الكحل (م)
 (٣) اعتقدنا هذه الأموال : تأثنتها وجمعناها (م)
 (٤) الأرشية : جمع رشاء ، وأصله جبل الدلو (م)

قال العاصر : مدادٌ ناسب خافية الغراب ، واستعمار لونه من شريح الشباب ،
وأقلام جثة المحاسن ، بعيدة من المطاعين ، تعاصى الكاسى ، وتمايع الفامز
القايسى . أنابيب ناسبت رماح الخط في أجناسها ، وشاكت الذهب في ألوانها ،
وضاهت الحديد في لمعانها ؛ كأنها الأميال استواء ، والآجال مضاء ، بطيئة الحفى ،
قوية القوى ، لا يشظيها (١) القط ، ولا يتشعب بها الخط . أقلام بحرية مؤشئة
الليط (٢) ، راقية التخطيط . قلم معتدل الكعوب ، طويل الأنبوت ، باسق
المفروع ، روى الزينوع ، هو أولى باليد من البنان ، وأخفى للسر من اللسان .
هو للأنامل مطية ، وعلى الكتابة معونة مرضية . نعم العدة القلم : يقلم أظافر
الدهر ، ويملك الأقاليم بالنهى والأمر ، إن أردت كان مسجوناً لا يمل الإسار ،
وإن شئت كان جواداً جارياً لا يعرف العثار ، لا يندبو إذا نبت الصفاح (٣) ،
ولا ينجح إذا أحجمت الرماح .

لأبي الفتح
كشاجم

قال أبو الفتح كشاجم ، يصف محبرة ومقامة وأقلاماً وسكيناً :

جِسمي من اللهو وآلات الطرب	ومن عتادٍ وثراءٍ ونسب
ومن مدامٍ ومنانٍ تصطبج	وهمة طماحة إلى الرتب
مجالس مصونة من الرب	معمورة من كل علمٍ وأدب
تكاد من حر الحديث تلتهب	شعراً وأخباراً ونحواً يقتضب
ولغة تجمع ألفاظ العرب	وفقراً كالوعد في قلب المحب
أو كتانى الرزق من غير طلب	أجل ، وحسبي من دوى تلتخب
مخليات بلجين وذهب	مخبرة يزهى بها الحيز الألب (٤)
مقوبة آذانها ، وفي الثقب	مثل شنوف الحراد البيض العرب (٥)

(١) لا يشظيها : لا يقطعها شظايا (م) (٢) الليط ، بالكسر : القشر .

(٣) الصفاح : السيوف (م) (٤) الحبر ، بالكسر : العالم (م) .

(٥) العرب ، بضم العين والراء : جمع عروب . وهى المرأة المتحجبة إلى زوجها .

نصمن قطراً فيه للكتب عشب
 لا تنضب الحكمة إلا إن نضب
 كالقرط في الجيد تدلى فاضطرب
 كأنه يودع نبالاً من قصب
 لا تنضحك الأوراق حتى ينتحب
 رمية متى أفصد به السمّت أصب
 غصبي على الأفلام من غير سبب
 وإما ترضيك في ذلك العصب
 والظرف في الآلات مما يستحب
 أسود يجري بعمان كالشهب
 نبطت إلى يسرى يدي بسبب
 تصحبها ، والأخوات تضطحب
 لم يعلها ريش ولم تحمل عقب^(١)
 ترمي بها بمنى أغراض الكتب
 ومُدية كالعصب ما مسّ القصب
 تسطو بها في كل حين وتب
 فتلك آلاتي ، وآلاتي تحب
 لا سيما ما كان منها للادب

[عمال المأمون]

نظم رجل إلى المأمون من عامل له ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما ترك لي
 فضة إلا فضها ، ولا ذهباً إلا ذهب به ، ولا غلة إلا غلها ، ولا ضيمة إلا
 أضعها ، ولا علقاً^(٢) إلا علقه ، ولا عرضاً إلا عرض له ، ولا ماشية إلا امتشها^(٣) ،
 ولا جليلاً إلا أجلاه ، ولا دقيقاً إلا أدقه . فعجب من فصاحته وقضى حاجته .
 قال عمرو بن سعد بن سلم : كانت عليّ نوبة أنوبها في حرس المأمون ،
 فكنت في نوبتي ليلة فخرج متفقداً من حضر ، فعرفته ولم يعرفني ، فقال : من
 أنت ؟ قلت : عمرو ، عمرك الله ، ابن سعيد ، أسعدك الله ، ابن سلم ، سلمك الله .
 فقال : تكلمونا منذ الليلة . قلت : الله يكلؤك قبلي ، وهو خير حافظا وهو
 أرحم الراحمين .

فقال المأمون :

إن أخاك الحق من يسعى معك
 ومن يضرب نفسه لينقعك
 ومن إذا صرف زمان صدعك
 بدد شمل نفسه لجمعك

(١) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار (م) .

(٢) العلق ، بالكسر ، النفيس من كل شيء . (٣) امتشها : ذهب بها كلها .

[الورد والرجس]

لابن الروي

وقال علي بن العباس الروي :

خَجَلَتْ خُدُودُ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلًا تَوَرَّدَهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ
 لَمْ يَخْجَلِ الْوَرْدُ الْمُرْدُ لَوْنَهُ إِلَّا وَنَاحِلُهُ الْفَضِيلَةَ عَانِدُ
 لِلرَّجْسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ إِذَا بَدَأَ بَيْنَ الرِّيَاضِ طَرِيفِهِ وَالتَّلَادُ
 وَكَانَ ابْنُ الرُّوِيِّ مُتَعَصِّبًا لِلرَّجْسِ ، كَثِيرَ الذَّمِّ لِلوَرْدِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي
 الْحَسَنِ ابْنِ الْمُسَيْبِ :

أَدْرَكَ ثِقَاتِكَ مِنْهُمْ وَقَعُوا فِي نَرْجِسٍ مَعَهُ أُبْنَةُ الْعِنَبِ
 فَهُمْ بِحَالٍ لَوْ بَصُرْتُ بِهِمَا سَبَّحْتَ مِنْ عَجَبٍ وَمِنْ عَجَبِ
 رِيحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرِّ وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبِ
 فِي رَوْضَةٍ شَتْوِيَّةٍ رَضَعَتْ دِرَّ الْحَمِيَاءِ حَلْبًا عَلَى حَلَبِ
 وَالْيَوْمُ مَدْجُونٌ مُحَرَّتُهُ فِيهِ بِمُطْلَعٍ وَمُحْتَجِبِ^(١)
 ظَلَّتْ تَسَامِرُنَا وَقَدْ بَعَثَتْ ضَوْءًا يُبْلِغُنَا بِلَا لَهَبِ
 وَكَانَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ مُسْتَهْتَرًا بِالرَّجْسِ^(٢) ، وَكَانَ يَقُولُ : هُوَ يَاقُوتُ

أصفر ، بين درّ أبيض ، على زمرّد أخضر . نقله بعض المحدثين فقال : لبعض المحدثين

وَيَاقُوتَةٌ صَفْرَاءُ فِي رَأْسِ دُرَّةٍ مَرَكَبَةٌ فِي قَائِمٍ مِنْ زَبَرَجَدِ
 كَمَثَلِ بَهِيِّ الدَّرِّ عَقْدِ نَفْلَامِهَا نَشِيرٌ فِرْنِدٍ قَدْ أَطَافَ بِعَسْجَدِ
 كَانَ بَقَايَا الطَّلِّ فِي جَنَابَاتِهَا بِقِيَّةٍ دَمْعٍ فَوْقَ خَدِّ مُورَدِ

رجع ابن الروي :

رجع

لابن الروي

فَصَلُّ الْقَضِيَّةِ أَنَّ هَذَا قَائِدٌ زَهَرَ الرَّبِيعِ وَأَنَّ هَذَا طَارِدٌ
 شَتَّانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا مُوعِدٌ بَتَّصْرَمِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاعِدٌ

(١) مَدْجُونٌ : قَدِغَطِي سَمَاءِ الْغَيْمِ ، وَحَرَّتُهُ : شَمْسُهُ ، وَمُطْلَعٌ : اسْمُ لِمَكَانِ

الطَّلُوعِ ، وَمُحْتَجِبٌ : اسْمُ لِمَكَانِ الْاِحْتِجَابِ (م) .

(٢) مُسْتَهْتَرًا : مُوَلَعًا (م) .

فإذا احتفظت به فامتّع صاحب
 ينهى النديم عن القبيح بلخظه
 اطلب بمقلك في الملاح سمّيه
 والورد إن فتشت فرد في اسمه
 هذى النجوم هي التي ربّيتها
 فانظر إلى الولدين ، من أدناهما
 أين الخدود من العيون نفاسة
 وقد ناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم في هذا المذهب ، وذهبوا إلى تفضيل
 الورد ؛ فما دانوه وما استطاعوه .

لأحمد بن يونس
 الكاتب رد على
 ابن الرومي ،

قال أحمد بن يونس الكاتب راداً عليه :
 يا من يشبه نرجساً بنواظر
 إن القياس لمن يصحّ قياسه ،
 والورد أصدق للخدود حكاية
 ملك قصير عمره مستأهل
 إن قلت إن الورد فرد في اسمه
 فالشمس تفرّد باسمها والمشتري
 أو قلت إن كواكبها ربيبتها
 قلنا أحقهما بطبع أبيه في
 زهر النجوم ترؤفنا بضيائها
 وكذلك الورد الأنيق يرؤفنا
 وخليفه إن غاب ناب بنفعه
 دُعج ، تدبّه إن فهمك راقد
 بين العيون وبينه متباعد
 فعلام تجحد فضله يا جاحد
 تخلّده ، لو أنّ حياً خالد
 ما في الملاح له سمى واحد
 والبدر يشرك في اسمه وعطارد
 بحياً السحاب كما يرّبّي الوالد^(١)
 جدوى هو الزاكي النجيب الرّاشد
 وله منافع جمّة وعوائد
 وله فضائل جمّة وفوائد
 وبنفحه أبداً مقيم راكد

(١) في نسخة « مساعد » . (٢) حيا السحاب : ماؤه .

إِنْ كُنْتُ تُنْكِرُ مَا ذَكَرْنَا بَعْدَ مَا وَضَحْتَ عَلَيْهِ دَلَائِلُ وَشَوَاهِدُ
فَانظُرْ إِلَى الْمُصْفَرِّ لَوْنًا مِنْهُمَا وَافْظَنْ فَمَا يَصْفَرُّ إِلَّا الْحَاسِدُ

نبت من النظم والنثر

في صفات النور والزهر

لعلي بن الجهم

قال علي بن الجهم :

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ أُعْجِبَهُ حُسْنُ الرِّيَاضِ وَصَوْتِ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
بَدَا فَأَبَدَتْ لَنَا الدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا وَرَاحَتِ الرِّيحُ فِي أَثْوَابِهَا الْجُدُدِ
وَقَابَلَتْهُ يَدُ الْمُشْتَقِ تَسْنِدُهُ إِلَى التَّرَائِبِ وَالْأَحْشَاءِ وَالسَّكْبِدِ
كَأَنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ صَبَابَتِهِ أَوْ مَانِعًا جَفَنَ عَيْنِيهِ مِنَ الشُّهْدِ
بَيْنَ النَّدِيمِينَ وَالنَّجِلِينَ مَضْرَعُهُ وَسَيْرُهُ مِنْ يَدِ مَوْصُولَةٍ بِيَدِ
مَا قَابَلَتْ طَلْعَةَ الرِّيْحَانِ طَلْعَتَهُ إِلَّا تَبَيَّنَتْ فِيهِ ذِلَّةُ الْحَسَدِ
قَامَتْ بِحُجَّتِهِ رِيحٌ مُعَطَّرَةٌ تَشْفِي الْقُلُوبَ مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْكَبَدِ
لَا عَذَابَ لِلَّهِ إِلَّا مَنْ يُعَذِّبُهُ بِمُسْمَعٍ بَارِدٍ أَوْ صَاحِبِ نَكِيدِ (١)

وكان أردشير بن بابك يصف الورد ويقول : هو درُّ أبيض ، وياقوت أحمر ،
على كراسي زبرجد أخضر ، توسطه شذور من ذهب أصفر ، له رقة الخمر ،
ونفحات العطر (٢) أخذه محمد بن عبد الله بن طاهر فقال :

محمد بن عبد الله
بن طاهر

كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتُ يُطِيفُ بِهَا زُمْرُودٌ وَسَطَهُ شَذْرٌ مِنَ الذَّهَبِ
فَأَشْرَبَ عَلَى مَنْظَرٍ مُسْتَظَرِّفٍ حَسَنٍ مِنْ خَمْرٍ مَرَّةً كَالْجَمْرِ فِي اللَّهَبِ (٣)

المتوكل

وقال يزيد المهلبی : أَحَبُّ الْمُتَوَكَّلِ أَنْ يَنَادِمَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، الْخَلِيعُ وَابْنُ الضَّحَّاكِ

(١) المسموع - على زنة اسم الفاعل - المعنى (م) .

(٢) مرّة : لذينة الطعم (م) .

البصرى ، وأن يرى ما بقى من ظرفه وشهوته لما كان عليه ؛ فأخضره وقد كبر
وضَعَفَ ، فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع : اسقِه ؛ فسقاه وحياه بوردة ،
وكانت على شفيع أنوابٌ ، فمدَّ الحسين يده إلى درع شفيع ، فقال المتوكل :
أتمشم غلامى بحضرتى ؟ كيف لو خلوتَ به ! ما أحوجك يا حسينُ إلى أدب !
وكان المتوكل غمز شفيعا على العيب به ، فقال حسين : سيدى ، أريد دواة وقرطاسا ؛
فأمر له بهما ، فكتب :

وكالوردة البيضاء حياءً بأخمرٍ من الوردِ يسعى فى قرأطِقِ كالوردِ^(١)
له عبتاتٌ عنـد كلِّ تحييةٍ بكفيه يستدعى الخليلَ إلى الوجدِ
تمنيتُ أن أسقى بكفيه شربةً تذكرنى ما قد نسيتُ من العهدِ
سقى الله عيشا لم أتم فيه ليلةً من الدهر إلا من حبيب على وعدِ

ثم دفع الرقعة إلى شفيع ، وقال : ادفعها إلى مولاك ؛ فلما قرأها استملحها ،
وقال : لو كان شفيع ممن تجوز هبته لو هبته لك ، ولكن بحياتي يا شفيع إلا كنت
ساقيه بقتية يومه ! وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف .

قال يزيد المهلبى : فصرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام ،
فقلت : ويحك ! أتدرى ما صنعت ؟ قال : لا أدعُ عادتى بشيء ، وقد
قلت بعدك :

لا رأى عطفة الأحيبة من لا يصرحُ
أضغرُ الساقين أشكلُ عندى وأملحُ
لو تراه كالظبي يسبح طورا ويبرحُ
خلت غصنا على كئيب بنور يوشحُ

(١) القراطق : جمع قرطق ، وهو ضرب من اللباس .

قال الصولي : وكان الأول من أبيات الحسين من قول العباس بن الأحنف :

بيضاء في حُمُرِ الثيابِ كورْدَةٍ بيضاء بين شقائق النعمانِ
تهتزُّ في غَيْدِ الشبابِ إِذَا مَشَتْ مثل اهتزازِ نَوَاعِمِ الأَغْصَانِ

ظبي يأكل
نيلو فرا

قال أبو بكر الصولي : كان عند الخصى الوزير ظبي داجن زيبب في داره ، فعمد إلى نيوفر فأكله ، فاستملح الغزال وأنسه ، وقال : لو عمل في أنس هذا الغزال وفعله بالنيوفر لاشتمل العمل على معنى مליح ! فبلغ الخبر أبا عبد الله إبراهيم ابن محمد بن عرفة فخطوبه ، فبادر لثلاثي سبق ، وعمل أبياتا أولها :

جرت ظبيّة غناء ترعى بروضة تنوش لذي أفنانها ورقاً خضراً^(١)
في أبيات غير طائفة ، فاستبرد ما أتى به ، قال الصولي : فقلت :

ونيلوفر يحكي لنا المسك طيبه تراه على اللذات أفضل مُسْعِدِ
قد اجتنى خوف الحادثات بجنة تروق كثوب الراهب المتعبّدِ
تركب كالسكاسات في ذهبية على قضب مخضرة كالزبرجدِ
والبس ثوباً بفضل اللحظ حسنه كما عبت عين بخد مورّدِ
غذته أهاضيب السماء بدرها تروح عليه كل يوم وتفتدي
تلبس للأنوار ثوب سمائه ففضل عنه الحسن في كل مشهدِ
وفي وسطه منه اصفرار يزينه كياقوتة زرقاء في رأس عسجدِ
أطاف به أحوى المدامع شادين حكى طرف من أهوى وحسن المقلدِ^(٢)
كما أخذ الظمان بالقم كاسه ولم يستعن في أخذه الكاس باليدِ

[وصف أيام الربيع]

وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع^(٣) :

لابن وكيع

يوم أتاك بوجهه المتهلل ناهيك من يوم أغرّ محجل

(١) تنوش : تتناول (م) .

(٢) أحوى : وصف من الحوة وهي السمرة ، والمقلد : الموضع الذي تلبس به القلادة ، يريد أن الظبية حكمت من الملاح عينها وجيدها (م) .

(٣) في نسخة « أبو الحسن محمد بن علي » .

خَلَعَا فَبَيْنَ مُمْسِكٍ وَمُصْنَدَلٍ
 بِمُورِدٍ وَمُعْصِفٍ وَمُكَحَّلٍ
 مِنْ شُرْبِ كَاسَاتِ الْعَيُونِ الْمُهْطَلِ
 فَهَدَتْ لِعَيْنِ النَّاسِطِ الْمُتَسَامِلِ
 بِمَنْظَمٍ مِنْ لَوْلُوٍّ وَمُفَصَّلِ
 يَرْنُو إِلَيْكَ بَعِينَ أَوْ كَحَلِّ أَقْبَلِ (١)
 وَتَرَاهُ مُنْتَقِبًا بِحُمْرَةِ مُجْجَلِ
 وَجَهَ الْخَرِيدَةَ فِي الْخِمَارِ الْنُصْنَدَلِي
 فِي كُلِّ أَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ تَجْتَلِي
 مِنْ صِنْعَةِ الْبَرْدَانِ أَوْ قَطْرُ بُلِّ

وقال أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح
البستي

يَوْمٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَيَّامِ
 فَالْبَرْقُ يُخَفِّقُ مِثْلَ قَلْبِ هَامٍ
 وَكَأَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ خَدٌّ مَتِيمٌ
 فَاطْلُبْ لِيَوْمِكَ أَرْبَعًا : هُنَّ الْمَنَى
 وَجَهَ الْحَبِيبِ ، وَمَنْظَرًا مُسْتَشْرِقًا ،

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

لأبي الفضل
الميكالي

تَرَكَتَهُ مَجْرُوحًا بِلَا إِغْمَادِ
 ضَحِكْتَ لِسَاجِمِهَا رَبِّي الْأَنْجَادِ
 تَزْهَى بِشَوْبِي مُخْرَجَةٌ وَسَوَادِ
 سَلَّ الرَّبِيعُ عَلَى الشِّتَاءِ صَوَارِمًا
 وَبَكَتْ لَهُ عَيْنُ السَّمَاءِ بِأَدْمُعِ
 وَبَدَتْ شَقَائِقُهَا خِلَالَ رِيَاضِهَا

(١) أقبل: وصف من القبل - بالتحريك - وهو إقبال سواد العين على جهة الأنف.

فَكَأَنَّهَا بِنْتُ الشَّاءِ تَوَجَّعَتْ لِمَصَّابِهِ كَشَقِيقَةِ الْأَوْلَادِ
فَقَدُّوهُ حُمْرَتَهَا خِضَابُ نَجِيمِهِ وَسَوَادُ كُسُوتِهَا لِبَاسُ حِدَادِ

وقال :

تَصَوَّغُ لَنَا كَفُّ الرَّبِيعِ حَدَائِقَا كَعَقْدِ عَقِيقٍ بَيْنَ سِمَطِ لَالِي
وَفِيهِمْ أَنْوَارُ الشَّقَائِقِ قَدْ حَكَّتْ خُدُودَ عِذَارِي نُقَطَتْ بِغَوَالِي

وقال :

كَأَنَّ الشَّقَائِقَ إِذْ أَبْرَزَتْ غِلَالَةَ دَادٍ وَثَوْبًا أَحْمَمًا^(١)
قَطَاعٌ مِنَ الْجَمْرِ مَشْبُوبَةٌ فَأَطْرَافَهَا لَمَعَتْ مِنْ حَمَمٍ

وقال في حديقة ريجان :

أَعْدَدْتُ مُحْتَفَلًا لِيَوْمِ فَرَاعِي رَوْضًا يَرُوضُ هُمُومَ قَلْبِي حُسْنُهُ
فَإِذَا بَدَتْ قَضْبَانُ رِيجَانٍ بِهِ فِيهِ لِكَأْسِ الْأُنْسِ أَى مَسَاغِرِ
حَيَّتْ بِمِثْلِ سِلَاسِلِ الْأُضْدَاعِ حَيَّتْ بِمِثْلِ سِلَاسِلِ الْأُضْدَاعِ^(٢)

وقال في النرجس :

أَهْلًا بِنَرْجِسِ رَوْضٍ يُرْهِى بِحُسْنٍ وَطِيبِ
يَرْنُو بِعَيْتِي غِرْزَالٍ عَلَى قَضِيبِ رَطِيبِ
وَفِيهِ مَعْنَى خَفِيٌّ يَزِينُهُ لِلْقَلُوبِ
تَصْحِيفُهُ إِنْ نَسَقَتْ أَلْحُرُوفُ بَرُّ حَبِيبِ

وقال :

وَمَاضِمٌ شَمَلِ الْأُنْسِ يَوْمًا كَنَرْجِسِ يَقُومُ بَعْدَ رِ الْهَوِ عَنِ خَالِجِ الْعُذْرِ^(٣)
فَأَحْدَاقُهُ أَحْدَاقُ تَبْرِ ، وَسَافُهُ كَقَامَةِ سَاقِي فِي غِلَالِهِ الْخُضْرِ

(١) داد : مولع باللهو واللعب ، واللعب يقال له : دد ، والأحم : الأسود (م).

(٢) الباغى : قيم البستان . (٣) العذر : جمع عذار .

وقال البحترى :

سَقَى الْغَيْثُ أَكْنَافَ اللَّوَى مِنْ مَحَلَّةٍ إِلَى الْخِطْفِ مِنْ رَمْلِ اللَّوَى الْمُتَقَاوِدِ
 وَلَا زَالَ مَخْضَرٌّ مِنَ الرَّوْضِ يَانِعٌ عَلَيْهِ بِحَمْرٍ مِنَ النَّوْرِ جَاسِدِ
 شِقَاتِقُ يَحْمِلْنَ النَّدى فَكَأَنَّهُ دَمَوْعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخِرَائِدِ
 وَمَنْ لَوْلَوْ فِي الْأَقْحَوَانِ مَنْظَمٌ وَمِنْ نُكْتِ مَصْفَرَّةٍ كَالْفَرَائِدِ
 كَانَ جَنَى الْحُودَانِ فِي رَوْثِ الضَّحَى دَنَائِرِ تَبْرِ مِنْ تُوَامٍ وَفَارِدِ
 إِذَا رَاوَحْتَهَا مُزْنَةٌ بِكَرْتِ لَهَا شَأْيِبُ مَجْتَازٍ عَلَيْهَا وَقَاصِدِ
 رَبَاعٌ تَرَدَّتْ بِالرِّيَاضِ مَجُودَةً بِكُلِّ جَدِيدِ الْمَاءِ عَذْبِ الْمَوَارِدِ^(١)
 كَانَ يَدَ الْفَتْحِ بِنِ خَافَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بِنْتَكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ

[في مجلس المبرد]

قال أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه : قال لى البحترى وقد اجتمعنا على خلوة عند المبرد وسلكننا مسلكا من المذاكرة : أشعرت أنى سبقت الناس كلهم إلى قولى :

شِقَاتِقُ يَحْمِلْنَ النَّدى فَكَأَنَّهُ دَمَوْعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخِرَائِدِ
 كَانَ يَدَ الْفَتْحِ بِنِ خَافَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بِنْتَكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ
 هكذا أنشد ، فاستحسن ذلك المبرد استحساناً أسرف فيه ، وقال : ما سمعت مثل هذه الألفاظ الرطبة ، والعبارة العذبة ، لأحدٍ تقدّمك ولا تأخر عنك . فاعتزته أريحيةً جرّبها رداء العُجب ؛ فكأنه أعجبنى ما يُعجب الناس من مراجعة القول ؛ فقلت : يا أبا عبادة ، لم تسبق إلى هذا ، بل سبقك سعيد بن حميد الكاتب إلى البيت الأول بقوله :

عَذْبُ الْفِرَاقِ لَنَا قُبَيْلٌ وَدَاعِنَا ثُمَّ اجْتَرَعْنَاهُ كَسْمٍ نَاقِعِ

(١) تردت بالرياض : اتخذتها رداء .

وكأنما أترُّ الدموعَ بحدِّها طَلٌّ تساقط فوق وَرْدٍ يانعٍ

وشركك فيه صديقنا أبو العباس الناشيء بما أنشدنيه آنفا :

بَكَتَ للفراقِ وقد راعَى بكاءَ الحبيبِ لُبْعِدِ الديارِ

كَانَ الدموعَ على خدِّها بَقِيَّةَ طَلٍّ على جُلنارِ^(١)

وما أساء على بن جريج ، بل أحسن في زيادته عليك بقوله :

لو كنتَ يومَ الوداعِ شاهِدَنَا وهنَّ يُطْفِئْنَ غُلَّةَ الوَجْدِ

لم ترَ إلاَّ دموعَ باكيةٍ تَبْفَحُ من مُقَلَّةٍ على خدِّ

كَانَ تلكَ الدموعَ قَطْرُ نَدَى يَقَطُرُ من ترَجِسٍ على وَرْدِ

وسبقك أبو تمام إلى معنى البيتين معاً بقوله :

من كل زهرة ترقرق بالندى فكأنها عينٌ إليه تحدرُّ

تبدو ويحجبها الجميمُ كأنها عذراءُ تبدو تارةً وتحفرُّ^(٢)

خلقُ أطلَّ من الربيعِ كأنه خلقُ الإمامِ وهديه المنتشرُّ

في الأرضِ من عدلِ الإمامِ وجوده ومن الربيعِ الغضُّ سرحُ يزهر^(٣)

يُنسى الربيعُ وما يروضُ جوده أبداً على مرِّ الليالي يُذكرُ

قال : فسق ذلك عليه ، وحلَّ حبَّوته ونهض ، فكان آخر عهدى بمؤانسته

وغلظ ذلك على محمد بن يزيد ، وقدح ذلك في حالي عنده .

للبحترى في
المدخ

وقال البحترى يمدح المهيم بن عثمان الغنوي :

ألست ترى مدَّةَ الفراتِ كأنه جبالُ شروزي جئن في البحرِ عوماً

وما داك من عاداته غير أنه رأى شيمَةً من جاره فتعاماً

(١) الجلنار : زهر الرمان ، وهو فارسي معرب . (٢) الجميم : النبت الغزير .

(٣) السرح : كل شجر طال .

وقد تبّه التوروزُ في غبشِ الدجى
يُفتّحها بردُ الندى فكانه
ومن شجرٍ ردّ الربيعِ لباسه
أحلّ فأبدي للعيونِ بشاشة
فما يمنع الراح التي أنت خلها
ومازلت خلاً للندامى إذا اعتدوا
تكرمت من قبل الكئوس عليهم
فما أسطعن أن يحدن فيك تكرما

حيثك عنا شمال طاف طائفها
هبت سحيراً فناجى العُصنُ صاحبه
ورق تغنى على خضرٍ مهذلة
تحال طائرها نشوان من طرب

ولابن المعتز في أرجوزته البستانية التي
أما ترى البستان كيف نوراً
وضحك الورد إلى الشقائق
في روضة كحلية العروس
وياسمين في ذرى الأغصان
والسمر ومثل قصب الزبرجد
على رياض وثرى ندى
وفرّج الخشخاش جيباً وفتق
أو مثل أقداح من البلور
وبعضه عريان من أثوابه

لابن المعتز
ندم الصبوح

بجنة فبُرت راحاً ورينحاء
سراً بها وتداعى الطيرُ إعلاناً
تسّموا بها وتمس الأرض أحياناً
والعُصن من هزه عطية نشواناً
ذم فيها الصبوح صفة جامعة ، إذ قال :
ونشر المنثور برداً أصفرًا
واعتنق الورد اعتناق الوامق
وخدّم كهامة الطاوس
منظم كقطع العقيان
قد استمد الماء من تراب ندى
وجدول كالبرد الحلى
كأنه مصاحف بيض الورق
تحالها تجسّمت من نور
قد خجل اليباس من أصحابه

مثل الدبابيس بأيدي الجنيد
 كقطن قد مسه بعض بلبل
 ودخل الميدان في ضمائه
 كأنها ججاجهم من عنبر
 مججمة كهامة الشمامس
 وجوهر من زهر مختلف
 أو مثل أغراف ديوك الهند
 قد صقلت أنواره بالفطر

لأبي الفتح
 كشاجم

كما رضي الصديق عن الصديق
 أتم له الصنيعة في العبوق
 كأن ثراه من مسك فتيق
 بقايا الدمع في خد مشوق
 فالت مثل شراب الرحيق
 مخصرة شقائق من عقيق
 صنيع اللطم في الخد الرقيق

متصل الوابل سريع الرخص
 متصلاً بطوله والعرض
 ثم سما كاللؤلؤ المرغص
 في حليها الحمرة والمبيض
 مثل الحدود نقشت بالعص

تبصره عند انتشار الورد
 والسوسن الأزار منشور الحلل
 نور في حاشيتي بستانه
 وقد بدت فيه ثمار الكنكر
 وحلق البهار بين الآس
 خلال شيع مثل شيب النصف
 وجلنار كأنهم رار الورد
 والأقحوان كالثنايا الغر
 وقال أبو الفتح كشاجم :

وروض عن صنيع الغيث راض
 إذا ما القطر أسعدته صبوحاً
 يعير الریح بالنفحات ريحاً
 كأن الطل منتشراً عليه
 كأن غصونه سقيت رحيقاً
 كأن شقائق النعمان فيه
 يدكرني بنفسه بقاء
 وقال :

غيث أتانا مؤذناً بانخفاض
 دنأ فذلناه دوين الأرض
 إنفاً إلى ألف يسر يفضي
 فالأرض تجلي بالنبات الغض
 من سوسن أخوي وورد غض

وأقحوان كاللجَيْن المَحْضِ ونرجس ذا كِي النسيمِ بَضَّ
مثل العيون رَنَقَتْ للغمضِ ترنو فيغشاها الكرى فتغضي

جملة من هذا النوع لأهل المعصر

قال أبو فراس الحمداني :

لأبي فراس
الحمداني

وجلفنارٍ مُشرقٍ على أعالي شجره
كأنَّ في رؤوسه أحمره وأصفره
قراضةٌ من ذهب في خرقاةٍ معصفرة

وقال :

ويوم جلافيه الربيع رياضُه بأنواع حلي فوق أثوابه الخضر
كأنَّ ذبولَ الجلفنارِ مُطـالَّةً فضولُ ذبولِ الغانباتِ من الأزر

وقال أبو القاسم بن هانيء ، يصف زهرة رُمانٍ قطفت قبل عَقْدِها :

لابن هانيء
يصف زهرة
رمان

وبنت أيكٍ كالشبابِ النَّضْرِ كأنها بين العُصونِ الخضر
جنانُ بازٍ أو جنانُ صَقْرِ قد خفمتَه لِقوةِ بواكرٍ (١)
كأنما سَحَّتْ دَمًا مِنْ نَحْرِ أو نَبَتَتْ في تَرْبَةٍ من جمر
[أو سَقِمَتْ بِجَدْوَلٍ مِنْ نَحْرِ] لو كَفَّ عَنْهَا الدهرُ صَرَفَ الدهرِ
جاءت كمثل النهدِ فوق الصِّدْرِ تَفَتَّرُ عن مثلي اللآثاتِ الحُمْرِ

في مثل طعمِ الوصلِ بعد الهجرِ

ولهم في هذا المعنى

روضة رقت حواشيها ، وتأنق واشيها . روضة كالعقود المنظمة ، على البرود
المنمنمة . روضة قدر اضتها كف المطر ، ودبجتها أيدي الندى . أخرجت الأرضُ

أَسْرَارَهَا ، وَأظْهَرَتْ يَدُ الْغَيْثِ آثَارَهَا ، وَأَبَدَتْ الرِّيَاضُ أَزْهَارَهَا . الرِّيَاضُ كَالْعُرَائِسِ فِي حَلِيمِهَا وَزَخَارِ فِيهَا ، وَالْقِيَانِ فِي وَشِيِّهَا وَمَطَارِ فِيهَا ، بَاسِطَةً زَرَائِبَهَا وَأَمَامُطَهَا ، نَاشِرَةً حَبْرَاتِهَا وَرِيَّاطَهَا ، زَاهِيَةً بِحَمْرَاتِهَا وَصَفْرَانِهَا ، نَاهِيَةً بِعِيدَانِهَا وَغُدْرَانِهَا ، كَأَنَّمَا احْتَفَلَتْ لَوْفَدُ ، أَوْ هِيَ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ . رَوْضَةٌ قَدْ تَصَوَّغَتْ بِالْأَرْجِ الطَّيِّبِ أَرْجَاؤُهَا ، وَتَبَرَّجَتْ فِي ظُلُلِ الْغَمَامِ صَحْرَاؤُهَا ، وَتَنَافَجَتْ بِنَوَافِحِ الْمِسْكِ أَنْوَارُهَا ، وَتَعَارَضَتْ بِغُرَابِ النَّطْقِ أُطْيَارُهَا . بَسْتَانُ رَقِّ نَوْرِهِ النَّضِيدِ ، وَرَاقُ عَوْدِهِ النَّضِيرِ . بَسْتَانُ عَوْدِهِ خَضِرٌ ، وَنَوْرُهُ نَضِيرٌ ، وَيُنْعَهُ خَضِيلٌ ، وَمَاؤُهُ خَصِيرٌ . بَسْتَانُ أَرْضُهُ لِلْبَقْلِ وَالرِّيحَانِ ، وَسَمَاؤُهُ لِلنَّخْلِ وَالرَّمَانِ . بَسْتَانُ أَنْهَارُهُ مَفْرُوزَةٌ بِالْأَزْهَارِ ، وَأَشْجَارُهُ مُوقِرَةٌ بِالنَّمَارِ . أَشْجَارُهُ كَأَنَّ الْحَوْرَ أَعَارَتْهَا قُدُودَهَا ، وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا ، وَحَاتَمَهَا عَقُودَهَا . الرَّبِيعُ شِبَابُ الزَّمَانِ ، وَمَقْدِمَةُ الْوَرْدِ وَالرِّيحَانِ . زَمَنُ الْوَرْدِ مَرْمُوقٌ ، كَأَنَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ مَسْرُوقٌ . قَدْ وَرَدَ كِتَابُ الْوَرْدِ ، بِإِقْبَالِهِ إِلَى أَهْلِ الْوُدِّ . إِذَا وَرَدَ الْوَرْدُ ، صَدَرَ الْبَرْدُ : مَرْحَبًا بِإِشْرَافِ الزَّهْرِ ، فِي أَطْرَافِ الدَّهْرِ ، وَأَنْشَدَ :

سَقَى اللَّهُ وَرْدًا صَارَ خَدًّا رَبيعَنَا فَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ لَيْسَ لَهُ خَدُّهُ
كَأَنَّ عَيْنَ النَّرْجِسِ عَيْنٌ ، وَوَرَقَهُ وَرَقٌ ^(١) النَّرْجِسِ نُرْهَةَ الطَّرْفِ ،
وَظَرْفُ الطَّرْفِ ، وَغَدَاءُ الرُّوحِ : شَقَائِقُ كَتِيبِجَانِ الْعَقِيقِ عَلَى رَعُوسِ الزَّنُوجِ ،
كَأَنَّهَا أَصْدَاغُ الْمِسْكِ عَلَى الْوَجَنَاتِ الْمُرْدَّةِ . شَقَائِقُ كَالزَّنُوجِ تَجَارَحَتْ وَسَالَتْ
دِمَاؤُهَا ، وَضَعُفَتْ فَسَالَتْ دِمَاؤُهَا . كَأَنَّ الشَّقِيقَ جَامًّا مِنْ عَقِيقِ أَحْمَرٍ ، مُلِدَّتْ
قَرَارَتَهُ مَسْكَ أَذْقَرِ . الْأَرْضُ زَمْرَدَةٌ ، وَالْأَشْجَارُ وَشْيٌ ، وَالْمَاءُ سَيُوفٌ ، وَالطَّيُورُ
قِيَمَانٌ . قَدْ غَرَّدَتْ خُطْبَاءُ الْأَطْيَارِ ، عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ . إِذَا صَدَحَ الْحَمَامُ ،
صَدَعَ الْحَمَامُ قَلْبَ الْمَسْتَهَامِ انظُرْ إِلَى طَرْبِ الْأَشْجَارِ لِعِنَاءِ الْأَطْيَارِ . لَيْسَ
لِلْبَلَابِلِ كَعْنَاءُ الْبَلَابِلِ ^(٢) ، وَخَمْرُ بَابِلِ .

(١) العين المشبه بها : الذهب ، والورق - بكسر الراء - الفضة (م) .

(٢) البلابل الأول : الأشجان ، والثانية الطيور الغردة واحدها بلبل (م) .

ولهم فيما يتعلق بهذا النحو في وصف أيام الربيع

يوم سماؤه فأخْتِيَّة ، وأرضه طاوُوسِيَّة . يومٌ جَلَابِيبٌ غيومه رواق ، وأرْدِيَّة
نسيمه رِقَاق . يومٌ مُمَسِّكُ السماء ، مُعْضَفَرُ الهواء ، مُعْتَبَرُ الرّوَضِ ، مُصْنَدَلُ
الماء . يومٌ زُرٌّ عليه جَيْبُ الضَّبَابِ ، وانسحب فيه ذَيْلُ السحاب . يوم سماؤه
كالخزّ الأدْكَن ، وأرضه كالديباج الأَخْضَرِ

شادنٌ يَرْتَعِي القلوب بيغدا دَ ولا يَرْتَعِي الكلا بالنَّبَاج
أقبلت والربيعُ يَخْتالُ في الرّوَضِ وفي المزن ذِي الحيا الثَّجَّاجِ^(١)
ذو سماء كاذْكَنِ الخزِّ قد غِيَمَتْ وأرضٌ كأخْضَرِ الديباجِ
فتجلى عن كل ما يَتَمَنَى موعِد الكدخدَاةِ والمهيلاجِ
فظلنا في نَزْهَتَيْنِ وفي حُسْنَيْنِ بين الأزمالِ والأهراجِ
بفتاةٍ تَسْرُنَا في المَثَانِي وَعَجُوزٍ تَسْرُنَا في الزُّجَاجِ
أخذت من رهوسٍ قومٍ كرامٍ نارها عند أَرْجُلِ الأعلاجِ .
يوم حَسَنُ السَّمائلِ ، مُتَمِّعُ الخيَالِ ، سَجَسَجُ الهواءِ ، مُؤَنِّقُ الأَرْجَاءِ .
يوم تَبَسَّمُ عنه الربيعُ ، وتَبَرِّجُ عنه الرّوَضُ المربيعِ . يوم كان سماءه مَأْتَمٌ تَبَاكِي ،
وأرضه عَرُوسٌ تَتَجَلَّى . يوم مشهَرُ الأوصافِ ، أغرَّ الأَطرافِ . يوم يُغْفِي فيه
النَّورُ وَيَنْدِيهِ ، وتُسْفِرُ فيه الشمسُ وتَنْتَقِبُ ، وتَعْتَنِقُ العُصونَ وتَفْتَرِقُ ، ويوشى
النِّيمُ ويفسكِبُ . يوم غاب نَحْسُهُ وهَوَى ، وطلع سَعْدُهُ واعتلى ، والزمان ساقطة
جماره ، مُعَمِّمَةٌ أنهاره ، مُوَنِّقَةٌ أشجاره ، مغرّدة أطياره . نحن في عَمِّ سماء ،
قد أقلمت بعد الارْتواءِ ، وأقشعت عند الاستغناء ، فالتبَّتْ حُضُلٌ مَطُورٌ ،
والنَّقَعُ ساكن محصور . يوم جوه طارونِي ، وأرضه طاووسِي . يوم دَجَّنُهُ عاكف ،
وقطرُهُ وَاكْف . يومٌ من أعياد العُمَرِ ، وأعيانِ الدهْرِ .

(١) الحيا : المطر ، والثجاج : كثير السيلان (م) .

[الربيع والرفاق]

ولهم في تشبيه محاسن الربيع بمحاسن الإخوان والسادة :
 غَيْثٌ مِثْلُهُ بِكَفِّكَ ، وَاِعْتَدَالُهُ مُضَاهَاةُ خُلُقِكَ ، وَزَهْرُهُ مُوَاظِمٌ لِلشَّرِكِ (١) ،
 كَأَنَّمَا اسْتَعَارَ خُلُقَهُ مِنْ شَيْئِكَ ، وَحَلْيَهُ مِنْ سَجِيَّتِكَ ، وَاقْتَبَسَ أَنْوَارَهُ مِنْ مَحَاسِنِ
 أَيَّامِكَ ، وَأَمَطَّارَهُ مِنْ جُودِكَ وَإِنْعَامِكَ . قَدِمَ الرَّبِيعُ مُنْتَسِبًا إِلَى خُلُقِكَ ،
 مُكْتَسِبًا مَحَاسِنَهُ مِنْ طَبْعِكَ ، مَتَوَشِّحًا بِأَنْوَارِ لَفْظِكَ ، مَتَوَضِّعًا بِأَنْوَارِ لِسَانِكَ
 وَيَدِكَ . أَنَا فِي بُسْتَانٍ أَذْكَرُنِي وَرَدُّهُ الْمَفْتَحُ بِخُلُقِكَ ، وَجَدَّوْلُهُ السَّابِحُ بِطَبْعِكَ ،
 وَزَهْرُهُ الْجَنِيُّ بِقَرْبِكَ . أَنَا فِي بُسْتَانٍ كَأَنَّهُ مِنْ شِمَائِلِكَ سُرِقَ ، وَمِنْ خُلُقِكَ خَلِقَ ،
 وَقَدْ قَابَلْتَنِي أَشْجَارٌ تَتَمَّائِلُ فَتَذْكَرُنِي تَبْرِيجِ الْأَحْبَابِ ، إِذَا تَدَاوَلْتَهُمْ أَيْدِي
 الشَّرَابِ ، وَأَنْهَارٌ كَأَنَّهَا مِنْ يَدِكَ تَسِيلُ ، وَمِنْ رَاحَتِيكَ تَفِيضُ . أَنَا عَلَى حَافَةِ
 حَوْضٍ أَزْرُقُ كَصَفَاءِ مَوَدَّتِي لَكَ ، وَرِقَّةَ قَوْلِي فِي عَتَبِكَ .

[الصوم في الربيع]

وقال ابن عون الكاتب :

جَاءَنَا الصَّوْمُ فِي الرَّبِيعِ فَهَلَّا أَخْتَارُ رُبْعًا مِنْ سَائِرِ الْأَرْبَاعِ (٢)
 وَكَأَنَّ الرَّبِيعَ فِي الصَّوْمِ عِقْدٌ فَوْقَ نَحْرِ غَطَاهُ فَضْلٌ قِنَاعِ

[يوم الشك]

وكتب أبو الفتح كشاجم إلى بعض إخوانه يستدعيه إلى زيارته في يوم شك :
 هُوَ يَوْمٌ شَكٌّ يَا عَالِيَّ وَبِشْرُهُ مُدٌّ كَانَ يُحَدَّرُ
 وَالْجَوْوُ حُلْمُهُ مَسْكَةٌ وَمُطْرَفُهُ مَعْنَبٌ
 وَالْمَاءُ فَضِيٌّ الْقَمِيصُ وَطَيْلَسَانُ الْأَرْضِ أَخْضَرُ
 نَبْتُ بَصْعَدُ زَهْرُهُ فِي الرَّوْضِ قَطْرٌ نَدَى تَحَدَّرُ
 وَلَنَا فَضِيلَاتٌ تَكُونُ لِيَوْمِنَا قَوْتًا مَقْدَرُ

(١) النشر - بالفتح - الرائحة الطيبة (٢) كل فصل ربيع من السنة

ومُدَامَةٌ صَفْرَاهُ أَذْ رَكَ غُمْرَهَا كِسْرَى وَقَيْصَرَ
فَانشَطْنَا لَنَا لِنَحْتُ مِنْ كَاسَاتِنَا مَا كَانَ أَكْبَرَ
أَوْ لَا فَإِنَّكَ جَاهِلٌ إِنْ قَلْتَ إِنَّكَ سَوْفَ تُعَذَّرُ
وكتب بديع الزمان إلى بعض أهل همدان :

من بديع
الزمان لبعض
اهل همدان

كتابي - أطال الله بقاءك - عن شهر رمضان ، عرفنا الله بركة مَقْدَمِهِ ،
وَيَمِّنَ مُخْتَمَمِهِ ، وَخَصَمَكَ بِتَقْصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَإِتْمَامِ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ ؛ فَهُوَ -
وَإِنْ عَظُمَتْ بَرَكَتُهُ - ثَقِيلٌ حَرَكَتُهُ ، وَإِنْ جَلَّ قَدْرُهُ بَعِيدَ قَعْرِهِ ، [وَإِنْ
عَمَّتْ رَأْفَتُهُ ، طَوِيلَ مَسَافَتِهِ ، وَإِنْ حَسُنَتْ قَرْبَتُهُ ، شَدِيدَ صَحْبَتِهِ ، وَإِنْ
كَبُرَتْ حَرَمَتُهُ كَثِيرَ حَشْمَتِهِ ، وَإِنْ سَرَّنا مُبْتَدَاهُ فَلَنْ يَسُوءَنا مُنْتَهَاهُ] فَإِنْ حَسُنَ
وَجْهُهُ فَلَيْسَ يَقْبُحُ قَفَاهُ ، وَمَا أَحْسَنَهُ فِي الْقَدَالِ ، وَأَشْبَهَهُ إِدْبَارَهُ بِالْإِقْبَالِ ،
جَعَلَ اللهُ قُدُومَهُ سَبَبَ تَرْحَالِهِ ، وَبَدْرَهُ فِدَاءَ هَلَالِهِ ، وَأَمَدًا فَلَكِهِ
تَحْرِيكًا ، بِتَقْضَى مُدَّتِهِ وَشِيكَا ، وَأَظْهَرَ هَلَالَهُ نَحِيْفًا ، لِيَزِفَّ إِلَى اللِّذَاتِ
زَفِيْفًا ، وَعَفَا اللهُ عَنْ مَرْحِ يَكْرَهُه ، وَوَجُونَ يُسَخِّطُهُ .

عَوَّلَ الْبَدِيْعُ فِي هَذَا الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيْدِ فِي رِسَالَتِهِ لَهُ فِي
مِثْلِ ذَلِكَ :

أَسْأَلُ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَنِي بَرَكَتَهُ ، وَيُلَقِّنِي الْخَيْرَ فِي بَاقِي أَيَّامِهِ وَخَاتَمَتِهِ ؛ وَأَرْغَبُ
إِلَيْهِ فِي أَنْ يَقْرَبَ عَلَيَّ الْفَلَكَ دَوْرَهُ ، وَيَقْصُرَهُ سَيْرَهُ ، وَيُخَفِّفَ حَرَكَتَهُ ،
وَيُعَجِّلَ نَهْضَتَهُ ، وَيَنْقُصَ مَسَافَةَ فَلَكِهِ وَدَأْبَرَتِهِ ، وَيَزِيلَ بَرَكَاتِ الطَّوْلِ عَنِ
سَاعَاتِهِ ، وَيَرُدَّ عَلَيَّ غُرَّةَ شَوَالٍ ، فَهِيَ أَسْنَى الْغُرَرِ عِنْدِي ، وَأَقْرَبُهَا لِعَيْنِي ؛
وَيُطْلِعَ بَدْرَهُ ، وَيُرِيَنِي الْأَيْدِيَّ مُتَطَلِبَةَ هَلَالِهِ بِبَشَرٍ ، وَيَسْمَعُنِي النَّعْيَ لِشَهْرِ
رَمَضَانَ ، وَيَعْرِضَ عَلَيَّ هَلَالَهُ أَخْفَى مِنَ السَّحْرِ ، وَأَظْلَمَ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأَنْحَفَ
مَنْ مَجْنُونِ بَنِي عَامِرٍ ، وَأَهْلِيَّ مِنْ أَسِيرِ الْمَجْرِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ جَلَّ وَجْهُهُ مَا قَلْتُ
إِنْ كَرِهَهُ ، وَأَسْتَغْفِيهِ مِنْ تَوْفِيقِي لِمَا يَذْمُهُ ، وَأَسْأَلُهُ صَفْحًا يُفِيضُهُ ، وَعَفْوًا
بُوسِعَهُ ، إِنَّهُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .

[عَوَاقِبُ الطَّيْشِ]

ظاهر
ابن الحسين
يصف الأمين

قال المأمون لظاهر بن الحسين : صِفْ لِي أَحْلَاقَ الخُلُوعِ . قال : كان واسعَ الصَّدْرِ ، ضَيِّقَ الأَدَبِ ، يُبِيحُ مِنْ نَفْسِهِ مَا تَأْتِيهِ هِمَمُ الأَحْرَارِ ، وَلَا يُضْغِي إِلَى نَصِيحَةٍ ، وَلَا يَقْبَلُ مَشُورَةَ ، يَسْتَبْدُ بِرَأْيِهِ ، وَيُبَصِّرُ سَوْءَ عَاقِبَتِهِ ؛ فَلَا يَرُدُّعُهُ ذَلِكَ عَمَّا يَهْمُهُ بِهِ . قال : فَكَيْفَ كَانَتْ حُرُوبُهُ ؟ قال : كان يجمعُ الكُتَابَ بِالتَّبْذِيرِ ، وَيَفْرُقُهَا بِسَوْءِ التَّنْذِيرِ . فقال المأمون : لذلك حلَّ ما حلَّ به ؛ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ذَاقَ لَذَاتِ النَّصَاحِ ، وَاخْتَارَ مَشُورَاتِ الرِّجَالِ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ عَنْ شَهَوَاتِهَا ، لَمَا ظَفِرَ بِهِ .

[الأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ]

ولما عقد الرشيدُ البيعةَ للأَمِينِ وهو أصغرُ من المأمون لأجل أمِّه زُبَيْدَةَ ، وكلامِ أخيها عيسى بن جعفر ، وقدمه على المأمون ، جعل يرى فَضْلَ عقله فيندم على ذلك ، فقال :

لقد بان وجهُ الرَّأْيِ لِي غَيْرَ أَنِّي غُلِبْتُ عَلَى الأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا
فكيف يُرَدُّ الدَّرُّ فِي الضَّرْعِ بَعْدَمَا تَوَزَّعَ حَتَّى صَارَ نَهَبًا مَقْسَمًا
أخافُ التَّوَاءَ الأَمْرِ بَعْدَ أَسْتَوَائِهِ وَأَنْ يُنْقَضَ الحَبْلُ الَّذِي كَانَ أُبْرَمًا

قال أسد بن يزيد بن يزيد : بعث إلى الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن الأنباري ، قال : فأثبته وهو في صحنِ داره ، وفي يده رُقعة قد غضب لما نظر فيها ، وهو يقول : ينامُ نَوْمَ الظَّرْبَانِ ، وَيَنْتَبَهُ انْتِبَاهُ الذُّبِّ ، هَمَّتْهُ بَطْنُهُ ، وَلَذَّتْهُ فَرَجُهُ ، لَا يَفْكَرُ فِي زَوَالِ نِعْمَةٍ ، وَلَا يَتَرَوَّى فِي إِمضَاءِ رَأْيٍ وَلَا مَكِيدَةٍ ، قد شمر له عبدُ الله عن ساقه ، وفوقَ له أسدٌ سهامه ، يرميه على بُعدِ الدارِ بالْحَتْفِ النافذِ والموتِ القاصدِ ، قد عبى له المنايا على مُتُونِ الخيلِ ، وناطَ له البلاءُ في أَسِنَّةِ الرماحِ وشفارِ السيوفِ ، ثم تمثل بشعر البعيث :

يُقَارِعُ أُنْرَاكَ ابْنَ خَاقَانَ لَيْلَهُ إِلَى أَنْ يَرَى الإِصْبَاحَ لَا يَتَلَعَّمُ
فِيصْبِحُ فِي طُولِ الطَّرَادِ وَجِسْمُهُ نَحِيلٌ ، وَأُضْحَى فِي النِّعَمِ أَصَمُّمُ

فستان ما بيني وبين ابن خالد أمة في الرزق الذي الله يقسم
ثم قال : يا أبا الحارث ، أنا وأنت تجرني إلى غاية إن قصرنا عنها ذمنا ،
وإن اجتهدنا في بلوغها انقطنا ؛ وإنما نحن شعبة من أصل ، إن قوى قوينا ،
وإن ضعف ضعفنا ؛ إن هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكفاء : يشاور النساء ،
ويعتمد على الرؤيا ، وقد أمسك أهل اللهو والخسارة من سمعه ؛ فهم يمنونه
الظفر ، ويعدونه عواقب الأيام ؛ والمهلك إليه أسرع من السيل إلى قيعان
الرمل ؛ وقد خشيت أن مهلك بهلاكه ، ونعطب بعطبه ، وأنت فارس العرب
وابن فارسها ، وقد فزع إليك في لقاء طاهر لأمرين : أحدهما صدق طاعتك ،
وفضل نصيحتك ؛ والثاني يمن تقينتك ، وشدة بأسك ؛ وقد أمرني أن أبسط يديك ،
غير أن الاقتصاد رأس النصحية ، ومفتاح البركة ؛ فبادر ما تريد ، وعجل النهضة ،
فإني أرجو أن يوليك الله شرف هذا الفتح ، ويلم بك شعث الخلافة .
قلت له : أنا لطاعتك وطاعة أمير المؤمنين مقدم ، ولما وهن عدو كما مؤثر ؛
غير أن الحارب لا يفتح أمره بتقصير ؛ وإنما ملاك أمره الجنود ، والجنود
لا تكون بلا مال ، وقد رفع أمير المؤمنين الرغائب إلى قوم لم يجدوا عليه ،
ومتى تمت من أقدرك به الانتفاع له الرضا بدون ما أخذه غيره ممن لم يكن عنده
غناء ولا معونة ، لم ينتظم بذلك التدبير ، وأحتاج لأصحابي رزق سنة قبضاً ،
وحملًا إلى ألف فرس لجل من لا أرخص فرسه ، وإلى مال أستظهر به ، لا الأمان
على وضعه حيث رأيت . فقال : شاور أمير المؤمنين ؛ فأدخلني عليه ، فلم تدرو
بيني وبينه كلمتان حتى أمر بحديسي .

ويروى أن الأمين لما أعيته مكاييد طاهر قال :

بليت بأشجع الثقلين نفساً تزول الراسيات وما يزول
له مع كل ذي بدن رقيب يشاهده ويعلم ما يقول
فليس بمغفل أمرًا عناه إذا ما الأمر ضيعه الجهول

الأمين
يصف طاهر
ابن الحسين

الفضل
بن الربيع
وابنه وأبوه

وفي الفضل بن الربيع يقول بعض الشعراء :

كم من مقيمٍ ببغدادٍ على طَمَعٍ لولا رجاهُ أبي العباسِ لم يُقِمِ
البدْرُ إن نظروا، والبحرُ إن رَغِبوا والحِصْنُ إن رهبوا، والسيفُ ذوالنَّعَمِ
وقال عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع : ما مدحنا شاعرٌ بشعر أحب

إلينا من قول أبي نواس :

ساد الملوكَ ثلاثةٌ ما منهمُ إن حُصِّلوا إلا أعزُّ قَرِيبِ
ساد الربيعُ وسادَ فضلٌ بعدهُ وعلتُ بعباسِ الكَرِيمِ فروعُ
عباسِ عباسٍ إذا احتدم الوَعْيُ والفضلُ فضلُ والربيعُ ربيعُ

وقيل للعتابي : أمدحت أحداً ؟ قال : لا ، وليس لي على ذلك قدرة ، فقيل له :

فقد مدحت الربيع ، فقل : ذلك ليومٍ يستحق فيه المدح ، فقلت :

ومعضلة قام الربيع إزاءها ليعمد ركن الدين لما تهدماً
بمكة والمنصور رهن كما أني أخا الوحي داعي ربه فتقدماً
غداة عداة الدين شاحذة المدي إليه وغولُ الحربِ فاغرةُ فمأ

[بيعة المهدي]

وكان المنصور قد توفى بمكة وهو حاجٌ في ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، فأخذ الربيع للمهدي البيعة على الناس ، وأخذ بتجديدها عن المنصور على أنه حتى ، وأدخل إليه قوماً فرأوه من بعيد وقد جلاه بثوب ، وأقعد إلى جنبه من يحرك يده وكأنه يوميء بها إليهم ، فلم يشكروا في حياته ؛ فما خالف أحد ؛ فشكره المهدي لذلك ، وفي ذلك يقول أبو نواس في مدحه الفضل بن الربيع :

أبوك جلي عن مَضْر يوم الرواقِ المحتضِرِ
والحرب تفرى وتذر لما رأى الأمر اقمطرَ
قام كريمة فانتصرَ كهزة الغضب الذَّكْرِ

ما مس من شيء هببر وأنت تفتأف الأثره
من ذى حجبول وغرز

وقال أيضاً :

آل الربيع فضلتهم فضل الخميس على العشير^(١)
من قاس غيركم بكم قاس الثماد إلى البحور
أين القليل بنو القليل من الكثير بنى الكثير
أين النجوم التاليا ت من الأهلّة والبدور
قوم كفوا أيام مكة نازل الخطب الكبير
وتداركوا نصر الخلافة وهى شاعة النصير
لولا مقامهم بها هوت الرواسى من تبير

ومن قول أبي نواس : « من قاس غيركم بكم ... » البيت ، أخذ

أبو الطيب المتنبي :

قواصد كافر توارك غيره . ومن قصد البحر استقل السواقيا
فتى ما سرينا في ظهور جدودنا إلى عصره إلا نرجى التلاقيا

[وقت كلام الملوك]

وقال الفضل بن الربيع : من كلم الملوك فى الحاجات فى غير وقت الكلام
لم يظفر بحاجته ، وضاع كلامه ، وما أشبههم فى ذلك إلا بأوقات الصلوات لا تقبل
الصلوة إلا فيها ، ومن أراد خطاب الملوك فى شيء فليترصد الوقت الذى يصلح
فى مثله ذكر ما أراد ، ويستب له شيئاً من الأحاديث يحسن ذكره بعقبه .

وقال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ؛ أكان فى حقى عليك ،
وحق أبائى ونعمهم عند أبائك وعندك ، أن تثلبنى^(٢) وتسنبنى ، وتخرض على دى ؟
أحب أن أفعلك ما فعلته بى ؟

من كلام الفضل
ابن الربيع

بين المأمون
والفضل بن
الربيع

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عذرى يُحقدك إذا كان واضحاً جميلاً ، فكيف

(١) الخميس : الخمس ، العشير : العشر . (٢) تثلبنى : تنتقصنى وتعيبنى (م) .

إذا حَفَّتْهُ العيوب ، وَقَبَّحَتْهُ الذنوب ؛ فلا يَصِيقُ عَنِّي من عَفْوِكَ ما وسع غيري منك ،
فَأنت كما قال الشاعر فيك :

صَفْوَحٌ عن الأجرام حتى كأنه من العفو لم يَعْرِف من الناس مُجْرِمًا
وليس يُبالي أن يكونَ به الأذى إذا ما الأذى لم يَعْنشَ بالكُرهِ مُسَلِّمًا
والشعر لحسن بن رجاء بن أبي الضحاك .

[بين المنصور والربيع]

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة : دعا المنصور بالربيع ، فقال : سلفي ماتريد ،
فقد سكت حتى نطقت ، وخففت حتى ثقلت ، وأقللت حتى أكثرت .
فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أرهبُ بُحْلَكَ ، ولا أَسْتَقْصِرُ عُمرَكَ ،
ولا أَسْتَضْعِرُ فَضْلَكَ ، ولا أَسْتَنْتِمِ مالَكَ ؛ وإنَّ يومى بفضلِكَ عَلَيَّ أَحْسَنُ من
أَمسى ، وغَدَكَ فى تَأْمِلي أَحْسَنُ من يومى ؛ ولو جاز أن يَشْكُرَكَ مثلى بغير
الخدمةِ والمناصحةِ لما سَبَّمتنى لذلك أحد .

قال : صدقت ، عَلمي بهذا منك أحلَّكَ هذا الحِلَّ ؛ فسَلَّني ما سَلَّت
قال : أسألك أن تقرَّبَ عبدك الفضل ، وتؤثِّره وتحمِّيه .
قال : ياربيع إنَّ الحب ليس بمال يُوهب ، ولا رُتبة تُبَدَّل ؛ وإنما تؤكِّده الأسباب .
قال : فاجعل لى طريقا إليه ، بالفضل علمه
قال : صدقت ، وقد وصلته بألف ألف درهم ، ولم أصل بها أحداً غير
عمومتي ؛ لتعلم ما له عندى ، فيكون منه ما يستعدنى به محبتي ، ثم قال :
وكيف سألت له المحبة ياربيع ؟
قال : لأنها مفتاح كل خير ، ومغلاق كل شر ، تُسْتَر بها عندك عيوبه ،
وتصير حسنات ذنوبه .

قال : صدقت وأتيت بما أردت فى بابيه .

أخذ قوله : « خفت حتى ثقلت » أبو تمام فقال لمحمد بن عبد الملك الزيات :
على أن إفراط الحياء استمالي إليك ، ولم أعدل بعرضي معدلاً
فتقلت بالتخفيف عنك ، وبعضهم يخفف في الحاجات حتى يُثَقَّلَا

[سهل بن هارون والرشيد]

ودخل سهل بن هارون على الرشيد ، وهو يضحك للمأمون ، فقال : اللهم
زده من الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من أيامه
مُرَبِّياً^(١) على أمسه ، مُقَصِّراً عن نغده .

فقال له الرشيد : يا سهل ، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن
الحديث أفصحه وأوضحه ، إذا رام أن يقول لم يُعجزه القول .

فقال سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ؛ ما ظننت أن أحداً تقدمني إلى هذا المعنى .
قال : بل أعشى همدان حيث يقول :

رأيتك أمس خيرَ بنى لوى وأنتَ اليوم خيرُ منكَ أمس
وأنتَ غداً تزيد الخَيْرَ ضِعْفًا كذاك تزيد سادة عبدِ شمس

[من شعر الفضل بن الربيع]

ومن شعر الفضل بن الربيع ما أنشده الصولي :

إني امرؤ من هاشمٍ بفياءٍ معمور التواحي
أهل الهدى وذوى الثقي وأولى البسالة والسماح
أهل العالم والملكا رِم في المساء وفي الصباح

(١) مريبيا : اسم الفاعل من «أربى» إذا زاد (م) .

أهل النبوة والخلافة والكمال برغم لاجي
يتألمون من الصدود ويصبرون على الجراح
[بين ابن خاقان وأبي العيناء]

وصف دابة

حمل محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا العيناء على دابة زعم أنها غير فاره^(١)،
فكتب إليه: أعلم الوزير، أعزه الله، أن أبا علي محمداً أراد أن يبزني ففقتني،
وأن يرؤ كني فأرجلاني، أمر لي بدابة تقف للنبرة^(٢)، وتفتت بالبعرة، كالقضب
اليابس عجفاً^(٣)؛ وكالعاشق المهجور دنفاً، قد أذكرت الرواة عذرة العذرى،
والجنون العامري، مساعد أعلاه لأسفله، حباقة مقرون بسعالة، فلو أمسك
لترجيت، ولو أفرد لتعزيت، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور، والمجلس
المشهور، كأنه خطيب مرشد، أو شاعر مُنشد، تضحك من فعله النسوان،
وتتناغي من أجله الصبيان؛ فمن صائح يصيح: دأوه بالطباشير، ومن قائل
يقول: نوله الشعير، قد حفظ الأشعار، وروى الأخبار، ولحق العلماء في
الأمصار، فلو أعين بنطق؛ لروى بحق وصدق، عن جابر الجعفي، وعامر
الشعبي؛ وإنما أتيت من كاتبه الأعور، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر،
وإن اختار لغيره أحيث وأنزر؛ فإن رأى الوزير أن يبذلني به، ويريني منه
مركوب يضحكني كما ضحك مني، يمجو بحسنه وقرأته، ماسطره العيب
بقبحه ودمايته؛ ولست أذكر أمر سرجه ولجامه؛ فإن الوزير أكرم من أن
يسلب ما يهديه، أو ينقض ما يحميه.

فوجه عبيد الله إليه برذونا من براذينه بسرجه ولجامه، ثم اجتمع مع محمد
ابن عبيد الله عند أبيه، فقال عبيد الله: شكوت دابة محمد، وقد أخبرني الآن أنه
يشتريه منك بمائة دينار، وما هذا ثمنه لا يشتكي.

(١) فاره: أي جيدة قادرة على السير (م) (٢) النبرة: الصيحة (م)

(٣) العجف: الهزال (م)

فقال : أعز الله الوزير ، لو لم أكذب مستزيداً ، لم انصرف مستفيداً ، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز : « الآن حَصَّصَ الحقَّ ، أنا رأودتُه عن نفسه وإنه لمن الصادقين » . فضحك عبيدُ الله ، وقال : حجَّتكَ الداحضة بملاحتك وظرفك أبلغُ من حجة غيرك البالغة .

قطعة من رسالة أجب بها أبو الخطاب الصابي

عن أبي العباس بن سابور إلى الحسين بن صبرة

عن رقعة وردت منه في صفة حمل أهداه

وصلت رُفعتك ، ففضضتها عن خطِّ مُشرفٍ ، ولفظ مُونقٍ ، وعبارةٍ مُصيبةٍ ، ومعانٍ غريبةٍ ، واتساعٍ في البلاغة يعجزُ عنه عبدُ الحميد في كتابته ، وقسِّ وسحبانٍ في خطابته ؛ وتصرف بين جدِّ أمضى من القدر ، وهزلٍ أرقٍّ من نسيم السَّحَر ، وتقلبٍ في وجوه الخطاب ، الجامع للصواب ؛ إلا أنَّ الفعلَ قَصَرَ عن القول ، لأنك ذكرت حملاً ، جعلته بصفتك جملاً ، فكان المَعْيَدِيُّ الذي تسمعُ به ولا أن تراه . وحضر فرأيت كَبِشاً مُتَقَادِمَ الميлад ، من نتاج قَوْمِ عاد ، قد أفنته الدهور ، وتعاقبت عليه العصور ، فظننته أحدَ الزَّوجين اللذين جعلهما نوحٌ في سفينته ، وحفظَ بهما جنسَ الغنمِ لذريته ؛ صَعُرَ عن الكبر ، ولَطَفَ عن القدم ، فبانَتْ دَمَامَتُهُ ، وتقاصرت قامَتُهُ ، وعاد ناحلاً ضئيلاً ، بالياً هز يلاً ، بادى السَّقام ، عارى العظام ، جامعاً للمعائب ، مشتملاً على المثالب ، يعجبُ العاقلُ من حلول الحياة به ، وتأتى الحركة فيه ، لأنه عَظُمَ مجلده ، وصوف مُلبِّد ، لا تجدد فوق عظامه سلباً ، ولا تلتقى يدك منه إلا خشباً ، لو أُلقي إلى السَّبع لأباه ، ولو طرح للذئب لعافه وقلاه ، قد طال للسكلا فُقدُهُ ، وبعدَ بالمرعى عَهْدُهُ ، لم ير القَتَّ إلا نائمًا ، ولا عرف الشعيرَ إلا حالمًا ، وقد خيَّرتني بين أن أقمتيه فيكون فيه غنى

الدهر ، أو أذبحه فيكون فيه خِصْبُ الرَّحْلِ ؛ فَمِلْتُ إلى استبقائه لما تعرف من محبتي في التوفير ، ورغبتى للتشمير ، وجمعى للولد ، وادخارى لغد ، فلم أجد فيه مستمتعاً للبقاء ، ولا مدفعاً للفناء ؛ لأنه ليس بأثى فتحمّل ، ولا بفتى فينسل ، ولا بصحيح فيترعى ، ولا بسليم فيبقي ؛ فملتُ إلى الثأى من رأيك ، وعولت على الآخر من قولك ، وقلت : أذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأقيمه رطباً مقام قديد الغزال ، فأنشئتني وقد أضربت النار ، وحُدَّت الشفّار ، وثمر الجزار :

أعيذها نظراتٍ منك صادقةً أن تحسب الشحْمَ فيمن شحمه ورم
وقال : ما الفائدة لك في ذبحي ؟ وأنا لم يبق مني إلا نفس خافت ، ومقلّة
إنسانها باهت : لتتُ بذى لحم ، فأصلح للأكل ؛ لأن الدهر قد أكل لحمي ،
ولا جلدِي يصلح للدباغ ؛ لأن الأيام قد مرّقت أديمي ، ولا لي صوف يصلح
للغزل ؛ لأن الحوادث قد حصّت وبرّى ؛ فإن أردتني للوقود فكفّ بعز أبق
من نارى ، ولن تفي حرارة جهرى بريح قنارى ، فلم يبق إلا أن تطلبني بدحل^(١)
أو بينى وبينك دم . فوجدته صادقاً في مقالته ، ناصحاً في مشورته ، ولم أعلم من
أى أمرية أعجب ؛ أم من ماملته للدهر بالبقاء ، أم من صبره على الضر والأواء^(٢) ،
أم من قدرتك عليه مع إعواز مثله ، أم من تأهيلك الصديق به مع حساسة قدره ؟
وياليت شعري إذ كنت — وإليك سوق الغنم ، وأمرك ينفذ في الضأن والمعز ،
وكلُّ كبش سمين وحمل بطين محبوبٌ إليك ، مقصورٌ عليك — تقول فيه قولاً
فلا تردّ ، وتريده فلا تصدّ ، وكانت هديتك هذا الذى كأنه ناشر من القبور ،
أو قائم عند النفخ في الصور ، فما كنت مهدياً لو أنك رجل من عرض
الكتاب ، كأبي عليّ وأبي الخطاب ، ما كنت تهدي إلا كلباً أجرب ، أو
قرداً أهدب .

[الحمدوني وشاة سعيد بن أحمد]

وقال الحمدوني في شاة سعيد بن أحمد بن خوسنداذا :

أسعيد قد أعطيتني أضحيةً مكثت زماناً عندكم ما تطعم
نضواً تعاقرت الكلابُ بها وقد شدوا عليها كي تموت فيؤلموا
فاذا الملا ضحكوا بها قالت لهم: لا تهزءوا بي وارحموني رُحوا
مرت على علف فقامت لم ترم عنه، وغنت والمدامع تسجم
وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم^(١)
وقال أيضاً :

أبا سعيد لنا في شاتك العبرُ جاءت وما إن لها بولٌ ولا بعرُ
وكيف تبعرُ شاةً عندكم مكثتُ طعماًها الأبيضان الشمس والقمرُ
لو أنها أبصرت في نومها علفاً غنت له ودموع العين تنحدر
يا ماعى لذة الدنيا بأجمعها إني ليفتنني من وجهك النظرُ
وقال أيضاً :

شاة سعيد في أمرها عبرُ لما أتتنا قد مسها الضرُ
وهي تغني من سوء حالتها حسبي بما قد لقيت يا عمرُ
مرت بقطف خضر ينشرها قومٌ فظنت بأنها خضرُ
فأقبلت نحوها لتأكلها حتى إذا ما تبين الخبرُ
وأبدلتها الظنون من طمع يأسا تغنت والدمع منحدِرُ
كانوا بعيداً وكنت آملهم حتى إذا ما تقر بوا هجروا

قال :

لسعيد شويةٌ سلها الضر والعجف
قد تغنت وأبصرت رجلاً حاملاً علف

(١) هذا البيت من شعر دعبل الخزاعي

بَأبَى مَنْ بِكَفِّهِ بُرءُ مَابِي مِنَ الدَّانِفِ
فَأَتَاهَا مَطْمَعًا وَأَتَتْهُ لِنَعْتَلِفِ
فَقَوْلِي فَأَقْبَلْتُ تَتَغْنَى مِنَ الأَسْفِ
لِيَتَهُ لَمْ يَكُنْ وَقَفَ عَذَّبَ القَلْبَ وَأَنْصَرَفَ

[الحمدوني وطيلسان ابن حرب]

[قال]: و إذ قد جرت بعض تضمينات الحمدوني في هذا الموضع فأنا أذكر هنا قطعة من شعره في الطيلسان ، وأنعطف في غير هذا الموضع إليها وأكر عليها؛ وكان أحمد بن حرب المهلبى من المنعمين عليه ، والحسين إليه ، وله فيه مدائح كثيرة ، فوهب له طيلساناً أخضر لم ير ضه ، قال أبو العباس المهرد : فأنشدنا فيه عشر مقطعات ، فاستحلينا مذهبه فيها ، فجعلها فوق الحسين ؛ فطارت كل مطار ، وسارت كل مسار ، فمنها :

يَا بِنَ حَرْبِ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانًا مَلَّ مِنْ صُحْبَةِ الزَّمَانِ وَصَدَا
فَحَسْبُنَا نَسِجَ العِنَاكِبِ قَدْ حَا لَ إِلَى ضَعْفِ طَيْلَسَانِكَ سَدَا
طَالَ تَرْدَادُهُ إِلَى الرَّفْرِ حَتَّى لَوْ بَعَثْنَاكَ وَحَدَّهُ لَتَهَدَّى
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

يَا طَيْلَسَانَ ابْنَ حَرْبٍ قَدْ هَمَمْتَ بَأَنْ تُودِي بِجِسْمِي كَمَا أُوْدِي بِكَ الزَّمَنْ
مَا فِيكَ مِنْ مَلْبَسٍ يَغْنَى وَلَا ثَمَنْ قَدْ أَوْهَمْتَ حِيلَتِي أَرْكَانَكَ الْوُهَنْ
فَلَوْ تَرَانِي لَدَى الرَّقَاءِ مُرْتَبَطًا كَأَنْتِي فِي يَدَيْهِ الدَّهْرَ مُرْتَهَنْ
أَقُولُ حِينَ رَأَى النَّاسُ أَلْزَمَهُ كَأَنَّكَ إِلَى فِي حَانُوتِهِ وَطَنْ
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا فَالْأَقْبَسَانَةَ مِنَّا مَنْزِلَ قَعْنُ
وَقَالَ :

قَالَ لَابِنِ حَرْبِ طَيْلَسَا نِكَ قَوْمُ نُوْحٍ مِنْهُ أَحَدَثُ

أَفَنَى الْقُرُونِ وَلَمْ يَزَلْ عَمَّنْ مَضَى مِنْ قَبْلِ يُورَثُ
وَإِذَا الْعَيُونَ لَحْظَنَهُ فَكَأَنَّهُ بِاللَّحْظِ يُحْزَثُ
يُودِي إِذَا لَمْ أَرْفُهُ فَإِذَا رَفَوْتُ فُلَيْسَ يَلْبَثُ
كَالْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ الدَّهْرَ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ

وقال :

قل لابن حرب طيلسانك قد أوهى قواى بكثرة الهرم
متبين فيه لمبصره آثار رفو أوائل الأمم
وكانه الخمر التى وصفت فى «ياشقيق الروح من حكم»
فإذا رَمَمناه فقبل لنا : قد صح ، قال له البلى : انهديم
مثل السقيم برأ فراجعهُ ، نكس فأسلمه إلى سقم
أنشدت حين طغى فأعجزنى «ومن العناء رياضة الهرم»

« الخمر التى وُصِفَتْ » من قول أبى نواس :

ياشقيق النفس من حكم نمت عن ليلي ولم أم
فأشقى البكر التى اعتجرت بخمار الشيب فى الرحيم
نمت أنصت الشباب لها بعد أن جازت مدى الهرم
فهى لليوم الذى بُزِلت وهى تلو الدهر فى القدم
عُتِقَتْ حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم
لاختببت فى القوم ماأله ثم قصت قصة الأمم
فرعتها بالمزاج يد خلقت للكاس والقلم

وقال الحدونى :

طيلسان لابن حرب جاني خلعة فى يوم نخس مستمر
فإذا ما صحت فيه صيحة تركته كهشم المحتظر

وإذا ما الريح هبَّتْ نحوهُ
 مَهْطِعِ الدَّاعِي إِلَى الرَّافِي إِذَا
 وَإِذَا رَفَاوَهُ حَاوَلَ أَنْ
 وَقَالَ :

أَيَا طَيْلِسَانِي أَغَيْتِ طَبِّي
 وَيَارِيحُ صَيَّرْتَنِي أَثْقِيلِي
 وَمَسْتَخْبِرُ خَبَرَ الطَّيْلِيسَانِ
 وَقَالَ فِيهِ :

طَيْلِسَانُ لِابْنِ حَرْبٍ جَاءَنِي
 أَنَا مِنْ خَوْفٍ عَلَيْهِ أَبَدًا
 يَابْنَ حَرْبٍ خُذْهُ أَوْ فَابَعْتُ بَمَا
 فَعَلَ اللَّهُ يُحْيِيهِ لَنَا
 فَهُوَ قَدْ أَدْرَكَ نَوْحًا ، فَمَسَى
 أَبَدًا يَقْرَأُ مِنْ أَنْبَصَرَهُ
 وَقَالَ فِيهِ :

يَابْنَ حَرْبٍ أَطَلَّتْ فَقَرِي بِرَفْوِي
 فَهَوِي الرِّفْوَى آلُ فُرْعَوْنَ فِي الْعَرْوِ
 زُرْتُ فِيهِ مَعَانِمًا فَازْدَرَوْنِي
 حَيْثُ فِي زِيِّ سَائِلِ كِي أَرَاكُمْ
 وَقَالَ فِيهِ :

وَهَبْتَ لَنَا ابْنَ حَرْبٍ طَيْلِسَانَا
 يُسَلِّمُ صَاحِبِي فَيَعِيدُ شَتْمِي
 أُجِيلُ الطَّرْفَ فِي طَرَفِيهِ طَوْلًا
 يَزِيدُ الْمَرْءَ ذَا الضَّعَةِ اتِّضَاعًا
 لِأَنَّ الرُّوحَ يَكْسِبُهُ انْضِدَاعًا
 وَعَرَضًا مَا أَرَى إِلَّا رِقَاعًا

فلمست أشك أن قد كان قدماً أنوح في ســــفـينته شراعاً
 فقد غنيت إذ أبصرت منه جوانبه على بدني تداعى
 قفى قبيل التفريق يا ضُباعاً ولا يكُ موقفٌ منك الوداعاً
 [المأمون والحسن بن رجاء]

دخل المأمونُ بعضَ الدواوين ، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم ، فقال : من أنت يا غلام ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين الناشئُ في دولتك ، المتقلبُ في نعمتك ، المؤمل لخدمتك ، خادمك وابنُ خادمك الحسنُ بن رجاء . فقال : أحسنت يا غلام ، وبالإحسانِ في البديهة تفاضلت العقول . فأمر أن يرفع عن مرتبة الديوان .
 قال أبو إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج : قال لى أبو العباس المبرد :
 ما رأيتُ في أصحاب السلطان مثل إسماعيل والحسن ؛ كنت إذا رأيته رأيتُ
 رجلاً كأنما خلق لذرّوة منبر ، أو صدرٍ مجلس ، يتكلم وكأنه يتنفس ، يُسهبُ
 ويُطنبُ ، ويُعربُ ويُعربُ ، ولا يعجبُ ويعجبُ .
 أراد القاضى إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد ، والحسن
 ابن رجاء بن أبى الضحاك .

[بديهة المبرد]

وكان أبو العباس يُعدّ في البلغاء ، وقال : لما دخلت على المتوكل اختار لى
 الفتحُ ابن خاقان وقتُ ثُربيه ، وكان الشراب قد أخذ منه ، فسألنى وقال :
 يا بصرى ، أرايت أحسنَ وجهاً منى ، فقلت : لا والله ولا أسمعُ راحةً ، ثم
 تجاسرت فقلت :

المبرد عند
 المتوكل

جهرتُ بحلقةٍ لا أتقيها بشكٍ فى اليمين ولا ارتيابِ
 بأنك أحسنُ الخلفاء وجهها وأسمعُ راحتين ، ولا أحابى
 وأنَّ مطيعك الأعلى محلاً ومن عاصبك يهوى فى تبابِ^(١)

(١) التباب - بوزن سحاب - الهلاك والخسران

فقال : أحسنت وأجملت في حُسن طبعك وبديهتك ، فقلت : ما ظننتني أبلغُ هذا الشرف ، ولا أنال هذه الرتبة ؛ فلا زال أميرُ المؤمنين يسمو بخدمته إلى أعلى المراتب ، ويصرفهم في المذاهب .

[من أدب المبرد]

وكان ابنُ المعتز قد غضبَ على بعض وكلائه ، فصار إلى أبي العباس المبرد يسأله أن يكلمه له ؛ فكتب إليه المبرد : أنتَ والله كما قال مسلم بن الوليد في جدك الرشيد :

بابي وأمي أنتَ ما أندي يداً وأبرّ ميثاقاً ، وما أزرَ كما
يغدو عدوك خائفاً ، فإذا رأى أن قد قدرت على العقاب رجاً كما
وهذا معنى كثير .

[في المدح]

أنشد أحمد بن يحيى ثعلب الأعرابي :

كريم بغض الطرفَ فضلَ حياته وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي (١)
وكالسيفِ إن لا يفتنه لأنَّ مَتْنَهُ وَحَدَّاهُ إنَّ خَاشَتَهُ خَشِيَانُ

وهذا يناسب قول ابن المعتز في بعض جهاته :

وَيَجْرَحُ أَحْشَائِي بَعِيْنٍ مَرِيضَةٍ كَلَانَ مَتْنُ السِّيفِ وَالْحَدُّ قَاطِعُ

وقال الأخطل في بني مروان :

صُمُّ عَنِ الْجَهْلِ ، عَنِ قَيْلِ الْخَنَا أُنْفُ إِذَا أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَفَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا (٢)

وقال إبراهيم بن علي بن هرمة يمدح أبا جعفر المنصور :

كريم له وجهان : وَجْهٌ لِدَى الرِّضَا طَلِيقٌ ، وَوَجْهٌ فِي الكَرِيهَةِ بَاسِطٌ
وليس بمعطى الحقِّ غَيْرُ قَدْرَةٍ وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكَّنْتَهُ الْمَقَاتِلُ
له لحظاتٌ من حِفَافِ سِرِّيهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ

(١) فضل حياته : منصوب على أنه مفعول لأجلا ، (م)

(٢) شمس العداوة : يعني أنهم لا يرجعون إلى الرضا إلا بعد أن يؤخذهم بحقم (م)

فَأَمَّ الَّذِي أَمَّنْتَ أَمْنَهُ الرَّدَى وَأَمَّ الَّذِي حَاوَلَتْ بِالشَّكْلِ ثَاكِلٌ

وقال الطائي في أبي سعيد محمد بن يوسف :

لأبي تمام

هو السيلُ إن واجهته انقذت طَوْعَهُ وتقنادهُ من جَانِبَيْهِ فيتبعُ

وكان عصابة الجرجاني ، واسمه إسماعيل بن محمد، منقطعاً إلى الحسن بن رجاء

لعصابة

الجرجاني في

متصلاً به ، وهو القائل فيه :

الحسن بن رجاء

ومحجَّبٌ بالنور ليس بمدركٍ إلا بما تأتي به الأنباة

ملكٌ يحبُّ الله فهو بحبِّه ويُطِيعُه فتطيعُه الأشياة

يمشى الموبِناً للصلاة يُقيمُها وإذا مشى للحرب فالخيلُ

لله دركٌ أيما ابنِ عزيمة يشوى الزمان ومالهُ إشواة

ثم عتب عليه في بعضِ الأمر ، فهجاه هجاءً قبيحاً ؛ فهرب إلى عمان ، ثم

اعتذر إليه بقصيدته التي أولها :

لا تخضبنَّ عواليَ المرانِ إلا من العلقِ النَّجِيعِ الآنِ^(١)

وهي أجود شعر قبيل في معناه ، وهي التي يقول فيها :

أقر السلام على الأمير ، وقل له : إن المنادمة الرضاعُ الثاني

ما إن أتى حشبي بأنك سأخطُ حتى استخفَّ بموضعي غلماني

وغدت على مطاعمي ومشاربي وملابسي من أعوانِ الأعوانِ

فكتب إليه الحسن :

أبلغ أبا إسحاق أن محلهُ مني بحيث الرأسُ والعينانِ

لا تبعدنَّ بك الديارُ لِنزغةِ وكتمبعدنَّ نوازغَ الشيطانِ

فليفرخ الروعُ الذي روعتهُ إن المحل محلهُ كلُّ أمانِ

[بين جميل وعمر بن أبي ربيعة]

اجتمع جميل بن معمر العذري بعمر بن أبي ربيعة الخزومي ، فأنشده جميل

وصيدته التي أولها :

(١) عوالي المران : أطراف الرماح ، والعلق : الدم ، والنجيع : الضارب إلى

السواد ، والآن : الحار (م)

لَقَدْ فَرِحَ الرَّاشُونَ أَنْ صَرَمَتَ حَبِيلِي . بُنَيْنَةٌ أَوْ أَبَدَتْ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ
 يَقُولُونَ : مَهَلًا يَا جَمِيلُ ، وَإِنِّي لِأُقْسِمُ مَالِي عَنْ بُنَيْنَةٍ مِنْ مَهْلِ
 خَلِيلِي فِيمَا عَشْنَا هـ لِرَأَيْتَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
 نقله أبو العتاهية ، فقال :

يَأْمَنُ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بَكَى مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ عَلَى الْقَاتِلِ
 فلما أتمها قال لعمر : يا أبا الخطاب ، هل قلت في هذا الروي شيئًا ؟ قال :
 نعم ، ثم أنشده :

جَرَى نَاصِحَ بِالْوَدِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَعَرَّضَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي
 فَمَا أُنْسَمَ الْأَشْيَاءَ لِأَنْسَ قَوْلَهَا وَمَوْقِفَهَا يَوْمًا بِقَارِعَةِ النَّخْلِ
 فَلَمَّا تَوَافَقْتَا عَرَفْتُ الَّذِي بَهَا كَمَثَلِ الَّذِي بِي حَذْوُكَ النَّمْلِ بِالنَّمْلِ
 فَسَأَمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خِيفَةً أَنْ يَرَى عَدُوًّا مَكَانِي أَوْ يَرَى حَاسِدًا فَعَلِي
 وَأَقْبَلَ أَمثالُ الدَّمِيِّ يَكْتَنِفُهَا وَكَلَّ يُفَدِّي بِالْمَوَدَّةِ وَالْأَهْلِ
 فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السِّتْرِ : إِنَّمَا مَعِيَ فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ أَهْلِي
 فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِي لِمَنْ مِنْ تَرْقُبٍ وَلَكِنْ سَرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
 فاستخذى جميل وصاح : هذا والله الذي طلبت الشعراء فأخطأته ، فتعللوا
 بوصف الديار ، ونعت الأطلال .

ولما مات عمر بن أبي ربيعة نعى لامرأة من مولدات مكة ، وكانت بالشام ،
 فبكت وقالت : مَنْ لَأَبَاطِحِ مَكَّةَ ؟ وَمَنْ يَمْدَحُ نِسَاءَهَا ، وَيَصِفُ مُحَاسِنَهُنَّ ،
 وَيُبْكِي طَاعَتَهُنَّ ؟! قَتِيلٌ لَهَا : قَدْ نَشَأْتُ مِنْ وَلَدِ عُمَانَ بْنِ عِفَانَ ^(١) عَلَى طَرِيقَتِهِ ،
 فَقَالَتْ : أَنْشِدُونِي لَهُ ، فَأَنْشَدُوهَا :

وَقَدْ أَرْسَلَتْ فِي السَّرَائِلِ بِأَنْ أَقِمَّ وَلَا تَقْرَبْنَا فَالْتَجَنَّبُ أَجْمَلُ
 لَعَلَّ الْعَيُونَ الرَّامِقَاتِ لَوْضَلْنَا تَكْذِبَ عَنَّا أَوْ تَنَامُ فَتَغْضَلُ
 أَنْسُ أَمْتَاهُمْ فَبَشُوا حَدِيثَنَا فَلَمَّا كَتَمْنَا السَّرَّ عَنْهُمْ تَقَوْلُوا

(١) هو العرجي ، وسيأتي بعد هذا نسبه وبعض خبره (م)

فما حفظوا العهد الذي كان بيننا ولا حين هموا بالطبيعة أجملوا
ففسلت وقالت : هذا أجل عوصٍ ، وأفضل خلف ، فالحمد لله الذي خلف
على حرمة وأتمته مثل هذا .

من شعر
العرجي

وقال عروة بن أذينة : أنشدت ابن أبي عتيق للعرجي :
فما ليلةٌ عندي وإن قيل ليلةٌ ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بعادلة الإثنين ، عندي وبالحرى يكونُ سواء مثلها ليلة القدر
وما أنسَ من الأشياء لأنس قواها لجارتها : قومي سلي عن الوتر
فجاءت تقول الناس في ست عشرة ولا تمجلي عنه فإنك في أجر
فقال ابن أبي عتيق : هذه أفقه من ابن أبي شهاب ؛ أشهدكم أنها حرّة
من مالي إن أجاز أهلها ذلك .

والعرجيُّ هو عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان ينزل بعرج
وتنسب العرجي وبعض أخباره الطائف فنسب إليه ، وهو القائل :

هل في ادِّكارى الحبيب من حرج أم هل لهم الفؤاد من فرج
أم كيف أنسى مسيرنا حرما يوم حللنا باللخل من أمج^(١)
يوم يقول الرسولُ قد أذنت فاتِ على غير رقبته فلدج^(٢)
أقبلتُ أهوى إلى رحالهم أهدى إليها بريجها الأريج
وكان محمد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم واليا على مكة - وهو
خال هشام بن عبد الملك - بلغه أنّ العرجيَّ هجاه ، فضر به ضرباً بربحاً ، وأقامه
على أعين الناس ، فجعل يقول :

سيغضب لي الخليفة بعد رقي ويسأل أهل مكة عن مساق
على عباءة برقاء ليست من البلوى تجاوز نصف ساق
وتغضب لي بأسرتها قصي ولاة الشعب والطرف العماق

(١) أمج : قرية كثيرة النخل والزرع يسكنها قوم من قضاة (م)
(٢) رقبه - بكسر الراء - رقب وحذر ، ولج - بوزن صف وعد - أمر من الولوج (م)

مخلف محمد بن هشام ألا يخرجها مادامت له ولاية ؛ فأقام في السجن سبع سنين حتى مات ، وهو القائل في سجنه :

أضاعوني وأبى فتى أضاعوا	ليوم كريمة وسداد نغر
وخلوتني ومعترك المنايا	وقد شرعت أسنتهم لنحري
كأنني لم أكن فيهم وسيطاً	ولم تك نسبتني في آل عمرو
أجرر في الجوامع كل يوم	ألا لله مظلمتي وهضري
عسى الملك الحبيب لمن دعاه	سندجيني فيعلم كيف شكري
فأجزى بالكرامة أهل ودي	وأجزى بالضعائن أهل ضري

جملة من الفصول القصار لابن المعتز

البشر دال على السخاء كما يدل الثور على الثمر . إذا اضطرت إلى الكذاب فلا تصدقه ، ولا تعلمه أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبيعه . كما أن الشمس لا يخفى ضوءها وإن كانت تحت السحاب كذلك الصبي لا يخفى غريزة عقله وإن كان مغموراً بأخلاق الحداثة . كرم الله عز وجل لا ينقض حكمته ، ولذلك لا يجعل الإجابة في كل دعوة . كما أن جلاء السيف أهون من صنعه ، كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره . إذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة . لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب . الحوادث المصنفة مكسبة لحظوظ جزيلة : من صواب مدخر ، وتطهير من ذنب ، وتذنيه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومروء على مقارعة الدهر .

ومثل هذا الفصل محفوظ عن ذي الرياستين ، قاله بعقب علة فأغار عليه

ابن المعتز .

وكتب إلى أحمد بن محمد جواباً عن كتاب استزاده فيه : فَيَدُ نَعْمَتِي عِنْدَكَ

بما كنت استدعيتها به ، ودب عنها أسباب سوء الظن ، وأستدبر ما تحب منى
بما أحب منك .

وكتب إليه : والله لا قابِلَ إحسانك منى كفرن ، ولا تبِعَ إحسانى إليك
من ، ولك عندى يدٌ لا أقبضها عن نفعك ، وأخرى لا أبسطها إلى ظلمك ،
فتجنب ما يُسخطى ؛ فإنى أصون وجهك عن ذل الاعتذار .

وكان أحمد بن سعيد يؤدبه فتحمل البلاذرى على قبيحة أم ابن المعتز بقوم
سألوا أن تاذن له أن يدخل إلى ابن المعتز وقتاً من النهار ، فأجابت أو كادت
تجيب ، قال ابن سعيد : فلما اتصل الخبر بى جلست فى منزلى غضبان لما بلغنى
عنها ، فكتب إلى ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة .

أصبحت يا بن سعيد خدن مكرمة	عنها يقصر من يحفى ويتعل
سر بلتنى حكمة قد هذبت شيمى	وأججت نار ذهني فهي تشتعل
أكون إن شئت قسا في خطآته	أو حارثا وهو يوم الخفل مر تجل
وان أشأ فكر زيد في فرائضه	أو مثل نعمان لما ضاقت الحيل
أو الخليل عروضا أخطا فطن	أو الكسائي نحويا له علل
تقلو بداهة ذهني في مراكبها	كثل ما عرفت آبى الأول
وفى فى صارم مأسله أحد	من غمده فدرى ما العيش والجذل
عقبك شكر طويل لا نقاد له	يبقى بجدته ما أطت الإبل

وقس الذى ذكر : هو قس بن ساعدة الإيادى ، وقد سيع النبي صلى الله

عليه وسلم شعره ، وعجب منه .

وحارث : هو الحارث بن حلزة اليشكرى ، وصف ارتجاله يوم فخره بقصيدته

التي أشدها بمحضرة عمرو بن هند التي أولها :

أذنتنا ببينها أسماء ربناو يمل منه الثواء

وزيد : هو زيد بن ثابت الأنصارى ، وإليه انتهى علم الفرائض . ونعمان : هو

أبو حنيفة النعمان - رضى الله عنه - بن ثابت، سبق أهل العراق في الفقه. والخليل بن أحمد القرههوى، ويقال: القرهيدى، مسوب إلى حى من الأزدي، اليجمرى. والكسائى: على بن حمزة الكوفى.

[من ابن العميد إلى بعض إخوانه]

وكتب أبو الفضل محمد بن العميد إلى بعض إخوانه :
 أنا أشكو إليك - جعلني الله فداك - دهر أخو وأنا غدو، وزمانا أخذ وعاغروا،
 لا يمنح ما يمنح إلا ريث ما ينتزع، ولا يبقى فيما يهب إلا ريث ما يرتجع، يبدو
 خيرُه لمعاً ثم ينقطع، ويحلو ماؤه جراً ثم يمتنع. وكانت منه شيمة مألوفة،
 وسجية معروفة، أن يشفع ما يُبرهه بقرب انتقاض، ويهدى لما يبسطه وشك انتقاض،
 وكنا نلذبه على ما شرط، وإن خان وقسط؛ وترضى على الرغم بحكمه، ونستقيم
 بقصدِه وظلمه، ونعتد من أسباب المسرة الأيحي، محذوره مصمتا بلا انفرج، ولا يأتي
 مكروهه صرفاً بلا مزاج، وتعلل بما نحتلسه من غفلاته، ونسترقه من ساعاته.
 وقد استحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة، وشريعة متبعة، وأعد لكل صالحة
 من الفساد حالا، وقرن بكل خلة من المكروه خالالا. وبيان ذلك - جعلني
 الله فداك - أنه كان يقنع من معارضته الإلفين، بتفريق ذات البين، فقد
 أنشئ ممنواً فيك بجميع ما أوغره، وما أطويه من البلوى منك أكثر مما أنشئه،
 وأحسبني قد ظممت الدهر بسوء الثناء عليه، وألزمته جرماً لم يكن قدره بما يحيط
 به، وقدرته ترتهى إليه، ولو أنك أعنته وظهرته، وقصدت صرفه وآزرته،
 وبعثتى بيع الخلق وليس فيمن زاد ولكن فيمن نقص، ثم أعرضت عنى إعراض
 غير مراجع، واطرحتنى اطراح غير مجامل؛ فهلاً وجدت نفسك أهلاً للجميل
 حين لم تجدنى هناك، وأنفدت من جل ما عقدت من غير جريمة، ونكثت
 ما عهدت من غير جريمة، فأجبتني عن واحدة منهما؛ ما هذا التعالى بنفسك،

والتعالى على صديقك؟ ولم نَبِّذْ تَنِي نَبْذَ النَّوَاةِ ، وطرحتني طَرَحَ القَذَاةِ ؟ ولم تَلْفِظِي من فيك ، وتمجني من حلقك؟ وأنا الحلال الحلو ، والبارد العذب ، كيف لا تُخَطِرُنِي ببالك خَطْرَةَ ، وتُصَيِّرُنِي من أشغالك مرة ؛ فترسل سلاما إن لم تتجشم مُكَاتَبَةَ ، وتذكرني فيمن تَذْكُرُ إن لم تكن مخاطبة؟ وأحسب كتابي سيرد عليك فتذكره حتى تثبتت ، ولا تجمع بين اسم كاتبه وتصور شخصه حتى تتذكر؛ فقد صرت عندك من محام النسيان صورته من صدرك ، واسمه من صحيفة حفظك ، ولعلك أيضاً تتعجب من طمعي فيك وقد توليت ، واسمالي لك وقد أبيت ، ولا عجب فقد يتفجر الصخرُ بالماء الزلال ، ويلين مَنْ هو أقسى منك قلبا فيعود إلى الوصال ، وآخر ما أقوله أن ودّي وقفُ عليك ، وحسب في سبيلك . ومتى عدت إليه وجدته غضاً طرياً ، فجزبه في المعاداة فإنه في العود أحمد .

اجتليت هذا الكلام على اختيار الاختصار .

حلّ قوله « فقد يتفجر الصخرُ بالماء الزلال » من قول ابن الرومي :

يا شبيهه البدر في الحسن وفي بُعد المنال
جد فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال

وفي هذه الرسالة في ذكر فتح وإن لم يستبق منه المعنى :

وقد خصنا الله تعالى معاشر عبداً أمير عضد الدولة بنعمة يعلم مراتب النعم موقعها ، ويفوت مقدار المواهب موضعها ، فباسمها أبقاه الله - فتح الفتح ، وبشعاره استنزل النجح ، ويؤمن نقيته فرج الكرب ، وبسعادة جده كشف الخطب ، وباهتزازة للدولة وحمايته عاد إليها ماؤها ، وراجعها بهاؤها ، فعز الملك ونصر ، وذل العدو وقهر ، وحمت أطراف الدولة ، وحفظت أكناف الملة ، واستجدت نظام النعمة ، وسدلت ستور الصيانة دون الحرمة ؛ ولوجعل المولى - تقدس اسمه - لنعمته إذا تناهت على عبده جزاء غير الإخلاص في شكره ، وقبل ما في مقابلة المؤهبة التي يستجدها عند خلقه غير

الإغراق في حَمْدِه ، لرأيتُ ألاَّ أقتصر في قضاء حقه على بعض الملك دون بعض ،
ولجعت في صَدْرٍ ما أبذل عن هذه النعمة الأعزَّين : الأهل والولد ، والأنصريين :
الساعد والعَضُد ، بل العميدين : القلب والكبد ؛ بل النفس كلها ، والمُهْجَة
بأسرها .

[من بديع ما قيل في العتاب]

وقال سعيد بن حميد يعاتبُ بعض إخوانه :

لسعيد بن حميد

أفَلَّ عتابك فالبقاء قليلُ
لَمْ أَبْكِ من زمن ذَمَّتْ صُروفهُ
ولِكُلِّ نائبةٍ أَلَمْتُ مُدَّةً
والمنتمون إلى الإخاء جماعةٌ
ولعل أحداثَ المنيَّةِ والرَّدى
فلئن سَبَقْتُ لتبكين بحسرةٍ
ولتفجعنَّ بِمُخْلِصِ لِكَ وِامِقِ
ولئن سَبَقْتُ - ولا سَبَقْتُ - لِيَمِضِنِ
وليذهبنَّ بها كلَّ مروءةٍ
وأراك تكلِّفُ بالعتابِ ووُدُّنا
وودُّنا لِدَوِي الإخاءِ جِمالهُ
ولعل أيامَ الحِياةِ قِليلةٌ
وقال أيضاً :

ولالك عن سوء الخليفة مرَّغبُ
وفي دونه قُرْبَى لمن يتقرَّبُ
وخيرٌ من الودِّ السقيمِ التجنُّبُ
تقدسا نى أن ليس لى عنك مذهب
أفكر فى ودِّ تقادم بيننا
وَأَنْتِ سَقِيمُ الْوَدِّ رَثُّ حِبالهِ
(١) فى نسخة «جمالها المأمول» (م) .

تُسِيءُ وَتَأْتِي أَنْ تَعْقِبَ بَعْدَهُ
وَأَحْذَرُ إِنْ جَازَيْتَ بِالسُّوءِ وَالْقَلْبِ
أَسَاءَ اخْتِيَاراً أَوْ عَرَّتَهُ مَلَالَةً
فَخَبِئْتُ مِنَ الْوَدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
بِحُسْنِي، وَتَلَقَّانِي كَأَنِّي مُذْنِبٌ
مُقَالَةٌ أَقْوَامٍ هُمْ مِنْكَ أَنْجَبُ
فَعَادَ يُسِيءُ الظَّنَّ أَوْ يَتَعْتَبُ
كَأَخَابِ رَاجِي الْبَرِّ وَالْبَرِّقُ حَلْبُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لعبيد الله بن عبد
الله بن طاهر

إِلَى كَمْ يَكُونُ الصَّدُّ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
رَوَيْدِكَ ! إِنَّ الدَّهْرَ فِيهِ بَقِيَّةٌ
وَلَيْمَ لَا تَمَنَّ الْقَطِيعَةَ وَالْهَجْرَةَ ؟
لِنَفْرِيقِ ذَاتِ الْبَيْنِ فَانْتَظِرِ الدَّهْرَ
آخِر :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ فَلَا تَكُنْ مَتَجَنِّباً
حَسَبَ الْأَحِبَّةِ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمْ
أَنَّ الصَّدُودَ هُوَ الْفِرَاقُ الْأَوَّلُ
صَرَفُ الزَّمَانِ، فَمَا لَنَا نَسْتَعْجِلُ ؟
آخِر :

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسُعْمَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
وَيَقْرُبُ مِنَ الْمَعْنَى قَوْلَ الْمُتَنَبِّي أَيْضاً :

للمتنبي

زَوِّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مَا دَا
وَصَلِّمِينَا نَصْلَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمُقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ
مَ حَسُنُ الْوَجُوهِ حَالٌ يُحْوَلُ

[من كلام الأعراب]

وقف أعرابيٌّ يسألُ، فعَبِثَ بِهِ فَتَى، فقال : بمن أنت ؟ فقال : من بني عامر
ابن صعصعة، فقال : من أيهم ؟ فقال : إن كنت أردت عاطفة القرابة فليتكفك
هذا المقدر من المعرفة، فليس مقامي بمقام مُجَادَلَةٍ وَلَا مَفَاخِرَةٍ، وَأَنَا أَقُولُ :
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ هَامَاتِهِمْ فَلَسْتُ مِنْ أَعْجَازِهِمْ. فقال الفتى : مارويت عن فضيلتك إلا النقص
في حسبك. فامتعض الأعرابي لذلك؛ فجعل الفتى يمتنذِرُ، ويحاطُ الهزلُ والدعايةُ باعتذاره،

وأطال الكلام ، فقال له الأعرابي : يا هذا ، إنك منذ اليوم آذيتني بمزحك ، وقطعتني عن مسألتى بكلامك واعتذارك ، وإنك لتكشف عن جهلك بكلامك ما كان السكوت يستتره من أمرك ، ويحك ! إن الجاهل إن مزح أسخط ، وإن اعتذر أفرط ، وإن حدث أسقط ، وإن قدر تسلط ، وإن عزم على أمر تورط ، وإن جلس مجلس الوقار تبسّط ؛ أعودُ منك ومن حال اضطررتني إلى احتمال مثلك !

وقال إسحاق الموصلي : قال أعرابي لرجل كان يعتمده بالعطية : أسأل الذي رحمني بك أن يرحمك بي .
وسأل أعرابي رجلا ، فأعطاه ، فقال : الحمد لله الذي ساقني إلى الرزق وساقك إلى الأجر :

[المقامة البلخية]

ومن انشاء البديع من مقامات الإسكندري :

قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : أفضت بي إلى بلخ تجارة البزّ ، فوردتها وأنا بفروّة الشباب^(١) وبأل الفراغ ، وحليّة الثروة ، لا يهمني إلا زهنة فكر أستقيدها^(٢) وشريفة من الكلام أصيدها ؛ فما استأذن على سمعي مسافة مقي ، أفصح من كلامي . ولما حنى التفرق بنا قوسه أو كاد ، دخل إلى شاب في زى ملء العين ، وحليّة تشوك الأخذين^(٣) ، وطرف قد شرب بماء الرافدين^(٤) ، ولقيني من البرّ في السناء ، بما زدته من الشكر والثناء ؛ ثم قال : أظعمًا تريد ؟ قلت :

- (١) الفروة : الشعر ، وفي إحدى روايات المقامات « وأنا بعذرة الشباب »
والعذرة : الناصية ، وهي الحصلة من الشعر في مقدم الرأس
(٢) في إحدى روايات المقامات « مهرة فكرة أستقيدها »
(٣) الأخذعان : عرقان في صفحة العنق
(٤) الرافدان : دجلة والفرات . والكلام هنا كناية عن وفرة الشباب

إي والله ، فقال : أَحْصَبَ اللهُ رَائِدَكَ ، ولا أَضِلُّ قَائِدَكَ ، فمتى عَزَمْتَ ؟ فقلت :
غداً غد ، فقال :

صَبَّاحُ اللهِ لا صُبْحُ انْطِلاقٍ وَطَيْرُ الوَصْلِ لا طَيْرُ الفِرَاقِ
قال : أين تريد ؟ قلت : الوطن ، قال : بُلِّغْتَ الوطن ، وقَضَيْتَ الوَطْرَ ،
فمتى العود ؟ قلت : القابل ، قال : طَوَّيْتَ الرِّيبَ^(١) ، وئذِيتَ الخيط ، فأين أنت
من الكرم ؟ قلت : بحيث أردت ، قال : إذا رجعت الله من هذه الطريق ،
فاستصحب لي عدوًّا في بُرْدَةِ صديق ، من نجار الصُّفْر ، يدعو إلى الكفر ،
ويرقص على الظُّفْر ، كدَّارة العين ، يحطُّ ثِقَلُ الدِّين ، وينافقُ بوجْهين !
فعلت أنه يلتبس دينارا ، قلت : لك ذلك نقدا ، ومثله وعدا ، فأنشأ يقول :

رَأَيْكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى لا زلت للمكرمات أهلا
صَلِمْتَ عوداً وفقتَ جوداً وطببتَ فرعاً وطببتَ أصلا
لا أستطيع العطاء حملا ولا أطيق السؤال تَمَلَا
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنًّا وطلتُ عمَّا ظننتَ فعلاً
يا رحمة الله والمعالي لا لقيَ الدهرُ منك مَمَلَا^(٢)

قال عيسى بن هشام : فُنلتهُ الدينار ، وقلت : من أين نبتَ هذا الفضل ؟
قال : تمتنى قریش ، ومهد لي الشرفُ في بطْحائها . فقال بعض من حضر :
ألسنت أبا الفتح السكندري ؟ ألم أرك بالعراق ، تطوف بالأسواق ، مُكَدِّياً
بالأوراق^(٣) ؟ فأنشأ يقول :

(١) الريط : جمع ريطة ، وهي الملاءة - وهذه العبارة كناية ، يدعو له
بأن يطوى أيام البعد عن أهله (م)

(٢) في إحدى روايات المقامات « يارحمة الدهر والمعالي » والرجمة - بضم
الراء وسكون الجيم - ما يبني تحت النخلة الكريمة لتعتمد عليه إذا ثقل حملها أو
ضعف احتمالها (م)

(٣) كدى الرجل تكديية : أى سأل

إِنَّ لِلَّهِ عِيْدًا أَخَذُوا الْعُمْرَ خَلِيْطًا
فَهُمْ يُمْسُونَ أَعْرَا بَا وَيُضْجُونَ نَيْطًا^(١)
[من البديع إلى الميكالى]

وله إلى أبي نصر الميكالى يشكو إليه خليفته بهرارة :

كنتابى أطل الله بقاء الشيخ الجليل ، والماء إذا طال مُكثه ، ظهر خُبثه ، وإذا
سكن مَتته ، تحرك تنته ، كذلك الضيفُ يَسْمُجُ لقاؤه ، إذا طال ثَوَاؤه ، وينقل
ظله ، إذا انتهى محله ، وقد حلبت أشطر خمسة أشهر بهرارة وإن لم تكن دار
مثلى لولا مقامه ، وما كانت تسعنى لولا ذمأمه ، ولى فى بَيْتِي قيسٍ مثلُ صدق ،
وإن صَدْرًا مَصْدَرًا عَشِقُ :

وَأَدَنْتِنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتِنِي بِقَوْلِ يُحِلِّ الْعُصْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
تَجَافَيْتِ عَنِّي حَيْثُ لَا لِي حِيَاةٌ وَخَلَّفَتْ مَا خَلَّفَتْ بَيْنَ الْجَوَابِحِ

نعم . قنصتني نعم الشيخ الجليل ، فلما علقَ الجناح ، وقلقَ البراح ، طرت
مطارَ الريح ، بل مطارَ الروح . وتركتني بين قوم ينتفض مشهم الطهارة ،
وتوهن أكَفْهُمُ الحجارة . وحدثت عن هذا الخليفة ، بل الجيفة ، أنه قال :
قضيت لفلان خمسين حاجةً منذ ورد هذا البلد ، وليس يقنع ، فما أصنع ؟ فقلت :
يا أحمق ، إن استطعت أن ترانى محتاجاً ، فاستطع أن أراك محتاجاً إليك . أف
لقولك ولفعلك ، ولدهر أخوج إلى مثلك ! وأنا أسأل الشيخ الجليل أن يبيض
وجهى بكتاب يسود وجهه ، ويعرفه قدره ، ويلا رعباً صدره ، إلى أن تبين
على صفحات جنبيه ، آثارُ ذنبه .

وله إليه يعاتبه :

قد عرف الشيخ الجليل أسامى بعبوديته ، ولو عرفت وراء العبودية مكاناً
لبلغته معه ، وأرانى كلما قدمت صُخْبَةً ، رجعت رُتْبَةً ، وكلما طالت خِدْمَةٌ ، قصُرت

(١) النيط : جماعة من العجم يسكنون سوادا العراق (م).

حِشْمَةَ ، ولست ممن يذهب عليه أن للسلطان أن يرفع عَبْدًا حبشيًّا ، وَيَضَعُ قُرَشِيًّا ،
ولكن أحب أن أقف من مكاني على رُتْبَةٍ كوكبها لا يغور ، ومنزلةٍ لو لبها
لا يدور ؛ فإذا عرفت قَدْرِي وخطه ، لم أنخطه ، ثم إن رأيت محسلي وحدته ، لم
أتعدّه ، إن قدمني يوماً عليها علمت أن عنايةً قدمتنى ، وإن أخرجني عنها علمت
أن جنابةً أخرتني . رفع على اليوم فلانٌ ولست أنكر سنّه وفضله ، ولا أجد
بيته وأصله ، ولكن لم تجرِ العبادة بتقدمه ، لافي الأيام الخالية ، ولا في هذه الأيام
العالية ؛ وشديدٌ على الإنسان ما لم يعود ؛ فإن كان حاسدٌ قد همّ ، أو كاشح قد نمّ ،
أو خطبٌ قد ألمّ ، أو أمرٌ قد وقع وتمّ ، فالشيخُ الجليلُ أولى من يعرفه ويعرفنيه ،
وإلا فالرأى الذي أوجب اصطناعي ، ثم ضياعي ، والسبب الذي اقتضى بيبي
بعد ابتياعي ؟

[بين المأمون وإبراهيم بن المهدي]

ولما رضى المأمون عن إبراهيم بن المهدي أمر به فأدخل عليه ، فلما وقف بين
يديه قال : ولّى النار محكم في القصاص ، ومن تناوله الاغترار بما مدّ له من أسباب
الرجاء ، أمّن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله تعالى فوق كل ذى ذنب ،
كما جعل كل ذى ذنب دونك ، فإن أخذت فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك .
ثم قال :

ذنبى إليك عظيمٌ وأنت أعظم منه
فخذ بحقك ، أو لا فاضفح بفضلك عنه
إن لم أكن في فعالي من الكرام فكنه

فقال لى : إني شاورت أبا إسحاق والعباس في قتلك ، فأشارا به ، قال : فما
قلت لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت لهما : بدأناه بإحسان ، ونحن نستأمره فيه ، فإن
غير الله يغير ما به ، قال : أما أن يكونا قد نصحنا في عظيم ما جرّت عليه السياسة

فقد فعلا وبلغا ما يبلغك، وهو الرأيُ السديد ، ولكنك أبيت ألا تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله . ثم استعبر با كياً ، فقال له المأمون : ما يبكيك؟ قال : جدلاً ! إذ كان ذهبي إلى من هذه صفته في الإنعام ، ثم قال : إنه وإن كان قد بلغ جرُمي استحلال دمي ، فعلمُ أمير المؤمنين وفضله بلغاني عفوه ، ولى بعدها شفاعة الإقرار بالذنب ، وحقُّ الأبوة بعد الأب . فقال : يا إبراهيم ، لقد حُبِّبَ إلى العفو حتى خفتُ ألا أُوجرَ عليه ، أما لو علم الناسُ مالنا في العفو من اللذة لتقرَّبوا إلينا بالجنايات ، لا تتهربَ عليك ، يغفر الله لك ، ولو لم يكن في حقِّ نسبك ما يبلغ الصفح عن جرمك لبلغك ما أملت حسنُ تتصلك ولطف توصلك ثم أمر بردَ ضياعه وأمواله ، فقال :

رددت مالي ولم تبخلْ عليَّ به وقبل ردِّك مالي قد حقَّنت دمي
وقام علمك بي فاحتجَّ عندك لي مقام شاهدٍ عدلٍ غيرِ متهمٍ
فلو بذلتُ دمي أبقى رضاك به والمال حتى أسلَّ النعل من قدِّمي
ما كان ذلك سوى عارية سلفت لولم تهبها لكنت اليوم لم تُتلم

أخذ معنى قول المأمون : « لقد حُبِّبَ إلى العفو حتى خفتُ ألا أُوجر عليه » أبو تمام الطائي فقال :

لو يعلمُ العافون كم لك في الندى من لذة وقرينة لم تخمدِ
فكان أبو تمام في هذا كما قال أبو العباس المعتز في القاسم بن عبيد الله :
إذا ما مدحناه استعنا بفعله فنأخذ معنى قولنا من فعاله

وكان تصويبُ إبراهيم لرأي أبي إسحاق المعتصم والعباس بن المأمون أطف في طلب الرضا ودفع المسكروه واستمالتهما إلى العاطفة عليه من الإزرء عليهما في رأيهما ، وكان إبراهيم يقول : والله ما عفا عنى لرحم ولا لحنة ؛ ولكن قامت له سوق في العفو كره أن يفسدها [بي] .

وكان المأمون شاور في قتل إبراهيم أحمد بن أبي خالد الأحول ، فقال :

إن قتلته فلك نظير؛ وإن عفوت عنه فلا نظير لك؛ فأختر لك العفو.

[بين المأمون وإسحاق بن العباس]

وقال المأمون لإسحاق بن العباس: لا تحسبني أغفلت أمر ابن المهدي وتأيدك له، وإيقادك لناره.

قال: والله يا أمير المؤمنين لإجرام قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من جرّمي إليك؛ ولرحمى أمسّ بك من أرحامهم؛ وقد قال لهم كما قال يوسف؛ على نبينا وعليه الصلاة والسلام لإخوته: «لا تثرّيب عليكم اليوم يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وهو أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ». وأنت يا أمير المؤمنين أحقّ وارث لهذه الأمة في الطّول، وممثل لخلال العفو والفضل.

قال: هيهات! تلك أجرام جاهلية عفا عنها الإسلام، وجرّمك جرّم في إسلامك، وفي دار خلافتك.

قال: يا أمير المؤمنين؛ فوالله للهسلم أحقّ بإقالة العشرة وغفران الذنب من الكافر. وهذا كتاب الله بيني وبينك إذ يقول: «وسارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ». والناس يا أمير المؤمنين نسبة دخل فيها المسلم والكافر، والشريف والمشروف.

قال: صدقت، ورّيت بك زنادي، ولا برّحت أرى من أهلك أمثالك.

[رجل يستعطف بعض الملوك]

وقال رجل لبعض الملوك وقد وقف بين يديه: أسألك بالذي أنت بين يديه غداً أدلّ مني بين يديك اليوم، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي، إلا ما نظرت في أمري نظراً من برّئي أحبّ إليه من سُقْمِي، وبراءتي أحبّ إليه من بليتي.

[بين معاوية وروح بن زنباع]

وأراد معاوية عقوبة روح بن زنباع فقال: يا أمير المؤمنين: أنشدك الله تعالى

ألا تضع مني خسيصة أنت رفعتها، أو تنقض مني مريرة^(١) أنت أبرمتها، أو تسمت بي عدواً أنت كبتته، وحاسداً بك وقمته^(٢)؛ وأسألك بالله إلا أربي^(٣) حلك على خطئي وصفحك على جهلي.

فقال معاوية رضي الله عنه : إذا الله ثني عقد شيء تيسراً .

أشار إلى هذا أبو الطيب المنبى إذ قال :

أزل حسد الحساد عني بكتبهم فأنت الذي صيرتهم لي حسداً
إذا شد زندي حُسن رأيك في يدي ضربت بسيف يقطع الهام مُغعداً

[عفو الملوك]

وعتب المأمون على بعض خاصته ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قديم الحرمة والمأمون وبعض
وحديث التوبة يمحوان ما بينهما من الإساءة . قال : صدقت ، وعفا عنه .
خاصته

وكان في ملوك فارس ملك عظيم المملكة ، شديد النعمة ، فقرّب له صاحب
المطبخ طعامه ، فنقطت نقطة من الطعام على المائدة ، فزوى له الملك وجهه ، وعلم
صاحبُ المطبخ أنه قاتله ، فعمد إلى الصّحفة فكفأها على المائدة ثم ولى ، فقال له
الملك : ما حملك على ما فعلت ، وقد علمت أن سقوط النقطة أخطأت بها يدك
ولم يجربها تعمدك ، فما عندك في الثانية ؟ قال : استحييتُ للملك أن يُوجب قتلي ،
ويبيع دمّ مثلي ، في سنيّ وحرمتي ، وقديم اختصاصي وخدمتي ، في نقطة أخطأت
بها يدي ، فأردتُ أن يعظم ذنبي ليحسن بالملك قتلي .

قال : لئن كان اعتذارك يُنجيك من القتل ، فليس يُنجيك من التأديب ؛
اجلدوه مائة جلدة ، واخلعوا عليه خلع الرضا .

وخرج بهرام جور متصيداً فعن له حمار وحش ، فأتبعه حتى صرعه ، وقد
انقطع عن أصحابه ، فنزل عن فرسه يريد ذبحه ، وبصر براع فقال : أمسك
على فرسي ، وتشاغل بذبح الحمار ، وحانت منه التفاتة ، فنظر إلى الراعي يقطع
جوهر عذار فرسه ، فحوّل بهرام جور وجهه وقال : تأمل العيب عيب ، وعقوبة

(١) أصل المريرة الحبل المحكم القتل (م)

(٢) وقته : قهرته وأذلته (م) (٣) أربي : زاد (م)

من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سقّه ، والفقو من أفعال الملوك ، وسُرعة العقوبة من أفعال العامة .

ثم قال : يا غلام ، ما بال شرياً نك يضطرب لعلك آذاك تكسيرنا أرضك بحوافر خيّلنا ، فقال : نعم ، وقد عزمتُ على أن أتقلع مائة فرسخ ، فقال بهرام : لا تُرَع ؛ فهذا الموضع وما فيه لك ، وكان الراعي خبيثاً ، فقال : إن الملوك إذ قالت قولاً تَمَّتْ على قولها ، فرجع بهرام إلى عسكره وقال : اتبعني لأوثق لك من هذه الأرض ، فاتبعه ، فلما بصر به الوزير قال : أيها الملك السعيد ، إني لأرى جوهر عذار فرسك مُقلعاً ، فتبسم وقال : أخذه من لا يردّه ، ورآه من لا يتم به ، فمن أخذه صاحبنا ولا نطلبه به .

نقل ابن الرومي قول بهرام : « تأمل العيب عيبٌ » كما اتفق موزوناً فقال :

تأملُ العيبِ عيبُ	ما في الذي قلتُ ريبُ
وكلُّ خيرٍ وشرِّ	دون العواقبِ غيبُ
ورب جلابِ همِّ	فيه من الصنْعِ جيبُ
لا تحقرن سيباً	كم قاد خيراً سيبُ ^(١)

أخذ البيت الأخير من قول الطائي :

رُبَّ قليلٍ غداً كثيراً
كَمْ مطرٍ بدوهُ مطيرُ

وقوله :

لا تزيلن صغيرَ همك وانظر
كم بذى الأثل دوحه من قضيب
وقد أعاد ابن الرومي قوله :

وكلُّ خيرٍ وشرِّ
دون العواقبِ غيبُ

(١) سيب : تصغير سيب ، والسيب - بالفتح - العطاء .

في قصيدته التي مدح بها أحمد بن محمد بن ثوبة حين ساوره ، وقال : لو أتى ليبد
لتعجب منه ، فاستجزله وقال :

وَلَمَّا دَعَانِي لِلْمُتُوبَةِ سَـيِّدٌ يَرَى الْمَدْحَ عَارًا قَبْلَ بَدْلِ الْمُنَاوِبِ
تَنَازَعَنِي رَغْبٌ وَرَهْبٌ كِلَاهُمَا قَوِيٌّ ، وَأَعْيَانِي طُلُوعُ الْمَعَايِبِ
فَقَدَّمْتُ رَجُلًا رَغْبَةً فِي رَغِيْبَةٍ وَأَخَّرْتُ رَجُلًا رَهْبَةً لِلْمَعَاطِبِ
أَخَافُ عَلَى نَفْسِي وَأَرْجُو مَفَارَها وَأَسْتَارُ غَيْبَ اللَّهِ دُونَ الْعَوَاقِبِ
أَلَا مَنْ يُرِينِي غَايَتِي قَبْلَ مَذْهَبِي وَمِنْ أَيْنَ وَالْغَايَاتُ بَعْدَ الْمَذَاهِبِ

[من اعتذارات البديع]

نسخة رقعة كتبها بديع الزمان إلى أبي علي إسماعيل يعتذر إليه :
سوء الأدب من سكر الندب، وسكر الغضب من الكبائر التي تنالها المغفرة ،
وتسببها المذرة ، وقد جرى بحضرة الشيخ ما جرى ، وقد أفنيت يدي عضاً ،
وأسناني رصاً ، وإن لم أوف ماجري فالعذر أمدّ خطا ، فإن كان بساطاً يطوى ،
وحديثاً لا يروى ، فأولى من عذر البلاعب ، وأخرى من غفر الصاحب ؛ وإن
كان ميتاً يُنشر ، وسبباً يُذكر ، فليكن العقاب ما كان ، إن لم يكن الهجران ،
على ألى قد أخذت قسطنطين من العقاب ، واستفدت من ردّ الجواب ، ما كفى وأوجع
اللقا ؛ فكان من موجب أدب الخدمة ، إبقاء الحشمة لولى النعمة ، باحتمال الشتم ،
والإغضاء عن الخصم ، لكنني أخذت بي ثلاثة أحوال لا يسلم صاحبها : اللعب
وسكره ، والخصم وهجره ، والإدلال والثقة ، وهنّ اللواتي حملنني على ماء الوجه
فهرقتُهُ ، وحجاب الحشمة فخرقتُهُ ، وقد منعتني الآن فرطُ الحياء من وشك
اللقاء ، وعهدى بوجهي وهو أصفق من العدم الذي حملني على جهله ، وأوقع
من الدهر الذي أحوجنى إلى أهله ؛ لكن النعم إذا تواتت على وجه رقت
قشرته ، وألأنت بشرته ؛ وأنا منتظر من الجواب ما يريش جناحي إلى خدتمته ،
فإن رأى أن يكتب فعل ، إن شاء الله .

وله رقعة إلى أبي علي بن مشكويه أولها :

وياعزّ إن وَاشٍ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ فَلَا تُنْمَلِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ : مَهْلًا
كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بَعْرَةَ عِنْدَنَا لَقَلْنَا : تَرَحَّزَحَ لِأَقْرَبِيًّا وَلَا أَهْلًا

بلغني أطال الله بقاء الشيخ أن قيضة كلب^(١) وافته بأحاديث لم يُعبرها
الحقُّ نورَه ، ولا الصدقُ ظهورَه ، وأنه — أدام الله عزّه — أذن لها على مجال
أذنه ، وفسح لها فناء ظنّه ، ومعاذ الله أن أقولها ، وأستجيز معقولها ؛ بل قد كان بيني
و بين الشيخ عتابٌ لا ينزل كنفه ولا يحذف ، وحديث لا يتعدى النفس وضميرها ،
ولا يعرف الشفة وسميرها ، وعَرَبْدَةٌ كَعَرَبْدَةِ أَهْلِ الْفَضْلِ ، لا تتجاوز الدلال
والإدلال ، ووحشة لا يكشفها عتابٌ خُظَّةٌ ، ككتاب جَحْظَةٌ ، فسبحان مَنْ رَبِّي
هذا الأمر حتى صار أمرًا ، وتأبط شرًّا ، وأوجب عذراً ، وأوحش حُرًّا .
وسبحان مَنْ جعلني في حَيِّزِ الْعَدُوِّ أَشِيمِ بَارِقَتِهِ ، وَأَتَخَوَّفُ صَاعِقَتَهُ ، وَأَنَا الْمُسَاءُ
إِلَيْهِ ، وَالْمَجْنِيُّ عَلَيْهِ ، ولكن من بُلي من الأعداء بمثل ما بُليت ، ورُمي من الحسد
بما رُميت ، ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت ، واجتمع عليه من المكاريه
ما وصفت ، اعتذر مظلوماً ، وضحك مشتوماً ، ولو علم الشيخ عدد أولاد الجدِّ ،
وأبناء العدد ، بهذا البلد ، بمن ليس له همٌّ إلا في سعاية أو شكاية أو حكاية أو
نكاية ، لضنَّ بعشرة غريب إذا بدر ، وبعيد إذا حضر ، ولصان مجلسه عن
لا يَصُونُهُ عَمَّا رَقِيَ إِلَيْهِ ، وَهَبْنِي قَدَقَلْتِ مَا حَكِي ، أليس الشَّائِمُ مَنْ أَسْمَعُ ، وَالْجَانِي
مَنْ أْبْلَغُ ؟ فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم أنهم حين صادفوا من الأستاذ نفساً
لا تُستفزّ ، وجبلاً لا يهزّ ، وشوا إلى خدمه بما أرثوا نارهم^(٢) ، وورد على ما قالوه فما
لبثت أن قلت :

فإن تكُ حربٌ بين قومي وقومها فإني لها في كلِّ نائبةٍ سلّمٌ

(١) القيضة ، بالكسر : قطعة صغيرة من العظم ، والكلام على التشبيه (م)

(٢) أرثوا نارهم : أجبوها وأشعلوها (م)

وليعلم الأستاذ أن في كبد الأعداء منى ججرة، وأن في أولاد الزنا عندنا كثرة،
 وقصاراهم نارٌ يشبونها، وعقرب يدبونها، ومكيدة يطلّبونها، ولولا أن العذر
 إقرار بما قيل، وأكره أن أستقبل، لبسطت في الاعتذار شاذراً وانا، ودخلت في
 الاستقالة ميداناً، لكنه أمر لم أضع أوّله، فلم أتدارك آخره.

وقد أبى الشيخ أبو محمد — أيده الله — إلا أن يوصل هذا النثر الفاتر
 بنظم مثله فيها كه يلعن بعضه بعضا :

مولاي إن عدت ولم ترض لي	أن أشرب البارد لم أشرب
أمتط خدي وانتعل ناظري	وصد بكفى حمة العقرب
تالله ما أنطق عن كاذب	فيك، ولا أبرق عن خلب
فالصفو بعد الكذب المفترى	كالصحو عقب المطر الصيب ^(١)
إن أجت الغلظة من سيدي	فالشوك عند الثمر الطيب
أو يفسد الزور على ناقد	فالخر قد يعصب بالثيب

ولعل الشيخ أبا محمد — أيده الله — يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم
 واللسان؛ فنعم رائد الفضل هو، والسلام.

فقر من كلام سهل بن هرون للمأمون

كان المأمون استقبل سهل بن هرون، فدخل عليه يوماً، والناس على
 مراتبهم، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب؛ فلما فرغ من كلامه
 أقبل سهل بن هرون على الجمع فقال: مالكم تسمعون ولا تعون، وتشهدون
 ولا تفقهون، وتفهمون ولا تتعجبون، وتتعجبون ولا تنصون؟ والله إنه ليقول
 ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو سمران في الدهر الطويل، عربكم كعجمكم،
 وعجمكم كعبيدكم، ولكن كيف يعرف الدواء من لا يشعر بالداء؟ فرجع
 المأمون فيه إلى الرأي الأول.

(١) في الرسائل (١٦٠ بيروت) « فالصفو بعد الكذب المفترى »

[من ترجمة سهل بن هرون ، وأخباره]

وكان أبو عمرو سهل بن هرون من أهل ميسان^(١) نزل البصرة فنسب إليها ،

وهو القائل :

يأهل ميسان السلام عليكم الطيبون الفرعُ والجِذْمُ
أما الوجوهُ ففضةٌ مزجتُ ذهباً وأيدٍ سحَّةٌ هُضْمُ^(٢)
أتريدُ كلبٌ أن أناسها قد قلَّ من كلبٍ بيَ العلمُ
أجعلتُ بيتاً فوق رابية فرعُ النجومِ كأنه نجْمُ
كبييتٍ شعرٍ وسطٍ مجهولةً بفنائه الجملانُ والبهْمُ

وكان سهل شعوبياً ، والشعوبية : فرقةٌ تتعصب على العرب وتنتقصها ، وكان

أبو عبيدة يُرعى بذلك .

وسهل ظريفٌ عالمٌ حسنُ البيان ، وله كتبٌ ظريفةٌ صنفها معارضاً للأوائل

في كتبهم بما لا يستصوبه منهم ، حتى قيل له « بزجر جمهور الإسلام » وقال يمدح رجلاً :

عدوُّ تلادِ المالِ فيما ينوبُهُ ممنوعٌ إذا ما منعه كان أخزَماً
مذللٌ نفسٌ قد أبت غير أن تَرَى مكارهةً ما تأتي من العيشِ معنماً

وهذا نظير قوله في كتاب « نعلةٌ وعُفرة » الذي عارض به كفاية ودمنة : اجعلوا

أداءً ما يجبُ عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلتكم ؛ فإن

تقديمَ النافلة مع الإبطاء عن الفريضة مظاهر على وهن العقيدة ، وتقصير

الروية ، ومُضِرٌّ بالتدبير ، محلٌّ بالاختيار ، وليس في نفع محمدته عَوْضٌ من

فساد المروءة ولزوم التقيصة . وكتابه هذا مملوءٌ حكماً وعلماً . وسهل القائل :

تقسمني هَمَّانٌ قد كسفاً بالي وقد تركا قنبي محسلةً بأبالي
هما أذرياً دَمْعِي ، ولم تذر عَبرتي رهينةً خِدر ذاتِ سِنطٍ وخلخالِ
ولا قهوةٌ لم يبقَ منها على المدى سوى أن تحاكي النور في رأس ذيالِ
تحللُ منها جِرمها وتماسكت لها نفسٌ معدومٌ على الزمن الخالي

(١) ميسان - بفتح فسكون - بين واسط والبصرة (م)

(٢) هضم : جمع هضوم ، واليد الهضوم : التي تجود بما لديها (م)

ولكما أبكى بعين سخينه
فراق خليل لا يقوم به الأسي
فوا حسرتي حتى متى القلب موجه
وما الفضل إلا أن تجود بنائل
وهو القائل :

إذا امرؤ ضاق عني لم يصدق خلقي
لا أطلب المال كي أغنى بفضلته
وأشد له الجاحظ يهجو رجلا :

من أن يراني غنياً عنه باليأس
ما كان مطلبه فقراً إلى الناس
فأنت تعمّر ماشاداً وما سمكوا
وأنت تحوي من الميراث ما تركوا
وما كان في الحق أن تحوي فعالهم
وقال محمد بن زياد الزبدي : وجدت^(١) على سهل بن هرون في بعض الأمر،
فهجوته ، فكتب إليّ : أما بعد فالسلام على عهدك وداع ذي ضن بك ، في غير
مقلية لك^(٢) ، ولا سلوة عنك ، بل استسلام للبلوى في أمرك ، وإقرار بالمعجزة
في استعطافك ، إلى أوان فيئتك^(٣) ، أو يجعل الله لنا دولة من رجعتك ، والسلام .
وكتب في أسفل الكتاب :

إن تفت عن عبدك المسىء ففي
أتيت ما أستحق من خطي
عفوك مأوى للفضل والمين
فجد بما تستحق من حسن

[من عظات الحسن البصري]

وقال الحسن البصري رحمه الله في يوم [فطر] وقد رأى الناس وهياتهم :
إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضماراً خلقه ، يستيقنون فيه بطاعته إلى
مرضاته ، فسبق قوم ففازوا ، وتحلف آخرون فخابوا ، فالعجب من الضاحك الللاعب

(١) وجدت عليه : حقدت أو غضبت (م)

(٢) المقلية : الكراهية (م)

(٣) فيئتك : رجوعك (م)

في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ، وَيَحْسَرُ فِيهِ الْمَبْطُونُ ، أما والله لو كشف
الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومُسيء بإساءته .

ونظر إلى قوم منصرفين من صلاة الفِطْرِ يتدافعون ويتضاحكون ، فقال :
الله المستعان ! إن كان هؤلاء قد تقرر عندهم أن صومهم قد تُقبَّل فما هذا محلُّ
الشاكرين ، وإن علموا أنه لم يتقبل فما هذا محلُّ الخائبيين .

وكان الحسن من الخطباء النَّسَّاكِ الفقهاء الأجواد ، ويقال : إنه لم يكن تابعي
أفضل منه .

هذا قول أهل العراق جميعاً ، وأهل الحجاز يقدمون سعيد بن المسيب
عليه ، وكان سعيدٌ أَحْسَنَ من الحسن وَرَعَا ، وأشَدَّ الناسَ حَذَرًا ، وأقلهم
كلاماً .. وكان الحسن لا يدع أن يتكلم بما هَجَسَ في نفسه ، وجَاشَ في صدره .
وعلى ذكر الحسن شهرَ رمضان نقول :

ألفاظ لأهل العَصَةِ ، في التهنئة بإقبال شهر رمضان

مع ما يتصل بها من الأدعية

ساق اللهُ تعالى إليك سعادةً إلهاله ، وعَرَّفَكَ بركة كماله . قسم اللهُ لك من
فَضْلِهِ ، ووفَّقَكَ لفِرْضِهِ وَنَفَلِهِ . لقاكَ اللهُ مارجوه ، ورقاك إلى ما تحبُّه فيما
تتلوهُ . جعل اللهُ ما أظلك من هذا الصوم مقرونًا بأفضلِ القبول ، مؤذِنًا
بذركِ البُغْيَةِ ونُجْحِ المأمول ، ولا أخلاك من برِّ مرفوع ، ودعاء مسموع . قابلَ
الله تعالى بالقبول صيامك ، وبعظيمِ المثوبة تهجدك وقيامك . عرَّفَكَ اللهُ من
بركاته ما يُرِي على عدد الصائمين والقائمين ، ووفَّقَكَ اللهُ تعالى لتحصيل أجرِ
المتَّجِدِّين . أسأل اللهُ تعالى أن يضاعفَه بمنه لك ، ويجعله وسيلة بقبوله إلى مَرْضَاتِهِ
عنك . أعاد اللهُ إلى مولاي أمثاله ، وتقبَّل فيه أعماله ، وأصلح في الدين والدنيا
أحواله ، وبلغه منها آماله . أسعده اللهُ بهذا الشهر ، ووفاه فيه أجرلِ المثوبة
والأجر ، ووفَّرَ حظَّهُ من كل ما يرتفع من دُعاء الدَّاعِينَ ، وينزل من ثواب العاملين ،

وقبل مساعيه وزكاه ، ورفع درجاته وأعلاها ، وبلغه من الآمال مُنتهاها ،
وظفر بأبعدها وأقصاها .

وقال الحسن : من أخلاق المؤمن قوة في دين ، وحزم في نين ، وحِرص أخلاق المؤمن
على العلم ، وقناعة في فقر ، ورحمة للمجهود ، وإعطاء في حق ، وبر في استقامة ،
وقفة في يقين ، وكسب في حلال .

وقال محمد بن سليمان لأبي السماك : بلغني عنك شيء ، قال : لأباليه ، قال :
ولم ؟ قال : لأنه إن كان حقاً غفرته ، وإن كان باطلاً كذبتة .
الأخ الصادق

وقال محمد بن صُبَيْح المعروف بابن السماك : خيرُ الإخوان أفلهم مصانعة في
النصيحة ، وخيرُ الأعمال أحلاها عاقبة ، وخيرُ الثناء ما كان على أفواه الأخيار ،
وأشرف السلطان ما لم يخالطه البطر ، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحِرص أسيرا ،
وخيرُ الإخوان من لم يخاصم ، وخيرُ الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يختبر وُدُّ
الرجال عند الفاقة والحاجة .

ووصف بعضُ البلغاء رجلا فقال : إنه بسيط الكف ، رَحْب الصدر ،
موطأ الأكناف ، سهل الخلق ، كريم الطباع ، غيثٌ مُغيثٌ ، وبحرٌ زخور ،
ضحوك السن ، بشير الوجه ، بادي القبول ، غير عبوس ، يستقبلك بطلاقة ،
ويحييك ببشر ، ويستدبرك بكرم غيب ، وجميل سر ، تبهجك بطلاقة ،
ويرضيك بشره ، ضحكك على مائدته ، عبدٌ لضيافته ، غير ملاحظ لأكيله ،
بطين من العقل ، تخيم من الجهل ، راجح الخلم ، ثاقب الرأى ، طيب الخلق ،
محصن الضريبة ، معطاء غير سائل ، كاس من كل مكرمة ، عار من كل
ملامة ، إن سئل بذل ، وإن قال فعل .

قال أبو الفتح كشاجم :

مزاجك للمثني من العود والصبا
من الريح والصابي الرقيق من الخمر
فلو كنت ورداً كنت ورداً مضاعفاً
ولو كنت طيباً كنت من عنبر الشجر

ولو كنت لحناً كنت تأليف مَعْبَدٍ . ولو كنت عوداً ما افتقرت إلى زَمْرٍ
وقال أعرابي :

أَلَا حَبَّذا البُرْدُ الَّذِي تَلْبَسِينَهُ ويا حبذا مَنْ باعكَ البُرْدَ مِنْ تَجْرِ (١)
فَلَوْ كُنْتُ مَاءً كُنْتُ مَاءَ غَمَامَةٍ ولو كنت درّاً كنت من دُرَّةٍ بَكْرٍ
وَلَوْ كُنْتُ لِهَوَاً كُنْتُ تَعْلِيلَ سَاعَةٍ ولو كنت نوماً كنت إغفاءة الفَجْرِ
وَلَوْ كُنْتُ لَيْلًا كُنْتُ قَمَرَاءَ جُنُبَتِ نحوس لَيْلِي الشَّهْرِ أَوْلِيَلَةَ القَدْرِ

(١) التجر - بالفتح - اسم جمع ، واحده تاجر ، ومثله شرب وسفر

تم - بحمد الله تعالى ومعونته - تحقيق الجزء الثاني من « زهر الآداب ،
وثمر الألباب » لأبي إسحاق الحصرى . ويليه - إن شاء واهب التوفيق
والسداد ، ورازق القدرة والعون - الجزء الثالث مفتتحاً بـ « نبذ من أفاظ بلغاء
العصر تجرى في المدح مجرى الأمثال ؛ لحسن استعاراتها ، وبراعة تشبيهاتها » .
نسأله - سبحانه - أن يعين على إكماله بمنّه وفضله ، آمين .

فهرس الجزء الثاني من كتاب

« زهر الآداب ، وثمر الألباب »

لأبي إسحاق الحصرى

الموضوع	ص	الموضوع	ص
للتيمى يمدح الفضل بن سهل	—	ألفاظ لأهل العصر في وصف الطعام ،	٣٤١
لإبراهيم بن العباس فيه	—	ومقدماته ، وموائده ، وآلاته	—
لابن الرومى يمدح إبراهيم بن المدبر	٣٥٤	من شعر ابن الرومى في وصف طعام	٣٤٢
لابن الرومى يمدح ابن طاهر	—	مقامة لبديع الزمان في وصف الطعام	٣٤٣
من ترجمة الفضل بن سهل	—	لعلى ابن يحيى المنجم	٣٤٥
مختارات من كلام الفضل بن سهل	٣٥٥	لابن الرومى يصف اللوزنج	—
من محمد بن على إلى محمد بن يحيى	—	نهم ابن الرومى وحبه للسمك	٣٤٧
جواب محمد يحيى بن خالد	—	من الناجم إلى ابن الرومى	٣٤٨
رجل يريد أن ينصح المهدي	٣٥٦	لابن الرومى يصف العنب الرازقى	—
توقعات للفضل بن سهل	—	ألفاظ لأهل العصر في وصف	٣٤٩
بعض أوصاف الخيل	٣٥٧	الفواكه والثمار	—
ابن القرية يصف فرسا	—	بعض ماجاء في وصف الليل	٣٥٠
لعبد الله بن طاهر	—	لأعرابي يصف ليل لقاء	—
رجل يريد شراء فرس	—	لأعرابي يصف وفاء الصحبة	—
لمحمد بن الحسن بن الحرون	—	لجرير يصف يوم صيد	—
أبيات لتأبط شراً	٣٥٨	لإبراهيم بن العباس يصف قصر الليل	٣٥١
لعقبة بن سنان يصف خيلاً أهداها	—	للأصبهاني يصف يوم لهو	—
عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان	—	لابن المعتز يصف ليل سرور	—
للنابغة الجعدي	٣٥٩	بين الرشيد وعبد الملك بن صالح	—
لبعض العرب	—	لأبي تمام	٣٥٢
لأعرابي	—	للحامي	—
لأعرابي آخر	—	لأهل العصر	—
لأعرابي يصف خيل بني ربوع	٣٦٠	سعيد بن هرم وصلته بالفضل بن سهل	٣٥٣

الموضوع	ص	الموضوع	س
لأبي تمام يصف فرساً	—	من عرف قدر النعمة استدامها	٢٧٥
للبحترى يصف فرساً	٢٦١	—	—
لإسحاق بن خلف يصف فرس	٢٦٢	بين سليمان بن عبد الملك وحاجبه	—
أبي دلف	—	بين يونس بن المختار وحاجب المأمون	—
—	—	بين رجل والمعلّى بن أيوب	—
لأبي الفتح كشاجم	—	بين المنصور والحارث بن حسان	—
لابن المعتز	—	بين المأمون وعبد الله بن طاهر	٢٧٦
—	—	—	—
لأبي الفتح	٢٦٣	لأبي نواس في هذا المعنى	—
لابن المعتز	—	للنائبى يعارض أبا نواس	—
—	—	لابن الرومى	—
لأعرابي مولد	—	ألفاظ لأهل العصر في العجز عن الشكر	٢٧٧
لابن المعتز أيضاً	—	لأبي الفتح البستي	٢٧٨
—	—	—	—
لعلى بن محمد الإيادى	٢٦٤	بين أبي العتاهية وعمر بن العلاء	—
—	—	من أخبار أبي العتاهية	٢٨٠
لأبي العباس النائبى	—	ولوعه بعقبة	—
لأبي منصور الثعالى	٢٦٥	المهدي يضرب أبا العتاهية مائة سوط	٢٨١
—	—	من شعر أبي العتاهية في عقبة	٢٨١
لابن هانئ يصف خيل المعز	—	بين المهدي وأبي العتاهية	—
—	—	الرشيد يحبس أبا العتاهية لترك الشعر	٢٨٢
وله يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون	—	بشار يمدح عمر بن العلاء	٢٨٤
وله يصف فرس إبراهيم بن جعفر	٢٦٦	لأبي سعيد الخزومى في معنى بشار	٢٨٥
ابن على	—	لأبي الطيب المتنبى	—
—	—	لابن هانئ	٢٨٦
لعلى بن محمد الإيادى يصف فرس	٢٦٧	رجع إلى عمر بن العلاء	٢٨٧
جعفر بن القائم	—	بينه وبين أبي العتاهية	—
لأبي الطيب المتنبى	٢٦٨	للمتنبى في أبي العتاهية	٢٨٦
مقامة لبدیع الزمان فيها وصف فرس	٢٦٩	لأبي العتاهية في الزهد	—
قولهم في الوعد ومثله إنجازه	٢٧٣	لأبي نواس	—
بين أبي القاسم المسعودى وعيسى	—	ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة الحال	٢٨٨
ابن موسى	—	—	—
—	—	—	—
بين منصور بن زياد ويحيى بن خالد	—	—	—
—	—	—	—
بين المهدي وابن دأب	—	—	—
لابن قابوس يمدح يحيى بن خالد	٢٧٤	—	—
—	—	—	—
لأبي الطيب المتنبى	—	—	—
—	—	—	—
لأبي على البصير في الفضل بن يحيى	—	—	—
—	—	—	—
لابن الرومى	—	—	—

الموضوع	ص
من ابن العميد لمن تزوجت أمه	٤٠٢
ألناظ لأهل العصر في التهاني بالبنات	٤٠٣
بعض ما لا يمدح به النساء	٤٠٤
— لابن الرومي	—
— للمتنبي	—
— رجل يمدح زبيدة أم الأمين	—
— لكثير عرة	—
عزة تفضل الأحوص على كثير	٤٠٥
— من الأمانى	٤٠٧
— لأبي صخر الهذلي	—
— لمسلم بن الوليد	—
— لآخر	—
بعض أخبار كثير عرة	٤٠٨
— حقه	—
— كان رافضياً	—
— بين كثير وعبد الملك بن مروان	—
— لقيس بن الملوح	٤٠٩
— من جيد شعر كثير	—
— قول العرب في الطول أو القصر	٤١١
— لشاعر قديم ، وأنشده أحمد بن عبيد الله	—
— لابن الرومي	٤١٢
— لعنترة العبيسي	—
— لأبي نواس	٤١٣
— عود إلى أخبار كثيرة نزهة	—
— كثير عند عبد العزيز بن مروان وهو مريض	—
— نقد سلام الجحى لشعر كثير	—

الموضوع	ص
— لأبي الفضل الميكالي	٢٤٤
— لأبي الفتح البستي	٢٤٥
— بين نصيب والفرزدق	٢٩٠
— لسحيم عبد بن الحساس	٢٩١
— للمتنبي	—
— بين أبي تمام وابن الزيات	—
— لابن الزيات يمدح الحسن بن سهل	٢٩٣
— لأبي تمام يمدح ابن أبي دواد	—
— من أخبار ابن أبي دواد	٢٩٥
— غلوه في التعصب لإياد	—
— علمه ، وعداوته لابن الزيات	—
— أصله	—
— غضبه على أبي تمام ، ثم وضاة عنه	٢٩٦
— بين ابن أبي دواد والحاجب أبي منصور	٢٩٧
— من براءة خالد بن عبد الله القسري	—
— اعتذار أبي تمام للمعتصم عن سابق مدحه للأفشين	٢٩٨
— المناقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم	٢٩٩
— عبد الله بن أبي سرح	—
— المختار بن أبي عبيد الخارجي	—
— بين أمية بن خالد بن أسيد وعبد الله بن الأهم	—
— فصل في غرائب التكتاب	٤٠٠
— من حمدون ابن نهران لعامل عزل عن عمله	—
— من ابن مكرم لنصراني أسلم	—
— بعض ما يحسن تركه وإن كان حلالاً	—
— ما يقال لمن تزوجت أمه	٤٠١

الموضوع	ص	الموضوع	ص
من شعره	٤٢٥	فصول قصار	٤١٤
من شعر الفتح بن خاقان	٤٢٦	من كلام قابوس بن وشمكير	—
— كتاب منه إلى عبيد الله بن يحيى	—	للشعالي يصف شمس المعالي قابوساً	٤١٥
مما يبعث على الرحيل	٤٢٧	للميكالي يمدح قابوساً	٤١٦
من الوصايا لمن اعترم السفر	—	من رسائل بديع الزمان إلى قابوس	٤١٧
قمر في مدح السفر	٤٢٧	من أخبار البرامكة	٤١٩
— في ذم السفر والغربة	—	ثمامة بن أشرس يصف جعفر بن يحيى	٤٢٠
بين المهدي وأبي عبيد الله	٤٢٨	سهل بن هرون يصف يحيى وابنه جعفرأ	—
بين المأمون والفضل بن الربيع	—	توقيع لجعفر بن يحيى	—
بين المنصور وأبي مسلم الخراساني	—	بين جعفر بن يحيى ومروان بن	٤٢١
جملة في الأوصاف من شعر كشاجم	٤٤١	أبي حفصة	—
الصابي يهذي اسطرلاباً لعضد الدولة	٤٤٤	من قصيدة لزهير بن أبي سلمى	٤٢٢
ويبعث معه بشعر	—	— تعليق على هذه القصيدة لتقديمه بن جعفر	—
من أوصاف النساء	٤٤٥	لمحمد بن منذر في البرامكة	٤٢٣
— لابن الرومي	—	— مثله من التجنيس لأبي الفضل الميكالي	—
لبعض الشعراء يصف العلم	—	لأبي الفتح البستي في هذا المذهب	٤٢٦
— قلب المعنى ليس بسرقة	—	قمر في ذكر العلم والعلماء	٤٢٨
— لشاعر يصف نساء بالعبالة	—	استعارات فقهية تليق بهذا المكان	٤٣٠
من المعاني ما لا يتقلب	٤٤٨	— بين أبي تمام وابن أبي دواد	—
— بعض ما أخذ على أبي نواس	—	بين طاهر بن عبد الله وابن أبي تمام	—
قطعة من شعر أهل العصر في ذكر	٤٤٩	ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر	٤٣١
النجوم	—	خراسان وسببها	—
— لأبي الفتح البستي	—	بين ابن ثوابة وابن الرومي	٤٣١
— لابن درست	٤٥١	— بين المعتصم وأبي تمام	—
— لمسكويه	—	— لأبي الفضل الميكالي	—
— للخوارزمي	—	لأبي الفتح كشاجم	٤٣٣
— للصولي	—	— لبديع الزمان الهمداني	—
— لابن المعتز	٤٥٢	أبو علي البصير، وشيء من أدبه	٤٣٥
٤١٨ الأصمعي وبعض الأعراب	—	— بينه وبين بعض الظالمين	—
		— بينه وبين بعض الرؤساء	—

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٤٥	لابن المعتز	٤٥٤	قفر من كلام الأعراب في ضروب مختلفة
—	وله في القاسم بن عبيد الله	٤٦٠	لامرأة من العرب ترثي ابنها
٤٨٠	لبعض البلغاء	٤٦١	لأعرابي يمدح رجلاً
—	للمتنبي	٤٦٤	بعض أخبار أبي نواس
—	لابن المعتز	٤٦٥	للحسن بن وكيع ، وقد أخذه من أبي نواس
—	مفاخرة بين صاحب سيف وصاحب قلم	٤٦٦	ضرب من الرياء
—	للمتنبي	٤٦٨	من خريات أبي نواس
—	للمنوحى	٤٦٩	من أخبار بشار بن برد
٤٨١	لابن الرومي	—	احتذاء أبي نواس على مثال بشار
—	للبسقي	٤٢٥	المهدي يأمر بشاراً بترك الغزل
—	لطلحة بن عبيد الله	٤٧٠	من شعر بشار في الغزل
—	لمحمود الأصهباني	٤٧١	لعلی بن الجهم، وأخذه من بشار
٤٨٢	لأحمد بن جدار	٤٧٢	منزلة شعر بشار ومقداره
—	لأبي تمام	—	ولاء بشار
—	لتميم بن المعز الفاطمي	٤٧٣	من أخبار أبي حذيفة واصل بن عطاء
٤٨٣	الصدق في النصيحة	—	عود إلى أخبار بشار
—	بين أحمد بن يوسف وغسان بن عباد	٤٧٦	كلمات مأثورة
—	من ترجمة أحمد بن يوسف العجلي	—	قفر في مساويء الكذب لغير واحد
٤٨٦	ألفاظ لأهل العصر في ذم المغنين	٤٧٨	جزاء الشكر
٤٥٢	عود إلى أحمد بن يوسف العجلي	—	بين الحسن بن سهل والمأمون
٤٨٦	ألفاظ لأهل العصر، في صفات الثقلاء	—	من خطب النكاح :
٤٩١	من ترجمة جحظة البرمكي ومن شعره	—	خطبة للمأمون
٤٩٢	السكاكين	—	ما يستحب من الخاطب والمخطوب إليه
—	بين أحمد بن يوسف والمأمون	٤٧٩	الكتب والأقلام والحط
٣٦٤	لأبي الفتح كشاجم يصف سكيناً سرت منه		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
مما كتبه في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي	٥١٠	ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين	٤٧٤
كتاب منه لرئيس هراة	٥١٥	السمر والمنادمة	٤٩٥
كتاب منه للإمام سهل بن محمد	٥١٦	بين محمد بن أنس والقاسم بن صبيح	—
كتاب منه للإسماعيلي	٥١٧	شرط المنادمة	—
المقامة الفزارية للبديع	٥١٨	بين البيزدي والمأمون	٤١٦
بين شاعر وعبدالله بن الزبير	٥٢٠	بين كوران المغنى والشريف الرضى	—
فرس ابن الزيات	٥٢١	بين أحمد بن جدار وعمر بن أيوب	—
المزاح	—	من إسحاق الموصلى إلى بعض الخلة	٤٩٧
بين الحجاج وابن القرية	—	من السرى الموصلى إلى أخله يستدعيه	—
خالد بن صفوان يذكر مساوى المزاح	٥٢٢	لابن المعتز	٤٦٨
للوراق في مساوى المزاح	—	للحسن بن محمد السكاتب	—
قعر في هذا النحو لأهل العصر	—	من ألفاظ أهل العصر ، في الاستدعاء	٤٦٦
الطيرة والزجر	٥٢٣	ولهم في استدعاء الشراب	—
لأبي حية النيمرى في التفاؤل	—	ولهم في الكناية عن الشراب	٥٠٠
مما ينسب لندى الرمة	—	من الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب	—
عادة الجاهلية والنهى عنها	٥٢٤	من الحسن بن وهب إلى الحسن بن سهل	—
للكميت بن زيد الأسدى	—	لكشاجم	—
لشاعر قديم	—	قعر للنيديين	٥٠١
لابن كنانسة	٥٢٥	من ألفاظ أهل العصر . في صفات مجالس الأنس	٥٠٣
بين كثير عزة ورجل نهدي	—	من شعر أبي نواس ، وهو أستاذ هذا الشأن	٥٠٥
لجرير	—	من رسائل بديع الزمان الهمداني	٥٠٨
لعوف الراهب	—	تعزية منه إلى أبي عامر عدنان بن عامر الضبي .	—
لأبي الشيب	٥٢٦	منه لبعض إخوانه جوابا عن كتاب	٥٠٩
ابن الرومى كان شديد الطيرة ، وبعض أخباره في ذلك	—		
الفرق بين الطيرة والفأل	٥٢٧		
من ابن الرومى للقاسم بن عبيدالله	٥٢٨		
ابن الرومى يرثى ابنة المسيبي	—		
وله يعزى على بن يحيى في ابنته	٥٢٩		

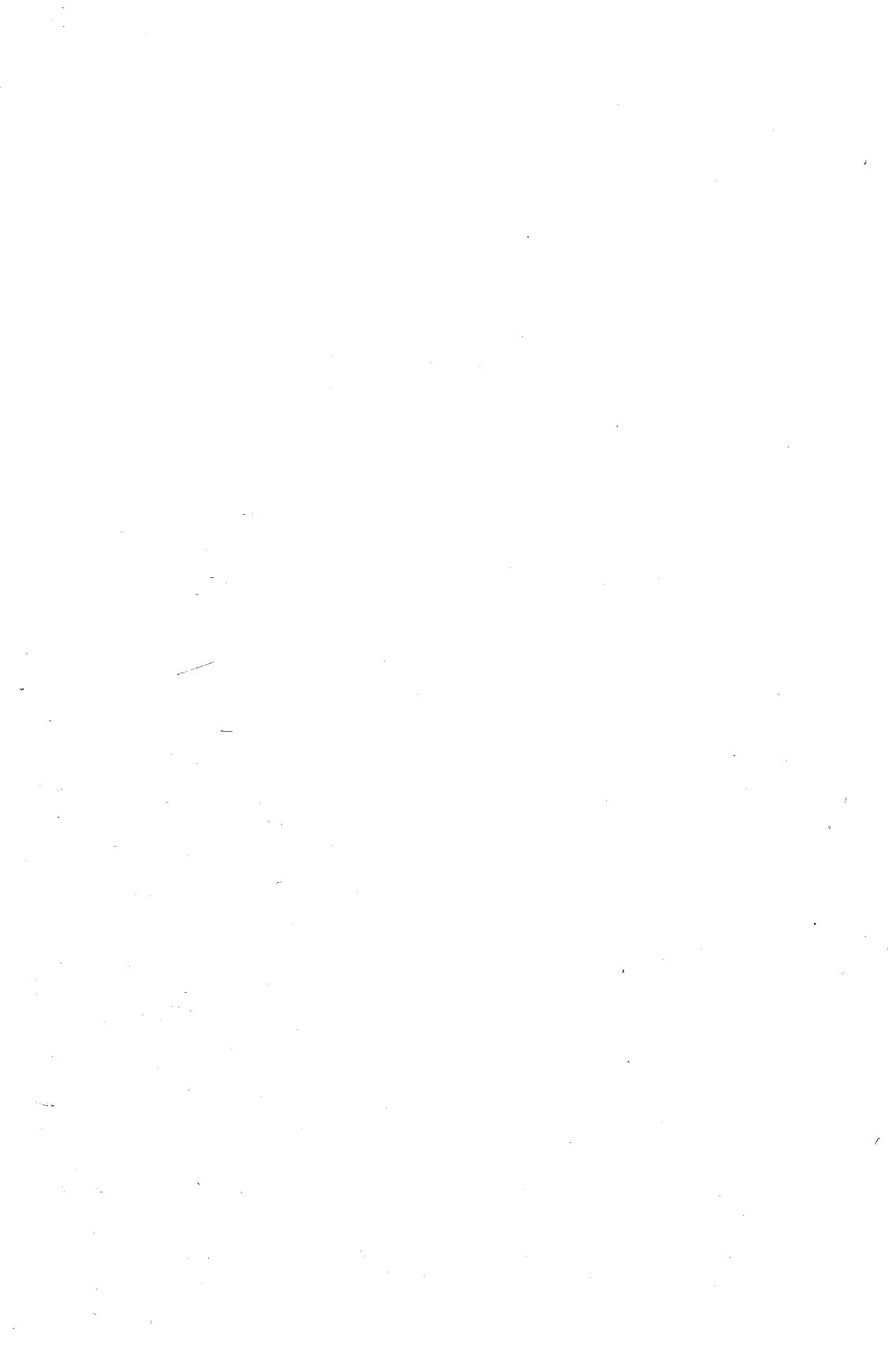
الموضوع	ص	الموضوع	ص
كتاب منه للشعالى	٥١١	الرغبة فى موت البنات	٥٣٩
كتاب منه إلى أبيه	٥٤٦	لعسد الله بن عبدالله بن طاهر	—
كتاب منه يستفتح به مكاتبة أخ	—	لعقيل بن علفة	—
قمر من كلامه فى أثناء رسائل شقى	٥٤٧	لابن خلف البهرانى	—
قطعة من شعره فى تجنيس القوافى	٥٤٩	عود إلى تطير ابن الرومى	٥٣٠
لأبى الفتح البستى	٥١٥	بينه وبين أبى الحسن الأخفش	—
أدب الحاجب	—	من آثار تطير ابن الرومى	٥٣٢
بين مالك وحاجبه	—	من ابن الرومى إلى ابن ثوابة فى التطير	٥٣٤
وصية المهدي للفضل بن الربيع	٥٥٠	من مليح العيافة والزجر	٥٣٦
للحسن بن سهل	—	أبو نواس وبعض أصحابه	—
لبعض البلغاء	—	لأبى تمام	—
بين سعيد بن عبد الملك وعبيد الله بن سليمان	—	أحمد بن المدبر والجل الشاعر المصرى	٥٣٧
لأبى السمط بن أبى حفصة	٥٥١	لأبى الفضل الميكالى فى أهل مرو	—
لمروان بن أبى حفصة	—	عبدالوهاب الثقفى يصف رجلا يرتاح إليه	٥٣٨
لإدريس بن أبى حفصة	—	ابن أبى دواد والجاحظ	—
لعمر بن شاس الأسدى	—	بين الجاحظ وابن الزيات	٥٣٩
للقطامى فى ضياء الوجوه والأحساب	٥٥٢	من كلام على رضى الله عنه فى أعجب ما فى الإنسان	٥٤٠
للقينى	—	لعبدالرحمن بن حسان	٥٤١
للحطيئة	—	لمحمد بن حازم الباهلى	—
للقاسم بن حنبل المدنى	—	للجاحظ فى ابن الزيات	—
للموضح التيمى	٥٥٣	الجاحظ ورجل من البرامكة	—
حث الاشتياق	—	المقامة الجاحظية للبديع	٥٤٣
لعمر بن أبى ربيعة	—	من كلام الملوك :	٥٤٤
مما أنشده إسحاق الموصلى	—	من كلام أزدشير بن بابك	—
لإسحاق الموصلى	٥٥٤	من كلام بزرجهر	٥٤٥
لأبى نواس	—	من كلام أنو شروان	—
لمخلد بن بكار الموصلى	—	من رسائل الميكالى :	—
جودة الخط	٥٥٥	كتاب منه للشعالى	—
صفة الخط الجيد لبعض الكتاب	—		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
لابن الرومي	٥٦٨	وراق يصف عيشه	٥٦١
لبعض المحدثين	—	لإسماعيل الحمدوني	٥٥٦
عود لابن الرومي	—	حرفة الأدب	—
أحمد بن يونس الكاتب يرد على ابن ازموي	٥٦٦	لبعض الشعراء	—
نبت من النظم والنثر في صفات النور والزهر	٥٦٧	للخريمي	—
لعلي بن الجهم	—	لعلي بن محمد بن بسام	٥٥٧
لمحمد بن عبد الله بن طاهر	—	رزق الحمقى والعقلاء	—
المتوكل وابن الضحاك	—	لابن الرومي	—
ظبي يأكل نيولوفراً	٥٦٩	لجعفر بن محمد	—
وصف أيام الربيع :	—	للنظام	—
لابن وكيع	—	بعض أخبار النظام وكلامه	—
لأبي الفتح البستي	٥٧٠	أفكار الوراقين	٥٥٨
لأبي الفضل الميسكالي	—	أطيب اللذات عند الشعراء	٥٥٩
للبحتری	٥٧٢	امرئ القيس	—
في مجلس المبرد	—	الأعشى	—
للبحتری في المدح	٥٧٣	طرفة	—
لابن المعز ينم الصبوح	٥٧٤	أبي دلف	—
لأبي الفتح كشاجم	٥٧٥	حميد الطوسي والشعر لطرفة	—
جملة من هذا النوع لأهل العصر	٥٧٦	يزيد بن عبيد الله	٥٦٠
لأبي فراس الحمداني	—	من شعر الأصبط بن قريع	—
لابن هانيء يصف زهرة رمان	—	من أخبار الأصبط بن قريع	٥٦١
قطع ثرية لهم في هذا المعنى	٥٧٧	وصف الحبار والأقلام :	—
ولهم أيضاً في وصف الربيع	٥٧٨	لبعض الكتاب يصف محبرة	—
الربيع والرفاق	٥٧٩	لأبي الفتح كشاجم	—
الصوم في الربيع	—	ألفاظ لأهل العصر ، في أوصاف آلات الكتابة والدوى	٥٦٢
يوم الشك	—	أبو الفتح كشاجم يصف آلات الكتابة	٥٦٣
من بديع الزمان الهمداني لبعض أهل همدان	٥٨٠	عمال المأمون	٥٦٤
		وصف الورد والزرجر :	٥٦٥

الموضوع	ص	الموضوع	ص
لأبي تمام	٥٩٦	لابن العميد	٥٤٦
لعصابة الجرجاني في الحسن بن رجاء	—	عواقب الطيش	٥٨١
بين جميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة	—	طاهر بن الحسين يصف الأمين الأمين والمأمون	—
من شعر العرجي	٥٩٨	الأمين يصف طاهر بن الحسين	٥٨٢
نسب العرجي، وبعض أخباره	—	الفضل بن الربيع وابنه وأبوه	٥٨٣
جمعه من الفصول القصار	٥٩٩	بيعة المهدي	—
لابن المعز	—	وقت كلام الملوك	٥٨٤
من ابن العميد إلى بعض إخوانه	٦٠١	من كلام الفضل بن الربيع	—
من بديع ما قيل في العتاب:	٦٠٣	بين المأمون والفضل بن الربيع	—
لسعيد بن حميد	—	بين المنصور والربيع	٥٨٥
لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر	٦٠٤	لأبي تمام يمدح ابن الزيات	٥٨٦
من كلام الأعراب	—	سهل بن هارون والرشيد	—
المقامة البلخية لبديع الزمان	٦٠٥	من شعر الفضل بن الربيع	—
كتاب من بديع الزمان لأبي نصر الميكايلي يشكو إليه خليفته بهراة	٦٠٦	بين ابن خاقان وأبي العيلاء	٥٨٧
من البديع للميكايلي يعاتبه	٦٠٧	وصف دابة	—
بين المأمون وإبراهيم بن المهدي	٦٠٨	قطعة من رسالة من إنشساء	٥٨٨
بين المأمون وإسحاق بن العباس	٦١٠	أبي الخطاب الصابي	—
رجل يستعطف بعض الملوك	—	الحمدوني وشاة سعيد بن أحمد	٥٩٠
بين معاوية وروح بن زنباع	—	الحمدوني وطيلسان ابن حرب	٥٩١
عفو الملوك:	٦١١	المأمون والحسن بن رجاء	٥٩٤
المأمون وبعض خاصته	—	بديهة البرد	—
بعض ملوك فارس وطباخه	—	البرد عند المتوكل	—
بهرام جور وراع	—	أدب أبي العباس البرد	٥٩٥
من شعر ابن الرومي	٦١٢	بين البرد وابن المعز	—
من اعتذارات بديع الزمان	٦١٣	في المدح:	—
قعر من كلام سهل بن هارون	٦١٥	لأعرابي	—
للمأمون	—	لابن المعز	—
		للأخطل	—
		لابن هرمة	—

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أخلاق المؤمن	٦١٩	من ترجمة سهل بن هارون	٦١٦
خير الإخوان	—	وأخباره	
وصف رجل	—	من عظات الحسن البصرى	٦١٧
لأبى الفتح كشاجم	—	ألفاظ لأهل العصر في التهنتة بإقبال	٦١٨
لأعرابي	٦٢٠	شهر رمضان	

تمت فهرس الجزء الثانى من زهر الآداب للحصرى ، والحمد لله أولاً وآخراً
وصلاته وسلامه على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه



زَهْرُ الْأَلْبَابِ

وثمر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني
المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم
الركنور زكي مبارك

الجزء الثالث

دار الجيل

للنشر والتوزيع والطباعة

بيروت - لبنان
ص. ب. ٨٧٤٧

الطبعة الرابعة

نبذ من أفاظ بلغاء أهل العصر

تجربى فى المدح مجربى الأمثال ؛ لحسن استعارتها ، وبراعة تشبيهاتها
 فلان مسترضعٌ نَدَى المجد ، مُفْتَرَشٌ حَجَرَ الفضل ، له صَدْرٌ تَصِيْقُ به
 الدَّهْنَاءُ ، وَتَفْرَعُ إليه الدَّهْمَاءُ ، له فى كل مكرمة غُرَّةُ الإصباح^(١) ، وفى كل فضيلة
 قَادِمَةٌ الجَنَاح^(٢) ، له صورة تستنطق الأفواه بالتسبيح ، ويترقرق فيها ماء الكرم ،
 وتقرأ فيها صحيفة حُسن البشر ، تحيا القلوب بلقائه ، قبل أن يُمَيِّتَ الفقرَ بعبائه ،
 له خَلْقٌ لومزج به البحرُ لنفى مُلوحتَه ، وكفى كدورته . هو غذاء الحياة ،
 ونسيم العشق ، ومادَّة الفضل ؛ آراؤه سكاكين فى مفاصل الخُطوب ، له هِمَّةٌ
 تعزل السماءَ الأعزل ، وتجرّ ذَيلها على الحجرِ ، هو راجحٌ فى موازين العقل ،
 سابقٌ فى ميادين الفضلِ ، يَفْتَرَعُ أبكارَ المكارمِ ، ويرَفَعُ منارَ المحاسنِ . ينابيع الجود
 تتفجّر من أنامله ، وربيعُ السماءِ يَضْحَكُ من فَوَاضِلِهِ . هو بيتُ القصيدة ، وأول
 الجريدة ، وعَيْنُ الكتبية ، وواسطة القلادة ، وإنسانُ الحدقة ، ودُرَّةُ التاج ،
 ونقشُ الفصِّ ! وهو ملح الأرض ، ودرزُ المِلَّةِ ، ولسانُ الشريعة ، وحِصْنُ الأمة .
 هو غُرَّةُ الدهرِ والزمان ، وناظرُ الإيمان . له أخلاقٌ خُلِقْنَ من الفضلِ ، وشيَمٌ
 تشامُ منها بَوَارِقُ المَجْدِ^(٣) ، أريجُ الزمانِ بفضله ، وعَظِيمُ النساہِ عن الإتيانِ بمثله .
 الجميلُ لديه مُعتادٌ ، والفضلُ منه مبدؤٌ ومُعَادٌ ، مائلٌ للعفاة^(٤) مُباحٌ ، وفعاله فى ظلمة
 الدهرِ مُصباحٌ ، كأن قلبه عَيْنٌ ، وكأن جسمه سَمْعٌ ، يرى بأوّلِ رأيه آخرَ الأمرِ ،
 جوهرٌ من جواهر الشرفِ لا من جواهر الصّدْفِ ، وياقوتة من يواقيت الأحرارِ

(١) فى نسخة « غرة الأوضح » (م)

(٢) القادمة : واحدة القوادم ، وهى ريشات فى مقدم جناح الطائر ويقابلها الحوافى (م)

(٣) الشيم : جمع شيمة ، وهى الحصلة . وتشام : تنظر ، والبوارق : جمع بارق ،

والمراد به البرق (م) (٤) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب الحاجة (م)

لا يواقبت الأحجار ، طلعتُ للبشاشة عليها ديباجة خُسْرَواتية ، وفيها للطلاقة روضة ربيعية . وَجْهُ كَأَنَّ بَشْرَتَهُ نَشْرَ البَشْرِ ، ومواجهته أمانٌ من الدهر . يصل ببشره ، قبل أن يَصِلَ ببرّه ، قد لحظت من وجهه الأنوار ، ومن بَغَانِه النّوار . أنا من كرم عشرته ، وطلاقة أَسْرَتِهِ ، في روضةٍ وغدير ، وجنّةٍ وحرير ، وهو بَحْرٌ من العلم ممدود بسبعة أبحر ، ويومُه من يوم الأدب كعمر سبعة أنسُر . العلم حَشْوُ ثِيَابِه ، والأدب مِلءُ إهَابِه . هو شَخْصُ الأدب مائلا ، ولسانُ العلم قائلا . شَجَرَةٌ فَضْلٌ عودُها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها عقل ، وعروقها سرّوٌ ، تسقيها سماه الحريرة ، وتغذيها أرضُ المروءة . هم ملح الأرض إذا فسدت ، وعمارة الأرض إذا خربت ، ومعرض الأيام إذا احتشدت ؛ وهم جمالُ الأيام ، وخواصُّ الأنام ، وفرسان الكلام ، وفلاسفة الإسلام . فلان غُصْنٌ طَبِيعُهُ نَصِيرٌ ، ليس له في مجده نظير ، قد جمع الحِفظَ الغزير ، والفهمَ الصحيح ، والأدبَ القويّ القويم ، وما يُؤنِسُهُ من الوَحْشَةِ إلا الدفاتر ، ولا يَصْحَبُهُ في الوَحْدَةِ إلا الحبار . فلان يجلُّ دقائق الأشكال ، ويُرِيزُ معترض الأشكال . له خلق كنسِمِ الأشجار ، على صفحات الأنوار . كالماء صَفَاءً ، والمسك ذكاءً . أخلاق قد جمعت المروءة أطرافها ، وحرست الحرية أكنافها . أخلاق تجمع الأهواء المنفرقة على محبته ، وتؤلّف الآراء المتشتتة على مودّته . أخلاق أعذبُ من ماء الغمام ، وأحلى من ريق النحل ، وأطيب من زمان الورد . أخلاق أحسن من الدرّ والعقيقان ، في نحور الحُسنان ، وأذكى من حركات الروح والريحان . فلان يَسْتَحِطُّ القمَرُ ^(١) بَطْرَفِهِ ، ويستنزل النجم بلطفه ^(٢) . هو خُلُوُ المَدَاقِ ، سهل المساع . أجمل الناس في جدّه ، وأحلامهم في هزل . يتصرّف مع القلوب ، كتصرّف السحاب مع الجنوب . ذو جِدِّ كَعُلُوِّ الجِدِّ ^(٣) ، وهزل كحديثه الورد . له عشرة ماؤها يقطر ، وصحْوُها من

(١) في نسخة «يستحط العصم» وهي أفضل مما في الأصل (م)

(٢) في نسخة «بلطفه» (م)

(٣) الجِد ، بالكسر : الاجتهاد ، والجِد ، بالفتح : الحظ والبخت (م)

الغضارة يطر^(١). هورِيْحَانَة على القَدَح ، وذريعة إلى الفَرَح . عشرته أَلْطَفَ من نسيم الشمال ، على أديم الزلال ، وألصق بالقلب ، من علائق الحب . إذا أردت فهو سُبْحَة ناسك ، أو أحييت فهو تَفَاحَة فاتك ، أو اقتاحت فهو مدرعة راهب ، أو آثرت فهو نخبة شارب . أخباره زكية ، وآثاره ذكية . أخباره تأتينا كما وشى بالمسك رِيَّاه ، ونمَّ على الصباح مُحْيَاه . قد انتشر من طيب أخباره ما زاد على المسك الفتيق ، وأوفى على الزهر الأنيق . مناقب تُشَدِّخ في جبينها غرّة الصباح ، وتهادي أنباءها وفودُ الرياح . فلان أخباره آثاره ، وعينه فراره^(٢) ، قد حصل له من حميد الذكر ، وجميل النشر ، مالا تزال الرواة تدرسه ، والتواريخ تحرسه . سألت عن أخباره فكأنى حرّكت المسك فتيقاً ، أو صبّحت الروض أنيقاً . أخباره متضوعة كتضوع المسك الأذفر ، ومُشرقة إشراق الفجر الأنور . أحببته بالخبر ، قبل الأثر ، وبالوصف قبل الكشف . هو ممن يتقل ميزانُ وده ، ويُحْصَف ميثاق عهده . هو كريم العهد ، صحيح العقد ، سليم الصدر في الود ، حميد الورد فيه والصدر . هو لإخوانه عدّة تشدّم وتقويهم ، ونورٌ يسعى بين أيديهم . هو ركن الإخاء ، صافي شرب الوفاء ، حافظٌ على الغيب ما يحفظه على اللقاء . هو ممن لا تدوم المداهنة في عرصات قلبه ، ولا تحوم المواربة على جنبات صدره . هو يسرى إلى كرم العهد ، في ضياء من الرشد . عهده نقسٌ في صخر ، ووده نسبٌ ملآن من فخر . يقبلُ من إخوانه العفو ، كما يوليهم من إحسانه الصفو . في وده غنى للطالب ، وكفاية للراغب ، ومرادٌ للصَّحْب ، وزادٌ للركب . هو في حبل الوفاء حاطب ، وعلى فرض الإخاء مواظب . النَّجْحُ معقودٌ في نواصي آرائه ، واليَمْنُ معتادٌ في ذاهب أبحاثه . له الرَّأْيُ الثاقب الذي تخفى مكايده ، وتظهر عوائده ، والتدبيرُ النافذ الذي تنجع مبادئه ، وتبهج توأليه . رأى

(١) الغضارة : النعمة (م) (٢) هذا من المثل «إن الجواد عينه فراره» (م)

كالتَّهَمِ أَصَابَ غِرَّةَ الْمَدْفِ ، ودهاء كالبجر في بُعْدِ النُّورِ وَقُرْبِ الْمُعْتَرِفِ ،
لا يَضَعُ رَأْيَهُ إِلَّا مَوَاضِعَ الْأَصَالَةِ ، ولا يَصْرِفُ تَدْيِيرَهُ إِلَّا عَلَى مَوَاقِعِ السَّدَادِ
وَالْإِصَابَةِ . يَعْرِفُ مِنْ مَبَادِيءِ الْأَقْوَالِ خَوَاتِمَ الْأَفْعَالِ ، وَمِنْ صُدُورِ الْأُمُورِ أَعْجَازَ
مَا فِي الصُّدُورِ . رُؤْيَتُهُ رَأَى صَلِيَّتٍ ، وَبَدِيهَتُهُ قَدْرٌ مُصِيبٌ . يَسَافِرُ رَأْيَهُ وَهُودَانَ
لَمْ يَبْرَحْ ، وَيَسِيرُ تَدْيِيرَهُ وَهُوْثًا لَمْ يَنْزَحْ . لَهُ رَأْيٌ لَا يَخْطِئُ شَاكِلَةَ الصَّوَابِ ،
[وَلَا يَخْشَى بَادِرَةَ الْعِتَارِ . فَلَا يَحْمَرُّ الرَّأْيَ وَيُحْمِلُهُ ، وَيَجِيدُ الْفِكْرَ وَيُجِيلُهُ ، حَتَّى
يَحْصُلَ عَلَى لُبِّ الصَّوَابِ] ^(١) ، وَمَحْضُ الرَّأْيِ . إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ الْفِكْرِ ، أَضَاءَ
ظِلْمَ الْأَمْرِ ، هُوَ قُطْبُ صَوَابٍ تَدُورُ بِهِ الْأُمُورُ ، وَمُسْتَنْبَطُ صِلَاحٍ يَرُدُّ إِلَيْهِ
التَّدْيِيرُ . يَرَى الْعَوَاقِبَ فِي مِرْآةِ عَقْلِهِ ، وَبَصِيرَةَ ذِكَاثِهِ وَفَضْلَهُ . وَلَهُ رَأْيٌ يَرُدُّ
الْخَطْبُ مُصَافًا ، وَالرَّمْحُ مَقَامًا . [أَرَاؤُهُ سَكَكِينَ فِي مَفَاصِلِ الْخُطُوبِ] ، كَأَنَّهُ
يَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ رَقِيقٍ ، وَيَطَالَعُهُ بَعَيْنَ السَّدَادِ وَالتَّوْفِيقِ . يَسْتَنْبِطُ
حَقَائِقَ الْقُلُوبِ ، وَيَسْتَخْرِجُ وَدَائِعَ الْغُيُوبِ . قَدْ سَرَيْنَا مِنْ مَشُورَتِهِ فِي ضِيَاءِ سَاطِعٍ ،
وَمِنْ رَأْيِهِ الصَّائِبِ فِي حُكْمِ قَاطِعٍ .

نبذ من مفردات الآيات في فرائد المدح

أبو نواس :

وَكَلَّتْ بِالذَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ نَائِمَةٍ مِنْ جُودِ كَفِيكَ تَأْسُو كَلِمًا جَرَحًا

الطائي :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَاعِ

البحري :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهِمْ أَفْلَيْتَقِي اللَّهُ سَائِلُهُ

وله :

وَلَمْ أَرْ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتُوا لَدَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ

كشاحم :

عرف الفاضلون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد
المتنبى :

شخص الأنام إلى كمالك فاستعدت من شر أعينهم بعين واحد
وله :

ولما رأيت الناس دون محلهم تيقنت أن الدهر للناس ناقد
وله أيضاً :

إن خوطبوا أو لقوا أو كوتبوا وجدوا في اللفظ والخط والهيجاء فرسانا
وله أيضاً :

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد في أيتها
أبو العباس الناشء :

خلقت كما أردتكم المعالي فأنت لمن رجاك كما يريد
المأموني :

وخلائق كالخمر دون فعليه حبب لهن وما لهن خمار

[في مجالس الخلفاء والملوك والحكام والأمراء]

وقال إبراهيم الموصلي لموسى الهادي ، وهو نديمه ، وقد غناه صوتاً فأعجبه : إن من كان محله من أمير المؤمنين محلي في الانبساط وتقدم الندام جراه البسط على الطلب ، وبعثته المنادمة على الرجاء ، وقد نصب لي أمير المؤمنين بقربي منه مشارع الرغبة إليه ، وحثني محلي عنده على الكروع في المنهل بين يديه . فقال : سل شفاها ؛ فإني جاعل ففعلت عن إجابتك إليه حاضراً ؛ فسأله ما قيمته خمسون ألف درهم ؛ فأمر له بمائة ألف درهم .

بين الموصلي
والهادي

بين الإسكندر
ودارا بن دارا

ولما ظفر الإسكندرُ بدارا بن دارا قال له : بم أجترأ عليك صاحبُ شرطتك ؟
قال : بتزكّي تهيبتهُ وقتِ إساءتهُ وتفريطه ، وإعطائه وقتَ الإحسانِ اليسيرِ من
فعله نهايةَ رغبته . فقال الإسكندر : نعم العونُ على استصلاحِ القلوبِ الموغرةِ
الترغيبُ بالأموال ، وأصلح منه عاجلا الترهيبُ وقت الحاجة إليه .

حكيم يصف
أحزم الملوك

وقال الحسنُ بن سهل : خرج بعضُ ملوكِ الفرس متنزّها ، فلقى بعضَ
الحكماء ، فسأله عن أحزم الملوك ، فقال : من ملك جده هزله ، وقهر لبه
هواه ، وأعرب لسانه عن ضميره ، ولم يتخذعه رضاه عن سخطه ، ولا غضبه عن
صدقه . فقال الملك : لا ، بل أحزمُ الملوكِ من إذا جاع أكل ، وإذا عطش
شرب ، وإذا تعب استراح . فقال الحكيم : أيها الملك ، قد أجدتَ الفطنة .
هذا العلمُ مستفاد أم غريزي ؟ قال : كان عندنا معلمٌ من حكماء الهند ، وكان هذا
نقشَ خاتمة . قال : فهل علمك غير هذا ؟ قال : ومن أين يوجبُ مثل هذا عند
رجل واحدٍ ؟ ثم قال له الملك : علمني من حكمتك أيها الحكيم . قال : نعم ،
احفظْ عني ثلاثَ كلمات . قال : ما هنّ ؟ قال : صمكُ السيفِ ليس له جوهرٌ
من سنخه ^(١) خطأ ، وصمكُ الحبِّ في الأرضِ السبخةِ ترجو نباته جهلٌ ، وصمكُ
المسنِّ على الرياضة عناء .

قال أبو تمام الطائي :

والسيفُ ما لم يلف فيه صيقلٌ من سنخه لم ينتفع بصقالٍ

وقيل لبعض الحكماء : ما الدليلُ الناصح ؟ قال : غريزة الطبع . قيل : ما القائدُ
المشفق ؟ قال : حسن المنطق . قيل : فما العناء المعنى ؟ قال : تطبيعك مالا طبع له .

وكان أنوشروان يقول : الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات :
[طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالعطفِ واللين والإحسان ، و] طبقة من
خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة ، وطبقة من العامة تسوسهم
باللين والشدة ، لثلاث تجرّ جهم الشدة ، ولا يُبظّرهم ^(٢) اللين .

أنوشروان
يبين سياسة
لدولة

(٢) يبظّرهم : يظيهم (م)

(١) السنخ ، بالكسر : الأصل

وقال واصل بن عطاء : ألا قاتل الله هذه السفلة ! توأدُّ من حدَّ الله واصل بن عطاء ونبئِه ، وتحادُّ من وادَّ الله ونبئِه ، وتدم من مدحه الله ، وتمدح من ذمه الله ؛ يصف أخلاق السفلة على أنه بهم علم الفضل لأهل الطبقة العالية ، وبهم أعطيت الأوساط حظاً من النبيل .

وقيل لبعض الملوك ، [وقد بلغ في القدر ما يبلغه أحد من ملوك ما يبلغ أقصى درجات الفضل زمانه] : ما الذي بلغ بك هذه المنزلة ؟ قال : عَفَوِي عند قدرتي ، وليني عند شدَّتي ، وبذلي الإنصاف ولو من نفسي ، وإيقائي في الحب والبغض مكاناً لموضع الاستبدال .

وقال الإسكندر لأحد الحكماء ، وأراد سفيراً : أرشدني لأحزم أمرى . أحزم الرأي قال : لا تملأن قلبك من محبة الشيء ، ولا يستولين عليك بغضه ، واجعلهما قَصْداً^(١) ؛ فإن القلب كاسمه ينزع ويرجع ، واجعل وزيرك الثابت ، وسَمِيرَكَ التيقظ ، ولا تقدّم إلا بعد المشورة ؛ فإنها نعم الدليل ، فإذا فعلت ذلك ملكت قلوب رعيتك .

وقيل لبعض الحكماء : ما الحزم ؟ قال : سوء الظن . قيل : فما الصواب ؟ قال : حكيم يصف المشورة . قيل : فما الرأي الذي يجمع القلوب على المودة ؟ قال : كفٌّ بدُول ، وبشر جميل . قيل : فما الاحتياط ؟ قال : الاقتصاد في الحب والبغض .

وسئل بزرجمهر : ما المروءة ؟ قال : ترك ما لا يعني . قيل : فما الحزم ؟ قال : انتهاز الفرصة . قيل : فما الحلم ؟ قال : العفو عند المقدرة . قيل : فما الشدة ؟ قال : ملك الغضب . قيل : فما الخرق ؟ قال : حب مُعْرِق ؛ وبغض مُفْرِط .

قال معاوية رضي الله عنه لزياد حين ولّاه العراق : يا زياد ؛ ليكن حبك وبغضك^(١) قَصْداً ؛ فإن العثرة فيهما كامنة ، واجعل للنزوع والرجوع بقية من قلبك ، واحذر صولة الانهماك ، فإنها تؤدي إلى الهلاك .

(١) قصداً : أي بغير إفراط ولا تفريط

ومن كلام بلقاء أهل العصر في ذكر السلطان

أبو القاسم صاحب : مرّ ضاة السلطان ، لاتقلو بشيء من الأمان ، ولا يبذل الروح والجنان . تهيب السلطان فرضه وركيد ، وحتم على من ألقى السمع وهو شهيد .

للصاحب

أبو إسحاق الصابي : الملك أحق باصطفاء رجاله منه باصطفاء أمواله ؛ لأنه مع اتساع الأمر وجلالة القدر لا يكتفي بالوحدة ، ولا يستغني عن الكثرة ؛ ومثله في ذلك مثل المسافر في الطريق البعيد الذي يجب أن تكون عنايته بفرسه المجنوب ، كعيلته بفرسه المركوب .

للصابي

فصل للصابي : الملك بمن غلط من أتباعه فاتعظ أشد انتفاعا منه بمن لم يغلط ولم يتعظ ؛ فالأول كالقارح^(١) الذي أدبته الغرّة ، وأصلحته الغدامة ، والثاني كالجدع المتهوك^(٢) الذي هوراك للغرّة وراكن إلى السلامة .

وقيل : إن العظم إذا جبر من كثره عاد صاحبه أشد بطشاً وأقوى أيداً .

أبو بكر الخوارزمي : لا صغير مع الولاية والعيلة ، كما لا كبير مع العطله والبطالة ؛ وإنما الولاية أنثى تصغر وتتكبر بواليتها ، ومطية تحسن وتقبح بمطيتها ، والصدر لمن يليه ، والدست لمن جلس فيه ، والأعمال بالعمال ، كما أن النساء بالرجال .

للخوارزمي

فصل له : إن ولاية المرء ثوبه ؛ فإن قصر عرى منه ، وإن طال عثر فيه . قليل السلطان كثير ، ومداراة حزم وتديبر ، ومكاشفته غرور وتغيير .

أبو الفتح البستي : أجهل الناس من كان على السلطان مذلاً ، وللأخوان مذلاً .

للبستي

أبو الفضل ابن العميد : الإبقاء على حشم السلطان وعمله عدل الإبقاء^(٣) على ماله ، والإشفاق [على حاشيته وحشمه مثل الإشفاق على ديناره ودرهمه] .

لابن العميد

(١) القارح : الذي تمت قوته واستحكمت شدته ، وأصله في الإبل (م)

(٢) الجدع - بالتحريك - الحدث ، وأصله أيضاً في الحيوان (م)

(٣) هذا عدل هذا : أي مساويه ومكافئه (م)

وله من رسالة طويلة ، جواب لأبي شجاع عضد الدولة عن كتاب اقتضاه فيه صدرَ كتاب ألفه أبو الحسن الصوفي في نوع من علوم الهيئة .

أنا أقدم الإجابة بحمد الله تعالى جدّه ، على ما وهب لنا معاشر عبيده وخدمه خاصة ، بل لرعاياه عامة ، بل لأهل الأرض كافة ، من عظيم النعمة بمكانه ، وجسيم الموهبة بإفناق أعمارنا في زمانه ، حتى شاركناه في أسباب السعادة التي لم تزل مذكورة عليه ، حتى صارت إليه ، وساهمناه في موادّ الفضيلة التي لم تزل محفوظة له حتى انصَلت به ؛ فإن المرء أشبه شيء زمانه ، وصفات كل زمان منتسخة من سجايا سُلطانَه ؛ فإن فضلَ شاعِ الفضلُ في الزمان وأهله ، وتحلّى الدهرُ بأفضل حليته ، وتجلّى للعيونِ والقلوبِ بأحسن زينته ، وكسا بنيهِ والناشئين فيه بشرفِ جوهره ، وأورثهم نبيلَ فضله ، وعزَّ العلمُ وأهله ، وعرف لمتبسه قدره ، وتوجَّهت الأذهانُ نحوه ، وتعلقت الخواطرُ به ، وصرفت الفكر فيه ، ونشدت ضوآه ، ونظم أشناتَه ، وجمعت أفرادهُ ، ووثقت نفوسُ الساعين في استفادته بحُسنِ عائدته ، فخرست عليه ، وصرفتُ نظرَها إليه ، وأيقنت في بضاعتها بالإنفاق ، وفي تجارتها بالإرفاق ؛ فصار ذلك إلى تماء العلوم وزيادتها داعية ، ولتسكير قليلها وإيضاح مجهولها سببا وعلّةً ، وإلى انخراط جواهرها المنفرقة في سلوك التصنيف سبيلا ، وإلى تقييد شواردها بعقل^(١) التأليف طريقا . وإن رذل السلطان أتبعته الرذيلةُ اتباعاً ، وذَهبتِ الفضائلُ ضياعاً ، وبطلت الأقدارُ والقيم ، وسلبت الأخطارُ والهيم ، وزال العلم والتعلم ، ودرَسَ الفهمُ والتفهم ، وضربَ الجهلُ بجِراحه ، ووطىء بمنسمة ، واستعلَى الخمولُ على النباهة ، واستولى الباطلُ على الحقِّ ، وصارُ الأدبُ وبالاً على صاحبه ، والعلمُ نكالاً على حامله . وبحسب عظيم الخنة بمن هذه صِفته ، والبلوى معَ مَنْ هذه صورته ، تعظُمُ النعمةُ بمُلكِ سلطانِ عالم ، كالأمير الجليل عضد الدولة ، أطال اللهُ تعالى بقاءه ، وأدام قدرته ، الذي أحله اللهُ عزَّ وجل من الفضائل بملتي طرُقها ومجتمَع فرقها ، فهي نوادٍ من لاقت

(١) العقل : جمع عقال - بزنة كتاب وكتب - وهو في الأصل ما تربط به الدابة (م)

حتى تصير إليه ، وشوارِدُ نوازِعٍ حيث حلت حتى تقع عليه ، تتلفت تلتفت
الرامق ، وتتشوفُ إليه تشوف الصب العاشق ، قد ملكها أنى توجهت وحشة
المضاع وحيرة المرتاع .

فإن تَشَّ قوماً غيره أو تزُرهم فكالوحش يدنها من الأنس المخل^(١)
حتى إذا قابلته أسرع إلى إسراع السيل ينصب في الحدور ، والطير ينقض
إلى الكور .

وقال أبو الطيب المتنبي :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الِهِمَمُ وَأَيُّ النَّاسِ بِالْمُلُوكِ ، وَمَا
أَخَذْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا الْقِدَمُ لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ
تُفْلِحُ عُرْبٌ مُلُوكَهَا عَجَمٌ بِكُلِّ أَرْضٍ وَطَنَتَهَا أُمَّمٌ
وَلَا يُهَوِّدُهُمْ وَلَا ذِمَمٌ يَسْتَحْشِنُ الْخَزْنَ حِينَ يَلْمَسُهُ
تُرْعَى بِعَبْدٍ كَأَنَّهَا غَنَمٌ وَكَانَ يُبْرَى بِظَفْرِهِ الْقَلَمُ

لأبي الطيب
المتنبي

وقال الزبير بن بكار : قَدِمَ ابْنُ مِيَادَةَ ، واسمه الرَّمَّاحُ بنُ أبرد ، زائراً
عبد الواحد بن سليمان ، وهو أمير المدينة ، فكان عنده ليلة في سماره ؛ فقال عبد الواحد
لأصحابه : إني لأهم أن أتزوج فابغوني أيما ، قال ابن ميادة : أنا - أصلحك الله -
أدلك ، قال : على من يا أبا بشر تميل ؟ قال : قدمت عليك أيها الأمير ، فلما
قدمت أقيت المسجد وإذا أشبه شيء به وبمن فيه الجنة ومن فيها ، فيينا أنا أمشي
إذ قادتني راحة رجلٍ عطر حتى وقفت عليه ، فلما وقع بصري عليه استلهي حسنه
ناظري ، فما أفلعت ناظري حتى تكلم فما زال يتكلم كأنما ينثر دراً ، ويتلو
زبوراً ، ويدرس إنجيلاً ، ويقرأ فرقاناً ، حتى سكت ، فلولا معرفتي بالأمر
ما شككت أنه هو ، ثم خرج من مصلاه إلى داره ، فسألت عنه ، فأخبرت أنه

ابن ابن ميادة
وعبد الواحد
ابن سليمان

(١) هذا البيت من قصيدة جيدة لمسلم بن الوليد (٢) العافي : المنزل الدارس

من الحسن بمكانة ، وأنه للخليفين ، وأنه قد نالتة ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ساطع من غرته ؛ فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ساد العباد ، وجاب ذكروه البلاد .

فلما قضى ابن ميادة كلامه قال عبد الواحد ومن حضر : ذلك محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان رضی الله تعالى عنه لفاطمة بنت الحسين بن علي رضی الله عنهم ، وقال ابن ميادة :

لهم سيرة لم يعطها الله غيرهم وكل قضاء الله فهو مقسم

هذا في تقابل نسبه ، وكال منصبه ، كقول عوف القوافي في طلحة بن عبد الله الزهري :

يضم رجال حين يدعون للندی ويدعون ابن عوف للندی فيجيب
وذاك امرؤ من أي عطفية يلتفت إلى المجد يحوي الجد وهو قريب

وعبد الواحد بن سليمان هذا هو الذي يقول فيه القطامي :

أقول للحرف لما أن شكت أصلا طول السفار وأفنى نيهما الرجل (١)

إن ترجى من أبي عثمان منجحة فقد يهون على المستنبح العمل
أهل المدينة لا يحزنك شأنهم إذا تحطأ عبد الواحد الأجل

ومن قول القطامي : « إن ترجى من أبي عثمان منجحة » أخذ الآخر قوله :

إذا ما تعنى المرء في إثر حاجة فأنجح لم يثقل عليه عناؤه

وهو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، قال الكلبي : هو عبد الواحد ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، والأول قول ابن السكيت .

نسب
عبد الواحد

والقصيدة التي منها هذه الأبيات من أجودِ قوله ، وفيها يقول مما يتمثل به :
 والعيشُ لا عيشَ إلا ما تقرُّ به عَيْنٌ ولا حالٌ إلا سوفَ يَنْتَقِلُ
 والناسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قائلون له ما يَشْتَبِي ولأَمِ الخَطِيءِ الهَبْلُ (١)
 قد يُدْرِكُ المتَأَنِّي بعضَ حاجتِهِ وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلَلُ
 قوله : « والناسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قائلون له » مأخوذٌ من قول المرقش :
 وَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا مُحَمَّدُ النَّاسِ أَمْرُهُ وَمَنْ يَقُوْ لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغَىِّ لِأَمَّا

وقال عمرو بن سعيد للأخطل : أيسرك أن لك بشرك شعراً ؟ قال : لا ،
 ما يسرني أن لي بقولي مقولاً من مقاويل العرب ، غير أن رجلاً من قومي قال
 أبياتاً حسنة عليها ، وإيم الله ، إنه لمغذف القناع ، ضيق الذراع ، قليل السماع ،
 قال : ومن هو ؟ قال : القطامي ، قال : وما هذه الأبيات ؟ فأشده لي يصفُ إبلا
 من هذه القصيدة :

منزلة
شعر
القطامي

يمشِين رَهْوَاً فلا الأعْجَازُ خَاذِلَةٌ ولا الصدورُ عَلَى الأعْجَازِ تَتَكَلَّمُ (٢)
 فهن معترِضاتٌ وَالْحَصَا رَمِضٌ وَالرَّيْحُ سَاكِنَةٌ وَالظَّلُّ مَعْتَدِلٌ (٣)
 يتبعن سَامِيَةَ العَيْمَنِينِ تحسبها مجنونة أو ترى ما لا ترى الإبُلُ

[نغم الألفاظ ونغم الألحان]

قال أبو العتاهية لمخارق : أنت بنغم الألفاظ دون نغم ألحانك ، تطربُ
 إذا تكلمت ، فكيف إذا ترنمت !

بين مخارق
وأبي العتاهية

وقال له يوماً : يا حكيم هذه الأقاليم ؛ أصبب في هذه الأذان من جيد
 تلك الألحان ، فأقسم لو كان الكلام طعاماً ، لكان غناؤك له إداماً .

(١) الخطيئة : الذي أخطأه الغنى ونحوه ، والهبل - بالتحريك : الشكل (م)

(٢) الرهو : السير السهل (٣) رمض : حار - من الرمضاء (م)

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : دخلت على المعتصم يوماً وقد خلا ، وعنده إسحاق الموصلي
جارية تُعَنِّيهِ ، وكان معجباً بها ، فلما جلست قال لي : يا أبا إسحاق ، كيف تراها ؟
قلت : يا أمير المؤمنين ، أراها تقهره بحذق ، وتختله برفق ، ولا تخرج من حسن
إلا إلى أحسن منه ، وفي حلقها شذور نغم أحسن من دوام النعم ، قال : يا إسحاق ؛
هن غايات الأمل ، ومُنْسيات الأجل ، والنقم الداخل ، والشغل الشاغل ، وإن
صفتك هذه لو سمعها من لم يرها لفقده لُبّه ، وقضى نَحْبَهُ .

وسئل إسحاق عن المعيد من المغنين ، فقال : مَنْ لَطَفَ فِي اخْتِلاسه ، وتمكّن
من أنفاسه ، وتفرّع في أجناسه ، يكادُ يَعْرِفُ ضَمَائِرَ مَجَالِسِيهِ ، وشهواتِ مُعَاشِرِيهِ ،
يَتَفَرَّعُ مَسْمَعُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُم بِالنَّحْوِ الَّذِي يُوَافِقُ هَوَاهُ ، وَيُطَابِقُ مَعْنَاهُ .

وكان إسحاق بن إبراهيم قد جمع إلى حذوقه بصناعته حسن التصرف في العلوم ،
وجودة الصنعة للشعر ، وحَدَّثَ عن نفسه فقال : كنت أيام الرشيد أبكر إلى هُشَيْمٍ
ووكيع فأسمعُ منهما ، ثم أنصرف إلى عاتكة بنت شهيد ؛ فخطارحني صوتين ،
ثم أصير إلى زلزل الضارب فأخذ منه طريقتين ، ثم أسير إلى منزلي فأبعث إلى أبي عبيدة
والأصمعي ، فلا يزالان عندي إلى الظهر ، ثم أذهب إلى الخليفة .

ونزل أبوه بالموصل وليس من أهلها فنسب إليها ، وهو مولى خزيمه بن خازم^(١)

التميمي ، وفي ذلك يقول إسحاق :

إذا مضى الحمراء كانت أرومتي وقام بنصري خازم وابن خازم
عطستُ بأنفي شامخاً وتناولتُ بناني الثريا قاعداً غير قائم

وفيه يقول محمد بن عامر الجرجاني يرثيه :

على الجدثِ الشرقي عوجاً فسأما ببغداد لما صد عنه عوائده
أإسحاق لا تبعده ، وإن كان قد رمى بك الموت رمي ليس يصدروارده
متى تأتيه يوماً تحاولُ منفساً من الدين والدنيا فإنك واجده

(١) في نسخة « خزيمه بن أبي حازم التيمي »

إذا هزل اخضرت فروع حديته
ورقت حواشيه وطابت مشاهدُه
وإن جدَّ كان القولُ جدًّا وأقسمت
مخارجه الأتلين شـدائدُه
ومن جَيد شعر إسحاق قصيدته
في إسحاق بن إبراهيم المصعبى بعد
إيقاعه بالخرمية :

تَقَصَّتْ لِبَانَاتٍ وَجَدَّ رَحِيْلُ
وَمُدَّتْ أَكْفُ لِلْوَدَاعِ فَصَافَحَتْ
وَلَا بَدَّ لِلْأَلْفِ مِنْ فَيْضِ عَيْزَةٍ
فَكَمِ مِنْ دَمٍ قَدْ طُلَّ يَوْمَ تَحَمَّلَتْ
غَدَاةً جَعَلَتْ الصَّبْرَ شَيْئًا نَسِيَتْهُ
وَلَمْ أَنْسَ مِنْهَا نَظْرَةَ هَاجٍ لِي بِهَا
كَأَنَّ نَظْرَتَ حَوْرَاهُ فِي ظِلِّ سِدْرَةٍ
فَلَا وَضَلَّ إِلَّا أَنْ تَلَا فَاهُ أَيْتُقُ
إِذَا قَلْبَتْ أَجْفَانَهَا بِتَنْوُفَةٍ
تَقَرَّدَ إِسْحَاقُ بِنُصْحِ أَمِيرِهِ
يَفْرَجُ عَنْهُ الشُّكَّ صِدْقُ عَزِيمَةٍ
أَغْرَّ بِجَيْبِ الْوَالِدِينَ كَأَنَّهُ
بَنَى مُضْعَبٍ لِلْمَجْدِ فَيْكُمُ إِذَا بَدَتْ
كُرُمْتُمْ فَمَا فَيْكُمُ جَبَانُ لَدَى الْوَعْيِ
غَلَبْتُمْ عَلَى حُسْنِ التَّنَاءِ فَرَأَقَكُمْ

وَلَمْ يُشَفَّ مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ غَلِيْلُ
وَفَاضَتْ عَيْونُ لِلْفِرَاقِ تَسِيْلُ
إِذَا مَا خَلِيْلُ بَانَ عَنْهُ خَلِيْلُ (١)
أَوَانِسُ لَا يُودَى لَهْنَ قَتِيْلُ (٢)
وَأَعُولْتُ لَوْ أُجْدَى عَلَيَّ عَوِيْلُ (٣)
هُوَئِي مِنْهُ بِأَدِ ظَاهِرُ وَدَخِيْلُ
دَعَاهَا إِلَى ظِلِّ الْكِنَاسِ مَقِيْلُ
عِتَاقُ مَمَاهَا سَدَقْمُ وَجَدِيْلُ (٤)
طَوَى الْبَعْدَ مِنْهَا هَزَّةً وَذَمِيْلُ (٥)
فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ الْإِمَامِ عَدِيْلُ
وَلَبَّ بِهَ يَمَعُو الرِّجَالَ أَصِيْلُ
حَسَامُ جَلَّتْ عَنْهُ الْعَيْونُ صَقِيْلُ
وَجَوْهَكُمُ لِلنَّاطِرِينَ دَلِيْلُ
وَلَا مِنْكُمْ عِنْدَ الْعَطَاءِ بَحِيْلُ
ثَنَاءٌ بِأَفْوَاهِ الرِّجَالِ جَمِيْلُ

(١) الألف : جمع آلف ، وبان عنه : فارقه ، والخليل : الصديق (م)

(٢) ظل - بالبناء للمجهول - أهدر ، والأوانس : جمع آنسة ، وهى التى

يونس إليها ، ولا يودى قتيلهن : لاتعطى ديته (م) (٣) أعولت : بكيت (م)

(٤) شدقم وجديل : فخلان من فحولة الإبل المعروفة ، كانا للنعمان بن المنذر (م)

(٥) التنوفة : الصحراء المترامية الأطراف ، والذميل : ضرب من السير السريع (م)

إذا استكثر الأعداء ماقلتُ فيكمُ
فإن الذي يستكثرون قليلُ
وهذا غمط الخذاق الفحول ، وقال :

ومَدْرَجَةٌ للريح غَبْرَاءُ لم يكن
يَضِلُّ بها السارى وإن كان هادياً
تَعَسَّفَتْ أبرى جَوْزَهَا بِسَمِيلَةٍ
كأنَّ شَرَّارَ المَرُوِّ من تَبَذَّهَا بِهِ
إذا ضَمَّهَا والسَّفَرُ لَيْلٌ فَعَبِيتُ
تَنَادَوْا فاصاروا تحت أكنافِ رَحْلِهَا
وقال :

ولما رأينَ البينَ قد جدَّ جدُّه
دنونا فسلمنا سلاماً مُخَالِساً
تَصَدُّ بلا بَعْضٍ ونُحْلِسُ لِحْمَةً
نُذَادُ إذا حَمْنَا لنشفي غَلَةً
ولم يبقَ إلاَّ أن تَبِينَ الرُكَّابُ
فردَّتْ علينا أعينٌ وحوَاجِبُ
إذا غفلت عنا العيونُ الروَاقِبُ
كما زِيدَ عن وِزْدِ الحِيَاضِ الغَرَائِبُ

وما أحسن ما قال أبو العباس الناشيء في هذا المعنى :

ولما رأينَ البينَ زُمَّتْ رِكَابُهُ
طلبن على الرِّكَبِ المجدينَ عِلَّةً
فلما تلاقينا كَتَبْنَ بأَعْيُنِ
فلما قرأناهنَّ مِرّاً طَوِينَهُمَا
وأيقنَّ منا باقْطاعِ المَطالِبِ
فمُجِّنَ علينا من صدور الرُكَّابِ
لنا كُتُباً أعجَمْنَها بالحوَاجِبِ
حِذارِ الأعداى بازورِ المُنَاكِبِ
وقال إسحاق :

ألا من لقلبٍ لا يزالُ رَمِيَّةً
للحِجَّةِ طَرْفٍ أو لكسرةٍ حَاجِبِ

- (١) مدرجة للريح : مكان هبوبها ، وأراد الصحراء ، والزميلة : الجبان (م)
(٢) تعسفت : قطعت ، وجوزها : وسطها ، والشملة : الناقة السريعة (م).
(٣) المرو : حجارة بيض براقه تورى النار إذا قدحت (م)

وللخمر اللاتي تساقط لونها فتور الخطا عن واديات الذوائب

[استطراد في ذكر جمال الذوائب]

وعلى ذكر الذوائب قال ابن المعتز :

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهَ بِشَعْرَهَا شَبِيهَةً خَدَيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ بِالشَّعْرِ وَالذُّجَى وَخَمْرَيْنِ مِنْ رَاحِ وَخَدِّ حَيْبِ

لابن المعتز

وقال بكر بن النطاح :

لابن النطاح

بِيضَاهُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهَوَ جَنَلٌ أَسْتَمُ^(١)
فَكَانَهَا فِيهِ نَهَارٌ مَبْصُرٌ وَكَأَنَّهُ لِيَسْلُ عَلَيْهَا مَظْلُمٌ

وقال المتنبي :

للمتنبي

نَشَرَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرَهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَّتْ لِيَالِي أَرْبَعَا
وَاسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَّتْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتِ مَعَا

وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

وَفَاحِمٌ وَارِدٌ يُقْبَلُ تَمَمٌ شَاهُ إِذَا اخْتَالَ مُسْبِلًا غَدْرَةَ^(٢)
أَقْبَلَ كَاللَّيْلِ فِي مَفَارِقِهِ مِنْجَدِرًا لَا يُرَامُ مُنْجَدِرَةٌ
حَتَّى تَنْهَى إِلَى مَوَاطِنِهِ يَلْتَمُ مِنْ كُلِّ مَوْطِيءٍ عَفْرَةٌ
كَأَنَّهُ عَاشِقٌ دَنَا شَغْفًا حَتَّى قَضَى مِنْ حَيْبِهِ وَطْرَةٌ
يُفِشِي غَوَاشِي قُرُونِهِ قَدَمًا بِيضَاءَ لِلنَّاطِرِينَ مُقْتَدِرَةٌ
مِثْلَ الثَّرْيَاءِ إِذَا بَدَتْ سَحْرًا بَعْدَ غَمَامٍ وَحَاسِرٍ حَسْرَةٌ

أخذه بعض أهل العصر - وهو محمد بن مطران - فقال :

لمحمد

ابن مطران

(١) الشعرا الجتل - بالفتح - الكثير اللين، ويروي «وهو وحف» وهو الأسود

الكثيف (م).

(٢) غدره - بضم العين والذال جميعاً : جمع غديرة ، والغديرة : الذوابة ،

وتجمع على غدائر (م)

ظِلَاءَ أَعَارَتَهَا الظَّبَا حُسْنَ مَشِيهَا كما قد أَعَارَتَهَا العيونَ الجَمَادِرُ
 فَمِنْ حُسْنِ ذَاكَ الشَّيْ قَامَتْ فَقَبِلَتْ مواطىءَ من أقدامهنَّ العَدَائِرُ
 وقال مسلم بن الوليد :

أَجْدَكَ هَلْ تَدْرِينْ أَنْ رُبَّ لَيْلَةٍ كَأَنَّ دُجَاهَا مِنْ قَرُونِكَ يُنْشَرُ
 نَصَبَتْ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِفِرَّةٍ كَفَرَّةٍ يَحْيَى حِينَ يُذْكَرُ جَعْفَرُ

[وَخُدَّةِ القصيدَةِ وَاتساقِهَا]

قال الخاتمي : مثلُ القصيدَةِ مثلُ الإنسانِ في اتِّصَالِ بعضِ أعضائه ببعضٍ ؛
 فمتى انفصلَ واحدٌ عن الآخرِ وَبَيَّنَّهُ في صِحَّةِ التركيبِ ، غادرَ الجِسمَ ذَا عَاهَةٍ تَتَخَوَّنُ^(١)
 محاسنَهُ ، وَتَعَفَّى مَعَالِمَهُ ؛ وقد وجدتُ خُذَّاقَ المُتقدِّمينَ وأربابَ الصناعاتِ مِنَ المُحدِّثينَ
 يُخترسونَ في مثلِ هذا الحالِ احتِراساً يُحَنِّبُهُم شوائبَ النقصانِ ، وَيَقِفُ بِهِم على
 مَحَجَّةِ الإحسانِ ، حَتَّى يَقَعَ الاتِّصَالُ ، وَيُؤَمِّنَ الانفِصالَ ، وَتَأْتِي القصيدَةُ في تَناسُبِ
 صدورِها وأعجازِها وانتظامِ نسيبِها بمدِّيحِها كالرسالةِ البليغةِ ، وَالخُطْبَةِ المَوْجِزَةِ ،
 لا ينفصلُ جزءٌ منها عن جزءٍ ، وهذا مذهبٌ اِختصَّ بِهِ المُحدِّثونَ ؛ لتوقُّدِ خِواطِرِهِم ،
 وَلُطْفِ أَفكارِهِم ، واعتمادِهم البديعِ وَأفانينَهُ في أشعارِهِم ، وَكَأَنَّهُ مذهبٌ سَهَّلُوا
 جِزَنَهُ^(٢) ، وَهَجَّوْا رِسمَهُ ؛ فَأَمَّا الفحولُ الأوائلُ ، وَمِنْ تَلاهُمُ مِنَ الخُضرمينَ
 وَالإسلاميينَ فمذهبُهُم المُتعالِمُ « عَدَّ عَن كَذَا إلى كَذَا »^(٣) وَقَصَّارَى كُلِّ واحدٍ مِنْهُم
 وَصَفُ نَاقَتِهِ بِالْعَتَقِ ، وَالنَّجَابَةِ وَالنَّجَاءِ ، وَأَنَّهُ امْتَنَّاها ؛ فَادَّرَعَ عَلَيْهَا جِلْبَابَ
 اللَّيْلِ ؛ وَرَبَّمَا اتَّفَقَ لِأَحَدِهِم مَعْنَى لَطِيفٍ يَتَخَلَّصُ بِهِ إلى غَرَضٍ لَمْ يَتَعَمَّدهُ إِلا أَنْ
 طَبَعَهُ السَّليمَ ، وَصِرَاطَهُ في الشَّعْرِ المُستقيمِ ، نَصَبَا مَنارَهُ^(٤) وَأوقدَا بِاليفاعِ نارَهُ ؛
 فَمِنْ أَحْسَنِ مَخْلَصِ شاعِرٍ إلى مَعْتَمِدِهِ قولُ النابغةِ الذبيانيِّ .

(١) تتخول محاسنه : تنقصها (م) (٢) الحزن : ضد السهل (م)

(٣) من ذلك قول زهير بن أبي سلمى عند التخلص بعد النسيب :

دع ذا ، وعد القول في هرم خير البداية وسيد الحضرم (م)

(٤) في نسخة « نضى تياره ، وأوقد باليفاع ناره » (م)

فكففتُ مَنَى عَزْرَةَ فَرَدَدْتُهَا على النَّعْرِ مِنْهَا مُسْتَهْلٌ وَدَامِعٌ
 على حين عاتبتُ الشَّيْبَ على الصَّبَا وقلتُ : أَلَمَّا أَضْحُ والشَّيْبُ وَازِعٌ
 وقد حالَ همٌّ دونَ ذلكَ شاغِلٌ مكانَ الشَّغافِ تَبْتَغِيهِ الأَصابعُ
 وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنْهِهِ أتاني ودوني راكسَ فالضَّواجِعُ

وهذا كلام متناسخ^(١) تقتضى أوائله أواخره ، ولا يتميز منه شيء عن شيء :
 أتاني ، أبيت اللعن ، أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامعُ
 مقالة أن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائعُ

ولو توصل إلى ذلك بمض الشعراء المحدثين الذين وصلوا تفتيش المعاني ، وفتحوا
 أبواب البديع ، واجتنوا ثمر الآداب ، وفتحوا زهر الكلام لكان معجزا عجبا ،
 فكيف بجاهل بدوي إنما يعترف من قليب قلبه ، ويستمدد عنواه حاحسه .

وقال علي بن هارون المنجم عن أبيه : لم يتوصل أحد إلى مدح بمثل قول
 [ابن] وهيب :

ما زال يُبْلِثُنِي مَرَأَشْفَهُ وَبِعَلَّيْنِي الإِبْرِيْقُ وَالقَدَحُ
 حتى استردَّ اللَّيْلُ خُلْمَتَهُ وَبَدَأَ خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ^(٢)
 وَبَدَأَ الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهَ الخَلِيْفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

وقال علي بن الجهم :

وليلةٍ كحلتُ بالنَّفسِ مُقْلَتَهَا أَلْقَتُ قِنَاعَ الدُّجَى فِي كُلِّ أَحْدُودِ^(٣)
 قد كاد يُغْرِقُنِي أمواجُ ظُلْمَتِهَا لولا اِقْتِباسِي سَنَاءَ وَجْهِ ابْنِ دَاوُدِ
 قوله : « كحلتُ بالنَّفسِ مُقْلَتَهَا » مأخوذ من قول أعرابي : « والليل قد

صَبَّغَ الحَصَى بِمِدَادٍ » .

(١) لعله « متناسخ » (م) (٢) الوضوح : البياض (م)

(٣) النفس ، بالكسر : اللداد

وقد أخذ هذا أبو نواس فقال :

أَبِين لِي كَيْفَ صِرْتِ إِلَى حَرِيمِي وَجَفَنُ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارِ
وقد أخذ هذا أبو تمام فقال :

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جُنْحَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ قَدْ اِكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِأَيْمِدِ
وقد أخذ لفظ الأعرابي المتقدم أبو نواس فقال :

قَدْ أَغْتَدَى وَاللَّيْلِ كَالْمِدَادِ وَالضَّبِيحُ يَنْفِيهِ عَنِ الْبِلَادِ
طرد المشيبِ حالكِ السَّوَادِ

وإنما نظرَ في هذا إلى قول الأعرابي^(١) :

أَقُولُ وَاللَّيْلُ قَدْ مَالَتْ أَوَاخِرُهُ إِلَى الْغُرُوبِ : تَأَمَّلْ نَظْرَةَ حَارِ
أَلْحَةَ مِنْ سَنَا بَرَقِي رَأَى بَصْرِي أَمْ وَجْهَ نَعْمٍ بَدَأَ لِي أَمْ سَنَا نَارِ
بِلِوَجْهِ نَعْمٍ بَدَأَ وَاللَّيْلُ مُفْتَكِرٌ فَلَاحَ مَا بَيْنَ حُجَابٍ وَأَسْتَارِ
ومن بديع الخروج قول علي بن الجهم وذكر صحابة :

وَسَارِيَةٌ تَرْدَارُ أَرْضًا بِجُودِهَا شَقَلَتْ بِهَا عَيْنَا طَوِيلَا هَجُودِهَا^(٢)
أَتَنَّا بِهَا رِيحُ الصَّبَا فَكَأَنَّمَا فِتَاةٌ تَرْجِيهَا عَجُوزٌ تَقُودُهَا
فَمَا بَرَحَتْ بَغْدَادَ حَتَّى تَفْجَرَتْ بِأُودِيَةٍ مَا تَسْتَفِيقُ مُدُودَهَا [
أَقْضَتْ حَقَّ الْعِرَاقِ وَأَهْلَهُ أُنَاهَا مِنَ الرِّيحِ الشَّمَالِ بَرِيدَهَا
فَمَرَّ تَفَوْتُ الطَّيْرَ سَبَقًا كَأَنَّهَا جُنُودُ عِبِيدِ اللَّهِ وَلَتْ بُنُودَهَا

يريد انصراف أصحاب عبيد الله بن خاقان عن الجعفرى إلى سر من رأى عند قتل المتوكل . وقد أخذ هنا التشبيه معكوساً من قول أبي العتاهية :

وَرَايَاتُ يَحْمَلُ النُّصْرُ فِيهَا تَمْرٌ كَأَنَّهَا قَطَعُ السَّحَابِ

(١) الأبيات السابقة ، وقد رواها له صاحب الجمهرة ، وهى فى ديوانه (م)

(٢) السارية : السحابة ، وتردار : تطلب الزيارة ، والجود : المطر (م)

وقال ديك الجن :

وغرير يقضى بحكمين : في الراح بجور ، وفي الهوى بمحال
للتفارد ذفه ، وللخوط ما حُمِّلَ لينا ، وجيده للغزالي (١)
فعلت مقلته بالصَّبِّ ما تفعل جدوى يدريك بالأموال
ومن بارع الخروج قول المتنبي :

مرت بنا بين ترهيبها فقلت لها : من أين جئنا هذا الشادن العربا
فاستضحكت ثم قالت كالغيث يري ليث الشرى وهو من عجل إذا اتسبا
واشتهار شعره ، يمنعنى من ذكره .

[السر في الابتداء بالنسيب]

قال ابن قتيبة (١) : سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة إنما
ابتدأ بوصف الديار والمدن والآثار ؛ فبكي وشكا ، وخاطب الربيع ، واستوقف
الرفيق ؛ ليجعل ذلك سبباً لذكر أهله الطاعنين ؛ إذ كانت نازلة العمدة في الحلول
والظمن على خلاف ما عليه نازلة المدر ؛ لا تتقاهم من ماء إلى ماء ، وانتجاعهم
الكلاء ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ؛ ثم وصل ذلك بالنسيب ، فبكي
شدة الوجد ، وألم الصباغة والشوق ؛ ليميل نحوه القلوب ، ويضرب إليه الوجوه ،
ويستدعي إصغاء الأسماع ؛ لأن النسيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب (٢) ،
لما جعل الله تعالى في تركيب العباد من محبة الغزل ، وإلف النساء ، فليس أحد
يخلو من أن يكون متعلقاً منه يسبب ، وضاراً بما فيه بسهم ، حلال أو حرام . فإذا
استوثق من الإصغاء إليه ، والاستماع له ؛ عقب بإيجاب الحقوق ؛ فرحل في شعره ،
وشكا النَّصَبَ والسهر ، وسرى الليل [وحر الهجير ، وإنضاء الراحلة والبعير ،

(١) النقا : كتيب الرمل ، والحوط - بالضم - الغصن الناعم الرقيق (م)
(٢) اختصر المؤلف هذا الفصل من مقدمة كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (م)
(٣) لائط بالقلوب : لاصق بها (م)

فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمام التأميل [، وقرّر عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدأ في المديح فبعثه على المكافأة ، وفضّله على الأشباه ، وصغّر في قدره الجزيل ، وهزّه لفعل الجليل ؛ فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً أغلب على الشعر ، ولم يطل فِيمِيلَ السامعين ، ولم يقطع وفي النفوس ظمناً إلى المزيد .

[موازنة بين أبي تمام والبحتري]

ويتعلق بهذه القطعة ما حدث به الحاتمي عن نفسه ، وإن كانت الحكاية طويلة فهي غير مملولة ؛ لما لبسته من حُلل الآداب ، وتزينت به من حُلّ الألباب ، قال : جعني ورجلا من مشايخ البصرة ممن يؤمّأ إليا في علم الشعر مجلسُ بعض الرؤساء ، وكلني خبره قد سبق إليّ في عصبيته للبحتري ، وتفضيله إياه على أبي تمام ، ووجدت صاحب المجلس مؤثراً لاستماع كلامنا في هذا المعنى ، فأنشأت قولاً أنحيت فيه على البحتري إنحاءً أسرفت فيه ، واقتدحت زناد الرجل ، فتكلّم وتكلمت ، وخضنا في أفانين من التفضيل والمماثلة ، غلوت في جميعها غلواً شهده جميع من حضر المجلس ، وكانوا جبة الوقت ، وأعيان الفضل ، فاضطر إلى أن قال : ما يحسن أبو تمام بيتدي ، ولا يخرج ، ولا يجم ، ولو لم يكن للبحتري عليه من الفضل إلا حسن ابتداءاته ، ولطف خروجها ، وسرعة انتهائها ، لوجب أن يقع التسليم له ، فكيف بأوابده التي تزداد على التكرار غصارة وجدة ثم أقبل على ، فقال : أين يذهب بك عن ابتداءه :

عارضننا أصلاً قفلنا الربُّ حتى أضاء الأحقوان الأشنب^(١)
واخضر مؤشئ البرود وقد بدأ منهن ديباج الخلود المذهب

(١) الأصل : جمع أصيل ، وهو الوقت ما بين العصر إلى الغروب ، والربوب : جماعة البقر الوحشية ، والأحقوان : نبت له زهر أحمر تشبه به اللثا ، والأشنب : وصف من الشنب — بفتح الشين والنون مسو هي رقة وعدوبة ويرد في الأسنان (م)

وأنى لأبى تمام مثل خروجه حيث يقول :
أدارهمُ الأولى بداره جُلجُل سقك الحيار ووَحاته وبواكرة (١)
وجاءك يحكى يوسف بن محمد فروتكَ رِيَاهُ وجادك ماطرُهُ
وقد كرر هذا وزاد فيه فقال :
تنصّب البرقُ مختالاً فقلت له : لوجدتَ جودَ بنى يزْدان لم تَزِد
ومن ذا الذى لَطُفَ لأن يخرج من وصف روض إلى مدح ، فقال أحسن
من قوله :

كأنَّ سناها بالعشى لصحبها تبلج عيسى حين يلفظ بالوعد (٢)
وأنى لأبى تمام مثل حسن انتهائه حيث يقول :

إليك القوافى نازعات شواردا يسير ضاحي وشيها ويئتم
ومشرفة في النظم غراً يزيدُها بهاءً وحسنًا أنها لك تنظم
وقوله في هذا المعنى :

ألست الموالى فيك نظمَ قصائدٍ هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجمًا
ثناء تحالُ الروض فيه منورًا ضحى ، وتحالُ الوشى فيه منمنما
ولقد تقدم البحترى الناس كلهم في قوله :

لو أن مشتاقًا تكلف فوق ما فى وسعهِ لسمى إليك المنبرُ

قال أبو على : وكنت ساكنًا إلى أن استتم كلامه ، فكان الجماعة أعجبهم
ذلك ، عصبية على لا على أبى تمام ؛ لأنى كنت كالشجى معترضًا فى لهواتهم ،
وأسرَّ كل واحد منهم إلى صاحبه سرًّا يومئذ به إلى استيلاء الزجل على ؛ فلما
استتم كلامه وبرقت له بارقة طمع فى تسليمى له ابتدأت فقلت : لست بمن

(١) الحيا : انظر (م)

(٢) سناها : ضوءها ، وتيلجه : إشراق وجهه (م)

يَقْتَمَعُ لَهُ بِالشَّئَانِ ، وَلَا يُقَرَّعُ لَهُ بِالْعِصَا ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! اسْتَنْتَ الْفِصَالَ حَتَّى
الْقَرَّعَى ! هَلْ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَّا عَوْنٌ مُفْتَرَعَةٌ ^(١) ، قَدْ تَقَدَّمَ أَبُو تَمَامٍ إِلَى سَبِكِ نَضَارِهَا ،
وَافْتِضَاضِ أَبْكَارِهَا ، وَجَرَى الْبَحْتَرَى عَلَى وَتِيرَتِهِ فِي انْتِزَاعِ أَمْثَالِهَا وَاتِّبَاعِهَا ، فَأَمَّا
قَوْلُهُ : « عَارِضُنَا أَصْلًا فَعَلْنَا الرَّبْرَبَ » ، فَمِنْ قَوْلِ أَبِي جُوَيْرِيَةَ الْعَبْدِيِّ :

سَلَّمْنَا نَحْوَى لِلْوَدَاعِ بِمَقْلَةٍ فَكَأَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْنَا الرَّبْرَبَ
وَقَرَأْنَا بِالْحَدَقِ الْمِرَاضِ تَحِيَّةً كَادَتْ تَكَلِّمُنَا وَإِنْ لَمْ تُعْرَبْ

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي صِفَةِ الْغَيْثِ مَخَاطِبًا لِلدَّارِ : « وَجَاءَكَ يَحْكِي يَوْسُفَ بْنَ مُحَمَّدٍ »

وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى : « لَوْجَاتِ جُودِ بَنِي يَزْدَانَ لَمْ تَزِدْ » فَمِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَلِنُؤْيِيهَا فِي الْقَلْبِ نُؤَى شَقَّةً وَأَهْ بِظَاغِئِهَا وَبِالْمُتَخَلِّفِ
وَكَأَمَّا اسْتَسْقَى لَهْنَ مُحَمَّدٍ مِنْ سَوْمِيهِ مِنَ الْحَيَا فِي زُخْرَفِ
وَمِنْ قَوْلِهِ الَّذِي تَقَدَّمَ فِيهِ كُلُّ أَحَدٍ لَفْظًا رَشِيْقًا وَمَعْنَى رَقِيْقًا ^(٢).

دِيمَةٌ سَمَّحَةٌ الْقِيَادِ سَكُوبٌ مَسْتَعِيْثٌ بِهَا التَّرَى الْمَكْرُوبُ
لَوْسَعَتْ بَقْعَةٌ لِإِعْظَامِ نَعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيْبُ

وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الْبَحْتَرَى : « لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ » :

[أَيُّهَا لَيْثُ حَتَّى أَهْلًا بِمَعْدَاكَ وَعِنْدَ السَّرِيِّ وَحِينَ تَنْتُوبُ

لَأَيُّ جَعْفَرٍ خَلَائِقُ تَحْكِيْمِهِنَّ قَدْ يَتَّبِعُهُ النَّجِيْبَ النَّجِيْبُ

أَنْتَ فِينَا فِي ذَا الْأَوَانِ غَرِيْبٌ وَهُوَ فِينَا فِي كُلِّ وَقْتٍ غَرِيْبٌ] ^(٣)

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشَى لِصَحْبِهَا تَبَلَّجُ عَيْسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ

فَإِذَا نَظَرَ فِيهِ إِلَى قَوْلِ دِعْبِلِ بْنِ عَلِيٍّ :

وَمِثْلَاءَ خَضْرَاءِ زَرْبِيَّةٍ بِهَا النَّوْرُ يَلْمَعُ فِي كُلِّ فَنٍ ^(٤)

(١) العون من النساء: غير البكر (م) (٢) هذه الأبيات من قصيدة أبي تمام

وليس ثابتة في أكثر نسخ زهر الآداب (م)

(٣) الميثاء من الأرض: السهلة اللينة، وزريرة: قد اخضر نبتها واصفر واحمر (م)

ضحوكا إذا لاعبته الرياح
تأوّد كالشارب المرجح
فشبهه صبحي سنا نورها
بديباج كسرى وعصب الهم
فقلت : بهدتم ، ولكني
أشبهه بجناب الحسن
فتى لا يرى المال إلا المعطاء
ولا الكنز إلا اعتقاد المتن

وأما قوله في صفة الغواني « يسير ضاحي وشيها وينم » وقوله في وصفها :
« وتخال الوشى فيه منمنا » فمن قول أبي تمام :

حلوا بها عقد النسيب ، وتمنّوا
من وشيها نثراً لها وقصيداً
ومن قوله الذي أبدع فيه :

ووالله لا أنفك أهدي شوارداً
إليك تحمّلن الثناء المنخلاً^(١)
تخال به برّداً عليك محبّراً
وتحسبه عقداً عليك مفضلاً
ألدّ من السلوى وأطيب نفحة
من المسك مفتوقاً وأيسر مَحْمَلاً
أخفّ على قلبي وأثقل قيمة
وأقصر في قلب الجليس وأطولاً

وقول البحتری * هي الأجم اقتادت مع الليل أنجما * مأخوذ من قول أبي
تمام مقصراً عنه كلّ تقصير عن استيفاء إحسانه حيث يقول :

أصيحّ تستمع حرّ التواقي ؛ فإنها
كواكبُ إلاّ أنهنّ سُعودُ
ولا تمكن الإخلاق منها فإنما
يلدّ لباسُ البردِ وهو جديدُ

فهذه خصال صاحبك فيما عدته من محاسنه التي هتكت بها ستور عوّاره ،
ونشرت مطوى أسرارهِ ، حتى استوضخت الجماعة أنّ إحسانه فيها عارية مرتجعة ،
ووديعه منتزعة ، فاسمع ما قال أبو تمام في نحو أبياتك التي أوجبت الفضل لصاحبك
حين قال مبتدئاً :

(١) الشوارد : جمع شاردة ، وأراد قصائد اللدح ، والثناء المنخل : أراد به الذي

نقى عنه كل غريب عنه (م)

لأنت أنت ، ولا الديارُ ديارُ
كانت مجاورةً الطلولِ وأهلها
خفَّ الهوى، وتقضت الأوطارُ^(١)
زمناً عذابَ الوردِ فهي بحارُ
وقوله :

رقت حواشي الدهر فهي تمرُّ
وغدا التري في حليته يتكسرُ
وقوله :

أرأيت أي سوافٍ وخُدودِ
عنت لنا بين اللوى وزرودِ
وهل يستطيعُ أحدٌ أن يبتدىء بمثل ابتدائه :

طلل الجميع لقد عفوت حميدا
دمنٌ كأن البين أصبح طالبا
وكفى على رُزئي بذاك شهيدا
دمناً لدى آرامها وحقودا^(٢)
أو مثل قوله مبتدئاً :

يادارُ درَّ عليك إرهامُ الندى
وكسيت من خلع الحيا مستأسداً
واهتزَّ روضك للثرى فترأداً^(٣)
أنفاً يفادِرُ وحشهُ مستأسداً
أو مثل قوله متبديئاً :

غدت تستجيرُ الدمعَ خوفَ نوى غد
فأذرى لها الإشفاقُ دمعاً مورداً
وعاد قمتاداً عندها كل مرقد
من الدم يجرى فوق خدِّ مورداً
ولقد أحسن حين ابتداء فقال :

نوارٌ في صواحبها نوارُ
تسكذب حاسدٌ فنأت قلوبُ
كما فاجك سربٌ أو صوارُ
أطاعتُ وأشيأ ونأت ديارُ
وحيث يقول :

ما في وقوفك ساعةٍ من بأسِ
تقضي ذمام الأربيع الأذراسِ

(١) الأوطار : جمع وطر - بفتح الواو والطاء جميعاً - والوטר : الحاجة (م)

(٢) دمن الأول : جمع دمنة ، وهي آثار الديار د ، ومن الثاني : الذحول (م)

(٣) إرهام الندى : أراد نزول المطر ، وترأد : اهتز من النعمة (م)

فلعلَّ عينك أن تجودَ بدمعِها والدمعُ منه خاذلٌ ومواسي^(١)
وحيث يقول :

ما عهدنا كذا تحيبَ المشوق كيف والدمعُ آيةُ المشوقِ
وحيث يقول :

دِمنَ ألمٍ بها فقال : سلامٌ ، كم حلَّ عقدةَ صبره الإلام ؟
بحرَّت ركابَ الركب حتى يعبرُوا رجلا ، وقد عنفوا على ولاؤوا
وحيث يقول :

أما الرسوم فقد أذَّكرنَ ماسلفا فلا تكفن عن شانيك أوزيكفا
لا عذر للصب أن يقنَى السآو ولا للدمع بعد مضى الحى أن يقفا
ومن اقتضاباته المعيدة قوله :

هنا علينا أن نقول وتفعلا ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا
وقوله أيضاً مقتضيا :

الحقُّ أبلجُ والسيوفُ عواري فحذارٍ من أسد العرين حذارٍ
ومما تقدم فيه كلٌّ واحدٍ في حسنِ التخلص إلى المدح قوله :
إساءة الحادثات استنبطى نفقا فقد أظلك إحسانُ ابنِ حسانِ
وقوله :

إذا العيس لآقتني أبأدلفٍ فقد تقطع ما بيني وبين النوائبِ
وقوله :

لم يجتمع قط في مصر ولا طرف محمد بن أبي مروان والنوب^(٢)
وقوله المنقطع دونه كل قول في هذا المعنى :

(١) الذي في ديوان أبي تمام « فلعل عينك أن تعين بمائها » (م)

(٢) في نسخة « لم يجتمع قط في مصر ولا بلد » (م)

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا
فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَىٰ لَهَا
الْقَوْمَ ظَلَّ اللَّهُ أَسْكَنَ دِينَهُ
وقوله :

عَامِي وَعَامُ الْعَيْسِ بَيْنَ وَدَيْقَةَ
حَتَّى أَغَادِرَ كُلَّ يَوْمٍ بِالْقَلَا
هِيَهَاتَ مِنْهَا رَوْضَةٌ مَحْمُودَةٌ
بِعُرْسِ الْعَرَبِ الَّذِي وَجَدَتْ بِهِ
ومن أبدع ابتدائه قوله :

سَقَى دِيَارَهُمْ أَجْشَ هَزِيمٍ
وَعَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةَ وَنَعِيمٍ
جَادَتْ مَعَاهِدَهُمْ عِيَادُ سَحَابَةٍ
مَا عَهْدُهَا عِنْدَ الدِّيَارِ ذَمِيمٍ
ثم تخلص إلى المدح فقال وأحسن كل الإحسان :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى
مُرَّ وَأَنَّ أَبَا الْحَسَنِ كَرِيمٍ (٣)
مَازَلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوَدَادِ وَلَا عَدْتُ
نَفْسِي عَلَى الْفِئَةِ سِوَاكَ تَحُومٍ
ثم عاد إلى المدح ، فقال :

لِمُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ شَبَابَةَ
مَجْدٌ إِلَى حَيْثُ السَّمَاءِ مَقِيمٍ
مَلِكٌ إِذَا نُسِبَ النَّدَى مِنْ مَلْتَقَى
طَرْفِيهِ فَهُوَ أَخٌ لَهُ وَحَمِيمٍ

وأبو تمام الذي وصف القوافي بما لم يستطع وصفها به أحد فقال :

فَإِنَّ أُنَا لَمْ يَحْمَدِكْ عَنِّي صَاغِرًا
عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّي غَيْرُ حَامِدٍ
بِسِيَّاحَةٍ تَنْسَاقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ
وَتَنْقَادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ

(١) في نسخة «أسكن ظله فيهم» (م) (٢) العيس : الإبل ، والوديقة : شدة الحر ، والتنوفة : الصحراء المترامية الأطراف ، والمسجورة : الموقدة ، وسيهود : الفلاة التي لا ينال ماؤها (م) (٣) يرويه علماء البلاغة «أن النوى حبر» (م)

مَحَبَّةٌ مَا إِنَّ تَزَالُ تَرَى لَهَا
مُخَلِّقَةً لَمَّا تَرُدُّ أذْنَ سَامِعٍ
وَالَّذِي قَالَ أَيْضًا فِي صِفَتِهَا

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ اللِّسَانِ قِلَادَةٌ
إِنْسِيَّةٌ وَحَشِيَّةٌ كَثُرَتْ بِهَا
حَدِيثُ حَذَاءِ الْحَضْرَمِيَّةِ أَرْهَفَتْ
يَنْبُوغَهَا خَضِلٌ، وَحَلَى قَرِيضُهَا
أَخْذًا كَمَا صَنَعَ الضَّمِيرُ يَمْدُهُ
أَمَّا الْمَعَانِي فَهِيَ أَبْكَارٌ إِذَا
وَقَدْ أَبْدَعَ فِي وَصْفِهَا فَقَالَ :

لَمْ أَبْقِ حَلِيَّةَ مَنْطِقٍ إِلَّا وَقَدْ
أَبْقَيْتَ فِي أَعْنَاقِ جُودِكَ جَوْهَرَ

هل يستطيع أحد أن ينسب هذا أو شيئاً منه إلى السَّرَقِ والاحتذاء؟ وهل يستطيع مائلته بشيء من شعر البحترى، أو أشعار المحدثين في عصره ومن قبله؟ فَمَعَى عن الجواب قُصُوراً، وأحجم عن المساجلة تقصيراً، وحكمت الجماعة لى بالقهر، وعليه بالنصر، ولم ينصرف عن المجلس حتى اعترف بتقديم أبي تمام في صنعة البديع واختراع المعاني على جميع المحدثين. وكان يوماً مشهوداً.

[أثرُ الغناء والجمال]

وقال ثُمَامَةُ بنُ أَشْرَسَ : كُنْتُ عَبْدَ الْمَأْمُونِ يَوْمًا ، فَاسْتَأْذَنَ الْغَلَامَ لِمُعِيرِ الْمَأْمُونِي فَكَرِهَتْ ذَلِكَ ، وَرَأَى الْمَأْمُونُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ : يَا ثُمَامَةُ ، مَا بَكَ ؟

(١) موزون : قد ثنى بعضه فوق بعض (م)
(٢) صنع الضمير : أراد أنه ماهر ، وفي الديوان « يمد جفر » والجفر : البشر (م)

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إذا غنَّانا عمير ذكرت مواطن الإبل ، وكُنَّبان الرمل ،
وإذا غنَّتنا فلانة انبسط أملى ، وقوى جدلى ، وانشرح صدرى ، وذكرت الجنان
والولدان ، كم بين أن تغنيك جارية غادة كأنها غصن بآن ، ترنو بمقلة وسنان ؛
كأما خلقت من ياقوتة ، أو خرطت من فضة ، بشعر عكاشة العمى حيث يقول :
من كف جارية كأن بناتها من فضة قد طرقت عنابا
وكانَ ينهاها إذا ضربت بها تلقى على الكف الشمال حسابا
وبين أن يغنيك رجل كثر اللحية ، غليظ الأصابع ، خشن الكف ، بشعر
ورقاء بن زهير حيث يقول :

رأيت زهيراً تحت كلِّ كلِّ خالد فأقبلت أسمى كالعجول أبادره^(١)
وكم بين أن يحضرك من تشتهى النظر إليه ، وبين من لا يقف طرفك
عليه ؟ فتيسم المأمون ، وقال : الفرق بينهما واضح ، والمنهج فسيح ؛ يا غلام ،
لا تأذن له ، وأحضر أطيّب قيناته ، فظلمنا في أمتع يوم .

وعكاشة هذا هو عكاشة بن عبد الصمد البصرى ، نفى الديباجة ، ظريف
الشعر ، وكان شاعرا مجيداً . وقد أخذ معنى قوله أبو العباس الناشئ ، وزاد
فيه ، فقال :

وإذا بصرت بكفها اليسرى حكمت يد حاسب تلقى عليك صنوفا
فكأما المضراب في أوتاره قلم يجمع في الكتاب حروفا
ويجئه إبهامها فكأما في النقر تنفي بهرجاً وزيوفا
أخذ هذا البيت من قول أبي شجرة السامى وذكر ناقته :

تطيرُ عنها حصى الطران من بلدٍ كما تنوقد عند الجهيد الورق^(٢)

(١) العجول : الشكى والواله من الإبل والنساء

(٢) الطران ، بضم الطاء وكسر ها ، جمع ظرر ، بزنة صرد ، وهو الحجر ،

وقيل : المدور المحدد منه ، والجهيد : الحبير ، والورق : الفضة (م)

وأصله قول امرئ القيس :

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوَجِينَ تَشْدُهُ
صَلِيلُ زَيْوْفٍ يُنْتَقَدَنَّ بَعْبِقْرًا^(١)
وقال أبو الفتح كشاجم :

لَوْلَمْ تَحْرَكْهُ أَنْامِلُهَا
كَانَ الْهَوَاءُ يُعِيدُهُ نَطْقًا
جَسَّتْهُ عَالِمَةٌ بِجَالْتِهِ
جَسَّ الطَّيِّبُ لِمَدْفِ عِرْقًا
غَنَّتْ فِخَاتُ أَظُنُّنِي طَرِبًا
أَسْمُو إِلَى الْأَفْلَاكِ أَوْ أَرْقَى
وَحَسِبْتُ يُمْنَاهَا تَحْرَكُ
رَعْدًا وَخِلْتُ بِسَارَاهَا يَرْقَا

وأشد الحاتمي لأبي بكر الصولي :

وَعِنَاءُ أَرْقٍ مِنْ دَمْعَةِ الصَّبِّ وَشَكْوَى التَّمِيمِ الْمَهْجُورِ
يَشْفَلُ الْمَرْءُ مَنْظَرٌ ثُمَّ نَطَقُ فَهَوَ يُصْنِي بِظَاهِرِ وَضْمِيرِ
صَافِحَ السَّمْعِ بِالَّذِي يَشْتَهِيهِ
وَأَذَاقَ النَّفُوسِ طَعْمَ السَّرُورِ
لَيْسَ بِالْقَائِلِ الضَّمِيفِ إِذَا مَا
رَاضَ نَعْمًا وَلَا الشَّنِيعِ الْجَهِيرِ

وقال أبو نواس :

وَأَهِيْفُ مِثْلُ طَاقَةِ يَاسْمِينِ
لَهُ حَظَّانٌ مِنْ دُنْيَا وَدِينِ
يَحْرَأُ حِينَ يَشْدُو سَاكِنَاتِ
فَتَنْبِثُ الطَّبَائِعَ لِلسُّكُونِ
وهذا مليح ، يريد حركة الجوامح للفناء ، وسكون الجوارح للاستماع
وقال الحمدوني يصف عوداً :

وَنَاطِقِ بِلِسَانٍ لَا ضَمِيرَ لَهُ
كَأَنَّهُ فُخْدٌ نَيْطَتْ إِلَى قَدَمِ
يُبْدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ لِلْقُلُوبِ كَمَا
يُبْدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ مَنْطِقَ الْقَلَمِ

(١) الصليل : الصوت ، والمرج : حجارة بيض براق ، وعبقر : بلد ينسب العرب إليها كل ما يتعاضمون صنعته ، وزعموا أنها مقر الجن (م)

[من وصف القيان]

لابن الرومي

ومن أحسن ما قيل في صفة القيان قول ابن الرومي :

وقيان كأنها أمهات
مُطْفِلات وما حملن جنيناً
مُلقِمات أطفالهن ندياً
مفعبات كأنها حافلات
كل طفل يُدعى بأسماء شتى
أمه دهرها تترجم عنه
عاطفات على بيدها حواني
مرضعات ولسن ذات لبان
ناهديات كأحسن الرمان
وهي صفر من درة الألبان
بين عود ومزهر وكران^(١)
وهو بادي الغنى عن الترجمان

لكشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم :

جاءت بعود كأن نغمته
محفف حفت العيون به
دارت ملاويه فيه فاختلفت
لو حركته وراء منهنم
صوت فتاة تشكو فراق فتى
كأنما الزهر حوله بنتا
مثل اختلاف العيون مذنبتا
على بريد لعجاج والتفتتا

وقال :

يقولون تب والكأس في كف أغيد
فقلت لهم لو كنت أزمعت توبة
وصوت المشاي والمثالث على
وشاهدت هذا في المزام بدأ لي^(٢)

وقال :

أفدى التي كلف الفؤاد من أجلها
تاهت بجمع صناعتين ، وأظهرت
قالت : فضلتك بالغناء وأنت لا
بالعود حتى شفى إطرابا
كبرا بذاك ، وأعجبت إعجابا
تشدو ، وكنا مثلكم كتابا

(١) السكران - بوزن كتاب - آلة من آلات اللهو تشبه العود أو الصنج (م) .

(٢) أزمعت : اعترمت ، وفي ديوانه «أضمرت» (م) .

فَعْنَيْتِ بِالْأوتارِ حَتَّى لَمْ أَدْعِ
وَأَلْفَتَهَا فَأَغَارَ ذَاكَ عَلَى يَدِي
فَجَعَلْتَ لِلْقُرْطَاسِ جَانِبَ صَدْرِهِ
نَعْمًا وَلَمْ أُغْفَلْ لَهْنَ حَسَابًا
قَلَمِي وَعَاتِبَهَا عَلَيْهِ عَتَابًا
وَجَعَلْتَ جَانِبَ عَجْزِهِ مِضْرَابًا

وقال :

جَاءَتْ بَعُودٍ كَأَنَّ الْحَبَّ أُنْحَلَهُ
فَمَا يَرَى فِيهِ إِلَّا الْوَهْمُ وَالشَّبَحُ
فَحَرَكَتَهُ وَغَنَّتْ بِالثَقِيلِ لَنَا
صَوْتًا بِهِ الشُّوقُ فِي الْأَحْشَاءِ يَنْقَدِحُ
بِيضَاءٍ يَحْضُرُ طِيبُ اللَّهِ مَا حَضَرَتْ
فَإِنْ نَأَتْ عَنْكَ غَابَ اللَّهُ وَالْفَرَحُ (١)
كُلَّ اللَّبَاسِ عَلَيْهَا مَعْرُضٌ حَسَنٌ
وَكُلُّ مَا تَتَغَنَّى فَهُوَ مَقْتَرَحٌ
هَذَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

وَوَغَنَّتْ فَأَغْنَتْ عَنِ الْمَسْمُوعِ
نَ وَارْتَجَّ بِالطَّرْبِ الْجُلُوسُ
مَحَاسِنُهَا زُهْرَةٌ لِلْعَيُونِ
وَمَعْرِضُهَا كُلُّ مَا تَلْبَسُ
وَقَالَ أَيْضًا: (٢)

أَشْتَهَى فِي الْغِنَاءِ بُحَّةَ حَلْقِي
نَاغِمِ الصَّوْتِ مُتَعَبِ مَكْدُودِ
كَأَنَّيْنِ الْحَبَّ أَضْعَفَهُ الشَّوْ
قُ فُضَاهِي بِهِ أَنْيْنِ الْعُودِ
لَا أَحِبُّ الْأوتارَ تَعَلُّو كَمَا لَا
أَشْتَهَى الضَّرْبَ لَازِمًا لِلْعَمُودِ
وَأَحِبُّ الْجَنْبَاتِ كَحَبِي
لِلْمَبَادِي مَوْصُولَةَ بِالْتَشِيدِ
كَهَبُوبِ الصَّبَا تَوْسَطَ حَالًا
بَيْنَ حَالِيْنِ شِدَّةِ وَرُكُودِ
وَقَالَ :

أَهْ مِنْ بُحَّةٍ بَغِيرِ انْقِطَاعِ
تَعَبِ الصَّوْتِ رَاحَةَ الْأَسْمَاعِ
أَتَعَبْتُ صَوْتَهَا وَقَدْ يُجْتَنَى مِنْ

(١) «ما» في قوله «ماحضرت» هي المصدرية الظرفية : أي مدة حضورها ،

وفي الديوان « يحضر طيب العيش إن حضرت (م) »

(٢) هذا القائل هو أبو الفتح كشاجم (م) .

فَعَدَّتْ تَكَثَّرَ الشَّجَاجَ وَحَطَّتْ طَبَقَاتِ الأوتارِ بعد ارتفَاعِ (١)
كَأَنَّيْنَ المِحبَّ خَفَضَ مِنْهُ صوتَ شِكْوَاهِ شِدَّةُ الأوجَاعِ

لأبي الحسن
ابن يونس

وقال بعض أهل العصر، وهو أبو الحسن بن يونس :

غَمَّتْ فَأَخَفَتْ صوتَهَا فِي عُوْدِهَا فَكَأَنَّمَا الصوتَانِ صوتُ العودِ
غَيِّدَاءَ تَأْمُرُ عُوْدَهَا فِيطِيعُهَا أبدأً، وَيَتَّبِعُهَا اتِّبَاعَ وَدُودِ
أَنْدَى مِنَ النُّوَّارِ صُبْحًا صَوْتُهَا وَأَرْقَ مِنْ نَشْرِ الثَّنَا المَعْبُودِ
فَكَأَنَّمَا الصوتَانِ حِينَ تَمَازَجَا مَاءَ الغمامَةِ وَابْنَةَ العُنُقُودِ

من ترجمة
أبي الحسن
ابن يوسف

وأبو الحسن هذا هو : علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى
صاحب عبد الله بن وهب الفقيه ، وكان لأبي الحسن في الشعر مذهب حسن ،
وطبعٌ صحيحٌ ، وحوكٌ مليحٌ ، وكان عالماً بالنجوم وما يتعلق بها من علوم الأوائل
وهو القائل :

سَقَى اللهُ أَكْنَافَ اللَّوَى كَمَا سَقَى بِضَرْبِ مِنَ المِزَنِ الكَمْهُورِ هَامِلِ (٢)
إِذَا نَشَرْتَ رِيحَ جُجَانِ سَجَابَةِ غَدَاً وَهُوَ حَلِيٌّ لِلرِّيَاضِ العَوَاطِلِ
بِهِ وَجَدُ رَعْدٌ لَيْسَ بَيْنَ جَوَانِحِ وَوَسْوَاسٌ وَدَقٌّ لَيْسَ بَيْنَ مِفَاصِلِ
إِذَا كَانَ خَدَّ البَرَقِ يَلْمَسُ نَبْتَهُ تَلْقَاهُ دُرٌّ النُّورِ فَوْقَ الخَمَائِلِ
وقال ، وذَكَرَ غَلاماً :

يَجْرِي النِّسِيمُ عَلَى غِلاَثِلِ خَدِّهِ وَأَرْقَ مِنْهُ مَا يَمُرُّ عَلَيْهِ
نَاولَتْهُ المِراةُ يَنْظُرُ وَجْهَهُ فَكَسَّتَهُ فَتْنَةً نَاطِرِيهِ إِلَيْهِ

لابن المعتز
في المرأة

وقال ابن المعتز - وذَكَرَ المِراةَ :

تَبَيَّنِي لِي كَمَا رُمَتْ نَظْرَةً وَنَاصِحَتِي مِنْ دُونَ كُلِّ صَدِيقِ

(١) في الديوان « تكثر الشجاج » (م) .

(٢) الكمهور - بزنة السفرجل - المتراكم من السحاب (م) .

يقابلني منك الذي لا عدته بلجة ماء وهو غير غريب

وقال أبو الفتح كشاجم يصف امرأة أهداها :

لكشاجم
يصف امرأة

أخت شمس الصفاء في الحسن والإشراق غير الإعشاء للأجفان
ذات طوق مشرف من لجين أجريت فيه صفرة العقيان
فهو كالهالة المحيطة بالبد رست مزين بعد ثمان
وعلى ظهرها فوارس تلهو ببزاة تعدو على غزلان
[لك فيها إذا تأملت فال حسن مخبر بنيل الأمان]
لم يكن قبلها من الماء جرم حاصر نفسه بغير أوان
عدت عكسها الشعاع فبدا ه إليها ورجعه سبان
وهي شمس وإن مثالك يوماً لاح فيها فإنها شمسان
أينما قابلت مثالك من أر ض فيها تقابل النيران
فالقها منك بالذي ما رآه خائف فائتي بغير أمان

ومن ألقاظ أهل العصر في مدح الغناء

غناؤه كالغنى بعد الفقر، وهو جبر للسكر^(١). [غناؤه] يبسط أميرة
الوجه، ويرفع حجاب الإذن، ويأخذ بمجامع القلب، ويحرك النفوس،
ويرقص الرؤوس. فلان طيب القلوب والأسماع، ومحبي موات الخواطر والطباع،
يُطعم الأذان سروراً، ويقدم في القلوب نوراً. القلوب من غناؤه على خطر؛
فكيف الجيوب؟! السكر على صوته شهادة. كل ما يغنيه مقترح. لغناؤه في
القلب، موقع القطر في الجذب. نعمة نعمته تطرب، وضروب ضربته لا تضرب.
وقيل: السماع مُتعة الأسماع، وإدام اللدام.

(١) في نسخة « وهو عنذر للسكر » (م).

[الأقسام]

أهدى بعضُ الكتابِ إلى أخٍ له أقلاماً وكتب إليه : إنه — أطال اللهُ بقاءك ! — لما كانت الكتابةُ قوامَ الخلافةِ ، وقرينةَ الرياسةِ ، وعمودَ المملكةِ ، وأعظمَ الأمورِ الجليلةِ قدراً ، وأعلاها خطراً ، أحببتُ أن أُخفِكَ من آلاتها بما يحفُّ عليك حمّاه ، وتثقل قيمتهُ ، ويكثر نفعه ؛ فبعثتُ إليك أقلاماً من القصبِ الثابتِ في الأعداءِ ^(١) ، المغدوّ بماء السماءِ ، كاللآلى المكنونةِ في الصّدَفِ ، والأنوارِ المحجوبةِ بالسّدَفِ ، تنبؤ عن تأثير الأسنانِ ، ولا يثنيها غمُّ البنانِ ، قد كسّتها طباعها جوهرأ كالوشى المحبّرِ ، وفرند الديباجِ المنيرِ ، فهي كما قال الكميت :

وبيضِ رفاقِ صِباحِ المتو نِ تَسْمَعُ للبيضِ فيها صريراً
مُهَنَّدَةً من عتادِ الملوكِ يكاد سَنَاهُنَّ يُعْشَى البصيراً

وكفحِ النبلِ في ثقلِ أوزانها ، وقضْبِ الخيزُرانِ في اعتدالها ، ووشيجِ الخطِّ في اطرادها ، تمرُّ في القراطيسِ كالبرقِ اللائحِ ، وتجرى في الصحفِ كالماءِ السائحِ ، أحسن من العقيانِ ، في نحورِ القيانِ .

من عيد الله
ابن طاهر إلى
إسحاق بن
إبراهيم

وكتب عبيد الله بن طاهر إلى إسحاق بن إبراهيم من خراشان إلى بغداد يسأله أن يوجهَ إليه بأقلامِ قصبيةٍ : أما بعد ، فإننا على طولِ الممارسةِ لهذه الصناعةِ التي غلبتْ على الاسمِ ، ولزمتْ لزومِ الوَسْمِ ، فخلتْ محل الأنسابِ ، وجرتْ بحجْرَى الألقابِ — وجدنا الأقلامِ القصبيةِ أسرعَ في الكَوَاعِدِ ، وأمرٌ في الجلودِ ، كما أن البحريّةِ منها أسلسُ في القراطيسِ ، وألين في المعاطفِ ، وأكلٌ عن مزيقتها ، والتعلق بما ينبو من شظاياها . ونحن في بلادٍ قليلةِ القصبِ ، ردى ما يوجد

(١) الأعداء : جمع عدى ، وهو الزرع الذى لا يسقى بغير ماء المطر (م) .

بها منه ؛ فأحببت أن تتقدّم في اختيار أقلام قصيبة ، وتتناق في انتقائها قبلك ،
 وطلبها في منابتها ، من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تتيّم باختيارك
 منها الشديدة المحسّ ، الصلبة المعصّ ، الغليظة الشحوم ، المكتنزة الجوانب ،
 الضيّقة الأجواف ، الرزينة الوزن ، فإنها أبقى على الكتاب ، وأبعد من الحفّاء ،
 وأن تقصد بانتقائك منها للرفاق القضبان ، اللطاف المنظر ، المقوّمات الأود ، الملس
 العقد ، ولا يكون فيها التواء عوج ولا أمت ؛ وضمّ الصافية القشور ، الخفية
 الأبن^(١) ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الأنايب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة
 الجواهر ، المعتدلة القوام ، تكادُ أسافلها تهترّ من أعلاها ، لاستواء أصولها
 برعوسها ، المستكلمة يبساً ، القائمة على سوقها ، قد تشرّبت الماء في لِحائها ، وانتهت
 في النضج منهاها ، لم تعجل عن تمام مصلحتها ، وإبان يُنعىها ، ولم تؤخر في
 الأيام الخوفة عاهاتها ؛ من خصر الشتاء ، وعفن الأنداء ، فإذا استجمعت عندك
 أمرتَ قطعها ذراعا ذراعا ، قطعاً رقيقاً تتحرّز معه أن تشقّب رعووسها ،
 أو تنشق أطرافها ، ثم عبأت منها حزماً فيما يصونها من الأوعية ، وعليها
 الخيوط الوثيقة ، ووجهتها مع من يحتاط في حراستها وحفظها وإيصالها ؛ إذ
 كان مثلها يتوانى فيه ، لقلة خطرِها عند من لا يعرف فضلَ جوهرها ؛
 واكتب معه بعدتها وأصنافها وأجناسها وصفاتها ، على الاستقصاء ، من غير
 تأخير ولا إبطاء .

جواب إسحاق
ابن إبراهيم

فأجابه ووجه إليه مع الأنايب : أناني كتاب الأمير - أعزه الله ! - بما أمر
 به وخلصه ، من البعث بما شا كل نعمته ، وضاهى صفته ، من أجناس الأقلام ،
 فتميمت بُغيته قاصداً لها ، وانتهجت معالم سبيله آخذاً بها ، فأنفذتُ إليه حزماً
 أنشئت بلطيف السقيا ، وحسن المهد والبُقيا ، لم تعجل بإخراجها ، ولا بُودرتُ

(١) الأبن : جمع أبنة ، وهي العقدة في العود (م) .

قبل إدراكها؛ فهي مستوية الأنايب معتدلتها، مثقفة الكعوب مقومتها؛ لا يُرَى فيها أمتُ زَوْر، ولا وسم صغرو ولا عِوَج، وقد رجوت أن يجدَها الأمير عند إرادته وحسبَ بُعَيْتِهِ .

لمنصور بن عمار
يصف القلم

ومن كلام منصور بن عمار في صفة القلم، ويقال إنه لسليمان بن الوليد الكاتب: أو ليس من عجائب الله في خلقه، وإنعامه على عباده، تعليمه إياهم الكتاب المفيد للباقيين حكم الماضين، والمخاطب للعيون بسرائر القلوب، على لغات مختلفة، بعمان مفترقة معفودة، وأحرف مقلوبة، من ألف وتاء، وجيم وباء، متباينات الصور، مختلفات الجهات، لقاحها التفكير، وتناجها التأليف، تحرس مفردة، وتنطق مزدرجة، بلا أصوات مسموعة، ولا ألسُن محدودة، ولا حركات ظاهرة، بل قلم حَرَفَ باريه قطته، ليعلق المدادُ به، وأرَهَفَ جانبه ليرد ما انتشر عنه إليه، وشق في رأسه ليحتبس الاستعداد عليه، ورفع من شعبيته لتجتمع حواشي تصويره؛ فمنا لك روى القلم في شقه، وقذف المادة إلى صدره، فإذا علقتها العيون حكمتها الألسن، فالقلوب حينئذ راعية، والآذان واعية، لكلام سداه العقل، وألمحه اللسان، وأدته اللهوات، ولفظته الشفاه، ووعته الأسماع، على اختلاف أنحاء، من صفات وأسماء؛ فتبارك الله أحسن الخالقين .

للنجيرمي
في وصف القلم

حمل من رسالة كتبها بعض أهل العصر، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمي، في القلم إلى أبي عمران بن رباح:

إنه لما كان القلم مطيِّة الفكر والبيان، ومُخْرِج الضمير إلى العيان، ومستنبطاً ما تواريه ظلم الجنان إلى نور البيان، ومُرِيح الفطن العواذب، وجالب الفكر الغرائب [ولسان الغائب، وبزالكاتب، ومكتب الكتاب]، ومفرق الجلائب، وعماد السلم، وزناد الحرب، ويد الحدثنان، وخليفة اللسان، ورأس الأدوات التي

خصَّ الله بها الإنسان ، وشرفه بها على سائر أصناف الحيوان ، ومركباً لآلة قد تقدّمت كل آلة ، وحكمة سبقت في الإنسان كل حكمة ، وقواماً لهندسة عقلية ، ومصدراً لعقل العاقل ، وجهل الجاهل . الناقل إلينا حكم الأولين ، وحاملها عنا إلى الآخرين ، الحافظ علينا أمر الدنيا والدين ، أول شئ خلقه الله بأمره وسبّحه ، ومجّده وحمّده وسجّده له ، فكان له فرسان خلق لهم ، وكنت عميدهم ، وأقران قُصّر عليهم ، وأنت صنديدهم ، وميدان كنت زينته ، ومضمار كنت عينه ، وخليفة كنت سابقها ومعجزها ، وغاية كنت مآلكها ومخزّزها ، وورمت بي الأيام إلى معدنه الذي كلّفت به وعنيت بطلبه ، فأنفردت منه بتدح قدّ أوّحد ، فرؤد في منبته ، قد ساعدت عليه السعود في فلك البروج حولاً كاملاً ، مُختلف يؤلّفه أركانها وطباعها ، ومتباين أنوائها وأنحائها ، وتؤيده بقواها وجواهرها ، حتى غدته عرفاً في الثرى معرقاً ، وأرضعته ناجماً ، وسقته مكعباً ، وأروته مقصباً ، وأطامته مكتهلاً ، ولوحته مستحصداً ، وجلته بهاءها ، وألقت عليه عنوانها ، وأودعته أعراقها وأوراقها وأخلاقها ، حتى إذا شق بازله ، ورقّت شمائله ، وابتسم من غشائه ، ونادى من لِحائه ، وتعرى^(١) عن خز المصيف ، بانقضاء الخريف ، وانكشف عن لون البيض المسكون ، والصدف المحزون ، ودر البحار ، وفتّات الجمار ، دعا منه نقق العاج بنقبة الديباج ، وقميص الدرر بطراز النساج ، فأجتمعت له زينة الأيدي البشرية ، إلى الأيدي العلوية ، والأنساب الأرضية ، إلى الأنساب السماوية ، فلما قاده السعادة إلى ، ورأيته نسيج وحده في الأقلام ، رأيت أولى الناس به نسيج وحده في الأنام ، فأثرتك به مؤثراً للصنيعة ؛ عالماً أن زين الجياد فرسانها ، وزين السيوف أقرانها ، وزين بزة لابسها ، وزين أداة تمارسها ،

(١) في نسخة « وتفرى عنه » .

فالآن أعطيت القوس باريها ، وزناد المكارم مُورِيها ، والضمصامة مُصلِتِها ،
والقناة مُعلِما ، وحلّة المُجدِّ لِأِسْمِها .

من أخبار
النجيري

وكان النجيري جَيِّدَ الروية والبديهة في نظمه ونثره ، حلو التصريف ، مليح
التأليف ، وكان يوماً عند أبي المسك كافور الإخشيدى ، فدخل عليه أبو الفضل
ابن عياش فقال : أدام الله أيام سيدنا الأستاذ — بالخلف — فتبسّم كافور إلى
أبي إسحاق ، فقال ارتجالاً :

لا غرّو إن لحن الداعي لسيدنا	وغصّ من هَيْبَةٍ بالريقِ والبهرِ
فمثل سيدنا حالت مهابتُهُ	بين البليغِ وبين القولِ بالحصْرِ
فإن يكن خفّضَ الأيام من دَهشِ	من شدّة الخوفِ لا من قلةِ البَصْرِ
فقد تفاعلت في هذا لسيدنا	والفأل ماثرة عن سيّد البشرِ
بأن أيامه خفّضَ بلا نَصَبِ	وأن دولته صفوُ بلا كدَرِ

فأمر له بثلاثمائة دينار ، ولابن عياش بمائتين .

حمدان الدمشقي
يصف قلماً

وقال حمدان الدمشقي يصف قلماً :

للأثيم بعثته وشقّ لِسَانِهِ	وله إذا لم تجرِه إطرأقُهُ
كالحيّة النَّضْناضِ إلاّ أَنُهُ	من حيث يجرى سمّه ترياقُهُ

وصف القلم
الصالح للسكّابة

قال العتّابي : سألتني الأضعى فقال لي : أي الأنايب أصلحُ للكتابة وعليها
أصبر؟ فقلت : مانسّف بالهجير ماؤه ، وستره عن تلويجه عشاؤه ، من التّبرية القشور
الدرية الظهور ، الفضية الكسور ، قال : فأى نوع من التّبرى أكتب وأصوب؟
قلت : البرية المستوية القطّ ، عن يمين سنّها ، برية تأمن معها الحجة عند المط^(١) ،

(١) في نسخة « عند الخط » (م) .

المواء في مَشَقِّهَا فتيق ، والريح في جوفها خريق ، والمداد في خرطومها رقيق ، قال : فبقي الأصمعي شاخصاً إلى ضاحكا لا يُحِيرُ مسألة ولا جوابا .

[من ترجمة العتابي وأدبه وأخباره]

والعتابي : هو كلثوم بن عمرو بن الحارث التغلبي ، يُكْنَى أبا عمرو ، قال أبو عثمان الجاحظ : كان العتابي ممن اجتمع له الخطابة ، والبيان ، والشعر الجيد ، والرسائل الفاخرة ، وعلى ألفاظه وحذوه يقول في البديع جميع من يتكلف ذلك من شعراء المولدين كنجو منصور النمرى ، ومسلم بن الوليد الأنصاري ، وأشباههما ، وكان العتابي يَحْتَذِي حَذُو بَشَارِ فِي البديع ، ولم يكن في المولدين أجودُ بديعاً من بشار وابن هرمة .

والعتابي من ولد عمرو بن كلثوم ابن مالك بن عتاب بن سعد ، ولذلك قال :

إني امرؤُ هدم الإقتر مأثرتي واجتاح ما أبدت الأيام من خطري
أنا ابنُ عمرو بن كلثوم يسوده حياً ربيعة والأحياء من مضري
أرومة عطلتني من مكارمها كالقوس عطلها الرامي من الوتر

وكان صاحبَ بديهة في المنظوم والمنثور ، حسن العقل والتمييز ، والعربُ تقول : من تَمَّتْ رجلاً حسنَ العقل ، حسنَ البيان ، حسنَ العلم ، تَمَّتْ شيئاً عسيراً . وقد اجتمع ذلك كله للعتابي .

وعاتبه يحيى بن خالد على لباسه ، وكان لا يُبَالِي أَي ثوبيه ابتذل ! فقال : أبعد الله رجلاً مهمته أن يكون جماله في لباسه وعطره . إنما ذلك حظُّ النساء ، وأهل الأهواء ، حتى يرفعه أكرهه : همته ، ولبه ، ويعلو به معظاه : إسانه ، وقلبه .

ودخل على الرشيد فقال : تكلم يا عتّابي ! فقال : الإيناس قبل الإبناس ، لا يمدحُ المرءُ بأولِ صوابه ، ولا يُذمُّ بأولِ خطئه ؛ لأنه بين كلامِ زورِهِ ، أو عيٍّ حصرِهِ .

وذكر أبو هفّان أن الرشيد لقيه بعد قتل جعفر بن يحيى وزوال نعمته ، فقال : ما أخذت بعدُ يا عتّابي ؟ فأشده ارتجالاً :

تلومُ على تركِ العنيِّ باهليّةً طوى الدهرُ عنها كلَّ طرفٍ وتألّد
رأت حولها النسوان يرفلن في الكسا منظمةً أجيادها بالقلائد
أسركُ أني نلتُ ما نال جعفرُ من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصني مغصهما بالمرهفاتِ البوارِدِ
فإن رفيعات المعالي مشوبةٌ بمستودعاتٍ في بطونِ الأساودِ

وكان متحرّفاً عن البرامكة ، وفيهم يقول :

إنَّ البرامِكَ لا تنفكُ أنجيّةً بصفحة الدّين من نجواهم ندبٌ (١)
تجرمتَ حججٌ منهم ومُنصلهم مضرّج بدم الإسلام محتضبٌ (٢)

واجتاز عبد الله بن طاهر بالرقّة بمنزل العتّابي ، فقال : أليس هذا منزل كلثوم ابن عمرو ؟ قيل : نعم ، فثنى رجله ، ودخل إليه ، فألفاه جالسا في بيتِ كتبه ، فحادثه وذاكره ، ثم انصرف ، فتحدّث الناسُ في ذلك ، وقالوا : إن الأمير لم يقصدهُ ، وإنما اجتاز به فأخطر ذلك الزيارة ، فكتب إليه :

يا مَنْ أفادتنى زيارتهُ بعدَ الخمولِ نباهةَ الذكرِ
قالوا الزيارةُ خطيرةٌ خطرت ومجازَ خطركَ ليس بالخطرِ
فادفعْ مقاتلهم بثالثة تستنفدِ المجهودَ من شكري

(١) أنجيّة : متناجين متسارين . والندب : الجروح (م)

(٢) تجرمت : مضت وانقضت ، وفي نسخة «تصرمت» والمنصل : السيف (م) .

لا تجعلَنَّ الوترَ واحدةً إنَّ الثلاثَ تنمُّه الوترُ

فبعثته الأبياتُ إلى أن زارَهُ ثلاثاً .

وكان يميل إلى المأمون ، فلما خرج المأمون إلى خراسان شيَّعه حتى وصل معه إلى سندان ^(١) كسرى ، فقال له المأمون : سألتك بالله يا عتَّابى إلا عملتَ على زيارتنا إن صار لنا من هذا الأمر شيء ، فلما ولي المأمون الخلافة ، ودخل بغداد سنة أربع ومائتين توصلَّ إليه العتَّابى ، فلم يمكنه الوصول ، فقال للماضى يحيى بن أكرم : إن رأيتَ أن تُعلمَ أميرَ المؤمنين بمكانى ! فقال : لستُ بحاجب ! قال : قد علمت ، ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوان ! فقال : سلكتَ بى غير طريق ! قال : إن الله تعالى أحقك بحاجٍ ونعمة ، وهما يقيمان عليك بالزيادة إن شكرت ، والتغيير إن كفرت ، وأنا اليوم لك خيرٌ منك لنفسك ؛ أدعوك لما فيه زيادة نعمتك ، وأنت تاتى ذلك ؛ ولكلِّ شيء زكاة ، وزكاةُ الجاهِ بذلُه للمستعين ، فدخل يحيى على المأمون فقال : أجرتنى من لسان العتَّابى ، فلها عنه ، ولم يأذن له ، فلما طال عليه كتب إليه :

ما على ذلك افترقنا بسندا ن ولا هكذا عهدنا الإخاء

لم أكن أحسب الخلافة يزدا د بها ذو الصفاء إلا صفاء

تضرب الناس بالثقفة السمر على غدريهم وتنسى الوفاء

يعرِّض بقتله لأخيه على غدريه ، ونكته لما عقد الرشيد ؛ فلما قرأ المأمون والأبيات أمر أن يدخَلَ عليه . فلما سلم قال : يا عتَّابى ، بلغتنى وفادتك فسررتنى ، وقد كانت بلغتنى وفاتك فساءتني ، وإنى لحرى بالغم لبعدك ، والسرور بقربك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو قسم هذا الكلام على أهل الأرض لوسمهم عدلاً

(١) هكذا ، وربما كانت « سنداد كسرى » (م) .

وأعجزهم شكراً ، وإن رضاك لغاية المنى ؛ لأنه لا دين إلا بك
إلا معك ، قال : سألني ، قال : يدك بالعطية أطلق من لساني بالمسألة ،
بمخمين ألفا .

وقال العتابي وودّع جارية له :

ما غنّاه الحِذَارِ والإشفاقِ وشأيب دَمَعِكَ المَهْرَاقِ
ليس يَقْوَى الفؤادُ منك على الله دُءٌ ولا مقلتاً طليحِ المآقِ
غدرات الأيَّامِ منزعَاتُ ما غنمنا من طول هذا العناقِ
إن قضَى اللهُ أن يكون تَلَاقِ بعد ما قد ترين كان تَلَاقِ
هوِّي ما عليك وأقنى حَيَاءِ لست تبقين لي ولست بيباقِ
أينا قدّمتْ صروفُ المنايا فالذي أخرجتْ سريعُ اللحاقِ
ويدُ الحادِثاتِ رهنُ بمرِّ تِ من العيشِ مُصْبِرَاتِ المذاقِ
عُرٌّ مَنْ ظن أن يفوت المنايا وعُراها قلائدُ الأعناقِ
كم صفيينِ متعاً بانفاقِ ثم صارا لغربةٍ وافتراقِ
قلت للفرقدين والليل ملقِ سُودَ أكنافه على الآفاقِ
ابقياً ما بقيتا سوف يُرمى بين شخصيكما بسهمِ الفِراقِ
بينما المره في غضارة عيش وصلاحِ من أمره واتفاقِ
عظفتْ شدّةُ الزمانِ فأدَّتْـه إلى فاقةٍ وضيقِ خِنَاقِ
لا يدومُ البقاءُ للخلقِ لكنَّ دوامَ البقاءِ للخلاقِ

وقال في الرشيد :

إمامٌ له كفّ تضُمُّ بنائُها عصا الدين ممنوعاً من البري عودُها

وعينٌ محيطٌ بالبرية طَرَفُهَا سواها عليها قُرْبُهَا وبعيدُها
وقال فيه :

رعى أمة الإسلام فهو إمامها وأدى إليها الحق فهو أمينها
مقيمٌ بمستن الفلاحيثُ تلتقى طوارقُ أبقارِ الخطوبِ وعونها

وكان منصور النمرى سعى به إلى الرشيد فخافه ، فهرب إلى بلد الروم . وله
قصائد يمتدِّرُ فيها جيدةً مختارةً ، وهو مشبهٌ في حسن الاعتذار بالنابعة الذبياني ،
ومن جيدِ اعتذاره قوله للرشيد ، ويقال : بل قالها على لسان عيسى بن موسى
الهاشمي يخاطب الرشيد :

جعلتُ رجاءَ العفوِ عذراً وشبتهُ
وكنتُ إذ ما خفتُ حادثَ نبوةٍ
فأنزلَ بي هجرانك اليأسَ بعدما
أظلُّ ومرَّ عاىَ الجديبُ مكانه
ولم يثن عن نفسى الردى غير أنها
هى النفسُ محبوسٌ عليك رجاؤها
وتحت ثياب الصبر منى ابن لوعةٍ
فتى ظفرتُ منه الليالى بزلةٍ
حنانيكِ إنى لم أكنُ بعتُ عزةً
فقد سُميتى المجران حتى أدقتنى
فها أنا مقصى فى رضاك ، وقابضٌ
ومنزِعٌ عما كرهتُ وجاعلٌ

بهيةٍ إماماً غافراً أو معاتب
جعلتك حِصناً من حِذارِ النوائب
حلتُ بوادٍ منك رَحْبِ المشارب
وأوى إلى حافاتٍ أ كدرَ ناصب
تنوء بياق من رجائك نائب^(١)
مقيدة الآمالِ دون المطالب
بظلٌّ ويُمسى مستلين الجواب
فأقلعن عنه دَامياتِ الخالب
بذلٍ ، وأحرزتُ المنى بالمواهب
عقوبة زلاتى وسوء مناقب
على حدِّ مصقولِ الذابيين قاصب
هواك مثالا بين عيني وحاجبى

(١) تنوء به : يثقل عليها ، وفى نسخة « شوب » وثائب : راجع (م)

وفي هذه القصيدة مما يختار أهل الصناعة :

وأشعثَ مشتاقَ رمى في جفونه
سحبت له ذيلَ الشرى وهو لا يس
ومن فوق أكوارِ المهاري لبانة
وكلُّ فتى عادته قصر شوقه
يسرَّ الهوى لم يُبده نعت فرقة
إذا أدرع الليلى أنجلى وكأنه
يركب ترى كسر الكرى في جفونهم
وقال أيضاً :

لورأتني بذى المجارة فرداً
أظنيء الحزن بالدموع إذا ما
خاشع الطرف قد توشحنى الضر
تربُّ بُوسٍ أخاصوم كأن ال
وكانى استشعرت ما لفظ النا
أنصدى الردى وأدرع الليلى
حظَّ عيني من الكرى خفقات
أوحش الناس جانبي فما آ
قد رددت الذى به أنقى النا
فاستهلت على تمطرني الشو
وقال :

أما راع قلبَ العامرية أنى غدوت ومرجوعُ السقامِ قرينى

(١) فى نسخة «بذى المجارة» وفى أخرى «بذى المجادة» وابنه الفلاة : الناقة (م)

وقال :

أَكْتَمْتُ لَوَعَاتِ الْهَوَىٰ وَبَيَّنَّهَا تَحَلَّلَ مَاءَ الشُّوقِ بَيْنَ جُفُونِي
ومطروفة الإنسان في كل لوعة لها نظرةٌ موصولةٌ بجنين

[من آداب آل وهب]

وقال الحسن بن وهب بن سعيد :

أَبْكُ فَمِنْ أَحْسَنِ مَا فِي الْبَكْيِ أَنْ الْبَكْيَ لِلْوَجْدِ تَحْلِيلُ
وهو إذا أنت تأملتَهُ حزن على الخدين محلول

وقد أعرق بنو وهب في الكتابة وأحبوا ، ولهم في هذا الكتاب ما يشهد

لهم بما نسب إليهم ، وفيهم يقول الطائي :

كُلُّ شَعْبٍ كُنْتُمْ بِهِ آلَ وَهَبٍ فَهُوَ شَعْبِي وَشَعْبُ كُلِّ أَدِيبٍ ^(١)
إِنْ قَلْبِي لَكُمْ كَالْكَبِدِ الْحَرَّى وَقَابِي لِعَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ

وفي هذه القصيدة يقول في مدح سليمان بن وهب :

مَا عَلَى الْوُسْجِ الرَّوَاتِكِ مِنْ عَيْبٍ إِذَا مَا أَنْتَ أَبَا أَيُّوبِ
حَوْلَ لَا فِقَالَهِ مَرْتَعُ الدَّمِّ وَلَا عَرَضُهُ مَنَاخُ الْعُيُوبِ

واجد بالصديق من برحاء الشوق وجدان غيره بالحبيب

أخذ سليمان منه معنى هذا البيت الأخير ، فقال في رسالة لبعض إخوانه :

ظرفُ الصداقة ، أرقٌ من ظرف العلاقة ، والنفس بالصديق ، آنس منها

بالشقيق . فقال له أبو تمام : كلامك هذا أرق من شعري .

والحسن بن وهب حسن الشعر والبلاغة ، جيد اللسان ، حلو البيان ، وكان

يحب بنان جارية محمد بن حماد ، وله فيها شعر جيد ، ولها يقول :

(١) أصل هذا هو قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوسلك الناس

شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكك شعب الأنصار » (م)

(٢) الوسج : جمع واسجة ، وهي الناقة السريعة السير ، والرواتك : جمع

راتكة وهي متقاربة الخطو (م)

أقول وقد حاولتُ تقبيلَ كفِّها وبى رِعدةً أهترُّ منها وأسكن
 ليهنئك أنى أشجعُ الناسِ كلِّهم لدى الجربِ إلا أنتى عنك أجبنُ
 وحضرتُ مجلسه وبين يديه نارفامرتُ بإزالتها ، فقال :

بأبى كرهتُ النارَ حتى أبعدتُ فعلمتُ ما بمعناكِ فى إبعادها
 هى ضرةٌ لكِ فى التماعِ ضيائها وهبوبِ نَفَجَتِها لدى إيقادها
 وأرى صنيعك فى القلوبِ صنيعها بسِيالها وأراكها وعِرادها^(١)
 شركتكِ فى كلِّ الأمورِ بفعلها وضيائها وصلاحها وفسادها
 وإلى هذا ينظر قول الأمير تميم بن المعز :

ما هجرتُ المدامَ والوردَ والبِد رَ بطَوَّعٍ ، لكن برغمٍ وكُرهِ
 منعنى من الثلاثة من لَوِّ قتلتنى لم أحكِ والله من هِى
 قالت الوردُ والندامةُ والبِد رُ ضيائى ولونُ خدى ووجهِى
 قلت بخلاً بكلِّ شىءٍ فقالت لا ولكن بختِ بى وبِسبهِى
 قلت يا أيتنى شبيهُكِ قالت إنما يقتل الحبَّ التَشَهِّى

ولاسمات الحسين بن وهب - وكان موته بالشام - عُزِّى عنه أخوه سليمان
 فجاء أبو العيناء ، فقال : أنشدنى أبو سعيد الأصمعى :

لعمرى لنعمَ امرءٍ من آلِ جعفر بجوران أسمى أعلقته الحبالُ
 لقد فقدوا عِزُّماً وحرماً وسؤدداً وعالماً أصيلاً خالفته الجاهلُ
 فإن عشتَ لم أملل حياتى وإن تمت فما فى حياتى بعد موتك طائلُ

فقال سليمان : أحسن الله جزاءك ، ووصل إخاءك ، إن هذا من أحسن
 الشعر ، وقد تمثل به قتيبة حين بلغه موتُ الحجاج ، ولكنى أقول كما قال كعب
 ابن سعد الغنوى يرثى أخاه أبا الغوار :

(١) السيال - بزنة السحاب - شجر سبط الأغصان ، والأراك : الشجر الذى
 تصخذ من أغصانه المساويك ، والعراد : شجر سلب ، واحدته عمادة .

أخى ما أخى لا فاحشٌ عند بَيْتِهِ ولا وَرَعٌ عند اللقاء هَيُوبُ
 حلِيمٌ إذا ما سَوْرَةَ الجَهْلِ أَطْلَقَتْ حُبِّي الشيب ، للنفس الأَجُوجِ غَلُوبُ
 حبيبٌ إلى الزَّوَارِ غَشِيَانُ بَيْتِهِ جميل الحَيَا شَبٌ وهو أَرِيبُ
 إذا ما تَرَاَهُ الرِّجَالُ تَحَفَّظُوا فلم تُنطَقِ العَوْرَاهُ وهو قَرِيبُ

فانصرف الناس يعجبون من علم سليمان ، وحسن جوابه ، وصحة تمثله .
 والأبيات التي أشدها الأصمعي للحطيئة ، واسمه جَرَوَلُ بن أَوْس بن جُوَيَّةَ
 ابن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيفة بن عَبَس بن بَغِيض ، يقولها في علقمة
 ابن عَلَانَةَ وفيها يقول :

فما كان يبنى لولقيتك سالما وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل
 قال سليمان بن وهب : لما جار علينا بالنكبة السلطان ، وجفاناً من أجلها
 الإخوان ، أنصفنا ابن أبي دُوَادٍ بتطوُّله ، وكفانا الحاجة إليهم بتفضله ، فكنا
 وإياه كما قال الحطيئة :

جاورتُ آلَ مَقْلَدٍ فَحَمِدْتُهُمْ إذ لا يكادُ أخو جوار يُحْمَدُ
 أيامَ مَنْ يُرِدُ الصَّنِيعَةَ يَصْطَنِعُ فينا ، وَمَنْ يُرِدُ الزَّهَادَةَ يَزْهَدُ
 وله فصل إلى بعض إخوانه :

لك أن تعتب ، وشبيهك أن يعذر ؛ فهب أقل الأمرين لأكثرهما ، وقدم
 فضلك على حَقِّكَ ، وبقينك على شَكِّكَ .

ووصف رجلاً بليغاً فقال : كان والله واسع المنطق ، جَزَلُ الألفاظ ، ليس
 بالهذِرِ في لفظه ، [ولا المظلم في مقصده ؛ معناه إلى القلم أسرع من لفظه إلى السَّمْعِ] .
 وهذا ضد قول محمد بن عبد الملك الزيات في عبيد الله بن يحيى بن خاقان :
 هو مهزول الألفاظ ، غليظ المعاني ، سخيْفُ العقل ، ضعيف العقدة ، واهي
 العزم ، مأفونُ الرأى

ألفاظ لأهل العصر في ذم الكتاب والكتاب والذم والشعر

الخرسُ أحسنُ من كلامه ، والعَيَّ أبغُ من بيانه ، حاطره يَنْبُو ، وقله يَكْبُو ، ويسهو ويغلاظ ، ويخطيء ويُسْقِط . هو قصير باع الكتابة ، قاصر سعى الخطابة ، وكتبه مضطربة الألفاظ ، متفاوتة الأبعاض ، منتشرة الأوضاع ، متباينة الأغراض . الجلمُ أولى بكفه من القلم ، والطَّاسُ أليقُ بها من القرطاس . كلامٌ تنبو عن قبوله الطباع ، وتتجافى عن استماعه الأسماع . ألفاظٌ تَنْبُو عنها الأذان فتمجِّبها ، وتنكرها الطباع فتزُجُّها . كلام لا يَرْفَعُ الطبعُ له حجاباً ، ولا يفتحُ السمعُ له باباً . كلام يَصْدِي^(١) الرِّيان ، ويصدىء الأفهام والأذهان . كلام قد تعمَل فيه حتى تبدل ، وتكَلَّف حتى تعسَّف . طبع جاس ، ونفط قاس ، لاساغ له في سَمْع ، ولا وصول له مع خلوذرع . كلام لا الروية ضربت فيه بسهم ، ولا الفكرة جالت فيه بقُدح . كلام تتعَثَّرُ في حزونه ، وتتحير الأفهامُ من عُورته . كلمات ضعيفة الإلتقان ، قليلة الأعيان ، مضمحلَّة على الامتحان . ألفاظ تستعارُ من الدياجي ، ومعان تقدرُ من الأثافي . كلام بمثبه ينسلي الأخرس عن كلمه ، ويفرح الأصم بصممه ، أثقل من الجندل ، وأسرَّ من الخنظل ، هو هذيان المحموم ، وسوداء الهموم . كلام رث ، ومعنى غث ، لا طائل فيهما ، ولا طلاوة علمها . أبيات ليست من محكم الشعر وحكمه ، ولا من أحجال الكلام وغرره . شعر ضعيف الصنعة ردىء الصيغة بغيض الصفة [وقد جمع بين إقواء^(٢) وإيطاء ، وإيطاء وإخطاء . ما قطع في شعره شَعْرَةٌ] ولا سقى قطرة . لو شعر بالنتص ، ماشعر .

(١) الصدى : العطش ، وأصداءه : أعطشه ، ولربان : الممتلىء ريا (م) .

(٢) الإقواء والإيطاء : ضربان من عيوب الفاقية ، فالإقواء : هو تغير حركات

الروى ، والإيطاء : إعادة كلمة الروى لفظاً ومعنى (م)

لا يميز بين خبيث القول وطيبه ، ولا يفرق بين بكره وثيبه . هو باردُ العبارة ، ثقيل الاستعارة . هو من بين الشعراء منبوذ بالعرءاء . لم يلبس شعره حلةً الطلاوة . له شعر لا يطيب دَرَسُه ، ولا يخف سَرَدُه ، وخطُّ مضطرب الحروف ، متضاعف التضعيف والتجريف . خطُّ يُقَدِّى العين ويُسجى الصدر . خط منحنٍ ، كأنه أرجل البط ، وأنامل السرطان ، على الحيطان . قلمه لا يستجيب بريه ، ومداده لا يساعد جريه . قلمه كالولد العاق ، والأخ المشاق ، إذا أدرته استطال ، وإذا قومه مال ، وإذا بعثته وقف ، وإذا وقفته انحرف . قلم مائل الشق ، مضطرب المشق ، متفاوت [البرى ، معدوم الجزى ، محرف القط . قلم لم يُقَلِّم ظفره فهو] يחדش القرطاس ، وينقش الأقباس^(١) ، ويأخذ بالأنفاس . قلم لا يُبعث إذا بعثته ، ولا يقف إذا وقفته . قد وقف اضطرابُ [بريه ، دون استمرار] جريه ، واقتطع تفاوت قطه ، عن تجويد خطه .

[وصف الكلام]

ذكر عتبة بن أبي سفيان كلام العرب فقال : إن للعرب كلاماً هو أرق من الهواء ، وأعذب من الماء ، سرق من أفواههم مروق السهام من قسيها ، بكلمات مؤتلفات ، إن فسرت بغيرها عطلت ، وإن بدلت بسواها من الكلام استصعبت ؛ فسهولة ألفاظهم توهبكم أنها ممكنة إذا سمعت ، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طلبت . هم اللطيف فهمهم ، النافع علمهم ، بلغتهم نزل القرآن ، وبها يدرك البيان ، وكلُّ نوع من معناه مبين لما سواه ، والناس إلى قولهم يصيرون ، وبهداهم يأتون ، أكثر الناس أحلاماً ، وأكثرهم أخلاقاً . وكان يقال : خير الكلام المُطْمِعُ الممتنع .

وصف كلام
العرب لعتبة
ابن أبي سفيان

(١) الأقباس : جمع نقس - بكسر النون وسكون القاف - وهو المداد

وأشد إبراهيم بن العباس الصُّوليُّ نخاله الغباس بن الأحنف :

إليك أشكوب ما حلّ بي من صدِّ هذا العاتب المذنب
 إن قال لم يفعل ، وإن سبيل لم يبذل ، وإن عُوتب لم يُعتب
 صبَّ بعصيانى ، ولو قال لى لا تشرب البارد لما أشرب

ثم قال : هذا والله الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، العذب المستمع ،
 الصعب الممتنع ، العزيز النظير ، القليل الشبيه ، البعيد مع قرّبه ، الحزن مع
 سهولته ، فجعل الناس يقولون : هذا الكلام أحسن من الشعر .

وقال أبو العباس الناشئ يصف شعره :

الناشئ

يصف شعره

يتحير الشعراء إن سمعوا به في حُسن صنعته وفي تأليفه
 فكأنه في قرّبه من أفهمهم ونكولهم في العجز عن ترصيفه
 شجره بدأ للعَيْن حُسن نباته ونأى عن الأيدي جنى مقطوفه
 فإذا قرنت أبيه بمطيعه وقرنته بغيريه وطريفه
 ألفت معناه يطابق لفظه والنظم منه جليّه بلطيفه
 فأناه متسماً على إحسانه قد نيظ منه رزينه بخفيفه
 هذبته فجعلته لك باقيا ومنعت صرف الدهر عن تضرّيفه

الناشئ

في الشعر

وقال الناشئ في فصل من كتابه في الشعر : الشعر قيّد الكلام ،
 وعقل الآداب ، وسور البلاغة ، ومعدن البراعة ، ومجال الجنان ، ومسرح البيان ،
 وذريعة التوصل ، ووسيلة التوصل ، وذمام الغريب ، وحرمة الأديب ، وعِصمة
 المهارب ، وعدة الراهب ، ورحلة الداني ، ودوحة المتمثل ، وروحة المتحمل ،
 وحاكم الإعراب ، وشاهد الصواب .

وقال في هذا الكتاب : الشعر ما كان سهلاً المطالع ، فصل المقاطع ، فخل

اللدیح ، جَزَلِ الافتخار ، شَجَى النَّسِيبِ ، فِيسِكَ الغزل ، سَأَرَ المثل ، سليم الزلل ،
 عديم الخلل ، رائع الهجاء ، موجب المذرة ، مُحَبِّبِ المعنبة ، مُطْمِعِ المسالك ،
 فانت المدارك ، قريب البيان ، بعيد المعاني ، نَأَى الأغوار ، ضاحي القرار ، نقي
 المستشف ، قد هُرِيقَ فيه ماء الفصاحة ، وأضاء له نور الزجاجة ، فانهل في صادي
 الفهم ، وأضاء في بهمِ الرأي . لتأمله ترقق ، ولستشفه تألق ، يروق التوسم ،
 ويسر المترسم ؛ قد أبدت صدوره مُتُونَه ، وزهت في وجوهه عيونَه ، وانقادت
 كواوله لهواديَه ، وطابقت [ألفاظه معانيه ، وخالفت أجناسه مبانيه ، فاطرد
 لتصفحه ، وأنار] لمستوضحه ، وأشبه الروض في وشى ألوانه ، وتعمم أفنانه ،
 وإشراق نواره ، وابتهاج أنجاده بأغواره ؛ وأشبه الوشى في اتفاق رُقُومِه ، واتساق
 رُسُومِه ، وتسطير كفوفه ، وتخبير فُوفِه ؛ وحكى العقد في الثمام فُصولِه ، وانتظام
 وُصولِه ، وازديان ياقوته بُدُرِه ، وفريده بَشْدُرِه ، فلوا كتف الإيجاز موارده ،
 وصقلت مداوس الدرّة مناصله ، وشحذت مدارس الأدب فيأصله ، جاء سليما
 من الغائب ، مهذباً من الأدناس ، تتحاشاه الأبن ، وتتحاماه الهجن ، مُهْدِياً إلى
 الأسماع بهيجته ، وإلى العقول حكمته .

وقد قلت في الشعر قولاً جعلته مثلاً لقائليه ، وأسلو بسالكيه ، وهو :

الشعر ما قومت زينغ صدوره	وشددت بالتهذيب أسر متونه
ورأبت بالإطاب شعب صدوعه	وفتحت بالإيجاز غور عيونه
وجعت بين قريبه وبعيده	ووصلت بين مجمه ومعينه
وعقدت منه لكل أمر يقتضى	شبهاً به فقرنته بقرينه
فإذا بكيت به الديار وأهلها	أجريت للمحزون ماء شئونه
وولكنه بهومه وغومه	دهراً فلم يسر الكرى بجفونه

لغولف في
 الشعر

وإذا مدحت به جواداً ماجداً
 أصفيته بنفيسه ورصينه
 فيكون جزلاً في اتفاق صنوفه
 وإذا أردت كناية عن ريبية
 جعلت سامعه يشوب شكوكه
 وإذا عتبت على أخ في زلة
 فتركته مستأنساً لدمائه
 وإذا نبذت إلى التي علقها
 تيمتها بلطيفه ورقيقه
 وإذا اعتذرت إلى أخ في زلة
 فيحور ذنبك عند من يعتده
 والقول يحسن منه في منشوره
 وليس يحسن منه في مؤزونه
 وقضيته بالشكر حق ديونه
 ومنحته بخطيره وثمينه
 ويكون سهلاً في اتساق فنونه
 باينت بين ظهوره وبطونه
 ببيانه وظنونه بيقينه
 أدمجت شدته له في لينه
 مستئساً لوعونه وحزونه
 إن صار ممكناً بفاتنات شتونه
 وشغفتها بحقيقته وكينه
 واشكت بين محيله ومبينه
 عتبا عليك مطالباً بيمينه
 ما ليس يحسن منه في مؤزونه

وقال الخليل بن أحمد : الشعراء أمراء الكلام ، بصرفونه أنى شاءوا ؛ للخليل بن أحمد
 في الشعراء
 وجاز لهم ما لا يجوز لغيرهم : من إطلاق المعنى وتقييده ، ومن تصريف اللفظ
 وتقييده ، ومدّ مقصوره ، وقصر ممدوده ، والجمع بين لغاته ، والتفريق
 بين صفاته

وقال : الشعر حلية اللسان ، ومدرجة البيان ، ونظام الكلام ، مقسوم
 غير محذور ، ومشارك غير محصور ، إلا أنه في العرب جوهرى ، وفي
 العجم صناعى .

بين أعرابى
 وفارسى

قال أعرابى لشاعر من أبناء الفرس : الشعر للعرب ، فكل من يقول
 للشعر منكم فإنما نزا على أمه رجل منا ! فقال الفارسى : وكذلك من لا يقول
 للشعر منكم ، فإنما نزا على أمه رجل منا !

لعارة بن عقيل وللجاحظ
وقال عمارة بن عقيل : أجود الشعر ما كان أمّلس المتون ، كثيرَ العيون ،
لا يمجّه السمع ، ولا يستأذنُ على القلب . وأنشد الجاحظ شعرَ أبي العتاهية فلم
يرضه ، وقال : هو أمّلس المتون ، ليس له عيونٌ . كأنه وعمارة تجاذبا
كلاماً واحداً .

وقال ابن عقيل : الشعرُ بضاعةٌ من بضائع العرب ، ودليلٌ من أدلّة
الأدب ، وأثارة من أثارات الحسب . ولن يهز الشعرُ إلا الكريمَ المختد ،
الكثير السؤدد ، الكلفِ بذكرِ اليومِ والغد .

ومدح بشار المهدي فلم يُعطه شيئاً ، فقيل له : لم تُجد في مدحه . فقال :
لا والله ، لقد مدّخته بشعرٍ لو قلت مثله في الدهر لما خيف صرفه على حرٍّ ،
ولكني أكذبُ في العمل ، فأكذبُ في الأمل .

لبشار وقد
مدح المهدي
فلم يجزه

نظمه الناجم فقال :

ولى فى أحمدٍ أملٌ بعيدٍ ومدحٌ حين أنشده طريفُ
مدائحٍ لو مدحتُ بها الليالى لما دارتُ على لها صرفُ

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : صِف لي جريراً والفرزدق والأخطل ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، أما أعظمهم فخراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عذراً ،
وأسيئهم مثلاً ، وأقلمهم غزلاً ، وأحلامهم عيلاً ، والبحر الطامى إذا زخر ، والحامى
إذا دعر ، والسامى إذا خطر ، [الذى إذا هدر جال ، وإذا خطر صال ، الفصيح
اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلمهم
فوتاً ، الذى إن هجا وضع ، وإن مدح رَفَع ، فالأخطل . وأما أغزرهم بحراً ،
وأرقهم شعراً ، وأكثرهم ذِكراً ، الأغرّ الأبلق ، الذى إن طلب لم يُسبِق ، وإن
طلب لم يُلحَق ، فجرير . وكلّهم ذكىّ الفؤادِ ، رفيع العماذ ، وارى الزناد .

خالد بن صفوان
يصف جريراً
والفرزدق
والأخطل

قال مسلمة بن عبد الملك ، وكان حاضراً : ما سمعنا بمثلك يا ابن صفوان في الأولين
ولا في الآخرين ، أشهدُ أنك أحسنهم وصفاً ، وأليئهم عطفاً ، وأخفهم مقالا ،

وأكرمهم فعلاً . فقال خالد : أتم الله عليك نعمه ، وأجزل لك قسمه . أنت والله أيها الأمير - ما علمت - كريمُ الغراس ، عالمٌ بالناس ، جوادٌ في المخل ، بسامٌ عند البذل ، حلِيمٌ عند الطيشِ ، في الدرّوة من قريش ، من أشرف عبد شمس ، ويومك خيرٌ من الأمس .

فضحك هشام وقال : ما رأيت مثلك يا ابن صفوان لتخلصك في مدح هؤلاء ، ووصفهم ، حتى أرضيتهم جميعاً وسأمت منهم .

بين العجاج
وعبد الملك
بن مروان

ودخل العجاجُ على عبد الملك بن مروان فقال له : بلغني أنك لا تُحسِن الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ قَدَّر على تشييد الأبنية ، أمكنه خرابُ الأخبية ، قال : ما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عزًّا يمنعنا من أن نُظلمَ ، وحِلماً يمنعنا من أن نَظلمَ ، قال : لكلماتك أحسنُ من شعرك ! فما العزُّ الذي يمنعك أن تُظلمَ ؟ قال : الأدب [البارع ، والفهم الناصع . قال : فما الحِلْمُ الذي يمنعك من أن تُظلمَ ؟ قال : الأدب] المستطرف ، والطبع التآلد ، قال : لقد أصبحت حكيماً . قال : وما يمنعني من ذلك وأنا نَجِيٌّ أمير المؤمنين ؟

قال أبو إسحاق : وليس كما قال العجاج ، بل لكثير من الشعراء طباع تُذُبو عن الهجاء كالطائي وأضرابه ، وأصحابُ المطبوع أقدروا عليه من أهل المصنوع ، إذ كان الهجو كالنادره التي إذا جرت على سجيّة قائلها ، وقربت من يدٍ متناولها ، وكان واسع العطن ، كثير الفطن ، قريب القلب من اللسان ، التهبت بنار الإحسان .

المقامة القرظية
من مقامات
البيديع يصف
الشعراء

وما يَنحُو هذا النحو من مقامات أبي الفتح الإسكندري إنشاء بديع الزمان قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : طرحتني النوى مطارحها ، حتى إذا وطئتُ جُرْجان الأُفصى ، فاستظهرتُ على الأيام بضياعٍ أجلتُ فيها يدَ العِمارة ، وأموالٍ وقفها على التجارة ، وحاووتُ جعلته مَثابَةً^(١) ، ورفقة اتخذتهم صحابة ، وجعلتُ للدار حاشيتي النهار ، والحنوتِ ما بينهما ؛ جلسنا يوماً تتداكرُ الشعر والشعراء ،

(١) الحانوت : دكان الحمار ، ومثابة : مكان يرجع إليه كلما أراد .

وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد ، يُنصت وكأنه يفهم ، ويسكت وكأنه لا يعلم ، حتى إذا مال الكلامُ بنا مثله ، وجَرَ الجدالُ فينا ذيله : قال : أصبتم عذيقه^(١) ، ووافيتم جُدَيْله ، ولو شئتُ للفظت [فأفضت] ، ووأردت لسردت ، ووجهت الحقَّ في معرض بيانٍ يُسمعُ الصم ، ويُنزِلُ العُصم . فقلت : يا فاضل ، أذنُ فقد منَّيتَ ، وهات فقد أنثيت ، فدنا وقال : سلوني أجيبكم ، واستمعوا أعجبكم .

قلنا : فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : هو أول من وقف بالديار وعَرَصاتها ، واغتدى والطيرُ في وُكُنَّاتها ، ووصف الخليلَ بصفاتِها ، ولم يقل الشعرَ كاسِبا ، ولم يُجدِ القولَ راغبا ، ففضل من تفتقَّ لِلاَحِيلَةِ لسانه ، وانتجعَ للرغبةِ بناه .
قلنا : وما تقول في النابغة ؟ قال : ينسب إذا عَشِقَ ، ويُمَلَّبُ إذا حَنِقَ ، ويمدح إذا رَغِبَ ، ويعتذر إذا رَهَبَ ، فلا يرمى إلا صائبا .

قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنز القوافي ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرارُ دقائه ، ولم تطلق عتاق خزائنه .
قلنا : فما تقول [في زهير] ؟ قال : يُذيب الشعرَ والشعرُ يذِيبه ، ويدعو القولَ والسَّحْرُ يُجِيبه .

قلنا : فما تقول [في جرير والفرزدق] ؟ وأيهما أسبق ؟ قال : جرير أرق شعرا ، وأغزر غزرا ، والفرزدق أمتنُ صخرا ، وأكثر فخرا ، وجرير أوجع هجوا ، وأشرف يوما ، والفرزدق أكثر روما ، وأكثر قوما ، وجرير إذا نسب أشجى ، وإذا ثلب أَرَدَى ، وإذا مدح أسنى ، والفرزدق إذا افتخر أجزى ، وإذا وصف أوفى ، وإذا احتقر أزرى .

قلنا : فما تقول في المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون اشرفُ لفظا ، وأكثرُ في المعاني حظا ، والمتأخرون أَلطفُ صنعا ، وأرقُ نسجا .

(١) عذيقه : مصغر عذق - بالكسر - وأصله النخلة يحملها

قلنا: فلو أريت من أشعارك، ورويت من أخبارك، قال: خذهما في معرض واحد، وأنشد:

أما تروني أتغشى طمرا - ملتحفا في الضمراً أمراً إمرا
 منطويا على الليلى غمرا - ملاقياً منها صروفاً حمرا
 أقصى أمانيّ طلوع الشعرى - فقد عنيناً بالأمانى دهررا
 وكان هذا الحرُّ أعلى قدرا - وماء هذا الوجه أغلى سعرا
 ضربت للسرور قبأباً خضرا - في دارٍ داراً وإوان كسرى
 فانقلب الدهر لبطنٍ ظهرا - وعاد عرف العيش عندي نكرا
 لم يبق من وفري إلا ذكرا - ثم إلى اليوم هلم جرا
 لولا عجوز لي بسر من را - وأفرخ دون جبال بصرى
 قد جلب الدهر إليهم شراً - قتلت يا سادة نفسي صبرا!

قال عيسى بن هشام: فنلتها ما تاح^(١)، وأعرض عنا فراح، وجعلت أنفيه وأثبته، وأنكره وكأني أعرفه، ثم دللتني عليه ثناياه، فقلت: الإسكندري والله! فلقد كان فارقنا خشفاً، ووافانا جلفاً^(٢)، ونهضت على إثره، ثم قبضت على خصره، وقات: ألسنت أبا الفتح؟ ألم تكن فينا وليداً، ولبنت فينا من عمرك سنين؟ فأى عجوز لك بسر من رأى؟ فضحك وقال:

ويحك هذا الزمان زور - فلا يفررتك الغرور
 غرق وبرق وكل وطرق - وأسرق وطلبق لمن تزور
 لا تلتمز حاله ولكن - در لليلى كما تدور

(١) نلته: أعطيته، وما تاح: ما تهيأ وكان حاضراً عندي (م).

(٢) الخشف - بالكسر - وله الظية، والجلف: الغليظ الجاني (م).

ومن إنشائه مقامة ولدها على لسان عِصْمَة وذى الرمة قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : بينا نحن في مجتمع لنا ومعنا يومئذ رجلُ العرب حِفْظًا ورواية عِصْمَة ابن بَدْر الفَزَارِي ، فَأَفْضَى الكلامُ إلى ذِكْرِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ حِلْمًا ، أو أَعْرَضَ عَنْهُ خَصْمُهُ احتقارًا ، حتى ذكر الصَّلْتَانِ العَبْدِيُّ واللَّعِينُ المنقري ، وما كان من احتقار جرير والفزردق لهما . فقال عصمة : سأحدثكم بما شاهدته عيني ، ولا أحدثكم عن غيري : بينا أنا أسيرُ في بلاد تميم مرتحلًا نجية ، وقائدًا جنبية ، عن لي راكبٌ على أَوْرَقِ جَعْدِ اللُّغَامِ^(١) ، فاجتاز بي رافعًا صَوْتَهُ بالسَّلام . فقلت : مَنْ الرَّاكِبُ الجَبِيرُ الكلامِ ، المحبِّي بتحية الإسلام ؟ فقال : أنا غِيْلَانُ ابن عُقْبَةَ . فقلت : مرحبًا بالكريم حَسْبُهُ ، الشهير نسبه ، السائر منطقه . فقال : رَحْبٌ وَادِيك ، وعزَّ نادِيك ، فمن أنت ؟ قلت : عصمة بن بدر الفزاري . فقال : حياك الله ، نعم الصديقُ ، والصاحبُ والرفيقُ . وسرنا فلما هَجَرْنَا قال : ألا نَعُورٌ^(٢) يا عصمة فقد صهرتْنَا الشمسُ ؟ فقلت : أنتَ وذاك ، فملنا إلى شجرات الألاء^(٣) كأنهن عذارى متبرجات ، قد نَشَرْنَ الغدائر ، وسرحن الضفائر ؛ لأنَّ نَلَاتٍ متناوحت ؛ فحطَطْنَا رِحَالَنَا ، ونَلْنَا من الطعام ، وكان ذو الرمة زهيدَ الأكل . وزال كلُّ منَّا إلى ظلِ أئمة يريد القابلة ، واضطجع ذو الرمة وأردت أن أصنعَ صنيعه ، فوليتُ ظَهْرِي الأَرْضَ ، وعيناي لا يملكها غمض ، فنظرتُ غيرَ بعيدٍ إلى ناقةٍ كَوْمَاء ، ضَحِيَّتْ وَغَبِيْطُهَا مُلَقًى^(٤) ، وإذا رجل قائمٌ يَكَاوُهَا كأنه عَسِيفٌ أو أسيف^(٥) ، فَلَمَّيْتُ عنهما ، وما أنا والسؤال عما

(١) أراد أنه يمتطي جملا ، والأورق : الذي لونه الورقة وهي بياض وسواد ، وجعد اللغام : كثير الزبد (م) .

(٢) نعور : ثقيل (م) . (٣) الألاء - كسحاب - شجر عظيم الظل (م) .

(٤) الكوماء : العظم سنامها ، وضحيَّت : أصابها الشمس بحرها (م) .

(٥) العسيف . الأجير ، والأسيف : العبد المملوك (م)

لا يَعْنِينِي ! ونام ذو الرّمة غرّاراً ، ثم انتبه ، وكان ذلك في أيام مُهاجراته لذلك المرثى . فرفع عقيرته ينشد فيه :

أظنّ به العاصِفُ الرّامِسُ	أمن مَيِّةَ الظّالِّ الدّارسُ
ومُسْتَوَقَّدُ مالِه قَابِسُ	فلم يَبْقَ إلا شَجِيحُ القَدالِ
ومحتفَلٌ دَائِرُهُ طامِسُ	وحَوْضٌ تَنَلَّمُ من جانِبِهِ
ومَيِّةٌ والإِنسُ والآنسُ	وعهدِي بِهِ وبِهِ سَكْنُهُ
يغنىّ بها العابِرُ الجالِسُ	ستأني امرأ القيس ماثورة
أظنّ به داوهُ النّاجِسُ	ألم تر أنّ امرأ القيس قد
وهل يَأْلَمُ الحَجَرُ اليابِسُ ؟	همُ القومُ لا يالَمُون الهِجاءُ
ولا لهمُ في الوغى فَارِسُ	فما لهمُ في الفلّا رَاكِبُ
فطَرَفُهُمُ المطرِقُ النّاعِسُ	إذا طَمَحَ الناسُ لله كرامات
فكل نساءهمُ عانِسُ	تعاَفُ الأكارِمُ إصهارهم

فلما بلغ هذا البيت جعل ذلك النائم يمسح عينيه ويقول : أذو الرّميمة يمنعني النوم بشعرٍ غيرٍ مثقفٍ ولا سائر . فقلت : يا غيلان ، من هذا ؟ فقال : الفريرُ ، يعني الفرزدق ، وحمي ذو الرمة :

فلم يَسْقِ مَيِّتهم راجِسُ	وأما مُجاشِعُ الأَرذَلونِ
عَقَلٌ ، ويَحْبِسُهُم حابِسُ	سَيَعْقِلُهُم عن مَساعي الكِرامِ

قلت : الآن [يشرق فيثور ، و] يعمُّ الفرزدقُ هذا وقبيله بالهجاء . فوالله ما زاد علي أن قال : قبحاً لك يا ذا الرّميمة ! أتعرضُ لمثلِي بمَنكألٍ مُنتحل ! ثم عاد في نومه كأن لم يسمع شيئاً ، وسار ذو الرمة وسيرت ، وإني لأرى فيه انكساراً حتى افترقنا .

قوله فيما ولد على الفرزدق « بمقال مُنتحل » ، يريد أن البيت الأخير منقول من قول جرير :

ألم تر أن الله أخزى مجاشعاً إذا ما أفاضت في الحديث المجالسُ
وما زال معقولاً عقلاً عن الندى وما زال محبوباً عن المجد حابسُ

عقال: ابن محمد بن [سعيد بن] مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم ، وهو جد الفرزدق . وحابس: ابن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم ، وهو أبو الأقرع بن حابس أحد المؤلفين قلوبهم .

فقر في الشعر

قيل لابن الزبيري : لم تقصّر أشعارك ؟ فقال : لأنها أعلقت بالمسامع ، وأجول في الحافل .

وقيل ذلك لعقيل بن عُلفة في أهاجيه ، فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

غيره : لسان الشاعر أرض لا تُخرج الزهر حتى تستسلف المطر ، وما ظنك بيوم الاقتصار محمود بلا فيهم ، والكذب مذموم إلا منهم . إياكم والشاعر فإنه يطلب على الكذب مئوبة ، ويقرع جلسه بأذى زلة .

أبو القاسم صاحب بن عباد : النثر يتطاير كتنطائر الشرر ، والنظم يبقى بقاء النقش في الحجر .

أبو عبيدة : الزحاف في الشعر كالرخصة في الدين ، لا يُقدم عليها إلا فقيه . وقال أبو فراس الحمداني :

تناهض الناس للمعاني لَمَّا رَأَوْا نَحْوَهَا نُهَوِّضِي
تكلّفوا المكرمات كدّاً تكلّف الشعر بالعرّوضِ

وقد مدح الجاحظ العروض وذمها ، فقال في مدحها : العروض ميزان ،
ومعارض بها يعرفُ الصحيح من السقيم ، والعليل من السليم ، وعنيها مدار الشعر ،
وبها يسلم من الأود والكسر . وقال في ذمها : هو علم مؤلّد ، وأدب مستبّرّد ،
ومذهب مرفوض ، وكلام مجهول ، يستنكر^(١) العقل بمستفعلن وفعول ، من غير
فائدة ولا محصول .

ومن مفردات الأبيات في هذا المعنى قول دعبل :

يموت رديءُ الشعرِ من قبل أهلهِ وجيّدُه يَبْقَى وإن مات قائلُه
البحترى :

أغنياً على ؛ فلا هيابةُ فرِقُ يَحْشَى الهِجَاءَ ، ولا هَشٌّ فيمتدَحُ
آخر :

[و] مما يَقْتُلُ الشعراءَ عَمَّا عداوةً من يُعَلِّلَ عن الهِجَاءِ
أحمد بن أبي فنين :

وإنَّ أحقَّ الناسِ باللؤمِ شاعرٌ يَلومُ على البخلِ اللئامَ ، وَيَبْخُلُ
وهذا كقول علي بن العباس الرومي في أبي الفياض سوار بن أبي شراة ،
وكان سوار شاعراً مجيداً :

يا مَنْ صناعته الدعاءُ إلى العِلا ناقضتَ في فِعْلِكَ أيّ نِقَاضِ
عجباً لِحِضَّاصِ الكِرَامِ على الذي هو فيه محتاجٌ إلى حِضَّاصِ
وصَفَ المكارِمِ وهوَ فيها زاهدٌ ورأى الجميلَ وفيه عنه تَعَاضِ
لم ألقَ كالشعراءِ أ كثرَ حارِضاً واشدَّ مَعْتَبَةً على الحَرَّاضِ^(٢)

(١) في نسخة « يستكد العقل بمستفعلن » وهي خير مما أثبتناه .

(٢) الحارص : الكثير الهموم .

كم فيهم من أمرٍ برشيدةٍ لم يأتها، ومرغب رفاضٍ
يا حسرتي لمودةٍ أديبةٍ لم نفتق عنها افتراقَ تراضٍ
ليس العتابُ بنافعٍ في قاطعٍ أغيا المشيبُ تتابعَ المقراضِ

ثم قال بعد هذا التبكيت والعتاب ما منعه أن يتوهّم أنه هجاه :

ولمّا هجوتك، بل وعظمتك إنّي لا أجعلُ الأعراضَ كالأغراضِ^(١)
فاكفّفِ مهمامك عن أخيك فإنما آسفته، فرمّاك بالمعرّاضِ
فمتى حامت ووجدت أحنفَ دهره ومتى جهلتُ مُنيتَ بالبرّاضِ
فاعذِرْ أخاك على الوعيد؛ فإنما أنذرت قبل الرّمّي بالإنباضِ
[واعلم وقيت الجهل أن خسارةً بطرُ الغنى ومذلةُ الإبعاضِ]
ثم هجاه بقوله :

وما تكلمت إلا قلت فاحشةً كأن فكّيك للأغراضِ مقرّاضُ
مهما تقل فيسهامٌ منك مرّسلةٌ وفؤك قوسك والأعراضِ أغراضُ^(١)
وابن الرومي هذا كما قال مسلم بن الوليد الأنصاري في الحكم بن قنبر اللاذني :
عابني من معائبٍ هنّ فيه حكم فاشتقني بها من هجّاني
وكما قال الآخر :

ويأخذ عيبَ الناسِ من عيبِ نفسه مُرادٌ لعمري ما أرادَ قريبُ

[الأحنف بن قيس]

وروي عيسى بن دآب قال : أوّل ما عرف الأحنف بن قيس وقُدّم أنه وفد على
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان أحدثَ القوم سناً ، وأقبحهم منظرأ ، فتكلم كل

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو — بالتحريك — ما يجعله الراي هدفاً
يقصد برميهِ إليه .

رجل من الوفدِ بحاجته في خاصته ، والأحنف ساكتٌ ، فقال له عمر : قل يافقي !
فقام فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ العرب نزلتْ بمساكن طيبة ، ذات ثمار وأنهار
عذاب ، وأكثه ظليلة^(١) ، ومواضع فسيحة ، وإنا نزلنا بسبخة نَشَّاشة ، ماؤها
مِلْح ، وأفنيها ضيقة ، وإنما يأتينا الماء في مثل حلق النعامة فإلَّا تدركننا يا أمير
المؤمنين بحفر نهر يَفْزُر ماؤه ، حتى تأتي الأمة فتغرف بجرتها وإنها أوشك أن
نهلك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : تزيد في صاعنا ومدنا ، وتثبت من تلاحق في العطاء من
ذريتنا . قال : ثم ماذا ؟ قال : تخفف عن ضعيفنا ، وتنصف قويننا ، وتتعاهد ثغورنا ،
وتجهمز بمثنا ، قال : ثم ماذا ؟ قال : إلى ها هنا انتهت المطالب ، ووقف الكلام .
قال : أنت رئيس وفدك ، وخطيب مصرك ، قم عن موضعك الذي أنت فيه .
فأدناه حتى أقعده إلى جانبه ، ثم سأله عن نسبه ، فانتسب له ، فقال : أنت سيدُ
تميم ، فبقيت له السيادة إلى أن مات .

وهو الأحنف ، واسمه الضحَّاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن حصن نسب الأحنف
ابن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاس بن عمرو بن كعب بن [سعد بن]
زيد مناة بن تميم

وقال بعض بني تميم : حضرتُ مجلس الأحنف وعنده قومٌ مجتمعون له في
أمرٍ لهم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنَّ الكرمَ مَنعُ الحرمِ ، ما أقربُ النعمةَ
من أهلِ البغي ، لا خيرَ في لذةٍ تُعقبُ ندمًا ، لم يهلك من اقتصد ، ولم يفتقر
من زهد ، رب هزل قد عاد جِدًّا ، من أمين الزمان خانه ، ومن تَعظَّم عليه
أهانهُ ، دَعُوا المِزَاحَ فإنه يُورَثُ^(٢) الضفائن ، وخيرُ القولِ ما صدقه الفِعل ، احتلوا
لِمن أدلَّ عليكم ، واقبلوا عُذْرَ من اعتذر إليكم ، أطيحُ أخاك وإن عصاك .
وصلِّه وإن جفأك ، أنصف من نفسك قبل أن يُنتصف منك ، إياكم ومشاوره

(١) الأكنة: جمع كنة ، وهو الستر الواقع من الحرو والبرد ، والظليلة : دات الظل (م).

(٢) يورث الضفائن : يوقدها ، ويشعلها ، ويؤجج نارها ، والراد أنه ينشئها

ويزيدها (م) .

النساء ، واعلم أن كُفْرَ النَّعْمِ لُومٌ ، وَصُحْبَةَ الْجَاهِلِ سُؤْمٌ ، وَمَنْ الْكَرَمِ الْوَفَاءُ ،
بِالذَّمِّ ، مَا أَقْبَحَ الْقَطِيعَةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، وَالْجَفَاءَ بَعْدَ اللَّطْفِ ، وَالْمَدَاوَةَ بَعْدَ الْوَدِّ ،
لَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَلَا إِلَى الْبُخْلِ أَسْرَعَ مِنْكَ إِلَى
الْبَذْلِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحَتْ بِهِ مَمَوَاكَ ، فَانْفِقْ فِي حَقِّهِ ،
وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِعَيْرِكَ ، وَإِذَا كَانَ الْعَدْرُ مَوْجُودًا فِي النَّاسِ فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ
عَجْزٌ ؛ اغْرِفِ الْحَقَّ لِمَنْ عَرَفَهُ لَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ قَطِيعَةَ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صَلَاةَ الْعَاقِلِ .
قال : فَمَا سَمِعْتُ كَلَامًا أَبْلَغَ مِنْهُ . فَمَقَمْتُ وَقَدْ حَفِظْتُهُ .

كلام للأحنف
في مجلس معاوية

ودخل الأحنف على معاوية ، ويزيدُ بين يديه ، وهو ينظرُ إليه إعجابًا ، فقال :
يا أبا بَجْر ، مَا تَقُولُ فِي الْوَلَدِ ؟ فَعَلِمَ مَا أَرَادَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هُمْ عِمَادُ
ظَهْرِنَا ، وَثَمَرُ قُلُوبِنَا ، وَقِرَّةُ أَعْيُنِنَا ، بِهِمْ نَصُولُ عَلَى أَعْدَائِنَا ، وَهُمْ الْخَلْفُ مِنَّا
بَعْدِنَا ، فَكُنْ لَهُمْ أَرْضًا ذَلِيلَةً ، وَسَمَاءَ ظَلِيلَةً ، إِنْ سَأَلُوكَ فَأَعْطِهِمْ ، وَإِنْ اسْتَعْتَبُوكَ
وَأَعْتَبَهُمْ ^(١) . وَلَا تَمْنَعْنَهُمْ رِفْدَكَ فِيمَا لَوْ قَرَّبَكَ ، وَبِسْتَقْبَلُوا حَيَاتِكَ ، وَيَتَمَنَّوْا وَفَاتَكَ .
وقال : اللَّهُ دَرُّكَ يَا أبا بَجْر ، هُمْ كَمَا قُلْتَ !

وزعمت الرواة أنها لم تسمع للأحنف إلا هذين البيتين :

فلو مدَّ سرَّوِي بِمَالٍ كَثِيرٍ جُلِّدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بِأَذَلًا

فإنَّ المروءةَ لَا نَسْتَطَاعُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالُهَا فَاضِلًا

وكان يَبْخَلُ . وقال لَبْنِي تَمِيمٌ : أَنْزَعُمُونَ أُنَى بِخَيْلٍ ! وَاللَّهِ إِنِّي لِأَشِيرُ بِالرَّأْيِ
قِيمَتُهُ عَشْرَةُ آلَافِ دَرْهَمٍ ! فَقَالُوا : تَقْوِيمُكَ لِرَأْيِكَ بِخَيْلٍ . وَكَانَ الْأَحْنَفُ مِنْ
الْفَضْلَاءِ الْخُطَبَاءِ النَّسَاكِ ، وَبِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي الْحَيْمِ

وقد ذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ؛ فَقَدْ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ رَجُلًا إِلَى قَوْمِهِ بَنِي سَعْدٍ يَعْزِضُ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ ، فَقَالَ الْأَحْنَفُ : إِنَّهُ يَدْعُوكُمْ

صفة الأحنف

ذكر للنبي
فاستغفر له

(١) استعتبوك : طلبوا رضاك ، وأعتبهم : أعطهم الرضا (م)

إلى خير ، ولا أسمعُ إلا حسناً . فذَكَرَ للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم اغفرِ
للأحنف . وكان الأحنفُ يقول : ماشيء أَرْجَى عندي مِنْ ذلك .

من أوصاف
الأحنف

قال عبدُ الملك بن عمير : قدم إلينا الأحنفُ ، فما رأينا خصلةً تَدَمُّ في رجل
إلا رأيناها فيه ، كان أصلع الرأسِ ، متراكب الاسنان ، أشدق ، مائل الذقنِ ،
ناتئُ الوجنتين ، باخق العينين^(١) ، خفيف العارضين ، أحنف الرجلين ، وكانت
العينُ تفتحهُ دَمَامَةً وَقَلَّةَ رُوءٍ ، ولكنه إذا تكلمَ جَلَّى عن نفسه . وهو الذي
خطب بالبصرة حين اختلفت الأحياء ، وتنازعت القبائل ؛ فقال بعد أن حمد الله
وأثنى عليه : يا معشرَ الأزدي [وريبعة] ، أتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في
الصَّهْرِ ، وأكفاننا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على القدوة ، والله لأزددُ
البصرة أحبُّ إلينا من تميم الكوفة ، [ولأزد الكوفة أحبُّ إلينا من تميم
الشام] ، وفي أموالنا وأحلامنا سعة لنا ولكم .

جارية لآل
المهلب تنظر إلى
الأحنف

وقد قام خطباه البصرة في هذا اليوم وتكلموا وأسهبوا ، فلما قام الأحنف أضفت
القبائلُ إليه ، واثالت عليه ، وقال الناس : هذا أبو بَجْرٍ ، هذا خطيب بني تميم ،
وحضر ذلك الجمع جارية لآل المهلب ، فذهبت ترومُ النظر إليه ، فاعتاص ذلك
عليها ، فأشرفت عليه من دارها ، فلما رأته والأبصارُ خاشعةٌ لكلامه ، ورأت
دمامةً خلَّقه ، وكثرة آفاتِ جوارحه ، قالت : فُقدت هذه الخليفة ولو افترت
عن فضلِ الخطاب

الأحنف يحد
على معاوية

وذكر المدائني أنَّ الأحنفَ بن قيسَ وَفَدَّ على معاوية رضى الله عنه مع أهل
العراق ، فخرج الآذِنُ ، فقال : إن أميرَ المؤمنين يعزم عليكم ألا يتكلم أحدٌ
إلا لنفسه . فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن
دافئة دَفَّتْ ، ونازلة نزلتْ ، ونابئة نبئتْ ، كلهم بهم حاجة إلى معروف أمير
للمؤمنين وبره . قال : حسبك يا أبا بجر ، فقد كفيت الشاهد والغائب .

(١) البخق في العين : ألا يلتقي جفناها (م)

كلامه معاوية
وقصاراد البيعة
ليزيد

ولما عزم معاوية على البيعة ليزيد كتب إلى زياد أن يوجه إليه بوفد أهل العراق ،
فبعث إليه بوفد البصرة والكوفة ، فتكلمت الخطباء في يزيد ، والأحنف ساركت ،
فلما فرغوا قال : قل يا أبا بجزر ، فإن العيون إليك أشرع منها إلى غيري فقام
الأحنف فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير
المؤمنين ؛ إنك أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره ، وإعلانه وإساراه ، فإن كنت
تملمه الله رضا فلا تشاور فيه أحداً ، ولا تُقم له الخطباء والشعراء ، وإن كنت
تعلم بعده من الله فلا تزوده من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة ؛ فإنك تصير
إلى يوم يفرث [فيه] المره من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه . قال : فكانه أفرغ
على معاوية ذنوب ماء بارد . فقال له : اقعذ يا أبا بجزر ؛ فإن خيرة الله تجرى ،
وقضاء الله يمضي ، وأحكام الله تنفذ ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ؛ وإن
يزيد فتى قد بلوناه^(١) ، ولم نجد في قريش فتى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه .
فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت تحكي عن شاهد ، ونحن نتكلم على غائب ، وإذا
أراد الله شيئاً كان .

قال ابن الرومي :

ابن الرومي
يذكر حق
الشاعر على
السكرام

إِنْ أَسْرَأَ رَفَضَ الْمَكَّاسِبَ وَاعْتَدَى
بِتَعَلُّمِ الْأَدَابِ حَتَّى أَحْكَمَا
فَكَسَا وَحَلَّى كُلَّ أَرْوَغٍ مَاجِدٍ
مِنْ حُرٍّ مَا حَاكَ الْقَرِيضَ وَنَظْمًا
رِقَّةً بَرَعَى الْأَكْرَمِينَ حَقْوَقَهُ
لَأَحَقَّ مَلْتَمَسٍ بِالْأَلَى يُخْرَمًا

قال أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار : ومن نادر شعر أبي الحسن في هذا
المعنى قوله ، ووصف إتعاب الشعراء أنفسهم بدوهم في صناعتهم ، وما يتصرم
من أعمارهم ، وأن إلحاحهم في طلب ما في أيدي من أسلفوه مديحهم لو كان
رغبة منهم إلى ربهم كان أجدى عليهم ، وأقرب من ذلك بُقيتهم ، ونجح طلبتهم ،
ثم انحرف إلى توبيخ من مدحه فخرمه بأحسن عبارة ، وأرضى استمارة ، فقال :

(١) بلوناه : اخترناه (م)

للناس فيما يكلفون مغارم
ومغارم الشعراء في أشعارهم
وجفاء لذاتٍ ورفضُ مكاسب
وتشأغل عن ذكر ربِّ لم يزل
من لو بخدمته تشاغل معشرُ
أفما لذلك حرمة مرعية
لم أحسب فيك الثواب بمدحتي
لو كان شعري حسبة لم أكسهُ
لا تقبلن المذح ثم تعافه
واحدز معرتهم إذا ذنتهم
واعلم بأنهم إذا لم ينصفوا
وجناية العادي عليهم تنقضي
أبو الطيب المتنبي :

ومكايد السفهاء واقعة بهم
وعداوة الشعراء بس المقتنى

مات الأحنف بن قيس بالكوفة ، فشى مصعب بن الزبير في جنازته بغير
رداء ، وقال : اليوم مات سرُّ العرب ؛ فلما دُفن قامت امرأة على قبره فقالت :
لله درك من مُجنِّ في جنِّ^(٢) ، ومُدْرَج في كفن ، نسالُ الذي فجعنا بموتك ، وابتلانا
بفقدك ، أن يجعل سبيلَ الخيرِ سبيلك ، ودليلَ الرشد دليكَ ، وأن يوسع لك في
قبرك ، ويفقر لك يوم حشرِك ؛ فرائه لقد كنت في المحافل شريفاً ، وعلى الأرامل

(١) سابغ الإنعام : من إضافة الصنعة للموصوف ، والإنعام السابغ : الكثير
الوافي (م) . (٢) مجن : مستور ، والجنين - بالتحريك - القبر ، وجمعه أجنان (م)

وفاة الأحنف
ورثاء امرأته

عَطُوفًا ، ولقد كنت في الحى مُسَوِّدًا ، وإلى الخليفة مُوفِّدًا ، ولقد كانوا لقولك
 مستمعين ، ولرايك متبعين ؛ ثم أقبلت على الناس فقالت : ألا إن أولياء الله في
 بلاده ، شهود على عباده ، وإني لقائلةٌ حقًا ، ومثنيةٌ صدقًا ، وهو أهلٌ للحسنِ
 الثناء ، وطيب النشأ^(١) ، أما والذي كنت من أجله في عدَّة ، ومن الحياة إلى مدَّة ،
 ومن اللقدار إلى غاية ، ومن الإياب إلى نهاية ، الذى رفع عملك ، لما قَصَى أَجَلَكَ ،
 لقد عشت حميداً مودوداً ، ومُتَّ سعيداً مفقوداً ، ثم انصرفت وهى تقول :
 لله درك يا أبا بَحرٍ ما ذا تغيَّبَ منك فى القَبرِ ؟
 لله درك أى حَشَوِ ثَرَى أصبحت من عُرْفٍ ومن نُكْرٍ
 إن كان دهرٌ فيك جرَّ لنا حدثًا به وهنت قوَى الصَّبرِ^(٢)
 فلکم يدِ أسديتها ويدِ كانت تَرُدُّ جرائرَ الدهرِ^(٣)
 ثم انصرفت فسئِل عنها ، فإذا هى امرأته وابنة عمه . فقال الناس : ما سمعنا
 كلامَ امرأة قطّ أبلغ ولا أصدق منه .

قال : وكان الأحنفُ قدم السكوفة فى أيام مصعب بن الزبير ، فراه رجلٌ
 أعورَ دميًا قصيرًا أحنفَ الرجلين ، فقال له : يا أبا بَحرٍ ؛ بأى شيء نامت فى الناس
 ما أرى ؛ فوالله ما أنت بأشرف قومك ، ولا أجودهم ؛ فقال : يا ابن أختى ، بخلاف
 ما أنت فيه ! قال : وما هو ؟ قال : ترزكى من أمرك ما لا يعنينى ، كما عناك من
 أمرى ما لا تتركه .

[منصور النمرى]

اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم : مَنْ كان منكم يحسِنُ أن يقول

المعتصم
 ومحمد بن وهيب مثل قول منصور النمرى فى أمير المؤمنين الرشيد :
 الشاعر

(١) فى رواية « وطيب الدعاء » (م) (٢) وهنت : ضعفت (م)

(٣) أسديتها : أعطيتها ومنحتها ، والجرائر : جمع جريرة ، وهى الجريمة ،

والخطيئة ، والذنب (م)

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةَ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ رَافِعُهُ وَمِنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مَتَّضِعُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينِ اللَّهِ مَعْتَصِمًا فَلَيْسَ بِالصَّلَاةِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
 إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تُخْلَفْ أُنَامِلُهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَسِعُ

فليدخل ، فقال محمد بن وهيب : فينا من يقول خيراً منه ، وأنشد :

ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الدُّنْيَا بِيَهْجَتِهِمْ شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
 يَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمْصَامَةُ الذِّكْرُ

فأمر بإدخاله وأحسن صلته .

أخذ معنى البيت الأول من بيتي محمد بن وهيب أبو القاسم محمد بن هانيء

الأندلسي :

لِلْمَدَنَانِ مِنَ السَّبْرِيَّةِ كِلَيْهَا قَلْبِي وَطَرْفٌ بَابِلِيٌّ أَحْوَرُ^(١)
 وَالْمَشْرِقَاتِ الْبَسِيرَاتُ ثَلَاثَةٌ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّيِّرُ وَجَعْفَرُ
 وَبَيْتُ أَبِي الْقَاسِمِ [الْأَوَّلُ] مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرَّومِيِّ :

يَا عَلِيًّا جَعَلَ الْعِلْمَ مِفْتَاحًا لِسُقْيَى
 لَيْسَ فِي الْأَرْضِ عَلِيلٌ غَيْرَ جَفْنَيْكَ وَجِسْمِي

ومر النمرى بالعتابي مغموماً فقال : مالك ، أعزك الله ؟ فقال : امرأتى بطلق^(٢) منصور النمرى
 والعتابي

منذ ثلاث ونحن على يأسٍ منها . فقال له العتابي : وإن دواءها منك أقرب من
 وجهها ، قل : هارون الرشيد ، فإن الولد يخرج ! فقال : شكوت إليك ما بي ،
 فأجبتني بهذا ؟ فقال : ما أخذت هذا إلا من قولك :

إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تُخْلَفْ أُنَامِلُهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَتَسِعُ

(١) المدنفان : متنى مدنف ، وهو اسم مفعول من «أدنفه المرض» أى أضعفه
 والطرف - بالفتح - أراد به العين ، والبابلي : المنسوب إلى بابل ، وهى بلد
 السحر ، وهم يصفون عيون الغواني بالفتور . كما يصفونها بأنها تفعل بالألباب ما لا يفعل
 السحر (م) (٢) كذا ، وأحسب أن أصلها « امرأتى تطلق » أى يأتها المخاض
 وهو وجع الولادة ، ولما فى الأصول وجه (م)

وأبيات منصور بن سلمة بن الزبرقان النمرى التى ذكرها المعتصم من قصيدة له وهى أحسن ما قيل فى الشيب أولها :

ما تنقضى حسرة منى ولا جزع
بأن الشباب وفاتتني بفرته
ما كنت أو فى شبابي كئنه غرته
تعجبت أن رأيت أسراب دمعته
أصبحت لم تطعمي ثكل الشباب ولم
لا ألحين فتانى غير كاذبة
ما واجه الشيب من عيب وإن ومقت
إني لمعترف ما فى من أرب
فكدت تقضى على فؤت الشباب أسمى
وذكر أن الرشيد لما سمع هذا بكى ، وقال : ما خير دنيا لا تخطر فيها بيرد
الشباب ! وأنشد متمثلا :

أتأمل رجعة الدنيا سفاها
وقد صار الشباب إلى ذهاب
فليت الباكيات بكل أرض
مجمعن لنا فنحن على الشباب
وكان الرشيد يقدم منصورا النمرى بجودة شعره ، ولما يمت إليه من النسب من
العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وكانت نثيلة أم العباس من النمر بن قاسط ؛ ولما
كان يظهر من الميل إلى إمامة العباس وأهله ، والمنافرة لآل على رضى الله عنه بقول :
بني حسن وقل لبني حسين
عليكم بالسداد من الأمور
أميطوا عنكم كذب الأمانى
وأحلاما يعيدن عداة زور^(٣)

تقديم الرشيد
للنمرى
وأسيابه

- (١) غرة الشباب : غفلته وسهوه ، والحدع : جمع خدعة : وهى ما تنخدع به (م)
(٢) ومقت : ودت وأحبت ، والمرتدع : الارتداع والانزجار (م)
(٣) أميطوها عنكم : أبعدها عنكم (م)

تَسْمَوْنَ النَّسَبِيَّ أَبَا وَيَّابِي مِنْ الْأَحْزَابِ سَطْرًا فِي سَطُورٍ
 يَرِيدُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ). وهذا إنما نزل في
 شأن زيد بن حارثة، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تبناه، فقال له الرشيد:
 ما عدوت ما في نفسي، وأمره أن يدخل بيتَ المال فيأخذ ما أحب.

وكان يضر غير ما يظهر، ويعتقد الرّفص، وله في ذلك شعر كثير لم يظهره الحمري رافضو
 إلا بعد موته، وبلغ الرشيد قوله:

آلُ النَّبِيِّ وَمَنْ يُحِبُّهُمْ يَتَطَامَنُونَ مَخَافَةَ الْقَتْلِ
 أَمِنْ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَمَنْ مِنْ أُمَّةٍ التَّوْحِيدِ فِي أَزْلِ (١)
 إِلَّا مَصَّالَتْ يَنْصَرُونَهُمْ بَطْبًا الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا الذُّبْلِ (٢)

فأمر الرشيد بقتله [وكان حينئذ برأس العين]، فمضى الرسولُ فوجده قدمات
 فقال الرشيد: لقد هممت أن أنبش عظامه فأحرقها. وكان يُبلغز في مدحه لهرون،
 وإنما يريد قول النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ رضوان الله عليه: أنت مني بمنزلة
 هرون من موسى. وقال الجاحظ: وكان يذهب أولاً مذهب الشراة^(٣)، فدخل
 الكوفة وجلس إلى هشام بن الحكم الرافضى وسمع كلامه، فانتقل إلى الرّفص،
 وأخبرني مَنْ رآه على قبر الحسين بن عليّ رضى الله عنهم ما يشد قصيدته التي يقول فيها:

فما وُجِدَتْ عَلَى الْأَكْتافِ مِنْهُمْ وَلَا الْأَقْفَاءِ آثَارُ النَّصُولِ (٤)
 وَلَكِنَّ الْوَجُوهَ بِهَا كَلُومٌ وَفَوْقَ حُجُورِهِمْ تَجْرَى السِّيُولِ
 أَرِيْقُ دَمَ الْحُسَيْنِ وَلَمْ يَرَأَوْا وَفِي الْأَحْيَاءِ أَمْوَاتُ الْعُقُولِ
 فَدَتْ نَفْسِي جَبِينَكَ مِنْ جَبِينِ جَرَى دَمُهُ عَلَى خَدِّ أَسِيلِ
 أَيْخُلُو قَلْبُ ذِي وَرَعٍ وَدِينِ مِنْ الْأَحْزَانِ وَالْأَلْمِ الطَّوِيلِ

(١) الأزل: الشدة والضيق (م) (٢) المصالت: جمع مصلت، وهو المقدم
 الشجاع، والظبا: جمع ظبة، وهى حد السيف، والصوارم: السيوف واحدها
 صارم (م) (٣) الشراة: الخوارج، سموا أنفسهم بذلك لأنهم زعموا أنهم شروا
 أنفسهم بأن لهم الجنة، والروافض: فرقة من الشيعة (م)
 (٤) يريد أنهم لا يفرون فيقع الطعن في ظهورهم (م)

وقد شرقت رِماحُ بنى زيادٍ برىٍّ من دماءِ بنى الرسولِ (١)
 بتريةٍ كرهه بلاءٌ لهم ديارٌ نيامُ الأهلِ دارِسةُ الظُّلُولِ
 فأوصالِ الحسينِ يبطنُ قاعٌ ملاعبُ للدَّبُورِ وللقبولِ
 تحياتٌ ومغفرةٌ وروحٌ على تلكِ المحلَّةِ والحلولِ (٢)
 برثنا يارسولَ الله من أصابك بالأذيةِ والدُّحُولِ (٣)

[ابنا المعدل]

وقال أحمد بن المعدل :

أحمد
بن المعدل

أخو دَنَفٍ رَمْتُهُ فَأَقْصَدْتُهُ مِهَامٌ مِنْ جَفُونِكَ لَا تَطِيشُ
 كَثِيبٌ إِنْ تَرَحَّلَ عَنْهُ جَيْشٌ مِنَ الْبَلْوَى أَلَمَ بِهِ جُيُوشُ
 وكان أحمد بن المعدل بن غمیلان العبدى فى اللغة والبيان والأدب والحلاوة غايةً .

قال : دخلتُ المدينة فتحملت على عبد الملك بن الماحشون برجل ليخصنى
 ويُعنى بى ، فلما فاتحنى قال : ما تحتاجُ أنتِ إلى شفيح ، معك من الخداء والسقاء
 ماتا كُلُّهُ به لبَّ الشجر ، وتشرب صَفْوَ الماء .

وكان أخوه عبد الصمد يؤذيه ويهجوّه ، فكتب إليه احمد : أما بعدُ
 فإنَّ أعظمَ المكروه ما جاء من حيث يُرجى الحبوب ، وقد كنتَ مؤمَّلاً
 مرَّجوا ، حتى شمل شرك ، وعمَّ أذاك ، فصرت فيك كأبى العاق : إن عاش
 نَفْسُهُ ، وإن مات نَفْسُهُ ، واعلم لقد خَسَّنتَ صَدْرَ أَخِي جَنِّبُهُ لك ناصحٌ ، والسلام .

بين أحمد
وأخيه

وكان يقول له : أنت كالأصبع الزائدة : إن تُرِكتْ شانتُ ، وإن
 قطعت آلمت !

ومثلُ هذا قولُ النعمان بن شمر الغساني :

- (١) شرقت الرماح بدمائهم : كناية عن كثرة ما أسالنه منها (م)
 (٢) المحلَّة : الموضع الذى يحلون به ، والحلول : جمع حال (م)
 (٣) الدحول : جمع ذحل ، وهو الوتر (م)

وصَالَ أَبِي بَرْدٍ عَنَاءً ، وَتَرَكَهُ
 إِذَا زُرْتَهُ يَوْمِينَ مَلَّ زِيَارَتِي
 وَقَوْلِ الضَّحَّاكِ بْنِ هَمَامِ الرَّقَّاشِيِّ :
 وَأَنْتَ أَمْرٌ مَنَاخَلْتِ لَعِينِنَا
 وَأَنْتَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ ابْنُ حَرَّةٍ
 وَفِيكَ خِصَالٌ صَالِحَاتٌ يَشِينُهَا
 وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

إِذَا سَاءَنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ جَاهِدًا
 فِيَالِيَتِ شِعْرِي مَا يَعَامَلَنِي بِهِ
 وَفِي كُلِّ حَالٍ مَنْ أَحَبَّ وَأَمْحَضُ^(١)
 عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ مَنْ أَعَادِي وَأَبِغَضُ

أخذ أحمد بن
 المعذل للصادق

وقال أبو العباس المبرّد : وكان أحمد بن المعذل من الأئمة ، والتمسك بالمهاج ،
 والتجنب للعبث ، والتعرض للإشفاق لما في^(٢) أيدي الناس ، وإظهار الرّؤفد فيه ،
 والتباعد عنه ، على غاية ، حتى حُمِلَ في فقهاء وأدباء من أهل البصرة ؛ فأخذ
 الصلة غير ممتنع ولا منكر . ووصله إسحاق بن إبراهيم فقبل ، واستدعى اجتهابه
 إياه ، وتحلّى له جهده ، فقال عبد الصمد :

عذيري من أيخ قد كان يبدي
 وكان يذمهم في كلّ يوم
 فلما أن أته دُرِيهَمَاتُ
 عَلَيَّ مَنْ لَأْبَسَ السُّلْطَانَ عَتْبَةَ
 لَهُ بِالْجَهْلِ وَالْهَذْيَانِ خُطْبَةَ
 مِنْ السُّلْطَانِ بَاعَ بَيْنَ رَبِّهِ
 وَقَالَ فِيهِ :

لِي أَخٌ لَا تَرَى لَهُ
 أَتَجَمُّعُ النَّاسَ كَلِّمَهُمْ
 سَبَائِلًا غَيْرَ عَاتِبٍ
 لِلشِّمِّ الْمَذَاهِبِ

(١) من أحب : هو فاعل «سَاءَنِي» (م) (٢) للإشفاق : هو مفعول لأجله

وأصل الكلام : والتعرض لما في أيدي الناس لأجل الإشفاق (م)

دون معروف كفه لمس بعض الكواكب
ليت لي منك يا أخي جارة من محارب
نارها كل شتوة مثل نار العجائب

* * *

ذهب إلى قول القطامي ، وقول القطامي من خبيث الهجاء ، وكان نزل
بامرأة من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، فدم مثنواه
عندها ، فقال :
القطامي يهجو
امرأة من
محارب

وإني وإن كان المسافر نازلاً
فلا بد أن الضيف يخبر ما رأى
لمخبرك الأنباء عن أم منزل
تلفت في طلّ وريح تلتفني
إلى حيزبون توفد النار بعدما
تصلى بها برّد العشاء ولم تكن
[فما راعهما إلا بعام مطيقي
فجنت فنونا من دلائل مناخه
سرى في حليك الليل حتى كأنما
تقول وقد قربت كورى وناقى
فسلمت والتسلم ليس يسرها
فردت سلاماً كارهاً ثم عرضت
فلما تنازعنا الحديث سألتها

وإن كان ذاق على الناس واجب
مخبر أهل أو مخبر صاحب
تضيقها بين العذيب فراسب
إلى طرمساء غير ذات كواكب^(١)
تلفت الظلماء من كل جانب^(٢)
تخال وميض النار يندو لراكب
تريح محسود من الصوت لاغب^(٣)
ومن رجل عارى الأشاجع شاحب^(٤)
تخزم بالأطراف شوك العقارب
إليك ، فلا تدعز على ركائبى
ولكنه حق على كل جانب
كما انحاشت الأفعى مخافة ضارب
من الحى؟ قالت : معشر من محارب

(١) الطرمساء : الظلمة الشديدة (م) (٢) الحيزبون : العجوز .

(٣) بعام مطيقي : صوتها (م) (٤) الدلائل : السريع من النوق والجمال وغيرها (م)

من المشتوين القَدَّ مما تَرَاهم جِيَاءَ أَوْرِيفِ النَّاسِ ايسَ بِنَاصِبِ
 فلما بدأ حرمانها الضيفَ لم يكن على مَيِّتِ السوءِ ضَرْبَةً لَأَزْبِ
 وَقَمْتُ إِلَى مَهْرِيَّةٍ قَد تَعَوَّدْتُ يَدَاهَا وَرِجْلَاهَا حَيْثُ المَرَاكِبِ
 إِلَّا إِنَّمَا نِيرَانِ قَيْسٍ إِذَا شَتَوَا لَطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الحُبَابِ
 ومحارب : قبيلة منسوبة إلى الضعف ، وقد ضربت العربُ بها المثل . قال
 الفرزدق لجرير :

وما استعهد الأقوم من زوج حُرَّةٍ من الناس إلا منك أو من مُحَارِبِ
 أَى يَأْخُذُونَ العَهْدَ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلِيبِ وَلَا مِنْ مُحَارِبِ .
 وقال أبو نؤاس في قصيدته التي فخر فيها باليمانية وهجا قبائل معدَّ :
 وقيس عيلان لا أريدُ لها من الحجازى سِوَى مُحَارِبِهَا

وكانت أم عبد الصمد بن المفضل طباحةً ، فكان أحمد يقول إذا بلغه هجاءه : أم عبد الصمد
 ماعسيتُ أن أقول فيمن أُلْفِحَ بين قدر وتَنُورِ ، ونشأ بين زق وطُنُبُورِ^(١) ؟ وعبد الصمد ابن المفضل
 شاعر أهل البصرة في وقته ، وهو القائل :

تَكَلَّفُنِي إِذْ لَالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أَهَانَ لَتُكْرِمَا
 تقول : سَلِ المَعْرُوفِ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ قُفَلْتُ : سَلِيهِ رَبِّ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمِ

قال أبو شراعة القيسى : كنتُ في مجلس العُتْبِيِّ مع عبد الصمد بن المفضل ، لأبي حَكِيمَةَ
 فَنَذَا كَرْنَا أَشْعَارَ المَوْلِدِينَ فِي الرِّقِيقِ ، فَقَالَ عبد الصمد : أَنَا أَشْعَرُ النَّاسِ فِيهِ وَفِي
 غَيْرِهِ ، قُفَلْتُ : أَحْذِقُ مِنْكَ وَاللَّهِ بِالرِّقِيقِ الَّذِي يَقُولُ ، وَهُوَ رَاشِدُ بْنُ إِسْحَاقَ
 أَبُو حَكِيمَةَ الكُوفِي :

(١) الزق : أراد به الحجر ، والطنبور : من آلات اللهو ، يعنى أنه ردىء

اللقحة سىء التنشئة ، فلن يخرج إلا نكدأ (م)

ومستوحش لم يُمس في دارِ غُرْبَةٍ
 طَوَاهِ الهوى واستشعر الوصلِ غيرُهُ
 سلامٌ على الدارِ التي لا أزورها
 وإن حَجِبتُ عن ناظريَّ ستورها
 هوى نَصْحِكُ اللذاتُ عند حضوره
 تنثى به الأعطافُ حتى كأنه
 ألم ترصمتي حين يجرى حديثه
 رضيت بسعى الدهر بيني وبينه
 أحاذر إن واصلته أن ينالني
 أرى دون من أهوى عيوناً ترينني
 أداري جليسي بالتجلد في الهوى
 وأخبر عنه بالذي لا أحبُّه
 مخافة أن تغرَى بنا السنُّ العدا
 كأن مجالَ الطرفِ في كل ناظر
 أرى خطرات الشوق يبكين ذا الهوى
 ولم قد أذلَّ الحبُّ من متمنعٍ
 وإذ خضوع النفس في طلب الهوى
 فلم ينطق بحرف .

لأبي شراعة

ولأبي شراعة يمدح بني رياح :

بني رياح أعاد الله نعمتكم

خير المعاد وأسقى ربكم ديمًا^(٢)

(١) شطت : بعدت . ونواه : نبتة ، أو بعده ، وهم يسندون الفعل إلى مصدره

فيقول : جد جاءه ، وشعر شعره (م) (٢) الديم : جمع ديمة ، وهو المطر الدائم (م)

فكم به من فتى حُلوشمائله^١ يكادُ ينهلُ من أعطافه كَرماً
لم يلبسوا نعمةً لله مُذ خلقوا إلاّ تلبسها إخوانهم نِعماً

لابن المعتدل
في إبراهيم
بن رياح

وفي إبراهيم بن رياح يقول عبد الصمد بن المعتدل :

قد تركت الرياح يا بن رياح وهي حَسْرَى إن هبَّ منها نسيم
نهكت مالكَ الحقوق فأضحى لك مالٌ نِضْوٌ وفصلٌ جَسِيمٌ^(١)

وكان عبد الصمد [بن المعتدل] متصلاً بإبراهيم وبنيه ، وأفاد منهم أموالاً
جليلة ، واعتقد عقداً نفيسة ، فما شكر ذلك ولا أصحابه بما يجب عليه من الثناء
عند نكبته ، وكان الواثق عزَّله عن ديوان الضياع ، ودفعه إلى عمر بن فرج
الرخجي ، فحبسه فهجاه عبد الصمد .

صفات
عبد الصمد
بن المعتدل

قال أبو العباس محمد بن يزيد^(٢) : وكان عبد الصمد شديد الإقدام على
ردى السريرة فيما بينه وبين الناس ، خيث النية ، يرصد صديقه بالمكروه ،
تقديراً أن يعاديه فيسوءه بأمرٍ يعرفه ؛ ولا يكاد يسلم لأحد ، وكان مشهوراً في
ذلك الأمر ، يلبسُ عليه^(٣) ، ويحمل على معرفة ، عجباً بظرف لسانه ، وطيب
بجلسه ، وأيضاً لقبُح مسبته ، وشائن معرفته .

قال أبو العيناء : ولما حبس الواثق إبراهيم بن رياح ، وكان لي صديقاً ، صنعتُ
له هذا الخبر رجاء أن ينتهي إلى أمير المؤمنين فينتقم به ، فأخبرني زيد بن علي
ابن الحسين أنه كان عند الواثق حين قُيِّم عليه فضحك واستظرفه . وقال : ما صنع
هذا كُله أبو العيناء إلا في سبب إبراهيم بن رياح ، وأمر بتخليته ، والخبر : قال
لقيتُ أعرابياً من بني كلاب فقلت له : ما عندك من خير هذا العسكر ؟ فقال :
قتل أرضاً عالمها ، قال : فقلت : فما عندك من خير الخليفة ؟ قال : نخبخ بعزه ، وضرب

(١) نهكته : انت عليه واجتاحته ، والنضو - بالكسر - الضعيف السقيم (م)

(٢) هو المراد (م) (٣) يلبس عليه . أى يخالطه الناس مع علمهم به (م)

بِحِرَانِهِ، وَأَخَذَ الدَّرَاهِمَ مِنْ مِصْرِهِ، وَأَرْهَفَ قَلَمَ كُلِّ كَاتِبٍ بِجَبَابَتِهِ. قُلْتُ: فَمَا عِنْدَكَ فِي أَحَدِ بْنِ أَبِي دُوَادٍ؟ قَالَ: عُضْلَةٌ^(١) لَا تُطَاقُ، وَجَنْدَلَةٌ لَا تُرَامُ، يَنْتَحِي بِالْمَدَى لِنَحْوِهِ فَيَجُورُ، وَتَنْصَبُ لَهُ الْجَبَائِلُ حَتَّى تَقُولَ: الْآنَ، ثُمَّ يَضْرِبُ^(٢) ضَبْرَةَ الذَّنْبِ، وَيَخْرُجُ خُرُوجَ الضَّبِّ، وَالْخَلِيفَةُ يَحْنُو عَلَيْهِ، وَالْقُرْآنُ آخِذٌ بِضَبْعَيْهِ. قُلْتُ: فَمَا عِنْدَكَ فِي عَمْرِ بْنِ فَرَجٍ؟ قَالَ: ضَخْمٌ حِضْجَرٌ^(٣)، غَضُوبٌ هَزْبَرٌ. قَدْ أَهْدَفَهُ الْقَوْمُ لَبْعِيهِمْ، وَاتَّضَلُّوا لَهُ عَنِ قِسِيهِمْ، وَأَخْرَجَ لَهُ بِمِثْلِ مِصْرَعٍ مِنْ يَمِينِهِ. قُلْتُ: فَمَا عِنْدَكَ فِي خَيْرِ بْنِ الزُّيَّاتِ؟ قَالَ: ذَلِكَ رَجُلٌ وَسِعَ الْوَرَى شَرَّهُ، وَبَطْنَ الْأُمُورِ خَيْرَهُ. فَلَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَرِيحٌ، لَا يَظْهَرُ فِيهِ أَثْرُ نَابٍ وَلَا مِخْلَبٍ، إِلَّا تَسْتَدِيدُ الرَّأْيَ. قُلْتُ: فَمَا عِنْدَكَ فِي خَيْرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رِيَّاحٍ؟ قَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ أَوْبَقَهُ كَرْمُهُ، وَإِنْ يَفْزُ لِلْكَرَامِ قَدَحٌ، فَأَحْرَبَ بِمَنْجَاتِهِ، وَمَعَهُ دَعَاءٌ لَا يَخْذَلُهُ، وَرَبٌّ لَا يَسْلَمُهُ، وَفَوْقَهُ خَلِيفَةٌ لَا يَظْلَمُهُ. قُلْتُ: فَمَا عِنْدَكَ فِي خَيْرِ نِجَاحِ بْنِ سَلَمَةَ؟ قَالَ: اللَّهُ دَرَهُ مِنْ نَاقِضِ أَوْتَارٍ، يَتَوَقَّدُ كَأَنَّهُ شَعْلَةٌ نَارٌ، لَهُ فِي الْقَيْئَةِ بَعْدَ الْقَيْئَةِ، عِنْدَ الْخَلِيفَةِ خَلْسَةٌ كَخَلْسَةِ السَّارِقِ، أَوْ كَحِسْوَةِ الطَّائِرِ، يَقُومُ عَنْهَا وَقَدْ أَفَادَ نَعْمًا، وَأَوْقَعَ نِقْمًا. قُلْتُ: فَمَا عِنْدَكَ فِي خَيْرِ ابْنِ الْوَزِيرِ؟ قَالَ: إِخَالُهُ كَبِشُ الزَّنَادِقَةِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْخَلِيفَةَ إِذَا أَهْمَلَهُ خَضَمَ وَرَتَعَ، وَإِذَا أَمَرَ بِتَقْصِيهِ أَمَطَرَ فَأَمْرَعَ. قُلْتُ: فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَيْرِ الْخَصِيبِ أَحَدًا؟ قَالَ: ذَاكَ أَحْمَقٌ، أَوْ كَلَّ أَوْ كَلَّتْ نَهْمٌ، فَاخْتَلَفَ اخْتِلَافًا بِشَمٍّ. قُلْتُ: فَمَا عِنْدَكَ فِي خَيْرِ الْمُعَلِيِّ بْنِ أَبِي بَرٍّ؟ قَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ قَدَّ مِنْ صَخْرَةٍ، فَصَبَّرَهُ صَبْرُهَا، وَمَشَّهَ مَشَّهَا، وَكَلَّ مَا فِيهِ بَعْدَ فَمْنِهَا وَهَلَا. قُلْتُ: فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَيْرِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: كِتُومٌ غُرُورٌ^(٤)، وَجَسَدٌ صَبُورٌ، رَجُلٌ جَسَدُهُ جِلْدُ نَمْرٍ، كَمَا خَرَقُوا لَهُ إِهَابًا، أَنْشَأَ اللَّهُ لَهُ إِهَابًا. قُلْتُ: فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَيْرِ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ؟ قَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ اتَّخَذَ السُّلْطَانَ أَخًا،

(١) العضلة - بالضم - الداهية (م)

(٢) يضرب ضربة: يثبت وثبة. وفي نسخة « يظفر ظفرة » (م)

(٣) الحضجر: عظيم البطن، والهزبر: الأسد، ووزنهما واحد (م)

(٤) في نسخة « غدور » (م)

فاتخذهُ السلطانُ عبداً ، قال : قلت : فما عندك من خبر أخيه سليمان بن وهب ؟
قال : شدَّ ما استوفيتَ مسألتك أيها الرجل ! ذاك حرمة حبست مع صواحبها
في جريرة محرمة ، ليس من القوم في وِرْدٍ ولا صدر ، هيهات :

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغايات جرُّ الذبول

قال : قلت : فما عندك من خبر عبد الله بن يعقوب ؟ قال : أمواتٌ غير
أحياء ، وما يشعرون أئانَ يبعثون .

قلت : فأين نزلت فأومك ؟ قال : مالى نزل تأمهُ . أنا أستتر في الليل إذا
عَسَسَ^(١) ، وأنتشرُ في الصبح إذا تنفَّس .

ومن مליح شعر راشد بن إسحاق بن راشد، وهو أبو حُكَيْمَة، وكان قَوِيًّا
ابن إسحاق
ابن راشد
أسر الشعر :

تحيوتُ في أمرى وإني لواقفٌ أُجبلُ وجوه الرأى فيك وما أدري^(٢)
أأعزمُ عزمَ اليأس فالموتُ راحةٌ أم أفنعُ بالإغراض والنظرِ الثمزرِ
وإني وإن أعرضت عنك لمنطويٌ على حرقي بين الجوانح والصدري
إذا هاج شوقي مثلتك لي المني فألقاك ما بيني وبينك في سترِ
فديتك لم أصبر لى فيك حيلةٌ ولكن دعانى اليأسُ فيك إلى الصبرِ
تصبرت مغلوباً وإني لموجعٌ كما صبرَ الظمانُ في البلد القفرِ
وقال :

عبت عليك في قطع العتاب فما عطفتك أسنة العتاب

(١) أخذه من قوله تعالى : (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) في سورة
التكوير وعسعس الليل : أقبل ظلامه ، أو أدبر ، ضد (م)
(٢) أُجبل وجوه الرأى : أدبرها ليظهر لى الصواب (م)

وفيما صرت تظهر لي دليل
وما خطر دواعي الشوق إلا
على عتب الضمير المستجاب
هزرت إليك أجنحة التصابي
وقال أيضاً :

ضحكت ولو تدرين ما بي من الهوى
لمن لم تُرح عيناه من فيض عبّرة
لمستأنس بالهمم في دارٍ وخشّة
ألا بأبي العيش الذي بان فانتضى
ليالي يدعونا الصبا فنحبيه
نردّدُ مستور الأحاديث بيننا
إلى أن جرى صرف الحوادث في الهوى

بكيتٍ لمحزونٍ الفؤاد كئيب
ولا قلبه من زفرةٍ ونحيب
غريب الهوى بكٍ لكلّ غريب
وما كان من حُسنٍ هناك وطيب
ونأخذُ من لذّاته بنصيب
على غفلةٍ من كاشحٍ ورقيب
فبدّل منها مشهداً بمغيب

وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره، صنّت الكتاب عن ذكره .

[عبد الملك بن صالح]

دعا الرشيد بعبد الملك بن صالح - وكان معتقلاً في حبسه - فلما مثل بين يديه
التفت إليه ، وكان يُحدّث يحيى بن خالد بن برمك وزيره ، فقال متمثلاً :
أريد حياته ويريد قتيلى عذيرك من خليلك من مراد^(١)
ثم قال : يا عبد الملك ، كأنى أنظر إلى شوّوبوبها^(٢) قد همع ، وإلى عارِضها قد
أمع ، وكأنى بالوعيد قد أورى^(٣) ، بل أدمى ، فأبرز عن براجم بلا معاصم^(٤) ، ووروس
بلا غلاصم ، فهلاً بنى هاشم ، فبي والله سهل لكم الوغر ، وصفا لكم الكدر ،
وألقت إليكم الأمور أثناء أزمتهما ، فنذار لكم نذرا قبل حلول داهية خبوط باليد
والرجل ، فقال عبد الملك : أفذاً أتكم أم توأما ؟ قال : بل فذاً ، قال : أتق

(١) عذيرك : أى اطلب من يعذرك (م)

(٢) الشوبوب : الدفعة من المطر (م)

(٣) من قولهم «أورى الزند» إذا قدحته فأخرج ناراً (م)

(٤) البراجم : الأصابع (م)

الله يا أمير المؤمنين فيما ولّاك ، واحفظه في رعاياك الذي استرعاك ، ولا تجعل الكفر بموضع الشكر ، والعقاب بموضع الثواب ، فقد والله سهّلت لك الوعور ، وجمعت على خوفك ورجائك الصدور ، وشدت أواخيت مملكتك بأوثق من ركني يمانم ، وكنت لك كما قال أخو بني جعفر بن كلاب - يعني لييدا :

ومقام ضيق فرجته بلسان وبيان وجدل

لويقوم الفيل أو فيأله زل عن مثل مقامي وزحل

فأعاده إلى مجلسه^(١) ، وقال : لقد نظرت إلى موضع السيف من عاتقه مراراً ،

فيمينغني عن قتله إبقائي على مثله .

[مدح الحقد وذمه]

عبد الملك

يمدح الحقد

وأراد يحيى بن خالد أن يضع من عبد الملك ليرضى الرشيد ، فقال له : يا عبد الملك ، بلغني أنك حقدود ! فقال عبد الملك : أيها الوزير ، إن كان الحقد هو بقاء الشر والخير ، إنهما لباقيان في قلبي ! فقال الرشيد : تالله ما رأيت أحداً احتج للحقد بأحسن مما احتج به عبد الملك .

وقد مدح ابن الرومي الحقد ، وأخذ هذا المعنى من قول عبد الملك ، وزاد فيه ؛ لابن الرومي

فقال لعاب عابه بدلت :

لئن كنت في حفظي لما أنا مودع من الخير والشر انتحيت على عرضي
لما عبتني إلا بفضل إبانة ورب امرئ يزري على خلقي محض^(٢)
ولا عيب أن تجزى القروض بمثلها بل العيب أن تدان ديناً ولا تقضى
وخير سحيات الرجال سجية توفيك ماتسدى من القرض بالقرض
إذا الأرض أدت ربيع ما أنت زارع من البذر فيها فهي ناهيك من أرض

(١) قد يكون الصواب « فأعاده إلى محبسه » (م)

(٢) في ديوانه « لما عبتني بما ليس عائي * وكم جاهل يزري ... » وأزرى عليه :

ولولا الحقودُ المستكنات لم يكن
وما الحقْدُ إلا توأمُ الشكر في القتي
لنقبض وتراً آخرَ الدهرِ ذونقبض
فحيث ترى حِقْداً على ذى إساءة
وقال يرِدْ على نفسه، ويذم ما مدح، توسعاً واقتداراً :

يا مادحَ الحقْدِ محتالاً له شهباً
إنَّ القبيحَ وإنَّ صنعتَ ظاهره
لقد سلكت إليه مسلِكَاً وَعِثْناً
كم زَخَرَفَ القولُ ذو زُورٍ ولَبَّسَهُ
يعودُ ما لم منه مرةً شِعْثاً^(١)
على القلوبِ ولكن قل ما لبثاً
قد أبرم اللهُ أسبابَ الأمورِ معاً
فلن ترى سبباً منهم منسِكْثاً^(٢)
يادفنُ الحقْدُ في ضعفِ جوانبه
سواء الدفينُ الذي أضحت له جدنا
الحقْدُ داءٌ دَوِيٌّ لا دواءَ له
يرى الصدورَ إذا ما جمره حُرْثاً
فاستشف منه بصفحٍ أو معاتبه
فإما يبىء المصدورَ ما نَفْثاً
واجعل طلابك بالأوتارِ ما عظمتُ
ولا تكن بصغيرِ القولِ مُكْتَرِثاً
فالعفو أقربُ للتقوى وإن جُرْمُ
من مجرمِ جَرَحِ الأَكْبَادِ أو فرثاً
يكفيك في العفو أن الله قرظهُ
وخيّاً إلى خيرٍ من صلى ومن بُعِثاً
شهدت أنك لو أذنبت ساءك أن
تلقى أخاك متقوداً صدره شرثاً
إذا وسرّك أن تلقى الذنوب معاً
وأن تصادف منه جانباً دَمِثاً
إني إذا خلط الأرقامِ صالحهمُ
بسيءِ الفعلِ جداً كان أو عِثْثاً
جعلت قلبي كظرفِ السبكِ حينئذ
يستخلص الفضة البيضاء لا الحَبْثاً
ولستُ أجعله كالخوضِ أمدحُه
بِحِفْظِ ما طاب من ماءٍ وما حَبِثْنا

والبيتُ الذي تمثل به الرشيد هو لعمر بن معد يكرب بقوله لقيس بن

(١) صنعت ظاهره : زينته وحسنه ، من قولهم « صنع الجارية » إذا أحسن

إليها حتى سميت (م) (٢) منسكتا : منقوضا (م)

للكشوح المرادى ، وقد تمثّل به على بن أبى طالب رضى الله عنه لمّا رأى عبدالرحمن ابن مُلجَم المرادى فقال له : أنت تخضب هذه من هذه، وأشار إلى لحيته ونُقِرته^(١). فقيل له : يا أمير المؤمنين ، ألا تقتله ! فقال : كيف يقتلُ المرء قاتله ؟

بين مسلمة
ابن عبدالملك
والعباس
ابن الوليد

وكان بين مسلمة بن عبد الملك و بين العباس بن الوليد تباعد، فبلغ العباس أن مسلمة ينتقصه ، فكتب إليه يقول :

ألا تَتَقَى الحياءَ أبا سعيدٍ
فلولا أن فرّعتك حين تُنمى
وأنى إن رميتك هضت عظمى
لقد أنكرتني إنكار خوفٍ
فكم من سؤرة أبطأت عنها
ومُهمة عييت بها فأبدى
كقول المرء عمرو في القوافي
عذرى من خليلي من مرادٍ

وتقصر عن ملاحاتي وعذلي
وأصلك منتهى فرعى وأصلي
ونالتني إذا نالتك نبلي
يضمُّ حشاك عن شمتي وأكلي
بني لك مجدّها طلبي وحفلي
عويلى عن مخارجها وقصلى
ليقس حين خالف كل عدل
أريدُ حياته ويريدُ قتلى

لم يتفق له في القافية كما قال عمرو ، فغيره .

[رَجِعْ إِلَى عبد الملك بن صالح]

من أخبار
عبد الملك
ابن صالح

وعبد الملك هذا هو ابن صالح بن على ، وكان بليغاً جهوريماً فاضلاً عاقلاً . وقال الجاحظ : قال لى عبدالرحمن مؤدّب عبد الملك بن صالح : قال لى عبدالملك ، بعد أن خصّنى وصيّرني وزيراً بدلاً من قمامة : يا عبد الرحمن ، انظر في وجهي ؛ فأنا أعرفُ منك بنفسك ولا تؤمّدين على ما يقبح ؛ دع [عنك كيف الأمير؟] ، وكيف أصبح الأمير؟ وكيف أمسى؟ واجعل مكانَ التقريظ حُسنَ الاستماع

(١) في نسخة «ونقرته» وهي قمرة النحر بين الترقوتين ، والنقرة - بالضم أيضاً -

منقطع القمحدوة في القفا (م)

مضى ، واعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول ، وإذا حدثتكَ حديثاً فلا يفوتتكَ شيء منه ؛ وأرِني فهمك في طرفك ؛ إني اتخذتكَ وزيراً بعد أن كنت معلماً ، وجعلتكَ جليساً مقرباً بعد أن كنت مع الصبيان مُبمِّداً ، ومضى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رُجُفَجان ما صرت إليه .

بين الرشيد
وعبد الملك
وقانا تسيران

وساير الرشيدُ عبدَ الملك ، فقال له قائل : طأطأ من إشرافه ، واشدُّد من حكائمه ، وإلّا فسَدَ عليك ، فقال له الرشيد : ما يقولُ هذا ؟ قال : حاسدُ نعمة ، ولافس رُتبة ، أغضبه رضاك عني ، وباعدته قُرْبُكَ مني ، وأساءه إحسانك إلي . فقال له الرشيدُ : انخفض القومُ وعلوتهم ؛ فتوقَّدت في قلوبهم جَمرةُ التأسف . فقال عبد الملك : أضرَمَها اللهُ بالتزيد عندك ! فقال الرشيدُ : هذا لك وذاك لهم .

وصعد المنبر ، فأرتج عليه فقال : أيها الناس ، إن اللسان بضعة من الإنسان تكلُّ بكلامه إذا كَلَّ ، وتنفسح [بانفساحه] إذا ارتجَل ، إن الكلامَ بعد الإلحاح كالإشراقِ بعد الإظلام ، وإنا لانسكتُ حَصراً ، ولا ننطقُ هَذَراً ؛ بل نسكتُ مفيدين ، وننطقُ مُرشِّدين ، وبعد مقامنا مقام ، ووراء أيامنا أيام ، بها فضل الخطاب ، ومواقع الصواب ، وسأعودُ فأقول ، إن شاء الله تعالى

اعتذار
عبد الملك
وقد ارتج عليه

وقال الأصمعي : كنتُ عند الرشيد فدعا بعبد الملك بن صالح من حَبْسِهِ ، فقال : يا عبد الملك ، أكَفراً بالنعمة^(١) ، وغدراً بالسلطان ، ووثوباً على الإمام ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، بُوتُ بأعباء الندم ، واستحلال التَّقم ، وما ذاك إلا من قول حاسدٍ ، ناشدتك الله والولاية ، ومودة القرابة . فقال الرشيد : يا عبد الملك ، تصعُ لي لسانك ، وترفعُ لي جَنانك ، بحيث يحفظُ الله لي عليك ، ويأخذ لي منك ، هذا كتابك قمامة نبي عن غلِّك^(٢) ، فالنفت عبدُ الملك إلى قمامة وكان قائماً ، فقال :

بين يدي
الرشيد
بعد حبسه

(١) كفرا بالنعمة : جحوداً لها وإنكاراً (م)

(٢) غلك : حقدك وفساد قلبك (م)

أحقا يا قامة ؟ قال : حقا ، لقد رُميتَ حَخْرًا^(١) أمير المؤمنين ! فقال عبد الملك : وكيف لا يكذب عليّ يا أمير المؤمنين في غَيْبتي من يَبْهَتني في حضرتي ؟ فقال الرشيد : دَعُ قامة ، هذا ابْنك عبد الرحمن ينيبُ عنك بمثل خبر قامة ، فقال عبد الملك : إن عبد الرحمن مأمور أو عاقٍ ؛ فإن كان مأمورا فهو معذور ، وإن كان عاقا فما أتوقع من عقوبته أكثر .

[في مقام الخوف]

وقال الرشيد للحسن بن عمران وقد أُدْخِلَ عليه يرْسُفُ في قُبُودِهِ : ولَيْتَكَ دمشق وهي جَنَّةٌ مَورِقَةٌ ، تَحِيطُ بِهَا غُدْرُ كَاللَّجِينِ^(٢) ، فَتَكْفِي عَلَى رِياضِ كَالزَّرَابِي ، وَكَانَتْ بِيوتِ أَمْوَالٍ فَمَا بَرِحَ بِهَا التَّعَدَى ، حَتَّى تَرَكَتْهَا أَجْرَدَةً مِنَ الصَّخْرِ ، وَأَوْحَشَ مِنَ القَفْرِ ! فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا قَصَدْتَ لِغَيْرِ التَّوْفِيقِ مِنْ جِهَتِهِ ، وَلَسَكُنِي وَآيَتِ أَقْوَامًا تَقَلُّ عَلَى أَعْنَاقِهِمُ الحَقُّ ، فَتَفَرَّغُوا فِي مِيدَانِ التَّعَدَى ، وَرَأَوْا أَنَّ المِرَاعِمَةَ بِتَرْكِ العِمَارَةِ أَوْقَعُ بِإِضْرَارِ السُّلْطَانِ ، وَأَنَوَّهَ بِالشَّنْعَةِ ؛ فَلَا جَرَمَ أَنَّ مَوْجِدَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَخَذَتْ لَهُمُ بِالْحِظِّ الأَوْفَرَ مِنْ مَسَاءَتِي ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مَالِكٍ : هَذَا أَجْرُلُ كَلَامٍ سَمِعَ خُلَافَ ، وَهَذَا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ عَنِ الحُكَمَاءِ « أَفْضَلُ الأَشْيَاءِ بِدِيهَةِ أَمْنٍ وَرَدَّتْ فِي مَقَامِ خَوْفٍ » .

ولما رَضِيَ الرَّشِيدُ عَنِ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : الحمد لله الذي سَهَّلَ لِي سُبُلَ الكَرَامَةِ بِقَائِكَ ، وَرَدَّ عَلَيَّ النِّعْمَةَ بِوَجْهِ الرِّضَا مِنْكَ ، وَجَزَاكَ اللهُ فِي حَالِ سُخْطِكَ حَقَّ المُتَثَبِّينِ المَرَاقِبِينَ ، وَفِي حَالِ رِضَاكَ حَقَّ المُنْعَمِينَ المُتَطَوِّلِينَ ؛ فَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ - وَلهُ الحمد - تَنْثَبَتْ [تَحْرَجًا] عِنْدَ القَضْبِ ، وَتَتَطَوَّلُ [مَمْتَنًا] بِالنِّعْمِ ، وَتَسْتَنْبِقِي المَعْرُوفَ عِنْدَ الصَّنَائِعِ تَفَضُّلاً بِالقَفْوِ .

(١) رمت : أردت ، واحتر : العذر والحياة (م)

(٢) اللجين - بضم الليم - جمع غدبر ، وهو ما احتجته السيل من الماء ، واللجين :

الفضة (م)

[من الرثاء]

لمسلم بن الوليد
وفي يزيد بن يزيد يقول مسلم بن الوليد صرثيته، وقد رويت له في يزيد بن
في يزيد بن يزيد أحمد السليبي :

قَفِيزٌ بِبِرْدَعَةٍ اسْتَسْرَّ ضَرِيحُهُ خَطْرًا تَقَاصَرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ^(١)
نَفَضْتَ بِكَ الْأَحْلَاسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ وَاسْتَزَجَعْتَ نَزَاعَهَا الْأَمْصَارُ
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَتْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ
سَلَكْتَ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى الْعَلَا حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ حَارُوا
وقال أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عطية يرثي أخاه :

لحمد بن
أبي عطية
يرثي أخاه

حَنَطْتَهُ يَانِصْرُ بِالْكَافُورِ وَزَفَقْتَهُ لِلْمَنْزَلِ الْمَجُورِ
هَلَّا بِيَعْمُ خِصَالِهِ حَنَطْتُهُ فِيضُوعَ أَفْقِ مَنَازِلِ وَقُبُورِ
وَاللَّهِ لَوْ بَنَسِمِ أَخْلَاقِ لَهُ تُعْزَى إِلَى التَّقْدِيسِ وَالتَّطْهِيرِ
حَنَطْتُ مِنْ وَطِي الْحَصَى وَعَلَا الرَّبِي لِتَزُودِ بِلِ عُدَّةٍ لِنَشُورِ
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ فَإِنَّهُ [قَدْ كَانَ خَيْرَ مُجَاوِرٍ وَمُجِيرِ]
[وَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْوَفَاءُ فَإِنَّهُ] عَصَفَتْ بِهِ رِيحًا صَبَابًا وَدُبُورِ
وَاللَّهِ مَا أَتَبَّنْتَهُ لِأَزِيدِهِ شَرَفًا وَلَكِنْ تَفَنَّتْهُ الْمَصْدُورِ

ومات رجلٌ من العرب كان يعولُ اثني عشر ألفاً، فلما حُمل على سريره
صَرَ، فقال بعضُ من حضره:

لأصماني
يرثي أصماني

وَلَيْسَ صَرِيرُ النَّشْرِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصَفُ^(٢)
وَلَيْسَ فَيْقُ الْمَسْكَ مَا تَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ الْخَلْفُ

وقال عبد الله بن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب يرثيه :

لابن المعتز

يَا بَنَ وَهْبٍ بِالْكَرْهُ مَتَّى بَقَيْتُ عَجَبِي يَوْمَ مَتَّى كَيْفَ حَيَّيْتُ

(١) في الأمازي (٢٧٦/١) «قبر بجلوان استسر» واستسر: أخفى وستر (م)

(٢) الصرير: الصوت، وصر: صوت، وتقصف: أصله تقصف، ومعناه

تسكسرت وتحطم (م)

إنما طيب الثناء الذي خلقت لأمسك نعتك المفتوح
وأختصرت الطريق بعدك للموت فلاقته ولست أفوت
كيف يبتقى على الحوادث حتى بيد الدهر عوده منحوت
وقال أيضاً :

ذكرت ابن وهب فله ما ذكرت وما غيبوا في الكفن
تقطر أقلامه من دم ويعلم بالظن ما لم يكن
وظاهر أطرافه ساكن وما تحته حرّكات الفطن
وقال :

ذكرت عميد الله والتراب دونه فلم تجبس العينان مني بكاهما^(١)
وحاشاه من قول «سقى النيث قبره» يداه تروى قبره من نداها
وهذا مأخوذ من قول الطائي :
سقى النيث غيثا وارت الأرض شخصه
وكيف اختمالي للسحاب صنعة
وقال ابن المعتز :

لم تمت أنت ، إنما مات من لم يبتقى في المجد والمكارم ذكرا
لست مستسقىا لقبرك غيثا كيف يظما وقد تضمن بحجرا
والبيت الثاني من هذين من بيت الطائي .

وقال :

محمد بن حميد أخلقت ريمه أريق ماء المعالي إذ أريق دمه
رأيت بنجر السيف مختبيا كالبدحين انجملت عن وجهه ظلمة
في روضة حفا من حولها زهر أيقنت عند اتباهي أنها نعمة

(١) في الديوان « فلم تملك العينان إلا بكاهما » (م)

(٢) النيث الأول : المطر ، والنيث الثاني : الجواد الكريم ، أراد به الرثي (م)

للبحري
في الحسن
ابن وهب

قلتُ والدمعُ من وَجْدٍ ومن حُرْقٍ يَجْرِي وقد خدَّ الخلدِين منسجُمُهُ؛
 ألم تمت يا سليلَ المجد من زمنٍ ؟ فقال لي : لم يمت من لم يمت كرمُهُ
 وقال بعض أهل العصر :
 عُمرُ الفتى ذِكْرُهُ ، لا طولُ مدَّتِهِ وموتُهُ موتُهُ لا موتُهُ الدَّانِي
 فأخِي ذِكْرُكَ بالإحسان تزرعُهُ تُجمَعُ به لك في الدنيا حَيَاتَانِ
 وقال عبد السلام بن رَغَبَان الحِمَصى (١) :

سقى الغيثُ أرضاً ضُمَّنتك وساحَةً لَقَبْرُكَ فِيهِ الغيثُ والليثُ والبَدْرُ
 وما هي أهلٌ إذ أصابتك بالبلي لسُقيا ، ولكن من حَوَى ذلك القبرُ
 أخذ هذا البيت [الأول] الراضى فقال يرثى أباهُ المقتدر :
 بنفسى ثرَى ضُمَّنت في ساحةِ البلي لقد ضَمَّ منك الغيثُ والليثُ والبَدْرَا
 فلو أن عمري كان طوعَ مشيئتي وأسعدني المقدورُ قاسمَتِكَ العمرا
 ولو أن حيًّا كان قَبْرًا لميت لصَيَّرتُ أحشائي لأَعْظَمِهِ قَبْرَا
 هذا البيت ينظر إلى قول المتنبي :
 حتى أتوا جَدْنَا كأن ضريحهُ في قلبِ كلِّ موحِّدٍ محفورُ

لما حملت قطرُ الندى بنتَ حُمَارَوَيْه بن [أحمد بن] طولون إلى المعتضد كتب
 معها أبوها إليه يذكره بجرمة سلفها [بسلفه] ، ويذكر ما تردُّ عليه من أبهة
 الخليفة ، وجلالة الخليفة ، ويسأل إنسانها وبسَطَها ، فبلغت من قلبِ المعتضد
 لما زُفَّت إليه مبلغا عظيما ، وسرَّ بها غاية السرور ، وأمر الوزيرَ أبا القاسم عبيد الله
 ابن سليمان بن وهب بالجواب عن الكتاب ، فأراد أن يكتبه بخطه ، فسأله أبو
 الحسين بن ثَوَابَةِ أن يؤثِّره بذلك ففعل ؛ وغاب أياما وأتى بنسخة يقول في فصل

قطر الندى
والخليفة المعتضد

(١) هو المعروف بديك الجن 'م)

منها : وأما الودِيعَةُ فهي بمنزلةِ شيءٍ انتقل من يمينك إلى شمالك ، عنايةً بها ، وحيطةً عليها ، ورعايةً لمودتك فيها . ثم أقبل عبيد الله يُعجب من حُسن ما وقع له من هذا ، وقال : تسميتي لها بالودِيعَة نصفُ البلاغة ، فقال عبيد الله : ما أقبحَ هذا ! تفاءلتَ لامرأةٍ زُفَّت إلى صاحبها بالودِيعَة ، والودِيعَةُ مستردة . وقولك « من يمينك إلى شمالك أقبح » لأنك جعلت أباها اليمين وأمير المؤمنين الشمال ، ولو قلت : « وأما الهديةُ فقد حسن موقعها منّا ، وجلّ خطرُها عهدنا ! وهي وإن بعدتُ عنك ، بمنزلةٍ من قربتُ منك ؛ لتفقدنا لها ، وأنسبها ، ولسرورها بما وردتُ عليه ، واغتباطها بما صارت إليه » لكان أحسن ، ففخذ الكتاب .

وكانتُ قَطْرُ الندى مع جمالها موصوفةً بفضل العقل ، خلاها المعتضد يوماً للأنس بها في مجلسٍ أفردته لم يحضره غيرها ، فأخذتُ منه الكأس ، فنام على فخذه ، فلما استنقل^(١) وضعتُ رأسه على وسادة ، وخرجتُ فجلستُ في ساحة القصر على باب المجلس ، فاستيقظ فلم يجدها ، فاستشاط غضباً^(٢) ، ونادى بها فأجابته على قرب ، فقال : ما هذا ؟ أخليتك إكراماً لك ، ودفعتُ إليك مهجتي دون سائر حظاياي ، فنصميتُ رأسي على وسادة ! فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما جهلتُ قدرَ ما أنعمتَ به عليّ ، وأحسنْتَ فيه إليّ ، ولكن فيما أدبني به أبي أن قال لي : لا تنام مع الجلوس ، ولا تجلسي بين النيام .

[رجع إلى الرثاء .]

لابن المعتزيرني
ابن نوابه

وفي أبي الحسين بن نوابه يقول ابن المعتزيرني :

ليس شيءٌ لصحةٍ ودوامٍ علبَ الدهرُ حيلةَ الأقوامِ
وتولى أبو الحسين حميداً فعلى رُوحه سلام السلام

(١) استنقل : كناية عن تمكن النوم منه (م) .

(٢) استشاط غضباً : غضب غضباً شديداً ، وأصل معنى «استشاط» احترق (م)

حين عاقده على الحفظ للمهد وصافحته بكفّ الدمام^(١)
 واصطفته على الأخلاء نفسى كاصطفاء الأرواح للأجسام
 كان ربحانة الندامى وميزا ن القوافى شعراً وبجرّ كلام
 ومكان السهم الذى لا يرى الشك ولا يستغيث بالأوهام
 ساحر الوحى فى القراطيس لا تحبس عنه أعنة الأقالام
 فإذا ما رأيتـه خلت فى خديـه صبيحاً منقياً بظلام
 نفس صبراً لا تجزعى إن هذا خلق من خلائق الأيام

[أيام الشباب]

وأشدّ أبو العباس أحمد بن يحيى تعلب لرجل من بنى كلاب :
 سقى الله دهرأ قد تولت غياطـله^(٢) وفارقنا إلا الحشاشة باطـله^(٣)
 ليالى خدنى كل أبيض ماجد يطعم هوى الصابى وتعضى عواذله
 وفى دهرنا والعيش فى ذلك غرة أليت ذلك الدهر تُثنى أوائله
 بما قد غنينا والصبأ جل همنا يمايلنا ريعانه ونمأيله
 وجرّ لنا أذياله الدهر حنبة يطاولنا فى غيه ونطاوله
 فسقى له من صاحب خذلت بنا مطيقنا فيه وولت رواحله
 أصد عن البيت الذى فيه قاتلى وأهجره حتى كانى قاتله

هذا البيت يناسب قول ذى الرمة ، وإن لم يكن فى هذا المعنى ، يصف ظيية
 وولدها :

إذا استودعته صفصفاً أو صريمةً تنحت ونصت جيدها بالمنظر^(٣)
 حذراً على وسنان يصرعه الكرى بكل مقيل عن ضعاف فواتر

(١) الدمام - بكسر الدال - العهد (م)

(٢) غياطله : ظلماته ، واحدها غيطل (م)

(٣) الصفصف : المستوى من الأرض ، والصرمة : الرملة المنقطعة من الرمال

لرجل من
بنى كلاب

وتهجّره إلا اختلاسا نهارها وكم مزج حب رهبة العين هاجر

وقال أبو حية النميري :

أما وأبي الشباب لقد أراه جميلا ما يرادُ به بديلُ
إذ الأيامُ مقبلةٌ علينا وظلُّ أراكِةِ الدنيا ظليلُ

وقال علي بن بسام :

بشاطي نهر قبرك فالمصلّى فإنا والآها فالقرّيتين
مماهدهُونا والعيشُ غصُ وصرف الدهر مقبوض اليدين

وكان ابن بسام هذا - وهو علي بن محمد بن منصور بن بسام ملبح من ترجمة ابن بسام وأخباره

كم قد قطعت إليك من ديمومة نطف المياه بها سواد الناظر^(١)
في ليلة فيها السماء مرّدة سوداه مظلمة كقلب الكافر^(٢)
والبرق يخفق من خلال سخابه خفق الفؤاد لموعده من زائر
والقطر منهميل بسح كأنه دمع المودع إثر ألف سائر

وقال في العباس [بن الحسين] لما وُزّر للمكتفى :

وزارة العباس من تحسبها مستقل الدولة من أسبها
شبهته لما بدأ مقبلا في خلع ينجل من لبسها
جارية رعناء قد قدّرت ثياب مولاها على نفسها

وقال في علي بن يحيى المنجم يرثيه :

(١) النطف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي (م)

(٢) مرّدة : اسم القاعل من قولهم «أرذ المطر» إذا هطل ، وفي نسخة « فيها

السماء مزادة » (م)

قد زرتُ قبرك يا عليّ مسلماً ولكَ الزيارة من أقلِّ الواجبِ
ولو استطلعت حملتُ عنك تُرابهُ فلطالما عنى حملتَ نوائبي
وكان مولعاً بهجاءِ أبيه ، وفيه يقول وقد ابتنى داراً :

شِدَّتْ دَاراً خَلَّتْهَا مَكْرُمَةً سَلَطَ اللهُ عَلَيْهَا الْفِرَاقَ
وَأَرَانِيكَ صَرِيحاً وَسَطِهَا وَأَرَانِيهَا صَعِيداً زَلَقاً
وقال أبو العباس بن المعتز يهجوهُ :

من شاء يَهْجُو عَلِيّاً فَشِعْرُهُ قَدْ كَفَّاهُ^(١)
لو أنه لأَيُّهُ ما كان يَهْجُو أَبَاهُ

[مع الخلفاء]

بين المأمون وأحمد - ابن أبي خالد
وقال المأمون لأحمد بن أبي خالد ، وهو يخلف الحسن بن سهل ، وقد أشار إليه برأى استرجحَه : قد اعتلَّ الحسنُ ولزم بيته ، ووكلَّ الأمرَ إليك ، فأنا إلى راحتِهِ وبقائه ، أحوجُ [مى] إلى إتباعِهِ وفنائه ، وقد رأيتُ أن أستوزرك ؛ فإن الأمرُ ما دُمْتَ أنت تقومُ به ، وقد طالعتُ رأيه في هذا الأمر ، فاعداك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أعفني من التسمي بالوزارة ، وطالبنى بالواجب فيها ، واجبل بيني وبين الغاية ما يرجو لي وائبي ، ويخافني له عدوِّي ، فما بعد الغايات إلا الآفات . فاستحسن كلامه ، وقال : لا بد من ذلك ، واستوزره .

المأمون ومحمد - ابن داود في حسن الخط
ورأى المأمونُ خطَّ محمد بن داود فقال : يا محمد ، إن شاركتنا في اللفظ ، فقد فارقناك في الخط ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من أعظم آياتِ النبي صلى الله عليه وسلم أنه أدَّى عن الله سبحانه وتعالى رسالاته ، وحفظ عنه وحْيَه ، وهو

(١) في الديوان «فشعره قد هجاه»

أتى لا يعرف من فنون الخط فنناً ، ولا يقرأ من سائره حَرْفاً ، فبقى عمود ذلك في أهله ، فهم يَشْرُفون بالشَّبهِ الكَرِيم في نَقْصِ الخط ، كما يشرفُ غيرُهم بزيادته ؛ وإن أمير المؤمنين أحصى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ، والمتقّل لأمره ونهيه ؛ فعلقت به المشابهة الجليلة ، وتناهت إليه الفضيلة فقال المأمون : يا محمد ، لقد تركتني لا آسى على الكتابة ، ولو كنتُ أمياً .

وهذا شبيهٌ بقول سعيد بن المسيب ، وقد قيل له : ما بال قریش أضعفُ العرب شعراً ، وهى أشرفُ العرب بيتاً ؟ قال : لأنّ كَوْن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قطع متن الشعر عنها .

من رافة
المأمون بعاله

وقال إبراهيم بن الحسن بن سهل : كنا في مجلس المأمون وعمرو بن مسعدةَ يقرأ عليه الرقاع ، فجاءته عطسةٌ ، فلوى عنقه فردّها ، فرآه المأمون فقال : يا عمرو ، لا تفعل فإن ردّ العطسة وتحويل الوجه بها يُورثان انقطاعاً في العنق . فقال بعض ولد المهدي : ما أحسنها من مولى لعبده ، وإمام لرعيته ! فقال المأمون : وما في ذلك ؟ هذا هشامٌ أضطربت عمامته فأهوى الأبرش الكلبى إلى إصلاحها ، فقال هشام : إنا لا نَتَّخِذُ الإخوان خولاً^(١) ! فالذى قال هشام أحسن مما قلته . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين : إن هشاماً يتكلّف ما طبعت عليه ، [ويظلم] فيما تعدل فيه ، ليس له قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا قيامك بحق الله ، وإنك والملوك لكما قال النابغة الذبياني :

ألم تر أنّ الله أعطاك سورةً ترى كل ملكٍ دونها يتذبذبُ
لأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبٌ
أخذ النابغة هذا من قول شاعرٍ قديمٍ من كندة :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرُو بْنِ هِنْدٍ غَضَبَهُ وَهُوَ عَاتِبٌ
هُوَ الشَّمْسُ وَاقَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلَتْ عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبٌ (١)

بين يزيد بن معاوية وجميل بن أوس
قال يزيد بن معاوية لجميل بن أوس، وكان أكرمه واجتبهه : لم كرهت الإفراط في تقديمي ، وتطامنت عن الدرجة التي سما بك إليها مكانك مني ؟ فقال : [أيد الله سلطانك ، وأعلى مكانك] ، إن الذين كانوا قبلنا من أهل العلوم والآداب ، والعقول والألباب ، كانوا أطول أعماراً منا ، وأكثر للزمان صحبة ، وأكثر للأيام تجربة ، وقد قال الحكيم : بقدر الثواب عند الرضا يكون العقاب عند السخط ، وبقدر السموى في الرفعة تكون وجبة الرفعة ، ولا خير فيمن لا يسمع الموعدة ، ولا يقبل النصيحة ، وأنا يا أمير المؤمنين وإن كنت آمناً من التعرض لسخطك والدنو مما يقرب منه ، فلست بأين من طعن المساوي في الدرجة عندك ، وحقر المشارك لي في المنزلة منك ، وليس من تقديمك قليل ، ولا من تعظيمك يسير ، فإن أقل ذلك فيه النباهة ، والفخر ، [والثناء] والذكر ، وحسبي مما بذلته من أموالك استحقاق عندك لإكرامك ، وحسبي من تقديمك خالص رضاك ، وصفاء ضميرك

مختار من أقوال الحكماء عند وفاة الإسكندر

لما جُيِلَ الإسكندرُ في تابوت من ذهب تقدم إليه أحدُهم فقال : كان الملكُ يحبُّ الذهب ، وقد صار الآن الذهبُ يحبُّه ، وتقدم إليه آخر ، والناسُ سيكونون ويجزعون ، فقال : حررنا بسكونه ، أخذه أبو العتاهية فقال :
يا علي بن ثابت بن متى صاحب جَلَّ فقده يوم بنتنا

(١) الدجن : الظلمة ، ووقع في نسخة «واقف يوم سعد» وأفضلت : زادت (م)

قد لَعَمْرِي حَكَيْتَ لِي عُصَصَ الْمَوْتِ وَحَرًّا كَتَنِي لَهَا وَسَكَنَتَا
وتقدم إليه آخر فقال : كان المَلِكُ يَمِظُنَا فِي حَيَاتِهِ ، وهو اليومَ أَوْعَظُ مِنْهُ
أَمْسِ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

وكانت في حياتك لي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا
وتقدم إليه آخر فقال : قد طاف الأَرْضِينَ وتَلَكَّهَا ، ثم جُعِلَ مِنْهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَذْرَعٍ . ووقف عليه آخر فقال : مالك لا تُنْقَلُ عَضْوًا مِنْ أَعْضَانِكَ ، وقد
كنت تستقلّ ملكَ العباد . ووقف عليه آخر فقال : انظرْ إِلَى حِلْمِ النَّائِمِ كَيْفَ
انْقَضَى ، وَإِلَى ظِلِّ النَّعَامِ كَيْفَ انْجَلَى . وقال آخر : مالك لا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ عَنْ
ضَيْقِ الْمَكَانِ ، وقد كنت تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رَحْبِ (١) الْبِلَادِ . وقال آخر : [كان
الملك غالبًا فصار مغلوبًا ، وآ كلاً فصار مأكولًا . وقال آخر] : أَمَاتَ هَذَا الْمَيْتُ
كثيْرًا مِنَ النَّيَاسِ لئِلاَّ يَمُوتَ ، وقد ماتَ الْآنَ . وقال آخر : ما كان أقبِحَ
إفراطك في التَّجَبُّرِ أَمْسِ ، مع شِدَّةِ خُضُوعِكَ الْيَوْمَ . وقالت بنت دارا : ما علمت
أَنَّ غَالِبَ أَبِي يُغَلَّبُ . وقال رئيس الطبّاحين : قد نضدت النضائدُ ، وأُلقيت
الوسائدُ ، ونُصِبَتِ الْمَوَائِدُ ، ولستُ أرى عميدَ المجلسِ !

جملة من كلام ابن المعتز في الفصول القصار في ذكر السلطان

أشقى الناس بالسلطان صاحبه ، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أضرعها
احتراقًا . لا يدركُ الغنى بالسلطان إلا نفس خائفة ، وجِسمٌ تَعِبٌ ، ودينٌ مثلم .
إن كان البحرُ كثيرُ الماءِ فإنه بعيدُ المهوى ، ومن شارك السلطان في عزِّ الدنيا
شاركه في ذلِّ الآخرة . فسادُ الرعيّة بلا ملك كفسادِ الجسم بلا رُوح . إذا
زادك السلطانُ تأنيسًا فزِدْهُ إِجْلَالًا . من صحب السلطانَ صبر على قسوته كصبر

(١) الرحب : الواسع (م)

النواص على ملوحة ببحره . الملك بالدين يبقى ، والدين بالملك يتقوى . من نصح
 لخدمة نصحته المجازاة . لا تلتبس بالسلطان في وقت اضطراب الأمور عليه ؛ فإن
 البحر لا يكادُ يسلم صاحبه في حالِ سكونه ، فكيف عند اختلاف رياحه ،
 واضطراب أمواجه ؟ .

ومن كلام أهل العصر وغيرهم في هذا النحو

الأوطانُ حيثُ يعدلُ السلطان . إذا نطق لسان العدل في دار الإمارة ، فلها
 البُشرى بالعزّ والإمارة . آخرُ بالملك العادل أن يستقلَّ سريره في سُرّة الأرض .
 ریحُ السلطان على قومٍ سموم^(١) ، وعلى قومٍ نسيم . أُخْلِقُ بدم المستخف بالجبارة أن
 يكون جباراً^(٢) . من غمس يده في مال السلطان فقد مشى بقدمه على دمه . الملك
 خليفةُ الله في عبادِهِ وبلادِهِ ، ولن يستقيم أمرُ خلافته مع مخالفته . الملك مَنْ
 ينشرُ أثواب الفضل ، ويبسطُ أنواعَ العدل . السلطانُ كالنارِ : إنْ باعدتها بطل
 نفعُها ، وإنْ قاربها عظم ضررها . إقبالُ السلطان تَعَبٌ وفِتْنَةٌ ، وإعراضُه حسرة
 ومذلة . صاحبُ السلطان كراكب الأسد يهابُه الناسُ وهو لمركبه أهيبُ .
 السلطانُ إذا قال لعمّاله : هاتوا ، فقد قال لهم : خذوا . ثلاثة لا أمان لهم : السلطانُ ،
 والبحرُ ، والزمان . ليكن السلطان عندك كالنار : لا تدنو منها إلا عند الحاجةِ
 إليها ، وإن اقتبست منها فعلى حذر . مثل أصحاب السلطان كقومٍ رَقُوا جبالهم
 وقوماً منه ، فكان أقربهم إلى التلف أبعدهم في المرقى . مثل السلطان كالجبل
 الصَّعب الذي فيه كلُّ ثمرة طيبة ، وكل سَمْع حَطوم ، فالارتقاء إليه شديد ،
 والمقام فيه أشدُّ . ابنُ عزِّ الملوك في الدنيا بالجور ليدلَّن في الآخرة [بالعدل] .

لابن عبَّاد الصَّاحب :

إذا ولَّك سلطانٌ فزده من التظيم واخذرُهُ وراقب

(١) سموم — بفتح السين — حارة محرقة (م)

(٢) جبار — بضم الجيم وفتح الباء مخففة — هدر ، ليس له من يأخذ به (م)

فما السلطانُ إلا البحرُ عظماً وقربُ البحرِ مَحْذُورُ العَوَاقِبِ

[وصف كاتبة]

ووصف أحمد بن صالح بن شيران^(١) جاريةً كاتبة فقال: كَانَ خَطُّهَا أَشْكَالَ صُورَتِهَا ، وَكَانَ مِدَادُهَا سَوَادُ شَعْرِهَا ، وَكَانَ قِرْطَاسُهَا أُدِيمٌ وَجِهَيْهَا ، [وَكَانَ قَلَمُهَا بَعْضُ أَنْامِلِهَا ، وَكَانَ بِنَانُهَا سِخْرٌ مُقْلَتِهَا ، وَكَانَ سِكِّينُهَا غُنْجٌ لِحْظِهَا] وَكَانَ مِقْطَعُهَا قَلْبُ عَاشِقِهَا .

[وصف غلام كاتب]

وقال بعضُ الكتابِ يصفُ غلاماً كاتباً :

انظر إلى أثر المِدادِ بِخَدِّهِ كِبْنَفْسِجِ الرُّوضِ المَشُوبِ بِوَرْدِهِ
ما أَخْطَأَتْ نُونَاتُهُ مِنْ صُدُغِهِ شَيْئاً ، وَلَا أَلِفَاتُهُ مِنْ قَدِّهِ
أَلَقْتُ أَنْامِلُهُ عَلَى أَقْلَامِهِ شَبْهًا أَرَاكَ فِرْنْدَهَا كَفِرْنْدِهِ^(٢)
وَكَانَ أَنْفَاسُهُ مِنْ شَعْرِهِ وَكَانَ قِرْطَاسُهُ مِنْ خَدِّهِ^(٣)

وقال أحمد بن أبي سمرة الديلمي فيما ينظر إلى هذا من طَرَفِ خَفِيِّ :

[سَرَّابُ الْفِيَا فِي صَادِقٍ عِنْدُ وَعْدِهَا وَسَمُّ الْأَفَاعِي مُبْرِيٌّ عِنْدَ صَدِّهَا]
رَمْتَنِي وَلَمْ أَمْعُدْ بِأَيَّامٍ وَصَلُّهَا بَعِيْنِي مَهَابَةٌ أَنْحَسْتَنِي بِيُعْدِهَا
فَعَلَّقَتْ قَلْبِي كَمَا قَدْ تَعَلَّقَتْ صَوَالِجُ صَدِغِهَا بِتَفَاحِ خَدِّهَا
فَقَلْبِي تَمَّ أَوْضَعْتَهُ كَحَصْرِهَا وَدَمْعِي أَمَّا نَظْمَتُهُ كَمَقْدِهَا
وَنِيْلُ الثَّرِيًّا مِمَّا مَكَّنْ عِنْدَ وَصْلِهَا وَأَسْرَعُ مِنْ بَرَقِ تِنَاقُضِ وَعْدِهَا

[من بديع الزمان إلى ابن العميد]

رقعة كتبها بديع الزمان إلى ابن العميد يستنجزه: أَيْنَ تَكْرَمُ الشَّيْخُ العَمِيدُ
أَيْدِيَهُ اللهُ عَلَى مَوْلَاهُ؟ وَكَيْفَ مَعْدِلُهُ إِلَى سِوَاهُ؟ أَيْقَصِرُ فِي النِّعْمَةِ ، لِأَنِّي قَصُرْتُ

(١) في نسخة « بن بشير » (م) (٢) فرند السيف — بكسر الفاء والراء —
حده (م) (٣) الأنفاس: جمع نفس — بكسر فسكون — وهو الجبر (م)

في الخدمة؟ إذَنْ فقد أساء المعاملة، ولم يحسن المقابلة، وعثر في أذيال السهو، ولم ينش بيد العفو، أم يقول: إن الدهر بيننا خُدَع، وفيما بعد مُدَسع، فقد أزف رَحِيلِي^(١)، ولا ماء بعد الشطّ، ولا سطح وراء الخط؛ أم ينتظر سؤالاً؟ وإنما سألته، يوم أملتَه، واستمَنَحْتُهُ^(٢)، يوم مدحته، واقتضيته، يوم أتيتَه، وانتجعت سحابه، لما قرعت بابه، وليس كل السؤال أعطيني، ولا كل الرد أعفني؛ أم يقن- أيده الله تعالى- أني أردت صِلَتَه، ولا ألبس خلعتَه؟ وهذه فراسة المؤمن إلا أنها باطلة، ونَحِيلَة العارف إلا أنها فاسدة؛ أم ليس يجد في مكاناً للنعمة يضعها، وأرضاً للمنة يزرعها؟ فلا أقل من تجربة دفعة، والمخاطرة بإنفاذ خلعة، ليخرج من ظلمة التخمين، إلى نور اليقين، وينظر أشكر أم أ كفر؛ أم يتوقع-أيده الله- صاعقة تملكني، أو بائقة تهلكني^(٣)، فلماذا أمل موفراً، لأن شيخ السوء باق مُعَمَّر؛ أم يقدر-أيده الله- أني أشكره إذا اصطنع، وأعذره إذا منع، وتالله لو كنت ينبوع المآذير ما حظي منها بجرعة، فليرحني بسُرعة.

[بين البديع وأبي القاسم الهمداني]

وكتب أبو القاسم الهمداني إلى البديع: قد كتبت لسيدي حاجة إن قضاها وأمضاها، ذاق حلاوة العطاء، وإن أباهَا وفَلَّ شَبَاهَا^(٤) لقي مرارة الاستبطاء، فأى الجودين أخف عليه؟ أجود بالعلق^(٥)، أم جود بالعرض؟ ونزول عن الطريف، أم عن الخلق الشريف؟

فأجابه: جعلت فداك هذا طيبخ، كله توييخ، وثرديد، كله رَعِيد، ولُقم، إلا أنها نِقم، ولم أرقِ درأً أكثرَ منها عظماً، ولا آكلأ أكثرَ مني كظماً، ولم أَرَّ شربة أمرَ منها طعماً، ولا شارباً أتمَّ مني حاملاً، ما هذه الحاجة؟ ولكن حاجتك من بعدُ ألين جوانب، وألطف مطالب، توافق قضاءها وتوافق ارتضاءها، إن شاء الله تعالى.

(١) أزف رحيلي: قرب (م) (٢) استمنحته: طلبت منحة، أي عطاءه؛ وفي نسخة «استمنحته» بدون نون (م) (٣) البائقة: المهلكة (م) (٤) فل: كسر وحطم، وشبهاها - بفتح الشين- حدها (م) (٥) العلق- بالكسر- النفيس الذي يتغالي فيه (م)

وفي مقامات أبي الفتح^(١) الإسكندري من إنشائه ، قال :

حدثنا عيسى بن هشام قال : أكلتني جامع بخاري يوم ، وقد انتظمت مع رُقِيَّة في سَمَطِ الثَّرِيَا ، وحين احتفل الجامعُ بأهله طلع علينا ذو طَمِرَيْن^(٢) ، قد أرسل صوانًا ، واستتلى [طفلاً] عُرْيَانًا ، يضيّق بالصرّ وسنعه ، ويأخذه القُرْءُ ويدعّه ، لا يملك غير القشرة^(٣) بُرْدَةً ، ولا يلتقي لحياه رِغْدَةٌ ، ووقف الرجل وقال : لا ينظر لهذا الطفل إلا مَنْ رحم طفله ، ولا يرقُّ لهذا الصّر إلا مَنْ لا يأمنُ مثله ، يا أصحاب الجدود المفروزة ، والأرذية المطروزة ، والدور المنجّدة ، والقصور المشيدة ، إنكم لن تأمنوا حادثًا ، ولن تعدموا وارثًا ، فبادرُوا الخيرَ ما أمكن ، وأحسنوا مع الدهر ما أحسن ، فقد والله طَعِمْنَا السُّكْبَاجَ^(٤) ، وركبنا الهِمْلَاجَ^(٥) ، ولبسنا الديباج ، وافترشنا الحشايَا بالعشايَا ، فما رعنا إلا هبوبُ الدهرِ بغيره ، وانقلابُ الجنّ لظهره ، فعاد الهِمْلَاجُ قَطُوفًا^(٦) ، وانقلب الديباجُ صُوفًا ، وهلمّ جرا ، إلى ما شاهدون من خالي وزيتي ؛ فما نحن نرضع من الدهر تَدْمِيَّ عقيم ، وتركب من الفقر ظهر بهيم ، ولا نَزْنُوْا إلا بعين اليتيم ، ولا نمد إلا يد العديم ، فهل من كريم يجلو عنا غياهب هذه البؤوس ، ويفلُّ شبا هذه النحوس ؟ . ثم قعد مرتفقًا ، وقال للطفل : أنت وشأنك . فقال : وما عسى أن أقول ، وهذا الكلامُ لولقي الشعر لحلقه ، أو الصخر لفلقه ، وإن قلبًا لم يُنضِجْه ما قلت لبيّ ! قد سمعتم يا قوم ، ما لم تسمعوا قبل اليوم ، فليشغل كلَّ منكم بالجوّد يده ، وليذكر غَدَه ، وأقِيَابِي ولَدَه ، واذكروني أذكركم ، وأعطوني أشكركم !

قال عيسى بن هشام : فما آنسني في وِخْدَتِي إلا خاتم ختمت به خنصره ، فلما تناوله أنشأ يقول :

وَمُنْطَقٍ مِنْ نَفْسِهِ بِقِلَادَةِ الْجُوزَاءِ حُسْنًا

- (١) المراد المقامات التي وضعها البديع على لسان أبي الفتح الإسكندري (م)
 (٢) طمرين : مثنى طمر - بالكسر - وهو الثوب الخلق البالي الرث (م)
 (٣) القشرة : الجلدة (م) (٤) السكباج : ضرب من الطعام ، لحم بخل (م)
 (٥) الهملاج : الفرس المربع (م) (٦) الظرف : البطيء السير (م)

كَتَبْتِمْ لِي الْحَيْبَ فَضَمَّهُ شَفَقًا وَحَزَنًا
مَتَأَلَّفَ مِنْ غَيْرِ أُسْرَتِهِ عَلَى الْأَيَّامِ حِدَانًا
عَلِقَ سَنِي قَدْرُهُ لَكِنَّ مَنْ أَهْدَاهُ أُسْنِي
أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الْوَرَى فِي الْمَجْدِ لَفَطًّا كُنْتُ مَعْنِي

قال عيسى بن هشام : فتبعته حتى سَفَرَتِ الْخَلْوَةَ عَنْ وَجْهِهِ ، فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخَنَا
الإسكندري ، وَإِذَا الصَّبِيَّ غَلَامٌ لَهُ ، قَعَلْتُ :

أَبَا الْفَتْحِ شَبَبْتُ وَشَبَّ الْغَلَامُ فَأَيْنَ الْكَلَامُ ، وَأَيْنَ السَّلَامُ؟^(١)
فَقَالَ :

غَرِيبًا إِذَا جَعَمْنَا الطَّرِيقَ أَلْيَفًا إِذَا نَظَمْنَا الْخِيَامَ
فَعَلْتُ أَنَّهُ كَرِهَ لِقَائِي ، فَتَرَكْتَهُ وَانصَرَفْتُ .

[وَصَفَ فَصَّ وَخَاتَمَ]

وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ كَشَاجِمُ يَصِفُ فَصًّا :

لَأَبِي الْفَتْحِ
كَشَاجِمُ

سَاجِلٌ بِفَصِّكَ مَنْ أَرَدْتُ وَبَاهِهِ فَكُنِي بِهِ كَدًّا لِقَلْبِ الْحَاسِدِ
مَتَأَلَّقٌ فِيهِ الْفِرْنَدُ كَأَنَّهُ وَجَعِي شِدَاةُ نَدْبِي وَضَيْفٍ قَاصِدِ
لَوْ أَنَّ ظَنَّمَايَ مِنْهُ عُلَّتْ لِأَرْتَوَتْ مِنْ مَاءِ جَوْهَرِ الْمَعِينِ الْبَارِدِ^(٢)
بَهَرِ الْعَيُونَ إِضْآءَةً فِي رِقَّةٍ فَكَأَنِّي مَتَخَنَّمٌ بُمَطَّارِدِ
وَقَالَ بَعْضُ الْمُهَدِّثِينَ يَصِفُ خَاتَمًا :

لِبَعْضِ الْمُهَدِّثِينَ

وَوَحِيدُ الْكِيَانِ صَيِّغٌ بَدِيعًا فَإِذَا تَمَّ صَيِّغٌ مِنْ جَوْهَرَيْنِ
خَلَقَتْ خَجَلَةَ الْخُدُودِ عَلَيْهِ خِلْمًا قَدْ لَبَسَ فَوْقَ اللَّجَيْنِ

(١) فِي نَسْخَةِ «شَبَبْتُ وَشَبَّ الْغَلَامُ» (م)

(٢) عُلَّتْ : أَصْلُهُ شَرِبْتُ بَعْدَ شَرْبِ ، وَالْمُرَادُ هُنَا شَرِبْتُ مُطْلَقًا (م)

فإذا ما رأيتَه في بنانٍ
قلت نجمٌ هَوَى من الجوّ حتى

للبحترى

وقال البحتري يستهدى المعتز فصاً :

فهل أنت يابن الراشدين مختمى
يفار احمرار الورد من حُسنِ صبغها
إذا برزت والشمس قلت تجارياً
إذا التهمت في اللَّحظِ ضاهى ضياؤها
أسرَّبلٌ منها ثوبٌ فخرٍ معجلٍ
فبيق بها ذِكرٌ على الدهر مخلوقٍ

لأبي الفتح
كشاجم

وعلى ذكر الخاتم قال أبو الفتح كشاجم :

عرَضَنَ فمرَّضَنَ القلوبَ مِنَ الهوى
كانَّ الشفاةَ اللعسَ منها خواتِمٌ
لأشْرَعَ من كوى القلوب على الجمرِ
من التبرِ مختمومٌ بهنَّ على الدرِّ (٢)

وقال الناظم :

يَرُوعُ مُنَاجِيهِ بهاروتِ لِحْظِهِ
ترى فيه لاما فردةً فوق ورْدَةٍ
ويؤنسه منـه بصورةِ آدمِ
وفصاً من الباقوت من فوق خاتمِ

[مفاضلة بين الكلام والصمت]

وقال أبو تمام الطائي : تذاكرنا في مجلس سعيد بن عبد العزيز الكلامَ
وفضله ، والصمتَ ونُنبه ، فقال : ليس النجْمُ كالقمر ؛ إنك إما تمدحُ السكوتَ
بالكلام ، ولا تمدحُ الكلامَ بالسكوت ، وما أنبأ عن شيء فهو أكبرُ منه .
قال الجاحظ : كيف يكونُ الصمتُ أنفعَ من الكلام ، ونفعُهُ لا يكادُ يجاوزُ

(١) ضاهى : أشبه ، ويتألق : يضي . (م) .

(٢) اللعس : جمع لعساء ، وهى التى فيها خيط أسمر ، وهو مما يتمدح به . (م) .

صاحبه ، ونفعُ الكلامِ يعمّ ويخصّ ، والرواةُ لم ترَوِ سكوتَ الصامتين ، كما روت كلامَ الناطقين ؛ فبالكلامِ أرسل اللهُ تعالى أنبياءه لا بالصمتِ ، ومواضعُ الصمتِ المحمودةُ قليلةٌ ، ومواضعُ الكلامِ المحمودةُ كثيرةٌ ، وبطولِ الصمتِ يفسدُ البيان . وكان يقال : محادثةُ الرجالِ تلقيحٌ لألبابها .

وذُكِرَ الصمتُ في مجلسِ سليمان بن عبد الملك فقال : إنَّ مَنْ تكلمَ فأحسنَ قدرَ أنْ يسكتَ فيُحْسِنَ ، وليسَ مَنْ سكتَ فأحسنَ يتكلمُ فيُحْسِنَ .

قال بعضُ النساك : أسكتني كلمةُ ابنِ مسعودَ عشرين سنةً ؛ وهى : من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يوبخ نفسه .

[الحنين إلى الأوطان]

قال أبو عمرو بن العلاء : مما يدلُّ على حرية الرجل وكرم غريزته حينئذٍ إلى أوطانه ، وتشوقه إلى متقدم إخوانه ، وبكاؤه على ماضى من زمانه .

وقالوا : الكريم يحنُّ إلى جنابه ، كما يحنُّ الأسدُ إلى غابه .

وقالوا : يشتاق اللبيبُ إلى وطنه ، كما يشتاق النجيبُ إلى عطنه^(١) .

ألفاظ لأهل المصر في ذكر الوطن

بلد لا تؤثر عليه بلدًا ، ولا تصبر عنه أبدأ . هو عشه الذي فيه درج ، ومنه خرج . جمع أسرته ، ومقطع سُرته . بلد أنشأته تربته ، وغذاه هواؤه ، ورباه نسيمة ، وحلَّتْ عنه التمايمُ فيه .

قالوا : وكان الناسُ يتشوقون إلى أوطانهم ، ولا يفهمون العلةَ في ذلك ، حتى أوضحها على بن العباس الرومى في قصيده لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه على رجل من التجار ، يعرف بابن أبي كامل ، أجبره على بيع داره واغتصبه بعض جُدرها ، بقوله :

(١) النجيب ؛ هنا الجبل الأصيل ، والعطن - بفتح العين والطاء جميعا - مبرك الإبل . أى مكان بروكها (م)

لابن الرومي
في تمليل الحنين
إلى الوطن

وَأَلَا أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرَ مَالِكًا
كِنَعْمَةٍ قَوْمٌ أَصْبَحُوا فِي ظِلَالِكَا
مَا رَبُّ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَا لِكَا
عَهودَ الصَّبَا فِيهَا فُخِنُوا لَدَلِكَا
لَهَا جَسَدٌ إِنْ بَانَ غُودِرَ هَا لِكَا
وَلِي وَطَنٌ آلَيْتُ إِلَّا أَيْعُهُ
عَهْدْتُ بِهِ شَرِيحَ الشَّبَابِ وَنِعْمَةٌ
وَحَبَّ أَوْطَانِ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ
فَقَدْ أَلْفَيْتَهُ النَّفْسُ حَتَّى كَانَهُ
يَقُولُ لَهُ فِيهَا :

فَقَالَ لِي أَجْهَدُنِي جَهْدَ احْتِيَالِكَا^(١)
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا ضَلَّةٌ مِنْ ضَلَالِكَا
بَعَارُ عَلَى الْأَحْرَارِ مِثْلُ سُوءِ الْكَا
لَأَمَلُ أَنْ أَضْحِي مُدْلًا بِمَالِكَا
فَلَا تُخْطِئْنَهُ نِقْمَةٌ مِنْ شِمَالِكَا
نَوَالِكَ وَالْعَادُونَ مَرَّ نِكَالِكَا
وَقَدْ عَزَّنِي فِيهَا لَيْمٌ وَسَامِي
وَمَا هُوَ إِلَّا نَسْجُكَ الشَّعْرِ ضَلَّةٌ
بَصِيرٌ بِتَسْأَلِ الْمَلُوكِ ، وَلَمْ يَكُنْ
وَإِنِّي وَإِنْ أَضْحِي مُدْلًا بِمَالِهِ
فَإِنْ لَمْ تُصِبنِي مِنْ يَمِينِكَ نِعْمَةٌ
فَكَمْ لَقِيَ الْعَافُونَ بَدَاءً وَعُودَةً

وقال علي بن عبد الكريم النصيبي : أتاني أبو الحسن بن الرومي بقصيدته
هذه ، وقال : أنصفتني ، وقل الحق : أيهما أحسن قولي في الوطن أو قول الأعرابي :
أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنْعِجٍ
بِلَادٌ بِهَا نَيْطَتْ عَلَيَّ تَمَامِي
إِلَى وَسَلَى أَنْ يَصُوبَ سَجَابُهَا
وَأَوَّلَ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا^(٢)
فقلت : بل قولك ؛ لأنه ذكر الوطن ومحبته ، وأنت ذكرت العلة التي
أوجبت ذلك .

وقال ابن الرومي أيضاً يتشوق إلى بغداد ، وقد طال مقامه بسر من رأى :
بَلَدٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّيْبَةَ وَالصَّبَا
فَإِذَا تَمَثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رَأْيَتَهُ
وَلَبِسْتُ ثُوبَ الْعَيْشِ وَهُوَ جَدِيدٌ
وَعَلَيْهِ أَغْصَانُ الشَّبَابِ تَمِيدٌ^(٣)
وله يشتاق
إلى بغداد

(١) عزني : غلبني (م) (٢) نيطت : علفت ، والتمام : جمع تيمية ، وهي اللعازة
تعلق على الصبي تمنع عنه العين في زعمهم (م) (٣) تميد : تتحرك وتتايل .

وقال أبو العباس : ولما احتفل القائل في هذا المعنى السابق إليه قال :

* بلادُها حلّ الشبابُ تماعى *

وقد تقدّم . وإذا كانت تماعه قطعت بأبرق العزّاف ، وكان الترابُ
الذي منّ جلدّه ترابَ جزيرة سيراف ، ويجب أن يحنّ إليه حنين المتأسفين على
غُوطَةِ دمشق ، وقصور مدينة السلام ، ونجف الجزيرة ، ومستشرف الخورنق ،
وجوسق سرّ من رأى ، لَمَّا بعد عنها ، وطال مقامه بغيرها ، كلاً ، ولكن هذا
الرجل علم أن الحنين إلى الأوطانِ لما تَدُكَّر من معاهد اللّهُ فيها ، بمجدة الشباب
الذي ذكر أن غول سكرته ، يغطى على مقدار فضيلته ، في قوله :

لا تلحّ من ينيكي شيبته إلاّ إذا لم ينيكها بدم
عيبُ الشيبية غول سكرتها ومقدار ما فيها من النعم
لَسْنَا نراها حقّ زويتها إلاّ أوان الشيب والهَرَمِ
كالشمس لا تبدو فضيلتها حتى تُعشّي الأرض بالظلمِ
ولرُبّ شيء لا يبيّنه وجدانه إلاّ مع العدمِ

أخذها هذا من قول الطائي :

راحت وفودُ الأرضِ عن قبره فارغة الأيدي وسلاء القلوب
قد علمت ماروثت ، إنما يعرفُ فقدُ الشمس بعد الغروب
وأخذ ابن الرومي قوله في صفة الوطن من قول بشّار :

متى تعرف الدارَ التي بان أهلها بسعدى فإن العهد منك قريبُ
تذكرك الأهواء إذ أنت يافعٌ لديها فمغناهاً لديك حبيبُ^(١)
أو من قول بعض الأعراب :
ذَكَرْتُ بلادِي فاستهلت مدامعي بشوقِي إلى عهدِ الصبا المتقدّمِ^(٢)

لبشار بن برد
في حب الوطن

لبعض
الأعراب

(١) يافع : أراد صغير السن ، ومغناها : موطن الإقامة منها (م)

(٢) استهلت مدامعي : انهمرت ، وهطلت ، وسالت (م)

حَنَنْتُ إِلَى أَرْضِ بَهَاخْضَرَ شَارِبِي وَقَطَعْتُ عَنِّي قَبْلَ عَقْدِ التَّمَامِ
 وَأُنشِدُ ثَعْلَبَ رَجَاءَ بْنِ هَرُونَ التَّمَكِّيَ :
 أَحِنُّ إِلَى وَادِي الأَرَاكِ صِبَابَةً لَعَهْدِ الصَّبَا فِيهِ وَنَذَكَارُ أَوَّلَ
 كَانَ نَسِيمَ الرِّيحِ فِي جَنَابَاتِهِ نَسِيمُ حَبِيبٍ أَوْ لِقَاءِ مَوْءَلٍ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّوَلِيُّ : وَلَسْتُ أَشْكُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ رَجَاءَ أَخَذَ ، وَبِهِ أَلَمْ ،
 وَعَلَيْهِ عَوَّلٌ ؛ لِأَنَّهُ فِي تَنَاوُلِهِ الْمَعْنَى غَرِيبُ الأَخْذِ ، عَايِرُ السَّهْمِ ^(١) ، لَا يِعَارِضُ
 مَعْنَى مَعْرُوفًا إِذَا أُنْشِدَ عِلْمُ النَّاسِ أَنَّهُ مَعْدِنُهُ الَّذِي اتَّحَتَهُ مِنْهُ .

وقد اختلس معنى قول ابن الرومي :

قَدَّ أَلَمَ النَّفْسُ حَتَّى كَانَهُ لَهَا جَسْدٌ إِنْ بَانَ غُودِرَ هَالِكَا
 أَخَذَهُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الإِبَادِيُّ وَقَالَ فَأَحْسَنُ الأَخْذِ وَلَطْفٌ فِي السَّرْقَةِ :
 بِالْجَزَعِ فَالْخَبْتَيْنِ أَشْلَاءَ دَارِ ذَاتِ لَيْسَالٍ قَدْ تَوَلَّتْ قِصَارُ
 بَانُوا فَاتَتْ أَسْفَا بَعْدَمَ وَإِنَّمَا النَّاسُ نَفُوسُ الدِّبَارِ
 وَقَالَ أَعْرَابِي :

أَيَا حَمْدًا مَحْدُوطِيبٍ تُرَابِهِ تَصَافِحُهُ أَيْدِي الرِّيَاحِ الْغُرَابِ
 وَعَهْدُ صَبَا فِيهِ يِنَازَعُكَ الهَوَى مَدْلُكَ أَتْرَابٍ عِدَابُ المِشَارِبِ
 تَنَالُ المَتَى مِنْهُنَّ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ عِدَابُ الثَّنَائِيَا وَارِدَاتِ الذُّوَابِ ^(٢)

وقال ابن ميادة يخاطب الوليد بن يزيد .

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بِحَمْرَةٍ لَيْلِي حَيْثُ رَبَّنِي أَهْلِي
 بِلَادٍ بِهَا نَيْطَتْ عَلِيٌّ تَمَامِي وَقُطِّعْنَ عَنِّي حِينَ أَذْرَكَ كَفِّي عَقْلِي
 فَإِنْ كُنْتَ عَنِ تِلْكَ المَوَاطِنِ مَانِي قَافَسِ عَلِيٌّ الرِّزْقَ وَاجْمَعِ إِذْ أَشْمَلِي

وقال سوار بن الصرير ^(٣) ، ورويت لمالك بن الربيع :

(١) السهم العائر : الذي لا يعرف راميهِ (م) .

(٢) الذوَاب : جمع دَوَابَّة ، وَأَرَادَ الشَّعْرَ ، وَوَرُودَهُ : اسْتِزْمَالَهُ (م) .

(٣) فِي نَسْخَةِ «-وَارِ بْنِ المَضْرِبِ» (م) .

رجاء
ابن هارون
المكي

الإبادي

لأعرابي

لابن ميادة

سقى الله اليمامة من بلاد
وجوا زاهراً للريح فيه
به سقت الشباب إلى زمان
نواضحها كأرواح الفواني^(١)
نسيم لا يروع التراب واني
يقبح عندنا حسن الزمان

وقال أعرابي :

لأعرابي

أقول لصاحبي والعيس تخدي
تمتع من شميم عرار نجد
ألا يا حبيذا نفحات نجد
[وأهلك إذ يحلّ القوم نجدا
شهور ينقضين وما شمرنا
وهذا البيت كقول الآخر :

بنابين المنيفة فالضمار^(٢)
فما بعد العشيّة من عرار
وربّما روضه غبّ القطار^(٣)
وأنت على زمانك غير زار]
بأنصاف لمن ولا سرار

سقى الله أياماً لنا قد تناهت
ليالي أعطيت البطالة مقودي
وسقياً لعصر العامرية من عصر
تمرّ الليالي والشهور لولا أذري

وتخلّف سليمان عن نصره ابن الرومي ؛ فذاك الذي هاجه على هجائه ، فمن

ابن الرومي
يهجو سليمان
ابن عبد الله
ابن طاهر

ذلك قوله ، وقد خرج في بعض الوجوه فرجع مهزوماً :

جاء سليمان بنى طاهر
كان بغداد وقد أبصرت
مستقبل منه ومستدر
فاجتاح معترز بنى المعتصم
طلعت نائمة تلتدّم^(٤)
وجه بخيل وقفاً منهزم

وقال :

قرن سليمان قد أضرب به
شوق إلى وجهه سيتلفه

(١) في نسخة «نوافجها كأرواح الفواني» والأرواح : جمع ربح (م)

(٢) العيس : الإبل ، وتخدي : تسرع في سيرها ، والمنيفة : ماء لتيم (م)

(٣) غب القطار : بعد المطر (م) (٤) تلتدّم : تلطم وجهها (م)

كَمْ يَبْعِدُ الْقِرْنَ بِاللِقَاءِ وَكَمْ
يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيُخْلِفُهُ
لَا يَعْرِفُ الْقِرْنَ وَجْهَهُ وَيَرَى
قَفَاءَ مَنْ قَرَسَتْخٍ، فَيَعْرِفُهُ

وقد أخذ هذا المعنى من قول بعض الخوارج ، وقد قال له أبو جعفر المنصور :
أخبرني أي أصحابي كان أشدَّ إقداماً في مُبارزتك ، فقال : ما أعرفُ
وجوههم ، ولكنني أعرفُ أفعالهم ، فقل لهم يدبروا أعرفك .

وفي هذه المنازعة يقول ابن الرومي لمواليه بني هاشم وكان ولاؤه لعبيد الله بن
عيسى بن جعفر بن المنصور :

تَخَذْتُمْ دِرْعًا عَلِيًّا لَتَدْفَعُوا
نَيْبَالَ الْعِدَى عَنِّي فَكُنْتُمْ نَصَالَهَا
وَقَدْ نَسْتُ أَرْجُو مِنْكُمْ خَيْرَ نَاصِرٍ
عَلَى حِينٍ خِذْلَانَ الْيَمِينِ شِمَالَهَا
فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَحْفَظُوا الْمَوْدِقِي
ذِمَامًا فَكُونُوا لَهَا وَلَا لَهَا
قَفُوا مَوْقِفَ الْمَعْدُورِ عَنِّي بِمَعزَلٍ
وَأَخْلُوا نَيْبَالِي وَالسَّعِدَا وَنَيْبَالَهَا

ألفاظ لأهل العصر ، في وصف الأمكنة والأزمنة

بلدة كأنها صورةُ جنة الخلد ، منقوشة في عَرْضِ الأرض . بلدةٌ كأن
محاسن الدنيا مجموعةٌ فيها ، ومحصورة في نواحيها . بلدةٌ كأن ترابها عنبرٌ ،
وحَصْبَاءُهَا عقيق^(١) ، وهَوَاءُهَا نسيمٌ ، وماءها رَجِيقٌ . بلدةٌ معشوقة السُّكْنَى ،
رَحْبَةُ الْمَثْوَى^(٢) ، كوكبها يقظان ، وجَوَّها عُريَانٌ ، وحَصَاها جَوْهرٌ ، ونسيمها
مُعَطَّرٌ ، وترابها مِنْك أذفرٌ ، ويومها غداةٌ ، وليلها سَحَرٌ ، وطعامها هَنِيءٌ ،
وشرابها مَرِيءٌ . بلدةٌ واسعةُ الرقعة ، طيبة البقعة ، كأن محاسن الدنيا عليها
مفروشة ، وصورة الجنة فيها منقوشة ، واسطة البلاد وسررتها ، ووجهها وغرتها .

(١) الحصباء : صفار الحصى (م)

(٢) المثوى : مكان الإقامة ، ورجبت : أي واسعته (م)

ولهم في ضد ذلك

بلد مُتصَاقِبُ الحدود والأفنية ، متراكب المنازل والأبنية . بلد حرها مؤذٍ ، وماؤها غير مفذ . بلدة وَسِخَة السماء ، رَمِدَة الهواء ، جوها غبار ، [وأرضها خَبَارٌ ^(١)] ، وماؤها طين ، وتراها سِرَجِين ^(٢) وحيطانها تَرُوز ، وتشرينها تموز ^(٣) ، فكم في شمسها من محترق ، وفي ظلها من غرق . بلدة ضيقة الديار ، سيئة الجوار ، حيطانها أخصاص ، وبيوتها أفاص ، وحُشوشها مسايل ، وطرقها مزابل .

ولهم في صفات الحصون والقلاع

حصن كأنه على مَرَقَبِ النجم ، يحسد دونه الناظر ، ويقصر عنه المُقَابِهُ الكائيرُ ، يكادُ مَنْ علاه يفرق في حوض الغمام . حصن انتطق بالجوزاء ، وناجَتْ أبراجه بُرُوجُ السماء . قلعة حلقت بالجو تُناجِي السماء بأسرارها . قلعة بعدد في السماء مُرتقاها ، حتى تساوى ترأها مع ترأها . قلعة تنوشع بالغيوم ، وتتحلّى بالنجوم . قلعة عالية على المرتقى ، صماء عن الرقي ، قدجاوزت الجوزاء سمتا ، وعزلات السماء الأعزل شمكا ، هي متناهية في الحصانة ، موثوقة بالوثاق ، ممتنعة على الطلب والطلب ، منصوبة على أضييق المسالك وأعر المناصب ، لم تزد لها الأيام إلا نُبُوءَ أعطاف ، واستصعاب جوانب وأطراف ، قد مل الولاة حصارها ، ففارقوها عن طنوح منها وشماس ، وسثمت الجيوش ظلها ، ففادرتنها بعد قنوطٍ وياسٍ ، فهي حَمَى لا بُرَاغ ^(٤) ، ومَقِيل لا يُسْتَطَاع ، كأنَّ الأيام صالحتها على الإغفاء من الحوادث والليالي عاهدتها على التسليم من القوارع . قلعة تحوى من الرفعة قَدْرًا لا تستهان مواقمها ، وتلوى في المنعة جيدا لا تستلان أخادعها ، ليس للوهم قبل القدوم إليها مَسْرَى ، ولا للفكر قبل الخطو نحوها تجزى .

(١) الحبار - بفتح الحاء المعجمة ، بزنة السحاب - اللين المسترخى من الأرضين (م)

(٢) أراد أن تراها نجس ؛ لأن السرجين عذرة البهائم (م)

(٣) تشرين وتموز : من أسماء الشهور الرومية ، وتشرين في الشتاء ، وتموز في

الصيف ، يريدها شديدة الحر (م) (٤) لا براغ : لا يطلب لأنه لا سبيل إليه (م)

ولهم في صفات القصور والدور

قصر كأن شُرْفَاتِهِ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْعَيْوُقِ^(١)، كأنه يُسَامِي الْفَرَاقِدَ، وَقَدْ اِكْتَسَتْ
 لَهُ الشُّعْرَى الْعَبُورَ ثَوْبَ الْغَيُورِ . قَعْرُ طَالِ مَبْنَاهُ ، وَطَابَ مَفْنَاهُ ، كَأَنَّهُ فِي الْحَصَانَةِ
 جِبْلٌ مَنِيْعٌ ، وَفِي الْحَسَنِ رَيْبِيعٌ مَرِيْعٌ . شُرْفَاتُ كَالْمَذَارِي شَدَّذُنْ مَنَاطِقِهَا ،
 وَتَوَجَّنْ بِالْأَكَالِيلِ مَفَارِقِهَا . قَصْرٌ أَقْرَتْ لَهُ الْقُصُورُ بِالْقُصُورِ^(٢) ، كَأَنَّهُ سَحَابٌ
 فِي بَحْرِ السَّمَاءِ . دَارٌ قَوْرَاءٌ تُوسِعُ الْعَيْنَ قُرَّةً ، وَالنَّفْسَ مَسْرَةً . كَأَنَّ بَانِيهَا
 اسْتَسَلَفَ الْجَنَّةَ فَعَجَّلَتْ لَهُ . دَارٌ تَخْجَلُ مِنْهَا الدُّورُ ، وَتَتَقَاعَصِرُ عَنْهَا الْقُصُورُ ؛
 إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدْ انْتَقَلَ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ . دَارٌ قَدْ اقْتَرَنَ الْيُمْنُ
 بِبَيْمَانِهَا ، وَالْيُسْرُ بِبُيُورِهَا ، الْجَسُومُ مِنْهَا فِي حَضْرٍ ، وَالْعَيْونُ عَلَى سَفَرٍ .
 دَارٌ هِيَ [دَائِرَةُ الْمِيَامِنِ ، وَ] دَائِرَةُ الْحَاسِنِ . دَارٌ دَارٌ بِالسَّعْدِ نَجْمُهَا ، وَفَازَ
 بِالْحَسَنِ سَهْمُهَا . دَارٌ يَخْدُمُهَا الدَّهْرُ ، وَيَأْوِيهَا الْبَدْرُ ، وَيَكْتَفِيهَا النَّصْرُ ، هِيَ مَرْتَعٌ
 النُّوَاطِرُ ، وَمَتَنَفَّسٌ الْخُوَاطِرُ . دَارٌ قَدْ أَخَذَتْ أَدْوَاتِ الْجِنَانِ ، وَضَحِكْتَ عَنْ
 الْعَبْقَرِيِّ الْحِسَانِ .

[من رسائل الميكالي وشعره]

فصل لأبي الفضل الميكالي إلى بعض إخوانه :

مَا ابْتَدَأْتُ بِمَخَاطَبَةِ سَيِّدِي حَتَّى سَرَّتْ الْمَسْرَةَ فِي نَفْسِي ، وَقَوِيَّتْ
 أَرْكَانُ بَهْجَتِي وَأُنْسِي ، وَحَتَّى أَقْبَلْتُ وَجْهَ الْمِيَامِنِ تَهَلَّلَ إِلَيَّ ، وَبَدَرَ الْمَسَاعِدِ
 تَنَالُ عَلَيَّ^(٣) ، وَكَيْفَ [لَا يَمْلِكُنِي الْجَدَلُ وَالْفَرَحُ ، وَكَيْفَ] لَا يَهْزُنِي النَّشَاطُ
 وَالْمَرَّحُ ، وَقَدْ زَفَفْتُ وَدُّيَ إِلَى كُفِّ كَرِيمٍ ، وَعَرَضْتُهُ لِحِطَّةٍ مِنَ الْجَمَالِ جَسِيمٍ ،
 وَأَرْجُو أَنْ يَرِدَ مِنْهُ عَلَيَّ حُسْنُ قَبُولٍ وَإِقْبَالٍ ، وَيَحْطِيَّ مِنْ ارْتِيَاخِهِ لَهُ بِيُرْدٍ

(١) النسرة والعيون والشعري : أسماء نجوم في السماء (م)

(٢) القصور الأول : جمع قصر ، والثاني بمعنى التقصير (م)

(٣) تنال علي : تتوالى وتكثر (م)

أَشْتَمَالٌ ، وَيُصَادَفُ مِنْ اهْتِزَازِهِ وَإِشَانِهِ ، وَعِمَارَتِهِ وَإِعْمَانِهِ ، وَتَحْصِينِ أَطْرَافِهِ مِنْ شَوَائِبِ الْخَلَلِ ، وَشَوَائِبِ الْرَّهْنِ وَالْمِيلِ ، وَمَا تَسْتَحْكِمُ بِهِ مَرَّأَتُ الْوِصَالِ ، وَتَوْثُنُ عَلَى قُوَاهَا عَوَادِي الْإِنْتِظَافِ وَالْإِنْجِلَالِ .

وله : إذا لم يُؤْتِ المرءُ في شكر المنعم إلا من عَظِمَ قَدْرُ الْإِنْعَامِ وَالْإِصْطِنَاعِ ، وَاسْتِرْفَاقِهِ مِنْهُ قُوَى الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِضْطِلَاعِ ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي الْقُصُورِ عَنْ كُنْهِ وَاجِبِهِ عَيْبٌ ، وَلَا يَلْحَقُهُ فِيهِ نَقِيسَةٌ وَلَا عَيْبٌ . وَلَئِنْ ظَهَرَ عَجْزِي عَنْ حَقِّ هَذِهِ النِّعْمَةِ فَإِنِّي أَحِبُّ بِحَسَنِ الثَّنَاءِ عَلَى مَنْ لَا يُعْجِزُهُ حَمْلُهُ ، وَلَا يُؤْوِدُهُ ثِقَلُهُ ، وَلَا يَزُكُو الشُّكْرُ إِلَّا لِدَيْهِ ، وَلَا تُضْرَفُ الرِّغْبَةُ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لِمَجْدِي بِقِيمِ أَعْلَامِهِ ، وَفَضْلِ بَقْضِي ذِمَّاتِهِ ، وَعُرْفِ بَيْتِ أَقْسَامِهِ ، وَوَلِيَّ يُوَالِي إِكْرَامِهِ ، وَعَدُوَّ يُدِيمُ قَمْعَهُ وَإِرْغَامَهُ

وله : ولو وفيت هذه النعمة الجسيمة حقها لمشيت إلى حضرته - آسنها الله تعالى - حَبِئًا [لا] ^(١) على القدم ، وَلَا تَرْتُ فِيهِ خِدْمَةُ اللِّسَانِ عَلَى خِدْمَةِ الْقَلَمِ ، وَمَا رَضِيَتْ لَهُ بِيَاعَى الْقَصِيرِ ، وَعِبَارَتِي الْمَوْسُومَةَ بِالْعَجْزِ وَالْقُصُورِ ، حَتَّى أَسْتَعِيرَ فِيهِ أَلْسِنَةَ تَحْمَلُ شُكْرًا وَثَنَاءً ، وَتَوْسِيعَ شَرًّا ^(٢) وَدَعَاءً ، ثُمَّ لَا أُكُونُ بَلِغَتْ مُبْلَغًا كَافِيًا ، وَلَا أَبْلَيْتُ عُذْرًا شَافِيًا ؛ إِلَّا أَنْ عَدِمَ الْإِذْنَ تَبَطَّنِي ^(٣) عَنْ مَقْصُودِ الْغَرَضِ ، وَعَاقَبَنِي عَنِ الْوَاجِبِ الْمَفْتَرَضِ ؛ فَأَقَمْتُ عَاكِفًا عَلَى دَعَاءِ أَرْفَعُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَبْتَهَلًا ، وَأَوَاصِلُهُ مَجْتَمِدًا فِي لَيْلٍ وَنَهَارِي مَحْتَفَلًا .

وله : أَحَقَّ النِّعْمَةُ بِالزِّيَادَةِ نِعْمَةٌ لَمْ تَزَلْ الْعِيُونَ إِلَيْهَا مُسْتَشْرِفَةً ^(٤) ، وَالْقُلُوبُ إِلَيْهَا مُتَشَوِّفَةً ، وَالْأَيَّامُ بِهَا وَعَادَةً ، وَالْأَقْدَارُ فِيهَا مَسَاعِدَةً ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ فِي نِصَابِهَا ، وَأَلْقَتْ عَصِيَّ اغْتِرَابِهَا ، فَهِيَ لِلنَّمَاءِ وَالزِّيَادَةِ مَتْرَشِحَةٌ ، وَبِالْعَزِّ وَالسَّعَادَةِ مَتَوْشِحَةٌ ، وَبِالْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ مُسْتَدَامَةٌ مَرْتَهَنَةٌ ، وَبِاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَالْأَهْوَاءِ عَلَيْهَا مَرْتَبِطَةٌ مَحْصَنَةٌ .

(١) « لا » هذه ليست في الأصول ، وليكن المعنى يتطلّبها البتة (م) .

(٢) الشر ، هنا : الإداعة بين الناس (م) .

(٣) تبطنى : أقم دنى (م) . (٤) مستشرفة ، وكذلك متشوفة : متطلعة (م) .

وله فصل من كتاب تعزية بالأمر ناصر الدين :

أقدارُ الله تعالى في خلقه لم تزلْ تختلفُ بين مكروه ومحبوب ، وتصرفُ بين مَوْهوب ومسلوب ، غاديةً أحكامها مرّةً بالمصائب والنوائب ، راحةً أقسامها تارةً بالعطايا والרגائب ، ولكن أحسنها في العيون أثرًا ، وأطيبها في الأسماع خبرًا ، وأخرأها بأن تَكْسِبَ القلوبَ عزاءً وتَصْصِرُها ، ما إذا انطوى نُشْرُ ، وإذا انكسر جُبرٌ ، وإذا أخذ بيد رَدِّ بأخرى ، وإذا وهب بيمين سلبَ بيسرى ، كالمصيبة بفلان التي قرّحتِ الأكباد ، وأوهنتِ الأعضاء^(١) ، وسودت وجوه المكارم والمعالى ، وصورت الأيام في صور الليالى ، وغادرت المجدد وهو يلبس حدّاده ، والعدّال وهو يبكي عمّاده ، والدين وهو يندب جهاده ، حتى إذا كاد اليأسُ يغلبُ الرجاءَ ، ويردُّ الظنونَ مظلمةَ النواحي والأرجاء ، قيض الله تعالى من الأمير الجليل من اجتمعت عليه الأهواء ، ورضيت به الدهماء ، فأتى به حادث الكلم ، وسدّ بمكانه عظيم الثلم ، وردّ الآمال والنفوس قد استبدلت بالهيرة قوة وانتصارا ، وصارت للدولة المباركة أعوانًا وأنصارًا

من شعر الميكالى
في تجنيس
القوافي

ومن شعره في تجنيس القوافي ، في معان مختلفة :

إذا لم تكن لِمقالِ النصيح سميماً ولا عاملاً أنت به
يُنْبَهُكَ الدهرُ من رَقْدَةِ المَلاهي وإن قلتَ لأنتبه

وقال :

تفرّق الناسُ في أرزاقهم فرقاً فلايسُ من ثراء المَالِ أو عارى
كذا المعاش في الدنيا وساكنها مقسومة بين أوعاك وأوعارٍ

وقال :

حوى القيدَ عمرًا فقلت اعتقدُ رضاً بالقضاء ولا تحتفدُ

(١) أوهنت : أضعفت ، والأعضاء : جمع عضد ، وهو من اليد ما بين الكتف والذراع ، ويرمز به إلى القوة ، ومنه قولهم « فت في عضده » ، ويطلق العضد على الناصر والمعين ، مجازاً مأخوذاً من ذلك (م) .

فإِنَّمَا احْتَقَدْتَ قَضَاءَ الْإِلَهِ فَأَتَّبِحْ بِمَحْتَقِدٍ تَحْتَ فِدِ
وقال :

تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ فَمَا يُزْرِي بِهَا مَعَ فَضْلِهِ وَنَمَائِهِ وَكَلَامِهِ
إِلَّا قُصُورُ وَجُودِهِ عَنْ جُودِهِ لَا عَوْنَ لِلرَّجُلِ الْكَرِيمِ كَمَا لَهُ
انصُرْ أَخْلَاكَ إِذَا اجْتَدَاكَ فَوَاسِيهِ وَإِنْ اسْتَغَاثَكَ وَاتَّقَا بِكَ تَمَالِهِ (١)
وقال أيضاً :

إِذَا تَغَدَّيْتُ صَدْرَ يَوْمِي ثُمَّ تَأَذَّيْتُ بِالْغَدَاءِ
فَقَلْتُ إِذْ مَسَّنِي أَذَاهُ أَرَى غَدَائِي أَرَاغَ دَائِي
وله في هذا [الصوغ] :

لَنَا صَدِيقٌ يُجِيدُ لِقَاءَ رَاحَتِنَا فِي أَدَى قَفَاهُ
مَا ذَاقَ مِنْ كَسْبِهِ ، وَلَسْكَنَ أَدَى قَفَاهُ أَذَاقَ فَاهُ
وقال يهجو رجلاً :

يَبْرِدُ يَوْمَ سَعٍ فِي بَيْتِهِ وَيَأْتِي لَهُ الضَّيْقُ فِي صَدْرِهِ
فَتَى سَخِطَ النَّصَبَ فِي قَدْرِهِ كَمَا رَضِيَ انْخَفَضَ فِي قَدْرِهِ
يُخَدَّرُ أَوْصَالَ أَضْيَافِهِ وَلَا يُبْرَزُ الْخُبْزَ مِنْ خَدْرِهِ

وقال في غير هذا المذهب يصفُ كتاباً وَرَدَ عَلَيْهِ :

قَدْ أَتَانَا مِنْ صَدِيقٍ كَلَامٌ كَلَالٌ زَاهِنٌ نِظَامٌ
فَسْرَى فِي الْقَلْبِ مَنَى سُرُورٌ مَطْرَبٌ يَعْجَزُ عَنْهُ الْمُدَامُ
مِثْلُ مَا يَرْتَاحُ رَبُّ بِنَاتٍ حَوْلَهُ مِنْ جَمْعِ زِحَامِ

له في وصف
كتاب ورده

(١) اجتدك : طلب جدواك ، والجدوى : العطاء ، و «ماله» أصله «الكه»
فخفف الهمزة قبلها بياء ثم حذفها كما تحذف لام المنقوص (م) .

فرعى الله طويلا يُرجى
وأناه بعد يأسٍ بشير

خلفا من نسله لا يُفامُ
قال يا بشرى هذا غلامٌ

له في وصف
الشمع

وقال يصف الشمع :

وليل كلون المجر أو ظلمة الخبر
يشق جلايب الدجى فكانما
يحاكى رواء العاشقين بلونه
خلا أن جارى الدم ينحله قوى
تبدى لنا كالفنن قداً وفوقه
تحتل نورا حتفه فيه كامن
إذا ما علتُه علة جرت رأسه
وقال :

نصبتنا لراجيه عموداً من التبر
ترى بين أيدينا عموداً من الفجر
وذوب حشاه والدموع التي تجرى
وعهدى بدمع العين ينحل إذ يجرى
شماغ كأننا منه في ليلة البدر^(١)
وفيه حياة الانس والنور لو يدرى
فيختال في ثوب جديد من العمر

يارب غصن نوره
يظل طول عمره
نار الحب في الحشا
لاح لنا في مغرب
يزرى بنور الشفق
ينكى بجفن أرق
وناره في المفرق
فردنا في مشرق

وقال :

وقضيب من بنات النحل في قد الكعاب^(٢)
يشبه العاشق في لو ن ودمع ذى أنسكاب
كسى الباطن منه وهو عريان الإهاب^(٣)

(١) في نسخة « كأننا منه في ليلة القدر » وليلة البدر : هي الليلة الرابعة عشر من ليالي الشهر العربي ، وفيها يكتمل البدر نوره (م) .
(٢) من بنات النحل : يريد أنه من الشمع الذي يؤخذ من النحل (م) .
(٣) وقع البيت في بعض الأصول « قد كسى - إلخ » وكلمة « قد » في أوله زائدة عن الوزن ، وتقرأ كلمة « كسى » بالبناء للمجهول فتم البيت وزنا ومعنى (م) .

فَإِذَا مَا أَنْعَمَ الْأَبِي دَانَ مَلْبُوسِ الثِّيَابِ
فَهُوَ لِلشَّقْوَةِ مِنْهَا فِي بِلَاءِ وَعَذَابِ

وقال كشاجم يصف شمعاً أهداها [إلى بعض الملوك] :

لكشاجم في
وصف الشمع

[و] ^(١) صُفْرٌ مِنْ بَنَاتِ النَّخْلِ تُكْسَى
عِذَارِي يُفْتَضُّنَ مِنْ الْأَعَالِي
وَأَمْسَتْ تَنْتِجُ الْأَضْوَاءَ حَتَّى
كَوَاكِبَ لِسْنِ عَنكَ بِأَفْلَاتٍ
بَعَثْتُ بِهَا إِلَى مَلِكِ كَرِيمٍ
فَأَهْدَيْتِ الضِّيَاءَ بِهَا إِلَى مَنْ

بِوِاطِنِهَا وَأَظْهَرُهَا عَوَارِي
إِذَا انْفَضَّتْ مِنَ الشُّفْلِ الْعِدَارِي
تَلْقَحُ فِي ذَوَائِبِهَا بِنَارِ
إِذَا مَا أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْعُقَارِ
شَرِيفِ الْأَصْلِ مُحَمَّدِ النَّجَارِ
مَحَاسِنُهُ تُضِيءُ لِكُلِّ سَارِي

وقال :

بَشْتَمِي النَّتِي بِخِلَافِ كُلِّ مَعَانِدٍ
يُقْذَى إِذَا أَصْنَى الْإِنَاءَ لِشُرْبِهِ

يُوْذِيهِ حَتَّى بِالْقَذَى فِي مَائِهِ
وَيُرْوَعُ عَنْهُ عِنْدَ سَكْبِ إِنَائِهِ ^(٢)

وقال :

أَطَالِبُ أَيَّامِي بِإِجَازِ مَوْعِدِي
أَقُولُ عَسَاهَا أَنْ تَلِينَ لِمَطْلَبِي

وَمَا هِيَ تَلَوِي بِالْوَفَاءِ وَتَجْمَعُ
قَلِيلًا فَبَعْضُ الشُّوْكِ بِالْمَنْ يَسْمَعُ

وقال :

أَرَى وَصَالَكَ لَا يَصْفُو لَأَمَلِهِ
كَالْقَوْسِ أَقْرَبُ سَهْمِيهَا إِذَا عَطَفَتْ

وَالْمَهْجَرُ يَتَّبِعُهُ رَكْضًا عَلَى الْأَثَرِ
عَلَيْهِ أَعْبَدُهَا مِنْ مَنَزَعِ الْوَتْرِ

أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرَّومِيِّ وَذَكَرَ رَجُلًا مَتَلَوْنَا :
رَأَيْتُكَ بَيْنَا أَنْتَ خِلٌّ وَصَاحِبٌ إِذَا بَكَ قَدْ وَلَّيْتَنَا ثَانِيًا عِطْفًا

لابن الرومي
يدكر متلونا

(١) لا بد من هذه الواو ليم وزن البيت ، وهي ساقطة من بعض النسخ (م) .

(٢) أصنى الإناء : أماله ، وفي نسخة « يهودى إذا - إلغ » (م) .

وَأَنْتَ إِذْ أَخْنَى حَنُوكَ مُوجِبٌ بَعَاداً لِمَنْ بَادَلْتَهُ الْوَدَّ وَاللَّفْظَا
لِكَالْقَوْسِ أَحْنَى مَا تَكُونُ إِذَا انْحَنَتْ عَلَى السَّهْمِ أَنْأَى مَا تَكُونُ لَهُ قَدْفَا
وله في نحو ذلك :

تَوَدَّدَتْ حَتَّى لَمْ أَحِذْ مَتَوَدِّدَا وَأَتَمَّيْتُ أَقْلَامِي عَتَاهَا مُرَدِّدَا
كَأَنِّي أَسْتَدْعِي لَكَ ابْنَ حَنِيَّةٍ إِذَا التَّرْعُ أَذْنَاهُ مِنَ الصَّدْرِ أَبْعَدَا

[في وصف أبي الفضل الميكالي]

وذكر عمر بن علي بن محمد المطوعي أبا الفضل الميكالي في كتاب ألقه في منظومه ومنتوره فقال : قد أصبحتَ حضرته - لازالت أَرْجَاةَ الأَرْجَاءِ بِطِيبِ شَمَائِلِهِ ، راضية الرضا عن صُوبِ أَنَامِلِهِ - مَوَسِّمَ الأَمَالِ ، ومحط الرحال ؛ وَعَبْدَهُ أحرار الكلام ، كما خدمته أحرارُ الأَيَامِ ، وأطاعته المعاني والمعالى ، كما أطاعه صَرَفُ الأَيَامِ والليالى ، فهو - أدامَ اللهُ تَمَكِينَهُ - شهابُ المجدِ الذى لا يخبو واقده ، ورَوْضُ الكرمِ الذى لا يجذب رائدُهُ ؛ إن أردتَ أبلَاغَةَ فهو مَالِكُ عَنَانِهَا ، وفارسُ ميدانِهَا ، وناظمُ دُرِّهَا ومرجانِهَا ، وصانعُ لُجَيْنِهَا وَعُقْيَانِهَا ؛ وإن أردتَ السَّاحَةَ فهو محلُّهَا ومكانِهَا ، وتاريخُهَا وعنوانِهَا ، ويدها ولسانِهَا ، وحدَقَتِهَا وإنسانِهَا ، وحديقَتِهَا وبُسْتَانِهَا ؛ وإن أردتَ شرفَ الأَصْلِ والنسبِ ، والجمعَ بين الموروثِ [من المجد] والمكتسبِ ، فنهايكِ بأوائله شرفاً سابقاً ، وفضلاً باسقاءً ، ومجداً فى فلكِ الفخرِ سامقاً^(١) ؛ فهم الْجَحَاجِحَةُ القُرَى ، والكواكبُ الزُّهْرُ ، ومن بهم يفتخِرُ الفخرُ ، ويتشرفُ الدهرُ ، زحوا مناكِبَ الكواكبِ من بُعْدِ أقدارِهم ، وصكروا فرقَ الفرقِ وصَدَرَ البَدْرِ بشرفِ أخطارِهم ، فما فيهم إلا قمرُ قُضَلِ دَارِ فى فلكِ علمِ ، وهلالُ مجدٍ لاحِ فى سماءِ فِهمِ ، توارثوا المجدَ كابرأ عن كابرِ ، وبقاياً عن غابرِ ، وسافرت أخبارُهم فى البُعدِ والقُربِ ، وطارت فى أفاصى

(١) سامقا ؛ عاليا شديد العلو (م) .

الشرق والغرب ، وسارت مسير الشمس في كل بلد ، وهبت هبوب الريح في البر والبحر ، فهم كما قال أبو عبادة البحرى في الشاه بن ميكال وأهله فأحسن وأجاد وبلغ ما أراد :

بى أخوذى يغمر الطرف مؤفياً يبسطه والسيفُ وافي الحائل^(١)
 تضيقُ الدروعُ التبيبات منهمُ على كل رخبِ الباعِ سببُ الأنايل
 عراعر قوم يسكنُ النيران مشوا على أرضه والثغرُ جمُ الزلازل^(٢)
 فكم فيهمُ من منعمٍ متطولٍ بالآئه أو مشرفٍ متطاولٍ
 إذا مثلوا جادتُ سيوفُ أكفهم [نظائر جماتِ التلاعِ السوائل
 خليقون سرّوا أن تلبين أكفهم] عرائك أحداثِ الزمانِ الجلائل
 وما زال لحظُ الراغبين معلقاً إلى قرير فيهم رفيع المنازل
 وفيه ، أو في أبيه ، يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب :

وإلى الأمير ابن الأمير تواهقتُ رزحى الركابِ برازحى الركاب^(٣)
 شيمُ أرقُ من الهواءِ بل الهوى وألذُّ من ظفرٍ بعقبِ ضرابِ
 وعزائم لو كنَّ يوماً أسهماً لتفدّن في الأيام غيرَ نواب^(٤)
 مائة الجريان إلا أنها ناريةُ الإقدامِ والإلهابِ
 يخطرن بين سياسةٍ ورياسةٍ ويتهنّ بين مثويةٍ وعقابِ

[ابن أبي دواد بين يدي الوثائق]

قال أبو عبد الله بن حمدون النديم : لقد رأيت الملوك في مقاصيرها ، وجماع

- (١) الأخوذى : الحاذق الخفيف المشعر للأموال الجاد فيها (م) .
 (٢) العراعر - بضم أوله - الشريف ، وجمعه عراعر بفتح أوله (م) .
 (٣) تواهقت : تبارت ومدت أعناقها في سيرها ، والرزحى : الساقطة تعبا

وهزأ (م)

(٤) نواب : جمع ناب ، وهو اسم الفاعل من « بنا السيف والرمح » إذا حاد

عن ضربيته (م) .

حفلها، فإرأيت أغزر أديبا من الواثق؛ خرج علينا ذات يوم وهو يقول: لقد
عرض عرضة من عرضة لقول الخزامي، يريد دَعْبِلًا :

خَلِيلٌ مَاذَا أُرْتَجَى مِنْ غَدَامِرِي طَوَى السَّكْشَحَ عَنِ الْيَوْمِ وَهُوَ مَكِينُ
وَإِنْ أَمْرًا قَدْ صَنَّ عَنِ بَمَنْطِقِ بَسْدُ ، مِنْ خَلْتِي لَضِيئِنُ

فأنبرى أحمد بن أبي دُوَادٍ يسأله كأنما نُشِطَ من عِقَالٍ في رجل من أهل
البيامة فأظنّب وأسهب، وذهب في القول كل مذهب؛ فقال الواثق: يا أبا عبد الله

لقد أكرت في غير كبير، ولا طيب، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه صديقي :

وَأَهْوَنُ مَا يُعْطَى الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ مِنْ الْمُهَيَّنِّ الْمَوْجُودِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

فقال: وما قدر الهمامي أن يكون صديقك، وإنما أحسبه أن يكون من

عرض معارفك؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه شهرني بالاستشفاع إليك، وجعلني
بمراى ومسمع من الرد والإسعاف، فإذا لم أقم له هذا المقام أكون كما قال أميرُ
المؤمنين آتفا :

خَلِيلٌ مَاذَا أُرْتَجَى مِنْ غِنَى أَمْرِي طَوَى السَّكْشَحَ عَنِ الْيَوْمِ وَهُوَ مَكِينُ

فقال الواثق: بالله يا محمد بن عبد الملك إلا عجلت لأبي عبد الله حاجته،

ليسلم من هُجْنَةِ الْمَطْلِ، كما سلم من هُجْنَةِ الرَدِ .

[من صفة ابن أبي دُوَادٍ، وأخباره]

وكان ابن أبي دُوَادٍ من أحسن الناس تأتيا، وكان يقول: ربما أردت أن

أسأل أمير المؤمنين الحاجة بِحُضْرَةِ ابن الزيات فأؤخر ذلك إلى وقتٍ مغيبه؛ لئلا

يتعلم حسن التلطف مني؛ وكان بينه وبين محمد بن عبد الملك عداوة عظيمة

وأمر الواثق أصحابه أن ينهضوا قياما لأبي جعفر إذا دخل، ولم يرخص في ذلك

لأحد، فاشتد الأمر على ابن أبي دُوَادٍ، ولم يجد لخلاف الواثق سبيلا .

فوكّل بعض غلمانه بمراقبة موافاته، فإذا أقبل أخبره فنهض يركع، فقال

ابن الزيات :

صَلَّى الضُّعَىٰ لِمَا اسْتَفَادَ عِدَاؤِي وَأَرَاهُ يَنْسُكُ بَعْدَهَا وَيَصُومُ
لَا تَعْدَمُنَّ عِدَاوَةَ مَوْسُومَةَ تَرْكُوتُكَ تَقَعُدُ بَعْدَهَا وَتَقُومُ
وَقَالَ الْوَاتِقُ يَوْمَا لَابْنِ أَبِي دُوَادٍ تَضَجُّرًا بِكَثْرَةِ حَوَائِجِهِ : قَدْ أَخَلَيْتَ بِيوتِ
الْأَمْوَالِ بَطْلِبَاتِكَ لِلْأَنْدِينِ بِكَ ، وَالمُتَوَسِّلِينَ إِلَيْكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَتَأَمَّجُ
شُكْرَهَا مُتَّصِلَةً بِكَ ، وَذَخَائِرُهَا مَوْصُولَةٌ لَكَ ، وَمَالِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عَشَقْتُ اتِّصَالَ
الْأَلْسُنِ بِخُلُودِ المَدْحِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا مَبْنَعْنَاكَ مَا يَزِيدُ فِي عَشَقِكَ ، وَيَقْوَىٰ فِي
هَمَّتِكَ فِينَا وَلَنَا ؛ وَأَمْرٌ فَأَخْرَجَ لَهُ خَمْسَةَ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ .

[بين أبي العيناء وابن أبي دواد]

قال أبو العيناء : [قلت] لابن أبي دواد : إن قوما من أهل البصرة قدموا
إلى سُرٍّ من رأى يداً على ، فقال : يدُ الله فوق أيديهم . فقلت : إن لهم مَكْرَأً ،
فقال : ولا يحقُّ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فقلت : إنهم كثير . قال : كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ، فقلت : لله درُّ القاضى
فهو كما قالت الصَّمُوتُ الكَلابية :

للهِ دَرِكٌ أَى جِنَّةٍ خَائِفٍ وَمَتَاعِ دُنْيَا أَنْتَ لِالْحَدَثَانِ
مَتَحَمَّطٌ يَطَّأُ الرِّجَالَ شَهَامَةً وَطَاءُ الفَنِيْقِ مَدَارِجَ القِرْدَانِ (١)
وَيَكْتَبُهُمْ حَتَّى تَظَلَّ رُءُوسُهُمْ مَأْمُومَةً تَنْحَطُّ لِلغُرَبَانِ
وَيَفْرَجُ البَلْبَ الشَّدِيدَ رَهْتَا جُهُ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ بَابَانِ

وكانت هذه المجاوبة بين أبي العيناء وبين أبي العلاء المتقرى ، وكان قد
استجاش عليه قوماً من أهل البصرة .

(١) المتحفظ : المتكبر ، والفنيق : الفحل من الإبل المسكر عند أهله ،
والقردان : جمع قراد ، مثل غراب وغربان ، يريد أنه يذل الرجال ويقهرهم ولا
يأبه لهم (م) .

قطعة من شعر الأعراب في الغزل

ابن ميادة :

ألا ليت شغرى هل يحلنَّ أهلنا
وهل تأتين الریحُ تدرج موهناً
بريح خزامى الرمل بات معانقا
ألا ليتنى ألقاك يا أمَّ جحدَرٍ
وأهلك روضات بطن اللوى خضرا
بريالك تعرورى بنا بلداً فقراً
فروع الأفاحى تنضب الطل والقطرا
قريباً ، فأما الصبرُ عنك فلا صبرا

وقال :

وما روضةً بات الریحُ يجودها
بأطيب من ریح القرنفل موهناً
على ما بها من حنوقٍ وعرارٍ^(١)
بما التفَّ من دِرْع لها وِخارٍ

وقال آخر :

تجالسنا بنت الدلال تعلقت
وبين ماتخفى من الوجد ردها
عراه بجبات القلوب الهوامِ
جرى الدمعُ مجزى مائه فكففته
بمئاب أطراف الأكَف النوامِ
وردت التحيات الهوى من عيونها
بيقظان طرفٍ في مخيلة نائمِ
وقال العلاء بن موسى الجهنى :

ولما رأته مخطراً شوكة العدى
جلت داجى الظلماء منها بسنة
ردى النفسُ مجتأباً إلى غير موعدٍ
ونحر مشوبٍ لونه بالزبرجدِ^(٢)

(١) مجودها : يطرها ، والحنوة : الريحانة ، والعرار - بفتح العين - ورد أصفر ذو رائحة طيبة .

(٢) داجى الظلماء : أراد سواد الليل ، والسنة - بضم السين - الجبين ، جعلها بيضاء الجبين مشرقته حتى أنارت له في الظلام (م) .

وبالشدر مستبوكا كأن النباهة
وجاءت كمثل السيف لومر مشيها
فبتنا ولم نكذبك لو أن ليلنا
نذود النفوس الصاديات عن الهوى
فلما بدا صهوه الصباح وزاعنا
نهضنا بشخص واحد في عيونهم
إلى جنة منهم وسأمت غاديا
وولت وأغباش الدجى مرججة
وقال أعرابي من طيء :

وأحور يصطاد القلوب وما له
وما كنت أخشى الفتك من سلاحه
وأشرب براق الثنايا غروبهُ
خلي بالله أقمدا فتبيننا
من الريش إلا زعفران وإميد
نوار وخال وطوق منضد
من البرد الوشمي أصنفي وأبرد
وميضاً نرى الظلاء منه تقدد
يكشف أعراض السحاب كأنه
فبت على الأجمال ليلاً أشيمه
هذا في البرق كقول الطرماح في النور :

يبدو وتضمره البلاد كأنه
سيف على شرف يسئل ويفمد

[زيارة طيف الخيال]

وقال بشار :

أعددت لي عتباً بحبكم
يا عبد طال بحبكم عتي

(١) الشدر : جبات صغار من الذهب أو اللؤلؤ ، وأراد عقدها (م)

(٢) الهاتف المتشهد : المؤذن ، لأنه يأتي في أذانه بالشهادتين (م) .

(٣) نطا : أصله نطأ — مهموز الآخر ، فسهل الهمزة بقلبها ألفاً (م) .

ولقد تعرض لي خيالكمُ
فشربت غير مباشرٍ حرجاً
في القرطِ والخلخالِ والقلبِ
برضابِ أشنبٍ بلردٍ عذبٍ

وقال المتنبي :

بِنَاءٍ يُنَاوِلُنَا الْمُدَامَ بِكَفِّهِ
نَجْحَى السُّكْوَاكِبَ مِنْ قَلَانِدٍ جِيدِهِ
مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ نَرَاهُ بِبِأَلِهِ
وَنَنَالُ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ

وأول شعر أبي الطيب :

لَا الْحُلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بِنَائِهِ
إِنْ الْمَعِيدُ لَنَا النَّامُ خَيَالُهُ
لَوْلَا أَدَّ كَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ
إِذْ كَانَ يَهْجُرُ نَا زَمَانَ وَصَالِهِ
كَانَتْ إِعَادَتُهُ خِيَالَ خَيَالِهِ
إِنِّي لِأَبْفِضُ طَيْفَ مَنْ أَحَبَبْتُهُ

يقول : التمثيل والتخييل له في اليقظة أعاد خياله في المنام ، فكان الخيال

الذي في النوم تصور في اليقظة . وأظهر من هذا قول الطائي :

زَارَ الْخِيَالَ لَهَا لَا بِلَ أَزَارَكُهُ
ظَهِي تَقَنُّصْتُهُ لَمَّا نَصَبْتَهُ لَهُ
فِإِذَا نَامَ فِكْرُهُ الْخَلْقُ لَمْ يَنْبَمِ
فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكًا مِنَ الْحَلْمِ

أما بيته الأول فمن قول جميل :

حَدَّثَتْ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولُ
حَيْثُ طِينِكَ مِنْ طَيْفِ الْمِ بِه

وقال ذو الرمة :

نَأَتْ دَارِمِيَّ أَنْ تَزَارُ ، وَزَوْرُهَا
إِذَا مَا دَجَا الْإِظْلَامُ مَنَا وَسَاوَسَ (١)
إِذَا نَحْنُ عَرَسْنَا بِأَرْضِ سَرَى لَنَا
هُوَ لِبَسْتَهُ بِالْقَلُوبِ الْلُوَابِسُ (٢)

وبيته الثاني ألم فيه بقول قيس بن اللؤلؤح :

(١) في ديوانه (ص ٤٦) جاء عجز البيت « إلى صحبتي بالليل هادموا عس » (م)

(٢) عرسنا : نزلنا ليلا ، وسرى : سار ، ولبسته : خلطته (م) .

وإني لأستغشى وما بي نعمة
وأخرج من بين الجلوس لعنى
تقطع أنفاسي لذكرك أنفسا
لعل خيالا منك يلقى خياليا
أحدث عنك النفس في السر خاليا
يرذن فما يرجمن إلا صواديا
وقد قال فيه قيس بن ذريح :

وإني لأهوى النوم في غير نعمة
تخبّرنى الأحلام أنى أراكم
لعل لقاءه في المنام يكون
فيا ليت أحلام المنام يقين

وكان البحتری أكثر الناس إبداعاً في الخيال ، حتى صار لاشتهاره مثلا
يقال له « خيال البحتری » ، وفي بعض ذلك يقول :

ألئت بنا بعد الهدوء ، فساحت
فما برحت حتى مضى الليل وانقضى
فولت كأن بين يخلج شخصها
بوضل متى تطلبه في الجد تمنع
وأعجلها داعي الصباح الممتع
أوان تولت من حشاي وأضلمي^(١)
وقال :

سقى الغيث أجزاء عهدت بجوها
إذا ما الكرى أهدى إلى خياله
فلم نر مثلينا ولا مثل شأننا
غزالاً تراعيه الجاذر أغيدا
شقى قربه التبريح أو نفع الصدى^(٢)
نعدب أيقاظاً وننعم هجدا
وقال :

بلى وخيال من أثيلة كلما
يرى مقلتي مالا ترى من لقائه
[ويكفيك من حق تخيل باطل
تأوهت من وجدى تعرض يطعم
وتسمع أذنى رجع ما ليس تسمع
ترد به نفس اللهيف فترجع]

قوله في البيت الأخير من قول الحسين بن الفتحاك :

(١) يخلج شخصها : يجذبه وينزعه (م)

(٢) نفع الصدى : أروى العطش (م)

وماذا يفيدك طيفُ الخيالِ لوالهجرُ حظكُ من تحب
غفاهُ قليلٌ ، ولكنني تمليتُهُ بفسوعِ الحبِّ

وللحسين في هذا المعنى وإن لم يكن في ذِكْرِ الخيالِ :

وصفَ البَدْرُ حُسْنَ وجهِكِ حتى خِلتُ أني ، وما أراك ، أراكَ
وإذا ما تنفسَ الزرجسُ الفَضُّ توهمتُهُ نسيمَ جناكَ
خُدَعُ لِلْمَعْنَى تُعَلِّقُنِي فيكَ بإشراقِ ذَا ونكحةِ ذَا (١)

وأول من طرد الخيالَ طرفة بن العبد ، فقال :

فقل لخيالِ الخنظليةِ يتقلبُ إليها فإني واصلُ حَبْلٍ مَنْ وَصَلُ
فتبعه جرير في قوله فقال

طرقَتِكَ صائدةُ القلوبِ وليس ذا حينَ الزيارةِ فارجمي بِسَلامِ
قال البحتري ، ونفي هذا المعنى بقوله :

قد كان مني الوجدُ غبَّ تذكُر إذ كان منك الصدُّ غبَّ تناسي
تجرى دموعي حينَ دَمْعِكَ جامدُ ويأينُ قلمي حينَ قلبك فاسي
ما قلت للطفِ المسالمِ لا تعدُّ تغشي ، ولا نهنتُ حَامِلَ كاسي
وقال ابن هاني الأندلسي :

ألا طرقتنا والنجومُ ركودُ وفي الحى أيقاظُ ونحن هُجُودُ (٢)
وقد أعجلَ الفجرُ للدمعِ خطوها وفي أخريات الليلِ منه عودُ
سرت عاطلاً غصبي على الدرّ وحدهُ فلم يدرِ نحرُ ما دهاهُ وجيلدُ (٣)
فما برحت إلا ومن سلكِ أدمعي قلاندُ في لباتها وعفودُ
ألم يأتيها أنا كبرنا عن الصبا وأنا بلينا والزمانُ جديدُ

(١) النكحة : أصلها ربح القم (م) . (٢) هجود : نيام (م) .

(٣) عطلت المرأة فهي عاطل : أي أنها ليست بدأت حتى (م) .

وقال علي بن محمد الإيادي :

أما إنه لولا الخيالُ المراجعُ
لأشفق واستحيا من النوم وَاللهُ
وعاصِ يَري في النوم وهو مطاوع
يُرى بعد رَوَاعَاتِ الهوى وهو هاجع
وقال أيضاً :

طيفُ يزورك من حبيبِ هاجر
شدة الدجى وسرى فأمعن في السرى
أهلاً به وبطيفه من زائرٍ
حتى ألم فبات بين محاجري
تحوي وسالفة الغزال النافر
أسرى فأنصف من حبيبِ هاجر
وقضيت ذمّة فيض دمعٍ قاطرٍ
لله درك من خيالٍ واصلٍ
علات علة قلب صب هائمٍ

وقال عبد الكريم بن إبراهيم
لم أذر مَفْنَاك لولا المسكُ والقَطْرُ
سرى يمرضُ أنفاسَ الرياح بما
يخفي ثوب الدجى مَسْتَرَاهُ مستتراً
كانَ أعينَ وأشبه تراقبهُ
وقال :

أهلا به من زائرٍ معتادٍ
يتجاوزُ الراياتِ يخفقُ ظلها
والليلُ يرفلُ في ثيابِ جدادٍ^(١)
ويشقُّ ملتفَ القنأ المنَادِ
حتى تيممَ بالعرَاءِ وسَادِ
في حيث ينبو الحارث بن عبادٍ^(٢)
والحلي نمامٌ على العوادِ
بأرقٍ من كعبد التيممِ مقدماً
معتادة أمنت نمام حليها

(١) في نسخة « الملم عنده خفر » (م)

(٢) يرفل في ثياب حداد : أراد أنه أسود شديد السواد (م)

(٣) الحارث بن عباد — بزنة غراب — هو فارس النعام الذي اعتزل حرب

البسوس حتى قتل المهلهل بن ربيعة ابنه (م)

وكانما ياقوتها في نحرها متوقد مما يحن فوادى

[عقال بن شبة بين يدي المنصور]

خطب صالح بن أبي جعفر المنصور في بعض الأمر فأحسن ، فأراد المنصور أن يقرظه ويثني عليه ، فلم يجسر أحد على ذلك لمكان المهدي ، وكان مرشحا للخلافة ، وخافوا ألا يقع الثناء على أخيه بموافقة ، فقام عقال بن شبة ، فقال : ما رأيت أبين بيانا ، ولا أفصح لسانا ، ولا أحسن طريقا ، ولا أغمض^(١) عروقا ، من خطيب قام بحضرتك يا أمير المؤمنين ، وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه ، والمهدي أخاه ، أن يكون كما قال زهير :

يطلبُ شأوَ امرأتينِ قَدَمَا حَسَنًا بَرَا الملوكَ و بَرَا هذه السُّوقَا^(٢)
هو الجوادُ فإن يَلْحَقَ بشأوهِمَا على تكاليفِه فَمِثْلُه لِحِمَا
أو يسبقاهُ على ما كان من مَهَلٍ فبالذی قَدَمَا من صالح سَبَقَا

فعجب الناس من حُسن تخلصه ، فقال أبو جعفر : لا ينصرف التميمي إلا بثلاثين ألفاً .

قال أبو عبد الله كاتب المهدي : ما رأيت مثل عقال قط في بلاغته ؛
[مدح الغلام ، و] أرضى المنصور ، وسلم من المهدي .

[زهير وهرم بن سنان]

وفي قصيدة زهير هذه يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة المري :

فد جعلَ المَبْتَعُونَ الخَيْرَ في هَرَمٍ والسائلون إلى أبوابه طرُفَا
من يأتقَ يوماً على عِلَاتِه هَرَمًا يَلتَقُ السماحةَ منه والذی خُلِقَا

(١) في نسخة « ولا أعيص عروقا » (م) .

(٢) بَرَا الملوكَ : فاقتها ، وفي نسخة الديوان « نالا الملوكَ » (م) .

وليس مانع ذى قُرْبى وذى رَحِمٍ
ليثٌ بَعَثَ بصطادُ الرجالَ ، إذا
يُعطَنَّهُم ما ارتموا حتى إذا اطَّعَنُوا
فَضْلُ الجِوَادِ على الخيلِ البِطَاءِ فلا
هَذَا وليس كمن بعيا بِجُجَّتِهِ
لو نال حتى من الدنيا بِمَكْرَمَةٍ

يوماً ولا مُقَدِّماً من خَابِطٍ وَرَقاً^(١)
مالليثُ كَذَبَ عن أَقْرَابِهِ صَدَقاً^(٢)
ضارب حتى إذا ماضَ رُبُوا اعتنقا
يُعْطَى بذلك ممنونا ولا تَزِقاً
وَسَطَ الندى إذا ما ناطقٌ نطقاً
أفقَ السماء لِنَالَتْ كَفَهُ الأَفْقَا

وكان زهيرٌ كثير المدح لهرم ، ويروى أن بنتا لسان بن أبي حارثة رأيت بنتا لزهير بن أبي سلمى في بعض المحافل ، وإذها شارةٌ وحالٌ حسنة ، فقالت : قد سرني ما أرى من هذه الشارة والنعمة عليك [فقالت : إنها منكم] . فقالت : بلى والله لك الفضل ، أعطيناكم ما يفتنى ، وأعطيتونا ما يبقى !

وقد قيل : إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابنة هرم بن سنان : ما وهب أبوك لزهير ؟ قالت : أعطيتناه مالا وأماناً أفناه الدهر . قال : لكن ما أعطاكموه لا تُفنيه الدهور . وقد صدق عمر رضى الله عنه ، لقد أبى زهير لهم ما لا تفنيه الدهور ، ولا تُخلقه العصور ، ولا يزال به ذكر المدوح سامياً ، وشرفه باقياً ، فقد صار ذكرهم علماً منضوباً ، ومثلاً مصروباً ، قال الطائي ، وذكرهم في شعره :

مالي ومالك شبيهه حين أذكره إلا زهير وقد أضغى له هرم

وقال يوسف الجوهري يمدح الحسن بن سهل :

لو أن عَيْنِي زهير أبصرت حسناً وكيف يصنع في أمواله السكرم

إذن لقال زهير حين يُبصره هذا الجواد على العلات لا هرم

(١) المراد بالخابط ، هنا : طالب المعروف ، وأصله الذي يخطب الشجر لينزل ورقه
فياخذهُ لعلب ماشيته ، كنى بذلك زهير عن كرمه (م) . (٢) عثر : مكان بعينه (م) .

وقال آخر ، ويدخل في باب تفضيل الشعر :

الشعرُ يحفظُ ما أودَى الزمان به والشعرُ أفضل ما يجنى من الكرم
لولا مقالُ زهير في قصائدهِ ما كان يعرفُ جودُ كان من هرم

وقيل : أعطى هرم [العطاء الجزيل] عوض قول زهير فيه :

تالله قد علمت سرّاةُ بنى ذُبْيَانُ عَامَ الحَبْسِ والأَضْرِ
أَنْ نَعِمَ حَسْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيَتْ نَزَالٌ وَلُبِجٌ فِي الدُّعْرِ (١)
سامي الذّمَارِ عَلَى مُحَافَظَةِ الأَجْلَى أَمِينُ مَغِيْبِ الصَّدْرِ (٢)
حَدِبٌ عَلَى المَوَالِي الضَّرِيكِ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ نَوَابِ الدَّهْرِ (٣)
ومرّهقُ النيرانِ يُحْمَدُ فِي الأَلَاءِ غَيْرُ مَلْعَنِ القَدْرِ (٤)
والسترِ دُونَ الفَاحِشَاتِ ، وما يَلْقَاكَ دُونَ الخَيْرِ مِنْ سِترِ

وقال :

إن البخيلَ ملومٌ حيثُ كان ولَسَكَنَ الجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمُ
هو السكريمُ الذي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ يَهْفَوُ ، وَيُظَلَمُ أحياناً فَيُظَلِّمُ
وإن أَناهِ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ : لا غائِبٌ مَالِي ولا حَرِمِ
الخليل : الذي أُخِلَّ به الفقر ؛ إلى غير ذلك من مُختارٍ مدحه فيه .

[فضل الشعر]

ولما امتدح نُصَيْبٌ عبدَ الله بنَ جعفرِ رضِيَ اللهُ عنه أمرَ له بإبلٍ وخيلٍ ، وثيابٍ ودنانيرٍ
ودراهمٍ ، قال له رجل : أتُعْطِي لِمِثْلِ هذا العبدِ الأسودِ هذا العطاء ؟ فقال : إن كان أسوداً فإن
شعرَه أبيض ، وإن كان عبداً فإن نِشاءه حُرٌّ ، وأقد استحق بما قال أكثر مما أعطى وهل
أعطيناه إلا ثياباً تبلى ، ومالاً يفتنى ، ومطايا تنضى ، وأعطانا مديحاً يُرَوَى ، وثناءً يَبْقَى .

- (١) نزال : اسم فعل أمر بمعنى انزل ، وهي كلمة تقال عند القتال يدعو بها القرن قرنه .
(٢) الجلى : النائبة الشديدة - وأميين مغيب الصدر : أراد أنه مأمون في غيبه كما
هو مأمون في حضوره لا ينال من صديق في حال غيبته عنه (م) .
(٣) الضريك : المحتاج (م) . (٤) مرهق النيران : تنشى الضيقان نيرانه ،
واللأواء : الشدة ، وغير ملعن القدر : لا تنسب قدره لأنه يطعم ما يشتهي الناس (م) .
(٩ - زهر الآداب ٣)

وقال الأخطل يعتدُّ على بنى أمية بِمَدْحِهِ لَهُمْ :

أبْنِي أُمِيَّةَ إِنْ أَخَذْتَ نَوَالِكُمْ فَلِمَا أَخَذْتُمْ مِنْ مَدِيحِي أَكْثَرُ

أَبْنِي أُمِيَّةَ لِي مَدَائِحُ فِيكُمْ تُنَسَوْنَ إِنْ طَالَ الزَّمَانُ وَتَذَكَّرُ

ولما مدح أبو تمام الطائي محمد بن حسان الضبي بقصيدته التي أولها :

أَسْتَقِي طُلُوعَهُمْ أَجَشُّ هَزِيمٌ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمٌ^(١)

وصله بجمال كثير، وخلع عليه خلعة نفيسة، فقال يصفها :

قَدْ كَسَانَا مِنْ كَسْوَةِ الصَّيْفِ خِرْقٌ مُكْنَسٍ مِنْ مَكَارِمِ وَمَسَاجٍ^(٢)

حُلَّةٌ سَائِرِيَّةٌ وَكِسَاءٌ كَسَحَا الْقَيْضِ أَوْ رَدَاءِ الشُّجَاعِ^(٣)

كالسراب الرقراق في الحُسن، إلا أنه ليس مثله في الخِدَاعِ

قَصِيًّا تَسْتَرْجِفُ الرِّيحُ مَتْنِيهِ بِأَمْرِ مِنَ الْمَهْبُوبِ مَطَاعِ

رَجْفَانَا كَأَنَّهُ الدَّهْرَ مِنْهُ كَيْدُ الصَّبِّ أَوْ حَسَى الْمُرْتَاعِ^(٤)

لازما ما يديه تحسبه جزءا من المتنين والأضلاع

كسوة من أغرَّ أروع رَحْبِ الصَّبِّ دِرِّ رَحْبِ الْفُوَادِ رَحْبِ الدَّرَاعِ

سوف أ كسوك ما يعنى عليها من ثناء كالبرد برد الصنّاع

حسن هاتيك في العيون، وهذا حسنه في القلوب والأسماع

فقال : لعنةُ الله على إن بقي عندى ثوب أو يصل إلى أبي تمام ؛ وأمر

بجمل ما فى خزانته إليه .

قال إبراهيم بن العباس الصولى لأبى تمام : [أمراه] الكلام بأبا تمام رعِيَّةٌ

لإحسانك ، قال : [ذاك] لأنى أستضىء بنورك ، وأردُ شريمتك .

بعض الأخبار
عن أبى تمام

(١) أراد بأجش هزيم : المطر، وأصل الأجش الحشن الصوت، والهزيم : الذى له

صوت شديد (م) . (٢) الحرق - بكسر الحاء - الفتى الحشن الكريم الطباع (م) .

(٣) السحا : كل ما انقشر عن شئء ، والقَيْضُ القشرة العليا اليابسة على البيضة،

والشجاع هنا : الحية ، يريد أن الثوب الذى كساء إياه رقيق (م) .

(٤) انتصاب « الدهر » ها على الظرفية الزمانية، والمشبه به هو « كبد الصب - الخ - (م) .

وكان الطائي مع جَوْدَةِ شعره بليغَ الخطاب، حاضرَ الجواب، وكان يقال :
نتنان قَلَمًا يَحْتَمَان : اللسانُ البليغُ ، والشعرُ الجيد .

وقال الحسن بن جُنَادَةَ الوشَاء : انصرف أبو تمام من عند بعض أصحاب
السلطان ، فوقف على ، فقلت : من أين؟ فقال : كنت عند بعض الملوك فأكلنا
طعاماً طيباً ، وفاكهة فاضلة ، وبُحْرْنَا وُغْلَفْنَا ؛ فخرجتُ هارباً من المجلس ، نافرأ
إلى التسلي ، ومافى منزلي نبئذ [فإن كان عندك منه شيء فامنحنى ، فقلت : ما عندي
نبئذ] ، ولكن عندي خَمْرٌ أريده لبعض الأدوية ، فقال : دع اسمه ، وأعطنا
حِسْمَهُ ، فليس يثنينا عن المدام ، ما هَجَّنته ^(١) به من اسم الحرام .

[استنجاز أعرابي موعداً]

قال عبيدالله ^(٢) بن محمد بن صدقة : كنا عند أبي عبيدالله ^(٣) ، فدخل عليه أعرابي
قد كان له عليه وعد ، فقال له : أيها الشيخ السيد ، إني والله أتسحبُ على كرمك ،
وأستوطيء فراشَ مجدك ، وأستعين على نعمك بقدرك ؛ وقد مضى لي موعدان ،
فاجعل النُجْحَ ثالثاً ، أقد لك الشُّكْرَ في العرب شادخَ الغرَّة ، بادئ الأوضح .
فقال أبو عبيدالله ^(٣) : ما وعدتكَ تعريراً ، ولا أخرتكَ تقصيراً ، ولكن الأشغال
تقطعني ، وتأخذ بأوفرَ الحظِّ مني ، وأنا أبلغ لك جهد الكفاية ، ومنتهى الوُسْعِ
بأوفر مأمول ، وأحد عاقبة ، وأقرب أمدٍ ، إن شاء الله تعالى

فقال الأعرابي : يا جالساء الصَّدق ، قد أحصرني التطول ، فهل من معين
مُنْجِدٍ ومساعدٍ منشد؟ فقال بعضُ أحداث الكتاب لأبي عبيدالله ^(٣) : والله
— أصلحك الله — لقد قصدك ، وما قصدك حتى أملاك ، وما أملاك إلا بعد أن
أجال النظر : فأمن الخطر ، وأيقن بالظفر ، فحقق له أمله بتهيئة القليل ، وتهنئة
التمجيل . قال الشاعر :

إذا ما اجتلاه المجد عن وعدٍ أملٍ تبلج عن بشرٍ يستكمل البشرى
ولم يئنو مطلق العداة عن التي تصون له الحمد الموفر والأجرا

(١) هجنته : قبحته (م) . (٢) في نسخة «عبدالله» في المواضع كلها (م) .

فأحضر أبو عبيد الله^(١) للأعرابي عشرة آلاف درهم، وقال الأعرابي للفتى :
خُذْهَا فَأَنْتَ سَبِيهَا . فقال : شَكَرْتُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا ، فقال له أبو عبيد الله^(١) : خُذْهَا
قَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمَثَلِهَا . فقال الأعرابي : الآن كَمَلْتُ النِّعْمَةَ ، وَتَمَّتِ الْمَنَّةُ .

[معاوية بن يسار]

وكان أبو عبيد^(١) الله واسع الذِّرع، سابع الدرع في الكرم والبلاغة ، واسمه
معاوية بن يسار^(٢) .

وكان يقول : إن نخوة الشرف تُنَاسِبُ بَطْرَ الْغِنَى ، والصبرُ على حقوق السَّوْءِ
أشدُّ من الصَّبْرِ على أَلَمِ الْحَاجَةِ ، وذلك الفقر يسعى على عزِّ الصبر ، وجور الولاية مانع
من عدل الإنصاف ، إلا من ناسب بعد الهمة ، وكان لسلطان عزمه قوة على شهوته .
وكان يقول : لا يكسر رأسُ صناعة إلا في أخسِّ رُتَّان ، وأرذلِ سلطان ،
ولا يعيبُ العلمَ إلا من انسلخ عنه ، وخرج منه .

وكان يقول : حُسْنُ الْبِشْرِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ [النجاج] ورائد من [رواد
الفلاح] ، وما أحسن ما قال زهير :

تراه إذا ما جئته مهللاً كأنك تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَأَلْتَهُ
وقال له المهديُّ بعد أن قتل ابنته على الزندقة : لا يمنعك ما سبق [به] القضاء في ولدك ،
من [تلج صدرك] وتقديم نُصْحِكَ ؛ فإني لا أعرض لك رأياً على شهمة ، ولا أؤخر لك قدماً
عن رتبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما كان [ولدي حسنة] من نبت إحسانك أرضه ،
ومن تفقدك سماؤه ، وأنا طاعة أمرك ، وعبد نهيك ، وبقية رأيك لي أحسن اتِّخَافٍ عندي
وكان يقول : العالم يمشي البرَّازَ آمناً ، والجاهل يهبط الفيضان كأمناً ،
ولله درّ زهير حيث يقول :

الستر دون الفاحشات وما يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ

وقال أبو عبيد الله^(١) : ذاكرني المنصور في أمر الحسين^(٣) بن قحطمة ، فقال : كان

(١) في نسخة « أبو عبدالله » (م) . (٢) في نسخة « معاوية بن بشار » (م) .

(٣) في نسخة « الحسن » .

أوثق الناس عندي ، وأقربهم من قلبي ، فلما لقي أبا حنيفة انتكث ، فقلت : إن فسدت نيته فسيضعه الباطل كما رفعه الحق ، وتشهد مخاييلُه عليه كما شهدت له ، فتعدل في أمره من شك إلى يقين . ثم قال لي : اكتبتم علي ما ألقيت عليك .

قال عمران بن شهاب : استعنت على أبي عبيد الله في أمر ببعض إخوانه وكان قد تقدم سؤالي إياه فيه ، فقال لي : لولا أن حَقَّكَ لا يُجَدِّد ولا يَضاع ، لحجبت عنك حُسن نظري ؛ أظننتني أجهل الإحسان حتى أعلمه ، ولا أعرف موضع المعروف حتى أعرفه ؛ لو كان يُنَالُ ما عندي إلا بغيري لكنت مثل البعير الذلول ؛ يحمل عليه الحمل الثقيل ، إن قيد انقاد ، وإن أنيخ برك ، ما يملك من نفسه شيئا ، فقلت : معرفتك بموضع الصنائع أثبت معرفة ، ولم أجعل فلانا شفيعا بما جعلته مذكرا . قال : وأي إذكاراً بلغ عندي في رعي حَقِّكَ من مسيرك إليه وتسليمك عليه ^(١) ، إنه متى لم يتصفح المأمول أسماء مؤتمليه غدوة ورواحا لم يكن للأمل محلا ، وجرى عليه المقدار لمؤتمليه على يديه بما قدر ، وهو غير محمود على ذلك ولا مشكور ، ومالي إمام بعدوردي من القرآن إلا أسماء رجال أهل التأميل ، حتى أعرضهم على قلبي ، فلا تستعن على شريف إلا بشرفه ؛ فإنه يرى ذلك عيبا لعرفه ؛ وأنشد :

وذاك امرؤ إن تأتته في عزيمة إلى بابه لا تأتته بشفيع

ومن توقيعاته : الحق يُعقِبُ فلجأ أو ظفرا ، والباطل يُورث كذبا وندما .
وكتب إليه رجل : والنفس مولعة بحب العاجل . فكتب إليه : لكن العقل الذي جعله الله للشهوة زماما وللهوى رباطا موكل بحب الآجل ، ومستصغر لكل كثير رائل .

قال مصعب بن عبد الله الزبيري : وقد زاد الحارثي على المهدي وهو بالزبي ولي عهد ، فأقام سنتين لا يصل إليه شيء من بره ، وهو ملازم كاتبه أبا عبيد الله ، فلما طال أمره دخل إلى كاتبه فأنشده :

(١) في نسخة « من سيرك إلى ، وتسليمك على » وهي أدق من جهة المعنى (م) .

ما بعد حولين مرًا من مطالبةٍ ولا مُقَامَ لذي دينٍ وذِي حَسْبٍ
 لئن رحلتُ ولم أظفر بفائدةٍ من الأمير لقد أعذرت في الطَّلَبِ
 فوق أبو عبيد الله : يصنعُ الله لك ! فكتب إليه :
 ما أردت الدعاء منك لأنى قد تيقنت أنه لا يُجَابُ
 أيجاب الدعاء من مستطيل جُلُّ تسيبِهِ الخِمْنا والسَّبَابُ

ألفاظ لأهل العصر ، في ذكر الاستطالة والكبر

مع ما يشاكل ذلك من معانيها ، ويطلق نواحيها من المساوى والقابح
 فلان لسانه مِقْرَاضٌ للأعراض ، لا يأكل خبزَه إلا بلحوم الناس . هو
 غرضٌ يرشَقُ بسهام الغيبة ، وعلم يقصد بالوقية ، قد تناولته الألسن العاذلة ،
 وتناقلت حديثه الأندية الحافلة . قد لزمه عار لا يُمَجِّحُ رَسْمُهُ ، ولزمه شئار لا يزولُ
 وَسْمُهُ ، فأصبح [نَقَلَ كلَّ لسان ، وضُحِكَ كلَّ إنسان ^(١)] ، وصار دولة الألسن ،
 ومُثَلَّة الأعين . وقد عرَضَ عرضه [غرضاً لسهام الغائبين ، وألسنة القاذفين ، وقد
 نفسه عظيم العار والشئار ، والسَّيِّئة الخالدة على الليل والنهار . قد أسكرته خمره
 الكبر ، واستغرقته عرَّة التَّيِّه ، كأن كسرى حامل غاشيته ، وقارون وكيل
 نفقته ، وبَلْقَيْسٍ إحدَى داياته ، وكأنَّ يوسف لم ينظرُ إلا بطلعته ، [وداود
 لم ينطق إلا بنغمته] ، ولقمان لم يتكلم إلا بحكته ، والشمس لم تطلع إلا من جبينه ،
 والغمام لم يندَ إلا من يمينه ، وكأنه امتطى السَّمَاكين ، واتعل الفرقدين ، وتناول
 النَّيِّرِينَ بيدين ، وملك الخالقين ، واستعبد الثقلين ، وكان الخضر له عرشت ،
 والغبراء باسمه فرشت .

(١) النقل - بفتح النون وسكون القاف - ما ينتقل به على الشراب ، والضحكة :

الذى يضحك منه الناس (م) .

فلان له من الطلوس رِجله ، ومن الوردِ شوكة ، ومن الماء زبدُه ، ومن النار دخانها ، ومن الخمر خمارها ، قد هبت سمامُ ثمانه ، ودبت مكاييد عقاربه ، والنمام يضرب بسيفٍ كليل إلا أنه يقطع ، ويضرب بعضد واهن إلا أنه يوجع . هو تمثالُ الجبن ، وصورة الخوف ، ومقرّ الرعب ؛ فلو سُميت له الشجاعة لخافَ لفظها قبل معناها ، وذِكْرَها قبل فحواها ، وفزع من اسمها دون مسماها ، فهو يهلك من تخوفه أضغاث أحلام ، فكيف بمسموع الكلام ؟ إذا ذكرت السيف لمس رأسه هل ذهب ، ومسّ جبينه هل ثقب ؟ كأنه أسلم في كتاب الجبن صبيًا ، ولقن كتاب الفشل أعجميا . وعُدّه برقٌ ثلث ، وروغان ثعلب . غيم وعده جهام ، وحدث سيفه كهام . حصلتُ منه على مواعيد عرقوبية^(١) ، وأحزان يعقوبية^(٢) ، قد حرسني ثمر الوعد ، وجرتني على شوكة المظل . فتى له وعدٌ أخذ^(٣) من البرق الخلب خلقا ، وقد تناول من العارض الجهام طبعًا ، وتركني أرعى رياض رجاء لا يُنبت ، وأخني ثمار أمل لا يورق ؛ فأنا في ضمان الانتظار ، وإسار عِدّة ضمار^(٤) . هو يرسل برقه ، ولا يسيل تودّقه ، ويقدم رَعده ، فلا يطار بعده . وعُدّه الرقم على بساط الهواء ، وألخط في بسيط الماء .

حلّ هذا من قول أبي الفضل بن العميد :

لا أستفيقُ من الغرام ، ولا أرى	خِلوا من الأشجان والبرحاء
وصروفُ أيام أقم قيامتي	بنوى الخليلِ وفُرقةِ القرناء
وجفاء خِل كنتُ أحسبُ أنه	عَوني على السراء والضراء
ثبت العزيمة في العقوق ، وودّه	متنقلُ كتّقل الأحياء
ذى خلة يأتيك أثبتُ عهده	كالخط يرسم في بسيط الماء

(١) عرقوبية : نسبة إلى عرقوب ، وهو مضرب المثل في الخلف والمظل (م) .

(٢) يعقوبية : نسبة إلى يعقوب نبي الله تعالى الذي حزن على ابنه يوسف وبكاه

حتى ابضت عيناه من الحزن (م) .

(٣) في المطبوعات « له وعد أخذ من البرق الخلب خلقا » وما أثبتناه أشد

توافقًا والثامًا بما بعده (م) . (٤) الضار : الغائب الذي لا يرجى (م) .

أردت هذا البيت .

هو صخرة خَلْقَاء^(١)، لا يستجيبُ للمرتقى ، وحيّة صماء لا تسمع للرتقى ،
 كأنى أستنفر بالجوّ رعداً ، وأهزّ منه بالدعاء طوداً ، هو ثابت العطف [نابي
 العطف] ، عاجز القوة ، قاصر المنة ، يتعلّق بأذنان المعاذير ، ويحيل على ذنوب
 المقادير . هو كالنعامة تكونُ جملاً إذا قيلَ لها طيري ، وطائراً إذا قيلَ لها سيري .
 يفاض له بذل ، ولا يفوتض إليه شغل ، ويملاّ له وطب ، ولا يدفّع به خطب ،
 قد وفرّهمه على مطعمٍ يجودّه ، وملبّسٍ يجودّه ، ومرقّدٍ يمهدّه ، وبنيانٍ يشيده ،
 هذا كقول الحطيئة :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُعِيَّتَيْهَا واقعدُ فإيك أنتِ الطاعمُ الكاسي
 قلب نفل ، وصدرٌ دغل ، وطويّة معلولة ، وعقيدة مدخولة ، صفوه
 رنق^(٢) ، ورتّه مآق ، قدملى قلبه رينا ، وشجن صدره مينا^(٣) . يدعى الفضل
 وهو فيه دعى ، دأبه بث الخدائع ، والتفت في عقد المسكايذ ، ضميره حث ،
 ويمينه حث ، وعهده نكث . هو سحابة صيف ، وطارق صيف ، قوته
 غيمة ، والظفر به هزيمة . هو العود المركوب ، والوتر المضرّوب ، يطوه الخف
 والحافر ، وبستصيمه الوارد والصادر . [يغمض عن الذكر] ، ويضغر عن
 الفكر . ذاته لا يوسم أغالها ، وصفته لا تنفرج أقالها . هو أقل من تبنة في
 لبنة ، ومن قلامة في قمامة . وهو بيذق الشطرنج في القيمة والقامة ، جهله
 كثيف ، وعقله سخيف ، لا يستتر من العقل بسجف ، ولا يشتمل إلا على
 سخف . يمد يد الجنون فيمركبها أذن الحزم ، ويفتح جراب السخف
 فيصفع به قفا العقل . لا تزال الأخبار تورد سفايح جهاه وخرقه ، والأنباء
 تنقل نتائح سُخْفِهِ وَحُمَقِهِ . قد ظلّ يتعثر في فضول جهله ، ويتساقط في
 ذبول عقله . هو سمين المال مهزول النوال . ثروة في الثريا وهمّة في الشرى .

(١) خلقاء : ملاء (م) . (٢) رنق : كدر (م)

(٣) الرين : الدنس ، وأراد الحقد والضغن ، والمين : الكذب (م) .

وَجْهَهُ كَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ ، وَزَوَالِ النِّعْمَةِ ، وَقَضَاءِ السَّوَاءِ ، وَمَوْتِ الْفَجَاءَةِ . هُوَ قَدَى الْعَيْنِ ، وَشَجَى الصَّدْرِ ، وَأَذَى الْقَلْبِ ، وَحَمَى الرُّوحِ ، وَجْهَهُ كَأَخْرِ الصِّكِّ ، وَظِلُّ الشُّكِّ ، كَأَنَّ النِّحْسَ يَطْلُعُ مِنْ جَبِينِهِ ، وَانْخَلَّ يَقْطُرُ مِنْ وَجْتِهِ . وَجْهَهُ طَلْعَةُ الْهَجْرِ ، وَلَفْظُهُ قِطْعُ الصَّخْرِ . وَجْهَهُ كَحُضُورِ الْغَرِيمِ ، وَوَصُولِ الرَّقِيبِ ، وَكِتَابِ الْعَزْلِ ، وَفِرَاقِ الْحَبِيبِ . لَهُ مِنَ الدِّينَارِ نَضْرَتُهُ ، وَمِنَ الْوَزْدِ صُفْرَتُهُ ، وَمِنَ السَّحَابِ ظَلْمَتُهُ ، وَمِنَ الْأَسَدِ نَكْمَتُهُ ^(١) . هُوَ عَصَارَةُ لَوْثٍ فِي قَرَارَةِ حُبْثٍ . الْأُمُّ مَهْجَةٌ فِي أَسْقَطِ جَنَّةٍ . حَدِيثُ النِّعْمَةِ ، خَبِيثُ الطَّعْمَةِ ، خَبِيثُ الْمَرْكَبِ ، لَيْثُ الْمُنْتَسَبِ ، يَكَادُ مِنْ لَوْثِهِ يُعْدِي مِنْ جِلْسِ إِلَى جَنْبِهِ ، أَوْ تَسْمَى بِاسْمِهِ . قَدْ أَرْضِعَ بِلْبَانِ الْلَوْثِ ، وَرُبِّي فِي حِجْرِ الشُّوْمِ ، وَفُطِمَ عَنْ تَدَى الْخَلْبِ ، وَنَشَأَ فِي عَرَصَةِ الْخُبْثِ ، وَطَلَّقَ الْكِرْمَ ثَلَاثًا لَمْ يَنْطِقْ فِيهِ اسْتِنَاءً ، وَأَعْتَقَ الْجَدَّ بِنَاتًا لَمْ يَسْتَوْجِبْ عَلَيْهِ وِلَاءً . هُوَ حَمَازٌ مَبْطُنٌ بِشُورٍ مَفْرُوزٌ بِتَيْسٍ ، مَطْرَزٌ بِطَرَرٍ ، [أُنَى مِنَ الْلَوْثِ بِنَادِرٍ] ، لَمْ تَهْتَدِ لَهُ قِصَّةٌ مَادِرٍ ^(٢) . هُوَ قَصِيرُ الشَّبْرِ ، صَغِيرُ الْقَدْرِ ، قَاصِرُ الْقَدْرِ ، ضَيْقُ الصَّدْرِ ، رَدٌّ إِلَى قِيَمَةِ مِثْلِهِ فِي حُبْثِ أَضْلِهِ ، وَفَرْطُ جَهْلِهِ ، لَا أَمْسَ لِيَوْمِهِ ، وَلَا قَدِيمَ لِقَوْمِهِ ، سَائِلُهُ مَحْرُومٌ ، وَمَالُهُ مَكْتُومٌ ؛ لَا يَجْنُ إِفْثَاقَهُ ، وَلَا يَحِلُّ خِنَاقَهُ . خَيْرُهُ كَالْعِنَقَاءِ تَسْمَعُ بِهَا وَلَا تَرَى . خُبْرُهُ فِي حَالِقٍ ، وَإِدَامُهُ فِي شَاهِقٍ . غِنَاهُ قَفْرٌ ، وَمَطْبَخُهُ قَفْرٌ ، يَمْلَأُ بَطْنَهُ وَالْجَارِ جَانِعٌ ، وَيَحْفَظُ مَالَهُ وَالْعَرِضُ ضَائِعٌ ، قَدْ أَطَاعَ سُلْطَانَ الْبُخْلِ وَانْخَرَطَ كَيْفَ شَاءَ فِي سَلِكِهِ . هُوَ مِنْ لَا يَبِيضُ حَجْرَهُ ، وَلَا يَشْمُرُ شَجْرَهُ ، سُكِّيتِ الْخَلْبَةُ ^(٣) ، وَسَاقَةُ الْكُتَيْبَةِ ، وَآخِرُ الْجَرِيدَةِ . لُغْنَةُ الْعَائِبِ ، وَعَرَضَةُ الشَّاهِدِ وَالْعَائِبِ . هُوَ عَيْبَةُ الْعِيُوبِ ، وَذَنْوَبُ الذُّنُوبِ . وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ :

(١) النكمة : ربيع الفم ، والأسد معروف بالبحر ، وهو تنن الفم (م) .

(٢) مَادِر : مضرب المثل في البخل ، كان له حوض يملأه ماء ليسقى دوابه ،

فإذا فرغ قذف فيه الحصى الكثير لئلا يستقى غيره (م) . (٣) الحلبة : موضع

جرى الخيل المتسابقة . وسكيتها : أراد أنه يأتي في آخر المتسابقين (م) .

وظلمةٍ بقبحها قد شهّرتْ تحكى زوالَ نعمة ما شكرتْ
 كأنها عن لهما قد قشرتْ أقبیح بها صحيفةً قد نشرتْ
 عنوانها إذا الوحوش حُشرتْ يلغنها ما قدّمتْ وأخرتْ
 صَاحِبُهَا ذو عورةٍ لو سترتْ إن سار يوماً فالجبالُ سَيرتْ
 أو رامَ أكلا فالجحيمُ سَعرتْ

ويختص بهذه الأنواع رسالة بديع الزمان إلى القاضي على بن أحمد يشكو
 أبا بكر الخيري القاضي ويذمه - وقد أطلتُ عنان الاختيارِ فيها لصحة مبانيها ،
 وارتباط ألقابها بمبانيها :

من
 بديع الزمان
 يشكو الخيري
 القاضي

الظلامه - أطال الله بقاء القاضي - إذا أتت من مجلس القضاء ، لم ترق
 إلا إلى سيد القضاء . وما كنت لأقصر سيادته على الحكام ، دون سائر الأنام ،
 لولا اتصالهم بسببه ، واتسامهم بلقبه ، وهبهم مطلقين على قسمه ، مغيرين على
 اسمه ، ألم في الصحة أديم كأديمه^(١) ، أو قديم في الشرف كقديمه ، أو حديث
 في الكرم كطريفه ؛ فهيناً لهم الأسماء ، وله المعاني ، ولا زالت لهم الظواهر ،
 وله الجواهر . ولا غرو أن يسموا قضاء ، فما كلُّ مائع ماء ، ولا كلُّ سَقْفِ
 سماء ، ولا كلُّ سيرة عدل العُمَرَيْنِ^(٢) ، ولا كلُّ قاض قاضي الحرمين ، وبالشارات
 القضاء ! ما أرخص ما بيع ، وأسرع ما أضيع ! والسنة الإنذار ، قبل خلو الديار ،
 وموت الخيار ، ألا يفار حللى الحسناء ، على السوداء ، ومركب أولى السياسة ،
 تحت الساسة ، ومجلس الأنبياء ، من تصدّر الأغبياء ، ورحمى البراة من صيد البغاث ،
 ومرتع الذكور^(٣) من تسلط الإناث ؟ ويا للرجال ، وأين الرجال ! ولى القضاء من
 لا يملك من آلاته غير السبّال^(٤) ، ولا يعرف من أدواته غير الاعتزال ، ولا يتوجه

(١) الأديم : الجلد (م) .

(٢) العمرين : أبي بكر وعمر بن الخطاب ، رضی الله عنهما (م) .

(٣) في نسخة «ومربع الذكور» (م) . (٤) السبال - بكسر السين - جمع

سبلة - بالتحريك - وهو الشارب ، ويقال : مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر (م) .

في أحكامه إلا إلى الاستحلال ، [ولا يرى التفرقة إلا في العيال] ولا يُحسِنُ من
 الفقه غير جمع المال ، [ولا يتقن من الفرائض إلا قلة الاحتفال ، وكثرة الافتعال]
 ولا يدرس من أبواب الجدل إلا قبيح الفعالي ، وزورَ المَقَالِ ، ذاك أبو بكر
 القاضي ، أضاءه الله كما أضاء أمانته ، وخانَ خزائنه ، ولا حاطه من قاضٍ في
 صَوْلَةِ جندي ، وسبلة كردى ... إلى أن قال : أيكفي أن يُصْبِحَ المرء بين الرقَّة
 والعودِ ، ويسى بين موجبات الحدود ، حتى يكمل شبابه ، وتشيب أترابه . ثم
 يلبس دَنِيَّتَهُ ^(١) ، ليخلع دينيته ، ويسوى طيلسانه ، ليحرف يده ولسانه ، ويقصر
 سَبَالَهُ ، ليعطيل حباله ، ويُظهِرَ شَقَاشِقَهُ ، ليسترَ خَنَاقَهُ ، وبييضَ لحيته ، ليسودَ
 صحيفته ، ويبدى ورَّعَهُ ، ليخفي طمعه ، ويفشى مِحْرَابَهُ ، ليملا جِرَابَهُ ، ويكثر
 دُعَاَهُ ، ليحشوَ وعاءَهُ ، ثم يخدم بالنهار أمعاءَهُ ، ويمالج بالليل وَجَمَاءَهُ ، ويرجو
 أن يخرج من بين هذه الأحوال عالماً ، ويقعد حاكماً ؟ هذا إذا الجدل كآلوه بقفزان ^(٢)
 وباعوه في سوق الخسران ! هيهات حتى ينسى الشهوات ، ويحبب القلوات ،
 ويمتضد الحبابَ ، ويحتضن الدفاتر ، وينتج الخواطر ، ويخالف الأسفار ، ويعتاد
 القِفَارَ ، ويصل الليلةَ باليوم ، ويعتاض السهرَ من النوم ، ويحمل على الروح ،
 ويجنى على العين ، وينفق من العيش ، ويخزن في القلب ، ولا يستريح من النظر
 إلا إلى التحديق ، ولا من التحقيق إلا إلى التعليق ؛ وحاملُ هذه الكلف إن
 أخطأه رائدُ التوفيق ، فقد ضلَّ سواءَ الطريق ، وهذا الحيرىُّ رجل قد شغله طلبُ
 الرياسة عن تحصيل آلتها ، وأعجمه حصولُ الأمنية عن تحمل أدواتها ^(٣) :

والكلبُ أحسن حالةً وهو النهاية في الخساسة
 ممن تصدَّى للرياسة قبل إبانِ الرياسة

(١) الدنية - بفتح الدال وتشديد النون مكسورة - قلنسوة كان القضاة يلبسونها ،
 وقد جاء في مقامات الحريري « فضحك القاضي حتى هوت دينته » (م) .
 (٢) قفزان : جمع قفيز ، وهو مكيال . (٣) في نسخة « عن تنخل أدواتها » (م) .

فولّي المظالم وهو لا يعرف أسرارها ، وحمل الأمانة وهو لا يذرى مقدارها ؛ والأمانة عند الفاسق خفيفة الحمل على العاتق ، تُشفيق منها الجبال ، ويحملها الجهال ، وقعد مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حديثه يروي ، وكتاب الله يُتلى ، وبين البينة والدعوى ، فقبحه الله تعالى من حاكم لا شاهد عنده أعدل من السّلة والجام^(١) ، يُدلى بهما إلى الحكماء ، ولا مزكى أصدق لديه من الصّفر^(٢) ، ترقص على الظفر ، ولا وثيقة أحبّ إليه من غزوات الخصوم ، على السكيس المحتوم ، ولا كفيل أوقع بوقائه من خبيثة الدّيل ، وحمال الليل ، ولا وكيل أعز عليه من المذيل والطبق ، في وقت النّسق والفلق ، ولا حكومة أبفض إليه من حكومة المجلس ، ولا خصومة أوحش لديه من خصومة المُفلس ، ثم الويل للفقير إذا ظلم ، فما يفتيه موقف الحكم إلا بالقتل من الظلم ، ولا يجيره مجلس القضاء إلا بالنار من الرّمضاء . وأقسم لو أن اليتيم وقف بين أنياب الأسود ، بل الحيات السود ، لكانت سلامته منهما أرجى من سلامته إذا وقع من هذا القاضي بين عقاربه وأقاربه ؛ وما ظنّ القاضي بقومٍ يحملون الأمانة على متّونهم ، ويأكلون النار في بطونهم ، حتى تغلظ قصراتهم^(٣) من مال اليتامى ، ونسمن أ كفالهم من مال الأيامى ، وما رأيه في دار عملتها خرابُ الدور ، وعطلة القدور ، وخلاء البيوت ، من الكسوة والقوت ، وما قوله في رجل يُعادي الله في الفس ، ويبيع الدّين بالثمن البخس ، وفي حاكم يبرز في ظاهر أهل السّمت ، وباطن أصحاب السبت ، فقله الظلمُ البخت ، وأكله الحرام السّخت . وما قوله في سوس لا يقع إلا على صوف الأيتام ؛ وجراد لا يقع إلا على الزرع الحرام ، ولص لا ينتقب إلا خزانة الأوقاف ، وكردى لا يُغير إلا على الضعاف ، وليث لا يفترس عباد الله إلا بين الركوع والسجود ، وخارب^(٤) لا ينهب مال الله إلا بين العهود والشهود .

(١) السّلة - بفتح السين - السرقة ، والجام : الوعاء الذي تشرب به الخمر (م) .

(٢) الصفر : جمع أصفر ، وهو الدينار (م) . (٣) القصرات : جمع

قصرة - بالتحريك - وهي أصل العنق . (٤) الخارب : السارق (م) .

وذكر في هذه الرسالة فصلاً في ذكر العلم - وهو مستطرف البلاغة ،
مستعذب البراعة - قال :

والعلم - أطل الله بقاءه بالقاضى - شئ . كما تعرفه ، بعيد المرام ، لا يصادُ
بالسهام ، ولا يقسمُ بالأزلام^(١) ؛ ولا يرمى في المنام [ولا يضبطُ باللجام ، ولا يورث
عن الأعمام ، ولا يكتب للثام] ، وزرع لا يزكو^(٢) حتى يصادف من الحزم -
ثرى طيباً ، ومن التوفيق مطرا صيبياً ؛ ومن الطبع جوا صافياً ، ومن الجهد روحاً
دائماً ، ومن الصبر سقياً نافعاً ، والعلم علق^(٣) لا يباع ممن زاد ، وصيدٌ لا يألف
الأوغاد ، وشئ لا يذرك إلا بنزع الروح ، وعون الملائكة والروح ، وغرض
لا يصاب إلا بافتراش المدر^(٤) ، وأتساد الحجر ، ورد الضجر ، وركوب الخطر ،
وإذمان السهر ، واصطحاب السفر ، وكثرة النظر ، وإعمال الفكر ، ثم هو
معتاص إلا على من زكا زرعهُ ، وخلا ذرعهُ ، [وكرم أضله وفرّعه ، ووعى
بصره وسمعه] ، وصفا ذهنه وطبعه ، فكيف يناله من أنفق صباه على الفخشاء ؛
وشبابه على الأحشاء ، وشغل نهاره بالجمع ، وليله بالجماع ، وقطع سلوته بانغى ،
وخلوته بالغناء ، وأفرغ جده على الكيس ، وهزله في الكأس ؛ والعلم ثمر لا
يصلح إلا للفرس ، ولا يفرض إلا في النفس ، وصيد لا يقع إلا في الندر ، ولا
ينشب إلا في الصدر ، وطائر لا يخذعه إلا قنص اللفظ ، ولا يعلقه إلا شرك
الحفظ [ولا ينشب إلا في الصدر] ، وبحر لا يخوضه إلا الملاح ، ولا تطيقه إلا معراج
ولا تهيجه الرياح ، وجبل لا يتسنى إلا بحط الفكر ، وساء لا يصعد إلا معراج
الفهم ، ونجم لا يلمس إلا بيد المجد .

(١) الأزلام ، هنا : قدام الميسر (م) .

(٢) لا يزكو : لا ينمو (م)

(٣) العلق - بالكسر - النفيس الذي يتغالى فيه (م)

(٤) المدر - بالتجريك - صغار الحصى (م) .

ومن مفردات الأبيات في المعاييب والمقايح

قول أبي تمام :

مَسَاوٍ لَوْ قُسِمَ عَلَى الْغَوَانِي لَمَا أُمِّهْرُنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

آخر :

قوم إذا جرَّجان منهم أمِنوا من لوئم أحسابهم أن يقتلوا قوداً^(١)
البحترى :

نبا في يدِي ، وابن اللثيمة واحدٌ وَيَنْبُو الخَيْثُ الطَّمِيعُ وهو صَقِيلٌ

ابن الرومي في رجل يعرف بابن رمضان :

رأيتك تدعى رمضان دعوى وأنت نظيرُ يومِ الشكِّ فيه
وله في أعمى :

كيف يَرَجُو الحياءَ منه صديقٌ ومكانُ الحياءِ منه خرابٌ
غيره :

هو الكلب ، إلا أن فيه ملالةٌ وسوءُ مُرَاعاةٍ وما ذاك في الكلب

آخر :

أباذلف يا أ كُذِّبَ النَّاسَ كُلَّهُمْ سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِينِكَ أَكْذِبُ

أبو الفضل الميسكالي :

هو الشوك لا يعطيك وإفراً منه يَدِ الدَّهْرِ إِلَّا حِينَ تَضُرُّ بِهِ جِلْدًا

(١) جر : اكتسب جريرة ، يريد أنهم لا يساوون أحدا من الناس ،
ومن شرط القود — وهو الاقتصاص من القاتل بقتله — التكافؤ . فليسوا يقتلون
أصلاً (م) .

[قولهم في اللحن وتعلم العربية]

قال المأمون لبعض ولده وسمع منه لحنًا : ما على أحدكم أن يتعلم العربية ،
 فيقيم بها أودته^(١) ، ويزينُ بها مشهده ، ويفلُ^(٢) حُجَجَ خضمه ، بمس كتاب
 حكمه^(٣) ، ويملك مجلس سلطانه ، بظاهر بيانه ؛ ليس لأحدكم أن يكون
 لسانه كلسان عبده أو أمته ، فلا يزال الدهر أسيرَ كلمته .

وقال رجلٌ للحسن البصرى يا أبو سعيد ، قال : كَسَبُ الدرام شغلك
 أن تقولَ ياأبا سعيد ، ثم قال : تعلموا العلم للأديان ، والنحو للسان ، والطب
 للأبدان .

وكان الحسن كما قال الأعرابي وسمع كلامه : والله إنه لفصيحٌ إذا لفظ ، نصيحٌ
 إذا وعظ . وقيل له : ياأبا سعيد ، ما تراك تلحن ، قال : سَبَقْتُ اللحن . أخذه
 أبو العتاهية ، وقيل له : إنك تخرج في شعرك عن العَرُوض ، فقال : سبقت العروض ،
 وقال إسحاق بن خلف البهراني :

النحو يصلح من لسان الأَلْكَنِ والمرءُ تُعْظِمُهُ إذا لم يلحنِ
 فإذا طلبت من العلوم أجَلَّهَا فأجَلَّهَا منها مقيمُ الأَلْسُنِ
 وقال علي بن بسام :

رأيتُ لسانَ المرءِ رائدَ علمِهِ وعنوانه فَأَنْظَرُ بماذا تُعْنَوْنَ
 ولا تُعَدُّ إِصْلَاحَ اللسانِ فَإِنَّهُ يُخَبِّرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيُبَيِّنُ
 على أن للإعراب حدًّا ، وربما سمعت من الإعراب ما ليس يحسنُ
 ولاخيرَ في اللفظ الكريهِ استماعُهُ ولا في قبيح اللحنِ والقصدَ أَرَيْنُ

(١) أوده : اعوجاجه (م) .

(٢) يفل : يكسر ويضغف (م) .

(٣) في نسخة « بمسكتات حكمه » (م) .

وقال بعضُ أهل العصر ، وهو أبو سعيد الرستمي :

أفي الحق أن يُعطى ثلاثون شاعراً ويحرم مادون الرضا شاعراً مثلي
كما ساءوا عمراً بواو زيادة وضويق بسم الله في ألف الوصل
أبو الفتح البستي :

حذفتُ وغيري مثبتٌ في مكانه كأنى نون الجمع حين يُضافُ
وقال :

أفدى الغزال الذي في النحرِ كأمي منظرًا فاجتنبت الشهد من شفتيه
فأوردَ الحججَ المقبولَ شاهدها محققا ليريني فضلَ معرفته
ثم اتفقتُ على رأيٍ رضيتُ به والرفع من صفتي والنصب من صفته
الحسن اللحام (١) :

أنا من وجوه النحرِ فيكم أفعُلُ ومن اللغاتِ إذا تعدُّ المهملُ (٢)

[لَوْعَةُ الشوق] .

وقال أحمد بن يوسف :

كتب غلامٌ من ولد أنوشروان ممن كان أحدَ غلمانِ الديوان ، إلى آخر منهم
وكان قد علق به ، وكان شديدَ الكلفِ به والمحبة له : ليس من قدرِي - أدام
الله سعادتك - أن أقولَ لمثلِكَ جُعِلتُ فدَاك ؛ لأنني أراك فوقَ كلِّ قيمة خطيرة
وثنى معجز ، ولأنَّ نفسي لا تُساويَ نفسك ، فتقبَّل في فديتك ، وعلى كل
حال ؛ فجعلني اللهُ فدَاءَ ساعة من أيامك ، اعلم أيها السيد العليُّ المنزلة ، أنه لو
كان لعبيدِكَ من شدة الخطب أمرٌ يقفُ على حدِّه النعت (٣) ، لاجتهد نأ أن يُضعِفَ (٤)

(١) في نسخة « أبو الحسن اللحام » (م)

(٢) أفعُل : يريد أنه غير منصرف ، وسقطت هذه الكلمة من بعض النسخ (م) .

(٣) النعت : الوصف ، نعته ينعته : وصفه يصفه (م) .

(٤) في نسخة « لاجتهد أن يصف » (م) .

من ذلك ماعسى أن يعطف به زمام قلبك ، وتحنوله على الرقة به والتحنى أثناء جوانحك ، ولسكن الذى أمسيت وأصبحت ممتحنًا به فيه شمع^(١) على كل بيان ، ونزع عن كل لسان ؛ والحب أيها الملك لم يشبه قذى ريبية ، ولم يختلط به قلب معاب ، فلا ينبغي لمن كرمت أخلاقه أن يعاف مقاربة صاحبه المدل بحرمة نيته ، والذى أتمناه أيها المولى اللطيف مجلس أقف فيه أمامك ، ثم أبوح بما أضنى جسدى ، وقت كبدى ، فإن خفت ذلك عليك ورأيت نشاطا من نفسك إليه كنت كمن فك أسيراً وأبرأً عليلاً ، ومن الخير سلك سبيلاً ، يتوعر سلوكها على من كان قبله ، ومن يكون بعده ؛ ثم أضاف إلى ذلك منة لا يطيقها جَبَلٌ راس ، ولا فلك دائر ، فربك أيها السيد المعتمد فى الإسعاف ، قبل أن يندرنى الموت ؛ فيحول بينى وبين ما نزعته إليه النفس مواصلاً برآ إن شاء الله تعالى .

فأجابه : تولى الله تعالى ما جرى به لسانك بالزيد ، ولا أوحش ما بيننا بطائر فرقة ، ولا صافر تشتت ، وضمننا وإياك فى أوثق حبال الأنس ، وأوكد أسباب الألفة ؛ وقت على ما لخصته من المعجز عن بلوغ ما خامر قلبك^(٢) ، وانطوى فى ضميرك ، من الشف الملقى ، والهوى المضرع ، ولعمري لو كشفت لك عن معشار ما شتمت عليه مضمردى لأيقنت أن الذى عندك إذا قستته إلى ما عندى كالمتلاشى البائد ، ولكنك بفضل الإنعام سبقتنا إلى كشف ما فى الضمير . وأما طاعتى لك ، وذمى إليك ؛ فطاعة العبد المتقى ، الطائع لما يحكم له وعليه مولاة وما لكه ، وأنا صائرٌ إليك وقت كذا ؛ فتأهب لذلك بأحمد عافية ، وأتم عقدة^(٣) ، وأسعد نجم جرى بالألفة ، إن شاء الله تعالى .

وكتب بعض الكتّاب : إني لأكره أن أفديك بنفسى استحياء من التقصير

(١) شمع : بعد ، وفى نسخة « منع من كل بيان » (م) .

(٢) خامر قلبك : خانظه (م) فى نسخة « وأتم عافية » (م) .

في المعاوضة ، ومن التخلّف في الموازنة ، وعلى الأحوال كلّها ، قدّم الله رُوحِي
عنك ، وصانني عن رؤوِيّة المكروه فيك .

وقال المتنبي :

فَدَى لَكَ مِنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَامَلَكُ إِذْنَ إِلَّا فِدَاكَ
وَلَوْ قَلْنَا فِدَى لَكَ مِنْ يُسَاوِي دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لَمَنْ قَلَاكَ
وَأَمَّنَّا فِدَاءَكَ كَلَّ نَفْسِي وَإِنْ كَانَتْ لِمَلِكَةٍ مِثْلًا كَا

[وقال عبيد الله بن شبيب : كتب إليّ بعض إخواني من أهل البصرة
كتابا ملح فيه وأوجز ، وهو : أطال الله بقاءك ، كما أطال جبابك ، وجعلني
فذاك إن كان فيّ فداؤك .

كُتِبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوَىٰ وَشَوْقًا إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي كِتَابِي [
وكتب آخر إليّ إبراهيم وأحمد ابني المدبر ، وقد أصابتهما محنة ثم أردفتها
نعمة : لو قبلت فيكما ، ودانيتُ قدريكما ، لقلت : جعلني الله فداكما ، ولكني
لا أجزى عنكما ، فلا أقبل بكما ، وقد بلغتني المحنة التي لومات إنسان غمّا بها
لكنته] ثم اتصلت النعمة التي لو طار اسرؤ برحابها لكنته [وكتب تحته :

وَلَيْسَ بِتَرْوِيقِ اللِّسَانِ وَصَوْغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَاللِّدْمَا

وكتب ابن ثوبان إلى عبيد الله بن سليمان يعتذر في ترك مكاتبته بالتفدية
[الله يعلم ، وكفى به عليا ، لقد وددت مكاتبتك بالتفدية] فرأيت عيا أن
أفديك بنفس لا بدّ لها من فناء ، ولا سبيل لها إلى بقاء ، ومن أظهر لك شيئا
وأضرر لك خلافه فقد غش ؛ والأمر إذا كانت الضرورة تُوجبُ أنه ملق^(١)
لا يحقق ، وإعطاء لا يتحصّل ، لم يجب أن يخاطب به مثلك ، وإن كان عند قوم
نهاية من نهايات التعظيم ، وذليلا من دلالات الاجتهاد ، وطريقا من طرق التقرب .
قال الزبير بن أبي بكر : قال لي مسلمة بن عبد الله بن جندب الهذلي : خرجت أريدُ العقيق
ومعى زيبان السواق ؛ فلقينانسوة فيهن امرأة لم أر أجمل منها فأشدت بيتين زيبان :

(١) في المطبوعات « توجب أنه ملك لا يحتمق » تحريف ما أثبتناه (م) .

ألا يا عبادَ الله هذا أخوكُم قتيلاً ، فهل فيكم له اليوم نائزٌ؟
 خذُوا بدمي ، إن متُّ ، كلَّ خريدةٍ مريضةٍ جفنِ العينِ والطرفِ ساجِرٌ
 ثم قال : شأنك بها يابنَ السكرامِ فالطلاقُ له لازمٌ إن لم يكن دمٌ أبيضٌ في
 نقابها . فأقبلت علىَّ وقالت : أنت ابن جندب ؟ فقلت : نعم . قالت : إن قتيلا
 لا يُردى ، وأسيرنا لا يفدى ، فأغتنمُ لنفسيك ، واحتسب أباك .

قال أبو عبيدة : قال رجل من فزارة لرجلٍ من بني عذرة : تعذون موتكم
 من الحبِّ مزية ، وإنما ذاك من صَفِّ المنة ، وعَجَز الروية . فقال العذري :
 أما إنكم لورأيتم الحاجرَ البلج^(١) ، ترشق بالأعين الدُّعج^(٢) ، فوقها الحواجبُ
 الزُّج^(٣) ، [وتحتها المباسم الفلج] ، والشفاةُ الشُّمرُ ، تفتَر عن الثنايا الغرَّ ، كأنها
 برَد الدُّر ، لجعلتموها اللات . والعزى ، ورفضم الإسلام وراء ظهوركم :
 وقال أعرابي : دخلتُ بغداد فرأيتُ فيها عيوناً دُعجاً^(٢) ، وحواجبَ وصف الحسانِ
 زُجاً^(٣) ، يسحبن الثيابَ ، ويسلبن الألبابَ .

وذكر أعرابي نساءً فقال : طعائن في سوافهن طول ، غير قبيحا العُطول^(٤) ،
 إذا مشين أسبلن الذبول ، وإن ركبن أثقلن الحمول .

ووصف آخر نساء فقال : يقلن على السبائك ، ويتشخن على النيازك^(٥) ،
 ويتزرن على العواتك ، ويرتفن على الأرائك ، ويتهادين على الدرانك^(٦) ،
 ابتسامهن وميض ، عن نغرٍ كالإغريض ، وهن إلى الصبا صور ، وعن الخناحور^(٧) .

(١) الحاجر : جمع محجر . وهو بزة مجلس : الموضع يكون عليه النقاب ، وهو
 أيضا مدار العين ، والبلج : جمع أبلج أو بلجاء ، والأبلج : الأبيض المشرق (م)
 (٢) الدعج : جمع دججاء ، وهي العين الشديدة البياض مع السواد (م) .
 (٣) الزج : جمع أزج ، وهو الدقيق من الحواجب (م) . (٤) العطول : أراد
 التجرد من الحلى (م) . (٥) النيازك : الرماح ، واحدها نيزك (م) . (٦) الدرانك :
 البسط ، واحدها درنك (م) . (٧) صور : ما لات ، وحور : راجعات (م) .

(وصف الهوى ، وأمره)

سئل بعض الحكماء عن الهوى ، فقال : هو جليسٌ مُمتِع ، وأليف
مُوئِس ، أحكامه جائزة ^(١) ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ،
والعيون ونواظرها ، والنفوس وآراها ، وأعطى زمام طاعتها ، وقياد مملكتها ،
تَوَارَى عن الأبصار مَدْخَلُهُ ، وغمض عن القلوب مَسَلَكُهُ .

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : لا مُتَع الهوى بملكه ، ولا مُلَى بسلطانه ،
وقبض الله يده . وأَوْهَن عَضُدُهُ ؛ فإنه جائر لا ينصف في حكم ، أعمى ما ينطق
بعدل ، ولا يقصر في ظلم ، ولا يَرَعَوِي لِلَّوْمِ ، ولا ينقاد لحق ، ولا يبقى على عقل
ولا فهم ، لو ملك الهوى وأطيع لردّ الأمور على أديارها ، والدنيا على أعقابها .

ووصف أعرابي الهوى فقال : هو داء تدوى به النفوس الصّحاح ، وتسيل
منه الأرواح ، وهو سقم مكتم ، وجمر مضطرم ؛ فالقوب له منضجة ،
والعيون ساكنة ^(٢)

قال [أبو] عبيد الله بن محمد بن عمران المرزباني : أخبرني المظفر بن يحيى ، قال :
أحبّ رجلٍ امرأةً دونه في القدر ، فعذله عمه ، فقال : يا عمّ ، لا تلمّ مُجْبِرًا على
سقمه ؛ فإن المقر على نفسه مستغن عن منازعة خصمه ، وإنما يُلام من اقترب
ما يقدر على تركه ، وليس أمرُ الهوى إلى الرأي فيملكه ، ولا إلى العقل فيدبره ؛
بل قدرته أغلب ، وجانبه أعزّ من أن تنفذ فيه حيلة حازم ، أو لطف محتال .
وقال بعضهم : رأيت امرأتين من أهل المدينة تعاتب إحداهما الأخرى على
هوى لها ، فقالت : إنه يقال في الحكمة الفائرة ، والأمان السائرة : لا تلومنّ من
أساء بك الظنّ إذا جعلت نفسك هدفًا للثمة ، ومن لم يكن عونًا على نفسه
مع خصمه لم يكن معه شيء من عُقْدَةِ الرأى ، ومن أقدم على هوى وهو يعلم

(١) في نسخة وفي تزيين الأسواق « جائزة » (م) .

(٢) في نسخة « ساكنة » أى تسيل اللمع (م) .

ما فيه من سوء المتعبد سلط على نفسه لسان العذل ، وضع الحزم . فقالت المذولة :
ليس أمرُ الهوى إلى الرأى فيملكه ، ولا إلى العقل فيدبره ، وهو أغلب قدرة ،
وأمنع جانباً من أن تنفذ فيه حيلة الخازم ، أو ماسمت قول الشاعر :

ليس خطبُ الهوى بخطبِ يسير لا ينبئك عنه مثلُ خبير
ليس أمرُ الهوى يدبرُ بالرأى ولا بالقياس والتفكير
إنما الأمرُ في الهوى خطراتٌ محدثاتُ الأمورِ بعدَ الأمورِ

قال المرزباني : أخبرني الصولى أن هذه الأبيات لعليّة بنت المهدي ، ولها
فيها لحنٌ .

وقيل لعبد الله بن المقفع : ما بالُ العاقل للمميز الذهن ، واللييب الفطن ، يتعرض
للحُب وقد رأى منه مواضع الهلكة ، ومصارع التلف ، وعلم ما يؤول ^(١) إليه عُقباه ،
وترجع به أخراه على أولاه ؟ فقال : زُخرف ^(٢) ظاهرُ العشق بجمال زينة يستدعى
القلوب إلى ملامسته ، وملى بعاجل حلاوة يطبي ^(٣) النفوسَ إلى ملامسته ، كظاهر
زخرف الدنيا ، وبهاء رونقها ، ولذيد جنى ثمرها ، وقد سكرتُ أبصارُ قلوبِ بنائِها
عن النظر إلى قبيح عيوب أفعالها ، فهم في بلائها منغمسون ، وفي هلكة فتنتها
متورطون ، مع علمهم بسوء عواقب خطبها ، وتجرع مرارة شربها ، وسرعة
استرجاعها ماوهبت ، وإخراجها ممّا ملكت ، فليس ينجونها إلا من حذرهما ،
ولا يهلك فيها إلا من أمنها ، وكذلك صورةُ الهوى ؛ هما في الفتنة سواء .

[بعض ماجاء في العقاف]

وقال ابن دُرَيد : قال بعضُ الحكماء : أُغلق أبواب الشبهات بأفعال
الزهادة ، [وافتح أبواب البر بمفاتيح العبادة] فإنَّ ذلك يُدنيك من السعادة ،

(١) يؤول : يرجع (م) .

(٢) زخرف : زين (م) .

(٣) يطبي النفوس : يدعوها (م) .

وتستوجب من الله الزيادة .

وقال غيره : إن اللذة مشوبة بالقبح ؛ ففكروا في انقطاع اللذة وبقاء

ذكر القبح

قال أبو عبد الله بن إبراهيم بن عرفة [نبطويه] :

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظرفه حتى يكونَ عن الحرامِ عفيفاً
فإذا تعفَّ عن محارمِ رَبِّهِ فهناك يُدعى في الأنامِ ظريفاً

وقال :

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمنعني منه الحياءُ وخوفُ اللهِ والحذرُ
وكم خلوتُ بمن أهوى فيقنعني منه الفكاهةُ والتقبيلُ والنظرُ
أهوى الملاحَ وأهوى أن أجالسهم وليس لي في حرامِ منهم وطْرُ
كذلك الحبُّ لا إتيانُ معصيةٍ لا خيرَ في لذةٍ من بعدها سقرُ

وقال العباس بن الأحنف :

أتأذنونَ لصبِّ في زيارتكم فعندكم شهواتُ السَّمعِ والبَصْرِ
[لا يبصر السوء إن طالت إقامته عفت الضمير ولكن فاسق النظر]^(١)

وقال بعضُ الطالبين :

رموني وإياهم بشنعاءٍ هم بها أحقُّ ، أدالَ اللهُ منهم وعجلاً
بأمرٍ تركناه وربَّ عميدٍ جميعاً فإما عفةٌ أو تجملاً

وقال سعيد بن حميد :

زائرٌ زارتنا على غَيْرِ وعدٍ مُحطَفِ الكشْحِ مُثْقَلِ الأردافِ
غالبَ الخوفِ حينَ غالبه الشوقُ وأحقى الهوى وليس بخافي
غضِّ طرفي عنه تُقى اللهُ فاخترتُ على بذله بقاءَ التَّصافِي
نم ولَّى والخوفُ قد هزَّ عطفِيه ولم يخلُ من لباسِ العفافِ

(١) سقط هذا البيت من بعض النسخ ، وحفظ في « لا يضر السوء إن طال

وفي الحديث الشريف : « مَنْ أَحَبَّ فَعَفَّ فَتَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » .
 والعفافُ مع البَذَلِ ، كالأستطاعة مع الفعل ، كما قال صريع الغواني :
 وما ذمى الأيامُ أن لستُ مادحاً لعهدِ لياليها التي سلفتُ قبلُ
 الأربَّ يومِ صادقِ العيشِ نيلتهُ بها وندامى العفاةُ والبذلُ (١)
 وأشدُّ الصولى لأبى حاتم السجستاني فى المبرد ، وكان يلزم حلقته ،
 وكان من الملاح وهو غلام :

ماذا لقيتُ اليومَ من مُتمجِّنِ خنثِ الكلامِ (٢)
 وقفَ الجمالُ بوجهِهِ فسَمَّتْ له حدقُ الانامِ
 حرَكَاتهُ وسُكونُهُ يُجَنِّى بها ثمرُ الأنامِ
 فإذا خلوتُ بمنلهِ وعزمتُ فيه على اعترامِ
 لم أعدُ أخلاقَ العفاةِ فِ وذاك أوكدُ للغرامِ
 نفسى فداؤك يا أبا العباسِ جَلَّ بكِ اعتصامِ
 فازحمُ أخاكِ فإنه نزرُ الكرى بأدى النقامِ
 وأنلهُ مادونَ الحرامِ فليس يرغَبُ فى الحرامِ

وكان أبو حاتم يتصدَّق كلَّ يوم بدرهم ، ويحتم القرآن فى كل أسبوع .
 وذكر أنه اجتمع أبو العباس بن سريج الشافعى ، وأبو بكر بن داود العباسى
 فى مجلس على بن عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا فى الإيلاء ، فقال ابن سريج :
 أنت بقولك : « من كثرت لحظاته دامت حسرته » أبصرُ منك بالكلام فى
 الإيلاء ، فقال أبو بكر : لئن قلت ذلك فىنى أقول :

أتره فى روضِ المحاسنِ مُقلتى وأمنعُ نفسى أن تنالَ محرماً

(١) الندامى : جمع نديم ، وأصله الذى يجالسك على الشراب (م) .

(٢) المتمجِّن : الكثير المجون ، وخنث الكلام : أى لينه متكسره (م) .

وأحبلُ من تَقَلَّ الهوى مالو أنه يُصَبُّ على الصَّخْرِ الأصمَّ تَهْدَمًا
وينطق طرْفِي عن مترجم خَهْلِي فلولا اختلاسي رَدَّهُ لتكلمًا
رأيت الهوى دَعْوَى من الناسِ كلِّهم فلست أرى حبًّا صحيحًا مسلمًا
فقال أبو العباس : بم تفخرُ عليّ ؟ وأنا لو شئت لقلت :

ومُطَاعِمٍ للشَّهْدِ مِنْ نَفَاتِهِ قَدْ بَتُّ أَمْنَعُهُ لَدِيدَ سِنَاتِهِ
صَبًّا بِحُسْنِ حَدِيثِهِ وَكَلَامِهِ وَأُكْرِرُ اللَّحْظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
حتى إذا ما الصَّيْحُ لَاحَ عَمُودُهُ وَلِي بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبِرَّانِهِ

فقال أبو بكر : أصلح الله الوزير ، تحفظ عليه ما قال حتى يقيم شاهدَيْنِ
عَدْلَيْنِ أنه ولي بخاتم ربه ! فقال أبو العباس : يلزمني في هذا ما يلزمك في قولك :
أتره في رَوْضِ الحاسنِ مُقَلَّتِي ... البيت . فضحك الوزيرُ ، وقال : لقد جَمَعْتُمَا
ظرفًا ولطفًا وفهْمًا وعلمًا .

ألفاظ لأهل العصر، في محاسن النساء

هي روضة الحسن ، وضرة الشمس ، وبذر الأرض . هي من وجهها في
صباح شامس ، ومن شعرها في ليل دامس^(١) ، كأنها فلقة قمر على بُرج فضة .
بذر التم يضيء تحت نقابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها ، نقرها يجمع الضرب
والضرب^(٢) ، كأنه نثر الدر ، كما قال البحترى :

إذا نَضَوْنَ شُفُوفَ الرِّيطِ آوِنَةً قَشَرْنَ عَن لَوْلُوِّ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَافًا
قد أنبت صدرها ثمر الشباب ، خرط لها يد الشباب حَقْنَيْنِ^(٣) من عاج ،
كأنها البدر قرط بالثرى ، ونيط بها عقد من الجوزاء ، أعلاها كالفضن مَيَالِ ،

(١) شامس : ذى شمس ، على النسب ، ودامس : مظلم (م) .

(٢) الضرب : اللبن ، والضرب : غسل النحل (م) .

(٣) حَقْنَيْنِ : ثنية حق ، وهو العلبة ، وأراد ثديها (م) .

وأسفلها كالدعس^(١) مُنْهال ، لها عنق كإبريق اللجين ، وسُرَّة كدُهْن العاج ،
نِطاً قَها مُجْدِب ، وإزَارُها مُخْصِب . مَطْلَعُ الشَّمْسِ مِنْ وَجْهِها ، وَنَبْتُ الدَّرِّ
مِنْ فِيها ، وَمَلْقَطُ الوَرْدِ مِنْ خَدَّها ، وَمَنْبَعُ السَّحْرِ مِنْ طَرْفِها ، وَمِبَادِيءُ اللَّيْلِ
مِنْ شَعْرِها ، وَمَغْرَسُ الفِضْنِ مِنْ قَدَّها ، وَمَهْيَلُ الرَّمْلِ مِنْ رِدْفِها

ولهم في محاسن الغلمان والمعذرين

زاد جماله ، وأقر هلاله . ترقق في وجهه ماء الحسن ، شادن فاطر
طرفه ، ساحر لفظه . غلام تأخذه العين ، ويقبله القلب ، ويأخذه الطرف ،
وترتاح إليه الروح . تكاد القلب تأكله ، والعيون تشربه . جرى ماء الشباب
في عوده فتمايل كالفضن ، واستوفى أقسام الحسن ، ولبس ديباجة الملاحه ،
كان البدر قد ركب أزراره ، لا يشبع منه الناظر ، ولا يروى منه الخاطر ،
كاد البدر يحكيه ، والشمس تشبهه وتضاهيه ، صورة تجلو الأبصار ، وتنجل
الأقمار ، شادن منتقب بالبدر ، ومكتحل بالسحر . ماهو إلا نزهة الأبصار ،
ومنجل الأقمار ، وبدعة الأمصار ، غمرات طرفه تخير عن ظرفه ، ومنطقه
ينطق عن وصفه . تحال الشمس تبرقت غرته ، واللبلل ناسب أصداعه وطرفته
الحسن مافوق أزراره ، والطيب ماتحت إزاره ، شادن يضحك عن الأفحوان ،
ويتنفس عن الريحان ، كأن خده سكران من حمر طرفه^(٢) ، وبغداد مسروقة
من حسنه وظرفه ، أعجمت يد الجمال نون صدغه بخال ، هذا محلول من قول
ابن المعتز :

غِلاة خَدِّه صِبْغَتِ بوزِدٍ وَنُونُ الصَّدْغِ مُعْجَمَةٌ بِخَالٍ

(١) الدعس - بالكسر - الكثيب من الرمل (م)

(٢) في نسخة « من خمره فنه » وهي - وإن كانت أشهر في كلامهم - أبعد

من انسجام أسلوب المؤلف (م) .

له عينان حشواً أجفانهما السَّحْرُ ، كأنه قد أعار الظنبيَّ جِيدَه ، والغصنُ
 قدَّه ، والراح رِيحَه ، والورْدُ خدَّه ، الشَّكْلُ ^(١) من حرَّ كاته ، وجميعُ الحسنِ بعضُ
 صفاته . قد ملكَ أزمَّةَ القلوب ، وأظهر حجَّةَ الذنوب ، كأنما وسمَّه الجمالُ
 بنهايته ، ولحظه الفلكُ بعنائه ، فصاغَه من ليلِه ونهاره ، وحلاه بنجومه وأقماره ،
 ونقَّبه ببدايعِ آثاره ، ورمَّقه بنواظرِ سُعوده ، وجعله بالجمالِ أحدَ حدوده . وقد
 صبَّغَ الحياهِ غلالةً وجِبهه ، ونشَّرَ لؤلؤَ العرقِ عن ورْدِ خدَّه . تكادُ الأخطأُ
 تسفكُ من خدَّه دمَ الخجلِ . له طرَّةٌ كالفسقِ ، على غرَّةٍ كالفلقِ . جانا في
 غلالةٍ تنمُّ على ما يستره ، وتجنو مع رِقمتها عما يظهره ^(٢) . وجهٌ بماءِ الحسنِ مغسولٍ ،
 وطرفٌ بمزودِ السَّحْرِ مكحولٍ نمرُحِمِي حاميةِ الفغور ، وجُعِلَ ضرةً لقلائدِ
 النحورِ . السَّحْرُ في الحماظه ، والشهدُ في أفاظه . اختلسَ قامةَ الغصنِ ، وتوشَّحَ بمطارفِ
 الحسنِ ، وحكى الروضِ غبَّ المزنِ ^(٣) . الأرضُ مشرقةٌ بنورِ وجهه ، وليلُ السرارِ
 في مثلِ شفره ^(٤) . الجنةُ مجتناةٌ من قرْبِه ، وماءُ الجمالِ يترققُ في خدَّه ، ومحاسنُ
 الربيعِ بين سَحْرِهِ ونَحْرِهِ ، والقمرُ فضلةٌ من حُسْنِهِ . ماهو إلا خالٌ في خدِّ الطَّرفِ ،
 وطيرازٌ على علمِ الحسنِ ، وورْدَةٌ في غصنِ الدهرِ ، ونقشٌ على خاتمِ الملكِ ، وشمسٌ
 في فلكِ اللطفِ . هو قمرٌ في التصويرِ ، شمسٌ في التأثيرِ . منظرٌ يملأُ العيونَ ، ويملكُ
 النفوسَ ، زرافينُ أصداغه ^(٥) معاليقُ القلوبِ . كأنَّ صدغَه قوط من المسكِ على عارضِ
 البدرِ . وجهه عرسٌ ، وصدغه مأتمٌ ، ووصله جنةٌ ، وهجره جهنمٌ . أصداغُه قد اتخذت
 شكلَ العقاربِ ، وظلمتْ ظلمَ الأقاربِ . إن كان عقربُ صدغِه تلسعُ ، فترياقُ
 ريقه ينفعُ . كأن شاربه زئبِرُ الخرزِ الأخضرِ ، وعذارُه طرازُ المسكِ والعنبرِ
 [الأذفر] ، على الورْدِ الأحمرِ . إذا تكلمتْ تكشَّفتْ حِجَابُ الزمردِ والعقيقِ ،

(١) الشكل : الدلال (م) . (٢) في نسخة «وتجنو مع رقتها على ما ينهه» (م) .

(٣) المزن : المطر (م) . (٤) ليل السرار : آخر ليل إلى الشهر العربي (م) .

(٥) الزرافين : جمع زرفين ، وهو الحلقة ، أو خاص بحلقة الباب ، ويقولون

« زرفن صدغيه » أي جعلهما على شكل الزرفين (م) .

عن سِمْطِ الدرِّ الأنيق . قد همَّ أرقمُ الشعرُ على شاربه ، وكاد فم الحسن يقبّله .
 كأنَّ العذار ينقش فصَّ وجهه ، ويمحرق فضةً خدّه . طرّزَ الجملُ ديباجَ وجهه ،
 وأبانَ عذاره العذرةَ في حُبّه . [لعب الربيعُ بخدّه ، فأثبت البنفسجَ في ورده .
 لما احترقتُ فضةُ خدّه ، احترق سواد القلب من حُبّه] .

كيف لا يخضرُّ شاربهُ ومياهُ الحسنِ تسقيهُ

ولهم في تقيض ذلك ، في ذم خروج اللحية

قد انتقب بالديّ مجورٍ ، بعد النور ؛ فدوّلةُ حُسنه قد أعرضت أيامه ، وانقرضت
 دَوْلتهُ وأحكامه . استحال خدّه دُجاً ، وزمرّد خدّه سُبجاً^(١) ؛ وأخذت نارُ حُسنه
 بعد الإيقاد ، ولبس عارضه ثوبَ الحدّاد . ذُبل ورْدُ خدّه ، وتشوَّك زعفرانُ
 خطه . فارقنا خُشفاً ، ووافانا جلفاً ، وفارقنا هلالاً وغزّالاً ، وعاد وبالاً ونسكالاً .
 مالى أرى الآباط جائشةً ؛ والآناف مُعشبةً ، والعيون منورةً ، والأزرار مرعى ،
 والأظفار حمى ، واللحى لبوداً ، والأسنان خُضراً وسوداً .

من رسائل البديع ومقاماته

من رسالة
 لمن طلب
 وداده

وكتب إلى بديع الزمان بعضُ من عُزل عن ولاية حسنة يستمدُّ وداده ويستميل
 فؤاده ؛ فجاوبه بما نسخته : وردت رفقَتك أطلالَ الله بقاءك فأعزَّتْها طرفَ التعرُّز
 ومددت إليها يدَ التعرُّز ، وجمعت عليها ذيلَ التعرُّز ، فلم تند على كبدى ، ولم
 تحطَّ بناظرى ويدي ؛ ولقد خطبت من مودتى ما لم أجِدْكِ لها كَفِيّاً ، وطلبت
 من عِشرتى ما لم أرك لها رَضِيّاً ؛ وقلت : هذا الذى رفع عنّا أجفان

(١) فى نسخة «وزمرّد خطه سبجاً» والخط من قولهم «خط الغلام» إذا نبت
 عذاره ، والسبج : جمع سبيجة أو سبيجة ، وهى كساء أسود ، والمراد أن شعر
 عارضه قد نبت (م) .

طَرَفَه ، وشال بشعرات أنفه ، وتاه بِحُسْنِ قَدِّه ، وزهاً بوزد خَدَّه ، ولم يَسْتَقِمْنا من تَوْتِهِ ، ولم نَسِرْ بضمه ؛ فالآن إذ نسخ الدهرُ آيةَ حُسْنِهِ ، وأقام مائل غُصْنَهُ ، وفلّلَ عَرَبَ عُجْبِهِ^(١) ، وكفّ شأو زهوه ، وانتصر لنا منه بشعرات قد كسفت هِلَالَهُ ، وأكسفتْ بآله ، ومسختْ جماله ، وغيرتْ حاله ، وكدرتْ شرعته^(٢) ، ونكرتْ طلّمته ، جاء يستقى من جرفنا جرفاً ، ويغرف من طينتنا غرّفاً ، فهلا يا أبا الفضل مهلا :

أرِغِبْتَ فِينَا إِذْ عَلَا كَ الشَّعْرُ فِي خَدِّ قَعِلِ
وخرجت من حدّ الطبا ء وصرت في حدّ الإبل
أنشأت تطلبُ عِشْرَتِي عُدُّ للعداوةِ يا حجل

أنسيت أيامك ؛ إذ تكلمنا نزرًا^(٣) ، وتنظرنا شزرًا^(٤) ، وتجالس من حضر ، ونسرق إليك النظر ، ونهتز لكلامك ، ونهش لسلامك :

فَمَنْ لَكَ بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَيْكَ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ أَنْظَرُ
أيام كنت تمايل ، والأعضاء تنزائل ، وتتفانج ، والأجساد تتفانج ، وتتفلت ، والأكباد تنفتت ، وتخطر وترفل ، والوجدُ بنا يعملو ويسفل ، وتذبر وتقبل ، فتمنى وتخبيل ، [وتصد] وتعرض ، فتصني وتعرض :

وتبسم عن ألمي كأنّ منورا تحلل حرّ الرمل دعصر له ند
فأقصر الآن فإنه سوق كسد ، ومتساع قد ، ودولة أعرضت ، وأيام انقضت :

وعهد نفاق مَصَى وسوق كسادِ نَزَلْ
وخذ كأن لم يكنْ وخط كأن لم يَزَلْ

- (١) فلل: كسر ، والغرب: الحد . وفي نسخة «وفنا عرب عجمه» وفنا: سكن (م).
(٢) الشرعة بالكسر - موضع ورود الماء ، وتكديرها: تصير ماؤها كدرا (م).
(٣) النزر: القليل (م) . (٤) الشزر: النظر من ناحية شأن المتكبرين (م) .

ويوم صارأمس ، وحسرة بقيت في النفس ، ونفر غاض ماؤه فلا يرشف ،
وريق خدع فلا يندشف ، وتمايل لا يعجب ، وتئن لا يطرب ، [ووجه زال
سهاؤه] ، ومقلة لا تجرح الحاظها ، وشفة لا تفتن ألقاها ، فحتم تدل ، وإلام
نحتمل وعلام ؟ وأن أن تذعن الآن ، وقد بلغني ما أنت متعاطيه من تمويه
يجوز بعد العشاء في الغسق ، وتشبيه يفتضح عند ذوى البصر والصدق ؛ من
إفانك لتلك الشعرات جفا وحصا ، وإنحائك عليها نقصا وقتصا . وسيكزيالدهر
مؤونة الإنكار عليك ، بمايزف من نبات الشعر وأمهاته إليك ؛ فأماما استأذنت فيه
رأي من الاختلاف إلى مجلسي فما أقل إليك نشاطي ، وأضيق عنك بساطي ،
وأشنع قلتي منك ، وأشد استغنائى عن حضورك ، فإن حضرت فأنت دالا
نزوض عليه الحلم ، وتعلم به الصبر ، وتتكلف فيه الاحتمال ، ونقضى منه الجفن
على قذى ، ونطوى منه الصدر على أذى ، ونجعله للقلوب تأنيا ، وللعيون تأديبا .
ومالك إلا أن تعترض من الرغبة عنارغبة فينا . ومن ذلك التدل علينا تذلا
لنا ، ومن ذلك التعالى تبصبا ، ومن ذلك التعالى ترخصا ، وما بال الدهر
أعقبك من التزايد تنقضا^(١) ، ومن التسحب على الإخون تقمضا ، ولئن اعتضت
من الذهب رجوعا ، لقد اعتضنا من النزاع نزوعا^(٢) ، فانا برحلك وجانك ،
ملقى حبلك على غاربك ، لا أوثر قرربك ، ولا أندّه سيربك ، والسلام .

المقامة الأسدية
من إنشاء
البدیع

ومن إنشاء بديع الزمان في مقامات الإسكندري ولعل ما فيها من الطول
غير مملول . قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : كان يبلغني من مقامات الإسكندري
ما يصغى له النفور ، ويذتفض له المصفور ، ويروى لي من شعره ما يمتزج
بأجزاء الهواء رقة ، ويغمض عن أوهام الكهننة دقة ، وأنا أسأل الله بقاءه ،

(١) يقولون «ببص الكلب بذنبه» إذا حركة يتعلق به صاحبه (م) .

(٢) نزع النفس إلى كذا نزاعا : اشتاقتة ، ونزعت عنه روعا :

حتى أَرْزَقَ لقاءه، وأَتَعَجَّبَ من قعودِ هِمَّتِهِ بِحالتهِ ، مع حُسْنِ آلتِهِ ، وقد ضربَ الدهرُ شؤونه أسدَاداً^(١) وهلمَّ جراً. إلى أنِ اتَّفَقَتْ لِي حاجةٌ بِمَحْنِ ، فَشَحَذْتُ إليها الحِرْصَ ، في صُخْبَةِ أفرادِ كَنُجُومِ اللَّيْلِ ، أخْلَاسَ^(٢) لظهورِ الخليلِ ، فأخذنا الطريقَ نَذْتَهَبُ مَسَافَتَهُ ، ونَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُ ، ولم نَزَلْ نَفْرِي أَسْنِمَةَ النَّجَادِ^(٣) بتلك الجِيَادِ ، حتى صِرْنَا كَالعِصِيِّ ، وَرَجَعْنَا كَالقِيسِيِّ ، وتاحَ لنا وادٍ في سَفْحِ جَبَلٍ ، ذِي آلاءٍ وَأَثَلٍ ، كَالعَذَارَى يُسَرِّحُنَ الضَّفَائِرَ ، وَيُنْشُرُنَ الغدائرَ ، فالتَّ المَاجِرَةُ بنا إليها ، فنزلنا نُغُورَ وَتُغُورَ ، وَرَبَطْنَا الأفراسَ بالأمراسَ ، وَمِلْنَا مع النَّعَاسِ ، فمَارَعْنَا إلا صَهِيلَ الخيولِ ، ونظرتُ إلى فَرَسِي وقد أَرْهَفَ أُذُنِيهِ ، وَطَمَحَ بَعِينِيهِ ، يَجِدُّ قُوَى الجَبَلِ بِمَشَافِرِهِ ، وَيُخَذُّ خَدَّ الأَرْضِ بِمُخَافِرِهِ ، ثم اضطربت الخليلُ ، فأرسلت الأَبْوَالَ ، وَقَطَعَتِ الجِبَالَ ، وصارَ كُلُّ مِنَّا إلى سِلاحِهِ ، فإذا الأَسَدُ في فَرَاوَةِ المَوْتِ ، قد طَلَعَ من غَابِهِ ، مُتَنَفِّجًا في إهابِهِ ، كاشِراً عن أنيابه ، بِطَرْفٍ قد مَلَأَ صَلْفًا ، وَأَنْفٌ قد حَشَى أُنْفًا . وصدرُ لا يبرحه القلبَ ، ولا يسكنه الرُّعْبُ ، قفلنا: خُطِبَ اللهُ مَلَمً ، وَحَادِثٌ مهمٌّ ، وتبادرنا إليه من مَرَعَانِ الرُّفْقَةِ فتى :

أخضر الجِلْدَةُ من بَيْتِ العَرَبِ يَمَلُّ الدَّائِلُ إلى عَمَدِ الكَرْبِ

بقلبٍ ساقه قدر ، وسيفٍ كله أثرٌ ، فلكنته سورة الأسد ، فحانته أرضٌ قدمه ، حتى سقط ليدِهِ وفه ، وتجاوز الأسدُ مَصْرَعَهُ ، إلى مَنْ كان معه ، ودعا الحينُ أخاه ، إلى مثلِ مادعاه ، فسار إليه ، وعقل الرُّعْبُ يديه ، فأخذ أرضه واقترس الليثُ صدره ، ولكن شغلتُ بعامتي فه ، حتى حقنتُ دمه ، وقام القتي فوجاً بطنه حتى هلك من خوفه ، والأسدُ بالوجأةِ في جوفه ، ونهضنا

(١) في المقامات «ضرب الدهم شؤونه ، بأسداد دونه» (م)

(٢) أخلاس لظهور الخليل : يريد أنهم يلزمون ظهورها ، كناية عن شجاعتهم

وفروسيهم (م) (٣) النجاد : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ، ضد السهل (م)

على أثر الخيل ، فأنلفنا منها ما ثبت ، وتركنا ما أفلت ، وعدنا إلى الرفيق
لنجهزه .

فلما حَسَوْنَا التَّرابَ فوقَ رَفيقنا جَزَعنا ولكن أَيُّ ساعةٍ سَجَرع
وعدنا إلى الفلاة ، فهبطنا أرضها ، وسرنا حتى إذا ضمرت المزد ، ونفدَ
الزادُ ، أو كاد يدركه النفاذ ، ولم تملك الذهب ولا الرجوع ، وخفنا القاتلين
الظما والجوع ، عن لنا فارسٌ فصمَدًا صمَدَه ، وقصدنا قصده ، ولما بلغنا نزلَ
عن حاذ فرسه ينقشُ الأرضَ بشفتيه ، ويلقى الترابَ بيديه ، وعدنى من بين
الجماعة ، فقبل ركابي ، وتحرمُ بئياي ، ونظرتُ فإذا وجه يبرق برق العارض
المتهلل ، وفرس متى ما ترقَّ العينُ فيه تسهل ، وعارضٌ قد اخضرَّ ، وشاربٌ قد
طر ، وساعدٌ ملآن ، وقضيب رَيَّان ، ونجار تركي ، وزى ملكي ، فقلت :
ما جاء بك ؟ لا أبالك ! فقال : أنا عبد بعض الملوك ، هم من قتلى بهم ، فهمت
على وجهي إلى حيث تراني ، وشهدت شواهدُ حاله ، على صدق مقالته ،
ثم قال : أنا اليوم عبدك ، ومالي مالك ، فقلت : بشرى لك وبك ، أذاك
سيرك إلى فناء رَحْب ، وعيش رَطْب ، وهنأتني الجماعة ، بحسب الاستطاعة ،
وجعل ينظرُ فتفتلنا الحاخله ، وينطقُ فتفتلنا أفاظه ، والنفس تناجيني فيه بالمحظور ،
والشيطان من وراء الغرور ، فقال : ياسادة ، إن في سفح هذا الجبل عيناً ، وقد
ركبتم فلاة عَوراء^(١) ، فخذوا من هنالك الماء ، فلوينا الأعنة إلى حيث أشار ، وبلغناه
وقد صهرت الهاجرة الأبدان ، وركبت الجنادبُ العيدان^(٢) ، فقال : ألا تقيلون
في هذا الظل الرَّحْب ، على هذا الماء المذب ؟ فقلنا : أنت وذاك ، فنزل عن فرسه ،
ونحى منطقتة ، وحلَّ قرطقتة^(٣) ، فما استترعنا إلا بفلاةٍ [تتم] على بدنه ،

(١) فلاة عوراء : صحراء ليس بها ماء (م) .

(٢) ركبت الجنادب العيدان : كناية عن اشتداد الحر (م)

(٣) القرطق : ضرب من الكساء (م)

فما شككنا أنه خاصم الولدان ، ففارق الجنان ، وهرب من رضوان ،
وعمد إلى السروج فخطها ، وإلى الأفراس فحشها^(١) ، وإلى الأمكنة ففرشها ، وقد
حارت البصائر فيه ، ووقعت الأبصار عليه ، ووتد كل منا شبقاً ، وخنث اللفظ
ملقاً . وقلت : يا فتى ، ما أطفك في الخدمة ! وأحسنك في الجملة ! فالويل لمن
فارقته ، وطوبى لمن رافقته ، فكيف نشكر الله على النعمة بك ؟ ! فقال :
ما سئرونه أكثر ، أتعجبكم خفتي في الخدمة ، فكيف لو رأيتموني في الرقعة ؟
أريكم من حذق طرفاً ، لتزادوا بي شغفاً ؟ قلنا : هات ، فعمد إلى قوس
[أحدنا] فأوتره ؛ وفوق سهماً فرماه في السماء ، وأتبعه بأخر فشقه في الهواء ،
وقال : سأريكم نوعاً آخر ، ثم عمد إلى كنانتي فأخذها ، وإلى فرسى فعلاه ،
ورمى أحدنا بسهم أثبتته في صدره ، وآخر طيره من ظهره ، فقلت : ويحك !
ما تصنع ؟ قال : اسكت يالأسكع ، والله ليشدن كل منكم يد رفيقه ، أو لأغصنه
بريقه ، فلم نذر ما نصنع ، وأفراسنا مربوطة ، وسرؤوجنا محطوطة ،
وأسلحتنا بعيدة ، وهو راكب ونحن رجالة ، والقوس في يده يرشق بها
الظهور ، ويمشق بها^(٢) البطون والصدور ، وحين رأينا منه الحد ، أخذنا^(٣) القيد ،
فشد بعضنا بعضاً ، وبقيت وحدى لأجد من يشدني ، فقال : اخرج ياهابك^(٤) ،
عن ثيابك ، ثم نزل عن فرسه ، وجعل يصفع الواحد منا بعد الآخر ، ويقول :
أقت قضيبك ، فخذ نصيبك ، [ونزع ثيابه] وصار إلى وعلى خفان جديدان
فقال : اخلمهما لا أم لك ، فقلت : هذا خف لبسته رطباً ، فليس يمكنني خلعه
فقال : على نزع ، ثم دنا لينزع الخف ، ومددت يدي إلى سكين فيه

(١) حشها : قدم لها الحشيش (م) (٢) يمشق : يضرب في سرعة (م) .

(٣) القيد - بكسر القاف - السير من جلد يربط به الأسير (م) .

(٤) الإهاب : الجلد (م) .

وهو مشغول ، فأثبته في بطنه ، وأبنته من مئنه ^(١) . فما زاد على فم فعره ^(٢) ، وألقمه حجره ، وقمت إلى أصحابي فخلت أيدِيهم ، وتوزعنا سب القتولين ، وأدر كنا الرقيق ، وقد جاد بنفسه ، وصار إلى رمسه ^(٣) ، وصيرنا إلى الطريق فوردنا حص بعد ليال ، فلما انتهينا إلى فرضة من سوقها رأينا رجلا قد قام على رأس ابن وبنيّة ، بجراب وعصيّة ، وهو يقول :

رَحِمَ اللهُ مِنْ حَشَا فِي جِرَابِي مَكَارِمَهُ
رَحِمَ اللهُ مِنْ رَثِي لَسَعِيدٍ وَقَاطِمَهُ
إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ وَهِيَ لَا شَكَّ خَادِمَهُ

قال عيسى بن هشام : فقلت : إن هذا الرجل هو الإثكندري لذي سمعت به وسألت عنه فإذا هو هو ، فدألت إليه ، فقالت له : أحلك حلك ، فقال : درهم ، فقلت :

لَكَ دِرْهَمٌ فِي مِثْلِهِ مَا دَامَ يُسْعِدُنِي النَّفْسُ
فَاخْسَبْ حِسَابَكَ وَالتَّمْسُ كَمَا تَنَالُ الْمَلْتَمَسُ

لك درهم في اثنين ، وفي ثلاثة ، وفي أربعة ، في خمسة حتى بلغت العشرين ، ثم قلت : كم معك ؟ قال : عشرون رغيفاً ، فأمرت له بها ، وقلت : لا نصره مع الخذلان ، ولا حيلة مع الحرمان .
وقال أبو فراس الحمداني .

لأبي فراس
الحمداني يتغزل

سَكَرْتُ مِنْ لِحْظِهِ لَا مِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالَ بِالنُّوْمِ عَنِ عَيْنِي تَمَائِلُهُ
وَمَا السَّلَافُ دَهْتَنِي بِلِ سَوَالِفِهِ وَلَا السَّمُولُ دَهْتَنِي بِلِ شِمَائِلُهُ
أَلْوَى بِصَبْرِي أَضْدَاغُ لُؤَيْنَ لَهُ وَغَالِ عَقْلِي ^(٤) مَا تَحْوِي غَلَائِلُهُ

(١) أبنته : أظهرته ، وأراد أنفذه ، ومته : ظهره (م) .

(٢) فعره : فتحه (م) . (٣) رمسه : قبره (م) .

(٤) ألوى به : ذهب به ، وغال عقلي : أضاعه وأهلكه (م) .

لابن المعتز
في الغزل

وقال ابن المعتز ، وقد تقدّم عنه في هذه الألفاظ :

ويوم فاختي الدجن مُرّخ
عزّ إليه ههليل وانهمال^(١)
أبخت سروره وظلّت فيه
برغم العاذلات رخيّ بال
وساق يجعل المنديل منه
مكان حائل سيف الطوال
غلاة حده صبغت بورذ
ونون الضدغ مُعجّمة بحال
بدا والصبح تحت الليل باد
كطرف أبلق مرخي الجلال
بكأس من زجاج فيه أسد
فرائسهن ألباب الرجال
أقول وقد أخذت الكاس منه
وقتك سوء ربّات الحجال
وقد أحسن ما شاء في قوله : * فرائسهن ألباب الرجال * وإن كان أصل

المعنى لأبي نواس في ذكر تصاوير الكاس .

قال الصولي : مرّ أبو نواس بالمدائن فعدل إلى ساباط^(٢) ، فقال بعض أصحابه :
ندخل إيوان كسرى ؛ فرأينا آثاراً في مكان حسن تدلّ على اجتماع كان لقوم
قبلنا ، فأقننا خمسة أيام نشرب هناك ، وسألنا أبا نواس صفة الحال ، فقال :

لأبي نواس
في وصف يوم
شرب

ودار ندامي عطّوها وأدلجوا
بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جرّ الزقاق على التري
وأضغاث رينخان جنيّ وبابس
ولم أر منهم غير ما شهدت به
بشرقي ساباط الديار البساس
حبست بها صخبي فجّعت شملهم
وإني على أمثال تلك لحابس
أقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً
ويوم له يوم الترحل خامس
تدار علينا الراح في عسجدية
حبّتها بأنواع التصاوير فارس

(١) فاختي : منسوب إلى الفاخنة ، واحدة الفواخت ، وهي من ذوات الأطواق من الحمام يشبه لونها ضوء القمر ، والدجن - بالفتح - الغيم ، وهو المطر الكثير ، وفي نسخة « فاحمي الدجن » والعزالي : جمع عزلاء ، وأصلها مصب الماء من الراوية . ويقال : « أرخت السماء عزاليها » إذا أريد الكناية عن اشتداد المطر (م) .

(٢) ساباط : موضع بمدائن كسرى (م) .

قَرَارَتُهَا كَسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا مَهَى تَدْرِيهَا بِالْقِسَى الْفَوَارِسُ^(١)
 فَلِرَّاحٍ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَالْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
 وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ النَّوْبَخْتِيُّ : قَالَ لِي الْبَحْتَرِيُّ : أَتَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَخَذَ
 الْحَسَنُ قَوْلَهُ : * وَلَمْ أَرَ مِنْهُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ * ؟ . . . الْبَيْتَ - فَقُلْتُ : لَا ،
 قَالَ : مِنْ قَوْلِ أَبِي خِرَاشٍ :

وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سَوَى أَنَّهُ قَدْ سُلِّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضُ
 قُلْتُ : الْمَعْنَى مُخْتَلَفٌ ، فَقَالَ : أَمَا تَرَى حَذْوُ الْكَلَامِ وَاحِدًا ، وَإِن
 اخْتَلَفَ الْمَعْنَى ؟ !

قَالَ الْجَاهِظُ : نَظَرْنَا فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَالْمُحَدَّثِ فَوَجَدْنَا الْمَعَانِيَ تُقَلَّبُ وَيُؤْخَذُ
 بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، غَيْرَ قَوْلِ عَنَتْرَةَ فِي الْأَوَائِلِ :

وَخَلَا الذَّبَابُ بِهَا يُغْنَى وَحْدَهُ غَرْدًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمُرْتَمِّمِ
 هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكْبِ عَلَى الزِّنَادِ الْأَجْدَمِ
 وَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ فِي الْمُحَدَّثِينَ :

قَرَارَتُهَا كَسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا مَهَى تَدْرِيهَا بِالْقِسَى الْفَوَارِسُ
 فَلِرَّاحٍ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَالْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
 أَخَذَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ النَّاشِيءُ فَقَالَ وَوَلَدٌ مَعْنَى زَائِدًا :

وَمُدَامَةٍ لَا يَبْتَغِي مِنْ رَبِّهِ أَحَدٌ حَبَاهُ بِهَا لَدَيْهِ مَزِيدًا
 فِي كَأْسِهَا صُورٌ تُظَنُّ لِحُسْنِهَا عُرْبًا بَرَزْنَ مِنَ الْخِيَامِ وَغِيْدًا^(٢)
 وَإِذَا الْمَزَاجُ أَثَارَهَا فَتَقَسَّمَتْ ذَهَبًا وَدُرًّا تَوَآمَأَ وَفَرِيدًا
 فَكَأَنَّهَا لِبَسْنِ ذَلِكَ مَجَاسِدًا وَجَمَلَنَ ذَا لِنُحُورِهِنَّ عَقُودًا
 وَأَبْيَاتُ أَبِي خِرَاشٍ ، وَكَانَ خِرَاشٌ وَعُرْوَةُ غَزَاوًا ثَمَالَةً فَاسْرُوهُمَا ، وَأَخَذُوهُمَا لِأَبِي خِرَاشٍ

(١) قَرَارَتِهَا كَسْرَى : يَرِيدَانِ فِي قَرَارَةِ الْكَأْسِ صُورَةَ كَسْرَى ، وَفِي جَوَانِبِهَا
 صُورَ مَهَى ، وَتَدْرِيهَا : تَخْتَلِبُهَا ، وَالْقِسَى : جَمْعُ قَوْسٍ ، وَالْفَوَارِسُ : جَمْعُ فَارِسٍ (م) .
 (٢) عُرْبٌ : جَمْعُ عُرُوبٍ - بَفَتْحِ أَوَّلِهِ كَصُبُورٍ - وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا (م) .

وهما يقتلها ، فهام بنورزام ، وأبي بنو هلال إلا قتلها ، وأقبل رجل
من بني رزام فالتقى على حراش رداءه ، وشغل القوم بقتل عروة ، وقال الرجل
لحراش : انجبه ، فنجأ إلى أبيه ، فأخبره الخبر ، ولا تعرف العرب رجلاً مدح
من لا يعرفه غيره :

حَدَّثُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فَوَاللَّهِ لَا أُنْسَى قَتِيلًا رُزْمَتُهُ بِجَابِ قَوْمِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
بَلَى إِنَّهَا تَعْفُو الْكَلُومَ ، وَإِنَّمَا نُوَكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي ^(١)
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْتَقَى عَلَيْهِ رِدَاءُهُ سَوَى أَنَّهُ قَدْ سُلِّ عَنْ مَا جِدَّ مَخْضِي
وَلَمْ يَكْ مِثْلُوجَ الْفُؤَادِ مَهَبَجًا أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الرَّيْلَةِ وَالْخَفْضِ ^(٢)
وَلَكِنَّهُ قَدْ لَوَّحْتَهُ نَحَامِصَ عَلَى أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ النَّهْضِ
كَأَنَّهُمْ يَشْتَبُونَ بِطَائِرٍ خَفِيفِ الْمَشَاسِ عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نَحْضِ
يُبَادِرُ قَوْتَ اللَّيْلِ نَهْوً مُهَابِدًا يَمُتُّ الْجَنَاحَ بِالتَّبَسُّطِ وَالتَّقْبِضِ

الرييلة : الخفض والدعة ، والمهابد : المجتهد في العدو والطيوان .

وقال أبو خراش يرنى أخاه عروة :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لَا هِيَا وَذَلِكَ رُزْمًا لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أَمِيمَ جَمِيلُ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلُنَا خَلِيلًا صَفَاءَ مَالِكٍ وَعَقِيلُ
وَأَنِّي إِذَا مَا الصَّبْحُ أَنْسَيْتُ ضَوْءَهُ يِعَاوِدُنِي قِطْعٌ عَلَى ثَقِيلُ
[أَبِي الصَّبْرِ أَنِّي لَا أَرَا لُ يَهِيحُنِي مَيِّتٌ لَنَا فِيمَا مَضَى وَمَقِيلُ]

مالك وعقيل اللذان ذكرهما نديما جذيمة الأبرش ، وكانا أتياه بابن أخته عمرو ،

(١) حفظي « على أنها تعفو الكلوم » (م) .

(٢) مهيجاً : ثقيلًا ، والرييلة : كثرة اللحم ، يريد لم يكن متناقلاً إذا دعي

ولم يضيع أيامه في اكتساب اللحم والشحم (م) .

أبو خراش
يرنى أخاه
عروة

وكان قد استهوته الجن، فناها فتمنيا مُنادمته ، وهما اللذان عنى متمم
ابن نُويَرةَ في مرثية أخيه مالك :

وكنّا كندمائي جَذِيمةَ حِقْبَةَ من الدهرِ حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرقتنا كَأني ومالكا لطولِ اجتماعِ لم نَبِتْ ليلَةً معا

وقول عنّرة في وصفِ الذبابِ أوحد فرد، ويتم فدّ، وقد تعلق ابن الرومي
بذيله وزاد معني آخر في قوله :

إذا رنقت شمسُ الأصيلِ ونفضتْ على الأفقِ الغربي وَرَساً مُرْعَزَعَا^(١) لابن الرومي
ولاحظتِ النّوّارَ وهي مريضةٌ وقد وضعتْ خدّاً على الأرضِ أضرعا
كما لاحظت عوادها عينُ مدنفٍ توجّع من أوصابه مانوجعاً^(٢)
وبين إغضاء الفراقِ عليهما كأنهما خِلاً صَفاه تودعا
وقد ضربتْ في خُضرةِ الرّوضِ صُفْرَةً من الشمسِ فاخضرا أخضراً مشفِشعاً
وظلّتْ عيونُ النّورِ تخضّلُ بالندی كما اغرورقتْ عَيْنُ الشّجِيّ لتدمعاً
وأذكي سيمِ الرّوضِ ريعانُ ظلّه وغنى مُغْنَى الطيرِ فيه مُرَجعاً
وغرّد ربي الذبابِ خِلاله كما حنّحتِ النّشوانِ صَنجاً مشرعاً
فكانت أرائينِ الذبابِ هناكم على شدّواتِ الطيرِ ضرباً موقعا

وذكر أبو نواس معني قوله في تصاوير الكئوس في مواضع من شعره فن ذلك :
بنينا على كسرى سماء مُدّامةٍ مكلّلةً حافاتهنسا بنجوم
فلو ردّ في كسرى بن ساسان رُوْحُه إذا لا صظفاني دون كلّ نديم

[وصف الدمن والأطلال]

وأول هذا الشعر :

لِمَنْ دِمْنٌ تَزْدَادُ طَيْبَ نَسِيمِ على طولِ ما أقوتِ وحسنِ رُسُومِ^(٣)

(١) الورس - بالفتح - نبت ذو نور أصفر يصنع به (م) .

(٢) المدنف : المريض (م) .

(٣) الدمن : جمع دمنة ، وهي آثار الديار ، وأقوت : أفقرت (م) .

تجافى البلى عنهن حتى كأنما لبسن على الإقواء ثوب نعيم
وهذا معنى مليح وإن أخذه من قول أعرابي :

شطت بهم عنك نية قذف^(١) غادرت الشعب غير ملتئم^(١)
واستودعت سيرها الديار فما تزداد طيباً إلا على القدم

وهذا ضد قول محمد بن وهيب :

لابن وهيب

طللان طال عليهما الأمد دَرَسَا فلا علم ولا قصْدُ
لبساً البلى فكأنما وجبداً بعد الأحية مثل ما وجدوا
وقال الأخطل :

للأخطل

لأسماء محتل بناظرة البشر قديم ولما يعفه سالف الدهر
يكاد من العرفان يضحك رشمه^(٢) وك من ليال للديار ومن شهر
هذا أيضاً كقول أبي صخر الهذلي :

لأبي صخر

للبللى بذات الخيش دار عرفتُها وأخرى بذات البين آياتها سطرُ
كأنهما م الآن لم يتغيرا وقد مرّ للدارين من بعدنا عصر^(٢)
وقد قال مزاحم القيلي :

لمزاحم القيلي

تراها على طول القواء جديدة وعهد المغاني بالحلول قديم
وقرأ الزبير بن بكار أخبار أبي السائب [الخزومي] فلما بلغ إلى قول
مالك بن أسماء الفزاري :

بصكت الديار لفقد ساكنها أفعدت قلبي أبتغي الصبرا؟
هذا البيت نظير قول ابن وهيب :

لابن وهيب

بيناهم سكن بجيرتهم ذكروا الفراق فأصبحوا سفرا
فظلت ذا وله يعاتبني من لا يرى أمرى له أمرا

(١) نية قذف : بعيدة .

(٢) م الآن : أصله « من الآن » حذف النون للتخفيف ، ومثله قول المتنبي :

نحن قوم ما نحن في زى ناس فوق طير لها شخصو الجمال (م)

وإن أبا السائب قال عند سماع البيت الأوسط: ما أسرع هذا! أما اهتدوا! أما قد موأركابا! أما ودعوا صديقا! فقال الزبير: رحم الله أبا السائب! فكيف لو سمع قول العباس بن الأحنف:

سألونا عن حالنا كيف أنتم فقرنا وداعنا بالسؤال

ما أنخنا حتى ارتحلنا فافترقنا بين النزول والإرتحال^(١)

هكذا رواه الزبير بن بكار لمالك بن أسماء، ورواها غيره لأيوب بن شبيب الباهلي.

ومن أفاض أهل العصر، في صفة الديار الخالية

دار لست البلى، وتمطت من الخلى . دار قد صارت من أهلها خالية ، بعد ما كانت بهم خالية . دار قد أنفذ البين سكانها ، وأقعد حيطانها ، شاهد اليأس منها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر . كأن غمرانها يطوى وخرابها ينشر ، أركانها قيام وقعود ، وحيطانها رگم وهجود .

يشبه الأول من قول مالك بن أسماء قول مزاحم العقيلي .

بكت دارهم من فهدم قهلت دموعي ، فأى الجازعين ألوم؟^(٢)
أستعبر ينيكى على الهون والبللى أم آخر ينيكى شجوه فيهميم

أبو الطيب المتنبي :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أو أهل
يعلمن ذلك ، وما علمت ، وإنما أولا كما ينيكى عليه العاقل

وقال على بن جبلة ، في معنى قول العباس بن الأحنف :

زائرتم عليه حسنه كيف يخفى الليل بذكر أطلما
بأبي من زارنى مكتما خائفا من كل أمر جزعا

للمتنبي

لعلى بن جبلة

(١) هكذا يقطع همزة « الإرتحال » - وهى همزة وصل - لضرورة إقامة

(٢) تهلت دموعي : انهلت وانصبت (م) .

الوزن (م) .

رَصَدَ الْغَفْلَةَ حَتَّى أَمَكَّنَتْ وَرَعَى الْحَارِسَ حَتَّى هَجَعَا
رَكِبَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَا

وقال الحسين بن الضحاك :

[بأبي زورٍ تلفت له فتنقمتُ عليه الصُّعدَا (١)
بينما أضحكُ مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كمدَا (٢)

أبو الطيب المتنبي] :

بأبي مَنْ وَدِدْتُهُ فَأَفْتَرَقْنَا وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ اجْتِمَاعَا
فَأَفْتَرَقْنَا حَوْلًا ، فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ الْوَدَاعَا

للحسن
ابن الضحاك

للمتنبي

وقال أبو الحسن جحظة : قال لي خالد الكاتب : دخلت يوماً بعض الديارات
فإذا أنا بشابٍ موثقٍ في صِفَادِ حَسَنِ الْوَجْهِ ؛ فَسَأَمْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ ، وَقَالَ :
مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَقَالَ : صَاحِبُ الْمَقْطَعَاتِ الرَّيْقَةِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ! فَقَالَ :
إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَفَرِّجَ عَنِّي بَعْضَ مَا تَنْشُدُنِي مِنْ شَعْرِكَ فَأَفْعَلْ ، فَأَنْشُدْتَهُ :

تَرَشَّفْتُ مِنْ شَفْتَيْهَا عَقَارًا وَقَبَلْتُ مِنْ خَدِّهَا جُلْنَارًا (٣)
وَعَانَقْتُ مِنْهَا كَثِيبًا مَهِيلاً وَغُصْنَا رَطِيبًا وَبَدْرًا أَنَارَا
وَأَبْصَرْتُ مِنْ نُورِهَا فِي الظَّلَامِ لِكُلِّ مَكَانٍ بَلِيلٍ نَهَارَا

فقال : أحسنت ! لا يفضض الله فاك ، ثم قال : أجز لي هذين البيتين :

رَبِّ لَيْلٍ أَمْدًا مِنْ نَفْسِ الْعَمَا شِقِّ طَوْلًا قَطْمَتُهُ بَاتِحَابِ
وَحَدِيثِ أَلَدٍّ مِنْ نَظَرِ الْوَا مَقِّ بَدَأْتُهُ بِسُوءِ الْعِتَابِ

فوالله لقد أعلمت فكري فما قدرت أن أجزها . [ويمكن أن يجازا بهذا البيت :

ووصول أقل من لمحة البأ ريق عوَّضتُ عنه طول اجتنابِ]

(١) الزور - بالفتح - الزائر ، وأصله مصدر فوصف به ، والصعدا - بضم

الصاد وفتح العين - أصله الصعداء ممدودا فقصره ضرورة (م) .

(٢) الكمد - بالتحريك - الحزن (م) .

(٣) العقار - بوزن غراب - الحجر (م) .

[طول الليل]

لابن الرومي

وقال ابن الرومي في طول الليل :

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الدَّهْرُ طَوْلًا قَدْ تَنَاهَى فَلَيسَ فِيهِ مَزِيدُ
ذِي نَجْمٍ كَأَنَّهُنَّ نَجْمُومِ الشَّيْبِ لَيْسَتْ تَغِيبُ لَكِن تَزِيدُ

لبشار

وهذا من أجود ما جاء في هذا المعنى ، وقد قال بشار :

لَخَدَّيْكَ مِنْ كَفِّيكِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَنْ تَرَى وَجْهَ الصَّبَاحِ وَيَسَادُ
تَبَيْتُ تُرَاعَى اللَّيْلَ تَرْجُو نَفَادَهُ وَلَيْسَ لِلَّيْلِ الْعَاشِقِينَ نَفَادُ^(١)

وقال :

خَلِيلِي مَا بَالُ الدَّجَى لَا تَرْحُحُ وَمَا بَالُ ضَوْءِ الصَّبَاحِ لَا يَتَوَضَّحُ
أَضَلَّ النَّهَارُ الْمَسْتَنْيرُ سَبِيلَهُ أَمْ الدَّهْرُ لَيْلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبْرَحُ
كَأَنَّ الدَّجَى زَادَتْ وَمَا زَادَتْ الدَّجَى وَلَكِنْ أَطَالَ اللَّيْلَ هُمْ مَبْرَحُ

وقال [أيضاً] :

طَالَ هَذَا اللَّيْلُ ، بَلْ طَالَ السَّهْرُ وَلَقَدْ أَعْرَفُ لَيْلِي بِالْبَصْرِ
لَمْ يَطُلْ حَتَّى جَفَانِي شَادِنُ نَاعِمُ الْأَطْرَافِ فَتَّانُ النَّظَرِ^(٢)
لِي فِي لَيْلِي مَنْ لَوْعَةٌ مَلَكَتْ قَلْبِي وَسَمِعِي وَالْبَصْرُ
فَكَانَ الْهَمُّ شَخْصًا مَائِلًا كَلَّمَا أَبْصَرَهُ النَّوْمُ مُفَرَّ^(٣)

وقال أيضاً :

كَأَنَّ فُؤَادَهُ كَرَةٌ تَنْزِي حَذَارَ اللَّيْنِ إِنْ نَفَعَ الْحَذَارُ^(٤)
يُرْوَعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ بِهِ السَّرَارُ
[كَانَ جَفُونُهُ سُمِّمَتْ بِشَوْكٍ] فَلَيسَ لِنَوْمِهِ فِيهَا قَرَارُ
أَقُولُ ، وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طَوْلًا : أَمَا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمْ نَهَارُ

(١) ترجو نفاذه : تمنى زواله . أو انتهاءه (م) .

(٢) الشادين : الظبي إذا قوى وترعرع (م) .

(٣) شخص مائل : قائم (م) . (٤) تنزى : تذب ، وأصله تنزى (م) .

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيضِ حَتَّى كَأَنَّ جَفَوْنَهَا فِيهَا قِصَارُ
 قِيلَ لِبِشَارٍ : مِنْ أَيْنَ سَرَقْتَ قَوْلَكَ : * يَرُوغُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ *
 فَقَالَ : مِنْ قَوْلِ أَشْعَبِ الطَّمَعِ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : مَا بَلَغَ مِنْ طَمَعِكَ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ
 اثْنَيْنِ يَتَسَارَتَانِ إِلَّا ظَنَنْتَهُمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَأْمُرَا إِلَى بَشَىءٍ . وَأَخَذَهُ أَبُو نُوَاسٍ فَقَالَ :
 لَا تَبِيحَنَّ حُرْمَةَ السِّكِّتَانِ رَاحَةَ الْمُسْتَهَامِ فِي الْإِعْلَانِ
 قَدْ تَسْتَرَّتْ بِالسِّكْوَتِ وَبِالْإِطْرَاقِ جَهْدِي فَنَمَّتِ الْعَيْنَانِ
 تَرَكْتَنِي الْوُشَاةَ نَضَبَ الْمَشِيرِينَ وَأَحَدُونَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ
 مَا نَرَى خَالِيَيْنِ فِي النَّاسِ إِلَّا قُلْتُ مَا يَخْلُونُ إِلَّا إِشَانِي
 وَمِثْلُ قَوْلِ بِشَارٍ : * جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيضِ * ... الْبَيْتِ ، قَوْلُ الْآخِرِ :

كَأَنَّ الْحُبَّ بِطُولِ الشَّهَادِ قَصِيرُ الْجَفْوَنِ وَلَمْ تَقْصُرِ
 وَقَدْ تَنَاوَلَ هَذَا الْمَعْنَى الْعَتَابِيُّ [فَأَنَسَدَهُ وَقَالَ] :
 وَفِي الْمَأْتِيِّ انْقِبَاضٌ عَنْ جَفْوَنِهِمَا وَفِي الْجَفْوَنِ عَنِ الْأَمَاقِ تَقْصِيرُ
 وَقَالَ الْمَتَنِيُّ :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَّ عِنْدَ الْكَوَاكِبِ وَرَدُّوا رُقَادِي فَهَوَّ لَحْظُ الْجَبَابِبِ
 كَأَنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مَدْلَهْمَةٌ عَلَى مُقَلَّةٍ مِنْ فَقْدِكُمْ فِي غِيَابِ
 بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْجَفْوَنِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هَذْبٍ بِحَاجِبِ

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : تَشَاجِرُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَسْلَمَةُ أَخُوهُ فِي شِعْرِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ
 أَيْهَا أَوْصَفِ ؟ وَالنَّابِغَةُ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ ، أَيْهَا أَشْعَرُ ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ : النَّابِغَةُ أَشْعَرُ ، وَقَالَ مَسْلَمَةُ :
 بَلْ أَمْرُ الْقَيْسِ ، فَرَضِيَا بِالشَّعْبِيِّ ، فَأَحْضَرَاهُ ، فَأَنَسَدَهُ الْوَلِيدُ :

كَلَيْبِنِي لَهْمٌ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيَهُ بَطِيءِ السِّكْوَاكِبِ (١)
 تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمَنْقُضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بَأَيْبِ (٢)

(١) كَلَيْبِنِي : اِتْرَكَيْتِي ، وَنَاصِبٌ : صَاحِبُ نَصَبٍ ، عَلَى النَّسَبِ ، وَالنَّصَبُ
 - بِالْتَحْرِيكِ - التَّعَبُ (م) .

(٢) أَيْبٌ : رَاجِعٌ ، وَالْقِيَاسُ أَنْ يُقَالَ « آتَيْبٌ » ، بِالْهَمْزِ ، وَلا يَكْتُمُهُمْ قَدْ يَخْفَوْنَ
 الْمَهْمُزَةَ بِقَلْبِهَا يَاءٌ لِأَنَّ الْيَاءَ مَجَانِسُ السِّكْرَةِ (م) .

وَصَدْرٍ أَرَا حَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحَزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (١)

وَأَنْشَدَهُ مَسْأَلَةَ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
 وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرَا حَى سُدُّوْ لَهُ
 فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِجَوْزِهِ
 أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ الْإِنجَلِي
 فَيَا لَكَ مِنْ لَيْسَلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ
 عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْمَمُومِ لَيْبَتَلِي
 وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّ كَلٍ
 بِصُبْحٍ ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
 بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شَدَّتْ نَيْدُ بِلِ

فطرب الوليد طرباً ، فقال الشعبي : بانت القضية .

معنى قول النابغة : * وصدر أراح الليل عازب همه *

أنه جعل صدره مأوى للموم ، وجعل الموم كالنعم السارحة الضادية ،
 تسرحُ نهاراً ثم تأتي إلى مكانها ليلاً . وهو أول من استثار هذا المعنى ،
 ووصف أن الموم مترادفةٌ بالليل لتقييد الألفاظ عما هي مطلقه فيه بالنهار ،
 واشتغالها بتصرف اللفظ عن استعمال الفكر ، وامرؤ القيس كره أن يقول : إن الموم
 يخف عليه في وقت من الأوقات فقال : وما الإصباح منك بأمثل .

للطرماع

وقال الطرماع بن حكيم الطائي :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الَّذِي طَالَ أَصْبَحُ
 عَلَيَّ أَنْ لِلْعَيْنَيْنِ فِي الصُّبْحِ رَاحَةٌ
 بِيَوْمٍ ، وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَرْوَحُ
 لَطْرَحُهُمَا طَرْفَيْنِ مَا كَلَّ مَطْرَحُ
 فَفَقِلْ لَفْظَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَمَعْنَاهُ ، وَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً اغْتَفَرَ لَهُ مَعَهَا فَحُشَّ السَّرْقَةَ
 وَإِنَّمَا تَبَّهَ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ ، إِلَّا أَنَّ النَّابِغَةَ لَوْحٌ ، وَهَذَا صَرَاحٌ .

لابن بسام

وقال ابن بسام :

لَا أَظْلَمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعَى أَنْ نَجْمَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَنْغُورُ (٢)
 لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ ، فَإِنْ لَمْ تَزُرْ طَالَ ، وَإِنْ زَارَتْ فَلَيْلِي قَصِيرُ
 وَإِنَّمَا أَغَارَ ابْنُ بَسَامٍ عَلَيَّ قَوْلِي عَلَى بَنِ الْخَلِيلِ فَلَمْ يَغْيِرْ إِلَّا الْقَافِيَةَ :

(١) أراح : رد ، والعازب : البعيد (م) .

(٢) ليست تغور : لا تغرب (م) .

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليلِ ليست تزولُ
ليلي كما شئت ، قصيرٌ إذا جادت ، وإن ضنتُ فلَيْلي طَوِيلٌ

وهذه السرقة كما قال البديع في التنبيه على أبي بكر الخوارزمي في بيت
أخذ روبيه وبعض لفظه: « وإن كانت قضية القطع تجب في الربع ، فما أشد شفتي
على جوارحه [أجمع] ؛ ولعمري إن هذه ليست سرقة ، وإنما هي مكابرة محضه ،
وأحسب أن قائله لو سمع هذا لقال : هذه بضاعتنا ردت إلينا ، لحسبت أن ربيعة
ابن مكدم وعُتبية بن الحارث بن شهاب كانا لا يستحلان من البيت ما استحله ،
فإنهما كانا يأخذان جُلَّهُ^(١) ، وهذا الفاضل قد أخذ كله ، وقد أخذ على بن الخليل
من قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان :

لأَسألُ اللهَ تغييراً لما صنعتُ نأمتُ وإن أسهرتُ عينيَ عيناها
فالليلُ أطولُ شيءٍ حينَ أفقدُها والليلُ أقصرُ شيءٍ حينَ ألقاها
وابن بسام في هذا [الشعر] كما قال الشاعر :

وفتي يقول الشعر إلا أنه في كل حال يسرقُ المسروقا

ألفاظ لأهل العصر في طول الليل والسهر

وما يعرض فيه من المهوم والفسكر

ليلة من غصص الصدر ، ونقم الدهر . ليلة هموم وغموم ، كما شاء الحسود ،
وساء الودود . ليلة قص جناحها ، وضل صباحها . ليل ثابت الأطناب ، طابمى
الفوارب ، طامح الأمواج^(٢) ، وافى الذوائب . ليل ليست لها أسحار ، وظلمات
لا تتخللها أنوار . بات بليلة نابغية ، يراد قوله :

(١) جله - بضم الجيم وتشديد اللام - معظمه (م) .

(٢) فى نسخة « طامغى الأمواج » (م) .

فبت كَأَنِّي سَاورَتَنِي ضئيلة من الرُقش في أُنْيابها السَّمُّ نَاقِعٌ^(١)
 [يُسَهِّدُ من ليل التَّمامِ سَليعُها لِحَلِي النِّساءِ في يَدِيهِ قَمامُ]
 بات في الصيف بليلة شتوية . سَاورَتَه المَهموم ، وعانَقَتَه الغَوم ، واكتَحَلَ
 المهاد ، وافترش القَتاد^(٢) ، فاكتَحَلَ^(٣) بِمُؤمِلِ السَهرِ ، وتَمَلَّلَ على فراشِ الفِكرِ .
 قد أَقْضَى مِهادَه ، وَقَلِقَ وَسادَه . هوم تفرَّقُ بين الجَنبِ والمهاد ، وتَجَمَّعُ بين
 العين والسَّهاد . طَرَفَ برَعيِ النجومِ مطروف ، وفراشِ بشعارِ المَهْمُ مَهموف .
 كأنه على النجومِ رَقيب ، وللظلامِ نَقيب .

ولهم فيما يتصل بضدِّ ذلك من ذكر [إقبال] الليل
 وانتشار الظلمة، وطلوع الكواكب

أَقْبَلْتُ عَساكَرُ اللَّيْلِ ، وخَفَقَتْ رايَاتُ الظلامِ . وقد أرخى اللَّيْلُ عَلينا
 سُدولَه ، وسحب الظلامِ فينا ذِولَه . توفَّقَ الشَّقُّ في ثوبِ النَّسَقِ . أَقْبَلْتُ وفودُ
 النجومِ [وجاءت مواكب الكواكب . تفتحت أزاهير النجوم] ، وتوردت
 حدائقُ الجِو ، وأذْكَى الفَلَكُ مِصاييحَه . قد طفت النجومُ في بَبحْرِ الدُّجَى ،
 وليس الظلامُ جَلِيباً من القارِ . ليلة كغرابِ الشَّبابِ ، وحَدَقِ الحِسانِ ، وذوائبِ
 العذارى . ليلة كأنها في لباسِ بَنِي العباسِ^(٣) ليلة كأنها في لباسِ النكالي ، وكأنها
 من الغَيْشِ في مواكبِ الحَبَشِ . ليلة قد حلك إهابها ، فكأنَّ البحرِ يهابُها .

ولهم في ذكر النوم والنماس

شَرِبَ كَأَسِّ النَّماسِ ، وانتشى من سَحرِ الكَرى^(٤) ، قد عَسَكَرَ النَّعاسُ
 بِطَرَفِهِ ، وخَيَّمَ بين عَينِيهِ . غرق في لُجَّةِ الكَرى ، وتمايل في سَكْرَةِ النومِ .
 قد حلَّ اللَّيْلُ الوَرى بالرقاد ، وشامت الأَعينُ أَجفانها في الأَعْماءِ .

(١) الرُقش : جمع رُقشاء ، وهي الحية (م)

(٢) الفتاد - بزنة السحاب - الشوك (م) .

(٣) كان العباسيون قد اتخذوا السواد شعاعاً في لباسهم وفي راياتهم وبودهم (م) .

(٤) الكرى : النوم (م) .

وفي انتصاف الليل وتناهيه ، وانتشار النور ، وأقول النجوم

قد اكتمل الظلام . قد انتصفنا عمُرَ الليل ، واستغرقنا شبابه . قد شاب رأسُ الليل ، كاد ينيقُ النسيمُ بالسَّحَرِ . قد انكشف غطاءه الليل . انهتَكَ^(١) سقَرُ الدجى ، وشمطت ذوائبه ، وتقوسَ ظهره ، وتهدمَ عمره . قوضت خيامُ الليل ، وخلع الأفق ثوبَ الدجى . أعرض الظلامُ وتولى ، [وتدلى] عنقودُ الثريا طرزَ قميصُ الليل بغرة الصبح ، وباح الصبح بسيره . خلج الليلُ ثيابه ، وحدَر الصبحُ نقابه . لاحت تباشيرُ الصبح ، وافترقَ الفجرُ عن نواجذه ، وضرب النورُ في الدجى بعموده . بثَّ الصبحُ طلائمه . تبرقعَ الليلُ بغرة الصبح . أطار بأزى الصبحِ غرابَ الليل^(٢) ، وعزلت نوافج الليل^(٣) بجامات الكافور ، وانهمز جندُ الظلام عن عسكر النور . خلعنا خلعة الظلام ، ولبسنا رداء الصبح ، وملا الأذان بَرَقُ الصبح ، وسطع الضوء ، وطلع النور ، وأشرقت الدنيا ، وأضامت الأفاق . مالت الجوزاه للغروب ، وولت مواكب الكواكب ، وتناثرت عنقود النجوم ، وفرت أسرابُ النجوم من حدق الأنام ، وهى نطاق الجوزاء ، وانطفأ قنديلُ الثريا . قال بعض الأعراب : خرجنا في ليلة حنديس قد ألت على الأرض أكارعها ، فحَتَّ صورة الأبدان ، فما كنا نتعارف إلا بالأذان .

قال ابن محكان السمدى :

وليل يقول الناسُ في ظلماته سوا صحیحات العيون وغورها
كان لنا منه بيوتاً حصينةً مُسوحاً أعاليها وساجاً ستورها^(٤)
وهذا بارع جداً . أراد أن أعلاه أشدُّ ظلاماً من جوانبه .

وقال أعرابي في صفته : خرجتُ حين انحدرت النجومُ ، وشالت أَرْجُلُها ،

(١) في إحدى المطبوعات « ستر الدجى هرم الليل » وليس بشىء (م) .

(٢) في نسخة « أطار منادى الصبح غراب الليل » وليست بذلك (م) .

(٣) في نسخة « نوافج المسك » (م) .

(٤) المسوح : جمع مسح - بالكسر - وهو ثوب من شعر أسود يشبه ثوب الرهبان ،

والساج : خشب شجريت بالهند ، ولونه أسود ، وفي نسخة « وساجا كسورها » (م) .

فما زلت أضدع الليل حتى انصدع الفجر .

ومن بدع الشعر في صفة الليل قول الأعرابي :

والليل يُطرده النهار ولا ترى كالليل يطردهُ النهارُ طرِبداً
فتراه مثل البيتِ مألٍ رواقهُ هتك المقوضُ سِتْرهُ الممدوداً
ومن اليدبع :

على حين أننى القومُ خيراً على السرى وطارت بأخرى الليلِ أجنحةُ الفجرِ
آخر :

وليل ذى غياطٍ مُذَلِّهِمْ رَميتُ بِفَجْمِهِ عَرْضَ الأَفْوَلِ
يردُّ الطرفُ منقبصاً كليلاً ويملاً هَوْلُهُ صَدَرَ الدَّيْلِ
ابن المعز :

هامت ركايبنا إلك بنا بظليل أهل النارِ والمنع
فكان أيديهن دأبةً يفحصن ليلتهن عن صُبعٍ
وقال كشاجم :

سَيَّاً لليلِ قصرتُ مُدَّتَهُ بِديرِ مَرَّانِ مَرَّ مشكورا
وبات بَدْرُ الدجى يشمعهما نُورِيَّةٌ تملأُ الدجى نُوراً^(١)
غارت على نفسها وقد سقرتُ فعاد جيبُ الحجابِ مززوراً
حتى رأيتُ الظلامَ يدرجُه الفُجْرُ ودرجُ الصبحِ منشوراً^(٢)
فاختلط الليلُ والنهارُ كما تخطط كفتُ مسكاً وكافوراً
وقال علي بن محمد الكوفي :

مَتَى أُرْتَجَى يوماً شفاءً من الضنا إذا كان جارنيه على طيبي
ولى عائداتُ ضيفتهن فجنن في لباسِ سوادٍ في الظلامِ قشيب^(٣)
نجومُ أراعى طولَ ليلي بروجها وهن لبمد السير ذاتُ أنوبِ

(١) يشمعهما : يمزجها ، وأراد الحجر (م) .

(٢) في نسخة « وبرد الصبح منشوراً » (م) . (٣) قشيب : جديد (م)

خوافقُ في جُنحِ الظلامِ كأنها
 تَرى حوتها في الشرقِ ذاتِ سباحةٍ
 إذا ما هوى الإكليلُ منها حسيبتهُ
 كأنَّ التي حولَ المجرَّةِ أوردتُ
 كأنَّ رسولَ الصُّبحِ يخلطُ في الدُّجى
 كأنَّ أخضرَ البحرِ صرَّحَ مُمرِّدٌ
 كأنَّ سوادَ الليلِ في ضوءِ صُبْحِهِ
 كأنَّ نذيرَ الشمسِ يحكى ببيشِرِهِ
 ولولا اتقانى عتبه قلت سيدي
 جوادٌ بما تحوى يدهُ مهذب
 نسيب إخاء وهو غيرُ مناسب
 ونسبةُ ما بين الأقاربِ وحشةُ

[أخو الصفاء قريب]

وهذا البيت كقول الطائي :

وقلتُ أخى قالوا أخٌ من قرابةٍ
 [نسبي في رأي وعزى ومذهبي]
 وقال عبد السلام بن رغبان^(٤) ،
 وأخ كنتُ أبكيه دماً وهو حاضرٌ
 بكاء أخٍ لم تحوهِ بقرابةٍ
 فمات فما شوقى إلى الأخيرِ واقف
 وأظلمتِ الدنيا التي أنت نورها

فقلت لهم إن الشكول أقربُ
 وإن باعدتنا في الأصول المناسبُ
 وسلك طريق الطائي [فاضل عنها] :
 حذاراً ، وتمنى مُقلتي وهو غائبُ
 بلى إن إخوان الصفاء أقاربُ
 ولا أنا في عمري إلى الله راغبُ
 كأنك للدنيا أخٌ ومناسب

(١) الوجيب : خفقان القلب واضطرابه (م) .

(٢) الحوت والقرب والإكليل والمجرة : نجوم في السماء (م) .

(٣) صرح : قصر عال ، ومجرد : مطول أى عال ، ولم تشن : لم تعب (م) .

(٤) هو ديك الجن (م) .

يُؤدُّ نيرانَ المصائبِ أننى
وفى هذه القصيدة :

ترشفتُ أيامى وهنَّ كوالحُ
ودافعتُ في كيدِ الزمانِ ونحرِهِ
وقلتُ له : خلَّ ابنَ أمتى لعُصبةِ
فواللهِ إخلاصاً من القولِ صادقاً
لو أن يدي كانتَ شفاءك أودى
لسلمتُ تسليماً الرضا واتخذتها
فتى كان مثل السيف من حيث جنته
فتى همهُ حقدُ على الدهر رانح
شمانل إن تشهدَ فهنَّ مشاهد
وقال الطائي لعلَى بن الجهم :

إن يُكدِّ مطرفُ الإخاء فإننا
أو يفتقِ نسبٌ يؤلفُ بيننا
أو يختلف ما ه الوصالِ فماؤنا
نَفدُو ونسرى في إخاء تالِدِ (١)

وقال محمد بن موسى بن حماد : سمعتُ على بن الجهم ، وذ كر دِعِبلًا
فلعنه ، وكفره ، وقال : وكان يطعنُ على أبي تمام ، وهو خيرٌ منه ديناً
وشعراً ، فقال رجلٌ : لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك له .
فقال : إلاَّ يكن أخا نسب فهو أخو أدب ، أما سمعت ما خاطبني به ؟
وأنشد الأبيات :

(١) المطرف والطارف والطريرف : الجديد الحديث ، ويقابله التالِد والتلديد (م)
(٢) لأبى تمام فى استعارة الماء عبارات غريبة كماء الوصال هنا ، وماء اللام ،
ونحو ذلك (م)

وقال رجل لابن المقفع : إذا لم يكن أخى صديقى لم أحببه ، قال :
نعم صدقت ، الأخ نسيبُ الجسم ، والصديق نسيبُ الروح .

وقال أبو تمام يخاطبُ محمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفرَ إن الجهالةَ أمُّها — ولودٌ ، وأمُّ العلمِ جدُّاءُ حائلٌ^(١)
أرى الحشوَ والدماءَ أضحوأ كأنهم شعوبٌ تلاقَتْ دوننا وقبائلٌ
غدواً وكأنَّ الجهلَ يجمعهم أباً — وحظ ذوى الآداب فيهم نوافلٌ
فكن هضبةً تأوى إليها وحرّة — يُمرّد عنها الأعوجى المناقل^(٢)
فإن القى في كل حال مناسبٌ — مناسِبٌ روحانيةً من يشاكل

وقال البحترى لأبى القاسم بن خرداذبه :

إن كنتَ من فارسٍ في بيتِ سُوددها — وكنت من بحتري البيت والنسب^(٣)
فلم يضرنا تنائى المنصبين وقد رُحنا نسيبين في علمٍ وفي أدبٍ
إذا تقاربت الآدابُ والتأمت — دنت مسافة بين العُجم والعُربِ

[وصف النجوم]

وقد احتذى طريقه أبو القاسم محمد بن هانىء ، فقال يمدحُ جعفر بن على ،

لابن هانىء
الأندلسى

وذَكَر النجوم ، فقال :

جعلنا حشايانا ثيابَ مُدامينا — وقدت لنا الظلماء من جلدِها لحفا
فمن كبد تُدنى إلى كبدِ هوى — ومن شفةٍ تُوحى إلى شفةٍ رَشفا
بميشك نَبه كآسه وجفونه — فقد نبه الإبريقُ من بعد ما أغفى
وقد فكّت الظلماءَ بعضَ قيودها — وقد قام جيشُ الليل للفجرِ فاصطفا

(١) جداء : صغيرة الثدي قليلة الدر ، وفي نسخة « جيداء » تطبيع (م)

(٢) يمرّد عنها : يميل عنها وينفر منها ويهرب ، والأعوجى : الفرس المنسوب

إلى أعوج وهو فرس مشهور (م)

(٣) فى ديوانه « وكنت من طيء فى البيت - إلخ » وفى نسخة « وكنت من

محتدى فى البيت - إلخ » وإعل أصل ما فى الأصل « وكنت من بحترفى - إلخ » (م)

وولت نجومٌ للثريا كأنها
 ومرّ على آناها دبراً أنها
 وأقبلت الشعرى العبور ملبسة
 وقد بادرت أختها من ورائها
 تخاف زئير الليث يقدم نثرة
 كأنّ السما كئيب اللذين تظاهرا
 فذا رامح يهوى إليه سنانه
 كأن رقيب النجم أجدل مرقي
 كأن سهيلا في مطالع أفعه
 كأنّ بنى نعش ونمشاً مطأفل
 كأن سهاها عاشق بين عود
 كأن معلى قطبها فارس له
 كأن قدامى النسروالنسر واقع
 كأن أخاه حين دوّم طاراً
 كأنّ الهزيع الآبنوسى مؤهنا
 كأنّ ظلام الليل إذ مال مئيلة
 كأنّ عمود الفجر خاقان عسكر
 كأن لواء الشمس غرة جعفر
 وقال ابن طباطبا [العلوى] :

خواتم تبدو فى بنان يد تخفى
 كصاحب رده أ كمت خيله خلفاً^(١)
 بمرزها اليعوب نجبيه طرفا
 لتخرق من نذبي حجرتها سجنفا
 وبربر فى الظلاء ينسفا نسفا
 على لبدتية ضامنن له الخنفا
 وذا أعزل قد عض أمله لهفا
 يقب تحت الليل فى ريشه طرفا
 مفارق ألف لم يجذ بعده الفا
 بوخرة قد أضلن فى مهمه خسفا
 فاونة بيدو واونة يخفى
 لواءن مر كوزان قد كره الزخفا
 قصصن فلم تسم الخوافي به ضغفا
 أتى دون نصف البدر فاخطف النصفاً
 سرى بالنسيج الخسروانى ملتفاً^(٢)
 صريع مدايم بات يشربها صرفا
 من الترك نادى بالنجاشي فاشخفى
 رأى القرن فازدادت طلاقته ضغفا

لابن طباطبا
 العلوى

كأن اكتنام المشتري فى سخابه
 كأن سهيلا والنجوم أمامه
 وديعة سرّ فى ضمير مديع
 يعارضها رابع وراء قطيع

(١) الدبران : منزل القمر ، والشعرى العبور : نجم (م)

(٢) الهزيع : الجزء من الليل ، والآبنوسى : أراد الأسود (م) .

وقد لاحَتِ الشُّعْرَى العُبُورَ كأنها تَقَلَّبُ طَرْفِ بالدُمُوعِ هُمُوعِ
وأضحمت الجوزاء في أفقِ غَرْبِها فبانتَ كَنَشِوانِ هَناكَ صَرِيعِ
إلى أن أجاب الليلُ دَاعيَ صُبْحِهِ وكان يُنادى منه غيرَ سَمِيعِ
وقال :

وكانَ المَلالُ ما تَبَدَّى شَطَرِ طوقِ المِراةِ ذى التذهيبِ
أو كَقَمُوسٍ قد اِخْتَتَ طَرْفاهُ أو كَكُتُونٍ في مُهْرَقِ مَكْتوبِ
وقال على بن عمَدِ المَلُوى يَصفِ القَمَرَ ، وقد طَرَحَ جِرمَهِ على دِجَلَةَ :

على بن عمَدِ
المَلُوى

لم أنسَ دِجَلَةَ والدُّجَى مُتَهَيِّرَةً والبَدْرُ في أفقِ السَماهِ مَغرَبُ
فكانَها فيهِ رِداً أزرَقُ وكانَها فيها طَرازُ مُذْهَبُ

تَمِيمُ بنِ العِزِّ

وقال [الأمير] تَمِيمُ بنِ العِزِّ ، وكان يَحْتَذِي مثلَ ابنِ المَعزِّ ، ويَقِفُ في
التشبيهِاتِ بِجانِبِهِ ، ويفرِغُ فيها على قَالبِهِ ، ويتبعُهُ [في] سَلوِكِ أَلِفاظِ المَلُوكِ :

اسقِيانِي فَلستَ أُضغِي لَعَدْلٍ ليسَ إِلا تَعَلَّةَ النَفْسِ شُغْلِي
أَطِيعِ العَدولِ في تَركِ ما أَهَى وَوَى كَأني اتَهَمْتَ رَأْيِي وَعَقْلِي
عَلائِي بِها فَقدَ أَقبِلِ اللَيلُ كَأوَنِ الصَدودِ من بَعدِ وَضَلِي
واُنْجَلِي العَينُ بَعدَ ما أَضحَكَ الرِؤُ ضَ بَكاهِ السَحابِ جادَ بَوَئِلي
عَن هلالِ كَصوِّ لَجانِ نُضارِ في سَماهِ كَأَناها جِامُ ذَبِلي
وقال :

رَبِّ صَفراءِ عَلِمَتَنِي بِصَفرا وَجُنْحُ الظَلامِ مُرْخَى الإزارِ
بينَ ماءِ وروضةٍ وَكَرومِ وَرَوابِ مَنيقَةٍ وَصَحارِ (١)
تَنقِي بِهِ الفِصونِ عَلينا وَتَجيبُ القِيانِ فيها القَمارِ (٢)

(١) في نِسخِهِ « بينَ ماءِ وَبَرَكةٍ » وَالرِوايَةُ : جَمعُ رايَةٍ ، وَهُوَ ما ارْتَفَعَ مِنَ الأَرْضِ (م)
(٢) تَنقِي : تَهَيَّلَ ، وَالقِيانُ : جَمعُ قينَةٍ ، وَهُوَ الأَمَةُ المَغنِيَةُ ، وَالقَمارِ : جَمعُ قَمَرِ ، وَهُوَ ضَرَبٌ مِنَ الحَمامِ (م)

وكان الدُّجَى غَدَاً تُرْشَعِرُ وكان النجوم فيها مَدَارِي^(١)
وانجلى النجمُ عن هلالٍ تبدَّى في يدِ الأفقِ مثل نصفِ سِوَارِ
وقال :

عبتُ فاشتى عليها العتابُ ودعا دَمَعَ مقلتيها انكبابُ
وضعت نحو خدِّها يديها فالتقى الياسمينُ والمُنابُ^(٢)
رُبَّ مَبْدِي تَعْتَبِ جمل العتَابِ رِياءُ وهمه الإعتابُ
فاسقنيها مُدَامَةً تَضْمُغُ الكَا س كما يصبغُ الحدودَ الشبَابُ
ماترى الليل كيف رَقَّ دُجَاهُ وبدا طَلِسَانُهُ يَنْجَابُ ؟
وكان الصبَاحُ في الأفقِ بازٍ والدُّجَى بين مِخْلَبِيهِ غُرَابُ
وكان السماءُ سَلْبَةً بِجَرِي وكان النجومُ فيها حَبَابُ
وكان الجوزاءُ سَيْفٌ صَقِيلُ وكان الدُّجَى عليها قَرَابُ
من وصف الشراب والكؤوس والسقاة في الليل

وقال :

وزنجية الآباء كَرَحِيَّةِ الجَلْبِ عِبْرِيَّةِ الأنفاسِ كَرَمِيَّةِ النَّسْبِ^(٣)
كَمَيْتِ بَزَلْنَا ذَنِّهَا فَتَفَجَّرَتْ بِأَحْمَرِ قَانٍ مِثْلِ مَا قَطَرَ الذَّهَبُ
فلمَّا شَرِبْنَاهَا صَبَوْنَا كَأَنَّنا شَرِبْنَا السُّرُورَ المَخْضَ وَاللَّهُوَّ وَالطَّرْبُ
ولم نأتِ شَيْئاً يَسْخَطُ المَجْدَ فِعْلُهُ سوى أَننا بَعْنَا الوَقَارَ مِنَ اللَّعِبِ
كَانَ كؤُوسِ الشَّرْبِ وَهِيَ دِوَاثِرُ قِطَائِعِ ماءِ جامِدٍ تَحْمَلُ اللَّهْبِ
يَمَدُّ بِهَا كَفَا خَضِيباً مُدِيرُهَا وليس بِشَيْءٍ غَيْرِهَا هُوَ مَخْتَضِبُ
فَبِتْنَا نُسْقَى الشَّمْسَ وَاللَّيْلُ رَاكِدُ ونَقْرُبُ مِنَ بَدْرِ السَّمَاءِ وَمَا قَرِبُ

(١) المدارى : جمع مدرى ، وهى خشبة يمشط بها الشعر [المشط] (م)

(٢) فى نسخة « وسعت نحو خدِّها يديها » وهى أليق بما هنا (م)

(٣) فى نسخة « عناية الأنفاس » (م)

وقد حجب الغيمُ الهلالَ كأنه
[كأن الثرياَ تحت حُلْمكة لونها
وقال :

كأنَّ السحابَ الغرَّ أضبحن أكوُسا
إلى أن رأيتُ النجمَ وهو مغربٌ
كأن سوادَ الليلِ والصبحُ طالعٌ
وقال :

وكأنَّ يُعيدُ المُسرُّسراً، ويمجنى
يولِّدُ فيها المزجُ دُرّاً منصّداً
صغار وكبرى في الكؤوس كأنها
إذا حنَّ الساقِ الأغرَّ حسبتُها
صبحت بها صخبي وقدر نَدجِ الدُّجى
وقد أزهرتُ بيضُ النجومِ كأنها
وقال :

ألا فاسقياي قهوةَ ذهبيةً
كأنَّ الثريا والظلامُ يحفُّها
كأنَّ نجومَ الليلِ تحت سوادهِ
وقال :

أيا ديزٍ مرحنا سقتك رعودُ
فكم واصلتنا في رُبَّك أوانسُ
من الغيمِ يهيمُ مزنها ويجودُ
يُطفنَ علينا بالمدامةِ غيدُ

(١) في نسخة « نقطة القطر » والقطر - بالفتح - المطر (م)

(٢) رندج : سود ، مأخوذ من اليرندج ، وهو ما يسود به الخف (م)

(٣) السبج - بالتحريك - خرز أسود (م)

[وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسّم
وماست على الكئيبان قضبان فضة
وإذ لمتي لم يوقظ الشيب ليلاً
ليالى أعدو بين نوبى صباية
وقال :

سأته قبلة منه على عجل
واعتل ما بين إسعاف يرققه
وقال : وجهي بدر لا خفاء به
وهذا ينظر إلى قوله :

فاحمر من خجل واصفر من وجل
وبين منع تماذى فيه بالليل^(١)
ومبصر البدر لا يدعوه للقبيل

أباح لقلتي السهرا
غزال لو جرى نفسى
ولكن عينه حشدت
ومن أودى به قر
وجار على واقترأ
عليه لذاب وانفطرا
على الفنج والخورا
فكيف يعاتب القمرأ

كانه ذهب إلى قول أبى نواس :

كان نيايه أطلع من أزراره قمرأ
يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا
بعين خالط التفتير من أجفانها الخورا
ووجه سابري لو تصوب ماؤه قطرا^(٢)

قيل للجاحظ : من أنشد الناس وأشعرهم ؟ قال : الذى يقول : وأنشد هذه
الآيات .

ونظير قوله :

(١) فى نسخة « إسعاف يرققه » (م)
(٢) السابري أصله الثوب الرقيق الجيد ، شبه به الوجه فى ملامسته ونعومته (م)

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَقَ مِنْ أَرْزَارِهِ قَمْرًا
 قَوْلُ الْحَكِيمِ (١) بَنَ قَنْبَرَ الْمَازِنِي :
 وَتَلِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمَ فَامْتَمَّا
 وَزَادَ قَلْبِي إِلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعًا
 وَقَالَ تَمِيمٌ :

تَقَبَّتْ وَجْهَهَا بِخَزَزٍ وَجَاءَتْ
 بِمُدَائِمٍ مَنْقَبٍ بَرْجَاجٍ
 فَتَأَمَّلْتُ فِي النَّقَابِينَ مِنْهَا
 قَسْرًا طَالِعًا وَضَوْءَ سِرَاجٍ
 فَاسْتَقْيَانِي بِلَا مِرَاجٍ فَإِنِّي
 فِي الْمَعَالِي صِرْفٌ بَغِيرِ مِرَاجٍ
 وَانظُرَا الْأَفْقَ كَيْفَ بَدَّلَهُ الْإِصْبَاحُ
 مِنْ بَعْدِ آبِنُوسٍ بِعَاجٍ

وقال :

إِذَا حَذِرْتَ زَمَانًا لَا تُسْرَهُ بِهِ
 فَاقْبَلِ مِنَ الدَّهْرِ مَا أُعْطَاكَ مَخْتَلَطًا
 خُذْهَا إِلَيْكَ، وَدَعْ لَوْمِي، مَشْفُوعَةً
 فِي كُلِّ مَقْعِدٍ حَسَنٍ فِيهِ مَعْتَرِضٌ
 فَكُجِّلْ عَيْنِيهِ مَمْنُوعٌ بِمَخْنَجِرِهِ
 لَا تَتْرِكِ الْقَدْحَ الْمَلَانَ فِي يَدِهِ
 فَصُنَّهُ عَنِ سَقِينَا؛ إِنِّي أَعَارُ بِهِ
 وَانظُرْ إِلَى اللَّيْلِ كَالزُّنْجِيِّ مَنِهْزِمًا
 وَالبَدْرُ مُنْتَصِبٌ مَا بَيْنَ أُنْجُومِهِ
 كَمَا قَدَأْتِي سَهْلُ دَهْرٍ بَعْدَ أَصْتَبِيهِ (١)
 لَمَلِ مُرَّكَ يَحْمَلُو فِي ثَقْلَبِهِ
 مِنْ كَفِّ أَفْنَى أُسَيْلِ الْخَدِّ مُذْهَبِهِ (٢)
 عَلَيْهِ يَحْمِيهِ مِنْ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِهِ
 وَوَرْدُ خَدَيْهِ يَحْمِي بِي بِمَقْرَبِهِ
 إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ تَلْهَبِهِ
 وَسَقَى وَاسْتَقَى مِنْ فَضْلِ مَشْرَبِهِ
 وَالصَّبْحُ فِي إِثْرِهِ يَعْدُو بِأَشْهَبِهِ
 كَأَنَّهُ مَلِكٌ مَا بَيْنَ مَوَازِينِهِ

من المختار من شعر تميم بن المعز

وإذا فضيت إلى ذكره، فهالك من مختار شعره، [قال] :

(١) في نسخة « الحكيم بن قنبر » (م)

(٢) في نسخة « وكم أتى سهل دهر - إلخ » (م)

(٣) في نسخة « من كف ظبي أسيل الخد - إلخ » والأفنى : الوصف من القننا

وهو ارتفاع قصبه الأنف ، وأسيل الخد : مستطيله في رقة (م)

مُسْتَقْبَلٌ بِالذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ الذُّنُوبُ وَمَقْبُولٌ بِمَا صَنَعَا
 فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ مِنْ الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثَا شَفَعَا
 كَأَنَّمَا الشَّمْسُ مِنْ أَثْوَابِهِ بَرَزَتْ حَسَنَةً، أَوِ الْبَدْرُ مِنْ أَرْزَارِهِ طَلَعَا
 استعارة [مأخوذة] من قول الآخر، وهو ابن زُرَيْقٍ :

أَسْتَدْعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادٍ لِي قُرَا بِالكَرَّخِ مِنْ فَلَكِ الْأَرْزَارِ مَطْلَعُهُ
 وَمِنْ قَوْلِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْفَرَّانِ :

بَدَا فَكَأَنَّمَا قَرُّهُ عَلَى أَرْزَارِهِ طَلَعَا

يَحْتِ الْمَسْكَ مِنْ عَرَقِ السَّجْبِينِ بِنَانُهُ وَأَعْمَا

وقال أبو ذر أستاذ سيف^(١) الدولة :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَازِلِي فِي حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقْبَائِهِ
 الشَّمْسُ تَطْلَعُ فِي أَسْرَةٍ وَجِيهٍ وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قُبَائِهِ^(٢)
 وقال تميم :

أَعْدَلُ قَلْبِي وَهَوَى لِي غَيْرُ عَاذِلٍ وَأُعْصِي غَرَامِي وَهُوَ مَا بَيْنَ أُضْلَعِي
 وَمَنْ لِي بِصَبْرٍ أَسْتَزِيلُ بِهِ الْجَوَى وَلَا جَلْدِي طَوْعِي وَلَا كَبْدِي مَعِي
 فَأَوْلُ شَوْقِي كَانَ آخِرَ سَلَوَتِي وَآخِرُ صَبْرِي كَانَ أَوَّلَ أَدْمِي
 وقال :

وَرَدُّ الْخُدُودِ أَرْقٌ مِنْ وَرْدِ الرِّيَاضِ وَأَنْعَمُ
 هَذَا تَنْشَقُّهُ الْأَنْوُفُ وَذَا يَقْبَلُهُ الْقَمُّ
 وَإِذَا عَدَلْتُ فَأَفْضَلُ الْوَرْدِ دِينَ وَرَدُّ يُلْتَمُ
 لَا وَرْدَ إِلَّا مَا تَوَلَّى صَبَغَ حُمْرَتِهِ الدَّمُّ
 هَذَا يُشْمُ وَلَا يُضَمُّ وَذَا يُضَمُّ وَيُشْمُ^(٣)

(١) في نسخة « وقال سيف الدولة » وفي أخرى « وقال أبو دارسان »

تحريف (م) (٢) في نسخة « والبدر يطلع من خلال ثقائه » (م)

(٣) كان من حق العربية عليه أن يقول « ويشم » بالإدغام، لكنه فك

الإدغام إقامة لوزن البيت (م)

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخُدُودَ دَ شَقَاتِنَا تُنَسِّمُ
 وَأَعَارَهَا الْأَصْدَاغَ فَهِيَ بِهَا شَقِيقٌ يُعْلَمُ
 وَاسْتَنْطَقَ الْأَجْفَانَ فَهِيَ بِلَحْظِهَا تَكَلِّمُ
 وَتُبِينُ لِلْمَحْبُوبِ عَن سِرِّ الْحَبِيبِ فِيهِمْ
 وَتَشِيرُ إِنْ رَأَتْ الرِّقِيبَ بِلَحْظِهَا فَتَسْلَمُ
 وَأَعَارَهَا مَرَضًا تَصِحُّ بِهِ الْقُلُوبُ وَتَسْمُ
 فِتْنُ الْعِيُونَ أَجَلٌ مِنْ فِتْنِ الْخُدُودِ وَأَعْظَمُ

وقال :

إِنْ كَانَتْ الْأَلْحَاطُ رُسُلَ الْقُلُوبِ فِينَا فَا أَهْوَنَ كَيْدَ الرِّقِيبِ
 قَبَلْتُ مَنْ أَهْوَى بَعِينِي وَلَمْ يَعْلَمْ بِتَقْبِيلِي خَدُّ الْحَبِيبِ
 لَكِنَّهُ قَدْ فَطِنَتْ عَيْنُهُ بِلَحْظِ عَيْنِي فِطْنَةَ الْمَسْتَرِيبِ
 إِنْ كَانَ عِلْمُ الْغَيْبِ مُسْتَخْفِيًا عَنَّا فَعِنْدَ الْأَحْظِ عِلْمُ الْغِيُوبِ

وقال :

قَالُوا الرِّحِيلُ لِحَسَةِ تَأْتِي سَرِيعًا مِنْ جِمَادِي
 فَأَجَبْتَهُمْ إِنْى اتَّخَذَ تَ لَهُ الْأَسَى وَالْحُزْنَ زَادًا^(١)
 سُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الْأَسَى بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْبَعَادَا
 وَأَعَارَ لِلْأَجْفَانِ حُسْنًا نَأْتَسُ تَرَقُّ بِهِ الْعِبَادَا

وقال :

عَقْرَبُ الصَّدُغِ فَوْقَ تَفَاحَةِ الْخُدِّ نَعِيمٌ مُطَرَّرٌ بِعَذَابِ
 وَسَيْفِ الْعَظَاظِ فِي كُلِّ حِينٍ بَانِمَاتٌ جَنَى الثَّنَائِيَا الْعِذَابِ^(٢)
 وَعِيُونَُ الْوَشَاةِ يُفْسِدُنَ بِالرَّقِيبَةِ وَالْمَنْعِ رُؤْيَا الْأَحْبَابِ^(٣)

(١) الأسى : الحزن الشديد (م) (٢) جنى الثنايا : أُرَادَ بِهِ الرِّيقُ (م)

(٣) الرقبة - بالكسر - المراقبة (م)

فَتَى يَشْتَفِي الْحَبُّ وَتَطْفَى فِي
 بالتداني حرارة الإكثاب
 وقال :

تري عذارية قد قاما بمعدرتي
 عدا من الحسن أو نوعاً من الفتن
 فليس تحويه إلا أعين الفطن
 إلا وقد سحرت أفاظه أذني
 لأنه كل شخص مرتضى حسن
 ولا تعذب ظنوني فيك بالظن
 فإن قدك قد قد من غصن
 والله ما فتنت عيني محاسنه
 ما تصدر العين عنه لحظها مللاً
 يا منتهى أملي لا تدن لي أجلى
 إن كان وجهك وجهاً صيغ من قمر
 وقال :

ألا يا نسيم الريح عرج مسلماً
 على ذلك الشخص البعيد المودع
 وهب على من شف جسمي بعاذه
 سمو بما استملت من نار أضلعي^(١)
 فإن قال: ما هذا الحرور؟ فقل له :
 تنفس مشتاق بحبك موجه
 ومختار شعره كثير، وقد تفرق منه قطعة كافية في أعراض الكتاب .

[عَوْدٌ إِلَى وَصْفِ النُّجُومِ]

رجع ما انقطع

قال صاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد :

لقد رحلت سعدى فهل لك مسعد؟
 رعيت بطرفي النجم لما رأيتهما
 وقد أجدت داراً فهل أنت منجد؟
 تباعد بعد النجم بل هي أبعد
 ويشغل منها الطرف ذر مبدد^(٢)
 وتعرض الجوزاء وهي ككاعب .
 تميل من سكر بهما وتميد^(٣)

لصاحب
 ابن عباد

(١) السموم - بفتح السين - الريح الحارة تهب في النهار، غالباً، ومراده الريح الحارة مطلقاً؛ بدليل أنه سماها حروراً في البيت التالي، وأصل الحرور الريح الحارة تهب بالليل، غالباً (م) (٢) في نسخة « ويطرف عنها الطرف در منضد » وفي أخرى « ويتردد عنها الطرف در منضد » (م) (٣) في نسخة « وهي كواكب - إلخ » (م)

ونحسبها طَوْرًا أَسِيرَ جِنَايَةٍ
 ولاحَ سُهَيْلٌ وهو للصُّبْحِ رَاقِبٌ
 أَرَدَدُ طَرْفِي فِي النُّجُومِ كَأَنَّهَا
 رَأَيْتُ بِهَا، وَالصُّبْحُ مَا حَانَ وَرَدُّهُ،
 وَفِيهِ لَنَا مِنْ مَرْبُطِ الشَّمْسِ أَشْقَرٌ
 وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَاتِمِيُّ :

لأبي علي الحاتمي

وليل أقمنا فيه نُعْمَلِ كَأَسْنَا
 وَنَجْمُ الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
 إِلَيَّ أَنْ بَدَأَ لِلصُّبْحِ فِي اللَّيْلِ عَسْكَرٌ
 عَلَى حُلَّةٍ زَرْقَاءَ جَيْبٌ مَدْرٌ (٣)

للبحثري

وَلَقَدْ سَرَيْتُ مَعَ السُّكُوكِ رَاكِبًا
 وَاللَّيْلُ فِي لَوْنِ الْغُرَابِ كَأَنَّهُ
 وَالْعَيْسُ تَنْصَلُ مِنْ دُجَاهِ كَمَا انْجَلَى
 حَتَّى تَبْدَى الْفَجْرُ مِنْ جَنَابَتِهِ
 وَقَالَ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ :

للميكالي

أَهْلًا بِفَجْرٍ قَدْ نَضَى ثُوبَ الدُّجَى
 أَوْ غَادِقٍ شَقَّتْ صِدَارًا أَرْقَا
 وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ يَصِفُ الشَّمْسَ :

لرجل من بني

الحارث

ابن كعب

مُحْبَاةٌ أَمَّا إِذَا اللَّيْلُ جَنَّتْهَا
 إِذَا انشَقَّ عَنْهَا سَطْعُ الْفَجْرِ وَانْجَلَى
 فَتَخَفَى وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَتَظْهَرُ
 وَأَلْبَسَ عَرْضَ الْأَرْضِ لَوْنًا كَأَنَّهُ
 دُجَى اللَّيْلِ وَانْجَابَ الْحِجَابُ الْمُسْتَرُ
 تَجَلَّتْ وَفِيهَا حِينَ يَبْدُو شِعَاعُهَا
 عَلَى الْأَفْقِ الشَّرْقِيِّ ثُوبٌ مُعْصَفَرٌ
 وَلَمْ يَعْلُ لِلْعَيْنِ الْقَصِيرَةِ مَنْظَرٌ (٥)

(١) الجراز - بالضم بزة غراب - السيف القاطع ، والمهند : المصنوع في الهند - (م)

(٢) الخضراء : السماء ، والصرح الممرد : القصر الرفيع

(٣) في نسخة « جيب مدثر » تطبيع (م) (٤) قراب السيف : غمده

(٥) في نسخة « صداراً أورقا » تطبيع (م) (٦) في نسخة « ولم يحل للعين - إلخ »

عليها كَرَدَعِ الزعفرانِ يشبهُ
شعاعُ تَلالَافِ فهو أبيضُ أصفرُ^(١)
فلما علَّتْ وَابيضُ منها اصفرارُها
وجالَتْ كما جالَ المنيحُ المشهورُ^(٢)
وجلَّتْ الآفاقَ ضوءاً يَبيرُها
بحرَ لها وَجَهَ الضحَى. تنسَعِرُ^(٣)
تري الظلُّ يُطوى حينَ تَبْدُو وتارة
تراه إذا زالت عن الأرضِ يُنشرُ
كما بدأتْ إذْ أشرقتْ في مَفيها
تعود كما عادَ الكَبيرُ المعرُّ
وتَدَنَفُ حتى ما يكادُ شعاعُها
يَبيِّنُ إذا ولَّتْ لمن يتبصَّرُ
فأفنتْ قرونا وهيَ في ذاكِ لم تزلْ
تموتُ وتَحيا كلَّ يومٍ وتُنشرُ

[أجمل ماقال العرب]

وقال عبد الملك بن مروان لبعض جلسائه يوماً : ما أحكم أربعة أبياتٍ قالتها
العرب في الجاهلية ؟ فأنشده :

منع البقاءَ تقلبُ الشمسِ وطلوعُها من حيث لا تسمى
وظلوعُها بيضاءَ صافيةً وغيوبُها صفراءَ كالورسِ
تجرى على كبدِ السماءِ كما يجري حمامُ الموتِ في النفسِ
اليومَ تعلمُ ما يحيى بهِ ومضى بفضلِ قضائه أمسِ

قال : أحسنت ، فأخبرني بأمدح بيتِ قائلته العرب في الشجاعة ، قال : قول
كعب بن مالك الأنصاري :

نصلُ السيفِ إذا قهرنَ بخطونا قُدماً ، ونلحقها إذا لم تلحقِ
قال : فأخبرني بأفضل بيتِ قيل في الجود ، فأنشده لحاتم طيء :

(١) في نسخة « كدرع الزعفران » تطبيع ؛ وردع الزعفران : أبرزه (م)
(٢) المنيح : أحد ثلاثة أقداح من أقداح الميسر لانصيب لواحد منها ، والآخران :
الصفيح ، والوغد (م) (٣) وجه الضحى : أوله ، وانتصابه على الظرفية (م)

أماوى ما يُفنى الثراءُ عن الفنى إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدر
 ترى أن ما أبقيت لم أك ربُّه وأن يدي مما بخلتُ به صفرُ
 ألم تر أن المالَ غادرٍ ورائحُ ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذِكرُ
 غنينا زمانا بالتصمك والبنى فكللاً سقاناهُ بكأسيهما الدهرُ
 فازادنا بغيًا على ذى قرابة غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ
 قال : فأخبرني عن أحسن الناس وصفا ، قال : الذى ^(١) يقول :

كانَّ قلوبَ الطيرِ رطبًا ويابسًا لدى وكريها العنابُ والحشفُ البالي
 والذى يقول :

كانَّ عبونَ الوخشِ حولِ خبائنا وأرحلنا الجزعُ الذى لم يُثقب
 والذى يقول :

وتعرفُ فيه من أبيه شمائلًا ومن خاله ومن يزيد ومن حُجزُ
 سماحة ذَا، مع برِّ ذَا، ووفاء ذَا ونائل ذَا إذا صحَّ وإذا سكرُ
 يريد امرأ القيس .

ومن الفاظ أهل المصر فى طلوع الشمس وغروبها

ومتوع النهار ^(٢) وانتصافه ، وابتدائه ، وانتهائه

بدا حاجبُ الشمسِ ، ولَمَتَ فى أجنحةِ الطيرِ ، وكشفتُ قناعها ، ونثرتُ
 شعاعها ، وارتفع سُرادقُها ، وأضاءتُ مشارِقُها ، وانتشر جناحُ الضوءِ فى أفقِ
 الجو . طَنَبَ شعاعُ الشمسِ فى الآفاقِ ، وذهبتُ أطرافُ الجدرانِ . أينع النهارُ ^(٣)
 وارتفع . استوى شَبَابُ النهارِ ، وعلا رونقُ الضحى ، وبلغتُ الشمسُ كبد السماءِ

(١). الأبيات الآتية فى الوصف كلها لامرئ القيس بن حجر الكندى (م)

(٢) تقول « متع النهار » من باب فتح - إذا ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل

الزوال (م)

(٣) كذا . وفى نسخة « أينع النهار » وما أراها شيئاً (م)

اتعل كل شيء ظله ، وقام قائمُ الهاجرة ، ورمّت الشمسُ بجمراتِ الظهر . اصفرّت غلالةُ الشمسِ ، وصارت كأنها الدينارُ يلمعُ في قرارِ الماءِ ، ونفضتِ تبراً على الأصيل ، وشدّت رَحَلَهَا للرحيل ، وتصوّبتِ الشمسُ للعُقب ، وتضيفت للغروب^(١) فأذن جنبها للوجوب^(٢) . شاب النهارُ ، وأقبل شبابُ الليلِ ، ووقفت الشمسُ للعيان ، وشافه الليلُ لسانَ النهارِ . الشمسُ قد أشرقت بروحها ، وجنحت للغروب ، وشافهت دَرَجَ الوجوبِ . الجوؤُ في أطمارٍ منهجة من أصائله^(٣) ، وشفوف مورّسة من غلالته . استتر وجهُ الشمسِ بالنقّاب ، وتوارت بالحجاب . كان هذا الأمرُ من مطلع الفلق ، إلى مجتمع الغسق . فلانُ يركبُ في مقدمة الصّبح ، ويرجع في ساقه الشفق ، ومن حين تفتحُ الشمسُ جفنها ، إلى أن تغمض طرفها ، ومن حين تسكنُ الطيرُ أوكارها ، إلى حين ينزلُ السّراةُ من أكواريها

مقامة لأبي الفتح الإسكندري من إنشاء البديع ، اتصّلت بذكري الليل والنهار المقامة الكوفية
قال عيسى بن هشام : كنت وأنا فتى السنّ أشدُّ رَحلي لكلِّ عمّاية ، وأركضُ طرفي لكلِّ غواية ، حتى شربتُ من العُمُرِ سائعه ، ولبستُ من الدهرِ سابغه ، فلما صاح النهارُ بجانب ليلى ، وجمعتُ للمعادِ ذبلي ، وططتُ ظهرَ المرّوضةِ ، لأداء المفروضة ، وصحّيتني في الطريقُ رجُلٍ لم أنكره من سوء ، فلما تخالينا ، وحين تجالينا ، سفرتِ القصّةُ عن أصلِ كوفي ، ومدّ هبِ صوفي ، وسرنا فلما حللنا الكوفةَ ملنا إلى داره [ودخلناها] وقد بقل وجهُ النهار ، واخضرّ جانبُهُ ، ولما اغتمض جفنُ الليلِ وطرّ شاربه قرعَ علينا البابُ ، فقلنا من القارعُ المنتابُ ؟ فقال : وفدُّ الليلِ وبريده ، وفلُّ الجوعِ وطريده ، وأسير

(١) تضيفت للغروب : مالت نحو المغرب (م)

(٢) أذن جنبها : استمع ، وأراد أطاع ، والوجوب : السقوط (م)

(٣) الأطمار : جمع طمر - بالكسر - وهو الثوب البالي ، ومنهجة : ممزقة بالية ، والأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت الذي قبل غروب الشمس ، وفي نسخة « الجو في أطيّار بهجة - الخ » (م)

العَرَّ ، والزمن المرَّ ، وضيْفٌ وطَوْهٌ خفيفٌ ، وضالَّتُهُ رَغِيْفٌ ، وجارٌ يَسْتَعْدِي
على الجوع ، والجَيْبُ المَرْقوعُ ، وغريبٌ أوقِدَتِ النارُ على سفره ، ونبیحَ العَوَاءِ
في أثره^(١) ، ونُبِذَتِ خَلْفَهُ الحُصِيَّاتُ ، وكُنِسَتِ بعده العَرَاصَاتُ ، فَنَضَوْهُ طَلِيحٌ ،
وعَيْشُهُ تبريحٌ^(٢) ، ومن دون أفراخه مَهَامِه فيح^(٣) .

قال عيسى بن هشام : فقَبِضْتُ من كَيْسِي قَبِيضَةَ اللَيْثِ وبعثتها إليه ، وقلتُ
زِدْنَا سَوْأَالَا تَزِدُكَ نَوَالَا ، فقال : ما عَرِضَ عَرَفُ العودِ ، على أَحْرَبٍ من نارِ الجُودِ ،
ولا لَقِيَّ وَفَدَّ البِرِّ ، بأحسن من بريدِ الشكر ، ومن ملكِ الفِضْلِ فليواس ، فلا يذْهَبُ
العُرْبُ بين الله والناس ، وأما أَنْتَ فحقَّقَ اللهُ أَمْلَكَ ، وجعلَ اليَدَ العُلْيَا لك .
قال عيسى بن هشام : ففتحنَا البابَ ، فإذا شيخنا أبو الفتح الإسكندري ،
فقلنا : يا أبا الفتح ، شدًّا ما بلغت بك الخِصَاصَةَ ، وهذا الزىُّ خاصة ! فتبسم
وأنشأ يقول :

لا يَغْرُنْكَ الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنَ الطَّلَبِ
أَنَا فِي بُرْدَةٍ تُشَقُّ لَهَا بُرْدَةُ الطَّرَبِ
أَنَا لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ شِقَاقًا مِنَ الذَّهَبِ

[من رسائل البديع]

وكتب البديعُ إلى بعض إخوانه : غضبُ الماشقِ أقصرُ عمرٍ أم أن ينتظرَ
عُدْرًا ، وإن كان في الظاهر مَهَابَةً سَيْفٍ ، إنه في الباطن سحابةٌ صَيْفٌ ، وقد
رَأَى بنى إعراضه صَفْحًا ، أخذًا أقصدَ أم مَرَحًا ، ولو التبسَ القَلْبَانِ حقَّ التباسهما
ما وجدَ الشيطانُ بينهما مساغًا ، ولا والله لا أريكَ رَدًّا ، أجدُ منهُ بدءًا ،
وإن محبةً تحتلُّ شَكًّا لأجدُرُ محبةً ، ألا تُشْتَرَى بِحَبَّةٍ ، وإن كان

من البديع
إلى بعض
إخوانه

(١) نبیح الكلب باحا : صاح ، والعواء : الكلب الكثير العواء (م)

(٢) نضوه — بالكسر — أراد به مطيته ، وطلیح : هزيل مريض ؛ وتبریح

من قولهم « برح به المرض ونحوه » إذا شق عليه وأجهده (م)

(٣) المهامه : جمع مهمه ، وهى الصحراء ؛ والفيح : جمع فيحا . وهى الواسعة (م)

قَصَدَ مَرْحًا فَمَا أَغْنَانَا عَنْ مَرْحٍ يَحِلُّ عُقْدَ الْفَوَادِ [حتى تقف على المراد ، ولا تسعنا إلا العافية] والسلام .

رسالة أخرى
من البديع
إلى صديق له

وله إليه : المودّة - أعزك الله - غيب ، وهو في مكان من الصّدْر ، لا ينفذه بصر ، ولا يُدْرِكُه نَظَرٌ ، ولكنها تُعْرَفُ ضرورة ، وإن لم تظهر صُورَة ، ويدركها الناس ، وإن لم تدركها الحواس ، ويستملي المرء صحتها من صدره ، ويعلم حال غيره من نفسه ، ويعلم أنها حبٌّ وراء القلب ، وقلب وراء الخلب^(١) ، وخب وراء العظم ، وعظم وراء اللحم ، ولحم وراء الجلد ، وجلد وراء البُرْد ، وبرد [وراء البعد] . ولو كانت هذه الحجبُ قوارير لم ينفذها نظر ، فيستدلّ عليها بغير هذه الحاشية بدليل إلا أن أزوره ، والله لو التبست به التباساً ، يجعل رأسينا رأساً ، مازدته ودّاً ، ولو حال بيني وبينه سورُ الأعرافِ ، ورمّل الأحقافِ ، ما نقصته حقاً .

لأبي الفضل
الميكالي

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

وَعَزَّالٍ مَنخَتُهُ ظَاهِرَ الْوَدِّ فَجَازَى بِالصَّدِّ وَالْإِتْحَابِ
لَمْ أَلْمَهُ إِنْ رَدَّنِي لِحِجَابِ رَدَّنِي وَإِلَهُ الْفَوَادِ لِمَا بِي^(٢)
هُوَ رُوحٌ وَلَيْسَ يُنْكَرُ لِلرُّوحِ حِجَابٌ تَوَارَى عَنِ الْوَرَى بِحِجَابِ

وللبديع إلى أخيه :

من البديع
إلى أخيه

كتابي أطل الله بقاءك ، ونحن وإن بعُدتِ الدارُ فرَعاً نَبْعَةً ، فلا يَجْنِينَا
بُعْدِي عَلَى قُرْبِكَ ، ولا تَمَحُونَ ذِكْرِي مِنْ قَلْبِكَ ، فالأخوان ، وإن كان أحدهما
بخراسان والأخر بالحجاز ، مجتمعان على الحقيقة مفترقان على الحجاز ، والاثنتان ، في

(١) الخلب - بكسر الخاء وسكون اللام - لحة رقيقة تصل بين الأضلاع .

(٢) في نسخة :

« لم ألمه إذ تزوى في حجاب * ردني واله الحشا ذا التهاب » (م)

المعنى واحد وفي اللفظ اثنتان ، وما بيني وبينك إلا ستر، طولُهُ فِترٌ ، وإن صاحبي
رَفِيقٌ ، اسمه سوفيقي ، لثنتين سريعاً ولنسعدن جميعاً ، والله وليُّ المأمول .

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى بعض إخوانه :

من ابن العميد
لبعض إخوانه

قد قُرِبَ - أيدك الله - محمك على تراخيه ، وتَصَافَ مستقرُّك على تنائيه ؛

لأنَّ الشوقَ يمثلك ، والذكر يحتملك ؛ فنحن في الظاهر على افتراق ، وفي الباطن
على تلاقٍ ، وفي التسمية مُتباينون ، وفي المعنى متواصلون ، وإن تفرقت الأشباحُ ،
لقد تماقت الأرواح .

جملة من كلام ابن المعتز في الفصول القصار

الدهرُ سريعُ الوتية ، شنيعُ العترة . أهلُ الدنيا كَرَكِيهٍ يُسَارُهُم وهم
نِيَامٌ . والناسُ وَفْدُ البَيْتِ ، وسكانُ التَّرَى ، وأقرانُ الرَّدَى . المرءُ نُصْبُ الحوادثِ
وأسيرُ الاغترارِ . الأمانُ حَصَائِدُ^(١) الرجالِ . الحِرْصُ يُنْقِصُ المرءَ من قَدْرِهِ ، ولا يزيدُ
في رِزْقِهِ . الكذبُ والحسدُ والتفاحُ أُمَاقِي الذلِّ . التَّامُّ جِسْرُ الشرِّ . الحاسدُ
اسمُه صديقٌ ومعناه عدوٌّ الحاسدُ ساخِطٌ على القَدْرِ ، ومغتاظٌ على من لا ذنبَ له ، بمخيل
بما لا يملكُه ، يشفيك [منه] أنه يفتنٌ في وقتِ سرورِكَ . الفرصةُ سريعةُ الفوتِ
بَطِيئَةُ العودِ . الصبرُ من ذِي المصيبةِ مصيبةٌ على ذَوِي الشَّامَاتِ . التواضعُ سُلْمُ
الشرفِ ، والجُودُ صَوَانُ العَرَضِ مِنَ الذمِّ . العَدْرُ قاطِعٌ . [الأسرار] إذا كَثُرَ^(٢)
خَزَانِهَا ازدادت ضياعاً السوءُ كشجرة النارِ يَحْرِقُ بعضها بعضاً . عِبْدُ الشهوةِ
أذلُّ من عبد الرِّقِّ . وعاءُ الخطأِ بالصَّمْتِ يحتمُّ ، والمُحْرَقُ بالرفقِ يلحمُ . الوعدُ
مرضُ المعروفِ ، والإنجازُ برؤهُ ، والمطلُّ تلفهُ . إذا حَضَرَ الأجلُ ، افتضح

(١) في نسخة « الآمال مصاير الرجال » ولا تصح لفظاً ولا معنى (م)

(٢) في نسخة « كنوز السر إذا كثرت خزائنها - إلخ » (م)

الأمل . لا تَشِينُ وَجْهَ العَفْوِ بالتقرُّع . لا تنفكْ خاطِبَ سِرِّكَ . ومن زاد أدبَهُ على عقله كان كالراعى الضعيف مع شاء كثيرة .

قال أبو العباس الناشئ لأبي سهل بن نوبخت :

زعمتَ أبا سهل بأذكِ جامعٌ ضُرو بآمن الآدابِ يجمعهُمُ الكَهْلُ
وهَبِكَ تقولُ الحقُّ أى فضيلةٌ تكونُ لذى عِلْمٍ وليس له عَقْلُ
والهَمْ حَبْسُ الروح . قلوبُ العقلاء حصونُ الأسرار . مَنْ كَرُمَتْ عليه نفسه
هان عليه ماله . مَنْ جرى فى عنانِ أمَله ، عثرَ بأجلِهِ . ما كلُّ من [يُحْسِنُ] وعده
يحسنُ إنجازَهُ . ربما أوردَ الطمعُ ولم يُصدِرْ ، وضمن ولم يُوفِ . وربما شاربُ
الماء قبل رِيه . من تجاوزَ الكفافَ لم يُقْنِعْهُ إكثارُ . كلما عظمَ قدرُ المُنَافِسِ
فيه عظمتِ الفجيمةُ بفقْدِهِ ، ومن أرحَلَهُ الحِرْصُ أنضاهُ الطلَبُ . الأمانى تُعمى
أعينَ البصائرِ ، والحظُّ يأتى من لم يؤمه . وربما كان الطمعُ وعاءَ حَشْوَةِ المتالفِ ،
وسائقاً يَدْعُو إلى الندامة . ما أخلَى تلقى البغية ، وأمرٌ عاقبة الفراق . من لم
يتأمل الأمرَ ببينِ عقله ، لم تَعْفُ حيلتهُ إلا على مَقَاتِلِهِ .

[رثاء المعتضد ، وتعزيتة]

وقال أبو العباس يرثى المعتضد :

قَضَوْا ما قَضَوْا من أمرِهِم ثم قدّموا إماما إمام الخلق بين يديه^(١)
وصلوا عليه خاشعين كأنهم صفوفٌ قيامٌ للسلامِ عليه

وقال يرثيه :

قالت شريرة ما جلفنك ساهراً قَلِيقاً ، وقد هدأت عيونُ النُوْمِ^(٢)
ما قد رأيتُ من الزمانِ أحلَّ بى . هذا ، وتحت الصّدْرِ ما لم تَمَلِّمِ

(١) فى نسخة « ثم قدموا * إماما إمام الحق - الخ » (م)

(٢) فى نسخة « قالت شريرة » بالسین المهملة (م)

يأنس صبراً للزمانِ ودرِيه
 إن الذي حاز الفضائلَ كلها
 أما السيوفُ فمن صنائعِ بأسه
 وكان أحداثَ الزمانِ عبيده
 يقظان من سِنَّةِ المضيغِ قلبه
 يرعى الضغائن قبل ساعةِ فرصة
 كم فرصة تَرَكْتَ فصارَتْ غصَّةً
 ولرب كيدٍ ظلَّ يسجدُ بعدها
 وهى المنايا إن رمين بنبيها
 لله دَرَكُ أى ليث كتيبة
 ولقد عمرت ولا حريم معاند
 وقال للمعتضد يعزّيه بابنه هرون :
 يناصر الدين إذ هدَّت قواعده
 وقائد الخليل مذ شدَّت مآزره
 كأنهن قنأ لست لها عُقد
 قُب كطى ثياب العصب مضمرة
 وسائس الملك يرعاه ويكلؤه
 تمرى أنامله الدنيا لصاحبها
 كالسهم يبعثه الرامى فصفحته
 لا يشتكى الدهر إن خطبُ ألم به
 صبراً، فدينك إن الصبر عادتنا

فهو اللىء بما أكرهت فسلى
 هو ذاك فى قعرِ الضريحِ المظلم
 لولاه لم يرؤين من سفكِ الدّم
 فمتى يؤخرهن لا تستقدم
 ومعوّل للمعوّل المنظّم
 فإذا رآها أمكنت لم يُحجم
 تشجى بطولِ تلهفٍ وتندّم
 فى بشرٍ وجهٍ مطلقٍ متجهّم
 يرمين فى نفس الأجلِ الأعظم
 والخيلُ تعثر بالقتل المتحطم
 حرمٌ ولا الإسلام بالمستسلم

وأصدق الناس فى بؤسى وإنعام
 مذللّات يأسراج وإلجام
 يهزها الزجر فى كركٍ وإقدام
 تقربُ النار بين البيض والهام^(١)
 إذا حلا الغمض فى أجفانِ نؤام
 ونضله من عداه قاطرٌ دارى^(٢)
 تلقى الردى دونه، والفوق للراى^(٣)
 إلا إلى صعدةٍ أو حدّ صمصام^(٤)
 وإن طويناً على حزنٍ وتهيام

(١) فى نسخة « قب كطى ثياب القصر » تطبيع ، والعصب - بالفتح - برد

يعنى يجمع غزله ويشد ثم يصبغ وينسج ، وقيل : هى برود مخططة (م)

(٢) تمرى : أصله قولهم « مرى فلان الضرع يمر به » إذا استخرج لبنه (م)

(٣) فوق السهم : موضع الوتر منه (م) (٤) الصمصام : السيف (م)

فبادِرِ الاجْرَ نحو الصَّبْرِ مَحْتَسِبًا إِنَّ الْجَزْعَ صَبُورٌ بَعْدَ أَيَّامٍ
 تَعْرِثُهُ فِي
 ولما ماتت دُرَيْدَةُ^(١)، وهى جَارِيَةٌ [الْمَعْتَضِدُ، وَ] كَانَتْ مَكِينَةً عِنْدَهُ، جَزِعَ
 عَلَيْهَا جَزَعًا شَدِيدًا، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ: مَثَلُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَهُونُ عَلَيْهِ
 الْمَصَائِبُ؛ لِأَنَّكَ تَجِدُ مِنْ كُلِّ قَفِيدٍ خَلْفًا، وَتَنَالُ جَمِيعَ مَا تَرِيدُ مِنَ الْعِوَاضِ،
 وَالْعِوَاضِ لَا يَوْجَدُ مِنْكَ، فَلَا ابْتَلَى اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِعُقْدِكَ، وَعَمْرَهُ بِطَوْلِ بَقَاءِ عُمْرِكَ،
 وَكَانَ الشَّاعِرُ عَنَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ:

يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ
 فَضَحَكَ الْمَعْتَضِدُ وَتَسَلَّى وَعَادَ إِلَى عَادَتِهِ .

قال محمد بن داود الجراح: فلقيني عبيدُ الله فأخبرني بذلك، وقال: أردت
 شعراً في معنى البيت الذي أنشدته فما وجدته؛ فقلت له قد قال البطين البجلي:
 طوى الموت ما بيني وبين أحبةٍ بهم كنتُ أعطى من أشاء وأمنعُ
 فلا يحسب الوأشون أن قناتنا تلين، ولا أنا من الموت نجزعُ
 ولكن للألف لا بداً لوعةً إذا جملت أقرانها تنقطعُ^(٢)
 فكتبه، وقال: لو حفظته لما عدلتُ عنه .

[من شعر ابن المعتز]

وقال ابن المعتز، وذكر الموتى:
 وسُكَّانِ دَارٍ لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ عَلَى قُرْبٍ بَعْضٍ فِي الْحَلَّةِ مِنْ بَعْضٍ
 كَأَنَّ خَوَاتِمًا مِنَ الطَّيْنِ فَوْقَهُمْ فَلَيْسَ لَهَا حَتَّى الْقِيَامَةِ مِنْ فَضْ
 وَقَالَ يَمْدَحُ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ سُلَيْمَانَ:

(١) في نسخة « دويرة » (م)

(٢) في نسخة « إذا جملت أقرانها تنقطع » (م)

أَيَا مُوَصِّلِ التُّعْمَى عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 كَمَا يَلْحَقُ الْغَيْثُ الْبِلَادَ بِسَيْلِهِ
 وَيَا مَقْبَلًا وَالِدَهْرُ عَنِّي مُعْرَضٌ
 وَيَا مَنْ يَرَانِي حَيْثُ كُنْتُ بِقَلْبِهِ
 لَقَدْ رُمْتُ نِي آمَالَ نَفْسِي كُلِّهَا
 ذَكَرْتَ مُنَى سَمْعِ الْإِمَامِ وَعَيْنِهِ
 وَكَمْ نِعْمَةً لِلَّهِ فِي صَرْفِ نِقْمَةٍ
 وَمَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ بِنَافِعٍ
 إِلَى قَرِيبًا كُنْتُ أَوْ نَازِحَ الدَّارِ
 وَإِنْ جَادَ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا بِإِمطَارِ
 يَقْسَمُ لِحِمِي بَيْنَ نَابٍ وَأُظْفَارِ
 وَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ لَا يَرَوْنَ بَأَبْصَارِ
 فَيَا لَهْفَ نَفْسِي لَوْ أُعِنْتَ بِمَقْدَارِ
 وَرَفَعْتَ نَارِي كِي يَرَى ضَوْءَهَا السَّارِي
 تَرْجَى وَمَكْرُوهٍ حَلًّا بَعْدَ إِمْرَارِ
 وَلَا كُلَّ مَا تَخْشَى النُّفُوسُ بِضَّرَارِ

قوله : * كَمَا يَلْحَقُ الْغَيْثُ الْبِلَادَ بِسَيْلِهِ * مأخوذ من قول سهشل بن حري
 وقد بعث إليه كثير بن الصلت كسوة ومالا من المدينة :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجِرَاهُ بِكَفِّهِ
 أَنَانِي وَأَهْلِي بِالْعِرَاقِ نَدَاهُمُ
 بَنِي الصَّلْتِ إِخْوَانِ السَّمَاحَةِ وَالْمَجْدِ
 كَمَا انْقَضَ سَيْلٌ مِنْ تَهَامَةٍ أَوْ مَجْدِ
 وَقَالَ ابْنُ الْمَوَالِي :

سُرِرْتُ بِمُجَعْفِرٍ إِذْ حَلَّ أَرْضِي
 كَمَطُورٍ يَبْدِلُهُ فَأَضَى حَيَّ
 كَمَا سُرَّ الْمَسَافِرُ بِالْإِيَابِ
 غَنِيًّا عَنِ مَطَالَعَةِ السَّحَابِ

وبعث عبد الله بن طاهر إلى أبي الجنوب بن أبي حفصة وهو ببغداد عشرين
 ألف درهم فقال :

لِعَمْرِي لِنِعْمِ الْغَيْثُ غَيْثٌ أَصَابَنَا
 وَنِعْمَ الْفَتَى وَالْبَيْدُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 ببغداد من أرض الجزيرة وإبله (١)
 بعشرين ألفاً صبغتني رسائله (٢)

(١) الواابل : المطر الغزير (م)
 (٢) البيد : الصحارى ، واحدها يبداء (م)

فكنا حتى صبح الغيثُ أهلهُ ولم تنتجعْ أظفانهُ وحمائله
أنى جودُ عبدِ اللهِ حتى كفت بهِ رواحلنا سيرَ الفلاةِ رواحلهُ
[أبو شجاع]

وكانت بنو كلاب ومن والأها من العرب بنواحي الكوفة تجمّوا وعزّموا
على أخذِ الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة، فبعث أبو شجاع عضد الدولة دنيّر^(١)
ابن لشكروز فأصلحهما، وكان أبو الطيب المتنبّي بها فوصله وبعث إليه خلعاً وقاد
إليه فرساً بسرّج ثقيل، فقال في قصيدة :

فلو لم يسر سيرنا إليه بأنفسٍ غرائبٍ يؤثرن الجيادَ على الأهلِ
وما أنا من يدعى الشوقَ قلبه ويعتدل في تركِ الزيارة بالشغلِ
ولكن رأيت الفضلَ في القصدِ شُرْكةً فكان لك الفضلان في القصدِ والفضلِ
وليس الذي يتبع الوبلَ رائداً كمن جاءه في داره رائدُ الوبلِ
[الموقف العباسي]

وكان ابن المعتز يمدحُ أبا أحمد بن المتوكل ، ويلقب بالناصر والموفق ،
وكانت حاله ترامت في أيام المعتضد إلى غاية لم يبلغها الخليفة ، وقد ذكرها
الصولي في قصيدة [لصاحب المغرب] ، فقال وقد اقتصّ خلفاء بني العباس من أولهم :

ومعتضد من بعده وموفق يُردّد من إرث الخلافة ما ذهب
موازٍ لهم في كل فضلٍ وسؤدد وإن لم يكن في العدم منهم لمن حسب^(٢)
وقال المعتضد ، أو قيل على لسانه ، لما غلب الموفق على أمره :

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما هانَ ممتنعاً عليه
وتؤخذ بأسمه الدنيا جميعاً وما من ذلك شيء في يديه
وشعر ابن المعتز فيه :

(١) في شرح ديوان المتنبّي « دلير » باللام مكان النون (م)

(٢) في نسخة « ينازلهم في كل فضل - إلخ » (م)

إليك امتطينا العيس تنفخ في البرى
صدين من التهجير حتى كأنها
فتناً ضيوفاً للفلاة قرام
يهز برود العصب فوق متونها
ولما طنى أمر الدعى رميته
وجرد من أعماه كل مرهف
جرى فوق منته الفرند كأنما
وأعلمته كيف التصافح بالقنا
سريع إلى الأعداء، أما جنبه
ويقرى السؤال العذر من بعد ماله
أخذ معنى قوله: « نسيم كنفث الراقيات عليل » عبد الكريم بن إبراهيم،

فقال:

سلام على طيب روحاتنا
إلى مزبد الموج طامبي العبا
تخال به قطعاً مقرماً
ويسجوا فيسحب في ذائل
كأن الشمال على وجهه
ضعيفة رش كنفث الرقى
إذا درجت فوقه درجته
وقد جلته بأوراقها
علتها الحمام بتفريدها
إلى القصر والنهر الخضم^(٣)
ب يقذف بالبان والسام^(٤)
يكر على قطم مقرم
يمان تسهم بالأنجم
بها سقم وهي لم تسقم
على كبد المدنف المغرم
فروع غذتها نطاف السم
كما سجع النوح في مأم

(١) العنيق، والنص، والدميل: ضروب من السير السريع (م)

(٢) العصب: السيف القاطع، وفليل: مكسور (م)

(٣) الخضم: العظيم (م) (٤) السام: شجر أسود، ويقال: هو الآبنوس.

كَأَنَّ شِعَاعَ الضَّحَى بَيْنَهَا عَلَى السُّوسَنِ الْغَضَّ وَأُنْجَرِمَ
 وَشَائِعَ مِنْ ذَهَبِ سَائِلِ عَلَى خَسِرَوَاتِيَّةٍ نَعْمَ
 رَبًّا تَنْفَقَانِ مِنْ فَوْقِهَا عَزَّ إِلَى الرَّبِيعِ لَهَا الرُّمَمُ (١)
 عَلَى كُلِّ مَحْبِيَّةٍ خَلَّةٌ تَسَدَّى عَلَى جَدْوَلٍ مَفْعَمٍ
 كَمَا قَتَلَ الْوَقْفَ صَوَاغُهُ وَكَالْأَرْقَمِ انْسَابَ لِلْأَرْقَمِ

[صاحب الزنج]

وقول ابن المعتز «ولما طفا أمرُ الدعي» يريد صاحب الزنج بالبصرة ، وكانت شوكته قد اشدت وظفر به بعد واقعة كثيرة ، وفي ذلك يقول ابن الرومي في قصيدة طويلة جدا يمدح فيها أبا أحمد [الموفق بن المتوكل ، وصاعد بن خالد ، والعلاء بن صاعد ابنه ، وهي من أجود شعره ، فقال] :

أَبَا أَحْمَدٍ أَبْلَيْتَ أُمَّهُ أَحْمَدُ بَلَاءُ سِيرِضَاهُ ابْنُ عَمِّكَ أَحْمَدُ
 حَصْرَتْ عَمِيدَ الزَّيْجِ حَتَّى تَخَاذَلَتْ قَوَاهُ ، وَأُودَى زَادَهُ الْمَنْزُودُ (٢)
 فَظَلَّ ، وَلَمْ تَقْتَلْهُ ، يَلْفِظُ نَفْسَهُ وَظَلَّ ، وَلَمْ تَأْسِرْهُ ، وَهُوَ مَقِيدُ
 وَكَانَتْ نَوَاحِيهِ كَنَافًا فَلَمْ تَزَلْ تَحْيِفُهَا شَحْدًا كَأَنَّكَ مَبْرَدُ (٣)
 تَفَرَّقَ عَنْهُ بِالْمَسَاكِدِ جُنْدُهُ وَيَزْدَادُهُمْ جُنْدًا وَجُنْدُكَ مَحْصَدُ (٤)
 وَلَا يَسُ سَيْفِ الْقُرْنِ بَعْدَ اسْتِلَابِهِ أَضْرُّ لَهُ مِنْ كَاسِدِيهِ وَأَكِيدُ
 فَمَا رُمْتَهُ حَتَّى اسْتَقْلَّ بِرَأْسِهِ مَكَانَ قَنَاةِ الظُّهْرِ أَسْمَرُ أُجْرَدُ

[هذا مأخوذ من قول مسلم بن الوليد :

ورأس مهراق قد ركبت قلته
 ولم تأل إنذاراً له غير أنه
 سكنت سكونا كان رهناً بوثبة
 هذا مأخوذ من قول النابغة :

(١) في نسخة « عزالي الربيع لدى المرهم » (م)
 (٢) أودي : هلك (م) في نسخة « وكانت نواحيه كفافا » تطبيع (م)
 (٣) في نسخة « وجندك يحصد » (م) (٤) عماس : شديدة (م)
 (٥)

وقلت يا قوم إن الليثَ منقبضٌ على برائنه للوثبة الضارية
ويقول في مدح صاعد :

يقرِّظ إلا أن ما قيلَ دونهُ . ويوصفُ إلا أنه لا يحدِّدُ^(١)
أرقُّ من الماء الذي في حُسامِه طباعاً ، وأمضى من شباهُ وأنجدُ
له سورَةٌ مُكتنَّةٌ في سَكِينَةٍ كما أكتنُ في العِمْدِ الجُرَّازُ المِهْنِدُ
كانَ أباه حينَ سَمَّاهُ صاعداً رأى كيفَ يرقي في العالی ويصعدُ

[لما سمع البحتری هذا البيت قال : منى أخذه ، في قوله في العلاء بن

صاعد] :

سَمَّاهُ أسرتَه العلاءَ وإمما قصدوا بذلك أن يتمَّ عَلاءُ
وهذا في قوله ، كما قال [ابن] المرزبان وقد أنشد لابن المعتز في مناقضة

الطالبين :

دَعُوا الأسدَ تسكنُ في غابِها ولا تدخلوا بين أنيابِها
فنحن ورثنا ثيابَ النبي فليم تجذبونَ بهدأبها
[قال :] قد أخذه من [قول] بعض العباسيين :

دَعُوا الأسدَ تسكنُ أغيالها ولا تقربوها وأشبالها
ولكنه سرق ساجاً ، وردَّ عاجاً ، وغلَّ قطيفة ، وردَّ ديباجاً .
ومن قصيدة ابن الرومي :

تراه على الحَرْبِ العَوانِ بمنزلٍ وآثارُه فيها ، وإن غاب ، شُهدُ
كما احتجب المقدارُ والحكمُ حكمةً على الخلق طراً ليس عنه مُعرِّدُ^(٢)
البحتری :

ولى الأمور بنفسه ، ومحلها متقاربٌ ، ومراهمها متباعِدُ^(٣)

(١) في نسخة « ويوصفُ إلا أنه يتجدد »

(٢) ليس عنه معرِّد : ليس عنه مهرب (م)

(٣) في نسخة « ربي الأمور بنفسه » وليست بشيء (م)

يتكفل الأذنى، ويذكرُ رأيه الأ أقصى، ويتبعه الأبي العائِدُ
 إن غار فهو من النباهة منجد أو غاب فهو من المهابة شاهد
 وقال أعرابي يصف رجلا : كان إذا ولى لم يطابق بين جفونه ، ويرسل
 العيونَ على عيونه ؛ فهو غائبٌ عنهم ، شاهد معهم ، والمحسنُ آمن ، والسوءُ خائف .

فتى رُوحه روحٌ بسيطٌ كيانه ومسكن ذاك الرُوح نورٌ مجسدٌ
 صفاً ونقى عنه القذى فكانه إذا ما استشفته العقولُ مصعدٌ
 كرمتم نجاش المفحمون بمدحكم إذا رَجَزُوا فيكم أثبتتم فتصدوا
 أرى مَنْ تعاطى ما بلغتكم كرائمٍ منالَ الثريا وهو أ كمة متعَد
 كأزهرت جناتُ عدنٍ وأثمرتْ فأضحَّتْ وعُجِبُّمُ الطيرِ فيها فرُدُ
 وفي هذه القصيدة يقول :

لِمَا تُؤذِنُ الدنيا به من صروفها يكون بكاءُ الطفلِ ساعةً يُولدُ
 وإلا فما يُبكيه منها وإنما لأفسحُ مما كان فيه وأرغدُ
 إذا أبصر الدنيا استهلَّ كأنه بما سوفَ يلقى من رداها يُهددُ

قال الصولي : افتتح ابنُ الرومي هذه القصيدة على ما يلزمه (١) من فتح ما قبل
 حرفِ الروي اقتدارا ، فحمله ذلك على أن قال :

متاحٌ له مقداره فكأنما تقوِّضُ شهْلانَ عليه وصنددُ (٢)
 شهْلان : اسم جبل ، وهذا لا يصح ، إنما هو صندد بكسر الدال ؛ لأن
 فملا لم يحمي ، إلا في أربعة أحرف : درهم ، وهجرع [للأحمق] ، وهبلع الذي
 يبلغُ كثيرا ، وقلمم الذي يقطع الأشياء .

وقول ابن المعتز في وصف السيف (٣) : * كأنما تنفس فيه القين وهو صقيل *
 معنى بديع في وصف الفرند ، وقد قال :

(١) في نسخة « على ما يلزمه » والسلام بعده يؤيد أن الأصل ما أثبتناه (م)
 (٢) متاح : مهياً ومقدر (م)
 (٣) أنظر ص ٧٩٦

ولى صارمٌ فيه المنايا كوامنٌ^١ فما يُنتَصَى إلا لسفكِ دماء
ترى فوق مَنَينِهِ الفِرِنْدَ كأنهُ بقية غَيْمٍ رِقٌّ دون سماء
وقال أيضاً إسحاق بن خلف :

ألقى بجانبِ خصره أمضى من الأجل المتاح
وكأنما ذرَّ الهبَا عليه أنفاسُ الرياح

ولما صار سيفُ عمرو بن معد يكرب الذى كان يسمَّى الصمصامة إلى الهادى ،
— وكان عمروُ وهبه لسميد بن العاص ، فتوارثه ولدهُ إلى أن مات المهدي ،
فاشتراه موسى الهادى منهم بمال جليل ، وكان أوسعُ بنى العباس كفاً ، وأكثرم
عطاءً — ودعا بالشعراء ، وبين يديه مكثل فيه بدرّة ، فقال: قولوا في هذا السيف ؛
فبدر ابن يامين البصرى فقال :

حاز صمصامةَ الزُّبَيْدِي من يمينِ جميع الأنام موسى الأمينُ
سيف عمرو وكان فيما سمعنا خيرَ ما أغمَدتْ عليه الجفونُ
أخضر اللون بين خديه بردٌ من ذُعافٍ يَمِيسُ فيه النونُ^(١)
أوقدت فوقه الصواعقُ ناراً ثم شابت فيه الذعافُ القيونُ^(٢)
فإذا ما سلتهُ بهر الشمس ضياءً فلم تكد تستبينُ
ما يبالي من انتصاهُ ل حرب أشمالٌ سَطَّتْ بهِ أو يمينُ
يستطيرُ الأبصارَ كالقَبْسِ المشعل ما تستقرُّ فيه العيونُ
وكانَ الفِرِنْدُ والجوهرُ والجلا رى على صفحتهِ ماء ممين
نعمَ مخراق ذى الحفيظة فى الهبِ جاء يعصى به ونعمَ القرينُ

قال موسى : أصبت ما فى نفسى ، واستخفّه [الفرح] فأمر له بالمكثل
والسيف ؛ فلما خرج قال للشعراء : إنما حرمتم من أجلى ، فشانكم المكثل

(١) الذعاف — بضم الدال بزة غراب — السم ، ويميس : يتبختر ، والنون :
الموت (م)

(٢) شابت : خلطت ، والقيون : جمع قين ، وهو الحداد (م)

وفي السيف غنای [فقام موسى] فاشترى منه السيف بمالٍ جليل .

البحترى :

قد جُذتَ بالطَّرْفِ الجوادِ فثَنهُ
يتناول الروحَ البعيدَ منالهُ
بإنارةٍ في كلِّ حَتْفٍ مظلمٍ
يَغشى الوغى فالترس ليس بجِنَّةٍ
ماضٍ وإن لم تُنمضه يدُ فارسٍ
مُضغٍ إلى حُكْمِ الردى إذا مَضَى
متوقِّدٌ يَفْرِى بأولِ ضربةٍ
فكأن فارسه إذا استعصى به الزَّ
فإذا أصاب فكلُّ شيءٍ مَقْتَلٌ
حملت حائله القديمة بقله
وقال أبو القاسم بن هانى لاعمز :
عجباً لمنْضلك المقلد كيف لم
لم يخل جبارُ الملوك بذكوره
فإذا رأيناهُ رأينا علةً
بك حسنه متقلداً وبهاؤه
فإذا غضبتَ علته دونك رُبْدَةٌ
وإذا طربت إلى الرضا هدى إلى
كتب الفرند عليه بعض صفاتكم

لأخيك من جدوى يدك بمنْضَلِ (١)
عفواً ، ويفتح في الفضاء المَقْفَلِ
وهدايةٍ في كلِّ نفسٍ مجهلٍ
من حده ، والدَّرْعُ ليس بمَعْقِلِ
بطلٍ ، ومصقولٍ وإن لم يُصْقَلِ
لم يلتفتْ ، وإذا قضى لم يَعْدِلِ
ما أدركت ولو أراها في يَدُبِلِ (٢)
حقان يعصى بالسَّمَاكِ الأعزلِ (٣)
وإذا أُصيبَ فما له من مَقْتَلِ
من عهدٍ عادٍ غضةً لم تَدْبِلِ
تَسِلُ النفوسُ عليك مِنْهُ مَسِيلاً
إلا تشحَّطَ في الدماءِ قتيلاً
للنيراتِ ونيراً معلولاً
متسكبا ومضاؤه مسلولاً
يَقْدُوبها طرفُ الزمانِ كخيلاً
شمسِ الظهيرة عَارِضاً مصقولاً
فعرفتُ فيه التساجَ والإكبيلاً

(١) الطرف - بلا كسر - الفرس ، والجدوى : العطاء ، والمنصل : السيف

(٢) يفرى : يقطع ، وفي نسخة « يبرى بأول ضربة » ولها وجه (م)

(٣) في الديوان « فكان شاهره » وهى خير مما هنا ، وفي نسخة « استعصى

وقال :

هل يدنيني من فنائك سأمحُ مرح وجائلة النسوع أمون
ومهند فيه الفرند كأنه در له خلف الفرات كمين
غضب المضارب مقفرا من أعين لكنه من أنفس مسكون
وأهدى الكندي إلى بعض إخوانه سيفاً، فكتب إليه : « الحمد لله الذي
خصك بمنافع كمنافع ما أهديت ، وجعلك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم ، وتمضي
في الأمور مضاء حده الماثور ، وتصون عرضك بالإرفاد^(١) ، كما تُصانُ السيوفُ
بالأغمد ، ويطرد ماء الحياء في صفحات خدك المشوف ، كما يشف الرونقُ
في صفائح السيوف ، وتصل شرفك بالعطيات ، كما تصل متونُ
المشرفيات .

[وفد الشام بين يدي المنصور]

قدم على أبي جعفر المنصور وفد من الشام بعد انهزام عبد الله بن علي ، وفيهم
الحارث بن عبد الرحمن الغفاري ، فتكلم جماعة منهم ، ثم قام الحارث فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ إنا لسنا وفد مباهاة ، ولكننا وفد توبة استخفت حليمنا ؛ فنحن
بما قدمنا معترفون ، وبما سلف منا معتذرون ، فإن تعاقبنا فيما أجر منا ، وإن
تعف عنا فطلما أحسنت إلى من أساء ، فقال المنصور : أنت خطيب القوم ، ورد
عليه ضياعه بالخطبة .

وقال رجل من أهل الشام للمنصور : يا أمير المؤمنين ، من انتقم فقد شفى
غيطه وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر
فضله ، وكظم الغيظ حلم ، والتشفي طرف من الجرع ، ولم يمدح أهل التقى والنهي
من كان حليماً بشدة العقاب ، ولكن بحسن الصفح والاعتذار وشدة التغافل ،

وبعدُ فالعاقِبِ مستدِرِعٍ لمدَاوَةِ أوليَاءِ المذنبِ ، والعاقِبِ مستدِرِعٍ لشكرهم آمينٌ من مكافأهم ، ولأن يُثَنَّى عليك بِاتسَاعِ الصدْرِ خيرٌ من أن توصفَ بِضيقِهِ ، على أن إقالتك عثراتِ عبادِ الله موجبٌ لإفالةِ عَثْرَتِكَ من رَجْمِهِمْ ، وموصولٌ بعفوه ، وعقابك إياهم موصولٌ بعقابه ، قال الله عز وجل : « خذِ العَفْوَ وأمرٌ بالمعْرِفِ وأَعْرِضِ عن الجاهِلِينَ » .

[بعض ما قيل في العفو]

وقال بعض الكتاب لرئيسه وقد عتب عليه : « إذا كنتَ لم تَرْضَ مني بالإساءةِ فلم رضيت من نفسك بالمكافأةِ » .

وأذنب رجلٌ من بني هاشم قبضه المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ حَمَلَ مثلَ دالتي ، وألبسُ قُوبَ حرمتي ، غُفِرَ له مثلُ زَلَّتِي ، قال : صدقتَ وعفاه عنه . ولما دخل بعضُ الكتابِ على أميرٍ بعد نكبةٍ نالته فرأى من الأميرِ بعضَ الأزديِّ راء ، فقال له : لا يَصْغِي عنْدَكَ خَوْلُ النُّبُوَّةِ ، وزوال الثروة ؛ فإنَّ السيفَ العتيقَ إذا مسَّهُ كثيرُ الصدِّ استغنى بقليلِ الجلاءِ حتى يعودَ حدُّه ، ويظهر فرِندُهُ ؛ ولم أَصِفْ نفسِي عجباً ، لكنَّ شُكْرًا . وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا أشرفُ وُلْدِ آدمَ ولا فخرَ » ؛ ففجر بالشكر ، وترك الاستِطالةَ بالكبرِ .

[تميم بن جميل والمعتصم]

وكان تميم بن جميل السدوسي [قد أقام] بشاطئ الفرات ، واجتمع إليه كثيرٌ من الأعراب ، فعظم أمرُهُ ، وبمدَّ ذكره ؛ فكتب المعتصمُ إلى مالك بن طوق في النهوضِ إليه ، فتبدد جمعه ، وظفر به فحملهُ مَوْتَقًا (٣) إلى باب المعتصم ، فقال أحمد بن أبي داود : مارأيتُ رجلا عين الموت ، فماهاه ولاشغله عما كان يجبُ عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل ؛ فإنه لما مثل بين يدي المعتصم وأحضر

(١) في نسخة « من حمل مثل جمالي » (م)

(٢) تبدد جمعه : تفرق المجتمعون إليه (م)

(٣) في نسخة « حملهُ مستوقاً » وليس بذلك (م)

السيف والنطع ، ووقف بينهما ، تأمله المعتصم - وكان جميلا وسيما - فأحب أن يعلم أين لسانه من منظره ، فقال : تكلم يا تميم ، فقال :
 أما إذ أذنت يا أمير المؤمنين فأنا أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه
 وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، [يا أمير
 المؤمنين :] جبر [الله] بك صدع الدين ، ولم بك شعث المسلمين ، وأوضح
 بك سبل الحق ، وأخذ بك شهاب الباطل ؛ إن الذنوب تحرس الألسن
 الفصيحة ، وتغيب الأفتدة الصحيحة ، ولقد عظمت الجريرة ، وانقطع الحجة
 وساء الظن ، فلم يبق إلا عفوك وانتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما مني
 وأسرعهما إليّ أشبهما بك ، وأولاهما بكرمك ، ثم قال :

أرى الموت بين السيف والنطع كما
 وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي
 وأي امرئ يأتي بعذر وحجة
 وما جزعي من أن أموت وإنني
 ولكن خافي صبيّة قد تركتهم
 فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة
 وكما قائل لا يبعد الله داره
 فتبسم المعتصم وقال : يا جميل ، قد وهبتك للصبيّة ، وغفرت لك الصبوة ،
 ثم أمر بفك قيوده ، وخلع عليه ، وعقد له على شاطئ الفرات .

[من المعتصم إلى عبد الله بن طاهر]

وكتب المعتصم - حين صارت إليه الخلافة - إلى عبد الله بن طاهر : عافانا الله
 وإياك ، قد كانت في قلبي منك هنات غفرها الاقتدار^(٣) ، وبقيت حزازات أخاف
 منها عليك عند نظري إليك ؛ فإن أتاك ألف كتاب أستقدمك فيه فلا تقدم ،

(١) أصلت السيف : أخرج من غمده (م)

(٢) موقت : له وقت محدود لا يتقدم عنه ولا يتأخر (م)

(٣) في نسخة « هفوات غفرها الاقتدار » (م)

وَحَسْبُكَ مَعْرِفَةٌ بِمَا أَنَا مُنْظَرٍ لَكَ عَلَيْهِ إِطْلَاعِي إِيَّاكَ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِي مِنْكَ ،
والسلام .

[الخليفة المعتصم]

قال العباسُ بن المأمون : ولما أَفْضَتِ الخِلافةُ إِلَى المعتصمِ دَخَلْتُ ، قَالَ :
هَذَا مَجْلِسٌ كُنْتُ أَكْرَهُ النَّاسَ لِجُلُوسِي فِيهِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ
تَعْفُو عَمَّا تَبَيَّنَتْهُ ، فَكَيْفَ تَعَاقِبُ عَلَى مَا تُوهِمْتَهُ ؟ قَالَ : لَوْ أَرَدْتُ عِقَابَكَ
لَتَرَكْتُ عِتَابَكَ .

وكان المعتصم شهماً، شجاعاً، عاقلاً، مفوهاً، ولم يكن في [خلفاء] بني العباس
أمة غيره؛ وقيل: [بل كان يكتب خطاً ضعيفاً، و] كان سبب ذلك أنه رأى
جنازة لبعض الخدم، فقال: ليتني مثله لأتخلص من الكُتَّاب! فقال الرشيد:
والله لا عذبتك بشيء تختار عليه الموت .

قال أبو القاسم الزجاجي: وهذا شيء يُحْسِنُكَ من غير رواية صحيحة،
إلا أن جلته أنه كان ضعيف البصر بالعربية .

وقرأ أحمد بن عمار المذري^(١) - وكان يتقلد العَرَضَ عليه في الحضرة - كتاباً فيه:
«ومطرنا مطراً كثيراً عنه الكَلَأُ» فقال له المعتصم: ما الكَلَأُ؟ فقال: لا أدري .
فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! خليفة أمة وكتاب أمة! ثم قال: من يقرب
مننا من كتاب الدار؟ فعرف مكان محمد بن عبد الملك الزيات، وكان يتوكل في قهرة
الدار، ويُسْرِفُ عَلَى المَطْبِخِ، فأحضره، فقال: ما الكَلَأُ؟ فقال: النبات كله
رطبه ويابسه؛ فالرطب منه خاصة يقال له خَلَاءٌ، ومنه سميت الخَلَاءَةُ، واليابس
يقال له حَشِيشٌ؛ ثم اندفع في صفات النبات من ابتدائه إلى اِكْتِمَالِهِ إِلَى هَيْجِهِ،
فاستحسن ذلك المعتصم، وولاه العَرَضَ من ذلك اليوم، فلم يزل وزيراً مدة خلافته
[وخلافة الواثق]، حتى نكبه التوكل بحقود حَقَّدَهَا عَلَيْهِ أَيَّامَ أَخِيهِ الواثق .

(١) في نسخة « أحمد بن عمار الشيدري » (م)

المعتصم يكتب
ملك الروم
وقال الرياشي : كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه ، فأمر بجوابه ،
فلما قرئ عليه لم يرضَ ما فيه ، وقال لبعض الكتاب : اكتب « أما بعد فقد
قرأت كتابك ، وفهمت خطابك ، والجواب ما ترى ، لا ما تسمع ، وسيعلم
الكافر لمن عُقِيَ الدار » .

بين الحجاج
وقطري
بن الفجاءة
وهذا نظير قول قطري للحجاج ، وقد كتب إليه كتاباً يتهدده ، فأجابه
قطري : أما بعد ، فالحمد لله الذي لو شاء لجمع شخصيناً : فعلت أن مُتَاقَفَةً
الرجال [أقوم] من تَسْطِيرِ الْقَالِ ، والسلام ^(١) .

[كعب بن معدان الأشعري عند الحجاج]

[ووصفه بنو المهلب بن أبي صفرة]

ولما افتتح المهلبُ خراسان ، ونَقِيَ الخوارج عنها ، وتفرقت الأزارقة كتب
الحجاجُ إليه أن اكتب لي بخر الوقية ، وشرح لي القصة حتى كأني شاهدها ؛
فبعث إليه المهلبُ كعب بن معدان الأشعري . فأنشده قصيدة فيها ستون بيتاً
تقتضُ خبرهم لا يخزم منه شيئاً ؛ فقال له الحجاج : أخطيب أم شاعر؟ قال له :
كلاهما ، أعزَّ الله الأمير ! قال : أخبرني عن بنو المهلب ، فقال له : المغيرةُ سيدهم ،
وكفالك بيزيد فارسا ، وما لقي الأبطال مثل حبيب ، وما يستحي شجاع أن يفرَّ
من مُدْرِك ، وعبد الملك موت [دُعَافَ وَسَم] نافع ، وحسبك بالمفضل في
النَجْدَةِ ، واستجهر قبيصة ، ومحمد ليث غاب ، فقال الحجاج : ما أراك فضلت
عليهم واحدا منهم ؛ فأخبرني عن جلتهم ومن أفضلهم ؟ فقال : هم - أعزَّ الله
الأمير! - كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها ، قال : إن خبرَ حربٍ بكم كان يبلغني
عظيماً ، أفكذلك كان ؟ قال : نعم أيها الأمير ، والسماع دون العيان . قال :
أخبرني كيف رَضاً المهلبُ عن جنده ورضاً جنده عنه ؟ قال : أعزَّ الله الأمير ،

(١) في نسخة « من تَسْطِيرِ الْقَالِ وَالْقَلَمِ » وفي أخرى « من تَسْطِيرِ الْقَالِ

وَالسَّلَامِ » وكلاهما تحريف ما أثبتناه (م)

له عليهم شفقة الوالد ، ولهم به برّ الولد . قال : أخبرني كيف فاتكم قطري ؟ قال : كدناؤه في منزله فتحول عنه ، وتوهم أنه كادنا بذلك ، قال : فهلا اتبتموه ، قال : الكلب إذا أوجر عقر ، قال : المهلب كان أعلم بك حيث أرسلك .

[بشر بن مالك عند الحجاج]

[يصف أبناء المهلب أيضاً]

وقد روي أنّ المهلب لما فرغ من قتل عبد ربه الخروزي دعا بشر بن مالك فأنفذه بالبشارة إلى الحجاج ، فلما دخل على الحجاج قال : ما اسمك ؟ قال : بشر بن مالك ، فقال الحجاج : بشارة وملك ! وكيف خلقت المهلب ؟ قال : خلقتة وقد أمن ما خاف ، وأدرك ما طلب ، قال : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كانت البداءة لهم ، والعاقبة لنا ، قال الحجاج : العاقبة للمتقين ، ثم قال : فما حال الجند ؟ قال : وسهم الحق ، وأغناهم النفل ، وإنهم لمع رجل يسوسهم سياسة الملوك ، ويقاتل بهم قتال الصعلوك ، فلهم منه برّ الوالد ، وله منهم طاعة الولد ، قال : فما حال ولد المهلب ؟ قال : رعاة البيات حتى يؤمنوه ، وحماة السريح حتى يردوه ، قال : فأيهم أفضل ؟ قال : ذلك إلى أيهم ، قال : وأنت أيضاً ، فإني أرى لك لساناً وعبارة ، قال : هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها ، قال : ويحك ! أكنت أعددت لهذا المقام هذا المقال ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله .

[أبو الصقر وصاعد بن مخلد]

ودخل أبو الصقر قبل وزارته على صاعد بن مخلد ، وهو الوزير حينئذ ، وفي المجلس أبو العباس بن ثوابة ، فسأل الوزير عن رجل ، فقال : أنفي ، يريد نفي ، فقال ابن ثوابة : في الخراء ، فتضاحك به أهل المجلس ، فقام أبو الصقر مضطرباً^(١) .

(١) هذه القصة قد وردت بعبارة مختلفة في نسخ هذا الكتاب ، وقد اخترنا أقرب هذه العبارات إلى الاستقامة (م)

[أبو العيناء وابن مَوَابَة]

وكان أبو العيناء يُعَادِي ابنَ ثَوَابَة لِمُعَادَاتِهِ لِأَبِي صَقْر ؛ فَاجْتَمَعَا فِي مَجْلِسٍ صَاعِدٍ فِي غَدِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَتَلَا حَيًّا ، فَقَالَ ابْنُ ثَوَابَة : أَمَا تَعْرِفُنِي ؟ فَقَالَ : بَلَى أَعْرَفَكَ ضَيْقَ الطَّعْنِ ، كَثِيرَ الْوَسْنِ ، خَارًّا عَلَى الذَّقْنِ ، وَقَدْ بَلَغْنِي تَعْدِيكَ عَلَى أَبِي الصَّقْرِ ، وَإِنَّمَا حَلَمْتُ عَنْكَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَكَ عِزًّا فَيَذَلَّهُ ، وَلَا عُلُوًّا فَيُضَعِّمَهُ ، وَلَا مَجْدًا فَيُهْدِمَهُ ؛ فَعَافَ لِحَمَلِكَ أَنْ يَأْكُلَهُ ، وَدَمَكَ أَنْ يَسْفِكَهُ ، فَقَالَ ابْنُ ثَوَابَة : مَا تَسَابَ إِنْسَانَانِ إِلَّا غَلَبَ الْأَمَهَا ، فَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : فَلِهَذَا غَلِبْتَ بِالْأَمْسِ أَبَا الصَّقْرِ !

[من مكارم أبي الصقر]

وَمَا يُعَدُّ مِنْ مَكَارِمِ أَبِي الصَّقْرِ أَنَّ ابْنَ ثَوَابَة دَخَلَ عَلَيْهِ فِي وَزَارَتِهِ ، فَقَالَ : تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا خُلَاطِئِينَ ، فَقَالَ أَبُو الصَّقْرِ : لِأَنْتَرَيْبَ عَلَيْكَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ [وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] ، فَمَا قَصَّرَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ ، مَدَّةَ وَزَارَتِهِ .

[أبو الصقر وأبو العيناء]

وَمَا وَلِيَ أَبُو الصَّقْرِ الْوِزَارَةَ خَيْرَ أَبَا الْعَيْنَاءِ فِيمَا يَجِبُهُ حَتَّى يَفْعَلَهُ بِهِ ، فَقَالَ : أُرِيدُ أَنْ يَكْتُبَ [لِی الْوَزِيرَ] إِلَى أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ الطَّائِي يُعْرِفُهُ مَكَانِي ، وَيَلْزِمُهُ قِضَاءَ حَقِّ مِثْلِي .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا بِحُظِّهِ ، فَوَصَّلَهُ إِلَى الطَّائِي ، فَسَبَّبَ لَهُ فِي مَدَّةِ شَهْرٍ مَقْدَارَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعَاشِرَهُ أَجْمَلَ عَشْرَةٍ ، فَانصَرَفَ بِمَجْمِيعِ مَا يَجِبُهُ

وَكُتِبَ إِلَى أَبِي الصَّقْرِ كِتَابًا مِثْلُهُ : أَنَا - أَعَزُّكَ اللَّهُ - طَلَيْتُكَ مِنَ الْفَقْرِ ، وَتَقْيِذُكَ مِنَ الْبُؤْسِ ، أَخَذْتَ بِيَدِي عِنْدَ عَشْرَةِ الدَّهْرِ ، وَكُتِبَتْ إِلَيْكَ الْكِبَرُ ، وَعَلَى أَيْةِ حَالٍ حِينَ فَقَدْتَ الْأَوْلِيَاءَ وَالْأَشْكَالَ وَالْإِخْوَانَ وَالْأَمْثَالَ ، الَّذِينَ يَفْهَمُونَ فِي غَيْرِ تَعَبٍ ، وَهُمْ النَّاسُ الَّذِينَ كَانُوا غِيَاثًا لِلنَّاسِ ، فَحَلَّتْ عَقْدَةُ الْخَلَّةِ ، وَرَدَدَتْ إِلَى بَعْدِ النِّفَورِ النَّعْمَةَ ، وَكُتِبَتْ لِي كِتَابًا إِلَى الطَّائِي ، فَكَأَنَّمَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْكَ ، أَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَى الْأُمُورِ ، وَأَحَاطَتْ بِالنُّوَابِ ؛ فَكَثُرَ مِنْ بَشْرِهِ ، وَبَدَلَ مِنْ بَشْرِهِ ، وَأَعْطَى مِنْ مَالِهِ أَكْرَمَهُ ، وَمَنْ بَرَّهُ أَحْكَمَهُ ، مُكْرِمًا لِي

كتاب من
أبي العيناء
إلى أبي الصقر

مدة ما أقمت ، ومُنْقِلَالِي من فوائده لما ودَّعت ، حكمتي في ماله فتحكمتُ ،
وأنتَ تعرفُ جَوْرِي إذا تمكَّنتُ ، وزادني من طَوْلِه فشكرتُ ؛ فأحسن اللهُ
جزاءك ، وأعظمَ حياءك ، وقدمني أمامك ، وأعادني من قَدِّكَ وحمالك ؛ فقد
أنفقتَ عليّ بما مَلَكَكَ اللهُ ، وأنفقتُ من الشكر ما بَسَّرَهُ اللهُ لي ، واللهُ
عزَّ وجلَّ يقول : (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ .) فالحمدُ لله الذي جعل لك اليدَ
الغالبة ، والرتبة الشريفة ، لا أزالُ اللهُ عن هذه الأمة ما بسَطَ فيها من عدلِكَ ،
وبثَّ فيها من رِفْدِكَ .

[أبو العيناء يذم ابن الخصيب]

قطعة مختارة من نسخة الكتاب الذي عمله أبو العيناء في ذمِّ أحمد بن الخصيب
لَمَّا نَكِبَ عَلَى أَسْمَةِ الْكُتَّابِ وَالْقَوَادِ وَأَرْبَابِ الذُّوْلَةِ [فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ] .
قال : ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَقَالَ : مَا زَالَ يَخْرُقُ وَلَا يَرْقَعُ . وَمَا زِلْتُ
أَتَوَقَّعُ لَهُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ . [وَذَكَرَهُ أَنَا مَشْ ، فَقَالَ : غَدَرَ بَيْنَ آثَرِهِ ، وَتَخَطَّى إِلَى
مَا لَا يَقْدِرُهُ ، فَحَلَّ بِهِ مَا يَحْذَرُهُ . وَذَكَرَهُ بُغَاءٌ فَقَالَ : أَبْطَرَتْهُ النِّعْمَةُ ، فَفَجَّأَتْهُ النِّقْمَةُ]
وَذَكَرَهُ وَصِيفٌ فَقَالَ : تَرَكَ الْعُقْلَاءَ عَلَى تِبَاسٍ مَرْتَبَتِهِ ، وَالْحَمَقَى عَلَى رِجَاءِ دَرَجَتِهِ !
وَذَكَرَهُ مُوسَى بْنُ بُغَاءٍ فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ الْقَدْرَ يَعْمَشُ الْبَصَرَ ، لَمَّا نَهَى فِينَا وَلَا أَمْرًا . وَذَكَرَهُ
فَارِسُ بْنُ بُغَاءٍ فَقَالَ : لَمْ تَتِمَّ لَهُ نِعْمَةٌ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِي الْخَيْرِ هَمَّةٌ . وَذَكَرَهُ الْفَضْلُ
ابْنَ الْعَبَّاسِ فَقَالَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ تَارِيخُ الْبَلَاءِ فَمَا أَكْثَرَ الْبُلُوِي . وَذَكَرَهُ هَرُونَ بْنُ عَيْسَى
فَقَالَ : كَانَتْ دَوْلَةٌ مِنْ دُؤْلِ الْمَجَانِينِ ، خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ . وَذَكَرَهُ الْمُقَلَّبِيُّ بْنُ
أَيُّوبَ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا أَعْجَبَ مَا نَكَبَ ، فَقَالَ : نِعْمَتُهُ أَعْجَبُ مِنْ نَكْبَتِهِ ! وَذَكَرَهُ
مَيْمُونُ بْنُ إِبرَاهِيمَ ، فَقَالَ : لَوْ تَأَمَّلَ فِعَالَهُ فَاجْتَنَبَهَا ، لَأَسْتَفْنَى عَنِ الْإِدَابِ أَنْ يَطْلُبَهَا !
وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ نِجَاحٍ فَقَالَ : لِئِنْ كَانَتِ النِّعْمَةُ عَظُمَتْ عَلَى قَوْمٍ خَرَجَ عَنْهُمْ لِقْدَعُ عَظْمَاتِ
الْمُصِيبَةِ عَلَى قَوْمٍ نَزَلَ فِيهِمْ ! وَذَكَرَهُ عَلِيُّ بْنُ [بَحْيِيِّ] بْنِ [الْمُنْجَمِ] ، فَقَالَ : لَمْ يَكُنْ لَهُ أَوَّلُ

يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَلَا آخِرَ يَمُودَ عَلَيْهِ ، وَلَا عَقْلَ فَيَزُكُّ لَدَيْهِ ! وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ شَاكِرِ النَّجْمِ قَالًا : [قَبَّحَهُ اللَّهُ] إِنْ ذَكَرْتَ ذَا فَضْلٍ تَنْقُصُهُ لِمَا فِيهِ مِنْ ضِدِّهِ ، أَوْ ذَكَرْتَ ذَا نَقْصٍ تَوْلَاهُ لِمَا فِيهِ مِنْ شَكْلِهِ . وَذَكَرَهُ أَبُو نُوَابَةَ قَالًا : أَمْرٌ أَسَاءَ عِشْرَةَ الْأَحْرَارِ ، فَأَصْبَحَ مَقْفِرَ الدِّيَارِ . وَذَكَرَهُ حِجَاجُ بْنُ هُرُونَ قَالًا : مَا كَانَ لَهُ فِي الشَّرَفِ أَسْبَابٌ مِثْلَانِ ، وَلَا فِي الْخَيْرِ عَادَاتٌ حَسَنَانِ . وَذَكَرَهُ [أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ قَالًا : إِنْ مَنَحْتَهُ الْقَدْرَةَ لَقَدْ حَمَلْتَهُ النَّكْبَةَ . وَذَكَرَهُ] مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ قَالًا : مَا زَالَ يَسْتَوْحِشُ بِالنِّعْمَةِ حَتَّى أُنْسَ بِالنَّقْمَةِ وَذَكَرَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ فِرَاسٍ قَالًا : كُنْتُ إِذَا نَصَحْتُهُ زَنَانِي ، وَإِذَا غَشَّيْتُهُ مَنَانِي . وَذَكَرَهُ أَبُو صَالِحٍ بْنُ عِمَارٍ قَالًا : ثِنْتَانِ عِلَابِظٍ لَقَدْ انْحَطَّ بِحَقِّ . وَذَكَرَهُ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ قَالًا : إِذَا أَصَابَ أَحْجَمٌ ، وَإِذَا أَخْطَأَ صَمَمٌ .

[أَبُو بَكْرٍ سَبْيُوِيَه وَأَهْلُ مِصْرَ]

وَكَانَ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِمِصْرَ أَبُو بَكْرٍ الْمَعْرُوفُ بِسَبْيُوِيَه نَاقِلَةُ الْبَصْرَةَ يُشْبِهُهُ فِي حُضُورِ جَوَابِهِ وَخَطَابِهِ ، وَحُسْنِ عِبَارَتِهِ ، وَكَثْرَةِ رِوَايَتِهِ ، وَكَانَ قَدْ تَنَاوَلَ الْبِلَادَ ذُرًّا^(١) ؛ فَرَضْتَهُ لَهُ مِنْهُ لُؤْثَةٌ^(٢) ، وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ وَيَكْتُبُونَ عَنْهُ مَا يَقُولُ .

قَالَ يَوْمًا لِلْمِصْرِيِّينَ : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، أَصْحَابِنَا الْبَغْدَادِيُّونَ أَحْزَمُ مِنْكُمْ ، لَا يَقُولُونَ بِالْوَلَدِ ، حَتَّى يَتَّخِذُوا لَهُ الْعُقْدَ وَالْمُدَّدَ ؛ فَهَمُّ أَوَّلًا يَعْتَزَلُونَ . وَلَا يَقُولُونَ بِاتِّخَاذِ الْعَقَارِ خَوْفًا أَنْ يَمْلِكَهُمْ سِوَهُ الْجَوَارِ ؛ فَهَمُّ أَوَّلًا يَكْتَنِزُونَ . وَلَا يَقُولُونَ بِاتِّخَاذِ الْحَرَائِرِ خَوْفًا أَنْ تَتَوَقَّ نَفْسُهُمْ إِلَى السَّرَارِيِّ ؛ فَهَمُّ أَوَّلًا يَتَسَرَّرُونَ . وَلَا يَقُولُونَ أَوَّلًا بِإِظْهَارِ الْغِنَى [فِي مَكَانٍ] عَرَفُوا فِيهِ بِالْفَقْرِ ؛ فَهَمُّ أَوَّلًا يَسَافِرُونَ .

وَوَقَفَ يَوْمًا بِالْجَامِعِ وَقَدْ أَخَذَتْ الْخَلْقَ مَأْخَذَهَا ، قَالًا : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، حَيْطَانُ

(١) الْبِلَادُ : شَجَرٌ هِنْدِيٌّ يَعْلُو كَالْجُوزِ ، وَرَقُهُ عَرِيضٌ أَغْبَرُ سَبْطٌ حَادٍ الرَّائِحَةُ إِذَا نَامَ تَحْتَهُ شَخْصٌ سَكَّرَ ، وَرَبْمَا عَرَضَ لَهُ السَّبَاتُ ، وَهُوَ يَضُرُّ الْمَحْرُورِينَ . وَيُثَرِّقُ الْقَمَّ وَالْبَدْنَ ، وَيَقْرَحُ ، وَيُورِثُ الْبِرْسَامَ وَالْمَالِيخُولِيَا (م)

(٢) الْلُؤْثَةُ - بَضْمُ اللَّامِ - الْحَقُّ ، وَالْهِجِجُ ، وَمَسُّ الْجَنُونِ (م)

المقابر أنفعُ منكم ، يُسْتَنْزَرُ بِهَا مِنَ التَّعَبِ ، وَيُسْتَدْفَأُ بِهَا مِنَ الرِّيحِ ، وَيُسْتَنْظَلُ بِهَا مِنَ الشَّمْسِ . وَالبَهَائِمُ خَيْرٌ مِنْكُمْ مُتَمَطِّلِي ظُهُورُهَا ، وَتُحْتَذَى جُلُودُهَا ، وَتَوَكَّلْ كُلَّ لِحْمِهَا .
وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَنْزَابَةَ الْوَزِيرُ ، رَبَّمَا رَفَعَ أَنْفَهُ تَيْبًا ، فَقَالَ لَهُ سَيْبُوِيَه ، وَقَدْ رَأَى فِعْلَ ذَلِكَ : أَشَمُّ مِنِّي الْوَزِيرُ رَائِحَةُ كَرِيمِيَّةٍ فَشَمَّرَ أَنْفَهُ ، فَأَطْرَقَ وَاسْتَعْمَلَ السُّهُوضُ ، فَخَرَجَ سَيْبُوِيَه ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ فَقَالَ : مِنْ عِنْدِ الرَّأْيِي بِنَفْسِهِ ، الْمَدَلُّ بِفِرْسِهِ ^(١) ، الْمُسْتَطِيلُ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ .

وَاسْتَأْذَنَ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيِّ ، وَمُسْلِمٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ نَزَلَ مِصْرَ ، فَحَاجِبٌ عَنْهُ ، فَقَالَ : قَوْلُوا لَهُ : يَرْجِعُ إِلَى لِبْسِ الْعِبَاءِ ، وَمَصِّ النَّوِيِّ ، وَوَسْكَئِي الْقَلَا ، فَهُوَ أَشْبَهُهُ بِهِ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا .

وَكَانَ عَلَى شَرْطِ كَافُورِ الْإِخْشِيدِيِّ أَحَدُ الْخَاصَّةِ ، فَوُجِدَ عَلَيْهِ سَيْبُوِيَه فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ، فَعَزَلَ عَنِ الشَّرْطَةِ ، فَوَلِيَهَا رَكِي ^(٢) صَاحِبُ الرَّاضِي ، فَلَمْ يَحْمَدْهُ أَيضًا ، فَوَقَفَ لِكَافُورٍ وَهُوَ مَارٌّ إِلَى الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَسْتَاذُ ، وَلَيْتَ ظِلْمًا ، وَعَزَلْتَ ظِلْمًا ، قَلِيلُ الْوَفَاءِ ، كَثِيرُ الْجَفَاءِ ، غَلِيظُ الْقَفَا . فَتَبَسَّمَ ابْنُ بُرْكَ الْبَغْدَادِيُّ ، وَكَانَ يَسَابِرُ كَافُورًا ، فَقَالَ : وَهَذَا ابْنُ بُرْكَ مِنْ بَغْرَتِكَ ، لَنْ يَنْفَعَكَ وَلَنْ يَضُرَّكَ .

وَأَخْلَى الْحَامَ لِمَفْلَحِ الْحُسَيْنِيِّ ، فَأَتَى سَيْبُوِيَه لِيَدْخُلَ ، فَمُنِعَ ، وَقِيلَ : الْأَمِيرُ مَفْلَحٌ بِهِ ، فَقَالَ : لَا أَتَقِي اللَّهَ مَغْسُولَهُ ، وَلَا يَلْفَعُهُ سُؤْلُهُ ، وَلَا وَقَاهُ مِنَ الْعَذَابِ مَهْوُولُهُ ، وَجَلَسَ حَتَّى خَرَجَ ، فَقَالَ : إِنْ الْحَامَ [لَا يُخْلَى إِلَّا] لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً : مَبْتَلَى فِي قُبْلِهِ ، أَوْ مَبْتَلَى فِي دُبُرِهِ ، أَوْ سُلْطَانَ يَخَافُ مِنْ شَرِّهِ ، فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الْمَقْدَمُ .

وَأَحْضَرَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَازِنُ فَقَالَ : قَدْ بَلَفَنِي بَدَأَهُ لِسَانِكَ ، وَقَبِيحُ

(٢) فِي نَسْخَةِ « زَكِي » (م)

(١) فِي نَسْخَةِ « الْمَدَلُّ بِطَقْسِهِ » (م)

معاملتك للأشراف ؛ فاحذَرُ أن تعودَ فينالكَ منى أشدُّ العقوبة ؛ فخرج [متحزنا فكان] الولدان يتولعون به ويذكرون له الخازنَ ، فيشتدُّ عليه ذلك ، فينصرف ولا يكلمهم ؛ فمرَّ به رجل يكنى أبا بكر من ولد عقبة بن أبي معيطٍ ، وغلّامٌ قد ألحَّ عليه ^(١) بذلك ، فضحك المعيطى ، فقال للغلّام : ضرب الله عنق الخازن كما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم عنق عقبة بن أبي معيط على الكُفْرِ ، وضرب ظهْرَ أبيك بالسوط كما ضرب عليّ بن أبي طالب بأمر عثمان رضى الله عنهما ظهر الوليد بن عقبة على شُرْبِ الخمر ، وألحقك يا صبيّ بالصّدِيّة ، يريد قولَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال له عتجة لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عليّاً رضى الله عنه بقَتْلِهِ : « فَمَنْ لِلصِّيّةِ يارسول الله ؟ قال : النارُ لك ولهم فانصرف المعيطى وبَطَنُ الأرضِ أحبُّ إليه من ظهْرِها .

[رَجَعُ إِلَى أَبِي الْعِيَاءِ]

وقال أبو العيَاء : أنا أوَّلُ من أظهر العقوقَ لوالديه بالبصرة ، قال لى أبي : إِنَّ اللَّهَ قد قرَنَ طاعته بطاعتي ، فقال تعالى : (أَنْ اشْكُرْ لى وَلِوالدَيْكَ) فقلتُ : يا أبت ، إنَّ اللَّهَ تعالى قد أمِنى عليك ، ولم يأمنك على ، فقال تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم خشيةً إِملاقٍ نحن نرزقهم وإياكم) .
وقال أعرابى لأبيه : يا أبت ، إنَّ كَبيرَ حَقِّكَ لا يبطل صغير حَقِّكَ عليك ، والذي تَمَّتْ به إلى أمتٍ مثله إليك ، ولست أزعُمُ أناسوا ، ولسكن لا يحلُّ لك الاعتداء .

ودخل على عبيد الله بن سليمان فضمّه إليه ، فقال : أنا إلى ضمِّ الكفاية أحوجُ منى إلى ضمِّ اليدين .

وقال له مرة : أنا معك مقبوض الظاهر ، مرحوم الباطن ^(٢) .

(١) فى نسخة « وغلّام قد لِح عليه بذلك » (م)

(٢) فى نسخة « أنا معك مضبوط الظاهر موجود الباطن » (م)

قال أبو الطيب المتنبي :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها أنى بما أنا بك منه محسودُ
وقال له رجل : يا مخنثُ ، فقال : وضربَ لنا مثلاً ونسيَ خلقه !

[كلمات لأبي العيناء]

وذكر أبو العيناء محمد بن يحيى بن خالد بن برمك، فقال : بأبي وأمي دَامَ
الوَجْهُ الطَّلَقُ ، والقول الحقّ ، والوعد الصدق ، نيتة أفضلُ من علانيته ، وفعله
أفضل من قوله . وقال له المتوكل : ما أشدّ ما مرّ عليك من فقدِ بصرِك ؟ فقال :
ما حرمتُ منه من النظر إليك أيها الأمير ! وقال لعبيد الله بن يحيى : مسنا وأهلنا
الضرّ ، وبضاعتنا الحمد والشكر ، وأنت الذي لا يخيب عنده حرّ ، وقال له يوماً :
قد اشتدّ الحجاب ، وفحش الحرمان ، فقال : ارفق يا أبا عبد الله ، فقال : لورفقي
فعلك لرفق بك قولى ! وقال له : أيها الوزير ، إذا تناقل أهلُ التفضل هلك أهلُ
التجمل . وذم رجلاً فقال : لا يعرف الحقّ فينصره ، ولا الباطل فينكره .
وقيل له : ما أبلغ الكلام ؟ فقال : ما أسكت المَبِطِل ، وحتر الحق . وقيل له :
مات الحسن بن سهل ، فقال : والله لئن أتعب المادحين ، لقد أطل بكاء الباكين
والله لقد أصيب بموته الأنام ، وخرت بفقده الأقاليم .

[مما قيل في الرثاء]

لأشجع بن
عمر والسلي

قال أشجع بن عمرو السلمي :

مضى ابنُ سعيد حين لم يبقَ مَشْرِقٌ ولا مغربٌ إلا له فيه مادِحٌ
وما كنتُ أدري ما فواضلُ كفه على الناس حتى غيّبته الصفايحُ
فأصبح في الخدِ من الأرض ميتاً وكانت به حياً تضيق الصحاصحُ^(١)
كان لم يميت ميت سواك ولم تقم على أحدٍ إلا عليك النوايحُ

(١) الصحاصح : ما استوى من الأرض ، واحدها صحصح بوزن جعفر (م)

فما أنا من رُزءٍ وإنَّ جَلَّ جازعٌ ولا بسرورٍ به — د موتك فأرح
 لئن حسنتُ فيك المراني وذكرها لقد حسنتُ من قبلُ فيك المدايحُ
 سَأبِكِمْ مَا فَاضَتْ دموعي، فإن تَقِضْ فحسبُك مني ما تُكِنُّ الجوانحُ
 قوله : * وكانت به حياً تَضِيقُ الصَّحَاصِحُ * يتعلق بقول الحسين بن مطير

للحسين بن مطير في معنى ابن زائدة

أَلَمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقَوْلًا لَقَبَرِهِ : سَقَمْتَكَ النُّوَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا
 فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتِ أَوْلُ حَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّاحَةِ مَضْجَعًا
 وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتِ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ مُتْرَعًا
 بَلَى قَدْ وَسَمْتَ الْجُودَ وَالْجُودَ مَيِّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِغْتَ حَتَّى تَصْدَعَا
 فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ بَحْرَاهُ مَرْتَعَا
 وَمَا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ وَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عَرَيْنُ السَّكَارِمِ أَجْدَعَا

وهذا كقول عبد الصمد بن المعذل في عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي :

أَقْرَبُ أَبِي أُمِيَّةٍ لَوْ عَالَاهُ حَمَلَتْ إِذَا لَضِقْتِ بِهِ ذِرَاعَا
 حَوَيْتِ الْجُودَ وَالتَّقْوَى وَعَمْرًا فَكَيْفَ أَطَقْتِ يَا قَبْرُ اضْطِلَاعَا
 لَمَوْتِهِمْ أَطَقْتِ لَهُمْ ضَمَانَا وَلَوْلَا ذَاكَ لَمْ تُطِيقِ اتِّسَاعَا

لعبد الصمد ابن المعذل في عمرو بن سعيد

وقول أشجع : * لئن حسنت فيك المراني وذكرها * من قول الخنساء :

للخنساء في أخيها صخر

يَا صَخْرُ بَعْدَكَ هَاجَنِي اسْتِعْبَارِي شَانِيكَ بَاتَ بَدَلَتِي وَصَفَارِي
 كُنَّا نَعْدُ لَكَ الْمَدَائِحَ مَدَّةً فَالْيَوْمَ صَرْتَ تَنْأَحُ بِالْأَشْعَارِ

وقالت جنوبُ أخت عمرو [ذى الكلب] :

للجنوب في أخيها عمرو

سَأَلْتُ بَعْرُوَ أَخِي صَحْبَهُ فَأَفْظَعَنِي حِينَ رَدُّوا السُّوءَ الْوَالَا

وقالوا : أتيح له ^(١) نأتما
 أتيح له نأتما أجبل
 فأقسم يا عمرو لو نبهك
 [إذا نبها لئب عريسة
 إذا نبها غير رعية
 ما مع تصرف ريب المنون
 وقالوا : قتلناه في غارة
 فهلا إذا قبل ريب المنون
 وقد علمت فهم عند اللقاء
 كأنهم لم يحشوا به
 ولم ينزلوا بمحول السنين
 وقد علم الضيف والمزملون
 وخلصت عن أولادها البرضعات
 بأنك كنت الربيع المقيث
 وخرق تجاوزت مجهولة
 [فكنت النهار به شمس
 وحى صبحت وحى أبحث
 وكمن قبيل وإن لم تكن

قال عمرو بن شبة : وكان عمرو بن عاصم هذا يغزو قهنا فيصيب منهم ،
 فوضعوا له رصدا على الماء ، فأخذوه فقتلوه ، ثم مروا بأخته جنوب ، فقالوا : أخاك !
 فقالت : أين طلبتموه لتجدنه [منيعا ، ولئن ضفتموه لتجدنه مرعا ، ولئن وعدتموه

(١) يروي « أعز السباع عليه أحلا » (م)

(٢) يفتيك : يطلب حاجته منك (م)

(٣) الحرق : الصحراء الواسعة الأطراف ، والوجناء : الناقة ، والسكلال : التعب (م)

لتجدنه [سريعا ! فقالوا : قد أخذناه فقتلناه ، وهذا نبه . فقالت : والله إن
سلبتموه لا تجدون ثمنه وافية ، ولا حجرته جافية ، ولرب ندى منكم قد افترشه ،
وسهب قد احتوشه ؛ ثم قالت الأبيات المتقدمة الذكر .

وأشد أبو حاتم ولم يقل قائله :

ألا في سبيل الله ماذا تضممت بطون الثرى واستودع البلد القفر
بدور إذا الدنيا دجت أشرفت بهم وإن أجذبت يوما فأيديهم القطر
فيا شامتا بالموت لا تشمتن بهم حياتهم فخر وموتهم ذكر
أقاموا بظهر الأرض فاخضر عودها وصاروا بطن الأرض فاستوحش الظهر
وقال أبو عبد الله العتبي ، وتوفى له بنون فجمع بهم ومات في آخرهم ابن

له يكنى أبا عمرو كان يقول الشعر ؛ فقال يرثيه :

لقد شمت الواشون بي وتغيرت وجوه أراها بعد موت أبي عمرو
تجرى على الدهر لما فقدته ولو كان حيا لاجترأت على الدهر^(١)
أسكان بطن الأرض لو يقبل الفدى فدينا، وأعطيناكم ساكني الظهر
فيا ليت من فيها عليها، وليت من عليها ثوى فيها مقيما إلى الحشر
وقاسمني دهرى بنى مشاطرا فلما توفى شطره مال في شطري^(٢)
فصاروا كأن لم يعرف الموت غيرهم فنكل على نكل وقبر على قبر
وقال في ابن توفى صغيرا .

إن يكن مات صغيراً فالأسى غير صغير
كان ريحاني فأمسى وهو ريحان القبور
غرسه في بساتين البلى أيدي الدهر

(١) تجرى : أصله تجراً فسهل الهمز بقلبها ألفا (م)

(٢) توفى : استوفى (م)

لأبي عبيد الله
العتبي يرثي ابنه

ومن هنا أخذ أبو الطيب المتنبي قوله :

فإن تك في قبر فإنك في الحشا

وإن تك طفلاً فالأسي ليس بالطفل

لخلف بن خليفة
الأقطع

وقال خلف بن خليفة الأقطع :

أعاب نفسي إن تبسمت خاليا

وقد يصحك الموتور وهو حزين

دوين المصلى والبقيع ، شجون

قرينك أشجاناً وهن سكون

ولم يأتنا عمًا لديك يقين

وبالبد أشجاني وكم من شج له

ربي حولها أمثالها إن أتيتها

كفى المهجر أنا لم يصح لك أمرنا

وقال أبو عطاء السندی في ابن هبيرة :

عليك بباقي دمعها الجمود

جيوب بأبدي ماتم وخذود^(١)

أقام به بعد الوفود وفود

بلى كل ما تحت التراب بعيد

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط

عشية قام النائح وشققت

فإن تمس مهجور الفنا فرما

فإنك لم تبعد على متهد

أعرابي :

وبث بما زودتني متمعا

خلافك حتى نطوى في الثرى معا

يمنى إذا صار الثرى لك مضجعا

قضيت فهونت المصائب أجمعا

ومن عجب أن بت مستودع الثرى

فلو أنتي أنصفتك الود لم أبت

سأحى الكرى عيني وأفرش الثرى

وبعدك لا آسى لعظم رزية

ومعنى هذا البيت الأخير تداوله الناس نظماً ونثراً .

[قال أبو نواس في الأمين]

وليس لما تطوى المنية ناشر

طوى الموت ما بيني وبين محمد

(١) المأتم : النساء يحضرن الجنازة (م)

لئن عَمِرَتْ دوزْجُ بنِ لا أَحِبَّهُ لقد عَمِرْتُ مِنْ أَحِبِّ الْقَابِرِ
 وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَخْذَرُ الْمَوْتِ وَحَدَهَ فلم يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذِرِ
 وَقِيلَ لِأُمِّ الْهَيْمِ السَّدُوسِيَّةِ : مَا سَرَعَ مَسَلُوتُ عَنْ ابْنِكَ الْهَيْمِ ! قَالَتْ :
 أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ رُزِنْتَهُ كَالْبَدْرِ فِي بَهَائِهِ ، وَالرَّمْحَ فِي اسْتِوَائِهِ ، وَالسَّيْفَ فِي مَعْضَائِهِ ؛
 وَلَقَدْ فَتَدَّتْ مَصِيئَتُهُ كَبَدِي ، وَأَفْنَى فَقَدَهُ جِلْدِي ، وَمَا اعْتَصَمْتُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا
 أَمَّنَ الْمَصَائِبَ لِقَدَمِهِ .

أم الهيم
السدوسية

وَعَزَّى أَبُو الْعَيْنَاءِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ عَنْ وَلَدِهِ لَهُ ، فَقَالَ : مَا أَصِيبُ مِنْ أُنَيْبِ
 وَاللَّهِ لَقَدْ هَانَ لِقَدَمِهِ ، جَلِيلَ الْمَصَائِبِ مِنْ بَعْدِهِ .

أبو العيناء
يعزى

وَدَخَلَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَادِيَةِ الْبَصْرَةِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ بَنُونَ ، فَلَمَّا كَانَ بِقِنْسَرِينَ
 بَنُوهُ بِالطَّاعُونَ مَاتَ بَنُوهُ بِالطَّاعُونَ فَقَالَ :

أَبْعَدُ بَنِي الدَّهْرِ أَرْجُو غَضَارَةَ مِنْ الْعَيْشِ أَوْ أَسَى لِمَافَاتِ مِنْ عُمَرَى
 غَطَارِقَةَ زُهْرٍ مَضُوعًا لِلسَّيْلِمِ فَلَهِنِي عَلَى تِلْكَ الْغَطَارِقَةِ الرَّهْرِ
 سَقَى اللَّهُ أَجْسَادًا وَرَأَى تَرْكُتُهَا بِحَاضِرِ قَنَسَرِينَ مِنْ صَيْبِ الْقَطْرِ
 يَذْكُرْنِهِمْ كُلُّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ وَشَرٍّ ، فَمَا أَنْفَكُ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ
 هَذَا الْبَيْتِ كَقَوْلِ الْآخِرِ :

رِعَاكَ ضِمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَاللَّهُ أَنْ يَرِعَاكَ أَوْلَى وَأَوْسَعُ
 يَذْكُرُ نِيكَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالَّذِي أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أُنْتَوِعُ
 وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

لمسلم
ابن الوليد

وَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلُ يَوْمَ وَدَاعِهِ لِكَالْعَمْدِ يَوْمَ الرُّوعِ فَارَقَهُ النَّضْلُ
 أَمَا وَالْحَبَالَاتِ الْمَمَرَاتِ بَيْنَنَا رَسَائِلُ أَذَّتْهَا الْمَوْدَةُ وَالْوَحْلُ^(١)
 لَمَا خُنْتُ عَهْدًا مِنْ إِخَاءٍ وَلَا نَأَى بِذِكْرِكَ نَأَى عَنْ ضَمِيرِي وَلَا شُغْلُ

(١) فِي نَسْخَةِ « وَسَائِلُ أَذَّتْهَا الْمَوْدَةُ وَالْأَصْلُ » (م)

وإني في مالي وأهلي كأنتي لفقدك لاسالٌ لدى ولا أهلُ
 يذكرك نيك الخبيرُ والشرُّ والحجبا وقيلُ الخنى والحلمُ والعلمُ والجهلُ
 فألقاك عن مذمومها متنزهاً وألقاك في محمودها ولك الفضلُ
 وأحدٌ من إخلالك البخلُ إنه بعرضك لا بالمال حاشى لك البخلُ
 أمنتجماً مرواً بأتقال همة دع الثقلَ واخملِ حاجةً مالهاتقلُ
 ثناءً كعُرف الطيب يهدى لأهله وليس له إلاّ بنى برمك أهلُ
 فإن أغشَ قوماً بعدهم أو أزورهم فكالوحش يدنيها من القنص المحلُ

ومن ألفاظ أهل المعصر في التمازى وما يتعلق بمانها

من ذكر البكاء والجزع وعظم المصائب

خبرٌ عز على النفوسِ مسمعه، وأترق القلوب موقعه . خبر تصطك
 له السامعُ، وترتج به الأضالعُ، وتسقط له الحبالُ، وتضحو منه السكارى
 خبرٌ كادت له القلوبُ تطيرُ، والعقولُ تطيشُ، والنفوسُ تطيحُ . خبر يخفض
 البصر ويقذيه، ويقبض الأملَ ويقدح فيه . الخبر في أثناء الرجاء قد انقطع،
 وأصم به الناعى وقد أسمع . ناعى الفضائل قائم، وأنف المحاسن راغم . خبر
 أخرج الصدْرَ، وأحلَّ البكاء، وحرّم الصبر، وأطار واقع السكون، وأثار
 كامن الوجوم، وثقلت وطأة على أجزاء النفس، وتآدت معرفته إلى سرُّ
 القلب . كتبتُ والأرضُ واجفةٌ، والشمسُ كاسفةٌ، للرزء العظيم، والمصائب
 الجسيم، في فلك الملك، ورُكنِ المجد، وقريع الشَّرْق والغرب، وما عسى
 أن يُقال في الفلك الأعلى إذا انهار من جوانبه، وتهاوت على منابحه .
 أئى الناعى^(١)، فنذب المساعى، وقامت بواكى المجد، وكسفت شمسُ الفضلُ،

(١) الناعى : الذى يخبر بموت الميت (م)

وعاد النهارُ أسودَ ، والعيشُ أنكد . غربَ لموته نجمُ الفضل ، وكسدت سوقُ
الأدب ، وقامت نوادب الساحة ، ووقف فلكُ الكرم ، ولطمت عليه الحاسن
خودها ، وشقت له المناقب جيوها [وَبُرودها] ، قد كانت الرزيةُ بحيث مارت
السماءَ موزاً ، وسارت الجبالُ سيرا ، حتى شوهدت الكواكبُ ظهراً ، ثم تهاقت
شفعاً ووتراً ، فارتاعت الأمة ، وانبسطن الظلمة ، وارتفعت الرحةُ ، واضطربت
اللمة ، وقامت نوادبُ المجد ، وأصبح الناسُ من القيامةِ على وعد . إن المجدَ بعده
لجاري الدمع ، وإن الفضلَ لمنزعج النفس ، وإن الكرمَ لخرجُ الصدر ، وإن
الملكَ لواهن الظهر^(١) . كتابي وأنا من الحياة متذتم ، وبالعيش متبرم ، بعدما ماد الطود
الشامخ ، وزال الجبل الباذخ ، ونظقت نوادبُ المجد ، وأقيمت ما تم الفضل .
نمی فلان فتتكر وجهُ الدهر ، وقبضت مهجةُ الفخر ، فلا قلبَ إلا قد تباين
صدعه ، ولا عين إلا وهي ترشحُ بالدم بعده . كتبت والأحشاء محترقة ، والأجنانُ
بماها عرقة ، والدمعُ واكف ، والحزن عاكف . مصابُ أطلق أسرابَ الدموع
وفرقها ، وألقى أعشارَ القلوب وأحرقها ، مصابُ فض عقودَ الدموع ، وشبَّ
النارَ بين الضلوع . مصابُ أذاب دموعَ الأحرار ، فتخلبت^(٢) سحائبُ الدموع
اليزار ، وانسدت مسالكُ السكون والاستقرار . كتبتُ عن عين تدمع ، وقابِ
يجزع ، ونفس تهلع^(٣) ، وقد أذلتُ مَصُونُ العبرة ، وحجبتُ وأفد الحيرة ، ومدَّ
الهمُّ إلى جسمي يدَ السقم ، وجرَّ الدمعُ على خدي ذبولَ الدم . لولا أن العينَ
بالدمع أنطقُ من كل لسان وقلم ، لأخبرتُ عن بعض ما أوَهَنَ ظهري ، وأوهى
أزري . إنَّ الفجيعة إذا لم تحاربُ بجيشٍ من البكاء ، ولم يخففَ من ألقاها بالاشتكا ،
تضاعفَ داؤها ، وازدادتُ أعباؤها ، وعزَّ داؤها . قد شفيتُ غليلي بما استذريته

(١) واهن : ضعيف ، وواهن الظهرن : كناية عن ضعف احتماله الأعباء (م)

(٢) تخلبت : سالت وانهمرت (م) (٣) تهلع : تخزن (م)

من أسراب الدموع المتحيرة ، وخففتُ عنى بعض البرحاء بما امتزيتُهُ من أخلافها المتحدرة . إن فى إسبال العبرة ، وإطلاق الزفرة ، والإجهاش بالبكاء والشجج ، وإعلان الصياح والضجيج ، تنفيساً عن برحاء القلوب ، وتخفيفاً من أنقال الكروب . قد أتى الدهرُ بمهاد الأصاب ، وأطار الأبواب ، من النازلة الهائلة ، والفجعية الفظيعة . زُرُّه أضعف العزائم القوية ، وأبكى العيون البكية . مصيبة زلزلت الأرض ، وهدمت الكرم الحُض ، وسلبت الأجنان كراها ، والأبدان قواها . فجيعة لا يداوى كَلَمَها آس^(١) ، ولا يسد تَلَمَها تناس . مصيبة تركت العقول مدلَّه ، والنفوس مولهة . زُرُّه هضَّ وهاض^(٢) ، وأطال الانخزال والانخفاض ، ولم يرضَ بأن فُضَّ الأعضاء ، حتى أفاض الدماء . زُرُّه ملأ الصدور ارتياحاً ، وقسم الأبواب شعاعاً ، وترك الجفون مقروحة ، والدموع مسفوحة ، والقوى مهدودة ، وطرق العزاء مسدودة . زُرُّه نكأ القلوب وجرحها ، وأحرق الأكبَاد وقرحها ، مالى يدُ تخطُ إلا بكلفة ، ولا نفس تردد إلا فى غصَّة ، ولا عين تنظر إلى من وراء قذى ، ولا صدر ينطوى إلا على أذى ؛ فالدموع واكفة ، والقلوب واجفة ، والهَمَّ واردة ، والانسُ شارد .

والناسُ ماتمهم عليه واحدٌ فى كل دار رنةٌ وزفيرُ
 كاني كندةٌ وهى تَلَمُّهُ على حَجَر^(٣) ، والخنساء تبكى على صخر . أنايين
 عبرةٌ وزفرةٌ ، وأنةٌ وحسرةٌ ، وتلملُ واضطراب ، واشتعال والتهاب . مصيبةٌ
 أصبحتُ لِفَمَّتْها قيذاً ، ولِكُرَّ بِتَها أخيداً . كتبتَ وقد ملك الجزعُ عزائى ،
 وحصل ناظرى فى إسار بكائى ، فالقلبُ دهش ، والبنانُ يرتعش ، وأنا من البقاء
 متوحش . قد انتهى بى الهلعُ إلى حيثُ لا التأسى مُصحب ، ولا التناسى مصاحب ،
 بى انزعاج يحلُّ عُقدَ الحُزْمِ ، واكتئابٌ ينقضُ شروطَ العزم . قد بلغ الحزنُ مبلغاً

(١) الكلم : الجرح ، والآسى : المعالج (م)

(٢) هض : كسر ودق ، وهاض العظم : كسره . (م)

(٣) حجر : كان ملك كندة ، وقتله بنو أسد ، وهو أبو امرئ القيس الشاعر (م)

لم أبتذله للنوائب، وإن جلت وقعا، ونالت منى منالا لم يعتد طرق المصائب، وإن عظمت فجعا. كتبتُ عن اضطرابِ نفسٍ، واضطرابِ صدرٍ، والتهابِ قلبٍ، وانتهابِ صبرٍ؛ فما أعظمه مفقودا! وما أكرمه ملحودا! إني لأنوح عليه نوح^(١) المناقب، وأرزيه مع النجوم الثواقب، وأبكيه مع المعالي والحاسن، وأثنى [عليه] ببناء المساعي والمآثر. ليت يمين الزمانِ شلتَّ قبل أن فتكتَ بمُجبه الفضل، وعين الزمانِ كفت قبل أن رأت مضرع الفخر. لقد رزنا من فلان عالما في شخص، وأمة في نفس. مضى والحاسنُ تبكيه، والمناقبُ تعزى فيه. العيون لما قررت به أسخنها فيه ريب المنون، ولما شرحت به الصدور قبضها بفقده المقدور. قد ركب على الأعناق، بعد العناق، وعلى الأجياد بعد الجياد، وفاح فتيت المسك من مآثره، كما يفوح العنبر من مجارده. كان منزله مألَف الأضياف، ومأنس الأشراف، ومُنتجع الركب، ومقصد الوقد، فاستبدل بالأنس وخشة، وبالغضارة غبرة، وبالبياض ظلمة، واعتاض من ترأحم المراكب تلامد المآتم، ومن صجيج النداء والصهيل، عجيج البكاء والعيول. هذى المكارم تبدي شجوها لفقده، وتلبس حدادها من بعده، وهذى الحاسن قد قامت نوابها مع نوادبه، واقترنت مصائبها بمصائبه. لو قبِلت الفدية لوقيته بنفسى وأيام عمرى، علما بأن العيش بمثله من إخوان الصفا يصفون، وبطعنه عن الدنيا يكدر ويعفو. لو وقى من الموت عزيز قوم لعزته، أو كبير بأولاده وأسرته، أو ذو سلطان باستطالته وقدرته، أو زعيم دولة بحسده وعُدته، لكان الماضى أحق من وقي وأولى من فدى، وكنا أقدر على دفع ما حدث، وذب ما كرت وأزحق؛ لكنه الأمرُ المسوى فيه بين من عز جانبه وذلل، وكثر ماله وقل، حتى لحق المفضول بالفاضل، والناقص الكامل.

(١) في نسخة « بنوح المناقب » والمناقب : جمع منقبة ، وهي الحصلة من خصال

ولهم فيما يطابق هذا النحو من وصف الدهر وذم الدنيا هو الدهرُ لا يُعجَب من طوارقه ، ولا ينكر هجوماً بوارثه . عطاؤه في ضمان الارتجاع ، وجباؤه في قرآن الانتزاع . من عرف الزمان لم يستشعر منه الأمان ، وتصرف الحوادث ، بين الموروث والوارث . الدهرُ مشحون بطوارق الغير ، مشوب صقوؤ إيامه بالكدز ، ممزوج صابُه بالعسل ، موصولة حبالُ الأمن فيه بأسباب الأجل . قد جعل الله الدنيا دار قلعمة ، ومحل نُقلَة^(١) ، فمن راحل ليومه ، ومن مؤخر لعدده ، وكلُّ متشوفٍ لأجله ، وجارٍ لأمدِه . ما الدنيا إلا دار النقلة ، ولا المقام فيها إلا للرحلة ، إن المرءَ حقيق إذا طرقه ما يتحيف صبره [ويتطرق صدره] ، أن يعود إلى علمه بالدنيا كيف نُصبت على النقلة ، وجنبت طويل المهلة ، وابتدئت بالنفاد ، وشقع كونها بالفساد ، وأن الثاوي فيها راحل ، والأيام فيها مرّاحل . موهوب الدنيا مسلوب وإن أرّجىء إلى مهل ، وممنوحها مجذوب وإن أحرّ إلى أجل . لو خلد من سبق ، لما وسعت الأرض من لحق ؛ ولذلك جعلت الدنيا دار قلعمة^(١) ، ومحل نجعة .

سُبِقْنَا إِلَى الدنْيَا فلو عَاشَ أَهْلُهَا . مُنِعْنَا بِهَا مِنْ جَيِّئَةٍ وَذُهِوبِ
تَمَلَّكَهَا الْآتِي تَمَلَّكَ سَالِبٍ وَفَارَقَهَا الْمَاضِي فَرَأَى سَلِيبٍ
وقال عتبة بن هارون : كنتُ مع فضل الرقاشي ، فمررتُ بمقبرة ، فقال : يا أهلَ
الديار الموحشة ، والحلال المفقرة ، التي نطق بالحرابِ فِناؤها ، وشيّد بالترابِ بناؤها ،
ساكنها مُغترب ، ومحلها مُقترب ، أهلُ هذه المنازلِ متشاغلون ، لا يتواصلون
تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران ، قد طحنهم بكلِّ كلكه البلي ،
وأكلهم الجندل والنثري .

(١) دار قلعمة - بضم القاف وسكون اللام ، وعلى الإضافة - أي دار تحول وانتقال ، وقد وردت هذه العبارة في كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (م)

وقال خافان بن صبيح : لَوْخَشَةَ الشُّكِّ التَّمَسُّنَا أَنَسَ الْيَقِينِ ، وَمَنْ ذَلَّ الْجَهْلُ هَرَبْنَا إِلَى عَزِّ الْمَعْرِفَةِ ، وَلِخَوْفِ الضَّلَالَةِ لَزِمْنَا الْجَادَّةَ .

وقال بعضُ الحكماء : كَمُونُ الْمَصَائِبِ وَسَكُونُ النُّوَابِ وَبَقَاتُ الْمَنَائِمِ مَطْوِيَّاتٌ فِي السَّاعَاتِ ، مَتَحَرِّكَاتٌ فِي الْأَوْقَاتِ ، وَرَبٌّ مَغْتَبِطٌ بِسَاعَةِ فِيهَا انْقِضَاهُ أَجَلِهِ ، وَمَتَمَتِعٌ بِوَقْتِ صَارَ فِيهِ إِلَى قَبْرِهِ ، وَمُنْتَظَرٌ وَرُودٌ يَوْمَ فِيهِ مَنِيَّتُهُ .

ووعظ أعرابيٌّ ابنا له أفسد ماله في الشراب ، فقال : لا الدهر يعظك ، ولا الأيامُ تنذرك ، والساعاتُ تُعدُّ عليك ، والأنفاسُ تُعدُّ منك ، وأحبُّ أمرٍ يَكُ إِلَيْكَ ، أَرَدُّهُمَا لِلْمُضَرَّةِ لَدَيْكَ .

[من مقامات بديع الزمان الهمذاني]

ومن إنشاء بديع الزمان في المقامات : حدثنا عيسى بن هشام قال : كنتُ في الأهواز في رُفْقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسْهَلُ ، لَيْسَ مَتَى إِلَّا أَمْرٌ بَنَى الْأَمَالَ ، بَضَّ الْجَمَالَ ، أَوْ مَخْتَطٌّ حَسَنُ الْإِقْبَالَ ، مَرَجَوْ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِ ؛ فَأَفْضَنَّا فِي الْعِشْرَةِ كَيْفَ [نَضَعُ قَوَاعِدَهَا ، وَالْأَخْوَةَ كَيْفَ] نَحْكُمُ مَعَاقِدَهَا ، وَالسَّرُورَ فِي أَيْ وَقْتِ تَعَاطَاهُ ، وَالْأَنْسَ كَيْفَ تَتَهَادَاهُ ، وَفَائِتَ الْحِظِّ كَيْفَ تَتَلَفَاهُ ، وَالشَّرَابَ [مِنْ أَيْنَ نَخْلُصُهُ ، وَالْمَجْلِسَ كَيْفَ نَرْتَبُهُ ؟] فَقَالَ أَحَدُنَا : عَلَى الْبَيْتِ وَالْمَنْزِلِ ، وَقَالَ آخَرُ : عَلَى الشَّرَابِ وَالنَّقْلِ [، وَقَالَ بَعْضُنَا : إِلَى السَّمَاعِ وَالْجَمَاعِ ، وَقَنَا نَجْرَ أَذْيَالِ الْفَسُوقِ ، حَتَّى انْسَلَخْنَا مِنَ السُّوقِ ، وَاسْتَقْبَلْنَا رَجُلٌ فِي طَيْرِينَ ، فِي يُمْنَاهُ عِكَازَةٌ ، وَعَلَى كَتْفِهِ جِنَازَةٌ ^(١) ؛ فَطَيَّرْنَا لِمَا رَأَيْنَا الْجِنَازَةَ ، وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحًا ، وَطَوَيْنَا دُونَهَا كَشْحًا ، فَصَاحَ بِنَاصِيحَةٍ كَادَتْ الْأَرْضُ لَهَا تَنْفِطِيرُ ، وَالنَّجُومُ تَنْكَدِرُ ، وَقَالَ : لَتَرَوْنَهَا صُغْرًا ، وَلَتَرَكِبْنَهَا قَسْرًا . مَا لَكُمْ تَكْرَهُونَ مَطِيَّةَ رُكْبَانِ أَسْلَافِكُمْ ، وَسِيرِكُمْ أَحْلَافِكُمْ ، وَتَتَقَدَّرُونَ سُرِيرًا وَطِيئَةً أَبَاؤُكُمْ ، وَسَيَطُوهُ أَبْنَاؤُكُمْ ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَتُخْمَلَنَّ عَلَى

لقامة
الأهوازية

(١) الجنازة - بكسر الجيم - سرير الميت (النعش) ما دام فيه (م)

هذه العيذان ، إلى تلسم الديدان ، ولتتقلن بهذه الجياد ، إلى تلسم الوهاد .
وَيَحْكُمُ تَطْيِرُونَ^(١) ، كأنكم محيرون ، وتتكروهون ، كأنكم منزهون ، هل تنفع
هذه الطيرة ، يا حجره ؟

قال عيسى بن هشام : فقد نقض علينا ما كنا عقداًناه ، وأبطلنا ما
كنا أردناه ؛ فملنا إليه ، وقلنا : ما أحوجنا إلى وعظك ، وأعشقنا للفظك !
ولو شئت لزدت ، قال : إن وراءكم موارد أتم وإردوها ، وقد سرتم إليها
عشرين حجة :

وإن امرأً قد سار عشرين حجةً إلى منهلٍ من وزده لقريبُ
وفوقكم من يعلم أسراكم ، ولو شاء لهتك أستاركم ، يعاملكم في الدنيا بحلم ،
ويقضي عليكم في الآخرة بعلم ، فليكن الموت منكم على ذكر ، لثلاثاً تأتوا بفسادكم ؛
فإنكم متى استشعرتموه لم تجمحوها ، ومتى ذكرتموه لم تمزحوا ، وإن نسيتموه فهو
ذاركركم ، [وإن نتمم عنه فهو نائركم ، وإن كرهتموه فهو زائركم] قلنا : فما
حاجتك ؟ قال : هي أطول من أن تحدد ، وأكثر من أن تعد ، قلنا : فسانح
الوقت ؟ قال : رد فائت العمر ، ودفع نازل الأمر ، قلنا : ما إلى ذلك سبيل ،
ولكن لك ما شئت من متاع الدنيا وزخرفها ، قال : لا حاجة لي فيها .
قوله * وإن امرأً قد سار عشرين حجة * محرف عن قول قائله :

* وإن امرأً قد سار خمسين حجة * والبيت لأبي محمد التيمي ،

أنشده دعبيل :

إذا ماضى القرن الذي أنت فيهم وخلفت في قرنٍ فأنت غريبُ
والبيت بعده . قال دعبيل : وتزعم الرواة أنه لأعرابي من بني أسد . وقال
خلاد الأرقط : كنا على باب أبي عمرو بن العلاء ومعنا التيمي ، فذكرنا كتاب

(١) تطيرون - بتشديد الطاء ، والياء جميعاً - أصله تطيرون ، قلب التاء الثانية

طاء ثم أدغمها (م)

الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم : إني وإياك لِدَتَانٌ (١) ، وإن أمرأ قد سار
خمين حجة لَقَمِين أن يَرده . فأصلحناهُ بيتاً ، فاجتَلَبَه التيمي في شعره .

[من رسائل بديع الزمان الهمداني]

وكتب البديع إلى أبي القاسم الكرخي : أنا وإن لم ألق تطاول الإخوان إلا
بالتطاول ، ونجمل الأحرار إلا بالتجمل ، أحاسب الشيخ على أخلاقه ضناً
بما عقدتُ يدي عليه من الظن به ، والتقدير في مذهبه ، ولو لا ذلك لقلتُ : في
الأرضِ مجالٌ إن ضاقتُ ظلاله ، وفي الناس واصلٌ إن رثمتُ حباله ، وأواخذُه
بأفعاله ؛ فإن أعارني أذناً واعيةً ، ونفساً مرأعيةً ، وقلبا متعظاً ، ورجوعاً عن
الذهاب ، ونزوعاً عما يقرعه من هذا الباب ، فرشت لمودته صدرى (٢) ، وعقدت
غليه جوامع حَضْرِي ، ومجامع عُمرِي ؛ وإن ركب من التعالى غير مركب ،
وذهب من التعالى في غير مذهب ، أقطعته خطة أخلاقه ، ووليته جانب إعراضه ،
فكنتُ امرأ :

من البديع
لأبي القاسم
الكرخي

لا أذودُ الطيرَ عن شَجَرٍ قد بلوتُ المرّة من نمره

فإني — أطل الله بقاء الشيخ مولاي — وإن كنت في مقتبل السن والعمر ،
فقد حلبتُ شَطْرِي الدهر (٣) ، وركبتُ ظهري البرّ والبحر ، ولقيتُ وفدى الخير
والشر ، وصاغتُ يدي النفع والضر ، وضربتُ إبطي العسر والبسر ، وبلوتُ
طعمي الحلو والمر ، ورضعتُ ثدي العرف والنسكر ؛ فإتكاذ الأيامُ ترينني من
أفعالها غريباً ، وتسميني من أقوالها عجيباً ، ولقيتُ الأفراد ، وطارحتُ الأحاد ؛
فإرأيتُ أحداً إلا ملأتُ حافتي سمعه وبصره ، وشغلتُ حيزي فكره
ونظّره ، وأثقلتُ كفه في الحزن ، وكفّته في الوزن ؛ وودّ لو بارزَ القران

(١) لدة الإنسان — بكسر اللام وفتح الدال مخففة — المساوي له في السن (م)

(٢) في نسخة « فرشت لمودته خوان صدرى » (م)

(٣) حلبت شطري الدهر : كناية عن التجربة والاختبار (م)

بصفحتي ، أو لقي الفضل بصحيفتي ، فإلى صَعُرْتُ في عينه ؟ وما الذي أزرى بي عنده ؟ حتى احتجبَ وقد قَصَدْتُهُ ، ولزِمَ أرضه وقد حضرته ، وأنا أحاشيه أن يجهلَ قَدْرَ الفضلِ ، أو يَجْهَدَ فضلَ العلمِ ، أو يمتطى ظَهْرَ التَّيِّبِ ، على أهليه ، وأسأله أن يختصني من بينهم بفضل إنعام إن زلت بي مرةً قَدَمَ رأي في قَصْدِهِ ، وكأني به وقد غضب لهذه المخاطبة المَجْحِفَّة ، والرتبة المَتَحَيِّفَة ، وهو في جنب جفائه يسير ، وإن أقنع عن عادته إلى الوفاء ، ونزع عن شيمته في الجفاء ؛ فأطال الله بقاء الأستاذ وأدام عزه وتأييده

وله إليه رقعة :

كتاب آخر
من البديع
إلى أبي القاسم

يعزُّ عليَّ — أطال الله بقاء الشيخ الرئيس — أن ينوبَ في خِدْمَتِهِ قلمي ، عن قَدَمِي ، ويسعد برويته رسولي ، دون وُصُولِي ، ويرِدَ شِرْعَةَ الأَنْسِ به كتابي ، قبل ركابي ، ولكن ما الخيلة والعوائق جمة :

وعليَّ أن أَسْعَى وليس عليَّ إدراكُ النجاح

وقد حضرتُ داره ، وقبَّلتُ جداره ، وما بي حبُّ الجُدْرَانِ ، ولكن شغفاً بالقُطَانِ ، ولا عشقُ الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان ، وحين عدتِ العوادي عنه ، أمليتُ ضميرَ الشوقِ على لسان القلم ، معتذراً إلى الشيخ على الحقيقة ، عن تقصير وقع ، وفُتور في الخِدْمَةِ عَرَضَ ، ولكنني أقول :

إِنْ يَكُنْ تَرَكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكُنْفِي أَلَا أَرَاكَ عِقَابًا

كتاب منه
إلى رئيس
هراة

وله جواب إلى رئيس هراة عدنان بن محمد : ورد كتابُ الشيخ الرئيس سيدي ، فظلت وفودُ النعم تترى عليَّ ، ومثلت لذي وبين يدي ، وقد أخذ مكارمَ نفسه ، فجعلها قِلاَدَةَ غرْسِهِ ، وتتبع المحاسن من عنده ، فحلى بها نحرَ عَبْدِهِ (١) ، وما أشبه رائِع حُلِيِّهِ ، في نحرِ وِلِيِّهِ ، إلا بالغرّة اللأئحة (٢) ، على [الدَّهْمَةِ] الكالحة

(١) في نسخة «فكساها لعبد» (م)

(٢) أصل الغرة البياض في وجه الفرس ، وأراد البياض مطلقاً ، والأئحة :

الظاهرة ؛ والكالحة : العابسة (م)

لا آخذَ اللهَ الشيخَ بوصفٍ نَزَعَهُ عن عراضه ، وزَرَعَهُ في غير أرضه ، ونعتٍ سلَّخه من خَلْقِهِ وخَلُقَهُ ، وأهداه إلى غير مستحقه ، وفضَّلَ استفادته من قَرَعِهِ وأصله ، وأوصله إلى غير أهله . ذكر حديث الشوقِ ولو كان الأمرُ بالزيارة حتماً ، أو الإذن [جزماً] أطلق عودما ، لكان آخر نظري في الكتاب ، أول نظري إلى الركاب ، ولاستعنت على كَلَفِ السيرِ ، بأجنحة الطير^(١) ، لكنه - أدام الله عزه - صرعى بين يدي سريعة النبذ ، ورجل وشيكة الأخذ ، وأراني زهداً في ابتغاء ، كحسوي في ارتغاء ، وزاعماً في نزوع ، كذهاب في رُجوع ، ورغبة في كَرِبة عني ، وكلاماً في العِلاف ، كالضرب تحت الاحاف ، فلم أصرِّح بالإجابة وقد عَرَّضَ بالدعاء ، ولم أعلن بالزيارة وقد أسرَّ بالنداء ، ولو لم يدعني بلسان المُحاجَّة ، ولم يجاهرني بفهم المناجاة ، لكانت أسرع إليه ، من الكرم إلى عطفيه ، وفسكرت في مُرادِ الشيخ ، فوجدته لا يتعدى الكرم يشبُّ ناره ، والفضل يُدرك ناره ، وإذا كان الأمرُ كذلك فما أولاه بترفيه موله ، عن زَفَرَةِ صاعدة ، بسفرة باعدة^(٢) ، ونكباء جاهدة وقد زاد سيدي في أمرِ الخطابية ، وما أحسن الاعتدال ، وقد كفانا منه الأستاذ ، وأسأله ألا يزيد ، وقد بدأ ويجب ألا يعيد ، فلا تنفع كثرة العدِّ مع قلة المعدود ، والزيادة في الحدِّ مع نقصان المحدود نقص من الحدود ، وربِّ ربح أدى إلى خسران ، وزيادة أفضت إلى نقصان ، ورأى الشيخ في تشريفه بجوابه موفق إن شاء الله تعالى .

اجتلب قوله في أول هذه الرسالة من قول أبي إسحاق الصابي في جواب

كتاب لبعض إخوانه :

وصل كتابك مشحوناً بلطيف برك ، موشحاً بغامر فضلك ، ناطقاً بصحَّة

كتاب
من الصابي
لبعض إخوانه

(١) في نسخة « استعنت على السير ، أجنحة » (م)

(٢) في نسخة « زفرة قاصدة » (م)

عهدك ، صادقاً عن خلوص وودك ، وفهمته وشكرتُ الله تعالى على سلامتك
شُكراً المخصوص بها ، ووقفتُ على ما وصفته من الاعتدالِ بي ، وتناهيتُ إليه
من التقريظ لي ، فهازدتُ على أن أعرّفتني خِلالك ، ونحلتني خِصالك ، لأنك
بالمفاضلِ أوّلَى ، وهي بكِ أحرى ، ولو كنت في نفسي ممن يشتملُ على وصفه
حدّى إذا حددت ، أو يحيط بكاله وضمّني إذا وصفت ، لشرّعت في بلوغها والقرب
منها ، لسكن المادح لك مستنفاً لك وسُعه وقد بحسك ، ومستغرق طَوْفه وقد
تعمّك ، فأبلغ ما يأتي به المُتّني عليك ، ويتوصل إليه المُطري لك ، الوقوف في
ذلك دون منتهاه ، والإقرار بالعجز دون غايته ومدّاه .

ونقل البديع ما ذكره من ترك السفر والبغية بما حضر من قول ابن الرومي
ابن الرومي :

أما حقّ حامي عرضٍ مثلك أن ترى له الرّفدَ والتّرفيه أوجبَ وأجبِ
أقت لكى تزدادَ نعماكُ نعمةً وتغنى بوجهٍ ناضِرٍ غيرِ شاحبِ
وكى لا يقولَ القائلونُ أنا بهُ وعاقبه والقولُ جمُّ المسابِ
وليس عجبياً أن ينوبَ تكريمُ عُديت به من أملٍ لك عائبِ
ذِمّايَ ترعى لا ذِمّامَ سفينةٍ وحقى لاحقَ القلاصِ النجائبِ^(١)

ودخل على أبي العتاهية ابنه ، وقد تصوّف ، فقال : ألم أكن قد نهيتك عن
هذا ؟ فقال : وما عليك أن أعود الخير ، وأنشأ عليه ا فقال : يا بني ، يحتاجُ
المتصوف إلى رقة حال ، وحلاوة شمائل ، ولطافة معنى ، وأنت ثقيلُ الظل ، مظلم
الهواء ، راكد النسيم ، جامد العينين ، فأقبل على سوقك ؛ فإنها أعودُ عليك .
وكان بزّازا .

(١) الذمام - بكرم الدال - العهد ، والقلاص : الإبل القبية : واحدها قلوص ،

والنجائب : السريعة السير ، والمفرد نجيب ونجبية (م)

فقر من كلام المتصوفة والزهاد والقصاص

نورُ الحقيقةِ ، أحسنُ من نورِ الحقيقةِ . الزهد قطعُ العلائق ، وهجرُ الخلائق .
 الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة . التصوف تركُ التكلف . قيل لمتصوف : أتبيع
 مِرْفَعَتِكَ ؟ قال : أرأيتم صياداً يبيع شبكته ! وقيل لبعضهم : لو تزوجت ! قال :
 لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها ، وأنشد :

تجرّد من الدنيا فإنك إنما سقطت إلى الدنيا وأنت مجردٌ
 الدنيا نومٌ والآخرة يقظة ، والمتوسط بينهما الموت ، ونحن في أضغاث أحلام .
 ذو النون : العبد بين نعمة وذنوب ، لا يصلحهما إلا الشكر والاستغفار .
 غيره : ينبغي للعبد أن يكون في الدنيا كأنه يرض لا بد له من قوت ، ولا يوافق
 كل طعام . ليس في الجنة نعيمٌ أعظم من علم أهلها أنها لا تزول .

ابن المبارك : الزهد إخفاء الزهد . إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه ، وإذا طلبهم
 فاهرب عنه . من أطلق طرفه أكثر أسفه . من سوء القدر فضل النظر . من طامع طرفه ،
 تابع حثفه ، ومن نظربعين الهوى جار ، ومن حكم على الهوى جار ، ومن أطال
 النظر لم يدرك العاية ، وليس لناظرٍ نهاية . ربما أبصر الأعمى رُشدَه ، وأضلَّ
 البصير قَصْدَه . وقيل : ربّ حربٍ جُنيت من لفظه ، وربّ حبٍّ غرِسَ من
 لحظة ، وأنشد :

نظرت إليها نظرةً لو كسوتها سراويلَ أبدانِ الحديدِ المسرّدي
 لرقّت حواشيها وفُضّ حديدُها ولأنت كما لأنت لداود في اليد^(١)
 وقال سعيد بن حميد :

نظرت فقادتني إلى الختف نظرةً . إلى بمضمون الضمير تشير^(٢)

(١) في نسخة « لرق حواشيها » والحواشي : جمع حاشية . وحاشية التوب :

جانبه (م)

(٢) الختف : الموت (م)

فلا تصرفنَّ الطَّرْفَ فِي كُلِّ مَنْظَرٍ فَإِنَّ مَعَارِضَ الْبَلَاءِ كَثِيرٌ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَبِّ أَضْمَقَ ذَاهُوِي وَلَا مِثْلَ حُكْمِ الْحَبِّ كَيْفَ يَجُورُ
لَقَدْ صُنْتُ مَابِي فِي الضَّمِيرِ لَوْ أَنَّهُ يُصَانُ لَدَى الطَّرْفِ النُّومُ ضَمِيرُ
غَيْرِهِ :

اليوم أيقنت أن الحبَّ متلَفَةٌ وأن صاحبه منه على خطرٍ
كيف الحياة لمن أمسى على شرفٍ من المنية بين الخوفِ والحذرِ
يلوم عينيهِ أحياناً بذنبهِما ويحملُ الذنبَ أحياناً على القدرِ
إذا نأى أو دنا فالقلبُ عندكم وقلبه أبداً منه على سفرٍ
ونظر محمد بن أسباط الصوفي إلى أبي المثنى الشيباني وقد نظر في وجه غلام
مليح ، فقال : [إياك و] إدامان النظر [فإنه] يكشف الخبر ، ويفضح البشر ،
ويطول به المكث في سفر .

وقال المعلى الصوفي : شكوتُ إلى بعض الزهاد فسأداً أجده في قلبي ، فقال : هل
نظرتَ إلى شيء فتأقتَ إليه نفسك ؟ قلت : نعم ، قال : احفظْ عينيك ؛ فإنك إن
أطلقتَهما أوقعتك في مكروه ، وإن ملكتَهما ملكتَ سائرَ جوارحك .
وقال مسلم الخواص لمحمد بن علي الصوفي : أوزني ، فقال : أوصيك بتقوى
الله في أمرِك كله ، وإيثار ما يحبُّ على محبتك ، وإيالك والنظر إلى كل ما دعاك إليه
طرْفك ، وشوقك إليه قلبك ؛ فإنهما إن ملكاك لم تملك شيئاً من جوارحك ، حتى
تبلغ لهما ما يطالغانك به ^(١) ، وإن ملكتهما كنت الداعي إلى ما أردت ، فلم يعصيا لك
أمرأ ولم يردَّا لك قولاً .

قال بعض الحكماء : إن الله عزَّ وجل جعل القلبَ أميرَ الجسدِ ، ومَلِكَ
الأعضاء ؛ فجميعُ الجوارح تنقادُ له ، وكلُّ الحواسِّ تُطِيعُه ، وهو مديرُها ^(٢)

(١) في نسخة « حتى يطلب بهما ما يطالغانك به » (م)

(٢) وتقرأ « مديرها » بالباء الموحدة (م)

ومصرّفها ، وقائدُها وسائقها ، وإيرادته تنبعثُ ، وفي طاعته تتقلبُ ؛ ووزيره العقل ، وعاضدُه الفهمُ ، ورائدُه العينان ، وطليعتُه الأذنان . [وهما في النقل سواء ، لا يكتانه امرأ ، ولا يطويانِ دونه سرّاً ، يريد العين والأذن] .
وقيل لأفلاطون : أيهما أشدّ ضرراً بالقلب السمع أم البصر ؟ فقال : هما للقلب كالجنّاحين للطائر ، لا يستقلّ إلا بهما ، ولا ينهض إلا بقوتهما ، وربما قُصّ أحدهما فنهض بالآخر على تعب ومشقة . قيل : فما بالُ الأعمى يعشق ولا يرى ، والأصم يعشق ولا يسمع ؟ قال : لذلك قلت : إن الطائر قد ينهضُ بأحد جناحيه ولا يستقلّ بهما طيراناً ، فإذا اجتمعا كان ذهابه أمضى ، و [طيرانه] أَوْحَى (١) .

وقال الأسود بن طالوت الجارودي : نظر إلى أبو الغمير الصوفي وقد أطلت النظرَ إلى غلامٍ جميل ، فقال : ويحك ! إنَّ طَرَفَكَ لعظيم ما اجتنى من البلاء قد عَرَضَكَ للمكروه وطول العناء ، لقد نظرت إلى حتف قاتل للقلوب ، وبلاء مُظهِر للعيوب ، وعارٍ فاضح للنفوس ، ومكروه مُذْهِل للعقول ، أكل هذا الاغترار بالله جرأك عليه حتى أمنت مَكْرَهُ ، ولم تخفْ كيدَه ؛ أعلم أنك لم تكن في وقت من أوقاتك ، ولا حالةٍ من حالاتك ، أقرب إلى عقوبة الله منك في حالتك هذه ، ولو أخذك لم يتخلصك الثقلان ، ولم يقبلَ فيك شفاعَةَ إنس ولا جان .

ونظر محمد بن ضوء الصوفي إلى رجل ينظرُ إلى غلامٍ مليح ، فقال : كفى بالعبد نقصاً عند الله ، وضعة عند ذوى العقول ، أن ينظرَ إلى كل ما سَنَحَ له من البلاء .

ونظر [أبو] مسلم الخشوعي فأطال النظر ، فقال : إنَّ في خلقِ السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب . ثم قال : سبحان الله ! ما أهجمَ طَرَفِي على مكروه نفسه ، وأدمنه على تسخّط سيده ،

وأغراه بما نهى عنه ، وألهجه بما حذر منه ! لقد نظرت إلى هذا نظراً شديداً خشيتُ أنه سيفضحني عند جميع من يعرفني في عَرَصَةِ القيامة ؛ ولقد تركني نظري هذا وأنا أَسْتَحِي من الله تعالى إن غفر لي ! ثم صعق .

ونظر غالب المضرور^(١) إلى غلام جميل على فرس رائع ، فقال : لا أدري بم آداوى طرّفي ، ولا بم أعالج قلبي ؟ ما أتوبُ إلى الله من ذنبٍ إلا رجعت فيه ، ولا أستغفرُهُ من أمرٍ إلا أتيتُ أعظم منه ، حتى لقد استحييتُ أن أسأله المغفرة لما يلحق قلبي من القنوط من عفوه ، لعظيم حالي بالمنكر الذي أصنعه . فقال له قائل : وأيّ منكر أتيت ؟ فقال : أنريدُ مني أكثر من نظري هذا ! والله لقد خشيت أن يبطل كلُّ عمل قدمته ، وخير أسلفته ، ثم بكى حتى ألصق خدّه بالأرض .

ورأى بعضُ الزهاد صوفياً يضحكُ إلى غلام جميل ، فقال له : يا خارب القلب ، ويا مفتضح الطرف ؛ أما تستحي من كرامِ كاتبين ، وملائكة حافزين ، يحفظون الأفعال ، ويكتبون الأعمال ، وينظرون إليك ، ويشهدون عليك ، بالبلاء الظاهر ، والغلّ الدخيل الخامر ، الذي أقت نفسك فيه مقام من لا يبالي من وقف عليه ، ونظر من انخلق إليه .

وقال أبو حمزة بن إبراهيم : قلت ل محمد بن العلاء الدمشقي - وكان سيد المتصوفة ، وقد رأيتُه يمشي غلاماً وضيئاً مدة ثم فارقه - : لم هجرت ذلك الفتى بعد أن كنت له مواصلاً ، وإليه ماثلاً ؟ فقال : والله لقد فارقتُه من غير قَلْبٍ ولا مَلَلٍ ؛ ولقد رأيتُ قلبي يدعوني إذا خلوت به ، وقربت منه ، إلى أمر لو أتيتُه لسقطت من عين الله عز وجل ؛ فهجرتُه تنزيهاً لله ولنفسى عن مصارع الفتن ، وإني لأرجو أن يعقبني سيدي من

مفارقة ما أعقب الصابرين عن محارمه عند صدق الوفاء بأحسن الجزاء؛ ثم
بكي حتى رحمته .

قال أبو حمزة : ورأيتُ مع أحمد بن علي الصوفي بيت المقدس غلاماً جميلاً ،
فقلتُ : منذ كم صحبتك هذا العلام ؟ فقال : منذ سنين ، فقلت : لو سرتما إلى
بعض المنازل فكنتما فيه كان أحمد لكما من الجلوس في المسجد بحيث يراكما
الناس ؟ فقال : أخافُ احتيالَ الشيطانِ عليّ به وقت خلوتي ، وإني لأكره أن
يراني الله فيه على معصية فيفترق بيني وبينه يوم يظفر المحبون بأحبابهم
قال أبو الفتح البستي :

تنازع الناسُ في الصوفيّ ، واختلفوا فيه وظنّوه مشتقاً من الصوفِ
ولست أنحل هذا الاسمَ غيرَ فتى صافي فصوفي حتى لقب الصوفي
ورأى بقرات رجلاً من تلامذته يتفرّس في وجه أوحياً ، وكانت فائقة
الجمال ، فقال : ما هذا الشغل الذي منعك الروية والفكرة ؟ فقال : التعجبُ
من آثار حكمة الطبيعة في صورة أوحياً ، فقال : لا تجعلنّ نظرك لشهوتك مركباً ،
فيجمع لك في الوحول الأذية ^(١) ؛ ولتكنْ نفسك منه على بال ، إن آثار
الطبيعة في وجه أوحياً الظاهرة تمحق بصرك ، وإن فكرت في صورتها الباطنة
تحد نظرك .

وقال بعضهم : رأيتُ جاريةً حسناء الساعدِ ؛ فقلت : يا جارية ،
ما أحسن ساعدك ! فقالت : [أجل ، لكنه] لم تختص به ، ففضّ بصرك جسمك
عما ليس لك ؛ لينفتح بصرك عقلك فتري مالك .

(١) في نسخة « ليجمع لك ذحول الأذية » (م)

الرأى والهوى

وقال بعضُ الفلاسفة اليونانيين : فضلُ ما بين الرأى والهوى أنَّ الهوى يُخَصُّ والرأى يعمُّ ، وأنَّ الهوى فى حيز العاجل ، والرأى فى حيز الآجل ، والرأى يبقى على طول الزمان ، والهوى سريع الدثور^(١) والاضمحلال ، والهوى فى حيز الحس ، والرأى فى حيز العقل .

وقال بعضُ الحكماء : من انقاد لهواه عرضته الشهوات .

وقال آخر : من جرّى مع هواه طلقاً^(٢) ، جعل عليه للذل طرفاً .

وقال ابن دُرَيْد : أوصى بعضُ الحكماء رجلاً فقال : أمرك بمجاهدة هواك ؛ فإنه

يقال : إنَّ الهوى مفتاحُ السيئات ، وخصيمُ الحسنات ، وكلُّ أهوائك لك عدو ، وأعداها

هوى يكتمك نفسه ، وأعدى منه هوى يمثّل لك الإنم فى صورة التقوى ، ولن تفصل

بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بجزم لا يشوبه وهن^(٣) ، وصدق لا يطعم فيه

تكذيب ، ومضأ لا يقاربه التشييط ، وصبر لا يفتاله الجزع ، وهمة لا يتسمها التضييع

وقال أبو العتاهية :

لا تأمن الموت فى طرف وفى نفس	ولو تمنعت بالحجاب والحرس
فما تزالُ سيّاهم الموت نافذة	فى جنب مُدرّع منا ومترس ^(٤)
ما بال دِينك ترضى أن تدنسه	وتؤبك الدهر معسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها	إنَّ السفينة لا تجرى على يَبَس

[من البد بدائه فى مجالس الخلفاء]

خرج شبيب بن شيبه من دار المهدي ، فقيل له : كيف رأيت الناس ؟ قال :

(١) الدثور : الهلاك (م)

(٢) طلقاً - بفتح الطاء واللام ساكنة أو مفتوحة - شوطاً (م)

(٣) الوهن - بالتحريك - الضعف (م)

(٤) المدرع : لابس المدرع ، وأصله متدرع ، والمترس : لابس الترس (م)

رأيتُ الداخلَ راجياً والخارجَ راضياً . نحا إلى هذا المعنى ربيعةُ الرقي فقال :

قد بسطَ للمهدى كَفَّ الندى للناس والعفو عن الظالم
فالراجلُ الصادرِ عن بابه مبشراً للواردِ القادم

وقال مسلم بن الوليد في نحو هذا المعنى :

جزءاً مقـرراً بالصنعة شاكراً
فتى راغمَ الأموالَ واصطنعَ العلاءَ
[ترى الناسَ أرسلوا على باب داره] [على آمينِ يحدو بهِ حملُ صادرٍ (٢)]

وقال المتنبي :

وألقى الفمَ الضحكاً أعلم أنه قريبٌ بذى الكفِّ المقداةِ عهدُهُ

دخل خالد بن صفوان على أبي العباس السفاح ، وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب ، فقال : ما تقولُ في أخوالي ؟ فقال : هم هامة الشرف ، وعزَّين الكرم ، وغرسُ الجود ، إنَ فيهم لخصالاً ما اجتمعتْ في غيرهم من قومهم : إنهم لأطولهم أنما ، وأكرمهم شياً ، وأطيبهم طعماً ، وأوفاهم ذمماً ، وأبعدهم همماً ، الجرة في الحرب ، والرِّقْد في الجذب ، والرأس في كحل خطب ، وغيرهم بمزلة العجب (٣) . فقال : وصفت أباصفوان فأحسنت ، فزاد أخواله في الفخر ؛ فغضب أبو العباس لأعمامه ، فقال : أفرُّ يا خالدُ ؟ قال : أعلى أخوال المؤمنين ! قال : وأنت من أعمامه ؟ قال : كيف أفاخر قوماً هم بين ناسج برد ، وسأس قرد ، ودابغ جلد (٤) ، دلَّ عليهم هدهد ، وغرقهم جرد ، وملكتهم أم ولد ! فأشرق وجهُ أبي العباس . قال يوت ابن المزرع : سمعتُ خالي الجاحظ ، وذكر كلام خالد هذا ، فقال : والله لو فكرت في جمع معايبهم ، واختصار اللفظ في مثالبهم ،

أخوال
السفاح

(١) أرت النار : أوقدها ، وفي كافة النسخ « وأثبت نيران - إلخ » (م)

(٢) صدر هذا البيت مذكور في نسخة ، وعجزه عن ديوان مسلم بن الوليد (م)

(٣) العجب - بالفتح - أصل الذنب ومؤخر كل شيء .

(٤) في نسخة زيادة « وراكب عرد » والعرد - بفتح العين وسكون الراء - الحمار (م)

بعد ذلك المدح للمهذب سَنَةً لكان قليلا ، فكيف على بديهته لم يَرْضَ له فكرا .
هكذا أورد هذه الحكاية الصولى ، وقد جاءت بأطول من هذا ،
وليس من شَرَطْنَا .

لمن بن أوس

قال ممن بن أوس المذلى :

لممرك ما أذرى وإنى لأوجَلُ
وإنى أخوك الدائمُ الودِّ لم أحلن
كانك تشفى منك داء مَسَاتِي
وإن سُوِّتَنِي يوماً صبرتُ إلى غدٍ
ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعنى
وفى الناس إن رثتُ حبالكُ واصلُ
إذا أنت لم تنصفِ أخاكُ وجدتهُ
ويركب حدَّ السيفِ من أن تضيهُ
وكنتُ إذا ما صاحبُ رامَ ظنتى
قلبتُ له ظَهَرَ المِجَنِّ ولم أدمُ
إذا انصرفتِ نفسى عن الشيءِ لم تكد

على أَيْنَا تَأْنَى المنيَّةُ أولُ
إذا نابَ خطبُ أو نَبَا بك منزلُ (١)
وسُخِطِى ، وما فى رِيبَتِي ما تَعَجَّلُ
ليعقبَ يوماً آخرُ منكَ مُقْبَلُ
يمينكُ فانظُرْ أى كفتَ تَبَدَّلُ
وفى الأرضِ عن دارِ القلى مُتَحَوَّلُ
على طرفِ المِهْجَرانِ إن كان يعقلُ
إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السيفِ مَزْحَلُ
وبَدَّلَ سوءاً بالذى كان يفعلُ
عليه العهدُ إلا رَيْباً أُنحَوَّلُ
على بوجهِ آخرِ الدهرِ تُقبَلُ

ودخل عبد الله بن الزبير على معاوية بن أبي سفيان وأنشد شعره من ، فقال :
لمن هذا ؟ فقال : لى يا أمير المؤمنين ، قال : لقد شعرتَ بعدى يا أبا بكر ! ثم
دخل عليه مَعْنُ فأنشد الشعر بعينه ، فقال : يا أبا بكر ، ألم تقل إنه شعرك ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إنه ظنرى (٢) فما كان له فهولى . أراد معاوية معاوية فعاتبه بشعر
مَعْنُ ؛ ليلبغ ما فى نفسه ، وليس ادعاؤه له على حقيقة منه .

(١) حفظى «الدائم العهد لم أحن * إن ابزك خصم - إلخ» (م)

(٢) ظنَّ الرجل - بكسر الظاء وسكون الهمزة - ابنه من الرضاع (م)

وقال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، فاستدناي حتى كنت أقرب الناس إليه ، ثم تنفس الصعداء ، وقال : يا خالد ، ربَّ خالدٍ جلس مجلسك هو أشهى إلى حديثنا منك ! فعلمت أنه أراد خالداً القسريّ ، فقلت : أفلا تعيده يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هيهات ؟ إن خالداً أدلّ فأملّ ، وأوجف فأعجف ، ولم يدع لراجع مرجعاً . وتمثل بهذا البيت :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكّد عليه بوجهٍ آخر الدهر تُقبلُ
 وروى أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان عبد الملك بن مروان في سمره مع أهل بيته وولده وخاصته ، فقال لهم : ليقُل كلُّ واحدٍ منكم أحسن ما قيل من الشعر ، وليفصل [من] رأى تفضيله ، فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم : [امرؤ القيس ، وقال بعضهم :] النابغة ، وقال بعضهم : الأعشى ، فلما فرغوا قال : أشعرُ الناس والله من هؤلاء الذي يقول ، وأنشد بعض هذه الأبيات التي أنشد ، وهي لمن بن أوس :

وذي رَحِمٍ قَلَمْتُ أَظْفَارَ ضِفْنِهِ	بِحَلْوَى عَنده وهو ليس له حِلْمٌ
يحاوِلُ رَغْمِي لَا يَحَاوِلُ غَيْرَهُ	وَكالموتِ عِنْدِي أَنْ يَحْمِلَ بِهِ الرِّغْمُ
فَإِنْ أَعْفُ عَنْهُ أَغْضُ عَيْنًا عَلَى قَدِّي	وَلَيْسَ لَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمٌ
وَإِنْ أَتَصَرَّ مِنْهُ أَكُنْ مِثْلَ رَأْسِي	سَهَامٌ عَدُوٌّ يُسْتَهَاضُ بِهَا العِظْمُ
صَبَرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	وَمَا يَسْتَوِي حَرْبُ الأَقَارِبِ وَالسَّلْمُ
وَبَادَرْتُ مِنْهُ النَّأْيَ وَالمرءُ قَادِرٌ	عَلَى سَهْمِهِ مَا كَانَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ
وَيَشْتَمُ عَرْشِي فِي المَغِيبِ جَاهِدًا	وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانٌ وَلَا شَتْمٌ ^(١)
إِذَا سُمِّتُهُ وَصَلَ القَرَابَةَ سَامِي	قَطِيعَتَهَا ، تَلِكُ السَّفَاهَةُ وَالإِثْمُ
فَإِنْ أَدْعُهُ لِلنِّصْفِ يَأْبَ إِجَابَتِي	وَيَدْعُو لِحُكْمِ جَائِرٍ غَيْرُهُ الحُكْمُ ^(٢)

(١) في الغيب : أي حين أكون غائبا عنه (م)

(٢) للنصف : أي للعدل والنصفة ، ويأب إجابتي : يرفضها ويمتنع عنها (م)

فولا اتقاه الله والرحم التي
 إذا لعلاه بارق وخطمته
 ويسعى إذا أبى ليهدم صالحى
 يوذ لو أى معدم ذو خصاصة
 ويعتد غمًا فى الحوادث نكبتى
 فما زلت فى لىنى له وتعطفى
 وخفضى له منى الجناح تألما
 وصبرى على أشياء منه ترىنى
 لاستل منه الضغن حتى استلته
 رأيت انسلاماً بيننا فرقمته
 وأبرأت غل الصدر منه توسعا
 فأطفأت نار الحرب بينى وبينه

رعايتها حقّ وتمطيلها ظلم
 بوسم سنار لا يشابهه وسم^(١)
 وليس الذى بينى كمن شأنه الهدم
 وأكره جهدى أن يخاطبه المذم
 وما إن له فيها سنا ولا غم
 عليه كما تحنو على الولد الأم
 لتدنيه منى القرابة والرحم
 وكظمتى عن غيظى وقد ينفع الكظم
 وقد كان ذا ضغن يصوبه الحزم^(٢)
 برفق أحيانا وقد يرفع الثلم
 بحلمى كما يشفى بالأدوية الكلم
 فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

[من رسائل أبى الفضل بن العميد]

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى أبى عبد الله الطبرى :

من ابن العميد
 إلى أبى عبد الله
 الطبرى

وصل كتابك فصادفنى قريب عهد بانطلاق ، من عنت الفراق ،
 وأوقفنى مستريح الأعضاء والجوانح من حر الاشتياق ، فإن الدهر جرى
 على حكمه المألوف فى تحويل الأحوال ، ومضى على رسمه المعروف فى
 تبديل الأبدال ، وأعتقنى من مخاللك عتقا لاستحقق به ولاء ، وأرأى من
 عهدتك براءة لا تستوجب معادركا ولا استثناء ، ونزع من عنق ربة
 الذل فى إخالك بيدى جفائك ، ورش على ما كان يحتدم فى ضميرى
 من نيران الشوق ماء السلوة ، وشن على ما كان يلهب فى صدرى من الوجد

(١) يروى « بوسم سنار لا يشابهه وسم » والمعنى واحد (م)

(٢) يروى « وقد كان ذا ضغن يضيق به الحزم » وهى أظهر (م)

ماء اليأس، ومسح أعشار قلبي فَلَا مَ فُطُورَها يجميل الصبر^(١)، وشعب أفلاذ كبدى
فلاحم صدوعها بحسن العزاء، وتغلغل في مسالك أنفاسي فعوض نفسي من النزاع
إليك نُزُوعاً عنك^(٢)، ومن الذهاب فيك رجوعاً دونك، وكشف عن عيني ضبابات
مألقاه الهوى على بصرى، ورفع عنها غيابات ما سد له الشك دون نظرى، حتى
حدر النقاب عن صفحات شيمك، وسفر عن وجوه خليقتك؛ فلم أجد إلا
منكراً، ولم ألق إلا مستكبراً، فوليت منها فراراً، ومليت رغباً، فاذهب فقد
ألقيت حبلك على غاربك، ورددت إليك ذمياً عهدك .

وفي فصل من هذه الرسالة : وأما عذرك الذي رمت بسطه فانقبض، وحاولت
تمهيدَه وتقريره فاستوفز وأعرض، ورفعت بضبعه فانخفض، فقد ورد ولقيته
بوجه يؤثر قبوله على رده، وتزكيتَه على جرحه، فلم يف بما بذلته لك من نفسه،
ولم يقم عند ظنك به، أتى وقد غطى التذمُّمُ وجهه، ولف الحياء رأسه، وغض
الخلج طرفه؛ فلم تتمكن من استكشافه، وولّى فلم تقدر على إيقافه، ومضى يعترُ
في فضول ما يغشاه من كرب حتى سقط، فقلنا : للبد والقم : ثم أمر بمطالعة
ما صحبه فلم أجدَه إلا تابَّطُ شراً، أو تحمَّلت وِزرًا .

وقوله هذا محلول من عقد نظمه إذ يقول :

أقر السلام على الأمير وقل له	فذلك انتب أربيت في العلواء
أنت الذي شئت شمل مسرتي	وقدخت نار الشوق في أحشائي
ورضيت بالثمن اليسير معوضة	منى ، فهلاً بمتنى بفلاء
وسأنتك العتبي فلم تربي لها	أهلاً ، فجذت بعذرة شوها ^(٣)
ورددت موهة فلم يرفع لها	طرف ، ولم ترزق من الإصفاء

(١) لأم : ضم وجمع ولحم ، والفطور : جمع فطر ، وهو الشق (م)

(٢) النزاع إليك : أى الشوق إليك ، والنزوع عنك : الانصراف عنك (م)

(٣) العتبي : الامتراء ، والعذرة - بالكسر - الاعتذار (م)

وأغار منقطعها التذم مسكتة فتراجعت تمشي على استخياء
لم تشف من كبدٍ ، ولم تبرد على كبدٍ ، ولم تمسخ رجوانب داه
داوت جوى بجوى ولبس بحازم من بستكت النار بالخلفاء
من يشف من كد باخر مثله أثرت جوارحه على الأدوية

وله إليه رسالة : أخطب الشيخ سيدى - أطال الله بقاءه - مخاطبة مخرج بروم الترويح عن قلبه ، ويريف التفریح^(١) من كزبه ؛ فأكتبه مكاتبة مصدر ، يريد أن ينفث بعض ما به ، ويخفف الشكوى من أوصابه ، ولو بقيت في التصبر بقية لسكت ، ولو وجدت في أثناء جدى مخرجة يتحللها تجلد لأمسكت ؛ فقيما لبست الصديق على علاته ، وصفحت له عن هناته ، ولكنى مغلوب على العزاء ، مأخوذ عن عادتي في الإغضاء ، فقد سل من جفائك مارك احتمالى جفاء ، وذهب في نفسى من ظلمك ما أنزف حلى فجعله هباء ، وتوالى على من قببح فعلك في هجر يستمر على نسق ، وصد مطرد متسق ، ما لوفض على الورى ، وأفيض على البشر لامتلأت منه صدورهم ، فهل أقدر على ألا أقول ، وهل نكلك إلى مراعاتك ، وهل نشكوك إلى الدهر حليفك على الإضرار ، وعقيدك على الإفساد^(٢) ، وأشكوه إليك ، فإنكما وإن كنما في قطعة الصديق رضيعى لبان ، وفي استيطاء مركب العقوق شريكى عنان ، فإنه فاصر عنك في دقائق مخترعة ، أنت فيها نسيج وخذك ، وقاعد عما تقوم به من لطائف مبتدعة ، أنت فيها وحيد عصرك ، أنتما متفقان في ظاهر يسر الناظر ، وباطن يسوء الخابر ، وفي تبادل الأبدال ، والتحول من حال إلى حال ، وفي بث حبال الزور ، ونصب أشراك الفرور ، وفي خلف الموعود ، والرجوع في المهوب ، وفي فظاعة اهتمام ما يعير ، وشناعة ارتجاع ما يمنح ، وقصد مشاركة الأحرار^(٣) ، والتعامل

(١) بروم ، ويريف ، كلاهما بمعنى يطاب ، ووقع في نسخة « يريد » في مكان « يريف » والمعنى واحد (م) (٢) عقيدك : معاهدك ومواقفك ، يريد أنها متفقان (م) (٣) للشارة : الخاصة (م)

عند ذوى الأخطار ، وفي تكذيب الظنون ، والليل عن النباهة للخمول ، إلى كثير من شيمكا التي أسندت إليها ، وسنتكما التي تعاقدتما عليها ، فأين هو ممن لا يجارى فيه نقض عُرى اليهود ، ونسكت قوى العقود ؟ وأنى هو عن النيمة والنيمة ، ومشى الضراء^(١) في الفيلة ، والتنفق بالنفاق في الحيلة ، وأين هو ممن ادعى ضروب الباطل ، والتحلّى بما هو منه عاطل ، وتنقص العلماء والأفاضل ؛ هذا إلى كثير من مساوٍ منشورة أنت ناظمها ، ونحاز متفرقة أنت جاممها . أنت أيديك الله إن سويته بنفسك ، ووزنته بوزنك ، أظلم منه لذويه ، وأعق منه لبيه ؛ وهنك على الجملة قد زعمت - مفترياً عليه - أنه أشد منك قدرة ، وأعظم بسطة ، وأتم نصرة ، وأطلق يدا في الإساءة ، وأمضى في كل نكابة شباهة^(٢) ، وأحد في كل عاملة شدة^(٣) ، وأعظم في كل مكروه متفعللاً ، وآف إلى كل محذور متوصلاً ، إن الدهر الذي ليس بمعتب من يمزج ، وإن العتبى منك مأمولة ، ومن جهتك سرقوبة ، وهيهات ! فهل توهم أنه لو كان ذا روح وجثمان ، مصوراً في صورة إنسان ، ثم كاتبته أستعطفه على الصلة ، وأستغفبه من الهجر ، وأذكره من المودة ، وأستميل به إلى رعاية المقة ، وأستمد على ما أشاعه الفراق في نفسى من اللوعة ، وأضرمه بالعاد في صدرى من الحرقة ، كان يستحسن ما استحسنته من الاضطراب عند جوانى ، ويستجيز ما استجزته من الاستخفاف بكتابى .

وله فصل في هذه الرسالة ، وقد ذكر دعواه في العلم :

وهنك أفلاطون نفسه فأين ما سنفته من الدياسة ، فقد قرأناه ، أجد فيه إرشادا إلى طيبة صديق ، وأحسبك أرسطاطاليس بعينه ، أين مارسنته من الأخلاق ؟ قد رأينا فلم نرفيه هداية إلى شيء من العقوق ، وأما الهندسة فإنها باحثة عن المقادير ، ولن يعرفها إلا من جهل مقدار نفسه ، وقدد الحق عليه وله ؛ بل لك في رؤساء الآداب العربية [منار مريح ومضطرب ، ولسنا نشاحك ، لكن أتحب أن تتحقق

(١) مشى فلان الضراء - بزنة السحاب - أى مشى مستخفياً فيما يواربه من من شجر ومحوه ، ويقال ذلك لمن يوصف بأنه يختل ويخدع (م)

(٢) شباهة السنان : حده (م) (٣) الشدة : بقية القوة ، وحد كل شيء (م)

بالغريب من القول ، دون الغريب [من الفصل ؟ وقد أغربت في الذهب بنفسك إلى حيث لا تهتدى للرجوع عنه . وأما الفحوى فلن تدفع عن حذق فيه ، وبصر به ، وقد اختصرته أوجز اختصار ، وسهلت سبيل تعليمه على من يجعلك قدوة ، ويرضى بك أسوة ، قلت : الندر والباطل وما جرى مجراها مرفوع ، والصدق والحق وما صاحبهما مخفوض ، وقد نصب الصديق عندك ، ولكن غرضا يرشق بسهام الغيبة ، وعلما يقصد بالوقية ، ولست بالعروضى ذى اللبجة فأعرف قدر حذقك فيه ، إلا أنى لا أراك تتعرض لكامل فيه ، ولا وافر ، ولينك سبحت في بحر الجحش حتى تخرج منه إلى شط المتقارب .

وفي فصل منها أيضا :

وهبى سكت لدعواك سُكوتَ متعجب ، ورضيت رِضاَ متسخط ،
أيرضى الفضلُ اجتذابك بأهداه ، من يدي أهليه وأصحابه ، وأحسبك لم تراحم
خطابه ، حتى عرفت ذلة نقره وقلة بصره ، فاصدقنى هل أشدك :

لو بأباين جاء يخطبها ضرج ما أنف خاطب بدم^(١)

وليت شعرى بأى حلى تصدّيت له ، وأنت لو تتوجت بالثريا ، وقلدت
قِلادة الفلك ، وتمنّطت بمنطقة الجوزاء ، وتوشّحت بالحجرة لم تكن إلا عطلا ،
ولو توشّحت بأنوار الربيع الزاهر ، وسرّجت جبينك غرة البدر الباهر ،
ما كنت إلا عطلا ، سيما مع قلة وفانك ، وضمف إخائك ، وظلمة ماتصرف
فيه من خصالك ، وتراكم الدجى على ضلالك ، وقد ندمت على ما أعترتك من
ودى ، ولكن أى ساعة مندم ، بعد إفناء الزمان فى ابتلائك ، وتصفحى
حالات الدهر فى اختيارك ، وبعد تضييع ما غرسته ، ونقض ما أسسته ، فإن
الوداد غرس إذا لم يوافق ترى نريا ، وجوا عذيا^(٢) ، وما رويًا ، لم يروج
زكاؤه ، ولم يجر نماؤه ، ولم تنفتح أزهاره ، ولم تجن نماره ، ولبت شعرى ، كيف

(١) هذا بيت لمهلل بن ربيعة أخى كليب بن ربيعة ، وقبل هذا البيت قوله :

أنكحها فقدمها الأرقم فى جنب ، وكان الحياء من آدم

يقول ذلك فى ابنته وقد زوجها ممن لم يره كفتا (م) (٢) جوا عذيا : طيب الهواء (م)

ملك الضلال قيادي حتى أشكل على ما يحتاج إليه المزوجان ، ولا يستغنى عنه المتألفان ، وهما مازجة طبع ، ومواقفة شكل وخلق ، ومطابقة خيم^(١) وخلق ، وما وصلتنا حال تجمعنا على ائتلاف ، وحمقنا من اختلاف ، ونحن في طرفي ضدّين ، وبين أمرين متباعدين ، وإذا حصلت الأمر وجدت أقل ما بيننا من البعاد ، أكثر مما بين الوهاد والتجادر^(٢) ، وأبعد مما بين البياض والسواد ، وأيسر ما بيننا من الففار أقل [ما بيننا من النضار ، وأكثر ما] بين الليل والنهار ، والإعلان والإسرار

[حسن التآقي للأمور]

قال أسد بن عبد الله لأبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ، قرط الخيلاء ، وهيبة العزة ، وظل الخلافة ، يكف عن الطلب من أمير المؤمنين إلا عن إذنه ، فقال له : قل ، فقد والله أصبت ممتلك الطلب ؛ فسأل حوائج كثيرة قضيت له .

وقال عمرو بن نهيك لأبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ، قد حضر خدمك الإعظام والهيبة عن ابتدائك بطلياتهم ، وما عاقبة هذين لهم عندك ؟ قال : عطاء يزيدم حياة ، وإكرام يكسوم هيبة الأبد

قال عيسى بن علي : ما زال المنصور يشاورنا في أمره حتى قال إبراهيم بن هرمة فيه : إذا ما أراد الأمر ناجى ضميره فناجى ضميراً غير مختلف العقل ولم يشرك الأدين في جل أمره إذا اختلفت بالأضعفين قوى الحبل

فقر في ذكر المشورة

المشورة إقح العقل ، ورائد الصواب ، وحزم التدبير . المشاورة قبل المساورة . والمشورة عين الهداية .

(١) الخيم - بكسر الخاء - الطبع والسجية (م)

(٢) الوهاد : جمع وهدة ، وهي ما انخفض من الأرض ، والنجاد : جمع مجد ،

وهو ما ارتفع من الأرض (م)

ابن المعتز : من رضى محاله استراح ، والمستشيرُ على طرف النجاح .
وله : من أكثر المشورة لم يعدم في الصواب مادحاً ، وفي الخطأ عاذراً .
بشار بن برد : المشاور بين إحدى الحسينين : صواب يفوزُ بثمرته
أو خطأ يُشارك في مكروهه ، وقال :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستمعنْ بقزم نصيحٍ أو مشورة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غصاصةً فإن الخوافي قوة للقوادم^(١)
وما خير كفت أمسك الفل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخلّ الهوينى للضعيف ولا تكنْ نؤوماً فإن الحرّ ليس بنائم
وأذن إلى القرب المقرّب نفسه ولا تشهد النجوى امرأ غير كاتم
فإنك لا تستطرد الفم بالمنى ولا تبلغ العليا بغير المسكارم

دخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب في حمالات لزمته فقال : أيها
الأمير ، قد عظم شأنك أن يُستعان بك أو يستعان عليك ، ولست تفعل شيئاً
من المعروف إلا وأنت أكبرُ منه ، وليس العجبُ من أن تفعل ، بل العجبُ
من ألا تفعل ؛ فقضاها .

[تاريخ الكتب والرسائل]

استخلص القاضي أبو خليفة الفصلُ بن حباب الجمحيُّ رجلاً للأنس به ، فقال :
أعبرني بأبي وأعود ، قال : ما أفعل ، إيناسك وعد ، وإيحاك نقد ، وكان أبو خليفة
من جلة المحدثين ، وله حلاوة معنى ، وحسن عبارة ، وبلاغة لفظ . قال الصولي : كاتبُ
أبا خليفة في أمور أرادها فأغفلتُ التاريخ منها في كتابين ، فكتب إلى بعد نفوذ
الثاني : وصل كتابك - أعزك الله - مُبهم الأوان ، مُظلم المكان ، فأدى خيراً ما القرب

(١) الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، والقوادم : عشر ريشات

في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش ، تغطي الخوافي (م)

فيه بأولى من البُعد؛ فإذا كتبت — أكرمك الله تعالى! — فلتكن كتبك مرسومة بتاريخ؛ لأعرف أدنى آثارك، وأقرب أخبارك، إن شاء الله تعالى؛ وقال بعض الكتاب: التاريخ عمودُ اليقين، ونافى الشك، به تُعرف الحقوق، وتُحفظُ اليهود.

وقال رجل لأبي خليفة سلم عليه: ما أحسبك تعرف نسبي، فقال: وجهك يدلُّ على نسبك، والإكرامُ يمنع من مسألتك، فأوجد لي السبيل إلى معرفتك.

وسأل أبو جعفر المنصور قبل أن تُفرضَ إليه الخلافةُ شيبان بن شيبان، فانتسب له فعرفه أبو جعفر، فأثنى عليه وعلى قومه، فقال له شيبان: بأبي أنت وأمي! أنا أحبُّ للعرفة واجبك عن المسألة، فتبسّم أبو جعفر وقال: لطف أهل العراق! أنا عبد الله بن محمد [بن علي] بن عبد الله بن العباس، فقال: بأبي أنت وأمي: ما أشبهك بنسبك؛ وأدلك على منصبك.

فقر وأمثال، يتداولها المال

الولاية حلوة الرضاع مرّة الفطام. غبارُ العمل خيرٌ من زعفران العطلة.

ابن الزيات: الإرجاف مقدمة السكون.

عبد الله بن يحيى: الإرجاف رائد الفتنة.

حامد بن العباس: غرسُ البلوى، يثمر الشكوى.

أبو محمد المهلبى: التصرف أعلى وأثنى، والتعطل أضنى وأعنى.

أبو القاسم صاحب: وَعَدُّ السَّكْرِيمِ، أَلْزَمُ مِنْ دَيْنِ الْفَرِيمِ.

ابن المعتز: ذلُّ العزْلِ يضحك من تيه الولاية. وقال:

كَمْ تَانَهُ بِ— وِلَايَةٍ وَيَعَزَلُهُ رَكْضَ الْبَرِيدِ

سُكْرُ الْوِلَايَةِ طِيبٌ وَخَمَارُهَا صَفِيٌّ شَدِيدٌ

وقال : من ولى ولاية فتاه فيها فأخبره أن قدره دونها . العزل طلاق الرجال
وحيض العمال . وأنشدوا :

وقالوا العزل للعمال حَيْضٌ لحاهُ اللهُ من حَيْضٍ بَقِيضٍ
فإن يكُ هكذا فأبو عليٍّ من اللأى يئسُن من الحَيْضِ
منصور الفقيه :

يا مَنْ تولى فأبدي لنا الجفا وتبَدَّلْ
أليس منك سَمِينًا من لم يمتْ فسُيُعزَلْ
وقال أيضاً :

إذا عَزَلِ المرءَ واصَلتهُ وعند الولايةِ أَسْتَكْبِرُ
لأن المولى له نَحْوَةٌ ونفسى على الذلِّ لا تُصْبِرُ

[من ترجمة منصور الفقيه ، وأخباره]

ومنصور هذا هو منصور بن إسماعيل بن عيسى بن عمر التيمي^(١) ، وكان يتفقه
على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وهو حلو المقطعات ، لا تزالُ تندر له
الآيات مما يُسْتَتَرَفُ معناه ، ويُستحلى مغزاه ، [ويبقى ثنائه] ، وهو القائل لما
كفَّ بصره :

مَنْ قال ماتَ ولم يَسْتَوْفِ مُدَّتَهُ لعظم نازلةٍ نالتهُ معذور
وليس في الحكم أن يحيا فتى بلغت به نهاية ما يخشى القاديرُ
فقل له غيرَ مُرتابٍ بفعلته أو سوءِ مذهبه : قد عاش منصورُ
وعتَبَ على بعض الأشراف ، وكانت أمه أمةً قيمتها ثمانية عشر ديناراً ، فقال :
من فاتني بأبيه ولم يفتني بأمة

ورام شستى ظلماً سكت عن نصف شتمه
وقال :

لو قيل لي خذ أماناً من حادث الأزمان
لما أخذت أماناً إلا من الإخوان
وقال :

رضيت بما قسم الله لي وفوضت أمري إلى خالقي
كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي
وقال :

لو كنت منتفعاً بملكك مع مواصلة الكبائر
ماضراً شرب السم واءلم أن شرب السم ضائر
وقال :

إذا القوت تأتي لك والصحة والأمن
وأصبحت أخوا حزن فلا فارقك الحزن

ورأيت له في أكثر النسخ - على أن أكثر الناس يرويه لإبراهيم بن المهدي ، وهو الصحيح - :

لولا الحياء وأنت مشهور والعيب يملق بالكبير كبير
لحلت منزلنا الذي نحتله ولكن منزلنا هو المهجور^(١)

وهذا كقول صاحب أبي القاسم :

[دعوتني عينك نحو الصبا دعاء يكرر في كل ساعة
فلولا وحقك عذر المشيب لقلت لعينيك سمعاً وطاعة

(١) هذا وجه ضعيف في العربية ، وهو أن تجعل « هو المهجور » جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب خبر كان ، والفصحح أن تجعل « هو » ضمير فصل و« المهجور » بالنصب على أنه خير كان ، نحو قوله تعالى : (كنت أنت الرقيب عليهم) .

وقال ابن دريد في معنى البيت الأول فأحسن :

إِذَا رَأَيْتَ امْرَأً فِي حَالِ عُسْرَتِهِ مَصْأَفِيًّا لَكَ مَا فِي وَدَّهِ خَلَّالٌ
فَلَا تَمَنَّ لَهُ أَنْ يَسْتَفِيدَ غِنًى فَإِنَّهُ بَانْتِقَالِ الْحَالِ يَنْتَقِلُ

[تغير الحال ، بكثرة الأموال]

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق قد نالته عُسرة ، ثم ولي عملاً ، فأتاه محمد قاضياً حقاً ومسلماً عليه ، فرأى منه [نبوة و] تغيراً ، فكتب إليه :

لَئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أُنَالَتْكَ ثَرَوَةً وَأَصْبَحْتَ ذَا يُمْرٍ ، وَقَدْ كُنْتَ ذَا عُسْرٍ
لَقَدْ كَشَفَ الْإِثْرَاءُ مِنْكَ خِلَافَتًا مِنْ اللُّؤْمِ كَانَتْ تَحْتَ نُوْبٍ مِنَ الْفَقْرِ

وقال أبو العتاهية في عمرو بن مَعْدَةَ ، وكان له خِلاَقٌ قبل ارتفاع حاله ، فلما عَلَتْ رُتْبَتُهُ مع المأمون تغير عليه :

غَنَيْتَ عَنِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ غِنِيَتَا وَضِيْعَتِ عَهْدًا كَانَ لِي وَنَسِيْتَا

وَقَدْ كُنْتُ لِي أَيَّامَ ضَعْفٍ مِنَ الْقَوَى أَبْرَ وَأَوْفَى مِنْكَ حِينَ قَوَيْتَا

تَجَاهَلْتِ عَمَّا كُنْتَ تُحْسِنُ وَصَفُهُ وَمُتَّ عَنِ الْإِحْسَانِ حِينَ حَيَيْتَا

وكتب بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان فيما ينخرط في هذا السلك :

كُنْتُ - أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَأَدَامَ عِزِّي - فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ أُمَّتِي الْخَيْرَ لِلْإِخْوَانِ ،
وَأَسْأَلُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُدِرَّ عَلَيْهِمْ أَخْلَافَ الرِّزْقِ ^(١) ، وَيَمْدِلْهُمُ أَكْنَافَ الْعَيْشِ ، وَيُؤْتِيَهُمْ
أَصْنَافَ الْفَضْلِ ، وَيُوطِنَهُمْ أَكْنَافَ الْعِزِّ ، وَيُنِيلَهُمْ أَعْرَافَ الْمَجْدِ ، وَقَصَارَى الْآلَانِ
أَنْ أَرْغَبَ إِلَى اللهِ تَعَالَى الْأَلَّ يُنِيلُهُمْ فَوْقَ الْكِفَايَةِ ، فَشَدَّ مَا يَطْفُونَ عِنْدَ النِّعْمَةِ
يُنَالُونَهَا ، وَالدرَجَةَ يعلُونَهَا ، وَسَرَّعَ مَا يَنْظُرُونَ مِنْ عَالٍ ، وَيَجْمَعُونَ مِنْ مَالٍ ، وَيَنْسُونَ
فِي سَاعَةِ اللَّدُونَةِ . أَوْقَاتِ الْحَشُونَةِ ^(٢) ، وَفِي أَرْمَانِ الْعَذُوبَةِ أَيَّامِ الْعَمُوبَةِ ، وَلِلْكَتَابِ مَرْيَةَ

(١) الأَخْلَافُ : جَمْعُ خَلْفٍ - بِالْكَسْرِ - وَهِيَ حِمْلَةُ ضَرْعِ النَّاقَةِ (م)

(٢) اللَّدُونَةُ : اللَّيْنُ ، لَدُنَ الشَّيْءِ - مِنْ بَابِ كَرَمٍ - لِدَانَةٌ وَلِدُونَةٌ : لِانِّ .

في هذا الباب ؛ فيندم في الغربة أعوان كما انفرج المشط ، وفي العُظلة إخوان كما
انتظم السَّمطُ ، حتى إذا لحظهم الجدُّ لحظةً تحمقاء بمنشور عمالة ، أو صكَّ جمالة ؛
عاد عامر مودتهم خرابا ، وانقلب شرابُ عهدهم سَرابا ، فما اتسعت دورُهم الاضقت
صدورُهم ، ولا علت قدورُهم إلا خبت بدورهم ، ولا علت أمورُهم إلا أسبلت ستورُهم ،
ولا أوقدت نارُهم إلا انطفأ نورهم . ولا هَمَلت عناقهم إلا فطعت أخلاقهم ، ولا
صلحت أحوالهم ، إلا فسدت أفعالهم ، ولا كثرت مالهم ، إلا قلَّ جاهلهم ، وعزَّ
معروفهم ، وورمت أنوفهم^(١) ، حتى إنهم ليصيرون على الإخوان مع الخطوب خُطبا ،
وعلى الأحرار مع الزمان أُنبا . قُصَّارى أحدهم من الجدد أن ينصب تحته تخته ،
وأن يوطىء استه دسته ، وحسبُه من الشرف دارٌ يصهرج أرضها ، ويزخرف بعضها ،
ويزوِّق سقوفها ، ويعلق شقوقها^(٢) ، وناهيه من الشرف أن تغدو الحاشية أمامه ،
وتحمل العاشية قدَّامه ، وكفاه من الكرم أَلفاظ قفاعية^(٣) ، وثياب قداعية ، يلبسها
ملوما ، ويحشوها لومًا ، وهذه صفة أفاضلهم . ومنهم من يمنحك الودَّ أيام خُشكاره
حتى إذا أخصب جعل ميزانه وكيلاه ، وأسنانَه أكيلاه ، وأنيسه كيسه ، وأليفه رغيه ،
وأمينه يمينه ، ودنانيره سَميره ، وصندوقه صديقه ، ومفتاحه ضجيعه ، وخاتمه خادمه ،
وجمع الدرَّة إلى الدرَّة ، ووضع البدرَّة على البدرَّة ، فلم تقع القطرة من طرفه ،
ولا الدرَّة من كفه ؛ ولا يخرج ماله عن عهدته خاتمه ، إلى يوم ماتمه ، وهو يجمع
لحادث حياته ، أو وارث وفاته ؛ يسلك في القدر كلَّ طريق ، ويبيع بالدرهم ألف
صديق ؛ وقد كان الظنُّ بصديقنا أبي سعيد - أيده الله تعالى - أنه إذا أخصب آوانا
كنفا من ظله ، وحبانا من فضله ، فمن لنا الآن بعدله ؛ إنه - أطال الله بقاءه -
حين طارت إلى أذنه عُقاب المخاطبة بالوزير ، وجلس من الديوان في صدر الإيوان

(١) ورم أنف فلان : كناية عن إظهاره الكبر (م)

(٢) الشقوق : جمع شق - بالكسر - وهو رقيق الثياب (م)

(٣) قفاعية : ذات تشقق

أقضى عُذْرَه السِيَّاسَةَ لِدَيْ ، بتعرض بعض المختلفة إلى ، وجعل يعرضه
 للهلاك ، ويتسبب إليه بمال الأتراك ، وجعلت أ كَاتِبِه مرة واقصده أخرى ،
 وأذكره أن الراكب ربما استنزل ، والوالى ربما عُزِل ، ثم يحف ريق الخجل
 على لسان العذر ، فتبقى الحزازة فى الصدر ، وما يجمنى والشيخ إن كان زَادَهُ
 قولى إلاً علواً فى تحكه ، [وغلواً فى تهكه] وجعل يمشى الجَمْزَى فى ظله ؛
 [ويرأى إلى من علمه] ، فأقول - إذا رأيت ذلَّةَ السُّؤال منى وعزَّةَ الرد
 منه لى - :

قل لى متى فرزنت سُرُ عة ما أرى يا بَيْدِقُ (١)

وما أضيع وقتاً فيه أضفته ، وزماناً بذكره قطعته ، هلم إلى الشيخ
 وشرعته ، فقد نكأ القلب بقرحة ، وكيف أصِفُ حالاً لا يفرغ الدهر
 مَرَوَّةَ حاله ، ولا ينتقض عروة إجلاله ؛ فما أولانى بأن أذكره مجملاً ، وأتركه
 مفصلاً ، والسلام .

رسالة أخرى
 من البديع
 لبعض إخوانه

وكتب إلى بعض إخوانه فى أمر رجل ولى الأشراف :
 فهمت ما ذكرت - أطال الله بقاءك - من أمر فلان أنه ولى الأشراف ،
 فإن يصدق الطير يكن إشاراً على الهلاك ، بأيدى الأتراك ، فلا تحزنك ولا يته
 فالجبل لا يبرم إلا للقتل ، ولا تعجبك خلعتة فالثور لا يزين إلا للقتل ، ولا يبرك
 نفاقه فأرخص ما يكون النُّفْط إذا غلا [وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا] ،
 وكأنى به وقد شنَّ عليه جران العود ، شنَّ المطر الجود ، وقيدله مركب الفجار ،
 من مربوط النجار ، وإنما جرَّ له الحبل ، ليضع كما صفع من قبل ، وستعود تلك
 الخالة إحالة ، وينقلب ذلك الحبل حباله ، فلا يحسد الذئب على الإلية يمطأها
 طعمة ، ولا يحسب الحبُّ ينثر للعصفور نعمة ، [وهبه ولى إمارة البحرين أليس

(١) الفرزان : قطعة فى لعبة الشطرنج (الوزير) لها أهمية عظيمة ، ويقال له
 «العرز» وفرزن : صار فرزاناً ، والبندق : قطعة أخرى هيئة الشان ، واللفظان

مرجه ذلك العقل ، ومصيره ذلك الفضل ، ومنصبه ذلك الأصل . وعصارته ذلك النسل ، وقعيدته تلك الأهل [، وقوله ذلك القول ، وفعله ذلك الفعل ، فكان ماذا ؟ أليس [ما] قد سلب أكثر مما أوتي ، وما عدم أوفر مما غنم ! مالك تنظرُ لى ظاهره ، وتمعى عن باطنه ؟ أكان يعجبك أن تكونَ قعيدتهُ في بيتك ، وبفلتهُ من تحتك ، أم كان يسرك أن تكونَ أخلاقهُ في إهابك ، وبوابه على بابك ، أم كنت تود أن تكونَ وجعاؤه في إزارك ، وغلمانه في دارك ، أم كنت ترضى أن تكون في مربطك أفراسه ، وعليك لباسه ، ورأسك رأسه ؟ جعلت فداك ! ما عندك خيرٌ مما عنده ، فاشكر الله وحده على ما آتاك ، واحده على ما أعطاك ، ثم أنشد :

إن الغنى هو الراضى بعيشته لا من يظلل على الأقدار مكتئبا

[فى البخل]

ألف سهل بن هارون كتاباً^(١) يمدح فيه البخل ويذم الجود ؛ ليظهر قدرته على البلاغة ، وأهداه للحسن بن سهل فى وزارته للامان ، فوقع عليه : لقد مدحت ما ذمه الله ، وحسنت ما قبح الله ، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معنك ، وقد جعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه .

بين سهل
ابن هارون
والحسن بن
سهل

وكان الحسن من كرماء الناس وعقلائهم . سئل أبو العيناء عنه ، فقال : كأنما خلف آدم فى ولده ، فهو ينفع عيالتهم ، ويسد خلتهم ، ولقد رفع اللهُ للدينا من شأنها ، إذ جعله من سكانها

أخذ هذا المعنى أبو العيناء من قول الشاعر :

وكان آدم كان قبل وفاته أوصاك وهو يجود بالخوابه
بنيه أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الأبناء

(١) فى كتاب البخله لاجاظر رساله سهل بن هارون فى البخل ، وقد طبع كتاب البخله فى ليدن ، وطبع فى مصر أربع مرات .

وأخذ أبو الطيب المتنبي آخر كلام أبي العيناء فقال :
 قد شرف الله دُنِيًّا أَنْتَ سَاكِئَهَا وشرفَ النَّاسِ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا
 وقيل للحسن بن سهل : لم قيل : قال الأول ، وقال الحكيم ؟ قال : لأنه
 كلام قد مرَّ على الأسماع قَبْلَنَا ، فلو كان زللاً لما نُقِلَ إلينا مستحسناً .

ومن أمثال البخلاء ، واحتجاجهم ، وحكمهم

أبو الأسود الدؤلي : لا تُجَاوِدِ الله ؛ فإنه أجودُ وأمجِدُ ، ولو شاء ان يوسِّعَ على خَلْقِهِ
 حتى لا يكون فيهم محتاج فعل . وقال : لو أطقنا المساكين في إعطائنا إياهم كنا أسوأ حالاً منهم .
 وقال السكندی : قول « لا » يدفع البلاء ، وقول « نعم » يزيل النعم . وقال :
 سماع الغناء برسام حادٌّ ؛ لأن المرءَ يسمع فيطرب ، فيسمح فيفتقر ، فيغتم فيمرض
 فيموت . وقال لابنه : يا بني ، كن مع الناس كاللاعب بالقمار ، إنما غرضه أخذ
 متاعهم ، وحفظُ متاعه .

وقال [غيره :] مَنَعُ الجميعُ أرضي للجميع . إذا قبِح السؤال حسن المنع .
 وقال عليُّ بن الجهم : من وهب في عمله فهو مخدوع ، ومن وهب بعد العزْلِ
 فهو أحمق ، ومن وهب من جوائز سلطانه أو ميراث لم يتعب فيه فهو مخدول ، ومن وهب
 من ركيسه وما استفاد بحيلته فهو المطبوع على قلبه ، المحتوم على سمعه وبصره .
 ومن إنشاداتهم :

لا تجذُّ بالعطاء في غير حقِّ ليس في مَنع غير ذى الحقِّ بخلُ
 وقال كثير :

إذا المألُ لم يوجب عليك عطاءهُ حقيقةً تقوى . أو صديق ترافقه
 منعت ، وبعض المنع حزمٌ وقوة ولم يفتلتك المال إلا حقائقه^(١)

(١) لم يفتلتك المال : لم يأخذ منك بسرعة ، والحقائق : جمع حقيقة ، والمراد
 بها هنا مصارف المال التي يحق صرفه فيها ، مثل الإعانة على مكرمة ، أو دفع ضائقة ،
 وفي نسخة « ولم يهتمك المال إلا حقائقه » (م)

ابن المعتز:

ياربَّ جُودٍ جَرَّ فَقْرَ امرئٍ فقام للناس مقامَ الدليل
 فاشدُدْ عُرَا مَالِكٍ واستَبِقْهُ فالبُخْلُ خيرٌ من سؤال البخيل
 وكتب بعضُ البخلَاءِ يصفُ بخيلاً: حضرت - أعزَّكَ اللهُ - مائدةَ فلانٍ
 للقدَّرِ المجلوبِ، والحينِ المتَّاحِ^(١)، والشقاءِ الغالبِ، فرأيت أواني تروق العيون
 محاسنُها، ويونقُ النفوسَ ظاهرها وباطنها، وتزهى اللحظات بيدائع غرائبها،
 وتستوفي الشهوات بلطائف عجائبها، مُكَلَّلَةٌ بأحسن من حلي الحسان ووجوهها
 وزهر الرياض ونورها؛ كأنَّ الشمسَ حلت بساحتها، والبدر يغرف من جوانبها
 فددت يداً عنتها الشراهة، وغلبها القدر الغالب، وجرَّها الطمع الكاذب، وإذا
 له مع كسرٍ كل رغيغ لحظة نُسكر، ومع كل لُقمةٍ نظرةٌ شزر، وفيما بين ذلك
 حُرُقٌ قائمة، يصلى بها من حضره من العلمان والحشم، [وقام بين يديه من
 الولدان] والخدم، ومع ذلك فترة المغشى عليه من الموت؛ فلما وضعت الحربُ
 أوزارها برفع الخِوان، وتخلت عنه سماديرُ الفُشيان^(٢)، بسط لسان جهله، ونصر
 ما كان من بخله، ونظر إلى مؤاكلة، نظر المسترقِّ له بأكلته، المالك لخيطِ
 رقبتة! يظنُّ أنه أولى من والديه بنسبته، وأحقُّ بماله، من ولده وعياله، يرى
 ذلك [فضلاً، وحقاً لازماً، وأمرًا واجباً] نزل به الكتابُ والسنة، واتفق عليه
 قضاةُ الأمة، فإن دفعه رد حكم القضاة عليه، وإن سمح به فغير محمود عليه.

فقر لابن المعتز وغيره في الصديق والصدق

إنما سُمِّيَ الصديقُ صديقاً لصدقه فيما يدعيه لك، وسُمِّيَ العدو عدواً لعدوه

(١) أصل الحين - بالفتح - الهلاك، والتاح: المقدر المهيأ (م)

(٢) السمادير: شيء يترامى للسكران بسبب ضعف بصره الناشئ عن السكر،

وهو أيضاً ما يتشاك من دوار أو نعاس (م)

عليك إذا ظنرت بك . علامة الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يتدى بالكتاب ، لا يفسدنك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له . إذا كثرت ذنوب الصديق أتمحق السرور به ، وتسلمت التهم عليه . من لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الأنس أثمرت مودته ندما . نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب . ظاهر العتاب خير من باطن الحقد ، ما حش الود بمثل العتاب .

ترك العتاب - إذا استحق أخ منك العتاب - ذريعة المهجر
وكتب أبو إسحاق الصابي إلى صديق له من الحبس : نحن في الصحة كالنسرين^(١) ، لكنى واقع ، وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويراجع . من قل صدقه قل صديقه . من صدقت لهجته ظهرت حجته . الصادق بين المهابة والحبة . من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه ، ومن تمام الصدق الإخبار بما تحتمل العقول .

[كتاب الحسن بن وهب إلى أبي تمام يصف بلاغته]

وكتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام الطائى : أنت حفظك الله تحخذى من البيان فى النظام ، مثل ما قصد نحن فى النثر من الإفهام ، والفضل لك - أعزك الله - إذ كنت تأ به فى غاية الاقتدار ، على غاية الاقتصار ، فى منظوم الأشعار ، فتحل متعقده ، وتربط متشردة ، وتضم أقطاره ، وتجلو أنواره ، وتفصله فى حدوده ، وتخرجه فى قيوده ، ثم لا تأنى به مهملاً فيستهم ، ولا مشتركا فيلتبس ، ولا متعقدا فيطول ، ولا متكلفا فيحول ؛ فهو منك كالمعجزة تضرب فيه الأمثال ، وتشرح فيه المقال ؛ فلا أعدمنا الله هداياك واردة ، وفوائدك وافدة ، وهى طويلة

(١) النسران : نجران فى السماء ، يقال لأحدهما : النسر الواقع ، ويقال للآخر :

النسر الطائر (م)

وفي هذه الرسالة يقول أبو تمام ، وقد أرى أنه قال ذلك في غيرها :

[لقد جَلَى كِتَابُكَ كُلَّ بَثٍّ جَوٍّ ، وَأَصَابَ شَاكِلَةَ الرِّمِيِّ
فَضَضْتُ خِتَامَهُ فَتَبَلَّجَتْ لِي غَرَائِبُهُ عَنِ الْخَيْرِ الْجَلِيِّ
وَكَانَ أَغْضَرَ فِي عَيْنِي وَأَنْدَى عَلَى كَبْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجُنِيِّ
وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا مِنِّي وَعَنْسَدِي مِنَ الْبُشْرَى أَتَتْ بَعْدَ النَّعْيِ
كَتَبْتُ بِهِ بِلَا لَفْظٍ كَرِيهِ عَلَى أُذُنٍ ، وَلَا لَفْظٍ قَمِيٍّ
وَضُمَّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تَضْمَنْ صَدُورُ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْحَلِيِّ
فَإِنْ تَكُ مِنْ هَدَايَاكَ الصَّفَايَا فَرَبَّ هَدِيَةٍ لَكَ كَالْهَدْيِ
لَنْ غَرَّبَتْهَا فِي الْأَرْضِ بَكْرًا لَقَدْ زَفَّتْ إِلَى سَمْعِ كَفِّي

وقال البخترى في الحسن بن وهب :

وإذا تألق في الندى كلامه المصقول خلت لسانه من عصبه^(١)
وإذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجا في كتبه
باللفظ يقرب فهمه في بعده منأ ، ويبعد نيله في قر به
حكم فسأحها خلال بسانه متدفق وقلبيها من قلبه
كالروض مؤتلق بحمرة ورده وأنيق زهرته وخضرة عشبته
أو كالبرود تخيرت لمتوج من خاله أو وشيه أو عصبه^(٢)
ه كأنها والسمع معقود بها وجهه المحب بدا لعين محبه

أنشد بعض الكتاب هذه الأبيات أبا العباس ثعلبا ، فاستعادها حتى فهمها ،
ثم قال : لو سمع الأوائل هذا ما فضّلوا عليه شعرا .

وقال بعض الكتاب :

(١) خلت : ظننت ، والعصب : السيف القاطع ، ومن عادتهم تشبيه اللسان
بالسيف ، وانظر إلى قول حسان * لساني وسيفي صارمان كلاهما * (م)
(٢) الخال ، هنا : ضرب من البرود ، والوشى : أصله نقش الثوب ، وسمى
به نوع من الثياب ، والعصب - بالفتح - برد يصنع غزله ثم ينسج (م) .

ورسالة أفاظها في النظم كالذرة النثرين
 جاءت إليك كأنها المستوفيق في كل الأمور
 بأرق من شكوى وأحس من حياة في سرور
 لو واجهت أعشى لأصبح وهو ذو طرف بصير
 فكأنها أمل سرى من بعد يأس في السرور
 أو كالفقيد إذا أتت لقدمه بشرى البشير
 أو كالنمام لساهر أو كالأمان لمستجير
 كتبت بحبر كالتوى أو كغر نغمي من كفور
 فكأنما هو باطل ما بين حقٍ مُستبّر

وقال أحمد بن أبي العباس بن ثوبة :

في كل يوم صدور الكتب صادرة
 من رأيه وندى كفيه عن مثل
 عن خطه أقلامه يجرى القضاء على
 كل الخلائق بين البيض والأسل^(١)
 كأن أسطره في بطن مهرقه
 نور يضحك دمع الوا كيف الخضل^(٢)
 لعابه على والصدر ينفثها
 وربما كان فيه النفع للعلل
 كالنار تعطيك من نور ومن جرق
 والذهر يعطيك من غم ومن جدل^(٣)
 وقال آخر :

مدادٌ مثل خافية الغراب
 ورقٌ مثل رراق السراب
 وأقلام كأرواح الجوارى
 وألفاظ كأيام الشباب

[مثل من بلاغة عمرو بن مسعدة]

قال أحمد بن يوسف : دخلت على المأمون ، وفي يده كتاب ، وهو يعاود
 قراءته مرة بعد مرة ، ويصعد فيه بصره ويصوبه ؛ فالتفت إلى وقد لحظني في

(١) البيض : السيوف ، والأسل : الرماح (م)

(٢) المهرق : الصحيفة يكتب فيها ، والوا : كف : المطر الغزير ، والخضل : بفتح

فكسر - الندى (م) (٣) الجدل : السرور (م)

أنباء قراءته الكتاب، فقال: أراك مُفَكِّراً فيما تراه مني! فقلت: نعم، وفي الله أمير المؤمنين المخاوف! قال: لا مكروه إن شاء الله، ولكنني قرأتُ كتاباً وجدته نظير ما سمعت الرشيد يقوله عن البلاغة، فإني سمعته يقول: البلاغة التباعد من الإطالة، والتقرب من البغية، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وما كنتُ أتوهمُ أن أحداً يقدر على هذه البلاغة حتى قرأت هذا الكتاب من عمرو بن مسعدة إلينا فإذا فيه:

كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من الأجناد والقواد في الطاعة والانتقاد على أحسن ما تكون عليه طاعة جندٍ تأخرت أعطياتهم، واختلت أحوالهم! ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه [المسألة في الإخبار]، وإعفائه سلطانه من الإكثار. ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر.

وفي عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي (١):

أعني على يارق ناصب	خفي كوخيك بالحاجب
كان تألقه في السماء	يدا كاتب أويدا حاسب
فروى منازل تذكارها	يهتج من شوقك الغالب
غريب يحسن لأوطانه	ويبكي على عصره الذاهب
كفاك أبو الفضل عمروالندى	مطالعة الأمل الكاذب
وصدق الرجاء وحسن الوفاء	لعمر بن مسعدة الكاتب
عريض الفناء طويل البنا	في العز والشرف الثاقب
بني الملك طود له بيته	وأهل الخلافة من غالب
هو المرتجى لصروف الزمان	ومعتصم الراغب الراهب
جواد بما ملكت كفه	على الضيف والجار والصاحب

(١) روى أبو عبيد القاسم (الأمل ١/١٨٠ الدار) البيتين الأول والثاني مع بعض تغيير في أولها ولم ينسبهما، ونسبهما البكري في اللآلي (٤٤٠) لعبد الله بن العباس ابن الفضل بن الربيع بن يونس.

بِأَذْمِ الرِّكَابِ وَوَشَى الثِّبَا
تَوَمَلُهُ الْجِسَامِ الْأُمُورِ
خَصِيبِ الْجَنَابِ مَطِيرِ السَّحَابِ
يُرَوِّى الْقَنَا مِنْ نَحْوِ الْعَدَا
بِشِمَتِهِ لَيْنِ الْجَانِبِ
وَيُفْرِقُ فِي الْجُودِ كَاللَّاعِبِ (١)
حِرَاجِيحٍ فِي مَهْمِهِ لِأَحِبِّ (٢)
تَزَايِلٍ مِنْ بَرَدٍ حَاصِبِ
وَيَقْضِيهِنَ مِنْ حَقِّكَ الْوَاجِبِ
بِسَجَلٍ لِقَوْمٍ وَمِنْ خَارِبِ (٣)
وَيَسْبِقُ مَسْأَلَةَ الطَّالِبِ
وَكَمْ نَلْتِ بِالْحُتْفِ مِنْ هَارِبِ
وَفَضْلٌ مِنَ الْمَانِعِ الْوَاحِبِ
أَفْضَلُ مَكْسَبَةِ الْكَاسِبِ
وِظَنُّكَ يُخْبِرُ بِالْغَائِبِ
وَهَذَا الشَّعْرُ يَتَدَقَّقُ طَبَعًا وَسَلَاةً .

[الكلام الجيد الطبع ، والكلام المصنوع]

قلت : والكلام الجيد الطبع مقبول في السمع ، قريب المثال ، بعيد المنال ،
أنيق الديباجة ، [رقيق الزجاجة] ، يدنو من فهم سامعه ، كدنوّه من وهم
صانعه ، والمصنوع مثقف الكعوب ، معتدل الأنوب ، يطرد ماء البديع على
جنباته ، ويجول رونق الحسن في صفحاته ، كما يجول السحر في الطرف الكحيل ،

(١) في نسخة « ويعرق في الجود كاللاعب » وما أثبتناه أوضح (م)

(٢) حراجيح : جمع حرجوج ، وهي السمينة الطويلة من النوق أو الشديدة

الضامرة ، واللاحب : الواضع (م)

(٣) في نسخة « والله ما أنت من خابر » وفي أخرى « والله ما أنت من خابر » وما أثبتناه

خير منهما جميعاً (م)

والأثرُ في السيف الصقيل ، وحمل الصانع شعره على الإكراه في العمل وتنقيح
المباني دون إصلاح المعاني يعني آثار صنعته ، ويطفيء أنوار صيغته ، ويخرجه إلى
فساد التعسف ، وقبُح التكلف ؛ وإلقاء المطبوع بيده إلى قبول ما يبعثه هاجسه ،
وتنفته وساوسه ، من غير إعمال النظر ، وتدقيق الفكر ، يخرجه إلى حدّ المشهر
الرث ، وحبّز القيث ؛ وأحسن ما أجرى إليه ، وأعوّل عليه ، التوسط بين
الحالين ، والمنزلة بين المنزلتين ، من الطبع والصنعة .

وقد قال أعرابي للحسن البصرى : علمنى ديناً وسيطاً ، لا ساقطاً سقوفاً ،
ولا ذاهباً فروطاً ، قال الحسن : أحسنت ، خيرُ الأمور أوساطها . والبحترى عن
هذا القوس ينزع ، وإلى هذا النحو يرجع .

قد تم - بحون الله تعالى وتوفيقه - الجزء الثالث من كتاب « زهر الآداب ،
وتمر الألباب » لأبى إسحاق الحصرى ، ويليّه - إن شاء الله تعالى - الجزء الرابع
مفتتحاً بقول المؤلف « ومن التسعر الذى يجرى مع النفس قول ابن المعتز بمدح
المكتفى » نسأله سبحانه أن يوفق إلى إكماله .

فهرس الجزء الثالث من كتاب

« زهر الآداب ، وثمر الألباب »

لأبى إسحاق الحصرى

فهرس الجزء الثالث من كتاب

« زهر الآداب، وثمر الألباب » لأبي إسحاق الحصرى

الموضوع	ص	الموضوع	ص
إسحاق يصف المغنى المجيد	٦٤١٢	نبد لأهل العصر تجرى في المدح	٥٩٩
من ترجمة إسحاق الموصلى . وشعره	—	مجرى الأمثال	٦٣٨
استطراد فيما قيل من الشعر في جمال	٦٥٠	نبد من مفردات الأبيات في فرائد	—
الدوائب	—	للدح	٦٣٩
وحدة القصيدة وآساقها	٦٥١	بين إبراهيم الموصلى وموسى الهادى	٦٤٠
السرفى الابتداء بالنسب	٦٥٤	بين الإسكندر ودارا بن دارا	—
موازنة بين أبى تمام والبحترى عن	٦٥٥	حكيم يصف أحزم الملوك	—
الخاصمى	—	أنوشروان يصف سياسة الدولة	٦٤١
أثر الغناء والجمال	٦٦٢	واصل بن عطاء يصف أخلاق السفلة	—
عكاشة بن عبد الصمد البصرى	٦٦٣	ما يبلغ بالإنسان أقصى درجات الفضل	—
بعض ما قيل في وصف القيان من	٦٦٥	أحزم رأى	—
الشعر	—	حكيم يصف خلال الفضل	—
من ترجمة على بن عبد الرحمن (أبى	٦٦٧	بزجرهم يصف الروءة ونحوها	—
الحسن بن يونس)	—	وصية معاوية لزياد حين ولاء العراق	—
لابن المعتز فى المرأة	—	من كلام البلغاء فى ذكر السلطان	٦٤٢
لكشاجم يصف المرأة	٦٦٨	للصاحب بن عباد	—
الأفلام	٦٦٩	لأبى إسحاق الصابى	—
كتاب من عبيد الله بن طاهر إلى	—	للخوارزمى	—
إسحاق بن إبراهيم يستهديه أفلاما	—	لأبى الفتح البسقى	—
جواب إسحاق على كتاب عبيد الله	٦٧٠	لأبى الفضل بن العميد	—
لمنصور بن عمار يصف القلم	٦٧١	لأبى الطيب التنبى	٦٤٤
للنجيرمى فى وصف القلم	—	بين ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان	—
من أخبار النجيرمى	٦٧٣	لعويىف القوافى بمدح طلحة بن عبيد الله	٦٤٥
لمحمدان الدمشقى يصف قلمًا	—	للقطامى بمدح عبد الواحد بن سليمان	—
وصف القلم الصالح للكتابة للعتابى	—	نسب عبد الواحد بن سليمان	٦٤٦
من ترجمة العتابى وأخباره وشعره	٦٧٤	نزلة شعر القطامى	٦٤٦
من آداب آل وهب : الحسن بن	٦٨٠	نغم الألفاظ ونغم الألحان	—
وهب ، وسليمان بن وهب	—	بين مخارق وأبى العتاهية	٦٤٧
من كلام أهل العصر فى ذم الكتابة	٦٨٣	إسحاق الموصلى يصف جارية المعتمص	—

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٦٨٤	وصف الكلام لعتبة بن أبي سفيان	٢٠٦	بين أحمد بن المعدل وأخيه
٦٨٥	الناشيء يصف شعره	٢٠٧	أخذ أحمد بن المعدل للصلة
—	من فصل للناشيء في الشعر	٢٠٨	القطامي يهجو امرأة من محارب
٦٨٦	لمؤلف الكتاب في الشعر	٢٠٩	أم عبد الصمد بن المعدل
٦٨٧	للخليل بن أحمد يصف الشعراء	—	لأبي حكيمة في الرقيق
—	بين أعرابي وشاعر من أبناء الفرس	٢١٠	لأبي شراة يمدح بني رياح
٦٨٨	لعارة بن بختيل ، وللجاحظ	٢١١	لابن المعدل في إبراهيم بن رياح
—	لبشار وقد مدح المهدي فلم يحزه	—	صفات عبد الصمد بن المعدل
—	خالد بن صفوان يصف جريرا	٢١٣	من شعر أبي حكيمة راشد بن إسحاق
٦٨٩	بين العجاج وعبد الملك بن مروان	٢١٤	بين الرشيد وعبد الملك بن صالح
—	المقامة القريضية للبديع	٢١٥	عبد الملك بن صالح
٦٩٢	المقامة الغيلانية للبديع	—	لابن الرومي يمدح الحقد
٦٩٤	قمر في الشعر	٢١٧	بين مسلمة بن عبد الملك والعباس
٦٩٥	من مفردات الأبيات في الشعر	—	ابن الوليد
٦٩٦	الأحنف بن قيس	—	رجع إلى أخبار عبد الملك بن صالح
٦٩٧	نسب الأحنف بن قيس	٢١٩	بين الرشيد والحسن بن عمران
٦٩٨	كلام للأحنف في مجلس معاوية	—	بين الرشيد ويزيد بن يزيد
—	صفة الأحنف	٢٢٠	مختار مما قيل من الشعر في الرثاء
—	ذكر الأحنف للنبي فاستغفر له	٢٢٢	قطر الندى والحليفة المعتضد
٦٩٩	مما وصف به الأحنف	٢٢٣	لابن المعتز يرنى ابن ثوابة
—	جارية لآل المهلب والأحنف	٢٢٤	أيام الشباب ، وما قيل فيها من الشعر
—	وفود الأحنف على معاوية	٢٢٥	من ترجمة علي بن بسام ، وأخباره
٧٠٠	ابن الرومي يذكر حق الشاعر عبيد الكرام	٢٢٦	بين المأمون وأحمد بن خالد
٧٠١	وفاة الأحنف وزناء امرأة إياه	—	بين المأمون ومحمد بن داود في حسن الخط
٧٠٢	المعتصم ومحمد بن وهيب	—	رأفة المأمون بعماله
٧٠٣	منصور التمرى والعتابي	٢٢٨	بين يزيد بن معاوية وجميل بن أوس
٧٠٤	تقديم الرشيد للتمري	—	من أقوال الحكماء عند وفاة الاسكندر
٧٠٥	التمري رافضى		
٧٠٦	أبناء المعدل ، أحمد بن المعدل		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
ألفاظ لأهل العصر في وصف الاستطالة والكبر	٢٦٦	جملة من كلام ابن المعتز في ذكر السلطان	٢٢٩
من بديع الزمان يشكو القاضي الحيرى	٢٢٠	من كلام أهل العصر في هذا النحو	٢٣٠
للبيدع في ذكر العلم	٢٢٣	وصف جارية كاتبة	٢٣١
من مفردات الأبيات في المعانيب	٢٢٤	وصف غلام كاتب	—
قولهم في اللحن وتعلم العربية	٢٢٥	من بديع الزمان لابن العميد	—
لوعة الشوق	٢٢٦	بين البيدع وأبي القاسم الهمداني	٢٣٢
بنو عذرة	٢٢٩	من مقامات بديع الزمان	٢٣٣
وصف الحسان	٢٧٩	نما قيل في وصف فص وخاتم	٢٣٤
وصف الهوى ، وأمره	٢٨٠	مفاضلة بين الكلام والصمت	٢٣٥
بعض ما جاء في العفاف	٢٨١	الحنين إلى الأوطان وبعض ما قيل فيه	٢٣٦
ألفاظ لأهل العصر في وصف النساء	٢٨٤	ألفاظ لأهل العصر في وصف الأمكنة	٢٤١
ولهم في وصف العلمان والمعدنين	٢٨٥	ولهم في ضد ذلك	٢٤٢
ولهم في تقيض ذلك في ذم خروج اللحية	٢٨٧	ولهم في وصف الفلاع والحصون	—
من رسائل بديع الزمان	—	ولهم في صفات الدور والقصور	٢٤٣
المقامة الأسيديّة، لبديع الزمان	٢٨٩	من رسائل الميسكالي وشعره	—
لأبي فراس الحمداني ينزل	٢٩٣	لكشاجم يصف شعما	٢٤٨
لابن المعتز في الغزل	٢٩٤	لابن الرومي يذكر رجلا متلوننا	—
لأبي نواس في وصف يوم شرب	—	وصف أبي الفضل الميسكالي للمطوعى	٢٤٩
لأبي العباس الناشيء	٢٩٥	ابن أبي دواد بين يدي الواثق	٢٥٠
لأبي خراش الهدلي	—	من صفة ابن أبي دواد وأخباره	٢٥١
رثاء أبي خراش لأخيه	٢٩٦	بن أبي العتداء وابن أبي دواد	٢٥٢
لابن الرومي	٢٩٧	قطعة من شعر الأعراب في الغزل	٢٥٢
لأبي نواس	—	زيارة طيف الخيال	٢٥٤
وصف الدمن والأطلال	—	عقال بن شبة بين يدي المنصور	٢٥٩
لأهل العصر في وصف الديار الحالية	٢٩٩	زهير وهرم بن أبي سنان	—
بعض ما قيل في طول الليل	٨٠١	فضل الشعر	٢٦١
لأهل العصر في طول الليل	٨٠٤	من أخبار أبي تمام	٢٦٢
ولهم في ضد ذلك	٨٠٥	استنجاز أعرابي موعدة	٢٦٣
		معاوية بن يسار وبعض أخباره	٢٦٤

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أبو الصقر وصاعد بن مخلد	٨٤٣	٨٠٥ ولهم في ذكر النوم والنعاس	
أبو العيناء وابن أبي ثوبة	٨٤٤	٨٠٧ من بديع الشعر في وصف الليل	
— من مكارم أبي الصقر	—	٨٠٨ أخو الصفاء قريب	
أبو الصقر وأبو العيناء	—	٨١٠ بعض ما قيل في وصف النجوم	
أبو العيناء يذم ابن الحصيب	٨٤٥	٨١٣ من وصف الشراب في الليل	
أبو بكر سيويو، المصري وأهل مصر	٨٤٦	٨١٦ المختار من شعر تميم بن المعز	
رجع إلى أبي العيناء	٨٤٨	٨١٩ عود إلى وصف النجوم	
كلمات لأبي العيناء	٨٤٩	٨٢١ أجل ما قال العرب من الشعر	
— المختار مما قيل في الرثاء.	—	٨٢٢ لأهل العصر في طلوع الشمس وغروبها	
لأهل العصر في التعازي	٨٥٥	٨٢٣ المقامة الكوفية ، لبديع الزمان	
المقامة الأهوازية ، لبديع الزمان	٨٦٠	٨٢٤ من رسائل بديع الزمان	
من رسائل بديع الزمان	٨٦٢	٨٢٦ جملة من كلام ابن المعتز في الفصول القصار	
من رسائل الصابي	٨٦٤	٨٢٧ رثاء المعتضد وتعزيتة	
لابن الرومي	٨٦٥	٨٢٩ من شعر ابن المعتز	
— بين أبي الغتاهية وابنه	—	٨٣١ أبو شجاع عضد الدولة	
قفر من كلام المتصوفة	٨٦٦	— الموفق العباسي	
الرأى والهوى	٨٧١	٨٣٣ صاحب الزنج	
— من البدائث في مجالس الخلفاء	—	٨٣٦ لابن يامين في سيف عمرو بن	
أحوال السفاح	٨٧٢	معد يكرب الزبيدي	
لمعني بن أوس	٨٧٤	٨٣٧ للبحثري يصف سيفا	
من رسائل ابن العميد	٨٧٦	— لابن هاني يصف سيف المعز	
حسن التأتى للأمرور	٨٨٠	٨٣٨ وفد الشام بين يدي المنصور	
قفر في ذكر المشورة	٨٨٠	— بعض ما قيل في العفو	
تأريخ الكتب والرسائل	٨٨١	— تميم بن جميل السدوسي والمعتصم	
قفر وأمثال يتداولها العمال	٨٨٢	٨٤٠ من المعتصم إلى عبد الله بن طاهر	
من ترجمة منصور الفقيه	٨٨٣	٨٤١ الخليفة المعتصم	
من بديع الزمان لابن المرزيان	٨٨٥	٨٤٢ كعب بن معدان يصف للحجاج	
من البديع لبعض إخوانه	٨٨٧	بني المهلب	
بين سهل بن هارون والحسن بن	٨٨٨	٨٤٣ بشر بن مالك يصف للحجاج بني	
سهل		المهلب أيضا	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٨٨٩	من أمثال البخلاء واحتجاجهم	٨٩٣	مثل من بلاغة عمرو بن مسعدة
٨٩٠	فقر لابن المعتز في الصداقة	٨٩٤	للتيمى في عمرو بن مسعدة
٨٩١	كتاب الحسن بن وهب إلى أبي تمام يصف بلاغته	٨٩٥	الكلام الجيد الطبع ، والكلام المصنوع
٨٩٢	للبحترى في الحسن بن وهب		

والحمد لله واسع الفضل ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
نبيه المصطفى ، وعلى آله وصحبه وعترته .

زَهْرُ الْأَبْيَابِ

وتمر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني
المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم
الدكتور زكي مبارك

الجزء الرابع

حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه

محمد بن عبد الحميد

دار الجيل

بيروت - لبنان

تبعثت - لبنان
ص. ب. ٨٧٢٧

الطبعة الرابعة

الحمد لله كِفَاءَ نِعْمَائِهِ ، والشكر له على آلائِهِ ، وصلواته وسلامه
على الصَّفْوَةِ من أنبيائه ، وعلى آله وصحبه وأوليائه

[نماذج من الشعر الجيد]

لابن المعتز

ومن الشعر الذى يجرى مع النفس قول ابن المعتز يمدح المكتفى ؛ إذ قدم
من الرقة بعد القبض على القرمطى فقال :

لا ورمّان النهود فوق أغصانِ القدود^(١)
وعناقيد من أصدا غ وورد من خُدود
وبدور من وجوه طالعات بالسعود
ورسول جاء بالميد ماد من بعد الوعيد
ونعيم من وصال فى قفا طول الصدود^(٢)
ما رأت عيني كظبي زارنى فى يوم عيد
فى قبَاء فاختيّ السلون من لبس الجديد^(٣)
كلما قاتل جنديّ بسيف وعمود
قاتل الناس بعينين وخذين وجيد^(٤)
قد سقانى الخمر من فيه على رغم الحسود

(١) « زمان النهود » و « أغصان القدود » كلاهما من إضافة المشبه به إلى المشبه : أى النهود التى كالرمان ، والقدود التى كالأغصان ، مثل « ذهب الأصيل » و « لجين الماء » (م)

(٢) « فى قفا طول الصدود » أى بعده (م)

(٣) القباء - بفتح القاف ، بزنة السحاب - ثوب يلبس فوق الثياب ، وقيل : ثوب يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه ، ويجمع على أقبية ، وفاختى : منسوب إلى الفاخحة واحدة الفواخت ، وهى من ذوات الأطواق من الحمام ، قيل لها ذلك لونها ، فإن لونها يشبه الفخت ، الذى هو ضوء القمر (م)

(٤) الجيد - بكسر الجيم - العنق (م)

وتعاقنا كأننا وهو في عقدي شديد
 تفرع النفر بشعر طيب عند الورود
 [مثل ما عاجل برد قطر مزن بجمود
 سحرا من قبل أن ترجع أرواح الوفود
 ومضى يخطر في المشى كجبار عنيد]
 مرحباً بالملك القا دم بالجد السعيد
 يا مدل البغي يا قا تل حيات الخفود
 عش ودوم في ظل عيش خالد باق جديد
 فلقد أصبح أعدا وك كالزراع الحصيد
 ثم قد صاروا حديثاً مثل عاد وحمود
 جاءهم بحر حديد تحت أجبال بنود
 فيه عقبان خيول فوقها أسد جنود
 وردوا الحرب فدوا كل خطي مديد^(١)
 وحسام شره الحد إلى قطع الوريد^(٢)
 ما لهذا الفتح يا خير إمام من نديد^(٣)
 فاحمد الله فإن الحمد مفتاح المزيد

وقول علي بن الخليل مولى يزيد بن يزيد الشيباني وكان يرمى بالزندقة ، قال لعل بن الخليل
 أمام الرشيد
 الفضل بن الربيع : جلس الرشيد يوماً للمظالم ، فجعلت أتصفح الناس ، وأسمع
 كلامهم ، فرميت بطرفي ، فرأيت في آخرهم شيخاً حسن الهيئة والوجه ما رأيت
 أحسن منه ؛ فوقف حتى تقوض المجلس^(٤) ثم قال : يا أمير المؤمنين ، رقتي ؛ فأمر
 (١) الخطي : الرمح ، نسبة إلى الخط ، وهو مرفأ للسفن تجلب إليه الرماح ،
 ومديد : طويل (م)

(٢) الوريد : عرق في العنق (م) (٣) نديد : مثيل وشبيه (م)
 (٤) تقوض المجلس : انقض أهله ، وأصله « تقوض البناء » بمعنى تهدم (م)

بأخذها ، فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي بقراءتها ؛ فأنا أحسنُ تعبيراً
 خلطى من غيرى - فقال له : اقرأ ، فقال : شيخ ضعيف ، ومقام صعب ، ولا آمنُ
 الاضطراب ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يصلَ عنايته بأمرى في الإذن بالجلوس
 فصل ، فقال : اجلس ، فجلس وأنشأ يقول :

ياخيرَ من وخذت بأرحله	نُجِبُ الركابِ بمَهْمَةٍ جَلِسِ (١)
تطوى السباسبَ في أزمتهَا	طَى التَّجَارِ عَمَامَ البرسِ (٢)
لمأرأتك الشمسُ طالعة	سجدتُ لوجهك طلعة الشمسِ
خيرُ البرية أنت كلهم	في يومك الغادى وفي الأمسِ
وكذاك لن تنفك خيرهمُ	تمسِي وتصبح فوق ما تُمسِي
لله ماهرون من ملك	عفَّ السريرة طاهر النفسِ
تمت عليه لربه نعمٌ	تزداد جدتها مع اللبسِ
من عترة طابت أرومتها	أهل العفاف ومنتهى القدسِ
متهللين على أسرتهِم	ولدى الهياج مصاعبُ شمسِ (٣)
إني لجأتُ إليك من فزع	قد كان شرّدتني ومن لبسِ
لما استخرتُ الله مجتهداً	يمتُّ نحوك رحلة العنسِ (٤)
واخترتُ حلك لا أجازه	حتى أعْيَبَ في ثرى رمسِي
كم قد سریت إليك مُدّرعا	ليلا يمجُّ كحالك النّمسِ (٥)
إن راعني من هاجسِ فزعٍ	كان التوكّل عنده ثرىسِي
ماذاكَ إلاّ أنتى رجلٌ	أصبوا إلى ففر من الإنسِ

- (١) وخذت : من الوخذ ، وهو ضرب من السير السريع ، والنجب : جمع
 نجيب ، والمهمة : الصحراء ، وجلس : غليظ ، يريد أن السير فيه يشق على سالكيه (م)
 (٢) تطوى : تقطع ، والسباسب : جمع سبب ، وهى الأرض المستوية البعيدة ،
 والبرس - بالكسر - القطن (م) (٣) مصاعب : جمع مصعب ، وهو من الإبل
 القدى تصعب مقادته ، وشمس : جمع أمس ، وهو الآبى النافر الممتنع (م)
 (٤) العنس : الناقة الصلبة (م) (٥) النقس - بالكسر - الحبر (م)

بيض أوانس لا قرون لها يمتلن بالتطويل والحبس
وأجاذب الفتيان بينهم صفراء مثل مجاجة الورس
للماء في حافاتها حبب نظم كرقم صحائف الفرس
والله يعلم في بنيته ما إن أضعت إقامة الخمس^(١)

قال : ومن تكون ؟ قال : على بن الخليل ، الذي يقال إنه زنديق ، فقال له : أنت آمن ، وأمر له بخمسة آلاف درهم .

وأشد أبو العباس المبرد لرجل يصف دعوة دعا بها الله عز وجل ، وقد رأيتها وصف دعوة في شعر محمد بن حازم الباهلي :

وسارية لم تسر في الأرض تبتغي محلاً ، ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تُحَدِّ الركب ولم تُنخ لورد ، ولم يقصر لها القيد مانع
تمر وراء الليل والليل ضارب بجثمانه فيه سمير وهاجع
إذا وردت لم يزدد الله وفدها على أهلها ، والله راء وسامع
تفتح أبواب السموات دونها إذا قرع الأبواب منهن قارع
وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع

[من مستحسن الأجوبة]

ودخل رجل [من شيبان] على معن بن زائدة ، فقال : ما هذه الغيبة ؟ بين معن بن زائدة ورجل من شيبان
الأمير شديداً ، وهو دون ما يجب له ، وذكري له كثيرا ، وهو ذون قدره ،
ولكن جفوة الحجاب ، وقلة بشر الغلمان ، منعاني من الإتيان ! فأمر بتسهيل
إذنه ، وأجزل صلته .

وقال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة : كبرت يا معن ! قال : في طاعتك بين المنصور
يا أمير المؤمنين ، قال : إنك جلد^(٢) ، قال : على أعدائك ، قال : وإن فيك لبقية ، قال :

(١) الخمس : أراد الصلوات الحسن المفروضة (م)

(٢) جلد : قوى شديد الاحتمال (م)

هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأى الدولتين أحب إليك ؛ هذه أم دولة بني أمية ؟
قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلى .
[من ترجمة معن بن زائدة ، وأخباره]

ومعن هذا هو معن بن زائدة بن عبد الله [بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو أخى الحوفزان بن شريك بن عمرو بن قيس] بن شرحبيل بن منبه بن مرة ابن ذهل بن شيبان ، وبنو مطر بيت شيبان ، وشيبان بيت ربيعة .

وكان معن أجود الناس ، وفيه يقول مروان بن أبي حفصة ويعم بنى مطر :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في غيل خفان أشبل^(١)
هم يمنعون الجار حتى كأننا لجارهم بين السما كين منزل
ولا يستطيعُ الفاعلون فعالمهم وإن أحسنوا فى الثابتات وأجلوا
بهاليل فى الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم فى الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا جابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
أخذ البيت الأول ابن الرومى ، وزاد فيه ، فقال :

تلقاهم ورمح الخط بينهم كالأسد ألسها الأجام خفان

[الرأى والشجاعة]

أنى قوم من العرب شيخا لهم قد أربنى على الثمانين ، وأهدف على التسعين^(٢) ،
فقالوا : إن عدونا استاق سرحنا ، فأشر علينا بما ندرِك به الثأر ، وننقى به العاد ،
فقال : الضعفُ فسح همتى ، ونكت إبرام عزيمتى ، ولكن شاوروا الشجعان من
ذوى العزم ، والجنباء من ذوى الحزم ؛ فإن الجبان لا يألو برأيه ما يبق مهجكم ،
والشجاع لا يألو برأيه ما يشيد ذكركم ، ثم اخلصوا من الرأى بنتيجة تبعد عنكم
معرفة نقص الجبان ، وتهور الشجعان ، فإذا نجم الرأى على هذا كان أنفذ على
عدوكم من سهم الصائب ، والحسام القاضب .

(١) الغيل - بكسر الغين - موضع الأسد ، وخفان : مكان مشهور بالأسود ،
والأشبل : جمع شبل - بالكسر - وهو ولد السبع (م)
(٢) أهدف على التسعين : قاربها وأشرف عليها (م)

لابن أبي حفصة
فى بنى مطر
قوم معن

[قضاء الله وعدله]

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخاصمه : والله لو صور الجهل لأظلم معه النهار ، ولو صور العقل لأضاء معه الليل ، وإنك من أفضلهما لمعدم ؛ فخف الله ، واعلم أن من ورائك حكما لا يحتاج المدعى عنده إلى إحضار البينة .

[بنو كليب]

قال الفرزدق يهجو كليباً :

ولو يُرْمَى بلوؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسارى
ولو لبس النهار بنو كليب لدنس لؤمهم وضح النهار

[من جيد كلام الأعراب]

دعاء أعرابي
بعرفة

وقال سفيان بن عيينة : سمعت أعرابياً يقول عشية عرفة : اللهم لا تحرمني خيراً ما عندك لشرِّ ما عندي ، وإن لم تتقبل تعبي ونصه ، فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته .

عتاب بين
صديقين

وقال آخر منهم لصديق استبطأه فلامه : كانت لي إليك زلةٌ يعنى من ذكرها ما أملت من تجاوزك عنها ، ولست أعتذرُ إليك منها إلا بالإقلاع عنها .
وقال آخر لابن عم له : والله ما أعرف تقصيراً فأقلع ، ولا ذنباً فأعتب ، ولست أقول : إنك كذبت ، ولا إنني أذنبت .
وقال آخر لابن عم له : سأخطي ذنبك إلى عذرك ، وإن كنت من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شك ، لتتمَّ النعمة مني إليك ، وتقوم الحجة لي عليك .
وأصيب أعرابيُّ بابن له فقال - وقد قيل له : اصبر - أعلى الله أتجلد ، أم في مصيبتى أتبلد ؟ والله للجزع من أمره أحبُّ إلى الآن من الصبر ! لأن الجزع استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد .

ودعا أعرابي فقال : اللهم إني أعوذُ بك أن افتقرَ في غناك ، أو أضلَّ في هدَاك ، أو أذلَّ في عزك ، أو أضام في سلطانك ، أو أضطهد والأمر إليك .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يَعِظُ رجلاً وهو يقول : وَيَحْك ! إن فلانا وإن ضحكك إليك ، فإنه يضحك منك ، ولئن أظهر الشفقة عليك ، إن عقابه لتسرى إليك ؛ فإن لم تتخذهُ عدواً في علائبتك ، فلا تجعله صديقاً في سريرتك .
سمع أعرابي رجلاً يقعُ في السلطان ، فقال : إنك عُقْل لم تسمك التجارب ، وفي النصيح لسمعُ العقارب ، كأني بالضحك إليك ، وهو باك عليك .

وحذر بعضُ الحكماء صديقاً له صحبه رجل ، فقال : احذر فلانا فإنه كثيرُ المسألة ، حسن البحث ، لطيف الاستدراج ، يحفظُ أول كلامك على آخره ، ويعتبرُ ما أخرت بما قدّمت ، فلا تظهرن له الخفاة فيرى أن قد تحرّزت ؛ واعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر ، فبائنه مائة الآمن ، وتحفظ منه تحفظ الخائف ؛ فإن البحث يظهر الخفي الباطن ، ويُبدي المستكن السكّان .

أتى أعرابي رجلاً لم يكن بينه وبينه حرمة في حاجة له ، فقال : إني امتطيتُ إليك الرجاء ، وسرّيتُ على الأمل ، وراققت الشكر ، وتوسّلت بحسن الظن ، لحقق الأمل ، وأحسن التوبة ، وأكرم الصّفد^(١) ، وأقم الأود^(٢) ، وعجّل السراح^(٣) .
قال الأصمعي : وسمعتُ أعرابياً يقول : إذا ثبتت الأصول في القلوب ، نطقت الألسنة . لفروع ! والله يعلم أن قلبي لك شاكر ، ولساني ذاكر ، ومحال أن يظهر الودّ المستقيم ، من الفؤاد السقيم .

ومدح أعرابي رجلاً ، فقال : إنه ليغسل من العار وجوها مسوّدّة ، ويفتح من الرأي أبواباً منسودة .

وقال أعرابي :

كم قد ولدتم من رئيس قسورٍ دامي الأظافر في الخميس المنمطر
سدّكت أنامله بقائم مرهف [وبنشر فائدة وجذوة منبّر

(١) الصّفد : العطاء ، وهو بفتح الصاد والفاء جميعاً (م)

(٢) الأود - بالتحريك - الاعوجاج (م) (٣) السراح : الفكّ (م)

ما إن يريد إذا الرماحُ تشاجرتُ
يلقى السيوفَ بوجهه وبنجره [
ويقول للطرفِ اصطبرِ لشباً القنأ
وإذا تأمل شخصَ ضيفٍ مقبلٍ
أومئى إلى الكوماء هذا طارق
وقال :

قامت تصدَّى له عمداً لغفلته
جيداء ربدأء لم تعقد قلائدَها
فراح كالحائم الصديان ليس له
وقال آخر :

ومكتماتٍ بعد وهن طرفنى
دسسن رسولاً ناصحاً وتلوته
فبت أعاطيهنَّ صرفَ صباية
فيا وجد قلبى يوم أتبعته ناظرى
بأردية الظلماء ملتحفاتٍ
على رقيةٍ منهنَّ مستتراتٍ
وبئنَّ على اللذات معتكفاتٍ
سليمى وجادتُ بعدها عبراتى

وقال الأحنف بن قيس : من لم يستوحش من ذلِّ المسألة لم يأنف من الرد .
وقال سفيان الثوري لأخ له : هل بلغك شيء مما تكرهه عن لا تعرف
قال : لا ، قال : فأقلل ممن تعرف .

أخذه ابن الرومي ، فقال :

عدوئك من صديقك مُستفاد
فإنَّ الداءَ أكثر ما تراه
فأقلل ما استطعت من الصحاب
يكون من الطعام أو الشراب
فدع عنك الكثير فكم كثير
يعاف ، وكم قليل مستطاب ؟

(١) في نسخة « سربال ليل أغبر » وهو الذى أحفظه (م)

(٢) الكوماء : الناقة العظيمة السنام (م)

وما اللُّجَجُ المِلاحُ مَرَوِّياتٍ وَيُلْفِي الرِّمَى فِي التُّغَفِّ المِذابِ

[جُمَلٌ من ألوان المديح]

وقال رجل لخالد القسري: والله إنك لتبذل ماجلًا، وتجر ما نفلًا، وتكثر ما قلًا؛ ففضلك بديع، ورأيتك جميع، تحفظ ما شدًا، وتؤلف ما ندًا. وسئل أعرابي عن قومه، فقال: يقتلون الفقير، عند شدة القر، وأرواح الشتاء، وهبوب الجربياء^(١)، بأسنة الجزور، ومترعات القدور، تهش وجوههم عند طلب المعروف، وتعبس عند لمان السيوف. ووصف أعرابي قوما فقال: لهم جود كرام آتعت أحوالها، وبأس ليوث تبمها أشبالها، وهمم ملوك انفسحت آمالها، وفجر آباء شرفت أحوالها. وقال خالد بن صفوان، وقد دخل على بعض الولاة: قدمت فأعطيت كلاً بقسطه من نظرك [ومجلسك]، وصوتك، وعدلك، حتى كأنك من كل أحد، وحتى كأنك لست من أحد.

وذكر خالد رجلاً فقال: كان والله بديع المنطق، ذلق البراة، جزل الألفاظ، عربي اللسان، ثابت العقدة، رقيق الحواشي، خفيف الشفتين، بليل الريق، رحب الشرف، قليل الحركات، خفي الإشارات، حلو الشائل، حسن الطلاوة، حياً جرياً، قوولا صموتا، يفل الحز، ويصيب المفاصل، لم يكن بالهذر في منطقه، ولا بالزمر في مروءته، ولا بالخرق في خليقته، متبوعاً غير تابع، كأنه علم في رأسه نار.

وقال بعض البلغاء لرئيسه: إن من النعمة على المُنْتَبِي عليك أنه لا يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ، ولا يخاف الإفراط، ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب، ولا ينتهي به المدح إلى غاية إلا وجد في فضلك عوناً على تجاوزها. ومن سعادة جدك أن الداعي لا يعدم كثرة المشايخين، ومساعدة النية على ظاهر القول.

(١) الجربياء: ريح الشمال، أو بردها، أو هي ريح بين الشمال والجنوب (م)

الفاظ لأهل العصر ، في ضروب المباح

قد وضعت كثرة التجارب، في يدهِ مرآة العواقب. قد نجدته صرفُ الدهور،
 وحنكته مصائرُ الأمور. قد أرضعته الحنكة بلبانها، وأدبته الذرّبة في إبانها.
 فلان نوازلُ التجارب حنكته، وفودحُ الأيام عرّكته. هو عارف بتصاريف
 [الأيام، آخذُ برهان التجارب، نافذ في مجال التحصيل والتميز. قد صحب الأيام،
 وتولّى] النقض والإبرام. هو ابنُ الدهر حنكةً وتجريباً، وعوداً على الدهر صليبا،
 قد أدبه الليلُ والنهار، ودارت على رأسه الأدوار، واختلفت به الأطوار. له همة
 علا جناحها إلى عنان النجم. وامتدّ صباحها من شرق إلى غرب، لا يتعاطمه إشراف
 الأمر إذا أخطره بفكره، وانتساف الصخر إذا ألقاه في وهمه، هيمته أبعده من مناط
 الفرقد، وأعلى من منكب الجوزاء. أوسع من الأرض ذات العرض. هو حى القلب،
 منشرح الصدر، ذكيُّ الذهن، شجاعُ الطبع، ليس بالنؤوم ولا السؤوم، قد فرّد،
 وأسدورّد، وكان له في كل جارحة قلبا. كأن قلبه عين، وكان جسمه سمع.
 شهابٌ مقدّم، وقيدحٌ مقوم. [وهو شهيم] مشدود النطاق، قائم على ساق، قيد
 جد واجتهد، وحشر وحشد، شمر عن ساق الجدا أطاق، قدركب الصعب والذلول،
 وتجشّم الحزن والسهول، وقطع البر والبحر، وأعمل السيف والرمح، وأسرج
 الدّم والشهب^(١). هو مولود في طالع الكمال، وهو جملة الجمال. قد أصبح عين
 المكارم، وزين الحافل. هو فرّد دهره، وشمس عُصره، وزبنُ مِصره، وهو علم
 الفضل، وواسطة عقد الدهر، ونادرة الفلك، ونكتة الدنيا، وغرة العصر. قد
 بايعته يدُ المجد، ومالت به الشورى إلى النصر. فلان يزيدُ عليهم زيادة الشمس
 على البدر، والبحر على القطر. هورائشُ نبيلهم، ونبئة فضلهم، وجمّة وزدهم،

(١) أسرج : وضع السرج ، والدم : جمع أدم ، والشهب : جمع أشهب ،
 والدمية والشهبة من ألوان الخيل (م)

وواسطة عقدهم . هو صدْرُهُمْ وِبدْرُهُمْ ، ومن عليه يدورُ أمرُهُمْ ، يُنِيفُ عليهم
إنافة صفحة الشمسِ على كُرَّةِ الأرضِ ، كأنهم فلك هو قُطْبُهُ ، وجسده هو قَلْبُهُ ،
وملوك هو رُبُّه . هو مشهور بسيادتهم ، وواسطة قِلادتهم . موضعه من أهل الفضل
موضع الواسطة من العِقد ، وليلة التَّمِّ من الشهر ، بل ليلة القَدْرِ إلى مطلع الفجر .
أفْضَلُ وأنعم ، وأسدى في الإحسان وألحم ، وأسرج في الإكرام وألجم ، قسم من
إنعامه ما يسعُ أمما ، وتلقى السعادة أمما ^(١) ، أعطاء عنان الأهتمام ، حتى استولى على قَصَبِ
المرام . رُدَّ عنه الدهرُ أحصَّ الجِناح ^(٢) ، وملَّكه مَقَادَةَ النجاح . أولاه من معهود
البرِّ وألوفه ، وقصَّرت الأعداء عن مِثائِهِ وألوفه . أولاه إسعافا سمحا ، وعطاء سحبا ،
ومننا صفواً وعفواً . أفاض عليه شِعَابُ البرِّ ومَسَائِلُهُ ، وجمع له شعوبَ الجليل وقبائله ،
وهطلت عليه سحائبُ عنايته ، ورفرفت حوله أجنحةُ رعايته . قد فكك بكرمه من
قَيْدِ السُّؤال ، ومعرَّة الاختلال . رآشه بعد ما حصَّه الفقر ، وأرضاه وقد أسخطه
الدهر . ملأ العيون ، وسهر دوننا لتحقيق الظنون . قد شمتُ من كرمِهِ أكرم
سحاب ، وحصلت من إنعامه في أخصبِ جَنابِ . قد سدُّ نَمَّةَ حالي ، وأدرَّ حَلْوِيَّةَ
آمالِي . ما أخلو من طَلِّ إحصانه ووابله ، وغابر إنعامه وقابله . قد استمطرتُ منه
بنوهُمُ خَيْرِ . وسريتُ في ضوءِ قمر منير . قد كركتُ من برِّهِ في مَشَارِعِ تغزُر ولا
تنزُر ، ورفلتُ من طَوْلِهِ في ملابس تطول ولا تقصُر . إقامته في ظلِّ ظليل ، وفضلُ
جزيل ، وريحِ بليل ، ونسيمِ عليل ، وماءِ رَوِيٍّ ، ومهادِ وطِيٍّ ، وكنِّ كنين ،
ومكِّنِ مكين . أنا آوى إلى ظِلِّهِ كما يأوى الطير المذعور إلى الحرم ، وأواجه منه وَجْهَ
الحجاء بصورة الكرم . أنا من إنعامه بين خير مستفيض ، وجاهٍ عريض ، ونعم بيض .
قد استظهرت على جَوْرِ الآيامِ بَعْدَ لِه ، واستترتُ من دهرى بظِلِّهِ . ما أرددُ فيه طَرَفِي

(١) أمما - بفتح الهجزة والميم - قريبا (م)

(٢) « أحص الجناح » كناية عن الضعف (م)

وأعدّ من خالص ملكي منتسبٌ إلى عطائه، أو مكتسبٌ بحميل آرائه . مسافة بصرى
تبعدين سافرتُ في مواهبه، وركائب فكري تطلّح^(١) إن أنصيتهما في استقراء صنائعه .
نعمته نعمة عمّت الأمم، وسبقت النعم، وكشفت الهموم ورفعت الهمم، نعمه قد سطع
صباحها مستثيراً، وطلب شعاعها مستطيراً، قد عرفتني نعمته حتى استنفدت شكرَ
لساني ويدي وأتعبت ظهري، وملأت صدري . نعمته عندي مشرقة الجو، مغرقة
النوء، موقنة الضوء . تتابعتْ نعمته تتابع القطر على القفر، وترادفتْ مننه ترادفَ
الغنى إلى ذوى القفر . نعمه أشرفتْ بها أرضي، ومطّرَ بهار وضي، وورى لها زندي،
وعلا معها جدّي، وأتاني الزمانُ يعتذرُ من إساءته، وجاءني الدهرُ ينتظرُ أمرى .
نعمته أنعمت البالَ، ومررت النفس والحال . نعم تعمّ عمومَ المطر، وتزيدُ عليه
بإفراذ النفع عن الضرر . نعم تَضَعُ الخواطر عن التماسها، وتَصْغُرُ القرائح عن
اقتراحها . له أيادٍ قد عمّت الآفاق، ووسمت الأعناق، وأيادٍ قد حبست عليك الشكر،
واستعبدت لك الحر . مِن تَوَالَتْ تَوَالَى القَطْر، واتسعت سعة البرِّ والبحر، وأنقلت
كاهل الحرِّ . عندي قلادة ممتظمة من مننه قد جعلتها وقفاً على محور الأيام، وجلوتها
على أبصار الأنام . أيادٍ يقصر عن حتموقها جهدُ القول، وتزهو فيها سواطع الإنعام
والطول . أياديه أطواق في أحياد الأحرار، وأفلاك تدورُ على ذوى الأخطار . له مِن
تضعف عن تحملها عواتق الأطواد، ويتضاعفُ حملها على السمع الشداد، لو تحمل
الثقلان ثقلَ هذا الامتنان لأنقل كواهلهم وأضعف عواتقهم . أيادٍ يفرض لها الشكر
ويحتم، ومن يبتدأ بها الذكر ويحتم . أيادٍ تنقل الكاهل، ومن تتعب الأنامل .
مِن تَضَعُ مَنَ الشكر^(٢)، وينشر معها قوى النشر، من هي أحسن أثر من الغيث
في أزاهير الربيع، وأحلى موقعاً من الأمن عند الخائف المروع . إن أتعبت نفسي في

(١) تطلّح : تعي وتضعف وتسل (م)

(٢) من الأولى جمع منة بمعنى العطية وهي بكسر الميم، ومن الثانية جمع منة

بمعنى القوة وهي بضم الميم (م)

تعداد مننه وحصرها فسأطعم في إحصاء السحاب وقطرها . أباد لا تحصى أو تحصى
 محاسن النجوم ، ومنن لا تحصر أو تحصر أقطار الغيوم . أباد كعدد الرمل والنمل ،
 أعيت على العدى ، ولم تقف عند حد . زادت أياديه حتى كادت تجهد الأعداد ،
 وتسبق الإعداد . أياديه عندي أغزر من قطر المطر ، وعوارفه لدى أسرع من رجع
 البصر . رفعتني من قعر التراب ، إلى سملك السحاب . استنبطه من الحضيض الأوهد ،
 إلى السناء الأجد ، وقد نبهة عن خمول ، وأجرى الماء في عوده بعد ذبول ، ورقاه
 إلى ذروة من المجد بعد نزول . فضائل تزل أقدام النجوم لو وطئتها ، وتقصر همم
 الأفلاك لو طلبتها ، ثبت قدمه في المحل المنيف ، ومكنه من جوامع التشریف .
 جذب بضبعه من المسقط المنحط ، إلى المرفع المشتط .

ولهم في أدعية من صدور الكتب تليق بهذه الأثنية والمباح

أطال الله له البقاء ، كطول يده بالعطاء ، ومد له في العمر ، كمتداد ظله على الحر ،
 وأدام له المواهب ، كما أفاض به الرغائب ، وحرس لديه الفضائل ، كما عوذب الشائل^(١) .
 تولى الله عنى مكافأته ، وأعان على الخير نيته وفعله ، وأصبح بقاءه عزاً يبسط يديه
 لأوليائه على أعدائه ، وكلاءة تذب عن ودائع مننه عنده^(٢) ، وزاد في نعمه وإن عظمت ،
 وبلغه أماله وإن انفسحت ، ولا زال الفضل يأوى منه إلى ركن منيع ، وجناب
 مريع . لازالت الألسن عليه بالثناء ناطقة ، والقلوب على مودته متطابقة ، والشهادات
 له بالفضل متناسقة . لازال يعطف على الصادر والوارد ، عطف الأم والوالد . أبقاه
 الله للجميل يعلى معاملته ، ويحمي مكارمه ، ويعمر مدارجه ، ويشمر نتائجه . أدام
 الله أيامه التي هي أيام الفضائل ومواقيتها ، وأزمان المآثر وتواريحها . أدامه الله

(١) الشائل : جمع شمال ، وهي هنا الخصلة والجلبة والطبيعة ، وقال الشاعر

* وما لوى أخى من شماليا * (م)

(٢) الكلاءة : الرعاية والحفظ ، وتذب : تدفع (م)

للمواهب ، سامية الذوائب ، موفية على منية الراجي وبقية الطالب . أبقاء الله
 للعتاء يفضيه بين خدمه ، والجمال يُفِيضُهُ على إنشاء نعمه ، والله يتابع له أيام العلاء
 والتعبطة ، والنماء والبسطة ، ليرتفع أنواع الخدم في رياض فواضله ، وَيَكْرَعُ
 أصنافُ الحشم في حياض مواهبه ، والله يبقيه طويل الذراع ، مديد الباع ،
 ملياً بالاتصال^(١) والاصطناع . جزاه الله عن نعمة هيأها بعد أن أسبغها ،
 وعارفة مآلها^(٢) بعد أن سوغها . أفضل ما جازى به مبتدىء إحسان ، ومجبر
 إنسان ، لا زال مكانه مضافاً^(٣) للكرم ، معانا للنعم ، لا تريمه للمواهب ،
 ولا ترومه النوائب ، بسطت بالعلا يده ، وقرن بالسعادة جده ، وجعل خير يوميه
 غده ، ولا زالت الأيام والليالي مطاياها ، في أمانيه وآماله [وأيامه] ، وصرف
 صروف الغير عن إصابة إقباله وكاله .

وقال ابن المعتز في القاسم بن عبيد الله :

أيا حاسداً يكوى التلهف قلبه إذا ما رآه غازياً ونشط عسكر
 تصفح بنى الدنيا فهل فيهم له نظير ترى ثم اجتهد وتفكر
 فإن حدثتكَ النفس أنك مثله بنجوى ضلال بين جنبيك مضمر
 فجد ، وأجد رأياً ، وأقدم على العدا وشدة عن الإثم المآزر وأضبر
 وعاص شياطين الشباب وقارع النوائب وارفع صرعة الضر واجبر
 فإن لم تطق ذافعذر الدهر واعترف لأحكامه واستغفر الله يغفر

[منزلة صناعة الكلام]

قال الجاحظ : صناعة الكلام علق نفيس ، وجوهر ثمين ، هو الكنز
 الذي لا يفتنى ولا يبلى ، والصاحب الذي لا يميل ولا يقلى ، وهو العيار على كل

(١) في نسخة « ملياً بالإفضال » .

(٢) في نسخة « وعارفة حلالها » .

(٣) مصانا : موضعا للصون ، ومعانا : موضعا للعون ، ولا تريمه : لا تبرحه .

صناعة ، والزمام لسكل عبارة ، والقسطاس الذي به يستبين نقص كل شيء ورُجحانه ، والراووق الذي يُعرفُ به صفاه كل شيء وكدره ، والذي كلُّ علمٍ عليه عيال ، وهو لكلِّ تحصيل آلةٌ ومثال

وقال ابن الرومي :

ما عُدُّرُ معتزليٍّ مُوسرٍ منعتُ
كفاه مُعتزلياً مثله صفداً^(١)
أزرعُهم القدرَ المحتومَ ثبَّطه
إن قالَ ذاكَ فقد حلَّ الذي عَقدا

وقال [ابن الرومي] :

لذوى الجدال إذا غدوا لجدالهم
حُججٌ تضلُّ عن الهدى وتجوُّرُ
وهُنُّ كما نية الرُّجاج تصادمت
فهوتُ ، وكلُّ كاسرٍ مكسورُ
فالقَاتِلُ المقتولُ ثمَّ لِضعفه
ولو هبَّيه ، والأسرُ للأسورُ

وقال أبو العباس الناشيء يفتخرُ بالكلام :

ونحن أناسٌ يُعرفُ الناسُ فضلنا
بألسننا زينتُ صدورُ المحافلِ
تُنيرُ وجوهُ الحقِّ عندَ جوابنا
إذا أظلمتْ يوماً وجوهُ المسائلِ
صمتنا فلم نتركْ مقالا لصامتِ
وقلنا فلم نتركْ مَقالا لِقائلِ
وقال يصفُ أصحابه :

فلو شهدت مقاماتي وأنديتي
يومَ الخصاصِ وماءِ الموتِ يطرُدُ
في فتيةٍ لم يلاقِ الناسُ مذُوجِدوا
لهم شبيهاً ولا يلفون إن فقدوا^(٢)
مجاوروا الفضلَ أفلاكُ العلاسِبلِ
تقوى محلَّ الهدى محمدُ النهي الوطدُ
كأنهم في صدورِ الناسِ أفئدةٌ
تحسُّ ما أخطئوا فيها وما عمدوا
يُبيدون للناسِ ما تحفَى ضمائرهم
كأنهم وجدوا منها الذي وجدوا
دَلُّوا على باطنِ الدنيا بظاھرِها
وعلم ما غابَ عنهم بالذي شهدوا
مطالعِ الحقِّ ما منْ شُبُهَةٌ غسقتُ
إلا ومنهمُ لدينا كوكبٌ يقْدُ^(٣)

(١) الصدق - بالتحريك - العطاء .

(٢) يلفون : يوجدون .

(٣) غسقت : أظلمت .

وقال سعيد بن حميد :

قالت : اكتبم هوائى واكن عن اسمى بالعزير المهيمين الجبَّار
قلت : لا أستطيع ذلك ، قالت : صرت بعدى تقولُ بالإخبار
وتخلّيت عن مقالة بشر بن غياث لمذهب النجَّار

وقال أبو القاسم بن عباد صاحب :

كنتُ دهرأ أقولُ بالإستطاعة وأرى الجبَّز ضلَّةً وسناعة
ففتقدت استطاعتى فى هوى ظبى ؛ فسمعا للمجبرين وطاعة

وقال أيضا :

ولما تناءت بالحبيب دياره وصرنا جميعا من عيان إلى وهم^(١)
تمكّن منى الشوق غير محالس كعتزلى قد تمكّن من خصم

[بعض ما قيل فى النسب]

وأشدّ محمد بن سلام بعض هذه الأبيات التى أنشدها ، وزعم أنها لأبى كبير
الهدلى ، ورؤيت ليزيد بن الطّبرية وغيره ، والرواة يدخلون بعض الشعر فى

بعض ، وهى :

عَقِيلِيَّةٌ ، أَمَا مَلَاثُ إِزَارِهَا فَوْعَثُ ، وَأَمَا خَصْرُهَا فَبَيْتِيلُ^(٢)
تَفَيِّظُ أَكْنَافَ الْحَمَى ، وَيُظِلُّهَا بِنَعْمَانَ مِنْ وَادَى الْأَرَاكِ مَقِيلُ
فِيَا خُلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا لَنَا مِنْ أَخْلَاءِ الصَّفَاءِ خَلِيلُ
وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ ، لَمْ يُطْعَمْ لَهُ عَدُوٌّ ، وَلَمْ يُؤْمَرْ عَلَيْهِ دَخِيلُ
أَمَا مِنْ مَقَامِ أَشْتَكَى غُرْبَةَ الذُّوَى وَخَوْفَ الْعِدَا فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلُ
أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةٌ إِنْ نَظَرْتُمَا إِلَيْكَ ؟ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ

(١) عيان - بكر العين - معاينة ومشاهدة .

(٢) عقيلية : منسوبة إلى عقيل ، وملاث إزارها : الموضع الذى يدار عليه

الإزار ، وبقيل : دقيق هضم كأنه منقطع عما تحته وما فوقه ، وفى نسخة « فد عص »

وإن عناء النفس - مادمت هكذا
أراجعةٌ قلبي على فرائح
فلا تحملي وزري وأنت ضعيفةٌ
فياجنة الدنيا ، ويا مُنتهى المنى
فديتك ، أعدائي كثير ، وشقتي
وكنت إذا ما جئتُ جئتُ بعلّة
فأكل يوم لي بأرضك حاجةٌ
وأنشد ابن سلام لأبي كبير الهدلي :

وإني لمستسقي لها الله كلما
سحاب لا من صيب ذي ضواغق
ولا مخلفات حين هجن بنسمة
إذا ما هبطن القاع قد مات نبتة
لوى الدين مُقتلٌ وشحَّ غريمُ
ولا مُحرقَاتٍ ماؤهن حميمُ
إليهن هوجاءُ المهبِّ عقيمُ
بساكن به حتى يعيش هشيمُ

[عمران بن حطان والحجاج]

ولما ظفر الحجاج بعمران بن حطان الشاري^(١) قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة ،
فقال عمران : لبئسما أدبك أهلك يا حجاج ! كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني
به ؟ أبعث الموت منزله أصانعك عليها ؟ فأطرق الحجاج استحياء ، وقال : خلوا
عنه ؛ فخرج إلى أصحابه ، فقالوا : والله ما أطلقك إلا الله ، فارجع إلى حربته
معنا ، فقال : هيهات ! غلّ يداً مُطْلِقها ، واسترق رقبةً مُعْتَقها ! وأنشد :
أأقاتل الحجاج عن سلطانهِ . بيدٍ تُقِرُّ بأنها مولاته ؟
إني إذا لأخو الدّائة ، والذي عفت على عرفانه جهلاته

(١) الشاري : واحد الشراة ، وعم الخوارج ، زعموا أنهم شروا أنفسهم
وأموالهم من الله - أي باعوها - بأن لهم الجنة .

ماذا أقولُ إذا وقتتُ مُوازياً في الصفِّ وأحتجَّتْ له فعَلَاتِه؟
 وتحدَّثتُ الأَكفَاءَ أنَّ صَنَائِعَنَا غُرِسَتْ لَدَيْ فَنَنْظَلَّتْ نَحْلَاتِه
 أقولُ جارِ عَلِيٍّ؟ إني فيكمُ لأحقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وُلَاتِه
 تالله ما كادتُ الأَمِيرُ بِاللَّهِ وجوارحِي وسِلَاحِهَا آلَاتِه

أخذ أبو تمام هذا فقال معتذراً إلى أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافعي :
 أألبسُ هُجْرَ القَوْلِ مَنْ لَوْهَجَّوْتُهُ إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي
 كريم متى أمدَّحَه أمدَّحُه والورَى مَعِي ، وَإِذَا مَلَمْتَهُ لَمَتَهُ وَحَدِي
 وعمران بن حطان هو القائل :

لم يعجز الموتُ شَيْءاً دُونَ خَالِقِهِ والموتُ فَإِنْ إِذَا مَا غَالَهُ الأَجَلُ
 وكلُّ كَرْبٍ أَمَامَ المَوْتِ مُنْقَطِعٌ بالموتِ ، والموتُ فِيمَا بَعْدَهُ جَلَلٌ (١)
 وكان الفرزدقُ عمل بيتنا ، وحلف بالطلاق أنَّ جَرِيْرًا لا يَنْقُضُهُ ، وهو :
 فإني أنا الموتُ الذي هو نازلٌ بِنَفْسِكَ فَانظُرْ كَيْفَ أَنْتِ مُحَاوِلَةٌ
 فاتصل ذلك بجرير ، فقال : أنا أبو حزرَةَ ، طَلقتُ امْرَأَةَ الخَلِيثِ ،

وقال :

أنا اللّهُ هَرُوفِي المَوْتِ وَالدهرُ خَالِدٌ فحُثِّنِي بِمَثَلِ الدهرِ شَيْئًا يُطَاوِلُهُ

وإنما أشار جرير إلى قول عمران .

وهو عمران بن حطان بن ظبيان بن سهل بن معاوية بن الحارث بن سدوس
 ابن سنان بن ذهل بن ثعلبة ، ويكنى أبا شهاب ، وكان من الشراة ، وكان من
 أخطب الناس وأفصحهم ، وكان إذا خطب ثارت الخوارج إلى سلاحها ،
 وكان من أقبح الناس وجهاً ، قالت له امرأته وكانت في الجمال مثله في القبح :
 إني لأرجو أن أكون وإياك في الجنة ؛ لأن الله رزقك مثلي فشكرت ، وابتلاني
 بمثلك فصبرت !

(١) جليل ، هنا : معناه يسير هين .

[بين أعرابي وبعض الولاة]

ودخل أعرابي على بعض الولاة فقال : أصلح الله الأمير ، اجعلني زماماً من أزمته ، فإني مسعر حرب^(١) ، ورَكَّاب نُجُب ، شديدٌ على الأعداء ، لئنُ على الأصدقاء ، منطوى الحصيلة ، قليلُ الثميلة^(٢) ، [قليل] غرار النوم ، قد غذتني الحروبُ أفأويقها ، وحلَّبتُ الدهرَ أشطُرهُ ، فلا يَمْنَعُكَ مني الدِّمَامَةُ ، فإن تحتها لشهامة .

[الدنيا ، وأهلها]

قال المسيح عليه السلام : الدُّنْيَا لِإِبْلِيسَ مزرعة ، وأهلها له حرَّاث .
وقال إبليس لعنه الله : العجبُ لبني آدمَ يحبُّونَ اللهَ ويعصونه ، ويُبغضونني ويُطيعونني .

[أربع كلمات طيبات]

خرج الزهري يوماً من عند هشام بن عبد الملك فقال : مارأيتُ كاليوم ، ولا سمعتُ كأربع كلمات تكلم بهن رجلٌ عند هشام ؛ دخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين ؛ احفظ عني أربع كلمات ، فيهن صلاحٌ مُلكك ، واستقامة رعيَّتكَ . قال : هاتهن ؟ قال : لا تعِدنِ عِدَةً لا تَثِقُ من نفسك بإيجازها ، ولا يغرركَ المرءُ تقى وإن كان سهلاً إذا كان المنحدرَ وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاءً فاتقِ العواقبَ ، وأن للأُمورِ بَعَثَاتٌ فَكُنْ على حذر .

قال عيسى بن دأب : لُحِدَّتْ بهذا الحديث الهادي وفي يده لُقْمَةٌ قد رفعها إلى فيه فأمسكها ، وقال : ويحك أَعِدْ عليّ ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، أَسِغْ لِقْمَتِكَ ، فقال : حديثك أحبُّ إليّ .

(١) مسعر حرب : موقدها ومشعلها .

(٢) الثميلة : ما يبقى في البطن من الطعام والشراب .

[بين معاوية وعمرو بن سعيد]

ولما عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون ؛ فقال لعمر بن سعيد :
 قم يا أبا أمية ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن يزيد بن معاوية
 أجل تؤمونه ، وأمل تؤملونه ، إن استضعفتم إلى حبله وسعكم ^(١) ، وإن
 احتججتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أعناكم ، جدد
 قارع ^(٢) ، سوبق فسبق ، وموجد فجد ، وقورع فقرع ، وهو خلف
 أمير المؤمنين ، ولا خلف عنه ، فقال له معاوية : اجلس ، فقد أبلغت .

وعمر بن سعيد هذا هو الأشدق ؛ [وإنما سُمي الأشدق] لتشادقه في
 الكلام ، وقيل : بل كان أقدم ما نزل الشدق ، وهذا قول عوانة بن الحكم
 الكلبي ، وهو خلاف قول الشاعر :

تشادق حتى مال في القول شدقه وكل خطيب لا أبالك أشدق

وكان أبوه سعيد بن العاص أحد خطباء بني أمية وبلغاهم .

ولما مات سعيد دخل عمرو على معاوية فاستنطقه فقال : إن أوّل كل
 مركب صعّب ، وإن مع اليوم غدا ، فقال معاوية : وفي هذه العلة إلى
 من أوصى بك أبوك ؟ قال : أوصى إلى ولم يوص بي ، فقال معاوية : إن ابن
 سعيد هذا لأشدق !

[من تواضع الرشيد]

قال ابن السكّك للرشيد : يا أمير المؤمنين ، تواضعك في شرفك أفضل من
 شرفك ؛ إن رجلا آتاه الله مالا وجمالا وحسبا ، فوأسى في ماله ، وعف في
 جماله ، وتواضع في شربه ، كتب في ديوان الله عز وجل .

(١) إن استضعفتم : إن ملتم ، وفي نسخة « إن استظلمتم إلى حكمه » .

(٢) الجذع : الشاب الحدث ، والقارع : الشديد المجرب ، يريد أنا جامع

لهذين الوصفين .

[للمتنبى في حى أصابته بمصر]

نالت أبا الطيب المتنبى علة بمصر ، فكان بعض إخوانه من المصريين
يكثر الإلمام^(١) به ، فلما أبل قطعته ، فكتب إليه : وصلّتي أعزك الله
مُعتلاً ، وقطعتني مُبلاً ، فإن رأيت ألاّ تسكدر الصحة عليّ ، وتحبب العلة
إليّ ، فعَلت .

وفي هذه العلة يقول :

أقمتُ بأرضِ مصرَ ؛ فلا ورأيتُ	تحبُّ بي الركاب ، ولا أمانى
عليلُ الجسمِ مُمتنعُ القيامِ	شديدُ الشكرِ من غيرِ اللدائمِ
وزائرَتِي كَانَتْ بِهَا حياءُ	فليسَ تزورُ إلا في الظلامِ
بَدَلْتُ لها الطارِفَ والحشايَا	فعاقتُها ، وباتت في عظامي
يضيّقُ الجِلدُ عن نَفْسِي وعنها	فتوسمُهُ بأنواعِ السقامِ
إذا ما فارقتني غسَلتني	كأنا عاكفانِ على حرامِ
كأن الصبحَ يطرُدها فتجري	مدامعُها بأربعةِ سِجَامِ
أراقِبُ وقتها من غيرِ شوقِ	مُراقبةِ المشوقِ المُستهامِ
ويصدقُ وعدّها والصدقُ شرٌّ	إذا ألقاك في الكربِ العظيمِ

ألفاظ لأهل العصر في العيادة وما جانسها من ذكر التشكى والمرض

وتلونه ، وسوء أثره ، والاتزعاج لعوارضه

عرض لى مرض أساء بالنجاة ظنى ، وكاد يصرف وجه الإفاقة عنى .
هو شورى بين أمراض أربعة : صداع لا يخف ، وحى لا تُغيب^(٢) ، وزكام
لا يخف ، وسعال لا يكف . علة هو فى أسرها مُعتقل ، وبقيدها مُكبل .

(١) الإلمام به : الزيارة له وعبادته ، وأبل : برىء من مرضه .

(٢) الإغياب : أن تزور يوماً وترك الزيارة يوماً .

أمراض تلوّنت على ، وأسأت بي وإلى ، فأنا أشكرُ الله تعالى إذ جعلها عِظَةً وتذكيراً ، ولم يُبقي منها الآن إلا يسيراً ، أحسب أن الأمراض قد أقسمت على أن تجعل أعضائي مرّاتها ، [وآلت على أن تُصيّر جوارحي مرابها] .
 علل لا يبدر منها [آتٍ إلتكديرٍ وزد] ولا يعزل منها والٍ إلا بوليّ عهد .
 قد كرّرت تلك العلة فعادت عِللاً ، [وسقتني بعد نهل عِللاً]^(١) . علل برّته برّى الأخلّة ، ونقصته نقص الأهلة ، وتركته حرّضاً ، وأوسعته مرّضاً ، وغادرتة والخيالُ أكشفُ منه جُثّة ، والطيّفُ أوفر منه قوّة . عرض له من المرض ما صار معه القنوطُ يُغاديه ويُراوِحه ، واليأسُ يُخاطبه ويُصافحه .
 قد وردَ من سوء الظنِّ أو حَمَّ المناهل ، وبات من حسن الرجاء على مرّاحل .
 طالعتُ السكرمُ يترجّح نجمه بين الإضاءة والأفول ، وتمثلُ شمسُه بين الإشراق والغروب . أصبح فلانٌ لا يُقبلُ رأسه^(٢) ، ولا يحورظله ، ويدُ المنية تفرّغ بابه .
 ما هو للعلة إلا عَرَض ، ولسها المنية إلا غَرَض . شاهدتُ . نفسي وهي تخرّج ، ولقيت رُوحى وهي تعرّج ، وعرفت كيف تكون السّكرة ، وكيف تقع الغمّة ، وكيف طعمُ البعد والفراق ، وكيف تلتفُّ الساق بالساق . مرض لحقتني روعته ، وملكنتي لوعته . وجدت في نفسي ألماً أوحشه آنسُه وآنسُه أوحشه . بلغنى من شكايته ما أوحش جناب الأنس ، وأراني الظلمة في مَطلع الشمس .
 قد بلغنى ما عَرَضَ لك من المرض ، وألمّ بك من الألم ؛ فتحمّل على سواد صدرى ، وأفدّى سوادَ طرْفى ، وقد استنفد القلقُ لعلّتك ما أعدّه الصبرُ من ذخيرة ، وأضعف ما قواه العزم من بصيرة . قلبى يتقلب على حدِّ السيف إلى أن أعرف انكشاف العارض وزِيالَه ، وأنحقّق انحساره وانتقاله . أنهى إلى من الخبر العارض ، حسَمَ الله مادّته ، وقصّر مدّته ، ما أراني الأفق مُظلمًا ، والعيش مُبهماً .

(١) النهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب ثانياً ، وكلاهما بالتحريك .

(٢) لا يقبل رأسه : لا يرفعه ، أو لا يحمله .

فقر في تهوين العلة بحسن الرجاء ، وذكر المشاركة والاهتمام بمحلّوها

والاستبشار بزوالها

إن الذي بلغني من ضعفه قد أضعف المنّة ، وإن لم يُضعف الظنّ بالله والثقة . قد استشفّ العافية من ثوب رقيق . ما أكثر ما رأينا هذه العلل حلت ثم تجلّت وتوالت ثم تولّت . خبرني فلان بعلتكَ فأشركني فيها ألما وقلقا ، فلا أعلّ الله لك جسما ولا حالا ، فليست نكايّة الشغل في قلبي بأقلّ من نكايّة الشكايّة في جسمك ، ولا استيلاء القلق على نفسي بأيسر من اعتراض السقم لبदनك ، ومن ذاك الذي يصحّ جسمه إذا تألمت إحدى يديه ، ومن يحل محلّها في القرب إليه ؟ أنا منزعج لشكّاتك ، مبهيج بمعافاتك ، إن كانت علتك قد قرّحت وجرحت ، فإنّ صحتك قد آست وآنت^(١) . بلغتنى شكّاتك فارّعت ، ثم عرفت خفتها فازتحت . الحمد لله على قُربِ المدة بين المِحنة والمِنحة ، والنقمة والنعمة ، وعلى أنّا لم تهالك بأيدي الخافة حتى تدارك بحُسنِ الرأفة ، ولم نستسلم لخطّة الحذر حتى سلّم من ورطة القدر .

ولهم في شكّاة أهل الفضل والسؤود

شكّاته التي تتألّم منها المروءة والفضل . ويسقم منها الكرم المخض . شكّاته التي غصّت بها حلوقُ المجدِّ ، وحرّجت لها صدورُ أهل الأدب والعلم^(٢) ، وبدا الشحوبُ معها على وجه الحرية ، وحرّم معها البشرُ على غرّة المروءة . قد اعتلّ بعلته الكرم ، وشكا بشكايته السيفُ والقلم . شكّاة عرضت منه لشخص الكرم الغضّ ، والشرف المخض . لو قبلت مهجتي فديّة ، دون وعكّة تجدها ،

(١) آست : عاجلت وداوت وطبت ، وآنت : جلبت الأنس .

(٢) حرّجت لها الصدور : ضاقت .

مُجِدَّتْ بِهَا ، وَسَاعَةَ أَنْسَ تَفْقَدَهَا لِبِدْلَتِهَا ، عَالِمًا بِأَنِّي أَفْدِي الْكَرْمَ لِغَيْرِ ، وَالْفَضْلَ
وَلَا ضَيْرَ .

ولهم في تشم الإقبال ، وذكر الإبلال

قَدْ شِمْتُ بَارِقَةَ الْعَافِيَةِ ، وَشِمْتُ رَائِحَةَ الصَّحَةِ . أَقْبَلَ صُنْعُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ
لَمْ أُجْتَسَبَ ، وَجَاءَنِي لُطْفُهُ مِنْ حَيْثُ لَا أُرْتَقَبُ ، وَتَدَرَّجْتُ إِلَى الْإِبْلَالِ وَقَدْ
حَسِبْتَهُ حُلْمًا ، وَرَضِيْتُ بِهِ دُونَ الْإِسْتِقْلَالِ غُنْمًا ، وَقَدْ تَخَلَّصْتُ إِلَى شَطِّ الْعَافِيَةِ لِمَا
تَدَارَكْنِي اللَّهُ تَعَالَى بِلَطِيفَةٍ مِنْ لَطَائِفِهِ ، وَجَعَلَ هَبَةَ الرُّوحِ عَارِفَةً مِنْ عَوَارِفِهِ ،
وَتَسَمَّتْ رُوحَ الْحَيَاةِ ، بَعْدَ أَنْ أَشْفَيْتُ عَلَى الْوَفَاةِ ^(١) ، وَتَدَيَّيْتُ وَجْهِي إِلَى الدُّنْيَا
بَعْدَ مَوَاجَهَتِي لِلدَّارِ الْآخِرَى . قَدْ صَافَحَ الْإِقْبَالَ وَالْإِبْلَالَ ، وَقَارَبَ النَّهْوَسَ
وَالْإِسْتِقْلَالَ . سِيرِيكَ اللَّهُ مِنَ الْعَافِيَةِ الَّتِي أَذَاقَكَ وَيُسَبِّغُ ثَوْبَهَا ، وَلَا يَعِيدُ عَلَيْكَ
مَكْرُوهَهَا . قَدْ اسْتَقَلَّ اسْتِقْلَالَ السِّيفِ حُودُثَ عَهْدِهِ وَأُعِيدَ فِرْنْدُهُ ^(٢) ، وَالْقَمَرَ
انْكَشَفَ سِرَّارَهُ ، وَذَاعَتْ أَسْرَارُهُ ^(٣) . حِينَ اسْتَقَلَّتْ يَدِي بِأَقْلَمٍ ، بَشَّرْتِكَ بِانْحِسَارِ
الْأَلَمِ . قَدْ أَنَاكَ اللَّهُ بِالسَّلَامَةِ الْفَائِضَةِ ، وَعَافَاكَ مِنَ الشُّكَاةِ الْعَارِضَةِ . أَيْلًا
فَانْشَرَحَتِ الصُّدُورُ ، وَشَمِلَ السُّرُورُ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَسَ جِسْمَكَ وَعَافَاكَ ،
وَمَحَا عَنْهُ أَثَرَ السَّقَمِ وَعَفَاكَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعَافِيَةَ عَقْبِي مَا تَشَكَّيْتُ ،
وَالسَّلَامَةَ عِوَضًا عَمَّا عَايَنْتُ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْفَاكَ مِنْ مُعَانَاةِ الْأَلَمِ ، وَعَافَاكَ
لِلْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ، وَنَظَّمَنِي مَعَكَ فِي سِلْمِ النِّعْمَةِ ، وَضَمَّنِي إِلَيْكَ فِي مُنْبِلِجِ
الصَّحَّةِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ السَّلَامَةَ ثَوْبَكَ الَّذِي لَا تَنْتَضُوهُ ^(٤) ، وَسَيْفَكَ فِيمَا تَأْمَلُهُ
وَتَرْجُوهُ . اللَّهُ يَجْعَلُ السَّلَامَةَ أَطْوَلَ بُرْدَيْكَ ، وَأَشَدَّهَا سُبُوغًا عَلَيْكَ ، وَيُدْفَعُ

(١) أَشْفَى عَلَى الشَّيْءِ : قَارَبَهُ وَدَنَا مِنْهُ .

(٢) حُودُثَ عَهْدِهِ : أَرَادَ جَنْدَ صِقَالِهِ ، وَفِرْنْدَ السِّيفِ : جَوْهَرَهُ .

(٣) السَّرَارُ - بَزْنَةُ الْكِتَابِ - اللَّيْلَةُ الَّتِي يَخْتَفِي فِيهَا الْقَمَرُ .

(٤) لَا تَنْتَضُوهُ : لَا تَحْلَمُهُ .

في صدور المكاره دون ربك ، وفي محور المحاذير قبل الانتهاء إلى ظلك . لازالت العافية شعارك ، ماواصل ليلاك نهارك .

فقر في أذعية العيادة ، والاستشفاء بكتبها

أغناك الله عن الطبِّ والأطباء ، بالسلامة والشفاء ، وجعله عليك تمحيصاً^(١) لاتنغيصاً ، وتذكيراً لانكيرا ، وأدبا لا غضباً . الله يدرك لك صوب العافية ، ويضفي عليك ثوب الكفاية الوافية . أوصل الله تعالى إليك من برِّ الشفاء ما يكفيك حرَّ الأدوية . كتابك قد أدّى رَوْحَ السلامة في أعضائي ، وأوصل برِّ العافية إلى أحشائي . تركني كتابك والنعم تثبُّ إلى صحتي ، والخطوب تتجافى عن مُهجتي ، بعد أمراضٍ اكتنفت ، وأسقامٍ اختلفت . قد استبق كتابك والعافية إلى جسمي كأنهما فرساً رهان تباريا ، ورسيلاً مضمار تجاريا . أبدلني كتابك من حزون الشكاية سهولَ المعافاة ، ومن شدَّة التألم ، رخاء التتعم .

قطعة من كلام الأطباء والفلاسفة

العاقل يترك ما يحبُّ ليستغنى عن العلاج بما يكره .

جالينوس : المرض هَرَمَ عارض ، والهَرَمَ مرضٌ طبعي .

وله : مجالسة الثقيل تُحمي الروح .

بختيشوع : أكلُ القليل مما يضرُّ أصلح من أكل الكثير مما ينفع .

يوحنا بن ماسويه : عليك من الطعام بما حدُّث ، ومن الشراب بما قدَّم .

وقال له المأمون : ما أحسن ما يُتنقل به على النبيذ ؟ قال : قول أبي نواس ،

يريد قوله :

الحمد لله ليس لي مَثَلُ خمرى شرابي وَ نَقْلِي القَبْلُ

ثابت بن قرة : ليس شيء أضر بالشيخ من أن تكون له جاربية حسناء ،
 وطبخ حاذق ؛ لأنه يُكثّر من الطعام فيستقم ، ومن الجماع فيهرم .
 غيره : ليس لثلاث حيلة : فقرٌ يخالطه كسل ، وخصومة يخامرها حسد ،
 ومرض يمازجه هرم .

ثلاثة يجب مداراتهم : السلطان ، والمريض ، والمرأة .

ثلاثة يُعذّرون على سوء الخلق : المريض ، والمسافر ، والصائم .

فقر في ذكر المرض والصحة والموت والحياة لغير واحد

شيئان لا يُعرفان إلاّ بعد ذهابهما : الصحة والشباب . تمرارة السقم توجد
 حلاوة الصحة . هذا كقول أبي تمام :

إساءة دهرٍ أذ كرت حسن فعليه إلى ، ولولا البشري لم يُعرف الشهد^(١)
 وقوله أيضا :

والحادثات وإن أصابك بؤسها فهو الذي أدراك كيف نعيمها
 ما سلامة بدن معرض للآفات ، وبقاء عمر معرض للساعات ؟
 قال أبو النجم :

إنّ الفتي يصبح للسقام كالغرض المنصوب للسهم

أخطأ رام وأصاب رام

وقيل لبعض الأطباء وقد نهكته العلة : ألاّ تتعالج ؟ فقال : إذا كان [الداء
 من] السماء بطل الدواء ، وإذا قدر الرب بطل حدّ المر بوب ، ونعم الدواء
 الأمل ، وبئس الداء الأجل .

بزرجمهر : إن كان شيء فوق الحياة فالصحة ، وإن كان شيء فوق
 الموت فالمرض ، وإن كان شيء مثل الحياة فالعنى ، وإن كان شيء مثل
 الموت فالفقر .

(١) الشرى - بالفتح - الحنظل ، والشهد : العسل .

غيره: خيرٌ من الحياة ما لا تطيبُ الحياةُ إلا به، وشرٌّ من الموت ما يَتَمَنَّى الموت له .
قال المتنبي في مراثية أم سيف الدولة :

أطابَ النفسَ أنكِ مُتِّ مَوْتًا تَمَنَّتَهُ البَوَاقِي وَانْحَوَالِي
وَزُلَّتْ وَلَمْ تَرَى يَوْمًا كَرِيهًا تَمَسَّرَتْ النَفْسُ فِيهِ بِالزَّوَالِ
رَوَاقِ العِزِّ فَوْقَكَ مُسَبِّطٌ وَمُلْكِ عَلِيِّ ابْنِكَ فِي كَمَالِ
الموتِ بابِ الآخرةِ

الحسن : ما رأيتُ يقيناً لاشكَّ فيه أشبه بشكِّ لا يقين فيه . من الموت

ابن المعتز : الموت سَهْمٌ مُرْسَلٌ إِلَيْكَ ، وَعَمْرُكَ بِقَدْرِ سَفَرِهِ نَحْوِكَ

أخذه بعض أهل العصر فقال :

لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الخُوُو ن وَخَفْ بَوَادِرَ آفَتِهِ
فالموت سَهْمٌ مُرْسَلٌ وَالعمرُ قَدْرُ مَسَافَتِهِ

البيستى :

لَا يَغْرُنْكَ أَنْتِي لَيْنُ المَسِّ فَعِزِّي إِذَا انْتَضَيْتُ حُسَامُ
أَنَا كَالوَرْدِ فِيهِ رَاحَةُ قَوْمٍ ثُمَّ فِيهِ لِآخِرِينَ زُكَامُ

وقال آخر :

إِنَّ الجُهُولَ تَضَرَّنِي أَخْلَاقُهُ ضَرَّرَ الشَّعَالِ لِمَنْ بِهِ اسْتِسْقَاهُ
وَلآخر ، وَهُوَ البِستَى :

فَلَا تَكُنْ عَجِلاً فِي الأَمْرِ تَطْلُبُهُ فليس يَحْمَدُ قَبْلَ النَّضِجِ بُحْرَانُ
وقال آخر :

لَا تَعْتَمِدْ إِلا رَئِيسًا فَاضِلًا إِنَّ الكِبَارَ أَطْبِئُ لِلأَوْجَاعِ
وقال آخر :

وَإِنِّي لِأَخْتَصُّ بَعْضَ الرِّجَالِ وَإِنْ كَانَ قَدَمًا ثَقِيلًا عَبَامًا^(١)

(١) القدم - بالفتح - العيب عن الكلام ، والعبام - كسحاب - الثقيل .

فإنَّ الجُبْنَ على أنه ثقيل وخيمٌ يُشهي الطَّعاما
وقال المتنبي :

لعلَّ عَتَبِكَ محمودٌ عواقبهُ وربما صحَّتِ الأجسامُ بالعلل
وقال أيضاً :

أعيذُها نظراتٍ مِنْكَ صادِقةً أنْ تحسِبَ الشَّحمَ فيمنَ شَحْمُهُ ورَمٌ

[من الأجوبة المفحمة]

قال أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي : كان بلالُ بن أبي بردة جُلدا حين ابتلى ، أحضره يوسف بن عمر في قيوده لبعض الأمر ، وهم بالخير ؛ فقام خالدُ بن صفوان فقال ليوسف : أيها الأميرُ ، إنَّ عدوَّ الله بلا لاضر بنى وحبسنى ولم أفرق جماعةً ، ولا خلعتُ يداً من طاعة ، ثم التفت إلى بلالٍ فقال : الحمد لله الذى أزال سلطانك ، وهدأ أركانك ، وأزال جمالك ، وغيرَ حالك ، فوالله لقد كنتَ شديدَ الحجاب ، مستخفاً بالشريف ، مظهراً للعصية ! فقال بلال : يا خالد ؛ إنما استطلت على ثلاث معك هنَّ على : الأميرُ مُقبلٌ عليك ، وهو عنى مُعرض . وأنت مُطلق ، وأنا مأسور . وأنت فى طينتك ، وأنا غريب ! فأخفه ، [ويقال : إن آل الأهمم زعنفة دخلت فى بنى منقر فانتسبت إليهم]^(١) وكان سبب ضرب بلال خالداً فى ولايته أن بلالاً مرَّ بخالد فى موكب عظيم ، فقال خالد : * سحابة صيفٍ عن قليل تقشعُ * فسمعه بلال ، فقال : والله لا تقشع أو يصيبك منها شؤبوب^(٢) برد ، وأمر بصْرُبه وحبسه .

[رثاء قدح]

وقال أبو الفتح كشاجم يرى قدحاً له انكسر :

(١) ما بين المعوقين ساقط من أكثر الأصول ، وهو كلام مقحم .

(٢) الشؤبوب - بضم فسكون - الدفعة العظيمة من المطر

عَرَاني الزمانُ بأحدائه
وعندي فجاجع للحادثات
وعاء المدام ، وتاج البنان
ومعرض راج متى تسكسه
وجسم هواء وإن لم يكن
يردُّ على الشخصِ تمثاله
ويعقبُ من تسكيات المدام
ورقًا ؛ فلو حلَّ في كِفَّةِ
يكادُ مع الماء إن مسَّهُ
هوى من أنامل مجدولةٍ
فأفقدَ نيه على ضِنَّةٍ
كانَ له ناظرًا ينثني
أقلبُ ما أبتتِ الحادئا
وقد قدح الوجد متى به
وأعجب من زمن مانح
فلا تبعدنَّ فكم من حشَى
سيفقرُ بعدك رسم الغبوق

فبعضاً أطقتُ ، وبعضُ فدح^(١)
وليس كفجعمتنا بالقدح
ومذني السرور ، ومقصي الترح^(٢)
ويستودع السرَّ منها يسح
يرى للهواء بكفت شبح
وإن تتخذهُ مرآةً صلح
فتحسب منه غيراً نفتح
ولاشيء في أختها مارجح
لما فيه من شكله ينفسح
فياعجبا من لطيف رزح
به للزمان غريم ملسح
فتي يتعمدُ غير المنح
ت منه وفي العين دمع يسح
على القلب من ناره ماقدح
وأخرَ يسلب تلك المنح
عليك كليم وقلب قرح
وتوحش منك مغاني الصبح

[من طرائف الوصف]

ومن أحسن ما قيل في وصف قدح ، قول ابن الرومي يصف قدحا أهدها

إلى علي بن يحيى المنجم :

(١) عراني : نزل بي ، وفدح : ثقل وعسر جملة

(٢) الترح : الحزن ، وفي نسخة « وتاج الكرام »

لابن الرومي
في وصف
قدح

وبديع من البـدائع يسـبي
رَقَّ في الحسنِ والملاحـةِ حتـى
كفم الحِبِّ في الملاحـةِ بل أشـهى
تنفذ العينُ فيـه حتـى تراها
كهواء بلا هباء مشـوب
صِيعِج من جوهر مصفى طباعا
وسط القَدْرِ، لم يكبر لجرع
لا عجول على العقول جهول
فيه نون معقرب عطفته
مثل عطف الأصداع في وجنات
ما رأى الناظرون قدا وشكلا
وقال أبو القاسم التنوخي :

للتنوخي
في وصف
قدح أيضا

وراج من الشمس مخلوقة
هواءٌ ولكته جامدٌ
إذا ما تأملتها وهى فيه
فهذا النهاية فى الايضاض
وما كان فى الحق أن يُقرنا
ولكن تجاوز شكلاهما السـ
كأن اللدير لها باليمين
تدرع ثوبا من الياسين
بَدَتْ لك فى قدح من نهاز
وماءٌ ولكنه غير جارٍ
تأملت نورا محيطا بناز
وهذا النهاية فى الاحمرار
لقرط التنافى وبعد النفاز
فاتفقا فى الجواز
إذا قام للسقى أو باليسار
له فردكم من الجنار

(١) يطى كل طرف : يستهوى كل نظر ، يريد أنه يأخذ بجماع العقول
والأبصار (م) .

(٢) فى نسخة « لا صؤل على العقول » (م)

لكشاجم
في رثاء
منديل

وقال أبو الفتح كشاجم برني منديل كم :

من يَبْكُ من وَجْدٍ على هالكٍ فأبما أْبكى على دَسَجَةٍ^(١)
جاذِبِها رَشاً أُغِيدُ فجادت النفسُ بها مُحْرَجَه
بديعةٌ في نَسَجِها، مثلها يفقد من يُحْسِنُ أنْ يَنْسُجَه
كأبما رِقَّةٌ أَشْكالها من رِقَّةِ العِشاقِ مُسْتَخْرَجَه
كأبما مَفْتولُ أَهدابها أيدى دَباً في نَسَقِ مَزُوجَه^(٢)
كأبما تَفْرِيقُ أعلامها طأوسَة تَحْتالُ أو دُرَجَه
لَيْسَة جَدِّدَها حَسبها لآرَثةِ السَّلْكِ ولا مُهْجَه^(٣)
كم رِقَّةٍ من عَندِ مَعْشوقَةٍ تُرْسَلُ في أَثانها مُدْرَجَه
أو مَسحَة من شَفَةِ عَذْبَةٍ تُهْرَدُ حَرَّ الكَبِدِ المُنْصَجَه
إلى تَحِياتِ لِطافِ بها تُسْكِنُ منى مُهْجَةٍ مَزْعَجَه
كانت لَمَسَحِ الكاسِ حتى تَرى منها لآثارِ القَدَى مُخْرَجَه
وخامى يُعَقِّدُ فيها إذا آثرتُ مِنْ كَفَى أنْ أُخْرَجَه
وأَتَقَى الجِامَ بها كَما كلله المَازِجُ أو تَوَجَّه
فاستأثَرَ الدَّهْرُ بها؛ إنهُ ذو هَمَّةٍ مُجَلِّبَةٍ مُرْهَجَه^(٤)
فأَصْبَحَتْ في كَمِّ مُخْتالَةٍ مُلجَمَةٍ في هَجْرِنَا مُسْرَجَه

وقال أيضاً يصف سقوط الثلج :

الثلجُ بَسَطُ أم جُيُنُ بُسْبَكِ أمَ ذا حَصَى الكافورِ ظَلَّ بَفْرَكِ
راحت به الأرضُ الفِضاءَ كأنها في كلِّ ناحِيةٍ بَنَفْرٍ تَضَحَكِ

وله يصف
سقوط الثلج

(١) في نسخة « أبكى على مسبجة » وفي أخرى « على سبجة » والدمسجة :

الحرمة (م)

(٢) الدبا : صغار الجراد والنمل (م) (٣) اللبيس : الذئب أكثر لبسه، والمنهجة :

الحلقة البالية (م)

(٤) في نسخة « ذونوب مجلبة مرهجة » (م)

شابت مفارقها فبين ضحكها
 أن ربي على خضر العصون فأصبحت
 وتردت الأشجار منه ملاءة
 كانت كعود الهندطرى فانكفى
 والجو من أريج الهواء كأنه
 فخذى من الأوتار حظك إنما
 فاليوم يؤزن بالملاحة، إنه
 وقال أيضاً :

باكر فهذى صديحة قره
 تلمج وشمس وصبوب غادية
 باتت وقيعائها زبرجدة
 كأنها والثلوج تضحكها
 كأن في الجو أدياً نثرت
 شابت فسرت بذلك وابتهجت
 قد جليت بالبياض بلدنسا

وقال الصنوبري :

ذهب كؤوسك يا غلا
 الجوئى حلى فى البيا
 أزعمت ذا تلج وذا
 ورد الربيع مورد

(١) فى نسخة « من داجى الهواء » وما أثبتناه موافق لما فى الديوان، والأرجح:
 طيب الراححة (م)
 (٢) فى نسخة « فاليوم يؤذن بالملاحه » وهى تناسب آخر الكلام (م)

ولكشاجم
 أيضا

للصنوبري
 فى المعنى

وقال البستي :

كم نَظَمْنَا عقودَ لهو وأنسٍ وجعلْنَا الزمانَ للهو سِلْكَا
 وفتقْنَا الدنانَ في يومِ تلجٍ عزَل الكأسُ فيه رُشدًا ونسْكَا
 فكأنَّ السماءَ تنحلَّ كَافو رأَ علينا ، ونحنُ نَفْتِقُ مِسْكَا
 وقال الأمير أبو الفضل الميكالى يصف الجمعد :

الميكالى
صف الجمعد

ربَّ جَنِينٍ من حَيَا النَمِيرِ مهتِكِ الأستارِ والضَمِيرِ
 سلَّتهُ من رحمِ الغَدِيرِ كأنها صحائفُ البُلُورِ
 أو أكرُّ تجسَّمتُ من نُورِ أو قَطَعُ من خَالِصِ الكافُورِ
 لو بقيتِ سِلْكَا على الدهورِ اعطتِ قلائدَ النُجُورِ^(١)
 وأخجلتِ جواهرَ البحورِ [وسميت ضرائرُ الشغورِ]
 يا حُسْنَهُ في زَمَنِ الحُرُورِ إذ قَيْظُهُ مثلُ حَسَى المَهْجُورِ^(٢)
 يُهْدِي إلى الأَكبادِ والصدُورِ رَوْحًا يُجَلِّي نَفْثَةَ المِصدُورِ
 وَيَجْلِبُ السُرُورَ للمَقْرُورِ

ألفاظ لأهل مصر في وصف الثلج والبرد والأيام الشتوية
 ألقى الشتاءَ كَلْكَلهُ ، وأحلَّ بنا أنقاله . مد الشتاء رِواقه ، وألقى أوراقه ،
 وحلَّ نِطاقه . ضرب الشتاءَ بِجِرَّانه ، واستقل بآركانه ، وأناخ بنوازله ، وأزَمَى
 بكلا كله ، وكلح بوجهه ، وكشَّر عن أنيابه . قد عادت [هامات] الجبال
 شِيبًا ، ولبست من الثلج بُردًا قَشِيبًا . شابت مفارق البروج ، لتراكم الثلوج ،
 أَلَمَ الشيبُ بها وابتضتَ لمها^(٣) . قد صار البردُ حجابًا ، والثلجُ حجازًا . بَرَدٌ
 يغير الألوان ، وينشف الأبدان . بردٌ يُقَضِّضُ الأعضاء ، وينفض الأحشاء . برد
 يُجمد الريقَ في الأَشْداقِ ، والدمعَ في الأماقِ . بَرَدٌ حال بين الكلبِ وهَريرِهِ ،

(١) في نسخة « تعطلت قلائد النجور » (م)

(٢) في نسخة « يا حسنه في زمن الحدور » تحريف (م)

(٣) في نسخة « ألم الشتاء بهامات ابتضت لمها » (م)

والأسدوزثيره ، والطير وصَفِيره ، والماء وخريره . نحن بين لثق ، ورثق ، وزلق ^(١) يوم كأنَّ الأرضَ شابتَ لهوَله . يوم فضى الجلباب ، مسكى النقب ، عبوس قمطير ، كشر عن ناب الزمهير ، وفرش الأرض بالقوارير . يوم أخذت الشمال زمامه ، وكسا الصر ^(٢) ثيابه . يوم كأن الدنيا فيه كافرزة ، والسماء بلورة . يوم أرضه كلقوارير اللامعة ، وهوأه كالزنايزر اللامعة . يوم أرضه كالزجاج ، وسأوه كأطراف الزجاج ^(٣) . يوم ينفل فيه الخفيف إذا هجم ، وينحف الثقيل إذا هجر ، نحن فيه بين أطباق البرد فمانستغيث إلا بجرِّ الراح ، وسورة الأقداح . ليس للبرد كالبُرد ، والحمير ، والجمر . إذا كلب الشتاء ، فترياق سمومه الصلاء ، ودرقُ سيوفه الطلاء ^(٤) .

نقيض ذلك من كلامهم في وصف القيظ وشدة الحر

قوى سلطان الحر ، وبسطَ بساطُ الجمر . حرُّ الصيف ، كحدِّ السيف . أوقدت الشمس نارها ، وأذكت أوارها . حرٌّ يلفح حرُّ الوجه . حرٌّ يشبه قلب الصب ، ويذيب دماغ الصب . هاجرة كأنها من قلوب العشاق ، إذا اشتعلت فيها نارُ الفراق . هاجرة تحكى نار الهجر ، وتذيب قلب الصخر . كأن البسيطة من وقدة الحر ، بساط من الجمر . حرٌّ تهرب له الحرباء من الشمس ، قد صهرت الهاجرة الأبدان ، وركبت الجنادب العيدان . حرُّ ينضج الجلود ، ويذيب الجمود أيام كأيام الفرقة امتدادا ، وحرٌّ كحر الوجد امتدادا . حرٌّ لا يطيب معه عيش ، ولا ينعف معه تلج ولا خيش . حمارة القيظ ، تغلى كدم ذى الفيظ . آب آب يجيش ^(٥) مرجله ، ويثور قسطله . هاجرة كقلب المهجور ، أو التنور المسجور . هاجرة كالجحيم الجاحم ، تجر أذيال السمائم .

(١) اللثق : ركود الريح وكثرة الندی (م)

(٢) الصر - بكسر الصاد - شدة البرد (م) (٣) الزجاج - بكسر الزاي - جمع زج (م)

(٤) كلب الشتاء : اشتد وقسا ، والترياق : دواء السموم ، والصلاء : الدفاء

بالنار ، والطلاء : الحمير (م) (٥) آب : رجع ، وآب : اسم شهر من شهور الصيف ،

وفي نسخه « آب آب يجيش مرجلة وتنور قسطله » تحريف (م)

[العجلة أم الندامة]

قال بعض الحكماء : إياك والعجلة فإنَّ العرب كانت تَكْنِيها أمَّ الندامة ؛ لأنَّ صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويحب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يُقَدِّر ، ويحمَدُ قبل أن يجرب ، ويذمَّ قبل أن يحبُّر ، ولن يصحب هذه الصفة أحدٌ إلاَّ صحب الندامة ، واعتزل السلامة .

[تأميل ورجاء]

ولما ولى المهدي^(١) سليمان بن وهب وزارته قام إليه رجلٌ من ذوي حُرْمَتِهِ ، فقال : أعزَّ الله الوزير ؛ أنا خادمك المؤمِّل لدولتك ، السعيدُ بأيامك ، المنطوي القلب على ودك ، المنشورُ اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر :

وفيت كل صديق ودِّي ثمناً إلا المؤمِّل دولاتي وأيامي
فإنني ضامنٌ إلاَّ أكافئه إلا بتسويغه فضلي وإنعامي

وإني لكما قال القيسي : ما زلتُ أُمْتِطِي النهارَ إليك ، وأستدلكُ بفضلك عليك ، حق إذا جئني الليلُ فغضَّ البصرَ ، ومحا الأثرَ ، أقام بدني ، وسافر أُملي ، والاحتمادُ عُذرٌ ، فإذا بلغتكَ قَمَدٍ^(٢) . قال سليمان : لا عليك ؛ فإني عارفٌ بوسيلتك ، محتاجٌ إلى كفايتك واصطناعك ، واست أُوخِر عن يومى هذا توليتك ما يحسُنُ عليك أثره ، ويطيب لك حَبْرُهُ ، إن شاء الله .

وكتب محمد بن عباد إلى أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافي وزير المعتز بالله وكان المعتز يختص به ، ويتقرَّب إليه قبل الوزارة : ما زلت - أيدك الله تعالى - أذم الدهر بذمك إياه ، وأنتظر لنفسى ولك عُقباه ، وأتمنى زوال حال من لا ذنْبَ له

(١) في نسخة « لما ولى المهدي محمد بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب » (م)

(٢) قمد : فكفاني ذلك (م)

إلا عاقبة محمودة تكون لك بزوال حاله ، وأترك الإعذار^(١) في الطلب على الاختلال الشديد ؛ ضناً بالمعروف عندي إلا عن أهله ، وحبساً لشعري إلا عن مستحقه .

فوقع في كتابه : لم أؤخر ذكرك ناسياً لحقك ، ولا مُهملاً لواجبك ، ولا مرجياً^(٢) لهمم أمرك ، ولكني ترقبت اتساع الحال ، وانفساح الآمال ؛ لأخصك بأسنائها خطراً ، وبأجلها قدراً ، وأعودها بنفع عليك ، وأوفرها رزقاً لك ، وأقربها مسافةً منك ؛ فإذا كنت ممن يحفز الإجمال ، ولا يتيسر له الإهمال ، فسأختار لك خير ما يشير إليه الوقت ، وأنعم النظر فيه ، وأجعله أول ما أمضيه ، إن شاء الله .

ولما ولى سليمان بن وهب الوزارة كتب إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أبي دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم
فقلت له : نعلمك فيهم أتمها ودع أمرنا ؛ إن المهم المقدم
فعجب من لطيف شكواه في تهنئته ، وقضى حوائجه .

[ووقع عبيد الله في كتاب رجل اعتدّ عنده بأثر جميل : وقفت على ما ذكرته من شكايك ، فوقع ذلك عندنا الموقع الذي أردته ، وصدر جوابنا إليك بما شكرته ، ولم تعد ظننا ، وما قدرنا فيك ، ثم اعتدت الاعتداد حتى كأنك لم تكاتبنا ؛ فلا تفسدن نالده إحسانك بطارف امتنانك ، واقصر من وصف سالفك على ذكر مستأنفك] .

[من حسن التقسيم]

ووقع عبيد الله في أمر رجل خرج عن الطاعة : أنا قادرٌ على إخراج هذه النعرة^(٣) من رأسه ، والوحرة من نفسه^(٤) .

(١) في نسخة « وأترك الاعتذار » (م) (٢) مرجياً: مؤخرًا ، وأصله المهمز (م)

(٣) النعرة - كهزمة - الحيلاء والتعاضم ، والوحرة : الحقد (م)

(٤) في نسخة « والوحرة من صدره ، والنحرة من نفسه » (م)

ونحوُ هذا التقسيم قولُ قتيبة بن مسلم بخراسان : من كان في يده شيء من مال عبد الله فلينبذه ، أو في فمه فليلقِظْهُ ، أو في صدره فلينبثه .

وقال عبد الله بن علي ، بعد قتله من قتل من بني أمية ، لإسماعيل بن عمرو : أساءك ما فعلتُ بأصحابك ؟ قال : كانوا يداً فقطعتمها ، [وعضداً ففتحتها ، ومرة فنقضتها] ، ورُكناً فهدمتمه ، [وجبالاً فهضمتُهُ] ، وجناحاً فقصصتمه ، قال : إني خليق بأن أخلقك بهم ، قال : إني إذاً السعيد .

وقال المنصورُ لجرير بن عبد الله : إني لأعِدُّكَ لأمرٍ كبيرٍ ! قال : يا أمير المؤمنين قد أعدَّ الله لك مني قلباً معموداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطةً بطاعتك ، وسيفاً مسلولاً على أعدائك .

وكتب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن بن سهل يعزيه : مدَّ الله في عمرك موفوراً غير منتقص ، وممنوحاً غير ممتحن ، ومُعطى غير مُستَلَب .

ومن جيد التقسيم مع المطابقة قولُ بعض الكتاب : إن أهل النصح والرأي لا يساويهم أهلُ الأفنِ والنِشِ ، وليس من جمع إلى الكفاية الأمانة كمن أضاف إلى العجزِ الحيانة .

وقالت هند بنت النعمان بن المنذر لرجل دَعَتْ له وقد أولاها يداً : شكرتُك يداً نالها خصاصة بعد ثروة ، وأغناك الله عن يد نالها ثروة بعد فاقة .

ومن بديع التقسيم في هذا النوع قولُ البحتری :

كَأَنَّكَ السِّيفُ حَدَاهُ وَرَوْنَقُهُ وَالغَيْثُ وَابِلُهُ الدَّانِي وَرَيْقُهُ
هَلْ انْكَارُمُ إِلَّا مَا تُجْمَعُهُ أَوْ المَوَاهِبُ إِلَّا مَا تُقَرِّقُهُ

وقال الحسن بن سهل يوماً للمأمون : الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك ؛

(١) في نسخة « كانوا يداً فقطعتمها ، وعضداً ففتحتها ، وجناحاً

وَسَيِّ ما أعطاك ؛ إذ قَسَمَ لك الخِلافةَ ، ووهب لك معها الحِجَّةَ ، ومكَّنك بالسلطان ، وحلَّاه لك بالعدْل ، وأَيَّدك بالظفر ، وشفَعَه لك بالعفو ، وأوجب لك السعادة ، وقَرَّبَها بالسياسة ، فمن فُسِحَ له في مثل عطيةِ الله لك ؟ أم من ألبسه الله تعالى من زينةِ المواهب ما ألبسك ؟ أم من ترادفتُ نَعَمُ الله تعالى عليه ترادفُها عليك ؟ أم من حاولها وارتبطها بمثل محاولتك ؟ أم أى حاجة بقيت لرعيّتك لم يجدوها عندك ؟ أم أى قيّم للاسلام انتهى إلى غايتك ودَرَجتك ؟ تعالى الله ! ما أعظم ما خصَّ القرنَ الذى أنت ناصره ! وسبحان الله ! أية نعمة طبّقت الأرض بك إن أدّى شكرها إلى بارئها ، والمنعم على العباد بها ؟ إن الله تعالى خلق الشمس في فلكها ضياءً يستنيرُ بها جميعُ الخلائق ؛ فكلُّ جوهر زهّا حسنُهُ ونوره فهى ألبسته زينتهُ لما اتصل به من نورها ؟ وكذلك كل ولى من أوليائك سَعِدَ بأفعاله في دولتك ، وحَسُنَتْ صنائعه عند رعيّتك ، فإنما نالها بما أيدته من رأيك وتديريك ، وأسعدته من حسنك وتقويمك .

[بنين قينة وأربعة من عشاقها]

قال بعضُ الظرفاء : اجتمع لقيِنَةٌ أربعةٌ من عشاقها ، وكلُّهم يُورَى عن صاحبه أمره ، ويُخفي عنه خبره ، ويُومى^(١) إليها بحاجبه ، ويناجيها بلحظه ؛ وكان أحدهم غائباً فقدم ، والآخر مقيماً قد عزم على الشخوص ، والثالث قد سلفت^(٢) أيامه ، والرابع مستأنفةٌ مودته ؛ فضحكت إلى واحد ، وبكت إلى آخر ، وأقصت^(٣) آخر ، وأطعت آخر ؛ واقترح كل واحد منهم ما يشاكلُ بته وشأنه ؛ فأجابته فقال القادم : جعلت فداك ، أنحسنين :
ومن يئناً عن دار الهوى يُكثِرُ البُكا وقولَ لعلّى أو عسى سيكونُ

(١) يومى : يشير (م) (٢) سلفت : مضت (م) (٣) أقصت : أبعدت (م)

وما اخترت نأى الدار عنك لسأوة ولكن مقاديرهن شؤون
 فقالت : أحسنه ، ولا أقيم أحنه ، ولكن مطارحه لتستغنى به عنه ، تقر به
 منه ، وأنا به أصدق ، ثم غنت :

ومازلت مدهشّط بك الدار باكياً أو ملّ منك العطف حين توثوب
 فأضعفت ما بي حين أبت وزدّتي عذاباً وإعراضاً وأنت قريب
 وقال الطاعن : جعلت فداك ، أتحسنين :

أزف الفراق فأعلمني جزعاً ودعى العتاب فإننا سافر
 إن الحب يصدّ مقترباً فإذا تباعد شقه الذكّر

قالت : نعم ، وأحسن منه ومن إيقاعه ، ثم غنت :

لأقيمن مآتما عن قريب ليس بعد الفراق غير النحيب
 ربما أوجع النوى للقلوب ثم لاسياً فراق الحبيب^(١)

ثم قال السالف : جعلت فداك ، أتحسنين :

كننا نعاتبكم ليالى عودكم حلوا للذاق وفيكم مستعقب
 فالآن حين بدأ التنكر منكم ذهب العتاب فليس عنكم مذهب

قالت : لا ، ولكن أحسن منه في معناه ، ثم غنت :

وصلتك لما كان ودك خالصاً وأعرضت لما صار نهباً مقسماً
 ولن يلبث الحوض الجديد بناؤه إذا كثر الوراد أن يتهدماً

فقال المستأنف : أتحسنين ، جعلت فداك :

إني لأعظم أن أبوح بحاجتي وإذا قرأت صحيفتي فتفهمني
 وعليك عهد الله إن أثبتته أحداً ولا آذنته بتكلم^(٢)

(١) في نسخه « ربما أوجع النوى القلب حزناً » وفي أخرى « ربما أوجع

الهوى للقلوب » (م) (٢) في نسخة « ولا أبديته بتكلم » (م)

فقال: نعم، ومن غناء صاحبه^(١)؛ ثم غنت:

لعمرك ما استودعتُ سرِّي وسرّها سوانا، حذاراً أن تذيبَ السرائرُ
ولا خالطتهاً مقلتايَ بنظرةٍ فتعلمُ نجواناً العيونُ النواظرُ
ولكن جعلت الوهمَ بيني وبينها رسـولا فأدّى ما تُجِنّ الضائرُ
أكاتم ما في النفس خوفاً من الهوى مخافةً أن يُغري بذكرك ذاكرُ

فتفرقوا وكلّهم قد أوماً بحاجته، وأجابته بجوابه.

[بين ابن المعتز وقينة]

قال أبو العباس بن المعتز: كان لنا مجلس حظّ أرسلت بسببه خادمة إلى قينة فأجابت، فلما مرّت في الطريق وجدت فيه حارساً فرجعت، فأرسلت أعاتبها فكتبت إلى: لم أتخلف عن المسير إلى سيدي في عشيتي أمس لأرى وجهه المبارك وأجيب دعاءه، إلا لعله قد عرفتها فلانة، ثم خفت أن يسبق إلى قلبه الطاهر أنني قد تخلفت بغير عذر؛ فأحببت أن تقرأ عذري بخطي، ووالله ما أقدر على الحركة، ولا شيء أسرّ إلى من رؤيتك، والجلوس بين يديك، وأنت يا مولاي جاهي وسندي، لا فقدت قربك، ولك رأيتك في بسط العذر موقفاً.

وكتبت في أسفل الكتاب:

أليس من الحرمان حظّ سلبته وأحوجني فيه البلاء إلى العذرِ
فصيراً فما هذا بأوّل حادثٍ رمّنتني به الأقدار من حيث لأدري
فأجبتها: كيف أردّ عذر من لا تتسلط التهمة عليه، ولا تهتدي المؤجدة إليه!
وكيف أعلمه قبول المعاذير، ولست آمنُ بعضَ خواطره^(٢) أن تشير إلى انتهاز
فرصة فيما دعا إلى الفرقة؛ وإن سلمت من ذلك فمن يُجبرني من توكله

(١) في نسخة « أحسن من غناء صاحبه » (م)

(٢) في نسخة « بعض جواهره إلى يسير إلى انتهاز فرصة فيما عاد إلى الفرطة »

على تقديم العذر ، ووقوعه مواقع التصديق في كل وقت ، فتتصل أيام الشغل والعلة ، وتنقضي أيام الفراغ والصحة ، فتطول مدة الغيبة ، وتدرس آثار المودة ، وكتبت في آخر الرقعة :

إذا غبت لم تعرف مكاني لذة ولم يلق نفسي لهوها وسرورها
وحدثت سمعاً واهناً غير ممسك لقولي ، وعيناً لا يراني ضميرها

[بين ابن المعتز وبعض الوزراء]

وكتب إلى بعض الوزراء : ما زال الحاسد لنا عليك أيها الوزير ينصبُ
الخبائل ، ويطلب العوائل ، حتى انتهز فرصته ، وأبلغك تشنيعاً زخرفه ^(١) ، وكذبا
زوره ، وكيف الاحتراس ممن يحضر وأغيب ، ويقول وأمسك ؟ أمر تصد لا يفعل
وما كراً لا يفتر ؛ وربما استنصح الغاش ، وصدق الكاذب ؛ والخطوة لا تدرك
بالحيلة ، ولا يجرى أكثرها على حسب السبب والوسيلة .

فأجابه : حصول الثقة بك - أعزك الله ! - تُفني عن حضورك ، وصدق
حالتك يحتاج عنك ، وما تقرّر عندنا من نيتك وطويتك يُفني عن اعتذارك .

[من شعر ابن المعتز]

وقد قال ابن المعتز :

أخفى عليك الدهر مقتدراً	والدهرُ ألامُ غالب ظفراً
ما زات تتلقى كلَّ حادثةٍ	حتى حنأك وبيض الشعرَا
فالآن هل لك في مقاربةٍ	فلقد باغت الشيب والكبرَا
لله إخوان فقدتهمُ	سكنوا بطون الأرض والحفرا
أين السبيلُ إلى لقائهمُ	أم من يحدث عنهمُ خبرَا
كم مورق باليشم مُبتسم	لا أجتني من غصنه تمرَا

(١) في نسخة « وأبلغك شيئاً زخرفه » (م)

ما زال يُولينى خـ لائنه
وعـدو غيبِ طالبِ لدمى
يُورى زنادى كى يُخادِ عنى
وقال أيضا:

وإنى على إشفاق عيني من القذى
كما حللت من برد ماء طريده
لتجمع منى نظرة ثم أطرق^(١)
تمد إليه جيدها وهى تفرق^(٢)
وقال :

ومازلت مُدشدت يدي عمدمِ زرى
ودل على الحمد مجدى وعفتى
غناى لغيرى وافتقارى على نفسى
وقال :

سعى إلى الدن بالميزال ينقره
لما وجاهها بدت صفراء صافية
ساقٍ توشح بالمنديل حين وثب
وقال :

لبست صفرة فكم فتنت من
مثل شمس الغروب تسحب ذيلا
أعين قد رأيتها وعقول
صبغته بزغفران الأصـيل
والشمس عند طلوعها ، وعند غروبها ، تمكن الناظر إليها فيمكن التشبيه

بها ؛ قال قيس بن الخطيم :

فرايت مثل الشمس عند طلوعها فى الحسن أو كدنوها لغروب

(١) فى نسخة « لتسبح منى نظرة ثم أطرق » (م)

(٢) وفيها « حللت عن برد ماء ... وهى تعرف » وحللت: منعت وطردت (م)

[جرير في المدينة يُغري بشعر قيس بن الخطيم]

ولما قدم جرير بن الخطفي المدينة اجتمع إليه أهلها ، وقالوا : يا أبا حزرّة !
أنشدنا من شعرك ، قال : ما تصنعون به ؟ وفيكم من يقول :

أنى سرت وكنت غير سرور وتقربُ الأحلامُ غيرَ قريبِ
ما تمنى يقظي فقد نولته في النوم غير مُصرّدٍ محسوبِ^(١)
كان المنى يُلقيني بها فلقيتها فلهوت عن لهُوِ امرئٍ مكذوبِ^(٢)
فرايتُ مثل الشمس عند طلوعها في الحُسنِ أو كدُ نُوّها لغروبِ
تخطو على بردِ يَتَيْنِ غَذاهُمَا غَدِقٌ بِسَاحَةِ حائرٍ يعبُوبِ^(٣)

[يعقوب بن داود]

وقّع يزيد بن خالد الكوفي رقعة إلى يعقوب بن داود ضمنها :

قل لابن داود والأنباء سائرة : لا يُحزِرُ الأجرُ إلا مَنْ له عملُ
يا ذا الذي لم تزل يُمنّاه منذ خلقتُ فيها لِبِغايِ نَدَاهِ العَلِّ والنهَلِ
إن كنت مسدى معروف إلى رجلٍ لفضلِ شُكْرِ فإني ذلك الرجلُ
فأمننُ على بيرةٍ منك ينعشني فإنني شاكِرُ المعروفِ محتَمَلُ
قال يعقوب : قد جرّبنا شُكْرَكَ فوجدناه قد سبق برّنا ، وقد أمرتُ
لك بعشرة آلاف درهم [تصلح حالك] ، وليست آخر ما عندنا لك ،
فاستوفأها حتى مات .

(١) مصدر - بزنة العظام - المقطع ، وفي نسخة « مسرد » تحريف (م)

(٢) في نسخة « عن لهُو - أرى - مكذوب » وما أثبتناه يوافق الأُمالي

٢٧٣/٢ وحماسة ابن الشجري ١٨٩ (م)

(٣) وقع هذا البيت في نسخة ، على هذا الوجه :

يخطو على برد يبين خطاها عذقُ محافة خابر لعيوبِ
وهذا البيت ليس في الأُمالي ولا في حماسة ابن الشجري ، وهو في ديوان قيس
ص ٦ سادس أبيات قطعة عدتها ثلاثة عشر بيتا (م)

ولما سخط المهدي على يعقوب أحضره ، فقال : يا يعقوب ! قال : لبيك
يا أمير المؤمنين تلبية مكروبٍ لِمَوْجِدَتِكَ ، شَرَقَ بِنُصَّتِكَ ، قال : ألم أرفع قَدْرَكَ
وأنتَ خاملٌ ، وأسير ذكرك وأنت هاملٌ ، وألبسك من نِعَمِ الله تعالى ونِعَمِي
مالم أجدُ عندك طاقةً لِحمله ، ولا قياماً بشكره ؟ فكيف رأيت الله تعالى أظهر
عليك ، وردَّ كَيْدَكَ إليكَ ؟

قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن كنت قلت هذا بتيقن وعم فإني معترف ،
وإن كان بسعاية الباغين ، ونمائم المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ؛ وأنا عائد
بكرمك ، وعميم شرفك .

عقال : لولا الحنث^(١) في دمك لألبستك قميصاً لا تشد عليه زراً^(٢) ؛ ثم أمر به
إلى الحبس ، فتولّى وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كرمٌ ، والمودة رحيمٌ ،
وما على العفو ندمٌ ، وأنت بالعفو جديرٌ ، وبالحسان خَلِيقٌ . فأقام في السجن
إلى أن أخرجه الرشيد .

أخذ معنى قول المهدي : « لألبسك قميصاً لا تشد عليه زرا »
أبو تمام فقال :

طوّقته بالحسام طوّقَ ردّي أغناه عن مسّ طوّقه بيده

وقال ابن عمر في معنى قول الطائي :

طوّقته بحسام طوّقَ داهيةٍ لا يستطيعُ عليه شدّ أزرارِ

(١) في نسخة « لولا الحسب في دمك » (م)

(٢) في نسخة « لا تشد عليه أزرارا » (م)

ولما قبض المهدي على يعقوب ورأى أبو الحسن النخعي مَيْلَ الناس عليه ،
وكان مختلطاً به قال :

يعقوبُ لا تَبْعَدْ وَجُنَّبْتَ الردى فلا بكيَنَّ كما بكي الغصنُ الندى^(١)
لو أنَّ خيرك كان شراً كلهُ عند الذين عدوا عليك لما عدا
أخذ هذا المعنى بعض المحدثين [في الغزل] فقال :

لو أن هجرك كان وصيلاً كلهُ مما أقاسى منك كان قليلاً

[بين أحمد بن أبي دؤاد والواثق]

قال أبو العيَّان : قال لي أحمد بن أبي دؤاد : دخلت على الواثق فقال لي :
ما زال اليوم قومٌ في ثلبك ونقصك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ
منهم ما اكتسب من الإنم ، والذي تولى كِبْرَهُ منهم له عذاب عظيم ، والله
ولئى جزائه ؛ وعقابُ أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذلَّ - يا أمير المؤمنين -
من كنت ناصره ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟
قال : قلت يا أبا عبد الله :

وسعى إلى بصرم عزة معشرٍ جعل الإلهُ خُدودهنَّ نعالها^(٢)

قال الفتح بن خاقان : ما رأيت أظرف من ابن أبي دؤاد ؛ كنت يوماً
ألاعب المتوكل بالترد ، فاستوذن له عليه ، فلما قرُب منا هممت برفعها ، فنعنى
المتوكل وقال : أجاهرُ الله وأشتره من عباده ؟ فقال له المتوكل : لما دخلت
أراد الفتح أن يرفع الرد ! قال : خاف يا أمير المؤمنين أن أعلم عليه !
فاستحليناه ، وقد كنا تجهمناه .

(١) في نسخة « فلا بكيَنَّ ما بكي الغصن الندى » (م)

(٢) في نسخة « وسعى إلى بعيب عزة معشر » (م)

[من خطباء العرب شيب بن شيبه وخالد بن صفوان]

قيل لبعض الأمراء : إن شيب بن شيبه^(١) يتعمّل الكلام ويستدعيه ،
فلو أمرته أن يصعد المنبر فجأة لافتضح ؛ فأمر رسولا فأخذ بيده فصعد به المنبر ،
فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : إنّ لأمر
المؤمنين أشباها أربعة : الأسد الخادِر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع
الناصر ، فأما الأسد الخادر فأشبهه صولته ومضاهه ، وأما البحر الزاخر فأشبهه
جوده وعطاهه ، وأما القمر الباهر فأشبهه نوره وضياهه ، وأما الربيع الناضر
فأشبهه حسنه وبهائه ، ثم نزل .

وهذا الكلام يُنسبُ إلى ابن عباس بقوله في علي بن أبي طالب رضى الله عنهما .
وكان شيب بن شيبه من أفصح الناس وأخطبهم ، ويشبهه بخالد بن صفوان ؛
غير أن خالداً كان أعلى منه قدراً في الخاصة والعامة . وذكر خالد شيبياً فقال :
ليس له صديقٌ في السرِّ ولا عدوٌّ في العلانية . وكانت بينهما معارضة^(٢) للنسب
والجوار والصناعة ، ولما قال الشاعر :

فَنَحَّ شَيْبِيًّا عَنْ قِرَاعِ كَتَيْبَةٍ وَأَذِنَ شَيْبِيًّا مِنْ كَلَامِ مُلَقِّقِ
وكان لا ينظر إليه أحد وهو يخطب إلا تبين فيه الخجل .
وقال أبو تمام لعلي بن الجهم :

لو كنتُ يوماً بالنجوم مُصَدِّقًا لزعمتُ أنّك نلتَ شكلَ عُطَارِدِ
أو قدّمْتُكَ السَّنَّ خِلْتُ بأنّه من لَفِظِكَ اشْتَقَّتْ بِلَاغَةُ خَالِدِ

وقالت له امرأة : إنك لأجميل يا أبا صفوان . قال : كيف تقولين هذا وما
في عمودُ الجلال ولا ردأؤه ، ولا بُرُؤُسه . عمودُه الطول ، ولست بطويل ، ورددأؤه

(١) تختلف الأصول في هذا الاسم ؛ فبعضها يقع فيه « شيب بن شبة » بياء
موحدة مشددة بعد الشين ، وبعضها يقع فيه « شيب بن شيبه » بياء مشناة تحتية
ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة ، ويتعمّل الكلام : يتكلفه (م) (٢) في نسخة
« مفاوضة » (م)

البياض ، ولست بأبيض ، وبُرُنْسِه سواد الشعرِ ، وأنا أشمطُ ! ولكن قولي :
إنك للمليح .

وكان خالد حافظاً لأخبار الإسلام ، وأيام الفتن ، وأحاديث الخلفاء ،
ونوادِر الرواة ، وكل ماتصرف فيه أهل الأدب ، وله يقول مكي بن سواده :

عَلِمَ بِتَنْزِيلِ الْكِتَابِ مَلَقَنَّ ذَا كُورٍ لَمَّا سَدَّاهُ أَوْلُ أَوْلَا
يُبْدِ قَرِيعَ الْقَوْمِ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ وَلَوْ كَانَ سَحْبَانَ الْخَطِيبِ وَدَغْفَلَا
تَرَى خُطْبَاءَ النَّاسِ يَوْمَ أَرْتَجَالِه كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ صَادَفَ أُجْدَلَا^(١)

أما سَحْبَانَ الذي ذكره فهو خطيبُ العربِ بأسرها غير منازع ولا مدافع ،
وكان إذا خطب لم يُعِدْ حرفاً ، ولم يتوقف ، ولم يتحسب ، ولم يفكر في استنباط ،
وكان يسيل غرْباً ، كأنه آذَى بُحْرٍ^(٢) .

ويقال : إن معاوية قدم عليه وفد من خراسان وجههم سعيد بن عثمان ،
وطلب سَحْبَانَ فلم يوجد عامة النهار ، ثم اقتضِبَ من ناحية كان فيها اقتضاباً ،
فدخل عليه فقال : تكلم ، فقال : انظروا لي عصاً تُقِيمُ من أودي ، فقال له
معاوية : ما تصنعُ بها ؟ فقال : ما كان يصنع موسى عليه الصلاة والسلام وهو
يخاطبُ ربَّه وعصاه بيده ، فجاءوه بعصا فلم يرُضها . فقال : جيئوني بعصا ،
فأخذها ، ثم قام فتكلم منذ صلاة الظهر إلى [أن فاتت] صلاة العصر ، ماتدخنح ،
ولا سعل ، ولا توقف ، ولا تحسب ، ولا ابتدأ في معنى فخرج منه إلى غيره حتى
أتمه ولم يبق منه شيء ، ولا سأل عن أي جنس من الكلام يخطب فيه ، فما
زالت تلك حاله وكل عين في السامطين شاخصة إلى أن أشار له معاوية بيده
أن اسكت ، فأشار سحبان بيده أن دغنى لا تقطع على كلامي ، فقال له معاوية :
[الصلاة ، فقال : هي أمامك ونحن في صلاة يتبعها تحميد وتمجيد ، وعظة وتنبية

(١) الأجدل : الصقر ، وهو من كواسر الطير (م)

(٢) الآذى : الموج (م)

وتذكير ووعد ووعيد ، فقال معاوية : [إنك أخطبُ العرب ، فقال سبحانه :
والعجم ، والجن ، والإنس .

[عجلان بن سبحان]

وكان ابنه عجلان حلوَ اللسان ، جيدَ الكلام ، مليح الإشارة ، يجمعُ مع
خطابته شعراً جيداً ، ويضرب الأمثال إذا خطب ، وينتزع النادرَ من الشعر ،
والسائرَ من المثل ، فتَعَلُّوْ حُطْبَتِهِ ، وكان يَرْنُ كَلَامَهُ وَرَنا .

[دغفل بن حنظلة النسابة]

وأما دَغْفَلُ الذي ذكره مكى بن سوادة فهو دَغْفَلُ بن حَنَظَلَةَ بن يزيد أحد
بنى ذهل بن ثعلبة النسابة ، وكان أعلمَ الناسِ بأنساب العرب ، والآباء والأمهات ،
وأحفظهم لمثالبها ، وأشدَّهم تنقيراً وَبَحْثاً عن معائب العرب ، ومثالب النسب .
قال له معاوية يوماً : والله لئن قلت في هذا البيت ^(١) من قريش ماتجد في آل
حَرْبٍ مقالا ؛ فتبسّم دَغْفَلُ ؛ فقال له معاوية : والله لتخبرني بتبسمك ، وما انضمت
عليه جوانحك ، أو لأضربنَّ عنقك ، وما آمنُ أن تكذب أو تزيد .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أنتم من بنى عبد مناف كسنام كوماً فتية ^(٢) ، ذات
مرعى خصيب ، وماء عذب ، وأكمة بارزة ، فهل يوجد في سنام هذه مدب
قراد من عاهة ؟ فقال له معاوية : أولى لك ! لو قلت غير هذا ؛ أما على ذلك
لو رأيت هنداً وأباها ، وزوجها ، وأخاها ، وعمها ، وخالها ، لرأيت رجالاً تحارُّ أبصارُ
من رآهم فيهم ، فلا تجاوزهم إلى غيرهم ، جلالاً وبهاء .

[وصف العصا لأعرابي بين يدي الحجاج]

وعلى ذكر العصا لقي الحجاج أعرابياً فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من

(١) في نسخة « في هذا النسب من قريش » (م)

(٢) الكوما : الناقة العظيمة السنام (م)

البادية . قال : ما يدك ؟ قال : عصا أركزُها لصلاتي ، وأعدُّها لمداتي ، وأسوقُ بها دابتي ، وأقوى بها على سقري ، وأعتمدُ بها في مشيتي ، لينسجَ بها خطوي ، وأعبرُ بها^(١) النهر فتؤمنني ؛ وألقى عليها كسائي فتسترني من الحر ، وتقيني من القر ، وتذني ما بعد مني ، وهي تحمّل سفرتي ، وعلاقة إداوتي ، ومشجَب ثيابي ، أعتمدُ بها عند الضراب ، وأفرع بها الأبواب ، وأنتهي بها عقور الكلاب ، تنوبُ عن الرُمح في الطعان ، وعن الحِرز^(٢) عند منزلة الأقران ، ورثتها عن أبي ، وأورثها بعدى ابني ، وأهشُّ بها على غنمي ، ولي فيها مآرب أخرى ، كثيرة لا تحصى .

[عِرْزَةُ الخليل بن أحمد]

قال النضر بن شميل : كتب سليمان بن علي إلى الخليل بن أحمد يستدعيه الخروج إليه ، وبعث إليه بمال كثير ، فردّه وكتب إليه :

أبلغ سليمان أي عنه في سعة
وفي غنى غير أي لستُ ذا مالٍ
يسخو بنفسي أي لا أرى أحداً
يموت هزلاً ولا يبقى على حالٍ
والفقرُ في النفس لافي المال نعرفه
ومثلُ ذاك الغنى في النفس لا المال
والمال يفتي أناساً لا خلاق لهم
كالسبيل يفتي أصول الدندن البالي^(٣)
كلُّ امرئ بسبيل الموت مرتبه
فاعمل لنفسك ، إني شاغلٌ بالي
أخذ هذا الطائي فقال :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى
فالسبيلُ حربٌ للمكان العالي
وقال أيضاً يصف قوماً خُصوا بابن أبي دواد :
نزلوا مركز الندى وذراهُ
وعدتنا من دون ذاك العوادي

(١) في نسخة « وأبث بها النهر » ولا وجه له (م)

(٢) في نسخة « وعن الحرب » (م)

(٣) الدندن - بكسر الدالين - كل ما أسود من نبات أو شجر (م)

غير أن الرُّبَا إلى سُبُل الأنواء أَدْنَى ، والحظُّ حظ الوهَادِ^(١) وهذا الشعر من أصلح شعر الخليل ، وكان شعره قليلا ضعيفا ، بالإضافة إليه وهو أستاذ النحو والغريب ، وقد اخترع علم العروض من غير مثال تقدمه ، وعنه أخذ سيبويه ، وسعيد بن مسعدة ، وأئمة البصريين ، وكان أوسع الناس فِطْنَةً ، وألطفهم ذهنا . قال الطائي :

فلو نُشِر الخليل إذا لَعَقَّت رَزَاياه على فِطْنِ الخليل

للصابي يعزى
عن صفد

[من رسائل الصابي]

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى محمد بن عباس يعزیه عن طفل :
الدينا ، أطال الله بقاء الرئيس ، أقدارٌ تَرَدُّ في أوقاتها ، وقضايا تَجْرِي إلى غاياتها ، ولا يُرَدُّ منها شيء عن مداه ، ولا يصدُّ عن مطلبه ومنجّاه ؛ فهي كالسهم التي تثبت في الأغراض ، ولا ترجعُ بالاعتراض ؛ ومن عرف ذلك معرفة الرئيس لم يغض من الزيادة ، ولم يقنط من النقيصة^(٢) ، وأمن أن يستخف أحد الطرفين حله ، ويستزل أحد الأمرين حزمه ، ولم يدع أن يوطن نفسه على النازلة قبل نزولها ، ويأخذ الأهبة للحادثة قبل حلولها ، وأن يجاور الخير بالشكر ، ويساور المحنة بالصبر ؛ فيتخير فائدة الأولى عاجلا ، ويستمرى عائدة الأخرى آجلا .

وقد نفذ من قضاء الله تعالى في المولى الجليل قدراً ، الحديث سنّاً ، ما أرمض ، وأوَمَض ، وأقلق وأقض ؛ ومسنى من التألم له ما يحقُّ على مثلي ممن توافت أيادي الرئيس إليه ، ووجبت مشاركته في المم عليه ، فإننا لله وإنا إليه راجعون وعند الله نحتسبه غصناً ذوى ، وشهاباً خياً ، وفرعاً دلّ على أصله ، وخطياً أنبته

(١) الأنواء ، : الأمطار . واحدها نوء ، وفي نسخة « والحظ عند الوهاد » (م)

(٢) في نسخة « ولم يقنط عند المصيبة ولم يحزع عند النقيصة » (م)

وَشَيْخُهُ ؛ وإياه أسألُ أن يجعله للرئيس فرطاً صالحاً ، وذُخراً عتيداً ، وأن ينفعه يوم الدين ، حيث لا ينفعُ إلا مثله بين البنين ، بجوده ومجده .
ولئن كان المصابُ عظيماً ، والحادثُ فيه جسيماً ، لقد أحسن اللهُ إليه ، وإلى الرئيس فيه ؛ أمّا إليه فإن الله نزهه بالاحترام^(١) ، عن إقترافِ الآثام ، وصانه بالاحتضار ، عن ملابسة الأوزار ، فورد دنياه رشيداً ، وصدر عنها سعيداً ، نقي الصحيفة من سوادِ الذنوب ، برى الساحة من دَرَن العيوب ، لم تدنسه الجرائرُ ، ولم تعلقْ به الصغائرُ والكبائرُ ، قد رفع اللهُ عنه دقيقَ الحساب ، وأسهم له الثواب مع أهلِ الصواب ، وألحمه بالصدّيقين الفاضلين في المعاد ، وبوّأه حيث أفضلهم من غير سعيٍ ولا اجتهاد .

وأما الرئيس فإن الله عز وجل لما اختار ذلك له قبضه قبل رؤيته إياه على الحالة^(٢) التي تكون معها الرقة ، ومعابنته التي تتضاعفُ معها الحرقة ، وحماه من فتنه المرافقة ، ليرفعه عن جزع المفارقة ، [وكان هو المبقى] في دنياه ، وهو الواحد الماضي الذخيرة لأخراه ، وقد قيل : إن تسلّم الجلّةُ فالسخلُ هدر^(٣) ؛ وعزير على أن أقول قول المهوّن للأمر من بعده ، وألاً أوفى التوجع عليه واجبٌ فقده ، فهو له سُلالة ، ومنه بضعة ، ولكن ذلك طريقُ التسلية ، وبيلُ التعزية ، والمنهجُ السلوك في مخاطبة مثله ، ممن يقبل منفعة الذكرى وإن أغناه الاستبصار ، ولا يأبى ورود الموعظة وإن كَفَاه الاعتبار ، والله تعالى يقي الرئيس المصائب ، ويعيده من النوائب ، ويرعاه بعينه التي لاتنامُ ، ويجعله في حِمَاه الذي لا يُرام ، ويُبقيه موفوراً غير منتقص ، ويقدمنا إلى السوء أمامه ، وإلى المحذور قدّامه ، ويبدأ بي من بينهم في هذه الدعوة ، إذ كنت أراها من أسعد أحوالى ، وأعدّها من أبلغ أمانى وآمالى .

(١) الاحترام : الموت (م)

(٢) فى نسخة « على الحالة التي تصعب معها الفرقة ، وتتضاعف عندها الحرقة » (م)

(٣) الجلّة - بكسر الجيم - اللسان من الإبل ، والسخل - بفتح فسكون - ولد

الشاة ، واحدة سخلة (م)

من الصافي
إلى بعض
الرؤساء

وكتب إلى بعض الرؤساء :

قد جرت العادة - أطال الله بقاء الأمير! - بالتمهيد للحاجة قبل موردها، وإسلاف الظنون الداعية إلى نجاحها، وسالك هذه السبيل يسىء الظن بالمسئول؛ فهو لا يلمس فضله إلا جزاء، ولا يستدعى طوله إلا قضاء؛ والأمير بكرمه الغريب، ومذهبه البديع، يؤثر أن يكون السلف له، والابتداء منه، ويوجب للمهاجم برغبته عليه حق الثقة به منه، والحمد لله الذي أفرد بالطرائق الشريفة، وتوحد^(١) بالخلائق المنيفة، وجعله عين زمانه البصيرة، ولمعته الثاقبة المنيرة^(٢).

[من رسائل البديع]

كتاب منه
إلى بعض
أصحابه

وكتب البديع في بابه إلى بعض أصحابه :

لك أعزك الله عادة فضل، في كل فصل، ولنا شبه ممت، في كل وقت؛ ولعمري إن ذا الحاجة مقيت الظلمة، ثقيل الوطأة، ولكن ليسوا سواء [؛أولو^(٣) حاجة تحتاج إليهم الأموال، وأولو حاجة تحوجهم الآمال.

والأمير أبو تمام عبد السلام بن الفضل^(٤) اللطيف لله أمير المؤمنين - أيده الله - إن أحوج الزمان فطالما خدمه، وإن أهانه فكثيراً ما أكرمه وبقمه. وقديماً أقله السرير، وعرفه الخورنق والسدير. وإن نقصه المال فالعرض وافر، وإن جفاه الملك فالفضل ظاهر، وإن ابتلاه الله فليبتليكم به فينظر كيف تفعلون. وأنت تقابل مورده عليك من الإعظام، بما يستحق من الإكرام، فلا تنظرن إلى ثوب بال، فتخته شرف عال، ولا تقس على البرد، ما وراءه من الحمد، ولكن إن نظرت في شامخ أصله، وراسخ عقله، وشهادة الفراسة له. ثم ليأت بعد هذه الآيات ما هو قضية المروءة معه، والأخوة معي، بالغا في ذلك غاية جهده، والسيف لا يرى في غمده، والحمد لله حق حمده.

(١) في نسخة «ووحده» وهما بمعنى أفرده (م) (٢) في نسخة «الباقية المنيرة» (م)

(٣) من هنا إلى العنوان الذي وضعناه في ص ٩١٩ ساقط من جميع المطبوعات (م)

(٤) في الرسائل (ص ١٦٠) «بن جعفر» (م)

كتاب منه
إلى إبراهيم
بن أحمد
بن حمزة

وله إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن حمزة :
لو كانت الدنيا أطال الله بقاء الشيخ ! — على مرادى تجرى ، لاخترت
أن أضرب بهذه الحضرة أطناب عمرى ، وأنفق على هذه الخدمة أيام دهرى ،
ولكن فى أولاد الزنا كثرة . ولعين الزمان نظرة ، وقد كنت حَظِيْتُ من خدمة
الشيخ الحسن بشرعة أنس نغصها بعض الوشاة على ، وذكر أنى أقت بطوس بعد
استئذانى إلى مرو ، وفى هذا ما يعلمه الشيخ ، فإن رأى أن يحسن جَبْرِى بكتاب
يطرز به مقدمى فعل إن شاء الله تعالى .

كتاب آخر
إلى أبى نصر
الميكالى

وله فى هذا الباب إلى أبى نصر الميكالى :
الشيخ — أعزه الله — مَلَكَ من قلبى مكانا فارغا^(١) ، فزله غير منزل قلعة ،
ومن مودتى ثوبا سابغا ، فلبسه غير لبسة خلعة ، ومن نصب تلك الشائل
شبكة ، وأرسل تلك الأخلاق شركا ، فنص الأحرار فاستحتمهم ، وصاد
الإخوان واسترقهم .

وتالله ما يُعَبَّنُ إلا من اشترى عبداً وهو يحدُ حراً بأرخص من العبدئنا ، وأقل
فى البيع غبنا ، ثم لا يهتبل^(٢) غرة وجوده ، وينتهز فرصة امتلاكه بجوده ، وأنا أنم
للشيخ على مكربة يتيمة ، ونعمة وسيمة . فليعتزل من الرأى ما كان بهيما ، وليطلق
من النشاط ما كان عقيما ، وليحلل حَبوة التقصير ، وليتجنب جانب التأخير ،
وليفتضَّ عُدْرَتها ، وينقض حجتها وعمرتها ، برأى يجذبُ المجد باعه ، ويعمر النشاط
رباعه ؛ وتلك حاجة سيدى أبى فلان وقد ورد من الشيخ بجرأ ، وعقد به جسراً ،
وما عسر وعُدُّ هو مستنجزه ، ولا بعد أمر هو منتزه ، ولا ضاعت نعمة أنابر يد
شكرها ، وعزيم نشرها ، وولى أمرها ؛ وهذا الفاضل قرارة مائها ، وعماد بنائها ؛
وقد شاهدت من ظرفه ، ما أعجز عن وصفه ، وعرفت من باطنه ما لم يُدرَ بظاهره ،
ورأيت من أوله ما تمَّ على آخره ، ثم له البيت المرموق ، والنسب الموموق ، والأولية

(١) يشير بهذا إلى قول الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل
ومزل قلعة : يعنى لا يطول المقام به (م) (٢) لا يهتبل : لا ينتهز (م)

قديمة ، والشيمة الكريمة ؛ وقد جَمَعْتَنَا في الود حلقة ، ونظَمْتَنَا في السفر رقة ،
عرفني بما أنهض له وفيه ، فضمنت له عن الشيخ كَرَمًا لا يغلَقُ بابَه ، وغَدَقًا^(١)
يُخَلِّفُ سحَابُهُ ؛ فليخرجني الشيخ من عهدة هذه الثقة ، زادها إليه تأ كدًا ،
إِن رَأَى أَن أسأل الشيخ في معناه عرفني كيف المأتى له ، وإنما أَطَلْتُ ليعلم صِدْقَ
تَمَامِي ، وفرَطَ تَقْلِيدِي للمنة والنزاهة .

جواب منه
عن صنعة

وله جواب عن صنعة بصاحب هذه العناية :

وَد فلان سیدی وهو عينُ بلدتنا وإنسانها ، ومقلتها ولسانها ؛ فأظهر آيات
علمه ، لاجرم أنه وصل إلى الصميم ، من الإيجاب الكريم ، وهو الآن مقيمٌ بين
وُح وریحان وجنة نعيم ، تحيَّته فيها سلام ، وآخر دعواه ذكرك وحسن التناء
ليك بما أنت أهلُه ، وأنا أصدقُ دعواه ، وأفتخر به افتخار الخصى بمتاع مولاه ،
د عرفته ولسنه ، وكيف يَجْرُ^(٢) في البلاغة رَسَنَه ، فما ظنك به ؟ وقد ملكتها
فالس ولحظتها العيون ، وسلّ صارمًا من فيه ، يُعيدُ شكرك ويُبديهِ ، وينشر
كرك ويطويه ؛ والجماعة تمدحُ ملدحه ، وتجرح بجرحه ، فرأيك في تحفظ أخلاقك
في أثمرت هذا الشكر ، وأنتجت هذه المآثر العر ، موفقًا إن شاء الله تعالى .

ومن إنشائه في مقامات الاسكندري ، قال :

المقامة
الأذربيجانية

حدثنا عيسى بن هشام ، قال : لما نَطَقَنِي الغني بفاضل ذَبِيلِه ، أتهمتُ بمال
بيته ، أو كثر أضرابته ، فخرّفتني الليلُ ، وسرتُ بي الخليلُ . وسلكتُ في
بابي مسالكٍ لم يَرُضْها السيرُ ، ولا اهتدّت إليها الطيرُ ، حتى طويتُ أرضَ
غيبٍ وتجاوزتُ حدّه ، وصرتُ إلى حَيِّ الأَمْنِ ووجدتُ برّده ، وبلغتُ
ريحانٍ وقد حَفِيَتِ الرواحلُ ، وأكلتُها المراحلُ ، ولما بلغتُها :

(١) الغدق - بالتحريك - الماء الكثير (م)

(٢) في نسخة « يجرى » وليس بذلك (م)

نزلنا على أن المقام ثلاثة فطابت لنا حتى أقنابها شهرا
 فمينا أنا يوما في بعض أسواقها إذ طلع رجل برُكوةٍ قد اعتضدها^(١)، وعصا
 قد اعتمدها، وذنبة قد تملَّسها، وفوطة قد تطيلَّسها؛ فرغ عقيرته وقال: اللهم
 يا مبدى الأشياء ومعيدَها، ومحبي العظام ومبيدَها، وخالق المصباح ومديره،
 وخالق الإصباح ومديره، وموصل الآلاء سابعة إلينا، ومُمسِك السماء أن تقع علينا،
 وبارئ النَّسم أزواجا، وجاعل الشمس سراجا، والسماء سقفاً، والأرض فراشا،
 وجاعل الليل سكنا والنهار معاشا، ومنشئ السحاب ثقلا، ومرسل الصواعق
 نكالا، وعالم مافوق النجوم، وماتحت التخوم. أسألك الصلاة على سيد المرسلين
 محمد وآله الطاهرين، وأن تعينني على العربة أثني حبلها، وعلى العُسرة أعبو
 ظلها، وأن تُسهِّل لي على يدي مَنْ فطرته الفِطْرَةَ، وأطلعته الطُّهْرَةَ، وسعد
 بالدين المتين، ولم يعمَّ عن الحق المبين، راجلةً تطوى هذا الطريق، وزادا
 يسعني والرفيق.

قال عيسى بن هشام: فناجيتُ نفسي بأن هذا الرجل أفصحُ من إسكندرينا
 أبي الفتح، والتفتُ لفتهً، فإذا هو أبو الفتح. فقلتُ: يا أبا الفتح، بآع هذه
 الأرض كيدك، وانتهى إلى هذا الشعبِ صيدك؟! فأنشأ يقول:

أنا جَوَّالَةُ البِلا دِ وجَوَّابَةُ الأفقِ
 أنا خُذْرُوفَةُ الزما نِ وعمَّارَةُ الطُّرُقِ
 لا تَلْمِني لك الرشا دُ على كُدَيْتي وذُقِ

وقال الطرماح بن حكيم:
 وما أنسِمَ الأشياءَ لا أنسَ بيعةً من الدهرِ إذ أهل الصفاء جميع

(١) ركوة: وعاء يجمع فيه ما يحمله، واعتضدها: جعلها في عضده (م)

وإذ دهرنا فيه اعتزاز، وطيرنا
 سوا كن في أوكارهنّ وقوع
 فهل لليالينا بنعم مليحة
 وأيامهنّ الصالحات رُجوع؟
 كأن لم يرُ عكّ الظاعنون إلى بلى
 ومثل فراق الظاعنين يرُوع^(١)

[أيام الشباب وأيام المشيب]

لعلّى العالوى

وقال على بن محمد [بن الحسن] العالوى :

واها لأيام الشبا ب وما لبسن من الزخارف
 وذهابن بما عرفن من المناكر والمعارف
 أيام ذكرك فى دوا وين الصبا صدر الصحائف
 واها لأيامى وأيام الشهيات المراشف
 الفارسات البان قضباناً على كئيب الروادف
 والجماعات البدر ما بين الحواجب والسوالف
 أيام يظهرن الخلالا ف بغير نيات الخالف
 وقف النعيم على الصبا وزلات من تلك المواقف

لابن المعتز

وقال ابن المعتز :

دعتنى إلى عهد الصباربة الخدر
 وقالت وماه العين يخط كحلها
 لمن تطلب الدنيا إذا كنت قابضاً
 أراك جعلت الشيب للهجر علة
 وألقت قناع الخز عن واضح الثغر
 بصفرة ماء الزعفران على النحر
 عنانك عن ذات الوشاحين والشذر
 كأن هلال الشهر ليس من الشهر
 وقال [أحمد بن أبى طاهر] :

(١) من أول موضع إشارتنا فى ص ٩١٥ إلى هنا ساقط من جميع المطبوعات (م)

يا من كَلِّفْتَ بِجَبِّهِ كَلْفِي بِكَاسَاتِ الْعُقَارِ
 وَحَيَاةِ مَا فِي وَجْتِيكَ مِنَ الشَّقَائِقِ وَالْبَهَارِ
 وَوُلُوعِ رِدْفِكَ بِالْتَرَجْرِجِ تَحْتَ خَصْرِكَ فِي الْإِزَارِ
 مَا إِنْ رَأَيْتَ لِحْسَنِ وَجْهِكَ فِي الْبَرِّيَّةِ مِنْ نِجَارِ
 لِمَا رَأَيْتَ الشَّيْبَ مِنْ وَجْهِ بِي مَا يَحْكِي الْخِجَارِ
 [قَالَتْ غِبَارٌ قَدْ عَلَاكَ فَقُلْتَ ذَا غَيْرِ الْغِبَارِ
 هَذَا الَّذِي تَقُلُّ الْمَلُوكَ إِلَى الْقُبُورِ مِنَ الدِّيَارِ]
 قَالَتْ ذَهَبْتَ بِحُجَّتِي عَنِّي بِحَسَنِ الْاِعْتِذَارِ
 يَا هَذِهِ أَرَأَيْتَ لَيْسَ لَمَّا ذَخَلْتَ بِلَا نَهَارِ

وقال خالد الكاتب :

خالد الكاتب

نظرتُ إلىَّ بعينٍ من لم يعدلِ
 لما رأتُ شيباً أَلَمَ بِمَفْرَقِي
 وصدتُ صدودَ مُفَارِقِي متحمِّلِ
 والشيبُ يغمزها بالألَّ تَفْعَلِي
 وظللتُ أطلبُ وصلها بتملُّقِ
 وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

كفى حزنًا أن الشباب معجَّلُ
 وعزَّاك عن ليل الشباب معاشرُ
 قفلت : نهار المرء أهدى لسعيه
 سحار الفتى شيوخوخة أو منية
 وقال :

كان الشبابُ وقلبي فيه منغمسٌ
 في لذةٍ لست أدري مادواعيها

(١) الحمار : المرجع ، حار يحور : رجع ، والمنية : الموت ، والمرجوع : المرجع

أيضا ، ورمدد : الرماد (م)

رَوْحَ عَلَى النَّفْسِ مِنْهُ كَادَ يُبْرِدُهَا
 كَأَنَّ نَفْسِي كَانَتْ مِنْهُ سَارِحَةً
 يَمِضُ الشَّبَابُ وَيَبْقَى مِنْ لُبَابَتِهِ
 مَا كَانَ أَعْظَمَ عِنْدِي قَدْرَ نِعْمَتِهِ
 مَا كَانَ يُوزَنُ إِعْجَابَ النِّسَاءِ بِهِ
 وَقَالَ :

إِذَا مَارَأْتُكَ الْبَيْضَ صَدَدْتُ ، وَرَبَّمَا
 وَمَا ظَلَمْتُكَ الْغَايَاتُ بِصَدِّهَا
 أَعْرِ طَرْفَكَ الْمَرَاةَ وَانظُرْ ؛ فَإِنَّ نَبَأَ
 إِذَا سَنَدَتْ عَيْنَ الْفَتَى شَيْبَ نَفْسِهِ
 وَقَالَ كَشَاجِمُ :

وَقَفَّتْنِي مَا بَيْنَ حُزْنٍ وَبُؤْسٍ
 إِذْ رَأَيْتُنِي مَشَطَّتُ عَاجِئًا بِعَاجٍ
 وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

بَكَرْتُ تَبَصَّرْنِي الرَّشَادَ كَأَنْتِي
 وَتَقُولُ : وَيَحْكُ قَدْ كَبُرْتَ عَنِ الصَّبَا
 فَإِلَى مَتَى تَصْضَبُونَ وَأَنْتِ مَتَمِّمٌ
 فَأَجَبْتُهَا إِنْ عَرَفْتُ مَذَاهِبِي
 لَا أَهْتَدِي لِمَذَاهِبِ الْأَبْرَارِ
 وَرَمَى الزَّمَانُ إِلَيْكَ بِالْأَعْدَارِ
 مُتَقَلِّبٌ فِي رَاحَةِ الْإِقْتَارِ
 فَصَرَفْتُ مَعْرِفَتِي إِلَى الْإِنْكَارِ

لكشاجم

لأبي نواس

(١) يشجبها : يحزنها (م)

(٢) أصور : مائل (م)

(٣) يجور : ينسب إلى الجور ، وهو ضد العدل (م)

(٤) الشنأة : البغض والكراهية ، وشنئت : أبغضت (م)

لأحمد بن زياد

وقال أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيتُ الشيبَ حلَّ بياضه
بمفرقِ رأسي قلتُ : أهلاً ومرحباً
ولو خلتُ أنى إن تركتُ تحيتي
تنكّبَ عنى رُمتُ أنْ يتنكبأ
ولكن إذا ما حلَّ كرهٌ فساحت
به النفسُ يوماً كان للكره أذهباً

كأن هذا البيت ينظر إلى قول الأول :

وجاشت إلى النفسُ أولَ مرةٍ
فردّتْ إلى معروفها فاستقرتْ
أبو الطيب :

للمتنبى

أنكرتُ طارقةَ الحوادثِ مرةً
ثم اعترفتُ بها فصارتُ ديدناً
ابن الرومي :

لابن الرومي

لاح شَيْبِي فصرتُ أمْرَحُ فيه
مرحَ الطَّرْفِ في العِذارِ المحلّي
وتولّى الشبابُ فازددتُ غيًّا
في ميادينِ باطلي إذ تولّى
إنَّ من ساءه الزمانُ بشيءٍ
لأحقّ الوري بأن يتسلى
[المتنبى :

أتراني أسوء نفسيَ لما
ساءني الدهرُ ؟ لا ، لعمرى ، كلاً
المتنبى :

للمتنبى

تَضَهُو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ
عما مضى فيها وما يتوقَّعُ
ولنْ يُعْالطُ في الحقائقِ نفسه
ويسومها طلبَ المحالِ فيطمعُ
[البحترى^(١) :

للبحترى

يكفيك من حقِّ تخيلٍ باطلٍ
تردى به نفسُ اللّهيْفِ فترجعُ

(١) سقطت هذه الكلمة من جميع المطبوعات ، والبيت الآتي ليس من قصيدة المتنبى التي منها البيتان السابقان على هذه الكلمة ، وهو ثابت في شعر البحترى ، لا جرم كانت هذه الكلمة من أئرم اللّازمات (م)

وقلما تصحَّ مغالطات أهل العقول، عند أهل التحصيل، وما أحسن

ما قال الطائي:

لأبي تمام
الطائي

لعبَ الشيبُ بالمفارقِ، بل جدَّ فأبكيَ تمَّاضراً ولعوباً^(١)
يا نسيبَ الثَّغامِ ذُنُوبُكُ أبقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الحَسَانِ ذُنُوباً^(٢)
لورأى الله أنَّ في الشيبِ فَضْلاً جَاوَرَتْهُ الأبرارُ في الخُلْدِ شيباً
وقد جاء في التشاغل عن الدهر وأحداثه، ونكباته، ومصائبه، ووجعته،
والتسلي عن الهموم، بماء الكروم، شعره كثير؛ فما يتعلَّق منه بذكر الشيب

لابن الرومي

قول ابن الرومي:

سَاعِرِضْ عَنِّ أَعْرَضَ الدهرِ دُونَهُ وَأَشْرِبْهَا صِرْفاً وَإِن لَامَ لَوْمٌ
فإني رأيت الكأسَ أكرمَ خَلَّةٍ وَفَتَ لِي ورأسي بالمشيبِ مُعَمَّمٌ
وَصَلْتُ فلم تَبْخَلْ عَلَيَّ بَوْضَاهَا وَقَد بَحَلْتُ بالوصلِ عني تَكْتُمُ^(٣)
وَمَنْ صَارَ اللذاتِ إنَّ خانَ بعضُها لِيُرْغِمَ دَهراً ساءَهُ فهو أرغَمُ
أمنَ بعدَ مَمَوَى المرءِ في بَطْنِ أمِهِ إلى ضيقِ مَمَوَاهِ من القبرِ يَسَلِّمُ
وَلَمْ يَبْقَ بين الضيقِ والضيقِ فرجةُ أَبِي الله! إنَّ اللهَ بالعبدِ أرحمُ!

للعطوي

وقال العطوي:

أَعْجِبْتَنِ إنَّ أَنَاخَ بيَ الدهرِ فحَاكَمْتُهُ إلى الأقداحِ
لا تَرَدِّ الهمومُ يُنْشِبِنَ أَظْفَا رَأَ حَدَادَا بِشْرِبِ ماءِ قِرَاحِ
أحمد الله، صارت الكأسُ تأسُو دون إخواني الثقات جراحى
وقال ابن الرومي [ونحله بشاراً]:

لابن الرومي

وقد كنت ذا حالٍ أُطِيلُ أدَّ كارها وإِرعاءها قلبِي لأهترز معجبا^(٤)

(١) تماضر ولعوب: من أسماء نساء العرب (م)

(٢) الثغام - بزة السحاب - نبت أبيض الزهر والتمر (م)

(٣) تكتم: من أسماء النساء أيضاً (م)

(٤) في نسخة « وإرعاءها قلباً ثوى الدهر معجبا » (م)

فَبَدَّلْتُ حَالاً غَيْرَ هَاتِيكَ ، غَايَتِي
وَكُنْتُ أُدِيرُ الْكَأْسَ مَلَأَى رَوِيَّةً
وَكَانَتْ مَزِيداً فِي سُرُورِي وَمُتَعَتِي

تَنَاسَى ذِكْرَهَا لِتَغْرُبَ مَغْرَباً
لِأَجْدَلٍ مَسْرُوراً بِهَا وَلَا طَرَباً
فَأَضَحَّتْ مَغْرَباً مِنْ هَمُومِي وَمَهْرَباً (١)

وهذا كما قال في قَيْنَةَ وإن لم يكن من هذا الباب :

شَاهَدْتُ فِي بَعْضِ مَاشَاهِدَتِ مُسَمِعَةٍ
ظَلَلْتُ أَشْرَبُ بِالْأَرْطَالِ ، لِأَطْرَباً
وَمِنْ مَلِيحِ شَعْرِهِ فِي الشَّيْبِ :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا إِذَا مَا تَنَكَّرْتُ
إِذَا رُمْتُ بِالْمُنْقَاشِ تَتَفَّ أَشَاهِي
يَرَوُّعُ مَنقَاشِي نَجُومَ مَسَامِحِي
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ كَشَاجِمُ :

أَخِي قُمْ فَعَاوِنِي عَلَى نَتْفِ شَيْبَةٍ
إِذَا مَا مَضَى الْمُنْقَاشُ يَأْتِي بِهَا أَتَتْ
كَبَانَ عَلَى السَّلْطَانِ يُجْزَى بِذَنْبِهِ

لأن الفتح
كشاجم

وقد وشَّحت هذا الكتاب بقطع مختارة في الشيب والشباب ، وجئت ههنا
بجملة ، وهذا النوع أعظم من أن نحيط به اختياراً ، أو نبلغه اختياراً .

شدور لأهل العصر ، في وصف الشيب ومدحه وذمه

ذَوَى غُضُنْ شَبَابِهِ . بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الْمَشِيبِ ، [أَخَذَ الشَّيْبُ بِعَيْنَانِ
شَبَابِهِ] ، غَزَاهُ الشَّيْبُ بِجِيُوشِهِ ، طَرَّرَ الشَّيْبُ شَبَابَهُ ، أَقْمَرَ لَيْلُ شَبَابِهِ ، أَلْجَهُ

(١) في نسخة « فأضحت مغرباً من همومي ومهرباً » (م)

(٢) في ابن الرومي « يراوغ منقاشي » (م)

بلجامه ، وقاده بزمامه ، علاه غبارُ وقائع الدهرِ . وزن هذا لابن المعتز * هذا غبارُ وقائع الدهر * بيناهو راقد في ايسل الشباب ، أيقظه صبحُ المشيب . طوى مرآحل الشباب ، وأنفق عمره بغير حساب . جاوز من الشباب مرآحل ، وورد من الشَّيبِ مَنَاهِل . فَلَّ الدهرُ شَبَا شَبَابِهِ ، وَمَحَا مَحَاسِنَ رُؤَاثِهِ . قضى بِأَكُورَةِ الشَّبَابِ ، وَأَنْفَقَ نَضَارَةَ الزَّمَانِ . أَخْلَقَ بُرْدَةَ الصَّبَا ، وَنَهَاهُ أَنْ يَهِيَ عَنِ الْمَوِيِّ . طَارَ غَرَابُ شَبَابِهِ . انتهى شبابه ، وشاب أترابه . استبدل بالأدهم الأبلق ، وبالغراب العقق (١) . انتهى إلى أشد الكهل ، واستعاض من حلك الغراب بقادمة النسر . افتتر عن ناب القارح ، وقرع نأجذ الحلم ، وارتاض بلجام الدهر ، وأدرك عصر الخنكة وأوان المسكة . جمع قوَّة الشباب إلى وقار المشيب . أسفر صبح المشيب ، وعَلَّتْهُ أبهة الكبر . خرج عن حدِّ الحدائث ، وارتفع عن غرَّة الغرارة . نَفَضَ حَبْرَةَ الصَّبَا ، وَوَلَّى دَاعِيَةَ الْحَجَا . لم أقام له الشيب مقام النصيح ، عدل عن علائق الحدائث بتوبة نضوح . الشيب حلية العقل وشيمة الوقار . الشيب زبدة محضتها الأيام ، وفيسة سبكتها التجارب . سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب . عصى شياطين الشباب ، وأطاع ملائكة الشيب . الشيخ يقول عن عيان ، والشاب عن سماع . في الشيب استحكام الوقار وتناهي الجلال ، وميسم التجربة ، وشاهد الخنكة الشيب مُقَدِّمَةَ الْمَوْتِ وَالْمُهْرَمَ ، وَالْمُوَظَّنَّ بِالْخُرْفِ ، وَالْقَائِدَ لِمَوْتِ الشَّيْبِ رَسُولَ الْمُنِيَةِ . الشيب عُتْمَانُ النَّسَادِ . والموتُ ساحل ، والشيبُ سفينة تقرب من الساحل . صفا فلان على طول العمر ، صفاء النَّبْرُ عَلَى شَعْبِ الْجَمْرِ (٢) . لقد تناهت به الأيام هذيباً وتحليماً ، وتناهت به السنُّ تجريباً وتحنيكاً . قد وعظه الشيبُ

(١) الأدهم : الأسود ، والأبلق : الذي لونه البياقة . وهى سواد في بياض ، والعقق : طائر لونه مختلط من سواد وبياض (م)

(٢) في نسخة « على مقت الجمر »

بَوْخَطِهِ ، وَخَبَطَهُ السِّنُّ بَابِنَهُ وَسَبَّطَهُ ، قَدْ تَضَاعَفَتْ عَقُودُ عَمْرِهِ ، وَأَخَذَتْ أَيَّامٌ مِنْ جِسْمِهِ . وَجَدَ مَسَّ السَّكْبَرِ ، وَلَحِقَهُ ضَعْفُ الشَّيْخُوخَةِ ، وَأَسَاءَ إِلَيْهِ أَثَرُ السِّنِّ ، وَاعْتَرَاضُ الْوَاهِنِ . هُوَ مِنْ ذَوَى الْأَسْنَانِ الْعَالِيَةِ ، وَالصَّحْبَةِ لِلْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ . هُوَ هِمٌّ هَرِمٌ ، فَدَ أَخَذَ الزَّمَانُ مِنْ عَقْلِهِ . كَمَا أَخَذَ مِنْ عَمْرِهِ . ثَمَّ الدَّهْرُ ثَلَمَ الْإِنَاءَ ^(١) ، وَتَرَكَه كَذِي الْغَارِبِ الْمُنْكَوبِ ، وَالسَّنَامِ الْمَجْبُوبِ . رَمَاهُ مِنْ قَوْسِهِ ^(٢) السَّكْبَرُ . أُرْبِقُ مَا هُ شَبَابِهِ ، وَاسْتَشَنَّ أَدِيمَهُ . كَسَرَ الزَّمَانُ جَنَاحَهُ ، وَنَقَضَ مِرَّتَهُ . طَوَى الدَّهْرُ مِنْهُ مَا نَشَرَ ، وَقَيَّدَهُ السَّكْبَرُ . يَرْسُفُ رَسْفَانُ الْمُقَيَّدِ ، هُوَ شَيْخٌ مَجْتَثٌ ^(٣) الْجَثَّةُ ، وَاهِي الْمُنَّةُ ، مَغْلُولُ الْقُوَّةِ وَمَغْلُولُ الْفِتْوَةِ ^(٤) ، ثَقَّاتٌ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ ، وَاخْتَلَفَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ الْمُنِيَّةِ . مَا هُوَ إِلَّا شَمْسُ الْعَصْرِ ، عَلَى الْقَصْرِ . أَرْكَانُهُ قَدْ وَهَتْ ، وَمُدَّتُهُ قَدْ تَنَاهَتْ . هَلْ بَعْدَ الْغَايَةِ مَنزَلَةٌ ، أَوْ بَعْدَ الشَّيْبِ سِوَى الْمَوْتِ مَرَحَلَةٌ ؟ مَا الَّذِي يُرْجَى مِنْ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي تَعَاجِزِ الْخَطَا ، وَتَمَخُّذِ الْقُوَى ، وَتَدَاوِي الْمَدَى ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الدَّارِ الْأُخْرَى ، أِبَعْدَ دِقَّةِ الْعِظْمِ ، وَرِقَّةِ الْجِلْدِ ، وَضَعْفِ الْحَسِّ ، وَتَمَخُّذِ الْأَعْضَاءِ ، وَتَفَاوُتِ الْإِعْتِدَالِ ، وَالتُّرْبِ مِنَ الزَّوَالِ . وَالَّذِي بَقِيَ مِنْهُ دَمَاءٌ ^(٥) يَرْقُبُهُ الْمُنُونُ بِمَرَصَدٍ ، وَحُشَّاشَةٌ هِيَ هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ . قَدْ خَلَقَ عَمْرِهِ ، وَأَنْطَوَى عَيْشُهُ ، وَبَلَغَ سَاحِلَ الْحَيَاةِ ، وَوَقَفَ عَلَى نَيْيَّةِ الْوَدَاعِ ، وَأَشْرَفَ عَلَى دَارِ الْمَقَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْفَاسٌ مَعْدُودَةٌ ، وَحَرَكَاتٌ مَحْصُورَةٌ . نَضَبُ غَدِيرِ شَبَابِهِ .

فقير لغير واحد في المشيب

قيس بن عاصم : الشيبُ خطامُ المنية . أ كثم بن صيفي : المشيبُ عنوان للموت . الحجاج بن يوسف : الشيبُ نذيرُ الآخرة . غيره : الشيبُ نومُ الموت .

(١) في نسخة «ثلمة الإناء» (م) (٢) في نسخة «من قومه» (م)

(٣) في نسخة «محبب الجثة» (م) (٤) في نسخة «معلول الفتوة» (م)

(٥) الدماء - بفتح الدال - بقية النفس (م)

العتى : الشيبُ جمع الأمراض . العتاي : الشيبُ نذيرُ المنية . محمود الوراق : الشيبُ
أحد الميتين . ابن المعتز : الشيبُ أولُ مواعد الفناء . وقال : عظمُ الكبير فإنه عرف
الله قبلك ، وارحمُ الصغير فإنه أغرُّ بالدنيا منك . غيره : الشيبُ قِناعُ الموتِ .
الشيبُ غمامٌ قَطَرُهُ الغموم . الشيبُ قَذَى عَيْنِ الشباب .

نظر سليمان بن وهب في المرأة فرأى الشيب ، فقال : عَيْبٌ لا عدمناه !
وقيل لأبي العيثاء : كيف أصبحت ؟ فقال : في داء يتمناه الناس !
ابن المعتز :

أنكرت شرَّ مشيبي وولت بدموع في الرداء سُجُوم
اعذرى ياشرَّ شيبى بهم إن شيبَ الرأسِ نورُ الهموم
مسلم بن الوليد :

الشيبُ كرهٌ ، وكرهٌ أن أفارقه أعجبُ لشيء على البغضاء مودود
يَمْضِي الشبابُ فيأتى بعده بدلٌ والشيبُ يذهبُ مفقوداً بمفقود
وقال آخر :

لو أنَّ عُمرَ الفتى حِسَابٌ كان له شَيْبُهُ فَذَالِكُ^(١)
وقال بعضهم :

ولى صاحبٌ ما كنتُ أهوى اقترابه فلماً التقينا كان أكرمَ صاحبِ
عزيزٌ علينا أن يفارقَ بعد ما تمنيتُ دهرًا أن يكونَ مُجانبي
يعنى الشيب ، يقول : لم أكن أشتهى اقترابه ، فلما حل كان أكرم
صاحب ، عزيز على مجانته ؛ لأنه لا يجانبُ إلا بالموت .

(١) الفذالك : جمع فذلكة ، وهى جملة الحساب ، ووقع فى نسخة « كان له

شيبه عذابا » (م)

أبو إسحاق الصابي :

والعمرُ مثلُ الكاسِ ير سب في أواخرها القَدَى

أبو الفضل الميكالي :

أُمْتِخَ شَبَابِكِ مِنْ لَهْوٍ وَمِنْ طَرْبٍ وَلَا تُصِخْ لِمَلَامٍ سَمِعَ مُكْتَرِثٍ
فَخَيْرُ عُمُرٍ الْفَتَى رَبْعَانُ جَدَّتَهُ وَالْعَمْرُ مِنْ فِضَّةٍ وَالشَّيْبُ مِنْ خَبِيثٍ

[بعض ما قالوه في الخَضَاب]

في ذكر الخَضَاب : الخَضَابُ أَحَدُ الشَّبَابِينَ

عبدان الأصبهاني :

فِي مَشِيئِي شِمَاتَةٌ لِعُدَاتِي وَهُوَ نَائِجٌ مَنَعَصٌ لِي حَيَاتِي

وَيَعِيبُ الْخَضَابُ قَوْمٌ، وَفِيهِ لِي أَنْسٌ إِلَى حُضُورِ وَفَاتِي

لَا وَمَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ إِنِّي مَا تَطَلَّبْتَ خَلَّةَ الْغَانِيَاتِ (١)

إِنَّمَا رُمْتُ أَنْ يُعَيِّبَ عَنِّي مَا تُرِيدُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِرَاتِي

وَهُوَ نَائِجٌ إِلَى نَفْسِي، وَمَنْ ذَا سَرَّهُ أَنْ يَرَى وَجْهَ الثُّعَاةِ؟

ابن المعتز :

رَأَتْ شَبِيهَةً قَدْ كُنْتُ أَغْفَلْتُ قِصَّهَا وَلَمْ تَتَعَهَّدْهَا أَكْفَتِ الْخَلَّ وَاضِبِ

فَقَالَتْ: أَشَيْبٌ مَا أَرَى؟ قُلْتُ: شَامَةٌ فَقَالَتْ: لَقَدْ شَأَنْتُكَ عِنْدَ الْحَبَائِبِ

الأمير أبو الفضل الميكالي :

قَدْ أَبَى لِي خِضَابُ شَيْبِي فُوَادٍ فِيهِ وَجَدَ بَكْتَمِ سِرِّي وَلَوْعٍ (٢)

خَافَ أَنْ يَحْدِثَ الْخِضَابُ نُصُولًا وَنُصُولُ الْخِضَابِ شَيْءٌ بَدِيعٌ

وقالوا : الخَضَابُ مِنْ شَهُودِ الزُّورِ ، وَالْخِضَابُ حَدَادُ الْمَشِيبِ ، [إِنْ خَضِبَ

الشَّعْرُ] فَكَيْفَ يَخْضِبُ الْكَبِيرَ . الخَضَابُ كَفَنُ الشَّيْبِ .

(١) في نسخة « ما تطلبت حلية الغانيات » والحلة بضم الحاء - الحصلة (م)

(٢) في نسخة « مراد حدثني بكتم سري » (م)

قولهم في
الخَضَابِ

ابن الرومي :

ليس تُفني شهادةُ الشَّعرِ الأسودِ شيئاً إذا استثنى الأديمُ
أفيرجـ ومُسَوِّدٌ أن يَزَكِّي شاهد الخضب؟ أين ضلّ الحليمُ؟!
لا لعمرى ما للخضب لدى الأبصار إلا التَّكذيبُ والتَّائيمُ
يدعى للكبير شَرخَ شبابٍ قد تولى به الشبابُ القديمُ
والسوادُ الدَّعيُّ أو جَبَّ تكذيباً إذا كذب السواد الصميمُ

وله أيضاً في هذا المعنى :

كما لو أردنا أن نُحِيلَ شبابنا مَشيباً ولم يأتِ المشيبُ تعذراً
كذلك يُعِيننا إحالةُ شيبنا شباباً إذا ثوبُ الشبابِ تحسراً
أبي الله تدير ابن آدم نفسه وأنى يكون العبدُ إلا مُدَبَّراً

وقال :

قل للسوِّد حين شيب : هكذا غشُّ الغواني في الهوى إياكا
كذب الغواني في سوادِ عذاره فكذبته في ودهن كذاكا^(١)
هيهات غررك أن يُقال غرائرُ أئى الدواهي غيرهن دهاكا
لا تحسبن خدعتهن بحيلة بل أنتَ ويحك خادعتك مناكا؟

وقال أبو الطيب المتنبي :

ومن هوى كل من ليست مموهة تركت لونَ مشيبي غير مخصوب
ومن هوى الصدق في قولي وعادته رغبتُ عن شعري في الوجه مكذوب
ليت الحوادث بأعتني الذي أخذت مني بحلمي الذي أعطت وتجريبي
فما الحداثة من حلمٍ بمانعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

(١) في نسخة « فكذبته في ردهن كذاكا » تطبيع (م)

غيره :

يا خاضبَ الشيبِ بالحناءِ يَسْتُرُهُ سَلِ الإِلهَ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ
وقد سلك أبو القاسم مسلكا طريقاً في قوله :

أَفْدَى المَغَاضِبِ الَّتِي اتَّبَعْتُهَا نَفْسًا بِشَيْعِ عَيْسَمَهَا إِذْ آبَا^(١)
والله لولا أن يُسَفِّهَنِي الصَّبَا وَيَقُولَ بَعْضُ القَائِلِينَ تَصَابِي
لَكَسَرْتُ دُمْلَجَهَا لِضِيقِ عِنَاقِهِ وَلَثَمْتُ مِنْ فِيهَا البرودِ رُضَابَا^(٢)
بِنُتْمِ فلولَا أَن أُغَيِّرَ لَمَتِي عَتْبًا وَأَلْقَاكَ عَلَيَّ غُضَابَا^(٣)
لَخَضِبْتُ شَيْبًا فِي عِدَارِي كَأَمْنَا وَمَحَوْتُ مَخَوَ النَّفْسِ مِنْهُ شَبَابَا^(٤)
وخلعته خَلَعَ النِّجَادَ مَذْمَا وَاعْتَضْتُ مِنْ جِلْبَابِهِ جِلْبَابَا
ولبست مُبَيِّضَ الحِدَادِ عَلَيْكُمْ لَوْ أَنِّي أَحْسَدُ البِيضِ خِضَابَا
وَإِذَا أَرَدْتَ إِلَى المَشِيبِ وَفَادَةً فَاجْعَلْ إِلَيْهِ مَطِيكَ الأَحْقَابَا
فَلتَأْخُذَنَّ مِنَ الزَّمَانِ حَامَةً وَلتَدْفَعَنَّ إِلَى الزَّمَانِ غَرَابَا
مَاذَا أَقُولُ لِرَيْبِ دَهْرِ خَانٍ جَمَعَ العِدَاةَ وَفَرَّقَ الأَحْبَابَا

[الوليد بن يزيد وقد غلبت عليه لذاته]

وقيل للوليد بن يزيد بن عبد الملك لَمَّا غلبت عليه لذاته . وملكته شهواته : يا أمير المؤمنين ؛ إن الرعية ضاعت بتضييعك أمرها ، وترك ما يجب عليك من مصلحتها . فقال : ما الذي أغفلناه من واجب حقها ، وأسقطناه من مفروض ذمامها ؟ أما كرمنا دائم ، ومعروفنا شامل ، وسلطاننا قائم ؛ وإنما لنا ما نحن فيه ، بسط لنا في النعمة ، ومكّن لنا في المكرمة ، وأذلت لنا الأمة^(٥) ، ومدّ لنا في الحرمة ، فإن تركت ما به وسع ، وامتنعت عما به أنعم ، كنت أنا

(١) العيس : الإبل ، وفي نسخة « ما آبا » (م)

(٢) في نسخة « بضيق عناقها » والرضاب : ماء الفم (م)

(٣) في نسخة « أن أغير لمتي عيئًا » (م) (٤) في نسخة « في عذارى كاذبا » (م)

(٥) في نسخة « وأذكي لنا في الأمة » (م)

المزبل لنعمتي بمالا ينال الرعية ضره ، ولا يؤودهم ثقله^(١) . يا حاجب لا تأذن لأحد في الكلام .

وقال عمرو بن عتبة للوليد بن يزيد ، وكان خاصا به : يا أمير المؤمنين ؛ أنظقتني بالأنس ، وأنا أسكت بالهيبه ، وأراك تأمرنا بأشياء أنا أخافها عليك ، أفأسكت مطيعاً أم أقول مشفقاً ؟ قال : كلُّ ما مقبولٌ منك ، معلومٌ فيه ثقتك^(٢) ؛ والله فينا علمٌ غيبٌ نحن صائرون إليه ! وتعود فتقول . قتل الوليد بعد ذلك بشهر .

[بين الحجاج وأهل العراق]

وقال عبد الملك بن مروان للحجاج : إني استعملتك على العراق ، فأخرج إليها كعيب الإزار^(٣) ، شديد الغرار ، قليل العثار ، منطوى الخصلة ، قليل الثملة^(٤) ، غرار النوم ، طويل اليوم ، واضغط الكوفة ضغطة تحبب منها البصرة .

وشكا الحجاج يوماً سوء طاعة أهل العراق ، وسقم مذهبهم ، وسخط طريقتهم ، فقال له جامع الحارثي : أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ما شئتوك لبلدك ، ولا لذات يدك ، إلا لئما تقوموا من أفعالكم ؛ فدع ما يُبعدكم عنك إلى ما يُدنيه منكم ، واتمس العافية من دونك تُعظها من فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك ثلاثاً .

فقال له الحجاج : والله ما أرى أن أردّ بنى الأخناء إلى طاعتي إلا بالسيف . فقال جامع : أيها الأمير ؛ إنّ السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار . قال الحجاج :

(١) لا يؤودهم : لا يتقلهم ولا يعجزهم (م) (٢) في نسخة «معلوم لي فيك» (م)

(٣) كعيب الإزار: مشمرا ، وهو كناية عن الجد ، وفي نسخة «شديد العوار» (م)

(٤) الخصلة - بالحاء العجمة - كل لحمة فيها عصب ، ويقولون «ارتعدت فرائضه ،

واضطربت خصائله» يريدون اشتد خوفه ، والثملة : بقية الطعام في البطن (م)

الخيار يومئذ لله . قال جامع : أجل ، ولكن لا ندرى لمن يجعله الله . فغضب
الحجاج وقال : يا هتاه ؛ إنك من محارب ، فقال جامع :
وللحرب سُمينا وكنا محارباً إذا ما القنا أُمسى من الطعن أحمرأ .
فقال له الحجاج : والله لقد هممتُ أن أُخلع لسانك ، فأضربَ به وجهك .
فقال جامع : إن صدقناك أغضبتناك ، وإن كذبتناك أغضبتنا الله . فقال الحجاج :
أجل ، وسكن سلطانه ، وشغل ببعض الأمر ، وخرج جامع وانسلَّ من صفوف
الناس ، وانحاز إلى جبل العراق .

[جامع المحاربي]

وكان جامع لسينا مَفوّها ، وهو الذي يقول للحجاج حين بنى واسطا :
بذيتها في غير بلدك ، وأورثتها غير ولدك .
وكان الحجاجُ من الفصحاء البلغاء ، ويقال : ما رُئى حَضْرَى أفصح من
الحجاج ومن الحسن البصرى . وكان يحبُّ أهل الجهارة والبلاغة ، ويؤثرهم
ويقر بهم .

[أيوب بن القرية]

ولما دخل أيوب بن القرية على الحجاج - وكان فيمن أُسر من أصحاب
عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندي - قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟
قال : ثلاثة حروف ، كأنها ركب وقوف : دُنْيا ، وآخرة ، ومعروف .
فقال له الحجاج : بئسما مَنيتَ به نفسك يا ابنَ القرية ، أترانى ممن تحدّعه
بكلامك وخُطبك ؟ والله لا نت أقربُ إلى الآخرة من موضع نَعلى هذه .
قال : أقتنى عَتْرَتِي ، وأسغنى رِيقِي ، فإنه لا بدّ للجواد من كِبْوَة ، والسيف
من نَبْوَة ، والحليم من صَبْوَة .

قال : أنت إلى القبر أقربُ منك إلى العفو ، ألسْتَ القاتل وأنت تحرّض
حزبَ الشيطان ، وعدوّ الرحمن ! تغدّوا بالحجاج قبل أن يتعشى بكم ! وقد رويت
هذه اللفظة للغضبان بن القبيثى . ثم قدمه فضرب عنقه .

قال الخُرَيْمِيُّ لِأَبِي دَلْفٍ وَأَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْقُرَيْبِيِّ :
لَهُ كَلِمَةٌ فِيكَ مَعْقُولَةٌ إِزَاءَ الْقُلُوبِ كَرَكَبٍ وَقُوفٍ

[كَثِيرٌ بِنِ أَبِي كَثِيرٍ]

وَبَعَثَ الْحِجَاجُ إِلَى عَامِلِهِ بِالْبَصْرَةِ : اخْتَرْتَنِي عَشْرَةَ مِنْ عِنْدِكَ ، فَاخْتَارَ رِجَالًا
فِيهِمْ كَثِيرٌ بِنِ أَبِي كَثِيرٍ ، وَكَانَ عَرَبِيًّا فَصِيحًا ، فَقَالَ كَثِيرٌ : مَا أَرَانِي أُفِلْتُ
مِنْ يَدِ الْحِجَاجِ إِلَّا بِاللَّحْنِ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ دَعَانِي فَقَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ فَقُلْتُ : كَثِيرٌ .
قَالَ : ابْنُ مَنْ ؟ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنْ قُلْتُ ابْنَ أَبِي كَثِيرٍ لَمْ أَمِنْ أَنْ يَتَجَاوَزَهَا ،
قُلْتُ : ابْنُ أَبِي كَثِيرٍ ، فَقَالَ : اعْزِبْ ^(١) لَعْنَكَ اللَّهُ وَلَعْنُ مَنْ بَعَثَ مَعَكَ !!

[مِنْ قَوْلِهِمْ فِي الْمَدِيحِ]

وَقَالَ النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِيُّ يَمْدَحُ آلَ جَفْنَةَ :

وَلِلَّهِ عَيْنًا مِنْ رَأْيِ أَهْلِ قُبَّةٍ أَضْرَّ بِنِ عَادِي وَأَكْثَرَ نَافِعًا ^(٢)
وَأَعْظَمَ أَحْلَامًا وَأَكْثَرَ سَيِّدًا وَأَفْضَلَ مَشْفُوعًا إِلَيْهِ وَشَافِعًا
مَتَى تَلْقَهُمْ لَا تَلْقَ لِلْبَيْتِ عَوْرَةَ فَلَا الضَّيْفَ مَمْنُوعًا وَلَا الْجَارُ ضَائِعًا

وَأَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمْحِيُّ لِلنَّابِغَةِ الْجَمْعِيُّ :

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
[أَشْمُ طَوِيلِ السَّاعِدِينَ شَمَرٌ دَلٌّ إِذَا لَمْ يَرُحْ لِلْمَجْدِ أَصْبَحَ غَادِيَا]

وَمِنْ حُرِّ الْمَدْحِ وَجَيْدِ الشَّعْرِ قَوْلُ الْحَطِيبَةِ :

تَزُورُ امْرَأَةً يُعْطِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ وَمَنْ يُعْطِي أَمَانَ الْحَامِدِ يُحْمَدِ
يَرَى الْبِخْلَ لَا يُبْقِي عَلَى الْمَرْءِ مَالَهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مَخْلَدِ

(١) عزب يعزب : بعد يععد (م) (٢) في نسخة « أضرب من عادوا » (م)

كَسُوبٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ
تَهَلَّلَ وَاهْتَرَزَ اهْتِرَازَ الْمَهْنَدِ
مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هذا البيت فقال : ذاك رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وقوله :

بِسُوسٍ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتُهَا
أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَأَبَا لِأَيْكُمُ
أَوْلَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا
وَإِنْ كَانَتْ النِّعَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا
مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَكَاشِيفٌ لِلدَّحَى
وَتَعْدَانِي أُبْنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ

وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيفَةُ وَالْجِدُّ
مِنَ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْ فَوَّا وَإِنْ عَمَدُوا شَدُّوا
وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا
بَنَى لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجَدُّ
وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ

وقال منصور النمرى :

لمنصور النمرى

تَرَى الْخَلِيلَ يَوْمَ الْحَرْبِ يَنْظُمَانُ تَحْتَهُ
حَلَالٌ لِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ نَحْرُهُ

وَيَرَوَى الْقَنَا فِي كَفِّهِ وَالْمَنَاصِلُ
حَرَامٌ عَلَيْهَا مِنْهُ مَتْنٌ وَكَاهِلٌ^(١)

وقال آخر :

فَتَى دَهْرِهِ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِبُهُ
فَلَا مِنْ بَغَاةِ الْخَيْرِ فِي عَيْنِهِ قَدَى

فَفِي بَأْسِهِ شَطْرٌ وَفِي جُودِهِ شَطْرٌ
وَلَا مِنْ زَيْبِ الْحَرْبِ فِي أُذُنِهِ وَقَرٌ

[الشراب وخطره]

وقال بعضُ الظرفاء : الشرابُ أولُ الخرابِ ، ومِفْتَاحُ كُلِّ بَابٍ ، يَمْحَقُ
الْأَمْوَالَ^(٢) ، وَيُذْهِبُ الْجَمَالَ ، وَيَهْدِمُ الْمَرْوَةَ ، وَيُوهِنُ الْقُوَّةَ^(٣) ، وَيَضَعِفُ الشَّرِيفَ ،

(١) يريد أنه لا يفر فينال خصمه ظهره (م)

(٢) يحق الأموال : يفتنيها (م)

(٣) يوهن القوة : يضعفها (م)

وَيُهَيِّنُ الظَّرِيفَ ، وَيَذُلُّ العَزِيزَ ، وَيَفْلِسُ التِّجَارَ ، وَيَهْتِكُ الأَسْتَارَ ، وَيُورِثُ الشَّنَارَ ^(١) .

وقال يزيد بن محمد المهلبى :

لعمرُك ما يُحْصَى على الكأسِ شَرُّها وإِمْكانٌ فيها لَدَّةٌ ورِخاءُ
مراراً تُرِيكُ العَنَى رَشْداً ، وتارةً تحيّلُ أنَ الحَسَنينَ أَساءوا
وَأَنَّ الصِّديقَ الماحِضَ الوَدَّ مَبْغِضٌ وَأَنَّ مَدِيحَ المادِحينَ هِجاءُ
وجرَّبتُ إِخوانَ النَّبيذِ ذَقَلَمًا يدومُ لِإِخوانِ النَّبيذِ إِخاءُ

[من اعتلال الطفيليين ، وحيلهم]

عُوتِبَ طِفْلي على التطفيلِ فقال : واللهِ ما بُذِيتِ المَنازِلُ إِلا لِتُدْخَلَ ، ولا نَصِبَتِ الموائِدُ إِلا لِتُؤَكَّلَ ، وإِنى لأَجْمَعُ فيها خِلالاً ؛ أَدخَلَ مُجالِسا ، وأَقْعَدَ مَؤانِسا ، أَنبَسَطَ وإِن كان رَبُّ الدارِ عابِسا ؛ ولا أَتَكَلَّفُ مَغْرَما ، ولا اِنْفِقَ دِرْهما ، ولا أَتَعْبُ خادِما .
وقال ابن الدراج ^(٢) الطفيلي لأصحابه : لا يهولنَّكم إِغْلاقُ البِابِ ، ولا شِدَّةُ الحِجَابِ ، وسوءُ الجِوابِ ، وعبوسُ البِوابِ ، ولا تحذيرُ الغِرابِ ، ولا مَنابِذَةُ الألقابِ ؛ فَإِنَّ ذلِكَ صائرٌ بِكم إِلى محمودِ النِوالِ ، ومُعَنٍ لِسِمْ عَن ذلِّ السِؤالِ ، واحتملوا الأَكْزَرَ المُوَهَّنةَ ، والأَطْمَةَ المَزْمَنَةَ ، فى جِنبِ الظَّفْرِ البُعْيةِ ، ولِدْرَكِ للأُمْنِيَةِ ، والزَمُوا الطَّوْزَجَةَ للمِعاشِرِينَ ^(٣) ، وإِخْلَفَةَ اللِوادرِينَ والصادِرِينَ ، والتملَّقِ المُسْهِينَ والمطرِينَ ، والبِشاشَةَ لِلخادِمِينَ والمُوكَلِّينَ ؛ فَإِذا وَصَلْتُمْ إِلى مُرادِكُمْ فَكَلِّمُوا مُحَنِّكِرِينَ ، وادْخَرُوا لِعَدَمِكُمْ مَجْتَهِدِينَ ؛ فَإِنَّكُم أَحَقُّ بِالطِعامِ مِمَّن دُعِيَ إِليه ، وأُوتِيَ بِهِ مِمَّن وُضِعَ لَهُ ، فَكونوا لوقْتِهِ حافِظِينَ ، وَفى طَلْبِهِ مُسْتَمِرِينَ ، واذكروا قولَ نِ نِواسِ :

(١) الشنار - بفتح الشين - أشد العار (م) (٢) فى نسخة «وقال أبو الدراج» (م)

(٣) فى نسخة «والزموا المطارحة» (م)

لِنَخْمَسَ مَالَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ وَذِي بَطْنَةٍ لِلطَّيِّبَاتِ أَكُولٍ^(١)

هذا يقوله أبو نواس في أبيات تُسَنَدَرُ كُلُّهَا ، وَيَسْتَنْظِرُ جُلُهَا ، وَهِيَ :
 وَخَيْمَةٌ نَاطُورٍ بِرَأْسِ مَنِيفَةٍ تَهُمُّ يَدَا مَنْ رَامَهَا بِزَلِيلٍ^(٢)
 إِذَا عَارَضَتْهَا الشَّمْسُ فَاءَتْ ظِلَّالُهَا وَإِنْ وَاجَهَتْهَا آذَنْتُ بِدُخُولِ
 حَطَّطْنَا بِهَا الْأَنْقَالَ فَلَّ هَجِيرَةَ عَبُورِيَّةٍ تُذَكِّي بِغَيْرِ قَتِيلٍ^(٣)
 تَأْتَتْ قَلِيلًا ثُمَّ فَاءَتْ بِمَذْقَةٍ مِنْ الظِّلِّ فِي رِثِّ الْإِنَاءِ ضَيْئِلٍ^(٤)
 كَأَنَّا لَدَيْهَا بَيْنَ عِطْفِي نَعَامَةٍ جَفَا زَوْرُهَا عَنْ مَبْرَكٍ وَمَتِيلٍ
 حَلَبْتُ لِأَصْحَابِي بِهَا دِرَّةَ الصَّبَا بِصَفَاءِ مِنْ مَاءِ الْكَرُومِ شَمُولٍ
 إِذَا مَا أَتَتْ دُونَ اللَّهَاءِ مِنَ الْفَتَى دَعَا هُمُّهُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلٍ
 فَلَمَّا تَوَافَى اللَّيْلُ جُنْحًا مِنَ الدَّجَى تَصَابَيْتُ وَاسْتَجَمَلْتُ غَيْرَ جَمِيلٍ
 وَأَعْطَيْتُ مَنْ أَهْوَى الْحَدِيثَ كَابِدَا وَذَلَّتْ صَعْبًا كَانَ غَيْرَ ذُلُولِ
 فَعَتَى وَقَدْ وَسَّذْتُ يُسْرَايَ خَدَّهِ أَلَا رُبَّمَا طَالِبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ
 فَأَنْزَلَتْ حَاجَاتِي بِمَجْهَوِي مُسَاعِدِي وَإِنْ كَانَ أَدْنَى صَاحِبِ وَخَلِيلِ
 فَأَصْبَحْتُ أَلْحَى الْسُكْرَ وَالسُّكْرُ مُحْسِنٌ أَلَا رَبَّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ ثَقِيلِ
 كَفَى حَزْنًا أَنْ الْجَوَادِ مَقْتَرٌ عَلَيْهِ ، وَلَا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلِ
 سَأَبْنَى الْغِنَى إِمَّا وَزِيرَ خَلِيفَةٍ يَقُومُ سِوَاءَ أَوْ مَخِيفَ سَبِيلِ
 بِكُلِّ فَتَى لَا يُسْتَطَّارُ فَوَادُهُ إِذَا نَوَّهَ الزَّخْفَانَ بِاسْمِ قَتِيلِ
 لِنَخْمَسَ مَالَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ وَذِي بَطْنَةٍ لِلطَّيِّبَاتِ أَكُولٍ^(١)
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ عَوْنٌ عَلَى التَّقَى وَلَيْسَ جَوَادٌ مُقَدِّمٌ كَبَخِيلِ

(١) تقول : خمست المال أخمسه - من باب نصر - إذا أخذت خمسه (م)

(٢) الناطور : حارس الزرع ، والمنيفة : العالية ، والزليل : الازلاق (م)

(٣) الهجيرة : الهاجرة ، وعبورية : منسوبة إلى الشعرى العبور ، وطلوعها

أشد الحر (م) (٤) في نسخة « في رث لأباء ضئيل » (م)

ألفاظ لأهل المصر في صفة الطفيليين والأكلة وغيرهم

شيطانُ معدته رَجِيمٌ ، وساطانها ظَلُومٌ . هو آكَلُ من النار ، وأشْرَبُ من الرمل . لو أكل الفيل ما كَفَاهُ ، ولو شرب النيل ما أَرْوَاهُ ، يجوبُ البلادَ ، حتى يقع على جَفَنَةِ جَوَادٍ . يرى ركوبَ البريدِ ، في حضورِ الثريدِ ^(١) . أصابعه أَلْزَمُ للشَّوَاءِ ، من سَفُودِ الشَّوَاءِ ، وأنامله كالشبكة ، في مسيد السمكة . هو أَجْوَعُ من ذئب مُفْتَسٍ بين أعراب . العيون قد تَقَلَّبَتْ ، والأكباد قد تَلَهَبَتْ ، والأفواه قد تَحَلَّبَتْ . امتدت إلى الخوان الأعناق ، [واحتدت نحوه الأحداق] ، وتَحَلَّبَتْ له الأشداق .

[وصف طائر]

سأل المهدي صباح بن خاقان عن طائر له جاء من آفاق الغابة فقال :
يا أمير المؤمنين ، لو لم يَبْنِ بحسن الصفة لبَانَ بحسن الصورة . قال : صِفْهُ لِي .
قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، قَدْ قَدَّ الْجَلْمُ ^(٢) ، وقوِّم تقويم القلم ، ينظر من جَمْرَتَيْنِ ، ويلفظ بدرَّتَيْنِ ، ويمشى على عقيقتين ، تكفيه الحَيَّةُ ، وتُرويه العَبَّةُ ^(٣) ، إن كان في قفص فَلَقَهُ ، أو تحت ثوب خرقه ، إذا أقبل فدَبَّنَاهُ ، وإذا أدبر حميناه .

[أحظى النساء عند المهدي]

ودخل عبدُ الله بن مصعب الزبيرى على المهدي ، فقال : ويحك يا زبيرى ؛
دَخَلْتُ على الخيزران ، فلما قامت لِتُصَلِّحَ من شأنها نظرت ^(٢) إلى حُسْنِهِ ! فقلت :
يا أمير المؤمنين ؛ أدركك في ذلك ما أدرك الخزومي حيث قال :
بينما نحن بالبلاكتِ بالقاعِ سِرَاعاً والعيسُ تهوى هُوَيَاً

(١) في نسخة « في حصول الثريد » (م) (٢) الجلم - بالتحريك - المقص (م)

(٣) نسخة « وترويه العبة » بالعين المهملة (م)

خطرت خَطْرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِكَ وَهَذَا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا
قُلْتُ : لِيَبِكَ إِذْ دَعَانِي لَكَ الشَّوْقُ قِ وَاللَّحَادِيثِ كَرًّا الْمَطِيًّا
فَأَمْرٌ فَرَفَعْتَ السُّتُورَ عَنْ حُسْنَةِ .

ثم قال لى : يا زبيرى ، واسواتاه من الخيزران ! ثم انثنى راجعاً إليها
فقلت : يا أمير المؤمنين ، أدركك فى هذا ما أدرك جميلاً^(١) حيث يقول :
وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتِ شَعْبًا إِلَى بَدَأٍ إِلَى وَأَوْطَانِي بِلَادٌ سَوَاهَا
حَلَلْتِ بِهِمْ هَذَا حَلَّةً ثُمَّ حَلَّةً بِهِمْ هَذَا فَطَابِ الْوَادِيَانِ كِلَاهُمَا
فَدَخَلَ عَلَى الْخِيزْرَانَ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ خَرَجَ ؛ قَالَ الزُّبَيْرِيُّ : فَدَخَلْتُ ، فَقَالَ
أَنْشَدْنِي فَنَاشَدْتَهُ لَصَخْرِ بْنِ الْجَعْدِ :

هَنِيئًا لِكَأْسِ جَدِّهَا الْجَبَلِ بَعْدَمَا عَقَدْنَا لِكَأْسِ مَوْثِقًا لَا نَخُونَهَا
وَإِشْمَاتِهَا الْأَعْدَاءِ لِمَا تَأَلَّبُوا حَوَالِيَّ وَاشْتَدَّتْ عَلَيَّ ضَعْفُونَهَا
فَإِنْ تَصْبِحُنِي وَكَلَّمْتِ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ وَأَشْمَتِ أَعْدَائِي فَقَرَّتْ عَيْونَهَا
فَإِنْ حَرَامًا أَنْ أَخُونَكَ مَا دَعَا بِيَلِيلِ قُمْرَى الْجَمَامِ وَجُونَهَا^(٢)
وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ النَّهَارَ ، وَمَا دَعَتْ عَلَى فَنَنْ وَرَقَاءَ شَاكِرَ زَيْنِهَا^(٣)
فَأَمْرٌ لى عَلَى كُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَتْ الْخِيزْرَانَ وَحُسْنَةُ أَحْظَى النِّسَاءِ
عِنْدَ الْمَهْدَى .

[وصف غلام] .

ووصف اليوسفى علاماً فقال : كان يعرفُ المراد بالَّلحظ ، كما يعرفه باللفظ ،
ويُعَايِنُ فى الناظر ، ما يجرى فى الخاطر^(٤) ، أقرب إلى داعيه ، من يد مَعَاطِيهِ ؛

(١) نسب أبو تمام هذين البيتين إلى كثير ، ونسب أولهما إلى كثير فى معجم البكرى (م)

(٢) ليليل : اسم واد (م) (٣) فى نسخة « زينها » (م)

(٤) فى نسخة « ما يحوى الخاطر » (م)

حديدُ الذهن ، ثاقبُ الفهم ، خفيفُ الجسم ، يُغنيك عن الملامة ، ولا يحوجك إلى لاستزادة .

وقال أبو نواس :

ومنتظرٍ رَجَعَ الحديثُ بِطَرَفِهِ إذا ما انثنى من لينه فَصَحَّ العُصْنَا
إذا جعل الأَحْظَ الخَفِيَّ كَلَامَهُ جعلت له عيني لتفهمه أَذْنَا

وقال :

وإني لَطَرَفِ العَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرٌ فقد كدت لا يَخْفَى عَلَيَّ ضَمِيرٌ
وقد طرق هذا المعنى وإن لم يكن منه [من قال] :

بَلَوْتُ أَخِلَاءَ هَذَا الزَّمَانِ فَأَقْلَاتُ بِالْهَجْرِ مِنْهُمْ نَصِيبِي
وكلُّهُمْ إِنْ تَصَفَّحْتَهُ صَدِيقُ العِيَانِ عَدُوٌّ المَغِيبِ
تَفَقَّدَ مَسَاقِطَ أَحْظِ المَرِيبِ فَإِنَّ العِيُونَ وَجْوهُ القُلُوبِ
وهو كقول المهدي :

ومطلع من نفسه ما يَسْرُهُ عليه من الأَحْظِ الخَفِيَّ دَلِيلُ
إذا القلبُ لم يُبْدِ الذي في ضميرِهِ ففي اللَّحْظِ والأَلْفَاظِ مِنْهُ رَسُولُ

[بين خالد بن صفوان وعلي بن الجهم]

ودخل خالد بن صفوان على بن الجهم بن أبي حذيفة فألفاه يريد الركوب فقرَّب إليه حمار ليركبه ، فقال خالد : أما علمت أن العَيْرَ^(١) عار ، والحمارُ شَنَارٌ ، مُسَكَّرُ الصَوْتِ ، قَبِيحُ القَوْتِ ، مُتَزَلِّجٌ^(٢) في الضَّحَلِ ، مرتطم في الوحل ، ليس بركوبة فحل ، ولا بمطية رَحْلٍ ، رَاكِبُهُ مَقْرَفٌ^(٣) ، ومسايره مشرف .

فاستوحش ابن أبي حذيفة من ركوب الحمار ونزل عنه ، وركب فرساً ودفع الحمار إلى خالد فركبه ، فقال له : ويحك يا خالد ! أنتهى عن شيء وتأتى مثله ؟ فقال : أصلحك الله ! عَيْرٌ من بنات السُّكْرُبَالِ^(٤) ، واضح السربال ، مختلج

(١) العير - بالفتح - الحمار (م) (٢) في نسخة « مرتج في الضحل » (م)

(٣) مقرف : معرض للثمة (م) (٤) السكربال : كورة من كور فارس (م)

القوائم^(١) ، يحمل الرّجّلة ، ويبلغ العقبة ، ويمعنى أن أكون جباراً عنيداً ،
إن لم أعترف بمكاني فقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين .

[كَرُّ الحِدْثَانِ]

قال ابن دأب : خرجت مع بعض الأمراء في سفر إلى الشام ، فرّجى رجل
كنت أعرفه حسنَ الحال من أصحاب الأموال الظاهرة في حال رثته ، فسلم علىّ
فقلت : ما الذى غيرّ حالك ؟ فقال : تنقلُ الزمان ، وكَرُّ الحِدْثَانِ ؛ فأثرت الضرب
في البُلْدَانِ ، والبُعدَ عن المعارف والخُلانِ ، وقد كان الأمير الذى أنت معه صديقاً لى
فاخترت البُعدَ من الأشكال ، حين حصّنى^(٢) الإقلال ، واستعملت قول الشاعر:

بِأُ عَمِلَ نَصَّ العِيسِ حَتَّى يَكْفِي غنى المال يوماً أو غنى الحِدْثَانِ^(٣)
فَلَمَّوَتْ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا عَلَى المرءِ ذى العلياء مَسُّ هَوَانِ
مَتَى يَتَكَلَّمُ يُبَلِّغُ حُكْمُ كَلَامِهِ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ قَالُوا عَدِيمٌ بَيَانِ
كَأَنَّ الفَتَى فِي أَهْلِهِ بَوْرِكُ الفَتَى بغير لسانٍ ناطقٍ بلسانِ

قال ابن دأب : فلما اجتمعتُ مع الأمير في المنزل وصفت له الرجل ،
فقال لى : ويحك ! اطلبه حتى أصلح من حاله ، فطلبته فأعوزنى .

[من قولهم في الرثاء]

وقال أبو الشيص يرثى [قتيلاً] :

لأبى الشيص

خَتَلَتْهُ المَنُونُ بَعْدَ اخْتِيَالِ بَيْنَ صَفَيْنِ مِنْ قَنَا وَنِصَالِ
فِي رِداءٍ مِنَ الصَفِيحِ صَقِيلِ وَقِيسٍ مِنَ الحَدِيدِ مُدَالِ^(٤)

(١) في نسخة « محكم القوائم » وفي أخرى « محملج » ولعله محرف عن « مهملج » (م)

(٢) حصنى - بالحاء المهملة - قص جناحى ، والإقلال : الفقر ، وفي نسخة

« حصنى » بالخاء المعجمة (م) (٣) نص العيس : سير الإبل ، ونص فلان ناقته : أى

سيرها أقصى ما تستطيع من السير (٤) رداء من الصفيح : أراد السيف ، وقيس

من الحديد : أراد الدرع ، ومذال : طويل (م)

لحارثة بن بدر
الغداني

وقال حارثة بن بدر الغداني يري زيادا :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى قَبْرِ وَطَهَّرَهُ عند التوبة يسقى فوقه المور^(١)
تهدى إليه قريشُ نَعَشَ سَيِّدِهَا فَمَّ حَلَّ الندى والعزُّ والخير^(٢)
أبا المغيرة والدنيا مفرجة وإنَّ مَنْ غَرَّتْ الدنيا لمغرور
قد كان عندك المعروف عارفةً وكان عندك للذكراء تنكيرُ
وكنت تُعَشِّي فتُعْطِي المَالَ من سَعَةٍ فالآنَ بأُبكِ أمسى وهو مهجور
ولا تلين إذا عوشرت معتسراً وكان أمرك ما يؤمِرت ميسورُ
لم يعرف الناسُ مذغيبت فتيتهم ولم يُجَلِّ ظلاماً عنهم نور^(٣)
فالناس بعدك قد خفت حلومهم كأنما فَنَخَتَ فيها الأعاصيرُ
أخذ هذا البيت من قول مهلهل بن ربيعة في أخيه كليب، وكان إذا انتدى^(٤)

لم تحل حَبْوَتَه ، ولم ينطق أحد إلا بحبباً له ، إجلالا ومهابة :

أبنت أن النار بعدك أوقدت واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلس
وتحدثوا في أمرٍ كلِّ عظمة لو كنت حاضرًا أمرهم لم يَنبِسُوا

من أخبار
حارثة بن بدر

وكان حارثة ذا بيان وجهارة [وأدب] ، وكان شاعراً عالماً بالأخبار [والأنساب] ، وكان قد غلب على زياد ، وكان حارثة منهموماً في الشراب ، فعوتب زياد في الاستئثار به ، فقال : كيف أطرح رجلاً يسايرني مذ دخلت العراق ، ولم يصكك ركابُه ركابي ، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عني فلويت عنقِي إليه ، ولا أخذ عليّ الشمس في شتاء قط ، ولا الرّوح في صيف ، ولا سألته عن باب في العلم إلا قدرت أنه لا يحسن غيره .

وقال له زياد : من أخطب ؟ أنا أم أنت ؟ فقال : الأمير أخطب إذا توعد

(١) يسقى : يشور ، والمور : التراب (م) . (٢) الخير - بكسر الخاء -
الشرف والكرم (م) . (٣) في نسخة « لم يعرف الناس مذغيبت فتيتهم » (م) .
(٤) انتدى : جلس في الندى ، وهو مجتمع القوم للسمر والمشورة (م) .
(٦ - زهر الآداب ٤)

أو وعد، وبرق ورعد، وأنا أخطبُ في الوفاة، والثناء، والتحبير، وأنا أكذب إذا خطبت، وأحشو كلامي بزيادات [مليحة] شهية، والأمير يقصد إلى الحق، وميزان العدل، ولا يزيدُ في كلامه، ولا ينقص منه.

فقال له زياد: [قاتلك الله!] لقد أجدت تخليص صفتي وصفتك.

ولما مات زياد جفاه عبيدُ الله [ابنه]، فقال [له حارثة: أيها الأمير، ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة؟ فقال له عبيد الله]: إن أبا المغيرة بلغ مبلغا لا يلحقه فيه عيب، وأنا أنسب إلى من يغلبُ عليّ، وأنت تديمُ الشراب، وأنا حديثُ السن؛ فمتى قرّبتك فظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يُظنَّ بي [ذلك]، فدع الشراب وكن أول داخل وآخر خارج.

فقال له حارثة: أنا لا أدعه لمن يملك ضرى ونفعي، أأدعه للحال عندك؟ ولكن صرّفتني في بعض أعمالك. فولاه سُرق من بلاد الأهواز.

وقال أبو الأسود الدؤلي، وكان صديقا لحارثة: (١)

أحار بن بدر قد وليت ولايةً فكان جرداً فيها تخونٌ وتسرق
ولا تدعن للناس شيئاً تصيبه فحظك من ملك العراقين سرق
فالناس إلا قائل فمكذب يقول بما يهوى وإمّا مُصدق
يقولون أقوالاً بظنّ وهمّة فإن قيل هاتوا حقهوا لم يحققوا
فقال له حارثة:

جزاك إلهُ العرش خيرَ جزائه فقد قلت معروفًا وأوصيت كافياً
أمرت بشيء لو أمرت بغيره لألفيتني فيه لأمرِك عاصياً

لأبي الأسود
في حارثة
بن بدر

جواب
حارثة بن بدر

(١) هذا الشعر قد رواه ابن قتيبة في الشعر، ونسبه إلى أنس بن أناس الكناني الدؤلي، وهو من رهط أبي الأسود الدؤلي (م).

[وصف امرأة]

قال الأصمعي : سمعت امرأة من العرب تصفُ امرأةً وهي تقول : سَطَءَ
بَضَّةٌ ، بيضاء غَضَّة ، دَرَمَاءَ رَخِصَّة ، قَبَاءَ طَفَلَةٍ ، تنظر بعيني شَادِنِ ظَمَانٍ ،
وتبسم عن مُنَوَّرِ الأَفْحَوَانِ ، في غَبِّ التَّهْتَانِ ، وتشير بأَسَارِيعِ السَّكُتِبَانِ ، خلقها
عَمِيمٌ ، وكَلَامُهَا رَخِيمٌ ، فهي كما قال الشاعر :

كَأَنَّهَا فِي القُمُصِ الرِّقَاقِ مُخَّةٌ سَاقٍ بَيْنَ كَفَّيْ سَاقٍ^(١)

أَعْجَلَهَا الشَاوِي عَنِ الإِحْرَاقِ

ووصف أعرابي امرأةً يحبها فقال : هي زينة [في] الحَضُورِ ، وباب من
أَبْوَابِ الشُّرُورِ ، ولَدَّ كَرَهَا فِي المَغِيبِ ، والبعد من الرقيب ، أَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ
وَلَدٍ وَنَسِيبٍ ، وبها عرفت فضل الحور العين ، واشتقتُ بها إِلَيْنَ يَوْمَ الدِّينِ .

[من كلام الأعراب]

وسئل أعرابي عن سفر أ كُدِي فِيهِ ، فقال : مَا غَنَمْنَا إِلَّا مَا قَصَرْنَا مِنْ
صَلَاتِنَا ، فَأَمَّا مَا أَكَلْتُهُ مِنْ المَهِوَجِرِ ، وَالقَيْتَهُ مِنْ الأَبَاعِرِ ، فَأَمْرٌ اسْتَحْفَفْنَاهُ ،
لَمَا أَمَلْنَاهُ .

وقال عبد قيس بن خُفَافِ البُرْجِيِّ الحَاتِمِ الطَّائِي ، وَقَدْ وَفَدَ عَلَيْهِ فِي دِمَاءِ
حَمَلِهَا ، قَامَ بِيَمِضِهَا وَعَجَزَ عَنْ بَعْضِ : إني حَمَلْتُ دِمَاءَ عَوَّاتٍ فِيهَا عَلَي مَالِي
وَأَمَالِي ، فَأَمَّا مَالِي فَقَدَّمْتَهُ ، وَكُنْتُ أَكْبَرَ أَمَالِي ، فَإِنْ تَحَمَّلْتُمْهَا فَكَمْ مِنْ حَقِّ
قَضِيَّتِ ، وَهَمْ كَفِيَّتِ ، وَإِنْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ لَمْ أَذْمَمْ يَوْمَكَ ، وَلَمْ آيَسْ
مِنْ غَدِكَ .

وقيل لأعرابي : لِمَ لَا تَضْرِبُ فِي البِلَادِ^(٢) ؟ فقال : يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ طِفْلٌ بَارِكٌ ،
وَلِصٌّ سَافِكٌ ، ثُمَّ إني لَسْتُ مَعَ ذَلِكَ وَاثِقًا بِنُجُوحِ طَلِبَتِي ، وَلَا مَعْتَقِدًا بِقَضَاءِ

(١) ساق الأول : هو ما بين الركبة والقدم ، والثاني هو الذي يطوف بالشراب (م)

(٢) لا تضرب في البلاد : لا تسافر (م) .

حاجتي ، ولا راجياً عطف قرابتي ؛ لأنني أقدم على قوم أطغاهم الشيطان ، واستمالهم السلطان ، وساعدهم الزمان ، وأسكرتهم حداثة الأسنان .

وخرج المهدي بعد هداة من الليل يطوفُ بالبيت ، فسمع أعرابية من جانب المسجد تقول : قوم متظلمون ، نَبَتْ عنهم العيون ، وفَدَحَتْهم الدُّيون ؛ وعَضَّتْهم السنون ، بَادَ رجالهم ، وزهبت أموالهم ، وكثرت عيالهم ، أبناء سبيل ، وأنصاء طريق^(١) ، وصية الله ، ووصية رسول الله ، فهل آمرٌ بخير ، كلاًه الله في سفره ، وخلفه في أهله . فأمر نصرأ الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

[من مقامات البديع]

المقامة
الأزادية

ومن إنشاء البديع في مقامات أبي الفتح الإسكندري : حدثني عيسى بن هشام قال : كنت ببغداد ، في وقت الأزاذ^(٢) ؛ فخرجتُ إلى السوق أعتام^(٣) من أنواعه ، لا بتياعه ، فسرتُ غير بعيد إلى رجل قد أخذ أنواع الفواكه وصنفها ، وجمع أنواع الرطب وصنفها ؛ فقبضتُ من كل شيء أحسنه ، وقرضتُ من كل نوع أجوده ؛ وحين جمعتُ حواشي الإزار ، على تلك الأوزار ، أخذتُ عيناى رجلا قد لفَّ رأسه [ببرقع] حياء ، ونصب جسده ، وبسط يده ، واحتضنَ عياله ، وتأبط أطفاله ، وهو يقول بصوت يدفع الضعف في صدره ، والحرَضَ في ظهره :

وبلى على كفين من سويق أو شحمة تُضربُ بالدقيق
أوقصة مُملاً من خرديق تفتناً عناً سَطَوَاتِ الرِّيقِ
تُقيماً عن متهج الطريق يرازق الثروة بعد الضيق
سهل على كفتي لبيق ذى حسبٍ في مجده عريق

(١) أنصاء : جمع نضو - بكسر النون - وهو المهزول (م) .

(٢) الأزاذ : ضرب من التمر (م) . (٣) أعتام : اختار (م) .

يُهدى إلينا قدم التوفيق يُنقذ عَيْشِي من يد الترنيق
 قال عيسى بن هشام : فأخذتُ من فاضل الكيس أخذةً وأنلته إياها، فقال :
 يامن حَبَانِي بِجَمِيلِ بَرِّهِ أَفْضَى إِلَى اللَّهِ بِحُسْنِ سِرِّهِ
 واستحفظ اللهَ جميل ستره إن كان لا طاقةَ لِي بِشُكْرِهِ
 فاللهُ رَبِّي من وراء أمره

قال عيسى بن هشام : فقلت : إن في الكيس فضلاً ، فابزُرْ لِي عن باطنك
 أخرج لك عن آخره ، فأماط لثامه ، فإذا شيخنا أبو الفتح السكندري ، فقلت :
 ويحك ! أي داهية أنت ؟ فقال :

نُقِضِي العَمْرَ تشبيهاً على الناس وتَمْوِيهاً
 أرى الأيامَ لا تَبْقَى على حال فأحكيها
 فيوما شرُّها فيَ ويوما شِرَّتِي فيها

[من رسائل بديع الزمان]

وسأل البديع أبا نصر بن المرزبان - عاريةً - بعض ما يتجمل به ، فأمسك عن
 إجابته ؛ فأعاد الكتاب إليه بما نسخته :

لا أزالُ - أطال الله تعالى بقاء مولانا الشيخ ! - أسوء الانتقاد ، وحسن
 الاعتقاد ، أمسحُ جبين الخجل ، وأمدُّ يمين العَجَل ، ولضعف الحاسة ، في الفراسة ،
 أحسب الورمَ شحماً^(١) ، والسرابَ شراباً ، حتى إذا تجشمت موارده ، لأشرب
 بارده ، لم أجد شيئاً .

وما حسبت الشيخَ سيدي ممن تعنيه^(٢) هذه الجملة حتى عرضت على النار عودَه ،
 ونشرت بالسؤال جودَه ، وكبَّتْ بُدْتُهُ أستهيره حلية جمال ، سحابة يوم أو شطرَه ،
 بل مسافة ميل أو قدرَه ، فغاص في الفِطْنة غوصاً عميقاً ، ونظر في الكيس

(١) أخذه عن قول أبي الطيب المتنبي :

أعيدها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم (م)

(٢) في نسخة « ممن تجبته » (م)

نظراً دقيقاً ، وقال : هذا رجل مشحوذ للمذبة ، في أبواب الكدبية^(١) ، قد جعل استعارة الأغلاق طريقاً افتراسها ، وسبب احتباسها ، وقد منى ضميره ، وحدث بالجمال نفسه ، ولا لطيفة في هذا الباب ، أحسن من التعافل عن الجواب ، فضلاً عن الإيجاب ، وكلاهما في أبواب الردّ أقبح مما قرع ، ولا في شرائع البخل أوحش مما شرع ؛ ثم العذر له من جهتي مبسوط إن بسطه الفضل ، ومقبول إن قبله الحمد ، وإنما كاتبته لأعيد الحال القديمة ، وأشرط له على نفسه أن أريجه من سؤم الحاجات من بعد ، فمن لم يستخني من « أعطني » ، لم يستخني له من « أغفني » ؛ وعلى حسب جوابه أجرى المودة فيما بعد ، فإن رأى أن يجيب فعل إن شاء الله .

كتاب منه
إلى سهل
ابن محمد

وله إلى سهل بن محمد بن سليمان :

أنا إذا طويت عن خدمة مولاي - أطال الله بقاءه - يوماً لم أرفع له بصري ، ولم أعدّه من عمري ، وكانى بالشيخ - أعزه الله - إذا أغفلت مفروض خدمته ، من قصد حضرتّه ، وانماثول في حاشيته ، وجملة غاشيته ، يقول : إن هذا الجامع لما شمع تضلع ، واكتسى وتلفّع ، وتجلل وتبرّق ، ترّبّع وترفع ، فما يطوف بهذا الجناب ، ولا يظهر بهذا الباب ؛ وأنا الرجل الذي آواه من فقر ، وأغناه من فقر ، وآمنه من خوف ، إذ لا حرّ بوادي عوف ؛ حتى إذا وردت عليه رُفتي هذه ، وأعارها طرف كرمه ، وظرف شيمه ، ونظر في عنوانها اسمي قال : بعداً وسحقاً ، [وسباً وتباً] وحتنا ونحتنا ، وطقنا ولعنا ، فما أ كذب سراب أخلاقه ، وأ كثر أسراب نفاقه ، فالآن انحلّ من عقده ، وانثبه من رقدته . وكاتبني يستعيدني ، كلاً لا أزوجّه الرضا ولا قلامه ، ولا أمنحه المني ولا كرامة ، بل أدعه يركب راسه ، ويُقاسى أنفاسه ، فستأتيني به الليالي ، والسكيس الخالي ، ثم أريه ميزان قدره ، وأذيقه وبال أمره ، حتى

(١) الكدبية - بضم فسكون - السؤال والشحاذة (م)

إذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال : مَأْرُبَةٌ لَا حَفَاوَةَ ، وَوَطْرَ سَأَقَهُ ، لَا نِزَاعٌ شَأَقَهُ ^(١) ، فهذاِ بَدَأَ ، وَلَا أْبْعَدُ مِنْ تِلْكَ الْهَمِّ الْعَالِيَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ السَّامِيَةِ أَنْ يَقُولَ : مَرْحَبًا بِالرَّقْعَةِ وَكَاتِبِهَا ، وَأَهْلَابِهَا لِلْمَخَاطِبَةِ وَصَاحِبِهَا [وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ بِأَحْمَائِهَا ، وَإِرْزَاقِهَا ، وَهِيَ الرَّقْعَةُ الَّتِي سَأَلْتَ إِلَى مِنْ التَّمَسُّتِ ، كَمَا اقْتَرَحْتَهُ بِمَا طَالِبْتَهُ ، فَرَأَيْتُ فِيهِ مَوْفِقٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى] .
وله أيضا إلى بعض الرؤساء يسأله إطلاق محبوس [بسببه] .

الشيخ - أطال الله بقاءه - إذا وصل يدي بيده لم أمس الجوزاء إلا قاعداً ، وقد ناطها منةً في عنق الدهر ، وصاغها إكليلا لجبين الشكر . وما أقصر يدي عن الجزاء ، واسأني عن الثناء . وهذا الجاهل قد عرف نفسه ، وقلع ضرسه ، ورأى ميزان قدره ، وذاق وبال أمره ، وجوز إلى كتيبة مجاز عاجزات ^(٢) ؛ فأطلقن العويل والأليل ، وبعثنني شفيحاً إلى ، واستعن بي علي ، وتوسلن بكلمة الاستسلام ، ولحمة الإسلام ، في فك هذا الغلام ؛ فإن أحب الشيخ أن يجمع في الطول بين الحوض والكوثر ^(٣) ، وينظم في الفضل ما بين الروض والمطر ، شفع في إطلاقه مكارمه ، وشرف بذلك خادمه ، وأنجزنا بالإفراج عنه ، مؤقفاً إن شاء الله تعالى .

[عفو عن ذي جريرة]

وقال رجل لإبراهيم بن المهدي : اشفع لي إلى أمير المؤمنين في فك أخي من حبسه ، وكان محبوساً في عداد العصاة ، فقال للمأمون : ليس للعاصي بعد القدرة عليه ذنب ، وليس للعصاب بعد الملك عذر ^(٤) . فقال : صدقت ؛ فما طلبت بك ؟ قال : فلان هب لي . قال : هو لك .

(١) نزاع : أراد به نزوع القلب إليه ، وشاقه : أعجبه ، والمراد أنه إنما بعثه على الكتابة الحاجة إليه لا المحبة (م) .

(٢) في نسخة « مجاز فاجرات » ولا يتفق مع موضوع الكتاب (م) .

(٣) في نسخة « في الطول إزاء الحوض إلى العفر » (م) .

(٤) في نسخة « وليس للعاتب بعد ذلك عليه عذر » .

كتاب منه إلى بعض الرؤساء

المأمون

وسأل أبو عبادة أحمد بن أبي خالد أن يطلق له أسارى ، ففعل ، فقال له : قد فككنا أسراك . فقال : لا فكك الله رقاب الأحرار من أيديك !

الفاظ لأهل العصر في التهنئة بالإطلاق من الأسر

الحمد لله حمد الإخلاص ، على حسن الخِلاص ، الذي أفضى بك من ذلّة رِق ، إلى عزّة عِتق ، ومن تصليّة جسيم ، إلى جنّة نعيم . خرج من العقال ، خروج السيف من الصقال . خرج من إساره ، خروج البدر من سراره . الحمد لله الذي فكك أسراً ، وجعل من بعد العسر يسراً . خرج من البلاء ، خروج السيف من الجلاء . قد جعل الله لك من مضايق الأمور مخرجا مجيهاً ، ومن مغالق الأهوال مسرحةً فسيحاً^(١) .

[أبو نواس يمدح الأمين]

مدح أبو نواس الأمين محمداً في [أول] خلافته بقصيدته التي يقول فيها :

أقول والعيسُ تعرّوزي الفلاة بنا صُغر الأزيمة من مثني ووحدان
ياناق لا تسأحي أو تبغني ملكا تهبيلُ راحتته والرُّكن سَيان
مقابلا بين أملاك تفضله ولادتان ن المنصور ننتان
متى تحطى إليه الرّحّل سالمةً تستجمعي الخلق في تمثال إنسان

قال [الحسن] : هذا لأن محمداً واده المنصور مرتين من قبل أن أباه هرون

الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور ، ومن قبل أن أمه أمة العزيز بنت جعفر ابن [أبي جعفر] المنصور ، وكان المنصور دخل عليها وهي طفلة تلعب ، فقال : ما أنت إلا زبيدة ، فغلب عليها هذا اللقب ، ولم يلب الخلافة من أبواه هاشميان غير علي بن أبي طالب وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وابنه الحسن ، وأمّه فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، والأمين محمد بن الرشيد .

(١) المسرح : مكان السراح ، وهو الانطلاق والفتك (م) .

رجع القول — فلما أنشده القصيدة قال : ما ينبغي أن يُسمَع مدحك بعد قولك في الخصيب بن عبد الحميد :

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا فأي فتى بعد الخصيب تزور؟
فتى يشتري حسنَ الثناء بماله ويعلم أن الدائراتِ تدورُ
فما فاتهُ جُودٌ ، ولا حلٌّ دونه ولكن يسيرُ الجود حيث يسيرُ^(١)
فقال : يا أمير المؤمنين ، كلُّ مدح في الخصيب وغيره فمدح فيك ؛
لأنى أقول ، ثم ارتجل :

ملكْتَ على طير السعادة واليُمنِ وجاءت لك العلياء مقتبِلَ السنِّ
بمحيا وجود الدين تحييا مهناً بحسن وإحسان مع اليُمن والأمن
لقد طابت الدنيا بطيب ثنائه وزادت به الأيامُ حسناً إلى حُسْنِ^(٢)
لقد فك أرقاب العفاة محمدٌ وأسكن أهل الخوف في كنف الأمنِ^(٣)
إذا نحنُ أنبينا عليك بصالحٍ فأنت كما ثنى وفوق الذي ثنى
وإن جرّت الألفاظُ يوماً بمدحةٍ لغيرك إنساناً فأنت الذي نعى
قال : صدقت ، مدحُ عبدى مدح لى ؛ ووَصَلَهُ وقرَّ به .

وأما قول أبي نواس :

* إذا نحنُ أنبينا عليك بصالح *

فمن قول الخنساء :

فما بلغ المهذون للناسِ مدحةً وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضلُ
وما بلغت كف امرئ متناولاً من المجد إلا والذي نلت أطولُ

(١) يروى « فما جازه جود . . . ولكن يصير الجود حيث يصير » (م)

(٢) فى نسخة « بطيب محمد » (م) . (٣) فى نسخة « أعلال العفاة » (م)

[بين الأخطل ومعاوية]

وفد الأخطل على معاوية ، فقال : إني قد امتدحتك بأبيات فاسمعها ، فقال :
 إن كنت شديتهنني بالحية ، أو الأسد ، أو الصقر ، فلا حاجة لي بها ، وإن كنت
 [قلت] كما قالت الخنساء ، وأنشد البيتين ، فقل . فقال الأخطل : والله لقد
 أحسنت ، وقد قلت فيك بيتين ما هما بدونهما ، ثم أنشد :

إذامت مات العرف وانقطع الندى فلم يبق إلا من قليل مصرد
 ورذت أكف السائلين وأمسكوا عن الدين والدنيا بجزن مجدد

وقول أبي نواس : * وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحة * من قول كثير
 في عبد العزيز بن مروان :

متى ما أفل في سالف الدهر مدحةً فما هي إلا لابن ليلى العظم
 وقال الفرزدق :

وما أمرتني النفس في رحلة لها إلى أحدٍ إلا إليك ضميرها
 ولما أنشد أبو تمام أحمد بن أبي دؤاد قصيدته :

* سقى عهد الحمى صوب العهد *

وانتهى إلى قوله :

وماسافرت في الأفاق إلا ومن جدواك راحلتي وزادي
 مقيم الظن عندك والأمانى وإن قلت ركابي في البلاد
 قال له ابن أبي دؤاد : هذا المعنى لك أو أخذته ؟ قال : هو لي ، وقد ألمت

فيه بقول أبي نواس :

وإن جرت الألفاظ يوماً بمدحة لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

وأخذه المتنبي فقال :

أَشْرَتْ أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَدْحِ قَوْمِهِ نَزَلَتْ بِهِمْ فَرِحَتْ بِغَيْرِ زَادٍ
 وَظَنُّونِي مَدَحْتَهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي
 وأما قول أبي تمام : « وما سافرتُ في الآفاق - البيت » فمن قول المثقب
 العبدى ، [و ذكر ناقتَه :

إلى عمرو بن حمدان أبيني أخى النَّجْدَاتِ والمجد الرصين^(١)

وأما قول أبي نواس : * فما فاتَه جود ولا حَلَّ دونه * البيت ، فمن قول
 الشعربل بن شريك | البربوعى] :

مَا قَصَرَ المجد عنكم يا بنى حكم ولا نجاوزكم يا آل مَسعود
 يَحِلُّ حَيْثُ حَلَّامٌ لا يَرِيكُمْ ما عاقبَ الدَّهْرَ بينَ البِيضِ والسُّودِ^(٢)
 إن يشهدوا يوجد المعروف عندهم خِدْنًا وليس إذا غابوا بمَوْجُودِ
 وقد قال السكيت الأسدى :

بِسْمِ ير أبان قريع السما ح والمسكرات معا حيث سارا

وقول أبي نواس أيضاً :

* فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِماله *

مأخوذ من قول الراعى :

فتى يشتري حُسْنَ الثَّنَاءِ بِماله إذا ما اشتري المَخْرَأةَ بالمَجْدِ بِيَهَسُ

[بين السفاح وأبى نخيلة]

دخل أبو نُخَيْلَةَ على أبى العباس السفاح ، فاستأذنه فى الإنشاد ، فقال :
 لعنك الله ! أَلَسْتُ القائل لمسألة بن عبد الملك :

أمسألة يا بَجَلَّ خَير خليفَةٍ ويا فارس الهيجاء يا جبل الأرض

(١) فى نسخة « إلى عمرو ومن عمرو أتتى » (م)

(٢) لا يريكم : لا يفارقكم ، والبِيضُ : الأيام ، والسُّودُ : الليلالى (م)

شكرتك إن الشكر حَبْلٌ من التقى
وألقيت لِمَا أن أتيتك زائراً
ونبهت من ذكرى وما كان خاملاً
ثم أمره بأن ينشد ، فأنشده أرجوزة يقول فيها:

كنا أناساً نزهبُ المَلَأَا
وكل ما قد مرَّ في سواكا
وركب الأعجَاز والأوراكا
زورٌ، وقد كفرَ هذا ذاكا
واسم أبي نخيلة الجنيد بن الجون ، [وهو مولى لبنى حماد] ، كان مقصداً
راجزاً .

قيل للخنساء : لئن مدحت أخاك لقد هجوت أباك ! فقالت :

جارى أباه فأقبلا وهما
حتى إذا جسدَّ الجراء وقد
وعلاً صياح الناس : أيهما ؟
برقت صحيفةً وجه والده
أولى فأولى أن يساويه
وهما كأنهما وقد برزا

يتعاوران ملاءة الحضر^(١)
ساوى هناك القدر بالقدر^(٢)
قال المجيب هناك : لا أدري
ومضى على غلوائه يجرى
لولا جلال السن والكبر
صقران قد حطاً على وكر

وقيل لأبي عبيدة : ليس هذا في شعر الخنساء . فقال : العامة أسقط من أن
يجاد عليها بمثل هذا .

وقد أحسن البحترى في نحو هذا ؛ إذ يقول في يوسف بن أبي سعيد ،
[ومحمد] بن يوسف الطائى :

جدُّ كجد أبي سعيد إنه تَرَكَ السماك كأنه لم يشرف

(١) الحضر - بالضم - شدة عدو الفرس (م) .

(٢) الجراء - بكسر الجيم - جرى الفرس (م) .

قاسمته أخلاقه وهي الردي للمعتدى وهي الندى للمعتقى
وإذا جرى في غايةٍ وجريت في أخرى التقى شأوا كما في المنصف^(١)

قول الخنساء : * يتعاوران ملاءة الحضر *

أربع استعارة ، وأنصع عبارة ، وقد قال عدى بن الرقاع :

يتعاوران من الغبار ملاءةً غبراء محكمة هما نسجها
تطوى إذا وردا مكاناً جاسيا فإذا السنايك أسهلت نشرها^(٢)
وإلى هذا أشار الطائي في قوله :

تُثِيرُ عَجَاجَةً فِي كُلِّ ثَغْرِ
يَهِيمُ بِهَا عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ

وأول من نظر إلى هذا المعنى شاعر جاهلي من بني عقيل^(٣) فقال :

أَلَا يَا دِيَارَ الْحَيِّ بِالسُّبْعَانِ عَفَّتْ حِجْبًا بَعْدِي وَهُنَّ ثَمَانِ

فلم يبق منها غيرُ نَوَى مُهَدَّمٍ وَغَيْرُ أَثَافِ كَالرُّكِيِّ رِعَانِ

وَآيَاتِ هَابِ أَوْرُقِ اللَّوْنِ سَافَرَتْ بِهِ الرِّيحُ وَالْأَمَطَارُ كُلِّ مَكَانِ^(٤)

قِفَارٌ مَرُورَةٌ تَحَارُ بِهَا الْقَطَا وَتَمْسِي بِهَا الْجَابَانِ تَقْتَرِبَانِ^(٥)

يَثِيرَانِ مِنْ نَسِجِ الْغُبَارِ عَلَيْهِمَا قَمِيصِينَ أَسْمَالًا وَيَرْتَدِيَانِ

ومن مستحسن رثاء الخنساء وليلي وغيرها من النساء

من رثاء
الخنساء

قال أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي : أنشد أبو السائب الخزومي قول

الخنساء :

وَإِنَّ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لِنَحَارُ

(١) الشأو : الأمد والغاية ، والمنصف : النصف ، يريد نصف الطريق (م) .

(٢) في نسخة « إذا وردا مكانا ناشزا » (م)

(٣) ينسب بعض الناس هذا الشعر لابن أحرر ، وبعضهم ينسبه لابن مقبل (م) .

(٤) في نسخة « وآيات آب » (م) .

(٥) في نسخة « ويمشي بها الجامان يعتركان » (م) .

وإن صخرًا لتأتئم الهداة به كأنه علمٌ في رأسه نارٌ
فقال: الطلاق لي لازم إن لم تكن قالت هذا وهي تتبختر في مشيها،
وتنظر في عطفها.

من بديع
رثاء الخنساء

ومن مستحسن رثاء الخنساء قولها ترفي أباها صخرًا:

أذهب فلا يبعدنك الله من رجل مناع ضميم وطلّاب لأوتار
قد كنت فينا صريحاً غير مؤثب مركباً في نصاب غير خوار
فسوف أبكيك ما ناحت مطوّقة وما أضاعت نجوم الليل للساوي
أبكي فتى الحى نالت منه منيته وكل نفس إلى وقت بمقدار
وقولها [تعنيه]:

شهاد أنجية شـداد أوهية. قطاع أودية للوتر طلابا
سّم العداة وفكّك العناة إذا لاقى الوغى لم يكن الموت هيابا
يهدى الرّاعيل إذا جار السبيل بهم نهّد التليل لزرق السّمير ركابا
[من ترجمة الخنساء، وليلى الأخيلية]

من أخبار
الخنساء

والخنساء اسمها تماضر بنت عمرو [بن الحارث] بن الشريد بن رياح بن
[يقظة بن عصية بن خفاف] بن امرئ القيس، وتكنى أم عمرو، ومصدّق ذلك
قول أخيها [صخر]:

أرى أمّ عمرو لا تملّ عيادتي وملت سليمى مضجعي ومكاني

سليمى: امرأته، وإنما لقبت الخنساء كناية عن الظبية، وكذلك [تسميتهم]

الذلفاء. والذلف: قصر في الأنف؛ وإنما يريدون به أيضاً أن ذلك من صفات

الظباء، وهي أشعر نساء العرب عند كثير من الرّواة؛ وكان الأصمعي يقدم ليلي

نسب ليلي

الأخيلية، وهي ليلي بنت عبد الله بن كعب بن ذى الرّحالة بن معاوية بن عبادة بن

عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقيل لها الأخيلية لقول جدها كعب:

نحن الأخيل ما يزال غلامنا حتى يدب على العصا مذكورا موازنة بينهما
قال أبو زيد: [هذا البيت لها فسُميت به ، وليلى أغزر بحرا] ، وأكثرتصرفاً ، وأقوى لفظاً ؛ والخنساء أذهب في عمود الرثاء .

قال المبرد : كانت الخنساء وليلى الأخيلية في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول ،
وقلما رأيت امرأة تتقدم في صناعة ، وإن قل ذلك ، فالجملة ما قال الله تعالى :
« أو من ينشأ في الخلية وهو في الخصام غير مبين » .

ومن أحسن المرأى ما خلط فيه مدحٌ بتفجعٍ على المرثى ، فإذا وقع
ذلك بكلام صحيح ، ولهجة معربة ، ونظام غير متفاوت ، فهو الغاية من
كلام الملقين .

واعلم أن من أجل الكلام قول الخنساء:

يا صخرُ وِرَادِ ماءٍ قد تناذَرَه أهلُ المياهِ فما في وَرْدِه عَارُ
مَشَى السَّبْتَى إلى هَيْجَاءِ معضلةٍ لها سِلَاحَانُ أنيابُ وأظفارُ^(١)
وما عَجولُ على بَوِّ تَطِيفُ بِهِ لها حَنِينَانُ إعلَانُ وإسْرَارُ
ترتِعُ في غفلةٍ حتى إذا ادَّكْرَتْ فأبما هي إقبالُ وإدبارُ^(٢)
يوماً بأوَجعِ مني حينَ فارقتي صَخْرُ ، وللعيشِ إحْلالُ وإمْرَارُ
لم ترَهُ جارةً يَمْشِي بساحتها لريبةٍ حينَ يُخْلِبي بيته الجارُ
قال : ومن كامل قولها :

فلولا كثرةُ الباكينِ حَسولِي على إخوانهم لَقَمْتُ نَفْسِي
وما يَبْكونَ مثلَ أخِي ، وَلَكِنْ أسلَى النفسَ عنه بالتأمُّنِي
يذكرُنِي طلوعُ الشمسِ صَخْرًا وأذْكرُه لِكُلِّ غروبِ شمسِ

(١) السبتى - بفتح السين والباء وسكون النون - الجرى ، المقدم ، وهو أيضاً

النمر (م) (٢) حفطى « ترتع مارتعت حتى إذا ادكرت » (م)

يعني أنها تذكره أول النهار للغارة ، ووقت الغيب للأضياف .

لابن الرومي

وقد قال ابن الرومي فيما يتعلق بطرف من هذا المعنى :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَجْرَحُ نِمَّ يَأْسُو وَيُؤَيِّ أَوْ يَعْوِضُ أَوْ يُنْسِي
أَبَتْ نَفْسِي الْمَلَاعَ لِرُزْءِ شَيْءٍ كَفَى شَجْوًا لِنَفْسِي رُزْءَ نَفْسِي
أَنْجِزْ عِوَجَ وَحْشَةِ لِفِرَاقِ أَلْفٍ وَقَدْ وَطَنْتُمْ لِحُلُولِ رَمْسِ
وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيَّ مَنْ تَعَلَّلَ بِالنَّاسِ بِمَا قَالَ غَيْرُهُ (١) ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :
خَلِيلِي قَدْ عَلَّلْتَانِي بِالْأَسَى فَاذْنَعْتَا لَوْ أَنَّي أَنْتَ تَعَلَّلُ
الْأَنَاسَ آثَارِي ، وَإِلَّا فَمَا الْأَسَى وَعَيْشُكُمَا إِلَّا ضَلَالٌ مَضَلُّ
وَمَا رَاحَةَ الْمَرْزُوعِ فِي رُزْءِ غَيْرِهِ أَيْحَمِلُ عَنْهُ بَعْضَ مَا يَتَحَمَّلُ
كِلَا حَامِلِي عِبَاءِ الرِّزْيَةِ مُثَقِّلُ وَليْسَ مَعِينًا مُثَقِّلَ الظَّهِرِ مُثَقِّلُ
وَضَرَبُ مَنْ الظَّمِ الْخَفِيِّ مَكَانَهُ تَعَزَّيْكَ بِالْمَرْزُوعِ حِينَ تَأْمَلُ
لَأَنَّكَ يَا سَوْكَ الَّذِي هُوَ كَلَهُ بِلا بَصَرَ لَوْ أَنَّ جَوْرَكَ يَعْدِلُ
وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ :

للخنساء

وَقَائِلَةُ وَالنَّعْشَ قَدْ فَاتَ خَطْوُهَا لَتُدْرِكُهُ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرِي
أَلَا تَكَلَّتْ أُمَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ! مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ! ؟
وَمَا ذَا يُؤَارِي الْقَبْرُ تَحْتَ تَرَابِهِ مِنَ الْجُودِيَا بُوْسِ الْحَوَادِثِ وَالْدَهْرِ
فَشَانُ الْمَنَايَا إِذْ أَصَابَكَ رَيْبُهَا لَتَعْدَلَى الْفَتَيَانَ بَعْدَكَ أَوْ تَسْرِي

وهذا المعنى كثير قد مرت منه قطعة جيدة ، ولم تزل الخنساء تبكي على أخويها صخرٍ ومعاوية ، حتى أدركت الإسلام ؛ فأقبل بها بنو عمها وهي عجوز كبيرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! هذه الخنساء ،

(١) في نسخة « بما قال عنتره » تطبيع (م) .

وقد قرحت آماقتها من البكاء في الجاهلية والإسلام ، فلو نَهَيْتَهَا لرجونا أن تنتهي ، فقال لها عمر رضى الله عنه : اتقى الله وأيقنى بالموت ، قالت : أبسكى أبى وخَيْرَ بنى مضر صخرًا ومعاوية ، وإني لموقنة بالموت ، قال : أتبيكين عليهم وقد صاروا جَمْرَةً في النار ؟ قالت : ذلك أشدَّ لبكائي عليهم ! فرق لها عمر وقال : خلوا عن عجزكم لا أبا لكم ! فكل امرئ يبكي شَجْوَهُ ، ونام الخليل عن بكاء الشجى .

وكان عمرو بن الشريد يأخذ بيد ابنه معاوية وصخر في الموسم ، ويقول : عمرو بن الشريد وأبناءه : أنا أبو خَيْرِ مضر ، فمن أنكر فليغيّر ، فلا يغير ذلك عليه أحد ، وكان يقول : من أتى بمثلهما أخوين من قبل فله حكمه ، فُتَقِرَّ له العرب بذلك .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا ابن الفواطم من قريش ، والعواتك من سليم ، وفي سليم شرف كثير .

وكان يقال لمعاوية : فارس الجون ، والجون من الأضداد ، يقال للأسود والأبيض ، وقتلته بنو مرة ، قتله هاشم بن حرملة ، فطلبه دُرَيْد بن الصِّمَّة حتى قتله ، وأما صخر فغزا أسد بن خزيمة فأصاب فيهم ، وطعنه ثور ابن ربيعة الأسدى ، فأدخل في جوفه حلقة من الدرع فاندمل عليه ، فنتأت قطعة من جنبه مثل اليد ، فمرض لها حولا ، ثم أشير عليه بقطعها ، فأحوا له شفرة ثم قطعوها ، فما عاش إلا قليلا .

ومن جيد شعر ليلي الأخيلية ترثى تَوْبَةَ بن الحمير الخفاجى ، وكان لها محببًا ، وله فيها شعر كثير ، وقتله بنو عوف بن عقيل ، قتله عبد الله بن سالم :

نظرتُ وركنٌ من عمّاية دوننا وأركان جسمى أئى نظرة ناظرٍ^(١)
فأنست خيلا بالرقى مغيرةً سوابقها مثل القَطَا المتواترِ

(١) عمّاية - بفتح العين - جبل في بلاد نجد من بلاد بنى كعب وقشير وعقيل (م)

فإن تكُن القَتْلَى بَوَاءً فَإِنَّكُمْ
فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ^(١)
فَلَا يُبْعِدُنَكَ اللَّهُ يَا تَوْبُ إِمَامَا
لِقَاءِ الْمَنَائِيَا دَارِعَا مِثْلَ حَاسِرِ
أَتَعَهُ الْمَنَائِيَا بَيْنَ دِرْعِ حَصِينَةٍ
وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ وَجِرْدَاءِ ضَامِرِ^(٢)
كَأَنَّ فَتَى الْفَتِيَانِ تَوْبَةَ لَمْ يُنْخِ
قَلَائِصُ بَفْحَضِنِ الْحَصَى بِالْكَرَاكِرِ^(٣)
وَلَمْ يُدْعَ يَوْمًا لِلْحِفَاطِ وَلِلنَّهْيِ
وَلِلْحَرْبِ تَرْمِي نَارُهَا بِالشَّرَائِرِ^(٤)
وَلِلْبَازِلِ الْكُومَاءِ يَرَعُو حُورَاهَا
وَلِلنَّخِيلِ قَعْدُو بِالْكَمَامَةِ الْمَسَاعِرِ^(٥)
فَتَى لَا تَحْطَاهُ الرَّفَاقُ ، وَلَا يَرَى
لِقَدْرِ عِيَالَا دُونَ جَارِ مُجَاوِرِ
فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فِتْنَةِ حَمِيَّةِ
وَأَشْجَعِ مِنْ لَيْثِ بَحْفَانَ خَادِرِ^(٦)
فَتَى لَا تَرَاهُ النَّابُ الْفَأَ لِسَقْمِيهَا
إِذَا اخْتَلَجَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الْكِبَائِرِ
وَكُنْتَ إِذَا مَوْلَاهُ خَافَ ظَلَامَةَ
أَتَاكَ فَلَمْ يَقْنَعِ سِوَاكَ بِنَاصِرِ
وَقَدْ كُنْتَ مَرْهُوبَ السَّنَانِ وَبَيْنَ أَلْسَانِ
وَمَدْلَاجِ الشَّرَى غَيْرَ فَاتِرِ
وَلَا تَأْخُذُ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا
لِتَوْبَةَ فِي حَدِّ الشِّتَاءِ الصَّنَابِرِ^(٧)

وقال بعض الرواة : بينا معاوية يسير إذ رأى راكبا ، فقال لبعض شُرطه :
اثنى به وإياك أن ترُوعه . فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : إياه أردت ،
فلما دنا الراكب حذر لثامه فإذا ليلي الأخيلية ، فأثأت تقول :

معاوى لم أ كذ آتيك تهوى برحلى نحو ساحتك الركابُ

(١) بواء - بفتح الباء والواو - متكافئين متماثلين (م)

(٢) خطي : منسوب إلى الخط ، والمراد الرمح ، والجرداء : القصيرة الشعر ،

والضامر : الهضم البطن ، والمراد الفرس (م)

(٣) القلائص : جمع قلوص ، وهي الناقة الفتية ، والكرراكر : جمع كركرة ،

وهي رحي زور البعير ، أو صدره (م) (٤) الحفاط - بالكسر - المحافظة على

ماتجب المحافظة عليه ، وفي نسخة «ترمي نارها بالشرائر» (م) (٥) الحوار - بضم

الحاء - ولد الناقة ، والكمامة : جمع كمي ، وهو الفارس المتكفي في سلاحه : أي

المستتر فيه ، والمساعر : جمع مسعر ، وهو الذي يوقد الحرب ويشعلها (م)

(٦) الليث : الأسد ، وخفان : مأسدة قرب الكوفة ، وخادر : مقيم (م)

(٧) صنابر الشتاء : شدة رده .

وفود ليلي
على معاوية

تَجُوبُ الْأَرْضَ نَحْوَكُ مَا تَأْتِي إِذَا مَا الْأَكْمُ قَنَّعَهَا السَّرَابُ
 وَكُنْتَ الْمَرْجِي وَبِكَ اسْتَعَاثْتَ لِقَنَّعِشَهَا إِذَا بَخَلَ السَّحَابُ
 قَالَ : فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَتْ : لَيْسَ مِثْلِي يَطْلُبُ إِلَى مِثْلِكَ حَاجَةٌ ،
 فَخَيْرٌ أَنْتَ ! فَأَعْطَاهَا خَمْسِينَ مِنَ الْإِبِلِ ؛ ثُمَّ قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ مُضَرِّ ، قَالَتْ :
 فَأَخْبَرَهُ بِمُضَرِّ ، وَحَارِبِ بَقِيسَ ، وَكَائِرِ بَتَمِيمَ ، وَنَاطِرِ بَأَسَدَ ، فَقَالَ : وَيَحْكُ يَا لَيْلِي ! أَكَمَا
 يَقُولُ النَّاسُ كَانَ تَوْبَةٌ ؟ قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَقُولُ حَقًّا ،
 النَّاسُ شَجَرَةٌ بَعْغِي ، يَحْسُدُونَ النَّعْمَ حَيْثُ كَانَتْ ، وَعَلَى مَنْ كَانَتْ ؛ كَانَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَبَطَ الْبَنَانُ ، حَدِيدَ اللَّسَانِ ، شَجَى الْأَقْرَانَ ، كَرِيمَ الْمَخْبَرِ ،
 عَفِيفَ الْمُنْزَرِ ، جَمِيلَ الْمَنْظَرِ ، وَكَانَ كَمَا قُلْتِ ، وَلَمْ أَتَعَدَّ الْحَقَّ فِيهِ :
 بَعِيدُ الْأَثَرِ لَا يَبْلُغُ الْقَوْمَ قَعْرَهُ أَلَدُّ مُلْدً يُغْلِبُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ (١)
 فَقَالَ مَعَاوِيَةَ : وَيَحْكُ يَا لَيْلِي ! يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ عَاهِرًا خَارِبًا ، فَقَالَتْ
 مِنْ سَاعَتِهَا مَرْتَجِلَةٌ :

مَعَاذَ إِلَهِي كَانَ وَاللَّهِ تَوْبَةً جَوَادًا عَلَى الْعِلَاتِ جَمًّا نَوَافِلَهُ (٢)
 أَغْرًا خَفَاجِيًّا يَرَى الْبَخْلَ سَبَةً تُخَالِفُ كِفَاهَ النَّدَى وَأَنَامِلَهُ
 عَفِيفًا بَعِيدَ الْهَمِّ صُلْبًا قَنَاتَهُ جَمِيلًا مَحْيَاهُ قَلِيلًا غَوَائِلُهُ
 وَكَانَ إِذَا مَا الضَّيْفُ أَرْغَى بَعِيرَهُ لَدَيْهِ أَنَاهُ نَيْـــــــلُهُ وَفَوَاضِلُهُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْجُوعَ الَّذِي كَانَ سَارِيَا عَلَى الضَّيْفِ وَالْجَبْرَانَ أَنْكَ قَاتِلُهُ
 وَأَنْكَ رَحْبُ الْبَاعِ يَأْتُوبُ بِالْقَرَى إِذَا مَا لَثِمَ الْقَوْمَ ضَاقَتْ مَنَازِلُهُ
 بَيْتٌ قَرِيرَ الْعَيْنِ مَنْ كَانَ جَارَهُ وَيُضْحِي بِخَيْرِ ضَيْفِهِ وَمُنَازِلُهُ
 فَقَالَ لَهَا مَعَاوِيَةَ : وَيَحْكُ يَا لَيْلِي ! لَقَدْ جُزَّتْ بِتَوْبَةِ قَدْرِهِ ، فَقَالَتْ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَاللَّهِ لَوْ رَأَيْتَهُ وَخَبَّرْتَهُ لَعَلَّمْتِ أُنَى مَقْصَرَةٍ فِي نَعْتِهِ ، لَا أَبْلُغُ كُنْهَ
 مَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ . فَقَالَ لَهَا مَعَاوِيَةَ : فِي أَيِّ سَنٍّ كَانَ ؟ فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

(١) ألد : شديد اللدد ، واللدد - بفتح اللام والدادل - الخصومة (م)

(٢) جما: كثير ، ويروي «عما» وهو بمعناه ، والنوافل: جمع نافلة ، وهي العطيّة (م)

أَتَتْهُ الْمَنَسَايَا حِينَ تَمَّ تَمَامُهُ وَأَقْصَرَ عَنْهُ كُلُّ قَرْنٍ يُنَاضِلُهُ
 وَصَارَ كَلِيثَ الْغَابِ يَحْمِي عَرِيْنَهُ فَتَرْضَى بِهِ أَشْبَاهَهُ وَحَلَائِلُهُ
 عَطُوفٌ حَلِيمٌ حِينَ يُطَلَّبُ حَامَهُ وَسُمْ ذُعَافٌ لَا تُصَابُ مَقَاتِلُهُ

فأمر لها بجائزة ، وقال : أى ما قلت فيه أشعر ؟ قالت : يا أمير المؤمنين
 ما قلت شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أجدتُ حيث أقول
 جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفِّه فتى من عُقيل ساد غير مكلف
 فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه فلم ينفك جَمَّ التَّصَرُّفِ
 ينالُ علياتِ الأمور بهوناً إذا هي أعيّت كلَّ خِرْقٍ مُسَوِّفٍ (١)
 هو المِسْكُ بالأرَى الضحكا كى شبته بَدْرِ يَاقَةِ مِنْ خَرَّ بَيْسَانَ قَرَقَفٍ (٢)

وفود ليلي
 على مروان
 ابن الحكم

ويقال : إنها دخلت على مروان بن الحكم فقال : ويحك يا ليلي ! أ كما نعت
 توبة كان ؟ قالت : أصلح الله الأمير ! والله ما قلت إلا حقا ، ولقد قصرت
 وما رأيت رجلا يقطّ كأن أربط على الموت جأشا ، ولا أقلّ الجحاشا حين تحت
 برآكاء الحرب ، ويحمى الوطيس بالظعن والضرب ، كان والله كما قلت :

فتى لم يزل يزداد خيرا لَدُنْ نَشَا إِلَى أَنْ عَلَاهُ الشَّيْبُ فَوْقَ الْمَسَاحِ
 تراه إذا ما الموتُ حلَّ بوردهِ ضَرُوبًا عَلَى أَقْرَانِهِ بِالصَّفَاحِ
 شجاعٌ لَدَى الْهَيْجَاءِ ثَبَّتْ مُشَاحِجُ إِذَا انْحَازَ عَنْ أَقْرَانِهِ كُلُّ سَابِحِ
 فعاش حميدا لا ذميا فعاله وَصُولًا لِقُرْبَاهِ يُرَى غَيْرَ كَالْحِ

فقال لها مروان : كيف يكون توبة على ماتقولين وكان خارباً ؟ « والخارب
 سارق الإبل خاصة » ، فقالت : والله ما كان خارباً ، ولا للهوت هائبا ، ولكن

(١) هونة : أى سهولة ولين ورفق ، والحرق : الأحمق (م)

(٢) الأرَى : العسل ، وشبته : خلطته ، وبيسان : من بلاد الشام مشهورة بالخرنوب

كان فتى له جاهلية ، ولو طال عمره وأنساه الموت لارغوى قلبه ، ولقضى في
سب الله نخبه ، وأقصر عن لهوه ، ولكنه كما قال ابن عمه مسلمة بن زيد :

فله قوم غادروا ابن حُمَيْرٍ قتيلاً صريعاً للسيوف البواتر
لقد غادروا حزمًا وعزمًا ونائلًا وصبراً على اليوم العبوس القماطر
إذا هاب وورد الموت كلُّ غَضَنَفَرٍ عظيم الحوايا لبَّه غير حاضر
مضى قدماً حتى يلاقى وِرْدَهُ وجاد بسبب في السنين القواشر^(١)

فقال لها مروان : يا ليلي ، أعودُ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة
الأعداء ، فوالله لقد مات توبة ، وإن كان من فتیان العرب وأشداهم ، ولكنه
دركه الشقاء ، فهلك على أحوال الجاهلية ، وترك لقومه عداوة .

ثم بعث إلى ناس من عقيل فقال : والله لئن بلغني عنكم أمرٌ أكرهه من
هبة توبة لأصلبكم على جذوع النخل ، إياكم ودعوى الجاهلية ، فإن الله قد
فاء بالإسلام ، وهدم ذلك كله .

قدوم ليلي
على الحجاج

وروى أبو عبيدة عن محمد بن عمران المرزباني قال : قال أبو عمرو بن العلاء
شيباني : قدمت ليلي الأخيلية على الحجاج بن يوسف وعنده وجوه أصحابه
أشرفهم ، فبينما هو جالس معهم إذ أقبلت جارية فأشار إليها وأشارت إليه ؛ فلم
يبس أن جاءت جارية من أجل النساء وأكلهن ، وأتمهن خلقتا ، وأحسنهن
عابرة ؛ فلما دنت منه سألت ثم قالت : أتأذنُ أيها الأمير؟ قال : نعم ،
أنشئت :

أحجاجُ إن الله أعطاك غايةً يُقصرُ عنها من أراد مداها .
أحجاجُ لا يُقللُ سلاحك إنما المنايا بكفُّ الله حيث يراها .

(١) القواشر : جمع قاشرة ، كأنها تمش الجلود من جذبها ، وفي نسخة «الكواشر»

في أخرى «البواشر» (م)

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضَةً
شفاها من الداء العيَاء الذي بها
إذا سَمِعَ الحجاجُ صَوْتِ كَتِيْبَةٍ
أعدَّ لها مَصْـ قَوْلَةَ فَارِسِيَّةٍ
تَدْبَعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَافَهَا
غُلَامٌ إِذَا هَزَّتْ القَنَاةَ ثَنَاهَا
أعدَّ لها قَبْلَ النَزْوِلِ قِرَاهَا
بأيدي رجالٍ يَحْمِلُونَ صَرَاهَا^(١)

حتى أتت على آخرها . فقال الحجاج لمن عنده : أتعرفون من هذه؟ قالوا :
ما نعرفها ، ولكن ما رأينا امرأة أطلقَ لسانا منها ، ولا أجلَ وجْهها ، ولا أحسنَ
لفظاً ، فمنَ هي أصلحُ اللهُ الأميرُ؟ قال : هي ليلي الأخييلية صاحبة توبة بن
الخير التي يقول فيها :

ولو أن ليلي الأخييلية سَمَّتْ
لسَمَّتْ تَسْلِيمَ البَشَاةِ أَوْزَقَا
على ودوني جَنَدَالٍ وَصَفَاخُ
إليها صَدَى من جانب القبرِ صَبَاخُ

ثم قال لها : يا ليلي ، أنشدنا بعضَ ما قاله فيك توبة ، فأنشدته :

نَأْتِكُ بليلى دارها لا تزورها
وكنت إذا ما زرتُ ليلي تبرقعتُ
وشطت نواها واستمرَّ مَرِيرُهَا
وقد رآني منها الغداة سفورُهَا
على دِماءِ البدنِ إن كان زَوْجُهَا
يرى لي ذنبا غيرَ أني أرورها
وأني إذا ما زرتها قلت : يا اسلمى
فهل كان في قولي اسلمى ما يَصِيرُهَا
حمامة بطنِ الواديينِ ترنمى
سقاك من العرِّ الغواذى مطيرُهَا
أيني لنا لا زال ريشك ناعما
ولا زلت في خضراءِ دانِ بريرُهَا^(٢)
وقدتذهب الحاجات يطلبها الفتى
شعاعاً وتخشى النفسُ ما لا يَصِيرُهَا
أيذهب ريعانُ الشباب ولم أزرُ
عرارَ من همدانِ بيضاً محورُهَا
ولو أن ليلي في ذرى مُتَمَتِّعٍ
بنجرانٍ لالتفت على قصورها

(١) مصقولة فارسية : أراد السيف ، وأصل الصرى - بفتح الصاد - بقية اللبن

في الضرع ، وأرادت به أنهم يأتون بأخر ما يمكن من الضرب بها (م)

(٢) البرير : ثمر الأراك (م)

يقرّ بعيني أن أرى العيس ترتمي بنا نحوليلي وهي تجرى صقورها
وأشرف بالغبور اليفاع لعلني أرى نأر ليلي أو يراني بصيرها
أرتنا حمام الموت ليلى ، وراقنا عيون نقيات الحواشي تديرها

حتى أنت على آخرها . فقال : يا ليلي ، ما رآه من سفورك ؟ فقالت : أيها الأمير ؛ ما رآني قط إلا متبرقة ، فأرسل إلي رسولاً إنه ملّم بنا ، فنظر أهل الحى رسولاه فأعدوا له وكنوا ؛ ففطنت لذلك من أمرهم ، فلما جاء ألفت برقي وسفرت فأنكر ذلك ، فما زاد على التسليم وانصرف راجعاً . فقال لها الحجاج : لله درك ! فهل كانت بينكما ريبة قط ؟ قالت : لا والذي أسأله صلاحك ، إلا أنى رأيت أنه قال قولاً فظننت أنه خضع لبعض الأمر ، فقلت :

وذى حاجة قلنا له : لا تبغ بها فليس إليها ما حيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخليل

فما كلني بشيء بعد ذلك حتى فرّق الموت بيني وبينه . فقال لها : حاجتك !
قالت : أن تحملني إلى قتيبة بن مسلم على البريد إلى خراسان ، فحملها فاستظرفها قتيبة ووصلها ، ثم رجعت فانت بساوة^(١) ، وقبرها هناك .

وروى المبرد أنها لما أنشدته الأبيات «أحجاج إن الله أعطاك» .. إلى قولها «غلام إذا هز القناه ثنأها» قال لها : لا تقولى غلام ، ولكن قولى : هام ، ثم قال لها : أى نسأى أحب إليك أن أنزلك عندها ؟ قالت : ومن نسأوك أيها الأمير ؟ قال : أم الجلاس بنت سعيد بن العاص الأموية ، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية ، وهند بنت المهلب بن أبي صفرة العتكية^(٢) . قالت : هذه أحب إلى . فلما كان الغد دخلت إليه فقال : يا غلام أعطها خمسمائة . قالت : أيها الأمير ، اجعلها أداما^(٣) .

(١) فى الأغاني «فانت بالرى» (م) (٢) فى نسخة «القيسية» (م)

(٣) الأدم : جمع أدماء ، وهى السمراء اللون (م)

قيل لها : إنما أمر لك بشاء ، فقالت : الأميرُ أكرم من ذلك ؛ فجعلها إبلا أذما استحيا ؛ وإنما كان أمر لها بشاء [أولاً ، والأدم أكرمها] .

وأول هذا الحديث عن رجل من بنى عامر بن صعصعة يقال له ورّقاء قال : كنت عند الحجاج فدخل الآذن^(١) فقال : أصلح الله الأمير ! بالباب امرأة تهذرُ كما يهذرُ البعير الناد^(٢) . قال : أذخِلها ، فلما دخلت نَسبها فانتسبت له . فقال : ما أتى بك يا ليلى ؟ قالت : إخلافُ النجوم ، وقلةُ الغيوم ، وكآبُ البرد ، وشدة الجهدِ ، وكنت لنا بعد الله الرّقد .

قال لها : أخبريني عن الأرض . قالت : الأرض مُعَبَّرَةٌ ، والفِجَاجُ مَشْعَرَةٌ ، وأصابتنا سنون مُجْحِفَةٌ مُظْلِمَةٌ ، لم تدعَ لنا هُبماً ولا رُبماً ، ولا عافِطَةً ولا نَافِطَةً^(٣) . أهلكت الرجال ، ومزقت العيال ، وأفسدت الأموال ، وأنشدت الأبيات التي مضت آنفا ؛ فالتفت الحجاجُ [إلى أصحابه] . وقال : هل تعرفون هذه ؟ قالوا : لا . قال : هذه ليلى الأخييلية التي تقول :

نحن الأخاييلُ لا يزال غلامنا حتى يدبّ على العصا مذكورا
تبكي الرياحُ إذا فقدن أكتفنا خزنًا وتلقانا الرّفاقُ . ورا
وفي آخر حديثها قال لها : أنشدنا بعض شعرك ، فأشدته :

لعمرك ما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا لم تصببه في الحياة المعاييرُ
ومن كان مما يحدث الدهر جازعا فلا بدّ يوماً أن يُرى وهو صابر
فلا يبعدنك الله ياتوبُ هالكا لدى الحرب إن دارت عليك المقاديرُ
فكل جديد أو شباب إلى بلى وكل امرئ يوماً إلى الله صائرُ
وكل قريني ألقه لتفرّق شتاتٍ وإن ضنا وطال التماسرُ

(١) الآذن : الذي ينقل الإذن بالدخول ، شبه الحاجب اليوم (م)

(٢) الناد : الشروء (م) (٣) الهيج - بزنة سرد - ابن الناقة الذي ينتج آخر

فصل النتاج . والرّبع : الذي ينتج في وقت الربيع . والعافطة : الضائنة . والنافطة :

الماعزة (م)

فأقسمت أبكى بعد توبه هالكا وأخفل من دارت عليه الدوائر
فقال الحجاج لصاحب له : اذهب بها فاقطع عني لسانها ، فدعا لها بالحجام
ليقطع لسانها . فقالت له : ويحك ! إنما قال لك الأمير : اقطع لساني بالعطاء ،
فارجع إليه فاسأله ، فسأله فاستشاط غيظاً ، وهم بقطع لسانه ، [ثم أمر بها فأدخلت]
فقال : أيها الأمير ، كاد يقطع مقولى ، وأنشدته :

حجاجُ أنت الذى ما فوقه أحدٌ إلا الخليفة والمستغفر الصمد
حجاج أنت شهاب الحرب إن لقت وأنت للناس نورٌ فى الدجاء يقد^(١)

احتذى الحجاج في قوله : « اقطع لسانها » قول النبي صلى الله عليه وسلم
لما أعطى المؤلفه قلوبهم يوم حُنين مائة من الإبل ، وأعطى العباس بن مرداس
أربعين فسخطها وقال :

أجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت إلا امرأ منهم ومن تصع اليوم لا يرفع^(٢)

العبيد : اسم فرسه ، وحصن [الذى ذكره] هو أبو عيينة بن حصن بن حذيفة
ابن بدر سيد فزارة ، وحابس : أبو الأقرع بن حابس ، وقد تقدم نسبه - فأمر النبي
صلى الله عليه وسلم بإحضاره ، فقال : أنت القائل :

أجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة

وكان النبي عليه الصلاة والسلام كما قال الله عز وجل : « وما علمناه الشعر
وما ينبغي له » . فقال : قم يا على فاقطع لسانه . قال العباس : فقلت : يا على ؛

(١) فى نسخة « وأنت للناس نور ضوءه يقد » (م)

(٢) مع هذه الأبيات قوله ، وهو من شواهد النجاة :

وقد كنت فى الحرب ذا تدراً فلم أعط شيئاً ولم أمنع

أى : فلم أعط شيئاً عظيماً ولم أمنع البتة (م)

وإنك لَقَاطِعُ لِسَانِي ؟ قال : إني مُمضٍ فيك ما أمرت ، فمضى بي حتى أدخلني الحظائر ، فقال : اعتد ما بين الأربعين إلى مائة ، قلت : بأبي أنت وأمي ! ما أحلكم وأعلمكم وأعدلكم وأكرمكم ! فقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطاك أربعين ، وجعلك من المهاجرين [فإن شئت] فخذها ، وإن شئت فخذ مائة ، وكن من المؤلفة قلوبهم . فقلت : أشره على . فقال : إني آمرُك أن تأخذ ما أعطاك . فأخذتها .

* * *

وكانت ليلي الأخيلية قد حاجت النابغة الجعدي فأختمته .
ودخلت على عبد الملك ابن مروان وقد أسنت فقال: ما رأيت توبةً فيك حتى أحبك؟ قالت: رأيت في ما رأيت الناس فيك حين ولوك! فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يُخفيها .

[عود إلى رثاء شواعر العرب]

وقالت هند بنت أسد الضبابية :

لهند بنت
أسد ترى
أخاها

لقد مات بالبيضاء من جانب الحبي
ففي كان زينا للمواكب والشرب
يلوذ به الجاني مخافة ما جنى
كما لذت العصماء بالشاهق الصعب
تظل بنات العم والخال حوله
صوادي لا يروين بالبارد العذب
وقالت أم خالد النميرية [تشبب بأثال السكابي (١)] :

لأم خالد
الخميرية

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضه
أتتنا برياه فطاب هبوبها (٢)
أتتنا عسك خالط المسك عنبر
وريح خزاي باكرتها جنوبها
أحين لذكراه إذا ما ذكرته
وتنهل عبرات تفيض غروبها (٣)
حنين أسير نازح شد قيده
وإعوال نفس غاب عنها حبيبها

(٢) كذا وقع في نسخة ، والسياق يقضى بأن يكون هذا الشعر رثاء لاتشيبيا (م)

(٢) الريا : الرائحة الطيبة (م) (٣) العبرات : جمع عبرة ، وهي النعمة (م)

لأم الضحاك
المحارية

وأشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى [تعلم] ، لأم الضحاك المحارية وكانت
تحب رجلا من الضباب حبا شديداً :

يأيها الراكب الغادي لطيفته
ما عالج الناس من وجد تضمّنهم
عرج أبثك عن بعض الذي أجد
إلا وجدته به فوق الذي وجدوا
حسبي رضاه وأنى في مسرته
ووده آخراً الأيام أجهد
وقالت :

هل القلب إن لاقى الضباب خالياً
وأزعجنا قرب الفراق ، وبيننا
لدى الركن أو عند الصفا يخرج
حديث كتنفيس المريض مزعج
غريضا أنى أصحابه وهو منضج
حديث لو أن اللحم يشوى بحره

وأشد الزبير بن بكار حليلة الخضرية، وقد أشدها المبرد لنبهان العبشمي (١)
وهو أشبه (٢) :

يقر بعيني أن - أرى من مكانه
وأن أرد الماء الذي شربت به
ذرى عقيدات الأجرع المتقاود
سلمي وإن مل الشرى كل وإخذ
وألصق أحشائي ببرد ترابه
وإن كان مخلوطاً بسم الأسود

للفارعة بنت
شداد

وقالت الفارعة بنت شداد ترى أخاها مسعودا :

يا عين بكى مسعود بن شدا
من لا يذاب له شحم السديف ولا
بكاء ذى عبرات شجوه بادي
يخفقو العيال إذ ماض بالزاد
ولا يحل إذ ما حل منبداً
يخشى الرزية بين المال والنادي
قوال محكمة ، نقاض مبرمة
فتاح مهممة ، حباس أوراد
مناع مغلبة ، فكاك أقياد
قتال مسغبة ، وثاب مرقة
حمل مصلعة ، طلاع أنجاد
خلال ممرعة ، فراج مفضعة

(١) العبشمي : المنسوب إلى عبد شمس ، وقالوا : عبد رى ، وعبسى ، فى النسبة
إلى عبد الدار وعبد القيس (م) (٢) إنما كان ذلك أشبه لأن الشعرى امرأة كما ترى
فى البيت الثانى ، وإن تأملت الثالث عرفت أنه الأشبه حقاً (م)

حَمَلُ أَلْوِيَةِ ، شَهَادُ أُنْدِيَةِ شَدَادُ أَوْهِيَةِ ، فَرَاجُ أَسْدَادِ
 جَمَاعُ كُلِّ خِصَالِ الْخَيْرِ قَدْ عَلِمُوا زَيْنُ الْقَرَيْنِ وَنِسْكَالِ الظَّالِمِ الْعَادِي
 أَبَا زُرَّارَةَ لَا تَبْعُدْ فَكُلُّ فِتْيِ يَوْمًا رَهِينُ صَفِيحَاتِ وَأَعْوَادِ
 هَلَا سَقِيمٌ ، بَنِي جَرَمٍ ، أَسِيرُكُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي كَرْبَةِ صَادِي
 نَعَمُ الْفَتَى ، وَبَيْنَ اللَّهِ ، قَدْ عَلِمُوا يَخْلُو بِهِ الْحَيُّ أَوْ يَعْدُو بِهِ الْعَادِي
 هُوَ الْفَتَى يَحْمَدُ الْجِرَانَ مُشْهَدَهُ عِنْدَ الشِّتَاءِ وَقَدْ هَمُّوا بِإِخْمَادِ
 الطَّاعِنِ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ يَتَّبِعُهَا مُسْتَعْنِجِرًا بَعْدَ مَا تَعْلَى بِإِزْبَادِ
 وَالسَّائِي الزَّقُّ لِلْأَضْيَافِ إِنْ نَزَلُوا إِلَى ذَرَاهُ وَغَيْثِ الْمُخَوِّجِ الْعَادِي
 وَالْحَسَنَاتِ مِنَ النِّسَاءِ كَثِيرٌ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ لَهْنٌ فِي أَعْصَافِ هَذَا الْكِتَابِ مَا اخْتِيرَ .
 [عِبْرَاتُ الْحَبِيبِينَ]

وَأَنْشُدُ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى ثَعْلَبَ :
 وَمَسْتَنْجِدُ بِالْحَزْنِ دَمْعًا كَأَنَّهُ عَلَى الْخَدِّ مِمَّا لَيْسَ يَرَفًا حَائِرًا^(١)
 إِذَا دِيمَةٌ مِنْهُ اسْتَقَلَّتْ تَهَلَّتْ أَوَائِلُ أُخْرَى مَا لَهْنٌ أَوْ أُخْرُ
 مَلَأَ مُقَلَّتِيهِ الدَّمْعُ حَتَّى كَأَنَّهُ لِمَا أَنْهَلَ مِنْ عَيْنِيهِ فِي الْمَاءِ نَاطِرًا^(٢)
 وَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدَّمُوعِ بِمُقَلَّةٍ رَمَى الشَّوْقُ فِي إِنْسَانِهَا فَهَوَّ سَاهِرًا
 وَقَالَ آخِرٌ - وَرُوِيَ لَقَيْسُ بْنُ الْمَلُوحِ :

مما أنشده ثعلب

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ مَاءِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
 فَعَيْنَايَ طَوْرًا يَغْرَقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَعْشَى ، وَطَوْرًا تَحْسِرَانِ فَأُبْصِرُ
 وَقَالَ غِيلَانُ :

مما ينسب إلى قيس ابن الملوح

وَمَا شِئْنَا خَرْقَاءَ وَاهِيَةَ الْكَلْبِي سَقَى بَهْمَا سَاقٍ وَلِمَا تَبَلَّلَا
 بِأَضْيَعٍ مِنْ عَيْنِكَ لِلدَّمْعِ كَلَّمَا تَوَهَّمْتَ رَبْعًا أَوْ تَوَسَّمْتَ مَنْزِلَا

لدى الرمة

(١) رَقَا الدَّمْعُ يَرَقَا - مِنْ مِثَالِ فَتَحٍ يَفْتَحُ - سَكَنَ ، وَ « مَا » فِي قَوْلِهِ « مِمَّا لَيْسَ يَرَفًا » حَائِرًا (م)
 (٢) مَلَأَ : أَصْلُهُ مَلَأَ (م)

وقال آخر :

ومما شجاني أنها يوم ودّعت
فلما أعادت من بعيد بنظرة
تولّت وماء الجفن في العين حاراً (١)
إلى التفاتاً أسلمته الحاجر (٢)

للبحري

أبو عبادة البحري :

وقفناً والعيون مشغلات
نهته رقة الواشين حتى
يغالب طرفها نظراً كليل
تعلق لا يفيض ولا يسيل

مما أنشده

وأشد أبو الحسن [جحظة] :

جحظة

ومن طاعتي إياه أمطر ناظري
كأن دموعي تبصر الوصل هاربا
إذا هو أبدى من ثناياه لي برقا
فمن أجله تجرّي لتدركه سبنا

المتني

أخذ البيت الأول للمتني فقال :

يبتلّ خدي كلما ابتسمت
من مطر رقه ثناياها

لأبي الشيص

وقال أبو الشيص ، واسمه محمد بن عبيد الله ، وهو ابن عم دعبل :

وقالته وقد بصرت بدمع
أتكذب في البكاء وأنت جلد
على الخدين منجدير سكب
قديماً ما جسرّت على الذنوب
قيصك والدموع تجول فيه
كمثل قيص يوسف حين جاءوا
رَجَمْتِ بسوء ظنك في الغيوب [
لسرّك بالعويل وبالنجيب
بظهر الغيب أسنة القلوب
أما والله لو فتشت قلبي
دموعُ العاشقين إذا تلاقوا

(١) شجاني : أحزنتي (م)

(٢) أسلمته الحاجر : كناية عن انهمال الدمع (م)

[من أخبار العباس بن الأحنف]

وقال بشار بن برد : ما زال فتى من بنى حنيفة يُدْخِلُ نفسه فينا ويُخْرِجُها
منا حتى قال :

نزف البكاء دموعَ عينك فاستعيرُ عينا لعيرك دمعها مدِّرارُ

مَنْ ذَا يعيرك عينه تَبسكى بها أرايت عَيْنًا للبكاء تُعَارُ ؟ !

قال : وهذا الذي عناه بشار هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن طلحة
ابن هرون بن كلدة بن خزيم بن شهاب [بن سالم] بن حبة بن كليب بن عدى
ابن عبد الله بن حنيفة ، وكان كما قال بعض مَنْ وصفه : كان أحسن خلقِ
الله إذا حدّث حديثًا ، وأحسنهم إذا حدّث استماعًا ، وأمسكهم عن مُلاحقة
إذا خولف ، وكان ملوكي المذهب ، ظاهر النعمة ، حسن الهيئة ، وكانت فيه
آلاتُ الظرفِ ، كان جميل الوجه ، فأرِه المركب ، نظيف الثوب ، حسن
الألفاظ ، كثير النوادر ، رطيب الحديث ، باقياً على الشراب ، كثير المساعدة ،
شديد الاحتمال ، ولم يكن هجّاءً ، ولا مداحاً ، كان يتنزّه عن ذلك ، ويُشبهه
من المتقدمين بعمر بن أبي ربيعة .

وسُئِلَ أبو نواس عن العباس وقد ضمّهما مجلس فقال : هو أرق من الوهم ،
وأحسن من الفهم .

وكان أبو الهذيل العلاف المعتزلي إذا ذكره لعنه وزناؤه لأجل قوله :

وضعت خدّي لأدنى من يُطيف بكم حتى اختقرتُ وما مثلي بمحتقر^(١)
إذا أردتُ انتصاراً كان ناصركم قلبي ، وما أنا من قلبي بمنّصر
فأكثرُوا أو أقلُّوا من ملامكم فكلُّ ذلك محمول على القدرِ

(١) وضعت خدى : كتابة عن الخضوع ، وأدنى : أقل ، ويطيف بكم : أراد
من هو من خدمهم وحشمهم (م)

وقوله في البيت الأوسط كقوله :

قلبي إلى ما ضرتني داعي
لقلما أبقى على ما أرى
كيف احتراسي من عدوي إذا
كان عدوي بين أضلاعي

وقيل [لعنان] جارية الناطفي : من أشعرُ الناس ؟ قالت : الذي يقول
وأهجركم حتى يقولوا : لقد سَلاَ
ولكن إذا كان المحب على الذي
يجب شفيقاً نازع الناس بالهجرِ
وقال [العباس] :

جرى السيلُ فاستبكاني السيلُ إذ جرى
وما ذاك إلا أن تيقنتُ أنه
يكون أجاباً دونكم فإذا انتهى
فياسا كيني شَرِقِي دجلةَ كلكم
وفاضتْ له من مقلتي غروب
يمرّ بوادٍ أنتِ منه قريب
إليكم تلقى طيبكم فيطيب
إلى القلب من أجل الحبيب حبيبُ

موازنة
بين العتابي
والعباس

وقال الصولي : ناظرَ أبو أحمد على بن يحيى المنجم رجلاً يُعرف بالمتفقه
الموصلي في العباس بن الأحنف والعتابي ، فعمل على في ذلك رسالة أنفذها
لعلي بن عيسى ؛ لأن الكلامَ في مجلسه جرى . وكان مما خاطبه به أن قال :
ما أهّل نفسه قطّ العتّابي لتقديمها على العباس في الشعر ، ولو خاطبه مخاطبٌ لدفعه
وأنكره ؛ لأنه كان عالماً لا يؤثني من قلة معرفة بالشعر ، ولم أرَ أحداً من العلماء
بالشعر مثل العتّابي والعباس ، فضلاً عن تقديم العتّابي عليه لتباينهما [في ذلك] ،
وإن العتّابي متكلف ، والعباس يتدفق طبعاً ؛ وكلامُ هذا سهلٌ عذب ، وكلامُ
ذاك متمقّدٌ كره ، وفي شعر هذا رقةٌ وحلاوة ، وفي شعر ذاك غلظٌ وجسّاسة ،
وشعرُ هذا في فنٍّ واحد وهو الغزل ؛ وأكثرَ فيه وأحسن ، وقد افتنَّ العتّابي فلم
يخرج في شيء منه عمّا وصفناه .

(١) في ديوانه «يوشك أن ينعي بي الناعي» وأحسبه محرفاً عما هنا (م)

وإن من أحسن شعر العتابي قصيدته التي مدح بها الرشيد وأولها :
يا ليلَةً لَمَى فِي حورانٍ سَاهِرَةً حَتَّى تَكَلَّمَ فِي الصَّبْحِ العَصَافِيرُ
وقال فيها :

أَفِي الأَمَاقِ انقباضٌ عن جَفَوْنِهما أَمْ فِي الجفونِ عَنِ الأَمَاقِ تَقْصِيرُ
وهذا البيت أخذه من قول بشار الذي أحسن فيه كل الإحسان وهو قوله :
جَفَّتْ عَيْنِي عن التغميضِ حَتَّى كَانَّ جَفَوْنَهَا عنها قِصارُ
فمسخه العتابي ، على أن بشاراً أخذه من قول جميل :

كَانَ الحَبَّ لِطولِ الشَّهادِ قِصِيرُ الجفونِ ولم تَقْصُرِ
إلا أن بشاراً أحسن فيه؛ فنأزعهما إياه فأساء ، وإن حق من أخذ معنى قد سبق
إليه أن يصنعه أجود من صنعة السابق إليه ، أو يزيد عليه ، حتى يستحقه ، وأما
إذا قصر عنه فهو مسمى ؛ مَعْيِبٌ بالسرقة ، مذموم على التقصير .

ولقد هاجى أبا قابوس النصراني فغلب عليه في كثير مما جرى بينهما على
ضعف منة أبي قابوس في الشعر ، ثم قال في هذه القصيدة :

ماذا عسى مَادِحٌ يُثْنِي عليك وقد ناداك بالوحيِ تَقْدِيسٌ وتطهيرُ
فَتَ المَادِحِ إلا أنَّ ألسننا مستعلنات بما تُخْفِي الضمائرُ^(١)
فحتم البيت فيها بأثقل لفظة لو وقعت في البحر لكدرته ، وهي صحيحة ،
وما شيء أملك بالشعر بعد صحة المعنى من حُسْنِ صِحَّةِ اللفظ ، وهذا عمل التكلف ،
وسوء الطبع .

ولعباس بن الأحنف إحسان كثير ، ولولم يكن إلا قوله :

أَنكَرَ النَّاسُ سَاطِعَ المَسْكَ من دَجَلَةٍ قَدِ أَوْسَعِ المِشارِعَ طِيباً

(١) الضمائر : أصله الضمائر ، فأشبع كسرة الهمزة فتولدت ياء ، ويقع ذلك في
شعر العرب النحول وإن كان مستكرها ؛ فمن ذلك قول الفرزدق يصف ناقه :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهم تنقاد الصياريف
فالدراهم أصله الدراهم ، والصياريف أصله الصيارف ، فزاد الياء في كل منهما (م)

فهمُ يعجبون منه وما يدُ رُون أن قد حَلَمْتُ منه قريبا
 قاسميني هذا البلاء، وإلّا فاجعلني من التعزّي نصيبا
 إن بعض العتاب يدعوا إلى العتب، ويؤذي به الحبُّ الحبيبا
 وإذا ما القلوبُ لم تُضمر العطف فلن يعطف العتابُ القلوبا^(١)
 وقوله :

قالت مرضتُ فعدتها فتبرمتُ وهي الصحيحة والمريضُ العائدُ
 تالله لو أن القلوبَ كقلبها مارقٌ للولد الصغير الوالدُ
 إن كان ذنبي في الزيارة فأعلمي إني على كسب الذنوب لجاهدُ^(٢)
 أليت بين جفون عيني فرقةٌ فإلى متى أنا ساهرٌ يراقِدُ
 يقعُ البلاء وينقضى عن أهله وبلاء حُبِّك كلَّ يوم زائدُ
 سمّيك لي ناسٌ وقالوا: إنها لهي التي تشقى بها وتكابدُ
 فجدتهم ليكون غيرك ظمهم إني ليعجبني الحبُّ الجاحِدُ
 وقوله :

إني وإن كنت قد أسأت بي اليوم لراج للعطف منك غدا
 أستمع الله بالرجاء وإن لم أر منكم ما أرتجى أبدا
 وله :

أهدتني له أحبابه أترجةٌ فبكي وأشفق من عيافة زاجرٍ
 متطيرا منها أتته وجسمها لوان بآطنها خلاف الظاهر
 ولئن وفّي أبو أحمد العباس حقه، لقد ظلم العتّابي ما كان مستحقه، من
 سر الكلام، وجودة رصف النظام. قال الصولي في نسب العباس - وكان من

(١) لن يعطف العتاب القلوب: لن يميلها (م)

(٢) إن التي تقع اللام في خبرها مكسورة الهمزة البتة (م)

خُوْلته- : هو العباس بن الأحنف بن الأسود بن قُدّامة بن هيمان من بنى [هفان بن

الحارث بن] ذهل بن [الدليل بن] حنيفة . وله يقول الصريع يهجووه :

بنو حنيفة لا يَرْضَى الدَّعَىٰ بِهِمْ فَاتْرُكْ حَنِيفَةَ واطْلُبْ غَيْرَهَا نَسَبًا

اذْهَبْ إِلَى عَرَبٍ تَرْضَىٰ بِنَسَبِهِمْ إِنِّي أَرَىٰ لَكَ لَوْنًا يُشْبِهُ الْعَرَبَا

وقال [أبو أحمد : قال] العباس :

حُرِّدَ دَعَاؤُ الْهُوَىٰ سِرًّا فَلَبَّاهُ طَوْعًا فَأَضْحَكَ مَوْلَاهُ وَأَبْكَاهُ

فشاهدت بالذى يُخْفَىٰ لَوْ أَحْظَاهُ وَعَدَّ لَهَا بِفَيْضِ الدَّمْعِ عَيْنَاهُ

جَارِيَتِي إِذْ رَعَيْتُ الْوَدَّ بِعَدْلِكَ أَنْ وَكَلْتِ طَرْفِي بِنَجْمِ اللَّيْلِ بِرْعَاهُ

اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَمْ أَخُنْكَ هُوَىٰ كَفَاكَ بَيِّنَةٌ أَنْ يَشْهَدَ اللَّهُ

وقال :

يَا مَنْ يُكَاتِمُنِي تَغْيِيرَ قَلْبِهِ سَأُكْفُ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ تَتَبْرَمَا^(١)

وَأَصْدُ عَنْكَ وَفِي يَدَيَّ بَقِيَّةٌ مِنْ حَبْلِ وَدِّكَ قَبْلَ أَنْ يَتَصْرَمَا

يَا لِلرِّجَالِ لِعَاشِقِينَ تَوَاقِفًا وَتَحَاظِبًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

حَتَّىٰ إِذَا خَافَا الْعَيُونََ وَأَشْفَقَا جَعَلَا الْإِشَارَةَ بِالْأَنَامِلِ سَلَامَا

وقال :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا أَرَدْتُ بِهَجْرِكُمْ إِلَّا مَسَاوِرَةَ الْعَدُوِّ الْكَاشِحِ

وَعَلِمْتُ أَنْ تَسْتُرِي وَتَبَاعِدِي أُبْقَىٰ لَوْ صَمَلِكُ مِنْ دُنُوِّ فَاصِحِ

وقال :

يَهِيمُ بِحِجْرَانِ الْجَزِيرَةِ قَلْبُهُ وَفِيهَا عَزَالَ فَاتِرُ الطَّرْفِ سَاحِرُهُ

بُؤَازِرُهُ قَلْبِي عَلَىٰ وَلَيْسَ لِي يَدَانِ يَمْنِ قَلْبِي عَلَىٰ يُوَازِرُهُ^(٢)

(١) في ديوانه « قبل أن تتبرما » (م)

(٢) في نسخة « يامن يوازرها قلبي - إلخ » (م)

[العين والقلب]

وقد قال سهل بن هرون :

أعان طرفي على قلبي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دأني
وكنتُ غرماً بما يمحي على بدني لا علم لي أن بعضي بعض أعدائي

وقال النظام :

إنَّ العيون على القلوب إذا جنت كانت بليتها على الأجساد

البحترى :

ولست أعجب من عضيان قلبك لي حقاً إذا كان قلبي فيك يعصيني

وقال الأصمعي : سمعت الرشيد يقول : قلبُ العاشق عليه مع مَشُوقِهِ .

فقلت : هذا والله يا أمير المؤمنين أحسنُ من قول عُروة بن حزام لعفراء في أبياته
التي أنشدها :

وإني لتعروني لذِكرِكِ روعةٌ لها بين جلدِي والعظامِ ديبُ
وما هو إلا أن أراها فيه فُجاءةٌ فأُبهتَ حتى لا أكاد أُجيبُ^(١)
وأصرف عن دأني الذي كنتُ أرثي ويقرب مني ذِكرُهُ ويغيبُ
ويضمر قلبي غدرها ويُعينها عليّ ، ومالي في الفؤاد نصيبُ
فقال الرشيد : من قال ذلك وهما ، فقد قلته علماً .

[من ماثور الحكم]

قال علي بن عبيدة الريحاني : أحمِ ودك فإنه عِرْضُك ، وضمِّ الأنس بك
فإنه يُغزِرُ^(٢) حظك ، ولا تستكثر من الطمأنينة إلا بعد استحكام الثقة ؛ فإن
الأنس سريرةُ العقل ، والطمأنينة بذلةُ المتحابين ، وليس لك بعدهما تحفةٌ تمنحها
صاحبك ، ولا حياةٌ تُوجب به الشكر على من اصطفت .

(١) تحفظي « حتى ما أكاد أجيب » (م) (٢) في نسخة « فإنه يد حظك » وإن

لم تكن طبيعاً فهي معرفة عن « فإنه بدء حظك » (م)

وقال : ما أنصف من عاتب أخاه بالإعراض على ذنب كان منه ، أو هجره خلاف بما يكره عنده ، إذا كان لا يعتدُّ في سالف أيام العشرة إلا بالرضا عنه ، ومشاكلته فيما يؤنسه منه . فإن كان العاتب شكاً جميع ما ستره من أخيه أولاً ، فلقد تُتمَّ الموافقة حظَّ الاعتذار ، وإن لم يكن وفي له بكل ما استحق منه فليقتصر بما وجب منه عليه لأخيه بقدر ذنبه ، ثم العودة إلى الألفة أولى من تشتت الشمل ، وأشبهه بأهل التصافي ، وأكرم في الأحدثنة عند الناس .

وقال : الحياء لبأسٌ سابغ ، وحجاب واق ، وستر من المساوى ، وأخو الغفاف ، وحليف الدين ، ومُصاحب بالصنع . ورفيق من العصمة ، وعين كالأثمة^(١) تذود عن الفساد ، وتنهي عن الفحشاء والأدناس .

وقال : لا يخلو أحد من صبوّة إلا أن يكون جاسي الخلق^(٢) ، منقوص البنية ، أو على خلاف تركيب الاعتدال .

[الهوى]

ورأى سعيد بن مسلم^(٣) بن قتيبة ابناً له قد شرع في رقيق الشعر وروايته ، فأنكر عليه ، فتميل له : إنه قد عشق ، فقال : دعوه فإنه يلطف ، وينظف ، ويظرف . وقال الفضل بن أحمد بن أبي طاهر^(٤) ، واسم أبي طاهر طيفور : وصف الهوى قوم وقالوا : إنه فضيلة ، وإنه ينتج الحيلة ، ويشجع قلب الجبان ، ويسخى قلب البخيل ، ويصفى ذهن الغبي ، ويطلق بالشعر لسان المُفحم ، ويبعث حزم العاجز الضعيف ، وإنه عزيز تذل له عزّة الملوك ، وتضرع فيه صولة الشجاع ، وتنفاد له طاعة كل ممتنع ، ويدلل كل مستصعب ، ويبرز كل محتجب ، وهو داعية الأدب ، وأول باب تُفتمق به لأذهان والفطن ،

(١) كالأثمة : حافظة ، كالأثمة يكلؤه - من باب فتح - حفظه ورعاه ، وذود : تمنع وتدفع (م) (٢) جاسي الخلق : جافا غليظا (م) (٣) في نسخة « سعيد ابن مسلم » (م) (٤) في نسخة « أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر » (م)

وتستخرج به دقائق المكايد والحيل ، وإليه تستريح الهمة ، وتسكن نوافر الأخلاق والشيم^(١) ، يُمتنع جليسه ، ويؤانس أليفه ، وله سرورٌ يجول في النفس ، وفرحٌ مستكن في القلب ، وبه يتعاطف أهل المودة ، ويتصل أهل الألفة ، وعليه تتألف الأشكال ، وله صولات على القدر ، ومكايد تبطل لطائف الحيل ، وظرفٌ يظهر في الأخلاق والخلق ، وأرواح تسطع من أهلها ، وتعميق من ذوبها .

وقال اليماني بن عمرو مولى ذى الرياستين : كان ذو الرياستين يبعثُ بي وأحداثٍ من أهله إلى شيخ بخراسان ويقول : تعلموا منه الحكمة ؛ فكنا نأنيه ، وإذا انصرفنا من عنده اعتراضاً ذو الرياستين يسألنا عما أفادنا فنخبره ؛ فسيرنا إلى الشيخ يوماً فقال لنا : أتم أدياء ، وقد سمعتم الحكمة ، وفيكم أحداث ، ولكم نعم ، فهل فيكم عاشق ؟ قلنا : لا ، قال : اعشقوا ؛ فإنَّ العشق يُطلق العبي ، ويفتحُ جبلة البليد ، ويسخى كفة البخيل ، ويبعثُ على النظافة وحسن الهيئة ، ويدعو إلى الحركة والذكاء ، وشرف الهمة ، وإياكم والحرام .

قال : فانصرفنا ، فسألنا عما أفادنا في يومنا ؛ فهبناه أن نخبره ، فعزم علينا . فقلنا له : أمرنا بكذا وكذا ، قال : صدق ، أتعلمون من أين أخذ هذا الأذب ؟ قلنا : لا . قال : إن بهرام جور كان له ابنٌ رشحه للملك من بعده ، فنشأ ساقطاً الهمة ، حامل المروءة ، دنيء النفس ، سيء الأدب ، كليل القرية ، كهام الفكر^(٢) ؛ فغمه ذلك ، ووكّل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلزمه ويُعلمه ، وكان يسألهم فيخسكون له ما يسوؤه ، إلى أن قال له بعض مؤدبيه : قد كنا نحافُ سوء أذبه فحدث من أمره ما صيرنا إلى اليأس منه ، قال : وما ذلك ؟ قال : رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فملبت عليه ، فهو لا يهذي إلا بأمرها ، ولا يتشاغل إلا بذكرها فقال بهرام جور : الآن رجوت صلاحه .

(١) الشيم : جمع شيمة - بكسر الشين - وهى الخصلة والحلّة والسجية (م)

(٢) كهام الفكر : ضعيفه متبلده (م)

ثم دعا أبى الجارية فقال: إني مُسرٌّ لك سرّاً فلا يعدونك^(١). فضمن له ستره فأعلمه أن ابنته قد عشقَ ابنته ، وأنه يريد أن يُنكِحها إياه ، وأمره أن يأخذها بإطاعه بنفسها ، ومراسلته من غير أن يراها ، أو تقع عينه عليها؛ فإذا استحکم طمعه فيهما تجنّت عليه ، وهجرته ، فإذا استعبتها أعلمته أنها لا تصُحح إلا للملك ، أو من همته همة ملك ، وأن ذلك يمنعها من مواصلته ، ثم ليعلمه خبرها وخبره ، ولا يُطلعها على ما أسرَّ إليه ، فقبل ذلك أبوها منه .

ثم قال للمؤدّب : خوِّفْ بي ، وشجِّعْه على مراسلة الجارية ، ففعل ذلك ، وفعلت الجارية ما أمرها به أبوها ؛ فلما انتهت إلى التجنى عليه ، وعلم الفتى السبب الذي كرهته من أجله أخذ في الأدب ، وطلب الحكمة ، والعلم ، والنفسية ، ولعب الصّوالجة ، والرماية ، حتى مهّر في ذلك ، وورّع إلى أبيه أنه يحتاج من المطاعم والآلات والدوابّ والملابس والوزراء فوق الذي كان له ؛ فسرّ الملك بذلك ، وأمر له بما أراد ، ودعا بمؤدّبٍ به ، فقال : إنّ الموضوع الذي وضع ابني نفسه فيه بحبّ هذه المرأة لا يزري به^(٢) ؛ فتقدّم إليه أن يرفع أمرها إلىّ ويسألني أن أزوجه إياها ، ففعل : فزوجها منه ، وأمر بتعجيل نقلها إليه ، وقال له : إذا اجتمعت أنت وهي فلا تُحدّث شيئا حتى أُصير إليك . فلما اجتمعا صار إليه فقال : يا بني ، لا يضعنّ منها عندك مراسلتها إياك ، وليست في جبالك ، فأنا أمرتها بذلك ، وهي من أعظم الناس منّة عليك ، بما دعّتك إليه من طلب الحكمة ، والتخلُّق بأخلاق الملوك ، حتى بلغت الحدّ الذي تصلحُ معه الملوك بعدى ؛ فزدها في التشريف والإكرام بقدر ما تستحقّ منك . ففعل الفتى ذلك ، وعاش مسروراً بالجارية ، وأبوه مسروراً به ، وزاد في إكرام المرزبان ، ورفع مرتبته وشرفه بصيانتته لسره وطاعته ، وأحسن جأزته وجائزة المؤدّب

(١) لا يعدونك : لا يتجاوزنك إلى غيرك ، يأمره بكتمان السر (م)

(٢) لا يزري به : لا يعيبه ولا ينقصه ولا يضع من قدره (م)

بامثاله أمره ، وعقدَ لابنه الملك من بعده . قال اليماني : وكان الشيخ الحسن بن مصعب .

ثم قال ذو الرياستين : قال علي بن بلال :

سبهلك في الدنيا شفيقٌ عليكمُ إذا غاله من حادثِ الدهرِ غائله
ويُخفي لكم حَبًّا شديدًا ورهنةً وللناس أشغالٌ ، وحبُّك شأغله
كريمٌ يميت السرَّ حتى كأنه ، إذا استخبروه عن حديثك ، جَاهله
يودُّ بأن يُمنِّي عليلا لعلها إذا سمعت عنه بشكوى تُرأسله
ويرتاحُ للمعروف في طلب العلاء لتحمَدَ يوماً عند ليلى شمائله^(١)

وذكر أعرابي الهوى فقال : هو أعظمُ مسلكاً في القلب من الروح في الجسم ، وأملك بالنفس من النفس . يظهر ويبطن ، ويكثف ويُلطف ، فامتنع عن وصفه اللسان ، وعيى عنه البيان ! فهو بين السحرِّ والجفون ، لطيفُ المسلكِ والكؤون . وأنشد :

يقولون لو دبرت بالعقل حبها ولا خير في حبِّ يدبر بالعقل

[من رسائل الميكالي]

فصل للأمير أبي الفضل الميكالي :

لا زالت الأيام تزِيدُ رُتبتَه ارتفاعاً ، وباعه اتساعاً ، وعزَّته غلبةً وأمتناعاً ، فلا يبقى مجدُّ لإشيدته معاليه ومكارمه ، ولا ملك إلا أفتَرَعته صرائمه وصوارمه . وله فصل : لا زالت حياة الأحرار بفضلِه متسمة ، ووجوه المكارم بغيرِ أيامه مبتسمة ، وأهواء الصدور بخدمة ودِّه مرتسمة ، [وغنائم الشكر بين محاسن قوله وفعله مقتسمة] .

وله : الله يُديم راية الأمير الجليل محفوفةً بالقلج والنصر ، مكنوفةً^(٢) بالعبية

(١) الشائل : جمع شمال ، وهي الحصلة ، وقال الشاعر * وما لوى أخى من

شمالياً * (م) (٢) مكنوفة : محوطة (م)

والقهر ، حتى لا يزاول خَطْباً إلا تَذَلَّتْ به صِعَابُهُ ، ولا يُمَارِسُ أمراً إلا تَيْسَّرَتْ أسبابُهُ ، ولا يَرُومُ^(١) حلالاً إلا أَدْعَنَ لهيبته وسُلْطانه ، وَخَضَعَ لسيفه وسِنَانِه ، وَذَلَّ لمَقْدِ لوائه ، ومذْنَى عَنانه ، إلى أن ينالَ من آماله أَقاصِيهَا ، وَيَمْلِكُ من بَاغِيه أَرْزَمِهَا ونواصِيهَا [وَيُسَامِي الثريا بعلو همته ويناصيها] .

وله فصل : إنما أشكو إليك زماناً سَلَبَ ضِعْفَ ما وَهَبَ ، وَفَجَعَ بأكثر مما أَمْتَعَ ، وأوحش فوق ما آانسَ ، وعنف في نَزْعِ ما ألبسَ ؛ فإنه لم يُذِقْنَا حلاوة الاجتماع ، حتى جَرَعْنَا مرارةَ الفراق ، ولم يمتعنا بأُنْسِ الالتقاء ، حتى غادَرَ نارَ رَهْنِ التلْهَفِ والاشتياق ، والحمدُ لله تعالى على كل حال يُسِيءُ ويسر ، وَيَحْلُو وَيُيْمِرُ ، ولا أَيأسُ من رَوْحِ الله في إباحةِ مَنعٍ يجعلُ رِبْعَهُ مُنْغِي^(٢) ، وَيُقَصِّرُ مدةَ البِعَادِ والتراحي ، فألاحظُ الزمانَ بعينِ راضٍ ، وَيُقْبِلُ إلى حَظِّي بعد إعراضٍ ، وأستأنفُ بعزته عيشاً سابغَ الذبولِ والأعطافِ ، رقيقَ المعاني والأوصافِ ، عَذْبَ المواردِ والمناهلِ ، مأمونَ الآفاتِ والغوائلِ .

وله فصل : أنا أسأل الله تعالى أن يردَّ علي بَرْدَ العيشِ الذي فَقَدْتُهُ ، وفسحةِ السرورِ الذي عَهَدْتُهُ ؛ فَيُقَصِّرُ من الفراقِ أمدُهُ ، ويعلو للالتقاءِ حكمه ويدهُ ، وَيَرْجِعُ ذلكَ العهدُ الذي رَقَّتْ غلائلهُ ، ووصفتُ من الأقداءِ مناهلهُ ، فلم أتهدأ بعده بأُنْسٍ مقيمٍ ، ولا تعلقتُ يوماً إلا بعيشِ بهمٍ .

فلو تَرَجِعُ الأيامُ بيني وبينهُ بذي الأثلِ صَنِيفاً مثل صيفي ومرْبعي أَشَدُّ بأعناقِ النوى بعد هذهِ مرائرٍ إن جاذَبَتْها لم تَقَطِعِ .
وما على الله بعزيز أن يقربَ بعيداً ، ويهبَ طالعا سعيداً ، وَيُسَهِّلَ عسيرا ، ويفكَّ من رقِّ الاشتياقِ أسيرا .

(١) لا يروم : لا يطلب ، وأدعن : خضع وذلل (م)

(٢) المنخ : موضع الإناخة ، وأصلها برك الإبل ، وأراد بها الإقامة (م)

وله فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك الثعالبي :
 قرأتُ خبرَ سلامته ، فسَرَى السرورُ في الجوانح ، واهتزَّت النفسُ له
 اهتزازَ الغُصنِ تحتِ البارحِ :

أليس لأخبارِ الأحبَّةِ فرحةٌ ولا فرحةَ العطشانِ فأجأهُ القَطْرُ
 يقولون : قد أوْفَى لوقتِ كتابهِ فتندشِرُ البشري ويُنشِرُ الصَّدْرُ
 ثم سألت الله تعالى أن يحرسَ علينا سلامته سابقَةَ الملابسِ والمطَّارِفِ ، موصولة
 التالِدِ بالطَّارِفِ .

وله فصل من كتاب تَفْزِيَةِ عن أبي العباس بن الإمام أبي الطيب :
 لئن كانت الرزِيَّةُ مُمِضَةً مؤتلةً ، وطُرُقُ العزاءِ والسَوةِ مُبْهَمَةً ، لقد حَلَّتْ بِسَاحَةِ
 من لا تَنْتَقِضُ بِأَمثالها مَرَأِرُهُ ، ولا تَضَعُفُ عن احتمالها بَصَائِرُهُ ، قد يَتَلَقَّها
 بِصَدْرٍ فسيحٍ ، يحمي أن يبيحَ الحُزنُ جنابَهُ ، وصَبرٌ مشيحٌ ، يحمي أن يُحِيطَ الجَزَعُ
 أجزءَهُ وثوابَهُ ؛ كيف لا وآدابُ الدين من عنده تُلتَمَسُ ، وأحكامُ الشرع من
 لسانه ويده تُستفاد وتُتَمَسُّ ، والعيون تَرْمُقُهُ في هذه الحال لتَجْرِي على سَنَنِهِ ،
 وتأخذَ بِآدابه وسَنَنِهِ ؛ فإن تعزَّتِ القلوبُ فبحسبِ تماسكِهِ عزائِواها ، وإن حسنتِ
 الأفعالُ فإلى حميدِ أفعاله ومذاهبه اعتزائِواها .

[من شعر الميكالى]

جملة من شعره في تحسين القوافي والغزل
 قال :

عذيري من جفونِ رامياتِ بسهمِ السَّجَرِ من عيني غزالِ
 غزائي طرفُهُ حتى سَبايَني لأنتصرنَّ منه بمن غزالي
 وله أيضاً :

أما حان أن يشفى المُستَهامُ بزورَةِ وَضَلٍ وتاوى له^(١)

(١) في نسخة «أن يشفى المستهام» ولا يستقيم عليها وزن البيت (م)

يجمجم عن سُؤلهِ هَيِّمَةٌ وعلمِ عِلْمِكَ تَأْوِيلُهُ

وقال أيضاً :

شكوتُ إليه ما ألاتي فقال لي : رويداً فني حكم الهوى أنت مؤنثي
فلو كان حقاً ما ادّعت من الجوى لقلّ بما ألقى إذا أن تموت لي

وقال أيضاً :

تفرّقت قلبي في هواه فعنسه فريقٌ وعندي شعبة وفريقٌ
إذا ظممت نفسي أقول لها: أسقني فإن لم يكن راحٌ لديك فريقٌ^(١)

وقال أيضاً :

شأفه كفتي رشاً بقبلة ما شفت
فقلت إذ قبلها يا ليت كفتي شفّتي

وقال :

يا شادناً غاب نجمُ الحسن لولاهُ قد كان يوسفُ لما مات ولأه
ولاه رقي ظرفٌ في شمائله فاشتطّ في الحكم لولا أن تولاه
ارحم فتى مدنفًا ما إن يخلصه من غمرة الوجد إلا أنت والله

[الاهتزاز لقضاء حوائج الناس]

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : حدثني أبو الهيثم بن السندی بن شاهك قال : قلت في أيام ولايتي الكوفة لرجل من أهلها لا يحفّ قلبه ولا تستريح يده ، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الناس ، وإدخال المنافع على الضعفاء ، وكان رجلاً مفوّهاً : أخبرني عن الشيء الذي هوّن عليك النصب ، وقوّاك على التعب ، ماهو ؟

(١) الراح : الخمر ، وقوله «فريق» مؤلف من الفاء الواقعة في جواب الأمر ،

وكلمة «ريق» وهو ماء الفم ، ويتضمن تشبيهه ريقه بالخمر (م)

قال : قد ، والله ، سمعتُ تغريدَ الأطيارِ بالأسحارِ على أفنانِ الأشجارِ ، وسمعتُ [خَفَقَ] أوتارِ العيدانِ ، وترجيعَ أصواتِ القيآنِ ، فاطرَبْتُ من صوتِ قطِّ طَرَبِي من ثناءِ حسنِ ، على رجلٍ قد أحسنَ ، ومن شاكرٍ مُنعمِ ، ومن شفاعَةِ شفيعٍ محتسبٍ لطالبِ ذاكرِ

فقال أبو الهيثم : فقلت له : لله أبوك ! لقد حُشيتُ كرماً ! فبأى شيءٍ سهَّلتَ عليكِ المَعَاوِدَةَ والطلبَ ؟ قال : لا أبلغُ المجهودِ ، ولا أسألُ إلا ما يجوزُ ، وليس صدقُ العذرِ بأكرهٍ إلىَّ من إنجازِ الوعدِ ، ولستُ لإكراهِ السائلِ بأكرهٍ مني لإجحافِ المسئولِ ، ولا أرى الراغبَ أو وجبَ حقاً علىَّ للذي قدمَ من حُسنِ ظنه من المرغوبِ إليه للذي احتملَ من كله . قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاماً قطُّ أشدَّ مؤالفةً لموضعه ، ولا أليقَ بمكانه ، من هذا الكلامِ .

[بين عميلة الفزاري وأسيد بن عتقاء]

وروى أبو بكر بن شقير النحوي عن أحمد بن عبيد قال :

كان أسيد بن عتقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه ^(١) . وأشدَّهم عارضةً ولساناً ، وطال عمره ، ونكبه دهره ؛ فاختلفت حاله ، فخرج يتقبل ^(٢) لأهله ؛ فمرَّ عليه عميلة الفزاري ، فسلم عليه ، وقال : يا عم ؛ ما أشاركُ إلى ما أرى ؟ قال : بخُلُّ مثلك بماله ، وصونُ وجهي عن مسألة الناس . قال : أما والله لئن بقيتُ إلى غدٍ لأغيرنَّ من حالك ما أرى ، فرجع ابن عتقاء إلى أهله فأخبرهم بما قال عميلة ، فقالوا له : غرَّك كلامُ غلامٍ جُنحَ ظلامٍ فسكاً بما أقموا فاهُ حجراً ؛ فبات متململاً بين رجاءٍ ويأسٍ ، فلما كان السحرَ سمعَ رغاءَ الإبلِ ، وثناءَ الشاءِ ، وصهيل الخيلِ ، وجلبَ الأموالِ ، فقال : ما هذا ؟

(١) في الأملی (٢٣٧/١) « من أكثر أهل زمانه » (م)

(٢) يتقبل لأهله : يطلب لهم البقل (م)

قالوا : عُمَيْلَةٌ قَدَسَاقُ إِلَيْكَ مَالَهُ ، فخرَجَ ابْنُ عَنقَاءَ لَهُ (١) ، فَقَسَمَ مَالَهُ شَطْرَيْنِ ، وَسَاهَمَ عَلَيْهِ ، فَأَنشَأَ ابْنُ عَنقَاءَ يَقُولُ :

رَأَى عَلَى مَا بِي عُمَيْلَةٌ فَاشْتَكَى	إِلَى مَالِهِ حَالِي ، أَسْرًا كَمَا جَهَرَ
دَعَانِي فَوَاسَانِي ، وَلَوْ ضَنَّ لَمْ يُلْمِ	عَلَى حِينٍ لَا بَدْوٌ يُرَجَّى وَلَا حَضَرَ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا ، وَأَثْنَيْتُ فِعْلَهُ	وَأَوْفَاكَ مَا أَوْلَيْتُ مَنْ ذَمَّ أَوْ شَكَرَ (٢)
وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتَعْبِرْتُ ثِيَابَهُ	تَرَدَى بِثَوْبٍ سَابِغِ الذَّيْلِ وَاتَّرَزَ (٣)
غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحَسَنِ يَافِعًا	لَهُ سَيْمِيَاءٌ لَا تَشْقَى عَلَى الْبَصْرِ
كَأَنَّ الثَّرِيَّا عُلِقَتْ فِي جَبِينِهِ	وَفِي أَنْفِهِ الشُّعْرَى وَفِي خَدِّهِ الْقَمَرُ
إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ	ذَلِيلٌ بِلَا ذُلٍّ ، وَلَوْ شَاءَ لَا تَنْتَصِرُ

[من غرر اللدائح]

وَأَنشَدَ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ أَبِي عَيْبَةَ لِلْعَرَنَدَسِ أَحَدِ بَنِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ يَمْدَحُ بَنِي عَمْرٍو الْغَنَوِيِّينَ ، وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ : هَذَا مِنْ (٤) الْحَالِ ، كِلَابِي يَمْدَحُ غَنَوِيًّا !

هَيَمُونَ لَيَمُونَ أَيْسَارُ ذُووِ كَرَمٍ	سُوَّاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءِ أَيْسَارِ
إِنْ يَسْأَلُوا الْعُرْفَ يُعْطُوهُ ، وَإِنْ خُبِرُوا	فِي الْجَهْدِ أُدْرِكُ مِنْهُمْ طَيْبُ أَخْبَارِ
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ الْأَهْوَاءِ إِنْ نَطَقُوا	وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْتَارِ
مَنْ تَلَقَى مِنْهُمْ تَقَلُّ لَأَقِيْتُ سَيْدَهُمْ	مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
مِنْهُمْ وَفِيهِمْ يُعَدُّ الْخَيْرُ مَتَلِدًا	وَلَا يُعَدُّ نَنَا خَزْيٍ وَلَا عَارِ

[صُرُوفُ الدَّهْرِ]

فصل لبعض الكتاب — ماتعجبك مما تقيت من الخيفِ اهل ضمن الدهر ان

(١) في الأملية « فاستخرج ابن عنقاء ثم قسم ماله شطرين وسأهه عليه » (م)
 (٢) وفيه « وأوفاك ما أبلت » (م) (٣) وفيه « تردي رداء سابغ الذيل » (م)
 (٤) في الأغاني (١/٢٣٩) : « هذا الحال »

يُنْصِفُ وَلَا يَحِيفُ^(١) ، أَوْ يُبْرِمُ فَلَا يَنْقُضُ ، أَوْ يُعَافِي فَلَا يُمْرِضُ ، أَوْ يَصْفُو
فَلَا يَكْدُرُ ، أَوْ يَفِي فَلَا يَعْدُرُ ؟ قَدَّرَ أَنْ تَعُذِبَ لِي مَشَارِبُهُ ، وَتَلِينَ لِي جَوَانِبُهُ ،
فَجُكِّمُ الدُّنْيَا لَا تَتْرِكْ حَامِداً لَهَا إِلَّا أَسَكَّتَهُ ، وَلَا ضَاحِكا إِلَّا أَبَكَّتَهُ ،
أَقْوَى مَا كَانَ بِهَا ثِقَةً ، وَأَشَدُّ مَا كَانَ لَهَا مِقَّةً^(٢) ، وَأَوْكَدُ مَا كَانَ رُكُونًا لِبِهَا ،
وَأَعْظَمُ مَا كَانَ حِرْصًا عَلَيْهَا .

[مِنْ لَا يُؤْفِي فِي النِّعَمِ حَقَّهَا]

وقال بعض الكتّاب يصف رجلا بالذم :

مَا ظَنَنْتُكَ بِنِ عَيْفٍ بِالنِّعَمِ عَنَفٌ مِنْ سَاءِئِهِ مُجَاوِرٌ هَبَّهَا ، وَيَسْتَخْفُ بِحَقِّهَا
اسْتِخْفَافٍ مِنْ ثَقَلٍ عَلَيْهِ حَمَلُهَا ، وَيَطْرَحُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا أَطْرَاحَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ
الشُّكْرَ يَرْتَبِطُهَا .

[عَوْدٌ إِلَى غُرِّ الْمَدَائِحِ]

لأبي الشيب

وقال أبو الشيب :

يَا مَنْ تَمَّتْ عَلَى الدُّنْيَا مَبَالِغُهَا هَلَا سَأَلْتَ أَبَا بَشْرٍ فَمُتَّطِهَا
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ إِلَّا هَبَّ نَائِلُهُ وَلَا ارْتَقَى غَايَةَ إِلَّا تَخَطَّاهَا
غِيْرَهُ :

طَلَّابُ الْعُلَا إِلَّا عَلَيْكَ بَسِيرٌ وَبَاعُ الْأَعَادِي عَنِ مَدَاكَ قَصِيرٌ
إِذَا عُدَّ أَهْلُ الْفَضْلِ كُنْتَ الَّذِي لَهُ وَلِلْفَضْلِ فِيهِ أَوْلُ وَأَخِيرٌ

لأبي الحجناء

وقال أبو الحجناء الأصغر نصيب يصف إسحاق بن صباح :

كَأَنَّ ابْنَ صَبَاحٍ ، وَكِنْدَةَ حَوْلَهُ إِذَا مَا بَدَأَ ، بَدْرُهُ تَوَسَّطَ أَنْجَمًا
عَلَى أَنْ فِي الْبَدْرِ الْحَاقِقِ ، وَإِنْ ذَا تَمَّامٌ فَمَا يَزِدَادُ إِلَّا تَمَّامًا

(١) يحيف : يجور ويظلم (م) (٢) اللقمة : الحب ، أو أشده (م)

ترى المنبر الغربي يهتزُّ تحتهُ إذا ما علا أغوادهُ وتكلما
فأنت ابنُ خيرِ الناسِ إلا نبوةُ ومن قبلها كنت السنم المقدما
ونصيب هو القائل في البرامكة ، وكان منقطعاً إليهم :

لنصيب
في البرامكة

عند الملوك مَضْرَّةٌ ومنافع وأرى البرامك لا تَضُرُّ وتنفَعُ
إن العروق إذا استسرى بها البترى أثّ النباتُ بها وطاب المزرَعُ^(١)
فإذا جهلت من أمرىء أعراقه وقديمه فانظر إلى ما يصنعُ
أخذ هذا من قول سلم الخاسر :
لا تسأل المرء عن خلائقه في وجهه شاهدٌ من الخبر
وقال نصيب في بني سليمان بن علي :

لنصيب
في بني سليمان
بن علي

بني سليمان حزتم كلَّ مكرمةٍ وليس فوقكم فخرٌ لمفخرٍ
لا تسأل المرء يوماً عن خلائقه في وجهه شاهدٌ ينبئك عن خبرٍ
حسبُ امرئٍ شرفاً أن ساد أسرته وأنت سُدّتَ جميعَ الجنِّ والبشرِ
سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلاً حاجه ، فلم يقضها ،

وسأل آخر ، فقضاها ، فقال للأول :

دُمت ولم تحمد ، وأبّت بحاجةٍ توتى سواكم شكرها واصطناعها
أبي لك فعل الخيرِ رأى مقصراً ونفس أضاق الله بالبخل بأعما
إذا ما أرادته على الخيرِ مرّةً عصاها ، وإن همّت بشرّاً أطاعها

[فَعَلَاتُ الْأَجْوَاد]

قال رجلٌ لهشام بن عبد الملك : قد افتقرتُ يا أمير المؤمنين إلى ظهور
حُسن رأيك ، فإن رأيتَ إظهارهُ بسرور الصديق ، ورغم العدو ، فعلت ،

هشام بن
عبد الملك

(١) في نسخة «أب النبات بها» تطبيع : وأثّ النبات : كثر والتف. (م)

قال هشام : أوجزت وملحت فيما سألت ؛ فلا تردّ لك طلبية ، فما سأله شيئاً إلا أعطاه أكثر منه .

عمرو بن
مسعدة

قال حميد بن بلال : ولي عمرو بن مسعدة فارس وكرمان ، فقال له بعض أصحابه : أيها الأمير ، لو كان الحياء يُظهر سؤالاً لدعاك حيائي من كرمك في جميع أهليك إلى الإقبال عليّ بما يكثرُ به حسدُ عدوي ، دون أن أسألك ، فقال عمرو : لا تبغ ذلك بابتدالك ماء وجهك ، ونحن نُغنيك عن إداقته في خوض السؤال ، فأرفع ما تريده في رُقعة يصل إليك سرّاً ، ففعل .

محمد بن
طيفور

وقال رجل من أهل فارس : قدم على محمد بن طيفور ، وهو عامل على بلاد أصبهان لبعض أهلها : كم تقدرون صلوات محمد في كلِّ سنةٍ للشعراء والمتوسلين ؟ قالوا : مائة ألف دينار ، سوى الخلع والحلان^(١) .

وورد عليه يوماً كتابٌ من بعض إخوانه في شأن رجل استباحه لفي درّجه^(٢) : أنت أعزك الله تعالى أجلّ من أن يُتوسّلَ بغيرك إليك ، وأن يُستباحَ جُودك إلاّ بك ، غير أني أذكرك بكتابي في أمر حامله ، ما شرع كرمك [من السكر] وزرع إحسانك من الأجر ، قبل الصادرين والواردين ؛ فهنالك الله تعالى ذلك ، ولا زالت يدُ الله بحميل إحسانه ونعمته متواترةً عليك .

فقال محمد للرجل : احتكم لك وله ؛ فأخذ منه ألف دينار ، ولمن كتب له مثلها .

إبراهيم بن
المهدى

وقال رجل لإبراهيم بن المهديّ : قد أوحشني منك تردّدُ غليل في صدري أهابك عن إظهاره ، وأحلك عن كشفه ، فقال له إبراهيم : لكني أكشف لك معروف ، وأظهر إحساني ؛ فإن يكن غير هذين في خلدك ، فأكتب رُقعة يخرج توقيعي سرّاً لتقف على ماتحبّ ، فبلغ كلامه المهديّ فقال : هذا والله غاية الكرم .

(١) في نسخة « سوى الخلع والهدايا » (م)

(٢) في نسخة « استباحه له في منزله » (م)

محمد بن طيفور

وكتب محمد بن طيفور لبعض خاصته بمالٍ كثير ووصاه به ، فكتب الرجلُ إليه : قد استغرقتْ نِعْمَتَكَ وجُوهَ الشكر لك ، وغررَ الحمدِ فيما سلف منك ، ولولا فرطُ عجزى عن تلقى ما يجبُ لك من الحمد لقبلتُ ما أنفذته .

فكتب إليه محمد : قد صغرَ شُكْرُكَ لنا ما أسلفناه إليك ؛ فخذُ ما أنفذناه ثوابا عن معرفتك بِشُكْرِ التافه^(١) عندي ، وإلا سمحَ شُكْرُكَ بما رأيناك له أهلا إلى أن يتسع قبول مثلك ما يستحق به جميلَ الداء ، وجزيلَ الثناء ، إن شاء الله تعالى .

[من نوادر الرثاء]

ولمات قرْدُ زُبَيْدَةَ بنت جعفر ساءها ذلك ، ونالها من النعم ما عرفه الصغير والكبير من خاصتها ، فكتب إليها أبو هارون العبدى :

قرد زبيدة
بنت جعفر

أيتها السيدة الخطيرة ؛ إنَّ مَوْعَ الخُطْبِ بذهاب الصغير المعجب كموقع السرور بنَيْلِ الكثير المفرح ، ومن جهل قدرَ التعزية عن التَّافِهِ الخفي ، عمى عن التهنئة بالجليل السني ، فلا نقصك اللهُ الزائد في سرورك ، ولا حرَمَكِ أجرَ الذهاب من صغيرك . فأمرتُ له بجائزة .

وكتب أبو إسحاق الصابى عن ابن بقية فى أيام وزارته إلى أبى بكر بن قريعة يعزِّيه عن نور أبيض بقوله ، وجلس للعزاء عنه ترأفعا وتحامقا :

نور ابن
قريعة

التعزية على المفقود أطل الله بقاء القاضى إنما تكونُ بحسب محله من فاقده ، من غير أن ترأى قيمته ولا قدره ، ولا ذاته ولا عينه ؛ إذ كان الغرض فيها تبريد الغلة ، وإخماد اللوعة ، وتسكين الزفرة ، وتنفيس الكربة ، فربَّ ولد

(١) فى نسخة « معرفتك بشكر ما أسديناه »

عاق ، وشقيق مُشَاق ، ودى رحم أصبح لها قاطعا ، [ولأهله فاجعا] ، وفريب قوم قد قلدّم عارا ، وناط بهم شنّارا ، فلا لَوَم على تَرَكَ التعزية عنه ، وأخر بها أن تستخيل تهنئة بالراحة منه ؛ وربّ مالٍ صامتٍ غيرِ ناطقٍ ، قد كان صاحبه به مستظها ، وله مستثمرا ، فالجميعه به إذا فقد موضوعة موضعا ، والتعزية عنه واقعة منه موقعها . وقد بلغنى أن القاضى أصيب بثور كان له ، فجلس للرزاء عنه شاكيا ، وأجهش عليه باكيا ، والندم عليه والها^(١) ، وحُكيت عنه حكاياتٌ فى التأين له ، وإقامة الندبة عليه ، وتعيد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرقت فى غيره ، واجتمعت فيه وحده ؛ فصار كما قال أبو نواس ، فى مثله من الناس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد
لأنه يكرّب الأرض مغمورة^(٢) ، ويثيرها مزروعة ، ويرقص فى الدوايب
ساقيا وفى الأرحاء طاحنا ، ويحمل الغلات مستقلا ، والأثقال مستخفا ؛ فلا يؤوده
عظيم ، ولا يعجزه جسيم ، ولا يجرى فى الحائط^(٣) مع شقيقه ، ولا فى الطريق مع
رفيقه ، إلا كان جَلدا لا يُسَبِق ، ومبرّزا لا يُلحق ، وفائتا لا يُنال شأوه
وغايته ، ولا يبلغ مداه ونهايته . ويشهد الله أن ما ساء ساءنى ، وما آله آلمنى ،
ولم يجرّ عندى فى حق ودّه استصغارُ خطبٍ جلّ عنده ، فأرقه وأمضه وألقه ،
ولا تهوينُ صعبٍ بلغ منه وأرضه ، وشقّه وأرضه ؛ فكتبت هذه الرقعة ، قاضيا
بها من الحق فى مصابه هذا بتمدّرٍ ما أظهر من إكباره إياه ، وأبان من إعظامة
له ؛ وأسأل الله تعالى أن يخصّه من المعوضة بأفضل ما خص به البشر ، عن البقر ،
وأن يُفرد هذه البهيمة العجاء بأثرة من الثواب ، يضيفها إلى المكلفين من أهل

(١) فى نسخة « ولها » بدون ألف ، وليست بشيء ، يقال : وله الرجل يله -
مثل وعد بعد ، ووله يوله - مثل وجل يوجل - فهو ولهان ، وواله ، وآله ، والواله :
الشديد الحزن (م) (٢) يكرّب الأرض : يثيرها للزرع ، وفى نسخة « معمورة »
بالعين مهملة (م) (٣) الحائط : البستان (م)

الألباب^(١)؛ فإنها وإن لم تكن منهم، فقد استحققت ألا تُفرد عنهم، بأن من القاضي سببها، وصار إليه مُنتسبها، حتى إذا أنجز الله ما وعد به [عباده المؤمنين] من تمحيص سيئاتهم، وتضعيف حسناتهم، والإفضاء بهم إلى الجنة التي رَضِيها لهم داراً، وجعلها لجماعتهم قرآراً؛ وأورد القاضي - أيدّه الله تعالى - موارد أهل النعيم، مع أهل الصراط المستقيم، جاء وثورُه هذا مجنوبٌ معه، مسموح له به؛ وكما أن الجنة لا يدخلها الخبث، ولا يكون من أهلها الحدث، ولكنه عرقٌ يجرى من أعراضهم، كذلك يجعلُ الله ثورَ القاضي مركباً من العنبرِ الشَّخري، وماء الوردِ الجُورى؛ [فيصير ثوراً له طورا؛ وجونةَ عطر^(٢) له طورا] وليس ذلك بمستبعد ولا مستنكر، ولا مستصعب ولا متعذر؛ إذ كانت قدرةُ الله بذلك محيطَةً، ومواعيدهُ لأمثاله ضامته، بما أعدّه الله في الجنة لعباده الصادقين، وأوليائه الصالحين؛ من شهوات أنفسهم وملاذ أعينهم، وما هو سبحانه مع غاصر فضله وفائض كرمه، بمانعه ذلك مع صالح مساعيه، ومحمود شيمه؛ وقلي متعلق بمعرفة خبره، أدام الله عزّه فيما ادّرعه من شعار الصبر، واحتفظه من إيثار الأجر، ورفع إليه من السكون لأمرِ الله تعالى في الذي طرّقه، والشكر له فيما أزعجه وأقلقه، فليعرفني القاضي من ذلك ما أكونُ ضاراً بما معه بسهمِ المساعدة عليه، وآخذاً بقسطِ المشاركة فيه.

فصل من جواب أبي بكر: وصل توقيعُ سيدنا الوزير أطل الله بقاه، وأدام تأييده ونعماه، وأكمل رفعتَه وعُلاه، وحرّس مُهجته ووقاه، بالتعزية عن الثور الأبيض، الذي كان للحرثِ مثيراً، وللدواليب مُديراً، وبالسبقِ إلى سائر المنافع شهيراً، وعلى شدائد الزمان مُساعداً وظهيراً^(٣). لعمرك لقد كان يعملُه

(١) في نسخة « من ذوى الألباب » والألباب: العقول، واحدها لب (م)

(٢) الجونة - بضم الجيم - سلة صغيرة تغطى بالجلد، تكون مع العطارين (م)

(٣) ظهيراً: معينا

ناهضاً، ولحافات البقر رافضاً، وأتى لنا بمثله وشرّواه^(١)، ولا شروى له؛ فإنه كان من أعيان البقر، وأنفع أجناسه للبشر، مضاف ذلك إلى خَلَاتٍ لولا خَوْفِي من تجدد الحزن عليه، وتهيبج الجزع وانصرافه إليه لعدّدتها؛ ليعلم - أدام الله عزه - أن الحزين عليه غير مَلُوم. وكيف يُلام امرؤ فقد من ماله قطعة يجب في مثلها الزكاة، ومن خَدَم معيشته بهيمة تُعين على الصوم والصلاة، وقد احتذيتُ مامثله الوزير من جميل الاحتساب، والصبر على المصائب؛ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون قول من علم أنه أملك لنفسه وماله وأهله^(٢) وأنه لا يملك شيئاً دونه؛ إذ كان جلّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه، هو الملك الوهاب، المرتجع ما ارتجع مما يعرض عليه نفيس الثواب. وقد وجدت - أيد الله الوزير - للبقر خاصة فضيلةً على سائر بهيمة الأنعام، تشهد بها العقول والأفهام، وذَكَر جملة من فضائلها.

وكانَ أبا نواس في قوله :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

نظر في هذا المعنى إلى قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

[عَوْدًا إِلَى المختار من الرثاء]

وقالت امرأة من العرب، يقال: إنها امرأة العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ترضى بذيها^(٣) :

رَعَوْا من المجد أكنافا إلى أجل حتى إذا كملت أظواهرهم وردوا

مَيْتٌ بَصْرٍ، ومَيْتٌ بِالعراق، ومَيْتٌ بِالْحِجَازِ، مَنِيًّا بينهم بَدَدٌ

كانت لهم هَمٌّ فَرَقَنَ بينهم إذا القعايدُ عن أمثالهم قعدوا

(١) الشروى - بفتح الشين وسكون الراء - اللثل، والنظير، وفي نسخة

« وأتى لنا بمثله وشرائه وهو لا يشري » تحريف (م)

(٢) في نسخة « قول من علم أن المرء لا يملك نفسه وماله وأهله. بل لا يملك

شيئاً دونه » (٣) تنسب هذه الآيات أيضا إلى فاطمة بنت الأحجم الخزاعية (م)

بَثَّ الجليل، وتفريج الجليل، وإعطاء الجزيل الذي لم يُعْطِه أحدُ
وقال عبدة بن الطيب في قيس بن عاصم :

عليك سلام الله قيسُ بنَ عاصمٍ ورحمتهُ ماشاء أن يترحمها
تحية من ألبسته منك نعمة إذا زار عن شَحَطِ بلادك سلماً^(١)
فما كان قيسٌ هُلكهُ هُلكهُ واحدٍ ولكنه بُذيانُ قومٍ تهـدماً
وقيس بن عاصم هو القائل :

إني امرؤٌ لا يَمْتَرِي حَسْبِي دنسٌ يُغيِّره ولا أفنُ
من منقر في بيتٍ مكرمةٍ والأصل يَنْبِتُ حوله الغُضنُ^(٢)
خُطباء حين يقول قائلهم يبيضُ الوجوه أَعْفَةً لُسُنُ^(٣)
لا يَفِطُّونَ لِمِيبِ جارِهِمْ ومُهمُّ الحُسنِ جوارِه فُطُنُ

وقالت أختُ الوليد بن طريف الشيباني ترميه :

أيا شَجَرَ الخابورِ مالكٌ مُورِقا كأنك لم تَجزَعِ على ابنِ طَريفِ
فتى لا يَمُدُّ الزادَ إلا من التقي ولا المالَ إلا من قنأ وِسيوفِ
عليك سلامُ الله وقفا؛ لأنني أرى الموتَ وَقاعاً بكلِّ شريفِ
فقدناك فِقدانَ الربيعِ، وليتنا فدينتاك من فتياننا بألوفِ

وخرج الوليد في أيام الرشيد، فقتله يزيد بن مَزِيد، وفي ذلك يقول بكر
ابن النطاح الحنفي :

يا بني تغلب لقد فَجَمَتَكُمُ من يزيدِ سيوفُهُ بالوليدِ
لَوْ سيوفٌ سوى سيوفِ يزيدِ قارَعَتُهُ لاقتِ خِلافَ السَّوَدِ
واترُ بعضها يقتل بعضاً لا يفلُ الحديدُ غيرُ الحديدِ

(١) في نسخة « تحية من غادرته غرض الردى » (م)

(٢) في الأمالي (١/٢٣٩) « والفرع يَنْبِتُ حوله » (م)

(٣) وفيه « مصاقع لسن » (م)

لأخت الوليد
ابن طريف

بكر بن
النطاح

[من شعر بكر بن النطاح]

وكان بكر كثير التعصب لريعة والمدح فيهم، وهو القائل:

ومن يفتقر منا يعيش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
ونحن وُصِفْنَا دون كل قبيلةٍ بشدة بأس في الكتاب المنزل
وإنا لنلهو بالسيوف كما لهت فتاة بعقد أو سخاب قرنفل^(١)
يريد قول الله عز وجل: « ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد ». جاء في
بعض التفاسير أنهم بنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب.

وبكر القائل أيضا في أبي دلف:

يا عصمة العرب الذي لو لم يكن حيا لقد كانت بغير عماد
إن العيون إذا رأتك حدادها رجعت من الإجلال غير حداد
وإذا رميت النفر منك بقرمة فتحت منه مواضع الأسداد
فكان رمحك منفع في عضفري وكان سيفك سل من فرصاد
له صال من غضب أبو دلف على يبيض السيوف لذب في الأعماد
أذكي وأوقد للعداوة والقرى نارين نار وعى ونار زناد

نسب أبي دلف
العجلي

وأبو دلف هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شنج بن
معاوية بن خزاعي بن عبد العزى بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن مجمل
ابن لجيم.

وقد رويت الأبيات التي مرت لأخت الوليد بن طريف لعبد الملك بن
بجرة الميزرى.

وقال أبو هيمان واسمه منصور بن بجرة، قال: أنشدني دعبل لنفسه:
وداعك مثل وداع الربيع وقعدك مثل افتقاد الدائم
لدعبل الخزاعي

(١) السخاب - بزنة الكتاب - قلادة ليس فيها جوهر (م)

عليك السلام فكم من وفاء أفارق منك وكم من كرم
 فقلت : أحسنت ، ولكن سرقت البيتين من ربيعيين : الأول من قول
 القطامي :

ما للكواعب ودّ عن الحياة كما ودّ عنّي واتخذن الشيب ميعادى
 والثاني من قول ابن بجرة :

* فقدناك فقدان الربيع وليتنا *

وأشد البيت . فقال : بلى ، والله سرق الطائي من ابن بجرة بيتا كاملا فقال :
 عليك سلامُ الله وقفا فإنني رأيت الكريم الحر ليس له عُمر
 كذا وردت الحكاية من غير وجه ، وكان يجب إذا كان من ربيعيين
 أن يكون « فقدناك فقدان الربيع » لأخت الوليد .

وقد قال السموءل في قصر العمر :

يقرب حبّ الموتِ آجالنا لنا وتكرهه آجاله — م فتطولُ
 وقال ابن قتيبة : أخذ النخعي قوله : « أيا شجر الخابور » من قول الجن في

عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

وقاء عمر
 ابن الخطاب

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت له الأرض تهتزّ العضاء بأسوقِ

وقد أنشده أبو تمام الطائي للشماخ في أبيات أولها :

جزى الله خيرا من أميرٍ وباركت يدُ الله في ذلك الأديم الممزقِ

[ومن يسع أويركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق]

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها نوافج في أكمامها لم تفتق^(١)

وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفى سبنتي أزرق العين مطرق

تظل الحصان البكر تلقى جنينها ثنا خير فوق المطى معلق

(١) النوافج : جمع ناخفة ، وهي وعاء السك ، والأكام : جمع كم - بكسر

الكاف - وهو وعاء الطلع ، وهو أيضا الغلاف الذي ينشق عن الثمر ، وبرى

« بوائق في أكمامها » والبوائق : جمع بائقة ، وهي الداهية والشر ، ولم تفتق : لم تفتح (م)

لبشار

وقد قال بشار قريبا من قوله : [ولا المال إلا من قنا وسيوف] :

على جنّبات الملك منه مهابةٌ وفي الدرع عبّلُ الساعدين قرُوعُ
إذا اختزنَ المالَ البخيلُ فإنما خزائهمُ خطّيةٌ ودُروعُ

للمتنبي في فاتك

وهذا كقول أبي الطيب المتنبي في فاتك الإخشيدي :

كنا نظن دياره مملوءةً ذهباً فمات وكلُّ دارٍ بِلَقْمِ
وإذا المكارمُ والصّوارمُ والقنا وبناتُ أعوجٍ كلّ شيءٍ يجمعُ^(١)

لعبد الملك
الحارثي

ومن بارع هذا النحو قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي :

وإني لأرباب القبور لغابطٌ لسكني سعيدٍ بين أهل المقابرِ
وإني لمفجوعٌ به إذ تكاثرتُ عداتي ولم أهتمفٍ سواهُ بناصرٍ
وكنت كمنلوبٍ على نصلٍ سيفه وقد حرّزَ فيه نصلَ حرّانٍ باترٍ
أتيناها زوّاراً فأجدنا قري من البثِّ والداء الدخيل الخامرِ
وأبناً بزّرعٍ قد نما في صدورنا من الوجد يُسقى بالدموع البوادرِ
ولما حضرنا لاقسام تراثه أصبنا عظيماتِ اللهى والمائترِ^(٢)
أى لم نصب مالا، ولكننا أصبنا فعالا.

[من كلاب الأعراب]

دخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكرة بالبصرة، فوفقت بين السماطين^(٣)،
فقلت : أصلح الله الأمير ، وأمتع به ؛ حدرتنا إليك سنةً أشدّ بلاؤها ،
وانكشف غطاؤها ، أقودُ صبية صغاراً ، وآخرين كباراً ، في بلد شاسعة ،
تحفّضنا خافضة ، وترفعنا رافعة ، لملماتٍ من الدهر برّين عظمى ، وأذهبن
لحمي ، وتركنتني والهة أدورُ بالحضيض ، وقد ضاق بي البلدُ العريض ، فسألت
في أحياء العرب : من الكاملة فضائله ، ألمطى سائله ، المكفي نائله^(٤) ؛

(١) الصوارم : السيوف ، واحدها صارم ، وبنات أعوج : الخيل العربية

(٢) الأصيلة (م) (٣) اللها - بضم اللام - العطايا الجزيلة (م)

(٣) السماط - بزنة الكتاب - الصف (م) (٤) في نسخة «الكافي نائله» (م)

فَدَلَّلتْ عَلَيْك - أَصْلَحَك اللهُ تَعَالَى - وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِن ؛ وَقَدْ مَاتَ الْوَالِدُ ،
وَوَغَابَ الرَّافِدُ ، وَأَنْتَ بَعْدَ اللهِ غِيَانِي ، وَمُنْتَهَى أَمَلِي ، فَافْعَلْ بِي إِحْدَى ثَلَاثَ :
إِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي ، أَوْ تَحْسِنَ صَفَدِي ^(١) . أَوْ تَقِيمَ أَوْدِي ! فَقَالَ : بَلْ أَجْمَعُهَا
لَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُجْرِي عَلَيْهَا كَمَا يُجْرِي عَلَى عِيَالِهِ ، حَتَّى مَاتَتْ .

أعرابي يباب
عبيد الله بن زياد

قال العتبيّ : وقف أعرابيّ بباب عبيد الله بن زياد ، فقال : يَا أَهْلَ
الْفَضَارَةِ ^(٢) ، حَقَّبَ السَّحَابُ ^(٣) ، وَانْتَشَعَ الرَّيَّابُ ^(٤) ، وَاسْتَأْسَدَتِ الذَّنَّابُ ،
وَرَدَمَ النَّمْدُ ، وَقَلَّ الْحَفْدُ ^(٥) ، وَمَاتَ الْوَالِدُ ، وَكَفَتِ كَثِيرَ الْعُقَاةِ ، صَخِبَ
السَّقَاةُ ، عَظِيمَ الدَّلَاةِ ^(٦) ، لَا أَتَضَامِلُ لِلزَّمَانِ ، وَلَا أَحْفَلُ بِالْحِدْثَانِ ، حَتَّى
حِلَّالٍ ^(٧) ، وَعَدَدٌ وَمَالٌ ، فَتَفَرَّقْنَا أَيْدِي سَبَا ، بَعْدَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ ؛ وَكَانَتْ
حَسَنَ الشَّارَةِ ، خَصِيبَ الدَّارَةِ ، سَلِيمَ الْجَارَةِ ، وَكَانَ مَحَلِّي حِجِّي ، وَقَوْمِي
أُمِّي ، وَعَزَمِي جَدًّا ؛ قَضَى اللهُ وَلَا رُجْعَانَ لِمَا قَضَى ، بِسَوَافِ الْمَالِ ^(٨) ،
وَشَتَّاتِ الرِّجَالِ ، وَتَقَرُّبِ الْحَالِ ، فَأَغْيِثُوا مَنْ شَخَّصَهُ شَاهِدُهُ ، وَلِسَانُهُ وَآفِدُهُ ،
وَقَفَرُهُ سَائِقُهُ وَقَائِدُهُ .

[من مقامات بديع الزمان]

المقامة البصرية

ومن مقامات الإسكندري من إنشاء بديع الزمان ، قال :

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ وَأَنَا مِنْ سَنِيٍّ فِي فِتَاءٍ ^(٩) ، وَمِنْ
الزَّيِّ فِي حَيِّرٍ وَوِشَاءٍ ^(١٠) ، وَمِنْ الْغَنِيِّ فِي بَقَرٍ وَشَاءٍ ؛ فَأَتَيْتُ الْمَرْبَدَ مَعَ رُقَّةَ
تَأْخُذُهُمُ الْعَيْونَ ، وَدَخَلْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمُنْتَزَهَاتِ ، وَمَشِينَا فِي تِلْكَ الْمَتَوَجِّهَاتِ ،
وَمَلَكْتَنَا أَرْضٌ فَخَلَّانَا ، وَعَمَدْنَا لِقِدَاحِ اللَّهِو فَأَجَلَّانَاهَا ، مُطَّرِحِينَ لِلْحِشْمَةِ ،

(١) الصفد - بالتحريك - العطاء ، والأود - بالتحريك - العوج (م)

(٢) الفضارة : النعمة (م) (٣) حَقَّبَ السَّحَابُ : احْتَبَسَ ، وَالرَّادُ الْمَطَرُ (م)

(٤) الرِّبَابُ : الْأَبْيَضُ مِنَ السَّحَابِ (م) (٥) الْحَفْدُ : الْأَعْوَانُ وَالْأَنْصَارُ (م)

(٦) الدَّلَاةُ : جَمْعُ دَالٍ ، وَهُوَ الْمَسْتَقِيُّ بِالْأَلْوَانِ مِنَ الْبُتْرِ (م) (٧) حَى حِلَّالٍ : مَقِيمُونَ (م)

(٨) سَوَافِ الْمَالِ : هَلَاكُهُ (م) (٩) فِتَاءُ السَّنِ : مَيْعَتُهُ وَنَضَارَتُهُ (م)

(١٠) الْحَبِيرُ : جَمْعُ حَبْرَةٍ - بوزن عنبة - وهو ضرب من الوشمي ، والوشاء :

نوع من اللباس مطرز (م)

إذ لم يكن فينا إلا منّا ، فما كان إلا بأسرع من ارتداد الطرف حتى عن لنا
سوادٌ ، تحفّضه وهاد ، وترفعه نجاد ، وعلمنا أنه بهم بنا ، فأتلعنا^(١) له ، حتى
اتمى إلينا^(٢) سيره ، ولقينا بتحية الإسلام ، ورددنا عليه مقتضى السلام ؛
ثم أجال فينا طرفه وقال : يا قوم ؛ ما منكم إلا من يلحظني شزراً ،
ويوسعني زجراً^(٣) ، ولا يندشكم عنى ، بأصدق منى ؛ أنا رجل من أهل الإسكندرية ،
من الثغور الأموية ، قد وطأ لى الفضل كنفه ، ورحبت بى عبس ، وتمامي
بيت ، ثم جمّع بى الدهر عن نمّه ورمه^(٤) ، وأتلاّنى زغاليل حمر^(٥) الحواصل :

كأنهم حيّاتُ أرضٍ محلّةٍ فلو يفضّون لذكى ستمهم
إذا نزلنا أرسلونى كاسباً وإن رحلنا ركبونى كلهم

ونشرت علينا البيض^(٦) ، وشمست منا الصفر ، وأكلتنا الشؤد^(٧) ، وحطمتنا الحجر ،
وانتابنا أبو مالك ، فما تلقأنا أبو جابر إلا عن عُفر^(٨) ، وهذه البصرة ماؤها هضوم ،
وفقيرها مهضوم ، والمرء من ضيرسه فى شغل ، ومن نفسه فى كل ، فكيف بمن :
يُطوّف ما يُطوّف ثم يَأوى إلى زغبٍ مُحدّدة العيونِ
كسأهنّ البلى شعثا فتُمسّى جياعِ الناب ضامرة العيونِ
ولقد أضحنّ اليوم وقد سرّخنّ الطرف فى حىّ كميّت ، وفى بيت كلا
بيت ، وقلبن الأ كفة على ليّت ، فقضضن عقد الضلوع ، وأفضن ماء الدموع ،
وتدأعين باسم الجوع :

والفقْرُ فى زَمَنِ الشَا مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عَلامَةٌ

- (١) أتلعنا له : استشرفنا ومددنا أعناقنا نحوّه (م) (٢) فى نسخة « فأداه إلينا » (م)
(٣) فى نسخة « ويوسعنى جزرا » (م) (٤) نمّه ورمه : قليله وكثيره (م)
(٥) أتلاّنى : أتبعنى ، وزغاليل : أراد بهم أطهاله ، وحمر الحواصل : كناية
عن صغرم (م) (٦) البيض : الدراهم لكونها من فضة ، والصفر : الدنانير لكونها
من ذهب ، والنشوز والشماس بمعنى القرائى (م) (٧) السود : اللبلى ، والحمر :
السنوات المجذبة ، وأبو مالك : الفقر (م) (٨) وأبو جابر : الحخير ، وما نلفنا إلا عن
عفر : يعنى كل حين مرة (م)

وقد اخترتكم يا سادة ، ودلتني عليكم السعادة ، وقلت^(١) : قسما ، إن فيهم شيما ، فهل من فتى يعشيهن ، أو يُعشيهن ؟ وهل من حرٍّ يقدِّيهن ، أو يردِّيهن ؟ قال عيسى بن هشام : فوالله ما استأذن على سمعي كلام رافع أبرع مما سمعت ، لا جرم أنا استمخنا الأوساط ، ونفضنا الأكام ، وبمخنا الجيوب^(١) ؛ وأنلتُهُ مطرني ، وأخذت الجماعة أخذى ، وقلنا له : الحق بأطفالك ، فأعرض عنا بعد شكر وفاه ، ونشر ملاً به فاه .

[من رسائل البديع]

ومن رسائله إلى بعض الرؤساء :

ورسالة منه
لبعض الرؤساء

حُلقَت - أطال الله بقاء السيد وأدام تأييده - مشروح جنان الصدر ، جموح
عنان الحلم^(٢) ، فسيح رقة الصدر :

سمرت إليه مُشرق الوجهِ راضيا
سُمولاً صبوراً لو تعمَدني الردى
أولفاً وفيئاً لو رُدِدْتُ إلى الصبَا
لغارقت شنيبي موجه القلب باِكيا
والله لأحيلنَّ السيد على الأيام ، ولأكنَّ استحالة رأيه فيَّ على الليالي ،
ولا أزال أصفيه الولاء ، وأسنيه الثناء ، وأفرش له من صدرى الدهناء ، وأعيه
أذنا صماء ، حتى يعلم أىَّ علقٍ باع ، وأىَّ فتى أضع ، وليقفنَّ موقف اعتذار ،
وليعلمنَّ بنضح أتى الواشون أم مجبول^(٣) ، ولا أقول : يا حالف اذكر حلاً ،
ولكن يا عاقِد^(٤) اذكر حلاً ، ولست كمن يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أذى رهطه ، ويستاق إلى رى يزيد لسبته^(٥) ، ولسكنى أقول :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخامرٍ
لعزةٍ من أعراضنا ما استحلَّت

(١) في نسخة « ونختنا الجيوب » تحريف ، وبحث الجيوب : تفتيشها (م)

(٢) في نسخة « جموح عنان القلم بحلم فسيح رقة الصدر » (م)

(٣) هذا عجز بيت لسكثير عزة ، وصدوره * فلا تعجلى يا عاز أن تفهمى *

(٤) في نسخة « يا عاقر » تحريف (م) (٥) في نسخة « ويشناق » بالشين معجمة ،

وفي الرسائل (بيروت ١٤٠) « لو يستاق إلى الكفر من يدى سبطه » وسبطه :

هو الحسين بن على ، رضى الله عنهما ! (م)

وأنا أعلم أن السيد لا يخرج عن تلك الحلية ، بهذه الرقمية ، وأن جوابه أحسن من لقائه ، فإن نشط للاجابة فلتكن المحاطبة قرأت رقتك ، فهو أخف مؤنة ، وأقل تبعية .

رسالة منه
إلى الشيخ
العميد

وله إلى [الشيخ] العميد :

أنا - أطال الله بقاء الشيخ العميد - [مع إخوان نيسابور] في ضيعة لا فيها أعان ، ولا عنها أمان ، وشيمة ليست بي تنأط ، ولا عنى تمأط ، وحرقة لا عنى تزأل ، ولا فيها أدال ، وهى الكذبة التى على تبعتها ، وليس لى منفعتها ، فهل للشيخ العميد أن يلفظ بصنيعته لطفاً يحط عنه درن العار ، وشيمة التكمب بالأشعار^(١) ، ليخف على القلوب ظله ، ويرتفع عن الأحرار كله^(٢) ، ولا يتقل على الأجنان شخصه ، بإتمام ما كان عراضه عليه من أشغاله ، ليعلق بأذنيه ، ويستفيد من خلاله ؛ فيكون قد صان العلم عن ابتذاله ، والنصل عن إذلاله^(٣) ، واشترى حسن الثناء بجاهه ، كما يشتره بماله ، والشيخ العميد فيما يوجبه من وعد يعتمده ، ووفاء يتلو ما يعده ، عال رأيه إن شاء الله

[عود إلى غرر المديح]

لأبي العباس
الناشئ

وقال بعض أهل العصر ، وهو أبو العباس الناشئ ، يمدح سعد الدولة أبا المعالى

شريف بن سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان :

كان مرآة فهم الدهر فى يده يرمى بها غائب الأشياء لم يغب
ما يرفع القلك العالى سماء عبالاً إلا علاها شريف كوكب العرب
يا من بعين الرضا يلقى مؤمله والبخل يطبق أجفانا على الغضب
لو يكتب الملك أسماء الملوك إذا أعطاك موضع بسم الله فى الكتب

(١) فى الرسائل (بيروت ١٦١) « وسمه التكمب بالأشعار » (م)

(٢) الكل - بفتح الكاف - النقل (م) (٣) فى الرسائل « فىكون قد صان

الفضل عن ابتذاله ، والأدب عن إذلاله » (م)

غزبت في كل يوم منك مكرمةً
فليس ذِكْرُكَ في أرضٍ بمغترِبٍ
بيته الأول كقول القائل :

أطلّ على الأشياء حتى كأنما
له من وراء الغيب مُقَالَةٌ شاهدٍ
[وكما قال] أبو تمام الطائي :

أطلّ على كِلَا الأفقين حتى
كأنّ الأرضَ في عينيه دارٌ^(١)
وأفرط ابن الرومي فقال :

أحاطَ علماً بكلِّ خافيةٍ
كأنما الأرضُ في يديه كُرَّةٌ
وقال محمد بن وهيب :

عليمٌ بأعقاب الأمور، كأنما
يخاطبه من كلِّ أمرٍ عواقبه
وقال بعض شعراء بني عبد الله بن طاهر :

وقوفك تحت ظلال السيوف
أقرّ الخِلافةَ في دارها
كأنك مطلعٌ في القلوب
إذا ما تناجّت بأسرارها
وقال البحترى للفتح بن خاقان :

كأنك عينٌ في القلوب بصيرةٌ
ترى ما عليه مستقيمٌ ومائلٌ
وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

ينال بالظن ما فات اليقين به
إذا تلبس دون الظن إيقانٌ
كان آراءه والظن يجمعها
تريه كل خفيٍّ وهو إعلانٌ^(٢)
ما غاب عن عينه فالقلبُ يذكره
وإن تَمَّ عينه فالقلبُ يقظانٌ

وقال أبو الحسن أحمد بن محمد السكاتب يمدح عميد الله بن سليمان [بن
وهب الوزير] :

لأحمد بن
محمد يمدح
ابن وهب

(١) يريد أن الأرض بالنظر إلى علمه بما يقع في أرجائها صغيرة الرقعة كأنها دار

(٢) في نسخة « والحزم يتبعها » (م)

واحدة (م)

إذا أبو قاسم جادت لنا يدهُ
 وإن أضاءت لنا أنوارُ غُرَّتِه
 وإن مضى رأيه أو حُدَّ عزمته
 من لم يبت حذرًا من خوف سَطْوَتِه
 ينال بالظن ما يعيياً العيَانُ بهِ
 كأنه الدهر في نُعمي وفي نعمه
 كأنه وزمَامُ الدهر في يدهِ
 وأصل هذا قولُ أوسِ بنِ حَجْرٍ:

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعاً

وهذا المعنى قد مرَّ في أثناء الكتاب .

قال أبو الحسن جحظة البرمكي : قلت لخالد الكاتب : كيف أصبحت ؟

لأعرابي

قال : أصبحت أرقَّ الناس شعراً ، قلت : أتعرف قولَ الأعرابي :

فما وَجَدَ أعرابيةً قَدَفَتْ بها
 تُرُوفَ الليالي حيث لم تَكُ ظَنَّتِ
 تَمَنَّتْ أحاليبَ الرعاء، وَخَيْمَةَ
 بَنَجْدِ ، فلم يُقَدِّرْ لها ما تَمَنَّتِ
 إذا ذَكَرَتْ ماءَ العِضَاهِ وَطَيْبَهُ
 وريح الصبا من نحو بَنَجْدِ أَرْنَتْ^(١)
 بأعْظَمَ من وَجْدِ بليلى وَجَدَتْهُ
 غداة غَدَوْنَا غدوةً واطْمَأَنَّتِ
 وكانت رِياحَ تَجْمَلُ الحاجَ بيننا
 فَقَدَّ بِحَلَّتْ تلكَ الرِياحُ وَضَنْتِ
 فصاح خالد وقال : ويحك ! وبلك يا جحظة ! هَذَا واللهِ أَرَقُّ

من شعري .

(١) أرنت : صوتت ، والرنين : الصوت ، وفي نسخة «وماء الصبا من نحو بجران

[تكاليف الجود]

فصل لأبي العباس بن المعتز

لن تكسب - أعزك الله - المحامد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالتحمل على النفس والجمال^(١) ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت المكارم تنال بغير مئونة لاشارك فيها السفل والأحرار ، وتساهمها الوضعاء مع ذوى الأخطار ؛ ولكن الله تعالى خص الكرماء الذين جعلهم أهلبا ، فحفف عليهم حملا ، وسوَّغهم فضلبا ، وحظرها على السفلة لصغر أقدارهم عنها ، وبغد طباعهم منها ، ونفورها عنهم ، واقتصرارها منهم .

[وقال أبو الطيب المنبى :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقرُ والإقدام قتالُ
وقال الطائي :

والحمد شهيد لا يرى مُشتارهُ يَحْتَنِيهِ إِلَّا من نقيع الحنظل^(٢)
شرُّ حامله ، ويحسبه الذى لم يؤذ عاتقه خفيف الحمل
أخذه الطائي من قول مسلم بن الوليد ، وقيل غيره :

الجودُ أحسنُ مسأً يا بنى مطرٍ من أن تبرز كموه كُفٌ مُستَلِب
ما أعلم الناس أن الجودَ مدفَعَةٌ للذمِّ لِكِنَّةِ يَأْتِي على النَشَبِ^(٣)
وقال بعض الأجواد : إنا لنجدُ كما يجدُ البخلاء ، ولكننا نصبر ولا يصبرون .

[احتمال الغضب]

وقال الجاحظ : قيل لأبي عبادٍ وزير المأمون ، وكان أسرع الناس غضباً :
إنَّ لقمانَ الحكيم قال لابنه : ما الحمل الثقيل ؟ قال : الغضب . قال أبو عباد :

(١) فى نسخة «والحال» بالحاء مهملة - تحريف ، والجمال : العقل والعزم (م)
(٢) اشتار العسل : جناه من كوارته ، وهذا مثل قولهم « ولا بددون الشهد
من إبر النحل » (م) (٣) يروى « ما أعلم الناس أن الجود مكسبة للحمد »

لكنه والله أخفُ على من الريش! قيل له: إنما عني لقمان أن احتمال الغضب ثقيل، فقال: لا، والله لا يَقْوَى على احتمال الغضب من الناس إلا الجمل! وغضب يوماً على بعض كتّابه، فرماه بدواةٍ كانت بين يديه فسجّه، فقال أبو عبّاد: صدق الله تعالى في قوله: (والذين إذا ما غضبوا هم يَفقرون). فبلغ ذلك المأمون فأحضره، وقال له: ويحك! ما تُحسِن تقرأ آيةً من كتاب الله تعالى! قال: بلى يا أمير المؤمنين، إني لأحفظ من سورة واحدة ألف آية؛ فضحك المأمون وأمر بإخراجه.

نبذة من لطائف ابن المعتز، وفضل تحقّقه بالبديع والاستعارات

مما تتعَيَّن العناية بمطالعتها

قال أبو بكر الصولي: اجتمعت مع جماعةٍ من الشعراء عند أبي العباس عبد الله بن المعتز، وكان يتحقق بعلم البديع تحقّقاً يَنصُرُ دعواه فيه لسانٌ مذاكته، فلم يَبْقَ مَسَلَكٌ من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شعْباً من شعابه، وأوردنا أحسن ما قيل في بابه، إلى أن قال أبو العباس: ما أحسن استعارة اشتعل عليها بيت واحد من الشعر؟ قال الأسدى: قول لبيد:

وغداةٍ ريحٍ قد كَشَفَتْ وَقِرَّةً إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا
قال أبو العباس: هذا حسن، وغيره أحمد منه، وقد أخذه من قول ثعلبة ابن صُعَيْرَةَ المَلازِمِي (١):

فَتَذَاكَرَا تَقَالاً رَثِيذاً بعدما أَلْقَتْ ذُكَاها يَمِينِها في كَافِرٍ

(١) هكذا وقع في لسان العرب (٤٦٣/٦) ووقع في نسخة «بن صغير» بالعين مهملّة وبغير تاء، وفي أخرى «بن صغير» بالعين معجمة وبغير تاء، قال في اللسان «وذكر ابن السكيت أن لبني سرق هذا المعنى فقال:

حتى إذا أَلْقَتْ يدا في كافرٍ وأجن عورات الثغور ظلامها» اهـ
والاستعارة في هذه الآيات متقاربة (م)

وقول ذى الرمة أعجب إلى منه :

ألا طرقت مى هَيوماً بِذِكْرِهَا وَأَيْدِي الثُّرَيَّا جُنْحٌ فِي الْمَغَارِبِ

وقال بعضنا: بل قول لبيد أيضا :

وَلَقَدْ حَمَيْتَ الْخَيْلَ تَحْمِلَ شِكَايَتِي فَرُطٌ، وَشَاخِي - إِنْ غَدَوْتُ - لِجَانِمِهَا

قال أبو العباس : هذا حسن ، ولكن نعدل عن لبيد .

وقال آخر : [قول الهذلي] :

وَلَوْ أَنِّي اسْتَوَدَعْتُهُ الشَّمْسَ لَاهْتَدَيْتَ إِلَيْهِ الْمَنَابِيا عَيْنُهَا وَرَسُولُهَا

قال أبو العباس : هذا حسن ، وأحسن منه ^(١) - في استعارة لفظ الاستيداع -

قول الحُصَيْنِ بْنِ الْحُمَامِ ؛ لأنه جمع الاستعارة والمقابلة في قوله :

نُظَارِدُهُمْ نَسْتَدْعُ الْبَيْضَ هَامُهُمْ وَيَسْتَدْعُونَا السَّمْعَرِيَّ الْمُقَوِّمًا ^(٢)

وقال آخر : بل قول ذى الرمة :

أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى ذَوَى الْعُودِ فِي الثَّرَى وَسَاقَ الثُّرَيَّا فِي مِلاَةٍ تِهَ الْفَجْرِ

قال أبو العباس : هذا لعمري نهاية الخبرة ؛ وذو الرمة أبدع الناس استعارة ؛

وأبرعهم عبارة ، إلا أن الصواب حتى «ذوى العود والثرى» ؛ لأن العود لا يذوى

مادام في الثرى ، وقد أنكره على ذى الرمة غير ابن المعتز . قال أبو عمرو

ابن العلاء : كانت يدي في يد الفرزدق فأشدته هذا البيت ، فقال : أرشدك أم

أدعك ؟ قال : فقلت : بل أرشدني ، فقال : إن العود لا يذوى في الثرى ،

والصواب « حتى ذوى العود والثرى » .

قال الصولي : وكأنه نبه على ذى الرمة ؛ فقلت : بل قوله :

وَلَمَّا رَأَيْتَ اللَّيْلَ وَالشَّمْسَ حَيَّةً حَيَاةَ الَّذِي يَقْضَى حُشَاشَةَ نَارِ عَرَجٍ

(١) في نسخة « هذا بديع ، وأبدع منه - إلخ » (م)

(٢) حذف نون الرفع من قوله « ويستودعوننا » من غير ناصب ولا جازم ،

وكان من حق العربية عليه أن يقول « ويستودعوننا » (م)

قال أبو العباس : اقتدحت زندق يا أبا بكر فأورى^(١) ، هذا بارعٌ جدا ،
وقد سبقه إلى هذه الاستعارة جرير حيث يقول :

تحى الرواسُ ربعها وتجدُّه بعد الليلى فتميته الأمطار^(٢)
وهذا بيتٌ جمع الاستعارة والمطابقة ؛ لأنه جاء بالإحياء والإماتة ، والبلب
والجلدة ، ولكن ذو الرمة قد استوفى ذكر الإحياء والإماتة في موضعٍ آخر
فأحسن ، وهو قواه :

ونشوان من طول النعاس كأنه بمجملين في مشطونه يترجح^(٣)
إذامات فوق الرخلٍ أحييت روحه بذكرك والعيس المراسيلُ جنحُ
فما أحد من الجماعة انصرف من ذلك المجلس إلا وقد غمره من بحر أبي
العباس ما غاض معه معينه ، ولم ينهض حتى زودنا من بره ولفقه نهاية ما اتسعت
له حاله .

[كتمان الحب]

لابن المعتز

وقال ابن المعتز :

لما رأيت الحب يفضحني ونمت على شواهد الصب
أقيت غيرك في ظنونهم وسبزت وجه الحب بالحب

لابن الأحنف

وقال العباس بن الأحنف في هذا المعنى :

قد جرر الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذبٌ قد رمى بالظن غيركم وصادقٌ ليس يدرى أنه صدقا

[وقريب من هذا المعنى قول الفارسي رضي الله عنه ، وإن لم يكن منه :

تخالفت الأقوال فينا تباينا برجم أصول بيننا ما لها أصل^(٤)

(١) أورى : أخرج النار ، هذا أصله (م) (٢) الرواس : الرياح (م) .

(٣) في نسخة « في أنشودة يترجح » (٤) لعل الأصل « برجم ظنون » (م)

فشنع قومٌ بالوصالِ ، ولم أصل
وما صدق التشنيعُ عنها لشقوتي
وأزجفَ بالسوان قومٌ ولم أسأل
وقد كذبت عن الأراجيفِ والنقل^(١)

لابن المعتز

لنا عزمةٌ صماء لا تسمعُ الرقي
وإنا لنعطى الحقَّ من غير حاكم
تُبيت أنوفَ الحاسدين على رَغمِ
علينا ، ولو شئنا لملنا مع الظلم
وقد أخذه أبو العباس من قول أعرابي :

لأعرابي

ألا يا شفاء النفيس ليس بعالم
سوى رَجهم بالظنِّ والظنُّ كاذبٌ
بك الناسُ حتى يعلموا ليلةَ القدرِ
مراراً وفيهم من يُصيب ولا يدري
وقال الحسين بن مطير :

للحسين بن
مطير

لقد كنت جلدأ قبل أن تُوقد النوى
ولو تُرِكت نارُ الهوى لتضرمتْ
على كيدي ناراً بعليثاً خمودها
ولكن شوقاً كلَّ يوم يزيدها
إذا قدمت أيامها وعمودها
عهادُ الهوى تولى بشوقٍ يعيدها
عذابٌ ثناياها عجاف نهودها
وسودٌ نواصيها، وبيضٌ خدودها
بأحسن مما زينتها عقودها
رفيف الخزامى بات طالٌ يجودها
مهةٌ بتربانٍ طويلٌ عمودها^(٢)
وقد جعلت في حبة القلب والحشا
بمرتجة الأرداف هيفٌ خصورها
وصفر تراقيقها ، وخرمٌ أ كفها
محصرة الأوساط، زانت عقودها
يمتئنا حتى ترف قلبونا
وفيهن مِلاق الوِشاح كأنها
وقال :

قضى الله يا أسماء أن لستُ بارحاً
أحبك حتى يغمض العين مغمضٌ

(١) هذه الأبيات ساقطة من أكثر الأصول ، وهو الوجه (م)

(٢) تربان : اسم مكان يمينه، ووقع في نسخة « بترثار طويل عمودها » (م)

فحبك بَلَوَى غير أن لا يَسْمُرُنِي
 فواكبدا من لَوَعَةِ البَيْنِ كَلَمَّا
 ومن عبرة تُذْرَى الدموع وزفرة
 فياليتني أقرضت جَلدًا صبايتي
 إذا أنا رُضْتُ القلب في حُبِّ غيرها
 وكان الحسين قوى أَسْرِ الكلام ،
 جَزَلَ الألفاظ ، شديدَ العارِضة ، وهو
 القائل في المهدي :

له يوم بؤس فيه للناس أبؤسٌ
 فيمطر. يوم الجودِ مِنْ كَفِّهِ النَّدى
 فلو أن يومَ البؤسِ خَلَى عقابهُ
 ولو أن يومَ الجودِ خَلَى نَوَّالهُ
 وأنشد أبو هفان له :

أين أهلُ العتابِ بالدَّهْناءِ
 جاورونا والأرضِ ملبَّسةٌ نَوَّاءِ
 كل يوم بأقحوان جَدِيدِ
 أخذ هذا المعنى دعبل ، ونقله إلى معنى آخر ، فقال :

أين الشبابُ؟ وأَيَّةَ سَلْكا؟
 لاتعجبي يا سَلَمُ من رجلٍ
 أم أين يُطَلَبُ؟ ضَلَّ ، بل هلْكا
 ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فَبَكَى
 وقال مسلم بن الوليد في هذا المعنى :
 مُستعبر بيكي على دَمْنَةٍ
 ورأسُهُ يَضْحَكُ فيه المشيبُ

لدعبل الخزاعي

لمسلم بن الوليد

(١) في نسخة « غير أن لا يسوءني » والمعنى عليه غير مستقيم (م) .

(٢) في نسخة « ومن عنده تذرى الدموع » تحريف (م)

(٣) تجاد : يسقيها الجود - بفتح الجيم وسكون الواو - وهو المطر (م)

[معالي الأخلاق]

عما أنشده الزبير
بن بكار

وأشده الزبير بن بكار :

أحبّ معالي الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعايا
وأصفح عن سباب الناس حِلماً وشراً الناحي من حبّ السبابا
وأترك قائل العوراء عمداً لِأهلكه وما أعميا الجوابا
ومن هاب الرجال تهيبوهُ ومن حقر الرجال فلن يُهابا

[رياضة النفس ^(١) على الفراق]

وعلى ذكر قوله :

* إذا أنا رُضتُ ^(١) القلب في حُبِّ غيرها *

أنشد الأصمعي لغلام من بني فزارة :

وأعرضُ حتى يحسبَ الناسُ أنما بي الهَجْرُ ، لا والله ما بي لها هَجْرُ
[ولكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقت يوماً أحبَّتها صَبْرُ] ^(١)
قال إسحاق الموصلي : قال لي الرشيد : ما أحسنُ ما قيل في رياضة النفس

على الفراق ؟ قلت : قول أعرابي :

وإني لأستخني عيوناً ، وأتقى كثيراً ، وأستبقي المودّة بالهَجْرِ
فأنذرُ بالهجران نفسي أروضها لأعلم عند الهَجْر هل لي من صَبْرٍ ^(١)
[فقال الرشيد : هذا مليح ، ولكنني أستملح قول أعرابي آخر :

خشيت عليها العينَ من طولِ وضيائها فهاجرتها يومين خوفاً من الهَجْرِ
وما كان هِجْراني لها عن بلالةٍ والكنني جرّبتُ نفسي بالصبرِ] ^(٢)

(١) راض نفسه يروضها : ذلها وعودها حتى تتخلق بما يريد ، يـ (م)

(٢) اللالة : السأم والكراهية (م)

قال الصولي : قال لي المبرد : عمك إبراهيم بن العباس أحزمُ رأياً من خاله لابن الأحنف
العباس بن الأحنف في قوله :

كان خروحي من عنديم قدراً
من قبل أن أعرض الفراق على
وفال عمك إبراهيم :

إبراهيم
الصولي

وناجيتُ نفسي بالفراق أروضها
فقلت لها : فالهجرُ والبينُ واحدٌ
فقلت له : إنه نقل كلام خاله :

عرضت على قلبي الفراق فقال لي
إذا صد من أهوى رجوتُ وصاله
وقال العباس بن الأحنف :

أروض على الهجر أن نفسي لعلها
وأعلم أن النفس تكذبُ وعدّها
وما عرضت لي نظرةٌ مذعرتها
[وقال المتنبي من المعنى :

لابن الأحنف

حببتك قلبي قبل حبي من نأى
وأعلم أن البين يشكيك بعدها
وقد كان غداراً فكن أنت وافيًا
فلمست فوادى إن وجدتك شاكياً]

المتنبي

لأبي صخر
الهدلي

قال الحاتمي : والذي أراه وأذهب إليه أن أحسن من هذا المعنى قول أبي
صخر الهدلي :

ويمنعني من بعض إنكار ظنهما
مخافة أتي قد علمت لئن بدا
إذا ظلمت يوماً وإن كان لي عذرُ
لي الهجرُ منها ما على هجرها صبرُ

(١) في نسخة « لا أعيرك من صبري » وليس بذلك (م)

(٢) البين - بالفتح - الفراق ، وأمنى : يقدر الله ذلك على (م)

وأنى لا أدرى إذا النفسُ أشرفت على هَجْرِها ما يبيلننَّ بىَ الهجر
فياحبها زِدنى جوَى كلِّ لَيْلَةٍ وَياسلوةَ الأحزانِ مَوْعِدُك الحَشْرُ

شذور من كلام أهل العصر في مكارم الأخلاق

ابن المعتز — العقلُ غريزةٌ تزينها التجارب . وله : العاقلُ من عقل لسانه^(١) ،
والجاهلُ من جهلِ قَدْرِهِ .

غيره : إذا تمَّ العقلُ نقص الكلام . حُسْنُ الصورةِ الجمالُ الظاهر ، وحسن
الخلقِ الجمالُ الباطن . ما أبينَ وجوه الخيرِ والشرِّ في مِرآةِ العقلِ إذا لم يصدِّها
المهوى . العاقلُ لا يدَعُه ما ستر اللهُ من عيوبه أن يفرَّحَ بما أظهر من محاسنه .
بأيدي العقولِ تُمسكُ أعنةُ النفوسِ عن المهوى . آخر بمن كان عاقلاً أن يكونَ
عما لا يَمْنِيهِ غافلاً . التواضعُ من مصائدِ الشرفِ . من لم يتَّضِعْ عند نفسه
لم يرتفع عند غيره .

يحيى بن معاذ — التكبرُ على التكبرِ تواضع . الحلمُ حجابُ الآفات .
أحيوا الحياةَ بمجاورة من يُستَحْيَا منه . مَنْ كساه الحياةَ ثوبه ، ستر عن الناس
عَيْبَهُ . الصبرُ تجرُّعُ القُصصِ ، وانتظارُ الفُرصِ . قلوبُ العقلاء حصون
الأسرار . انفرِدْ بسرِّك ولا تودعه حازماً فيزل ، ولا جاهلاً فيخون . الأناة^(٢)
حُسْنُ السلامة ، والعجلةُ مفتاحُ الندامة . من حَسُنَ خُلُقُهُ وجَبَ حَقُّهُ . إنما يستحق
اسمَ الإنسانية مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ . يكاد سبىء الخلقِ يُعَدُّ من البهائم والسباع .
أرسطاطاليس — المروءة استحياهُ المرء نفسه . المعروف حُضْنُ النعم من
صروف الزمن . للحازم كنزٌ في الآخرة من عمله ، وفي الدنيا من معرفته .
لا تستحي من القليلِ فإنَّ الحرمانَ أقلُّ منه .

(١) عقل لسانه : حبسه ومنعه (م)

(٢) الأناة : التأني والتروي في الأمر قبل الإقدام عليه (م)

أبو بكر الخوارزمي - الطَّرْفُ^(١) يجرى وبه هُزَّالٌ، [والسيف يمضي وبه انفلال]، والحزُّ يُعْطَى وبه إقلال^(٢). بَدَلُ الجاهِ أحدُ المالاين. شفاعَةُ اللسانِ أفضلُ زكاةِ الإنسان. بَدَلُ الجاهِ رِفْدٌ للمستعين^(٣). الشفيعُ جناحُ الطالب. التقوى هي العُدَّةُ الباقية، والجُنَّةُ الواقية. ظاهرُ التقوى شرفُ الدنيا، وباطنها شرفُ الآخرة. من عَفَّتْ أطرافه، حسنت أوصافه. قال أبو الطيب المتنبي:

ولا عِفَّةٌ في سيفه وسِنانهِ
ولكنها في الكفِّ والفريجِ والقَمِ
لعمان - الصَّمْتُ حُكْمٌ وقليل فاعِلُهُ. أَرَبِعُ كلمات صدرت عن أربعة ملوك كأنما رُميت عن قَوْسٍ واحدة؛ قال كسرى: لم أندم على ما لم أقل، وندمتُ على ما قلت مرارا. قيصر: أنا على ردِّ ما لم أقل أقدرُ مني على ردِّ ما قلت. ملك الصين: إذا تكلمت بالكلمة ملكتنى، وإذا لم أتكلم بها ملكتها. ملك الهند: عَجِبْتُ من يتكلمُ بالكلمة إن رُفِعَتْ ضَرَّتَهُ، وإن لم تُرْفَعْ لم تنفعه. ما الدخان على النار، ولا العجاج^(٤) على الريح، بأدلٍّ من ظاهر الرجل على باطنه، وأنشد:

قد يُستدأُّ بظاهرٍ عن باطنٍ
حيث الدخان فتمَّ مَوْقِدُ نارٍ
مَنْ أَصْلَحَ ماله فقد صانَ الأكرمِينَ المَالَ والعِرْضَ. من لم يحمِد في التقدير ولم يذُب في التذبير فهو شديد التذبير^(٥). عليك بالقصدِ بين الطرفين، لا مَنعَ ولا إسراف، ولا بخل ولا إتراف. لا تكن رطباً فتعصَّر، ولا يابساً فتكسر، ولا حلواً فتتَرَط، ولا مرّاً فتتلفظ.

المأمون بن الرشيد - التناء أكثر من الاستحقاق مَلَقٌ وهذَرٌ، والتقصير عِيٌّ وَحَصَرٌ.

(١) الطرف - بكسر الطاء - الفرس (م). (٢) الإقلال: قلة المال (م).

(٣) الرfid - بالكسر - العطاء (م). (٤) العجاج: ماثار من الغبار (م).

(٥) في نسخة «من لم يذم التقير، ولم يحمِد التذير، فهو شديد التذير» (م).

إكرامُ الأضياف ، من عادة الأشراف . وفي الخبر : لا تتكلفوا للضيف
فتبعضوه ؛ فمن أبغض الضيف أبغضه الله . ينبغي لصاحب الكريمة أن يصبر
عليه إذا جمعتهم نبوة الزمان ، فليس ينتفع بالجوهر الكريمة من لم ينتظر نفاقها .

مواظع عقلها بمض أهل العصر تتعلق بهذا الفصل

أغض على القذى ، وإلا لم ترَضَ أبداً^(١) . أجمل الطلب فسياتيك [ما قدّر
لك ، صنْ عرضك] ، وإلاً أخلقت وجهك . جاور الناس بالسكف عن
مساويهم . انسَ رفدك ، ولا تنسَ وعدك ، كذب أسوء الظنون بأحسنها^(٢) .
أغن من وليته عن السرقة ، فليس يكفيك من لم تكفه . لا تتكلف ما كُفيت
فيضيع ما أوليت .

ابن المعتز — لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس ، فالموضع الذي تُرفعُ إليه
خيرٌ من الموضع الذي تحطُّ منه . لا تذكر الميت بسوء فتكون الأرض أكرم
عليه منك . ينبغي للعاقل أن يدارى زمانه مداراة الساج للماء الجاري .

العتابي — المداراة سياسة رقيقة تجلب المنفعة ، وتدفع المضرة ، ولا
يستغنى عنها ملك ولا سوقة ، ولا يدع أحداً منها حظه إلا عمرته صروف
المكاره .

[من رسائل العتابي وأدبه]

وكتب العتابي إلى بعض إخوانه :

لواعتصم شوقى إليك بمثل سلوك عني لم أبدل وجه الرغبة إليك ،

(١) هذا من قول بشار :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظممت ، وأى الناس تصفو مشاربه (م)

(٢) في نسخة « كذب سوء الظن بأحسنه » (م) .

ولم أتجشم مرارة تماديك ، ولكن استخففتنا صباقتنا ، فاحتملنا قسوتك ، لعظيم
 قدر مودتك ، وأنت أحقُّ من اقتص^(١) لصلتنا من جفائه ، ولشوقنا من إبطائه .
 وله : كتبتُ إليك ونفسي رهينة بشكرك^(٢) ، وسأني علق بالثناء عليك ،
 والغالبُ على ضميري لأئمة لنفسي ، واستقلالُ جهدي في مكافأتك ، وأنت
 - أصلحك الله ! - في عزِّ الغنى عني ، وأنا تحت ذلِّ الفاقةِ إلى عطفك ، وليس
 من أخلاقك أن تُولى جانبَ الذبوة منك من هو عانٍ في الضراعة إليك .
 ودخل العتابي على الرشيد فقال : تسكَّم يا عتابي ؛ فقال : الإبناس^(٣) قبل
 الإبناس ، لا يُحمدُ المرءُ بأول صوابه ، ولا يذمُّ بأول خطئه ؛ لأنه بين كلام
 زوره ، أو عيِّ حصره .

ومرَّ العتابي بأبي نُوَّاس وهو ينشد الناس : .
 ذكر الكرخِ نازحُ الأوطانِ فبكي صبوةً ولاتِ أوانِ
 فلما رآه قام إليه ، وسأله الجلوس ، فأبى وقال : أين أنا منك وأنت القائل ،
 وقد أنصفك الزمان :

قد علقنا من الخصيب حبالاً أمنتنا طوارقَ الحدائِنِ
 وأنا القائل وقد جار على ، وأساء إلى :

لفظتني البلادُ ، وانطوت الأَكفَاءُ دوني ، ومَلَّني جيرانِي
 والتَّمت حلقَةُ عليٍّ من الدهرِ فاجتَ بكلِّ كلِّ وجِرَانِ
 نازعتني أحداثها مُنيَّةَ النفسِ وهدَّتْ خطوبُها أرْكَانِي
 فاشعُ للهمومِ معترفُ القلوبِ كَثِيبٌ لناثباتِ الزمانِ

(١) اقتص : أصله القصاص ، وهو قتل القاتل ، والمراد هنا الانتقام عامة (م) .

(٢) في نسخة « دعيت إليك ونفسي راغبة لشوقك بشكرك » (م) .

(٣) الإبناس : بعث الأنس إلى نفس الضيف واقتلاع الوحشة ، وأراد بالإبناس

تقديم الطعام والقرى ، وضرب ذلك مثلاً (م) .

[شعر الأعراب]

قال عبد الرحمن بن أخى الأصمعى : سمعت عمى يحدث قال : أَرِقْتُ لَيْلَةً
من الليالى بالبادية ، وكنت نازلاً عند رجل من بنى الصيِّدَاء^(١) ، وكان واسعَ
الرَّحْلِ ، كريمِ الحُلِّ ، فأصبحتُ وقد عَزَمْتُ على الرجوع إلى العراق ، فأتيت
أبا مَثْوَايَ^(٢) ، فقلت : إني قد هَلِمْتُ^(٣) من الغُرْبَةِ ، واشتقتُ إلى أهلى ،
ولم أُنِدْ في قَدَمَتى هذه كبيرَ علم . وإنما كنتُ أَعْتَفِرُ وحشة الغربة وجفاء البادية
للفائدة؛ فأظهر الجفاوة حتى أبرز غداء له فتغذيت ، وأمر بناقة مَهْرِيَّة^(٤) كأنها سبيكة
لجَيْنٍ [فارتحلها] واكتفلها ، ثم رَكِبَ وأزْدَفَنِي ، وأقبلها مطلعَ الشمسِ ؛ فمَسِرْنَا
كبير مسير حتى لَقِينَا شيخاً على حمارٍ ، له جُمَّة قد صَبَغَهَا بِالْوَرَسِ^(٥) ، كأنها
قنبيطة ، وهو يترنم ، فسلم عليه صاحبي ، وسأله عن نسبه فاعتزى أسدياً من بنى ثعلبة .
قال : أتروى أم تقول ؟ قال : كُلاً . قال : أين توؤم ؟ فأشار إلى موضعٍ قريبٍ
من الموضع الذى نحنُ فيه . فأناخ الشيخ ، وقال لى : خُذْ بيد عمك فأنزله عن
حماره ، ففعلت ، وألقى له كساءً قد اكتفل به ، ثم قال : أنشدنا يرحمك الله
وتصدق على هذا الغريب بأبيات يبتهن عنك ، ويذكرك بهن ، فأنشدنى له :

لقد طال يا سَوْدَاءَ مِنْكَ المَوَاعِدُ ودون الجدا المأمول منك الفَرَاقِدُ
تَمَنِينًا بالوصل وَعَدَاءً ، وَعَظِيمَكُم ضَبَابٌ ، فَلَاصِحَوُ ، وَلَا الْغَيْمُ جَائِدُ
إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدُ بِفَضْلِ الْغِنَى الْفَيْتَ مَالَكَ حَامِدُ
وَقَلَّ غِنَاءَ عَنكَ مَالُ جَمْعَتُهُ إِذَا صَارَ مِيرَاثًا وَوَارَكَ لِأَحَدُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرُكْ بِجَنِينِكَ بِقَضَمَا يَرِيبُ مِنَ الْأَدْنَى رِمَاكَ الْأَبَاعِدُ

(١) فى نسخة « من بنى الصيد » وهذه عن الأمالى (١/١٦٩) (م)

(٢) المثوى : الإقامة ، وأبو مَثْوَايَ : أى مضيقي (م)

(٣) هلمت : جزعت (م) (٤) مهريّة : منسوبة إلى مهرة (م)

(٥) الورس : نبت أصفر شبه الزعفران ، وفى نسخة « نغها بالورس » (م) .

إذا الحلم لم يَغلب لك الجهل لم تزل
 إذا العزم لم يفرج لك الشك لم تزل
 إذا أنت لم تترك طعاماً تحبهُ
 تجملت عاراً لا يزال يشبهُ
 وأنشدني لنفسه :

تعزّ فإن الصبر بالحرّ أجمل
 فلو كان يُغنى أن يرى المرء جازعاً
 لكان التعزّي عند كل مصيبةٍ
 فكيف وكلّ ليس يعدّو حمامه
 فإن تكن الأيامُ فينا تبدّلت
 فإلّيت منا قنّاة صليبةً
 ولكن رحلناها نفوساً كريمةً
 وقيناً بجدّ العزم منا نفوسنا
 وليس على ربّ الزمان مُعوّل
 لنازلةٍ أو كان يُغنى التذلُّ
 ونازلةٍ بالحرّ أولى وأجملُ
 وما لا مريءٍ مما قضى الله مَرَحْلُ
 بنعمى وبؤسى والحوادثُ تفعلُ
 ولا ذللتنا للذي ليس يحمّلُ
 تحمّلُ مالا يستطيعُ فتحمّلُ
 فصحت لنا الأعراض والناس هزلُ

قال : فقامت إليه ، وقد نسيت أهلي ، وهان على طولُ العربة ، وضنكُ
 العيش ، سروراً بما سمعت ، ثم قال : يا بني ؛ من لم يكن الأدب والعلم أحبّ إليه
 من الأهل والولد لم ينجب .

[خصومة قرشية]

خاصم بعض القرشيين عمر بن عثمان بن موسى بن عبید الله بن معمر ، فأسرع
 إليه القرشي فقال : على رسلك ، فإنك لسريعُ الإيقاد^(٢) وشيكُ الصريمة ، وإني
 والله ما أنا مكافئك دون أن تبلغَ غايةَ التعدي ، فأبلغَ غايةَ الإعذار .

(١) استتلى : استتبع ، وجعلها تالية ، والجنبية : الفرس ، مثلاً ، تقودها من غير أن

تركبها (م) (٢) في نسخة « سريع الانتقال » (م) .

[ادعاء]

قال عبد الله بن عبد العزيز ، وكان من أفاضل أهل زمانه : قال لى موسى ابن عيسى : أنهى^(١) إلى أمير المؤمنين ، يعنى الرشيد ، أنك تشتمه ، وتدعو عليه ، فبأى شيء استجزت^(٢) ذلك ؟ قال : أما شتمه فهو والله إذا أكرم على من نفسى ، وأما الدعاء عليه فوالله ما قلت « اللهم إنه أصبح عبثاً ثقيلاً على أكتافنا ، لا تطيقه أبداننا ، وقذى فى عيوننا ، لا تنطبق عليه أجفاننا ، وشجى فى حلوفا ، لا تسيغه أفواهنا ؛ فاكفنا مؤنته ، وفرق بيننا وبينه » ! ولسكنى قلت : « اللهم إن كان تسمى الرشيد ليرشد فأرشده ، أو أتى غير ذلك^(٣) فراجع به ، اللهم إن له فى الإسلام بالعباس حقاً على كل مسلم ، وله بنميك قرابة ورحمًا ، فقرِّبه من كل خير ، وابعده من كل شر ، وأسعدنا به ، وأصلحنا لنفسه ولنا » . فقال له : يغفر الله لك يا عبد العزيز ، كذلك بلغنا .

[عزل وال]

ولما حجَّ الرشيد سنة ست وثمانين ومائة دخل مكة وعديله يحيى بن خالد ؛ فانهى إليه العمري فقال : يا أمير المؤمنين ، قف حتى أكلمك ! فقال : أرسلوا زمام الناقة ، فأرسلوه ، فوقفت فكأنا أوتدت ، فقال : [أقول ؟ قال :] قل ، فقال : اعزل عنا إسماعيل بن القاسم . [قال : ولم ؟ قال :] لأنه يقبل الرشوة ، ويُطيل النشوة ، ويضرب بالعشوة ، قال : قد عزلناه [عنك ،] ثم التفت إلى يحيى فقال : أعندك مثل هذه البديهة ؟ فقال : إنه ليجب أن يحسن إليه ، قال : إذا عزلنا عنه من يريد عزله فقد كأنا .

(١) أنهى إليه : رفع إليه وبلغه ، وفى نسخة « أيتها إلى أمير المؤمنين » وليس

بذلك (م) (٢) فى نسخة « فبأى شيء استحق ذلك » (م)

(٣) فى نسخة « وإن كان غير ذلك » (م)

[حُرْمَةُ الكَعْبَةِ]

ولما وَجَّهَ عبدُ الملكِ بنُ مروانِ الحجاجُ بنُ يوسفٍ إلى عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ وأوصاهُ بما أَرادَ أنْ يُوصِيَه ، قالَ الأسودُ بنُ الهيثمِ النخعيُّ : يا أميرَ المؤمنين ، أوصِ هذا الغلامَ [النقي] بالكعبةِ ألاَّ يَهْدِمَ أحجارَها ، ولا يَهْتِكَ أسرارَها ، ولا يُنْفِرَ أطيارَها ، وليأخذَ على ابنِ الزبيرِ شِعابَها ، وعقابَها ، وأَنْقابَها^(١) ، حتى يموتَ فيها جوعاً ، ويخرجَ مخلوعاً .

[كتابُ ينصرُ محاربا]

وكتبَ عبدُ اللهِ بنُ طاهرٍ إلى نَصْر بنِ شبيبٍ وقد نزلَ به ليحارِبَ به في جُنْدِه ، فوجده^(٢) متحصناً منه ، فكتبَ إليه : اعتصامُك بالقلالِ قيْدٌ عزمُك عن القتالِ ، والتجاوُكُ إلى الحصونِ^(٣) ، ليسَ ينجيكِ من المَنُونِ ، ولستَ بمُفْلِتٍ من أميرِ المؤمنينِ ، فإِما فارسُ مُطاعينِ ، أو راجلُ مستأمنِ . فلما قرأه حصره الرعبُ عن الجوابِ ، فلم يلبثَ أنْ خرجَ مستأمناً .

[من حَكَمِ الفرسِ]

قالَ نزرجمهرُ بنُ البختكانِ لبعضِ الملوكِ : أنعمَ تُشكرُ ، وأرهَبُ تُحذَرُ ، ولا تمزَلُ فُتُحَقَّرُ ، فجملمنِ الملكِ نَقَشَ خاتمهَ بدلا من اسمه واممِ أبيه .
ولما قتلَ أنو شروانُ بزرجمهرَ وجدَ في منطقتهِ رقمةً فيها مكتوبٌ : إذا كانتِ الحظوظُ بالجدودِ فما الحِرْصُ ؟ وإذا كانتِ الأمورُ ليستِ بدائمةً فما السرورُ ؟
وإذا كانتِ الدنيا غرارةً فما الطمأنينةُ ؟

[قال سقراطُ] : من كثرَ احتمالُه وظهرَ حلمُه قلَّ ظلمُه وكثرَ أعوانُه ، ومن قلَّ همُّه على ما فاتَه استراحتَ نفسُه وصفا ذِهنُه وطالَ عمرُه . وقالَ : من تعاهدَ

(١) العقابُ : جمعُ عقبة ، وهى ما صعبَ مرتقاها من الجبالِ ، والأنقابُ : جمعُ نقبٍ ، وهو الطريقُ في الجبلِ (م) .

(٢) فى نسخة «ليحاربها فى جدة متحصنا منه» (م)

(٣) القلالُ : قممُ الجبالِ واحداها قلة - بضم القاف ، وتشديد اللام مفتوحة (م) .

نفسه بالحسابة أمن عليها المداهنة . وقال : الأمانى حبال الجهل ، والمشرّة الحسنة وقاية من الأسواء .

وشتمه بعض الملوك وكان على فرس وعليه حُمل وبزة فقال له سقراط : إنما تفخر علىّ بغير جنسك ، ولكن رد كلّ جنس إلى جنسه وتعال الآن فلنتكلم .
وقال سقراط : من أعطى الحكمة فلا يجزع لفقد الذهب والفضة ؛ لأن من أعطى السلامة والدعة لا يجزع لفقد الألم والتعب ؛ لأن ثمار الحكمة السلامة والدعة ، وثمار الذهب والفضة الألم والتعب ؛ وقال : الفنية ينوع الأحزان ؛ فأقلوا الفنية تقلّ همومكم . وقال : الفنية مخدومة ، ومن خدم غير نفسه فليس بحر

وقال أبو الطيب :

أبدأ تسترّد ماتهب الدنيا فياليت جودها كان بخلاً
وكفت كون فرحة تورث الهمم وخل يغادر الوجد خلا
[حكم للهند]

وفي كتاب الهند : العاقل حقيق أن تسخو نفسه عن الدنيا ، علماً بأنه لا ينال أحد منها شيئاً إلا قلّ إمتاعه به وكثُر عناؤه فيه ، ووباله عليه ، واشتدت مؤنته عند فراقه ، وعلى العاقل أن يدوم ذكره لما بعد هذه الدار ، ويتنزّه عما تسيره إليه نفسه من هذه العاجلة ، ويتنجى عن مشاركة الكفرة والجهال في حبّ هذه الفانية التي لا يألّفها ولا ينخدع بها إلا المغترون .

وفيه : لا يجدنّ العاقل في صحبة الأحاب والأخلاء ، ولا يحرصنّ على ذلك كل الحرص . فإن صحبتهم على ما فيها من السرور كثيرة الأذى ، والمؤنات ، والأحزان ، ثم لا يفي^(١) ذلك بعاقبة الفراق .

وفيه : ليس من شهوات الدنيا ولذاتها شيء إلا وهو مولد أذى وحزنا ،

(١) لا يفي به : لا يعادله ولا يكون مكافئاً له (م) .

كالماء المالح الذي كلما ازداد له صاحبه شربا ازداد عطشا ، وكالقطعة من العسل في أسفلها سم للذائق ؛ فيه حلاوة عاجلة ، وله في أسفلها سمّ ذعاف ، وكأحلام النائم التي تسرّه في منامه ، فإذا استيقظ انقطع السرور ، وكالبرق الذي يضيء قليلا ، ويذهب وشيكا^(١) ، ويبقى صاحبه في الظلام مقيما ، وكدودة الإبريسم ما ازدادت عليه لقا إلا ازدادت من الخروج بعدا .

وفيه : صاحب الدين قد فكر ؛ فعلته السكينة ، وسكن فتواضع ، وقنع فاستغنى ، ورضى فلم يهتم ، وخلع الدنيا فنجّا من الشرور ، ورفض الشهوات فصار حرا ، وطرح الحسد فظهرت له المحبة ، وسخت نفسه عن كل فأن ، فاستكمل العقل ، وأبصر العاقبة ، فأمن الندامة ، ولم يؤذ الناس فيخافهم ، ولم يُذنب إليهم فيألمهم العفو .

[وصية من عتبة بن أبي سفيان]

وقال سعد القصر مولى عتبة بن أبي سفيان : ولأني عتبة أمواله بالحجاز ، فلما ودّعته قال : يا سعد ، تعاهد صغير مالي فيكبر ، ولا تجف كبيره^(٢) فيصغر ؛ فإنه ليس يمتنعى كثير ما عندي ، من إصلاح قليل ما في يدي ، ولا يمتنعى قليل ما عندي من كثير ما ينوبني^(٣) . قال : فقدمت الحجاز ، لحدثت به رجلا من قريش ، فقرّوا به الكتب إلى الوكلاء .

[يزيد بن معاوية]

وقال يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد : إن أباك كفي أخاه عظيما ، وقد استكفمتك صغيرا ، فلا تتسككن مني على عذر ، فقد اتكلت منك على كفاية ، ولأن أقول لك : إياك ، أحب إلى من أن أقول : إياي ؛ فإن الظن إذا أخلف فيك أخلف منك ، فلا ترح نفسك وأنت في أدنى حظك ، حتى تبلغ

(١) وشيكا : سريعا قريبا (م) . (٢) في نسخة « ولا تنفل كبيره » (م) .

(٣) ينوبني : يعتريني وينزل بي (م) .

أقصاه ؛ واذكر في يومك أخبارَ غَدِكَ ، واستزِدني بإحسانك إلى أهل الطاعة ،
وإساءتك إلى أهل المعصية ، أزدك إن شاء الله تعالى .

[فضل العمامة]

ذكرت العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال : جُنَّةٌ في الحرب ، ودِنَارٌ في
البرد ، وكنةٌ في الحرِّ ، ووَقَارٌ في النَّدَى ، وشرفٌ في الأحذوثة ، وزيادةٌ في
القامة ، وهي [بعد] عادةٌ من عاداتِ العرب .

[من رسائل ابن العميد]

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي عبد الله الطبري :

من كتاب له
إلى أبي عبد الله
الطبري

وقفت على ما وصفت من برِّ مولانا الأمير لك ، وتوقُّره بالفضل عليك ،
وإظهار جميل رأيه فيك ، وما أنزله من عارفةٍ ^(١) لديك ؛ وليس العجب أن يتداهى
مِثْلُه في الكرم إلى أبعدِ غاية ، وإنما العجبُ أن يَقْصُرَ شيء من مساعيهِ عن
نَيْلِ المجدِ كلِّه ، وحيَازةِ الفضلِ بأجمعه ؛ وقد رجوتُ أن يكون ما يغرسه من
صنعيةٍ عندك أجدر غرس بالزِّكاء ^(٢) ، وأضمنه للربيع والنماء ؛ فأزع ذلك ، واركب
في الخِدْمَةِ طريقةً تُبْعِدُكَ من الملال ، وتوسطك في الحضور بين الإكثار والإقلال ،
ولا تُسْتَرْسِلْ إلى حسن القبول كلَّ الاسترسال ؛ فلأن تدعى من بعيد خيراً من
أن تُقْصَى ^(٣) من قريب ، وليسكن كلامك جواباً تتحرز فيه من الخطل ومن
الإسهاب ، ولا يعجبك تَأْتِي كلمة محمودة فيلج بك الإطنابُ توقُّعاً لمثلها ؛ فربما
هدمت ما بنته الأولى ، وبضاعتك في الشرف مُرْجاة ، وبالعقل يرمّ اللسان ، ويرام
السداد ، فلا يستفزّ نك طربُ الكلام على ما يفسد تمييزك ؛ والشفاعة لا تعرض
لها فإنها مُخْلِقةٌ للجاه ؛ فإن اضطرت إليها فلا تهجم عليها حتى تعرف موقعها .
وتحصّل وزنها ، وتطالع موضعها ؛ فإن وجدت النفس بالإجابة سَمِحةً ، وإلى

(١) العارفة : العطية ، والمعروف . وليس لها فعل (م) .

(٢) الزكاء : النماء ، ومثله الربيع (م) (٣) تقصى : تبعد (م) .

الإسعاف هَشَّة ، فأظهر ما في نفسك غير محقق ، ولا توهم أن عليك في الرد ما يُوحشك ، ولا في المنع ما يغيظك ، وليكن انطلاقُ وجهك إذا دُفِعت عن حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يدك ، ليخفَ كلامك ، ولا يثقل على سامعه منك . أقول ما أقولُ غيرَ واعظ ولا مُرشدٍ ، فقد جعل اللهُ خصالك ، وحسنَ خلالك ، وفضلك في ذلك كله ؛ لكنني أنه تنبيه المِشارك لك ، وأعلم أن للذكرى موضعا منك لطيفاً .

وله أيضاً : سألتني عن شقني ^(١) وجدي به ، وشغفني حبي له ، وزعمت أنني لو شئت لذهلت عنه ولو أردت لاعتصمت منه * زعماً ، لعمراً أيبك ، ليس بمزعم * كيف أسألو عنه ، وأنا أراه ، وأنساءه وهو لي تجاه ؛ هو أغلب عليّ ، وأقربُ إليّ ، من أن يُرُخني لي عناني ، أو يُخِليني واختياري ، بعد اختلاطي بملكه ، وانخراطِي في سِنِّكِهِ ، وبعد أن ناط حُبّه بقلبي نائِطٌ ، وسأطه بدمي سائِطٌ ^(٢) . وهو جارٍ مجرَى الرُّوح في الأعضاء ، متنسّم تنسّم رُوح الهواء ؛ إن ذهبتُ عنه رجعت إليه ، وإن هربتُ منه وقفتُ عليه ، وما أحبّ السلوَّ عنه مع هنائه ، وما أوتر الخلوَّ منه مع ملأته ؛ هذا عليّ أنه إنه أقبل عليّ بهتني إقباله ، وإن أعرض عني لم يطرُقني خياله ، يبعد عني مثاله ^(٣) ، ويقرب من غيري نواله ، ويردُّ عيني خاسئة ، ويثني يدي خالية ، وقد بسط آفات العيون المقاربة ، وصدق مراعى الظنون الكاذبة ، وصله يُنذرُ بصدّه ، وقربه يُؤذِن ببعده ، يُدني عندما ينزح ، ويأسو ^(٤) مثل ما يجرح ، محالته أحوال ^(٥) ، وخلته خلال ، وحكمه سِجال ، الحُسنُ في عوارِفه ، والجمالُ من منأحه ، والبهاء من أصوله وِصفاته ، والسَّناه من نعوته وسِماته ، اسمه مطابق لمعناه ، وفجواه موافق

(١) في نسخة « شغفني » و « شغفني » والمعنى متقارب (م)

(٢) ساط : خلطه (م) (٣) في نسخة « مقالة » (م)

(٤) يأسو : يداوى (م) (٥) في نسخة « لحالته أحوال » .

لَتَجَوَّاهُ ، يتشابه حالاه ، ويتضارع قُطْرَاه ، من حيث تلقاه يستدير ، ومن حيث تَنَسَّاهُ يستدير .

[هرب من الوباء] .

وقع بالكوفة وباء ، فخرج الناس وتفرقوا بالنجف ، فكتب شريح إلى صديق له خرج بمخروج الناس : أما بعد ، فإنك بالمكان الذي أنت فيه بعين من لا يُعجزه هرب ، ولا يَقْوُته طلب ؛ وإن المكان الذي خلقت لا يعجل لأحد حمامة^(١) ، ولا يظلمه أيتامه ، وإنا وإياك لعلى بساطٍ واحد ، وإن النجف من ذى قدرة لقريب .

وهرب أعرابي ليلا على حمار حذارا من الطاعون ، فينما هو سائر إذ سمع قائلاً يقول :

لن يُسبق الله على حمارٍ ولا على ذى مَيِّعةٍ طيَّارٍ
أويأتى الحنْفُ على مقدارٍ قد يصبح الله أمام السارى^(٢)
فكرّ راجعاً ، وقال : إذا كان الله أمام السارى فلات حين مهزّب .

[قتيل الحب]

قال الأصمعي : أخبرني يونس بن حبيب قال : أتى قومٌ إلى ابن عباس بفتى محمول ضعفاً ، فقالوا : استشف لهذا الغلام ، فنظر إلى فتى حلّو الوجه ، عارى العظام ؛ فقال له : ما بك ؟ فقال :

بنا من جوى الشوق المبرِّحِ لَوْعَةً تكادُ لها نفسُ الشفيقِ تَدُوبُ^(٣)
ولسكما أبقى حُشاشة ما ترى على مابه حُودٌ هناك صليّب^(٤)

فقال ابن عباس : أرايتم وجهها أعتق ، ولسانها أذلق ، وعودا أصلب ، وهوى أغلب ، مما أرايتم اليوم ؟ هذا قتيل الحب ، لا قود ولا دية !

(١) الحمام - بكسر الحاء - الموت (٢) الحنْف : الهلاك (م)

(٣) الجوى : الحزن ، والمبرِّح : البالغ الشدة في الإجهاد ، واللوعة : الحسرة (م)

(٤) الحشاشة - بضم الحاء - بقية الروح في الجسد ، و«عود» هو فاعل «أبقى» (م)

وكان ابن عباس رضي الله عنهما حبرَ قريش وبحرَها ، وله يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . وفيه يقول حسان
ابن ثابت :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ بملتقطات لا ترى بينها فصلاً
شفي وكفى مافي النفوس؛ فلم يدعْ الذي لسن في القول جدًّا ولا هزلاً
سموت إلى العليا بغير مشقةٍ فنلت ذراها لا دنياً ولا وغلاً

[مسلم بن الوليد صريع الغواني]

وقال مسلم بن الوليد :

أعاودُ ما قدمته من رجائها إذا عاودت بالأس فيها المطامعُ
رأتني غني الطرفِ عنها فغرضتُ وهل خفت إلا أن تشير الأصابعُ^(١)
وبازينتها النفسُ لي عن لجانةٍ ولكن جرى فيها الهوى وهو طامعُ
فأقسمتُ أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقعُ^(٢)
فقطتُ بأيديها ثمارَ نخورها كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامعُ^(٣)

وكان مسلم أنصارياً صريحاً ، وشاعراً فصيحاً ، ولقب صريعاً أيضاً لقوله :

سأقناد للذاتِ متبع الهوى لأنصبيهما أو أصيب فتى مثلي
هل العيش إلا أن تروح مع الصبا صريع حمي الكأس والأعين النحلِ

واجتلب له هذا الاسم لأجل هذا البيت ؛ وقد قال القطامي :

صريع غوانٍ راقهنَّ ورُقنهُ لدنُ شبِّ حتى شاب سودُ الذوائبِ

ومسلم أول من لطف البديع ، وكسا المعاني حُلَّ اللفظ الرفيع ، وعليه يعول

الطائي ، وعلى أبي نواس ، ومن بديع شعره الذي امتثله الطائي قوله :

تساقط يُمنَاهُ الندي وشِمَالُهُ السَرْدَى وعيونَ القولِ منطِقُهُ الفضلُ

(١) هكذا في جميع المطبوعات ، وفي ديوان مسلم « رأنتني غني الطرف » (م)

(٢) في نسخة « والسجف رافع » (م) (٣) الجوامع : الكبول والقيود ،

واحدھا جامعة (م)

سُلَاقَةٌ مَا مَجَّتْ لِأَفْرَاحِهَا النَّحْلُ
 مَنْوُطٌ بِهَا الْأَمَالُ ، أَطْنَابُهَا الشُّبُلُ
 يَعُدُّ النَّدى غَنَمًا إِذَا اغْتَنِمَ الْبَخْلُ (١)
 فَأَمْوَالُهُمْ نَهَبٌ وَأَعْرَاضُهُمْ بَسْلُ (٢)
 إِذَا هِيَ حَلَّتْ لَمْ يَفْتِ حَلْمَهَا دَخْلُ (٣)
 وَتَسْتَنْزِلُ النَّعْمَى وَيُسْتَرْعَفُ النَّصْلُ
 إِذَا أَنْتَ زُرْتِ الْفَضْلَ أَوْ أذِنَ الْفَضْلُ

كَانَ نَعْمٌ فِي فِيهِ تَجْرِي مَكَانَهَا
 لَهُ هَضْبَةٌ تَأْوِي إِلَى ظِلِّ بَرَمَكِ
 عَجُولٌ إِلَى أَنْ يُودَعَ الْحَدُّ مَالَهُ
 وَقَدْ حَرَّمَ الْأَعْرَاضَ بِالْبَيْضِ وَالنَّدى
 حُبًّا لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ فِي عَرَصَاتِهَا
 بَكَبَ أَبُو الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطِرُ الْغَنَى
 مَتَى شِئْتَ رَفَعْتَ السُّتُورَ عَنِ الْغَنَى
 وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

فَلَيْسَ يَضُرُّ الْجُودَ أَنْ كُنْتَ مُعْذِمًا
 أَرَدْتَ فَلَمْ أَفْقِرْ إِلَيْهِ بِهِ فَمَا
 جَعَلْتَ إِلَى شُكْرِي نَوَالِكَ سُلْمًا
 لَعَيْرِكَ مِنْ شُكْرِي وَلَا مَتَلُومًا

إِذَا كُنْتَ ذَا نَفْسٍ جَوَادٍ ضَمِيرُهَا
 رَأَى بَعَيْنِ الْجُودِ فَاتَهَزَّ الَّذِي
 ظَلَمْتِكَ إِنْ لَمْ أَجْزَلِ الشُّكْرَ بَعْدَمَا
 فَإِنَّكَ لَمْ يَتْرِكْ نَدَاكَ ذَخِيرَةً
 وَقَالَ لِيَزِيدُ بْنُ مَرْيَدٍ :

كَأَنَّهُ أَجْلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
 كَالْمَوْتِ مُسْتَعْجَلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
 كَالْبَيْتِ يَضْحَى إِلَيْهِ مُلْتَمِي الشُّبُلِ
 يَقْرِي الضُّيُوفَ شُحُومَ الْكُومِ وَالْبُزْلِ (٤)
 وَيَجْعَلُ الْهَامَّ تَيْجَانِ الْقَنَّا الدُّبْلِ
 فَهَنْ يَتَّبَعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَمَحَلٍ

مُوفٍ عَلَى مَهْجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهَجٍ
 يِنَالٌ بِالرَّفْقِ مَا يَتِيمًا الرِّجَالُ بِهِ
 لَا يَرَحُلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حَجْرَتِهِ
 يَقْرِي الْمَنِيَّةَ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ كَمَا
 يَكْسُو السُّيُوفَ رَهْوسَ النَّا كَثِينِ بِهِ
 قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقَنَ بِهَا
 وَهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ .

(١) فِي نَسْخَةِ « إِلَى أَنْ يُودَعَ الْحَرُّ مَالَهُ ، يَعِدُ النَّدى بِجَلَا » (م) .
 (٢) بَسْلٌ - بِالْفَتْحِ - أَيْ حَرَامٌ (م) . (٣) حَبَا : جَمْعُ حَوَّةٍ ، وَهِيَ أَنْ
 تَجْمَعُ الرَّجُلَ سَاقِيَهُ إِلَى ظَهْرِهِ بِشَوْبِهِ أَوْ يَدَيْهِ ، وَوَقَعَ فِي نَسْخَةِ « حَبَالًا يَطِيرُ الْجَهْلُ »
 تَحْرِيفٌ ، وَالذَّحْلُ : النَّارُ (م) . (٤) الْكُومَاءُ : النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ السَّنَامُ ،
 وَالْكُومُ جَمْعُهَا ، وَالْبُزْلُ : جَمْعُ بَازِلٍ وَهُوَ الْجَمَلُ الَّذِي تَمَّ لَهُ تَسْعَةُ أَوَامٍ (م) .

[من شعر أبي نواس]

قال عمرو الوراق: سمعت أبا نواس ينشد قصيدته :

أيها المتتاب عن عُفْرِهِ لستَ من لَيْلِي ولا سَمَرِهِ
لا أذودُ الطَيْرَ عن شَجَرِهِ قد بلوتُ المرَّ من ثَمَرِهِ
فحسدته عليها ، فلما بلغ إلى قوله :

وإذا مَجَّ القنا عَلمًا وتراءى الموتُ في صُورِهِ
راحَ في ثَنبِي مُفاضته أسدٌ يَدْمِي شَبَا ظُفْرِهِ
تتأني الطير غزوته ثقةً بالشُّبُع من جَزَرِهِ
تحت ظلِّ الرمحِ تتبعهُ فهي تلعوهُ على أَرِهِ

فقلت : ما تركت للناطقة شيئاً حيث يقول :

إذا ما غزوا بال جيش خلق فوقهم عصابُ طيرٍ تهتدي بمصائب
جوانح قد أيقن أن قبيلهُ إذا ما التقي الجمعان أولُ غالب
فقال: اسكت ، فلئن أحسن الاختراع ، لما أسأت الاتباع .

أخذه الطائي فقال :

وقد ظللت عِقبانُ راياته ضُحَى بعقبانِ طيرٍ في الدماءِ نواهِلِ
أقامتُ على الراياتِ حتى كأنها من الجيشِ إلا أنهم لم تقاتلِ
[وصف جيش]

وقال المتنبي يصف جيشاً :

وذى جَبِّ لاذو الجناحِ أمامهُ بناجٍ ، ولا الوخشُ الثَّارُ يسالمِ
تمرُّ عليه الشمسُ وهي ضِعيرةٌ تُطالعه من بين ريشِ القشاعِمِ
إذا ضَوَّها لافى من الطيرِ فرجةً تدورُ فوق البيضِ مثل الدرهمِ

[شِعْبُ بَوَّان]

ونظير قول أبي الطيب في هذا البيت وإن لم يكن في معناه قوله يصف
شِعْبُ بَوَّان ، وسيأتي ، وفي هذا الشَّعْب يقول أبو العباس المبرد : كنت مع
مع الحسين بن رجاء بفارس ؛ فخرجتُ إلى شِعْبِ بَوَّان ، فنظرتُ إلى تَرْبَةٍ كأنها
الكافور ، ورياض كأنها الثوب الموشى ، وماء ينحدر كأنه سَلَالِيلُ الفضة ، على
حصباء كأنها حَصَى الدر ؛ فجعلت أطوف في حَنَابِئِهَا ، وأدور في عَرَصَاتِهَا ،
فإذا في بعض جدرانها مكتوب :

إذا أشرف المكروبُ من رأسٍ تَلَعَةً	على شِعْبِ بَوَّان أفاق من الكَرْبِ
وألهاه بطنٌ كالحريرٍ لَطَافَةً	ومطرٌ دِيجَرِيٌّ من البارد العَذْبِ (١)
وطيبٌ رياضٍ في بلادٍ مَرِيعةٍ	وأغصانٌ أشجارٍ جَنَاهَا على قُرْبِ (٢)
يُدِيرُ عَلَيْنَا الكاسَ من لولِحَظَّتْهُ	بعينك ما لُمْتَ الحَمِينِ في الحَبِ
فبِاللهِ يارِيحُ الشمالِ تَحْمَلِي	إلى شِعْبِ بَوَّانِ سَلامَ فَنَتِي صَبِّ (٣)
قال أبو العباس : فأخبرت سليمان بن وهب بما رأيت ، فقال : وقد رأيت تحت هذه الأبيات :	

ليت شعري عن الذين تركنا	خَلَفْنَا بِالعِراقِ هل ذَكَرُونَا؟
أم يكون المدى تطاول حتى	قَدَّمَ العَهْدُ بَيْنَنَا فذَسُونَا (٤)
إن جفوا حرمة الصفاء فينا	لَهُمْ في الهوى كما عهدونا
وشعر المتنبي :	

مَعَانِي الشَّعْبِ طيباً في المَعَانِي	بِمَنْزِلَةِ الرِّبيعِ من الزَّمانِ
ولكنَّ الفَتَى العَرَبِيَّ فيها	غَرِيبُ الوِجْهِ وَاليدِ وَاللِّسانِ
مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لو سار فيها	سَليمانُ لَسارِ بترجمانِ
طَمَّتْ فُرُساننا وَالخيلِ حتى	خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمْنَ مِنَ الحِرانِ

(١) في الأملی (٣ / ١٢٨) « كالحريرة مسه » (م) .
(٢) وفيه « وطيب نهار في رياض أريضة » (م) . وفيه « فباقة يا ربيع
الجنوب (م) . (٤) وفيه « أم لعل المدى تطاول » (م) .

غدونا تَنْفُضُ الْأَغْصَانُ فِيهِ عَلَى أَعْرَافِهَا مِثْلَ الْجُمَانِ
فَجِئْتُ وَقَدْ حَجَبَنِ الشَّمْسَ عَنِّي وَجِئْتُ مِنَ الصِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي
وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي بِنَائِي دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبِنَانِ
[ومنها:]

يَقُولُ بِشَعْبِ بَوَّانِ حِصَانِي أَعَنْ هَذَا يُسَارُ إِلَى الطَّعَانِ؟
أَبُوكُمْ آدَمُ سَنَّ الْمَعَاصِي رَعَلَمَكُمْ مُفَارَقَةُ الْجِنَانِ [

إِنَّمَا أَرَدْتُ هَذَا الْبَيْتَ . وَمِنْهَا :
لَهَا تَمَرٌ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرَبَةٍ وَقَفْنَ بِلَا أَوَانِي
وَأُمُوءَةٌ يَصِلُ بِهَا حِصَاهَا صَلِيلَ الْخَلِي فِي أَيْدِي الْعَوَانِي
[رَخِعْ إِلَى وَصْفِ الْجَيْشِ]

وأول من ابتكر هذا المعنى الأول الأفوه الأودى في قوله :

وأرى الطير على آثارنا رَأَى عَيْنَ ثِقَةٍ أَنْ سَتَّارًا^(١)
وقال حميد بن ثور وذَكَرَ ذُبَابًا :

إذا ما غدا يوماً رأيتُ غِيَابَةَ مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُونَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ^(٢)
فهمم بأمرٍ تم أزمع غيره وَإِنْ ضَاقَ أَمْرٌ مَرَّةً فَهُوَ وَاسِعُ
وقال مسلم بن الوليد :

وإني لأستحي القنوع ومذهبي فَسَيْحٌ وَأَقْلَى الشَّحِّ إِلا عَلَى عِرْضِي
وما كان مثلي يعتريك رجأؤه وَلَكِنْ أَسَاءَتْ نِعْمَةٌ مِنْ فَتَى مَحْضِي
وإني وإشرافي عليك بهمتي لَكَابِتَغَى زُبْدًا مِنَ الْمَاءِ بِالْمَخْضِ
أخذه أبو عثمان الناجم فقال :

لم تُحْصَلْ بِمَخْضِكَ الْمَاءَ إِلا زُبْدًا حِينَ رَمَتْ بِالْجَهْلِ زُبْدًا

(١) سَمَارٌ : أَي سَتَّالُ الْمِيرَةِ ، وَالْمِيرَةُ - بِكسْرِ الْمِيمِ - الطَّعَامُ (م) .

(٢) فِي نَسْخَةِ « إِذَا مَا عَزَّوَا يَوْمًا » ، وَفِي أُخْرَى « إِذَا مَا عَوَى يَوْمًا رَأَيْتُ

غَمَامَةً » (م) .

[وصف وسفينة]

وقال مسلم أيضاً يصف السفينة :

كشفت أهاويل الدجى عن مهوولِهِ
إذا أقبلت راعت بقنة قرههيب
بجارية محمولة حاملي بكر
وإن أدبرت راعت بقادمتي نسر^(١)
وأطلت بمجدافين يعمورانها
نسيم الصبا تحكى بها حين واجهت
وقومها كبحج اللجام من الدبر
كان الصبا تحكى بها حين واجهت

[مما قيل في وصف الأساطيل]

وقال أبو القاسم بن هانيء يصف أسطول المعز بالله :

لابن هانيء
يصف أسطول
المعز الفاطمي

أما والجواري المنشآت التي سمرت
قِبابٌ كما تُرَخَى القِبابُ على المَها
لقد ظاهرتها عُدَّةٌ وَعَدِيدُ
ولكنَّ من ضُمَّتْ عليه أُسودُ
[وما راع ملك الروم إلا اطلاعها
ولله مما لا يرون كتائبُ
فمن وقفت خلف الصفوفِ رُدودُ^(٢)
وأن النجوم الطالعَاتِ سعُودُ
له بارقاتٌ جَمَّةٌ ورُعُودُ^(٣)
لِعزمك بأسٌ أو لِكَفِّكَ جودُ
بنالا على غير العراءِ مَشِيدُ
وليس لها إلا النفوسِ مَصِيدُ]
وليس بأعلى كِبكب وهو اهقُ
من الراسياتِ الشَّم لولا انتقالها
من القادحاتِ النارِ تُضرمُ للصَّلَى
فليس لها يومَ اللقاءِ خمُودُ^(٤)

- (١) في نسخة « بقنة قرهد » والقرهد : الثور ، والقرهد : ولد الأسد أو ولد الوعل (م) . (٢) ردود : جمع ردس بكر الراء وهو كل ما اعتمدت عليه ورجعت إليه (م) (٣) الصبير - بفتح الصاد - السحاب المتراكم بعضه فوق بعض (م) (٤) الريود : جمع ريد ، وهو القطعة من الجبل (م)

إِذَا زَفَرَتْ غِيظًا تَرَامَتْ بِمَارِجٍ
تَمَانِقُ مَوْجِ الْبَحْرِ حَتَّى كَأَنَّهُ
تَرَى الْمَاءَ فِيهَا وَهُوَ قَانَ خِضَابَهُ
فَأَنفَاسُهُنَّ الْحَامِيَاتُ صَوَاعِقُ
يُشَبُّ لَالِ الْجَلْمَاتِلِقِ سَعِيرُهَا
لَهَا شَعْلٌ فَوْقَ الْعِمَارِ كَأَنَّهَا
وغير المذاكي جُرْهَا غَيْرَ أَنَّهَا
فليس لها إلا الرياحَ أَعْنَةً
تَرَى كُلَّ قُودَاءِ التَّلِيلِ كَمَا انْتَدَتْ
رَحِيبةٌ مَدَّ البَاعِ وَهِيَ نَضِيجةٌ
تَكْتَبِرُنَّ عَنِ نَقْعِ يُنَارِ كَأَنَّهَا
لَهَا مِنْ شُفُوفِ الْعَبْقَرِيِّ مَلَابِسٌ
كَمَا اشْتَمَلَتْ فَوْقَ الْأَرَائِكِ خُرْدٌ
لبوسٌ تَكْفُ الْمَوْجِ وَهُوَ غَطَامِطٌ
فِنَّهُ دَرُوعٌ فَوْقَهَا وَجِوَاثِنٌ
وقال علي بن محمد الإيادي يصف أسطول القائم فأجاد ما أراد :

لعل الإيادي
يصف أسطول
القائم

أَعْجَبَ لِأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
لَيْسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ
مَنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ
دَهْمَاءَ قَدْ لَيْسَتْ ثِيَابَ تَصْنَعُ
وَلِحْسَنِهِ وَزَمَانَهُ الْمُسْتَعْرَبِ
يَبْدُو لَمَعِينَ النَّاطِرِ الْمُتَعَجِّبِ
إِشْرَافِ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُتَنْصِبِ
تَسْبِي الْعُقُولِ عَلَى ثِيَابِ تَرْتَبِ

(١) السليط - بفتح السين - الزيت ، والذبال : جمع ذبالة (م)

(٢) الردع : الزعفران ، والحلوق - بفتح الحاء - ضرب من الطيب (م)

(٣) الكديد - بفتح الكاف - الأرض الصلبة (م) (٤) قوداء التليل : طويلة العنق (م)

من كل أبيض في الهواء منشّر
 كملاءة في البر يقطع شدّها
 محفوفة بمجاذف مصفوفة
 كقوادم النسر المرفرف عرّيت
 تحتها أيدي الرجال إذا وئت
 خرقاء تذهب إن يد لم تهدها
 جوفاء تحمل موكباً في جوفها
 ولها جناح يستعار يطيرها
 يغلو بها حدب العباب مطارة
 تسمو بأجرد في الهواء متوجّج
 ينزل الملاح منه ذوابة
 فكأنما رام استراقة مقعد
 وكأنما جنّ ابن داود هم
 سجروا جواجم ناريها فتقاذفوا
 من كل مسجور الحريق إذا انبرى
 عريان يقدمه الدخان كأنه
 ولواحق مثل الأهلة جنح
 يذهبن فيما بينهن لطافة
 كنضائض الحيات رحن لواعباً
 شرعوا جوانبها مجاذف أتعبت
 منها وأسحمت في الخليج مُعَيَّب^(١)
 في البحر أنفاسُ الرياح الشدّب
 في جانبيين دُونِ صُلبِ صُلبِ
 من كاسيات ريشه المتهدّب
 بمصتد منه بُعِيدُ مَصَوَّبِ^(٢)
 في كل أوبٍ للرياح ومدّه
 يوم الرهان وتستقلّ بموكب
 طوعَ الرياح وراحه المتطرب
 في كل لج زاخر مُغْلَوْلِبِ
 عريان منسوج الذوابة شوذّب^(٣)
 لورام يركبها القطّ لم يركب
 للسمع إلا أنه لم يشهب^(٤)
 ركبوا جوانبها بأعنف مرّكب
 منها بالسُنّ مارِج متلهّب
 من سجنه انصلت انصلات الكوكب
 صبحٌ يكرّ على الظلام الغيّه
 لحق المطاب فائدات المهرّب
 ويحئن فعل الطائر المتغلب
 حتى يقعن بيرك ماء الميزب
 شأو الرياح لها ولما تتعب

(١) الأسحمت : الأسود (م)

(٢) تحتها : تحملها على السرعة ، وونت : فترت (م)

(٣) الشوذب من الرجال : الطويل الحسن الخلق (م)

(٤) لم يشهب : لم يرم بالشهاب ، يشير إلى قوله تعالى : (فاتبعه شهاب ثاقب

تنصاع من كُتِبَ كما نفر القَطَاً طوراً ، وتجتمع اجتماعَ الربِّ ربِّ (١)
والبحرُ يجمع بينها فكأنه ليلٌ يقربُ عقرباً من عقرب
وعلى كواكبها أسود خِلافةً تختالُ في عدد السلاح المذهب
فكأنما البحرُ استعار بزيمهم ثوبَ الجمال من الربيع المعجب

[من لطائف التودد]

كتب العباس (٢) بن جرير إلى الفضل بن يحيى :

لا أعلم منزلةً توحشني من الأمير ولا توحشه مني ؛ لأنني في المودة له كنفسه ،
وفي الطاعة ككيده ، وإنما أَلِطُهُ من فضله ، وقد بعثت بعض ما ظننت أنه يحتاج
إليه في سفره . وذاكر ما بعث .

وكتب غيره في هذا المعنى : إذا كان اللطف دليل محبة ، وميسم قرابة ،
كفي قليله عن كثيره ، وناب يسيره عن خطيره ، لا سيما إذا كان المقصود به
ذاهمة لا يستعظم نفيساً ، ولا يستصغر خسيساً ؛ وقد حُرِّت من هذه الصفة أجل
فضائلها ، وأرفع منازلها .

وفي هذا المعنى : إن يد الأُنس طويلة بكل ما بلغت ، منبسطة بكل
ما أدركت ، من حيث يد الحشمة قصيرة عن كل ما حوت ، مقبوضة دون
ما أملت ؛ لأن باب القول مطلق لذوى الخصوص (٣) ، محظور عند ذوى المهموم ،
ولتمسكن ما بيننا عاطيتك من لطفى مالا دونه قلة ، ثقةً منك بأنه يرد على
مالا فوقه كثرة .

(١) الربرب — بوزن جعفر — جماعة بقر الوحش (م)

(٢) في نسخة « أبو العباس » (م) (٣) في نسخة « لذوى الحظوظ » (م)

ومن أفاظ أهل العصر في إقامة رسم الهدية في المهرجان والنيروز

لمثل هذا اليوم الجديد والأوان السعيد سنة ، وعلى مثلى فيها أن يتحف
ويُلفظ ، وعلى مثل سيدنا ، ولا مثل له ، أن يقبل ويشرف . لليوم رسم إن
أخل به الأولياء عُد هفوة ، وإن منع منه الرؤساء حسب جفوة ، ومولاي
يسوغنى الدالة فيما اقترن بالرقعة ، ويكسبني بذلك الشرف والرفعة . الهدايا
تكون من الرؤساء مكاثرة بالفضل ، ومن النظراء مقارضة بالمثل ، ومن الأولياء
ملاطفة بالقل^(١) ، وقد سلكت في هذا اليوم مع مولاي سبيل أهل طبقتهم من
الأرباب ، وقد حملت إلى مولاي هدية [الملائف ، لا هدية] المحتفل ،
والنفس له ، والمال منه .

ولهلم في التهئة بالنيروز والمهرجان وفصل الربيع

هذا اليوم غرة في أيام الدهر ، وتاج على مفرق العصر . أسعد الله مولانا
بنوروزَه الوارد عليه ، وأعاد ما شاء وكيف شاء إليه . أسعد الله تعالى سيدنا بالنوروز
الطالع عليه ببركاته ، وأيمن طائرَه في جميع أيامه ومتصرفاته ؛ ولا يزال يلبس
الأيام ويُبليها وهو جديد ، ويقطع مسافة نحسها وسعدنا وهو سعيد . أقبل
النيروز إلى سيدنا ناشراً حُلله التي استعارها من شيمته ، ومُبديا حالته^(٢) التي
اتخذها من سحيتته ، ومستصحبا من أنواره ما اكتسبه من محاسن فضله وإكرامه ،
ومن أنظاره ما اقتبس من جوده وإنعامه . ويؤكد الوعد بطول بقائه حتى يمل العمر ،
ويستغرق الدهر . سيدنا هو الربيع الذي لا يذبل شجره ، [ولا يزول سحره]
ولا ينقطع ثمره ، ولا يُقلع غمامه ، ولا تتبدل أيامه ؛ فأسعد الله تعالى بهذا

(١) القل — بضم القاف وتشديد اللام — القليل (م)

(٢) في نسخة « ومبديا حليته » (م)

الربيع المتشبه بأخلاقه ، وإن لم ينل قدرها ، ولم يحمل فضلها ، ولم يجد بداً من الإقرار بها . سيدنا هو الربيع الذي يتصل مطرُه ، من حيث يؤمن ضرره ، ويدوم زهرُه ، من حيث يتعجل ثمرُه ؛ فلا زال آمراً ناهياً ، قاهراً عالياً ، تهياً الأعياد بمصادفة سلطانه ، وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه . لئمد الله سيدنا بهذا التوروز الحاضر ، الجديد الناضر ، سعادة تستمر له في جميع أيامه على العموم دون الخصوص ، لتكون متشابهات [في اكتناف] المواهب لها ، واتصال المسار فيها ، لا يفرق إلا بمقدار يزيد التالي على الخالي ، ويدرج الآنى على الماضى . عرف الله سيدنا بركة هذا المهرجان ، وأسعده فيه ، وفي كل زمان وأوان ، وأبقاه ما شاء في ظلال الأمان والأمان . هذا اليوم من محاسن الدهر المشهورة ، وفضائل الأزمنة المذكورة ، فلقى الله تعالى سيدنا بركة ووروده ، وأجزل حظه من أقسام سعوده ، هذا اليوم من غرر الدهور ، وهوامم السرور ، معظم في الملك الفارسى ، مستظرف في الملك العربى : فوفر الله تعالى فيه على مولاي السعادات ، وعرفه في أيامه البركات ، على الساعات واللحظات .

[الصفات التي تلم في رجل الشرطة]

وقال الحجاج بن يوسف : دلوني على رجل للشرطة ، فقيل : أى رجل تريد ؟ فقال : أريد رجلاً دائماً العبوس ، طويل الجلوس ، سمين الأمانة ، أعجف الخيانة^(١) ، يهون عليه سبب الشريف في الشفاعة^(٢) . فقالوا : عليك بعبد الرحمن [بن عبد الله] التميمي ، فأرسل إليه يستعمله ، فقال : لست أعمل لك عملاً إلا أن تكفيني ولدك ، وأهل بيتك ، وعيالك وحاشيتك ، فقال : يا غلام ناد : مَنْ طلب إليه حاجة منهم فقد برئت منه الذمة .

(١) أعجف الخيانة : مهزولها وضعيفها ، والمراد أنه عديم الخيانة (م)

(٢) في نسخة «يهون عليه سبب الشريف» وفي أخرى «سبب الأشراف» (م)

لأشجع السلمي
يمدح صاحب
شرطة الرشيد

وقال أشجع بن عمرو السلمى يمدحُ في هذا المعنى إبراهيم بن عثمان بن نهبك صاحب شرطة الرشيد، وكان جباراً عنيداً :

في سيف إبراهيم خوفٌ واقعٌ بدوى النفاق ، وفيه أمنُ المسلم
وبيت بكلاً والعيونُ هواجعٌ مالَ المصيع ومُهجةَ المستسلم
شَدَّ الخطامَ بأنف كلِّ مخالفٍ حتى استقام له الذى لم يُخطم
لا يَصْلِحُ السلطانَ إلا شدةٌ نغشى البرى بفضلِ ذنبِ المجرم
ومنَ الولاةِ مُفجَّحٌ لا يتقى والسيفُ تَقَطَّرُ شَفْرَتَاهُ من الدم (١)
منعت مهابتك النفوسَ حديثها بالأمر تكرهه وإن لم تعلم

[من كلام الأعراب]

أعرابية تلوم
أباها في الجود

عدلت أعرابية أباها في الجود وإتلاف ماله ، فقالت : حبس المال ، أنفعُ للعِيال ، من بذل الوجه في السؤال ؛ فقد قلَّ النوالُ ، وكثر البُخَالُ ، وقد أتلفت الطاريفَ والتلاد ، وبقيت تطلبُ ما في أيدي العباد . ومن لم يحفظ ما ينفعه ، أوشك أن يسعى فيما يضرّه .

دعوة أعرابية

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : اللهم ارزُقني عمل الخائفين ، وخوف العاملين ، حتى أتنعم بترك التنعم ، رجاء لما وعدت ، وخوفا مما أوعدت .

وقال آخر : اللهم من أراد بنا سوءاً فأحطه به كإحاطة القلائد ، بأعناق الولائد ، وأرسخه على هامته ، كرسوخ السجيل ، على هام أصحاب القيل وقال بعض الأعراب : نالنا وشيئاً ، وخلفه ولئ (٢) ؛ فالأرضُ كأنها وشيئٌ [عبرى] ؛ ثم أتتنا غيوم جرّاد ، بمناجل حدّاد ؛ فخرّبت البلاد ، وأهلكت العباد ؛ فسبحان من يهلك القوى الأكل . بالضعيف المأكول .

(١) يروى « ومن الولاة مقحم » والمقحم - بزنة المعظم - الذى يقحم نفسه فى

الأموار (م) (٢) الوسمى : أول المطر ، والولى : المطر يتبع المطر (م)

[مع الولاة والخلفاء]

السفاح
وعمارة بن
حمزة

وقال عمارة بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أمر له بجواز نفيسه ، وكسوة وصلة ، وأذن مجلسه - : وصلتك الله يا أمير المؤمنين وبرك ، فوالله لئن أردنا شكرك على كونه صلتك ، فإن الشكر ليقصر عن نعمتك ، كما قصرنا عن منزلتك ؛ غير أن الله تعالى جعل لك فضلا علينا بالتقصير منا ، ولم تحرمنا الزيادة منك لتقصير شكرنا .

السفاح وخالد
بن صفوان

وقال أبو العباس السفاح لخالد بن صفوان : كيف علمك بأخوالي بني الحارث ابن كعب ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، هم هامة الشرف ، وعززين الكرم ، وفيهم خصال ليست في غيرهم من قومهم ، هم أحسنهم أمما ، وأكرمهم شيئا ، وأهنأهم طبا ، وأوفاهم ذمما ، وأبعدهم همما ، هم الجمة في الحرب ، والرأس في كل خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب (١) .

عمر بن
عبد العزيز
وخالد
بن صفوان

وعزى خالد بن صفوان عمر بن عبد العزيز وهنأه بالخلافة ، فقال : الحمد لله الذي من على الخلق بك ، والحمد لله الذي جعل نبوتكم رحمة ، وخلافتكم عصمة ، ومصائبكم أسوة ، وجعلكم قدوة .

وقال خالد بن صفوان لبعض الولاة : قدمت وأعطيت كلاً بقطه من نظرك ومجلسك ، في صوتك وعدلك ، حتى كأنك من كل أحد ، وحتى كأنك لست من أحد .

وقال رجل لخالد : إن أباك كان دميما ، ولكنه كان حليما ، وإن أمك كانت حسناء ، ولكنها كانت رعناء ، فيا جامع شر أبويه !

شذور في المقامح ومساوي الأخلاق

على بن عبيدة الريماني - أذنب شعار المرء جهله .

(١) العجب - بفتح العين وسكون الجيم - أصل الدنب ، وهو أيضا مؤخر كل شيء (م)

(٢) الديميم - بالدار المهملة - القبيح الشكل ، ووقع في نسخة «دميما» تطبيع (م)

ابن المعتز - نعم الجاهل ، كالرياض في المزابيل . كلما حسنتُ نعمةَ الجاهل ازداد فيها قبْحًا . لسانُ الجاهل مفتاحُ حتفه . لا ترى الجاهل إلا مُفَرطاً أو مُفَرطاً . الجاحظ - البخلُ والجبنُ غريزةٌ واحدةٌ ، يجمعهما سوء الظن بالله . البخلُ يهدمُ مباني الشرف .

وقال ابن المعتز : لما عرف أهلُ النقصِ حالهم عند ذوى السكّال ، استعانوا بالكبير ليعظم صغيراً ، ويرفع حقيراً ، وليس ينفعُ الطمع في وثاق الذل . الغضب يصدى العقل حتى لا يرى صاحبه صورةَ حسنٍ فيرتكبه ، ولا صورةَ قبيحٍ فيجتنبه . الغضبُ ينبيء عن كامن الحقد . من أطاع غضبه أضاع أدبه . حدّةُ الغضب تعثر المنطق^(١) ، وتقطع مادةَ الحجّة ، وتفرق الفهم^(٢) . غضب الجاهل في قوله ، وغضبُ العاقل في فعله . عقوبةُ الغضب تبدأ بالغضببان : تقبّح صورته ، وتلمّ دينه ، وتعجل ندمه . ما أقيح الاستطالة^(٣) عند الغنى ، والخضوع عند الفقر . من يهتك ستر غيره تكشف عورات بيته . نفاق المرء من ذلّه الشرير لا يظنُّ بالناس خيراً لأنه يراهم بعين طبيعه . من عدد نعمة محق كرمه . خلف الوعد خلق الوعد ، من أسرع كثر عثاره .

[من المفاخرات]

فاخر كاتبٌ نديماً ، فقال الكاتب : أنا معونة ، وأنت مؤنة ؛ وأنا للجد ، وأنت للهزل ؛ وأنا للشدّة وأنت للذّة ؛ وأنا للحزب ، وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة ، وأنت للخدّمة ؛ وأنا للحضرة ، وأنت للمهنة ؛ تقوم وأنا جالس ، وتحشم وأنا مؤانس ؛ تدأب لراحتي ، وتشقى لسعادتي ؛ فأنا شريك ، وأنت معين ، كما أنك تابع ، وأنا قرين .

بين كاتب
ونديم

(١) في نسخة «تغير المنطق» (م) (٢) تفرق الفهم : تبيده (م)

(٣) الاستطالة : التكبر (م)

وفاخر صاحبُ سيفٍ صاحبُ قلمٍ ، فقال صاحبُ القلمِ : أنا أقتل بلا غررٍ ،
وأنت تقتل على خطرٍ . فقال صاحبُ السيفِ : القلمُ خادمُ السيفِ إن تم مراده ،
وإلا فإلى السيفِ معاده .
قال أبو تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حدِّه الحدُّ بين الجسدِ واللعبِ
إبراهيم بن المهدي :

فقد تلينُ ببعضِ القولِ تَبْدُلُهُ والوصلُ في جبلِ صَعْبٍ مَرَاقِيهِ
كالخيزرانِ مَنيعٌ حينَ تكسيرِهِ وقد يُرى لَيْثًا في كَفِّ لَأْوِيهِ
أبو الهيثم (١) عاصر بن عمارة المرثي يرثي :

لأبي الهيثم
المرثي يرثي

سأبكيك بالبيضِ الرقاقِ وبالقنأ فإن بها ما أدرك الواترُ الوترًا
ولسنا كمن يبكي أخاه بعبرةٍ يعصرها من ماء مُقْلَتِهِ عَصْرًا
ولكنني أشفي فؤادي بغمرةٍ وأهب في قُطْرِي جوانبه جَمْرًا
وإنا أناسٌ ما تَفِيضُ دموعنا على هالكٍ منا وإن قَصَمَ الظهْرًا

[من وصايا الحكماء]

لقي رجل حكيمًا فقال : كيف ترى الدهر؟ قال : يُخْلِقُ الأبدانَ ، ويَجْدُدُ
الآمالَ ، ويقربُ المنيةَ ، ويباعدُ الأمنيةَ . قال : فما حالُ أهله؟ قال : من ظفر
به منهم تعب ، ومن فاتته نصيب . قال : فما الغنى عنه؟ قال : قطعُ الرجاءِ منه ،
قال : فأى الأصحابِ أبرُّ وأوفى؟ قال : العملُ الصالحُ والتقوى . قال : أيهم أضرُّ
وأرْدَى (٢)؟ قال : النفسُ والهوى ، قال : فأين الخرجُ؟ قال : سلوكُ المنهَجِ . قال :
وما هو؟ قال : بذلُ المجهودِ ، وتركُ الراحةِ ، ومداومةُ الفكرةِ . قال : أوصني .
قال : قد فعلت .

(١) في نسخة «أبو الهندام» وفي أخرى «أبو الهيثم» (م)

(٢) أردى : أشدردى ، والردي - بوزن الفتي - الهلاك (م)

وقال بعضُ الملوكِ الحكيمِ من حكمائه : عِظْنِي بِعِظَةِ تَنْفِي عَنِي الْخِيَلَاءِ^(١) ،
وتزهدني في الدنيا . قال : فَفَكَّرْ فِي خُلُقِكَ ، وَاذْكُرْ مَبْدَأَكَ وَمَصِيرَكَ ، فَإِذَا
فعلت ذلك صَغَرَتْ عِنْدَكَ نَفْسُكَ ، وَعَظُمَ بِصَغَرِهَا عِنْدَكَ عَقْلُكَ ؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ
أَنْفَعَهُمَا لَكَ عِظًا ، وَالنَّفْسَ أَرْزَيْنَهُمَا لَكَ صِغَرًا ؛ قال الملك : فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ يُعِينُ
عَلَى الْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ فَصَفْتِكَ هَذِهِ . قال : صفتي دليل ، وفهمك محجة ، والعلم
علية^(٢) ، والعمل مطية ، والإخلاص زمامها ، فخذْ لعقلك بما يزينه من العلم ، وللعلم
بما يَصُونُهُ من العمل ، وللعمل بما يحققه من الإخلاص ، وأنت أنت !
قال : صدقت .

[من المدح]

وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

تَعَنَوْنَ عَنْ كُلِّ تَقْرِيطٍ بِمَجْدِكُمْ
غَفَى الطِّبَاءُ عَنِ التَّكْحِيلِ بِالسَّكْحَلِ
تَلُوحُ فِي دُولِ الْأَيَّامِ دَوْلَتِكُمْ
كَأَنَّهَا مَبْلَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَلَلِ
وقال أيضاً :

كُلُّ الْخِلْصَالِ الَّتِي فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ
تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخَلْقُ
كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأَتْرُجِ طَابَ مَعَا
تَحْمَلًا وَنَوْرًا ، وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ
وقال البستي [في نحو هذا] :

لأبي الفتح
البستي

فَتَى جَمَعَ الْعُلِيَاءَ عِلْمًا وَعِفَّةً
وَبَأْسًا وَجُودًا لَا يَفِيقُ فُوقًا
كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأَتْرُجِ طَابَ مَعَا
وَرَأْحَةً مَحْبُوبَةً وَمَدَاقًا
قال أبو العباس المبرد : حدثني عجل بن أبي دلف قال : امتدح رجلٌ أبي
بكلمةٍ ، فوصله بنخمسة مائة دينار ولم يره ، وهي :

في مدح
أبي دلف

(١) الخيلاء : السكبر (م)

(٢) في نسخة « والعلم حيلة » وفي أخرى « والعلم حلية » (م)

مَالِي وَمَالِكٍ قَدْ كَلَفْتَنِي شَطَطًا حمل السلاح وقول الدَّارِ عَيْنِ قَفِ
 أَمِنْ رِجَالِ الْمَنَائِي خَلَفْتَنِي رَجَلًا أُمْسِي وَأَصْبِحُ مُشْتَقًا إِلَى التَّلَفِ
 أَرَى الْمَنَائِي عَلَى غَيْرِي فَأَكْرَهَهَا فَكَيْفَ أُمْسِي إِلَيْهَا بَارِزَ الْكَتِفِ
 أَخَلَّتْ أَنْ سَوَادَ اللَّيْلِ غَيْرَنِي وَأَنْ قَلْبِي فِي جَنْبِي أُنِي دَلْفِ
 قلت: هذا كحديث الذي دخل في قومٍ على شراب فسقوه غير الشراب الذي

يشربون ، فقال :

نبيذان في مجلس واحد لإيثار مُثْرٍ على مُقْتَرِ
 فلو كنتَ تفعل فعلَ الكرام فعلت كفعل أبي البختري
 تَدْبِعَ إِخْوَانَهُ فِي الْبِلَادِ فأغنى المقلَّ عن المكثِرِ
 فاتصل شعره بأبي البختري فأعطاه ألف دينار ولم يره .

[أحمد بن أبي فنن]

والأبيات التي مُدِح بها أبو دلف هي لأحمد بن أبي فنن^(١) ، وكان شاعراً
 مجيداً ، وهو القائل :

ولما أبتَ عَيْنَايَ أَنْ تَمْلِكَ الْبُكْيَ وَأَنْ تَجْبَسَا سَحَّ الدَّمِوعِ السَّوَابِ^(٢)
 تَفَاءَبَتْ كِي لَا يُنْكِرُ الدَّمْعَ مَنَكِرُ وَلَكِنْ قَلِيلاً مَا بَقَاءَ التَّشَاؤُبِ^(٣)
 أَعْرَضْتَنِي لِلْهُوَى وَنَمَمْتَا عَلَى ؟ لِبَأْسِ الصَّاحِبَانِ لِصَاحِبِ
 وقال :

وحياة هجركَ غير معتمدٍ إِلَّا لِقَصْدِ الْحِنْتِ فِي الْخَلْفِ
 مَا أَنْتَ أَمْلَحُ مَنْ رَأَيْتَ وَلَا كَلَفِي بِجَبِّكَ مُنْتَهَى كَلَفِي

(١) في نسخة «أحمد بن أبي العيناء» وانظر اللآلي لأبي عبيد البكري (١٩٧) (م)

(٢) في اللآلي «أن تملك البكي» ويروي «أن تقفا البكي»

(٣) «ما» في قوله «قليلاً» صفة لقليل ، وفي نسخة «ما يفيد التشاؤب» وليس بشيء ، وكان من حق العربية أن يقول «ولكن قليل ما بقاء التشاؤب» ولما ذكر وجه ليس هو المهيح .

قال الصولي : كنا بحضرة أبي العباس المبرد فأنشد هذين البيتين فاستظرفهما
وأشدنا في ذلك :

وحياة غيرك غير معتمد به حينئذ ولكن معظماً لحياتك^(١)

ما ينقض طمعي وإن أطمعتني في الوعد منك إلى اقتضاء عداتك^(٢)

وقال الخنعمي :

ولم أر مثل الصدد أدمى إلى الهوى إذا كان ممن لا يخاف على وصل

وآلت يميناً كالزجاج رقيقة وما حلفت إلا لتحنث من أجلي

وكان أحمد بن أبي فنن أسود ، ولذلك قال :

* أحلت أن سواد الليل غيرني *

ولما أدخل على المعتز وامتدحه قال : هذا الشاعر الآدم^(٣) ، قال بعض من حضر :

لا يضره سواده مع بياض أيديك عنده ، قال : أجل ، ووصله .

أخذ قوله :

* أرى المنايا على غيري فأكرهها *

من قول أعرابي قيل له : ألا تغزو ؟ قال : أنا والله أكره الموت على فراشي ،

فكيف أمشي إليه ركضاً ؟

[الاستطراد]

وهذا المذهب الذي سلكه أحمد ضرب من البديع يسمى الاستطراد، وذلك

أن الفارس يظهر أنه يستطرد شيئاً ويُبطنُ غيره ، فيكفرُ عليه ، وكذلك هذا

(١) في نسخة «وحياة عزك» (م)

(٢) العداة : جمع عدة ، بمعنى الوعد ، واقتضاؤها : طلب إنجازها (م)

(٣) الآدم : وصف من الأدمة ، وهي السمرة (م)

الشاعر يظهر أنه يذهبُ لمعنى فيعين له آخرَ فيأتي به ، كأنه على غير قصد ، وعليه بناء ، وإليه كان مغزاه (١) ، وقد أكثر المحدثون منه فأحسنوا في ذلك .

إسحاق
الموصلى

قال الأصمعي : كنت عند الرشيد فدخل عليه إسحاق بن إبراهيم الموصلى

فقال : أنشدني من شعرك ، فأنشده :

وأمره بالبخل قلت لها : اقصرى فليس إلى ما تأمرين سبيلُ
أرى الناسَ خلانَ الجوادِ ، ولأرى بخيلاً له في العالمين خليلُ
ومن خير حالاتِ الفتى لو علمته إذا نال شيئاً أن يكونَ منيلُ
فعالى فعالُ المكثرين تجملاً ومالى كما قد تعلمين قليلُ
وكيف أخافُ الفقرَ أو أحرِمُ الغنى ورأى أمير المؤمنين جميلُ

فقال الرشيد : يا فضل ؛ أعطه عشرين ألف درهم . ثم قال : لله أبيات تأتينا

بها يا إسحاق ما أتقن أصولها ، وأبين فصولها . وأقل فصولها ! فقال : والله يا أمير المؤمنين ؛ لا قبلتُ منها درهما واحداً . قال : ولم ؟ قال : لأن كلامك ، والله ، خيرٌ من شعري . فقال : يا فضل ؛ ادفع إليه أربعين ألفاً . قال الأصمعي : فعلت أنه أصيد لدرهم الملوكة منى .

ومن ذلك (٢) قول أبي تمام يصف فرسا :

وسابح هطلِ التمداءِ هتانِ على الجراءِ أميين غيرِ خوانِ
أظمى الفصوص ولم تظماً قوائمه فخلَّ عَيْنيكِ في رِيانِ ظمانِ
فلو تراه مُشيحاً والحصى زيمٌ بين السنايكِ من مثنى ووحدانِ
أيقنت - إن لم تثبت - أن حافرَهُ من صخر تدمرٍ أو من وجهِ عمانِ

وقد احتذى البحتري هذا الحدو في حمدويه الأحوال ، وكان حمدويه هذا

عدوا للمدوح ، فقال :

(١) مغزاه - بالعين المهملة - اعتراضه - أى انتسابه ، وفي نسخة «مغزاه» بالعين

المعجمه (م) (٢) أى من الاستطراد (م)

لأبي تمام
صف فرسا

وأغبراً في الزمن البهيم مُحَجَّل
 كالهيكل المبني إلا أنه
 قد رُحِتُ منه على أغرٍ مُحَجَّل
 في الحُسنِ جاء كصورةٍ في هَيْكَلِ
 مَلَكِ العيونِ؛ فإن بدا أعطينه
 نظرَ الحبِّ إلى الحبيبِ المُقبلِ
 ما إن يعافُ قذى ولو أوردتهُ
 يوماً خلائقَ حَمْدِوَيْهِ الأَحولِ

وفي قصيدته هذه يحكى أن البحرئ قال له أصحابه : إلك سْتَعاب بهذا البيت ؛ لأنك سرقتَه من أبي تمام ، قال : أعاب من أخذى من أبي (١) تمام ؟! والله ما قلتُ شعراً قط إلا بعد أن أحضرت شعره في فِكْرى ، قال : وأسقط البيت بعد ، فلا يوجد في أكثر النسخ .

[سَبَقُ الْمُتَقَدِّمِينَ إِلَى الاسْتِطْرَادِ]

وهذا معنى قد أعجب المُحدِّثين ، وتخيَّلوا أنهم لم يُسَبِّحُوا إليه ، وقد تقدَّم لمن قبلهم ، قال الفرزدق :

للفرزدق

كأن فِقَاحَ الأزدِ حولَ ابنِ مِسْمَعٍ
 إذا جلسوا أفواهُ بَكَرِ بنِ وائلِ
 قال الحاتمي : وأنى جرير بهذا النوع فحماً (٢) في وَجْهِ السابِقِ إلى هذا المعنى
 فضلًا عن تِلاهِ ؛ فإنه استطرد في بيتٍ واحدٍ ، فمجا فيه ثلاثة ، فقال :
 لما وضعت على الفرزدق مِيسَمِي
 وعلى البعيثِ جَدَعْتُ أنْفَ الأُخطلِ
 وقيل هذا البيت مما يَرُدُّ على الحاتمي ، وهو قوله :

لجرير

أعددت للشعراء كأساً مرّةً فسقيت آخرهم بكأس الأول
 قال أبو إسحاق : وأوّل من ابتكره السموءل بن عادِيَاءَ اليهودى ، وكل أحد تابع له فقال :

السموأل

مبتكر
 الاستطراد

وإنا أناسٌ لا نرى القتلَ سُبَّةً
 إذا ما رأتهُ عامرٌ وسلولُ
 يقربُ حبُّ الموتِ آجالنا لنا
 وتكرههُ آجالهم فتطولُ

(١) في نسخة «أعاب على أحد أخذى من أبي تمام ؟» (م)

(٢) حشا التراب يحوه ويحنيه - مثل دعاه يدعوه ورماه يرميه - قبض قبضة

منه ورماه به (م)

الطرفة بن
العبد البكري

وقد قال طرفة في هذا المعنى :

فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد ولو شاء ربى كنت عمرو بن مرثد
فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ ، وعادنى بنونَ كرامٍ سادةٍ لمسودِ
قيس بن خالد: ذو الجدين الشيباني . وعمرو بن مرثد: سيد بنى قيس بن ثعلبة ،
فدعا [عمرو] طرفة لما بلغه ذلك ، فقال : أما البنون فإن الله يعطيك ، ولكن
لا تريمٌ حتى تكون من أوسطنا حالا ؛ وأمر بنيه وكانوا عشرة ، فدفع إليه كلُّ
واحد منهم عشراً من الإبل ؛ فانصرف بمائة ناقة .

ابن عبدل
وابن بشر بن
مروان

وكان ابن عبدل منقطعاً إلى عبد الله بن بشر بن مروان^(١) ، فتأخر عنه برئه ،
وغاب أياماً ، ثم أتاه فسأله عن غيبته ، فقال : خطبتُ ابنةَ عمٍ لى بالسواد ،
فزعمتُ أن لها ديوناً وأسلافاً^(٢) هناك ، وأنى إذا جمعتهما لها صارت إلى محبتي ، ففعلت
ذلك ، فلما استنجزتها كتبت إلى :

سَيُخَطِّطُكَ الذى أَمَلتَ مِنى إذا انتقضت عليك قوى حبالى
كما أخطأك معروفُ ابنِ بشر وكنت تعدُّ ذلك رأسَ مالٍ^(٣)
فقال : ما أحسن ما ألطفت بالسؤال ! وأجزل صلته .

لبشار بن برد

ومن بديع هذا الباب قول بشار بن برد :

خليلي من كعب أعياناً أخاصا على دهره ؛ إن الكريمٍ معينُ
ولا تبخللاً بخل ابن قزعة ؛ إنه مخافة أن يرجى نداءه حزينُ
إذا جثته في حاجة سد بابهُ فلم تلمه إلا وأنت كمين
فقل لأبى يحيى متى تبلغ العلام وفي كل معروفٍ عليك يمين

لبكر بن النطاح

وقال بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق :

(١) وردت هذه القصة في ذيل الأمالى (٤٦) وذكر أنها بين ابن عبدل ومعرف
ابن بشر (م) (٢) في الذيل « فأرسلت إلى أن لى أشاوى طلى الناس وديونا »
والأشاوى : جمع أشياء التى هى جمع شىء (م) (٣) في الذيل « وكنت تعده لك
رأس مال » (م)

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنْ الْمَنَى
فَقَلَّتْ لَهَا : هَذَا التَّعْنَتُ كُلُّهُ
سَلِّي كُلَّ أَمِيرٍ يَسْتَقِيمُ طِلَابَهُ
فَأَوْسَمُ لَوْ أَصْبَحَتْ فِي عَزِّ مَالِكِ
فَتَى شَقِيَّتْ أَمْوَالُهُ بِسَاحِحِهِ
لترضى فقالت: قم فاجئني بكوكب
كمن يشتهي لحم عنقاء مغرب
ولا تذهبي يادري في كل مذهب
وقدرته ما رام ذلك مطلي
كما شقيت قيس بأرماع ثعلب

واعتذر رجل إلى رجل بحضرة عبد الأعلى بن عبد الله فلم يقبل عنده ،
فقال عبد الأعلى : أما والله لئن كان احتمل إثم الكذب ودناؤه ، وخضوع
الاعتذارِ وذِلَّته ، فعاقبته على الذَّنْبِ الذَّاهِبِ ، ولم تشكر له إناية النائب ، إنك
لمن يُسَىء ولا يُحْسِن .

وقال الخطيئة :

للخطيئة

يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتَهَا
أَقْلُوا عَلَيْهِم لَأَبَا لَأَيُّكُمْ
أَوْلَىكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا
وَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَّوْا بِهَا
وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلٍّ حَادِثٍ
وَيَعْدِلُنِي أَبْنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ
وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيظَةُ وَالْجُدُّ
مِنَ اللَّوْمِ أَوْسُدُوا الْمَسْكَانَ الَّذِي سَدُّوا
وَإِنْ وَعَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوها وَلَا كَدُّوا^(١)
مِنَ الدَّهْرِ رُدُّوا فَضْلَ أَحْلَامِكُمْ رَدُّوا
وَمَا قُدْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمَتْ سَعْدُ^(٢)

[شاعر باهلي في حضرة الرشيد]

وَوَصَلَ سَعِيدُ بْنُ سَلْمٍ إِلَى الرَّشِيدِ شَاعِرًا بَاهِلِيًّا ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً حَسَنَةً ،
فَاسْتَرَابَهُ الرَّشِيدُ ، وَقَالَ : أَسْمَعُكَ مَسْتَحْسِنًا ، وَأَنْكَرُكَ مَتَمًّا^(٣) ؛ فَإِنْ كُنْتَ سَاحِبَ
هَذَا الشَّعْرِ فَقُلْ فِي هَذَيْنِ ، وَأَشَارْ إِلَى الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَكَانَا جَالِسَيْنِ .

(١) يروى « النعما عليهم جزواها » (م)

(٢) ويروى « وقد لمني أفناء سعد عليهم » (م) (٣) في نسخة « وأكرمك متما » (م)

فقال : يا أمير المؤمنين ، حملتني على غير الجدِّد : هَيْبَةَ الخِلافةِ ، وَوَحْشَةَ العُرْبَةِ ، وَرَوْعَةَ المِفاجأةِ ، وَجِلاةَ المِقامِ ، وَصِعوْبَةَ البِديهةِ ، وَشِروْدَ القِوافيِ ، على غير الرويَّةِ ، فليُهمِّهْني أميرُ المؤمنِينَ حتى يتألَّفَ نافرُ العِقولِ .

فقال الرشيد : لا عليك ألاَّ تقول ؛ قد جعلت اعتذارك عِوَضَ امتحانك .

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ نَفَسْتُ الخِناقَ ، وَسَهَّلْتِ ميدانَ السِّباقِ ، ثم قال :

بِنَيْتِ بَعْبِ اللهِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ذُرَى قُبَّةِ الإِسْلامِ فَاخْضَرَّ عِودُها
ها طُنْبُهاها بَارِكِ اللهُ فِيهاها وَأَنْتِ - أَمِيرِ المؤمنِينَ - عِموْدُها

فقال الرشيد : وَأَنْتِ بَارِكِ اللهُ فِيكِ ، سَلِّ وَلا تَكُنِ مِساألتِكَ دُونَ إِحْسانِكَ

فقال : الهنيْدَةُ يا أميرَ المؤمنِينَ^(١) ! فأمرَ له بها ، وَبِخِلاصِ نَفِيسَةِ ، وَصِلَّةِ جِزِيلَةٍ .

[كاتِبُ الحِجْجِ عِنْدَ سَليمانِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ]

دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلِمٍ كاتِبُ الحِجْجِ عَلى سَليمانِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ ، فَارْزَدَراهُ وَنَبَتَ عَينَهُ عَنهُ ، فَقالَ : ما رَأَتْ عَينِي كاليومِ قَطًّا ، لَعَنَ اللهُ امرَأَ أَجرِكَ رَسَنَهُ ، وَحَكَمَكَ فِي امرِهِ . فَقالَ : يا أميرَ المؤمنِينَ ، لا تَقُلْ ذلكَ ؛ فَإِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالامرُ عَنِّي مُدْبِرٌ ، وَعَليكَ مُقْبِلٌ ؛ فلو رَأَيْتَنِي وَالامرُ عَلى مُقْبِلٍ ، وَعَنيكَ مُدْبِرٌ ، لا سَتَعظَمْتَ مِنِّي ما اسْتَصغَرْتَ ، وَاسْتَكْبَرْتَ ما اسْتَقَلَّمْتَ .

قال : عَزَمْتَ عَلَيكَ يا بَنُ أَميرِ المُسْلِمِ لِتُخَبِرَنِي عَنِ الحِجْجِ ، أَتِراهُ يَهْوِي فِي جَهَنَّمَ أَمْ قَدِ قرَّ بِها ؟ فَقالَ : يا أميرَ المؤمنِينَ ، لا تَقُلْ هذا فِي الحِجْجِ ، وَقَدِ بَدَلَ لَكُمْ النِّصِيحَةَ ، وَأَمَّنْ دِولَتِكُمْ ، وَأَخافُ عِدوَّكُمْ ، وَكَأَنِّي بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ وَهُوَ عَن يَمِينِ أَيْبِكَ ، وَيَسارِ أَحْيِكَ ، فَاجعَلْهُ حَيْثُ شِئْتَ .

فقال له سليمان : اعزُبْ^(٢) إلى لعنة الله ! فخرج ، فالتفت سليمان إلى جلسائه

(١) الهنيْدَةُ - زينة التصغير - اسم للمائة من الإبل (م) . (٢) اعزب : ابعده (م)

فقال : قاتله الله ! ما أحسنَ بديهتهُ ، وترفيعه لنفسه ولصاحبه ! وقد أحسن المكافأة في الصنعة ، خلّوا عنه .

[من أدب إبراهيم بن العباس الموصلي]

قال إبراهيم بن العباس الموصلي : والله ما اتكّلتُ في مكاتبةٍ قط إلاّ على ما يجلبه خاطري ، وَيَجِيشُ بِهِ صَدْرِي ، إلاّ قولي في فصل : وصار ما كان يُحْرِزُهُم يُبْرِزُهُم ، وما كان يعقلهم يعتقلهم . وقولي في رسالة أخرى : «فأنزلوه من معقل إلى عَقْل ، وبدّلوه آجالاً بآمال» ، فإني ألمت في هذا بقول الصريح^(١) :
 مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذِي رَهَجٍ كأنه أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلٍ
 وفي المعنى الأول يقول أبو تمام :
 فَإِنَّ يَبْنَ حِيطَانًا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أَوْلُتْكَ عُقَالَاتِهِ لَا مَعَاقِلَهُ
 وكان يقول : ماتمت ككلام أحدٍ أن يكون لي إلّا قول عبد الحميد بن يحيى :
 الناس أصنافٌ متباينون ، وأطوار متفاوتون ، منهم علق مضنة لا يُباع ،
 وغل مظنة لا يُبتاع .

ورد كتاب بعض الكتاب إلى إبراهيم بن العباس بدم رجل ومدح آخر ؛ فوقع في كتابه : إذا كان للمحسن من الجزء ما يُقْنِعُهُ ، وللمسيء من النَّسْكَال ما يُقْمَعُهُ ، بذلّ المحسن الواجب عليه رغبة ، واتقاد المسيء للحق رهبةً . فوثب الناس يقبلون يده .

ووقع لرجل متّ إليه بجرّمة : تقدمت بجرّمة مألوفة ، ووسيلة معروفة ، أقوم بواجبها ، وأزعاها من جميع جوانبها .

وإبراهيم بن العباس هو القائل :

لنا إبلٌ كَوْمٌ يَضْبِقُ بِهَا الْفِضَا وَتَغْبِرُ مِنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا

(١) الصريح : صريح الغواني ، وهو مسلم بن الوليد ، وقد مضت له أبيات منها هذا البيت (انظر ص ١٠٢٤ من هذا الكتاب)

فمن دونها أن تستباح دماؤنا ومن دوننا أن يُستدمَ دماؤها^(١)
 حتى وقرى فالموتُ دون مرامها وأيسرُ خطبِ يومِ حُوقٍ فناؤها
 وقال الصولي : وجدت بخط عبد الله بن أبي سعيد إبراهيم بن العباس
 أنشده لنفسه :

وعلمتني كيف الهوى وجهلتهُ وَعَلَّمَكُمُ صَبْرِي عَلَى ظَلَمِكُمْ ظَلَمِي
 وأعلم مالي عنكم فيردني هَوَايَ إِلَى جَهْلِي فَأَرْجِعْ عَنِّي
 فقلت : أسبقك إلى هذا أحد ؟ فقال : العباس بن الأحنف بقوله :
 تجنّب يَرْتَادُ السَّلْوَةَ فَلَمْ يَجِدْ لَهْ عِنْدَكَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةَ مَذْهَبًا
 فعاد إلى أن راجع الوصل صاغراً وعاد إلى ما تشتهين وأعتباً^(٢)
 قال الصولي : وأظن أن ابن أبي سعيد غلط في هذه الرواية ؛ لأن الأشبه
 بقول ابن العباس : « فعاد إلى أن راجع الوصل صاغرا » قوله :

كم قد تجرعت من غيظ ومن حزنٍ إِذَا تَجَدَّدَ حُزْنٌ هَوَّنَ الْمَاضِي
 وكم سخطت وما باليتمُ سَخَطِي حَتَّى رَجَعْتَ بِقَلْبٍ سَاخِطٍ رَاضِي
 وأنشد له :

لمن لأرى أعرضتُ عن كلِّ من أرى وَصِرْتُ عَلَى قَلْبِي رَقِيبًا لِقَاتِلِهِ
 أَدَافِعُهُ عَنِ سَلْوَةٍ وَأَرْدَهُ حِيَاءٌ إِلَى أَوْصَابِهِ وَبَلَابِلُهُ
 وقال في هذا النحو :

وأنت هوى النفس من بينهم وَأَنْتِ الْحَبِيبُ وَأَنْتِ الْمَطَاعُ
 وما بك إن بعدوا وحادّةٌ وَلَا مَعَهُمْ إِنْ بَعُدْتَ اجْتِمَاعُ
 وقال الطائي :

إذا جئت لم أحزن لبعدي مفارقٍ وَإِنْ غَيَّبْتَ لَمْ أَفْرَحْ بِقُرْبِ مَقِيمِ

(١) في نسخة « أن تستدم دماؤها » (م)

(٢) أعتبا : فعل ما يزول معه العتب (م)

فيا ليتني أفديك من غزبة النوى بكل أخ لي وأصل وحيم
وأصل هذا من قول مالك بن مسمع للأحنف بن قيس : « ما أشتاق للغائب
إذا حَضَرْت ، ولا أنتفع بالحاضر إذا غَيْبْت » .

وقال إبراهيم بن العباس :

تَدَانَتْ بِقَوْمٍ عَن تَنَاءِ زِيَارَةٍ وَشَطَّ بَلِيلِي عَن دَنَوِّ مَزَارِهَا^(١)
وَإِنَّ مُعَيَاتٍ بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلِي وَهَاتِيكَ دَارُهَا
وَلَيْلِي كَمَثَلِ النَّارِ يَنْفَعُ ضَوْؤُهَا بَعِيداً نَأَى عَنْهَا وَيُحْرِقُ جَارُهَا
كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى قَوْلِ النَّظَارِ الْفَقْمَسِيِّ :

يَقُولُونَ هَذِي أُمُّ عَمْرٍ وَقَرِيبَةٌ دَنَتْ بِكَ أَرْضٌ نَحْوَهَا وَسَمَاءُ
أَلَا إِنَّمَا بَعْدَ الْخَلِيلِ وَقُرْبُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يُوَصَّلْ إِلَيْهِ سِوَاهُ
وَقَوْلُهُ : « وَلَيْلِي كَمَثَلِ النَّارِ » كَقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

أَحْرَمَ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نَصَبْتُ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ
وقال إبراهيم بن العباس :

أَمِيلُ مَعَ الصَّدِيقِ عَلَى ابْنِ عَمِي وَأَخَذَ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ
وَإِنِ الْفَيْتِنِي حُرّاً مُطَاعاً فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفْرَقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِي وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقُوقِ

[رثاء مصلوب]

قال العقيلي يرثي صديقا له أخذ في خربة^(٢) فقتل وصلب :

لعمري لئن أصبحت فوق مشدب طويل تُعَقِّمُكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ

(١) في ديوان إبراهيم بن العباس « دنت بأناس » والتناى : البعد ، وشط : بعد (م)

(٢) في نسخة « أخذ في جزية » وفي أخرى « في خربة » (م)

لقد عشتَ مبسوطَ اليدين مرزاً وعُوفيتَ عند الموت من ضَغْطَةِ القبرِ
وأفَلتَ من ضيقِ الترابِ وغَمِّهِ ولم تفقدِ الدنيا؛ فهل لك من شُكْرِ
فما تشتفى عيناى من دائمِ البُكى عليك ، ولو أنى بكيتُ إلى الحشرِ
فطوبى لمن يبكى أخاه مُجَاهراً ولسكنى أبكى لفقْدك فى سِترِ

[كلام لا يحتمل الجواب]

وكتب محمد بن كثير إلى هارون الرشيد :

يا أمير المؤمنين ؛ لولا حظ كرم الفعل فى مَطالِعِ السُّؤال ، لأهَى المطل
قلوبَ الشاكِرِينَ ، ولصرف عيونَ الناظرين إلى حسنِ المحبة ، فأبى الحالين
مُيَبَّعِدُ قولك عن مجازِ فِعلك ؟

فقال هارون الرشيد : هذا الكلامُ لا يحتمل الجواب ؛ إذ كان الإقرار
به يمنعُ من الاحتجاجِ عليه .

[تعجيل الإحسان]

وقال يحيى بن أكرم للمأمون يذكر حاجته له قد وعده بقضاها ، واغفل
ذلك :

أنتَ يا أمير المؤمنين أكرمُ من أن نعرِّضَ لك بالاستنجاز ، وننايلك
بالأدكار ، وأنتَ شاهدى على وَعْدِكَ ، وأن تأمر بشيء لم تتقدَّمْ أيامه ، ولا يقدر
زمانه ، ونحن أضعفُ من أن يستولى علينا صبرُ انتظارِ نعمتك ، وأنتَ الذى
لا يؤوده^(١) إحسان ، ولا يُعجزُه كرم ؛ فعجِّلْ لنا يا أمير المؤمنين ما يزيدك كرمًا ،
وتزدادُ به نعمة ، وتلقاه بالشكر الدائم .

فاستحسن المأمون هذا الكلام ، وأمر بقضاء حاجته .

المأمون ورجل

من بنى
الدهاقين

قدم على المأمون رجلٌ من أبناء الدهاقين وعظماهم ، من أهل الشام ، على
عِدَّة سلفت له من المأمون^(٢) ، من توليته بلديته ، وأن يضم إليه مملكته ، فطال على

(١) لا يؤوده : لا يعجزه ولا يضعفه (م) (٢) عدة : وعد ، وسلفت : مضت (م)

الرجل انتظارُ خروجِ أمرِ أمير المؤمنين بذلك ، فقصد عمرو بن مسعدة وسأله إيصالَ رقعةٍ إلى المأمون من ناحيته ، فقال : اكتب بما شئت فإني موصله ، قال : فتولّى ذلك عني ، حتى تكون لك نعمتان . فكتب عمرو :

إن رأى أمير المؤمنين أن يملكَ أسرَ عدته من ربةِ المظلِّ ، بقضاء حاجة عبده ، والإذن له بالانصراف إلى بلده ، فعل مؤقفاً .

فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً ، وجعل يعجب من حُسن لفظها ، وإيجازِ المراد فيها ، فقال له عمرو : فما نتيجتها يا أمير المؤمنين ؟ قال : الكتابة له في هذا الوقت بما سأل ؛ لثلاثٍ يتأخّرُ فضلُ استحساننا كلامه ، وبجائزة تنفي دناءة المظل . ومن كلام عمرو بن مسعدة : أعظمُ الناسِ أجراً ، وأنبههم ذِكراً ، من لم يرضَ بحياةِ العدلِ ^(١) في دولته ، وظهورِ الحجّةِ في سلطانه ، وإيصالِ المنافع إلى رعيّته في حياته ، حتى احتالَ في تخليدِ ذلك في الغابرين بعده ، عنايةً بالدين ، ورحمةً بالرعية ، وكفايةً لهم من ذلك ما لو عنوا باستنباطه لكان يعرض أحد الأمرين ، إما الإلكاء ^(٢) عن إصابة الحق فيه لكثرة ما يعرض من الالتباس ، وإما إصابة الرأي بعد طول الفكر ، ومقاساة التجارب ، واستغراق كثير من الطرق إلى درّكه ؛ وأسعد الرعايا من دامت سعادة الحق في أيامه ، وبعده وقاته وانقراضه .

[فضل الإيجاز]

وقال رجل لسويد بن منجوف ، وقد أطال الخطبة بكلام افتتحه للصلح بين قومٍ من العرب :

« يا هذا ؛ أتيت مرعى غير مرعاك ، أفلا أدلك عليه ؟ قال : نعم . قال :

(١) في نسخة « بموت العدل » (م)

(٢) في نسخة « أما الكد » (م)

قل : « أما بعد ، فإنّ في الصلح بقاء الآجال ، وحفظ الأموال ، والسلام » .
فلما سمع القوم هذا الكلام تعانقوا وتواهبوا الترات^(١)

[أبو مسلم]

قال عبد الله بن مسعود^(٢) : لما أمر أبو مسلم بحاربة عبد الله بن علي^(٣) دخلت عليه . فقلت : « أيها الأمير ، تريد عظيماً من الأمر » ؟ قال : وما هو ؟ قلت : عم أمير المؤمنين وهو شيخ قوم ، مع نجدة ، وبأس ، وحزم ، وحسن سياسة . فقال لي : يا ابن شبرمة ، أنت بجديث تعلم معانيه ، وشعرٍ توضح قوافيه ، أعلم منك بالحرب ؛ إن هذه دولة قد اطرقت أعلامها ، وامتدت أيامها ، فليس لناؤها والطامع فيها يد تنيله شيئاً من الوثوب عليها ، فإذا ولت أيامها فدع الوزغ بذنبه فيها .

قال بعض حكماء خراسان : لما بلغني خروج أبي مسلم أتيت عسكره لأنظر إلى تدبيره وهيبته ، فأقت فيه أياماً ، فبلغني عنه شدة عجب ، وكبر ظاهر ، فظننت أنه تحلى بذلك لعمى فيه أراد أن يستتره بالصمت ، فتوصلت إليه بحيث أسمع كلامه ، وأغيب عن بصره ، فسلمت فرداً جميلاً ، وأمر بإدخال قوم يريد تنفيذهم في وجه من الوجوه ، وقد عقدوا الرجل منهم لواء ، فنظر إليهم ساعة متأملاً لهم ، وقال : افهموا غنى وصيتي إياكم ؛ فإنها أجدى عليكم من أكثر تدبيركم ، والله توفيقكم . قالوا : نعم أيها السالار ، ومعناه السيد بالفارسية ، فسمعتة يقول ، ومترجم يحكي كلامه بالفارسية لمن عبر له منهم بالعربية : « أشعروا قلوبكم الجرأة فإنها سبب الظفر ، وأكثروا ذكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام ، والزموا الطاعة فإنها حصن الحارب ، وعليكم بعصبة الأشراف ، ودعوا عصبية الدناءة ؛ فإن الأشراف تظهر بأفعالها ، والدناءة بأقوالها » .

(١) الترات : جمع ترة ، وهي - بوزن عدة - الثأر (م)

(٢) في نسخة «عبدالله بن شبرمة» (م) (٣) خرج عبد الله بن علي حين مات

السفاح وولى الخلافة أبو جعفر المنصور في سنة ١٣٧ .

من أوصاف
أبي مسلم

وذكر إدريس بن معقل أبا مسلم فقال : بمثل أبي مسلم يدرك ثار ، وينقى عار ، ويؤكد عهد ، ويبرم عقد ، ويسهل وعر ، ويخاض غمر ، ويقلع ناب ، ويفتح باب .

[حساب]

وقال رجل لأبي جعفر المنصور : أين ما تحدث به في أيام بني أمية ؟ إن الخلافة إذا لم تقابل بإنصاف المظلومين ، ولم تعامل بالعدل في الرعية ، وقسمة النية بالسوية ، صار عاقبة أمرها يواراً ، وحق بولائها سوء العذاب .
قال : فتنفس ثم قال : قد كان ما تقول ، ولكننا يا أخى استهجننا الفانية على الباقية ، وكأن قد انقضت هذه الدار . فقال له الرجل : فانظر على أى حالة تنقضى .

وقال أبو الدوانيق وكان فصيحاً بليغاً : « عجباً لمن أصر عليه غرضاً ليسها م الخطايا ، وهو عارف بسرعة المنايا ، اللهم إن تقض للمسيئين ^(١) صفحاً فاجعلني منهم ، وإن تهب للظالمين فسحاً فلا تحرمني ما يتطول به المولى على أخس عبيده . »

[من كلام الأحنف بن قيس]

سئل الأحنف بن قيس عن العقل ؟ فقال : رأس الأشياء ؛ فيه قوامها ، وبه تمامها ؛ لأنه سراج ما بطن ، وملاك ما علن ، وسائس الجسد ^(٢) ، وزينة كل أحد ، لا تستقيم الحياة إلا به ، ولا تدور الأمور إلا عليه .

الأحنف ابن
قيس يصف
العقل

ولما خطب زياد خطبته المشهورة قام الأحنف بن قيس ، فقال : الفرس بشده ، والسيف بجده ، والمرء بجده ، وقد بلغ بك جدك ما أرى ، وإنما الثناء بعد البلاء ، فإننا لا نذنى حتى نبلو ^(٣)

(١) فى نسخة « إن تقض للمسلمين » (م) (٢) فى نسخة « وسائس الجسد »

تطبيع (م) (٣) البلاء : الاختبار ، بلاه يبواه : اختبره (م)

[مما كتبه ابن الزيات]

وكتب ابن الزيات عهدَ الواثق على مكة بحضرة المعتصم : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين قد قلَّدك مكة وزمزم ، تُراثَ أبيك الأقدم ، وجدِّك الأكرم ، وركبَ جبريل^(١) ، وسقياً إسماعيل ، وحفرَ عبد المطلب ، وسقايةَ العاص ؛ فعليك بتقوى الله تعالى ، والتوسعة على أهل بيته .

وكتب : لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليه ، وزيادة منتظرة له ، ثم قال لمحمد بن رباح : كيف ترى ؟ قال : كأنهما قرطان بينهما وجه حسن ، ومع ذلك ذكر ابن الزيات أمرَ الحرم بتعظيم وتفخيم ألقاظ لأهل العصر في التهنئة بالحج ، وتفخيم [أمر] الحرم

[وتعظيم] أمر المناسك والمشاعر ، وما يتص بها من الأدعية

قصَدَ البيتَ العتيق ، والمطافَ الكريم ، والملتزمَ النبيه ، والمستلمَ الزيه .
[وقف بالمعروفِ العظيم ، ووردَ زمزم والحطيم] . حَرَمُ اللهِ الَّذِي أَوْسَعَهُ لِلنَّاسِ كَرَامَةً ، وَجَعَلَهُ لَهُمْ مَثَابَةً^(٢) ، وللخليل خُطَّةً ، وللذبيح خُطَّةً ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم قِبْلَةً ، ولأُمَّتَهُ كُفْبَةً ، ودعا إليه حتى آتَى من كل مكان سحيق ، وأسرع نحوه من كل فجٍّ عميق ، يعودُ عنه مَنْ وُفِّقَ وَقَدْ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ ، وَغُفِرَتْ حَوْبَتُهُ^(٣) ، وَسَعِدَتْ سَفَرَتُهُ ، وَأَنْجَحَتْ أَوْبَتُهُ ، وَحُجِدَ سَقِيَهُ ، وَزَكَ حَجَّتُهُ ، وَتَقَبِلَ عَجْبَهُ وَنَجَّهَ^(٤) . انصرف مولاى عن الحجِّ الذى انتضى له عزَّامته ، وأنضى فيه رَوَاحِلَهُ ، وَأَتَمَّبَ نَفْسَهُ بِطَلْبِ رَاحَتِهَا ، وَأَنْفَقَ ذَخَائِرَهُ بِشِرَاءِ سَعَةِ الْجَنَّةِ وَسَاحَتِهَا ؛ فَقَدْ زَكَّتْ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَعْمَالَهُ وَتُقَبِّلَتْ أَعْمَالَهُ ، وَشَكَرَ سَعِيَهُ ، وَبَلَغَ هَدْيَهُ .

(١) يروى أن جبريل - عليه السلام ! - ضرب بقدمه موضع بئر زمزم فأنبط

الماء (م) (٢) مثابة : أى مكانا يعود إليه من خرج منه (م)

(٣) الحوبة - بالفتح - الذنب (م) (٤) العجج : رفع الصوت بالتلويح ، والتجج :

إراقة دم الهدى (م)

قد أسقطت عن ظَهْرِكَ النَقْلَ العَظِيمَ ، وشهدت المَوْفِقَ الكَرِيمَ ، ومحضت عن
 نفسك بالسَّعْيِ مِنَ الفَجْحِ العَمِيقِ ، إلى البَيْتِ العَتِيقِ . حمداً لمن سهل عليك قضاء
 فريضة الحج ، ورؤْيَةَ المَشْعَرِ والمَقَامِ ، وبركة الأَدْعِيَةِ والمَوْسَمِ ، وسعادة أُنْفِيَةِ
 الحَظِيمِ وزَمَنِمِ فَصْداً كَرَمَ المَقاصِدِ ، وشهدَ أَشْرَفَ المَشاهِدِ ؛ فوردَ مَشَارِعَ
 الجَنَّةِ ، وخَيَّمَ بِمَنازِلِ الرَّحْمَةِ . وقد جُمِعَت مَوَاهِبُ اللَّهِ لَدَيْكَ : فالْحَجَّ أَدَيْتَ فَرَضَهُ ،
 وَحَرَمَ اللَّهِ وَطِئْتَ أَرْضَهُ ، والمَقَامَ الكَرِيمَ قُمْتَهُ ، وَالْحَجَرَ الأَسْوَدَ اسْتَلَمْتَهُ ،
 وَزُرْتَ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَشافِهاً لِمَشْهَدِهِ ، وَمَشاهِداً لِمَسْجِدِهِ . ومباشراً
 بِأَيْدِيهِ وَمَحْضَرِهِ ، وَماشِياً بَيْنَ قَبْرِهِ وَمَنْبَرِهِ ، وَمصلياً عَلَيْهِ حيث صَلَّى ، وَمتقرباً بِأَيْدِيهِ
 بِالقَرَابَةِ العَظِيمِ ، وَعَدت وَسَعَيْكَ مَشْكُوراً ، وَذَنْبُكَ مَغْفُوراً ، وَتِجَارَتَكَ رابِحَةً ،
 وَالبَرَكَاتِ عَلَيْكَ غَادِيَةً وَرَاحَةً . نَلَقَى اللَّهُ دَعاءَكَ بِالإِجابَةِ ، وَاسْتِغْفارَكَ بِالرِّضاهِ ،
 وَأَمَلَكَ بِالنُّجْحِ ، وَجَعَلَ سَعْيَكَ مَشْكُوراً ، وَحَجَّكَ مَبْرُوراً . عَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى
 مَوْلانا مَناهِجَ ما نَوَاهِ ، وَقَصَدَهُ وَتَوَخَّاهِ ، ما يَسْعُدُهُ في دُنْياهِ ، وَيُحْمَدُ عُقْباهِ .

[من شعر قَطْرِي بنِ الفُجاءَةِ]

قال أبو حاتم : أتيت أبا عبيدة ومعى شعر عروة بن الورد ، فقال لي : مامعك؟
 قلت : شعر عروة ، قال : شعر فقير ، يحمله فقير ، ليقراه على فقير ! قلت : مامعي
 [شعرٌ] غيره ؛ فأنشدني أنت ما شئت ، فأنشدني :

يأربُ ظِلِّ عُقَابٍ قَدِ وَقَيْتُ بِهِ مُهْرِي مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطالُ تَجْتَلِدُ (١)
 وَرَبًّا يَوْمَ حَمِي أَرْعَيْتُ عَقْوَتَهُ حَيْلِي اقْتَسارًا وَأَطرافُ القَنَا قِصْدُ (٢)
 وَيَوْمَ لَهْوِ لَأهلِ الخَفْضِ ظِلِّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلاءَ الوغَى وَنارُهُ تَقْدُ

(١) العقاب ، هنا : الراية ، وتجتلد : يحالده بعضها بعضا (م)

(٢) العقوة - بالفتح - الساحة والمحلة ، وقصد : جمع قصدة - بالكسر - وهي

القطعة مما يكسر (م)

مُشْتَهراً مَوْقِفِي والحربُ كاشِفَةٌ
 وربُّها جِرَةٌ تَفْلِي مِراجِلُها
 تَجْتَابُ أوديةَ الأفْزاعِ آمِنَةٌ
 فإنْ أُمَّتْ حَتَمْتُ أنْفِي لا أُمَّتْ كِذاً
 ولمْ أقلْ لمْ أساقِي الموتِ شارِبَةٌ
 ثم قال : هذا والله هو الشعر ، لاما يتعلون به من أشعار المخائث .

والشعرُ لقطري بن الفجاءة المازني ، وكان يُكنى في السلم أبا محمد ، وفي
 الحرب أبا نعامية ، وكان أطول الخوارج أياماً ، وأحدهم شوكة ، وكان شاعراً
 جواداً ، وهو القائل أيضاً :

لا يركن أحد إلى الإحجام
 فلقد أراي للرماح دريئة
 حتى خضبت بما تحدر من دمي
 ثم انضرفت وقد أصبت ولم أصب
 يوم الوغى متهيباً للجمام
 من عن يميني تارةً وأمامي
 أكناف سرجي أو عنان لجامي
 جذع البصيرة قارح الإقدام

[من جَيْد المديح]

وقال المسيب بن علس :

تبيت الملوكة على عتبتها
 وكالشهد بالراح الفاظهم
 وكالمسك تُربُّ مقاماتهم
 وقال آخر :

اذكر مجالس من بنى أسد
 الشرق منزلهم ، ومنزِلُنَا
 بعدوا فحنَّ إليهم القلْبُ
 غربٌ ، وأين الشرق والغرب ؟

(١) المهاجرة : الوقت نصف النهار ، ومخزتها : قطعها ، وتخذ : مضارع وخذ

في سيره ، إذا أسرع (م) (٢) قصره كذا وقصاراه : أي غاية ما يطلب (م)

من كل أبيض جُل زينتِه مسكٌ أحمٌ وصارم عَضْبٌ (١)
 ومدججٌ يسمي لعارته وعقيرة بفنائِه تحبُو (٢)
 آخر:

رأيُكم بقية آل حرب وهضبتها التي فوق الهضاب
 تبارون الرياح ندى وجوداً وتمثلون أعمال السحاب
 نذكرني مقامي اليوم فيكم مقامي أمس في ظل الشباب

[بين سعيد بن عبد الملك وسعيد بن حميد]

كتب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد :

أكره — أطل الله بقاءك! — أن أضحك ونفسي موضع العذر والقبول ،
 فيكون أحدنا معتذراً مقصراً ، والآخر قابلاً متفضلاً ، ولكن أذكر
 ما في التلاقي من تجديد البر ، وفي التخلف من قلة الصبر ، وأسأل الله تعالى أن
 يوفقك وإيانا لما يكون منه عقبى الشكر

فأجابه : وصل كتابك — أكرمك الله تعالى! — الحاضر سروره ،
 للطف موقعه ، الجميل صدوره ومورده ، الشاهد ظاهره على صدق باطنه ،
 ونحن — أعزك الله — نجعل جزاءك حسن الاعتراف بفضلك ، ومجاراتك التقصير
 دونك ؛ ونرى أن لا عذر في التخلف عنك ، وإن حالت الأشغال بيننا وبينك .
 وإن كنت ساحت في العذر قبل الاعتذار ، وسبقت إلى فضيلة الاعتذار ، فلا
 زلت على كل خير دليلاً ، وإليه داعياً ، وبه آمراً ؛ ولقد التقينا قبل وصول كتابك
 لقاءً أحدث وطراً ، وهاج شوقاً ، وأرجو أن تتسم لنا الجمعة بماضقت به الأيام ؛
 فننال حظاً من محادثتك والأنس بك

(١) الصارم : السيف . والعضب : القاطع ، وفي نسخة «وعارض هضب» (م)

(٢) في نسخة «وعقيرة تنفاهه يحبو» (م)

[منزله سعيد بن حميد]

ولسعيد بن حميد حلاوة في منظومه ومنشوره ، لكنه قليل الاختراع ، كثير الإغارة على مَنْ سبقه ؛ وكان يقال : لو رجع كلام كل أحد إلى صاحبه لبقى سعيد ابن حميد ما كتباً .

وفيه يقول أبو علي البصير :

رأس من يدعي البلاغة مني ومن الناس ، كلهم في حيرامة
وأخونا ولست أكني سعيد بن حميد تؤرخ الكتب باسمه
هذا المعنى ينظرُ إلى قول منصور الفقيه وإن لم يكن منه :

تصديق به الدنيا فينهضُ هاربا إذا نحن قلنا : خيرنا البازل السَّمْحُ
فإن قيل : من هذا الشقي ؟ أقل لهم على شرطِ كتمان الحديث : هو الفَتْحُ
وكان سعيد يهوى فضل الشاعرة ؛ فعزم مرة على سفر ، فقالت له :

كذبتني الود أن صاحت مرتحلا كفت الفراق بكف الصبر والجلد
لا تذكرن الهوى والشوق لو فُجِعَتْ بالشوق نفسك لم تصبر على البعد
وكان سعيد عند بعض إخوانه ، فهض منصرفا وأخذ بمضادتي الباب ،
وأنشأ يقول :

سلامٌ عليكم ، حالت الكأس بيننا وولت بنا عن كل مرأى ومسمع
فلم يبقَ إلا أن يصفحنى الكرى فيجمع سكرأ بين جسمي ومضجعي
وقال [سعيد] :

أرى ألسن الشكوى إليك كليلَة وفيهن عن غير الثناء فتور (١)
تقيم على العتب الذي ليس نافعاً وليس لها إلا إليك مصير
وما أنت إلا كالزمان تلوت
فإن قل : إنصاف الزمان وجوده فمن ذا على جور الزمان يُجيد

(١) كليلَة : ضعيفة متعبة ، وقوله « غير الثناء » وقع في مكانه « عين الثناء » (م)

[من السرقات الشعرية]

أما قوله :

* تقيمُ على العتبِ الذي ليس نافعاً *

فمن قول المؤلف :

لا تغضبني على قوم تحبهمُ فليس منك عليهم ينفعُ الغضبُ
يا جأرينَ علينا في حكومتهم والجورُ أفتحُ ما يؤتى ويرتكبُ
لسنا إلى غيركم منكم نفرًا إذا جرتم، ولكن إليكم منكم الهربُ

وأول من تبه على هذا المعنى النابغة الذبياني في قوله للنعمان بن المنذر .

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسع
خطاطيفُ حُجْرٍ في حبال متينة تمدُّ بها أيدٍ إليك نوازِع

سرقه أشجع السلمي فقال لإدريس بن عبد الله بن الحسين بن علي ، وقد

بعث إليه الرشيد من اغتاله في المغرب :

أتظنُّ يا إدريس أنك مُفليتٌ كئيدَ الخلافة أو يقيقك حذارُ
إنَّ السيوفَ إذا انتضاها عزُّمهُ طالت ، وتقصر دونها الأعمارُ
هيات إلا أن تحلَّ ببلدةٍ لا يهتدى فيها إليك سَهَارُ

وقال سلم الخاسر يعتذر إلى المهدي :

إني أعز بحير الناسِ كلهمُ وأنت ذاك لما يأتي ويحْتَبُ
وأنت كالدهرِ مبثوثا حبايلهُ والدهرُ لا ملجأ منه ولا هربُ
ولو ملكتُ عنانَ الريحِ أصرفه في كل ناحية ما فاتك الظلْبُ
فليس إلا انتظاري منك عارِفهُ فيها من الخوفِ منجاةٌ ومُنْقَلَبُ

وقول سلم :

* ولو ملكت عِنانَ الريحِ أصرفه *

كانه من قول الفرزدق للحجاج :

ولو حملتني الريح ثم طلبتني
لكنت كمودٍ أدركته مقاديرة^(١)

وقول علي بن جبلة الحميد الطوسي :

وما لامري حاولته منك مهربٌ
ولو رفعتهُ في السماء المطالعُ

أخذه البحتری فقال :

سُلبوا وأشرفت الدماء عليهم
محمة فكانهم لم يسلبوا

فلو أنهم ركبوا الكواكب لم يكن
ليجيرهم من حدِّ بأسِك مهربُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في نحو قول النابغة :

وإني وإن حدثت نفسي بأنتي
أفوتك إن الرأي مني لعازبُ

لأنك لي مثلُ المسكان المحيط بي
من الأرض لولا استنهضتني للذاهب

وأما قول سعيد : * وما أنت إلا كالزمان * والبيت الذي يليه ، فكانه

ألم فيه بقول شمعل الثعلبي وإن لم يكن المعنى بنفسه :

أمن جذبة بالرجل مني تباشرت
عداتي ، ولا عتب علي ولا هجرُ

فإن أمير المؤمنين وقله
لكالدهر ، لا عار بما صنع الدهرُ

وقال رجل من طيء وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عمرو بن زيد الخليل

قتل رجلا اسمه زيد فأقادمه السلطان ، فقال الطائي يفتخر على الأسديين :

علا زيدنا يوم الحمى رأس زيدكم
بأبيض مشحوذ الغرار يماي^(٢)

فإن تقتلوا زيدا بزید فإنما
أقادم السلطان بمد زمان

وقول الثعلبي مأخوذ من قول النابغة ، وهو أول من ابتكره :

وعيرتني بنو ذبيان خشيتهُ
وما علي بأن أخشاك من عار

(١) في نسخة «وأن لوركبت الريح» وفي نسخة أخرى «لكنت كشيء أدركته

مقادره» (م) (٢) حفظى «بأسض ماضي الشفرتين يمان» (م)

ومن جيد شعر سعيد بن حميد :
 أهابُ وأستجيبِي وأرقُبُ وعدَهُ
 فلا هو يبدأني ولا أنا أسألُ
 هو الشمسُ مجرّأها بعيدُ وضوءها
 قريبُ ، وقلبي بالبعيدِ موكلُ
 وهذا المعنى وإن كان كثيراً مشهوراً فما يكادُ يداني في الإحسان فيه .
 وقد قال أبو عيينة :

غزَتْنِي جِيوشُ الحُبِّ من كلِّ جانبِ
 أقولُ لأصحابي: هيَ الشمسُ، ضوءها
 إذا حان من جُنْدِ قفولٍ غزاً جُنْدُ
 قريبُ ، ولكن في تناوُلها بُعدُ
 وقال العباس بن الأحنف :

هيَ الشمسُ مسكنها في السماء
 فلنَ تستطيعَ إليها الصعودُ
 فعزَّ الفؤادَ عزاءً جميلاً
 وإنْ تستطيعَ إليكَ النزولُ
 وقال البحترى :

دنوتَ تواضعاً وعلوتَ قدراً
 كذاك الشمسُ تبعدُ أن تداني
 فشأنك انحدارٌ وارتفاعُ
 ويدنوُ الضوء منها والشعاعُ
 وقال ابن الرومي :

وذخرتهُ للدهرِ أعلمُ أنه
 ورأيتُهُ كالشمسِ إن هي لم تنلُ
 كالدهرِ فيه لمن يؤولُ مألُ
 فالنورُ منها والضياءُ ينالُ
 وقال المتنبي :

بيضاءُ تطمِعُ فيما نحت حُلَّتِها
 كأنها الشمسُ يُعْفي كَفَّ قَابِضِها
 وعزَّ ذلك مطلوباً لمن طلبها
 شعاعها وترّاه العينُ مقربها
 وقال سعيد بن حميد ، ويروي لفضل الشاعرة :

ما كنت أيام كنت راضيةً
عني بذاك الرضا بمغتيطٍ
علماً بأن الرضا سيتبعه
منك التجني وكثرة السخطِ
فكلُّ ما ساءني فعن خلقٍ
منك وما سررتني فعن غلطِ

وفي هذا المعنى يقول أبو العباس الهاشمي من ولد عبد الصمد بن علي، ويُعرف

بأبي العبر .

أبكي إذا غضبت، حتى إذا رضيت
بكيت عند الرضا خوفاً من الغضب
فلموت إن غضبت، والموت إن رضيت
إن لم يرُخني سلوْتُ عشتُ في تعبِ

وقال العباس بن الأحنف :

إذا رضيت لم يهينني ذلك الرضا
لصحة علمي أن سيتبعه عتبُ
وأبكي إذا ما أذنبت خوف عتبيها
فأسألها مرضاتها ولها الذنبُ
وصالكم هجرٌ، وقرانكم قلى
وعطفكم صدٌّ وسائسكم حربُ
وأتم بحمد الله فيكم فظاظَةٌ
وكل ذلُولٍ من أموركم صعبٌ (١)

وقال :

قد كنت أبكي وأنت راضيةٌ
حذارِ هذا الصدود والغضبِ
إن تمّ ذا الهجرُ يا ظلوم ولا
تمّ فالي في العيش من أربٍ (٢)

وما أحسن قول القائل :

وما في الأرض أشقى من محبة
وإن وجد الهوى حلواً للذاقِ
تراه باكيًا في كل حينٍ
مخافة فرقةٍ أو لاشتياقِ (٣)
فيبكي إن نأوا حذراً عليهم

(١) ذلول : سهل المقادة ، وصعب : أي يعسر قياده ، وأصله في الخيل والإبل (م)

(٢) الأرب - بالتجريك - المقصد (م) (٣) يروي « في كل حال » (م)

وَتَسَخَّنُ عَيْنَهُ عِندَ التَّنَائِي وَتَسَخَّنُ عَيْنَهُ عِندَ التَّلَاقِ

[الاقتباس من القرآن الكريم]

وقال سعيد بن حميد: إذا نزلت في كتابي^(١) بآية من كتاب الله تعالى أرت إظلامه ، وزينت أحكامه ، وأعدت كلامه .

أمثال للعرب والعجم والعامية وما يماثلها من كتاب الله تعالى
 | مما هو أجل منها وأعلى | أخرجها أبو منصور عبد الملك الثعالبي
 قال علي رضي الله تعالى عنه : « القتل أنفى للقتل » ، وفي القرآن :
 « وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ » .
 والعرب تقول لمن يعير غيره بما هو فيه : « عَيَّرَ بُجَيْرٌ بُجَيْرَهُ وَنَسِيَ بُجَيْرَ
 خَبْرَهُ^(٢) » ، وفي القرآن : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ » .
 وفي معاودة العقوبة عند معاودة الذنب : « إِنْ عَادَتِ الْعُقْرَبُ عُدْنَا لَهَا
 وفي القرآن : « وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا » . « وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ » .
 وفي ذوق الجاني وبال أمره : « يَدَاكَ أَوْ كَتَا ، وَفُوكَ نَفَتْحَ » . وفي القرآن :
 « ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ » .

وفي قرُب الغد من اليوم قول الشاعر * وإِنْ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ * وفي
 القرآن : « أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ » .
 وفي ظهور الأمر : « قَدْ وَضَحَ الْأَمْرَ لَدَى عَيْنَيْنِ » ، وفي القرآن : « الْآنَ
 حَصَّصَ الْحَقَّ » .

وفي الإساءة إلى من لا يقبل الإحسان : « أَعْطِ أَخَاكَ تَمْرَةً ، فَإِنْ أَبِي فَجَمْرَةً » .

(١) في نسخة « إذا برعت في كتابك » (م)

(٢) هذا مثل ، يضرب لمن يعير غيره بالذي هو فيه (م)

وفي القرآن: «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين» .
وفي فوات الأمر: «سَبَقَ السَّيْفُ العَدْلَ» ، وفي القرآن العظيم: «قُضِيَ
الأمرُ الذي فيه تَسْتَفْتِيَانِ» .

وفي الوصول إلى المراد ببذل الرغائب: «من ينكح الحسناء يُعطِ مهرَها»
وفي القرآن: «لَنْ تَنَالُوا البرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» .
وفي منع الرجل مُرادَه:

* وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ والنَزْوَانِ ^(١) *

وفي القرآن: «وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ» .

وفي تَلَا فِي الإِسَاءَةِ: «عَاد غِيثٌ عَلَى مَا فَسَدَ» ، وفي القرآن: «ثُمَّ بَدَّلْنَا
مَكَانَ السَّيْئَةِ الحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا» .

وفي الاختصاص: «كل مقام بمقال ^(٢)» . وفي القرآن «لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ» .

العجم: «من أحترق كُدَّسه تَمَى إِحْرَاقُ أ كِدَاسِ النَّاسِ ^(٣)» ، وفي القرآن:
«وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً» .

العامة: «مَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بئراً وَقَعَ فِيهَا» ، وفي القرآن: [ولا يَحْيِقُ المَسْكِرُ
السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ] .

ومن الشعر:

يكل امرئ يشبهه فعله ما يفعل المرء فهو أهله

وفي القرآن: «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ» .

العامة: «كل البقل ولا تسأل عن المَبْقَلَةِ» .

وفي القرآن: «لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ» .

(١) هذا عجز بيت من كلام صخر بن عمرو أخى الخنساء ، من أبيات يقولها في امرأته ، وصدره قوله: * أمم بامر الحزم لو أستطيعه * (م)

(٢) في نسخة «وفي اختصاص كل مقام بمقال: لكل مقام مقال» (م)

(٣) الكدس - بوزن رطب أو بوزن حمل - الكومة من الطعام أو التمر أو

الدراهم (م)

شعر :

كَم مَرَّةٍ حَفَّتْ بِكَ الْمَكَارَةُ خَارَ لَكَ اللَّهُ وَأَنْتَ كَارُهُ
 وفي القرآن : « وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .
 العامة : « المأمول خيرٌ من المأكول » ، وفي القرآن : « وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ
 الْأُولَى » . العامة : « لو كان في اليوم خيرٌ ما سلم على الصياد » ، وفي القرآن :
 « وَلَوْ عَلَّمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ » . المتنبي : *مصائب قوم عند قوم فوائد*
 وفي القرآن : « وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا » . *عند الخنازير تنفق العذرة*
 وفي القرآن : « الْحَيِّثَاتُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيِّثُونَ لِلْحَيِّثَاتِ » . العجم : « لم يرد الله
 بالتملة صلاحاً إذ أنبت لها جناحاً » ، وفي القرآن : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا
 أخذناهم بغتة » . العامة : الكلب لا يصيد كارها ، وفي القرآن : « لا إِكْرَاهَ
 فِي الدِّينِ » . العجم : « كل شاة تَنَاطُ برجلها » ، وفي القرآن : « كل نفس
 بما كسبت رهينة » .

جملة من مكاتبات [بعض] أهل العصر

أبو القاسم محمد بن علي الإسكافي عن الأمير نوح بن نصر وعن ابنه
 عبد الملك لأبي طاهر وشمكير بن زياد يشكره على حميد سيرته :
 مَنْ حَمَدَنَاهُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ أَعْيَانِ الْمَلَّةِ الَّذِينَ بِهِمْ افْتِخَارُهَا ، وَأَعْوَانِ
 الدَّوْلَةِ الَّذِينَ بِهِمْ اسْتِظْهَارُهَا ، بِجَلَّةٍ يَنْزِعُ فِيهَا مِنْ خِلَالِ^(١) الْفَضْلِ ، وَخِصْلَةٍ يَكْمُلُ بِهَا مِنْ
 خِصَالِ الْعَدْلِ . وَإِنَّكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنْ نَحْمَدُهُ بِالْإِرْتِقَاءِ فِي دَرَجِ الْفَضَائِلِ ، وَالِاسْتِوَاءِ
 فِي كُلِّ الشُّوَاكِيلِ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مُحَمَّدَةٍ إِلَّا وَسَمْمُكَ فِيهَا فَائِزٌ ، [وَلَا مِنْ شِدَّةِ
 إِلَّا وَمَهْلُكَ^(٢) فِيهَا بَارِزٌ] ، وَذَلِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى ! - أَمْرٌ قَدْ أَغْنَى صِدْقُ خَبْرِهِ
 عَنِ الْعِيَانِ ، وَكَفَى بَيَانِ أَثَرِهِ تَكَلُّفِ الْإِمْتِحَانِ ، وَلَوْ أُعْطِينَا النُّفُوسَ مُنَاهَا ،

(١) الخلة - ضم الحاء - الخصلة ، وجمعها خلال (م)

(٢) المهل - بالفتح وجمعه - العمل بسكينة ورفق وغير عجلة ، وهو أيضا التؤدة

وسَوْغَنَاهَا هَوَاهَا ، لأوردنا عليك في ذرور^(١) كلَّ شارِقٍ جَدِيدٍ شُكْرٍ ، وجدَدْنَا
لَكَ مع اعتراض كلِّ خاطر جميلٍ ذِكْرٍ ، لسكنا للعادة في تَرْكِ الهوى ، واللقمة
بأنك مع صالح آدابك تحلُّ الأذى من الإجماد محلَّ الأوفى ، فيقضى لك بأنه -
وإن عظم قدره - يسير العدد ، وعلى ما هو - وإن تنهى لفظه - باقى الفخر مدى
الأبد ، وكان مما اقتضانا الآن تناولك به أخباراً تواترت ، وأقوال تظاهرت ،
يأطابق سكان الحضرة ونيسابور من أهل عملك على شكر ما يتزيد لهم وفيهم
من موادِّ عدلك ، وحسن فضلك ، حتى لقد ظلوا ولهم في شكر ذلك محافل تُتقدِّم
ومشاهد تشهد ، يعجب بها السامعُ والرأي ، ويقترنُ بها المؤمنُ والداعي ؛ فإن
هذا - أعزك الله - حال يطيب مسنعه ، ويلدِّ موقعه ، حتى لقد ملأ القلوبَ
بهبجاً ، والصدور ثلجاً ، حتى استفزها فرطُ الارتياح ، وصدقُ الانشراح ، إلى
هذا الكتاب أن أعجلناه ، وهذا الشكر أن أجزلناه . بعد ذكر لك اتصل كل
الاتصال ، وأجل كل الإجمال ، وتضاعف به حظك من الرأى أضعافاً ، وأشرف
محلَّك على كل المحال إشرافاً ، ونحن نهنيك - أعزك الله - على التوفيق الذى قسمه
اللهُ لك ، والتيسير الذى وكله بك ، ونبعتك على استدامتها بصالح النية ، وبصدق
البنية ، لتدنو من العدل على ما ترعى ، وتحسن الهدى فيما تتولى . فرأيتك أبداً
الله تعالى فى إحلال ذلك محلّه من استبشار به تستكمله ، واستثمار له تعجّله [إن
شاء الله تعالى] .

وكتب إليه يعزیه : « إن أحقَّ من سلم لأمر الله تعالى ورضى بقدره ، حتى
يُحَضَّ مصطنعاً^(٢) ، ويخلصَ مضطرباً ، وحتى يكون بحيث أمر الله من الشكر
إذا وهب ، والرضا إذا سلب ، أنت أعزك الله تعالى ؛ لحلك من الشكر والحججاً ،
وحظك من الصبر والنهى ، ثم لما ترجعُ إليه من ثبات الجنان^(٣) عند النزلة ،

(١) ذرور : طلوع ، وأراد من كل شارِق الشمس ، يعنى فى طلوع كل يوم (م)

(٢) فى نسخة « حتى يحض مصطنعاً » (م) (٣) الجنان - بوزن السحاب - العقل (م)

وقوة الأركان لعزّ الدولة الفاضلة ، فإنّ لك فيها وفي سَهْمِكَ الفائز ، ومَهْلِكَ البارز ، عَوْضًا عن كل مرزوء ، ودَرَكَاً لكل مرْجُوٍّ ، ونَسألُ الله أن يجعلك من الشاكرين لِفَضْلِهِ إذا أبلى ، والصابرين لِحُكْمِهِ إذا أَبْتَلَى ^(١) ، وأن يجعل لك لِابْتِئَانِكَ التّعزية ، ويقيك في نفسك وفي ذَوْبِكَ الرزية ، بمنه وقدرته .

وله إليه : تراهي إلينا خَبِرٌ مُصَابِكُ بفلان ؛ فخلص إلينا من الاغتمام به ما يحصل في مثله بمن أطاع ووفى ، وخدم ووالى ، وعلمنا أن لِفَقْدِكَ مثله لَوْعَةٌ ، وللمصاب به لَذَعَةٌ ؛ فآثرنا كتابنا هذا إليك في تعزيتك ، على يقيننا بأنّ عقلك يُغْنِي عن عِظْمَتِكَ ، ويهْدِي إلى الأوَّلَى بِشِمْتِكَ ، والأزِيدَ في رُتْبَتِكَ ، فَلْيُحْسِنْ - أعزك الله - صبرك على ما أخذه منك ، وشكرك على ما أبقى لك ، وليتمكّن في نفسك ما وفر لك من ثواب الصابرين ، وأجزل من ذُخْرِ المحسنين ، وليردّ كتابك بما أهلك الله تعالى من عزاء ، وأبلاكه ^(١) من جميل بلاء ، إن شاء الله تعالى

وله إليه جواب : وصل كتابك - أعزك الله تعالى - مفتتحًا بالتعزية عن فلان ، وبوصفٍ توجّعك للصبية ، ونحن نحمدُ الله تعالى الذي يُنْعِمُ فضلًا ، ويَحْكُمُ عدلًا ، ويَهَبُ إحسانًا ، ويسلب امتحانًا ، على مجارى قضيته كيف حَرَتْ آخِذَةٌ ومعطية ، ومواقع شيشته كيف مضت سارة ومسيئة ، حَمَدَ عالمين أن لا حكم إلا له ، ولا حول إلا به ، ومستمسكين بما أمر به عند المساءة من الصبر ، والمسرة من الشكر ، راجين ما أعدّه الله من الثواب للصابرين ، والمزيد للشاكرين . وما توفيقنا إلا بالله عليه نتوكل وإليه ننيب ^(٢) ، وأما وَحَسْبُكَ - أعزك الله - للحادث على الماضي ، عفا الله عنه ، فمثلك من ذوى الصفاء والوفاء اختصّ بذلك واهتم له ، وعرف مثله فاغتمّ به ؛ فإن الطاعة نسب بين أوليائها ، والنعمة سبب بين أبنائها ،

(١) أبلى : أعطى ، وابتلى : اختبر وامتحان ، والاسم البلاء (م)

(٢) إليه ننيب : إليه نرجع (م)

فلا عَجَبُ أن يمسك في هذا العارض ما يمسُّ أولى المشاركة، ويخصك من الاهتمام ما خص ذوى الشائبة .

وله إليه أيضاً في أمر غزاة : ورد خبرك أكرمك الله تعالى بنفوذك لوجهك فيمن جمعهم الله تعالى للسعي في سبيله إلى جملتك ؛ فاملنا أن يكون ذلك موصولاً بأعظم الخيرة ، مؤدياً إلى أحسن المقبة . إلا أننا أحسننا من الغزاة الذين بهم تفتضد ، وإياهم تستنجد ، فتور نيآت ، وفساد طويآت ؛ وهذا كما علمت باب عظيم يجب الإطلاع بالفكر والرأى عليه ، والاحتراس بالجد والجهد من الخطل فيه . [فسيدك أن تتأمل أمرك بعين استقصاء العورة ، واستدراك الآخرة] ، فإن أنت وجدت في عدتك تمام القدرة ، وفي عدتك مقدار الكفاية ، ولم تجد نيآت أولئك الغزاة مذخولة ، ولا عراهم محمولة^(١) ، استخرت الله تعالى في المسير بكل ما تقدر عليه من الحزم في أمرك ، ثم إن تكن الأخرى ، وكان القوم على ما ذكرت من كلال البصائر ، وضعف المرائر^(٢) ، عملت على التلوم لحديث يحدّثك به كتابنا هذا إن اجتليت ما ذكرته ، وإن لم تبلغ بلاغة ما اخترته ، فاعتلق بذيله^(٣) .

[من مقامات بديع الزمان]

وهذه المقامة من إنشاء البديع ، قال عيسى بن هشام : غزوت الثغر بقزوين سنة خمس وسبعين ، فما اجترينا حزننا ، إلا هبطنا بطننا ، حتى وقف بنا المسير على بعض قرأها ، فمالت الهاجرة بنا إلى ظل أثلاث في حبرها عين كلسان الشمعة ، أصفى من الدمعة ، تسيح في الرضراض ، سيح النضناض^(٤) ؛ فنلنا من المأكل ما نلنا ، ثم ملنا إلى الظل فقلنا ؛ فما ملكنا النوم حتى سمعنا صوتاً أنكر من صوت الحمار ، ورجعاً أضعف من رجع الحوار ، يشقعهما صوت طبل كأنه خارج

(١) العرى : جمع عروة ، وأصلها أخت الزرمن الثوب ، ويشبه به البنك من الناس (م)

(٢) الكلال : الضعف ، والبصائر : جمع بصيرة ، وهى العقل والفتنة ، والمرائر :

جمع مريرة وهى العزيمة ، وأصلها مالطف وطال واشتد قتله من الحبال (م)

(٣) اعتلق بذيله : تمسك به (م)

(٤) الرضراض : الحصى ، والنضناض : الحية التى تتلوى دائماً (م)

من ماسِغَى أسد؛ فذَادَ عن^(١) القومِ رَائِدَ النومِ ، وفتحت العيون إليه وقد حالت
الأشجار دونه ، وأصغيتُ فإذا هو يقول على إيقاع صوت الطبل :

أدعو إلى الله فهل من مُجِيبٍ إلى ذَرَى رَحْبٍ وَعَيْشٍ خَصِيبٍ
وجنَّةٍ عَالِيَةٍ ما تَنِي قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ ما تَغِيبُ^(٢)
يا قومُ إني رجلٌ ثَائِبٌ من بَلَدِ الكُفْرِ وأمرى عَجِيبُ^(٣)
إِنَّ أَكْ آمَنْتُ فكم لِي لَيْلَةٍ جَدَدْتُ فِيهَا وَعَبَدْتُ الصَّلِيبَ
ياربَّ خِنزِيرٍ تَمَشَّشْتُهُ ومُسْكَرٍ أَحْرَزْتُ مِنْهُ النَّصِيبَ^(٤)
ثمَّ هَدَانِي اللهُ ، وَاِنْتَأَشَنِي من زَلَّةِ الكُفْرِ اجْتِهَادُ المَصِيبِ^(٥)
فَطَلَّتْ أَخْفَى الدِّينِ فِي أُسْرَتِي وَأَعْبَدُ اللهُ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ
أَسْجُدُ لِلَّاتِ حِذَارِ العِدَى ولَأَجِي الكَعْبَةَ خَوْفِ الرَّقِيبِ
وَأَسْأَلُ اللهُ إِذَا جَنَّنِي لَيْلِي وَأَضْنَانِي يَوْمَ عَصِيبِ
رَبِّ كَمَا أَنَّكَ أَتَقَدَّنِي فَنَجِّنِي ؛ إني فِيهِمْ غَرِيبِ
نم اتَّخَذْتُ اللَّيْلَ لِي مَرْكَبًا وما سِوَى العِزْمِ أَمَامِي نَجِيبِ
وَقَدَّكَ مِنْ سِيرِي فِي لَيْلَةٍ يَكَادُ رَأْسُ الطِّفْلِ فِيهَا يَسِيبُ
حتى إِذَا مَا جُرْتُ بِحَرِّ العَمَى إلى حَمِي الدِّينِ نَفَضْتُ الوَجِيبِ
وَقَلْتُ إِذْ لَاحَ شِعَارُ المَهْدَى نَصْرًا مِنْ اللهُ وَفَتَحَ قَرِيبِ

ولما بلغ هذا البيت قال : يا قوم ؛ وطئت والله بلادكم بقلب لا العشق شاقه ،
ولا الفقر ساقه ، وقد تركت وراء ظهرى حداثق وأغنايا ، وكواعب أترابا ،
وخيلًا مسومة ، وقناطير ممتطرة ، وعدة وعبيدا ، ومرابك وعبيدا ، وخرجتُ
خروج الحية من جحره ، وبرزتُ بروز الطائر من وكره ، مؤثرًا ديني على

(١) ذاد : منع (م) (٢) تنى : تفر (م) (٣) ثائب : راجع (م)

(٤) تمششته : أكلت مشاشه - والشاش - بزنة الغراب - طرف مالان من

العظام (م) (٥) انتاشق : خلصني وأتقذني (م)

دُنْيَايَ . وَجَامِعًا يُمْنَى إِلَى يُسْرَايَ ، وَاصِلًا سَيْرِي بِسُرَايَ ^(١) ، فَلَوْ رَفَعْتُمُ النَّارَ
بِشْرَهَا ، وَرَمَيْتُمُ الرُّومَ بِبِحْرَهَا ، وَأَعْتَمْتُمُونِي عَلَى غَزْوِهَا مَسَاعِدَةً وَإِسْعَادًا ،
وَمِرَافِدَةً وَإِرْفَادًا ، وَلَا شَطَطًا ، فَكُلُّ قَادِرٍ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَحَسْبُ ثَرْوَتِهِ .
وَلَا أُسْتَكْبَرُ الْبَدْرَةَ ، وَلَا أُرِدُّ التَّمْرَةَ ، وَأَقْبِلُ الذَّرَّةَ ، وَلِكُلِّ مَنِي سَهْمَانِ ،
سَهْمٌ أَذْلَقَهُ لِلْقَاءِ ^(٢) ، وَسَهْمٌ أَفْوَقَهُ بِالِدَّعَاءِ ، وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، عَنْ
قَوْسِ الظُّلْمَاءِ .

قال عيسى بن هشام : فاستفزني رائعُ ألفاظه ، وسرّوتُ جِلبابِ النومِ ،
وعدوتُ إلى القومِ ، وإذا والله شيخُنا أبو الفتح الإسكندري ، بسيفٍ قد شهّره ،
وزيٌّ قد نكره ؛ فلما رأني غمزني بعينه وقال : رحم الله امرأً أحسنَ حدسه ؛
وملك نفسه ، وأغنانا بفاضلِ قَوْلِهِ ، وقسم لنا من نيّله ! ثم أخذ ما أخذ ، فعمتُ
إليه فقلت : أنت من أولاد بنات الروم ؟ فقال :

أنا حالي مع الزما ن كحالي مع النسب
نسبي في يد الزما ن إذا سامه انقلب
أنا أمسى من النبيسط وأضحى من العرب

[عاقبة السؤال بلفظ حسن]

قال سليمان بن عبد الملك : ما سألتني أحدٌ قط مسألةً يثقلُ عليّ قضاؤها ،
ولا يخفُّ عليّ أداؤها ، بلفظٍ حسنٍ يجمعُ له القلبُ فهمه إلا قضيتها ، وإن كانت
العزيمة نفذت في منعه ^(٣) ، وكان الصواب مستقرًّا في دفعه ، ضنًّا بالصواب أن يردَّ
سائله ، أو يحرم نائله .

[ابن رفاعة يتحدث عن النعمان بن المنذر والحارث الغساني]

وقال أبو عبيدة : كان أبو قيس بن رفاعة يَفِدُ سنةً إلى النعمان بن المنذر

(١) السير : الذهاب في الأرض أي وقت كان ، والسرى - بالضم - سيرعامة
اللبل (م) (٢) ذلق السكين : حده ، وذلق السراج : أضاده وأوقده ، هذا أصل
هذه العبارة (م) (٣) في نسخة «قصدت في منعه» ولها وجه (م)

اللحمى وسنة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، فقال له الحارث يوما وهو عنده :
 يا ابن رفاة ، بلغني أنك تفضل النعمان عليّ ! قال : كيف أفضله عليك أبيت
 اللعن ! فوالله لفقاك أحسن من وجهه ، ولأمك أشرف من أبيه ، [ولأباؤك
 أشرف من جميع قومه] ، ولأمسك أفضل من يومه ، ولشمالك أجود من يمينه ،
 ولحرمانك أنفع من بذله ، ولقليلك أكثر من كثيره ، [ولثمادك أغزر من
 غديره ، ولكرسيك أرفع من سريره ، ولجدولك أغمر من بحوره ، وليومك
 أفضل من شهره ، ولشهرك أشرف من حوله ، ولحولك خير من حقه ، ولزندك
 أورى من زنده ، ولجندك أعز من جنده ، ولهزلك أصوب من جدّه ، وإنك
 لعن غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن نلهم كثيرى النوك ! فقلّام أفضله عليك ؟
 وقد روى مثل هذا الكلام للناطقة الذبياني مع النعمان بن المنذر] .

[أربعة أبيات]

وقال المفضل الضبي : دخلت على المهدي فقال قبل أن أجلس : أنشدني
 أربعة أبيات لاتزد عليهنّ ، وعنده عبد الله بن مالك الخراغي ، فأنشدته (١) :
 وأشعث قد قدّ السفارُ قيصه يجرّ شواءً بالعصا غير مُنضج
 دعوتُ إلى ماناني وأجاني كريمٌ من الفتيان غير مزّج (٢)
 فتى يملأ الشيزى ويروى سنانه ويضرب في رأس الكمي المدجج
 فتى ليس بالراضى بأدنى معيشة ولا في بيوت الحى بالمتولج
 فقال المهدي : هذا هو ، وأشار إلى عبد الله بن مالك ، فلما انصرفت بعث
 إليّ بألف دينار ، وبعث إليّ عبد الله بأربعة آلاف .

[أبو الأسود الدؤلي وامراته]

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامراته إلى زياد في ابنيهما ، وأراد أبو الأسود أخذهُ

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة للشماخ بن ضرار الغطافاني (انظر ديوانه

ص ٩ مصر) (م) (٢) المزج : الرجل الناقص ، أو هو الدوت (م)

منها فأبَتْ ، وقالت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابني ، كان بطني وعاؤه ، وحجري فناؤه ، ونديي سقاؤه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ؛ فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، فلما استوفى فضالهُ ، وكتلت خصالهُ ، واستوكمت أوصالهُ (١) ، وأمّلتُ نفعهُ ، ورجوت عطفهُ ، أراد أن يأخذهُ مني كرها ، فأدّني أيها الأمير ؛ فقد أراد قهرى ، وحاول قسرى .

فقال أبو الأسود : هذا ابني حملته قبل أن تحمله ، ووضعتهُ قبل أن تضعهُ ، وأنا أقوم عليه في أدبه ، وأنظر في تقويم أودهِ (٢) ، وأمنجه علمي ، وألممه حلمي ، حتى يكمل عقلهُ ، ويستكمل فتلهُ .

فقالَت المرأة : صدق أصلحك الله ؛ حملهُ خفياً ، وحملته ثقلاً ، ووضعه شهوة ، ووضعتهُ كرها .

فقال زياد : ارددْ على المرأة ولداها ؛ فهي أحقّ به منك ، ودعني من سجنك .

[عظات ووصايا]

قال الأصمعي : بلغني أن بعض الحكماء كان يقولُ : إني لأعظكم ، وإني لكثيرُ الذنوب ، مسرفٌ على نفسي ، غير حامد لها ، ولا حاملها على المكروه في طاعة الله . وقد بلوتها فلم أجد لها شكراً في الرضاء ، ولا صبرا على البَلوى . ولو أن أحداً لا يعظ أخاه حتى يحكم أمره لترك الأمر ولكن محادثة الإخوان حياة القلوب وجلاء النفوس ، وتذكيرٌ من النسيان ، واعلموا أن الدنيا سرورها أحزان ، وإقبالها إدبار ، وآخر حياتها الموت ، فكم من مستقبل يوماً لا يستكملهُ ، ومنتظر غداً لا يبلغهُ ؟ ولو تفظرون الأجل ومسيره لأبفضتم الأمل وغرورهُ .

جمع عبد الملك أهله وولده فقال : يا بني أمية ، ابدلوا نذاكم ، وكفوا أذاكم ، عظة عبد الملك ابن مروان أهله وولده
وأجلوا إذا طلبتم ، واغفروا إذا قدرتم ، ولا تلحفوا إذا سألتهم ، ولا تبخلوا إذا سُئِلتم ؛ فإن المغر بعد القدرة ، والثناء بعد الخبرة ، وخير المال ما أفاد حمداً ونقي ذمما

(١) استوكمت : كتلت وتمت ، وأوصاله : أعضاؤه (م)

(٢) أودهِ : اعوجاجه وميله ، وتقويمه : تمديله (م)

[وصف هشام بن عبد الملك بصفته]

ودخل سعيد الجعفرى على هشام بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أريد أن أصفك بصفتك ، فإن انحرف كلامى فلهيبة الإمام ، واجتماع الأقسام ، وتصرف الأعوام ، ولرب جوادٍ عثر فى أرسانه ^(١) وكبا فى ميدانه ^(٢) ، ورحم الله امرأ قصر من لفظه ، وألصق الأرض بلحظه ، ووعى قولى بحفظه . فخاف هشام أن يتكلم فيقتصر عن جائزة مثله ، فعزم عليه فسكت .

[حاتم الطائى يتحمل الديات عن عبد قيس البرجمى]

قال عبد قيس بن خُفاف البرُجمى لحاتم الطائى وقد وفَدَ عليه فى دماء تحملها وعجز عن البعض : إنه وقعت بينى وبين قومى دماء فتواكلوها ، وإني حملتها فى مالى وأملى ، فقدّمت مالى ، وكُنْتُ أملى ، فإن تحملها فربّ حقّ فضيئته ، وهم قد كفيئته ، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمّ يومك ، ولم أياس من غدك .

[وَصَفُ ثَقِيل]

قال أبو على المتابى : حدثنى الحمدونى قال : بعث إلى أحمد بن حرب المهلبى فى غداة ، السماء فيها مُغِيمة ، فأثبته والمائدة موضوعة مُطّاة ؛ وقد واقت عُجاب المغنّية ، فأكلنا جميعا ، وجلسنا على شرابنا ، فما راعنا إلا داق يدق الباب ، فأتاه الغلام فقال : بالباب فلان ؛ فقال لى : هو فتى من آل المهلب ، ظريف ، نظيف ، قفلت : ما تريد غير ما نحن فيه ، فأذن له ، فجاء يبيختر وقدّامى قدح شراب فكسره ، فإذا رجل ^(٣) آدمٌ ضخّم ، قال : وتكلم فإذا هو أعيان الناس ، فجلس بينى وبين عُجاب ، قال : فدعوت بدواة وكتبت إلى أحمد ابن حرب :

(١) الأرسان : جمع رسن - بالتحريك - وهو ما يقادبه الفرس ونحوه (م)

(٢) كبايكبو : عثر (م) (٣) آدم : وصف من الأدمة ، وهى السمرة (م)

كدر الله عيشَ من كدر العيش! فقد كان صافياً مُستطاباً
 جاءنا والسماء تهطل بالغيث وقد طابق السماعُ الشرابا
 كسر الكاس وهي كالكوكب الدرّ ربي ضمت من المدام رُضابا
 قلت لما رُميتُ منه بما أكره والدهرُ ما أفاد أصابا
 عجل الله نعمةً لابن حربٍ تدعُ الدارَ بعد شهرٍ خرابا
 ودفعتُ الرقعةَ إلى أحمد ، فقال : [ويحك] ألا نَفَسْتَ قَلْتَ بعد حول ؟
 قلت : أردت أقول بعد يوم ، خفت أن تصيبني مضرّة ذلك ، وطفن الثقليل
 فنهض ، فقال : آذيتَه ! قلت : هو آذاني .

[طيلسان ابن حرب]

وقال الحمدوني في طيلسان ابن حرب :

ولى طيلسان إن تأملت شخصه
 تصدّع حتى قد أمنت انصداءه
 كأنى لإشفاق عليه ممرض
 فلو أن أصحاب الكلام يرونه
 تيقنت أن الدهر يفتنى وينقرض
 وأظهرت الأيام من عمره الغرض
 أخا سقم مما تمدى به المرض
 لماروك فيه وادعوا أنه عرض^(١)
 [وقال فيه :

لطيلسان ابن حرب نعمةً سبقت
 قد كنتُ دهرًا جهولاً ثم حنّني
 أظل أجنب الإخوان من حذر
 يا طيلساناً إذا الأخطأ جُنّ به
 بها تبين فضلى فهو متصل
 عليه خوفى من الأقوام إن جهلوا
 كأنما بي جرحٌ ليس يندمل
 فعلن فعل سهام فيه تنتضل
 لئن بليت فكم أبلت من أم
 تترى أبادتهم أيامك الأول

(١) أصحاب الكلام : أراد علماء الكلام (علم التوحيد = علم العقائد) وماروك :

أراد جادلوك وشكوكوك ، والعرض - بالتحويك - مالا يقوم بنفسه ، وإنما يقوم
 غيره ، كالبيض (م)

وكم رآك أخ لي ثم أنشدني: ودع هيريرة إن الركب مرتحل [وقال فيه (١) .

يا بن حرب كسوتني طيلساناً
أمراضته الأوجاعُ فهو سقيم
فإذا ما لبسته قلتُ: سُبْحاً
نك مُجِيبِي العِظَامِ وَهِيَ رَمِيمُ
طيلسانُ له إذا هَبَّتِ الرِّيحُ
عليه بمنكبي هيم
أذكرتني بيتاً لحسان فيه
حُرْقٌ للفقواد حين أقوم
لو يدبُ الحولُ من ولد الذِّ
رَّ عليها لأندبتهما الكُومُ (٢)

وقال أيضاً:

يا قاتل الله ابن حرب لقد
أطال إلتعابي على عمدي
بطلسان خلت أن البلي
يطلبه بالوتر والحقد
أجد في رفوي له، والبلي
يلهو به في الهزل والجد
ذكرني الجنة لما غدا
أصحابها منها على حرد (٣)

إن أتهم الرفاء في رفوه
مضى به التزيق في نجد
غيبته لما مضى راحلاً:
يا واحدتي تتركني وحدي!

وقال أيضاً فيه:

إن ابن حرب كساني
ثوباً يُطيل انحرافه
أظلم أدفع عنه
وأبقى كل آفه
فقد تعلمت من خشيتي عليه
التقافه

وقال أيضاً:

طيلسانُ ما زال أقدم في الدهر من الدهر ما لرفويه حيله

(١) البيتان الأول والثاني من هذه الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان

(٢) ٩٣/٦ (بتحقيقنا) (٢) أندبتها: جرحتها، والكوم: جمع كلم - بالفتح - وهو الجرح (م)

(٣) يشير إلى القصة التي ذكرت في سورة القم من الآية ١٦ إلى الآية ٢٦ (م)

وترى ضَعْفَهُ كضَعْفِ عَجُوزٍ رَثَمَةِ الحَالِ ذَاتِ قَفَرٍ مُعِيلِهِ
 غَمْرَتِهِ الرِقَاعُ فَهُوَ كِمَضْرِيٍّ سَكَنَتْهُ نَزَاعُ كُلِّ قَبِيلِهِ
 إِنَّ أَرْزِيئَهُ يُابِنُ حَرْبٍ بَدْمِيٍّ حَجْرِيٍّ قَدْ زَانَ قَبِيلِي بِحَيْمَلِهِ
 جرير : ابن عبد الله البجلي ، وله صحبة [رضى الله عنه ، وقد] قال غسان في
 هجائه جريراً :

لعمري لئن كانت بحيلة زانها جريرٌ لقد أخزى كئيباً جريرها
 وقال الحدوني في معناه الأول^(١) :
 يابنَ حَرْبٍ إني أرى في زوايا بيتنا مثل ما كسوت جماعة
 طليسان رَفَوْتُهُ ورفوت الرِّفْوِ منه حتى رَفَوْتُ رِقَاعَهُ
 فأطاع البلي وصار خليعاً ليس يعطى الرِّقَاعَ في الرفو. طاعة
 فإذا سائلٌ رآني فيه ظنَّ أي فتى من أهل الضياعة^(٢)
 وقال فيه :

طَيْلَسَانُ لابنِ حَرْبٍ يتداعى لا مَسَاساً^(٣)
 قد طَوَى قَرْنًا فقرناً وأناساً فأناساً
 ليس الأيام حتى لم تدع فيه لباساً
 غاب تحت الحس حتى لا يرى إلا قياساً

[من رسائل ابن العميد]

من ابن العميد
 إلى الطبري

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي عبد الله الطبري :
 كتابي وأنا بحالٍ لولم ينقص منها الشوقُ إليك ، ولم يُرْتَقِ صَفْوُهَا الدِّزَاعُ نَحْوَكُ ،
 فعددتُها من الأحوالِ الجليّةِ ، واعتدلتُ حظّي منها في النعمِ الجليّةِ ؛ فقد جمعتُ
 ليها بين سلامةٍ عامّةٍ ، ونعمةٍ تامّةٍ ، وحظّيتُ منها في جسمي بصلاحٍ ، وفي سعيي

(١) هذه الأبيات الأربعة في ابن خلكان (٩٤/٦) وثمة مقطعات ليست هنا (م)

(٢) في نسخة كما في ابن خلكان « من أهل الصناعة » (م)

(٣) لامساس : أي لا تمسني ، وهذه كناية عن شدة بلاه (م)

بنجاح ، لكن ما بقي أن يَصْفُوَ لى عيش مع بُعْدِي عنك ، ويخلو ذُرْعَى مع خلْوَى منك ، وبَسُوغ لى مطعم ومشرب مع انفرادى دونك ، وكيف أطمع فى ذلك وأنت جزء من نفسى ، وناظمٌ لشمْلِ أنسى ، وقد حُرِّمَتْ رُؤْيَتَكَ ، وَعَدِمْتَ مشاهدتَكَ ، وهل تسكنُ نفسٌ متشعبة ذاتُ انقسام ، وينفع أنسٌ مُدَشَّتْ بلا نظام ، وقد قرأت كتابك جعلنى الله تعالى فداءك ؛ فامتلاتُ سرورا بملاحظة خَطِّك ، وتأملُ تصرفك فى لفظك ، وما أقرَّظهما فكلُّ خصالك مقرَّظٌ عندى ، وما أمدحهما فكلُّ أمرٍ ممدوح فى ضميرى وعقدي ، وأرجو أن تكون حقيقَةُ أمرِك موافقةً لتقديرى فيك ، فإن كان كذلك وإلا فقد غطى هواك وما أُلْتِى على بَصْرِى .

وله إلى عضد الدولة يهنئه بولدين :

من ابن العميد
إلى عضد الدولة

أطال الله بقاء الأمير الأجلَّ عضد الدولة ، دام عزه وتأييده ، وعلوُّه وتمهيدُه ، وبَسَطْتُهُ وتَوَطَّيْتُهُ ، وظاهر له من كل خير مزيده ، وهنأه ما اختصه به على قُرْبِ الميلاد ، من توافر الأعداد ، وتكثُر الأمداد ، وتتمُّر الأولاد ، وأراه من النجابة فى البنين والأسباط^(١) ، ما أراه من الكرم فى الآباء والأجداد ، ولا أُخْلِى عينه من قرّة ، ونفسه من مسرّة ، ومتجدد نعمة ، ومستأنف مكرمة ، وزيادة فى عدده ، وفَسَحَ فى أمدِه ، حتى يبلغ غاية مهله ، ويستغرق نهاية أمله ، ويستوفى ما بعد حُسْنِ ظَنِّه ؛ وعرفه الله السعادة فيما بشرَ عبده من طلوع بدرين هما انبعاثًا من نوره ، واستنارًا من دُورِه ، وحنفًا بسريه ، وجعل وفودهما متلائمين ، وورودهما توأمين ، بشيرين بتظاهر النعم ، وتواتر القسم ، ومؤذنين بترادفِ بنين [يغصُّ] بجمعهم مُنْخَرَقِ الفِضَاءِ ، وَيَشْرِقُ بنورهم أفق العلاء ، وينتهى بهم أمدُ النماء^(٢) ، إلى غاية نفوت

(١) الأسباط : جمع سبط - بكسر السين وسكون الباء - وهو ولد البنت (م)

(٢) النماء : الزيادة (م)

غاية الإحصاء ، ولا زالت السبلُ عامرة ، والمناهلُ غامرة ، يصافحُ صادرهم بالبشر
[الوارد] ، وآملهم بالنيل القاصد .

لأبي الطيب في
ابن عضد الدولة

وقال أبو الطيب وذكر أبا دلف وأبا الفوارس ابني عضد الدولة :
فلم أر قبله شِيبِلِي هَزَبَر كَشْبِلِيه ، ولا فَرَسِي رِهَانِ
فَعاشا عيشة القمرين يحبي بَصُورِيهَما ولا يتحاسدانِ
ولا مَلَكاسِوِي مُلْكِ الأَعادِي ولا وِرثا سِوِي مَنْ يَقْتُلانِ
[وكانا ابنا عدو كاتراه له ياءى حروف أنيسيان]
دُعاه كالثناء بلا رِياء يُؤدِّيهِ الجَنانُ إلى الجَنانِ

وكتب أبو القاسم الإسكافي عن نوح بن نصر إلى وشه كبير بن زياد في
تهنئة واستبطاء

استبطاء وتهنئة :

وصل كتابك ناطقاً مفتتحه بجميل العذر ، فيما نقل من المكاتبة ،
وبعث من المطالعة ، ومُعرباً مختتمه عن جملة خبر السلامة التي طبقت
أعمالك ، والاستقامة التي عمت أحوالك ، وفهمناه ، ولولا أن مواتلك — أيدك
الله تعالى — فيما تأتى وتذّر ، وترثى وتدبّر ، عادة لنا أورتتناها قرابة ما بين
وفاقنا ووافقك ، وملاءمة حال ألباتنا لحال استحفاك ؛ لسكنا ربما ضايقتناك
في العذر الذي اعتذرت به ، وإن كان واضحاً طريقه ، وناقشناك فيه ، وإن
كان واجباً تصديقه ، لفرط الأنس [يخلص إلينا] بكتابك ، والارتياح
بخطابك ، اللذين لا يؤذيان إلا خبر سلامة توجب الإحماد ، فنحن نأبى
إلا إجراء تلك العادة ، كما عودتنا ، وإلا التجاى عما تريد فيه من الزيادة
التي أردتها ، ولا ندع مع ذلك أن يضل تسويفك^(١) إلى الإقلال الذي اخترته
ياحمادك على الكتاب إذا كتبه ، توخياً^(٢) لأن تكون مؤهلاً في الحالين لخالصة

(١) سوف الأمر تسويفاً : أرجأه وأخره (م)

(٢) توخى الأمر يتوخاه توخياً : قصده (م)

التنويل ، مقدماً في درج التفضيل ، موفى حقائق الإيثار ، موفى لواحق الاستقصار ، ونستعين بالله على قضاء حقوقك ، وعلى جميل النية في أمورك ؛ فإن ذلك لا يُبَالِغُ إِلَّا بِقُوَّتِهِ ، وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بِحَوْلِهِ ، وَأَمَّا بَعْدَ فَقَدْ عَفَى ^(١) — أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى — مَا أَفَادَ كِتَابَكَ بِخَيْرِ السَّلَامَةِ مِنْ أَنْسِهِ ، عَلَى آثَارٍ مِنْ سَبَقِهِ بِخَيْرِ الْعِلْمَةِ مِنْ وَحْشَةٍ ، فَأَوْجِبْنَا مَقَابِلَةَ مَوْهَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَحْبُوبِ صَنَعٌ ، وَالْمَكْرُوهِ دَفْعٌ ، نَسْتَقْبِلُ بِهِ إِخْلَاصَ الْمَوَاهِبِ لَنَا ، وَنَسْتَدِيمُ بِهِ أَحْصَى الْمَرَاتِبِ بِنَا ، فَرَأَيْكَ — أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى — فِي الْمَطَالَعَةِ بِذِكْرِ تَسْتَمِدُّهُ فِي الْفَنَاءِ وَالصَّحَّةِ مِنْ مَزِيدٍ ، وَالطَّاعَةِ وَالْكَفَايَةِ مِنْ تَوْفِيقٍ وَتَسْدِيدٍ ، مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ..

ألفاظ لأهل العصر في ضروب التهناني وما ينخرط في سلكها

من ذلك في التهنئة بالمولود وما يجري مجراها من الأدعية ،

وما يختصّ منها بالملوك أو الرؤساء

مرحبا بالفارس المصدّق للظنون ، المقرّ للعيون ، المقبل بالطالع السعيد ، والخير العتيد ، أنجب الأبناء لأكرم الآباء . أما مستبشر بطولع النجم الذي كنا منه على أمل ، ومن تطاول استسراجه [الذي كنا منه] على وِجَلٍ ، إن يشأ الله يجعله مقدمة إخوة في نسق كالفرید المتسق ^(٢) . قد طلع في أفق الحرية أسعدُ نجم ، [ونجم ^(٣)] في حدائق المروءة أذكى نبت . يا بشرأي بطولع الفارس الميمون جدّه ، المضمون سَعْدُهُ ، عليه خاتمُ الفضل وطابعه ، وله سَهْمٌ الخير وطالعُه . الحمد لله على طلوع هذا الهلال الذي تراه إن شاء الله بدرا لا يَضِرُّ السَّرَّارُ بِهَاءِ ، وَلَا يَبْلُغُ الْحَقُّ سَنَاءَهُ وَسَنَاءَهُ ، وَقَدْ بَشَّرَتْ قَوَابِلُهُ بِالْإِقْبَالِ وَعُلُوِّ الْجَدِّ ^(٤) ، واقترن قدومه بالطالع السعد . هنّاك الله تعالى بقوة الظهر ،

(١) عفى : غطى وستر (م) (٢) الفرید : أراد الدر ، والمتسق : المنتظم (م)

(٣) نجم : طلع (م) (٤) الجد - بفتح الجيم - البخت والحظ (م)

واشْتَدَّ الأَزْرُ . الفارس المَكْثِرُ لسواد الفضل ، الموفِّرُ لِحَالِ الأهل ، المستوفى ، شرف الأرومة ، بكرم الأبوة والأمومة ، وأبقاه حتى نزاه ، كما رأينا جَدَّه وأباه .
عرفت أَنفَاً ما كَثُرَ اللهُ به عدده ، وشَدَّ عَصْدَه ، من طلوع الفارس الذى أضاء له الأفق ، وطال به باعُ السعادة ، فعظمت النعمى لدى ، وأوردت البشرى غاية المبنى على . مرحباً بالفارس القادم ، بأعظم المغنم ، سوى الخلق [سامى العرق]
يلوح عليه سيماء المجد ، وتتجاذبه أطراف الملك والحمد . وردت البشرى بالفارس الذى أوسع رباع المجد تاهيلاً ، ومناكب الشرف ارتفاعاً ، وأعضاد العزّ اشتداداً . واتتني بشرى البشائر^(١) ، والنعم المحروسة على النظائر ، فى سُلالة العز وسليبه ، وابن منبر الملك وسريره ، والأمير القادم بفرّة المكارم ، الناهض إلى ذرّوة العلياء ، بأباء أمراء ، وملوك عظام . مرحباً بالفارس المأمول لشدّ الظهور ، المرجو لسدّ النفور . الحمد لله الذى شدّ أزرّ الدولة ، ونظم قلادة الإمرة ، ودعم سرير العزّة ، ووطد منابر المملكة ، بالقمر السعد ، وشيبل الأسد الوزد . قد تنسّمت المكارم والمعالي ، وتباشرت الخطب والقوافى ، بالفارس المأمول لشدّ أزرّ الملك ، وسدّ نغز المجد ، وتطاول السير شوقاً إليه ، واهتزت المناير حرصاً عليه . قد افتترّ جفن العالم عن العين البصيرة ، واستغرب مضحكّه عن اللّمة المنيرة ؛ أما الأمير فالتاج لجبينه يبغى ، والركاب بقدمه تزهى^(٢) ، اللهم أرني هذا الهلال بَدْرًا قد علا الأقدار قدراً ، وبلغه الله فيه من مناه ، حتى نزاه وأخاه ، منيفين على ذرّوة المجد ، آخذين من أوفر الحظوة بأعلى الجد .

ولهم : والله يتمتع به ، ويرزقُ الخير منه ، ويحققُ الأمل فيه . عرف الله تعالى آثار بركة الموبود المسعود ، وعصّد الفضل بالزيادة فى عدده ، وأقرّ عين

(١) واتاه يواتيه : أسعفه وأنجده ، وتقرأ « وأتتني » بالهمز من الإتيان بمعنى المحبى . (م) (٢) فى نسخة « هو آمال الأمير فالتاج بجبينه سما ، والركاب بمقدمه زها » وليس كما يفتنى (م)

المجد بالسيادة من ولده . عرفه الله تعالى من سيادة مقدمه ، ما يجمعُ الأعداء تحت قدمه . عمرك الله تعالى حتى ترى هذا الهلال قرأً باهراً ، وبدراً زاهراً ، يكثرُ به عدد حَفَدَتِكَ ، ويعظم معه غُصَّةَ حَسَدَتِكَ ، من حيث لا تهتدي النوائبُ إلى أغراضكم ، ولا تطمع الحوادثُ^(١) إلى انتقاصكم ، متمك الله بالولد ، وجعله من أقوى العُدَد ، ووصله بإخوة متوافرى العُدَد ، شادى الأزر والعَضُد . هناك الله تعالى مولده ، وقرن باليُمن مَوْرِدَه ، وأراك من بنيه أولاداً برره [وأسباطاً وحفدة ، وعرفك بركة قُدومه ، ونجح مقدمه ، وسعد طالعه ، ويمن طائرَه ، وعمرك الله حتى ترى زيادة الله منه كما رأيتها به^(٢) ، والله يبلِّغك أفضل ما تنقسمه السعود ، وتعلوبه الجدود ، حتى يستغرق مع إخوته مساعى الفضل ، ويشيدوا قواعد الفخر ، ويزحوا صدور الدهر ، ويضبطوا أطراف الأرض ؛ والله يجرسه من نواظر الأيام أن ترنوا إليه^(٣) ، وأطماع الاليالى أن تتوجه عليه ، حتى يستقل بأعباء الخدمة ، وينهض بأثقال الدعوة ، ويخف في الدفع عن البيضة ، ويُسرِع في حماية الحوزة ، والله يديم لمولانا من العمر أكلاه ، ومن العز أهناه ، ليطبق العالم بفضله وعدله ، ويدبر الأرض بالنجباء من نسله .

ولهم في ذكر المولود العلوى

غُضِن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شجره أهل أن يحلوا نمره ، وفرع بين الرسالة والإمامة منتماه ، خليق أن يُحمد بدوه وعقباه . مرحباً بالطالع بأيمن طالع ، ومن هو من أشرف المناصب وال منابع ، حيث الرسالة والخلافة ، والإمامة والزعامة ، أبقاه الله تعالى حتى يتهماً فيه صوائع المن^(٤) ، ويعد حسنه من بنى الحسن .

(١) في نسخة « ولا تطلع الحوادث - إلخ » (م)

(٢) في نسخة « كما ترى مهابتة » (م) (٣) ترنو : تنظر (م)

(٤) في نسخة « حتى يتهماً منه صنائع المن » (م)

ولهم في التهنئة بالإملاك^(١) والنفاس ، وما يقترن به من الأدعية

من اتصل بمولاي سببه ، وشرف به منصبه ، كان حقيقاً بالرغبة إلى الله تعالى في توفيره وتكثيره ، وزيادته وتثميره ، لتزكو منابت الفضل ، وتنمي مغارس النبل والفخر ، وتطيب معادنُ الحمد . بارك الله لمولاي في الأثر الذي عقده ، وأحمده إياه^(٢) وأسعده ، وجعله موصولاً ببناء العدد ، وزكاء الولد ، واتصال الخليل ، وتكثير النسل . والله تعالى يخبرُ له في الوصلة الكريمة ، ويقربها بالمِنْجَةِ الجسيمة . قد عظمَ الله بهجتي ، وضاعف غبطني ، بما أتاحه من سرور ممدد ، بجمع شمل مجدّد ، فلا زالت النعم به محفوفة ، والمسارُ إليه مصروفة ، جعل الله هذه الوصلة أكيدة العقدة ، طويلة المدة ، سابعة البركة والفضل ، طيبة الذرية والنسل . وصل الله هذا الاتصال السعيد ، والعقد الحميد ، بأكمل المواهب ، وأحمد العواقب ، وجعل شمل مسرتك ملتماً ، وسبب أنسك منتظماً . عرفك الله تعجيل البركات ، وتوالي الخيرات ، ولا أخلاك الله من هذه الوصلة [من التهانى بنجباء الأولاد ، وكبت بكثرة عددك الحساد . هناك الله مولاي الوصلة] بكثرة العدد ، ووفور الولد ، وانبساط الباع واليد ، عالي القدر والجد .

ولهم في التهنئة بالولاية والأعمال ، وما يتصل بها من الأدعية

للوزراء والقضاة والعمال

عرفت أخبارَ البلد الذي أحسن الله إلى أهله ، وعطف عليهم بفضلِه ، إذ أضيف إلى ما يلا حظه مولاي بعين إيالته ، ويشفي خلاله بفضلِ أصلته . أنا من سرت

(١) الإملاك : التزويج ، تقول « أملك الرجل ابنته » تريد أنه زوجها (م)
 (٢) أحمده إياه : جملة يرى عاقبته محمودة ، ووقع في الأصول كلها « وأحمده أباه » ولا نراها إلا مصحفة عما أثبتناه (م)

بالولاية يلبس مولاى ظلّالها ، ويسحب أذيالها ، بنعم مستفادة ، ورُتب
مستزادة ، سرورى بما أعلمه بكسبه^(١) الثناء فى كل عمل يدبره ، من أحداثه جميلة ،
ومثوبة جزيلة ، ويؤثره من إحياء عدل ، وإماتة جور ، وعمارة لسبل الخيرات ،
وإيضاح لطرق المكرمات ، سيدى يوفى على الرتب التى يدعى لها مجلولة^(٢) ؛
فهنيناً لها بتجميلها بولايتيه ، وتحليها بكفايته . الأعمال إن بلغت أقصى الآمال ،
فكفاية مولاى تتجاوزها وتتخطاها ، والرتب وإن جلت قدراً ، وكبرت
ذِكراً ، فصناعاته تسبقها^(٣) وتمسوها ، غير أن للتهانى رسماً لا بدّ من إقامته ،
وشرطاً لا سبيل إلى نقض عادته . الأعمال وإن بلغت أقصى الآمال فكفاية
سيدى توفى عليها إيفاء الشمس على النجوم ، وترتفع عنها ارتفاع السماء على التخوم .
سيدى أرفع قدراً وأنبه ذِكراً ، من أن نهنته بولاية وإن جل أمرها وعظم
قدرها . قد أعطيت قوس الوزارة باريها ، وأضيفت إلى كفيها وكافيتها ، وفسخ
فيها شرط الدنيا الفاسد فى إهداء حظوظها إلى أوغادها ، ونقض بها حكمها الجائر
فى العدول بها عن نجباء أولادها . الدنيا أعز الله الوزير مهنةً بأخيارها^(٤) إلى
رأيه وتنفيذه ، والمالك مغبوبةً باتصالها إلى أمره وتديبره . قد كانت الدنيا
مستشفرةً لوزارته ، إلى أن سعدت بما كانت الأيام عنه مخبرة ، وحطيت
بما كانت الظنون به مبشرة . أنا أهني الوزارة بإلقائها إلى فضله مقادتها ،
وبلوغها فى ظلّه إرادتها ، وأخيارها من إيالته إلى واضحة الفخر ، وتوشحها من
كفايته بمرّة سائدة على وجه الدهر . الحمد لله الذى أقرّ عين الفضل ، ووطأ
مهاد المجد ، وترك الحساد يتعثرون فى ذبول الخيمة ، ويتساقطون فى فضول
الحسرة ؛ وأراني الوزارة وقد استكمل الشيخ إجلالها ، ووفى لها جملها :

(١) فى نسخة « سرورى بما أعمله يكسب الثناء - إلخ » (م)

(٢) فى نسخة « يدعى له بحولها فيتهدأ لها بتجميلها » (م)

(٣) فى نسخة « تنسبها » (م) (٤) فى نسخة « بأخيار الولاية » (م)

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
والقاضي علم العلم شرفاً وغباً ، ونجم الفضل غوراً ونجداً ، وشمس الأدب
براً وبحراً ، فسبيل الأعمال أن تهناً إذا ردت إلى نظره الميمون ، وعصبت برأيه
المأمون . [أسعد الله القاضي بما جد له من رأى مولانا وارتضاه ، واعتمده
لأجل أمر الشريعة وأمضاه ، وأسعد المسلمين والدين بما أصاره إليه ، وجمع زمامه
في يديه . عرف الله سيدي من سعادة عمله ، أفضل ما ترقاه بأمله ، ولقاه من
مناجح أمره ، أفضل ما انتجاه بفكره . خار الله فيما تولاه وتطوقه ، وبلغه في
كل حال أمله وحققه ، وعرفه من يمين ما باشره تديره ^(١) الخير [والخير]]
والبركات الحاضرة والمنتظرة ، وجعل المناجح إليه أرسالا ، لا تمل تواليها واتصالا .
أسعد الله أفضل سعادة قسمت لوالي عمل ، وأسهم له أخص بركة أسهمت
لمسامي أهل ^(٢) ، أحضر الله السداد عزمه ، والرشادهم ، وكنفه العظمة وأيده ،
وقرّنه بالتوفيق ولا أفرد . هنا الله تعالى الموهبة التي ساقها إليه ، ومد رواقها
عليه ؛ إذ كانت من عقائل المواهب ، مسفرة عن خصائص المراتب ، وحلت فيه
محل الاستحباب لا الإيجاب ، والاستحقاق دون الاتفاق . هنا الله نعمته الفضل ^(٣)
الذي الولاية أصغر آلائها ، والرياسة بعض صفاتها

ولهم في التهنئة بذكر الخلمع والأجبية

أهني سيدي مزيد الرفعة ، وجديد الخلمعة ، التي تخلع قلوب المنازعين ،
واللواء الذي يلوي أيدي المناذين ، والحظ الذي لو امتطاه إلى الأفلاك لحازها ،
أو سامى به الجوزاء لحازها . بلغني خبر ما تطوعت به سماه الحمد ، وجادت به

(١) في نسخة « ما باشره وتديره » (م) (٢) في نسخة « لسامى أمل » (م)

(٣) في نسخة « هنا الله همته بالفضل الذي - الخ » (م)

أنواه الملك ، فصن من الخلع أسناها ، ومن المراكب أبهاها ، [ومن السيوف أمضاها ، ومن الأفراس أجزأها ، ومن الإقطاعات أنماها] . لبس خلعتة متجمللاً منها ملابس العز ، وامتطى فرسه فارغاً به ذرورة المجد ، وتقلد سيفه حاصداً بحد . طلى أعدائه^(١) وغامطى نعامه ، واعتنق طوقه متطوقاً عزاً أبدياً ، واعتضد بالسوارين الموديين بقوة الساعد والعَضُد ، وسأس أوليائه ولواه العز عليه خافق ، وهو بلسان الظفر والنصر ناطق . قد لبس خلعتة التي تعمد بها [رفته] ، وامتطى حملانته الذي واصل به إحسانه^(٢) ، تمنطق بحُسامه الذي ظاهر أبواب إنعامه ، وتحمم بخاتميه ، اللذين بسطاً من يديه ؛ ووقع من دواته ، التي أعلت من درجاته قد زرت عليه سماه الشرف عرى الخلعة ، التي تترأى صفحات العز على أعطافها ، وتمترى مزايا المجد من أطرافها ، وركب الحملان الذي تتناول قاصبتي المنى من ناصيته ، والمركب الذي تستخذى^(٣) حلى الثريا لجليته ، والسيف والمنطقة الناطقان عن نهاية الإكرام ، الناظران قلائد الإعظام . خلع تلخع قلوب الأعداء من مقارها^(٤) ، وتعدر نفوس الأولياء بمسارها ، وسيف كالقضاء مضاءً وحداً ، ولواه يخفق قلوب المنازعين إذا خفق ، وحملات تصدع منكب الدهر إذا انطاق^(٥) .

ولهم في التهنئة بالقدوم من سفر

أهني سيدي ونفسي بما يسره الله من قدومه سالماً ، وأشكره على ذلك شكراً قائماً ؛ غيبة المكارم مقرونةً بغيبتك ، وأوبة النعم موصولةً بأوبتك ؛ فوصل الله تعالى قدومك من الكرامة ، بأضفاف ما قرن به مسيرك من السلامة . وهناك أيامك ، وبلغك محابك ؛ ما زلت بالنية مسافراً ، وياتصال الذكر

(١) الطلى - بضم الطاء ، بوزن الهدى - الأعتاق أو أصولها (م)

(٢) في نسخة « وامتطى حملانته التي واصل بها إحسانه » (م)

(٣) في نسخة « والمراكب الذي يستحد بالجلية على السير » (م)

(٤) في نسخة « عن مقارها » (م) (٥) في نسخة « إذا نطق » (م)

والفكر لك ملاقيا ، إلى أن جمع الله شمل سرورى بأوبتك^(١) ، وسكن نافر قلبى
بعودتك ، فأسأل الله أن يسعدك بمقدمك سعادة تكون فيها [بالإقبال] مقابلا ،
وبالأمانى ظافرا ، ولا أوحش منك أوطان الفضل ، ورباع المجد ، بمنه وكرمه .
[من أحسن الشعر]

قال الهيثم بن عدى : أنشدنى مجالد بن سعيد شعراً أعجبني ، فقلت : من
أنشدك ؟ قال : كنا يوماً عند الشعبي فتناشدنا الشعر ، فلما فرغنا قال : أيكم يحسن
أن يقول مثل هذا ، وأنشدنا :

خليلى مهلاً طالما لم أقل مهلاً وما سرفايم الآن قلت ولا جهلاً^(٢)
وإن صيباً ابن الأربعين سفاهه^٣ فكيف مع اللاتي مثلتُ بها مثلاً
يقول لى المفتي وهنّ عشية^٤ بمكة يسحبن المهذبة الشحلاً^(٥)
تق الله لا تنظرن إليهنّ يا فتى وما خلعتني بالحج ملتيمساً وصلأ
فوالله لا أنسى وإن شطت النوى عراينهنّ الشمّ والأعين النجلاً
ولا المسك في أعرافهن ولا البرى^٦ جواعل في أوساطها قصباً خذلاً
خليلى لا والله ما قلت مرّحياً^٧ لأول شيباتٍ ظلعن ولا أهلاً^(٨)
خليلى إن الشيب داء كرهته^٩ فما أحسن المرعى وما أقيح الحلاً

قال مجالد : فكتبت الشعر ، ثم قلنا للشعبي : من يقوله ؟ فسكت ، فحسبنا
أنه قائله .

[المرثى التي قيلت على قبر عمرو بن حمزة الدوسي]

قال الشرقي بن القطامي : لما مات عمرو بن حمزة الدوسي - وكان أحد من
تتحاكم العرب إليه - مرّ بقبيره ثلاثة نفر من أهل المدينة قادمين من الشام : الهدم
أبن امرئ القيس بن الحارث بن زيد ، وهو أبو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه

(١) أوبتك : رجوعك (م) (٢) في نسخة «ولا سرفايمى المقال» (م)

(٣) في نسخة «المهذبة النجلا» تصحيف ، وأراد بالمهذبة السجل الثياب البيض ،

واحد ما سجل ، وانظر الأملى ١٢٤/٢ (م) (٤) يروى «خليلى لولا الله» (م)

(٥) - زهر الآداب : ١٥

النبي صلى الله عليه وسلم ، وعتيك بن قيس بن هَيْشَةَ بن أمية بن معاوية ، وحاطب
 ابن قيس بن هَيْشَةَ ابن معاوية . وحاطب بن هَيْشَةَ الذي كانت بسببه حرب
 حاطب ، فَعَقَرُوا رِوَاهِلَهُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، وَقَامَ الْهَدْمُ فَقَالَ :

لَقَدْ ضَمَمْتُ الْأَثْرَاءَ مِنْكَ مُرَرًا عَظِيمَ رَمَادِ النَّارِ مُشْتَرِكِ الْقَدْرِ
 إِذَا قُلْتَ لَمْ تَتْرِكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ وَإِنْ صُلْتَ كُنْتَ اللَّيْثَ تَحْمِي حَمَى الْأَجْرِ
 حَلِيمًا إِذَا مَا الْحَلْمُ كَانَ حِزَامَةً وَقُوْفًا إِذَا كَانَ الْوُقُوفُ عَلَى الْجَمْرِ (١)
 لِيَسِيكَ مَنْ كَانَتْ حَيَاتُكَ عِزَّهُ وَأَصْبَحَ لَمَامَتٌ يَفْضِي عَلَى الصُّغْرِ
 سَقَى الْأَرْضَ ذَاتَ الطُّوْلِ وَالْعَرْضَ مُشْجِمًا أَحْمَ الذَّرَى وَهِيَ الْعَرَى دَائِمُ الْقَطْرِ (٢)
 وَمَا فِي سَقِيَا الْأَرْضِ لَكِنَّ تَرَبَةً أَضَلَّكَ فِي أَحْشَائِهَا مَلْجِدَ الْقَبْرِ
 وَقَامَ عَتِيكَ بِنَ قَيْسِ فَقَالَ :

بَرَّغْمُ الْعَلَا وَالْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالنَّدَى طَوَاكَ الرَّدَى يَاخِيْرَ حَافٍ وَنَاعِلٍ
 لَقَدْ غَالِ صَرَفُ الدَّهْرِ مِنْكَ مُرَرًا نَهْوَضًا بِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ الْأَنْقَالِ
 يَضُمُّ الْعُقَاةَ الطَّارِقِينَ فِنَاوُهُ كَمَا ضَمَّ أُمَّ الرَّأْسِ شَعْبَ الْقِبَائِلِ
 وَيَسْرُو دَجَا الْهَيْجَا مِضَاهُ عَزِيمَةً كَمَا كَشَفَ الصَّبِيحُ أَطْرَاقَ الْغِيَاظِلِ (٣)
 وَيُسْتَهْزَمُ الْجَيْشُ الْعَرْمَرَمُ بِاسْمِهِ وَإِنْ كَانَ جَرَّارًا كَثِيرَ الصَّوَاهِلِ
 فَإِنَّمَا تُصَبِّبُنَا الْحَادِثَاتُ بِنَكِيْمَةٍ رَمْتِكَ بِهَا إِحْدَى الدَّوَاهِي الضَّابِلِ (٤)
 فَلَا تَتَّبِعْدَنَّ إِنْ الْخَتُوفَ مَوَارِدٌ وَكُلُّ فِتَى مِنْ صَرْفِهَا غَيْرُ وَاثِلِ (٥)
 وَقَامَ حَاطِبُ بِنَ قَيْسِ فَقَالَ :

سَلَامٌ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي ضَمَّ أَعْظَمًا تَحْمُومُ الْعَالِي نَحْوَهُ فَتُسَلِّمُ

- (١) في الأمل ١٤٣/٢ « وقورا إذا كان الوقوف على الجمر » وفي نسخة من
 نسخ هذا الكتاب « حلیم إذا ما الحلم حل حزامه » تحريف قبيح (م)
 (٢) في الأمل ١٤٣ « أحمر الرحا » والرحا : وسط الغيم ومعظمه (م)
 (٣) الغياطل : جمع غبطة ، وهي الظلمة واختلاط الأصوات ، والبقرة الوحشية (م)
 (٤) الضابيل : جمع ضبل ، وهي الداهية (م) (٥) غير وائل : غير ناج (م)

سلام عليه كلما ذرَّ شارِقُ
 [فيا قَبْرَ عمرو جاد أرضا تعطفت
 وما امتدَّ قطع من دُجَى الليل مُظْلِمِ
 عليك مِلْكٌ دائمٌ القطرِ مُرْزِمِ
 تَضَمَّنَتْ جِسا طاب حياً وميتا
 فانت بما ضُمَّنتَ في الأرض مُعَلِّمِ
 فلو نطقتَ أرضٌ لقال ترابها
 إلى مَرَمَسٍ قد حلَّ بين ترابه
 وأحجاره بدرٌ وأضبط ضنيم
 فقد كنت نور الخطب والخطب مُظْلِمِ
 فلا يبعدنك اللهُ حياً وميتاً
 حدابيرُ عوجٌ نَبْهاً مُتَهَمِ]
 لعمرُ الذي حُطَّتْ إليه على الوَنَا
 وكان قديماً رُكْنُها لا يهدمُ
 لقد هدم العلياء موتك جانباً

[بلاغة الأعراب]

قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يذكر قومه فقال : كانوا إذا اصطفوا تحت
 أعرابي يصف قومه القَتام ، مطرت بينهم السبهم ، بشؤبوب الحِمَام^(١) ، وإذا تصاحخوا بالسيوف ، ففرت
 أفواهاها الحُتوف ، فرب قرن عارم قد أحسنوا أدبه ، وحرَّب عبوس قد أضحكتها
 أسنتهم ، وخطب مُشمِيز ذلَّوا منا كبه ، ويوم عمَّاس قد كشفوا ظلمته بالصبر
 حتى تتجلى . كانوا البحر لا ينعكس عُماره ، ولا يُزَنُّه تياره .

قال العتبي : سئل أعرابي عن حاله [عند موته] فقال : أجدني مأخوذاً
 أعرابي يصف حاله عند الموت بالنقلة ، محجوجاً بالمهلة ، أفارق ما جمعت ، وأقدم على ما ضيَّمت ، فيا حياً من
 كريم قدَّم المعذرة ، وأطال النظرة^(٢) ، إن لم يتداركني بالمغفرة ، ثم قضى .

وقال بعض الرواة : كان يقال : الإخوان ثلاثة : أخ يخلص لك ودّه ، ويبلغ
 لك في مهمك جهده ، وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته ، دون رِفْدِه^(٣)
 ومعونته ، وأخ يجاملك بلسانه ، ويشغل عنك بشأنه ، ويوسعك من كذبه بأيمانه .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وقفت علينا أعرابية فقالت : يا قوم ، تمتر أعرابية تسأل
 بنا الدهر ، إذ قلَّ منا الشكر ، وفارقنا الغنى ، وحالفنا الفقر ، فرحم الله امرأ فهم

(١) القَتام : العبار الذي أثارته الخيل في المعركة ، والشؤبوب : الدفعة من المطر (م)

(٢) النظرة : التأخير والتأجيل (م) (٣) الرفد - بالكسر - إعطاء (م)

بعقل ، وأعطى من فضل ، وواسى من كفاف ، وأعان على عفاف .

[ذل السؤال]

قال أبو بكر الحنفي : حضرتُ مسجد الجماعة بالكوفة ، وقام سائلٌ يتكلم عند صلاة الظهر ثم عند العصر والمغرب ، فلم يُعْطَ شيئاً ، فقال : اللهم إنك بحاجتي عالم غير معلم ، واسع غير مكلف ، وأنت الذي لا يرزؤك نائل ، ولا يُحْفِك^(١) سائل ، ولا يبلغ مدْحَتَكَ قائل ، أنت كما قال المُنُون ، وفوق ما يقولون ، أسألك صبراً جميلاً ، وفرجاً قريباً ، ونصراً بالهدى ، وقرّة عين فيما تحب وترضى ، ثم ولّى لينصرف ، فابتدره الناسُ يعطونه ، فلم يأخذ شيئاً ، ثم مضى وهو يقول :

ما اعتاض باذلُ وجهه بسؤاله عِوَضاً ، ولو نال الغنى بسؤال
وإذا السؤالُ مع النوالِ وَزَنَتْهُ رَجَحَ السؤالُ وخفَّ كلُّ نوالِ

[من مقامات بدیع الزمان]

ومن مقامات الإسكندري إنشاء البديع : حدّثنا عيسى بن هشام قال : كنت في بلاد الأهواز ، وقصارى لفظة شرود أُصيدها ، أو كلمة بايعة أُستفيدها ؛ فإذ اني السير إلى رُقعة [من البلاد] فسيحة ، وإذا هناك قومٌ مجتمعون على رجل يستمعون إليه وهو يخبط الأرض بعصاً على إيقاع لا يختلف ، وعلمت أن مع الإيقاع لحناً ، ولم أبعُدُ لأنال من السماع حظاً ، أو أسمع من البليغ لفظاً ، فما زلت بالنظارة ، أزحم هذا وأدفعُ ذلك ، حتى وصلتُ إلى الرجل ، وصرفت الطرف منه إلى حُرْقة^(٢) كالقُرْنب^(٣) ، مكفوف في شملة من صوف ، يدور كالخدروف^(٤) ، مُتَهَرِّباً بأطول منه ، معتمداً على عصاً فيها جلاجل ، يضربُ الأرض بها على إيقاع غنّيج ، ولفظٍ هزج ، من صدرٍ حرج ، وهو يقول :

يا قومُ قد أثقلَ ديني ظهري وطالبتني طلّتي بالمهر^(٥)

القامة
الأهوازية
(الكفوفية)

(١) لا يحفك - بالحاء المهملة - لا يتقل عليك ، ووقع في نسخة « لا يحفك »
تحريف (م) (٢) الحزقة : القصير المتقارب الخطو ، والقُرنب - بوزن جعفر - اليربوع
أو الفارة (م) (٣) الخدروف : لعبة من لعب الصبيان (م) (٤) الطلة : الزوجة (م)

أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ غَنَى وَوَفْرِ
 يَأْتِيهِمْ هَلْ بَيْنَكُمْ مِنْ حُرٍّ
 يَأْتِيهِمْ قَدِ عَيْلٍ بِقَفْرِي صَبْرِي
 وَفَضَّ ذَا الدَّهْرِ بِأَيْدِي البَتْرِ
 أَوَى إِلَى بَيْتِ كَعْبِيدِ الشَّبْرِ
 لَوْ خَتَمَ اللهُ بِخَيْرِ أَمْرِي
 هَلْ مِنْ فَتَى فِيكُمْ كَرِيمِ النَّجْرِ
 مَحْتَسِبُ فِي عَظِيمِ الأَجْرِ
 سَاكِنَ قَفْرٍ وَحَلِيفَ قَفْرٍ
 يُعِينُنِي عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ
 وَأُنْكَشِفَتُ عَنْ ذِيولِ السَّبْرِ
 مَا كَانَ لِي مِنْ فَضَّةٍ وَتَبْرِ
 خَامِلَ قَدَرٍ وَصَغِيرَ قَدَرٍ (١)
 أَعْقَبَنِي مِنْ عُسْرَةِ بَيْسْرِ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مُفْتَنًا لِلشُّكْرِ

قال عيسى بن هشام : فرق له والله قلبي ، واغرورقت عيني ، وما لبثت أن أعطيته دينارا كان معي ، فأنشأ يقول :

يَا حُسْنَهَا فَاقِعَةٌ صَفْرَاهُ
 يَكَادُ أَنْ يَقْطُرَ مِنْهَا المَاءُ
 نَفْسُ فَتَى يَمْلِكُهُ السَّخَاهُ
 يَا ذَا الَّذِي يَعْنِيهِ ذَا التَّنَاهُ
 مَعشُوقَةٌ مَنقُوشَةٌ قَوْرَاهُ
 قَدْ أَمْرَتْهَا هَمَّةٌ عَلِيَاهُ
 بِصَرْفِهِ فِيهِ كَمَا يَشَاءُ
 مَا يَتَقَصَّى قَدْرَكَ الإِطْرَاهُ

فَامضِ عَلَى اللهِ لَكَ الجِزَاءُ

ورحم الله من شدتها في قرن يمثلها ، وأنسها بأختها ، فناله الناس ما نالوه (٢) ؛ ثم فارقهم وتبعته ، وعلمت أنه متعالم لسرعة ما عرف الدينار ، فلما نظمتنا خلوة مددت بطننا إلى يسرى عضدي ، وقلت : والله لتريني سيرك ، أو لا كشفن سيرك ؛ فكشف عن توأمتي لوز (٣) ، وحذرت لثامه ، فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري ، فقلت : أنت أبو الفتح ؟ فقال : لا

أَنَا أَبُو قَلَمُونٍ فِي كُلِّ لَوْنٍ أَكُونُ

(١) كعبيد الشبر : كعبدته (م) (٢) ناله الناس : أعطوه (م)

(٣) توأمتي لوز : كناية عن حدة عينيه .

اخْتَرْنَا مِنَ الْكَسْبِ دُونًا فَإِنَّ دَهْرَكَ دُونَ
زَجَّ الزَّمانِ مُحْمَقٍ إِنَّ الزَّمانَ زَبُونُ
لَا تُخْبِدَعَنَّ بِعَقْلٍ مَا الْعَقْلُ إِلَّا الْجَنُونُ

[من شعر كشاجم]

وقال أبو الفتح كشاجم :

ما زال حرُّ الشوقِ يَغْلِبُ صَبْرَها حتى تحَدَّرَ دَمْعُها المتعلِّقُ
وجرى من الكحلِّ السحيقِ بخدِّها خَطُّ تَوَثُّرِهُ الدَّمْعُ الشَّبِقُ
فكانَ مَجْرَى الدَّمعِ حِلْيَةً فضَّةً في بعضه ذهبٌ وبعضٌ مُحْرَقُ

وقال :

مالدةٌ أَكْمَلُ في طيِّبها من قُبَلَةٍ في إثرها عَصَّةُ
كأَنَّما تَأثيرها لَمَعَةٌ من ذهبٍ أُجْرِي في فضَّةُ
خَلَسَتْها بِالكَرهِ من شادِنِ يَمَسُّقُ بَعْضِي بِالْمَنَى بَعْضُهُ

وقال :

ومستهجنٍ مَدْحِي له إنْ تَأَكَّدَتْ له عَقْدُ الإِخْلَاصِ ، والحَرْشُ يُمَدِّحُ^(١)
ويَأْبَى الذي في القلبِ إِلاَّ تَبَيَّنَا وكلَّ إِناءٍ بالذي فيه يَرَشِّحُ

وقال :

وإذا افتخرتَ بأَعْظَمِ مقبورة فالناسِ بينَ مَكْدَبٍ ومُصَدِّقِ
فأَقِمِ لِنَفْسِكَ في اتِّسَابِكِ شاهِدًا بِحَدِيثِ مَجْدٍ لِلْقَدِيمِ مُحَقِّقِ

وقال :

يا مُسْدِي العُرْفِ إِسْرارًا وإِعلانًا ومُتَّبِعِ السَّبْرِ والإِحْسانِ إِحْسانًا^(١)
أَقْلِعِ سَحَابَكَ قد غَرَّ قَنِي نِعْمًا ما أَدْمَنَ الغَيْثُ إِلاَّ كانَ طُوفانًا^(٢)

(١) المسدي : المعطي ، أسدي يسدي : أعطى ، والعرف : المعروف (م)

(٢) أقلع سحابك : أراد أقطع معزوفك وعطاءك ، وأدمن : دام وتتابع (م)

هذا مولد من قول أبي نواس :

لا تسدين إلى عارفة
حتى أقوم بشكرٍ ما سلفا

البحترى :

أحّ جوداً ولم تضررُ سحائبه
وربما ضرّ في إلحاحه المطرُ
مواهبٌ ما تجشّمنا السؤال لها
إن الغمام قلبٌ ليس يحتقر^(١)
وقد أخذ على ذى الرمة قوله :
ولا زال مُهلاًّ بجرّ عائك القطرُ
ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى
قالوا : وأحسن منه قول طرفة :
فسقى ديارك غيرَ مفسدها
صوبُ الربيع وديمةٌ تهيمى
وقد تحرز ذو الرمة مما تؤول عليه بالسلامة في أول البيت .

وقال كشاجم :

أيا تشوان من خمرٍ بفيه
متى تصحّو وريقك خندريس^(٢)
أرى بك ما أراه بذى انتشاء
أحّ عليه بالكاس الجليسُ
تورّد وجنةً وفتورُ لحظي
تمرّضه وأعطافُ تيمسُ
وقال :

وما زال يبرى جملةً الجسم حُبها
وينقصه حتى نقضتُ عن النقص^(٣)
وقد ذُبت حتى صرتُ إن أنا زرتها
أمنتُ عليها أن يرى أهلها شخصي

[الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره]

كتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء : نبت بي غرةُ الحدائة ، فردّتنى
إليك التجربة ، وقادّتنى الضرورة ، ثقةً بإسراعك إلى وإن أبطأتُ عنك ،

(١) تجشّمنا : تكلفنا ، والقلب : البئر (م) (٢) الخندريس : اسم من أسماء

الحجر (م) (٣) يبرى : ينحل ويهزل ويضعف ، وفي نسخة « على النقص » (م)

وقبولك العذر وإن قصرتُ عن واجبك ، وإن كانت ذنوبي سَدَّتْ عليّ مسالكَ الصّبحِ عني ، فراجعْ في مجدك وسؤددك ، وإني لا أعرف موقفاً أذل من موقفي ، لولا أنّ الخطابية فيه لك ، ولا خِطّة أذني من خُطّتي ، لولا أنّها في طلبِ رضاك .

وهذا المعنى الذي ذهب إليه من الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره قد أكثر الناسُ منه قديماً وحديثاً وسأفيض في طرفٍ من ذلك :

وأشُدُّ أبو عبيدة لزياد بن مُنقِذِ الحنظلي ، وهو أخو [المرار العدوي ، نسب إلى أمة العدوية ، وهي فُكَيْهَة بنت تميم بن الدؤل بن جبلة بن عدى بن] عبد مناة بن أد بن طابخة ؛ فولدت لمالك بن حنظلة عدياً ويربوعاً ؛ فهو لاء من ولده يقال لهم [بنو] العدوية ، وكان زيادٌ نزل بصنعاء فاجتواها ^(١) ومنزله بنجد ، فقال في ذلك قصيدة يقول فيها وذكر قومَه :

مُحَدَّمُونَ نِقَالَ فِي مَجَالِسِهِمْ وَفِي الرِّحَالِ إِذَا صَاحَبْتَهُمْ خَدَمٌ ^(٢)
لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ حَيًّا فَأَخْبِرَهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حَيًّا إِلَى هُمْ
[وأراه أول من استثار هذا المعنى .

وكان ابنُ أبي عرّادة السعدي مع سلم بن زياد بنخراسان وكان له مكرماً فتركه وصحب غيره فلم يحمد أمره ، فرجع إليه ، فقال :

عَتَبْتُ عَلَى سَلْمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلْمٍ
رَجَعْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ تَجْرِيْبِ غَيْرِهِ فَكَانَ كَبْرُهُ بَعْدَ طَوْلِ مِنَ السَّقِيمِ [
وقال مسلم بن الوليد :

حَيَاتِكَ يَا بَنَ سَعْدَانَ بْنِ يَحْيَى حَيَاةً لِلْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
جَلِبْتَ لَكَ الثَّنَاءَ فِجَاءَ عَفْوًا وَنَفْسُ الشُّكْرِ مَطْلَقَةُ الْعِقَالِ

(١) اجتواها : كرهها واستوخمها (م)

(٢) محدمون : يكثر غيرهم خدمتهم ، ونقال في مجالسهم : كناية عن الحلم والثبات (م)

وترجعني إليك - وإن نأت بي ديارى عنك - تجربة الرجال
وأشده أبو العباس محمد بن يزيد المبرد للبحثى :

أخ لك عاداه الزمان فأصبيحت مذممةً فيما لديه المطــــــــالبُ
متى ما تذوقه التجاربُ صاحباً من الناس تردُّهُ إليك التجاربُ
وأشده :

حياةُ أبي العباس زين لقومه لكل امرئ قامةُ الأمور وجرباً
ونعتبُ أحياناً عليه ولو مضى لكنا على الباقي من الناس أعتباً^(١)
قال الصولي : جرى ذكرُ المكتفي بحضرة الراضى فأطريته وأكثرتُ الثناء
عليه ، فقال لى : يا صولى ؛ كنت أنشدتني لجرير :

أسليك عن زيد لتسلى ، وقد أرى بعينيك من زيد قدى ليس يبرحُ
فقلت : يا أمير المؤمنين ، من شكر القليل كان للكثير أشدَّ شكراً ، وأعظم
ذكراً ، قال : فأين أنا لك من المكتفي ؟ فأشده للطنائى :

كم من وساع الجودِ عندى والندى لما جرى وجريت كان قطوفاً^(٢)
أحسبنا صفدي ، ولكن كنت لى مثل الربيع حياً وكان خريقاً
وكلاً كما اقتعد العلاء فركبها فى الذروة العلياً وجاء رديفاً^(٣)
إن غاض ما المزن فضت ، وإن قست كبدُ الزمان على كنت ره وفا
وكان المكتفي أول من نادمه الصولى ، واختلط به .

ولم يل الخلافة أحد اسمه على إلا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، من اسمه على
ومن استخلف بمن يعرف بمحمد بن أحمد الماوردى نزع إلى المكتفى بالرفقة ، وكان أعب الناس

(١) أعتبا : أشد عتبا (م) (٢) الوساع : الواسع ، والقطوف : البطىء السير (م)

(٣) الرديف : الذى يركب خلف راكب (م)

بالشطرنج ، فلما قدم عليه بغداد وهو خليفة قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أعلم الناس بهذه الصناعة ، فأقطعني ما كان للرازي الشطرنجي ؛ ففاظ ذلك المكتفى، وندب له الصولى فلم يُرَّ معه الماوردى شيئاً . فقال له المكتفى : صار ماء وردك بؤلاً ، قال الصولى : فأقبل المكتفى علىّ ورتبني في الجلساء ، فحجبت يوماً عنه ، واتصل بي أن خصمى شمت بي ، فكتبت قصيدة للمكتفى أقول فيها :

قد ساء ظنُّ الناس بي وتنكروا كما رأوني دون غيري أُحجَبُ
إن كان غلبيه يُقَرَّبُ أمره دوني فأني عن قريب أُغلبُ
فضحك ، وأمر لي بمائتي دينار ، واندرجتُ في خدمته .

[في بيعة يزيد بن معاوية]

اجتمعت وفودُ العرب عند معاوية رحمه الله تعالى ، وكان إذا أراد أن يفعل شيئاً ألقى منه ذرءاً إلى الناس^(١) ، فإذا امتنعوا كفّ ، وإن رضوا أمضى ، فعرض ببيعة يزيد ، فقامت خطباء معدّة فسقّوا الكلام ، وأطنبوا في الخطاب ، فوثب شاب من غسان قابضاً على قائم سيمه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنّ الحيفَ في حكم السيف^(٢) ، وبعْدَ النسيمِ الهيفُ^(٣) ؛ فإنّ هؤلاء عجزوا عن الصيال ، فعوتلوا على المقاتل ، ونحن القاتلون إذا صلّنا ، والمعجبون إذا قلنا ، فمن مال عن القصدِ أقمناه ، ومن قال بغير الحقِّ وقمناه^(٤) ، فليَنظُرْ ناظراً إلى موطنِ قدمه ، قبل أن تدحّض فيهِ هوى هوى الحجر من رأس النّيق^(٥) ؛ فتفرّق الناس عن قوله ، ونسوا ما كانوا فيه من الخطب .

(١) ذرءاً : أى شيئاً منه ، ووقع في نسخة « ألقى منه طرفاً » (م)

(٢) الحيف : الظلم والجور (م) (٣) الهيف : ريح حارة (م)

(٤) وقمناه : قهرناه وأذلناه (م) (٥) النيق : أرفع موضع في الجبل (م)

[في الإقدام حياة]

وقال المهلب يوماً جلسائه : أراكم تعنفونني في الإقدام ، قالوا له : إى والله ،
إنك لسقوط بنفسك في المهالك ، قال : إليكم عنى ! فوالله لولا أن آتى الموت
مسترسلاً ، لأتاني مستعجلاً ؛ إني لست آتى الموت من حُبِّه ، إنما آتته من بُغْضِهِ ،
ثم تمثل بقول الحِصَيْن بن الحِطَّام المري :

[تأخرت أستبقى الحياة فلم أجدْ لنفسي حياة مثلَ أن أتقدماً

ومن هذا أخذ أبو الطيب المتنبي قوله] :

أرى كلنا يَهْوَى الحياةَ لنفسه حريصاً عليها مستهماً بها صبياً
حُبُّ الجبانِ النفسَ أوردته التُّتقى وحُبُّ الشجاعِ النفسَ أوردته الخرباً

وقال أبو دلف :

الحربُ تضحكُ عن كَرِّى وإقدامى والخيلُ تعرفُ آثارى وأيامى
سَيْفِي مُدَامِي ، ورِيحَانِي مَثَقَتِي ، وهَمَّتِي مَقَّةُ التَفْصِيلِ لِلْهَامِ (١)
وقد تجرَّد لى بالحسن منفرداً أمضى وأشجع منى يوم إقدامى (٢)
سلتُ لواحظه سيفَ السَّفَامِ على جسمي فأصبح جسمي رُبْعَ أسقام

[من أخبار أبي دلف وشعره]

وكان أبو دلف شاعراً مجيداً ، وجواداً كريماً ، جامعاً لآلات الأدب والظرف ،

وله شعرٌ جيد في كل فن ، وهو القائل :

أحبك يا جنان ؛ فأنت منى محلّ الروح من جسدِ الجبانِ
ولو أنى أقول : مكان روحي لحفتُ عليكِ بادرَةَ الزمانِ

(١) اللقمة : المحبة ، ووقع في نسخة « وهمتي نية التفصيل » (م)

(٢) في نسخة « وقد تجرّد بالحسن ذوبدع » (م)

لإقْدَامِي إِذَا مَا انْخَلِيلُ جَالَتْ وَهَابَ كَمَا نَهَبَهَا حَرَّةَ الطَّعْمَانِ (١)

وكان يتعشق جارية ببغداد فإذا شخّصَ إلى الحضرة زارها، فركب في بعض قَدَمَاتِهِ إليها، فلما صار بالجسر مشى على طرف طيلسان بعض المازنين، فخرقه، فأخذ بعنانه، وقال: يا أبا دلف؛ ليست هذه كرخك، هذه مدينة السلام؛ الذئب والشاة بها في مَرَبَعٍ واحد! ففتى عنانه متوجّهاً إلى الكرخ، وكتب إلى الجارية:

قَطَعْتَ عَن لِقَائِكَ الْأَشْغَالُ وَهَمُومٌ أَتَتْ عَلَيَّ نِقَالَ
فِي بِلَادِهَا فِيهَا عَزِيزُ الْقَوْمِ حَتَّى تَنَالَهُ الْأَنْدَالُ
حَيْثُ لَا مَدْفَعٌ بِسَيْفٍ عَنِ الضِّمَمِ وَلَا لَلْكَفَاةِ فِيهَا مَجَالٌ (١)
وَمَقَامَ الْعَزِيزِ فِي بَلَدِ الْهُو ن إِذَا أَمَكْنَ الرَّحِيلُ مَحَالُ
فَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا ظَنِيَّةَ الْكُرُخِ خِ أَقْتَمِ وَحَانَ مِنَّا ارْتِحَالُ

ودخل أبو دلف على المأمون بعد الرضا عنه، فسأله عن عبد الله بن طاهر، فقال: خلفته يا أمير المؤمنين أمين غيب، نصيح جيب، أسداً عاتياً، قائماً على برائته، يسعد به وليك، ويشقى به عدوك، رَحِبَ الْفِنَاءِ لِأَهْلِ طَاعَتِكَ، ذَا بَأْسٍ شَدِيدٍ لِمَنْ زَاغَ عَن قَصْدِ مَحَبَّتِكَ، قَدْ فَتَّهَ الْخَزْمَ، وَأَيَقَظَهُ الْعَزْمَ، قَامَ فِي نَحْرِ الْأُمُورِ عَلَى سَاقِ التَّشْمِيرِ، يُبْرِمُهَا بِأَيْدِهِ (٢) وَكَيْدِهِ، وَيَقْلُهَا بِجَدِّهِ وَجَدَّهُ؛ وَمَا أَشْبَهَهُ فِي الْحَرْبِ إِلَّا بِقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ:

أَكْرُهُ عَلَى السَّكْتِيَّةِ لِأَبَالِي أَحْتَقِي كَانَ فِيهَا أُمٌّ سِوَاهَا

[فقال قائل: ما أفصحه على جِبِلَّتِيهِ! فقال المأمون: وإن بالجبل قوماً أجماداً، كراماً أنجاداً، وإنهم ليوقون السيفَ حظه يوم النزال، والكلام حقّه يوم المقاتل، وإن أبا دلف منهم] .

(١) السكّاة: جمع كمي، وهو الفارس المتكفي في سلاحه. أي المستتر (م)

(٢) الأيد: القوة (م)

فصل لأبي الفضل الميكالي من كتاب تعزية عن أبي العباس بن الإمام
أبي الطيب .

لئن كانت الرزية بمصيبة مؤلمة ، وطُرُقُ العزاء والسَّلْوة مبهمة ، لقد حلت
بساحة من لا تُنتَقَضُ بأمالها مَرَاتِرُهُ ، ولا تَضَعُفُ عن احتمالها بصائرُهُ ، بل
يتلقاها بصدرٍ فسيحٍ يَحْمِي أن يَفْتَحَ الحزنُ بابه ، وصبرٍ مشيحٍ يحمى أن يُحْبِطَ
الجزعُ أجره وثوابه ، ولم لا وآدابُ الدين من عنده تُلتَمَسُ ، وأحكامُ الشرع
من بنائه ولسانه تستفاد وتُقْتَبَسُ ، والعيونُ ترمقه^(١) في هذه الحال لتجرى على
سَنَنِهِ ، وتأخذ بأدابه وسُنَنِهِ ؛ فإن تَعَزَّتْ القلوبُ فبحسُنٍ تماسكه عزائوها ، وإن
حسُنَتِ الأفعالُ فأبى حميدٍ أفعاله ومذاهبه اعتراضاً لها .

وله من تعزية إلى أبي عمرو البحتري : قدس الله روحه ، وسقى ضريحه ؛
فلقد عاش نبيه الذِّكْرُ ، جليلَ القَدْرِ ، عميقَ الثناء والنَّشْرِ ، يتجَلَّلُ به أهل
بلده ، ويتباهى بمكانه ذوو مودَّته ، ويفتخر الأثرُ وحاملوه بتراخي بقائه ومُدَّتِهِ ،
حتى إذا تسنم ذِرْوَةٌ^(٢) الفضائل والمناقب ، وظهرت محاسنه كالنجوم النواقب ،
اختطفته يدُ القَدَارِ ، ومُجِي أثره بين الآثار ، فالفضلُ خاشعُ الطَّرْفِ لفقده ،
والكُرمُ خالي الرُّبْعِ من بعده ، والحديثُ يندبُ حَافِظَهُ ودَارِسَهُ ، وحُسْنُ العهدِ
يبكي كافله وحارسه .

وله : فأما الشكرُ الذي أعارني رداءه ، وقلدني طَوْقَهُ وسنائه ؛ فهيات أن
ينتسب إلا إلى عادات فضله وإفضاله ، ولا يسيرَ إلا تحت رايات عُرفه ونوآله ،
وهو ثوب لا يجلَى إلا بذكره طِرَازِهِ ، واسمٌ له حقيقته لسواه مجازُهُ ، ولو أنه

(١) ترمقه : تنظره وتتطلع إليه (م)

(٢) تسنم : علا ، وأصله ركب فوق السنام ، وهو أعلى مكان في الإبل ، وذروة

كل شيء : أعلاه (م)

حين ملكت رِقِّي بأَياديهِ ، وأعجز وُسْعِي عن حقوق مكارِمِهِ ومَساعِيهِ ، خَلَى لِي
مَذهَبَ الشُّكْرِ وَمَيْدَانَهُ ، ولم يَجاذبَنِي زِمَامَهُ وَعِئَانَهُ ، لتعلَّقت عن بلوغ بعض
الواجب بِمُرُوءَةِ طَمَعٍ ، ونَهَضت فِيهِ ولو عَلِي وَهَنَ وَظَلَمَ^(١) ، ولكنَّهُ يَأْتِي إِلَّا أَنْ
يَسْتَوِي عَلَى أَمَدِ الْفَضَائِلِ ، وَيَتَسَنَّمُ ذُرَا الْعَوَارِبِ مِنْهَا وَالْكُؤَاهِلِ ؛ فَلَا يَدْعُ فِي
الْمَجْدِ غَايَةَ إِلَّا يَسْبِقُ إِلَيْهَا فَارِطًا ، وَيُخَلِّفُ مِنْ سِوَاهُ عَنْهَا حَسِيرًا سَاقِطًا ؛ لِتَكُونَ
لِلْمَعَالِي بِأَسْرِهَا مَجْمُوعَةٌ فِي مِلْكِيهِ ، مَنْظُومَةٌ فِي سِلْكِيهِ ، خَالِصَةٌ لَهُ مِنْ دَعْوَى
الْقَسِيمِ وَشِرْكِيهِ .

وله فصل من كتاب إلى أبي سعيد بن خلف الهمداني : فأما التُّخْفَةُ الَّتِي
شَفَعَهَا بِكِتَابِهِ فَقَدْ وَصَلَتْ ، فَكَانَتْ ضَرَّةً لَزَهْرِ الرَّبِيعِ ، مَوْفِيَةً بِحُسْنِ الْخَطِّ عَلَى
الْوَشْيِ الصَّنِيعِ ، وَلَيْسَ يَهْتَدِي لِمِثْلِ هَذِهِ اللَّطَائِفِ فِي مَبْرَةِ الْإِخْوَانِ ، إِلَّا مَنْ
يَعُدُّ مِنْ أَفْرَادِ الْأَقْرَانِ ، وَلَا يَرْضَى مِنْ نَفْسِهِ فِي إِقَامَةِ شِعَارِ الْبَرِّ دُونَ الْقُرْآنِ^(٢) ،
وَاللَّهِ يَمْتَعُهُ بِمَا مَنَحَهُ مِنْ خِصَائِصٍ هِيَ فِي آذَانِ الزَّمَانِ شُنُوفٌ^(٣) ، وَفِي جِيدِهِ
عَقْدٌ بِرُصُوفٍ .

[عتاب]

وقال أبو يعقوب الخريجي يعاتب الوليد بن أبان :

أَتَعْجَبُ مَنِ إِنْ صَبَرْتُ عَلَى الْأَذَى وَكَانَتْ أَمْرًا ذَا إِرْبَةِ مَتَجَمَّلًا
فَأَيْ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا رَأْيَ عَاجِزٍ رَأَيْتَ ، وَلَا أَخْطَأْتُ لِلْحَقِّ مَفْصِلًا
وَلَكِنْ تَدَبَّرْتُ الْأُمُورَ ؛ فَلَمْ أُجِدْ سِوَى الْحِلْمِ وَالْإِغْضَاءِ خَيْرًا وَأَفْضَلًا
وَأُقْسِمُ لَوْلَا سَالِفُ الْوَدِّ بَيْنَنَا وَعَهْدُ أَبْتِ أَرْكَانِهِ أَنْ تَزِيلًا
وَأَيُّمُكَ الْعَسْرُ اللَّوَاتِي تَقَدَّمَتْ وَأُولِيَّتِيهَا مُنْعِمًا مُتَطَوَّلًا

للخريجي
يعاتب الوليد
بن أبان

(١) الوهن : الضعف ، والظلم : أن تنمز في سيرك (م)

(٢) القران - بكسر القاف - أن تجمع الشيء إلى الشيء (م)

(٣) الشنوف : جمع شنف - بالكسر - وهي حلية تلبس في أعلى الأذن (م)

رحلتُ قلوَصَ الهَجْرِ ثم اقتعدتها
وأكرمتُ نفسى والكرامةُ حظُّها
وعارضتُ أطراف الصِّبَا أُبتَغِي أَخَا
أخَا كَأبِي عَمْرُو، وَأُنَى بِمَثَلِهِ
جزى الله عثمان الخريمى خيراً ما
أخَا كان إن أقبلتُ بالودِّ زادنى
أخَا لم يخنى فى الحياة ولم أبتُ
إذا حاولوه بالسعاية حاولوا
يحكمنى فى ماله ولسانهِ
كفى جفوة الإخوان طولَ حياتهِ
وبات حينئذ لم يكدر صنيعهُ
وكنتُ أخَا لو دام عهدك واصلاً
فغيرك الواشون حتى كأنما

إلى البعد ما ألفت في الأرض مَعَمَلَا
ولم ترى لولا الهوى متذلاً
يُعينُ إذا ما ألهم بالمرء أَعْضَلَا
إذا الحُرُّ بالمجيد ارتدى وتسرَّ بلا
جزى صاحباً جزل المواهب مُفْضِلاً
صفاء وإن أدبرتُ حنَّ وأقبلا
يخوفنى الأعداءُ منه التنقلا
به هَضْمَةٌ تَأبَى بَأَنْ تَتَخَلَّخَلَا
ويركبُ دونى الزاعبى المؤللاً^(١)
وأورث مما كان أعطى وأحرلا
ولم أقله طول الحياة وما أقلأ
نصوراً إذا ما الشترُ حَبَّ وهزولأ
ترانى شجاعاً بين عينيك مُقْبِلاً

[من ترجمة أبي يعقوب الخريمى]

وأبو يعقوب هذا إسحاق بن حسان ، قال المبرد : كان أبو يعقوب جميل الشعر ، مقبولاً عند الكتاب ، وله كلامٌ قوى ، ومذهبٌ متوسط ، وكان يرجع إلى نسب كريم فى الضمِّد ، وكان له ولأولاد فى غطفان ، وكان اتصاله بمولاه أبى عثمان بن خُرَيْم المرى الذى يقال له خُرَيْم الناعم ، وكان أبو عثمان هذا قائداً جليلاً ، وسيدا كريماً . وسئل [خُرَيْم] عن لذة الدنيا ، فقال : الأمنُ فإنه لا عيشَ نخائف ، والعافيةُ فإنه لا عيشَ لسقيم ، والغنىُ فإنه لا عيشَ لفقير . وقيل له :

(١) ازاعبى : الرمح الذى إن هزرتة تدافع كله ، والمؤلل : الحدد طرفه (م)

ما بلغ من نعمتك ؟ قال : لم ألبس جديداً في صيف ، ولا خلقتا في شتاء . وفي
نسبه في الضُّغْد يقول :

أَبَا الضُّغْدِ بَاسٌ أَنْ تَعْبِرَنِي جُبْلُ
وَمَا ضَرَّرَنِي أَنْ لَمْ تَلِدْنِي يُحَابِرُ
سَفَاها وَمِنْ أَخْلَاقِ جَارَتِنَا الْبَخْلُ^(١)
وَلَمْ تَشْتَمِلْ جَرْمَ عَلِيٍّ وَلَا عُسْكَالُ^(٢)
يقول فيها :

[ودون الندى في كل قلب ثنية
وودّ الفتى في كل نيل يُنيله
وأعلم علما ليس بالظن أنه
وأن أخلاء الزمان غناؤهم
تزوّد من الدنيا متاعاً لغيرها
وهل أنت إلا هامة اليوم أو غد
وقال يتشوق الحسن بن التختناخ^(٤) :

أَلَا مُبْلَغٌ عَنِّي خَلِيلِي وَدُونَهُ
رِسَالَةٌ نَاوٍ بِالْعِرَاقِ وَرُوحُهُ
لَهُ كُلَّ يَوْمٍ حَنَّةٌ بَعْدَ رَنَتِهِ
إِلَى صَاحِبِ الْيُخْلُقِ النَّأْيُ عَهْدُهُ
تَخَيَّرَهُ حَرًّا نَقِيًّا ضَمَّ يَرُهُ
هُوَ الشَّهْدُ سَلَمًا ، وَالذَّعَافُ عَدَاوَةٌ
فِي أَحْسَنِ الْحُسْنِ الَّذِي عَمَّ فَضْلُهُ
إِلَيْكَ عَلَى بَعْدِ الْمَرَارِ تَطَلَّعْتُ
أَرَى بَعْدَكَ الْإِخْوَانَ أَبْنَاءَ عِلَّةٍ
مَطَا سَقَرٍ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ طَالِبُهُ
بِفُسْطَاطِ مِصْرٍ حَيْثُ جَمَّتْ مَجَانِبُهُ
يَجِيشُ بِهَا فِي الصِّدْرِ شَوْقٌ يَغَالِبُهُ
لِنَاءٌ وَلَا يَشْقَى بِهِ مَنْ يُصَاقِبُهُ
جَمِيلًا مَحْيَا كَرِيمًا ضَرَائِبُهُ
وَبِحُجْرَةٍ عَلَى الْوَرَادِ تَجْرِي غَوَارِبُهُ
وَمَتَّ أَيْادِيهِ وَجَمَّتْ مَنَاقِبُهُ
نَوَازِعُ شَوْقٍ مَا تُرَدُّ عَوَازِبُهُ
لَهُمْ نَسَبٌ فِي وَدَّهِمْ لَا أَنَا سَبُهُ

(١) في نسخة « أن يعبرني الجهل » وليس بذلك (م)

(٢) يحابر ، وجرم ، وعكل : من قبائل العرب (م)

(٣) في نسخة « فقد شممت حدباء » والحدباء : السريعة (م)

(٤) في نسخة « ابن المحتاج » وفي أخرى « ابن البحنج » (م)

فهل يرَجَعنْ عيشي وعيشك مرّة
 ليالي أرعى في جنابك روضةً
 وإذا أنت لي كالشهد بالراح صُفِّقاً
 عني ولعلّ الله يجمع بيننا
 ببغداد دهرٌ مُنصِفٌ لا نُفَاتِبُهُ
 وآوي إلى حصنٍ مَنيعٍ مراتبُهُ (١)
 ماء رِصافٍ صَفَّقْتُهُ جَنَابَتِيهِ (٢)
 كإلاءت صدع الإناء مَشَاعِيهِ

فقر وفضول في معان شتى

قال العتابي : حظّ الطالبين من الدَّرَكِ ، بحسب ما استصحبوا من الصَّبْرِ .
 بعض الحكماء : الحلم عُدَّةٌ للسفيه ، وجُنَّةٌ من كَيْدِ العاو ، وإنيك لن
 تقابل سفيها بالإعراض عن قوله إلا أذلت نفسه ، وَقَلَّتْ حَدَّهُ ، وسَلَّتْ عليه
 سيوفا من شواهد حِلْمِكَ عنه ، فتولّوا لك الانتقام منه .
 وقال آخر : العجلة مكسبة للذمّة ، مجابة للنداء ، منقّرة لأهل الثقة ،
 مانعة من سدّادِ الرغبة .

وأنى العتابي وهو بالرّميّ رجلٌ يودّعه فقال : أين تريد ؟ قال : ببغداد ،
 قال : إنك تريد بلداً أُصطلح أهلُه على صحّة العلانية ، وسَقَمَ السريرة ، كلُّهم
 يعطيك كاه ، ويمنعك قُله

وقال يحيى بن خالد لرجل دخل عليه : ما كان خبرك مع فلان ؟ قال : قد
 افتديت مكاشفته واشتريت مكاشرتي (٣) بألف درهم ، فقال يحيى : لا تبرح حتى
 يكتبَ الفضلُ وجعفرُ عنك هذا القول .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يدعو ، ويقول : اللهم ارزقني عملَ الخائفين ،
 وخَوْفَ العاملين ، حتى أتعم بِنَزكِ التّنعيم ، رجاءً لما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت .
 وللعتابي : أما بعد فإنه ليس بمستخلّص غَضَارَةُ عَيْشٍ إلا من خلال مكرهه ،

(١) في نسخة «منيع ترائبه» (م) (٢) صَفَّقاً : خلطاً ، ورِصافٍ : جمع رِصْفَةٍ -
 بالتحريك - وهي الحجارة للرصوف بعضها إلى بعض في مسيل الماء ، والجَنَائِبُ : جمع
 جنوب ، وهي الريح التي تقابل ريح الشمال (م) (٣) مكاشرتي : معالنته بالبعث (م)
 (١٦ - زهر الآداب ٤)

ومن انتظر بمعالجة الدرك مؤاجلة الاستقصاء سلبته الأيام فرصته .
 كتب بعض الكتاب إلى أخ له : إن رأيت أن تحدّد لي ميعاداً لزيارتك ،
 أتقوته^(١) إلى وقت رؤيتك ، ويؤنسني إلى حين لقائك ، فعلت إن شاء الله
 فأجابه : أخاف أن أعدك وعداً يعترض دون الوفاء به مالا أقدر على
 دفعه ، فتكون الحسرة أعظم من الفرقة .

فأجاب المبتدئ : أنا أسر بموعدك ، وأكون جدلاً^(٢) بانتظارك ، فإن عاق
 عن الإنجاز عائق ، كنت قد رجحت السرور بالتوقع لما أحبه ، وأصبت أجرى
 على الحسرة بما حرمته .

وكتب أخ^٣ إلى أخ له يستدعيه : أما بعد فإنه من عانى الظماً بفرقتك
 استوجب الرى من رؤيتك ، والسلام .

وكتب آخر في بابه : يومنا يوم طاب أوله ، وحسن مستقبله ، وأتت
 السماء بقطارها ، فحلت الأرض بأنوارها^(٣) ، وبك تطيب الشمول ، ويشفي الغليل ،
 فإن تأخرت عنا فرقت شملنا ، وإن تعجلت إلينا نظمت أمرنا .

قال إسحاق الموصلي : قال لي ثمامة بن أشرس ، وقد أصبت بمصيبة : لمصيبة
 في غيرك لك ثوابها ، خير من مصيبة فيك لغيرك أجرها .

ومر عمر بن ذر بابن عياش المنتوف ، وكان سفيه عليه فأعرض عنه ، وتعلق
 بثوبه ، وقال : يا هناه ؛ إن لم نجد لك جزاء إذ عصيت الله فينا ، خيراً من أن
 نطيعه فيك . أخذه من قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما عاقبت من
 عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وكتب بعض الكتاب إلى رئيسه : ما رجائي عدلك بزائد على تأميلي
 فضلك ، كما أنه ليس خوفاً صيالك ، بأكثر من خشيتي نكالك ؛ لأنك

(١) أتقوته : أحمله قوتاً إلى (م) (٢) جدلاً : مسروراً (م)

(٣) القطار - كسر القاف - الطر . والأنوار : جمع نور - بالفتح - وهو نور الزهر (م)

لا تَرْضَى المحسن بصغير المَثُوبَةِ ، كما لا تَقْنَعُ للمسيء إلا بموجع العقوبة .
 وقال آخر : ما عسيت أن أشكرك عليه من مَوَاعِدٍ لم تُشَبِّ بِمَطْلٍ ، ومرافِدٍ
 لم تُشَنِّ بِمَنٍّ ، وعهد لم يمازجه مَلَقٌ ، وودٌّ لم يشبه مذاق .
 وقال آخر : علققت به أسباب الجلالة غير مستشعر فيها بنخوة ، وترامت له
 أحوالُ الصرامة غير مستعمل معها السطوة ، هذا مع دَمَائَةٍ في غير حَصَرٍ ، ولين
 جانب من غير خور^(١) .

فصل لابن الرومي : إني لَوَلِيْتُكَ الذي لم تزل تنقادُ لك مودتُهُ من غير طمع
 ولا جزع ، وإن كنت لذي رغبة مَطْمَعًا ، ولذي رَهْبَةٍ مَهْرَبًا .
 أبو فراس الحمداني :

كذاك الوِدَادُ المَحْضُ لا يَرْتَجِي لَهُ ثَوَابٌ ، ولا يُحْشَى عَلَيْهِ عِقَابُ
 [بين حنيفة ونمير]

غَزَتْ حَنِيْفَةٌ نَمِيْرًا فَانْتَصَفُوا مِنْهُمْ ، فَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ : كَيْفَ صَنَعَ قَوْمُكَ ؟
 قال : اتبعوني وقد أحقبوا كلُّ جُمَالِيَةِ خَيْفَانَهُ^(٢) ، فَاذْالُوا يَحْصِفُونَ [أخفاف]
 المَطِيَّ بِجِوَاْفِرِ الخَيْلِ ، حتَّى لَحِقُوهُمْ ؛ فَجَمَلُوا المُرَّانَ أُرْشِيَةَ المَوْتِ ، فَاشْتَفَوْا بِهَا
 أَرْوَاحَهُمْ .

[دعاء]

ودعا أعرابي فقال : اللهم إن كان رزقي نائياً فقرِّبه ، أو قريباً فيسرّه ،
 أو ميسترأ فعبّله ، أو قليلاً فكثّره ، أو كثيراً فثمّره .

[من رسائل البلغاء]

وكتب عَنبَسَةُ بن إسحاق إلى المأمون وهو عامله على الرقّة ، يصف خروجَ
 الأعراب بناحية سنجان وعيهم بها^(٣) : يا أمير المؤمنين ، قد قطع سُبُلَ المَجْتَازِينَ ، وعامله على الرقّة

(١) الدمائة : اللين والسهولة ، والحصر - بالتحريك - احتباس القول والعي ،
 والخور : الجبن والضعف (م) (٢) أحقب البعير : جعل عليه الحقب ، وهو جبل يشد
 به الرحل ، والجالية - بضم الجيم - الناقة القوية الوثيقة ، والخيفانة : السريعة (م)
 (٣) عيهم - بالفتح - إفسادهم (م)

من المسلمين والمعاهدين ، نفر من شذاذ الأعراب الذين لا يرقبون في مؤمن إلا^(١) ولا ذمة ، ولا يخافون من الله حداً ولا عقوبة ، ولو لا نقتي بسيف أمير المؤمنين وحصده هذه الطائفة ، وبلوغه في أعداء الله ما يردع قاصيهم ودانيتهم ، لأذنت بالاستنجد عليهم ، ولا بتعنت الخيل إليهم ، وأمير المؤمنين معان في أموره بالتأييد والنصر إن شاء الله .

فكتب إليه المأمون :

أتممت غير كهام السمع والبصر لا يقطع السيف إلا في يد الحذر
سيصبح التوم من سيفي وضاربه مثل الهشيم ذرته الريح بالمطر
فوجه عنسة بالبيتين إلى الأعراب ، فما بقي منهم اثنان .

وكتب المطلب بن عبد الله بن مالك إلى الحسن بن سهل في رجل توصل به :
طلب العافين الوسائل إلى الأمير - أعزه الله - ينبيء عن شروع موارد
إحسانه ، ويدعو إلى معرفة فضله ، وما أنصفه - أعزه الله تعالى - من توصل
إلى معروفه بغيره ؛ فرأى الأمير - أعزه الله - في التطول على من قصرت معرفته
عن ذلك بما يريد الله تعالى فيه موقفاً إن شاء الله تعالى .

بين الحسن
بن سهل
والمطلب
بن عبد الله

فكتب إليه الحسن : وصلتني بما وصلتني في صاحبك من الأجر والشكر ،
وأراك الإحسان في قصديك إلى بأمثاله فرضاً يفيدك شكره ، ويعقبك أجره ،
فأريك في إتمام ما ابتدأت به وإعلامي ذلك مشكوراً .

وكان المطلب ممدحاً كريماً ، وقد حسد دعبل شرفه وإنعامه ، وغبط إحسانه
وإكرامه ، إذ يقول :

أضرب ندى طلحة الطلحات معترفا بلوؤم مُطلب فينا وكن حكماً
تخلص خزاعة من لوؤم ومن كرم فلا تعد لها لؤماً ولا كرمًا
وأمر طلحة أعرف من أن يوصف .

وما أبعد قول دجيل من قول البحترى لصاعد بن مخلد وأهل بيته :
 بنى مَحْدَيْدٍ كَفَوْا تَدْفُقُ جُودِكُمْ وَلَا تَبْخَسُونَا حِظْنَآ فِي الْمَكَارِمِ
 وَلَا تَنْصُرُوا مَجْدَى قِنَانٍ وَمَخْلَدٍ بَأَنْ تَذَهَبُوا عَنَا بِسُمْعَةَ حَاتِمٍ (١)
 وَكَانَ لَنَا اسْمُ الْجُودِ حَتَّى جَعَلْتُمْ تَغْضُونَ مِنَّا بِالْخِلَالِ الْكِرَامِ

[رثاء يزيد بن مزيد]

قال الزبير بن بكار : لما مات يزيد بن مزيد بأرمينية قام حبيب بن البراء خطيباً ، فقال : أيها الناس ، لا تَفَنَطُوا من مثله وإن كان قليل النظر ، وهَبُوه من صالح دعائكم مثل الذي أخلص فيكم من نواله ، والله ما تفعل الديمة المَهْطَلَة في البقعة الجذبة ما عملت فينا يدها من عدله ونِداه .

فسرق هذا أبو لبابة [الشاعر] فقال :

مَا بَقِعَةُ جَادَهَا غَيْثٌ وَقَرَّهَا فَأَزْهَرَتْ بِأَقَاحِي النَّبْتِ أَلْوَانَا
 أَبْهَى وَأَحْسَنَ مِمَّا أَثَرَتْ يَدُهُ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَعْرُوفًا وَإِحْسَانًا

[وقال ابن المبارك يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة :
 وَإِذَا تُبَاعَ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى فَسَوَاكِ بَائِعُهَا وَأَنْتِ الْمُشْتَرَى
 وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ فِيهَا السَّبِيلُ إِلَى نَدَاكَ بِأَوْعَرَ (٢)
 وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتَمَّتْهَا بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاؤُهَا بِمَكْدَرٍ
 وَإِذَا هَمَمْتَ لِمُعْتَفِيكَ بِسَائِلٍ قَالَ النَّدَى - فَأَطَعْتَهُ - لَكَ : أَكْثَرُ (٣)
 يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهِمْ مِنْ مَعْدَلٍ عِنْدَهُ وَلَا مِنْ مَقْصَرٍ]

(١) في نسخة « ولا تنصروا مجدى قيان ومخلد » وفي ديوان البحترى « قنان وخالد » (م) (٢) توَعَّرتِ المسالك : صعبت وشقت على سالكيها ، والندى - بزنة الفتى - الجود والكرم (م) (٣) المعتق ، ومثله العاقى : طاب المعروف (م)

[من رسائل بديع الزمان]

كتب البديع أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن يحيى : أما أبو فلان فلا شك أن كتابي يردُّ منه على صدرِ مَحَا أَسْمِي من صحيفته ، وقطع حَظِّي من وظيفته ، ونسي اجتماعنا على الحديث والفرز ، وتصرفنا في الجدِّ والهزل ، وتقلبنا في أعطاف العيش ، بين الوقار والطيش ، وارتضاعنا ثُدَى العشرة ؛ إذ الزمان رقيقُ القشرة ، وتواعدنا أن يلحق أحدنا بصاحبه ، وتصاحفنا من قبل الأبنصرم الحبل ، وتعاهدنا من بعد آل تنقض العهد ، وكأني به وقد اتخذ إخوانا فلا بأس ، فإن كان للجديد لذة فللقديم حرمة ، والأخوة برودة لا تضيق بين اثنين ، ولو شاء عاشرنا في البين ، وكان سألني أن أرتاد له ^(١) منزلاً ماؤه روي ، ومرعاه غذي ، وأكاتبه ليُنهِض إليه راحلته ؛ فهاك نيسابور ^(٢) ضالته التي نشدتها وقد وجدتها ، وخراسان أمنيته التي طلبتها وقد أصدتها ، وهذه الدولة بغيته التي أرادها وقد وردتها ، فإن صدقتي رائداً ، فليأتني قاصداً .

وله إلى بعض إخوانه يعزيه عن أبيه : وصلت رقعتك ياسيدي والمصاب لعمر الله كبير ، وأنت بالجزع جدير ، ولكنك بالعزاء أجدر ، والصبر عن الأحية رشد كأنه النغى ، وقد مات الميت فلم يخى الحى ، والآن فاشدد على مالك بالחס ، فأنت اليوم غيرك بالأمس ، وكان الشيخ رحمة الله وكيلك ، تضحك ويبكي لك ، وقد مولك ما أَلَّف في سراه ^(٣) وسيره ، وخلفك فقيراً إلى الله غنياً عن غيره ، وسيعجمُ الشيطان عودك ، فإن استلانك رماك بقوم يقولون : خيرُ المال ما أتف بين الشراب والشباب ، وأنفق بين الحباب ^(٤) والأحباب ، والعيش بين القداح والأقداح ^(٥) ، ولولا الاستعمال ، ما أريد المال ! فإن أطعتم فاليوم في الشراب ، وغداً في الخراب ، واليوم واطر بآل الكأس ، وغداً واحرباً من

(١) أرتاد: أطلب (م) (٢) في نسخة «فهاهى نيسابور» (م)

(٣) في نسخة «ما أَلَّف من سراه» (م) (٤) الحباب - بفتح الحاء - وهى

نفاخات الماء (م) (٥) القداح: أراد بها قداح البسر . والأقداح: أراد بها كؤوس الخمر ، يعنى يضيع المال بين المقامرة والسكر (م)

الإفلاس ، يامولاي ذلك للخارج من العود يسميه الجاهل نقرأ ، ويسميه العاقل فقراً . وكذلك المسموع في الناي ، هو في الآذان زمر ، وفي الأبواب سمر ، فإن لم يجد الشيطان مغزراً في عودك من هذا الوجه ، رماك بقوم يمثلون الفقر حذاء عينيك ، فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنك ، وتناقش عرسك^(١) ، وتمنع نفسك ، وتتوقى دنياك بوزرك ، وتراه في الآخرة في ميزان غيرك ، لا ، ولكن قصداً بين الطريقين ، وميلاً عن الفريقين ، لا تمنع ولا إسراف ، والبخل فقر حاضر ، وضرب عاجل ، وإنما يبخل المرء خيفة ما هو فيه .

ومن ينفق الساعات في جمع ماله نخافة فقر فالذي صنع الفقر وليكن لله في مالك قسم ، وللمروءة قسم ؛ فصل الرحم ما استطعت ، وقدر إذا قطعت ، فلأن تكون في جانب التقدير ، خير من أن تكون في جانب التبذير .

وله إلى رئيس عناية برجل : كتابي أظال الله بقاء الرئيس ، والكتاب مجهول ، والكتاب فضول ، وبحسب الرأي موقعه ، فإن كان جميلاً فهو تطوّل ، وإن كان شيناً فهو تقوّل ، وأبنة سلاك الظنّ فله - أيده الله تعالى - المنّ ، من نيسابور عن سلامة شاملة نسأل الله تعالى ألاّ يُلهمنا بسكرها ، عن شكرها ، والحمد لله رب العالمين . يقول الشيخ - أيده الله تعالى : من هذا الرجل ؟ وما هذا الكتاب ؟ فأما الرجل فخاطبٌ وُدّ أولاً ، وموصل شكر ثانياً ؛ وأما الكتاب فلِحام أرحام الكرام ؛ فإن يُعِنُّ الله الكرام تتصل الأرحام . هذا الشريف قد حاربَه زمانُ سوء ؛ فأخرجه من البيت الذي بلغ السماء مفخرأه ، ثم طلب فوقه مظهراً^(٢) ؛ وله بعدُ جلالَةُ النسب ، وطهارةُ الأخلاق ، وكرمُ العهد ، وحضرني فسألته عما وراءه ، فأشار إلى ضالّة الأحرار ، وهو الكرم مع اليسار ،

(١) عرس الرجل - بكسر العين وسكون الراء - زوجة (م)

(٢) هاتان الفقرتان مأخوذتان من قول النابغة الجعدي :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنما لنبغي فوق ذلك مظهراً

وَنَبَّهَ عَلَى قَيْدِ الْكِرَامِ ، وَهُوَ الْبِشْرُ مَعَ الْإِنْعَامِ ، وَحَدَّثَ عَنْ بَرْدِ الْأَكْبَادِ ، وَهُوَ مَسَاعِدَةُ الزَّمَانِ لِلْجَوَادِ ، وَدَلَّ عَلَى نَزْهَةِ الْأَبْصَارِ ، وَهُوَ التَّرَاءُ ، وَمُتَمَعَةٌ الْأَسْمَاعِ ، وَهُوَ الثَّنَاءُ ، وَقَلَّمَا اجْتَمَعَا ، وَعَزَّ مَا وَجِدَا مَعَا . وَذَكَرَ أَنَّ الشَّيْخَ الرَّيْسَ - أَيْدَهُ اللَّهُ - جَمَاعُ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ ، وَسَأَلَنِي الشَّهَادَةَ لَهُ ، وَبَدَلَ الْخَطْبَ بِهَا ، فَفَعَلْتُ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ إِعَانَتَهُ عَلَى هِمَّتِهِ ؛ فَرَأَى الشَّيْخَ - أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْوُقُوفِ عَلَى مَا كَتَبْتُ ، وَفِي الْإِجَابَةِ - إِنَّ نَشِطَ - الْمَوْفُوقَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وله إلى ابن أخته : وَصَلَ كِتَابُكَ بِمَا ضَمَّنْتَهُ مِنْ تَطَاهُرٍ نَعِمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَعَلَى أَبِيكَ ، فَسَكَنْتَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ حَالِكَ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ بَقَاءَكَ ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي لِقَاءَكَ ، وَذَكَرْتُ مَصَابِكَ بِأَخِيكَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَكَأَنَّمَا فَتَتْ عَضُدِي ، وَطَعَنْتَ فِي كَبْدِي ، فَقَدْ كُنْتَ مَعْتَصِدًا بِمَكَانِهِ ، وَالْقَدْرُ جَارٍ لِشَانِهِ ، وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ يَدْبُرُ ، وَالْقَضَاءُ يَدْبُرُ ، وَالْأَمَالُ تَنْقَسِمُ ، وَالْأَجَالُ تَنْبَسِمُ ، فَاللَّهُ يُجْعَلُهُ لَكَ فَرَطًا ، وَلَا يُرِينِي فِيكَ سُوءًا أَبَدًا ، وَأَنْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَارِثُ عَمْرِهِ ، وَسَدَادِ نَفْسِهِ ، وَنِعَمِ الْعَوَاضِ بِقَاوِكَ .

إِنَّ الْأَشْيَاءَ إِذَا أَصَابَ مُشَدِّبًا مِنْهُ أَتَمَّ ذُرًّا وَأَثَّ أَسَافِلًا^(١)

وأبولك سيدى أيدى الله تعالى وأهمه الجميل ، وهو الصبر ، وأناله الجزيل ، وهو الأجر ، وأمتعه بك طويلا ، فما سُوتَ بديلا ، وأنت ولدى ما دمت والعلمُ شانك ، والمدرسةُ مكانك ، والدفترُ نديمك ، وإن قصرت ، ولا إخالك ، فغيرى خالك .

وله من كتاب إلى أبى القاسم الداودى بسجستان :

كتابى - أطال الله بقاء الفقيه - كتابٌ مَنْ يَنْسَى الْأَيَّامَ وَتَذَكَّرَهُ ، وَيَطْوِيهَا

(١) الْأَشْيَاءُ - بَزَنَةُ السَّحَابِ - صَغَارُ النَّخْلِ ، وَالْمَشْدَبُ : الَّذِي يَقْطَعُ الْقَشُورَ وَالْعِيدَانَ الْمْتَفَرِّقَةَ مِنَ الشَّجَرِ ، وَأَتَمَّ : اعْتَدَلَ وَاتَّصَبَ ، وَالذَّرَا : الْأَعَالَى ، وَأَثَّ : التَّفَّ وَكَثَّرَ (م)

وتنشره ، ويبيد أبناء دهره ، وراء ظهره ، ويخرج أهل زمانه ، من ضمانه ، فإذا تناولهم يميناه ، وتسلمهم بيسراه ، أقسم أن صَفَقَتَهُ هي الراجحة ، وكَفَتَهُ هي الراجحة ، وأنا - أيد الله الفقيه - على قُرْبِ الْعَهْدِ ، بالمهد ، قد قطعت عَرْضَ الأرض ، وعاشرت أجناس الناس ، فما أخذُ إلا بالجهل اتبعته ، وبالخبرة بَعْتَهُ ، وبالظن أخذته ، وباليقين نَبَذْتُهُ ، وما حَمَدُ وضعتُهُ في أحدٍ إلا ضَيَعْتَهُ ، ولا مَدْحُ صَرَفْتُهُ إلى أحدٍ إلا غرَبْتَهُ ، ومن احتاج إلى الناس ، وزَنَمَهُم بِالْقِسْطِ ، ومن طاف نصف الشرق ، فقد لقي رُبْعَ الْخَلْقِ ، ومن لم يجد في النصف لَمَحَّةً دالَّةً ، لم يجد في الكل غرَّةً لألحمة ، وكان لنا صديقٌ يقول : إن عشت تسعين عاماً مت ولم أملك ديناراً ؛ لأنني قد عشت ثلاثين ولم أملك ثلثها ، وهذا العمرى ياس ، يُوجبه قياس ، وقنوط ، بالحجة مَنُوط ، ودُعابة ستكون جيداً ، ووراء هذه الجملة مَوْجِدَةٌ على قوم ، وعَزَبَةٌ إلى يوم ، والأمير السيد واسعُ مجالِ الهمم ، ثابتُ مكانِ القَدَمِ ، وأنا في كَنَفِهِ صائبُ سَهْمِ الأمل ، وَافِرُ الجذل ، والحمد لله على ما يُؤليه ، ويؤلينا مَعْشَرَ مَوَالِيهِ ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وذريته .

وله إلى إبراهيم بن حمزة خادم الأستاذ الجليل : قد أتبع قدمه ، إلى الخِدْمَةِ قلمه ، وأتلى لسأته ، في الحاجة بِنَاءً ، وقد كان استأذنه في توفير هذا اليوم في مجلس السيد الجليل فَأَذِنَ له على عادته السليمة ، وشيمته القويمية ، وَمَنْ وَجَدَ كَلًّا رَتَعَ^(١) ، وَمَنْ صادف غيماً انتجع^(٢) ، ومن احتاج للحاجات سأل ، وبقي أن يشفع الأستاذ الجليل بإزاء الحوض عَقْرَةَ^(٣) ، وينظم إلى رَوْضِ الإحسان مطره ، ويطرزُ أُنْسَنَا بِأبي فلان ؛ فقد وُصِفَ لي حتى حننت شوقاً إليه ، ووَجَدًا به ، وشَغَفًا له ، وغُلُوقًا فيه ، ورَأْيَهُ في الإصغاء إلى الكرم عالٍ ، إن شاء الله تعالى .

(١) الكلال - بوزن الجبل - العشب رطبه ويابسه ، ورتع : رعى (م)

(٢) الانتجاع : طلب المرعى (م)

(٣) العقر - بوزن الجبل - وجه الأرض ، وأول سقية سقيها الزرع (م)

[من مقامات بديع الزمان]

القامة
السجستانية

ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح السكندري :

حدّثنا عيسى بن هشام قال: حدّاني إلى سجستان أرب^(١)، فاقتعدت طيّته، وامتطيت مطيّته، واستخرت الله تعالى في العزيم حدّوته أمامي، والحزم جعلته قدّامي، حتى هداني إليهما، ووافيت دروبها^(٢)، وقد وافت الشمس غروبها، وانفق المبيت حيث انتهيت؛ ولما انتضى نضلّ الصباح، وبرز جبين المصباح، مضيت إلى السوق أتخذ منزلا، فحيث انتهيت من دائرة البلد إلى نبطها، ومن قلادة السوق إلى واسطها، خرقت سمعي صوت له من كل عرق معنى، فانتحيت وفده، حتى وقفت عنده؛ فإذا رجل على فرسه، محتنق بنفسه، قد ولاني قدّاله وهو يقول: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسى، أنا باكورة العين، أنا أحدىة الزمن، أنا أدعيّة الرجال، وأحجّية ربات الحجال^(٣)، سلّوا عني الجبال وحزونها، والبحار وعيونها، والخيل ومتونها، من الذي ملك أسوارها، وعرف أسرارها، ونهيج سمّتها، وولج حرّتها؟ وسلّوا الملوك وخزائنها، والأغلاق ومعادنها، والعلوم وبواطنها، والخطوب ومغالقها، والحروب ومضابها، من الذي أخذ مخزنها، ولم يؤدّ ثمنها؟ ومن الذي ملك مفاتيحها، وعرف مصالحها؟ أنا والله فعلت ذلك، وسفرت بين الملوك الصّيد، وكشفت أعتار الخطوب الشّود. أنا والله شهدت حتى مصارع العساق، ومرّضت حتى لمرض الأحداق، وهصّرت الغصون الناعمات، وجنّيت جنى الخلدود المورّدات، ونفرت عن الدنيات نفور طبع الكريم عن وجوه اللثام، ونبوت عن المحرمات نبو سمع الشريف عن قبيح الكلام، والآن لما أسفر صبح المشيب، وعلّنتي أهبّة الكبر، عمدت

(١) حدّاني: بعثني، والأرب - بالتحريك - الحاجة (م)

(٢) الدروب: جمع درب، وأصله الطريق الموصل إلى بلاد الروم (م)

(٣) الأدعية والأحجية: الكلام الذي يخالف معناه لفظه (م)

لإصلاح أمرِ المعادِ ، بإعداد الزَّادِ ، فلم أرَ طريقاً أهدى إلى الرشادِ مما أنا سالكه ،
 يرانى أحدكم راكب فرس وهوَس^(١) ، فيقول : هذا أبو العجب ، لا ، ولكنى
 أبو العجائب ، عاينتها وعانيتها ، وأمُّ الكبائر قايستها وقاسيتها ، وأخو الأغلاق ،
 صنعياً أخذتها ، وهوناً أضعفها ، وغالياً اشتريتها ، ورخيصاً بعثها ؛ فقد والله صحبتُ
 لها المواكب ، وزاحمتُ المناكب ، ورعيتُ الكواكب ، وأنضيتُ الركائب ،
 ولا منّ عليكم ، فما حصلتُها إلا لأمرى ، ولا أعددتُها إلا لأنفسى ، لكنى دُفِئتُ
 إلى مكاره نذرتُ معها ألا أدخِرَ عن المسلمين نفعها ، ولا بدّ لي أن أخلع رُبقة
 هذه الأمانة من عنقِى إلى أعناقكم ، وأعرضَ دوائى هذا فى أسواقكم ، فليشتره
 منى من لا يتقرّزُ من موقف العبيد ، ولا يأنفُ من كلمة التوحيد ، وليعضنهُ من
 أنجبتُ جدوده ، وسقى بلماء الطاهر عوده .

قال عيسى بن هشام : فدُرتُ إلى وجهه لأعلمَ علمه ، فإذا شيخنا أبو الفتح
 الإسكندرى ، وانتظرتُ إجمالَ النعمة بين يديه ، ثم تعرّضتُ فقلت : كم يُجِلُّ
 دواءك هذا ؟ قال : يُجِلُّ الكيسُ ما مست الحاجة ؛ فانصرفتُ وتركته .

ومن إنشائه فى هذا الباب : حدّثنا عيسى بن هشام قال : بينا أنا بمدينة المقامة القردية
 السلام ، قافلا من البيت الحرام^(٢) ، أميس مئيس الرجل^(٣) ، على شاطئ الدجلة ،
 تأملتُ تلك الطرائف ، وأتقصى تلك الزخارف ، إذ انتهيتُ إلى حلقة رجال
 مزدحمين ، يلبى الطربُ أعناقهم ، ويشق الضحك أشداقهم ، فساقنى الحرصُ
 إلى ما ساقهم ، حتى وقفتُ بمسمع صوت رجل دون مرأى وجهه ، لشدة
 لهجته ، وفرطِ الرّحمة ، وإذا هو قرّاد يُرَقصُ قرده ، ويضحك من عنده ،
 رقصتُ رقص الحرج ، وسرت سيرة الأرج ، فوق أعناق الناس ، يلفظنى
 فأتقُ هذا لسرّة ذاك ، حتى افترشت لحيّة رجلين ، وقعدت بين اثنين ، وقد

(١) فى المقامات « راكب فرس ، نائر هوس » (م)

(٢) مدينة السلام : بغداد ، وقافلا : راجعا (م)

(٣) أميس : أتبختر ، والرجلة : ضرب من البقول يقال له « البقلة الحماة » (م)

أشرفني الخجل بريقه ، وأرهقني المكان لضيقه ، فلما فرغ القراء من شغلته ، وانتفض المجلس عن أهله ، قمت وقد كساني الريب حُلَّتته ، ووقفت لأرى صورته ، فإذا أبو الفتح الإسكندري ، فقلت : ما هذه الدناءة ؟ ويحك ! فقال :

الذنبُ للأيام لآ لي فاعتبِ على صرفِ الليالي
بالحُمقِ أدركتُ المنى ورفقتُ في ثوبِ الجمالِ

ومن إنشائه في هذا الباب أيضاً : حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت

المقامة
الإصفهانية

بأصفهان أعتزم المسير إلى الرمي ، فخلتها حول النقي^(١) ، أتوقع الثقلمة كل لمحة ، وأترقب الرحلة كل صبحة ؛ فلما حم ما توقعته ، وأزف ما ترقبته ، نودي للصلاة نداء سمعته ، وتعين فرض الإجابة ؛ فانسلت من بين الصحابة ، أغتنم الجماعة أدركها ، وأخشى فوات القافلة أتركها ، لكنني استعنت ببركة الصلاة ، على وعشاء الفلاة ؛ فصرت إلى أول الصفوف ، ومثلت للوقوف ، وتقدم الإمام للمحراب ، وقرأ فاتحة الكتاب ، [وثني بالأحزاب^(٢)] ، بقراءة حمزة ، مدة وهمزة ، وأتبع الفاتحة بالواقعة ، وأنا أتصلي بنار الصبر وأتصلب ، وأتقى على جمر الغيظ وأتقلب ، وليس إلا السكوت والصبر ، أو الكلام والتبر ، لما عرفت من خشونة القوم في ذلك المقام ، أن لو قطعت الصلاة دون السلام ، فوقفت بقدام الضرورة على تلك الصورة ، إلى انتهاء السورة ، وقد قنطت من القافلة ، ويئست من الرحلة ، ثم حتى قوسه للركوع ، بنوع من الخشوع ، وضرب من الخضوع ، لم أعهدّه قبل ذلك ، ثم رفع رأسه ويده ، وقال : سمع الله لمن حمده ، وقام ، حتى ما شككت أنه نام ، ثم أكب لوجهه ، فرفعت رأسي أنتهز فرضة ، فلم أر بين الصفوف فرجة ، فعدت للسجود ، حتى كبر للعود ، وقام للركعة الثانية ، وقرأ الفاتحة والقارعة ، قراءة استوفى فيها عمر الساعة ، واسترق أرواح

(١) النقي : الظل ، وأصله النقي - بالهمز - فسهل الهمز (م)

(٢) هذه الكلمة ليست في المقامات ، والصواب تركها ؛ لأنه سيقول بعد ذلك

« وأتبع الفاتحة بالواقعة » (م)

الجماعة ، فلما فرغ من ركعتيه ، مال للتحية بأُخْدَعَيْهِ ، فقلت : قد قُرِبَ الفرج ،
وَأَنَّ الحرج ، فقام رجل فقال : مَنْ كان منكم يحبُّ الصحابة والجماعة ، فليُعرِنِي
سَمْعَهُ ساعة .

قال عيسى بن هشام : فلزِمْتُ أرضي ، صيانَةً لعرضي ، فقال : حقيق على
الآ أَقولَ على الله إلا الحق ، قد جُئْتُكم ببشارة من نبيكم ، لكني لا أُؤدِّيها
حتى يظهِرَ اللهُ هذا المسجد من نَدْلٍ جحدٍ نُبوته ، وعادَى أُمَّته .

قال عيسى بن هشام : فَرَبَطْنِي بالقيود ، وشَدَّنِي بالحبال الشود ، ثم قال :
رَأَيْتُهُ صلى اللهُ عليه وسلم [في المنام] كالشمس تحت الغمام ، والبدر ليلة التمام ،
يسيرُ والنجمُ يَتَّبِعُهُ ، ويسحبُ الذَّيْلُ والملائكة تَرَفَعُهُ ، ثم علَّني دعاءً ،
وأوصاني أن أُعَلِّمَ ذلك أُمَّتَهُ ، وقد كتبتُهُ في هذه الأوراقِ بَخْلوقٍ (١) ومسك ،
وزعفرانٍ وسُكِّ ؛ فمن استوهبه مني وَهَيْبَتُهُ ، ومن أعطَى ثمنَ القِرطاسِ أخذته .

قال عيسى بن هشام : فأنثَلتُ عليه الدراهم ، حتى حَيَّرْتَهُ ؛ ونظرت فإذا
شيخنا أبو الفتح الإسكندري ، فقلت : كيف اهتديت إلى هذه الحيلة ؟ ومتى
اندرجت في هذه القبيلة ؟ فأنشأ يقول :

الناسُ حُمْرٌ فَجَوَّزْ وأبرُزْ عليهم وبرِّزْ
حتى إذا نِلتَ منهم ما تشبهه فقَرِّوزْ (٢)

[جارية ذات أدب وجمال تبدَّ أبناء الخلفاء]

وصفت لعبد الملك بن مروان جاريةً لرجل من الأنصار ذات أدب وجمال ،
فساومه في ابتياعها ، فامتنع وامتنعت ، وقالت : لا أحتاجُ للخلافة ولا أرغبُ في
الخلافة ، والذي أنا في ملكه أحبُّ إلىَّ من الأرضِ ومنَّ فيها . فبلغ ذلك
عبد الملك فأغراه بها ؛ فأضعف الثمن لصاحبها وأخذها قسراً ، فما عجب بشيء

(١) الخلوق - بفتح الخاء - صرب من الطيب ، والسك - بضم السين - مثله (م)

(٢) فروز الرجل - بوزن دحرج - مات (م)

إعجابها بها ، فلما وصلت إليه ، وصارت في يديه ، أمرها بلزوم مجلسه ، والقيام على رأسه ؛ فبينما هي عنده ، ومعه ابنتاه الوليد وسليمان ، قد أخلاها للمذاكرة ، فأقبل

عليهما فقال : أئى بيت قالته العرب أمدح ؟ فقال الوليد : قول جرير فيك :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ نُطُونَ رَاحِ

وقال سليمان : بل قول الأخطل :

شُمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

فقلت الجارية : بل أمدح بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :

يُفْشُونَ حَتَّى مَا تَهَرَّتْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

فأطرق ، ثم قال : أئى بيت قالته العرب أرق ؟ فقال الوليد : قول جرير :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَا نَمَّ لَمْ يُحْيِينَا قَتَلْنَا

فقال سليمان : بل قول عمر بن أبي ربيعة :

حَبِّذَا رَحَعَهَا يَدَيْهَا إِلَيْهَا مِنْ يَدَيَّ دِرْعَهَا تَحُلُّ الْإِزَارَا

فقلت الجارية : بل بيت يقوله حسان :

أَوْ يَدَبَ الْحَوْلَى مِنْ وَالدِ الذَّرِّ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ^(١)

فأطرق ، ثم قال : أئى بيت قالته العرب أشجع ؟ فقال الوليد : قول عنتره :

إِذْ يَتَّقُونَ بَنِي الْأَسِنَّةِ لَمْ أَحْمِ عَنْهَا ، وَلَوْ أَنِّي تَضَائِقَ مَقْدَمِي^(٢)

فقال سليمان : بل قوله :

وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا فَاَلْمُوتُ مِنِّي سَابِقُ الْأَجَالِ

فقلت الجارية : بل بيت يقوله كعب بن مالك :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ نَخْطُونَا قُدَمَا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

فقال عبد الملك : أحسنت ، وما نرى شيئاً في الإحسان إليك أبْلَغَ مِنْ رَدِّكَ

(١) أندبتها . جرحتها ، والكلوم : جمع كلم ، وهو الجرح (م)

(٢) لم أحم : لم أجب ، ولم أنكل ، ولم أحجم (م)

إلى أهلك . فأجمل كسوتها ، وأحسن صلتها ، وردّها إلى أهلها .

ومثل قول كعب بن مالك قول نهشل بن حرّى :
 إنا بنى نهشل لا ندعى لأبٍ عنه ، ولا هو بالأبناء يشربنا
 إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا
 إنا لمن معشر أفتى أوائلهم قول الحكمة : ألا أين الحمامونا
 لو كان في الألف منا واحد فدعوا من فارس خالهم إياه يعنوننا
 إذا الكفاة تأتوا أن ينالهم حدّ السيوف وصلناها بأيدينا^(١)
 إما أردت هذا البيت .

وقوله : * لو كان في الألف منا واحد * أخذه من قول طرفة بن العبد :
 إذا القوم قالوا من فتى خلت أنى عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

[نهشل بن حرّى]

وكان نهشل شاعراً ظريفاً ، وهو نهشل بن حرّى بن ضمّرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، وكان اسم جده ضمرة هذا : شقة ، ورد على النعمان بن المنذر فقال : من أنت ؟ فقال : أنا شقة ، وكان قضيماً^(٢) نحيفاً دميماً ، فقال له النعمان : نسعُ بالمعيدي لا أن تراه ، والمعدي : تصغير المعدي ، فذهبت مثلاً ، فقال : أبيت اللعن ! إن الرجال لا تُكّال بالقفران ، وليست بمسوك^(٣) يستقى بها من الغدران ، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، إذا نطق نطق ببيان ، وإذا قاتل قاتل بجان ، فقال : أنت ضمّرة ! ونهشل هو القاتل :

ويوم كأن المصطلين بحرّه وإن لم يكن جمر قيام على الجمر
 أفنا به حتى تجلى ، وإمسا تُفرّج أيام الكريمة بالصبر

(١) الذي أحفظه عن الحماسة « إذا الحكمة تنذوا أن يصيبهم * حد الظباء » (م)

(٢) القضيض : النحيف (م) (٣) مسوك : جمع مسك - بالفتح - وهو الجلد (م)

[أثر الشعر]

وكان عبدُ الملك يقول : يا بني أمية ، أحسابُكم أعراضُكم ، لا تعرضوها على الجهال ، فإنَّ الذمَّ باقٍ ما بقي الدهر ؛ والله ما سرَّني أني هُجيت بيت الأعمشى ، وأن لي طلاعَ الأرض ذهباً ، وهو قوله في علقمة بن عُلانة :

يبيتون في المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرني يبينن خائضاً
والله ما يُبالى من مُدح بهذين البيتين ألا يُمدح بغيرها ، وها قول زهير :
هنالك إن يستخبلوا المال يُجبلوا وإن يسألوا يعطوا وإن ييسروا يُغلوا^(١)
على مُكثريهم حقٌ من يعترتهم وعند المقلين الساحة والبدل
وقال ابنُ الأعرابي : أمدحُ بيتٍ قاله المحدثون قولُ أبي نواس :

أخذتُ بجبلٍ من جبالِ محمدٍ أمنتُ به من طارقِ الحدَّانِ
[تغطيت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسأل الأيامُ عنى مادرتُ وأين مكاني ما عرفنَ مكاني
وهذا كقول أعرابي ، ذكر بعضُ الرواة أن مالك بن طوقٍ كان جالساً في بهوٍ مطلٍّ على رحبته ومعه جلساؤه، إذ أقبل أعرابي تخبَّب به ناقته، فقال : إياي أَراد ، وحموى قصد ، ولعل عنده أدباً يُنتفع به . فأمر حاحمه بإدخاله ، فلما مثل بين يديه قال : ما أقدمك يا أعرابي ؟ قال : الأمل في سَيِّب الأمير والرحاء لنا لله^(٢) .
قال : فهل قدَّمت أمامَ رغبتك وسيلةً ؟ قال : نعم ، أربعة أبياتٍ قلتها بظهر البرية ؛ فلما رأيت ما بيباب الأمر من الأبهة والجلالة أستصغرتها ، قال : فهل لك أن تنشدنا أبياتك ؟ ولك أربعة آلاف درهم ، فإن كانت أبياتك أحسن فقد ربحنا عليك ، و إلا قد نلتَ مرادك وربحتَ علينا ، قال : قد رضيت ، فأنشده :

(١) يستخبلوا المال : يطلب إليهم أن يعيروا إليهم ليشرَب المستعير ألبانها وينتفع بأوبارها ، وييسروا : يدخلوا في لعب الميسر (م)
(٢) السيب : العطاء ، ومثله النائل (م)

ومازلتُ أخشى الدهر حتى تعلقت يداي بمن لا يتقى الدهرَ صاحبه
فلما رأني الدهر تحت جناحه رأى مرَّتقى صعبا منيعا مطالبه
وأني بحيث النجمُ في رأسِ باذخٍ تُظَلُّ الوري أكنافه وجوائبه
فتى كسماء الغيث والناسُ حوله إذا أُجذبوا جادت عليهم سحائبه

قال : قد ظفرنا بك يا أعرابي ، والله ما قيمتها إلا عشرة آلاف درهم .
قال : فإن لي صاحباً شاركته فيها ما أراه يرضى بيبي ، قال : أتراك حدثت نفسك
بالنكث ؟ قال : نعم ، وجدتُ النكث في البيع أيسرَ من خيانة الشريك ،
فأمر له بها .

[أنصف بيت ، وأصدق بيت]

وأنصفُ بيتِ قالته العربُ قولُ حسان بن ثابت لأبي سفيان بن الحارث في
جوابه عما هجأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى محمد بن عمار عن أبيه
قال : أنشد النبيَّ حسانُ بن ثابت قوله :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا ، فَأَجِبْتُ عَنْهُ وَعَبَدَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءِ
فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : جَزَاؤُكَ الْجَنَّةُ يَا حَسَّانَ .
فلما انتهى إلى قوله :

فإن أبي ووالده وعرضي لعرضٍ محمدٍ منكم وقاه
قال النبيُّ عليه السلام : وقاك الله حرَّ النار .
فلما قال :

أَهْجَوُهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرَكَا لِحَيْرِكَا الْفِدَاءِ
قال مَنْ حضر : هذا أنصفُ بيتِ قالته العربُ :

وأصدقُ بيتِ قالته العربُ وأمدحُه قولُ كعب بن زهير في رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

تحملة الناقة الأدماء معتجرا بالبرذ كالبدر جلى ليللة الظلم
وفي عطافيه أو أثناء برده ما يعلم الله من دين ومن كرم
(١٧ - زهر الآداب :)

وقال الأصمعي : والجهال يروون هذا البيت لأبي دهب ، واسمه وهب بن ربيعة ، في عبد الله بن عبد الرحمن الأزرق والى اليمامة ، والصواب ما ذكرناه ، وهو بصفات النبي صلى الله عليه وسلم أعلتق ، وبمدحه أليق .

ألفاظ لأهل العصر في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

سليل أكرم نَبَعَة ، وقريع أشرف بَعَة . جاب بأمتة الظلمات إلى النور ، وأفاء عليهم بالظل بعد الحرور . وهو خَيْرَة الله من خلقه ، وحجته في أرضه . الهادي إلى حقه ، والنُبه على حكمه . والداعي إلى رُشدِهِ ، والآخذُ بفرضه . مباركٌ مولده ، سعيدة غرته ، قاطعة حجته ، سامية درجته ، ساطع صباحه ، متوقد مصباحه ، مُظفّرة حرّوبه ، مُيسّرة خطوبه ، قد أفرّد بالزعامة وحده ، وختم بأن لا نبي بعده . يُفصّح بشِعاره على المنابر ، وبالصلاة عليه في المحاضر ، وتعمّر بذكره صدور المساجد ، وتستوى في الانقياد له حالة المقرّ والجاهد . آخر الأنبياء في الدنيا عمرا ، وأولهم يوم القيامة ذكرا ، وأرجحهم عند الله ميزانا ، وأوضحهم حجّة وبرهانا . صدع بالرسالة ، وبلغ بالدلالة ، ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم . أرسله الله قرأ للإسلام منيرا ، وقدراً على أهل الضلال مبيرا . صلى الله عليه وسلم . خير من افتتحت بذكره الدعوات ، واستنجحت بالصلاة عليه الطالبات . خير مبعوث ، وأفضل وارث وموروث . وخير مولود ، دعا إلى خير معبود . صلى الله على كاشف الغمّة عن الأمة . الناطق فيهم بالحكمة ، الصادع بالحق ، الداعي إلى الصدق ، الذي ملك هوادى الهدى ، ودلّ على ما هو خيرٌ وأبقى . صلى الله عليه بشير الرحمة والثواب ، ونذير السطوة والعقاب . صلى الله على أتمّ بريته خيراً وفضلاً ، وأطيّهم فرعا وأصلا ، وأكرمهم عودا ونجارا ، وأعلام منصبا وفخارا ، وعلى أهله الذين عظّمهم توقيرا ، وطهرهم تطهيرا هم مقاليد السعادة ومفاتيحها ، ومعارض البركة ومصاييحها . أعلام الإسلام وأيمان الإيمان . الطيبون الأخيار ، الطاهرون الأبرار . الذين أذهب عنهم الأرجاس ، وجعل مودتهم واجبة على الناس . هم حَبْل الهدى وشجرة الإيمان ، أصلها نبوة ، وفرعها مروّة ، وأغصانها تنزيل ، وورقاتها تأويل ، وخدمتها ميكال وجبريل .

لبديع الزمان
الهمداني

ولبديع الزمان إلى بعض الأشراف في درج كلام تقدم :
إن جعلنا نعدُّ فخاركم ، ونُحَدُّ آثاركم ، نعد الحصى قبل نفودها ، وفنيت الخواطر ،
قبل أن تنفي المآثر ، ولم لا ، وإن ذُكر الشرف فأنتم بنو مجدته ، أو العلم فأنتم
عاقدو إزرتة . أو الدين فأنتم ساكنو بلدته ، أو الجود فأنتم لابسو جلده ، أو التواضع
صبرتم لشدته ، أو الرأي صُلِّمْتُمُ مجدته ، وإنَّ بيتاً تولى الله عز وجل بناءه ، ومهدَّ
الرسولُ عليه السلام فناءه ، وأقام الوصيُّ رضوان الله عليه عمادَه ، وخدم جبريلُ
عليه السلام أهله ، لحقيق أن يُصانَ عن مدح لسان قصير .

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أعرابيُّ فقال : بأبي وأمي رسول رب
العالمين ، ختمت به الدنيا ، وفتحت به الآخرة ، صلى الله عليه وسلم ، به يبدأ
الذكرُ الجليلُ ويختم .

إلى هذا المكان أمسكت العنان . والإطنابُ في هذا الكتاب يعظم ويتسع ،
بل يتصل ولا ينقطع ؛ إذ كان غرضي فيه أن ألمح المعنى من معانيه ، ثم أنجز معه
حيث أنجز ، وأمرٌ فيه كيف مرّ ، وأخذ في معنى آخر غير موصول بشكله ، ولا
مقرون بمثله ، وقد أخل نظاما ، وأفرد تواما ، نشرّا البساط الانبساط ، ورغبة في
استدعاه النشاط . وهذا التصنيف لا تدرك غايته ، ولا تبلغ نهايته ؛ إذ المعاني غير
محصورة بعدد ، ولا مقصورة إلى أمد . وقد أبرزت في الصدر ، صفحة العذر ، يجولُ
فَرندها ، ويثقبُ زندها ، وذلك أني ما ادّعتُ فيما أتيتُ إلا ما [لا] يكون ما
تركته أفضل مما أدركته ، وأنى لم أسلك مذهبا مخترعا لم أسبق إليه ، ولا قصدت
غرضاً مبتدعاً لم أغلب عليه ، ومن ركب مطية الاعتذار ، واجتنب خطية الإصرار
فقد خرج من تبعية التصدير ، وبريء من عهدة العاذير .

وأما بعد فإن أحق من احتكيم إليه واقتصر عليه الاعتراف بفضل الإنصاف ،
وليعلم من يُنصِف أن الاختيار ليس يعلم ضرورة ، ولا يوقف له على صورة ، فيكثر
الإغماض ، ويقل الاعتراض ، ويعلم أن ما لا يقع بهواه ، قد يختاره سواه ، وكلُّ ما يفعل
اقتداره ، ويحسن اختياره ، فلو وقع الاجتماع على ما يُرضى ويُسخط ، ويثبتُ ويسقط ،
لارتفع حجاجُ المختلفين ، في أمر الدنيا والدنيا .

وقال المتنبي :

تخالف الناسُ حتى لا اتفاق لهم إلا على شَجَبٍ والخلف في الشَجَبِ
فقيل : تخلص نفسُ المرءِ سالمةً وقيل : تشرك جسم المرءِ في العطب
الشجب : الموت ، وهي لفظة معروفة ، وإن كانت غير مألوفة عند أهل النقد .

وقد أنكرها البحتري على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في مجاذبته إياه حيث يقول :

وَلَوْ أَنَّ الْحَكِيمَ وَازَنَ فِي الْأَلْفَظِ واختار لم يقل شجبه
وكان أبو الطيب نظر إلى مارواه أبو ظبيان ، قال : اجتمع نفرٌ من أهل الكلام
على رجل من الملحدين ، فجعلوا لا يأتون بمسألة إلا سألهم الدليلَ عليها ، وناقضهم
فيها ، فأعيامهم كثرة ما يقول ويقولون ، فقال بعضهم : أما بعد فإن الموت لاشك فيه
فقال الملحدي ما رأيتُ خاطباً وواعظاً وشاهداً لا يُردُّ أوجز منه ، وقلما ترى معنى
إلا وهو يدافع أو يناقض ويُحارُّ به عن سواء المحجة . وقيل : من طلب عيباً وجده . قال
أبو عمرو بن سعيد القُطْرُبِيُّ : ليس من بيتٍ إلا وفيه طاعنٍ مطعنٍ ، إلا قول الخطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناس
وقول طرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
وقول علي بن زيد :

عن المرء لا تسَلْ وسلْ عن قرينه فكل قرينٍ بالمقارنِ مُقتَدِ
وللعلم بذلك قال قتيبة بن مسلم لأبي عيثاش المنتوف ، وقد دخل عليه وبين
يديه سلة زعفران : أنشدني بيتاً لا يصارف ولا يكذب وهي لك ، فأنشده ما ليس
لطاعن فيه مطعن :

فما حملتُ من ناقةٍ فوق كورها أبرَّ وأوفى ذمَّةً من محمدٍ
[صلى الله عليه وسلم ، ورحم وكرَّم ، وشرف وعظم ، وعلى آله الطيبين ، وسلم تسليماً]

قد تم كتاب « زهر الآداب ، لأبي إسحاق الحصرى »

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على كريم الآباء والأمهات

فهرس الجزء الرابع من كتاب
« زهر الآداب ، وثمر الألباب » لأبي إسحاق الحصرى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٧	فاتحة الجزء	١٢١	ققر في تهوين العلة
١٠٨	نماذج من الشعر الجيد	—	جمل في شكاة أهل الفضل
١٠٨	لابن المعتز	١٣٠	جمل في تنسم الإقبال وذكر الإبلال
١٠٩	لعلى بن الخليل أمام الرشيد	١٣٢	ققر في أدعية العيادة
١١١	وصف دعوة لمحمد بن حازم	—	من كلام الأطباء والفلاسفة
١١١	من مستحسن الأجابة	١٣٣	ققر في ذكر المرض والصحة
١١٢	من ترجمة معن بن زائدة وأخباره	١٣٥	من الأجابة المفحمة
١١٢	الرأى والشجاعة	—	رثاء قدح انكسر
١١٣	قضاء الله وعدله	١٣٨	لكشاجم في رثاء منديل
١١٣	بنو كليب	—	وله يصف سقوط الثلج
١١٣	من جيد كلام الأعراب	١٣٩	للصنوبرى
١١٦	جمل من ألوان المديح	١٤٠	لأبي الفتح البستي
١١٧	ألفاظ لأهل العصر في ضروب المادح	—	لأبي الفضل الميكالى
١٢٠	أدعية في صدور الكتب	١٤٠	لأهل العصر في وصف الثلج والبرد
١٢١	لابن المعتز في القاسم بن عبيد الله	١٤١	لهم في وصف الفيظ والحمر
١٢١	منزلة صناعة الكلام	١٤٢	العجلة أم الندامة
١٢٣	بعض ما قيل في النسب	—	تأميل ور جاء
١٢٣	لأبي كبير الهذلي	١٤٢	من حسن التقسيم
١٢٤	عمران بن حطان والحجاج	١٤٥	بين قينة وأرملة من عشاقها
١٢٥	من ترجمة عمران بن حطان	١٤٧	بين ابن المعتز وقينة
١٢٦	بين أعرابى وبعض الولاة	١٤٨	بين ابن المعتز وبعض الوزراء
—	الدنيا وأهلها	—	من شعر ابن المعتز
—	أربع كلمات طيبات	١٥٠	جرير في المدينة يغرى بشعر قيس
١٢٧	بين معاوية وعمرو بن سعيد	—	ابن الخطيم
—	من نواضع الرشيد	—	يعقوب بن داود
١٢٨	للمتنبى في حمى أصابته بمصر	١٥٢	بين أحمد بن أبي دواد والوائق
ألفاظ لأهل العصر في العيادة		١٥٣	من خطباء العرب شبيب بن شبة

الموضوع	ص	الموضوع	ص
من رسائل البديع	١٨٩	ومنهم خالد بن صفوان	١٥٤
عفو عن ذى جريرة	١٩١	سحبان وائل	—
لأهل العصر في التهنية بالإطلاق	١٩٢	عجلان بن سحبان	١٥٥
لأبي نواس في مدح الأبين	—	دغفل بن حنظلة النسابة	—
بين الأخطل ومعاوية	١٩٤	عزة الخليل بن أحمد	١٥٦
بين السفاح وأبي نخميلة	١٩٥	من رسائل الصابي	١٥٧
من شعر الحنساء	١٩٦	من رسائل بديع الزمان	١٥٩
مما يستحسن من رثاء الحنساء	١٩٧	المقامة الأذر بيجانية للبديع	١٦١
ليلي الأخيلية صاحبة توبة بن الحجر	١٩٨	مختار من الشعر في أيام الشباب والمشيب	١٦٣
موازنة بين الحنساء وليلي	١٩٩	شدور لأهل العصر في وصف الشيب	١٦٨
الابن الرومي	٢٠٠	قعر لغير واحد في المشيب	١٧٠
للحنساء	—	بعض مآقالوه في الحضاب	١٧٢
عمرو بن الشريد وأبناء صخر ومعاوية	٢٠١	الوليد بن يزيد بن عبد الملك	١٧٤
من رثاء ليلي الأخيلية لتوبة	—	بين الحجاج وأهل العراق	١٧٥
وفود ليلي على معاوية	٢٠٢	جامع المحاربي	١٧٦
وفودها على مروان بن الحكم	٢٠٤	أيوب بن القرية	—
وفودها على الحجاج الثقفي	٢٠٥	كثير بن أبي كثير والحجاج	١٧٧
العباس بن مرداس السلمي	٢٠٩	مختار مما قالوه في المديح	—
عود إلى رثاء شواعر العرب	٢١٠	الشراب وخطره	١٧٨
عبرات المحبين	٢١٢	من اعتلال الطفيليين وحيلهم	١٧٩
من أخبار العباس بن الأحنف	٢١٤	وصف طائر	١٨١
موازنة بين العتابي والعباس الأحنف	٢١٥	أحظى النساء عند المهدي	—
العين والقلب	٢١٩	وصف غلام	١٨٢
من مأثور الحكم	—	بين خالد بن صفوان وعلى بن الجهم	١٨٣
الهوى	٢٢٠	كرة الحدثنان	١٨٤
من رسائل أبي الفضل الميكالي	٢٢٣	مختار مما قالوه في الرثاء	—
من شعر الميكالي	٢٢٥	من أخبار حارثة بن بدر الغداني	١٨٥
الازتياح لقضاء حوائج الناس	٢٢٦	وصف امرأة	١٨٧
ابن عميلة الفزاري وأسيد بن	٢٢٧	من كلام الأعراب	—
		المقامة الأزادية لبديع الزمان	١٨٨

الموضوع	ص	الموضوع	ص
افضل العمامة	١٠٦٤	من غرر المدائح	١٠٢٨
من رسائل ابن العميد	—	صروف الدهر	—
أهرب من الوباء	١٠٦٦	من لا يوفي النعم جفها	١٠٢٩
قتيل الهوى	—	عود إلى غرر المدائح	—
ابن عباس جبر قریش	١٠٦٧	فعلات الأجواد	١٠٣٠
مسلم بن الوليد صريع الغواني	—	من نوادر الرثاء	١٠٣٢
من شعر أبي نواس	١٠٦٩	رثاء قرد	—
وصف جيش للمنتبي	—	رثاء ثور	—
شعب بوان	١٠٧٠	عود إلى اختار من الرثاء	١٠٣٥
عود إلى وصف الجيش	١٠٧١	من كلام الأعراب	١٠٣٩
وصف سفينة	١٠٧٢	المقامة البصرية لبديع الزمان	١٠٤٠
نما قيل في وصف الأساطيل	—	من رسائل بديع الزمان	١٠٤٢
من لطائف التودد	١٠٧٥	عود إلى غرر المدائح	١٠٤٣
لأهل العصر في الإهداء في المهرجان	١٠٧٦	تكاليف المجد لابن المعتز	١٠٤٦
وفي التهنئة بالنيروز وفصل الريح	—	احتمال الغضب	—
الصفات التي تلزم في رجن الشرطة	١٠٧٧	نبذة من لطائف ابن المعتز	١٠٤٧
من كلام الأعراب	١٠٧٨	كتبان الحب	١٠٤٩
مع الولاة والحلفاء	١٠٧٩	معالي الأخلاق	١٠٥٢
شذرات في مساوىء الأخلاق	—	رياضة النفس على الفراق	—
من المفاخرات	١٠٨٠	من كلام أهل العصر في مكارم الأخلاق	١٠٥٤
من وصايا الحكماء	١٠٨١	من رسائل العتابي وأديه	١٠٥٦
من المدائح	١٠٨٢	خصومة قرشية	١٠٥٩
الاستطراد ، وأمثلة منه	١٠٨٤	دعاء	١٠٦٠
سبق المتقدمين إلى الاستطراد	١٠٨٦	عزل وال	—
شاعر باهلي في حضرة الرشيد	١٠٨٨	حرمة الكعبة	١٠٦١
كاتب الحجاج عند سليمان بن عبد المطلب	١٠٨٩	من حكم الفرس	—
من أدب إبراهيم بن العباس الموصلي	١٠٩٠	من حكم الهند	١٠٦٢
رثاء مصلوب	١٠٩٢	أوصية عتبة بن أبي سفيان لبعض ولاته	١٠٦٣
		يزيد بن معاوية	—

الموضوع	ص	الموضوع	ص
١١٢٧ في التهئة بذكر الخلع والأجبية	١٠٩٣	كلام لا يحتمل الجواب، تعجيل الإحسان	١٠٩٤
١١٢٨ في التهئة بالقدم من سفر	١٠٩٥	فضل الإيجاز	١٠٩٦
١١٢٩ من أحسن الشعر	١٠٩٧	أبو مسلم الخراساني	١٠٩٨
— ما قيل من الشعر على قبر عمرو بن حمزة الدوسي	١٠٩٩	حساب، من كلام الأحنف بن قيس	١١٠٠
١١٣١ بلاغة الأعراب	١١٠١	نما كتبه ابن الزيات	١١٠٢
١١٣٢ اذل السؤال ، المقامة الأهوازية (الكفوفية)	١١٠٢	— لأهل العصر في التهئة بالحج	١١٠٣
١١٣٤ من شعر كشاجم	١١٠٤	من شعر قطري بن الفجاءة	١١٠٥
١١٣٥ الرجوع للرئيس بعد تجربة غيره	١١٠٦	١٠٩٩ من جيد المديح	١١٠٧
١١٣٧ من اسمه على من الخلفاء	١١٠٨	١١٠٠ بين سعيد بن عبد الملك وسعيد بن حميد	١١٠٩
١١٣٨ في بيعة يزيد بن معاوية	١١١٠	١١٠١ منزلة سعيد بن حميد الأدبية	١١١١
١١٣٩ في الإقدام حياة	١١١٢	١١٠٢ نماذج من السرقات الشعرية	١١١٣
— من أخبار أبي دلف وشعره	١١١٤	١١٠٤ الاقتباس من القرآن الكريم	١١١٤
١١٤١ من رسائل الليكالي	١١١٥	— أمثال للعرب والعجم وما يقابلها من القرآن الكريم	١١١٥
١١٤٢ للخرمى يعاتب الوليد بن أبان	١١١٦	١١٠٨ جملة من مكاتبات بعض أهل العصر	١١١٦
١١٤٣ من ترجمة أبي يعقوب الحرابي	١١١٧	١١١١ المقامة القزوينية لبديع الزمان	١١١٧
١١٤٥ قفر وفصول في معان شق	١١١٨	١١١٣ عاقبة السؤال بلفظ حسن	١١١٨
١١٤٧ دعاء ، من رسائل البلغاء	١١١٩	١١١٤ أربعة أبيات ، أبو الأسود وامراته	١١١٩
١١٤٩ رثاء يزيد بن يزيد الشيباني	١١٢٠	١١١٥ عظات ووصايا	١١٢٠
١١٥٠ من رسائل بديع الزمان	١١٢١	١١١٦ وصف هشام بن عبد الملك بصفته	١١٢١
١١٥٤ المقامة السجستانية للبديع	١١٢٢	— حاتم الطائي يتحمل ديات، وصف ثقيل	١١٢٢
١١٥٧ اجارية ذات أدب وجمال تبدأ أبناء الخلفاء	١١٢٣	١١١٧ طليسان ابن حرب	١١٢٣
١١٥٩ نهشل بن حرى، ومختار من شعره	١١٢٤	١١١٩ من رسائل ابن العميد	١١٢٤
١١٦٠ أثر الشعر	١١٢٥	١١٢١ لأبي الطيب في ابني عضد الدولة	١١٢٥
١١٦١ أنصف بيت ، وأصدق بيت	١١٢٦	— للإسكافي في استبطاء وتهئة	١١٢٦
١١٦٢ ألفاظ لأهل العصر في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم	١١٢٧	١١٢٣ لأهل العصر في ضروب للتهاني	١١٢٧
١١٦٣ خاتمة مؤلف الكتاب	١١٢٨	١١٢٤ في ذكر المولود العلوي	١١٢٨
		١١٢٥ في التهئة بالإملاك والنفاس	١١٢٩
		— في التهئة بالولاية والأعمال	١١٣٠